كتاب
الفرج بعد الشدة

تأليف

القاضي أبي علي المحسن بن علي التنوخي

المتوفى سنة ٣٨٤ هـ

تحقيق

عبود الشالجي

الجزء الأول

دار صادر
بيروت

كتاب

الفرج بعد الشدة

تأليف

القاضي أبي علي المحسن بن علي التنوخي
المتوفى سنة ٣٨٤ هـ

تحقيق

عبود الشالجي

الجزء الأول

دار صادر
بيروت

١٣٩٨هـ ــ ١٩٧٨م

الفرج بعد الشدة

١

مقدمة المحقق

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم يسّر

القاضي أبو علي ، المحسّن بن علي التنوخي[1] ، ووالده القاضي أبو القاسم علي بن محمد[2] ، وولده القاضي أبو القاسم عليّ بن المحسّن[3] ، أسماء لامعة ، في عالم الأدب ، والشعر ، والقضاء .

وقد أتحف القاضي أبو عليّ ، المكتبة العربية ، بتآليف نادرة المثال ، أشهرها كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ، وكتاب الفرج بعد الشدّة .

قضى التنوخي في تأليف كتابه نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ، عشرين عاماً[4] ، وأخرجه في أحد عشر مجلّداً[5] ، واشترط على نفسه فيه ، أن لا يضمّنه

---

١ انظر ترجمته بعد هذه المقدمة ، وقد استخلصتها من مصنّفاته ، وله ترجمة في معجم الأدباء ٦ / ٢٥١ ، وفي كتاب اليتيمة للثعالبي ٢ / ٣٤٦ .

٢ ترجمته في معجم الأدباء ٥ / ٣٣٢ واليتيمة ٢ / ٣٣٦ .

٣ ترجمته في معجم الأدباء ٥ / ٣٠١ .

٤ معجم الأدباء ٦ / ٢٥١ .

٥ معجم الأدباء ٦ / ٢٥١ وفرج المهموم لابن طاووس ١٥٤ .

شيئاً نقله من كتاب[1].

أمّا كتاب الفرج بعد الشدّة، فقد بدأ به في أواخر أيّامه[2]، على أثر محن تعرّض لها، وشدائد ابتلي بها[3]، ثم نجا منها، وأخرجه في ثلاثة مجلدات[4]، أودعها أخباراً استلّها من الكتب[5]، وأضاف إليها قسماً من مسموعاته، ومن مشاهداته.

بدأ تعلّقي بمؤلّفات المحسّن التنوخي، عند مطالعتي ما أصدرته المطابع منها، فقرأت له الأجزاء الثلاثة الّتي نشرها له الناشرون من كتاب نشوار المحاضرة[6]، وقرأت له كتاب الفرج بعد الشدّة، وكانت دار الهلال قد طبعته في جزءين اثنين[7].

وكنت كلّما أعدت مطالعة جزء من مؤلّفات القاضي التنوخي، زاد تعلّقي بها، وقد حاولت، مرّات ومرّات، أن أبحث عن الأجزاء الضائعة

---

١ مقدّمة المؤلّف في الجزء الأول من نشوار المحاضرة.

٢ راجع القصّتين ٢١٦ و ٤١١ من هذا الكتاب، وتعليق المحقّق عليهما.

٣ راجع القصص ٨ و١٨ و٥٩ من هذا الكتاب.

٤ معجم الأدباء ٦ / ٢٥١.

٥ عدد القصص المنقولة عن الكتب ١٥٣ قصة من المجموع البالغ ٤٩١.

٦ تمّ نشر ثلاثة أجزاء من كتاب نشوار المحاضرة، بسعي المستشرق المعروف د. س. مرجليوث، وقد نشر الجزء الأوّل بمصر في السنة ١٩٢١، ونشر الجزء الثامن بدمشق في السنة ١٩٣٠، ونشر جزء ثالث بدمشق في السنة ١٩٣٢ عن أصله الموجود في مكتبة المرحوم العلاّمة أحمد تيمور، باعتبار أنه الجزء الثاني، وليس به، وإنما هو أحد أجزاء النشوار، وقد ترجم المستشرق مرجليوث الجزء الأول من النشوار إلى اللّغة الإنكليزية، وطبعه في لندن، في السنة ١٩٢٢ بعنوان: أحاديث قاض عراقي، كما انه ترجم الجزء الثامن إلى الإنكليزية، ونشر الترجمة في مجلة THE ISLAMIC REVIEW التي تصدر في حيدر آباد الدكن في الهند.

٧ طبع الجزء الأول في السنة ١٩٠٣ والثاني في السنة ١٩٠٤.

من النشوار ، فأضمّها إلى المطبوعة ، في طبعة جديدة ، أبذل الجهد في تحقيقها ، والعناية في إخراجها ، ولكنّ انصرافي إلى عملي في المحاماة ، كان يحول بيني وبين ذلك ، ثم انفسح لي من بعد ذلك ، وقت قصرته على تحقيق رغبتي السالفة ، في البحث عن الأجزاء الضائعة من مؤلّفات التنوخي ، وضمّها إلى ما هو موجود منها ، ونشرها .

وبدأت ، فجمعت أفلاماً للنسخ المخطوطة من كتاب نشوار المحاضرة[1] ، فعثرت بين الأفلام على جزء من أجزائه الضائعة ، فأصبحت الأجزاء المتيسّرة أربعة ، ثم تتبّعت الفقرات الضائعة من الكتاب ، في ثنايا الكتب ، فجمعت ما أمكنني جمعه منها ، وكان ذلك بدء عمل مضن ، بذلت فيه وقتاً ، وجهداً ، وصبراً[2] ، حتى أخرجت –والحمد لله– ثمانية أجزاء من كتاب نشوار المحاضرة ، كانت في تحقيقها ، وتنسيقها ، وطبعها ، مثالاً يحتذى[3] .

ثم عكفت من بعد ذلك ، على كتاب الفرج بعد الشدّة ، فجمعت أفلاماً لنسخه المخطوطة ، فاجتمع عندي ، فلم مخطوطة الجزء الأول منه ، من

---

١ كان فلم مخطوطة الجزء الأول ، من المكتبة الوطنية بباريس ، برقم ٣٤٨٢ عربي ، وفلم مخطوطة الجزءين الأول والثاني ، من مكتبة مراد ملا باصطنبول ، وفلم مخطوطة أحد الأجزاء ، من مكتبة المرحوم العلّامة أحمد تيمور بالقاهرة ، وفلم مخطوطة الجزء الثامن من مكتبة المتحف البريطاني بلندن ، برقم ٩٥٨٦ شرقي .

٢ إنّ انعدام الفهارس في أكثر الكتب العربية ، كان يضطرني إلى قراءة الكتاب كلّه ، فربما عثرت في طياته على فقرة واحدة من فقرات النشوار الضائعة ، وربّما لم أعثر على شيء ، والاطلاع على ثبت المراجع الّتي رجعت إليها ، المدرج في آخر كل جزء من أجزاء النشوار ، لا يكفي للإحاطة بما بذلت من جهد ، وما كابدت من عناء ، فإن عشرات من الكتب ، قرأتها سطراً سطراً ، ولم أعثر فيها على فقرة واحدة من الفقرات المطلوبة ، فلم أذكرها في الثبت .

٣ صدرت الأجزاء الأول والثاني والثالث في السنة ١٩٧١ ، وصدر الرابع والخامس والسادس في السنة ١٩٧٢ ، وصدر الجزآن السابع والثامن في السنة ١٩٧٣ .

المكتبة الظاهرية بالشام[1] ، وفلم مخطوطة الجزء الثاني ، من الخزانة الملكية بالرباط [2] ، وأفلام ثلاثة أخرى ، اشتمل كلّ واحد منها على الكتاب بتمامه ، أولها من دار الكتب المصرية[3] ، وثانيها من مكتبة جون رايلند[4] ، وثالثها من مكتبة الاسكوريال[5] ، كما استعنت في تحقيقي بالنسخة التي طبعتها دار الهلال[6] ، وبمخطوطات مصنّفات أخرى ، كان القاضي التنوخي قد نقل عنها ، أو كان أصحابها قد نقلوا عنه .

وتبيّن لي عند البدء بالتّحقيق ، أنّ النسخة المطبوعة من هذا الكتاب ، وهي التي طبعتها دار الهلال (هـ) ، قد اختصرت فقرات من هذا الكتاب ، اختصاراً مخلّاً ، إذ حذفت مَن أخباره الأسانيد ، كما حذفت كثيراً من التفاصيل التي كان المؤلّف يوردها لبيان ظرف من ظروفه ، أو لإيضاح هوية أحد من يروي عنهم ، كما حذفَتْ كثيراً من القصص بتمامها[7] ، هذا فضلاً عمّا ورد فيها من التصحيف ، وبالرغم من ذلك ، فقد أفدتُ منها ، إذ وجدتها قد أثبتت بعض القصص التي سقطت من بقيّة المخطوطات الأخرى[8] ، أمّا النسخ المخطوطة ، فهي بالإضافة إلى ما ورد فيها من تصحيف يختلف زيادة

---

١ رمز إليها في هذا الكتاب ، بحرف (ظ) .
٢ رمز إليها في هذا الكتاب بحرف (ن) .
٣ رمز إليها في الكتاب بحرف (م) .
٤ رمز إليها في الكتاب بحرف (ر) .
٥ رمز إليها في الكتاب بحرف (غ) .
٦ رمز إليها في الكتاب بحرف (هـ) .
٧ في نسخة هـ ، القصص من ٢٥١ إلى ٢٩٨ ساقطة .
٨ هي القصص من ٤٥٨ إلى ٤٦٥ ومن ٤٨٩ إلى ٤٩٢ .

ونقصاً[1] ، فإنّ النسّاخ فيها ، كانوا يتعمّدون أن يغفلوا نسخ كثير من القصص تخفيفاً عن أنفسهم ، وقد تعمّدوا أن تكون القصص المغفلة في ثنايا الكتاب كي لا يفطن إليها أحد[2] .

ذكر التنوخيّ ، في مقدّمة كتابه ، أنّه اطّلع على ثلاثة كتب في موضوع الفرج بعد الشدّة ، أوّلها : كتاب صنّفه أبو الحسن علي بن محمّد المدائني ، اسمه « كتاب الفرج بعد الشدّة والضيقة »[3] ، وثانيها : كتاب ألّفه أبو بكر عبد الله بن محمّد المعروف بابن أبي الدّنيا ، سمّاه « كتاب الفرج بعد الشدّة »[4] ، وثالثها : كتاب ألّفه القاضي أبو الحسين عمر بن محمّد ابن يوسف الأزدي ،

---

١ أصحّ النسخ نسخة (ظ) ، الّتي اشتملت على الجزء الأول وحده ، ويرجع تاريخها إلى ما قبل سنة ٧٧٧ هـ .

٢ القصص الساقطة من نسخة (غ) ١٣٠ قصّة ، ومن نسخة (م) ٨٥ قصّة ، ومن نسخة (ر) ٦٣ قصّة ، أما من نسخة (ظ) فالساقط قصّتان اثنتان .

٣ ذكر التنوخي ، أنّه وقف ، في بعض محنه ، على الكتاب ، وأنّه لم يزد على خمس أو ست أوراق تشتمل على أخبار تدخل جميعها في معنى الفرج بعد الشدّة ، وانه وجدها حسنة ، « ولكنّها لقلّتها أنموذج صبرة » ، وقد ترجم صاحب الفهرست ١١٣ للمدائني ، وذكر له أسماء ٢٤٤ كتاباً ، كما ذكره صاحب هدية العارفين ١ / ٦٧٠ و٦٧١ ، وذكر له أسماء ٢٢٧ كتاباً ، ولم يذكر من بينها كتاب الفرج بعد الشدّة .

٤ ذكر القاضي التنوخي ، أنّه وقع إليه هذا الكتاب ، وقال إنّه في عشرين ورقة ، وإنّ الغالب عليه أحاديث عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، وأخبار عن الصحابة والتّابعين رحمهم الله ، وقد ترجم صاحب الفهرست ، لمصنفه ابن أبي الدّنيا ، ص ٢٣٦ و٢٣٧ وذكر أسماء ٣٣ كتاباً من مصنفاته ، ولم يذكر من بينها كتاب الفرج بعد الشدّة ، وجاء في الأعلام ٤ / ٢٦٠ أنّ الذهبي أورد أسماء مصنفات ابن أبي الدّنيا ، فبلغ عددها ١٦٤ مصنفاً ، من ضمنها كتاب الفرج بعد الشدّة (مطبوع) ، أقول : اطلعت على نسخة هذا الكتاب في خزانة المكتبة الظاهرية بالشام ، وهي في جزءين ، الأول في ثلاث عشرة ورقة ، والثاني في خمس عشرة ورقة ، بخط عبد الرحيم بن عبد الخالق بن محمّد بن هشام القرشي الشافعي ، والنسخة خالية من التاريخ ، وعلى الجزءين قراءات ، أولها مؤرخة بتاريخ يوم

سمّاه كذلك « كتاب الفرج بعد الشدّة »[1] وذكر التنوخيّ أنّ اطلاعه على هذه الكتب ، كان من أسباب نشاطه لتأليف كتابه هذا ، وقال : إنّه وضع ما في الكتب الثلاثة في مواضعه من أبواب كتابه « إلاّ ما اعتقد أنّه لا يجب أن يدخل فيه ، وأنّ تركه وتعدّيه أصوب وأولى » .

وعلى ذلك ، فقد نقل التنوخيّ ، في كتابه هذا ، أكثر ما اشتملت عليه الكتب الثلاثة[2] ، كما نقل في كتابه أخباراً وقصصاً من كتب أخرى ، منها : كتاب الآداب الحميدة ، والأخلاق النفيسة[3] ، للإمام أبي جعفر الطبري ، وكتاب الأغاني[4] ، لأبي الفرج الأصبهاني ، وكتاب الوزراء والكتّاب[5] ، لأبي

الأثنين رابع عشر ذي الحجّة سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة ، قراءة الشيخ أبي الفرج ناصح الدين عبد الرحمن بن نجم بن عبد الوهاب الجزري ، السعدي ، العبادي ، الحنبلي (٥٥٤ – ٦٣٤ مولده ووفاته بدمشق ، الأعلام ٤ / ١١٦) على الشيخة شهدة بنت أحمد بن عمر الابري (٤٨٢ – ٥٧٤ ، مولدها ووفاتها ببغداد ، الأعلام ٣ / ٢٥٩) ، وقد رمزت إليها في هذا الكتاب بحرف (د) .

١ ذكر القاضي التنوخي ، أنّه قرأ هذا الكتاب ، وأنّه في مقدار خمسين ورقة ، وقد أودعه مصنفه أكثر ما رواه المدائني وجمعه ، وأضاف إليه أخباراً أخر ، أكثرها حسن ، ولم يلم بما أورده ابن أبي الدنيا ، وقد ذكر الكتاب صاحب الفهرست ١٢٧ .

٢ نقل التنوخي ، من كتاب المدائني أربعة عشر خبراً ، ومن كتاب ابن أبي الدنيا خمسة وأربعين خبراً ، ومن كتاب القاضي أبي الحسين الأزدي أربعة وأربعين خبراً .

٣ ذكر هذا الكتاب صاحب معجم الأدباء ٦ / ٤٤٩ وسمّاه : كتاب أدب النفوس الحميدة ، والأخلاق النفيسة ، وقال : ربّما سمّي بأدب النفس الشريفة ، والأخلاق الحميدة ، وذكره صاحب هدية العارفين ٢ / ٢٦ و٢٧ ، وقد نقل عنه التنوخي خبرين اثنين .

٤ كان أبو الفرج الأصبهاني ، أحد أساتذة المحسن التنوخي ، وقد أجاز له رواية كتابه الأغاني ، في جملة ما أجازه له (القصّة ٤٨٢ من هذا الكتاب) وقد نقل التنوخي في كتابه هذا ، عن كتاب الأغاني ستة أخبار ، وعن صاحب الأغاني ثلاثة وأربعين خبراً ، أكثرها مثبت في كتاب الأغاني .

٥ ذكره صاحب الفهرست ١٤١ ، وقد نقل عنه التنوخي ثلاثة وثلاثين خبراً .

عبد الله محمّد بن عبدوس الجهشياري ، وكتاب الأوراق ، للصولي[1] ، وكتاب الوزراء[2] ، له ، وكتاب نسب قريش[3] ، للزبير بن بكّار ، وكتاب الحماسة[4] ، لأبي تمّام ، وكتاب العَمْرِين من الشعراء[5] ، لمحمّد بن داود الجرّاح ، وكتاب مناقب الوزراء ومحاسن أخبارهم[6] ، لأبي الحسن عليّ بن الفتح المعروف بالمطوّق ، وكتاب المبيّضة[7] ، لأبي العبّاس أحمد بن عبد الله بن عمّار ، وكتاب السمّار والندامى[8] ، لأبي علي محمد بن الحسن بن جمهور العمّي[9] ، وكتاب فضائل

---

١ كان أبو بكر الصولي ، أستاذ المحسّن التنوخي ، وقد أجاز له رواية ما كتبه ، بعد ما سمعه منه (القصّة ٢٠٦ من الكتاب) ، وقد نقل التنوخي من كتاب الأوراق للصولي خبراً واحداً ، وقد ذكر صاحب الفهرست ١٦٧ كتاب الأوراق للصولي .

٢ نقل التنوخي عن كتاب الوزراء للصولي ، خمسة أخبار ، وروى عن الصولي في هذا الكتاب سبعة عشر خبراً ، ذكر صاحب الفهرست ١٦٧ وصاحب هدية العارفين ٢ / ٣٨ كتاب الوزراء للصولي .

٣ ذكره صاحب الفهرست ١٢٣ وقد نقل عنه التنوخي ، خبرين اثنين .

٤ ذكره صاحب الفهرست ١٩٠ ، وقد نقل عنه التنوخي شعراً ، في الباب الرابع عشر من الكتاب .

٥ ذكره صاحب الفهرست ١٤٢ وصاحب هدية العارفين ٢ / ٢٢ وسمّاه : كتاب من سمّي عمراً من الشعراء ، وقد نقل عنه التنوخي خبراً واحداً .

٦ ذكره صاحب الفهرست ١٤٣ ، وقال عنه : إنّ مؤلّفه وصل به كتاب محمّد بن داود الجرّاح ، وذكره صاحب هدية العارفين ٢ / ٦٨٤ وسمّاه : كتاب الوزراء ، وقال عنه : إنّه عمله إلى أيّام أبي القاسم الكلوذاني ، وقد نقل عنه التنوخي ثلاثة أخبار .

٧ ذكره صاحب الفهرست ١٦٦ وقد نقل عنه التنوخي خبرين اثنين .

٨ ذكره صاحب هدية العارفين ٢ / ١٠ باسم كتاب النّدماء والسمّار ، وقد نقل عنه التنوخي خبراً واحداً .

٩ سمّاه القاضي التنوخي : محمّد بن الحسن ، كما ورد في النشوار في القصّة ٣ / ١٦٥ و ٤ / ٥٢ وفي هذا الكتاب في القصّة ٤٧١ ، وكذلك سمّاه صاحب معجم الأدباء ٤ / ٤٩٨ ، أمّا صاحب الفهرست ٢٧٨ وصاحب هدية العارفين ، فسمّياه : محمّد بن الحسين ، وانا إلى ترجيح ما ذكره القاضي التنوخي أميل ، لأنّه كان تلميذه ، راجع القصّة ٤ / ٥٢ من النشوار .

الورد على النرجس[1] ، لأحمد بن أبي طاهر طيفور ، ورسالة في فضل الورد على النرجس[2] ، لأبي الحسين محمّد بن محمّد بن جعفر البصري المعروف بابن لنكك ، وكتاب سمّاه التنوخي « شجا »[3] ذكر أنّه من تأليف إسحاق ابن إبراهيم الموصلي ، وكتاب « المتيّمين »[4] للمدائني ، وكتاب « من رثى ما لا يرثى مثله »[5] في رثاء البهائم والنبات والأعضاء ، لأبي عبد الله محمّد بن العبّاس اليزيدي ، وكتب لم يذكر التنوخي أسماءها ، واكتفى بإيراد اسم المصنِّف وحده ، والظاهر أنّها كانت من الشهرة ، بحيث استغنى التنوخي عن ذكر الاسم ، ولكنّها خفيت علينا الآن ، منها كتاب سمّاه : كتاب أبي الفرج الببغاء عبد الواحد بن نصر بن محمّد المخزومي[6] ، وكتاب سمّاه : كتاب أبي القاسم

---

١ ذكره صاحب الفهرست ١٦٣ ، وسمّاه : مفاخرة الورد والنرجس ، وقد نقل عنه التنوخي خبراً واحداً .

٢ لم أعثر على رسالة بهذا الإسم لابن لنكك .

٣ لم أجد – فيما لديّ من المراجع – ذكراً لكتاب من مؤلّفات إسحاق بن إبراهيم الموصلي اسمه « شجا » وقد ذكر مترجموه في الأغاني ٥ / ٢٦٨ – ٤٣٥ ، وفي الفهرست ١٥٧ – ١٥٩ ومعجم الأدباء ٢ / ١٩٧ – ٢٢٥ وهدية العارفين ١ / ١٩٧ أنّ له مؤلّفات في الأغاني فلعله أحدها ، وقد نقل عنه التنوخي ، خبرين اثنين .

٤ كتاب « المتيّمين » ، أحد مصنّفات المدائني ، راجع هدية العارفين ١ / ٦٧٠ ، وقد نقل عنه التنوخي خبراً واحداً ، وقد ورد في المخطوط باسم « السمير » وهو تصحيف .

٥ لم أجد اسم هذا الكتاب بين مصنفات أبي عبد الله اليزيدي ، راجع الفهرست ٥٦ و٥٧ وهدية العارفين ٢ / ٢٩ و ٣٠ .

٦ راجعت ترجمة أبي الفرج الببغاء في وفيات الأعيان ٣ / ١٩٩ وفي يتيمة الدّهر ١ / ٢٥٢ – ٢٨٦ وفي المنتظم لابن الجوزي ٧ / ٢٤١ – ٢٤٣ وفي تاريخ بغداد للخطيب ١١ / ١١ و١٢ ، وراجعت هدية العارفين ٢ / ٦٣٣ فلم أحظ بطائل ، وقد اكتفى صاحب هدية العارفين بذكر ديوانه فقط ، ولكن صاحب اليتيمة ، أورد في ترجمته قصّة مطوّلة ، مروية عنه ١ / ٢٥٣ – ٢٦١ أحسب انها من ضمن ما اشتمل عليه كتابه ، ولكنّه لم يشر إلى الكتاب بشيء .

الحسين بن محمّد بن الحسن بن إسماعيل الكوفي[1] ، كما نقل عن كتاب ذكر أنّه ليعقوب بن بيان[2] ، يضاف إلى ذلك ، ما نقله من الأخبار ، عن كتب لم يذكر أسماءها ولا أسماء مصنّفيها[3] .

ونقل التنوخي ، في كتابه هذا ، كثيراً من الأخبار عن بعض أساتذته الذين أجازوا له الرواية عنهم ، مثل أبي بكر محمّد بن يحيى الصولي[4] ، وأبي الفرج علي بن الحسين الأصبهاني[5] ، وأبي عمر الزاهد ، محمّد بن عبد الواحد ، المعروف بغلام ثعلب[6] ، وأبي طالب محمّد بن أبي جعفر أحمد بن إسحاق ابن البهلول التنوخي[7] ، كما نقل عن أبيه ، أبي القاسم علي بن محمّد التنوخي[8] ، وعن القاضي أبي الحسن بن أبي الطيّب الجرّاحي[9] ، وعن أبي القاسم عبيد الله ابن محمّد بن الحسن العبقسي الصرويّ[10] ، وعن أبي علي محمّد بن الحسن بن

---

١ أبو القاسم الحسين بن محمّد بن الحسن بن إسماعيل الكوفي : ترجم له الخطيب البغدادي ٨ / ١٠٣ وذكر أنّه ولّي القضاء بالكوفة ، نيابة عن القاضي المحسّن التنوخي وانه توفّي سنة ٣٩٥ ، وقد نقل التنوخي عنه شعراً في الباب الرابع عشر من الكتاب .

٢ هو أبو يوسف يعقوب بن بيان ، روى عنه القاضي أبو عمر (القصّة ٣٣٨) ولم أعثر على ترجمة له ، فظلّ خافياً علينا إسم الكتاب ، وقد نقل عنه التنوخي خبرين إثنين .

٣ عدد هذه الأخبار تسعة وعشرون خبراً .

٤ راجع القصّة ٢٠٦ ، وقد نقل عنه ١٧ خبراً .

٥ راجع القصّة ٤٨٢ ، وقد نقل عنه ٤٣ خبراً .

٦ راجع القصّة ١٣ .

٧ راجع القصّة ٢٠٣ .

٨ نقل عنه ١٣ خبراً .

٩ نقل عنه ٢٥ خبراً .

١٠ نقل عنه ١٤ خبراً .

المظفر الحاتمي[1] ، وعن أبي الحسين علي بن هشام الكاتب ، المعروف بابن أبي قيراط[2] ، وعن أحمد بن عبد الله الورّاق الدوري[3] ، وعن أبي الحسن أحمد ابن يوسف الأزرق التنوخي[4] ، وعن أبي محمّد يحيى بن محمّد ابن سليمان بن فهد الموصلي الأزدي[5] .

وتبيّن لي من دراسة ما أورده التنوخي ، في نشواره ، وفي كتاب الفرج بعد الشدّة ، أنّ المؤلف بدأ بجمع كتابه النشوار ، في السنة ٣٦٠[6] ، ثم ابتلي بشدائد ومحن ، فرغب في تأليف كتاب ، فيمن اُمتُحِنَ وابتلي ، ثم سري عنه ، فعمد إلى كتاب النشوار فاقتطع منه مجموعة من القصص المتعلّقة بهذا الموضوع ، وضمّها إلى قصص أخرى نقلها من الكتب ، وأضاف إليها قصصاً رواها له الراوون ، فجمعها ، وأخرجها كتاباً سمّاه « كتاب الفرج بعد الشدّة »[7] وهو هذا الكتاب .

وقد صنّف في الفرج بعد الشدّة ، عدا من تقدّم ذكرهم ، أبو عبد الله محمّد بن عمران بن موسى المرزباني ، فقد صنّف « كتاباً في الفرج »[8] ،

---

١ نقل عنه ١٤ خبراً .

٢ نقل عنه ١٦ خبراً .

٣ نقل عنه ١٠ أخبار .

٤ نقل عنه ٧ أخبار .

٥ نقل عنه ٥ أخبار .

٦ معجم الأدباء ١ / ٢٥٦ ومقدمة الجزء الأول من كتاب نشوار المحاضرة للتنوخي .

٧ راجع تعليقنا على القصّة ٢١٦ من هذا الكتاب ، قال المستشرق مرجليوث في مقدمة الترجمة الانكليزية للجزء الأول من كتاب النشوار : إنّ المؤلّف ، ادّعى أنّه لم ينقل من كتاب ، مع أنّ كثيراً من القصص الواردة فيه ، وردت في كتاب الفرج بعد الشدّة ، ولو انتبه إلى ما انتبهنا إليه ، لما وجّه هذا الاعتراض .

٨ ذكره صاحب الفهرست ١٤٨ .

وصنّف جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي[1] ، كتاباً سمّاه : « الفرج القريب »[2] كما أنّه لخّص كتاب الفرج بعد الشدّة ، لابن أبي الدّنيا ، مع زيادات ، وسمّاه : « الأرج في الفرج »[3] ، وذكر صاحب كشف الظنون ، كتاباً في الفرج ، لم يذكر اسم مؤلّفه ، سمّاه « الفرج بعد الحرج »[4] وذكر كذلك ، كتاباً في الفرج بعد الشدّة ، قال إنّه باللغة التركية ، وإنّ مصنّفه محمّد ابن عمر الحلبي ، صنّفه في ١٣باباً[5] ، كما ذكر أنّ لطف الله بن حسن التوقاتي[6] ، ترجم كتاب الفرج بعد الشدّة للقاضي التنوخي[7] .

وقد وجدتُ في مكتبة « جستر بيتي » بدبلن ، كتاباً مخطوطاً ، مرقّماً لديها ؛ برقم ٣٥٤٦ الفهرس ج ٣ ، اسمه « كتاب الفرج بعد الشدّة » لم أستطع أن أتبيّن اسم مصنّفه ، مخروم الآخر ، يشتمل على ١٣٣ ورقة ، كلّ ورقة في صفحتين ، كلّ صفحة تشتمل على ٢٣ سطراً ، خطّه حسن ، والتصحيف فيه كثير ، أوّله : الحمد لله الذي [جعل] كلّ همّ بعده فرجاً ، ومن [كلّ] ضيق إلى السعة مخرجاً ، وبعد ، فانّي جمعت هذا المختصر من كتب عدّة ،

---

١ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (٨٤٩ – ٩١١) : ترجم له صاحب الأعلام ٤ / ٧١ .

٢ ذكره صاحب كشف الظنون ٢ / ١٢٥٢ و١٢٥٣ .

٣ كشف الظنون ٢ / ١٢٥٢ و١٢٥٣ .

٤ كشف الظنون ٢ / ١٢٥٢ و١٢٥٣ ، وهذا الكتاب مطبوع .

٥ كشف الظنون ٢ / ١٢٥٢ و١٢٥٣ .

٦ لطف الله بن حسن التوقاتي الحنفي : فاضل تركي ، تفقّه بالعربيّة ، وصنّف عدّة كتب ، اتّهم بالإلحاد ، وقتل سنة ٩٠٠ على ما في كشف الظنون ٢ / ١٢٥٣ ، وسنة ٩٠٤ على ما في الأعلام ٦ / ١٠٧ .

٧ كانت الترجمة إلى اللّغة التركيّة .

ولقّبته « الفرج بعد الشدّة » ، ليكون تسلية لأوّلي الألباب ، في كل نازلة ومصاب ... الخ ، ووجدته ينقل أخباراً كثيرة عن كتاب المعافى[1] ، وعن كتاب التنوخيّ[2] ، وعن كتاب صفوة الصفوة[3] ، كما أنّه أورد في كتابه خبراً يستدلّ منه على أنّه كان مقيماً بالقاهرة ما بين السنتين ٦٧٦ – ٦٧٨[4] ، ولم أجد لهذا الكتاب ذكراً فيما لديّ من مراجع ، ووجدت أيضاً ، في مكتبة جستر بيتي بدبلن ، كتاباً آخر ، مرقّماً لديها برقم ٥٢١٢ في الفهرس ج ٧ . اسمه « ريحانة المهج من مختار كتاب الفرج » لم أتمكّن من معرفة اسم مصنّفه ، وهو مخروم الآخر ، في ٧٤ ورقة ، كلّ ورقة في صفحتين ، كلّ صفحة تشتمل على ١٧ سطراً ، الخطّ حسن ، والتصحيف قليل ، أوّله : « الحمد لله مفرّج الكروب ، وستّار العيوب ، المجازي بكرمه عن الحسنة عشراً ، والجاعل بعد عسر يسراً ، وصلّى الله على سيّدنا محمّد نبيّه وآله الطاهرين ، وسلّم تسليماً إلى يوم الدين » ، وبعد أن تعرّض للمحسّن التنوخي ، ولكتابه الفرج بعد الشدّة[5] ، قال : إنّه نقل

---

١ ان كان المقصود أبا الفرج المعافى بن زكريا بن يحيى الجريري ، النهرواني ، المعروف بابن طرار (٣٠٣ – ٣٩٠) : ترجمته في الأعلام ٨ / ١٦٩ فيكون المنقول عنه ، كتابه : الجليس والأنيس (مخطـوط) .

٢ أبو علي المحسّن التنوخي ، والكتاب : الفرج بعد الشدّة .

٣ كتاب صفوة الصفوة ، لأبي الفرج عبدالرحمن بن علي ، المعروف بابن الجوزي ، (٥٠٨ – ٥٩٧) : ترجمته في الأعلام ٤ / ٨٩ و ٩٠ .

٤ في الصفحة ٤٣ من المخطوطة ، قال المصنّف : « ومن الفرج بعد الشدّة ، يقول مصنّف هذا الكتاب ، إنّي حضرت مع شيخي محمد اليمني ، وكان سكنه عند باب سعادة بالقاهرة ، بولاية الملك السعيد بن الملك الظاهر (راجع ترجمته في الأعلام ٦ / ٢٧٦) حضرنا في مجلس أمير يقال له : بندق دار ... الخ .

٥ قال عن المحسّن التنوخي : إنّه رحمه الله ، قد أورد في كتاب الفرج بعد الشدّة من الحكايات النّادرة ، ما قبلته الأسماع ، ومن الأحاديث الباردة ، ما نفرت منه الطباع .

كتابه هذا ، عن كتاب التنوخي ، إلاّ أنّه « انتقى زُبَدَه ، ونفى زَبَدَه » وإنّه خدم به خزانة الملك الأشرف موسى بن الملك العادل محمّد الأيوبي[1] ، ويظهر لي انّه قدمه لخزانة الملك ، ما بين السنتين ٦١٦ – ٦٣٥[2] .

واطّلعت على كتاب سمّاه ناشره ، « تفريج المهج ، بتلويح الفرج »[3] وتبيّن لي عند مطالعته ، أنّ هذه التّسمية من صنع الناشر ، وأنّه يشتمل على ثلاثة كتب ، أحدها : « كتاب الأرج في أدعية الفرج » ، للسيوطي ، وقد سبق ذكره ، وثانيها ، وقد طبع في الحاشية : « معيد النعم ، ومبيد النقم »[4] ،

---

١ الملك الأشرف ، مظفر الدين ، أبو الفتح ، موسى بن الملك العادل محمّد الأيوبي (٥٧٨ – ٦٣٥) : ترجمته في الأعلام ٨ / ٢٨٠ و٢٨١ ، وفي وفيات الأعيان ٥ / ٣٣٠ – ٣٣٦ ، وللطرافة ، أورد نص التقديم الذي قدّم به المصنّف كتابه ، لخزانة الملك الأشرف ، قال : سمّيت الكتاب « ريحانة المهج ، من مختار كتاب الفرج » ، وخدمت به خزانة مولانا السلطان الأعظم ، شاهنشاه المعظّم ، اسكندر الزمن ، مالك رقاب الأمم ، ملك ملوك العرب والعجم ، الملك الأشرف ، السيد ، الأجلّ ، الكبير ، العالم ، العادل ، المجاهد ، المرابط ، المؤيّد ، المظفّر ، المنصور ، مظفر الدّنيا والدّين ، معزّ الإسلام ، ملك المسلمين ، معين الإمام ، مغيث الأنام ، ركن الدّولة ، مجد الأمّة ، فخر الملوك والسلاطين ، كهف الجيوش في العالمين ، قاتل الكفرة والمشركين ، قاهر الخوارج والمتمرّدين ، مجير العباد ، ماحي البغي والعناد ، قامع المتجبّرين في البلاد ، بهلوان جهان ، سلطان العراقين والعجم والشام ، حافظ ثغور الله ، الذابّ عن ملّة رسول الله ، أبي الفتح ، موسى ، شاه أرمن ، ناصر أمين المؤمنين ، ابن السلطان الملك العادل ، أبي بكر بن أيّوب بن شاذي ، خليل أمير المؤمنين ، أعزّ الله أنصاره ، وضاعف اقتداره .

٢ قوله في مدح الملك الأشرف : إنّه قاتل الكفرة والمشركين ، وحافظ ثغور الله ، والذابّ عن ملّة رسول الله ، يدلّ على أنّ تقديم هذا الكتاب حصل بعد السنة ٦١٦ الّتي اشترك فيها الملك الأشرف في محاربة الافرنج وطردهم من دمياط ، ومن الديار المصريّة ، راجع وفيات الأعيان ٥ / ٣٣١ .

٣ طبع هذا الكتاب بمصر في السنة ١٣١٨ هـ .

٤ ذكره صاحب هدية العارفين ١ / ٦٣٩ والأعلام ٤ / ٣٣٥ .

لتاج الدين عبد الوهاب السبكي[1] ، وثالثها : « كتاب حلّ العقال ، الذي يتخلّص من يلتجئ إليه من أهوال الأحوال »[2] ، صنّفه السيد عبد الله الحجازي ، المعروف بابن قضيب البان[3] ، وقد اختصر كتاب القاضي التنوخي ، اختصاراً واضحاً ، وسطا عليه سطواً فاضحاً[4] ، ولم يكتف بما صنع ، بل انّه تعرّض في مقدمة كتابه للتنوخي ، فقال عنه « إنّه أطال في كتابه الفرج بعد الشدّة ، إلى حدّ يورث الملل ، وأورد ما لا حاجة إليه ، ولا مناسبة له بهذا العمل » .

يتّضح ممّا تقدّم ، أنّ المحسّن التنوخي ، لم ينفرد بتصنيف كتابه في موضوع الفرج بعد الشدّة ، فقد سبقه إلى ذلك مصنّفون ، ذكرهم في مقدمّة كتابه ، واعترف بأنّه نقل ما كتبوه إلى كتابه ، وأعقبه مصنّفون آخرون ، جاءوا بعده ، وحاولوا السير على غراره ، والنسج على منواله ، فلم يصلوا ، ولم يقاربوا ، وبقي كتاب التنوخي ، مجلّياً في الميدان ، يشار إليه بالبنان ، ويرد ذكره على كلّ لسان ، ولا عجب ، فإنّه قد جاء فريداً في بابه ، جمع فيه مصنّفه من طريف الأخبار والأشعار ، وغريب القصص والحكايات ، ما يستهوي القارئ ، ويلذّ السامع ، وقد ذكره القاضي ابن خلّكان في وفيات الأعيان[5] ،

---

١ أبو نصر تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين عليّ بن عبد الكافي السبكي (٧٢٧ – ٧٧١) : ترجم له صاحب الأعلام ٤ / ٣٣٥ .

٢ ذكره صاحب الأعلام ٤ / ٢٧٤ .

٣ عبد الله بن محمّد حجازي بن عبد القادر بن محمّد بن أبي الفيض ، المعروف بابن قضيب البان الحلبي : ترجم له صاحب أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ٦ / ٣٨٧ – ٤٠٢ والأعلام ٤ / ٢٧٤ واتفقا على أنّه لم يكن ممدوح السيرة ، قتلته العامّة بحلب في السنة ١٠٩٦ هـ .

٤ أودع ابن قضيب البان ، في كتابه ، تسعاً وثلاثين قصّة ، نقلها من كتاب التنوخي ، وهي أكثر ما اشتمل عليه الكتاب .

٥ وفيات الأعيان ٣ / ٣٠١ .

وياقوت في معجم الأدباء[1] ، وابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب[2] ، وحاجي خليفة في كشف الظنون[3] ، وإسماعيل البغدادي في هدية العارفين[4] ، وقال فيه الثعالبي في اليتيمة[5] : « كتاب الفرج بعد الشدّة ، ناهيك بحسنه ، وامتاع فنّه ، وما جرى الفال بيمنه ، لا جرم إنّه أسير من الأمثال ، وأسرى من الخيال » .

أمّا فيما يتعلّق بأجزاء الكتاب ، فإنّ الاختلاف الحاصل فيما تيسّر لديّ من معلومات ، أوقفني موقفاً محيّراً ، فإنّ ياقوت الحموي ، أثبت في معجم الأدباء « ج ٦ ص ٢٥١ » أنّ كتاب الفرج بعد الشدّة ، للقاضي أبي علي التنوخي ، يقع في ثلاثة مجلدات ، ولكنّ الجزء الأوّل من المخطوطة الظاهرية (ظ) انتهى بنهاية القصّة ٣٠٦ التي هي نهاية الباب السابع ، والكتاب يشتمل على أربعة عشر باباً ، ممّا يدلّ على تجزئة الكتاب إلى جزئين اثنين ، وكذلك مخطوطة (ن) فإنّ الجزء الثاني يبدأ بالقصّة ٣٠٥ وينتهي بنهاية الكتاب ، أمّا مخطوطة الأسكوريال (غ) فإنّ الجزء الأوّل فيها قد انتهى بنهاية القصّة ١٥٠ الّتي هي نهاية الباب الرابع ، ممّا يدلّ على تجزئة الكتاب إلى أجزاء ثلاثة ، أمّا سبب إغفال الإشارة إلى انتهاء الجزء الثاني ، وإبتداء الثالث ، فذاك لأنّ الناسخ تعمّد إغفال نَسْخ خمس وتسعين قصّة في نسق واحد ، من منتصف القصّة ٢١١ الّتي هي في وسط الباب السادس إلى نهاية القصّة ٣٠٦ الّتي هي نهاية الباب السابع ، وأحسب أنّ نهاية الجزء الثاني ، وبداية الجزء الثالث ، كانت في ثنايا هذه القصص المغفلة ، أمّا نسخة دار المكتب المصرية (م) ، ونسخة مكتبة جون

---

١ معجم الأدباء ٦ / ٢٥١ .

٢ شذرات الذهب ٣ / ١١٢ .

٣ كشف الظنون ٢ / ١٢٥٢ و١٢٥٣ .

٤ هدية العارفين ٥ / ٦ .

٥ يتيمة الدهر ٢ / ٣٤٦ .

رايلند (ر) فلا تجزئة فيهما ، ولدى رجوعي إلى نسخة دار الهلال المطبوعة (هـ) وجدت أنّها جزّأت الكتاب إلى جزئين ، ولكنّ الجزء الأوّل فيها انتهى بالقصّة ٢٣٣ الّتي هي نهاية الباب السادس ، فهي قد وافقت النسخة الظاهرية (ظ) في التجزئة إلى جزئين ، وخالفتها في جعل الجزء الأوّل يشتمل على أبواب ستة ، بينما اعتبرتها النسخة الظاهرية (ظ) سبعة أبواب ، غير أنّي بعد أن أتممت تحقيق الكتاب ، وجدت أنّ المتن الذي يشتمل على ما احتوت عليه جميع نسخ الأصل ، إذا أضيف اليه التعليقات ، والشروح ، والفهارس ، اتّسع الكتاب إلى مجلّدات خمسة ، فأخرجته في خمسة مجلّدات .

ويسرّني ، في مقامي هذا ، أن أعلن شكري للأستاذين الجليلين الشيخ زهير شاويش ، إذ دلّني على تراجم قسم من رجال السند ، والدكتور إحسان عبّاس ، الذي أعانني في قراءة مخطوطة (ن) من هذا الكتاب ، ونسخ لي بخطّه بعض قصصها .

وبعد فهذا كتاب الفرج بعد الشدّة ، أقدّمه لقراء العربيّة ، وقد بذلت جهدي في تحقيقه وإخراجه ، وغاية مرادي أن ينتفع به طلاّب العلم والمعرفة .

وإلى الله نفزع في كلّ ريث وعجل ، وعليه نتوكّل في كلّ سؤل وأمل ، وإيّاه نستعين في كلّ قول وعمل ، ونسأله تعالى أن يرزقنا قلباً عاقلاً ، ولساناً صادقاً ، وأن يوفّقنا للسداد في القول والعمل ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

بحمدون في ٢ / ٣ / ١٩٧٥

عبود الشالجي

المحامي

المخطوطة الظاهرية

تشتمل هذه المخطوطة على الجزء الأوّل من كتاب الفرج بعد الشدّة . رمز إليها في هذا الكتاب ، بالحرف (ظ) .

تشتمل على ١٩٦ ورقة ، كلّ ورقة في صفحتين ، في كلّ صفحة ١٧ سطراً .

الخطّ جيّد قديم . والتصحيف قليل .

في صدر الكتاب : كتاب الفرج بعد الشدّة ، تأليف العالم العلاّمة ، الفقيه القاضي أبي علي المحسّن بن القاضي أبي القاسم علي بن محمّد بن أبي الفهم التنوخي رحمة الله عليه .

وتحت ذلك : وقف الملاّ عثمان الكردي على أرحامه ، وطلبة العلم من المسلمين .

وتحت ذلك ختمان : الأوّل : ختم مكتبة أميّة بدمشق الشام .

والثاني : ختم دار الكتب الظاهرية الأهليّة بدمشق .

وفي الزاوية اليسرى من الأسفل : بتاريخ عشر جمادى الأوّل ، بعنوان العارية من جناب فاضل النحرير ، مولانا الشيخ عبد الرحمن المشهور بكزبري[1] ، وصل إليّ .

محمّد رفيع الشافعي

المحبوس في القلعة

---

١ عبد الرحمن بن محمّد بن عبد الرحمن الكزبري (١١٨٤ – ١٢٦٢) : فاضل ، عالم بالحديث ، من أهل دمشق ، توفّي بمكّة حاجاً (الأعلام ٤ / ١١٠) .

وفي آخر الكتاب ، ورد ما يلي : تمّ الجزء الأوّل من كتاب الفرج بعد الشدّة ، للتنوخي ، والحمد لله وحده ، وصلواته وسلامه على محمّد خاتم النبيّين ، وعلى الأنبياء أجمعين ، وعباد الله الصالحين ، أفضل الصلاة والسلام ، والحمد لله ربّ العالمين .

ولم يثبت ناسخه تاريخ نسخه . إلاّ أنّ في ذيل الصفحة ، شرحٌ جاء فيه : ملَكَ هذا الكتاب المبارك ، وطالعه ، العبد الفقير إلى الله تعالى ، ماجد بن عبد الوهاب ، عفا الله عنه ، وغفر لمن نظر فيه ودعا له بالمغفرة ، وقال : غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر ، وللقائل مثله ، في جمادى الآخر سنة سبع وسبعون وسبعمائة ، أحسن الله انقضاءها .

مخطوطة الخزانة الملكية بالرباط (ن)

تشتمل هذه المخطوطة على الجزء الثاني من كتاب الفرج بعد الشدّة ، ولأنّ الإسم الذي سجل عليها : نشوار المحاضرة ، فقد رمز إليها في هذا الكتاب بالحرف (ن) .

تشتمل على ١٢٦ ورقة ، كلّ ورقة في صفحتين ، في كلّ صفحة ٢٥ سطراً .

الخطّ مغربي قديم ، والتصحيف قليل .

في صدر الكتاب : كتاب أخبار المذاكرة ونشوار المحاضرة ، تأليف فريد عصره ووحيد دهره القاضي التنوخيّ رحمه الله ، وهو الجزء الثاني .

وفي الزاوية اليسرى من الأعلى : الحمد لله وحده ، ملك لعبد ربه الراجي عفوه ومغفرته محمّد بن إبراهيم بن محمّد ناصر أخذ الله بيده ، شراء بحضرة فاس .

وفي آخر الكتاب ورد ما يلي : نجز والحمد لله أهل الحمد ومستحقّه ، وصلّى الله على سيّدنا محمّد خيرته من خلقه ، وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً ، وذلك بتاريخ اليوم الأغرّ ، المبارك المعتبر ، يوم الجمعة السابع والعشرين من رجب الفرد عام تسعة وأربعين وثمانمائة .

مخطوطة الأسكوريال بمدريد (غ)

تشتمل هذه المخطوطة على كتاب الفرج بعد الشدّة بتمامه ، ورقمها : الأسكوريال ٧١٤ .

رمز إليها في هذا الكتاب بحرف (غ) .

تشتمل على ١٧٤ ورقة ، كلّ ورقة في صفحتين ، في كلّ صفحة ٢٩ سطراً ، وقد رقّمت صفحاتها ، فبلغت ٣٤٨ صفحة .

الخطّ جيّد ، والتّصحيف قليل .

في صدر الكتاب : الجزء الأوّل من كتاب الفرج بعد الشدّة ، تأليف القاضي أبي علي المحسّن بن القاضي أبي القاسم علي ابن محمّد بن أبي الفهم التنوخيّ رحمه الله آمين ، آمين ، آمين .

وعلى الزاوية اليسرى من أعلى الصفحة : من كتب عبد الله ووليّه أبي فارس ابن أمير المؤمنين ، بن أمير المؤمنين ، الحسني[1] ، عامله الله بلطفه الخفي والجلي .

وأسفل منه : ثم صار من يد المذكور لمالكه زيدان أمير المؤمنين ، ابن أحمد أمير المؤمنين بن محمّد أمير المؤمنين بن محمّد أمير المؤمنين[1] ، عامله الله بجميل لطفه في العاجل والآجل ، بمحمّد وآله .

---

١ قوله الحسني ، يعني أنّه من أشراف مراكش ، ولعلّه أبو فارس عبد الله الواثق بن المنصور ، حكم مراكش مع أخيه زيدان من السنة ١٠١٢ إلى السنة ١٠١٦ هـ .

١ هو الناصر زيدان أخو أبي فارس عبد الله الواثق . وشريكه في حكم مراكش من السنة ١٠١٢ إلى السنة ١٠١٦ ثمّ انفرد بعده بالحكم إلى السنة ١٠١٩ ، وهو الناصر زيدان ابن أبي العبّاس أحمد المنصور ، بن أبي عبد الله محمّد المهدي ، بن أبي عبد الله محمّد القائم بأمر الله الحسني ، (راجع معجم الأنساب والأسرات الحاكمة ص ١٢٥) .

وفي آخر المخطوطة : تمّ كتاب الفرج بعد الشدّة ، والحمد لله وحده ، وصلّى الله على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه وعترته وجنده ، وسلم تسليماً كثيراً ، دائماً أبداً ، إلى يوم الدين ، سنة ٩٧٥ ، على يد العبد الفقير إلى الله تعالى محمّد ابن بركات الحريري غفر الله له ولوالديه ، ولمن قرأه ودعا لهم بالمغفرة ، ولجميع المسلمين ، آمين .

مخطوطة جون رايلند (ر)

تشتمل هذه المخطوطة على كتاب الفرج بعد الشدّة بتمامه ، رقمها في المكتبة ٦٦٧ .

رمز إليها في هذا الكتاب بحرف (ر) .
تشتمل على ٢٩٨ صفحة ، في كلّ صفحة ٢٥ سطراً .
الخطّ وسط ، والتصحيف كثير .

في صدر الكتاب : كتاب الفرج بعد الشدّة للتنوخيّ رحمه الله تعالى . وأثبت النّاسخ تحت العنوان ترجمة مختصرة للمصنّف ، وأخطأ في تاريخ مولده ، وفي تاريخ وفاته ، ونسب ما أثبته إلى ما ذكره القطب الجعفري في الاكتساب في تمحيص كتب الأنساب .

وفي ذيل الصفحة من الجهة اليسرى : دخل في ملك العبد الذليل ، المشتاق إلى رحمة ربّه الجليل المدعو (ختم مطموس) ابن سيد (كلمة مطموسة) الحسني ، اللهم أغفر له ولوالديه .

وتحتــه : من كتب الفقير المكرم الله تعالى الحبيب الحسن بن أمير المؤمنين المنصور بالله ، رضوان الله عليهم ورحمته ، سابع عشر جمادى الآخرة سنة ١١١٢ .

وفي آخر الكتاب : آخر الكتاب المسمّى بالفرج بعد الشدّة ، والحمد لله على كلّ حال من الأحوال ، وصلواته على سيّدنا محمّد وآله وصحبه وسلّم ، فرغ من رقم هذا الكتاب المبارك تاسع عشر شهر ربيع الأوّل في سنة خمسين وألف ، وذلك بعناية مولانا السيد المقام ، العلم العلامة الهمام ، واسطة العقد

الثمين ، نجل آل طه وياسين ، ضياء الدين إسماعيل بن أمير المؤمنين حفظه الله تعالى ومتع به المسلمين ، وبلغه في الخيرات ما أراده ، ووفّقه لبلوغ السؤل فيما أراد إلى أقصى مراده ، إنّه وليّ ذلك ، والقادر على ما هنالك ، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله وسلّم .

مخطوطة دار الكتب المصرية (م)

تشتمل هذه المخطوطة ، على كتاب الفرج بعد الشدّة بتمامه .

رقمها في دار الكتب : ب – ٢٢٩٥٩ ، وعليها رقمان آخران ، الأوّل : ٢١٧٠ / ١٩٤٥ والثاني ١٣٢٢٣٥ زيادات ، وعليها ختم دار الكتب المصرية . وقد رمز إليها في هذا الكتاب بحرف (م) .

تشتمل هذه المخطوطة على ٢٩١ ورقة ، كلّ ورقة في صفحتين ، في كلّ صفحة ٢٣ سطراً .

وقد تعاقب على النسخة عدّة نساخين ، خطّهم بين وسط إلى رديء .

في صدر الكتاب : هذا كتاب الفرج بعد الشدّة ، تأليف القاضي أبي علي المحسّن بن علي بن محمّد بن أبي الفهم التنوخيّ رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين ، آمين .

وفي آخر الكتاب : هذا آخر كتاب الفرج بعد الشدّة ، تأليف القاضي أبي علي المحسّن بن علي بن محمّد بن أبي الفهم التنوخيّ رحمه الله تعالى ، وكان الفراغ من كتابته يوم الأربع سادس والعشرون خلت من رمضان سنة ١٢١٢ من الهجرة النبويّة ، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ، آمين ، آمين .

ترجمة المؤلّف

القاضي أبي علي المحسن بن علي التنوخي

القاضي أبو علي المحسّن بن علي التنوخي ، وقد ساق الخطيب البغدادي[1] ، وياقوت الحموي[2] ، نسبه إلى قضاعة ، هو ابن القاضي أبي القاسم علي بن محمّد التّنوخي[3] ، ولد الأب سنة ٢٧٨ في أنطاكية ، ونشأ بها[4] ، ولما زار الخليفة المعتضد ، أنطاكية ، في السنة ٢٨٧[5] ، كان التّنوخي الأب ، صبيًّا في المكتب[6] ، وكان لأبيه – جدّ المحسّن – موقف محمود ، مع المعتضد ، إذ أقنعه بالرجوع عمّا صمّم عليه ، من هدم سور المدينة[7] .

قدم التّنوخي الأب بغداد في حداثته[8] ، فأتمّ دروسه فيها ، وتفقّه ، وكان من الذكاء ، والفطنة ، وقوّة الحافظة ، على جانب عظيم[9] .

---

١ تاريخ بغداد للخطيب ١٢ / ٧٧ .
٢ معجم الأدباء ٥ / ٣٠١ .
٣ ترجمته في معجم الأدباء ٥ / ٣٣٢ ، وتاريخ بغداد للخطيب ١٢ / ٧٧ واليتيمة للثعالبي ٢ / ٣٣٦ .
٤ تاريخ بغداد للخطيب ١٢ / ٧٧ .
٥ الكامل لابن الأثير ٧ / ٤٩٨ .
٦ القصّة ٢ / ١٢٩ من النشوار .
٧ القصّة ٢ / ١٢٩ من النشوار .
٨ تاريخ بغداد للخطيب ١٢ / ٧٧ ومعجم الأدباء ٥ / ٣٣٢ .
٩ القصّة ٢ / ٧٤ و٧ / ١٢١ من النشوار .

وكان قاضي القضاة ، إذ ذاك ، أبو جعفر أحمد بن إسحاق بن البهلول ، وهو تنوخيّ ، وأبو القاسم تنوخي ، فصادفت لياقة أبي القاسم ، وذكاؤه ، وفهمه ، هذه الصلة بينه وبين قاضي القضاة[1] ، فقلّده القضاء بعسكر مكرم ، وتستر ، وجنديسابور ، والسوس ، وأعمال ذلك ، وكان ذلك في السنة ٣١١ ، وكانت سنّ أبي القاسم – إذ ذاك – ٣٣ سنة[2] .

ولما سلّم قاضي القضاة ، إلى أبي القاسم التنوخيّ ، عهده بالقضاء ، أوصاه بتقوى الله ، وبأشياء من أمور العمل وسياسته في الدّين والدنيا ، وبأمر جاريه ، أي راتبه ، فقد كان مسبّباً ، أي مقرّراً ، على خزينة الأهواز[3] .

ولم ينس قاضي القضاة ، أن يشدّد على أبي القاسم التنوخيّ ، في النّصيحة بأن يكتم عن النّاس حقيقة سنّه ، كي لا ينسب إلى الحداثة ، وقلّة الحنكة .

ويقول أبو القاسم التنوخيّ ، إنّ الصدفة الحسنة ، أطلعت له ، خلال سفره إلى محلّ عمله ، شعرة بيضاء في لحيته ، فأخذ يتعمّل لإخراجها ، ليراها النّاس ، متجمّلاً بها[4] .

وكان تقليد أبي القاسم التنوخيّ ، القضاء في جنوبي العراق ، مبدأ صلة ربطت هذه العائلة بتلك المنطقة .

تقلّد أبو القاسم التنوخيّ ، القضاء بهذه المنطقة سنين ، ثم أُصرِف ، فقصد الأمير سيف الدولة ، زائراً ، ومادحاً ، فأكرم سيف الدولة مثواه ، وأحسن

---

١ القصّة ٤ / ١١ من النشوار .

٢ القصّة ٣ / ٩٣ من النشوار .

٣ القصّة ٣ / ٩٣ من النشوار .

٤ القصّة ٣ / ٩٣ من النشوار .

قراه[1] ، وكتب في معناه إلى الحضرة[2] ، ببغداد ، فأعيد إلى عمله ، وزيد في رزقه ، وولي القضاء رئاسة ، بعهد كتبه له الوزير أبو علي بن مقلة ، وشهد الشهود عنده فيما حكم بين أهل عمله بالحضرة ، والظاهر أنّه تقلّد القضاء بالكرخ[3] .

إنّ ذكاء أبي القاسم التنوخيّ ، وألمعيّته ، أيّام تقلّده القضاء في جنوبي العراق ، نبّهت إليه أبا عبد الله البريدي ، شيخ البريديّين ، وكان – إذ ذاك – عاملاً من عمّال السلطان في تلك المنطقة ، فلمّا علت منزلته ، وقويت سطوته ، اجتذب إليه أبا القاسم التنوخيّ ، فألحقه بخدمته ، ونصبه مستشاراً له ، وأناط به الترسّل في أموره البالغة الأهمية الّتي لا يمكن أن يعوّل فيها إلّا على شخص مثل أبي القاسم التنوخيّ ، وافر الذكاء ، عظيم الحرمة .

فقد كان في السنة ٣٢٤ رسول البريديّ إلى القائد ياقوت ، حيث عقد معه صلحاً ، وزوّج ابنة البريديّ ، من ابن ياقوت[4] .

وفي السنة ٣٢٥ كان رسول البريديّ إلى الأمير أبي بكر بن رائق[5] .

وفي السنة ٣٢٦ كان رسول البريديّ ، إلى أمير الأمراء بَجْكَمْ ، حيث عقد بينهما مصالحة ، توجّت بزواج بجكم ، من سارة ابنة أبي عبد الله البريدي[6] .

وفي هذا الوقت ، ولد للقاضي أبي القاسم التنوخيّ ، في السنة ٣٢٧ ، بالبصرة ،

---

١ معجم الأدباء ٥ / ٣٣٣ .

٢ الحضرة : عاصمة المملكة ، ويريد بالحضرة هنا : بلاط الخليفة ببغداد .

٣ القصّة ٤٤٩ من هذا الكتاب .

٤ تجارب الأمم ١ / ٣٤٥ .

٥ القصّة ٤ / ٣٩ من كتاب نشوار المحاضرة .

٦ تجارب الأمم ١ / ٣٨٥ .

غلام سمّاه المحسّن ، وهو صاحب الكتاب[1] .

ولد المحسّن ، في بيت فقه وعلم ، فنشأ منذ طفولته محباً للدرس ، وهو يحدّثنا عن ذكرياته في الكتّاب[2] ، كما أنّه سمع من أبي بكر الصولي[3] ، وأبي العباس الأثرم[4] ، والحسن بن محمّد الفسوي[5] ، وأبي بكر بن داسه ، وأحمد ابن عبيد الصفار ، ووهب بن يحيي المازني ، وطبقتهم[6] .

وقد ذكر لنا التنوخيّ المؤلّف ، في إحدى قصصه ، انّه كان في السنة ٣٣٥ بالمكتب ، بالبصرة ، « وهو مترعرع ، يفهم ، ويحفظ ما يسمع ، ويضبط ما يجري »[7] .

وتوفّي أبو عبد الله البريدي في السنة ٣٣٢ ، فأقام أبو القاسم التنوخي بالبصرة ، وانضاف إلى المهلبيّ ، صديقه القديم[8] ، الذي بدأ نجمه يلمع في سماء العراق ، منذ أن ترك خدمة أبي زكريا ، يحيي بن سعيد السوسي[9] ، واتّصل بالأمير أبي الحسن أحمد بن بويه ، الّذي أصبح بعد أن استولى على العراق ، الأمير معزّ الدولة[10] .

---

١ القصّة ٥ / ٧ من كتاب نشوار المحاضرة .
٢ القصص ٣ / ٩٩ و١٠٠ و١٠١ من كتاب نشوار المحاضرة .
٣ القصّة ٣٢٥ و٣٢٨ من هذا الكتاب .
٤ القصّة ٧٠ من هذا الكتاب .
٥ القصّة ٧ من هذا الكتاب .
٦ تاريخ بغداد للخطيب ١٣ / ١٥٥ و١٥٦ .
٧ القصّة ٣٢٨ من هذا الكتاب .
٨ القصّة ٢ / ١٠٤ من نشوار المحاضرة .
٩ تجارب الأمم ١ / ٣٧٨ .
١٠ تجارب الأمم ٢ / ٨٥ .

لقي أبو القاسم التنوخي ، من الوزير المهلبيّ ، كلّ رعاية وعناية ، وكان يميل إليه جدّاً ، ويتعصّب له ، ويعدّه ريحانة الندماء[1] ، وكان من جملة القضاة الذين يجتمعون مع الوزير المهلّبي ، مرّتين في كلّ أسبوع ، على اطّراح الحشمة ، والتبسّط في القصف واللّهو[2] .

وبلغ من وفاء المهلّبي ، لأبي القاسم التنوخيّ ، انّه لما توفّي التنوخيّ في السنة ٣٤٢ ، صلّى عليه المهلّبي ، وقضى ما عليه من الديون ، وكان مقدارها خمسون ألف درهم[3] .

نشأ المحسّن التنوخيّ بالبصرة ، وهو يعتبر البصرة بلده ، ويتحدّث عن نفسه ، باعتباره بصريّاً ، فيقول في إحدى قصصه : ولي الجهني « عندنا في البصرة » الحسبة[4] .

ويقول في قصّة أخرى : وكان « عندنا في البصرة » دلّال من أهلها[5] .

ويقول في قصّة ثالثة : وكان « عندنا بالبصرة » رجل من التجار[6] .

ويقول في قصّة رابعة : حدّثني محمّد بن عديّ بن زحر البصري « جارنا بها »[7] .

ويقول في قصّة خامسة : وحدّثني أبو عبد الله بن هارون التستري المؤذّن ،

---

١ اليتيمة ٢ / ٣٣٦ ومعجم الأدباء ٥ / ٣٣٤ .

٢ اليتيمة ٢ / ٣٣٦ ومعجم الأدباء ٥ / ٣٣٤ .

٣ معجم الأدباء ٥ / ٣٣٣ .

٤ القصّة ٢ / ٥٢ من النشوار .

٥ القصّة ١ / ١٠٧ من النشوار .

٦ القصّة ٣ / ٩١ من النشوار .

٧ القصّة ٣ / ٩٢ من النشوار .

وكان أقام « بمسجدنا بالبصرة »[1] .

وهو يروي في نشواره ، وفي هذا الكتاب ، كثيراً من القصص ، عن حوادث وقعت بالبصرة ، وعن أشخاص بصريّين ، لا يتسنّى لغير البصريّ ، أن يتحدّث عنهم .

شبّ المحسّن التنوخيّ بالبصرة ، وتفقّه ، وشهد عند القاضي أحمد بن سيّار ، قاضي الأهواز[2] ، ولما نزل الوزير المهلّبي بالسوس ، قصده المحسّن للسلام عليه ، وتجديد العهد بخدمته ، فرحّب به الوزير ، وطلب إليه أن يلحق به في بغداد ، ليقلّده القضاء[3] ، فأطاع ، ولحق بالمهلّبي الّذي كلّم في أمره قاضي القضاة ، فقلّده في السنة ٣٤٩ ، قضاء القصر[4] ، وبابل ، وسورا[5] .

وتقلّد التنوخيّ القضاء ، في أماكن متعدّدة ، ونحن نستطيع من متابعة ما قصّه علينا ، ان نعرف بعض الأماكن الّتي تقلّد فيها ، فقد قلّده المطيع القضاء في منطقة الأهواز ، في عسكر مكرم ، وإيذج ، ورامهرمز[6] ، كما تقلّد القضاء بتكريت ، ودقوقا ، وخانيجار ، وقصر ابن هبيرة ، والجامعين ، وسورا ، وبابل ، والإيغارين ، وخطرنية[7] ، وتقلّده بحرّان ، ونواح من ديار مضر ، وقطعة من سقي الفرات[8] ، وتقلّده بحلوان وقطعة من طريق خراسان[9] ، وتقلّده بواسط ،

---

١ القصّة ٢ / ٧٥ من النشوار .

٢ القصّة ٤ / ٤١ من النشوار .

٣ القصّة ٤ / ٤١ من النشوار .

٤ قصر ابن هبيرة ، وأحسب أنّ موضعها الآن بلدة المسيب بالعراق .

٥ القصّة ٥ / ٧ من النشوار .

٦ القصّة ٥ / ٧ من النشوار .

٧ معجم الأدباء ٦ / ٢٥١ .

٨ القصّة ٣٤٣ من هذا الكتاب .

٩ القصّة ١٩٦ من هذا الكتاب .

مضافاً إلى قضاء الاهواز[١] ، وتقلّده بجزيرة ابن عمر[٢] ، وتقلّده بالكوفة[٣] ، كما تقلّد لعضد الدولة القضاء بالموصل ، وبجميع ما فتحه من البلاد الّتي كانت في يد أبي تغلب الحمداني[٤] .

استقرّ المحسّن التنوخيّ ببغداد ، وشملته عناية الوزير المهلّبي[٥] ، فأصبح من ملازمي مجلسه[٦] ، وقد أثبت في كتابيه : نشوار المحاضرة ، والفرج بعد الشدّة ، قصصاً عن مكارم أخلاق الوزير المهلّبي ، وشريف طباعه[٧] .

وكان وجود التنوخيّ ببغداد ، قد سهّل له الاتّصال بجماعة من العلماء والأدباء والشعراء ، فقد اتّصل بأبي الفرج الأصبهاني ، وقرأ عليه ، وأجاز له الرّواية عنه[٨] ، وقد نقل عنه كثيراً من القصص والأحاديث[٩] ، كما اتّصل بأبي عمر الزّاهد ، المعروف بغلام ثعلب ، وحمل عنه ، وأجاز له الرواية عنه[١٠] ، وهو يروي لنا ما حدّثه به الوزير المهلّبي[١١] ، وما قصّه عليه أبو علي الأنباري ، صهر الوزير المهلّبي ، وخليفته على الوزارة[١٢] ، وما رواه له أبو العلاء صاعد بن ثابت

---

١ القصّة ٣٢٨ من هذا الكتاب .
٢ القصّة ٣١ و٣٩ من هذا الكتاب .
٣ تاريخ بغداد للخطيب ٨ / ١٠٣ .
٤ القصّة ١٩٦ من هذا الكتاب .
٥ القصّة ٤ / ٤١ من النشوار .
٦ القصّة ٤ / ٤١ من النشوار .
٧ القصص ٣ / ٩٨ و١٣٦ و١٥٦ و١٥٧ و١٧٧ من النشوار .
٨ القصّة ٤٨٢ من هذا الكتاب .
٩ مجموع ما نقله التنوخي عن الأصبهاني ٤٣ خبراً ، وعن كتاب الأغاني ٦ أخبار .
١٠ القصّة ١٣ من هذا الكتاب .
١١ القصّة ٦١ من هذا الكتاب .
١٢ القصص ١٦٦ ، ١٨٠ ، ٢١٨ من هذا الكتاب .

النصراني ، « الّذي كان خليفة الوزراء »[1] كما يروي لنا ، ما أملاه عليه أبو اسحاق الصابي[2] ، وما سمعه من ابن سكّرة الهاشمي[3] ، ومن ابن الحجّاج[4] ، وإليه بعث أبو العلاء المعرّي ، قصيدته الشهيرة : « هات الحديث عن الزوراء أوهيتا[5] » .

إنّ استعراض القصص التي أدرجها القاضي التنوخيّ ، في النشوار ، وفي الفرج بعد الشدّة ، ينير لنا السبل ، من أجل معرفة أحواله في حياته ، وما صادفه فيها من أحداث .

فهو يروي لنا في إحدى قصصه ، حديثاً ، سمعه في السنة ٣٤٩ ، من الأمير جعفر بن ورقاء الشيباني[6] .

ويروي لنا في قصة أخرى ، حديثاً سمعه في السنة نفسها ، من أبي أحمد بن أبي الورد ، شيخ من أبناء القضاة[7] .

وهو في قصص أخرى ، يروي لنا انّه اجتمع في السنة ٣٥٠ بأبي عليّ ابن أبي عبد الله ، ابن الجصّاص الجوهري ، وسأله عن أخبار والده ، وأثبت أجوبته الّتي أجاب بها[8] .

كما روى لنا ، في قصّة أخرى ، حديثاً بلغه في عين السنّة ، وهو ببغداد ، عن صوفيّ ، سمع ، فطرب ، فتواجد ، فمات[9] .

---

١ القصّة ٤٦٨ من هذا الكتاب .

٢ القصّة ٣ / ١٣٧ و١٣٨ من النشوار .

٣ القصص ٣ / ١٠٨ و ٥ / ١٠ و ٦ / ٥ و ٦ من النشوار .

٤ القصّة ٦ / ٤٣ من النشوار .

٥ وفيات الأعيان ٤ / ١٦٢ .

٦ القصّة ١ / ٨ من النشوار .

٧ القصّة ١ / ٢٢ من النشوار .

٨ القصّة ١ / ٩ من النشوار ، والقصص ١٧١ ، ٢٧٣ من هذا الكتاب .

٩ القصّة ٢ / ١٨٨ من النشوار .

ويروي لنا في هذا الكتاب ، حديثاً سمعه في السنة ٣٥٠ بالأهواز من أيّوب ابن العبّاس بن الحسن ، وزير المكتفي والمقتدر [١] .

وقد اشتملت بعض قصصه عن مجالس الوزير المهلّبي ، على حوادث نصّ التنوخي على وقوعها في السنة ٣٥٠ [٢] ، والسنة ٣٥١ [٣] .

وأورد التنوخي ، في موضع آخر من نشواره ، انّه حضر مجلس أبي العبّاس بن أبي الشوارب ، قاضي القضاة – إذ ذاك – وانّه – أي التنوخي – كان يكتب له على الحكم والوقوف بمدينة السّلام ، مضافاً إلى ما كان يخلفه عليه بتكريت ، ودقوقا ، وخانيجار ، وقصر ابن هبيرة ، والجامعين ، وسورا ، وبابل ، والإيغارين ، وخطرنية [٤] .

وقد تقلّد أبو العبّاس هذا ، قضاء القضاة ، في النصف الثاني من السنة ٣٥٠ [٥] ، وعزل في النصف الأول من السنة ٣٥٢ [٦] .

وهو في إحدى قصصه ، يخبرنا أنّه كان في السنة ٣٥٢ ببغداد ، وأنّه زار أبا الغنائم ، ابن الوزير المهلّبي ، وهنّأه بحلول شهر رمضان [٧] .

ولّما مرّ المتنبّي ، في السنة ٣٥٤ ، بالأهواز ، قاصداً عضدَ الدولة بفارس ، كان التنوخي بالأهواز ، ولقي المتنبّي ، وسأله عن نسبه ، فما اعترف له به ، وقال له : أنا رجل أخبط القبائل ، وأطوي البوادي وحدي ، فما دمت غير منتسب إلى أحد ،

---

١ القصّة ٣٤ من هذا الكتاب .

٢ القصّة ١ / ٣٧ من النشوار .

٣ القصّة ١ / ٢٨ من النشوار .

٤ معجم الأدباء ٦ / ٢٥١ .

٥ المنتظم ٧ / ٢ وتجارب الأمم ٢ / ١٨٨ .

٦ المنتظم ٧ / ١٦ وتجارب الأمم ٢ / ١٩٦ .

٧ القصّة ٤ / ٢٣ من النشوار .

فأنا أسلم على جميعهم[1] ، وسأله أيضاً عن معنى كلمة « المتنبّي » فأجابه بأنّ ذلك شيء كان في الحداثة ، أوجبته الصبوة[2] ، وهذا اعتراف من المتنبّي ، بأنّه ادّعى النبوّة في حداثته .

وهو يروي لنا حديثاً سمعه بعسكر مكرم (الأهواز) ، في السنة ٣٥٥ ، من أبي أحمد بن أبي سلمة الشّاهد ، الفقيه ، المتكلّم ، العسكري[3] .

كما يذكر لنا في قصّة أخرى ، أنّ جندياً شاباً من عمان ، بارحها حين ملكها الديلم ، واجتاز بواسط ، فمدح القاضي التنوخي ، واقتضاه ثواب المديح[4] ، وقد ملك الديلم عمان في السنة ٣٥٥[5] .

وكان القاضي التنوخي ، في السنوات ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، يتقلّد القضاء والوقوف بسوق الأهواز ، ونهر تيرى ، والأنهار ، والأسافل ، وسوق رامهرمز ، سهلها وجبلها ، وأعمال ذلك ، وكانت داره في الأهواز[6] .

وصرف عن عمله هذا في السنة ٣٥٩[7] ، صرفه عنه أبو الفرج محمّد بن العبّاس بن فسانجس ، لما ولي الوزارة[8] ، وأخذ ضيعته بالأهواز ، وأخرجها من يده[9] ، فأصعد إلى بغداد متظلّماً ، فلم يجد منه إنصافاً .

---

١ القصّة ٤ / ١٢٠ من النشوار .
٢ القصّة ٨ / ٨٦ من النشوار .
٣ القصّة ٤١٩ من هذا الكتاب .
٤ القصّة ٨ / ٣٠ من النشوار .
٥ تجارب الأمم ٢ / ٢١٧ .
٦ القصّة ٣٢٨ من هذا الكتاب .
٧ القصّة ٣٢٨ من هذا الكتاب .
٨ تجارب الأمم ٢ / ٢٦٠ .
٩ القصّة ٨٠ من هذا الكتاب .

ولمّا حلّ ببغداد في السنة ٣٦٠ ، بعد غيبته عنها سنين ، وجدها « محيلةً ممن كانت به عامرة ، وبمذاكراته آهلة ناضرة »[١] ، فكان ذلك داعياً دفعه إلى تأليف كتابه نشوار المحاضرة ، حيث بدأ به في السنة ٣٦٠ ، وأنهاه في السنة ٣٨٠ ، على ما رواه غرس النعمة ، واثبته ياقوت في ترجمته[٢] .

وأقام القاضي التنوخي ببغداد ، في محاولة استعادة ضيعته الّتي أخرجت من يده ، وعمله الّذي عزل عنه ، وتهيّأ له ذلك ، بأن عزل أبو الفرج عن الوزارة ، ووليها أبو الفضل العبّاس بن الحسين ، صهر الوزير المهلبي[٣] ، فكان التنوخي يحضر مجالسه في السنة ٣٦٠[٤] ، وقضى السنة ٣٦١ ببغداد كذلك[٥] .

وفي السنة ٣٦٢ أعيد القاضي التنوخي إلى القضاء بالأهواز ، والأعمال الّتي كان عليها معها ، وأضيف إليها قضاء واسط وأعمالها ، فاستخلف على واسط ، وعاد فأقام بالأهواز[٦] .

وهو في إحدى قصصه ، يروي لنا حديثاً قصّه عليه في السنة ٣٦٢ بواسط ، الكاتب ابن أبي قيراط[٧] .

كما تحدّث إلينا في أحدى قصصه ، عن شيخ لقيه بواسط ، في ربيع الأوّل من السنة ٣٦٣[٨] .

ويروي لنا التنوخي ، في إحدى قصصه ، حديثاً حدّثه به أبو بكر ابن أبي

---

١ مقدمّة المؤلّف للجزء الأوّل من النشوار .
٢ معجم الأدباء ٦ / ٢٥١ .
٣ تجارب الأمم ٢ / ٢٨٣ .
٤ القصّة ٢ / ١١٣ من النشوار .
٥ القصّة ٢ / ١٨٠ من النشوار .
٦ القصّة ٣٢٨ من هذا الكتاب .
٧ القصّة ٤٦٥ من هذا الكتاب .
٨ القصّة ٨ / ٧٣ من النشوار .

شجاع ، المقرئ البغدادي ، الّذي كان يخلفه على العيار في دار الضرب ، بالأهواز ، في سنة أربع وستين وثلثمائة[1] .

واضطربت أحوال العراق في السنة ٣٦٤ باختلاف عضد الدولة ، وابن عمّه عزّ الدولة ، ثم استقرّ الأمر للأخير ، وانصرف عضد الدولة عن العراق وهو مكره ، وعاث ابن بقيّة ، وزير بختيار ، في حكم العراق ، فقتل ، وصادر ، ونفى ، وشرّد ، وكان من جملة من شرّده ابن بقيّة ، القاضي التنوخي ، الّذي لجأ إلى البطيحة ، حيث لقي الأمان والاطمئنان ، في ظلّ أميرها معين الدّولة ، أبي الحسين عمران بن شاهين السلمي ، فألفى هناك جماعة من معارفه ، كانوا يجتمعون في الجامع هناك ، ويتشاكون أحوالهم[2] .

ولم تكن المحنة الّتي نالت القاضي التنوخي من الوزير ابن بقيّة ، أوّل محنة نالته ، ولا آخرها ، فقد حدّثنا في إحدى قصصه ، عن « نكبة عظيمة لحقته ، يطول شرحها وذكرها ، وحبس ، وتهدّد بالقتل ، ففرّج الله عنه ، وأطلق في اليوم التاسع ، من يوم قُبِضَ عليه فيه »[3] .

كما حدّثنا في إحدى قصصه ، أنّه « دفع إلى شدّة لحقته شديدة ، من عدوّ ، فاستتر منه ، فكفاه الله أمر ذلك العدوّ ، بعد شهور ، وأهلكه الله تعالى ، من غير سعي للتنوخي في ذلك »[4] .

وتحدّث في إحدى قصصه كذلك ، « عن محنة عظيمة لحقته من السلطان ،

---

١ القصّة ١٩ من هذا الكتاب ، وقد ورد رقم السنة فيها ٣٤٦ خطأ ، اذ أنّ التنوخي في تلك السنة لم يكن قد تقلّد أيّ عمل بعد .
٢ القصّة ٥٩ من هذا الكتاب .
٣ القصّة ٨ من هذا الكتاب .
٤ القصّة ١٨ من هذا الكتاب .

فكتب إليه أبو الفرج الببغاء ، رقعة يتوجّع له فيها »[1] .

وروى لنا التنوخي ، أنّه لما كان لاجئاً في البطيحة ، روى له أبو الحسن الصلحي ، في جمادى الأولى من السنة ٣٦٥ ، حديثاً في الفرج ، فنظم فيه شعراً[2] ، فلم تمض إلّا أشهر ، حتى اعتقل الوزير ابن بقيّة ، في السنة ٣٦٦[3] ، ففرّج باعتقاله عن التنوخي ، وعن كثير ممن كان معه في البطيحة[4] .

ولعلّ فساد الصلة بين التنوخي ، وبين الوزير ابن بقيّة ، كان من الأسباب الّتي قوّت علاقته بعضد الدولة الّذي استولى على العراق في السنة ٣٦٦[5] ، وقتل بختيار[6] ، وطرح ابن بقيّة ، تحت أرجل الفيلة[7] ، فإنّ التنوخي تقدّم في عهد عضد الدولة ، تقدّماً عظيماً ، وتقلّد القضاء في أماكن عدّة[8] ، وأثبته عضد الدولة نديماً له ، وخصّص له كرسياً يجلس عليه في مجلس شرابه ، وكثير من الندماء قيام[9] .

ويقصّ علينا التنوخي في إحدى قصصه[10] ، أنّه كان ذات يوم يماشي عضد الدولة ، في دار المملكة بالمخرّم ، وأنّ الملك حدّثه عن مقدار ما صرف على البستان والمسنّاة .

---

١ القصّة ٤٢ من هذا الكتاب .
٢ القصّة ٥٩ من هذا الكتاب .
٣ تجارب الأمم ٢ / ٣٧٣ .
٤ القصّة ٥٩ من هذا الكتاب .
٥ تجارب الأمم ٢ / ٣٦٥ .
٦ تجارب الأمم ٢ / ٣٨١ .
٧ تجارب الأمم ٢ / ٣٨٠ .
٨ القصص ٣١ و١٩٦ و٣٤٣ من هذا الكتاب .
٩ القصص ٤ / ٤٢ و٤٣ و٤٤ من نشوار المحاضرة .
١٠ القصّة ٤ / ١٢٩ من النشوار .

وفي السنة ٣٦٧ كان التنوخي في صحبة عضد الدولة ، في حملته الّتي قام بها لاستئصال أبي تغلب بن حمدان ، وقد قلّد التنوخي ، جميع ما فتحه ممّا كان في يد أبي تغلب ، مضافاً إلى ما كان قد تقلّده من قبل ، وهو حلوان ، وقطعة من طريق خراسان[1] .

وهو ، في إحدى قصصه ، يروي لنا ، كيف ورد محمّد بن ناصر الدولة ، يحجل في قيوده ، حتّى أدخل على عضد الدولة ، بالموصل ، فأمر بقيوده ففكّت ، وبالخلع فأفيضت عليه ، وبالجنائب فقيدت معه[2] .

وقيام التنوخي في السنة ٣٦٩ بالخطبة ، في الاحتفال الّذي جرى من أجل عقد زواج الخليفة الطائع ، على ابنة عضد الدولة[3] ، يدلّنا على قوّة صلته ، في ذلك الحين ، ببلاطي الخليفة والملك[4] .

وهو في إحدى قصصه ، يروي لنا حديثاً حدّثه به عضد الدولة ، في السنة ٣٧٠ ، عن شقيق له اعتبط ، وعن حلم حلمت به أمّه ، ممّا لا يتحدّث به أحد ، إلّا لأخصّ الأصدقاء[5] .

وبلغت الصلة بين القاضي التنوخي ، وعضد الدولة ، من القوّة ، بحيث أصبح يرافقه في أسفاره ، وكانت هذه المرافقة من أهمّ الأسباب الّتي جرّت عليه المصائب ، فقد كان في السنة ٣٧١ ، في همذان[6] ، في معسكر عضد الدولة ، وزار صديقه أبا بكر بن شاهويه ، فحدّثه أبو بكر حديثاً ، أخطأ

---

١ القصّة ١٩٦ من هذا الكتاب .

٢ القصّة ١٩٦ من هذا الكتاب .

٣ اسمها : شاه زنان (شذرات الذهب ٣ / ٤٧) ، ومعنى الكلمة بالعربيّة : سيّدة النساء .

٤ القصّة ٤ / ١٣٠ من النشوار ، وتجارب الأمم ٢ / ٤١٤ .

٥ القصّة ٤ / ٥٧ من النشوار .

٦ القصّة ٥ / ١٨ من النشوار .

التنوخي في الإفضاء به إلى أبي الفضل بن أبي أحمد الشيرازي الّذي نقله بنصّه وفصّه إلى عضد الدولة ، فغضب عضد الدولة على التنوخي ، غير أنّ غضبه ما لبث أن انفثأ وعاد معه إلى بغداد[1] .

وكان عضد الدولة ، قد زوّج ابنته من الخليفة الطائع لله ، مؤمّلاً أن تلد له حفيداً ، يكون ولي عهد الخلافة ، وتصبح الخلافة والملك في بيت بني بويه[2] .

ولكنّ الخليفة الطائع ، الّذي أحسّ بما أضمره عضد الدولة ، أبعد هذه الابنة عن فراشه ، فاهتمّ والدها بالأمر ، ولم يجد خيراً من القاضي التنوخي ، يتوسّط في القضية ، نظراً لعلاقته الطيّبة بالبلاطين ، ولأنّه هو الّذي خطب خطبة عقد النكاح[3] ، فطلب من التنوخي ، أن يمضي إلى الخليفة ، وأن يقول له ، عن والدة الصبيّة ، «إنّها مستزيدة لإقبال مولانا عليها»[4] .

وكأنّ التنوخي ، خشي مغبّة الدخول في هذا الحديث ، أو كأنّه استشعر أن لا فائدة من التحدّث فيه ، فأحسّ بأنّه قد أصبح بين نارين ، إن كلّم الخليفة أغضبه ، وإن اعتذر أغضب عضد الدولة ، فاختار لنفسه أن يتمارض ، وحبس نفسه في داره ، متعلّلاً بالتواء ساقه ، وأنّه لا يطيق مبارحة فراشه[5] .

ولكنّ عضد الدولة ، أحسّ بأنّ التنوخي متمارض ، فبعث إليه من كشف أمره ، وعندئذ صبّ عليه جام غضبه ، فعزله عن جميع أعماله ، ونصب بدلاً منه قضاة ستّة ، يقومون بالعمل الّذي كان منوطاً به وحده ، كما أنّه أصدر إليه أمره بأن يظلّ في داره حبيساً ، لا يبارحها[6] .

---

١ القصّة ٤ / ٤٥ من النشوار ، وتجارب الأمم ٣ / ١٨ – ٢٠ .
٢ تجارب الأمم ٢ / ٤١٤ .
٣ القصّة ٤ / ١٣٠ من النشوار .
٤ تجارب الأمم ٣ / ٢٠ .
٥ القصّة ٤ / ٤٥ من النشوار ، وتجارب الأمم ٣ / ٢٠ و ٢١ .
٦ تجارب الأمم ٣ / ٢١ وابن الأثير ٩ / ١٥ .

وظلّ التنوخي على حاله هذه ، حتّى توفّي عضد الدولة في السنة ٣٧٢ .

وليس فيما بين أيدينا من قصص النشوار ، والفرج بعد الشدّة ، ما نستطيع أن نتبيّن منه ، كيفيّة حياة القاضي المحسّن التنوخي ، بعد وفاة عضد الدولة ، إلّا أنّ فقرة وردت في كتاب الوافي بالوفيات حـ ٤ ص ٦ في ترجمة القاضي أبي الحسين محمد بن عبيد الله بن معروف ، جاء فيها « أن القاضي ابن معروف ردّت إليه أعمال القاضي أبي عليّ المحسّن التنوخي ، لمّا توفي في السنة ٣٨٤ ، فتولّى القضاء بها كلّها » . ويتّضح مما تقدّم ، أنّ القاضي أبا علي عاد من بعد وفاة عضد الدولة الى تقلّد القضاء ، وقام خلال هذه المدة بإتمام كتابه النشوار ، الّذي بدأ به في السنة ٣٦٠ وعلى تأليف كتابه الفرج بعد الشدّة ، الّذي بدأ به ، على ما يظهر ، في السنة ٣٧٣[1] ، وقد استخلص كثيراً من أخباره من النشوار ، وعلى تربية ولده أبي القاسم عليّ ، الّذي ولد له بالبصرة في السنة ٣٦٥[2] .

وكما أنّ المحسّن التنوخي ، كان وحيد والديه ، على ما يظهر ، وقد ولد وأبوه كهل في الخمسين ، فكذلك كان أبو القاسم عليّ بن المحسّن ، وحيد والديه ، وقد ولد وأبوه كهل قد قارب الأربعين ، والعجيب أنّ أبا القاسم علي بن المحسّن ، ولد له ولد سمّاه محمّداً ، وهو وحيده أيضاً ، وقد ولد له والأب شيخ قد تجاوز السبعين[3] .

وهؤلاء الثلاثة ، الجدّ ، والأب ، والابن ، يشبه أحدهم الآخر ، في الفضل ، وفي الذّكاء ، وفي كرم النفس ، وفي انخراطهم في سلك القضاة ، وفي تمذهبهم بمذهب أبي حنيفة ، وفي تمسّكهم بالاعتزال ، والدفاع عنه .

---

١ القصّة ٢١٦ و٤١١ من هذا الكتاب .

٢ تاريخ بغداد للخطيب ١٢ / ١١٥ .

٣ معجم الأدباء ٦ / ٢٥١ و٣ / ٣٠١ و٥ / ٣٠٢ .

ويتّضح تعصّب التنوخي للمعتزلة ، من القصص الّتي أوردها في النشوار ، فهو يثني عليهم ، كلّما ورد ذكرهم[1] .

وقد أضاف المحسّن ، إلى تعلّقه بالاعتزال ، وتعصّبه للمعتزلة ، تعرّضه للتصوّف والصوفيّة[2] .

اتّهم ابن الأثير ، في كتابه : الكامل في التاريخ[3] ، المحسّن التنوخي ، بأنّه كان شديد التعصّب على الإمام الشافعي ، يطلق لسانه فيه ، وهذه تهمة لم يقم عليها دليل ، وهذه مؤلّفات التنوخي ، ما تيسّر لنا منها ، تنفي عنه هذه التهمة ، والمحسّن التنوخي ، أتقى لله ، من أن يعرض للإمام الشافعي بسوء .

ويلاحظ أنّ التنوخيّ قد أدرج في كتبه ، قصصاً عدّة ، دلّت على اعتقاده بالتنجيم[4] ، ولعلّ عدم الاستقرار الّذي رافق القرن الرابع الهجري ، كان من الأسباب الّتي دفعت التنوخي ، وأباه ، إلى الاعتقاد بالتنجيم ، والعيافة ، والزجر ، وغيرها ، ممّا يتمسّك به الإنسان ، رغبة منه في الفرار من الحقيقة المرّة ، إلى خيال يبشّر بمستقبل أطيب من حاضر لا خير فيه .

وفي النشوار قصصٌ لا تحصى عن القضاة وأخبارهم ، وعمّا قام به بعضهم من أفعال كريمة ، في رفع المظالم ، وردع المعتدي الظالم ، بل إنّ هذا الموضوع ، هو الموضوع الرئيسي الّذي اشتمل عليه ذلك الكتاب ، بالنظر لاختصاص المؤلّف ،

---

١ القصص ٢ / ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١٧٨ ، ١٧٩ من النشوار .

٢ القصص ١ / ٤٨ ، ٤٩ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٩ ، ١٠١ ، و٢ / ٦٤ ، ٦٥ ، ١٥٠ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٦ ، ١٨٨ ، ١٩٠ ، و٣ / ١٤٧ ، ١٤٨ ، و٤ / ١٣٣ من النشوار .

٣ الكامل لابن الأثير ٩ / ١٥ .

٤ القصص ٢ / ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، و٧ / ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦ من النشوار .

واطّلاعه على خباياه ، اطّلاعاً تاماً .

ولمّا كانت المنافسة بين أبناء الصناعة الواحدة ، أمر مترقّب منتظر ، فالّذي لا شكّ فيه أنّ التنوخيّ المؤلّف ، ووالده ، وبعض أقاربه من التنوخيّين ، من قضاة وشهود ، قد حصلت بين بعضهم ، وبين بعض القضاة منافرة ، ولذلك فإنّ التنوخيّ لم يتأخّر عن إثبات القدح في أولئك القضاة ، ولكنّه – لكمال عقله – لم يشتم أحداً منهم بلسانه ، وانّما شتمهم بلسان غيره ، فهو يورد شعراً للشاعر الفلاني ، هجا به القاضي الفلاني ، ويثبت قولاً قاله الفقيه الفلاني ، في القاضي الفلاني[1] .

إنّ كثيراً من القصص الواردة في النشوار ، وفي كتاب الفرج بعد الشدّة ، تؤيّد علاقة التنوخيّين ، أبي القاسم علي ، وولده أبي علي المحسّن ، بالأهواز ، هذه المنطقة الّتي سمّاها هارون الرّشيد « سرّة الدنيا »[2] وسمّاها عبد الله المأمون « سلّة الخبز »[3] ، فقد كان لهما أقارب في الأهواز[4] ، وكان لكلّ واحد منهما فيها ضيعة[5] ، وقد تقلّد أبو القاسم الأب ، القضاء في الاهواز ، كما تقلّده أبو علي المحسّن أيضاً[6] .

بقيت ملاحظة يجدر بي أن أثبتها ، وهي أنّ التنوخيّ ، اختار في نشواره شعراً لشعراء مفلقين ، كأبي فراس الحمداني مثلاً[7] ، ثم قرن بشعرهم ، شعراً لا

---

١ القصص ١ / ٤٢ ، ١٣١ ، ٢ / ٥٣ ، ٨٠ ، ١٦٢ ، ٣ / ١٠٨ من النشوار .

٢ الامامة والسياسة ٢ / ١٥٨ .

٣ القصّة ٣٤١ من هذا الكتاب

٤ القصة ٧٤ من هذا الكتاب ، والقصّة ١ / ١١٩ و٢ / ٣١ من نشوار المحاضرة .

٥ القصّة ٨٠٠ من هذا الكتاب ، والقصّة ١ / ١٧٦ من النشوار .

٦ القصّة ٣٢٨ من هذا الكتاب ، والقصّة ٢ / ٨٧ من النشوار .

٧ القصّة ١ / ١٢٢ و٢ / ١٣١ من النشوار .

يتعدّى درجة النظم[1] ، وليس التنوخيّ بالّذي يصعب عليه التمييز بين الشعر الجيّد ، والشعر الرديء ، ولكنّه أثبت بعض الرديء ، لأنّه قيل في مدحه ، أو في مدح أبيه ، ولعمري ، إنّ حبّ الإنسان نفسه ، يدفعه إلى إثبات ما قيل في مدحه ، حتّى ولو لم يكن من جيّد الشعر .

وللمحسّن التنوخي ، شعر مجموع في ديوان ، قال عنه أبو نصر ، سهل ابن المرزبان ، إنّه رآه في بغداد ، وإنّ حجمه كان أكبر من حجم ديوان أبي القاسم والده ، وانّ بعض العوائق حالت بينه وبين تحصيله ، فاشتدّ أسفه عليه[2] ، ونحن نشارك أبا نصر في أسفه ، فإنّ ديوان المحسّن التنوخي ، يعتبر الآن ، من جملة الدواوين الضائعة .

وقد أورد الثعالبي في اليتيمة ، شعراً في مدح المحسّن التنوخي ، من نظم أبي عبد الله بن الحجّاج[3] ، كما روى ، في ترجمة المحسّن ، أبياتاً من الشعر ، قال إنّه مرتاب في نسبتها إليه ، لفرط جودتها[4] ، والثعالبي على حقّ في ارتيابه ، فإنّ الباقي ، المتوفّر لدينا من شعر التنوخي ، لا يرتفع إلى مستوى تلك الأبيات .

أمّا مؤلّفات التنوخي ، فإنّ أشهرها كتاب نشوار المحاضرة ، وأخبار المذاكرة ، الّذي أسلفنا أنّه ألّفه في عشرين عاماً[5] ، في أحد عشر مجلّداً[6] .

وله هذا الكتاب ، كتاب الفرج بعد الشدّة ، في ثلاثة مجلّدات[7] ، ألّفه

---

١ القصّة ٢ / ١٥٧ و٣ / ٨ من النشوار .
٢ يتيمة الدهر للثعالبي ٢ / ٣٤٦ .
٣ يتيمة الدهر ٢ / ٣٤٦ .
٤ يتيمة الدهر ٢ / ٣٤٧ .
٥ معجم الأدباء ٦ / ٢٥١ .
٦ معجم الأدباء ٦ / ٢٥١ .
٧ معجم الأدباء ٦ / ٢٥١ .

بعد كتاب النشوار[1] .

وله أيضاً ، كتاب المستجاد من فعلات الأجواد ، وقد طبع بدمشق ، حقّقه الأستاذ محمّد كرد علي ، وفي المطبوع مآخذ كنت أتمنّى لو أشار إليها المحقّق رحمه الله ، منهـا : أنّ بعض القصص الواردة في الكتاب[2] ، جاءت على لسان « القاضي أبي القاسم عليّ بن المحسّن ، مؤلّف كتاب الفرج بعد الشدّة » ، مع أنّ مؤلّف الكتاب ، هو والده المحسّن ، ومنها : أنّ بعض القصص[3] ، جاء فيها : قال القاضي أبو القاسم عليّ بن المحسّن التنوخيّ ، حدّثني أبو الفرج الأصبهانيّ ، من حفظه ... الخ » ، مع أنّ أبا الفرج الأصبهانيّ ، توفّي في السنة ٣٥٦ ، والقاضي أبو القاسم عليّ بن المحسّن التنوخي ، ولد في السنة ٣٦٥ .

وللمحسّن التنوخيّ ، أيضاً ، مجموعة أقوال في الحكمة ، سمّاها : « عنوان الحكمة والبيان » ، ذكر ذلك المستشرق مرجليوث ، في مقدّمة الترجمة الإنكليزية ، للجزء الأوّل من النشوار[4] .

توفّي أبو علي المحسّن التنوخي ، في السنة ٣٨٤ عن سبعة وخمسين عاماً ، وخلّف ولده أبا القاسم عليّ بن المحسن ، ولم يبلغ العشرين ، وقد صاحب التوفيق الولد ، كما صاحب أباه وجدّه ، فجرى على سَنَنِهما ، ودرس ، وتفقّه ، وقبلت شهادته عند الحكام في حداثته ، وتقلّد القضاء ، والإشراف على دار الضرب[5] ، ولأبي القاسم هذا ، ترجمة في معجم الأدباء ، جديرة بالمطالعة[6] .

---

١ القصّة ٢١٦ من هذا الكتاب والقصّة ٢ / ١٣٤ من نشوار المحاضرة .

٢ كتاب المستجاد من فعلات الأجواد ص ١٤١ رقم القصّة ٦٧ .

٣ كتاب المستجاد من فعلات الأجواد ص ٤٦ رقم القصّة ٢٧ .

٤ قال مرجليوث : إنّ نسخة من هذه المجموعة موجودة في مكتبة بودليان .

٥ معجم الأدباء ٥ / ٣٠٢ .

٦ معجم الأدباء ٥ / ٣٠١ – ٣٠٩ .

هذا ما أمكنني استخلاصه ، عن حياة القاضي المحسّن التنوخي ، ممّا تيسّر لديّ ، من القصص الّتي قصّها علينا ، ولو تيسّر لديّ عدد من القصص أكثر ، لكان ما استخلصته أوفر .

ولعلّ الحظّ الحسن ، يقود أحداً في مستقبل الأيّام ، إلى العثور على بعض الأجزاء الضائعة من النشوار ، فيضيف بنشرها إلى الكتاب العربي ، ثروة عظيمة .

بحمدون ٢ / ٣ / ١٩٧٥

عبود الشالجي
المحامي

مقدّمة المؤلّف

بسم الله الرحمن الرحيم

ربّ يسّر[1]

قال الفقيه القاضي أبو علي المحسّن بن القاضي أبي القاسم علي بن محمد بن أبي الفهم التنوخي رحمه الله تعالى :

الحمد لله الذي جعل بعد الشدّة فرجاً ، ومن الضرّ والضيق سعة ومخرجاً ، ولم يُخْلِ محنةً من منْحةٍ ، ولا نقمة من نعمةٍ ، ولا نكبة ورزيّة ، من موهبة وعطيّة ، وصلّى الله على سيّد المرسلين ، وخاتم النبيّين ، محمد وآله الطيّبين ، [وسلّم تسليماً كثيراً إلى يوم الدّين][2] .

أمّا بعد ، فإنّي لما رأيت أبناء الدنيا متقلّبين فيها ، بين خير وشرّ ، ونفع وضرّ ، ولم أَرَ لهم في أيّام الرخاء ، أنفعَ من الشكر والثناء ، ولا في أيّام البلاءَ ، أنجعَ من الصبر والدعاء ، لأنّ من جعل الله عمره أطول من عمر محنته ، فإنّه سيكشفها عنه بتطوّله ورأفته ، فيصير ما هو فيه من الأذى ، كما قال من مضى ، ويروى للأغلب العجلي ، أو غيره :

الغمرات ثمّ ينجلينا ثمّت يذهبن ولا يجينا

ويروى :

الغمرات ثمّ ينجلينه ثمّت يذهبن ولا يجينه

فطوبى لمن وفّق في الحالين ، للقيام بالواجبين .

---

١ في غ : ربّ يسّر يا كريم ، وفي م : وبه ثقتي ورجائي .

٢ الزيادة من ر .

ووجدتُ أقوى ما يفزع إليه من أناخ الدّهر بمكروه عليه ، قراءة الأخبار الّتي تنبي عن تفضّل الله عزّ وجل ، على من حصل قبله في محصله ، ونزل به مثل بلائه ومعضله ، بما أتاحه له من صنع أمسك به الأرماق ، ومعونة حلّ بها من الخناق ، ولطف غريب نجّاه ، وفرج عجيب أنقذه وتلافاه ، وإن خفيت تلك الأسباب ، ولم تبلغ ما حدث من ذلك الفكر والحساب ، فإنّ في معرفة الممتحن بذلك ، شحذ بصيرته في الصّبر ، وتقوية عزيمته على التسليم إلى مالك كلّ أمر ، وتصويب رأيه في الاخلاص ، والتفويض إلى من بيده ملك النواص ؛ وكثيراً ما إذا علم الله تعالى من وليّه وعبده ، انقطاع آماله إلّا من عنده ، لم يكله إلى سعيه وجهده ، ولم يرض له باحتماله وطوقه ، ولم يخله من عنايته ورفقه .

وأنا بمشيئة الله تعالى ، جامع في هذا الكتاب ، أخباراً من هذا الجنس والباب ، أرجو بها انشراح صدور ذوي الألباب ، عندما يدهمهم من شدّة ومصاب ، إذ كنت قد قاسيت من ذلك ، في محن دفعت إليها ، ما يحنو بي على الممتحنين ، ويحدوني على بذل الجهد في تفريج غموم المكروبين .

وكنت وقفت في بعض محني ، على خمس أو ست أوراق ، جمعها أبو الحسن علي بن محمد المدائنيّ ، وسمّاها « كتاب الفرج بعد الشدّة والضيقة » ، وذكر فيها أخباراً يدخل جميعها في هذا المعنى ، فوجدتها حسنة ، لكنّها لقلّتها أنموذج صبرة[3] ، فلم يأت بها ، ولا سلك فيها سبل الكتب [١ غ] المصنّفة ، ولا الأبواب الواسعة المؤلّفة ، مع اقتداره على ذلك ، ولا أعلم غرضه في التقصير ، ولعلّه أراد أن ينهج طريق هذا الفنّ من الأخبار ، ويسبق إلى فتح الباب فيه بذلك المقدار ، واستثقل تخريج جميع ما عنده فيه من الآثار .

ووقع إليّ كتاب لأبي بكر عبد الله بن محمّد بن أبي الدّنيا ، قد سمّاه « كتاب الفرج بعد الشدّة » [في نحو عشرين ورقة][4] ، والغالب عليه أحاديث

---

٣ الصبرة : ما جمع من الأشياء بلا كيل أو وزن ، يقال أخذه صبرة ، أي جملة .

٤ الزيادة من م وغ .

عن النبي [٢ م] صلّى الله عليه وسلّم وعلى آله ، وأخبار عن الصّحابة والتابعين ، رحمهم الله ، يدخل بعضها في معنى طلبته ، ولا يخرج عن قصده وبغيته ، وباقيها أحاديث وأخبار في الدّعـاء ، وفي الصبر ، وفي الأرزاق والتّوكّل ، والتعوّض عن الشّدائد بذكر الموت[٥] ، وما يجري مجرى التعازي ، ويتسلّى به عن طوارق الهموم ، ونوازل الأحداث والغموم ، بما يستحقّ فيها من الثّواب في الأخرى ، مع التّمسّك بالحزم في الأولى ، وهو عندي خالٍ من ذكر فرجٍ بعد شدّة ، غير مستحقّ أن يدخل في كتاب مقصور على هذا الفنّ ، وضمّن الكتاب نبذاً قليلةً من الشعر [٢ ظ] ، وروى فيه شيئاً يسيراً جدًّا ممّا ذكره المدائني ، إلّا أنّه جاء بإسناد له ، لا عن المدائني .

وقرأت أيضاً كتاباً للقاضي أبي الحسين عمر بن القاضي أبي عمر محمد ابن يوسف القاضي رحمهم الله ، في مقدار خمسين ورقة ، قد سمّاه : كتاب الفرج بعد الشدّة ، أودعه أكثر ما رواه المدائني ، وجمعه ، وأضاف إليه أخباراً أخر ، أكثرها حسن[٦] ، وفيها غير ما هو مماثل عندي لما عزاه ، ولا مشاكل لما نحاه ، وأتى في اثنائها بأبيات شعر يسيرة ، من معادن لأمثالها جمّةٍ كثيرة ، ولم يلمّ بما أورده ابن أبي الدنيا ، ولا أعلم أتعمّد ذلك ، أم لم يقف على الكتاب .

ووجدتُ أبا بكر بن أبي الدنيا ، والقاضي أبا الحسين ، لم يذكرا أنّ للمدائني كتاباً في هذا المعنى ، فإن لم يكونا عرفا هذا ، فهو طريف ، وإن كانا تعمّدا ترك ذكره تنفيقاً لكتابيهما وتغطية على كتاب الرجل ، فهو أطرف ، ووجدتهما قد استحسنا استعارة لقب كتاب المدائني ، على اختلافهما في الاستعارة ، وحيدهما عن أن يأتيا بجميع العبارة ، فتوهّمتُ أنّ كلّ واحد منهما لما زاد على قدر ما أخرجه المدائني ، اعتقد أنّه أولى منه بلقب كتابه ، فإن كان هذا الحكم

٥ في نسخة م : الموقف .

٦ في غ : أكثرها حشو .

ماضياً ، والصّواب به قاضياً ، فيجب أن يكون من زاد عليهما فيما جمعـاه ، أولى منهما بما تعبا في تصنيفه ووضعاه .

فكان هذا من أسباب نشاطي لتأليف كتاب يحتوي من هذا الفن على أكثر ممّا جمعه القوم وأشرح ، وأبين للمغزى وأكشف وأوضح ، وأن أخالف مذهبهم في التصنيف ، وأعدل عن طريقتهم في الجمع والتّأليف ، فإنّهم نسقوا ما أودعوه كتبهم جملة واحدة ، وربما صادفت مللاً من سامعيها ، أو وافقت سآمة من النّاظرين فيها ، فرأيت أن أنوّع الأخبار ، وأجعلها أبواباً ، ليزداد من يقف على الكتب الأربعة ، بكتابي من بينها إعجاباً ، وأن أضع ما في الكتب الثلاثة ، في مواضعه من أبواب هذا الكتاب ، إلّا ما أعتقد أنّه لا يجب أن يدخل فيه ، وأنّ تركه وتعدّيه ، أصوب وأولى ، والتشاغل بذكر غيره ، مما هو داخل في المعنى [٢ غ] ولم يذكره القوم ، أليق وأحرى ، وأن أعزو ما أخرجه ممّا في الكتب الثّلاثة ، إلى مؤلّفيها ، تأدية للأمانة ، واستيثاقاً في الرواية ، وتبييناً لما آتي به من الزيادة ، وتنبيهاً على موضع الإفادة .

فاستخرت الله عزّ ذكره ، وبدأت بذلك في هذا الكتاب ، ولقّبته بكتاب الفرج بعد الشدّة ، تيمّناً لقارئه بهذا الفال ، وليستسعد في ابتدائه بهذا المقال .

ولم أستبشع إعادة هذا اللقب ، ولم أحتشم تكريره على ظهور الكتب ، لأنّه قد صار جارياً مجرى تسمية رجلٍ اسمه محمّداً أو محموداً ، أو سعداً ، أو مسعوداً ، فليس لقائل – مع التّداول لهذين الاسمين – أن يقول لمن سمّى بهما الآن : إنّك انتحلتَ هذا الاسم أو سرقته .

ووجدتني [٣ م] متى أعطيت كتابي هذا حقّه من الاستقصاء ، وبلغت به حدّه من الاستيفاء ، جاء في ألوف أوراق ، لطول ما مضى من الزمان ، وإنّ الله بحكمته ، أجرى أمور عباده ، وأغذياء نعمته ، منذ خلقهم ، وإلى أن يقبضهم ، على التقلّب بين شدّة ورخاء ، ورغد وبلاء ، وأخذ وعطاء ،

ومنع وصنع ، وضيقٍ ورحب ، وفرج وكرب [٧] ، علماً منه تعالى بعواقب الأمور ، ومصلحة الكافّة والجمهور ، وأخبار ذلك كثيرة المقدار ، عظيمة الترديد [٨] والتكرار ، وليست كلها بمستحسنة ولا مستفادة ، ولا مستطابة الذّكر والإعادة . فاقتصرت على كتب أحسنِ ما رويتُ من هذه الأخبار ، وأصحّ ما بلغني في معانيها من الآثار ، وأملح ما وجدتُ في فنونها من الأشعار .

وجعلتُ قصدي الإيجاز والاختصار ، وإسقاط الحشو وترك الإكثار ، وإن كان المجتمعُ من ذلك جملة يستطيلها الملول ، ولا يتفرّغ لقراءتها المشغول .

وأنا أرغب إلى من يصل كتابي هذا إليه ، وينشط [٣ ظ] للوقوف عليه ، أن يصفح عمّا يعثر به من زلل ، ويصلح ما يجد فيه من خطأ وخلل ، والله أسأل السلامة من المعاب ، والتوفيق لبلوغ المحاب ، والإرشاد إلى الصواب ، ويفعل الله ذلك بكرمه ، إنّه جوادٌ وهاب [٩] .

تسمية أبواب الكتاب وهي أربعة عشر باباً

الباب الأوّل : ما أنبأ الله تعالى به في القرآن ، من ذكر الفرج ، بعد البؤس والامتحان .

الباب الثاني : ما جاء في الآثار ، من ذكر الفرج بعد اللأواء ، وما يتوصّل به إلى كشف نازل الشدّة والبلاء .

الباب الثالث : من بُشّرَ بفرجٍ من نطق فال ، ونجا من محنة بقولٍ أو دعاء أو ابتهال .

٧ في م : ومنع حرمان ، ووسع وضيق ، وفرح ورحب ، وترح وكرب .

٨ في غ : الترداد .

٩ في ر : اقتصر الناسخ على الأسطر الخمسة الأولى من المقدّمة ، وحذف باقيها .

الباب الرابع : من استعطف غضب السلطانِ بصادق لفظ ، أو استوقف مكروهه بموقظ بيان أو وعظ .

الباب الخامس : من خرج من حبس أو أسر أو اعتقال ، إلى سراح وسلامة وصلاح حال . [٣ غ] .

الباب السادس : من فارق شدّة إلى رخاء ، بعد بشرى منام ، لم يشب صدق تأويله كذب الأحلام .

الباب السابع : من استنقذ من كربٍ وضيق خناق ، بإحدى حالتي عمد أو اتّفاق .

الباب الثامن : من أشفى على أن يقتل ، فكان الخلاص إليه من القتل أعجل .

الباب التاسع : من شارف الموت بحيوان مهلك رآه ، فكفاه الله سبحانه[١٠] ذلك بلطفه ونجّاه .

الباب العاشر : من اشتدّ بلاؤه بمرض ناله ، فعافاه الله تعالى بأيسر سبب وأقاله .

الباب الحادي عشر : من امتحن من لصوص بسرق أو قطع ، فعوّض من الارتجاع والخلف بأجمل صنع . [٢ ر]

الباب الثاني عشر : من ألجأه خوفٌ إلى هرب واستتار ، فأبدل[١١] بأمن ، ومستجدّ نعمة[١٢] ، ومسارّ .

---

١٠ في غ : تعالى .

١١ في غ : فأديل ، وفي م : فأزيل .

١٢ في غ وفي م : نعم .

الباب الثالث عشر : من نالته شدّة في هواه ، فكشفها الله تعالى عنه ، وملّكه من يهواه .

الباب الرابع عشر : ما اختير من مُلَحِ الأشعار في أكثر [٤ م] معاني ما ما تقدّم من الأمثال والأخبار .

الباب الأوّل

ما أنبأنا به الله تعالى في القرآن ، من ذكر الفرج بعد البؤس والامتحان

١
إنّ مع العسر يسراً

قال الله تعالى ، وهو أصدق القائلين ، وهو الحقّ اليقين ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ، أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ، ووضعنا عنك وِزْرَكَ ، الذي أنقض ظهرك ، ورفعنا لك ذكرك ، فإنّ مع العسر يسراً ، إنّ مع العسر يسراً ، فإذا فرغتَ فانصب ، وإلى ربّك فارغب ﴾[١] .

فهذه السورة كلّها ، مفصحة بإذكار الله عزّ وجلّ ، رسوله عليه السلام ، منّته عليه ، في شرح صدره بعد الغمّ والضيق ، ووضع وزره عنه ، وهو الإثم ، بعد إنقاض الظهر ، وهو الإثقال ، أي أثقله فنقض العظام ، كما ينتقض البيت إذا صوّت للوقوع ، ورفع – جلّ جلاله – ذكره ، بعد أن لم يكن ، بحيث جعله الله مذكوراً معه[٢] ، والبشارة له ، في نفسه عليه السلام ، وفي أمّته ، بأنّ مع العسر الواحد يسرين ، إذا رغبوا إلى الله تعالى ربّهم ، وأخلصوا له طاعاتهم ونيّاتهم .

وروي عن عبد الله بن عباس[٣] ، أو عن عليّ [٤ غ] بن أبي طالب عليه

---

١ ا – ٨ سورة الانشراح ك ٩٤ .

٢ في ظ وم ور : بحيث جعله الله من ذلك ، والتصحيح من هـ .

٣ أبو العبّاس عبد الله بن العبّاس بن عبد المطّلب (٣ق هـ – ٦٨) : حبر الأمّة ، الصّحابي الجليل ، نشأ

السلام[4] ، أنّه قال : لا يغلب العسرُ الواحد يسرين ، يريد أنّ العسر الأوّل هو الثاني ، وأنّ اليسر الثاني هو غير الأوّل ، وذلك أنّ العسر معرفة ، فإذا أعيد ، فالثاني هو الأوّل ، لأنّ الألف واللام لتعريفه ، ويسر ، بلا ألف ولام ، نكرة ، فإذا أعيد ، فالثاني غير الأوّل ، وهذا كلام العرب ، فإذا بَدَأَتْ بالاسم النكرة ، ثم أعادته ، أعادته معرفةً بالألف واللام ، ألا ترى أنّهم يقولون : قد جاءني الرجل الذي تعرفه ، فأخبرني الرجل بكذا وكذا ، فالثاني هو الأوّل ، فإذا قالوا : جاءني رجل ، وأخبرني رجل بكذا ، وجاءني رجل ، فأخبرني رجل بكذا وكذا ، فالثاني غير الأوّل ، ولو كان الثاني – في هذا الموضع – هو الأوّل ، لقالوا : فأخبرني الرجل بكذا وكذا ، كما قالوا في ذلك الموضع .

وقال الله تعالى : ﴿ سيجعلُ اللهُ بعد عسرٍ يسراً ﴾[5] .

وقال : ﴿ ومن يتّقِ اللهَ ، يجعل له مخرجاً ، ويرزُقْهُ من حيث لا يحتسب ، ومن [٤ظ] يتوكّل على الله فهو حسبُهُ ﴾[6] .

وقال تعالى : ﴿ أو كالّذي مرّ على قرية ، وهي خاوية على عروشها ، قال أنّى يحيي هذه الله بعد موتها ، فأماته الله مِائةَ عامٍ ، ثم بعثه ، قال : كم لبثتَ ، قال : لبثتُ يوماً أو بعض يومٍ ، قال : بل لبثتَ مِائةَ عامٍ ، فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنَّهْ ، وانظر إلى حمارك ، ولنجعلك آية للناس ، وانظر إلى العظام كيف ننشزها ، ثم نكسوها لحماً . فلما تبيّن له ذلك ، قال : أَعْلَمُ أَنّ اللهَ على كلّ شيء قدير ﴾[7] .

في بدء عصر النبوّة ، فلازم رسول الله ، وروى عنه ، وشهد مع الإمـام عليّ بن أبي طالب وقعتي الجمل وصفّين ، وكفّ بصره ، فأقام في الطائف ، وتوفيّ بها (الاعلام ٤ / ٢٢٨) .

٤ في ظ وم : رضي الله عنهم .

٥ ٧ م الطلاق ٦٥ .

٦ ٢ – ٣ م الطلاق ٦٥ .

٧ ٢٥٩ م البقرة ٢ .

فأخبر اللهُ تعالى : أنّ الّذي مرّ على قرية ، استبعد أن يكشف الله تعالى عنها ، وعن أهلها ، البلاءَ ، لقوله : أنّى يحيي هذه الله بعد موتها ، فأماته اللهُ مائةَ عامٍ ثم بعثه ... إلى آخر القصة ، فلا شدّة[8] أشدّ من الموت والخراب ، ولا فرج أفرج من الحياة والعمارة ، فأعلمه الله عزّ وجلّ ، بما فعله به ، أنّه لا يجب أن يستبعد فرجاً من الله وصنعاً ، كما عمل به ، وأنّه يحيي القرية وأهلها ، كما أحياه ، فأراه بذلك ، آياته ، ومواقع صنعه .

وقال عزّ وجلّ : ﴿ أليسَ اللهُ بكافٍ عبدَهُ ، ويخوّفونك بالذين من دُوْنِهِ ﴾[9] .

وقال تعالى : ﴿ وإذا مسّ الإنسانَ الضرُّ ، دعانا لجنبه ، أو قاعداً أو قائماً ، فلما كشفنا عنهُ ضرّه ، مرّ كأنْ لم يدعنا إلى ضرّ مسّه ، كذلك زُيِّنَ للمسرفين ما كانوا يعملون ﴾[10] .

وقال عزّ وجلّ : ﴿ هو الذي يسيّركم في البرّ والبحر ، حتى إذا كنتم في الفلك ، وجرين بهم بريح طيّبة ، وفرحوا بها ، جاءتها ريح عاصف ، وجاءهم الموج من كلّ [٥م] مكان ، وظنّوا أنّهم أحيط بهم ، دعوا الله مخلصين له الدين ، لئن أنجيتنا من هذه ، لنكونَنَّ من الشاكرين ، فلمّا أنجاهم ، إذا هم يبغونَ في الأرض بغير الحقِّ ﴾[11] .

وقال تعالى ، في موضع آخر : ﴿ قل من ينجّيكم من ظلمات البرّ والبحر ، تدعونه تضرّعاً وخفية ، لئن أنجيتنا من هذه ، لنكوننّ من الشاكرين ، قل الله ينجّيكم منها ، ومن كلّ كرب ، ثم أنتم تشركون ﴾[12] .

٨ في ظ وغ : بلاء .

٩ ٣٦ ك الزمر ٣٩ .

١٠ ١٢ ك يونس ١٠ .

١١ ٢٢ و٢٣ ك يونس ١٠ .

١٢ ٦٣ و٦٤ ك الانعام ٦ .

وقال تعالى : ﴿ وقال الذين كفروا ، لرسلهم ، لنخرجنّكم من أرضنا ، أو لتعودُنَّ في ملّتنا ، فأوحى إليهم ربّهم لنهلكنّ الظالمين ، ولنسكننّكمُ الأرضَ من بعدهم ، ذلك لمن خاف مقامي ، وخاف وعيد ﴾ [13] .

وقال عزّ وجلّ : ﴿ ونريد أن نمنّ على الذين استُضْعِفُوا في الأرضِ ، ونجعلهم أئمّة ، ونجعلهم الوارثين ، ونمكّن لهم في [٥ غ] الأرضِ ، ونُرِي فرعونَ ، وهامانَ ، وجنودهما منهم ، ما كانوا يحذرون ﴾ [14] .

وقال عزّ وجلّ : ﴿ أَمَّنْ يجيبُ المضطرَّ إذا دعاهُ ويكشف السوء ، ويجعلكم خلفاء الأرض ، أإلهٌ مع الله ، قليلاً ما تذكّرون ﴾ [15] .

وقال جلّ من قائل[16] : ﴿ وقال ربكم ادعوني ، أستجب لكم ﴾ [17] ، [وقال عزّ من قائل][18] ﴿ وإذا سألك عبَادي عنّي ، فانّي قريب ، أجيب دعوة الداع إذا دعاني ، فليستجيبوا لي ، وليؤمنوا بي ، لعلّهم يرشدون ﴾ [19] .

وقال تعالى : ﴿ ولنبلوّنكم بشيءٍ من الخوف ، والجوع ، ونقصٍ من الأموال والأنفس والثمرات ، وبشّر الصابرينَ الّذين إذا أصابتهم مصيبةٌ قالوا إنّا لله وإنّا إليه راجعون [٣ ر] ، أولئك عليهم صلوات من ربّهم ورحمة ، وأولئك هم المهتدون ﴾ [20] .

وقال جلّ جلاله[21] : ﴿ الذّين قال لهم الناسُ ، إنّ الناس قد جمعوا لكم ،

---

١٣ ١٣ و١٤ ك ابراهيم ١٤ .

١٤ ٥ و٦ ك القصص ٢٨ .

١٥ ٦٢ ك النمل ٢٧ .

١٦ في غ : جلّ وعزّ .

١٧ ٦٠ ك غافر ٤٠ .

١٨ الزيادة من غ .

١٩ ١٨٦ م البقرة ٢ .

٢٠ ١٥٥ – ١٥٧ م البقرة ٢ .

٢١ في غ : عزّ وجلّ .

فاخشوهم ، فزادهم إيمانًا ، وقالوا حسبنا الله ونعمَ الوكيل ، فانقلبوا بنعمةٍ من الله وفضلٍ ، لم يمسسهم سوء ، واتّبعوا رضوان الله ، والله ذو فضل عظيم ﴾ [٢٢] .

وروي عن الحسن البصريّ [٢٣] ، أنّه قال : عجباً لمكروب غفل عن خمسٍ ، وقد عرف ما جعل الله لمن قالهنّ ، قوله تعالى : ﴿ ولنبلونّكُم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات ، وبشّر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنّا لله وإنّا إليه راجعون ، أولئك عليهم صلوات من ربّهم ورحمة ، وأولئك هم المهتدون ﴾ [٢٤] .

وقوله تعالى : ﴿ الذين قال لهم الناس إنّ الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ، فزادهم إيماناً ، وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل ، لم يمسسهم سوء ﴾ [٢٥] .

وقوله : ﴿ وأفوّض أمري إلى الله ، إنّ الله بصير بالعباد ، فوقاهم الله سيّئات ما مكروا ﴾ [٢٦] .

وقوله : ﴿ وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظن أن لن نقدر عليه ، فنادى في الظلمات أن لا إله إلاّ أنت سبحانك إنّي كنت من الظالمين ، فاستجبنا له ونجّيناه من الغمّ وكذلك ننجي المؤمنين ﴾ [٢٧] .

وقوله [٥ ظ] : ﴿ وما كان قولهم إلاّ أن قالوا ربّنا اغفر لنا ذنوبنا ، وإسرافنا

---

٢٢ ١٧٣ و١٧٤ م آل عمران ٣ .

٢٣ أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار ، المعروف بالحسن البصري (٢١ - ١١٠) : من سادات التابعين ، وكبرائهم ، عالم ، زاهد ، ورع ، عابد ، كان إمام أهل البصرة ، وحبر الأمة في زمنه (الأعلام ٢ / ٢٤٢ ووفيات الأعيان ١ / ٣٥٤) .

٢٤ ١٥٥ - ١٥٧ م البقرة ٢ .

٢٥ ١٧٣ م آل عمران ٣ .

٢٦ ٤٤ - ٤٥ ك غافر (المؤمن) ٤٠ .

٢٧ ٨٦ - ٨٨ ك الأنبياء ٢١ .

في أمرنا ، وثبّت أقدامنا ، وانصرنا على القوم الكافرين ، فأثابهم الله ثواب الدنيا ، وحسن ثواب الآخرة ، والله يحب المحسنين ﴾[٢٨] .

وروي عن الحسن أيضا ، أنّه قال : من لزم قراءة هذه الآيات في الشدائد ، كشفها الله عنه ، لأنّه قد وعد ، وحكم فيهنّ ، بما جعله لمن قالهنّ ، وحكمه لا يبطل ، ووعده لا يخلف .

٢٨ ١٤٧ - ١٤٨ م آل عمران ٣ ، نقل هذه الفقرة صاحب كتاب حلّ العقال ص ٤ .

٢

قصّة آدم عليه السلام

وقد ذكر الله تعالى ، فيما اقتصّه من أخبار الأنبياء ، شدائد ومحناً ، استمرّت على جماعة من الأنبياء عليهم السلام ، وضروباً جرت عليهم من البلاء ، وأعقبها بفرج وتخفيف ، وتداركهم فيها بصنع جليل لطيف .

فأوّل ممتحن رضي ، فأُعقب بصنع خفيّ ، وأغيث بفرج قويّ ، أوّل العالم وجوداً ، آدم أبو البشر ، صلّى الله عليه ، كما ذكر ، فإنّ الله خلقه في الجنة ، وعلّمه الأسماء كلّها ، وأسجد له ملائكته ، ونهاه عن أكل الشجرة ، فوسوس له الشيطانُ ، وكان منه ما قاله الرحمن في محكم كتابه : ﴿وعصى آدم ربّه فغوى ، ثم اجتباه ربّه ، فتاب عليه وهدى﴾[1] .

هذا بعد أن أهبطه [٦م] الله إلى الأرض ، وأفقده لذيذ ذلك الخفض ، فانتقضت عادته ، وغلظت محنته ، وقتل أحدُ ابنيه الآخرَ ، وكانا أوّل أولاده .

فلما طال حزنه وبكاؤه ، واتّصل استغفاره ودعاؤه ، رحم الله عزّ وجلّ تذلّله وخضوعه ، واستكانته ودموعه ، فتاب [٦غ] عليه وهداه ، وكشف ما به ونجّاه .

فكان آدم عليه السلام ، أوّل من دعا فأجيب ، وامتحن فأثيب ، وخرج من ضيق وكرب ، إلى سعة ورحب ، وسلّى همومه ، ونسي غمومه ، وأيقن بتجديد الله عليه[2] النعم ، وإزالته عنه النقم ، وأنّه تعالى إذا استُرحِمَ رحم .

فأبدله تعالى بتلك الشدائد ، وعوّضه من الابن المفقود ، والابن العاقّ الموجود ، نبيّ الله شيث صلّى الله عليه ، وهو أوّل الأولاد البررة بالوالدين ، ووالد النبيّين

---

١ ١٢١ و١٢٢ ك طه ٢٠ .

٢ في غ وم : لـه .

والصالحين ، وأبو الملوك الجبّارين ، الذي جعل الله ذرّيته هم الباقين ، وخصّهم من النعم بما لا يحيط به وصف الواصفين .

وقد جاء في القرآن من الشرح لهذه الجملة والتبيان ، بما لا يحتمله هذا[3] المكان ، وروي فيه من الأخبار ، ما لا وجه للإطالة به والإكثار .

٣

قصّة نوح عليه السلام

ثم نوح عليه السلام ، فإنّه امتُحِنَ بخلاف قومه عليه ، وعصيان ابنه له ، والطوفان العام ، [واعتصام ابنه بالجبل ، وتأخّره عن الركوب معه][1] ، وبركوب السفينة وهي تجري بهم في موجٍ كالجبال ، وأعقبه الله الخلاص من تلك الأهوال ، والتمكّن في الأرض ، وتغييض الطوفان ، وجعله شبيهاً لآدم ، لأنّه أنشأ ثانياً جميع البشر منه ، كما أنشأهم أوّلاً من آدم عليه السلام ، فلا ولد لآدم إلاّ من نــوح .

قال الله تعالى : ﴿ولقد نادانا نوحٌ ، فلنعم المجيبون ، ونجّيناه وأهله من الكرب العظيم ، وجعلنا ذرّيته هم الباقين ، وتركنا عليه في الآخرين﴾[2] ﴿ونوحاً إذ نادى من قبل فاستجبنا له ، فنجّيناه وأهله من الكرب العظيم﴾[3] .

---

٣ في غ : بما لا يحمل ذكره .

١ الزيادة من م .

٢ ٧٥ – ٧٨ ك الصافات ٣٧ .

٣ ٧٦ ك الأنبياء ٢١ .

٤

قصّة إبراهيم عليه السلام

ثم إبراهيم صلّى الله عليه [وسلم][1] ، وما دفع إليه من كسر الأصنام ، وما لحقه من قومه ، من محاولة إحراقه ، فجعل الله تعالى عليه النار برداً وسلاماً ، وقال : ﴿ ولقد آتينا إبراهيمَ رشدَهُ من قبلُ ، وكنّا به عالمين ﴾[2] ، ثم اقتصّ قصّته ، إلى قوله تعالى : ﴿ قالوا حرّقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين ، قلنا يا نارُ كوني بردًا وسلاماً على إبراهيم ، وأرادوا به كيداً ، فجعلناهم الأخسرين ، ونجّيناه ولوطاً إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين ، ووهبنا له إسحاقَ ويعقوبَ نافلةً ، وكلاً جعلنا صالحين ، وجعلناهم أئمّة يهدون بأمرنا ﴾[3] .

ثم ما كلّفه الله تعالى [٤ ر] إيّاه ، من مفارقة وطنه بالشام ، لما غارت عليه سارة ، من أمّ ولده هاجر ، فهاجر بها وبابنه منها إسماعيل الذبيح عليهما السلام ، فأسكنهما بواد غير ذي زرع ، نازحين عنه ، بعيدين منه ، حتى أنبع الله تعالى لهما الماء ، وتابع عليهما الآلاء ، وأحسن [٦ ظ] لإبراهيم فيهما الصنع ، والفائدة والنفع ، وجعل لإسماعيل النسل والعدد ، والنبوة والملك ، هذا بعد أن كلّف سبحانه إبراهيم أن يجعل[4] ابنه إسماعيل بسبيل الذبح ، قال الله تعالى فيما اقتصّه من ذكره في سورة الصافّات : ﴿ فبشّرناه بغلام حليم ، فلما بلغ معه السعي ، قال يا بنيّ إنّي أرى في المنام أنّي أذبحك ، فانظر ماذا ترى ، قال يا أبة افعل ما تؤمرْ ، ستجدني إن شاء الله من الصابرين ، فلما أسلما وتلّه للجبين ، وناديناه

---

١ الزيادة من غ .

٢ ٥١ ك الأنبياء ٢١ .

٣ ٦٨ – ٧٣ ك الأنبياء ٢١ .

٤ في م : أن يسلم .

أن [٧ م] يا إبراهيم قد صدّقت الرؤيا ، إنّا كذلك نجزي المحسنين ، إنّ هذا لهو البلاء المبين ، وفديناه بذبح عظيم ، وتركنا [٧ غ] عليه في الآخرين ، سلام على إبراهيم ﴾[٥] .

فلا بلاء أعظم من بلاء يشهد الله تعالى أنّه بلاءٌ مبين ، وهو تكليف الإنسان ، أن يجعل بسبيل الذبح ابنه ، وتكليفه ، وتكليف المذبوح ، أن يؤمنا ويصبرا ، ويسلّما ويحتسبا ، فلما أدّيا ما كلّفا من ذلك ، وعلم الله عزّ وجلّ منهما صدق الإيمان ، والصبر والتسليم والإذعان ، فدى الابنَ بذبح عظيم وجازى الأب بابن آخر على صبره ، ورضاه بذبح ابنه الذي لم يكن له غيره ، قال الله عزّ وجلّ : ﴿ وبشّرناه بإسحاق نبيّاً من الصالحين ﴾ ، إلى قوله : ﴿ لنفسه مبين ﴾[٦] ، وخلّصهما بصبرهما وتسليمهما من تلك الشدائد الهائلة .

وقد ذهب قوم إلى أنّ إبراهيم إنّما كلّف ذبح ابنه في الحقيقة ، لا على ما ذُهِب إليه من ذلك أنّ الذي كُلِّفه أن يجعلَ ابنه بسبيل الذبح ، لا أن يذبحه في الحقيقة ، واستدلّ الحسن البصريّ على أنّ إسماعيل هو الذبيح ، لا إسحاق ، وأنّ المأمور به كان الذبح في الحقيقة ، بقوله تعالى : ﴿ فبشّرناها بإسحاق ، ومن وراء إسحاق يعقوب ﴾[٧] ، فحصلت لإبراهيم البشرى ، بأنّه سيرزق إسحاق ، وأنّ إسحاق سيرزق يعقوب ، ولا يجوز للنبيّ أن يشكّ في بشارة الله تعالى ، فلو كان إسحاق هو الذبيح ، ما صحّ أن يأمره بذبحه قبل خروج يعقوب من ظهره ، لأنّه كان إذا أمر بذلك ، علم أنّ البشرى الأوّلة[٨] ، تمنع من ذبح إسحاق

---

٥ ١٠١ – ١٠٨ ك الصافات ٣٧ .

٦ تمام الآية : ﴿ وبشّرناه بإسحاق نبيًّا من الصالحين ، وباركنا عليه وعلى إسحاق ، ومن ذرّيتهما محسن وظالم لنفسه مبين ﴾ ١١٢ و١١٣ ك الصافات ٣٧ .

٧ ٧١ ك هود ١١ .

٨ الأوّلة : تعبير بغدادي ، بمعنى الأولى ، أما التعبير البغدادي الآن ، فهو : الأوليّة ، أو : الأولانيّة .

قبل ولادة يعقوب ، وكان لا يصحّ تكليفه ذبح من يعلم أنّه لا يموت أو يخرج من ظهره من لم يخرج بعد ، ومتى وقع التكليف على هذا ، لم يكن فيه ثواب ، وفي قوله تعالى : ﴿ إنّ هذا لهو البلاء المبين ﴾[9] . دليل على عظم ثواب إبراهيم ، وصحّة الأمر بالذبح ، يبيّن ذلك قوله تعالى : ﴿ فلمّا أسلما وتلّه للجبين ﴾[10] ، أي استسلما لأمر الله ، وهما لا يشكّان في وقوع الذبح على الحقيقة حتى فداه الله تبارك وتعالى ، فهذا دليل على أنّ الذبيح غير إسحاق ، ولم يكن لإبراهيم ولد غير إسحاق ، إلاّ إسماعيل صلّى الله عليهم أجمعين .

٥

قصّة لوط عليه السلام

ومن هذا الباب قصّة لوط عليه السلام ، لما نهى قومه عن الفاحشة ، فعصوه ، وكذّبوه ، وتضييفه الملائكة ، فطالبوه فيهم بما طالبوه ، فخسف الله بهم أجمعين ، ونجّى لوطاً ، وأثابه ثواب الشاكرين ، وقد نطق بهذا كلام الله العظيم في مواضع من الذكر الحكيم[1] ..

---

٩ ١٠٦ ك الصافات ٣٧ .

١٠ ١٠٣ ك الصافات ٣٧ .

١ في م : بمواعظ من الذكر الحكيم .

٦

قصّة يعقوب ويوسف عليهما السلام

ويعقوب ويوسف عليهما السلام ، فقد أفرد الله تعالى بذكر شانهما ، وعظيم بلواهما وامتحانهما ، سورةً محكمةً ، بيّن فيها كيف حسد إخوةُ يوسف ، يوسفَ ، على المنام الذي بشّره الله تعالى فيه بغاية الإكرام ، حتى طرحوه في الجبّ ، فخلّصه الله تعالى منه ، بمن أدلى الدلو[1] ، ثم استُعْبِدَ ، فألقى الله تعالى في قلب من صار إليه إكرامه ، واتّخاذه ولداً ، ثم مراودة امرأة العزيز إيّاه عن نفسه ، وعصمة الله له منها ، وكيف جعل عاقبته بعد الحبس ، إلى ملك مصر ، وما لحق يعقوب من العمى لفرط البكاء ، وما لحق إخوة يوسف من التسرّق[2] ، وحبس أحدهم نفسه ، حتى يأذن له أبوه ، أو يحكم الله له ، وكيف [٧ ظ] أنفذ يوسف إلى أبيه قميصه ، فردّه الله به بصيراً ، وجمع بينهم ، وجعل كلّ واحد منهم بالباقين وبالنعمة مسروراً[3] .

---

١ في م : بمن أدلى دلوه .

٢ التسرّق : السرقة شيئاً فشيئاً .

٣ في م : وجعل كلّ واحد منهم مسروراً بصاحبه .

٧

قصّة أيّوب عليه السلام

وأيّوب عليه السلام ، وما امتُحِنَ به من الأسقام وعظم [٨ غ] اللأواء[١] ، والدود والأدواء ، وجاء القرآن بذكره ، ونطقت الأخبار بشرح أمره ، قال الله تعالى : ﴿ وأيّوب إذ نادى ربّه ، أنّي مسّني الضرّ وأنت أرحم الراحمين ، فاستجبنا له ، فكشفنا ما به من ضرّ ، وآتيناه أهله ، ومثلهم معهم ، رحمة من [٨ م] عندنا ، وذكرى للعابدين ﴾[٢] .

وأخبرنا أبو علي الحسن بن محمد بن عثمان الفسوي[٣] ، قراءة عليه بالبصرة سنة سبع وثلاثين وثلثمائة ، قال : حدّثنا يعقوب بن سفيان الفسوي[٤] ، قال : حدّثنا عمرو بن مرزوق[٥] ، قال : حدّثنا شعبة[٦] ، عن قتادة[٧] ، عن النضر بن

---

١ اللأواء : الشدّة والمحنة ، وفي م : وعظيم البلاء . ٢ ٨٣ ك الأنبياء ٢١ .

٣ أبو علي الحسن بن محمّد بن عثمان الفسوي : نزيل البصرة ، أحد أساتذة القاضي التنوخي ، مؤلّف هذا الكتاب ، عنده أكثر مصنفات أبي يوسف يعقوب بن سفيان الفسوي ، ثقة نبيل (الأنساب للسمعاني ٤٢٩ ، وفيات الأعيان ٤ / ١٥٩ – ١٦٢) .

٤ أبو يوسف يعقوب بن سفيان بن جوان الفسوي : من الأئمة الكبار ، رحل إلى المشرق والمغرب ، وصنّف فأكثر ، مع الورع ، والنسك ، توفّي بالبصرة سنة ٢٧٧ (الأنساب ٤٢٩ ، المشتبه في الرجال ٦٤٠ ، اللباب ٢ / ٢١٥) والفسوي : نسبة إلى فسا مدينة بفارس ، وأهلها يسمّونها بسا ، والنسبة إليها عندهم بساسيري (معجم البلدان ٣ / ٨٩٢) ، أقول : ومنها أبو الحارث أرسلان بن عبد الله البساسيري الذي أخرج الخليفة القائم العبّاسي من بغداد ، وخطب للفاطميين في السنة ٤٥٠ (الأعلام ١ / ٢٧٦) .

٥ عمرو بن مرزوق الباهلي : ترجم له صاحب ميزان الاعتدال ٣ / ٢٨٧ وقال إنّه توفّي سنة ٢٢٤ .

٦ أبو بسطام شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي الأزدي الواسطي (٨٢ – ١٦٠) : محدّث ، حافظ ، ولد بواسط ، ونشأ بالبصرة (الأعلام ٣ / ٢٤١) .

٧ أبو الخطّاب قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز السدوسي البصري (٦١ – ١١٨) : حافظ ، مفسّر ، محدّث ، رأس في العربية وأيّام العرب (الأعلام ٦ / ٢٧) .

أنس[8] عن بشير بن نهيك[9] عن أبي هريرة[10] ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : لما عافى الله عزّ وجلّ أيوب عليه السلام ، أمطر عليه جراداً من ذهب ، قال : فجعل يأخذه ، ويجعله في ثوبه ، فقيل له : يا أيّوب أما تشبع ؟ قال : ومن يشبع من رحمة الله ؟ .

---

٨ النضر بن أنس بن مالك بن النضر الأنصاري : أبوه أنس خادم رسول الله وصاحبه ، وآخر من مات بالبصرة من الصحابة ، وقد جاوز المائة (الأعلام ١ / ٣٦٥) وكان النضر من خصوم بني أميّة ، وكذلك أخوه عبد الله الذي قتل وهو يحارب الحجّاج بالبصرة مع عبد الله بن الجارود سنة ٧٥ (ابن الأثير ٤ / ٣٨٥) وكان النضر يحضّ الناس بالبصرة على طاعة يزيد بن المهلّب ، لمّا ثار على الأمويين في السنة ١٠١ (الطبري ٦ / ٥٨٧ وابن الأثير ٥ / ٧٥ ، راجع الخلاصة ٣٤٤) .

٩ أبو الشعثاء بشير بن نهيك : ترجم له صاحب ميزان الاعتدال ١ / ٣٣١ والخلاصة ٤٣ .

١٠ أبو هريرة عبد الرحمن بن صخر الدوسي : ترجمته في حاشية القصّة ٥٨ .

٨

قصّة يونس عليه السلام

ويونس عليه السلام ، وما اقتص[١] الله تعالى من قصّته في غير موضع من كتابه ، ذكر فيها التقام الحوت له ، وتسبيحه في بطنه ، وكيف نجّاه الله عزّ وجلّ ، فأعقبه بالرسالة والصنع .

قال الله تعالى : ﴿ وإنّ يونس لمن المرسلين ، إذ أبق إلى الفلك المشحون[٥ ر] ، فساهم فكان من المدحضين ، فالتقمه الحوتُ وهو مليم ، فلولا أنّه كان من المسبّحين ، للبث في بطنه إلى يوم يبعثون ، فنبذناه بالعراء وهو سقيم ، وأنبتنا عليه شجرة من يقطين ، وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون ﴾[٢] .

[قال صاحب الكتاب : « أو » ها هنا ظاهرها الشكّ ، وقد ذهب إلى ذلك قوم ، وهو خطأ ، لأنّ الشكَّ ، لا يجوز على الله تعالى ، العالم لنفسه ، العارف بكل شيء قبل كونه ، وقد روي عن ابن عباس ، وهو الوجه ، أنّه قال : أو يزيدون ، بل يزيدون ، وقال : كانت الزيادة ثلاثين ألفاً ، وروي عن ابن جبير[٣] ونوف الشامي[٤] أنّهما قالا : كانت الزيادة سبعين ألفاً ، فقد ثبت أنّ « أو » هنا ، بمعنى « بل » وقد ذهب إلى هذا ، الفرّاء[٥] ، وأبو عبيدة[٦] ، وقال آخرون :

---

١ في غ وم. : وما قصّ .   ٢ ١٣٩ – ١٤٧ ك الصافات ٣٧ .

٣ أبو عبدالله سعيد بن جبير بن هشام : من عبّاد المكّيين ، وفقهاء التابعين ، قتله الحجّاج بن يوسف الثقفي في سنة ٩٥ صبراً (مشاهير علماء الأمصار ٨٢) .

٤ نوف بن فضالة الحميري البكالي : إمام أهل دمشق في عصره ، من رجال الحديث ، ومن رواة القصص ، وهو ابن زوجة كعب الأحبار ، توفّي نحو سنة ٩٥ (الأعلام ٩ / ٣١) .

٥ أبو زكريا ، يحيي بن زياد بن عبد الله بن منظور ، المعروف بالفرّاء (١٤٤ – ٢٠٧) : إمام الكوفيّين ، وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب ، ولد بالكوفة ، وانتقل إلى بغداد ، وأدّب أولاد المأمون (الأعلام ٩ / ١٧٨) .

إنّ « أو » ها هنا ، بمعنى « ويزيدون »][7] .

ومنها قوله تعالى : ﴿ وذا النون إذ ذهب مغاضباً ، فظنّ أن لن نقدر عليه ، فنادى في الظلمات أن لا إله إلاّ أنتَ سبحانك إنّي كنت من الظالمين ، فاستجبنا له ، ونجّيناه من الغمّ ، وكذلك ننجي المؤمنين ﴾[8] ، قال بعض المفسرين : معنى « لن نقدر عليه » « لن نضيّق عليه » .

وهذا مثل قوله : ﴿ ومن قدر عليه رزقه ، فلينفق مما آتاه الله ﴾[9] ، أي ضيّق عليه ، ومثل قوله : ﴿ قل إنّ ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له ، وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه ﴾[10] .

وقد جاء « قدر » بمعنى « ضيّق » في القرآن ، في مواضع كثيرة ، ومن هذا قيل للفرس الضيّق الخطو : فرسٌ أقدر ، لأنّه لا يجوز أن يهرب من الله تعالى نبيّ من أنبيائه ، والأنبياء لا يكفرون ، ومن ظنّ أنّ الله تعالى لا يقدر عليه ، أي لا يدركه ، أو أنّه يعجز الله هرباً ، فقد كفر ، والأنبياء عليهم السلام ، أعلم بالله سبحانه ، من أن يظنّوا فيه هذا الظنّ الذي هو كفر .

وقد روي : أنّ من أدام قراءة قوله [٩ غ] عزّ وجلّ : ﴿ وذا النون إذ ذهب مغاضباً .. الآية ﴾ ... إلى قوله : المؤمنين ، في الصلاة ، وغيرها ، في أوقات شدائده ، عجّل الله [له منها فرجاً ومخرجاً .

وأنا أحد من واصلها في نكبة عظيمة لحقتني ، يطول شرحها و][11] ذكرها عن هذا الموضع ، وكنت قد حبست ، وهدّدت بالقتل ، ففرّج الله عنّي ، وأطلقت في اليوم التاسع [٨ ظ] من يوم قبض عليّ فيه .

---

٦ أبو عبيدة معمر بن المثنّى البصريّ (١١٠ – ٢٠٩) : نحوي من أئمّة العلم بالأدب واللّغة ، ولد وتوفّي بالبصرة ، وكان حافظاً للحديث ، أباظياً شعوبياً (الأعلام ٨ / ١٩١) .

٧ تعليق المؤلّف على كلمة (أو) انفردت به ظ وغ ، ولا يوجد في م ولا في ر .

٨ ٧٨ ك الأنبياء ٢١ . * ٩ ٧ م الطلاق ٦٥ . * ١٠ ٣٩ ك سبأ ٣٤ . ١١ الزيادة من م وغ .

٩

قصّة موسى بن عمران عليه السلام

وموسى بن عمران عليه السلام ، فقد نطق القرآن بقصّته في غير موضع ، منها قوله تعالى : ﴿ وأوحينا إلى أمّ موسى أن أرضعيه ، فإذا خفت عليه فألقيه في اليمّ ، ولا تخافي ، ولا تحزني ، إنّا رادّوه إليك ، وجاعلوه من المرسلين ، فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوّاً وحزناً ، إنّ فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين ، وقالت امرأة فرعون قرّة عين لي ولك ، لا تقتلوه ، عسى أن ينفعنا أو نتّخذه ولداً ، وهم لا يشعرون . وأصبح فؤاد أمّ موسى فارغاً إن كادت لتبدي به ، لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين ، وقالت لأخته قصّيه ، فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون ، وحرّمنا عليه المراضع من قبلُ ، فقالت هل أدلّكم على أهل بيتٍ يكفلونه لكم ، وهم له ناصحون فرددناه إلى أمّه كي تقرّ عينها ولا تحزن ، ولتعلم أنّ وعد الله حقّ ، ولكنّ أكثرهم لا يعلمون ﴾[1] .

فلا شدّة أعظم من أن يبتلى الناسُ بملكٍ يذبح أبناءهم ، حتى ألقت أمّ موسى ابنها في البحر [مع طفوليّته][2] ، ولا شدّة أعظم من حصول طفل في البحر ، فكشف الله [تبارك اسمه][3] ذلك عنه ، بالتقاط آل فرعون له ، وما ألقاه في قلوبهم من الرقة[4] عليه ، حتى استحيوه ، وتحريم المراضع عليه حتى ردّوه إلى أمّه ، وكشف عنها الشدّة من [فراقه ، وعنه الشدّة في][2] حصوله في البحر .

ومعنى قوله تعالى : ليكون لهم عدوّاً وحزناً ، أي يصير عاقبة أمره معهم إلى

---

١ ٧ – ١٣ ك القصص ٢٨ .

٢ الزيادة من م .

٣ كذا في غ ، وفي م : تعالى .

٤ في غ : الرأفة وفي م : من الرحمة والمحبّة والرأفة .

عداوة لهم ، وهذه لام العاقبة ، كما قال الشاعر :

لدوا للموت وابنوا للخراب وكلّكم يصير إلى ذهاب [٥]

وقد علم أنّ الولادة لا يقصد بها الموت ، والبناء لا يقصد به الخراب ، وإنّما عاقبة الأمر فيهما تصير إلى ذلك .

وعلى الوجه [٩ م] الأوّل ، قوله تعالى ﴿ ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجنّ والإنس ﴾ [٦] أي إنّ عاقبة أمرهم ، وفعلهم ، واختيارهم لنفوسهم ، يصيّرهم إلى جهنم ، فيصيرون لها ، لأنّ الله عز وجل ، لم يخلقهم ليقصد تعذيبهم بالنار في جهنم ، عزّ الله عن هذا الظلم [٧] .

وجعل الله عاقبة أمر موسى عليه السلام ، من تلك الشدائد ، [وشدائد بعدها ، إذ أرسله إلى فرعون ، لتخليص بني إسرائيل ، وقصصه التي قبلها ، وحديثه إذ خرج خائفاً يترقّب ، فهذه شدّة أخرى كشفها الله تعالى عنه من تلك الشدائد] [٨] ، وشدائد بعدها ، نالته ، يأتي ذكرها ، أن بعثه نبياً ، وأنقذ به بني إسرائيل من الشدائد التي كانوا فيها مع فرعون ، فقال عزّ وجلّ ، في تمام هذه القصّة : ﴿ وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى ، قال : يا موسى إنّ الملأ يأتمرون بك ليقتلوك ، فاخرج إنّي لك من الناصحين ، فخرج منها خائفاً يترقّب ، قال : ربّ نجّني من القوم الظالمين ﴾ [٩] ، فهذه شدّة أخرى [١٠ غ] كشفها الله عزّ وجلّ .

قال تعالى : ﴿ ولما توجّه تلقاء مدين ، قال : عسى ربي أن يهديني سواء السبيل ، ولما ورد ماء مدين ، وجد عليه أمّة من النّاس يسقون ، ووجد من دونهم

---

٥ في ديوان أبي العتاهية ص ٢٣ ورد الشطر الثاني من البيت : فكلكم يصير إلى تباب .

٦ ١٧٩ ك ، الأعراف ٧ .

٧ في م : لا أنّ الله عزّ وجلّ ، خلقهم ليقصد تعذيبهم بالنار في جهنم ، جلّ الله تعالى عن الظلم .

٨ الزيادة من م .

٩ ٢٠ ك القصص ٢٨ .

امرأتين تذودان ، قال : ما خطبكما ، قالتا : لا نسقي حتى يصدر الرعاء ، وأبونا شيخ كبير ، فسقى لهما ، ثم تولّى إلى الظلّ ، فقال ربِّ إنّي لما أنزلت إليّ من خير فقير ﴾[10] ، فهذه [٦ ر] شدّة أخرى ، لحقته بالاغتراب ، والحاجة إلى الاضطراب في المعيشة والاكتساب ، فوفّق الله تعالى له شعيباً ، قال الله عز وجلّ ، في تمام هذه القصّة : ﴿ فجاءته إحداهما تمشي على استحياء ، قالت إنّ أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا ، فلما جاءه ، وقصّ عليه القصص ، قال لا تخف ، نجوتَ من القوم الظالمين ﴾[11] .

ثم أخبر الله تعالى في هذه القصّة ، كيف زوّجه شعيب ابنته ، بعد أن استأجره ثماني حجج ، وأنّه خرج بأهله [٩ ظ] من عند شعيب ، فرأى النار ، فمضى يقتبس منها ، فكلّمه الله تعالى ، وجعله نبيّاً ، وأرسله إلى فرعون ، فسأله أن يرسل معه أخاه هارون ، فشدّ الله تعالى عضده به ، وجعله نبيّاً معه ، فأي فرج أحسن من فرج أتى رجلاً خائفاً ، هارباً ، فقيراً ، قد آجر نفسه ثماني حجج[12] ، بالنبوّة والملك ؟

قال الله تعالى في سورة الأعراف : ﴿ وقال الملأ من قوم فرعون ، أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ، ويذرك وآلهتك ، قال : سنقتّل أبناءهم ، ونستحيي نساءهم ، وإنّا فوقهم قاهرون ﴾[13] ، فهذه شدّة لحقت بني إسرائيل ، فكشفها الله عنهم ، قال سبحانه : ﴿ قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا ، إنّ الأرض لله يورثها من يشاء من عباده ، والعاقبة للمتّقين ، قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ، ومن بعدما جئتنا ، قال عسى ربّكم أن يهلك عدوّكم ويستخلفكم في

---

١٠ ٢٢ ك القصص ٢٨ .

١١ ٢٥ ك القصص ٢٨ .

١٢ في م : عشر حجج .

١٣ ١٢٦ ك الأعراف ٧ .

الأرض فينظر كيف تعملون ﴾[14] .

وقال تعالى ، في تمام هذه القصّة ، في هذه السورة ، بعد آيات ، ﴿ وتمّت كلمةُ ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا ، ودمّرنا ما كان يصنع فرعون وقومه ، وما كانوا يعرشون ﴾[15] ، فأخبر تعالى عن صنعه لهم ، وفلقه البحر حتى عبروه يبساً ، وإغراقه فرعون لمّا اتّبعهم .

وكلّ هذه أخبار عن محنٍ عظيمةٍ انجلت بمنحٍ جليلةٍ ، لا يؤدَّى شكر الله عليها ، ويجب على العاقل تأمّلها ، ليعرف كنه تفضّل الله عزّ وجلّ بكشف شدائده وإغاثته ، بإصلاح كلّ فاسد لمن تمسّك بطاعته ، وأخلص في خشيته ، وأصلح من نيّته ، فسلك هذه السبيل ، فإنّها إلى النجاة من المكاره ، أوضح طريق ، [١٠ م] وأهدى دليل[16] .

١٠

قصّة أصحاب الأخدود

وذكر الله سبحانه [وتعالى] ، في « والسماء ذات البروج » ، أصحابَ الأخدود ، وروى قوم من أهل الملل المخالفة للإسلام عن كتبهم أشياء من ذلك ، فذكرت اليهود والنصارى : أنّ أصحاب الأخدود كانوا دعاة إلى الله ، وأنّ ملك بلدهم ، أضرم لهم ناراً ، وطرحهم فيها ، فاطّلع الله تعالى على صبرهم ، وخلوص نيّاتهم في دينه وطاعته ، فأمر النارَ أن لا تحرقهم ، فشوهدوا فيها قعوداً ، وهي تضطرم عليهم ، ولا تحرقهم ، ونجوا منها [١١ غ] ، وجعل الله دائرة السوء على الملك ، وأهلكه .

---

١٤ ١٢٧ ك الأعراف ٧ . * ١٥ ١٣٧ ك الأعراف ٧ . * ١٦ في م : وأهدى سبيل .

١١

قصّة دانيال عليه السلام

وذكر هؤلاء القوم : أنّ نبيًّا ، كان في بني إسرائيل بعد موسى عليه السلام بزمانٍ طويلٍ ، يقال له دانيال[١] ، وأنّ قومه كذّبوه ، فأخذه ملكهم ، فقذفه إلى أسْدٍ مجوّعة في جبٍّ ، فلمّا اطّلع الله تعالى على حسن اتّكاله عليه ، وصبره طلباً لما لديه ، أمسك أفواه الأُسد عنه ، حتى قام على رؤوسها برجليه ، وهي مذلّلة ، غير ضارّة له ، فبعث الله تعالى إرميا[٢] من الشام ، حتى تخلّص دانيال من هذه الشدّة ، وأهلك من أراد إهلاك دانيال .

وعضدت روايتهم ، أشياء رواها أصحاب الحديث ، منها ما حدّثناه علي ابن أبي الطيّب الحسن بن علي بن مطرف الرامهرمزي[٣] ، قال : حدّثنا أحمد بن محمد بن الجرّاح ، قال : حدّثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا القرشي[٤] ، قال : حدّثنا أحمد بن عبد الأعلى الشيباني[٥] ، قال : إن لم أكن سمعته

---

١ النبي دانيال : صاحب سفر دانيال من أسفار العهد القديم ، وهو بطل نبوءة دانيال ، وضعه التقليد المسيحي في عداد الأنبياء الكبار الأربعة (المنجـد) .

٢ إرميـا : أحد كبار أنبياء بني إسرائيل الأربعة ، دعي إلى النبوّة قبل انقراض مملكة يهوذا ، وقاسى من ملوكها الاضطهادات إذ تنبأ لهم بسقوط أورشليم ، نسب إليه كتاب مراثي إرميا (المنجـد) .

٣ القاضي أبو الحسن عليّ بن أبي الطيّب الحسن بن عليّ بن مطرف بن بحر بن تميم بن يحيي الجراحي (٢٩٨ – ٣٧٦) : ترجم له الخطيب في تاريخه ١١ / ٣٨٧ .

٤ أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان ، المعروف بابن أبي الدّنيا (٢٠٨ – ٢٨١) : حافظ ، مؤلّف ، أدّب المعتضد ، ثم أدّب ابنه المكتفي ، مولده ووفاته ببغداد (الأعلام ٤ / ٢٦٠ ، وتاريخ بغداد للخطيب ١٠ / ٨٩) .

٥ أحمد بن الحسن بن عبد الأعلى الشيباني البغدادي : ترجم له الخطيب في تاريخه ٤ / ٢٧١ .

من شعيب بن صفوان[6] ، فحدّثنا بعض أصحابنا عنه ، عن الأجلح الكنديّ[7] ، عن عبد الله بن أبي الهذيل[8] قال : ضرّى بخت نصّر[9] أسدين ، فألقاهما في جبٍّ ، وجا[10] بدانيال فألقاه عليهما ، فلم يهيجاه ، فمكث ما شاء الله ، ثم اشتهى ما يشتهي الآدميون ، من الطعام والشراب ، فأوحى الله إلى إرميا ، وهو بالشام ، أن أعدّ طعاماً وشراباً لدانيال ، فقال : يا ربّ ، أنا بالأرض المقدّسة ، ودانيال بأرض بابل من أرض العراق ، فأوحى الله تعالى إليه أن أعدّ ما أمرناك به ، فإنّا سنرسل إليك من يحملك ، ويحمل ما أعددت [١٠ ظ] ففعل ، فأرسل الله إليه من حمله ، وحمل ما أعدّ ، حتى وقف على رأس الجبّ .

فقال دانيال : مَن هذا ؟

قال : أنا إرميا .

قال : ما جاء بك ؟[11]

قال : أرسلني إليك ربُّك .

قال : وذكرني ؟

---

٦ أبو يحيى شعيب بن صفوان بن الربيع الثقفي : ترجم له صاحب كتاب مشاهير علماء الأمصار ١٧٥ وميزان الاعتدال ٢ / ٢٧٦ والخلاصة ١٤١ .

٧ أبو حجية يحيى بن عبدالله الكوفي الشيعي ، المعروف بالأجلح الكندي : ترجم له صاحب ميزان الاعتدال ٤ / ٣٨٨ .

٨ أبو المغيرة عبد الله بن أبي هذيل العبدي الكوفيّ : ذكره صاحب الخلاصة ١٨٤ .

٩ بخت نصر ، أو نبوخذ نصّر (٦٠٤ ق.م. – ٥٦١ ق.م.) : ملك بابل ، أغار على مصر ، وفتح أورشليم ، وأحرقها ، وأجلى أهل يهوذا إلى بابل (المنجد) .

١٠ قوله : جا ، أصلها جاء ، حذفت الهمزة على طريقة البغداديين في حذف الهمزة إذا وردت في آخر الكلمة ، قال الشاعر [العقد الفريد ٤ / ٣٤٤]

عشية جا أهل العراق كأنّهم ... سحاب خريف صفّقته الجنائب

راجع التفصيل في حاشية القصّة ١٦٧ من هذا الكتاب .

١١ في م : قال : ما حاجتك ؟

قال : نعم .

قال : الحمد لله الّذي لا ينسى من ذكَره ، والحمد لله الّذي لا [٧ ر] يخيّب من رجاه [والحمد لله الذي من توكّل عليه كفاه][١٢] ، والحمد لله الّذي من وثق به لم يكله إلى غيره ، والحمد لله الّذي يجزي بالإحسان إحساناً ، [وبالسيّئات غفراناً][١٢] ، والحمد لله الّذي يجزي بالصبر نجاة ، والحمد لله الّذي يكشف ضرّنا ، بعد كربنا ، والحمد لله الّذي هو ثقتنا ، حين تسوء ظنوننا بأعمالنا ، والحمد لله الّذي هو رجاؤنا ، حين تنقطع الحيل منّا[١٣] .

---

١٢ الزيادة من م .

١٣ في غ وم : حين ينقطع الحبل منّـا ، وقد ورد الخبر بكامله في مخطوطة (د) ص ١٥٨ .

١٢

الشّدائد التي جرت على نبيّنا محمد صلوات الله عليــه

وقد ذكر الله تعالى في محكم كتابه ، الشدّة التي جرت على محمّد صلّى الله عليه ، وعلى آله الأخيار ، فيما اقتصّه من قصّة الغار ، فقال سبحانه : ﴿ إلاّ تنصروه ، فقد نصره الله ، إذ أخرجه الّذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار ، إذ يقول لصاحبه لا تحزن إنّ الله معنا ، فأنزل الله سكينته عليه ، وأيّده بجنود لم ترَوها ، وجعل كلمة الّذين كفروا السفلى ، وكلمةُ الله هي العليا ، والله عزيز حكيم ﴾[١] .

وروى أصحاب الحديث ، ما يطول إعادته بألفاظه وأسانيده ، أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، لمّا خاف أن يلحقه المشركون ، حين سار عن مكّة مهاجراً ، دخل الغار هو وأبو بكر الصدّيق ، فاستخفى فيه ، فأرسل الله عنكبوتاً فنسج في الحال على باب الغار ، وحمامة عشّشت ، وباضت ، وفرّخت للوقت ، فلما انتهى المشركون إلى الغار ، رأوا ذلك ، فلم يشكّوا أنّه غار لم يدخله حيوان [١١ م] منذ حين ، وإنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وأبا بكر ، ليريان أقدامهم ، ويسمعان كلامهم ، فلمّا انصرفوا ، وأبعدوا ، وجاء الليل ، خرجا [١٢ غ] ، فسارا نحو المدينة ، فورداها سالمين .

وروى أصحاب الحديث أيضاً ، من شرح حال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ،

---

١ ٤٠ م التوبة ٩ .

في المحن التي لحقته من شقّ الفرث عليه[٢] ، ومحاولة أبي جهل[٣] ، وشيبة[٤] وعتبة[٥] ابني ربيعة ، وأبي سفيان صخر بن حرب[٦] والعاص بن وائل[٧] ، وعقبة بن أبي

---

٢ الفرث : السرجين ما دام في داخل الكرش ، يشير المؤلف إلى ما رواه الطبري ٢ / ٣٤٣ : أنّ مشركي قريش كانوا يؤذون النبيّ صلوات الله عليه فيطرحون عليه رحم الشاة وهو يصلّي ، وفي الكامل لابن الأثير ٢ / ٧٠ إنّ أبا لهب كان جار النبيّ صلوات الله عليه ، فكان يطرح النتن والعذرة على باب النبيّ ، فكان عليه السلام يقول : أيّ جوار هذا يا بني عبد المطّلب .

٣ أبو جهل عمرو بن هشام بن المغيرة المخزوميّ : من أشدّ النّاس عداوة للنبيّ صلوات الله عليه ، وللإسلام ، بغياً منه وحسداً ، قتل في وقعة بدر سنة ٢ هجرية (الأعلام ٥ / ٢٦١) .

٤ شيبة بن ربيعة بن عبد شمس : عمّ هند ، أمّ معاوية بن أبي سفيان ، كان من أشدّ النّاس عداوة للنبيّ صلوات الله عليه ، وللمسلمين ، قتل وهو يحارب المسلمين في وقعة بدر الكبرى سنة ٢ هجرية (الأعلام ٣ / ٢٦٤) .

٥ أبو الوليد عتبة بن ربيعة بن عبد شمس : والد هند ، أمّ معاوية بن أبي سفيان ، حارب النبيّ صلوات الله عليه والمسلمين ، وقتله المسلمون في وقعة بدر الكبرى سنة ٢ هجرية (الأعلام ٤ / ٣٥٩) .

٦ أبو سفيان صخر بن حرب بن أميّة (٥٧ ق – ٣١ هـ) : والد معاوية ، كان من رؤساء المشركين في محاربة الإسلام عند ظهوره ، حارب النبيّ صلوات الله عليه في بدر ، وأحد ، والخندق (الأعلام ٣ / ٢٨٨) ، وكان أشدّ النّاس عداوة لرسول الله ، وأعظمهم مخالفة له ، وأوّلهم في كلّ حرب ومناصبة ، لا ترفع على الإسلام راية إلاّ كان صاحبها ، وقائدها ، ورئيسها (الطبري ١٠ / ٥٧ و٥٨) وكانت طبيعته القبليّة الأرستقراطيّة ، طاغية على جميع تصرّفاته ، فقد عادى الإسلام والمسلمين ، لاقتناعه بأنّ الإسلام يضعف من شأن الأرستقراطيّة القرشية ، وقد صرّح بذلك على جثّة حمزة ، عمّ النبيّ ، لمّا وقف عليه قتيلاً ، في وقعة أحد ، فأخذ يضرب برمحه في شدق حمزة ، وهو يقول : ذق عقق (الأغاني ١٥ / ٢٠٠) ، يتّهمه بأنّه عقّ الأرستقراطيّة القرشية ، كما رؤي بعد ذلك ، في أيّام عثمان ، واقفاً على قبر حمزة ، يقول له : رحمك الله ، يا أبا عمارة ، لقد قاتلتنا على أمر صار إلينا (الإمتاع والمؤانسة ٢ / ٧٥) . ولمّا توفّي النبيّ ، واستخلف أبو بكر ، تحرّكت فيه أرستقراطيّته من جديد ، فجاء إلى عليّ ، فقال له : يا أبا الحسن ، ما بال الأمر في أضعف قريش ، وأقلّها ؟ لو شئتَ ، ملأتها عليهم خيلاً ورجالاً ، فقال له عليّ : يا أبا سفيان ، طالما عاديتَ الله ورسوله والمسلمين فما ضرّهم ذلك شيئاً ، قد رضينا لها أبا بكر (الأغاني ٦ / ٣٥٥) ، وأدّى بأبي سفيان حقده على الإسلام والمسلمين ، أن هجا النبيّ محمّداً (أدب الكتاب ١٥٤) ، وحقد على الأنصار ، لأنّهم

معيط[8] ، وغيرهم ، قتلَه ، وما كانوا يكاشفونه به ، من السبّ والتكذيب ، والاستهزاء والفدع[9] والتأنيب[10] ، ورميهم إيّاه بالجنون ، وقصدهم إيّاه غير دفعة بأنواع الأذى والعضيهة[11] والافتراء ، وحصرهم إيّاه صلّى الله عليه وسلّم ، وجميع بني هاشم في الشِّعب[12] ، وتخويفهم إيّاه ، وتدبيرهم أن يقتلوه ، حتى بَعُدَ ، وبيّت عليّاً عليه السلام ، على فراشه[13] ، ما يطول اقتصاصه ، ويكثر شرحه ، ثم أعقبه الله تعالى ، من ذلك ، بالنصر والتمكين ، وإعزاز الدين ، وإظهاره على كلّ دين ، وقمع الجاحدين والمشركين ، وقتل أولئك الكفرة المارقين والمعاندين ، وغيرهم من المكذّبين الكاذبين ، الذين كانوا عن الحق ناكثين ،

عاونوا في نشر الإسلام (الأغاني ٦ / ٣٥٨) وقد تبلور هذا الحقد في حفيده يزيد ، فذبح أهل المدينة ، المذبحة التاريخيّة (اليعقوبي ٢ / ٢٥٣) ، وتمثّل بأبيات من الشعر ، تدلّ على أنّه انتقم منهم لقتلهم المشركين في موقعة بدر (رسائل الجاحظ ١٩ - ٢٠) ، راجع بعض أخبار أبي سفيان في الطبري ٣ / ٥٤ - ٦٣ والأغاني ٦ / ٣٤٣ و ٣٥٤ - ٣٥٨ واليعقوبي ٢ / ٥٩ و ٢١٧ والإمتاع والمؤانسة ٣ / ٧٨ والبصائر والذخائر م٢ ق٢ ص ٧٠٢ .

٧ العاص بن وائل بن هاشم السهمي : أحد المستهزئين بالنبيّ صلوات الله عليه ، مات وثنيّاً كافراً ، (الاعلام ٤ / ١١) .

٨ أبو الوليد عقبة بن أبي معيط الأموي : كان عظيم العداوة للإسلام ، شديد الأذى للمسلمين ، أسر في وقعة بدر ، وقتل (الإعلام ٥ / ٣٦) .

٩ الفدع : الشدخ .

١٠ راجع الكامل لابن الأثير ٢ / ٧٠ - ٧٦ .

١١ العضيهة ، وجمعها عضائه : البهتان والكلام القبيح .

١٢ الشِعب : بكسر الشين ، ما انفرج بين الجبلين ، وقد كان من جملة الأذى الذي تعرض له رسول الله صلوات الله عليه لما صدع بدعوة الإسلام أن اتفقت قريش وكتبت صحيفة بمقاطعة بني هاشم فلا يعاملونهم في بيع ولا شراء ولا نكاح ، وعلّقوا الصحيفة في جوف الكعبة فانحاز بنو هاشم إلى شِعب أبي طالب ودخلوا فيه ، واستمرّت القطيعة ثلاث سنوات ، ثم تقدّم قوم من قريش فأبطلوا الصحيفة ، وخرج بنو هاشم من الشِعب . للتفصيل راجع الكامل لابن الأثير ٢ / ٨٧ - ٩٠ .

١٣ الطبري ٢ / ٣٧٢ والكامل لابن الأثير ٢ / ١٠٣ .

وبالدين مستَهزئين ، وللمؤمنين مناصبين متوعِّدين ، وللنبيّ صلّى الله عليه وسلّم مكاشفين محاربين ، وأذلّ من بقيَ منهم بعزّ الإسلام بعد أن عاذ بإظهاره ، وأضمر الكفر في إسراره ، فصار من المنافقين[14] الملعونين ، والحمد لله ربِّ العالمين .

١٤ المنافق في الدين : الذي أظهر الايمان بلسانه ، وستر كفره بقلبه ، من النفق : السرب في الأرض ، وسرب اليربوع يقال له : النافقاء ، له طرفان ، حتى إذا طلب من أحدهما ، خرج من الآخر ، وقد اشتقّ منه اسم المنافق ، لأنه دخل في الإسلام ، ثم خرج منه من غير الوجه الذي دخل فيه (المنجد ، لسان العرب) .

١٣

أخبار جاءت في آيات من القرآن

وهي تجري في هذا الباب وتنضاف إليه

حدّثنا علي بن أبي الطيّب بن مطرف ، قال : حدّثنا أحمد بن محمد بن الجرّاح[١] ، قال حدّثنا أبو بكر [عبد الله بن محمد القرشي المعروف با][٢] بن أبي الدّنيا ، قال : حدّثنا إبراهيم بن راشد[٣] ، قال : حدّثنا عبد الرحمن بن حمّاد الشعيثي[٤] ، قال : حدّثنا كهمس بن الحسن[٥] ، عن أبي السليل[٦] ، قال : قال أبو ذر[٧] : كان نبيّ الله صلّى الله عليه وسلّم ، يتلو هذه الآية : ﴿ومن يتّقِ اللهَ يجعل له مخرجاً ، ويرزقه من حيث لا يحتسب ، ومن يتوكّل على الله فهو

---

١ أبو بكر أحمد بن محمّد بن الفضل بن جعفر بن محمّد بن الجرّاح ، المعروف بالخزّاز : أديب ، ثقة ، فارس ، عالم ، كثير الكتب ، ظاهر الثروة ، توفّي سنة ٣٨١ (المنتظم ٧ / ١٦٥ ، معجم الأدباء ٢ / ٧٩ ، تاريخ بغداد للخطيب ٥ / ٨١ - ٨٢ ، نشوار المحاضرة ٤ / ١٦) .

٢ الزيادة من م.

٣ أبو إسحاق إبراهيم بن راشد بن سليمان الآدمي : ترجم لـه الخطيب في تاريخه ٦ / ٧٤ وقال إنّه توفّي سنة ٢٦٤ عن ثمانين سنة .

٤ أبو سلمة عبد الرحمن بن حمّاد الشعيثي البصري : ينسب إلى شعيث ، بطن من بلعنبر بن عمرو ابن تميم ، ترجم لـه السمعاني في الأنساب ٣٣٥ ، وذكره الذهبيّ في المشتبه ٢ / ٣٩٨ ، ورد اسمه في نسخة م : عبد الرحمن بن حامد الشعبي ، وهو تصحيف ، والصحيح ما أثبتناه .

٥ أبو الحسن كهمس بن الحسن التميمي البصري : ترجم لـه البستي في مشاهير علماء الأمصار ص ١٥٢ ، وقال إنّه توفّي سنة ١٤٩ .

٦ أبو السليل عبيد الله بن إياد بن لقيط : ذكره الذهبيّ في ميزان الاعتدال ٣ / ٣ وفي المشتبه ١ / ٣٦٧ .

٧ أبو ذر جندب بن جنادة بن سفيان بن عبيد الغفاري : من كبار الصحابة ، كان خامس من أسلم ، قال عنه النبيّ صلوات الله عليه : ما أقلّت الغبراء ، ولا أظلّت الخضراء ، أصدق لهجة من أبي ذرّ ، نفاه عثمان إلى الربذة ، وتوفّي بها سنة ٣٢ (الاعلام ٢ / ١٣٧ ، شذرات الذهب ١ / ٣٩) .

حسبه ، إنّ الله بالغ أمره ﴾[8] ، ثم يقول : يا أبا ذرّ ، لو أنّ النّاس كلّهم أخذوا بها لكفتهم[9] .

وحدّثنا علي بن الحسن[10] ، قال : حدّثنا ابن الجرّاح ، قال : حدّثنا ابن أبي الدنيا ، قال : حدّثنا إسحاق بن إسماعيل[11] ، قال : حدّثنا سفيان[12] ، عن مسعر[13] ، عن علي بن بذيمة[14] ، عن أبي عبيدة[15] ، قال : جاء رجلٌ إلى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، فقال [١١ ظ] إنّ بني فلان أغاروا عليّ ، فذهبوا بإبلي وابني ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : إنّ آل محمدٍ ، لكذا وكذا أهلّ[16] ، ما فيهم مُدّ[17] من طعام ، أو صاع[18] من طعام ، فسَلِ الله عزّ وجلّ .

---

٨ ٢ و٣ م الطلاق ٦٥ .

٩ ورد الخبر في مخطوطة (د) ص ١٣٤ .

١٠ في م : عليّ بن أبي الطيّب .

١١ أبو يعقوب إسحاق بن إسماعيل المعروف بالطالقاني ، ويعرف أيضاً باليتيم : ترجم له الخطيب في تاريخه ٦ / ٣٣٤ وقال : إنّه توفّي ببغداد سنة ٢٣٠ .

١٢ أبو محمّد سفيان بن عيينة بن أبي عمران الهلالي الكوفي (١٠٧ – ١٩٨) : ولد بالكوفة ، وقدم إلى بغداد ، وأقام بمكّة ، حافظ ، ثقة ، كبير القدر ، واسع العلم ، قال عنه الشافعي : لولا مالك وابن عيينة ، لذهب علم الحجاز (الاعلام ٣ / ١٥٩) .

١٣ أبو سلمة مسعر بن كدام بن ظهير الهلالي العامري : ذكره البستي في كتابه مشاهير علماء الأمصار ص ١٦٩ ، وقال : كان متقناً ، توفّي سنة ١٥٥ .

١٤ علي بن بذيمة : ذكره الذهبي في المشتبه ١ / ٥٥ ، وترجم له البستي في مشاهير علماء الأمصار ص ١٦٦ وقال : إنّه مولى جابر بن سمرة السوائي وكان يقيم بالكوفة مدّة ، وبالجزيرة زماناً ، توفّي سنة ١٣٣ .

١٥ أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجرّاح بن هلال الفهري القرشيّ (٤٠ ق – ١٨ هـ) : الأمير ، القائد ، فاتح الشام ، سمّاه النبيّ أمين هذه الأمّة (الاعلام ٤ / ٢١) .

١٦ أهلّ الشّهر : ظهر هلاله ، والشهر في الشرع : عبارة عمّا بين هلالين من الأيّام ، وإنّما سمّي الشهر شهراً لإشهاره بالهلال (مجمع البيان ٥ / ٥١٧ و ٥١٨) .

١٧ المدّ : رطل وثلث ، والرطل نصف المن ، والمن وزن ٢٥٧ درهماً وسبع الدرهم (مفاتيح العلوم للخوارزمي ١١) .

فرجع إلى امرأته ، فقالت : ما قال لك رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فأخبرهـا .

فقالت : نعمَ ما ردّك إليه .

فما لبث أن ردّ الله عليه إبله أوفر ما كانت ، فأتى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم فأخبره .

فصعد النبيّ صلّى الله عليه وسلّم المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، وأمر الناس بمسألة الله عزّ وجلّ ، والرجوع إليه ، والرغبة فيه ، وقرأ عليهم ﴿ ومن يتّق الله [٨ ر] يجعل له مخرجاً ، ويرزقه من حيثُ لا يحتسب ﴾[19] .

وحدّثني عليّ بنُ أبي الطيّب ، قال : حدّثنا ابن الجراح ، قال : حدّثنا ابن أبي الدّنيا ، قال : حدّثنا [أبو عبد الرحمن القَرشي][20] ، عن إسحاق بن سليمان[21] [١٣ غ] ، عن معاوية بن يحيي[22] ، عن يونس بن ميسرة[23] ، عن أبي إدريس الخولاني[24] ، عن أبي الدرداء[25] ، وسئل عن هذه الآية : ﴿ كلّ يوم هو في

---

١٨ الصاع : أربعة أمداد (عند أهل المدينة) وثمانية أرطال (عند أهل الكوفة) (مفاتيح العلوم ١١) .

١٩ ورد الخبر في مخطوطة (د) ص ١٣٤ و ١٣٥ ، ونقله صاحب حلّ العقال ص ٣ .

٢٠ الزيادة من مخطوطة (د) .

٢١ أبو يحيى إسحاق بن سليمان العبدي الكوفي المعروف بأبي إسحاق الرازي : ترجم لـه الخطيب في تاريخه ٦ / ٣٢٤ وقال عنه إنّه لقّب بالرازي ، لأنّه انتقل إلى الري ، وتوفّي بها سنة ٢٠٠ .

٢٢ أبو روح معاوية بن يحيي الصدفي الدمشقي : ترجم لـه الذهبي في ميزان الاعتدال ٤ / ١٣٨ .

٢٣ يونس بن ميسرة بن حلبس الدمشقي الزاهد : ترجم له صاحب الخلاصة ص ٣٧٩ و ٣٨٠ وذكر أنّه قتل سنة ١٣٢ بدمشق .

٢٤ أبو إدريس عـائذ بن عبدالله الخولاني (٨ — ٨٠) : تابعيّ ، فقيه ، عالم ، ولي قضاء دمشق لعبد الملك ابن مروان (الاعلام ٤ / ٤) .

٢٥ أبو الدرداء عويمر بن مالك بن قيس بن أميّة الخزرجي الأنصاري : صحابيّ ، حكيم ، فارس ، قاض ، اشتهر بالشجاعة والنسك ، قال عنه النبيّ صلوات الله عليه : عويمر حكيم أمّتي ، وقال عنه : نعم الفارس عويمر ، توفّي بدمشق سنة ٣٢ (الاعلام ٥ / ٢٨١) .

شأن ﴾[٢٦] ، قال : سُئل عنها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم [١٢ م] ، فقال : إنّ من شأنه أن يغفر ذنباً ، ويكشف كرباً ، ويرفع أقواماً ، ويضع آخرين[٢٧] .

أخبرني محمد بن الحسن بن المظفر الكاتب[٢٨] ، قال : أنبأنا محمد بن عبد الواحد[٢٩] ، أبو عمر ، قال :

حدّثنا بشر بن موسى الأسدي[٣٠] ، قال : حدّثنا أبو بكر الأسدي[٣١] ، قال : حدّثنا أبو حاتم الرازي[٣٢] ، قال : حدّثنا محمد بن عبد الكريم[٣٣] ، قال : سمعت سعيد بن عنبسة[٣٤] يقول : بينما رجل جالس وهو يعبث بالحصى ويحذف بها ، إذ رجعت حصاة منها فصارت في أذنه ، فجهد بكلّ حيلة ، فلم يقدر على إخراجها ، فبقيت الحصاة في أذنه دهراً تؤلمه ، فبينما هو ذات يوم جالس ، إذ سمع قارئاً يقرأ : ﴿ أم من يجيب المضطرّ إذا دعاه ويكشف السوء ... الآية ﴾ ،

---

٢٦ ٢٩ م الرحمن ٥٥ .

٢٧ ورد الخبر في مخطوطة (د) ص ١٣٣ .

٢٨ أبو علي محمّد بن الحسن بن المظفّر الكاتب ، المعروف بالحاتمي : بغدادي ، أديب ، نقّاد ، لـه مؤلفات في الأدب ، توفّي سنة ٣٨٨ (الأعلام ٦ / ٣١٢ والأنساب ١٤٩ والمنتظم ٧ / ٢٠٥) .

٢٩ أبو عمر محمّد بن عبد الواحد بن أبي هاشم ، غلام ثعلب ، الملقب بالزاهد : عالم ، زاهد ، ترجم لـه صاحب المنتظم ٦ / ٣٨٠ والخطيب في تاريخه ٢ / ٣٥٦ – ٣٥٩ وهو أحد أساتذة التنوخي ، راجع القصّة ٤ / ١٠٨ من نشوار المحاضرة .

٣٠ أبو علي بشر بن موسى بن صالح بن شيخ بن عميرة الأسدي (١٩٠ – ٢٨٨) : ترجم له الخطيب في تاريخه ٧ / ٨٦ .

٣١ أبو بكر محمّد بن عبدالله بن ابراهيم الأسدي ، المعروف بابن الأكفاني : والد القاضي أبي محمد الأسدي ، كان ثقةً نبيلاً ، ترجم له الخطيب في تاريخه ٥ / ٤٥٠ .

٣٢ أبو حاتم محمد بن إدريس بن المنذر بن داود الحنظليّ الرّازي (١٩٥ – ٢٧٧) : حافظ ، محدّث ، من أقران البخاري ومسلم ، توفّي ببغداد (الأعلام ٦ / ٢٥٠) .

٣٣ محمّد بن عبد الكريم المروزي : ذكره صاحب ميزان الاعتدال ٣ / ٦٣٠ .

٣٤ سعيد بن عنبسة : ذكره صاحب ميزان الاعتدال ٢ / ١٥٤ .

فقال الرجل : يا ربّ أنت المجيب ، وأنا المضطرّ ، فاكشف ضرّ ما أنا فيه ، فنزلت الحصاة من أذنه .

قال مؤلّف هذا الكتاب : وقد لقيت أنا أبا عمر محمد بن عبد الواحد المعروف بغلام ثعلب ، وبالزاهد ، وحملت عنه ، وأجاز لي جميع ما يصحّ عندي من رواياته ، ولم أسمع هذا الخبر منه ، إلاّ أنّه قد دخل في الإجازة .

حدّثنا علي بن أبي الطيّب ، قال : حدّثنا ابن الجرّاح ، قال : حدّثنا ابن أبي الدنيا ، قال : حدّثنا خالد بن خداش[35] ، قال : حدّثنا عبدالله بن زيد بن أسلم[36] ، عن أبيه [زيد[37] عن أبيه] أسلم[38] : أنّ أبا عُبيدة حصر ، فكتب إليه عمر : مهما نزل بامرئ من شدّة ، يجعل له الله بعدها فرجاً ، ولن يغلب عسرٌ يسرين ، فإنّه يقول : ﴿ اصبروا ، وصابروا ، ورابطوا ، واتّقوا الله لعلّكم تفلحون ﴾[39] .

حدثنا علي بن أبي الطيّب ، قال : حدّثنا ابن الجراح ، قال : حدّثنا ابن أبي الدنيا ، قال : حدّثنا الحسن بن علي[40] ، قال : حدّثنا أحمد بن صالح[41] ، قال :

---

٣٥ أبو الهيثم خالد بن خداش بن عجلان : مولى آل المهلّب ، بصريّ ، سكن بغداد ، وتوفّي بها سنة ٢٢٣ ، ترجم له الخطيب في تاريخه ٨ / ٣٠٤ .

٣٦ عبد الله بن زيد بن أسلم : ترجم له الذهبيّ في ميزان الاعتدال ٢ / ٤٢٥ .

٣٧ أبو أسامة زيد بن أسلم : مولى عمر بن الخطّاب ، من التابعين بالمدينة ، توفّي سنة ١٣٦ (مشاهير علماء الأمصار ٨٠) .

٣٨ أبو خالد أسلم : مولى عمر بن الخطّاب ، من التابعين بالمدينة توفّي سنة ١١٤ (مشاهير علماء الأمصار ٧٤) .

٣٩ ٢٠٠ م آل عمران ٣ ، ورد الخبر في مخطوطة (د) ص ١٣٧ .

٤٠ أبو علي الحسن بن علي بن شبيب المعمري : بغدادي ، من حفّاظ الحديث ، ترجم له الخطيب البغدادي ٧ / ٣٦٩ وقال : إنّه توفّي ببغداد سنة ٢٩٥ .

٤١ أبو جعفر أحمد بن صالح المقرئ (١٧٠ – ٢٤٨) : من المحدّثين الثّقاة ، طبري الأصل ، ورد بغداد ، ثم أقام بمصر ، وتوفّي بها ، ترجم له الخطيب البغدادي ٤ / ١٩٥ .

حدّثنا عبد الله بن وهب[42] ، قال : حدّثنا أبو صخر[43] : أنّ يزيد الرقاشي[44] حدّثه ، قال : سمعت أنس بن مالك[45] ، ولا أعلم إلاّ أنّ أنساً يرفع الحديث إلى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم : إنّ يونس عليه السلام ، حين بدا له أن يدعو الله عزّ وجلّ[46] بالظُلمات ، حين ناداه وهو في بطن الحوت ، فقال : اللّهم ، ﴿ لا إله إلّا أنتَ ، سبحانك إنّي كنت من الظالمين ﴾[47] ، فأقبلت الدعوة تحفّ بالعرش .

فقالت الملائكة : يا ربّ هذا صوت ضعيفٍ مكروبٍ ، من بلاد غربة .

فقال : أما تعرفون ذاك ؟

قالوا : ومن هو ؟

قال : ذاك عبدي يونس ، الذي لم يزل يرفع له عمل متقبّل ، ودعوة مجابة .

قالوا : يا ربّ ، أفلا ترحم ما كان يصنع في الرخاء ، فتنجيه من البلاء ؟

قال : بلى ، فأمر الحوت فطرحه بالعراء .

قال أبو صخر : فأخبرني أبو سعيد [بن بسيط][48] وأنا أحدّثه[49] بهذا

---

٤٢ أبو محمّد عبد الله بن وهب بن مسلم المصري (١٢٥ – ١٩٧) : ترجم له الذهبي في ميزان الاعتدال ٢ / ٥٢١ وقال عنه إنّه أحد الأثبات والأئمّة الأعلام .

٤٣ أبو صخر حميد بن زياد (وقيل صخر) الخرّاط المدني : ترجم لـه صاحب الميزان ١ / ٦١٢ – ٦١٣ والخلاصة ٨٠ .

٤٤ أبو عمرو يزيد بن أبان بن عبد الله البصريّ الرقاشي : يروي عن أنس بن مالك ، ترجم له صاحب اللباب ١ / ٤٧٢ وقال : إنّه كان قاصّاً من خيار عباد الله ، نسبته إلى رقاش إمرأة من قيس عيلان .

٤٥ أبو ثمامة أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم الأنصاري (١٠ ق – ٩٣ هـ) : صاحب رسول الله صلوات الله عليه ، وخادمه ، أسلم صغيراً ، وخدم النبيّ إلى أن قبض ، ثم رحل إلى دمشق ، ثم إلى البصرة ، وتوفّي بها (الأعلام ١ / ٣٦٦) .

٤٦ في غ : جلّ اسمه .

٤٧ ٨٧ ك الأنبياء ٢١ .

٤٨ الزيادة من غ وفي مخطوطة (د) ابن قسيط .

٤٩ في غ : وأنا أحدّث .

الحديث ، أنّه سمع أبا هريرة يقول : طرح بالعراء ، فأنبت الله عليه اليقطينة[50] .

قلنا : يا أبا هريرة ، وما اليقطينة ؟

قال : شجرة الدّباء[51] .

قال أبو هريرة : هيّأ الله تعالى له أروية[52] وحشيّة [١٤ غ] تأكل من حشيش الأرض، فتجيء ، فتفشج له[53] ، وترويه من لبنها كلّ عشيّة [١٢ ظ] وبكرة ، حتى نبت ، يعني لحمه[54] .

وقال أميّة بن أبي الصلت[55] ، قبل الإسلام ، في ذلك ، بيتاً من الشعر :

فأنبت يقطيناً عليه برحمة ... من الله ، لولا الله ألفي ضاحيا[56]

حدّثنا عليّ بن الحسن ، قال : حدّثني ابن الجراح ، قال : حدّثنا ابن أبي الدّنيا ، قال : حدّثنا يوسف بن موسى[57] ، قال : حدّثنا عبيد الله بن موسى[58] عن

---

٥٠ اليقطين : واحدته يقطينة ، كل ما لا ساق له من النّبات ، كالقثّاء ، ثم غلب على القرع المستطيل ، وهو ما يسمّى في بغداد بالشِجَر (بكسر الشين وفتح الجيم) وهو في لبنان على نوعين ، يسمّى الأوّل : الكوسة ، والثاني : القرع .

٥١ الدباء ، واحدته دباءة : القرع .

٥٢ الأروية : الأنثى من الوعول ، للتفصيل راجع معجم الحيوان لمعلوف ١٧٩ .

٥٣ فشج البعير : باعد ما بين رجليه ليبول .

٥٤ في م : نبت شعره .

٥٥ أميّة بن أبي الصّلت عبد الله بن أبي ربيعة بن عوف الثقفي : شاعر جاهليّ حكيم ، أدرك الإسلام ولم يسلم ، توفّي سنة ٥ هـ (الأعلام ١ / ٣٦٤) .

٥٦ ورد الخبر في مخطوطة (د) ص ١٣٧ و ١٣٨ .

٥٧ أبو يعقوب يوسف بن موسى بن راشد القطّان الكوفي : أصله من الأهواز ، ومتجره بالريّ ، وأقام ببغداد وحدّث بها ، توفّي سنة ٢٥٣ ، ترجم له الخطيب في تاريخ بغداد ١٤ / ٣٠٤ والخلاصة ٣٧٨ .

٥٨ عبيد الله بن موسى العبسي الكوفي : ذكره صاحب ميزان الاعتدال ٣ / ١٦ وقال عنه : إنّه شيخ البخاري ، وإنّه ثقة ، ذو زهد ، وعبادة ، وإتقان ، وإنّه توفّي سنة ٢١٣ .

إسرائيل[٥٩] عن أبي إسحاق[٦٠] ، عن عمرو بن ميمون[٦١] ، قال : حدّثنا عبدالله ابن مسعود[٦٢] في بيت المال[٦٣] ، قال : لما ابتلع الحوت يونس عليه السلام ، أهوى به إلى قرار الأرض ، فسمع يونس تسبيح الحصى في الظلمات ، ظلمات ثلاث ، بطن الحوت ، وظلمات الليل ، وظلمة البحر ، فنادى في الظلمات ﴿ أن لا إله إلاّ أنت ، سبحانك إنّي كنت من الظالمين ﴾ ﴿ فنبذناه بالعراء وهو سقيم ﴾ ، قال : كهيأة الفرخ الممعوط[٦٤] ، الذي ليس له ريش[٦٥] .

---

٥٩ أبو يوسف إسرائيل بن يونس بن أبي إسحاق السبيعي : ترجم لـه الخطيب في تاريخه ٧ / ٢٠ وقال : إنّه توفّي سنة ١٦٢ ، راجع الخلاصة ٢٧ .

٦٠ أبو إسحاق عمرو بن عبيد الله السبيعي : ذكره صاحب ميزان الاعتدال ٣ / ٢٧٠ وقال عنه : إنّه من أئمّة التابعين بالكوفة .

٦١ أبو عبد الله عمرو بن ميمون الجزري : ترجم له الخطيب في تاريخه ١٢ / ١٨٨ وقال إنّه توفّي سنة ١٤٥ ، راجع الخلاصة ٢٤٩ .

٦٢ أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذليّ : صحابي جليل ، من السابقين إلى الإسلام ، كان خادم النبيّ صلوات الله عليه ، وصاحب سرّه ، ورفيقه في غزواته ، توفّي سنة ٣٢ (الأعلام ٤ / ٢٨٠) .

٦٣ ولي عبد الله بن مسعود ، بعد وفاة النبيّ ، بيت مال الكوفة .

٦٤ الممعوط : الذي سقط شعره ، وعامّة بغداد يكنّون عمن أوغل في الشرّ والحيلة بقولهم (ذيب أمعط) .

٦٥ في غ : ليس عليه ريش ، ورد الخبر في مخطوطة (د) ص ١٣٩ .

١٤

أبو الحسن بن أبي اللّيث الكاتب يطلق من حبسه على إثر دعاءٍ دعا به

حدّثني فتى من الكتّاب البغداديّين ، يعرف [١٣ م] بأبي الحسن بن أبي اللّيث[١] ، وكان أبوه من كتّاب الجيل[٢] ، يتصرّف مع لشكرورز بن سهلان الديلميّ[٣] ، أحد الأمراء - كان - في عسكر معزّ الدولة[٤] ، قال :

---

١ أبو الحسن محمد بن أحمد الكاتب البغدادي ، ابن أبي الليث الهمذاني : روى عنه القاضي التنوخي ، في الجزء الثالث من كتابه نشوار المحاضرة أبياتاً من شعره (القصّة ٣ / ٤٦ نشوار المحاضرة) ، وروى عنه كذلك أبياتاً قرأها على القصر الأحمدي بسامراء (القصّة ٣ / ١٧٠ نشوار المحاضرة) ونقل عنه أيضاً قصّتين ، إحداهما عن عقيلي سلّ فرساً ، والثانية عن دكين البدوي ، من النمر بن قاسط ، سلّ فرس معزّ الدولة من أقرب المواضع إلى موضع مبيته (القصّة ٣ / ١٦٨ و ١٦٩ من نشوار المحاضرة) ، ترجم له صاحب الوافي بالوفيات ٢ / ٤٩ .

٢ الجيل : قوم من الفرس من أهالي جيلان ، وهي منطقة كبيرة تشتمل على بلاد كثيرة من وراء بلاد طبرستان (معجم البلدان ٢ / ١٧٩) .

٣ أبو منصور لشكرورز بن سهلان : من قوّاد معزّ الدّولة ، وكان محلّ ثقته ، بعث به في السنة ٣٣٥ إلى الأهواز مع عامل خراج ، واشترك في السنة ٣٤١ في الدفاع عن البصرة ضد هجمات يوسف بن وجيه صاحب عمان ، وفي السنة ٣٤٨ تزوّج بختيار بن معزّ الدّولة بابنته ، ومات لشكرورز في السنة ٣٤٨ (تجارب الأمم ٢ / ١٤٤ ، ١٦٣ ، ١٧٦) .

٤ الأمير معزّ الدولة أبو الحسين أحمد بن بويه ، صاحب العراق : أصغر الإخوة الثلاثة أولاد بويه الذين حكموا الدّنيا ، الأكبر عماد الدّولة أبو الحسن علي ، والثاني ركن الدّولة أبو علي الحسن ، وهو الثالث ، لقّبهم بذلك المستكفي بالله ، وكانوا فقراء ببلدهم الديلم ، وكان معزّ الدّولة يحتطب ويحمل الحطب على رأسه ، ثم خدموا مرداويج بن زيار الدّيلمي ، وتقلّبت بهم الأحوال ، فملكوا الدّنيا ، وكان العراق من حصّة معزّ الدّولة ، ورده في السنة ٣٣٤ ولقي المستكفي ، فمنحه وأخويه ألقابهم ، ثم عزل المستكفي ونصب المطيع ، ومرض معزّ الدّولة ببغداد ، فعهد إلى ابنه عزّ الدّولة أبي منصور بختيار ،←

قرأت في بعض الكتب ، إذا دهمك أمر تخافه ، فبت وأنت طاهر ، على فراش طاهر ، وثياب كلّها طاهرة ، واقرأ : ﴿ والشمس وضحاها ﴾ [5] ، إلى آخر السورة ، سبعاً ، و ﴿ والليل إذا يغشى ﴾ [6] [إلى آخر السورة] [7] ، سبعاً ، ثم قل : اللهمّ اجعل لي فرجاً ومخرجاً من أمري ، فإنّه يأتيك في الليلة [الأوّلة] [7] أو الثانية ، وإلى السابعة ، آتٍ في منامك ، يقول لك : المخرج منه كذا وكذا .

قال : فحبست بعد هذا بسنين ، حبسة طالت حتى أيست من الفرج ، فذكرته يوماً وأنا في الحبس ، ففعلت ذلك ، فلم أر في [٩ ر] الليلة الأوّلة ، ولا الثانية ، ولا الثالثة شيئاً ، فلما كان في الليلة الرابعة ، فعلت ذلك على الرسم ، فرأيت في منامي ، كأنّ رجلاً يقول لي : خلاصك على يد علي بن إبراهيم .

فأصبحت من غدٍ متعجّباً ، ولم أكن أعرف رجلاً يقال له علي بن إبراهيم ، فلما كان بعد يومين ، دخل إليّ شاب لا أعرفه ، فقال لي : قد كفلت بما عليك ، فقم ، وإذا معه رسول إلى السجّان بتسليمي إليه ، فقمت معه ، فحملني إلى منزلي ، وسلّمني فيه ، وانصرف .

فقلت لهم : من هذا ؟

فقالوا : رجل بزّاز من أهل الأهواز ، يقال له علي بن إبراهيم ، يكون

وتوفّي سنة ٣٥٦ وعمره ٥٣ سنة ، وكانت إمارته ٢٢ سنة (المنتظم ٧ / ٣٨) وكان معزّ الدّولة حديداً جداً ، وهو مع ذلك سليم الباطن (نشوار المحاضرة القصّة ١ / ٤٧ و١ / ٧٠) وكان إذا حمي جدًّا ، قتل ، ثم ندم وبكى (نشوار المحاضرة القصّة ١ / ٧١) راجع أخبار معزّ الدّولة في نشوار المحاضرة ، القصص ١ / ٢٨ و٤٧ و٧٠ و٧١ و١٦٩ و١٨٤ و١٨٥ و١٨٦ و١٨٩ و٢ / ٦٢ و٣ / ٣٩ ، ٥٧ ، ٦١ ، ١٤١ ، ١٦٩ و٤ / ٢٣ و٦٧ و٨٩ و١٠٤ و١٠٥ و٧ / ٩٤ ، ٩٥ و٨ / ٩٣) .

٥ سورة الشّمس ك ٩١ .

٦ سورة الليل ك ٩٢ .

٧ الزيادة من غ .

في الكرخ ، قيل لنا إنّه صديق الذي حبسك ، فطرحنا أنفسنا عليه ، فتوسّط أمرك ، وضمن ما عليك ، وأخرجك .

قال مؤلّف هذا الكتاب : فلما كان بعد سنين ، جاءني علي بن إبراهيم هذا ، وهو معاملي في البزّ ، منذ سنين كثيرة ، فذاكرته بالحديث ، فقال : نعم ، كان هذا الفتى قد حبسه عبدوس بن أخت أبي علي الحسن بن إبراهيم النصرانيّ ، خازن معزّ الدولة[8] ، وطالبه بخمسة [١٥ غ] الآف درهم ، كانت عليه من ضمانه[9] ، وكان عبدوس لي صديقاً ، فجاءني من سألني خطابه في أمر هذا الرجل ، وجرى الأمر على ما عرّفتك .

---

٨ أبو علي الحسن بن إبراهيم الشيرازي النّصراني : كان خازن معزّ الدّولة البويهيّ ، وكاتم أسراره في السنة ٣٣٨ (تجارب الأمم ٢ / ١٢١) ، وإليه أسرّ معزّ الدّولة ، لمّا اختار المهلّبي للوزارة ، فمشى إلى المهلّبي ، وقبّل يده ، وخاطبه بالأستاذية (معجم الأدباء ٣ / ١٨٦) ، وكان يعنى كثيراً بأمر الابزاعجي صاحب شرطة بغداد (ورد ذكر الابزاعجي في نشوار المحاضرة ٣ / ١٤١ و ١٤٢) وكان الابزاعجي منقطعاً إليه (تجارب الأمم ٢ / ١٥٧) ، وفي السنة ٣٥٠ لما احتاج معزّ الدّولة إلى نفقة لبناء داره ، صادر المهلّبي الحاشية ، ومنهم أبو علي النّصراني ، فأظهر فقراً وحاجة ، واقترض من جميع الناس ، ولسعته دابّة وهو في الحبس ، فمات ، فأثار المهلّبي من تركته ما يزيد على مائتي ألف دينار (تجارب الأمم ٢ / ١٨٦ – ١٨٨ ومعجم الأدباء ٣ / ١٨٧) .

٩ في غ : من ضمان ضمنه عنه .

١٥

اللّهم اجعل لي من أمري فرجاً ومخرجاً

وما أعجب هذا الخبر ، فإنّي قد وجدته في عدّة كتب ، بأسانيد ، وبغير أسانيد ، على اختلاف الألفاظ ، والمعنى قريب[١] ، وأنا أذكر أصحّها عندي : وجدتُ في كتاب محمد بن جرير الطبري[٢] ، الذي سماه : « كتاب الآداب الحميدة ، والأخلاق النفيسة » ، حدّثني محمد بن عمارة الأسدي ، قال : حدّثنا عبدالله بن يزيد ، قال : أنبأنا أنيس بن عمران النافعي أبو يزيد ، عن روح ابن الحارث بن حبش الصنعاني ، عن أبيه ، عن جدّه ، أنّه قال لبنيه : يا بنيّ ، إذا دهمكم أمر ، أو كربكم ، فلا يبيتنّ أحد منكم ، إلاّ وهو طاهر ، على فراش طاهر ، في لحاف طاهر ، ولا تبيتنّ معه امرأة ، ثم ليقرأ والشمس وضحاها ، سبعاً ، والليل إذا يغشى ، سبعاً ، ثم ليقل : أللهمّ اجعل لي من أمري فرجاً ومخرجاً ، فإنّه يأتيه آت في أوّل ليلة ، أو في الثالثة ، أو في الخامسة ، وأظنّه قال : أو في السابعة ، فيقول له : المخرج مما أنت فيه كذا وكذا .

قال أنيس : فأصابني وجع لم أدر كيف أزيله ، ففعلت أوّل ليلة [١٣ ظ] هكذا ، فأتاني اثنان[٣] فجلس أحدهما عند رأسي ، والآخر عند رجلي ، ثم قال أحدهما لصاحبه : جسّه ، فلمس جسدي كلّه ، فلما انتهى إلى موضع من رأسي ،

---

١ في م : والمعنى متقارب .

٢ الإمام أبو جعفر محمّد بن جرير الطّبري ، صاحب التّفسير والتّاريخ : ولد بآمل في طبرستان سنة ٢٢٤ ، واستوطن بغداد ، وتوفّي بها سنة ٣١٠ ، عرض عليه القضاء فامتنع ، والمظالم فأبى ، له التفسير المشهور جامع البيان في تفسير القرآن في ٣٠ جزءاً ، والتاريخ المشهور أخبار الرسل والملوك ويعرف بتاريخ الطبري في ١١ جزءاً ، وعدّة تآليف أُخرى (الاعلام ٦ / ٢٩٤) .

٣ في م : فأتاني آتيان .

قال : احجم ها هنا ، ولا تحلق ، ولكن اطله بغرا[4] ، ثم التفت إليّ أحدهما ، أو كلاهما ، فقالا لي : كيف [١٤ م] لو ضممت إليهما ﴿ والتين والزيتون ﴾[5] .

قال : فلما أصبحت سألت أيّ شيء الغرا ؟ ، فقيل لي : الخطمي[6] ، أو شيء تستمسك به المحجمة ، فاحتجمت ، فبرئت ، وأنا ليس أحدّث بهذا الحديث أحداً ، إلاّ وجد فيه الشفاء بإذن الله تعالى ، [وأضم إليها التين والزيتون][7] .

---

٤ الغرا والغراء : مادّة لاصقة ، ما زال هذا اسمها في بغداد .

٥ سورة التين ك ٩٥ .

٦ الخطميّ : نبات من فصيلة الخبّازيات ، يعيش في المواضع الرّطبة .

٧ الزيادة من م .

١٦
من يتوكّل على الله فهو حسبه

ووجدت في كتاب أبي الفرج المخزومي عبد الواحد بن نصر[١] ، عن أبي القاسم عبد الرحمن بن العباس ، قال : حدّثني أبو ساعدة [بن أبي] الوليد بن أحمد [بن] أبي دؤاد ، قال : حدّثني أبي[٢] ، قال : .

حدّثنا إبراهيم بن رباح[٣] ، قال : حدّثنا أبو عبدالله أحمد بن أبي دؤاد ، قال : حدّثنا الواثق ، قال : حدّثنا المعتصم :

---

١ أبو الفرج عبد الواحد بن نصر بن محمّد المخزومي الشاعر : ذكره الثّعالبي في اليتيمة ١ / ٢٥٣ ، وبالغ في الثناء عليه ، وكان قد خدم سيف الدّولة أبا الحسن علي بن حمدان أمير حلب مدّة ، وبعد وفاته تنقّل في البلاد ، وقال عنه الأمير أبو الفضل الميكالي : إنّه شاهده ببغداد سنة ٣٩٠ شيخاً عالي السنّ ، متطاول الأمد ، قد أخذت الأيام من جسده وقوّته ، ولم تأخذ من ظرفه وأدبه ، لقّب بالببغاء لفصاحته ، وقيل للثغة كانت في لسانه ، توفّي سنة ٣٩٨ ، وحدث أن زار مغاني الأمير سيف الدّولة بعد وفاته ، فنظم بيتين من أبدع ما سمعت في باب التفجّع ، وهما :

عجباً لي وقد مررت بأبياتك كيف اهتديت سبل الطريق
أتراني نسيت عهدك فيها صدقوا ! ما لميّت من صديق

٢ أبو الوليد محمّد بن قاضي القضاة أحمد بن أبي دؤاد الإيادي : كان يخلف أباه على قضاء القضاة في أيّام المعتصم (تاريخ بغداد للخطيب ١٠ / ٣١٨ و ٣١٩) وولي المظالم للمتوكّل ، فلمّا سخط المتوكّل على والده أحمد بن أبي دؤاد عزله عن المظالم ، وولاّها محمد بن يعقوب المعروف بأبي الربيع ، وحبس محمّد وإخوته ، وصادر أموالهم ، وأجبرهم على بيع ضياعهم ، ثم أمر بهم فأحدروا إلى بغداد ، وتوفّي محمّد في السنة ٢٣٩ ببغداد ، وتوفّي أبوه أحمد ، بعده بعشرين يوماً (الطبريّ ٩ / ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٦ ، ١٩٧) .

٣ إبراهيم بن رباح بن شبيب الجوهري الكاتب : كان على ديوان الضياع في أيّام الواثق ، وحبسه الواثق في السنة ٢٢٩ فيمن حبس من كتّابه وأخذ منه ومن كتّابه مائة ألف دينار ، (أنظر أخباره في الطبريّ ٧ / ٥٢٤ و ٩ / ١٢٥ ، ١٢٨ ، ٢١٤ وابن الأثير ٧ / ١٠) .

أنّ قوماً ركبوا البحر ، فسمعوا هاتفاً يهتف بهم ، من يعطيني عشرة آلاف دينار حتى أعلّمه كلمة ، إذا أصابه غمّ ، أو أشرف على هلاك ، فقالها ، انكشف ذلك عنه .

فقام رجل من أهل المركب[4] ، معه عشرة آلاف دينار ، فصاح : أيّها الهاتف أنا أعطيك عشرة آلاف دينار ، وعلّمني .

فقال : ارم بالمال في البحر ، فرمى به ، وهو بدرتان فيهما عشرة آلاف دينار .

فسمع الهاتف يقول : إذا أصابك غمّ ، أو أشرفت على هلكة ، فاقرأ : ﴿ ومن يتّق الله ، يجعل له مخرجاً ، ويرزقه من حيث لا يحتسب ، ومن يتوكّل على الله فهو حسبه ، إنّ الله بالغ أمره ، قد جعل الله لكلّ شيء قدراً ﴾[5] .

فقال جميع من في المركب للرجل : لقد ضيّعت مالك .

فقال : كلاّ ، إنّ هذه لعظة ما أشكّ في نفعها .

قال : فلمّا كان بعد أيّام [١٠ ر] ، كسر بهم المركب ، فلم ينج منهم أحدٌ غير ذلك الرجل ، فإنّه وقع على لوح .

فحدّث بعد ذلك ، قال : طرحني البحر على جزيرة ، فصعدت أمشي فيها ، فإذا بقصر منيف ، فدخلته ، فإذا فيه كلّ ما يكون في البحر من الجواهر وغيرها ، وإذا بامرأة لم أر قطّ أحسن منها .

فقلت لها : من أنت وأيّ شيء تعملين ها هنا ؟

قالت : أنا بنت فلان [١٦ غ] بن فلان التاجر بالبصرة ، وكان أبي عظيم التجارة ، وكان لا يصبر عنّي ، فسافر بي معه في البحر ، فانكسر مركبنا ، فاختطفت ، حتّى حصلت في هذه الجزيرة ، فخرج إليّ شيطان من البحر ، يتلاعب بي سبعة أيّام ، من غير أن يطأني ، إلاّ أنّه يلامسني ، ويؤذيني ، ويتلاعب بي ،

---

٤ المركب : واحد المراكب البحريّة والبرّية ، وفي بغداد تعني الكلمة : المركب البحري أي السفينة .

٥ ٢ و٣ م الطلاق ٦٥ .

ثم ينظر إليّ ، ثم ينزل إلى البحر سبعة أيّام ، وهذا يوم موافاته ، فاتّق الله في نفسك ، واخرج قبل موافاته ، وإلاّ أتى عليك .

فما انقضى كلامها حتى رأيت ظلمة هائلة ، فقالت : قد والله جاء ، وسيهلكك .

فلما قرب منّي ، وكاد يغشاني ، قرأت الآية ، فإذا هو قد خرّ كقطعة جبل ، إلاّ أنّه رماد محترق .

فقالت المرأة : هلك والله ، وكفيت أمره ، من أنت يا هذا الذي منّ الله عليّ بك ؟

فقمت أنا وهي ، فانتخبنا ذلك الجوهر ، حتى حملنا كلّ ما فيه من نفيس وفاخر ، ولزمنا الساحل نهارنا أجمع ، فإذا كان الليل ، رجعنا إلى القصر .

قال : وكان فيه ما يؤكل ، فقلت لها : من أين لك هذا ؟

فقالت : وجدته ها هنا .

فلما كان بعد أيّام رأينا مركباً بعيداً ، فلوّحنا إليه ، فدخل ، فحملنا ، فسلّمنا الله تعالى إلى البصرة ، فوصفت لي منزل أهلها ، فأتيتهم .

فقالوا : من هذا ؟

فقلت : رسول فلانة بنت فلان .

فارتفعت الواعية ، وقالوا : يا هذا لقد جدّدت علينا مصابنا .

فقلت : اخرجوا ، فخرجوا .

فأخذتهم حتى جئت بهم إلى ابنتهم ، فكادوا يموتون فرحاً ، وسألوها عن خبرها ، فقصّته عليهم .

وسألتهم أن يزوّجوني بها ، ففعلوا ، وحصّلنا[٦] ذلك الجوهر رأس مال بيني وبينها . وأنا اليوم أيسر أهل البصرة ، وهؤلاء أولادي منها .

---

٦ في غ : وجعلنا .

١٧

المعلّى بن أيّوب الكاتب يتخلّص من الفضل ابن مروان بدعاءٍ دعا به

وذكر أبو عبدالله محمد بن عبدوس الجهشياري[١] ، في كتابه ، كتاب الوزراء ، أنّ [١٥ م] المعلّى بن عبدالله بن المعلّى [١٤ ظ] بن أيّوب ، حدّثه عن أبيه ، قال : قال لي المعلّى بن أيّوب[٢] :

أعنتني[٣] الفضل بن مروان[٤] ، ونحن في بعض الأسفار وطالبني بعمل طويل

---

١ أبو عبد الله محمّد بن عبدوس بن عبدالله الجهشياري الكوفي : ترجمته في حاشية القصّة ١١٦ من هذا الكتاب .

٢ المعلّى بن أيّوب : من كتاب الدّولة العبّاسية ، وهو ابن خالة الفضل بن سهل وزير المأمون (إعتاب الكتّاب ١٠٩) وكان على ديوان الإعطاء (الجيش) في أيّام المأمون (تجارب الأمم ٦ / ٤٦٩) ، ثم صاحب الوزير محمّد بن عبد الملك الزيّات (البصائر والذخائر م ٢ ق ١ ص ٣) ثم خدم المتوكّل (البصائر والذخائر م ٢ ق ١ ص ٣١) وخدم من بعده من الخلفاء (الملح والنوادر ١٦٩) ، توفّي في السنة ٢٥٥ (الطبري ٩ / ٣٨٧ وابن الأثير ٧ / ٢١٥) ، راجع في الإمتاع والمؤانسة ٣ / ٢٠١ حديثاً جرى بينه وبين ثمامة بن أشرس مستشار المأمون . وفي العقد الفريد ٤ / ٢١٦ انّ المأمون وقّع له في يوم عاشوراء بخمسمائة ألف درهم ، وفيه يقول أبو علي البصير الشاعر : [معجم الأدباء ١ / ١٥٤]

لعمر أبيك ما نسب المعلّى ... إلى كرم وفي الدّنيا كريم
ولكنّ البلاد إذا اقشعرّت ... وصوّح نبتها رعي الهشيم

٣ كذا ورد في م ، وفي ظ : اعتقلني .

٤ الفضل بن مروان بن ماسرجس (١٧٠ – ٢٥٠) : وزير المعتصم ، كان حسن المعرفة بخدمة الخلفاء ، جيّد الإنشاء ، استوزره المعتصم ثلاث سنوات ثم اعتقله ، وأطلقه ، وخدم بعده عدّة خلفاء (الأعلام ٥ / ٣٥٨) راجع القصص ١ / ٦٨ و٨ / ١٣ و١٤ و١٥ و١٦ و٨٤ من نشوار المحاضرة ، وراجع كتاب المفوات النادرة ص ١٩٦ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٩ ، ٢٦٤ .

[يعمل][5] في مدّة بعيدة ، واقتضانيه في كلّ يوم مراراً ، إلى أن أمرني عن المعتصم بالله[6] أن لا أبرح إلاّ بعد الفراغ منه .

فقعدت في ثيابي ، وجاء الليل ، فجعلت بين يديّ نفّاطة[7] ، وطرح غلماني

---

٥ الزيادة من م وغ .

٦ أبو إسحاق محمّد المعتصم بن أبي جعفر هارون الرّشيد (١٧٩ – ٢٢٧) : الخليفة العبّاسي الثامن ، بويع بالخلافة سنة ٢١٨ على أثر وفاة أخيه المأمون ، وبنى مدينة سر من رأى (سامراء) سنة ٢٢١ ، وفتح عمّورية سنة ٢٢٣ ، وهو أوّل من تلقّب بلقب مضاف إلى اسم الله تعالى (الأعلام ٧ / ٣٥١) ، ولم يعدّ المعتصم ليكون خليفة ، ولمّا نصب الرّشيد ثلاثة من أولاده لولاية عهده ، لم يكن المعتصم من بينهم ، وكان أبوه يتساهل في تعليمه ، حتّى إنّه سأله مرّة عن مملوك له كان لا يفارقه ، فقال : لقد مات واستراح من الكتّاب ، فأهمل أمر تأديبه ، ووجّهه إلى البادية فعاد فصيحاً (العقد الفريد ٢ / ٤٤٠) واهتمّ بالصّيد والرياضة ، ونشأ فارساً محارباً ، وكان وهو خليفة يقرّ بنقص معرفته ، وقد سأل وزيره مرّة ، فلم يتلقّ جواباً مرضياً ، فصاح به : خليفة أمّيّ ، ووزير عاميّ (شذرات الذهب ٢ / ٧٨) . وقد اتّبع لما استخلف ، وصية أخيه المأمون في سياسة الدّولة ، فسارت أموره سيراً مرضيًّا ، إذ اعتمد على رجال ثقاة أوصاه أخوه بالاعتماد عليهم ، غير أنّه استكثر من المماليك الأتراك ، فكان ذلك من أسباب خراب المملكة من بعده .

٧ النّفط : دهن معدنيّ سريع الاحتراق ، توقد به النّار ، ويُتداوى به (المنجد) ، وكان النّفط فيما مضى دواء تطلى به الإبل للجرب والدبر والقردان (لسان العرب) ، وتحدّث عنه ابن سينا ، في القانون ١ / ٣٧٧ وابن البيطار في الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ٤ / ١٨٢ وذكرا فائدته في مداواة أوجاع الوركين ، والمفاصل ، وآلام الأذن ، وبياض العين ، ومائها ، والربو والسعال ، ولسع الحشرات ، والنفّاطة : سراج النّفط ، يستضاء به ، واسمه اليوم ببغداد : نفطيّة ، والنفّاطة أيضاً : أداة من النحاس ، يرمى فيها بالنّفط والنّار ، استعملها الرّشيد في حربه مع الروم ، لمّا فتح هِرَقْلة ، فقال الشاعر المكّي (معجم البلدان ٤ / ٩٦١) :

هوت هِرَقْلَةُ لمّا أن رأت عجباً ... حوائماً ترتمي بالنّفط والنّار
كأنّ نيراننا في جنب قلعتهم ... مصبّغات على أرسان قصّار

والنفّاطة أيضاً : الموضع الذي يستخرج منه النّفط (لسان العرب) ، وكتب عبد الصمد بن المعذّل ، إلى صديق له ، ولي النفّاطات ، فأظهر تيهاً ، (المحاسن والمساوئ ١ / ١٣٠) :

لعمري لقد أظهرت تيهاً كأنّما ... تولّيت للفضل بن مروان منبرا

أنفسهم حولي ، وورد عليّ همٌّ عظيم ، لأنّني قلت : ما تجاسر على أن يوكّل بي إلاّ وقد وقف على سوء رأي فيّ من المعتصم .

فإنّي لجالس ، وذقني على يدي ، وقد مضى الليل ، وأنا متفكّر ، فحملتني عيناي ، فرأيت كأنّ شخصاً قد مثل بين يديّ ، وهو يقول : ﴿ قل من ينجيكم من ظلمات البرّ والبحر ، تدعونه تضرعاً وخفيةً ، لئن أنجيتنا من هذه ، لنكوننّ من الشاكرين ، قل الله ينجيكم منها ومن كلّ كرب ﴾[8] .

ثم انتبهت ، فإذا أنا بمشعل[9] قد أقبل من بعيد ، فلما قرب منّي كان وراءه [محمد بن] حماد دنقش[10] صاحب الحرس ، وقد أنكر نفّاطتي ، فجاء يعرف

وما كنت أخشى لو وليت مكانه ... عليّ أبا العبّاس أن تتغيّرا
دع الكبر واستبق التواضع إنّه ... قبيح بوالي النّفط أن يتكبّرا
لحفظ عيون النّفط أظهرت نخوة ... فكيف به لو كان مسكاً وعنبرا

٨ ٦٤ ك الأنعام ٦ .

٩ المشعل ، وجمعه مشاعل : ما يشعل من الحطب فيستضاء به ، ويحمل بالأيدي ، والبغداديّون يطلقون كلمة (المشعل) على أداة تشتمل على لفّة من الحيش تسمّى : كبيرة ، وجمعها كباير ، توضع على رأس عمود ثم يصب عليها النّفط وتشعل ، وتختلف قوّة إضاءة المشعل باختلاف عدد رؤوسه ، وقد شاهدت في بغداد مشاعل للواحد منها أكثر من عشرة رؤوس ، يحملها شخص واحد ، وفي بغداد يسمّون الصّبي : مشعل ، ويصفون الجميل الوّجه بأنّه مشعل ، ومن الأغنيات القديمة في بغداد ، أغنية قيلت في حمد الحمود شيخ الخزاعل (أمير خزاعة) الذي حارب الحكومة العثمانية ، ثم اصطلحا ، فقدم بغداد مع حاشيته ، وكان شاباً ما نبت عذاره ، فأعجب به البغداديّون ، ونظموا فيه أغنية تقول :

حمد الحمود ... شيخ الخزاعل
خدودك اللالات ... ربعك مشاعل

اللالات : جمع لالة : أي المصباح الساطع النور ، والربع : بفتح الراء ، الأصحاب والجماعة ، فصيحة .

١٠ محمّد بن حماد دنقش : كان أبوه حمّاد الملقب دنقش مولى المنصور ، وصاحب حرسه (تاريخ

سببها ، فأخبرته خبري .

فمضى إلى المعتصم ، فأخبره ، فإذا الرسل يطلبوني[11] ، فدخلت إليه ، وهو قاعد ، ولم يبق [بين يديه][12] من الشمع إلاّ أسفله .

فقال لي : ما خبرك ؟ فشرحته له .

فقال : ويلي على النبطيّ ، يمتهنك ، وأيّ يدٍ له عليك ، أنت كاتبي ، كما هو كاتبي ، انصرف .

فلما ولّيت ، ردّني ، واستدناني ، ثم قال لي : تمضي مديدة ، ثم ترى فيه ما تحبّ .

قال : فانصرفت ، وبكّرت إلى الفضل على عادتي ، لم أنكر شيئاً .

بغداد للخطيب ١٠ / ٤٦٢) ، أمّا محمّد بن حمّاد فقد حجب الرشيد والمعتصم (اليعقوبي ٢ / ٤٧٨) وترسّل له (الطبريّ ٩ / ١٠٦) وله قصّة لطيفة مع الوزير محمّد بن عبد الملك الزيّات (بدائع البدائه ١ / ٤٨) ، وولده حمّاد كان أحد القوّاد بسرّ من رأى مع صالح بن وصيف ، وولي الشرطة للمهتدى (تاريخ بغداد للخطيب ١٠ / ٤٦٢) وقام مقاماً مذموماً في تعذيب أحمد بن إسرائيل وأبي نوح عيسى ابن إبراهيم ، من كبار الكتّاب في الدّولة ، حتّى ماتا تحت الضّرب ، راجع تفصيل ذلك في الطبريّ ٩ / ٣٩٦ – ٣٩٨ وراجع كذلك القصّة ١٠٦ من هذا الكتاب .

١١ كذا ورد في جميع النسخ .

١٢ الزيادة من غ .

١٨
ألم ترَ كيف فعل ربّك بأصحاب الفيل

وحدّثني أبو الفضل محمد بن عبد الله بن المرزبان الشيرازي الكاتب[١] ، في المذاكرة ، في خبر طويل ، لست أقوم على حفظه :

أنّ رجلاً كانت بينه وبين رجل متمكّن من أذاه عداوة ، فخافه خوفاً [١٧ غ] شديداً ، وأهمّه أمره ، ولم يدر ما يصنع .

فرأى في منامه ، كأنّ قائلاً يقول له : اقرأ في كلّ يوم ، في إحدى ركعتي صلاة الفجر ، [١١ ر] ألم تر كيف فعل ربّك بأصحاب الفيل .. إلى آخر السورة .

قال : فقرأتها ، فما مضت إلاّ شهور ، حتى كفيت أمر ذلك العدوّ ، وأهلكه الله تعالى ، فأنا أقرؤها إلى الآن .

قال مؤلّف هذا الكتاب : دفعت أنا إلى شدّة لحقتني شديدة ، من عدوّ ، فاستترت منه ، فجعلت دأبي قراءة هذه السورة في الركعة الثانية من صلاة الفجر ، في كلّ يوم ، وأنا أقرأ في الأولة منها : ألم نشرح لك صدرك ... إلى آخر السورة ، لخبر كان بلغني أيضاً فيها ، فلما كان بعد شهور ، كفاني الله أمر ذلك العدوّ ، وأهلكه الله من غير سعي لي في ذلك ، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله ، وأنا أقرؤها في ركعتي الفجر إلى الآن .

---

١ أبو الفضل محمّد بن عبد الله بن المرزبان الشيرازي الكاتب : نقل عنه القاضي التنّوخي أخباراً عدّة أوردها في كتابه نشوار المحاضرة وكان يجمعهما مجلس الوزير أبي محمّد المهلّبي ، راجع كتاب نشوار المحاضرة ٢ / ٦٢ و٣ / ١٧ و٥٠ و١٥١ و٢٦٨ و٦ / ٢٧ و٢٨ و٨ / ١٠٦ و١٠٧ و١٠٨ و١٠٩ و١١٠ .

١٩

إذا ضاق بك الصّدر ففكّر في ألم نشرح

وأمّا الخبر في : ألم نشرح لك صدرك ، فإنّ أبا بكر بن شجاع ، المقرئ البغدادي ، الذي كان يخلفني على العيار في دار الضرب بسوق الأهواز ، في سنة ستّ وأربعين وثلثمائة ، وكان خازن المسجد الجامع بها ، وكان شيخاً محدّثاً ثقةً نبيلاً ، من أمناء القاضي الأحنف وهو محمد بن عبد الله بن عليّ بن محمد ابن أبي الشوارب[١] ، حدّثنا بإسناد له ذكره ، لم أحفظه ، ولا المتن بلفظه ، وبَعُدَ عن يدي إخراجه من الأصل ، وقد تحرّيت[٢] مقاربة اللّفظ بجهدي ، ولعلّه يزيد أو ينقص :

أنّ بعض الصالحين ، ألحّ عليه الغمّ ، وضيق الصدر ، وتعذّر الأمور ، حتى كاد يقنط ، فكان يوماً يمشي ، وهو يقول :

أرى الموت لمن أمسى ... على الذلّ له أصلح[٣]

فهتف به هاتف ، يسمع صوته ، ولا يُرى شخصه ، أو أُري في النوم – أنا الشاكّ[٤] – كأنّ قائلاً يقول :

ألا يا أيّها المرء ... الذي الهمّ به برّح
إذا ضاق بك الأمر ... ففكّر في أَلَمْ نَشْرَح

---

١ القاضي محمّد بن عبد الله بن علي بن محمّد بن عبد الملك المعروف بابن أبي الشوارب ، والملقّب بالأحنف : كان يخلف أباه على القضاء بمدينة السلام ، وتوفّي في السنة ٣٠١ قبل وفاة أبيه بثلاثة وسبعين يوماً ، ودفنا في موضع واحد (المنتظم ٦ / ١٢٧) .

٢ كذا ورد في غ ، وفي ظ : وقد تخيّرت .

٣ في م : أروح .

٤ في غ وم : أنا أشكّ .

قال : فواصلت قراءتها في صلاتي ، فشرح الله صدري ، وأزال همّي وكربي ، وسهّل أمري ، أو كما قال :

وحدّثني غيره بهذا [١٦ م] الخبر ، على قريب من هذا ، وزادني في الشعر :

فـإنّ العسـر مقـرون بيسريـن فـلا تـبرح

وقد ذكر القاضي أبو [١٥ ظ] الحسين[٥] ، في كتابه « كتاب الفرج بعد الشدّة » البيتين المتّصلين فقط ، وقال في الآخر منهما : إذا أعضلك الأمر ، ولم يذكر لهما خبراً ، [ويروى أيضاً : إذا لجّ بك الأمر][٦] .

وروى غيره البيتين الأوّلين لأبي العتاهية ، في غير حديث له .

---

٥ أبو الحسين عمر بن أبي عمر محمّد بن يوسف الأزدي القاضي (٢٩١ – ٣٢٨) : ناب عن أبيه في القضاء وهو ابن ٢٠ سنة ، وتوفّي أبوه وهو على القضاء ، ثم جعل قاضي القضاة إلى آخر عمره ، كان عظيم الحظوة عند الراضي ، حتى إنّه لمّا مات كان الراضي يبكي عليه كلّما ذكره (المنتظم ٦ / ٣٠٧ والأعلام ٥ / ٢٢١ والقصّة ٤ / ٧٧ و ٤ / ٩٩ من النشوار) .

٦ الزيادة من م .

البَابُ الثّاني

ما جاء في الآثار من ذكر الفرج بعد اللأواء
وما يتوصّل به إلى كشف نازل الشدّة والبلاء

٢٠

أفضل العبادة انتظار الفرج من الله تعالى

أخبرني القاضي أبو القاسم علي بن محمد بن أبي الفهم التنوخي ، أبي رحمه الله تعالى[١] ، قال : حدّثنا محمد بن إبراهيم الصلحي[٢] ، قال : حدّثنا بشر بن معاذ[٣] ، قال : حدّثنا حماد بن واقد[٤] .

وحدّثنا علي بن أبي الطيّب ، قال : حدّثنا ابن الجرّاح ، قال : حدثنا ابن أبي الدنيا ، قال : حدّثنا محمد بن عبدالله الأزدي[٥] ، قال : حدّثنا حماد بن واقد ،

---

١ القاضي أبو القاسم علي بن محمّد بن أبي الفهم داود بن إبراهيم التنوخي (٢٧٨ – ٣٤٢) : والد مؤلّف كتاب الفرج بعد الشدّة ، ولد بأنطاكية ، وقدم بغداد سنة ٣٠٦ ، وولي القضاء بالأهواز والكوفة وواسط وسقي الفرات والثغور الشّامية وأرجان وكورة سابور ، وله تصانيف في الأدب ، وشعر ، راجع ترجمته في معجم الأدباء ٥ / ٣٣٢ وتاريخ بغداد للخطيب ١٢ / ٧٧ .

٢ في ظ وغ : الطّلحي ، وفي م الصلحي ، وهو محمّد بن إبراهِيم بن آدم بن أبي الرجال الصّلحي : ترجم له الخطيب البغدادي في تاريخه ١ / ٤٠٣ وقال إنّه توفّي سنة ٣١٦ .

٣ أبو سهل بشر بن معاذ العِقدي البصري الضرير : ذكره صاحب الخلاصة ٤٢ .

٤ أبو عمر حمّاد بن واقد العيشي الصفّار البصري : ذكره صاحب الخلاصة ٧٩ .

٥ أبو جعفر محمّد بن عبد الله بن عمّار الأزدي البغدادي ، نزيل الموصل : ترجم له صاحب الخلاصة ٢٨٥ ، وقال إنّه توفّي سنة ٢٥٢ .

قال : حدّثنا [١٨ غ] إسرائيل [بن يونس][٦] ، عن أبي إسحاق [الهمذاني][٦] ، عن أبي الأحوص[٧] ، عن عبد الله [بن مسعود][٨] ، قال :

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : سلوا الله عزّ وجلّ من فضله ، فإنّ الله يحبّ أن يسأل ، وأفضل العبادة انتظار الفرج من الله تعالى[٩] .

أخبرني أبي ، قال : حدّثنا الفضل بن محمد العطار الأنطاكي[١٠] ، قال : حدّثنا سليمان بن سلمة[١١] ، قال : حدّثنا بقيّة[١٢] ، عن مالك[١٣] ، عن الزهري[١٤] ، عن أنس ، عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، أنّه قال : انتظار الفرج من الله تعالى عبادة[١٥] .

أخبرني أبي ، قال : حدّثنا إسحاق بن إبراهيم الكوفيّ[١٦] ، قال : حدّثنا حسين

---

٦ الزيادة من مخطوطة (د) .

٧ أبو الأحوص عوف بن مالك بن نضلة الجشمي : ترجم له صاحب الخلاصة ٢٥٣ وقال : إنّه قتل أيام الحجّاج .

٨ الزيادة من مخطوطة (د) ، وفي م : عبد الله بن عبّاس .

٩ ورد الخبر في مخطوطة (د) ص ١٣٣ .

١٠ الفضل بن محمّد العطّار الأنطاكي : ذكره الخطيب البغدادي في ترجمة القاضي أبي القاسم التنوخي والد المؤلّف ، وقال إنّه أحد أساتذة أبي القاسم ، ويتّضح من نص العبارة ، أنّ والد المؤلّف أخذ الحديث عن أستاذه الفضل في أنطاكية (تاريخ بغداد ١٢ / ٧٧) .

١١ أبو أيّوب سليمان بن سلمة الحمصي الخبائري : ذكره صاحب الميزان ٢ / ٢٠٩ .

١٢ أبو يحمد بقيّة بن الوليد بن صائد الحميري الحافظ : أحد الأعلام ، ترجم له صاحب الميزان ترجمة مطوّلة ١ / ٣٣١ - ٣٣٩ .

١٣ أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي المدني (٩٣ - ١٧٩) : أحد الأعلام في الأسلام ، ترجم له صاحب الخلاصة ٣١٣ .

١٤ الزهري ، أبو بكر محمّد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب القرشي (٥٨ - ١٢٤) : مدني ، تابعي ، محدّث ، حافظ ، فقيه ، نزل الشام (الأعلام ٧ / ٣١٧) .

١٥ ورد الخبر في مخطوطة (د) .

١٦ إسحاق بن إبراهيم بن عمير المسعودي الكوفي : ذكره صاحب الخلاصة ٢٢ ، وصاحب ميزان ←

ابن حسن[17] ، عن سفيان بن إبراهيم[18] ، عن حنظلة المكّي[19] ، عن مجاهد[20] ، عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : انتظار الفرج عبادة .

حدّثني أبي ، قال : حدّثنا عبد الله بن أحمد بن عامر الطائي[21] ، قال : حدّثني أبي ، قال : حدّثني عليّ بن موسى الرضا[22] ، قال : حدّثني أبي موسى[23] ، قال : حدّثني أبي جعفر ، قال : حدّثني أبي محمّد ، قال حدّثني أبي عليّ ، قال : حدّثني أبي الحسين ، قال : حدّثني أبي عليّ بن أبي طالب رضي الله عنهم ، قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، أفضل أعمال أمّتي انتظار الفرج من الله عزّ وجلّ .

أخبرني أبي ، قال : حدّثني أحمد بن عبد الله بن النعمان ، قال : حدّثني محمد بن يعقوب بن إسحاق الأعرج ، قال : حدّثنا عبد الله بن محمّد عن

الاعتدال ١ / ١٧٦ وسمّى جدّه عمران .

١٧ أبو عبد الله حسين بن حسن بن حرب السلمي المروزي ثم المكّي : ترجم له صاحب الخلاصة ٧٠ .

١٨ سفيان بن إبراهيم الكوفي : ذكره صاحب ميزان الاعتدال ٢ / ١٦٤ .

١٩ حنظلة بن أبي سفيان بن عبد الرحمن بن صفوان بن أميّة الأموي المكّي : ذكره صاحب الخلاصة ٨٢ وذكره صاحب ميزان الاعتدال ١ / ٦٢٠ ولعته بالجمحي .

٢٠ أبو الحجّاج مجاهد بن جبر المكّي : المقرئ ، الإمام ، المفسّر، ترجم له صاحب الخلاصة ٣١٥ وصاحب ميزان الاعتدال ٣ / ٤٣٩ .

٢١ عبد الله بن أحمد بن عامر الطائيّ : ترجم له صاحب ميزان الاعتدال ٣ / ٣٩٠ وقال إنّه يروي عن أبيه عن عليّ الرضا عن آبائه ، واتّهمه بالوضع ، وحجّته في ذلك : أنّه متشيّع ، أقول : وتلك شكاة ظاهر عنك عارها .

٢٢ الإمام أبو الحسن علي الرضا بن موسى الكاظم (١٥٣ – ٢٠٣) : ثامن الأئمّة ، ولد بالمدينة ، وجعله المأمون العبّاسي وليّ عهده ، وزوّجه ابنته ، وضرب اسمه على الدينار والدرهم ، وغيّر من أجله الزيّ العبّاسي من السواد إلى الخضرة ، توفّي بطوس في حياة المأمون ، وقبره بها يزار (الأعلام ٥ / ١٧٨) .

٢٣ الإمام أبو الحسن موسى الكاظم بن جعفر الصادق (١٢٨ – ١٨٣) : سابع الأئمّة ، من أعبد أهل زمانه ، وأحد كبار العلماء الأجواد ، أقام بالمدينة ، وأقدمه المهدي العبّاسي إلى بغداد ، ثم أعاده إلى المدينة ، ولمّا حجّ الرّشيد سنة ١٧٩ أخذه معه إلى البصرة ، وحبسه عند واليها عيسى بن جعفر سنة واحدة ، ثمّ نقله إلى بغداد حيث قضى سجيناً (الأعلام ٨ / ٢٧٠) .

سعدويه[٢٤] ، قال : حدّثنا أحمد بن محمّد بن بكر[٢٥] ، قال : حدّثنا عبد العزيز ابن عبد الله[٢٦] عن عليّ بن أبي علـيّ[٢٧] ، عن جعفر بن محمّد ، عن أبيه عن جدّه ، عن عليّ رضي الله عنه : أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، قال لعليّ [عليه السلام][٢٨] ، في حديث ذكره : واعلم أنّ النصر مع الصبر ، والفرج مع الكرب ، وأنّ مع العسر يسراً .

---

٢٤ أبو عثمان سعيد بن سليمان الضبّي الواسطي البزّاز ، المعروف بسعدويه : نزيل بغداد ، ذكره صاحب الخلاصة ٢١٨ .

٢٥ أبو روق الهزّاني ، أحمد بن محمد بن بكر : ترجم له صاحب ميزان الاعتدال ١ / ١٣٢ و ١٣٣ .

٢٦ عبد العزيز بن عبد الله : ذكره صاحب ميزان الاعتدال ٢ / ٦٣٠ .

٢٧ علي بن أبي علي اللّهبي المدنيّ : ذكره صاحب ميزان الاعتدال ٣ / ١٤٧ .

٢٨ الزيادة من غ .

٢١

اشتدّي أزمة تنفرجي

أخبرني أبي ، قال : كتب إليّ عبد الله بن مبشّر[١] ، حدّثنا أبو الأشعث[٢] ، قال : حدّثنا أميّة بن خالد[٣] ، عن الحسين بن عبد الله بن ضميرة[٤] ، عن أبيه[٥] ، عن جدّه[٦] ، عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه[٧] ، قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : اشتدّي أزمة تنفرجي .

حدّثنا عليّ بن أبي الطيّب ، قال : حدّثنا ابن الجرّاح ، قال : حدّثنا ابن أبي الدّنيا ، قال : حدّثني عليّ بن الجعد[٨] ، قال : أخبرني شعبة ، عن عمرو بن مرّة[٩] ،

---

١ عبد الله بن مبشر الغفاري : ذكره صاحب ميزان الاعتدال ٢ / ٤٩٩ .

٢ أبو الأشعث الجرمي : ذكره صاحب الخلاصة ٣٨١ .

٣ أبو عبد الله أميّة بن خالد بن الأسود القيسي البصري : ذكره صاحب ميزان الاعتدال ١ / ٢٧٥ .

٤ الحسين بن عبد الله بن ضميرة بن أبي ضميرة سعيد الحميري المدنيّ : ذكره صاحب ميزان الاعتدال ١ / ٥٣٩ .

٥ عبد الله بن ضميرة بن أبي ضميرة سعيد الحميري المدني : ذكره صاحب ميزان الاعتدال ١ / ٥٣٩ .

٦ ضميرة بن أبي ضميرة سعيد الحميري المدني : ذكره صاحب ميزان الاعتدال ١ / ٥٣٩ .

٧ أمير المؤمنين ، أبو الحسن ، علي بن أبي طالب ، الهاشميّ ، القرشيّ (٢٣ ق – ٤٠ هـ) : رابع الخلفاء الرّاشدين ، أحد العشرة المبشّرين ، ابـن عمّ النبيّ وصهره ، وأحد الشّجعان الابطال ، من أكابر الخطباء ، والعلماء بالقضاء ، أوّل النّاس إسلاماً بعد خديجة ، ولد بمكّة ، وربّي في حجر النبيّ صلوات الله عليه ، ولم يفارقه ، ولمّا آخى النبيّ بين أصحابه ، قال له : أنت أخي . قتله غيلة عبد الرّحمن بن ملجم المرادي (الأعلام ٥ / ١٠٧) راجع البصائر والذخائر م ٢ ق ٢ ص ٣٢٨ وم ٣ ق ٢ ص ٥٩٣ .

٨ أبو الحسن علي بن الجعد الجوهري : محدّث ، حافظ ، ثبت ، ترجم له الخطيب في تاريخه ٩ / ٢٥٥ وترجم له صاحب ميزان الاعتدال ٣ / ١١٦ و١١٧ .

٩ في غ : عمرو بن أبي مرّة ، والصحيح إنّه : أبو عبد الله عمرو بن مرّة الجملي الكوفي الضرير : ترجم له صاحب ميزان الاعتدال ٣ / ٢٨٨ .

قال : سمعت أبا وائل[10] يحدّث عن كردوس بن عمرو[11] ، وكان ممن قرأ الكتب : إنّ الله [عزّ وجلّ] يبتلي العبد وهو يحبّه ، ليسمع تضرّعه[12] .

---

١٠ أبو وائل عبد الله بن بحير الصنعاني القاصّ : ترجم له صاحب ميزان الاعتدال ٢ / ٣٩٥ .

١١ كردوس بن عمرو : سمّاه صاحب الخلاصة ٢٧٥ كردوس بن العبّاس ، أو ابن هانئ الثعلبي ، وذكر أنّ أبا وائل روى عنه .

١٢ ورد الخبر في مخطوطة (د) ص ١٣٦ .

٢٢

النصر مع الصبر ، والفرج مع الكرب

حدّثنا عليّ بن أبي الطيّب ، قال : حدّثنا ابن الجرّاح ، قال : حدّثنا ابن أبي الدّنيا ، قال : حدّثنا أبو سعيد المديني[١] ، قال : حدّثني أبو بكر بن أبي شيبة الحزامي[٢] ، قال : حدّثني محمّد بن إبراهيم بن المطّلب بن أبي وداعة السّهمي[٣] ، قال : حدّثنا زهرة بن عمرو التيميّ[٤] عن أبي حازم[٥] عن [سهل بن] سعد الساعدي[٦] :

أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، قال لعبد الله بن عبّاس : ألا أعلّمك كلمات تنتفع بهنّ ؟

قال : بلى ، يا رسول الله .

---

١ أبو سعيد عبد الله بن شبيب بن خلف الرّبعي المديني : هكذا ورد اسمه في مخطوطة (د) ص ١٣٤ ترجم له الخطيب في تاريخه ٩ / ٤٧٤ .

٢ وردت نسبته في ظ : الحرامي ، وفي غ : الخزامي ، وفي مخطوطة د : الحزامي ، وصحّحت إلى : الحراني ، وفي م : ذكره بلا نسبة ، وذكر صاحب الميزان ٤ / ٥٩٣ شخصاً باسم أبي بكر بن شيبة الحزامي وهو عبد الرحمن بن عبد الملك بن شيبة ، ولعلّ المقصود في هذا الكتاب ، أبا بكر بن أبي شيبة الكوفي الحافظ ، واسمه عبد الله بن محمّد بن إبراهيم بن عثمان العبسي ، ترجم له صاحب الخلاصة ١٧٩ وقال : إنّه توفّي سنة ٢٣٥ .

٣ أبو عبد الله محمّد بن إبراهيم بن المطّلب بن أبي وداعة السّهمي المدني : ذكره صاحب الخلاصة ٣٧٧ .

٤ أحسبه أبا عقيل زهرة بن معبد التّيمي : ترجم له صاحب الخلاصة ١٠٤ .

٥ أبو حازم سلمة بن دينار : مولى الأسود بن سفيان المخزوميّ القرشي ، من عبّاد أهل المدينة وزهّادهم ، متقشّف ، ورع ، توفّي سنة ١٣٥ ذكره صاحب الخلاصة ١٢٥ وصاحب كتاب مشاهير علماء الأمصار ٧٩ .

٦ سهل بن سعد بن مالك السّاعدي : كان اسمه حزن ، فسمّاه رسول الله صلوات الله عليه سهلاً ، توفّي سنة ٩١ ، وهو آخر من مات من الصحابة بالمدينة ، ترجم له صاحب مشاهير علماء الأمصار ٢٥ .

قال : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده أمامك ، تعرّف إلى الله في الرخاء ، يعرفك في الشدّة ، فإذا سألتَ ، فسَل الله ، وإذا استعنتَ ، فاستعن بالله ، [١٦ ظ] جفّ القلم بما [كان وما هو][7] كائن ، فلو جهد العباد أن ينفعوك [١٩ غ] بشيء لم يكتبه الله عزّ وجلّ لك ، لم يقدروا عليه ، [١٧ م] فإن استطعت أن تعمل لله بالصدق واليقين ، فافعل ، فإن لم تستطع ، فإنّ في الصّبر على ما تكره ، خيراً كثيراً ، واعلم أنّ النّصر مع الصّبر ، وأنّ الفرج مع الكرب ، وأنّ مع العسر يسراً[8] .

---

٧ الزيادة من م ، ولم ترد هذه الزيادة في مخطوطة (د) .

٨ ورد الخبر في مخطوطة (د) ص ١٣٤ .

٢٣

المعونة على قدر المؤونة

أخبرني أبي ، قال : حدّثت عن إسحاق بن الضيف[1] ، قال : حدّثنا داود ابن المحبّر[2] ، قال : حدّثنا عبد الله بن أبي رزين[3] ، عن فراس بن يحيى[4] ، عن ثابت[5] ، عن أنس ، قال :

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : إنّ المعونة من الله عزّ وجلّ ، تأتي العبد على قدر المؤونة ، وإنّ الصّبر يأتي [١٢ ر] على قدر شدّة البلاء .

وربّما قال : إنّ الفرج يأتي من الله تعالى ، على قدر شدّة البلاء .

---

١ أبو يعقوب إسحاق بن الضّيف العسكري البصري ، نزيل مصر : ترجم له صاحب الخلاصة ٢٤ .

٢ أبو سلمان داود بن المحبر بن قحذم الطائي البصري : ترجم له صاحب الخلاصة ٦٤ .

٣ عبد الله بن أبي رزين الأسدي : ترجم له صاحب الخلاصة ١٦٧ .

٤ في م : جابر ، وفي غ وظ : خلاس ، والصحيح ما أثبتناه ، وهو : فراس بن يحيى الهمداني الخارفي ، من فقهاء أهل الكوفة ، توفّي سنة ١٢٩ ، ترجم له صاحب مشاهير علماء الأمصار ١٦٧ .

٥ أبو محمد ثابت بن أسلم البناني البصري : ترجم له صاحب ميزان الاعتدال ١ / ٣٦٢ وصاحب الخلاصة ٤٧ توفّي سنة ١٢٧ .

٢٤

من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته

حدّثنا أبو محمد وهب بن يحيي بن عبد الوهاب المازني[١] ، لفظاً من حفظه ، في داره بالبصرة ، ببني سدوس الباطنة[٢] ، بحضرة قبر مجاشع ومجالد السلمي[٣] ، صاحبي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، بالقرب من بني يشكر ، قال : حدّثنا نصر بن عليّ الجهضمي[٤] ، قال : أنبأنا محمّد بن بكر البرساني[٥] ، عن ابن جريج[٦] ، عن ابن المنكدر[٧] ، عن أبي أيّوب[٨] ، عن مسلمة بن مخلد[٩] ، قال :

١ أبو محمّد وهب بن يحيي بن عبد الوهّاب المازني : أحد أساتذة القاضي التنوخي المؤلّف ، ذكره الخطيب البغدادي ١٣ / ١٥٥ .

٢ قوله : الباطنة ، يعني أنّ بني سدوس كانت لهم بالبصرة محلّتان ، واحدة في طرف البلدة ، تسمّى الظاهرة (راجع القصّة ٣٠٩ من هذا الكتاب) ، والأخرى في داخل البلدة ، تسمّى الباطنة .

٣ مجاشع ومجالد ابنا مسعود بن ثعلبة السّلمي ، أخوان صحابيّان ، قتلا يوم الجمل مع طلحة والزّبير (ابن الأثير ٣ / ٢٦٣) وكان مجاشع ممن بايع رسول الله صلوات الله عليه على الهجرة (مشاهير علماء الأمصار ٢٧) واشترك في فتح العراق وفارس (الطبري ٣ / ٥٩٥ و ٤ / ٤٦٩ و ٥٠٥) نسبتهما إلى سليم بن منصور بن عكرمة بن حصفة بن قيس عيلان (اللباب ١ / ٥٥٤) .

٤ أبو عمر نصر بن علي بن نصر بن علي الجهضمي البصري : ترجم له الخطيب البغدادي في تاريخه ١٣ / ٢٨٧ وقال إنّه توفّي سنة ٢٥٠ ، راجع في ترجمته قصّته مع المتوكّل العبّاسي .

٥ أبو عثمان محمّد بن بكر بن عثمان البرساني الأزدي البصري : ترجم له صاحب الخلاصة ٢٨٠ .

٦ أبو الوليد عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج (٨٠ - ١٥٠) : فقيه الحرم المكّي ، إمام أهل الحجاز في عصره ، رومي الأصل ، مكّي المولد والوفاة (الخلاصة ٢٠٧ ، الأعلام ٤ / ٣٠٥ ، مشاهير علماء الأمصار ١٤٥) .

٧ أبو عبد الله محمّد بن المنكدر بن عبد الله بن الهدير القرشي التّيمي المدني : ترجم له صاحب الخلاصة ٣٠٨ وقال : إنّه توفّي سنة ١٣٠ .

٨ أبو أيوب خالد بن يزيد بن كليب الأنصاري الخزرجي : صحابي ، نزل عليه النبيّ صلوات الله عليه لمّا قدم المدينة ، توفّي سنة ٥٢ ، ترجم له صاحب مشاهير علماء الأمصار ٢٦ .

قال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم : من ستر مسلماً ، ستره الله في الدنيا والآخرة ، ومن فكّ عن مكروب ، فكّ الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن كان في حاجة أخيه ، كان الله في حاجته .

---

٩ مسلمة بن مخلد الأنصاري : ولد مقدم النبيّ صلوات الله عليه المدينة ، وولّي مصر وأفريقية ، توفّي سنة ٦٢ ، ترجم له صاحب الخلاصة ٣٢٢ .

٢٥

إنّ الله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه

أخبرني أبي ، قال : حدّثنا أبو عقيل الخولاني[١] ، قال : حدّثنا مؤمّل بن إهاب[٢] ، قال : حدّثنا مالك بن سُعَيْر[٣] ، عن الأعمش[٤] .

وأنبأنا نصر بن القاسم[٥] ، قال : حدّثنا الوكيعي[٦] ، قال : حدّثنا أبو معاوية[٧] ، عن الأعمش .

قال أبي : وأنبأنا ابن [بنت][٨] منيع[٩] من طريق آخر ، واللفظ له ، قال :

---

١ أنس بن سالم الخولاني : ذكره الخطيب في تاريخه ١٢ / ٧٧ بين أساتذة أبي القاسم التنوخي .

٢ أبو عبد الرّحمن مؤمّل بن إهاب بن عبد العزيز الرّبعي العجلي الكوفي : نزل الرملة ، ترجم له صاحب ميزان الاعتدال ٤ / ٢٢٩ ، وصاحب الخلاصة ٣٣٧ وقال : إنّه توفّي سنة ٢٥٤ .

٣ مالك بن سُعَيْر (تصغير سُعْر ، بضم السين) بن الخمس : ترجم له صاحب ميزان الاعتدال ٣ / ٤٢٦ .

٤ أبو محمّد سليمان بن مهران الكاهليّ الكوفي الملقّب بالأعمش (٦١ – ١٤٨) : تابعي ، عالم بالقرآن والفرائض ، نشأ وتوفّي بالكوفة ، ترجمته في تاريخ بغداد للخطيب ٩ / ٣ – ١٣ وفي الأعلام ٣ / ١٩٨ وميزان الاعتدال ٢ / ٢٢٤ .

٥ نصر بن القاسم : ترجم له صاحب ميزان الاعتدال ٤ / ٢٥٣ والخلاصة ٣٤٤ .

٦ الوكيعي ، أبو عبد الرحمن أحمد بن جعفر الضرير : إمام ، حافظ ، محدّث ، ثقة ، توفّي ببغداد سنة ٢١٥ ، روى عن أبي معاوية الضرير ، لقّب بالوكيعي لأنّه رحل إلى وكيع بن الجرّاح وأكثر عنه (اللباب ٣ / ٢٧٧ و٢٧٨) .

٧ أبو معاوية محمّد بن حازم التّميمي السعدي الضرير (١١٠ – ١٩٥) : حافظ ، متقن ، روى عنه الإمام أحمد بن حنبل (اللباب ٢ / ٧٣) .

٨ كلمة (بنت) ساقطة من جميع النسخ .

٩ أبو القاسم عبد الله بن محمّد بن عبد العزيز البغـوي المحدّث : كان ورّاقاً في ابتداء عمره ، توفّي وقد نيّف على المائة وهو صحيح السمع والبصر والأسنان ، راجع نشوار المحاضرة القصّة ٢ / ١٨٠ والأنساب للسمعاني ٨٧ والأعلام ٤ / ٢٦٣ .

حدّثنا عبد الأعلى بن حمّاد[10] ، قال : حدّثنا حمّاد[11] عن محمد بن واسع[12] ، وأبي سورة[13] ، عن الأعمش ، عن أبي صالح[14] ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم :

من ستر أخاه المسلم ، ستره الله يوم القيامة ، ومن نفّس عن أخيه كربة من كرب الدنيا ، نفّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة[15] ، وإنّ الله في عون العبد ، ما كان العبد في عون أخيه .

أخبرني أبي ، قال : حدّثنا محمد بن محمد[16] ، قال : حدّثنا محمد بن عبد الملك بن مغيث[17] ، قال : أخبرني أبي عن جدّي ، قال : حدّثنا عقيل بن شهاب[18] ، أنّ سالم بن عبد الله بن عمر[19] أخبره ، أنّ ابن عمر[20] أخبره ، أنّ

---

١٠ أبو يحيى عبد الأعلى بن حمّاد بن نصر الباهلي النرسي البصري : ترجم له صاحب الخلاصة ١٨٦ .

١١ أبو إسماعيل حمّاد بن زيد بن درهم الأزرق البصري الحافظ : ترجم له صاحب الخلاصة ٧٨ وقال إنّه توفّي سنة ١٩٧ عن ٨١ سنة .

١٢ أبو بكر محمّد بن واسع بن جابر الأزدي البصري الزاهد : أحد الأعلام ، ترجم له صاحب الخلاصة ٣٠٩ وقال إنّه توفّي سنة ١٢٧ .

١٣ أبو سورة الأنصاري : ذكره صاحب الخلاصة ٣٨٨ .

١٤ أبو صالح ذكوان السمّان المدنيّ : ترجم له صاحب الخلاصة ٩٦ وقال إنّه توفّي سنة ١٠١ .

١٥ في غ : من كرب الآخرة .

١٦ أبو بكر محمّد بن محمّد بن سليمان بن الحارث بن عبد الرّحمن الأزدي الواسطي المعروف بابن الباغندي : ترجم له الخطيب في تاريخه ٣/٢٠٩ .

١٧ لعلّه : أبا عبد الله محمّد بن عبد الملك بن خالد بن أسيد الأموي المعروف بابن أبي الشوارب : ترجم له الخطيب في تاريخه ٢ / ٣٤٤ وقال إنّه توفّي سنة ٢٤٤ .

١٨ عقيل بن شهاب : أحسبه عقيل بن شبيب ، ترجم له صاحب الخلاصة ٢٣٨ وصاحب الميزان ٣ / ٨٨ .

١٩ أبو عمر سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطّاب القرشي العدوي : أحد قرّاء المدينة السبعة ، من سادات التّابعين وعلمائهم وفقهائهم ، توفّي سنة ١٠٦ (مشاهير علماء الأمصار ٦٥ والأعلام ٣ / ١١٤) .

٢٠ أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطّاب القرشي العدوي : صحابي جليل ، ولد قبل الوحي بسنة ،

رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، قال :

من كان في حاجة أخيه كان الله تعالى في حاجته ، ومن فرّج عن مسلم كربة ، فرّج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة .

هذا حديث مشهور ، جاء به أبو داود ، في كتاب السنن ، الذي حدّثنا به عنه ، محمد بن بكر بن داسه ، باختلاف في اللفظ ، وليس غرضي جمع طرقه وألفاظه ، فآتي بها مستقصاة .

من صلحاء الصحابة ، وقرائهم ، وزهّادهم ، ومن أكثرهم تتبّعاً لآثار الرسول صلوات الله عليه ، توفّي سنة ٧٣ (مشاهير علماء الأمصار ١٦ و ١٧) .

٢٦

من أكثر الاستغفار جعل الله
له من كل همّ فرجاً

حدّثنا أحمد بن عبد الله بن أحمد الورّاق[1] ، قال : حدّثنا أبو حامد محمد ابن هارون الحضرمي[2] ، قال : حدّثنا محمد بن صالح النطّاح[3] ، قال : حدّثنا المنذر بن زياد الطائي[4] ، قال : حدّثنا عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب[5] ، عن أبيه ، عن جده ، رضي الله عنهم ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم ، أنّه قال :

من أكثر الاستغفار جعل الله له من كلّ همّ فرجاً ، ومن كلّ ضيق مخرجاً ، ورزقه من حيث لا يحتسب .

حدّثنا عليّ[6] ، قال حدّثنا ابن الجرّاح ، قال : حدّثنا ابن أبي الدنيا ، قال :

---

١ أبو بكر أحمد بن عبد الله بن خلف الدوري الورّاق (٢٩٩ - ٣٧٩) : ترجم له الخطيب البغدادي في تاريخه ٤ / ٢٣٤ وعابه بالرفض ، أي بالتشيّع لآل البيت ، أقول : وتلك شكاة ظاهر عنك عارها .

٢ أبو حامد محمّد بن هارون بن عبد الله بن حميد بن سلمان بن مياح الحضرمي المعروف بالبعراني : ترجم له الخطيب في تاريخه ٣ / ٣٥٨ وقال إنّه ولد سنة ٢٣٠ وتوفّي سنة ٣٢١ .

٣ أبو التيّاح محمّد بن صالح بن مهران النطّاح البصري : ترجم له صاحب ميزان الاعتدال ٣ / ٥٨٢ .

٤ أبو يحيى المنذر بن زياد الطّائي : ترجم له صاحب ميزان الاعتدال ٤ / ١٨١ .

٥ أبو محمّد عبد الله بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب الهاشميّ القرشيّ (٧٠ - ١٤٥) : تابعيّ ، مدنيّ ، ذو عارضة ، ولسان ، وهيبة ، وشرف ، حبسه المنصور العبّاسي وقتله في السجن ، ترجمته في الأعلام ٤ / ٢٠٧ .

٦ في غ : عليّ بن أبي الطيّب .

حدّثنا خالد بن خداش[7] ، قال : حدّثنا عبد الرزاق[8] [٢٠ غ] عن بشر بن رافع الحارثي[9] ، عن محمد بن عجلان[10] ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم :

قول لا حول ولا قوّة إلاّ بالله ، دواء من تسعة وتسعين داء ، أيسرها الهمّ .

أخبرنا أبو محمّد الحسن بن خلّاد الرامهرمزي[11] ، خليفة أبي على القضاء بها ، قال : أخبرنا وكيع[12] ، أنّ القاسم بن إسماعيل أبا المنذر [١٧ ظ] السّورمي حدّثه : قال : حدّثنا نصر بن زياد[13] ، قال : كنت عند جعفر بن محمّد ، فأتاه سفيان بن سعيد الثوري[14] ، فقال : يا ابن رسول الله ، حدّثني . قال : يا سفيان ، إذا استبطأت الرزق ، فأكثر من الاستغفار ، وإذا ورد عليك أمر تكرهه ، فأكثر من لا حول ولا قوّة إلاّ بالله ، وإذا أنعم الله عليك ، فأكثر من الحمـــد لله .

---

٧ في غ : خالد بن حواس ، وهو تصحيف ، وقد سبقت ترجمة خالد بن خداش في حاشية القصّة ١٣ .

٨ أبو بكر عبد الرزّاق بن همام بن نافع الحميري الصنعاني : ترجم له صاحب ميزان الاعتدال ٢ / ٦٠٩ .

٩ أبو الأسباط بشر بن رافع النجراني : ترجم له صاحب ميزان الاعتدال ١ / ٣١٧ .

١٠ محمّد بن عجلان : ترجم له صاحب ميزان الاعتدال ٣ / ٦٤٤ .

١١ أبو محمّد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاّد الرامهرمزي : حافظ ، أديب ، ولّي القضاء برامهرمز ، كان صديقاً لابن العميد ، والوزير المهلبيّ ، توفّي سنة ٣٦٠ ، ترجم له صاحب اليتيمة ٣ / ٤٢٣ وشذرات الذّهب ٣ / ٣٠ واللباب ١ / ٤٥٤ .

١٢ وكيع القاضي : أبو بكر محمّد بن خلف بن حيّان الضبّي : كان عالماً ، فقيهاً ، نحوياً ، قارئاً ، تقلّد القضاء بالأهواز ، وله مصنّفات منها أخبار القضاة ، توفّي سنة ٣٠٦ (المنتظم ٦ / ١٥٢)

١٣ أحسبه أبا الحسن نصر بن زيد الهاشميّ : ترجم له صاحب الخلاصة ٣٤٣ .

١٤ أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري (٩٧ – ١٦١) : كان سيّداً في علوم الدين والتقوى ، ولد ونشأ بالكوفة ، أراده المنصور على القضاء ، فأبى ، وغادر الكوفة إلى مكّة والمدينة ، ثم طلبه المهدي ، فتوارى ، ومات بالبصرة (الأعلام ٣ / ١٥٨) .

٢٧

قصّة الثلاثة انطبقت عليهم صخرة

ونجّتهم أعمالهم

حدّثنا محمّد بن جعفر بن صالح الصالحي أبو الفرج[١] ، من ولد عليّ بن صالح ، صاحب المصلّى[٢] ، قال : حدّثنا أبو الجهم أحمد بن الحسين بن طلاب المشغراني[٣] ، من قرية من قرى غوطة دمشق يقال لها : مشغرا[٤] ، قال : حدّثنا محمّد بن عبد الرحمن الجعفي[٥] ، قال : حدّثنا أبو أسامة ، قال : حدّثنا عبيد الله بن عمر[٦] ، عن سالم ، عن ابن عمر ، عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، أنّه قال :

بينما ثلاثة رهط من بني إسرائيل يسيرون ، إذ أخذهم المطر ، فأووا إلى

---

١ أبو الفرج محمّد بن جعفر بن صالح الصّالحي : ترجم له صاحب ميزان الاعتدال ٣ / ٥٠٠ .

٢ صالح صاحب المصلّى : وفد من خراسان على السفّاح مع أبي مسلم الخراساني ، واختصّ بالمنصور ، فأعطاه حصيراً للصلاة من سعف مبطّن ، من عمل مصر ، ذكروا أنّه كان للنبيّ عليه صلوات الله واشترط المنصور عليه أن يحمله في الأعياد والجمع ليصلّي عليه الخليفة ثم يعيده إلى داره ، فسمّي لذلك صاحب المصلّى ، راجع تاريخ بغداد للخطيب ١١ / ٤٣٨ وتاريخ الخلفاء للسيوطي ٣٠٠ .

٣ أبو الجهم أحمد بن الحسين بن أحمد بن طلاب المشغراني الدمشقي : ذكره صاحب اللباب ٢ / ١٤٤ وقال : إنّ نسبته إلى مشغرا وهي قرية من قرى دمشق .

٤ مشغرا : قرية من قرى دمشق من ناحية البقاع (معجم البلدان ٤ / ٥٤٠) . قال الشيخ أبو بكر زهير الشاويش إنّ ما يسقى من نهر بردى في غربي دمشق وشماليها يسمّى الغوطة ، وعلى ذلك فإنّ مشغرا لا تعتبر من غوطة دمشق .

٥ أبو بكر محمّد بن عبد الرحمن بن الحسن الجعفيّ الكوفي : ترجم له صاحب الخلاصة ٢٨٧ ، وقال إنّه توفّي سنة ١٦٠ .

٦ عبيد الله بن عمر بن الخطّاب القرشيّ العَدَوي : لمّا قتل الخليفة الثاني عمر ، عمد ولده عبيد الله فقتل الهرمزان وابنته ، وخشي أن يقدّم للمحاكمة ، فالتجأ إلى معاوية بالشام ، وكان من أشدّ الناس على الإمام عليّ بن أبي طالب ، قتل في أحد أيّام صفّين ؛ ترجم له صاحب مشاهير علماء الأمصار ٦٥ .

غار ، فانطبقت عليهم صخرة ، فسدّت الغار ، فقالوا : تعالوا فليسأل اللهَ تعالى كلّ رجل منّا بأفضل عمله .

فقال أحدهم : اللّهمّ إنّه كانت لي ابنة عمّ جميلة ، وكنت أهواها ، فدفعتُ إليها مائة دينار ، فلمّا جلستُ منها مجلس الرجل من المرأة ، قالت : اتّق الله يا ابن عمّ ، ولا تفضّ الخاتم [إلاّ بحقّه] [7] ، فقمت عنها ، وتركت المائة دينار ، اللّهمّ إن كنتَ تعلم ، أنّي فعلت هذا خشية منك ، وابتغاء ما عندك ، فأفرج عنّا ، فانفرج عنهم ثلث الصخرة .

وقال الآخر : اللّهمّ إن كنت تعلم أنه كان لي أبوان شيخان كبيران ، وكنت أغدو عليهما بصبوحهما ، وأروح عليهما بغبوقهما ، فغدوت عليهما يوماً ، فوجدتهما نائمين ، فكرهت أن أوقظهما ، وكرهت أن أنصرف عنهما ، فيفقدا غداءهما ، فوقفت حتّى استيقظا ، فدفعت إليهما غداءهما ، اللّهمّ إن كنتَ تعلم أنّي إنّما فعلت ذلك ابتغاء ما عندك ، وخشية منك ، فأفرج عنّا ، فانفرج الثلث الثاني .

وقال الثالث : اللّهمّ [١٨ م] إن كنت تعلم ، أنّي استأجرت أجيراً ، فلمّا دفعت إليه أجره ، قال : عملي بأكثر من هذا ، فترك عليّ أجره ، وقال : بيني وبينك يوم يؤخذ فيه للمظلوم من الظالم ، ومضى ، فابتعت له بأجره غنماً ، ولم أزل أنميها وأرعاها ، وهي تزيد وتكثر ، فلمّا كان بعد مدّة ، أتاني ، فقال لي : يا هذا إنّ لي عندك أجراً ، عملت كذا وكذا في وقت كذا وكذا ، فقلت : خذ هذه الغنم ، فهي لك ، [فقال : تمنعني من أجري ، وتهزأ بي ، فقلت : خذها فهي لك] [8] ، فأخذها ودعا لي ، اللّهمّ إن كنت تعلم أنّي فعلت هذا خشية

---

٧ الزيادة من ر .

٨ الزيادة من غ .

منك ، وابتغاء ما عندك ، فأفرج عنّا ، فانفرج عنهم باقي الصخرة ، وخرجوا يمشون ، وذكر الحديث كذا .

قال مؤلّفه هذا الكتاب : هذا الحديثُ مشهور ، رواه عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، عليّ بن أبي طالب ، وعبد الله بن عبّاس ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن أبي أوفى [9] ، والنعمان بن بشير الأنصاري [10] ، وغيرهم ، وعن كلّ واحد منهم عدّة طرق ، وقد اختلف في ألفاظه والمعنى واحد ، وليس غرضي هنا ، جمع طرقه وألفاظه ، فأستقصي ما روي من ذلك ، إلاّ أنّ في هذه الرواية ، غلطاً لا بد من تبيينه ، وهو أنّه روي من غير طريق عن أبي أسامة [٢١ غ] ، عن عمر بن حمزة العمريّ [11] ، عن سالم ، عن ابن عمر [ليس فيه عبيد الله ، والمشهور أنّه عن عبيد الله عن نافع [12] عن ابن عمر] [13] .

وجاء من طريق أخرى أبين من هذا ، ووقع لنا بعلوّ ، فحدّثني أبو العبّاس محمّد بن أحمد الأثرم [14] ، المقرئ البغدادي ، بالبصرة سنة خمس وثلاثين

---

٩ أبو إبراهيم عبد الله بن أبي أوفى علقمة بن خالد الأسلمي : ترجم له صاحب مشاهير علماء الأمصار ٤٩ وقال إنّه توفّي سنة ٨٧ وهو آخر من مات بالكوفة من أصحاب النبيّ صلوات الله عليه .

١٠ أبو عبد الله النّعمان بن بشير بن سعد الأنصاري : هو الأنصاري الوحيد الذي انحاز إلى جانب معاوية لمّا خاصم الإمام عليّاً ، وكانت ابنته تحت المختار بن أبي عبيد الثقفي ، ولمّا قتل المختار طالبها مصعب ابن الزبير بأن تتبرأ من زوجها ، فقالت له : كيف تبرأ الحرّة من زوجها ؟ فأمر بها فقتلت صبراً . ولي النعمان الكوفة لمعاوية ، ثم ولّي قضاء دمشق ، ثم ولّي حمص وقتل فيها ، ترجم له صاحب مشاهير علماء الأمصار ٥١ .

١١ عمر بن حمزة بن عبد الله بن عمر بن الخطّاب : ترجم له صاحب مشاهير علماء الأمصار ١٣٦ .

١٢ أبو عبد الله نافع ، مولى عبد الله بن عمر بن الخطّاب : ترجم له صاحب مشاهير علماء الأمصار ٨٠ وقال إنّه توفّي سنة ١١٩ .

١٣ الزيادة من غ .

١٤ أبو العبّاس محمّد بن أحمد الأثرم البغدادي المقرئ : أحد أساتذة القاضي المحسّن صاحب الكتاب ، قرأ عليه بالبصرة في السنة ٣٣٥ ، كما يظهر من هذه القصّة ومن مواضع أخرى في الكتاب ، ترجم له الخطيب في تاريخه ١ / ٢٦٣ – ٢٦٥ ، وقال إنّه ولد سنة ٢٤٠ وتوفّي سنة ٣٣٦ .

وثلثمائة ، قال : حدّثنا إبراهيم بن الهيثم البلدي [15] ، قال : حدّثنا أبو اليمان الحكم ابن نافع [16] ، قال : أنبأنا شعيب [17] ، عن الزهري ، قال : أخبرني سالم بن عبد الله ابن عمر ، أنّ عبد الله بن عمر ، قال : سمعت النبيّ صلّى الله عليه وسلّم يقول : [١٨ ظ] انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم ، حتى أواهم المبيت إلى غار ، فدخلوا ، فانحدرت عليهم صخرة من الجبل ، فسدّت عليهم الغار ، وذكر الحديث إلى نحو الرواية الأولى .

---

١٥ إبراهيم بن الهيثم البلدي : ترجم له صاحب الميزان ١ / ٧٣ .

١٦ أبو اليمان الحكم بن نافع الحمصي : ترجم له صاحب ميزان الاعتدال ١ / ٥٨١ وقال إنّه ولد سنة ١٣٨ وتوفّي سنة ٢٢١ .

١٧ أبو بشر شعيب بن أبي حمزة الأمّوي الحمصي : ترجم له صاحب الخلاصة ١٤١ وقال إنّه توفّي سنة ١٦٣ .

٢٨

لا إله إلاّ أنت سبحانك إنّي كنت من الظالمين

حدّثنا عليّ بن الحسن ، قال : حدّثنا ابن الجراح ، قال : حدّثنا ابن أبي الدّنيا ، قال : حدّثنا هارون بن سفيان[١] ، قال : حدّثنا عبيد بن محمّد[٢] عن محمّد بن مهاجر[٣] ، قال : حدّثنا إبراهيم بن محمّد بن سعد[٤] عن أبيه[٥] ، عن جدّه[٦] ، قال : كنّا جلوساً عند رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقال :

ألا أخبركم وأحدّثكم بشيء ، إذا نزل برجل منكم كرب أو بلاء من الدنيا ، ودعا به ، فرّج الله عنه ؟

فقيل له : بلى .

قال : دعاء ذي النّون ، لا إله إلاّ أنت سبحانك إنّي كنت من الظالمين .

---

١ أبو سفيان هارون بن سفيان بن راشد المستملي المعروف بمكحلة : ترجم له الخطيب في تاريخه ١٤ / ٢٤ وقال إنّه توفّي سنة ٢٤٧ .

٢ عبيد بن محمّد المحاربي الكوفي : ترجم له صاحب الخلاصة ٢١٦ .

٣ محمّد بن مهاجر : ترجم له صاحب الخلاصة ٣٠٨ وقال إنّه توفّي سنة ١٧٠ هـ .

٤ أبو إسحاق إبراهيم بن محمّد بن سعد بن أبي وقّاص الزهري المدني الكوفي : ترجم له صاحب الخلاصة ١٨ .

٥ أبو القاسم محمّد بن سعد بن أبي وقّاص الزهري : ترجم له صاحب الخلاصة ٢٨٨ وقال : إنّ الحجّاج قتله بعد واقعة الجماجم .

٦ أبو إسحاق سعد بن أبي وقّاص مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة الزّهري المدني (٢٣ ق - ٥٥ هـ) : الصحابي ، الأمير ، شهد بدراً وكافة المشاهد ، وأوّل من رمى بسهم في سبيل الله ، فاتح العراق ، ومدائن كسرى (الخلاصة ١١٥ والأعلام ٣ / ١٣٧ - ١٣٨) .

٢٩

دعاء للمريض

وجدتُ في كتاب ألّفه محمّد بن جرير الطبري ، وسمّاه : كتاب الآداب الحميدة والأخلاق النفيسة : حدّثنا ابن بشّار[١] ، قال : حدّثنا ابن أبي عديّ[٢] ، عن حميد بن عبد الرحمن الحميري[٣] ، قال : كان بأبي الحصاة ، فكان يلقى – من شدَّة ما به – البلاءَ .

قال حميد : فانطلقت إلى بيت المقدس ، فلقيت أبا العوّام ، فشكوت إليه الذي بأبي ، وأخبرته خبره .

فقال : مُره فليدعُ بهذه الدعوة : ربّنا الذي في السّماء عرشه ، ربّنا الذي في السماء تقدّس اسمه ، أمرك ماضٍ في السماء والأرض ، وكما رحمتك في السّماء ، فاجعلها في الأرض ، اغفر لنا ذنوبنا وخطايانا ، إنّكَ أنت الغفور الرحيم ، اللّهمّ أنزل رحمة من رحمتك ، وشفاء من شفائك ، على ما بفلان من وجع .

قال : فدعا به ، فأذهبه الله تعالى عنه .

١ أبو بكر محمّد بن بشار بن عثمان البصري الملقّب بندار : ترجم له صاحب الخلاصة ٢٨٠ وقال إنّه توفّي سنة ٢٥٢ .

٢ أبو عمر محمّد بن إبراهيم البصري المعروف بابن أبي عديّ : ترجمته في حاشية القصّة ٥٨ .

٣ حميد بن عبد الرحمن الحميري البصري الفقيه : ترجم له صاحب الخلاصة ٨٠ .

٣٠

كلمات الفرج

حدّثنا عليّ بن الحسن ، قال : حدّثنا ابن الجرّاح ، قال : حدّثنا ابن أبي الدّنيا ، قال : حدّثنا أبو خيثمة[1] ، قال : حدّثنا يزيد بن هارون[2] عن سعيد بن أبي عروبة[3] ، عن قتادة ، عن أبي العالية[4] ، عن ابن عبّاس ، عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، قـال :

كلمات الفرج : لا إله إلاّ الله الحليم الكريم ، لا إله إلاّ الله العليّ العظيم ، لا إله إلاّ الله ربّ السموات السبع ، وربّ الأرضين السبع [١٣ ر] ، وربّ العرش العظيم[5] .

---

١ أبو خيثمة زهير بن حرب بن شدّاد النسائي : محدّث بغداد في عصره ، توفّي سنة ٢٣٤ (الأعلام ٣ / ٨٧) .

٢ أبو خالد يزيد بن هارون بن زاذان بن ثابت السّلمي الواسطي (١١٨ – ٢٠٦) : من الموالي ، أصله من بخارى ، ولد وتوفّي بواسط ، عمي في كبره ، مدحه قوم وذمّه يحيى بن معين ، وقال : إنّه ليس من أصحاب الحديث لأنّه كان لا يميّز ولا يبالي عمّن روى (تاريخ بغداد للخطيب ١٤ / ٣٣٧) .

٣ أبو النّضر سعيد بن أبي عروبة مهران اليشكري البصري : ترجم له صاحب الخلاصة ١٢٠ وقال إنّه توفّي سنة ١٥٦ .

٤ أبو العالية البراء : ذكره صاحب ميزان الاعتدال ٤ / ٥٤٣ وقال إنّه توفّي سنة ٩٠ .

٥ ورد الخبر في مخطوطة (د) ص. ١٤١ .

٣١
دعوات المكروب

حدّثنا عليّ بن الحسن ، قال : حدّثنا ابن الجراح ، قال : حدّثنا ابن أبي الدّنيا ، قال : حدّثنا زيد بن أخزم الطائي[١] ، قال : حدّثنا عبد الملك بن عمرو أبو عامر[٢] ، قال : حدّثنا عبد الجليل بن عطيّة[٣] عن جعفر بن ميمون[٤] ، قال : حدّثني عبد الرحمن بن أبي بكرة[٥] ، عن أبيه[٦] ، عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، قـال :

دعوات المكروب : اللّهمّ رحمتَك أرجو ، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين ، وأصلح لي شأني كلّه ، لا إله إلاّ أنت[٧] .

أخبرني أبو بكر مكرم بن أحمد بن عبد الوهّاب بن مكرم القاضي[٨] ، قال : حدّثنا أبو الأزهر محمّد بن جعفر[٩] ، قال : حدّثنا أبو نعيم[١٠] ، قال : حدّثنا

---

١ أبو طالب زيد بن أخزم الطّائي البصري الحافظ : ترجم له صاحب الخلاصة ١٠٧ .

٢ أبو عامر عبد الملك بن عمرو القيسي العقدي البصري الحافظ : ترجم له صاحب الخلاصة ٢٠٧ وقال إنّه توفّي سنة ٢٠٤ .

٣ أبو صالح عبد الجليل بن عطيّة القيسي البصري : ترجم له صاحب الخلاصة ١٨٧ .

٤ أبو علي جعفر بن ميمون بيّاع الأنماط : ترجم له صاحب الخلاصة ٥٤ .

٥ أبو بحر عبد الرحمن بن أبي بكرة نفيع بن الحارث الثقفي البصري : تابعي ، أوّل مولود في الإسلام بالبصرة ، ترجم له صاحب الخلاصة ١٩٠ والأعلام ٤ / ١١٦ .

٦ أبو بكرة نفيع بن الحارث بن كلدة الثقفيّ : صحابي ، كنّاه النبيّ صلوات الله عليه بأبي بكرة ، توفّي سنة ٥١ ترجم له صاحب الخلاصة ٣٤٦ .

٧ ورد الخبر في مخطوطة (د) ص. ١٤١ .

٨ أبو بكر مكرم بن أحمد بن محمّد بن مكرم القاضي ، المعروف بالبزّاز : ترجم له الخطيب البغدادي ١٣ / ٢٢١ وقال إنّه توفّي سنة ٣٤٥ .

٩ أحسب أنّ الصحيح : ابن الأزهر ، وهو أبو عمر محمّد بن جعفر بن محمّد بن حبيب بن أزهر

عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز[11] عن هلال مولى غفرة[12] ، عن عمر بن عبد العزيز[13] ، عن عبد الله بن جعفر[14] ، قال :

علّمتني أمّي أسماءُ بنت عميس[15] ، شيئاً أمرها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، أن تقوله عند الكرب : الله ربّي ، لا أشرك به شيئاً .

أخبرني مكرم بن أحمد القاضي ، قال : حدّثنا محمد بن إسماعيل السلميّ[16] ، قال : أنبأنا ابن أبي مريم[17] ، قال : حدّثني يحيي بن أيّوب[18] ، قال : حدّثني

القتّات الكوفي ، ترجم له الخطيب في تاريخه ٢ / ١٢٩ وقال إنّه قدم بغداد وحدّث بها عن أبي نعيم ، وإنّه توفّي سنة ٣٠٠ .

١٠ أبو نعيم الفضل بن دكين واسمه عمرو بن حمّاد بن زهير بن درهم التيمي الكوفي الملائي الأحول الحافظ : ترجم له صاحب الخلاصة ٢٦٢ وقال إنّه توفّي سنة ٢١٩ وترجم له الخطيب البغدادي ترجمة مطوّلة ١٢ / ٣٤٦ – ٣٥٧ .

١١ عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز الزّهري ، المعروف بابن أبي ثابت الأعرج المدنيّ : ترجم له صاحب الخلاصة ٢٠٤ وقال إنّه توفّي سنة ١٩٧ .

١٢ في غ : مولى عفره .

١٣ أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم : ترجمته في حاشية القصّة ١٠٥ من هذا الكتاب .

١٤ عبد الله بن جعفر بن أبي طالب الهاشميّ : ترجمته في حاشية القصّة ٤٦٢ من هذا الكتاب .

١٥ أسماء بنت عميس بن معد بن تيم بن الحارث الخثعمي : صحابيّة ، وصفها أبو نعيم بأنّها مهاجرة المهاجرتين ، ومصلّية القبلتين ، أسلمت قبل دخول النبيّ صلوات الله عليه دار الأرقم ، وهاجرت إلى الحبشة مع زوجها جعفر الطيّار ، فولدت له عبد الله وعوفاً ومحمّداً ، وقتل عنها جعفر فتزوّجها أبو بكر الصدّيق ، فولدت له محمّد بن أبي بكر ، وتوفّي عنها أبو بكر ، فتزوّجها الإمام عليّ بن أبي طالب ، فولدت له يحيي وعوناً (الخلاصة ٤٢٠ والأعلام ١ / ٣٠٠) .

١٦ أبو إسماعيل محمّد بن إسماعيل بن يوسف السّلمي الترمذي الحافظ : ترجم له صاحب الخلاصة ٢٧٩ وقال إنّه توفّي سنة ٢٨٠ .

١٧ ابن أبي مريم : ذكره صاحب ميزان الاعتدال ٤ / ٥٩٦ والخلاصة ٤١٠ .

١٨ أبو زكريا يحيي بن أيّوب العابد المعروف بالمقابري (١٥٧ – ٢٣٤) : ترجم له الخطيب في تاريخه ١٤ / ١٨٨ .

عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ، عن هلال مولى غفرة[19] [٢٢ غ] ، عن عمر بن عبد العزيز ، عن عبد الله بن جعفر ، أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، كان يقول عند الكرب : الله ربّي ، لا أشرك به شيئاً .

حدّثنا بالموصل ، في مجلس عضد الدولة[20] ، وهو يسمع ، إبراهيم بن محمّد الأنصاري المعروف بالشمدي[21] ، وهو يخلفني يومئذ في جملة من أعمالي على القضاء بجزيرة ابن عمر[22] ، وسنّه أكثر من تسعين سنة ، وكان عضد الدولة استدعاه منها لعلوّ إسناده ، وعمل له مجلساً بحضرته ، حدّث فيه ، وأحضرني وجماعة مخصوصين من أهل العلم ، حتّى سمع منه ، وسمعنا معه ، قال : حدّثنا عبد الله بن محمّد بن قريعة الأزدي ، وأبو العبّاس محمّد بن حسّان [١٩ ظ]

---

١٩ في غ : مولى عفره .

٢٠ عضد الدّولة أبو شجاع فناخسرو بن أبي عليّ الحسن ركن الدّولة بن بويه (٣٢٤ - ٣٧٢) : أحد المتغلّبين على الملك في عهد الدّولة العبّاسية ، تولّى ملك فارس ، ثم ملك الموصل وبلاد الجزيرة ، ولقّب : شاهنشاه ، وعضد الدّولة ، وتاج الملّة ، وكان مهيباً جبّاراً عسوفاً ، عالماً بالعربية ، ينظم الشعر ، وكان محبّاً للعمران ، أنشأ البيمارستان العضدي ببغداد ، وعمّر القناطر والجسور (الأعلام ٥ / ٣٦٤) ، أقول : إنّ نظم عضد الدّولة لا يرتقي إلى مرتبة الشعر ، راجع في نشوار المحاضرة في القصّة ٣ / ٩ أبياتاً من شعره ، وفي حاشية القصّة رأي أحد ندمائه في شعره ، هذا الرأي الذي أدّى إلى أن أمر عضد الدّولة بضربه مائتي سوط .

٢١ إبراهيم بن محمّد الأنصاري المعروف بالشمدي : لم أعثر فيما لديّ من المراجع ، على ترجمة له ، وقد ذكر القاضي التّنوخي في هذا الكتاب ، أنّ الشمدي كان يخلفه على القضاء بجزيرة ابن عمر ، وأنّ عضد الدولة استمع منه الحديث بالموصل ، وكان سن الشمدي إذ ذاك قد نيّف على التسعين ، وكان عضد الدّولة قد حلّ بالموصل سنة ٣٦٧ وكان القاضي التّنوخي مرافقاً له حيث قلّده قضاء جميع ما فتحه من تلك النّواحي إضافة إلى قضاء حلوان وقطعة من طريق خراسان ، راجع القصّة ١٩٦ من هذا الكتاب .

٢٢ جزيرة ابن عمر : بلدة فوق الموصل ، بينهما ثلاثة أيّام ، تحيط بها دجلة إلّا من جهة واحدة مثل الهلال ، لها رستاق ، خصب واسع الخيرات ، أوّل من عمرها الحسن بن عمر بن خطاب التّغلبيّ فنسبت إليه ، (معجم البلدان ٢ / ٧٩) .

البصريّان ، قالا : حدّثنا عفّان بن مسلم[٢٣] ، قال : حدّثنا حمّاد بن سلمة[٢٤] ، عن أسامة بن زيد[٢٥] ، عن محمّد بن كعب القرظي[٢٦] عن عبد الله بن شدّاد بن الهاد[٢٧] ، عن عبد الله بن جعفر ، عن عليّ عليه السلام ، قال :

علّمني رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إذا نزل بي كرب أو شدّة ، أن أقول : لا إله إلاّ الله الحليم الكريم ، عزّ الله ، وتبارك الله ، ربّ العرش العظيم ، والحمد لله ربّ العالمين .

وأخبرني القاضي أبو الحسن عليّ بن إبراهيم بن حمّاد[٢٨] ، قال : حدّثنا محمد بن يونس الكديمي[٢٩] ، قال : حدّثنا روح بن عبادة[٣٠] ، قال : حدّثنا أسامة بن زيد ، فذكر بإسناده مثله .

وأخبرني[٣١] القاضي عليّ بن إبراهيم ، قال حدّثنا الكديمي ، قال : حدّثني

---

٢٣ أبو عثمان عفّان بن مسلم الصفّار البصري (١٣٤ – ٢١٩) : ترجم له الخطيب في تاريخه ١٢ / ٢٦٩ – ٢٧٧ وصاحب ميزان الاعتدال ٣ / ٨١ – ٨٢ .

٢٤ أبو سلمة حمّاد بن سلمة بن دينار البصري : ترجم له صاحب الخلاصة ٧٨ وقال إنّه توفّي سنة ١٦٧ .

٢٥ أبو زيد أسامة بن زيد بن أسلم العدوي المدنيّ : ترجم له صاحب الخلاصة ٢٢ .

٢٦ أبو حمزة محمّد بن كعب القرظي : من فضلاء المدينة ، روى عن الإمام علي عليه السلام ، وعن عبد الله بن عبّاس ، وعن أبيه كعب بن سليم القرظي ، توفّي بالمدينة سنة ١١٧ أو ١١٨ (اللباب ٢ / ٢٥٤) .

٢٧ أبو الوليد عبد الله بن شدّاد بن الهاد ، واسمه أسامة اللّيثي المدنيّ : ترجم له صاحب الخلاصة ٧١ وقال إنّه قتل سنة ٨١ .

٢٨ أبو الحسن عليّ بن إبراهيم بن حمّاد الأزدي القاضي : ترجم له الخطيب في تاريخه ١١ / ٣٣٩ وقال إنّه ولّي القضاء بالأهواز ، وقدم بغداد وحدّث بها ، وتوفّي سنة ٣٥٦ .

٢٩ أبو العبّاس محمّد بن يونس بن موسى بن عبيد بن سليمان بن ربيعة بن كديم ، القرشيّ ، السامي ، البحريّ ، المعروف بالكديمي : (١٨٣ – ٢٨٦) : ترجم له الخطيب في تاريخه ٣ / ٤٣٥ – ٤٤٥ .

٣٠ أبو محمّد روح بن عبادة بن العلاء بن حسّان بن عمرو بن مرثد القيسي ، من بني قيس بن ثعلبة : ترجم له الخطيب في تاريخه ٨ / ٤٠١ – ٤٠٦ .

٣١ في غ : وأخبرنيه .

سعيد بن منصور البلخي [٣٢] ، قال : حدّثنا يعقوب بن عبد الرحمن [٣٣] ، عن محمّد ابن عجلان ، عن محمّد بن كعب القرظي ، فذكر بإسناده مثله .

حدّثنا عليّ بن الحسن ، قال : حدّثنا ابن الجرّاح ، قال : حدّثنا ابن أبي الدّنيا ، قال : حدّثنا محمّد بن عبّاد بن موسى [٣٤] ، قال : حدّثني روح بن عبادة [٣٥] ، عن أسامة بن زيد ، عن محمّد بن كعب القرظيّ ، عن عبد الله بن شدّاد ، عن عبد الله بن جعفر ، عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، قال : علّمني رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، إذا نزل بي كرب ، أن أقول : لا إله إلاّ الله الحليم الكريم ، سبحان الله ، وتبارك الله ربّ العرش العظيم ، والحمد لله ربّ العالمين [٣٦] [١٩ م] .

حدّثنا : عليّ بن الحسن ، قال : حدّثنا ابن الجرّاح ، قال : حدّثنا ابن أبي الدّنيا ، قال : حدّثنا أبو خيثمة ، قال : حدّثنا عفّان بن مسلم ، عن عبد الواحد ابن زياد [٣٧] ، قال : حدّثنا مجمع بن يحي [٣٨] ، قال : حدّثنا أبو العيوف صعب ، أو صعيب العنزي ، عن أسماءَ بنت عميس ، قالت : سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، يقول :

من أصابه همّ ، أو غمّ ، أو سقم ، أو شدّة ، أو ذلّ ، أو لأواء ، فقال :

---

٣٢ أبو عثمان سعيد بن منصور بن شعبة النسائي البلخي : ترجم له صاحب الخلاصة ١٢١ وقال إنّه توفّي سنة ٢٢٧ .

٣٣ أبو يوسف يعقوب بن عبد الرحمن بن أحمد بن يعقوب الجصّاص : ترجم له الخطيب في تاريخه ١٤ / ٢٩٤ وقال إنّه توفّي سنة ٣٣١ .

٣٤ أبو جعفر محمّد بن عبّاد بن موسى العكلي البغدادي : ترجم له صاحب الخلاصة ٢٨٣ .

٣٥ أبو محمّد روح بن عبادة بن العلاء بن حسّان القيسي البصري الحافظ : ترجم له صاحب الخلاصة ١٠١ ، وقال إنّه توفّي سنة ٢٠٥ .

٣٦ ورد الخبر في مخطوطة (د) ص ١٤١ .

٣٧ أبو بشر عبد الواحد بن زياد العبدي البصري : ترجم له صاحب الخلاصة ٢٠٦ وقال إنّه توفّي سنة ١٧٦ .

٣٨ مجمع بن يحيى بن يزيد : ترجم له صاحب الخلاصة ٣١٦ .

الله ربّي ، لا شريك له ، كشف الله ذلك عنه [39] .

حدّثنا عليّ بن الحسن ، قال : حدّثنا ابن الجرّاح ، قال : حدّثنا ابن أبي الدّنيا ، قال : حدّثني سعيد بن سليمان[40] ، قال : حدّثنا فضيل بن مرزوق[41] ، قال : حدّثنا أبو سلمة الجهني[42] ، عن القاسم بن عبد الرحمن[43] ، عن أبيه[44] ، قال ، [قال عبد الله بن مسعود :][45] قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم :

ما أصاب مسلماً قطّ ، همّ ، أو حزن ، فقال : اللّهمّ إنّي عبدك ، وابن أمتك ، ناصيتي في يدك ، ماضٍ فيّ حكمك ، عدْل فيّ قضاؤك ، أسألك بكلّ اسم هو لك ، سمّيت به نفسك ، أو أنزلته في كتابك ، أو علّمته أحداً من خلقك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك ، أن تجعل القرآن ربيع قلبي ، وجلاء حزني ، وذهاب همّي ، إلاّ أذهب الله عنه كربه ، وأبدله مكان حزنه فرحاً .

قالوا : يا رسول الله أفـلا نتعلّم هذه الكلمات ؟

قال : بـلى ، ينبغي لمن سمعهنّ أن يتعلّمهنّ[46] .

حدّثنا عليّ بن الحسن ، قال : حدّثنا ابن الجرّاح ، قال : حدّثنا ابن أبي الدّنيا ، قال : حدّثنا أبو حفص الصفّار أحمد بن حميد ، قال : حدّثنا جعفر

---

٣٩ ورد الخبر في مخطوطة (د) ص. ١٤١ .

٤٠ أبو عثمان سعيد بن سليمان الضبّي الواسطي البزّاز المعروف بسَعدويه : ترجمته في حاشية القصّة ٢١ .

٤١ فضيل بن مرزوق الكوفي : ترجم له صاحب الخلاصة ٢٦٤ وصاحب ميزان الاعتدال ٣ / ٣٦٢ .

٤٢ أبو سلمة الجهني : ذكره صاحب ميزان الاعتدال ٣ / ٣٦٢ .

٤٣ أبو عبد الرّحمن القاسم بن عبد الرّحمن بن عبد الله بن مسعود الهذليّ : قاضي مكّة ، ترجم له صاحب الخلاصة ٢٦٦ وقال إنّه توفّي سنة ١١٠ .

٤٤ عبد الرّحمن بن عبد الله بن مسعود الهذليّ : ترجم له صاحب الخلاصة ١٩٥ وقال إنّه توفّي سنة ٧٧ .

٤٥ الزيادة من مخطوطة (د) .

٤٦ ورد الخبر في مخطوطة (د) ص. ١٤١ .

ابن سليمان[47] ، قال : حدّثنا الخليل بن مرة[48] ، عن فقيه من أهل [٢٣ غ] الأردن ، قال :

بلغنا أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، كان إذا أصابه غمّ أو كرب يقول : حسبي الربّ من العباد ، حسبي الخالق من المخلوق ، حسبي الرازق من المرزوق ، حسبي الله الذي هو حسبي ، حسبي الله ونعم الوكيل ، حسبي الله ، لا إله إلاّ هو ، عليه توكّلت ، وهو ربّ العرش العظيم[49] .

حدّثنا عليّ بن الحسن ، قال : حدّثنا ابن الجرّاح ، قال : حدّثنا ابن أبي الدّنيا ، قال : حدّثنا القاسم بن هاشم[50] ، قال : حدّثني الخطّاب بن عثمان[51] ، قال : حدّثني ابن أبي فديك[52] ، قال : حدّثنا سعد بن سعيد[53] ، قال : حدّثنا أبو إسماعيل ابن أبي فديك ، قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم :

ما كربني أمرٌ ، إلاّ تمثّل لي جبريل عليه السّلام ، فقال : يا محمّد ، قل توكّلت على [٢٠ ظ] الحيّ الذي لا يموت ، والحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ، ولم يكن له شريك في الملك ... إلى آخر الآية .

حدّثنا عليّ بن الحسن ، قال : حدّثني ابن الجرّاح ، قال : حدّثنا ابن أبي الدّنيا ، قال : حدّثنا إسحاق بن إبراهيم[54] ، قال : حدّثنا النضر بن إسماعيل

---

٤٧ أبو سليمان جعفر بن سليمان البصري الزّاهد : ترجم له صاحب الخلاصة ٥٤ وقال إنّه توفّي سنة ١٧٨ .

٤٨ الخليل بن مرّة الضّبعي البصري : ترجم له صاحب الخلاصة ٩١ وقال إنّه توفّي سنة ١٦٠ .

٤٩ ورد الخبر في مخطوطة (د) ص. ١٤٢ .

٥٠ القاسم بن هاشم بن سعيد بن سعد بن عبد الله بن سيف بن حبيب السمسار : ترجم له الخطيب في تاريخه ١٢ / ٤٢٩ .

٥١ أبو عمر الخطّاب بن عثمان الفوزي الطّائي : ترجم له صاحب الخلاصة ٨٩ .

٥٢ أبو إسماعيل محمد بن إسماعيل بن مسلم بن أبي فديك دينار : ترجم له صاحب الخلاصة ٢٧٩ وقال إنّه توفّي سنة ٢٠٠ .

٥٣ أبو سهل سعد بن سعيد المقبري المدنيّ : ترجم له صاحب الخلاصة ١١٤ .

٥٤ أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن الضيف العسكري البصري : ترجمته في حاشية القصّة ٢٣ من الكتاب .

البجليّ[55] عن عبد الرحمن بن إسحاق[56] ، عن القاسم بن عبد الرحمن ، عن عبد الله ، قال : كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، إذا نزل به همّ ، أو غمّ ، قال : يا حيّ ، يا قيّوم ، برحمتك أستغيث[57] .

حدّثنا جعفر بن أبي طالب بن أبي جعفر بن البهلول التنوخي القاضي[58] ، قال : حدّثنا أبو القاسم عبد الوهاب بن أبي حيّة[59] ، قال : حدّثنا إسحاق ابن أبي إسرائيل[60] ، قال : حدّثني النضر بن إسماعيل ، عن عبد الرحمن بن إسحاق ، عن القاسم بن عبد الرحمن ، قال : حدّثنا عبد الله بن مسعود قال :

كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، إذا نزل به غمّ أو كرب ، قال : يا حيّ ، يا قيّوم ، برحمتك أستغيث .

حدّثنا عليّ بن الحسن ، قال : حدّثنا ابن الجرّاح ، قال : حدّثنا ابن أبي الدّنيا ، قال : حدّثنا هارون بن سفيان ، قال : حدّثني عبد الله بن محمد القرشي[61] ،

---

٥٥ أبو المغيرة النضر بن إسماعيل بن خازم البجليّ الكوفي القاص إمام مسجد الكوفة : ترجم له الخطيب في تاريخه ١٣ / ٤٣١ - ٤٣٤ وصاحب الخلاصة ٣٤٤ .

٥٦ عبد الرّحمن بن إسحاق المدنيّ ، المعروف بعبّاد : ترجم له صاحب الميزان ٢ / ٥٤٦ - ٥٤٧ .

٥٧ ورد الخبر في مخطوطة (د) ص ١٤١ .

٥٨ أبو محمّد جعفر بن أبي طالب محمّد بن أبي جعفر أحمد بن إسحاق بن البهلول بن حسّان التنوخي الأنباري (٣٠٣ - ٣٧٧) : ترجم له الخطيب في تاريخه ٧ / ٢٣٢ .

٥٩ أبو القاسم عبد الوهاب بن عيسى بن عبد الوهاب بن أبي حيّة : ورّاق الجاحظ ، ترجم له الخطيب في تاريخه ١١ / ٢٨ وقال إنّه توفّي سنة ٣١٩ .

٦٠ أبو يعقوب إسحاق بن أبي إسرائيل واسمه إبراهيم بن كامجر المروزي (١٥١ - ٢٤٦) : ترجم له الخطيب في تاريخه ٦ / ٣٥٦ - ٣٦٢ .

٦١ أبو بكر عبد الله بن محمّد بن عبيد بن سفيان القرشي المعروف بابن أبي الدّنيا : ترجمته في حاشية القصّة ١١ من الكتاب .

عن نعيم بن مورع[٦٢] ، عن جويبر[٦٣] ، عن الضحّاك[٦٤] ، قال :

دعاء موسى حين توجّه إلى فرعون ، ودعاء رسول الله صلّى الله عليه وسلّم [٢٤ غ] ، يوم حنين ، ودعاء كلّ مكروب : كنتَ وتكون ، حيًّا لا تموت ، تنام العيون ، وتنكدر النجوم ، وأنتَ حيّ قيّوم ، لا تأخذك سنّة ولا نوم ، يـا حيّ ، يا قيّوم[٦٥] .

---

٦٢ نعيم بن مورّع : ترجم له صاحب ميزان الاعتدال ٤ / ٢٧١ .

٦٣ أبو القاسم جويبر بن سعيد الأزدي البلخي المفسّر : ترجم له صاحب الخلاصة ٥٦ وصاحب ميزان الاعتدال ١ / ٤٢٧ ، مات بعد سنة ١٤٠ .

٦٤ أبو القاسم الضحّاك بن مزاحم البلخي المفسّر : كان مؤدّباً ، وكان في مكتبه ثلاثة آلاف صبيّ ، وكان يطوف عليهم على حمار ، ترجم له صاحب ميزان الاعتدال ٢ / ٣٢٥ وقال إنّه توفّي سنة ١٠٥ .

٦٥ ورد الخبر في مخطوطة (د) ص. ١٦٤ .

٣٢

دعـاء الفرج

دعاء الفرج ، أعطانيه أبو الحمد داود بن الناصر لدين الله واسمه أحمد بن الهادي للحقّ يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم المعروف بطباطبا ابن إسماعيل ابن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب ، وقال لي : إنّ أهله يتوارثونه ، وهو عن أمير المؤمنين عليه السلام :

يا من تحلّ به عقد المكاره ، ويفلّ حدّ الشدائد ، ويا من يلتمس به المخرج ، ويطلب منه رَوْحُ الفرج ، أنت المدعوّ في المهمّات ، والمفزع في الملمّات ، لا يندفع منها إلاّ ما دفعت ، ولا ينكشف منها إلاّ ما كشفت ، قد نزل بي ما قد علمت ، وقد كادني ثقله ، وألمّ بي ما بهظني حمله ، وبقدرتك أوردته عليّ ، وبسلطانك وجّهته إليّ ، ولا مصدر لما أوردت ، ولا كاشف لما وجّهت ، ولا فاتح لما أغلقت ، ولا ميسّر لما عسّرت ، ولا معسّر لما يسّرت ، فصلّ اللّهمّ على محمد ، وعلى آل محمد ، وافتح لي باب الفرج بطَولك ، واحبس عنّي سلطان الهمّ بحولك ، وأنلني حسن النظر فيما شكوت ، وأذقني [٢٠ م] حلاوة الصنع فيما سألت ، وهب لي من لدنك فرجاً هنيًا عاجلاً ، وصلاحاً في جميع أمري سنيًا شاملاً ، واجعل لي من عندك فرجاً قريباً ، ومخرجاً رحباً ، ولا تشغلني بالاهتمام عن تعاهد فروضك ، واستعمال سنّتك ، فقد ضقت ذرعاً بما عراني ، وتحيّرت فيما نزل بي ودهاني ، وضعفت عن حمل ما قد أثقلني همًّا ، وتبدّلت [١٤ ر] بما أنا فيه قلقاً وغمًّا ، وأنت القادر على كشف ما قد وقعت فيه ، ودفع ما منيت به ، فافعل بي ذلك يا سيّدي ومولاي ، وإن لم أستحقّه ، وأجبني إليه وإن لم أستوجبه ، يا ذا العرش العظيم (ثلاث مرّات) .

٣٣

دعاء آخر للفرج

وأعطاني دعاء آخر للفرج ، وقال لي : إنّ أهله بصعدة[١] ، يتوارثونه عن أهل البيت عليهم السلام :

لا إله إلاّ الله حقّاً حقّاً ، لا إله إلاّ الله تعبّداً ورقّاً ، لا إله إلاّ الله إيماناً وصدقاً ، يا منزل الرحمة من معادنها ، ومنشئ البركة من أماكنها ، أسألك أن تصلّي على محمد ، عبدك ونبيّك ، وخيرتك من خلقك وصفيّك ، وعلى آله مصابيح الدجى ، وأئمّة الهدى ، وأن تفرّج عنّي فرجاً عاجلاً ، وتنيلني صلاحاً لجميع أمري شاملاً ، وتفعل بي ، في ديني ودنياي ، ما أنت أهله ، يا كاشف الكرب ، يا غافر الذنب ، يا الله ، يا ربّ .

---

١ صعدة : مدينة من مدن اليمن (معجم البلدان ٣ / ٣٨٨ – ٣٩٠) .

٣٤
استغفروا ربّكم إنّه كان غفّاراً

حدّثني أيوب بن العباس بن الحسن [٢١ ظ] الذي كان وزير المكتفي – ولقيت أيوب بالأهواز في حدود سنة خمسين وثلثمائة – من حفظه ، قال : حدّثني عليّ بن همّام ، بإسناد لست أحفظه :

أنّ أعرابياً شكى إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام شدّة لحقته ، وضيقاً في الحال ، وكثرة من العيال .

فقال له : عليك بالاستغفار ، فإنّ الله [تعالى][1] يقول : استغفروا ربّكم ، إنّه كان غفّاراً ... الآيات .

فعاد إليه ، وقال : يا أمير المؤمنين قد استغفرت كثيراً ، وما أرى فرجاً مما أنـا فيـه .

قال : لعلّك لا تحسن أن تستغفر .

قال : علّمني .

قال : أخلص نيّتك ، [٢٥ غ] وأطع ربّك ، وقل : اللّهم إنّي أستغفرك من كلّ ذنب ، قوي عليه بدني بعافيتك ، أو نالته يدي بفضل نعمتك ، أو بسطت إليه يدي بسابغ رزقك ، أو اتّكلت فيه ، عند خوفي منه ، على أناتك ، أو وثقت فيه بحلمك ، أو عوّلت فيه على كرم عفوك ، اللّهم إنّي أستغفرك من كلّ ذنب خنت فيه أمانتي ، أو بخست فيه نفسي ، أو قدّمت فيه لذّتي ، أو آثرت فيه شهوتي ، أو سعيت فيه لغيري ، أو استغويت فيه من تبعني ، أو غلبت فيه بفضل حيلتي ، أو أحلتُ فيه عليك يا مولاي ، فلم تؤاخذني على فعلي ، إذ كنتَ – سبحانك – كارهاً لمعصيتي ، لكن سبق علمك فيّ باختياري ، واستعمالي مرادي

---

١ الزيادة من غ .

وإيثاري ، فحلمت عنّي ، لم تدخلني فيه جبراً ،ولم تحملني عليه قهراً ، ولم تظلمني شيئاً ، يا أرحم الراحمين ، يا صاحبي عند شدّتي ، يا مؤنسي في وحدتي ، ويا حافظي عند غربتي[2] ، يا وليّي في نعمتي ، ويا كاشف كربتي ، ويا سامع دعوتي ، ويا راحم عبرتي ، ويا مقيل عثرتي ، يا إلهي بالتحقيق ، يا ركني الوثيق ، يا رجائي في الضيق[3] ، يا مولاي الشفيق ، ويا ربّ البيت العتيق ، أخرجني من حلق المضيق ، إلى سعة الطريق ، وفرجٍ من عندك قريب وثيق ، واكشف عنّي كلّ شدّة وضيق ، واكفني ما أطيق وما لا أطيق ، اللّهمّ فرّج عنّي كلّ همّ وكرب ، وأخرجني من كلّ غمّ وحزن ، يا فارج الهمّ ، ويا كاشف الغمّ ، ويا منزل القطر [٢١ م] ، ويا مجيب دعوة المضطرّ ، يا رحمٰن الدنيا والآخرة ورحيمها ، صلّ على خيرتك محمد النبيّ ، وعلى آله الطيّبين الطاهرين ، وفرّج عنّي ما ضاق به صدري ، وعيل معه صبري ، وقلّت فيه حيلتي ، وضعفت له قوّتي ، يا كاشف كلّ ضرّ وبليّة ، ويا عالم كلّ سرّ وخفيّة ، يا أرحم الراحمين ، وأفوّض أمري إلى الله ، إنّ الله بصير بالعباد ، وما توفيقي إلاّ بالله ، عليه توكّلت ، وهو ربّ العرش العظيم .

قال الأعرابي : فاستغفرت بذلك مراراً ، فكشف الله عزّ وجلّ عنّي الغمّ والضيقّ ، ووسع عليّ في الرزق ، وأزال عنّي المحنة .

---

٢ في غ : في غربتي .

٣ في ظ ور وغ : يا جاري اللّصيق ، راجع القصّة ٣ / ٩٨ من النشوار .

٣٥

لا أبالي على أيّ حالة أصبحتُ

حدّثنا علي بن الحسن ، قال : حدّثنا ابن الجرّاح ، قال : حدّثنا ابن أبي الدنيا ، قال : حدّثني علي بن الجعد وإسحاق بن إسماعيل[1] ، قالا : حدّثنا سفيان ابن عيينة ، عن أبي السوداء[2] ، عن أبي مجلز[3] ، قال : قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

ما أبالي على أيّ حالة أصبحت ، على ما أُحبّ ، أو على ما أكره ، وذلك أنّي لا أدري ، الخير فيما أُحبّ ، أو فيما أكره[4] .

حدّثنا علي بن الحسن ، قال : حدّثنا ابن الجرّاح ، قال : حدّثنا ابن أبي الدنيا ، قال : حدّثنا إبراهيم بن سعيد[5] ، قال : حدّثنا أبو أسامة[6] ، عن الأعمش ، عن إبراهيم[7] ، قال :

إن لم يكن لنا خير فيما نكره ، لم يكن لنا خير فيما نحبّ[8] .

---

١ أبو يعقوب إسحاق بن إسماعيل الطالقاني المعروف باليتيم : ترجم له الخطيب في تاريخه ٦ / ٣٣٤ وقال إنّه توفّي سنة ٢٣٠ .

٢ أبو السّوداء : ذكره صاحب الخلاصة ٣٨٠ .

٣ في الأصل أبو مخلد والتّصحيح من الخلاصة ٣٩٥ ومن مخطوطة (د) ص. ١٣٥ .

٤ ورد الخبر في مخطوطة (د) ص. ١٣٥ .

٥ أبو إسحاق إبراهيم بن سعيد الطّبري الجوهري البغدادي الحافظ : ترجم له الخطيب في تاريخه ٦ / ٩٣ وصاحب الخلاصة ١٥ ، توفّي سنة ٢٤٩ .

٦ أبو أسامة : ذكره الخطيب البغدادي في ثبت من روى عنهم إبراهيم الجوهري (تاريخ بغداد ٦ / ٩٣) .

٧ أبو أسماء إبراهيم بن يزيد التّيميّ ، الكوفي ، العابد ، القدوة : من تيم الرباب ، قال الأعمش : كان إبراهيم التّيمي إذا سجد تجيء العصافير تنقر ظهره ، قتله الحجّاج سنة ٩٤ ، ترجمه صاحب الخلاصة ٢٠ .

٨ ورد الخبر في مخطوطة (د) ص ١٣٥ .

حدّثنا علي بن الحسن ، قال : حدّثنا ابن الجرّاح ، قال : حدّثنا ابن أبي الدنيا ، قال : حدّثنا عبد الرحمن بن صالح الأزدي[9] ، قال : حدّثنا أبو روح[10] ، رجل من أهل مرو ، عن سفيان بن عيينة ، قال :

مرّ محمد بن عليّ[11] ، على محمد بن المنكدر[12] ، فقال : ما لي أراك مغموماً ؟

فقال أبو حازم : ذلك لدين فدحه .

قال محمد بن علي : أفتح له في الدعاء ؟

قال : نعم .

قال : لقد بورك لعبد في حاجة أكثر فيها دعاء ربّه ، كانت ما كانت[13] .

حدّثنا [٢٦ غ] علي بن الحسن ، قال : حدّثنا ابن الجرّاح ، قال : حدّثنا ابن أبي [٢٢ ظ] الدنيا ، قال : حدّثنا عبد الرحمن بن صالح الأزدي ، قال : حدّثنا أبو روح ، قال : قال ابن عيينة :

ما يكره العبد ، خير له ممّا يحبّ ، لأنّ ما يكره ، يهيجه على الدعاء ، وما يحبّ ، يلهيه عنه[14] .

---

٩ أبو محمّد عبد الرحمن بن صالح الأزدي : ترجم له الخطيب في تاريخه ١٠ / ٢٦١ وقال إنّه توفّي سنة ٢٣٥ .

١٠ أبو روح خالد بن محدوج : ذكره صاحب ميزان الاعتدال ١ / ٦٤٢ .

١١ الإمام أبو جعفر محمّد الباقر بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب (٥٧ – ١١٤) : خامس الأئمة ، ولد بالمدينة ، وتوفّي بالحميمة ، ودفن بالمدينة (الأعلام ٧ / ١٥٣) .

١٢ محمّد بن المنكدر بن عبد الله بن الهدير (بالتّصغير) بن عبد العزّى القرشي التّيمي المدني : (٥٤ – ١٣٠) ترجمته في حاشية القصّة ٣١٢ من الكتاب .

١٣ ورد الخبر في مخطوطة (د) ص. ١٣٦ .

١٤ ورد الخبر في مخطوطة (د) ص. ١٣٦ .

٣٦

دعاء داود عليه السلام

قال ابن أبي الدنيا ، قال حدّثنا أبو نصر التمّار[١] ، قال : حدّثنا سعيد بن عبد العزيز التنوخيّ[٢] ، قال : قال داود عليه السلام :

سبحان الله مستخرج الدعاء بالبلاء ، سبحان الله مستخرج الشكر بالرخاء[٣] .

٣٧

ما أقرب النعيم من البؤس

حدّثنا علي بن الحسن ، قال : حدّثنا ابن الجرّاح ، قال : حدّثنا ابن أبي الدنيا ، قال : حدّثنا أحمد بن إبراهيم العبدي[٤] ، قال : حدّثنا العلاء بن عبد الجبار العطار[٥] ، قال : حدّثنا أبو عبد الصمد العمّي ، قال : سمعت مالك بن دينار[٦] ، يقول في مرضه ، وهو من آخر كلام سمعته يتكلّم به :

ما أقرب النعيم من البؤس ، يعقبان ، ويوشكان زوالاً[٧] .

---

١ أبو نصر عبد الملك بن عبد العزيز القشيري التمار النسوي الحافظ : ترجم له صاحب الخلاصة ٢٠٧ ، وقال إنّه توفّي سنة ٢٢٨ .

٢ أبو محمّد سعيد بن عبد العزيز بن أبي يحيى التنوخي الدمشقي الفقيه : ترجم له صاحب الخلاصة ١١٩ وقال إنّه توفّي سنة ١٦٧ .

٣ ورد الخبر في مخطوطة (د) ص. ١٣٦ .

٤ أحمد بن إبراهيم بن كثير بن يزيد بن أفلح العبدي النُكري البغدادي الدورقي : ترجم له صاحب الخلاصة ٣ ، وقال إنّه توفّي سنة ٢٤٦ عن ٧٨ سنة .

٥ العلاء بن عبد الجبّار العطّار الأنصاري : ترجم صاحب الخلاصة ١٨٧ لولده عبد الجبّار بن العلاء ، وقال إنّه روى عن أبيه .

٦ أبو يحيى مالك بن دينار البصري : محدّث ، ورع ، كان يكتب المصاحف بالأجرة ، توفّي سنة ١٣١ بالبصرة (الأعلام ٦ / ١٣٤) .

٧ ورد الخبر في مخطوطة (د) ص. ١٣٧ .

٣٨

عُبَيدُكَ بفنائك

حدّثنا علي بن الحسن ، قال : حدّثنا ابن الجرّاح ، قال : حدّثنا ابن أبي الدّنيا ، قال : حدّثنا محمد بن الحسين[١] ، قال : حدّثني عبد الله بن محمد التميمي[٢] ، قال : حدّثنا شيخ مولى لعبد القيس ، عن طاووس[٣] ، قال :

إنّي لفي الحِجْر ذات ليلة ، إذ دخل عليّ بن الحسين عليهما السلام[٤] ، فقلت : رجلٌ صالحٌ من أهل بيت الخَير ، لأستمعنّ إلى دعائه الليلة ، فصلّى ، ثم سجد ، فأصغيت بسمعي إليه ، فسمعته يقول : عُبَيْدُكَ بفنائك ، مسكينك بفنائك ، فقيرك بفنائك ، سائلك بفنائك .

قال طاووس : فحفظتهنّ ، فما دعوت بهنّ في كرب ، إلاّ فرّج الله عنّي[٥] .

---

١ أبو شيخ محمّد بن الحسين البرجلانيّ : صاحب كتاب الرّقائق ، ترجم له صاحب الميزان ٣ / ٥٢٢ وقال إنّه توفّي سنة ٢٣٨ .

٢ أبو الحباب عبد الله بن محمّد العدوي التّميمي : ترجم له صاحب ميزان الاعتدال ٢ / ٤٨٥ .

٣ أبو عبد الرّحمن طاووس بن كيسان الخولاني الهمدانيّ (٣٣ - ١٠٦) : من أكابر التّابعين ، فقيه ، محدّث ، متقشّف ، جريء في الحقّ ، ولد ونشأ باليمن وتوفّي حاجًّا بمكّة (الأعلام ٣/٣٢٢) .

٤ الإمام أبو الحسن عليّ زين العابدين بن الحسين الشهيد بن الإمام عليّ بن أبي طالب (٣٨ - ٩٤) : رابع الأئمّة ، كان يضرب به المثل في الحلم والورع ، ليس للحسين عقب إلاّ منه ، لأنّه الوحيد الذي نجا من مذبحة كربلاء لأنّه كان صغيراً مريضاً طريح الفراش إبان المعركة ، ولد وتوفّي بالمدينة ، راجع ترجمته في الأعلام ٥ / ٨٦ .

٥ ورد الخبر في مخطوطة (د) ص. ١٦٤ .

٣٩

ذبح عجلاً بين يدي أمه فخبل

حدّثنا إبراهيم بن محمد الأنصاري ، بالموصل ، بحضرة عضد الدولة ، قال : أنبأنا أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحي القاضي[١] ، وأبو جعفر محمّد بن محمّد بن حبّان الأنصاري ، البصريّان ، قالا : حدّثنا موسى بن إسماعيل التبوذكي[٢] ، قال : حدّثني حمّاد بن سلمة[٣] . قال : حدّثنا أبو عمران الجوني[٤] عن نوف البكالي :

أنّ نبياً أو صدّيقاً ذبح عجلاً بين يدي أمّه ، فخبل[٥] ، فبينما هو كذلك ذات يوم ، تحت شجرة فيها وكر طير ، إذ وقع فرخ طائر في الأرض ، وتغبّر في التراب ، فأتاه الطائر ، فجعل يطير فوق رأسه ، فأخذ النبيّ أو الصدّيق الفرخَ ، فمسحه من التراب ، وأعاده في وكره ، فردّ الله عزّ وجلّ عليه عقله .

---

١ أبو خليفة الفضل بن الحباب بن محمّد الجمحي القاضي : ولّي القضاء بالبصرة ، وكان شاعراً ، وله تآليف في الشّعر والأدب ، توفّي بالبصرة سنة ٣٠٥ ، راجع أخباره في معجم الأدباء ١٣٤/٦ وفي مروج الذّهب للمسعودي ٢ / ٥٠٠ و٥٠١ ، وفي كتاب نشوار المحاضرة القصص ٢ / ٩ و١٠ ، ٣ / ٢٩ ، ١٧٩ و٤ / ٧٤ .

٢ أبو سلمة موسى بن إسماعيل المنقري التبوذكي البصري : حافظ ، من الأعلام ، ترجم له صاحب ميزان الاعتدال ٤ / ٢٠٠ وقال إنّه توفّي سنة ٢٢٣ .

٣ أبو سلمة حمّاد بن سلمة بن دينار الرّبعي التّيمي القرشي البصري : ترجم له صاحب الخلاصة ٧٨ وقال إنّه توفّي سنة ١٦٧ .

٤ أبو عمران عبد الملك بن حبيب الجوني الكندي : ترجم له صاحب مشاهير علماء الأمصار ٩٦ وقال عنه إنّه من صالحي أهل البصرة توفّي سنة ١٢٣ وهو ابن ١٢٨ سنة .

٥ راجع القصّة ٨ / ٤٨ من نشوار المحاضرة .

٤٠

الغمرات ثمّ ينجلين

أخبرني أبي ، قال : حدّثنا حرمي بن أبي العلاء[١] ، قال : حدّثنا الزبير بن بكّار[٢] ، قال : وحدّثني أحمد بن عبد الله بن أحمد الورّاق ، قال : حدّثنا أحمد ابن سليمان الطوسي[٣] ، قال : حدّثنا الزبير بن بكّار ، قال : أخبرني عثمان بن سليمان[٤] ، قال :

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، يوماً لجلسائه ، وفيهم عمرو بن العاص[٥] : ما أحسن شيء ؟

فقال كلّ رجلٍ برأيه ؛ وعمرو ساكت .

فقال : ما تقول يا عمرو ؟ قال : الغمرات ثم ينجلين .

---

١ أبو عبد الله أحمد بن محمّد بن إسحاق بن أبي حميضة ، ويعرف بالحرمي بن أبي العلاء ، ترجمته في حاشية القصّة ١٤٩ .

٢ أبو عبد الله الزبير بن بكّار بن عبد الله القرشي الأسدي المكّي (١٧٢ – ٢٥٦) : من أحفاد الزبير ابن العوام ، راوية ، نسّابة ، عالم بالأخبار ، ولد وتوفّي بالمدينة ، كان مؤدّب الأمير الموفّق ، (الأعلام ٣ / ٧٤) .

٣ أبو عبد الله أحمد بن سليمان بن داود بن محمّد بن أبي العبّاس الطّوسي (٢٤٠ – ٣٢٢) : ترجم له الخطيب في تاريخه ٤ / ١٧٧ .

٤ عثمان بن سليمان بن أبي خيثمة العدوي : ترجم له صاحب الخلاصة ٢٣٠ .

٥ أبو عبد الله عمرو بن العاص بن وائل السّهمي (٥٠ ق – ٤٣) : كان في الجاهليّة شديداً على الإسلام والمسلمين ، وفي الإسلام شديداً على عثمان أوّلاً ، ثمّ على أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ، وانتصر لمعاوية في حربه مع الإمام عليّ ، وكان داهية ذا رأي وحزم ومكيدة ، افتتح مصر في أيّام الخليفة عمر ، ووليها له ، وعزله عثمان (الأعلام ٥ / ٢٤٨) ، ويؤثر عنه ما قاله حين احتضر : يا ربّ ، إنّك أمرتنا فلم نأتمر ، وزجرتنا فلم ننزجر ، وإنّا لا نعتذر ، ولكن نستغفر (محاضرات الأدباء ٤ / ٤٧١ و٤٧٢) .

٤١

طول الغمّة يطمع في انقضائها

كتب سعيد بن حُمَيد[1] ، إلى عبيد الله بن عبد الله بن طاهر[2] ، كتاباً من الاستتار ، قال فيه :

وأرجو أن يكشف الله ، بالأمير أعزّه الله ، هذه الغمّة الطويل مداها [٢٧ غ] ، البعيد منتهاها ، فإنّ طولها ، قد أطمع في انقضائها ، وتراخي أيّامها ، قد سهّل سبيل الأمل لفنائها[3] .

---

١ أبو عثمان سعيد بن حميد بن سعيد : كاتب مترسّل ، شاعر ، ولد ببغداد ، وتقلّد للمستعين العبّاسي ديوان رسائله ، توفّي نحو سنة ٢٥٠ (الأعلام ٣ / ١٤٦) راجع أخباره في الأغاني ١٨ / ١٥٦ وفوات الوفيات ٢ / ٢٥٣ والفهرست ١٣٧ .

٢ أبو أحمد عبيد الله بن عبد الله بن طاهر بن الحسين (٢٢٣ – ٣٠٠) : أديب ، شاعر ، انتهت إليه رئاسة أسرته ، ولّاه المعتز بالله إمارة بغداد لمّا توفّي أخوه محمّد بن عبد الله بن طاهر ، راجع ترجمته في الأعلام ٤ / ٣٥٠ وأخباره في الكامل لابن الأثير ٧ / ١٨١ – ٥٠٠ و ٨ / ٧٥ وفي نشوار المحاضرة القصّة ١ / ٦٥ والديارات ١٠٩ – ١٢٢ والاغاني ٩ / ٤٠ – ٤٧ ووفيات الاعيان ٣ / ١٢٠ وتاريخ بغداد للخطيب ١٠ / ٣٤٠ .

٣ في غ : لنفادها .

٤٢

رقعة أبي الفرج الببغاء إلى القاضي

التنوخي مؤلّف الكتاب يتوجّع له في محنته

قال مؤلّف هذا الكتاب : ولحقتني محنة غليظة من السلطان[١] ، فكتب إليّ أبو الفرج عبد الواحد بن نصر بن محمد المخزومي الكاتب الشاعر النصيبي ، المعروف بالببغاء ، رقعة ، يتوجّع لي فيها ، نسختها :

بسم الله الرّحمن الرحيم ، مُدَدُ النعم – أطال الله بقاء سيّدنا القاضي – بغفلات المسارّ وإن طالت ، أحلام ، وساعات المحن ، وإن قصرت بشوائب الهمّ ، أعوام ، وأحظانا بالمواهب ، من ارتبطها بالشكر ، وأنهضنا بأعباء المصائب ، من قاومها بعدد الصبر ، إذ كان أوّلها بالعظة مذكّراً ، وآخرها بمضمون الفرج مبشّراً ، وإنّما يتعسّف ظلم الفتنة ، ويتمسّك[٢] بتفريط العجز ، ضالّ الحكمة ، من كان بسنة الغفلة مغموراً ، وبضعف المنّة والرأي مقهوراً ، وفي انتهاز فرص الحزم مفرّطاً ، ولمرضيّ ما اختاره الله تعالى فيه متسخّطاً .

وسيّدنا القاضي – أدام الله تأييده – أنور بصيرةً ، وأطهر سريرةً ، وأكمل حزماً ، وأنفذ مضاءً وعزماً ، من أن يتسلّط الشكّ على يقينه [٢٣ ظ] أو يقدح اعتراض الشبه في مروءته ودينه ، فيلقى ما اعتمده الله من طارق القضاء المحتوم ، بغير واجبه من فرض الرضا والتسليم ، ومع ذلك فإنّما تعظم المحنة إذا تجاوزت ،

---

١ المحنة الغليظة الّتي يشير إليها القاضي المؤلّف ، أحسبها الّتي جرت في السنة ٣٧١ لمّا سخط عليه عضد الدّولة ، فصرفه عن جميع ما كان يتقلّده ، وأمره بلزوم منزله ، وقد أشرنا إلى ذلك في ترجمة المؤلّف في صدر الجزء الأوّل من هذا الكتاب ، راجع كتاب تجارب الأمم ٣ / ٢٠ و ٢١ .

٢ في ظ : وتفسد ، وفي غ : ويفسد ، وما أثبتناه من هـ .

وضعف التنبيه من الله جل ذكره إلى واجب العقوبة ، ويصير مجيء السّلطان – أدام الله عزّه – بها ، وجوب الحجة ، وشغلت الألسن عن محمود الثناء[3] منها بمذموم اللائمة ، فإذا خلت من هذه الصفات المليمة ، والشوائب المذمومة ، كانت – وإن راعَ ظاهرها – بصفات النعم أولى ، وبأسماء المنح[4] أحقّ وأحرى ، ومتى أعمل ذو الفهم الثاقب ، والفكر الصائب ، مثله أعزّه الله ، بكامل عقله ، وزائد فضله ، فيما يسامح به الدنيا من مرتجع هباتها ، وتمدّ له من خدع لذّاتها ، علم أنّ أسعد أهلها فيها ببلوغ الآمال ، أقربهم فيما خوّله من التغيّر والانتقال ، فصفاؤها مشوب بالكدر ، وأمنها مروع بالحذر ، لأنّ انتهاء الشيء إلى حدّه ، ناقل له عما كان عليه إلى ضدّه ، فتكاد المحنة ، بهذه القاعدة ، لاقترانها من الفرج بفسيح الرجاء ، وانتهاء الشدّة منها إلى مستجدّ الرخاء ، أن تكون أحقّ بأسماء النعم ، وأدخل في أسباب المواهب والقسم ، وبالحقيقة ، فكلّ وارد من الله تعالى على العبد ، وإن جهل مواقع الحِكَمِ منه ، وساءه استتار عواقب الخيرة بمفارقة ما نقل عنه ، غير خالٍ من مصلحة ، بتقديم عاجل ، وادّخار آجل . وهذا وصف ما ذكّر الله به سيّدنا القاضي – أدام الله تأييده – إذ كان للمثوبة مفيداً ، وللفرج ضامناً ، وبالحظّ مبشّراً ، وإلى المسرة مؤدّياً ، وبأفضل ما عوّده الله جلّ اسمه عائداً ، وهو – أدام الله كفايته – يتنجّز ذلك بمستحكم الثقة ، ووجاهة الدعاء والرغبة ، ووسائط الصبر والمعونة ، ولعلّه أن يكون إليه أقرب من ورود رقعتي هذه عليه ، بقدرة الله ومشيئته ، ولولا الخوف من الإطالة ، والتعرّض للإضجار والملالة ، بإخراج هذه الرقعة عن مذهب الرقاع ، وإدخالها بذكر ما نطق به نصّ الكتاب ، من ضمان اليسر بعد العسر ، وما وردت به في هذا المعنى ، الأمثال السائرة ، والأشعار المتناقلة ، في جمة الرسائل وحيز المصنّفات ،

---

٣ كذا في هـ ، وفي ظ : البري ، وفي غ : الزي .

٤ في غ : وبأسباب المنح .

لأودعتها نبذاً من ذلك ، لكنّي آثرت أن لا أعدل بها عما افتتحتها به ، واستخدمتها له ، مقتصراً على استغناء سيّدنا القاضي – أدام الله تأييده – عن ذلك ، بمرشد حفظه ، ووفور فضله ، ومأثور نباهته ونبله ، والله يبلغه ويبلغنا فيه نهاية الآمال ، ولا يخليه ، في طول البقاء ، من مواد السعادة والإقبال ، إن شاء الله تعالى ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

٤٣

حسن الظّن بالله أقرب إلى الفرج

قال بعض الصالحين : [٢٨ غ] استعمل في كلّ بليّة تطرقك حسن الظنّ بالله عزّ وجلّ ، في كشفها ، فإنّ ذلك أقرب بك إلى الفرج .

٤٤

الصبر على قدر البلاء

وروي عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، أنّه قال : أفضل عمل الممتحنين ، انتظار الفرج من الله عزّ وجلّ ، والصبر على قدر البلاء .

وعنه : الصبر كفيل بالنجاح ، والمتوكّل لا يخيب ظنّه .

٤٥

قد ينجلي المكروب عمّا يسرّ

وكان يقال : العاقل لا يذلّ بأوّل نكبة ، ولا يفرح بأوّل نعمة ، فربّما أقلع المحبوب عمّا يضر ، وأجلى المكروه عمّا يسرّ .

شكا عبد الله بن طاهر[1] ، إلى سليمان بن يحيى بن معاذ[2] كاتبه ، بلاءً خافه وتوقّعه .

فقال له : أيّها الأمير ، لا يغلبنّ على قلبك ، إذا اغتممت ، ما تكره دون ما تحبّ ، فلعلّ العاقبة تكون بما تحبّ ، وتوقّي ما تكره ، فتكون كمن يستسلف الغمّ والخوف .

قال : أمَا أنّك قد فرّجت عنّي ما أنا فيه .

---

١. الأمير أبو العبّاس عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب بن زريق (١٨٢ - ٢٣٠) : ترجمته في حاشية القصّة ١٢٤ من الكتاب .

٢ سليمان بن يحيى بن معاذ : كان يكتب للأمير عبد الله بن طاهر ثم ارتقت به الحال فأصبح من كبار رجال الدّولة ، ذكره الطبري ٩ / ٢٨٣ وابن الأثير ٧ / ١٤١ في أخبار السنة ٢٥١ .

٤٦

لماذا أصبح الاستغفار سنّة في الاستسقاء

بلغني أنّ الناس قحطوا بالمدينة ، في سنة من خلافة عمر بن الخطاب[1] ، فخرج بهم مستسقياً ، فكان أكثر قوله الاستغفار .

فقيل له : يا أمير المؤمنين ، لو دعوت .

فقال : أما سمعتم قوله عزّ وجلّ ﴿ استغفروا ربّكم ،إنّه كان غفّاراً ، يرسل السماء عليكم مدراراً ، ويمددكم بأموال وبنين ، ويجعل لكم جنات ، ويجعل لكم أنهاراً[2] ﴾ .

فصار الاستكثار من الاستغفار في الاستسقاء [٢٤ ظ] سنّة إلى اليوم .

---

١ الفاروق أبو حفص عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي : ثاني الخلفاء الراشدين ، ولد سنة ٤٠ ق.هـ ، وأسلم سنة ٥ ق.هـ ، وبويع بالخلافة سنة ١٣ هـ ، وقتل غيلة سنة ٢٣ ، قتله أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة ، وفي عهده تمّ فتح الشام والعراق ، وفتحت مصر ، والقدس ، والجزيرة ، وفي عهده مصّرت الكوفة والبصرة (الأعلام ٥ / ٢٠٣) .

٢ ١٠ – ١٢م نوح ٧١ .

٤٧

أقوال الحكمــاء في الصبر

يحكى عن أنوشروان[١] ، أنّه قال :

جميع المكاره في الدنيا ، تنقسم على ضربين ، فضرب فيه حيلة ، فالاضطراب دواؤه ، وضرب لا حيلة فيه ، فالاصطبار[٢] شفاؤه .

كان بعض الحكماء يقول : الحيلة فيما لا حيلة فيه ، الصبر .

وكان يقال : من اتّبع الصبر ، اتّبعه النّصر .

ومن الأمثال السائرة : الصبر مفتاح الفرج ، من صبر قدر ، ثمرة الصبر الظفر ، عند اشتداد البلاء يأتي الرخاء .

وكان يقال : تضايقي تنفرجي[٣] .

وكان يقال : إذا اشتدّ الخناق انقطع .

وكان يقال : خفِ المضارّ ، من خلل المسارّ ، وارجُ النفع ، من موضع المنع ، واحرص على الحياة ، بطلب الموت ، فكم من بقاء سببه استدعاء الفناء ، ومن فناء سببه إيثار البقاء ، وأكثر ما يأتي الأمن من قبل الفزع .

والعرب تقول : إنّ في الشرّ خياراً .

وقال الأصمعيّ : معناه ، أنّ بعض الشرّ أهون من بعض .

وقال أبو عبيدة : معناه ، إذا أصابتك مصيبة ، فاعلم أنّه قد يكون أجلّ منها ، فلتهن عليك مصيبتك .

---

١ كسرى أنوشروان (٥٣١م – ٥٧٩م) : ملك الفرس ، حارب البيزنطيّين وفتح انطاكية ، وأنوشروان كلمة فارسية معناها : ذو النفس الخالدة (المنجد) .

٢ في ظ وغ : فالاضطراب ، والتّصحيح من هـ .

٣ لم ترد هذه الفقرة في غ .

قال بعض الحكماء : عواقب الأمور ، تتشابه في الغيوب[4] ، فربّ محبوب في مكروه ، ومكروه في محبوب ، وكم مغبوط بنعمة هي داؤه ، ومرحوم من داء هو شفاؤه .

وكان يقال : ربّ خير من شرّ ، ونفع من ضرّ .

وروي أنّ أمير المؤمنين عليًّا قال : يا ابن آدم ، لا تحمل همّ يومك الذي لم يأت ، على يومك الذي أتى ، فإنّه إن يكن في عمرك ، يأتك الله فيه بمحبّتك ، واعلم أنّك لن تكسب شيئاً سوى قوتك ، إلاّ كنت فيه خازناً لغيرك بعد موتك .

وقال وداعةُ السهمي ، في كلام له : اصبر على الشرّ إن قدحك[5] ، فربّما أجلى عمّا يفرحك ، وتحت الرغوة اللبن الصريح .

٤٨

شريح القاضي يحمد الله على المصيبة أربع مرّات

قال شريح[1] : إنّي لأصاب بالمصيبة ، فأحمد الله عزّ وجلّ عليها أربع مرّات ، أحمده إذ لم تكن أعظم ممّا هي ، وأحمده إذ رزقني الصبر عليها ، وأحمده إذ وفّقني للاسترجاع ، لما أرجو فيه من الثواب ، وأحمده إذ لم يجعلها في ديني .

---

٤ في ظ وغ : أعناق الأمور ، تشابه في العيون ، والتصحيح من هـ .

٥ هكذا وردت في جميع النسخ ، وأحسب أنّ الصحيح : فدحك ، بالفاء .

١ أبو أميّة شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم الكندي القاضي : من أشهر القضاة في صدر الإسلام ، ولّي قضاء الكوفة في زمن عمر وعثمان وعليّ ومعاوية ، واستعفى في أيّام الحجّاج سنة ٧٧ ، ومات بالكوفة سنة ٧٨ (الأعلام ٣ / ٢٣٦) .

٤٩

من ساعة إلى ساعة فرج

ويشبه هذا ما روي عن بزرجمهر بن البختكان الحكيم[1] ، الذي كان وزير [١٥ ر] أنوشروان ، فإنّه حبسه عند غضبه ، في بيت كالقبر ظلمة وضيقاً ، وصفّده بالحديد ، وألبسه الخشن من الصوف ، وأمر أن لا يزاد في كلّ يوم ، على قرصين خبزاً شعيراً ، وكفّ ملح جريش ، ودورق ماء ، وأن تحصى ألفاظه ، فتنقل إليه ، فأقام بزرجمهر شهوراً ، لا تسمع له لفظة .

فقال أنوشروان : أدخلوا إليه أصحابه ، ومروهم أن يسألوه ، ويفاتحوه في الكلام ، واسمعوا ما يجري بينهم ، وعرّفونيه .

فدخل إليه جماعة من المختصّين – كانوا – به ، فقالوا له : أيّها الحكيم ، نراك في هذا الضيق ، والحديد ، والصوف ، والشدّة التي وقعت فيها ، ومع هذا ، فإنّ سحنة وجهك ، وصحّة جسمك ، على حالهما ، لم تتغيّرا ، فما السبب في ذلك ؟ .

فقال : إنّي عملت جوارشاً[2] من ستّة أخلاط ، آخذ منه كلّ يوم شيئاً ، فهو الذي أبقاني على ما ترون .

قالوا : فصفه لنا ، فعسى أن نبتلى بمثل بلواك ، أو أحد من إخواننا ، فنستعمله ونصفه لـه .

---

١ بزرجمهر بن البختكان : من حكماء الفرس ، كان وزير كسرى أنوشروان ، قيل أنّه مؤلّف كتاب كليلة ودمنة (الفهرست ٢٦٤) ، أحسب أن الاسم مركّب من كلمتين : بزرك : فارسيّة : عظيم ، قوي ، ومهر : فارسيّة : محبّة .

٢ الجوارش ، وقد تسمّى جوارشن : مساحيق تجمع ويركّب منها دواء يقوّي المعدة ويهضم الطعام (لسان العرب) ، والكلمة فارسيّة ، أصلها : گوارش ، بمعنى الهضم (المعجم الذهبي ، فارسي عربي) .

قال : الخلط الأول : الثقة بالله عزّ وجلّ ، والخلط الثاني : علمي بأنّ كلّ مقدّر كائن ، والخلط الثالث : الصبر خير ما استعمله الممتحنون ، والخلط الرابع : إن لم أصبر أنا فأيّ شيء أعمل ، ولمَ أُعين على نفسي بالجزع ، والخلط الخامس : قد يمكن أن أكون في شرّ مما أنا فيه ، والخلط السادس : من ساعة إلى ساعة فرج .

[قال : فبلغ كسرى كلامه ، فعفا عنه][3] .

---

[3] الزيادة من هـ .

٥٠

يأتي الله بالفرج عند انقطاع الأمل

واستبهام الحيل

فصلٌ لبعض كتّاب زماننا ، وهو علي بن نصر بن علي الطبيب[1] :

وكما أنّ الله جلّ وعلا يأتي بالمحبوب ، من الوجه الذي قدّر ورود المكروه منه ، ويفتح بفرج ، عند انقطاع الأمل ، واستبهام [٢٩ غ] وجوه الحيل ، ليحضّ سائر خلقه ، بما يريهم من تمام قدرته ، على صرف الرجاء إليه ، وإخلاص [آمالهم في][2] التوكّل عليه ، وأن لا يزووا وُجوههم [٢٢ م] في وقت من الأوقات [٢٥ ظ] عن توقّع الروح منه ، فلا يعدلوا بآمالهم على أيّ حال من الحالات ، عن انتظار فرج يصدر عنه ، وكذلك أيضاً ، يسرّهم فيما ساءهم ، بأن كفاهم بمحنة يسيرة ، ما هو أعظم منها ، وافتداهم بملمّة سهلة ، مما كان أنكى فيهم لو لحقهم .

قال إسحاق العابد : ربّما امتحن الله العبدَ ، بمحنة يخلّصه بها من الهلكة ، فتكون تلك المحنة ، أجلّ نعمة .

قال : وسمعت ، أنّ من احتمل المحنة ، ورضي بتدبير الله تعالى في النكبة ، وصبر على الشدّة ، كشف له عن منفعتها ، حتى يقف على المستور عنه من مصلحتها .

وقال عبد الله بن المعتزّ[3] : ما أوطأ راحلةِ الواثق بالله ، وآنس مثوى المطيع لله .

---

١ أبو الحسن عليّ بن نصر بن عليّ الطبيب النّصراني : أديب ، مصنّف ، ترجم له ابن النديم في الفهرست ١٤٥ وياقوت في معجم الأدباء ٥ / ٤٣٢ وقال إنّه توفّي سنة ٣٧٧ .

٢ الزيادة من م .

٣ أبو العبّاس عبد الله بن محمّد المعتز بن جعفر المتوكّل (٢٤٧ – ٢٩٦) : الشاعر المبدع ، خليفة

حكى بعض النصارى ، أنّ بعض الأنبياء عليهم السلام ، قال : المحن تأديب من الله ، والأدب لا يدوم ، فطوبى لمن تصبّر على التأديب ، وتثبّت عند المحنة ، فيجب له لبس إكليل الغلبة ، وتاج الفلاح ، الذي وعد الله به محبّيه ، وأهل طاعته .

قال إسحاق : احذر الضجر ، إذا أصابتك أسنّة المحن ، وأعراض الفتن ، فإنّ الطريق المؤدّي إلى النجاة صعب المسلك .

قال بزرجمهر : انتظار الفرج بالصبر ، يعقب الاغتباط .

يوم وليلة ، بويع بالخلافة في السنة ٢٩٦ على أثر خلع المقتدر ، ولقبوه بالمرتضى بالله ، فأقام يوماً وليلة ، ثمّ انقلب عليه الحال ، فاعتقله المقتدر وسلّمه إلى مؤنس الخادم ، فقتله (الأعلام ٤ / ٢٦١) .

٥١

حسن الظنّ بالله لا يخيب

فصل آخر ، لبعض كتّاب زماننا ، وهو علي بن نصر بن بشر الطبيب :

كما أنّ الرجاء مادّة الصبر ، والمعين عليه ، فكذلك علّة الرجاء ومادّته ، حسن الظنّ بالله ، الذي لا يجوز أن يخيب ، فإنّا قد نستقري الكرماء ، فنجدهم يرفعون من أحسن ظنّه بهم ، ويتحوّبون[1] من تخييب أمله فيهم ، ويتحرّجون من إخفاق رجاء من قصدهم ، فكيف بأكرم الأكرمين ، الذي لا يعوزه أن يمنح مؤمّليه ، ما يزيد على أمانيهم فيه ، وأعدل الشواهد بمحبّة الله جلّ ذكره ، لتمسّك عبده برحابه ، وانتظار الرَّوْح من ظلّه ومآبه ، أنّ الإنسان لا يأتيه الفرج ولا تدركه النجاة ، إلاّ بعد إخفاق أمله في كلّ ما كان يتوجّه نحوه بأمله ورغبته ، وعند انغلاق مطالبه ، وعجز حيلته ، وتناهي ضرّه ومحنته ، ليكون ذلك باعثاً له على صرف رجائه أبداً إلى الله عزّ وجلّ ، وزاجراً له على تجاوز حسن ظنّه به .

---

١ في غ : يتخوّفون ، وفي م : يخونون ، وكلاهما تصحيف ، والتحوّب : اجتناب الإثم .

٥٢
يدرك الصبور أحمد الأمور

وروي عن عبد الله بن مسعود : الفرج[١] والرَّوح ، في اليقين والرضا ، والهمّ والحزن ، في الشكّ والسخط .

وكان يقول : الصبُور ، يدرك أحمد الأمور .

قال أبان بن تغلب[٢] : سمعتُ أعرابياً يقول :

من أفضل آداب الرجال ، أنّه إذا نزلت بأحدهم جائحة ، استعمل الصبر عليها ، وألهمَ نفسه الرجاء لزوالها ، حتى كأنّه لصبره يعاين الخلاص منها والغناء ، توكّلاً على الله [١٦ ر] عزّ وجلّ ، وحسن ظنّ به ، فمتى لزم هذه الصفة ، لم يلبث أن يقضي الله حاجته ، ويزيل كربته ، وينجح طلبته ، ومعه[٣] دينه وعرضه ومروءته .

---

١ في غ : الفرح .

٢ أبو سعيد أبان بن تغلب الكوفي القارئ : ترجم له صاحب الخلاصة ١٣ وقال إنّه توفّي سنة ١٤١ .

٣ في م : ويصون .

٥٣

ربّ حياة سببها طلبُ الموت

وموت سببه طلبُ الحياة

روى الأصمعي ، عن أعرابيّ ، أنّه قال :

خفِ الشرّ من موضع الخير ، وارجُ الخير من موضع الشرّ ، فربّ حياة سببها طلب الموت ، وموت سببه طلب الحياة ، وأكثر ما يأتي الأمن من ناحية الخوف .

قال مؤلّف هذا الكتاب : ما أقرب هذا الكلام ، من قول قطري بن الفجاءة ، الخارجي[1] ، ذكره أبو تمّام الطائي[2] ، في كتابه المعروف بالحماسة [٣٠ غ] :

لا يركنن أحد إلى الإحجام ... يوم الوغى متخوّفاً لِحمام
فلقد أراني للرماح دريئة ... من عن يميني مرّة وأمامي
حتى خضبتُ بما تحدّر من دمي ... أحناء[3] سرجي أو عنان لجامي
ثم انصرفت وقد أَصبتُ ولم أُصَبْ ... جذع البصيرة قارح الإقدام [٢٣ م]

فهذا من أحبّ الموت ، طلباً لحياة الذكر .

---

١ أبو نعامة قطري بن الفجاءة (واسمه جعونة) بن مازن بن يزيد الكناني المازني التّميمي : من رؤساء الخوارج الأزارقة وأبطالهم ، خطيب ، فارس ، شاعر ، بايعه الخوارج بالخلافة ، وبقي ١٣ سنة يسلّم عليه بالخلافة ، قتل في المعركة سنة ٧٨ (الأعلام ٦ / ٤٦) .

٢ أبو تمّام حبيب بن أوس بن الحارث الطّائي (١٨٨ – ٢٣١) : الشّاعر ، الأديب ، مدح المعتصم فقدّمه على شعراء عصره ، كان أسمر ، طويلاً ، فصيحاً ، حلو الكلام ، ولّي بريد الموصل ، وتوفّي بها (الأعلام ٢ / ١٧٠) أقول : وقبره معروف يزار إلى الآن .

٣ الحنو من السّرج : إسم لكلا القربوسين المقدّم والمؤخّر ، وفي م وديوان الحماسة ١ / ٣٥ أكناف سرجي .

وقد أفصح بهذا الحصين بن الحمام المريّ[4] ، حيث يقول :

تأخّرت أستبقي الحياة فلم أجد لنفسي حياة مثل أن أتقدّما[5]

وهذا كثير متّسع ، وليس هو مما نحن فيه بسبيل ، فنستوعبه ونستوفيه ، ولكن [٢٦ ظ] الحديث ذو شجون ، والشيء بالشيء يذكر ، ونعود إلى ما كنّا فيه .

---

٤ أبو يزيد الحصين بن حمام بن ربيعة المرّي الذّبياني : شاعر ، فارس ، جاهليّ ، نبذ عبادة الأوثان في الجاهليّة ، مات قبيل ظهور الإسلام سنة ١٠ ق.هـ. (الأعلام ٢ / ٢٨٨) .

٥ راجع الحماسة للطائي ١ / ٦٠ ، وتتمّة الأبيات :

فلسنا على الأعقاب تدمى كلومنا ولكن على أقدامنا تقطر الدّما

نفلّق هاماً من رجالٍ أعزّةٍ علينا وهم كانوا أعقّ وأظلما

٥٤

أقوال في تهوين المصائب

قال بعض عقلاء التجّار : ما أصغر المصيبة بالأرباح ، إذا عادت بسلامة الأرواح .

وكأنّه من قول العرب : إن تسلم الجلّة فالسخل هدر[١] .

ومن كلامهم : لا تيأس أرض من عمران ، وإن جفاها الزمان .

والعامّة تقول : نهر جرى فيه الماء ، لا بدّ أن يعود إليه[٢] .

وقال تيمسطوس[٣] : لم يتفاضل أهل العقول والدين ، إلاّ في استعمال الفضل في حال القدرة والنعمة ، وابتذال الصبر في حال الشدّة والمحنة .

وقال بعض الحكماء : العاقل يتعزّى فيما نزل به من المكروه بأمرين ، أحدهما السرور بما بقي له ، والآخر رجاء الفرج مما نزل به ، والجاهل يجزع في محنته بأمرين ، أحدهما استكثار ما أدّي إليه ، والآخر تخوّفه مما هو أشد منه .

---

١ في معجم الأمثال للميداني ١ / ٢٣ : ان تسلم الجلّة فالنيب هدر ، والجلّة : العظام من الإبل ، والنيب : النّاقة المسنّة ، يعني أنّه إذا سلم ما ينتفع به ، هان ما لا ينتفع به ، والسخل : ولد الشّاة ، والبغداديّون يسمّونه : صَخَلْ .

٢ في البصائر والذّخائر ٤ / ٦٤ حدّثني بعض أصحابنا البغداديين سمعت شيخاً من العامّة يقول لآخر : والك ، نهر جرى فيه الماء لا بدّ من أن يعود إليه ، فقال الآخر : والك ، حتّى يعود إليه ، (تكون) ماتت ضفادعه .

٣ في ر وغ : سمسطوس ، وفي م : بطليموس ، والصحيح : ثامسطيوس : فيلسوف رومي ، ترجم له صاحب تاريخ الحكماء ص. ١٠٧ وذكر مؤلّفاته وقال عنه : إنّه كان فيلسوفاً ، وكان كاتباً ليوليانوس المرتدّ عن النّصرانيّة إلى مذهب الفلاسفة .

٥٥

كلمات في الصبر على المحنة

وكان يقال : المحن آداب الله عزّ وجلّ لخلقه ، وتأديب الله يفتح القلوب ، والأسماع ، والأبصار .

ووصف الحسن بن سهل[١] ، المحن ، فقال : فيها تمحيص من الذنب ، وتنبيه من الغفلة ، وتعرّض للثواب بالصبر ، وتذكير بالنعمة ، واستدعاء للمثوبة ، وفي نظر الله عزّ وجلّ وقضائه الخيار .

وبلغني هذا الخبر على وجه آخر : قرئ على أبي بكر الصولي[٢] ، وأنا حاضر أسمع ، بالبصرة في سنة خمس وثلاثين وثلثمائة ، في كتابه « كتاب الوزراء » : حدّثكم أبو ذكوان القاسم بن إسماعيل ، قال :

سمعت أبا إسحاق إبراهيم بن العباس بن محمد بن صول الكاتب[٣] ، يصف الفضل بن سهل[٤] ، ويذكر تقدّمه ، وعلمه ، وكرمه ، وكان ممّا حدّثني

---

١ أبو محمّد الحسن بن سهل بن عبد الله السرخسي (١٦٦ – ٢٣٦) : ترجمته في حاشية القصّة ٢٠٣ من هذا الكتاب .

٢ أبو بكر محمّد بن يحيى بن عبد الله الصّولي : من علماء الأدب ، بارع في الشطرنج ، نادم ثلاثة خلفاء الراضي ، والمكتفي ، والمقتدر ، نسبته إلى جدّه : صول تكين ، توفّي في السنة ٣٣٥ بالبصرة مستتراً (الأعلام ٨ / ٤) وهو أحد أساتذة القاضي التنوخي صاحب الكتاب ، درس عليه بالبصرة .

٣ أبو إسحاق إبراهيم بن العبّاس بن محمّد بن صول الكاتب (١٧٦ – ٢٤٣) : كاتب العراق في عصره ، كان يكتب لأحمد بن أبي خالد الأحول وزير المأمون (الطبري ٨ / ٥٩٥ والقصّة ٨١ من الكتاب) ثم كتب للمعتصم والواثق والمتوكّل ، ومات وهو يتقلّد ديوان الضياع والنفقات بسامراء ، له شعر رائق ممتاز ، وهو خال العبّاس بن الأحنف الشاعر (الأعلام ١ / ٣٨) .

٤ أبو العبّاس الفضل بن سهل السرخسي (١٥٤ – ٢٠٢) : وزير المأمون وصاحب تدبيره ، صحبه قبل أن يلي الخلافة ، فلما وليها استوزره وولّاه قيادة الجيش ، فلقّب بذي الرئاستين ، رئاسة القلم والسّيف ، كان حازماً ، عاقلاً ، فصيحاً ، قتل في الحمّام (الأعلام ٥ / ٣٥٤) .

به : أنّه بريئ من علّة كان فيها ، فجلس للناس ، وهنّوه بالعافية ، فلمّا فرغ الناس من كلامهم ، قال الفضل :

إنّ في العلل لنعماً لا ينبغي للعاقل أن يجهلها : تمحيص للذنب ، وتعرّض لثواب الصبر ، وإيقاظ من الغفلة ، وإذكار بالنعمة في حال الصحّة ، واستدعاء للمثوبة ، وحضّ على الصدقة ، وفي قضاء الله وقدره بعد ، الخيار .

٥٦

إنّما يبتلى الصالحون

وكتب محمد بن الحنفيّة[١] ، إلى عبد الله بن عبّاس ، حين سيّره ابن الزبير [٢]

---

١ أبو القاسم محمّد بن الإمام عليّ بن أبي طالب (٢١ – ٨١) : يعرف بابن الحنفيّه لأنّ أمّه من بني حنيفة ، أحد الأبطال الأشدّاء ، وكان واسع العلم ، ورعاً ، قويّ البدن ، شجاعاً ، ولد وتوفّي بالمدينة (الأعلام ٧ / ١٥٢) .

٢ أبو بكر عبد الله بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي (١ – ٧٣) : أوّل مولود في المدينة بعد الهجرة ، أبوه الزبير بن العوام حواري رسول الله صلوات الله عليه وابن عمّته ، وأمّه أسماء ذات النطاقين بنت أبي بكر الصدّيق ، بويع له بالخلافة في السنة ٦٤ عقيب موت يزيد بن معاوية ، ودانت له مصر والحجاز واليمن والعراق وخراسان وأكثر بلاد الشّام ، ثم تقلّصت دولته ، حتّى حصره الأمويون في مكّة ، وقتل في المعركة (الأعلام ٤ / ٢١٨) أقول : كانت جميع الظروف في مصلحة عبد الله بن الزّبير لمّا نهض بحركته ، فقد كان الحكم الأموي مكروهاً عند المسلمين أجمع ، وكان يزيد بن معاوية ، قد ختم حياته بأعمال ثلاثة ، لا يتسنّى لأحد من النّاس جمعها لنفسه إلاّ بخذلان من الله تعالى وهي : قتل الحسين ابن عليّ بن أبي طالب ، وإباحة المدينة ، وهدم الكعبة بالمنجنيق ، أمّا ابن الزبير ، فقد كان أبوه حواري النبيّ وابن عمّته ، وجدّه لأمّه أبو بكر الصدّيق خليفة رسول الله ، وكان فارساً ، شجاعاً ، خطيباً ، فكانت كلّ الظروف في مصلحته ، ولكنّ تصرّفاته أودت به ، فقد كان بخيلاً ، وفد عليه أخوه المصعب ومعه وجوه أهل العراق ، فحرمهم وطردهم ، فانتقضوا عليه ، وراسلوا الأمويّين ، فأضاع العراق ،

عن مكّة ، إلى الطائف :

أمّا بعد ، فإنّه بلغني أنّ ابن الزبير سيّرك إلى الطائف ، فأحدث الله عزّ وجلّ لك بذلك أجراً ، وحطّ به عنك [٣١ غ] وزراً ، يا ابن عمّ ، إنّما يبتلى الصالحون ، وتعدّ الكرامة للأخيار ، ولو لم تؤجر إلاّ فيما تحبّ ، لقلّ الأجر ، وقد قال الله تعالى : ﴿ وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم ، وعسى أن تحبّوا شيئاً وهو شرّ لكم ﴾[٣] عزم الله لنا ولك ، بالصبر على البلاء [١٧ ر] ، والشكر على النعماء ، ولا أشمتَ بنا وبك الأعداء ، والسلام[٤] .

وأضاع أخاه المصعب ، وكان يحكم مملكته حكماً مركزيًّا بعقليّة ضيّقة ، فقد أمر أخاه أن يقتل زوجة المختار الثقفي لأنّها أبت أن تتبرّأ من زوجها ، فَقُتِلَتْ (العقد الفريد ٦ / ١١٨ والأغاني ٩ / ٢٢٨) ، ولمّا حبس محمّد بن الحنفيّة في سجن عارم ، وبعث إليه المختار جنداً من العراق ، فأطلقوه ، كتب إلى أخيه لمّا استولى على العراق ، أن يعتقل نسوة أولئك الجنود ، وينفيهنّ عن بلدهنّ (الأغاني ١٥ / ١٥٠) وكانت تصرّفاته هذه ممّا أدّت إلى انزعاج الرعيّة منه ، إذ لم يجدوا فرقاً بين حكمه وحكم الأمويّين ، وممّا زاد في مشاكله أنّه خاصم بني هاشم وقد كان عليه أن يضمّهم إلى جانبه ليتقوّى بهم ، ففعل خلاف ذلك ، فقد اشتدّ في خصومتهم وحبس كبيرهم محمّد بن الحنفيّة ، ابن الإمام عليّ بن أبي طالب ، في سجن عارم ونفى شيخهم عبد الله بن عبّاس إلى الطائف ، وبلغ به الحال أنّه قطع الصلاة على النبيّ صلوات الله عليه ، غيظاً من بني هاشم ، ولمّا أنكر عليه ذلك ، قال : إنّ له قوم سوء تشرئبّ أعناقهم عند ذكره . وقد ختم عبد الله بن الزّبير حياته بعمل نادر المثيل من أعمال البطولة والفداء شاركته فيه أمّه أسماء ذات النطاقين ، فإنّه لمّا أدرك مصيره ، جاء إلى أمّه ، وهي عجوز عمياء بلغت المائة ، وشكى إليها تخلّي النّاس عنه ، وخذلانهم إيّاه ، وقال لها : إنّ القوم يعطوني ما أردت من الدّنيا فما رأيك ؟ فقالت : يا بنيّ ، أنت أعلم بنفسك ، إن كنت تعلم أنّك على حقّ ، فأمض له ، فقد قتل عليه أصحابك ، فقال لها : إنّي أخشى إن قتلت أن يمثّل بي ، فقالت : يا بنيّ إنّ الشاة إذا ذبحت لم تألم السلخ ، فخرج ، وحارب ، واستقتل ، فقتل ، وماتت أمّه بعده بأيّام .

٣ ٢١٦ م البقرة ٢ .

٤ راجع القصّة ٢٧٩ من هذا الكتاب .

٥٧

النّعمة والعافية تبطران الإنسان

وكتب بعض الكتّاب إلى صديق له في محنة لحقته :

إنّ الله تعالى ليمتحن العبد ، ليكثر التواضع له ، والاستعانة به ، ويجدّد الشكر على ما يوليه من كفايته ، ويأخذ بيده في شدته ، لأنّ دوام النعم والعافية ، يبطران الإنسان ، حتى يعجب بنفسه ، ويعدل عن ذكر ربه ، وقد قال الشاعر :

لا يترك الله عبداً ليس يذكره ممن يؤدّبه أو من يؤنّبه
أو نعمة تقتضي شكراً يدوم له أو نقمة حين ينسى الشكر تنكبه [٢٤ م]

٥٨

كلمات في الشّكر على العافية

والصّبر على الشدّة

وقال الحسن البصري : الخير الذي لا شرّ فيه ، هو الشكر مع العافية ، والصبر عند المحنة ، فكم من منعم عليه غير شاكر ، وكم مبتلى بمحنة وهو غير صابر .

وقال أبو الحسن المدائني[1] ، في كتابه « كتاب الفرج بعد الشدّة والضيقة » : كان ابن شبرمة إذا نزلت به شدّة ، يقول : سحابة ثم تنقشع .

وقال في كتابه هذا ، عن جعفر بن سليمان الهاشمي[2] ، قال : قال بعض

١ أبو الحسن عليّ بن محمّد بن عبد الله المدائني (١٣٥ – ٢٢٥) : راوية ، مؤرّخ ، من أهل البصرة ، سكن المدائن ، فنسب إليها ، ثم انتقل إلى بغداد ، أورد ابن النّديم في الفهرست أسماء ٢٠٠ مؤلّف من مؤلّفاته (الأعلام ٥ / ١٤٠) .

٢ جعفر بن سليمان بن عليّ بن عبد الله بن العبّاس الهاشمي : ترجمته في حاشية القصّة ١٥٦ من هذا الكتاب .

الحكماء : آخر الهمّ ، أول الفرج ، وكان جعفر يقول : قد وجدناه كذلك .

وقد ذكر هذا الخبر القاضي أبو الحسين ، في كتابه « كتاب الفرج بعد الشدّة » عن المدائني ، هكذا [٢٧ ظ] .

وذكر أبو الحسين القاضي في كتابه « كتاب الفرج بعد الشدّة » ، فقال : حدّثني بعض أصحابنا ، قال : حدّثني الحسن بن مكرم[٣] ، قال : حدّثني ابن أبي عديّ[٤] ، عن شعبة ، عن قتادة ، عن زرارة بن أوفى[٥] ، عن أبي هريرة[٦] ، قال : سمعت النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، يقول : لأن أكون في شدّة ، أتوقّع بعدها رخاء ، أحبّ إليّ من أن أكون في رخاء ، أتوقّع بعده شدّة .

---

٣ أبو عليّ الحسن بن مكرم بن حسّان البزّار (١٨٢ – ٢٧٤) : ترجم له الخطيب البغدادي في تاريخه ٧ / ٤٣٢ .

٤ أبو عمر محمّد بن إبراهيم بن أبي عديّ السّلمي البصري : ترجم له صاحب الخلاصة ٢٧٦ وقال إنّه توفّي سنة ١٩٤ .

٥ أبو حاجب زرارة بن أوفى الحرشي البصري القاضي : ترجم له صاحب الخلاصة ١٠٣ وقال إنّه توفّي سنة ٩٣ .

٦ أبو هريرة عبد الرحمن بن صخر الدّوسي (٢١ ق – ٥٩) : يلقّب بشيخ المضيرة (لطائف المعارف ١٦) ، أفرط في الرواية عن رسول الله صلوات الله عليه حتّى اتّهمه النّاس ، وكذّبه من كبار الصّحابة عليّ وعمر وعثمان ، ومن أمّهات المؤمنين عائشة وحفصة (أبو هريرة ١٠٣ ، ١٣٣ ، ١٣٥ ، ١٣٨) ، وعن الشّيخ ابن تيميّة إنّ أبا هريرة صحب النبيّ أقلّ من أربع سنوات ، وروى عنه خمسة آلاف وثلثمائة وأربعة وسبعين حديثاً (الأعلام ٤ / ٨١) مع أنّ أبا بكر الصدّيق صحب النبيّ مدّة البعثة كلّها (٢٣ عاماً) وكان ألصق النّاس به ، ولم يرو عنه إلا ١٤٢ حديثاً (أبو هريره ١٢٧) وأبو هريرة أوّل من اختزل من بيت مال المسلمين ، استعمله الخليفة عمر على البحرين ، ثم عزله ، وحاسبه ، وغرّمه ما حصل عليه ، (لطائف المعارف ١٤ والعقد الفريد ١ / ٤٥ وفتوح البلدان ٩٣) وروى أحاديث في فضل بني أميّة (أبو هريرة ٢٢٩ ، ٢٣٠) وولي لهم المدينة (الأعلام ٤ / ٨١) .

٥٩

لو كان العسر في كُوَّة لجاء يُسران فأخرجاه

وذُكر عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، بغير إسناد ، أنّه قال : لو كان العسر في كوّة ، لجاء يسران ، فأخرجاه .

قال مؤلّف هذا الكتاب : كان لي في هذا الحديث ، خبر طريف ، وذلك أنّي كنت قد لجأت إلى البطيحة[1] ، هارباً من نكبة لحقتني ، واعتصمت بأميرها معين الدولة أبي الحسين عمران بن شاهين السلمي[2] – على ما كان يقول رحمه

---

١ البطيحة ، وجمعها البطائح ؛ يقال : تبطّح السّيل ، إذا اتّسع في الأرض ، وبذلك سمّيت بطائح واسط ، لأنّ المياه تبطّحت فيها ، وهي أرض واسعة بين واسط والبصرة ، كانت قديماً قرى متّصلة ، وأراضي عامرة ، فاتّفق في أيّام كسرى أبرويز أن زادت دجلة زيادة مفرطة ، وزاد الفرات أيضاً ، بخلاف العادة ، فعجزوا عن سدّها ، وتبطّح الماء في تلك الديار والعمارات والمزارع ، فطرد أهلها عنها (معجم البلدان ١ / ٦٦٨) ، وفي العراق ثلاث بطائح ، بطائح البصرة ، وبطائح الكوفة من فضلات ماء الفرات ، وبطائح واسط من مياه نهر دجلة ، وقد حدثت عند اشتغال الفرس بقتال المسلمين في العراق ، ومنها البطيحة العظمى ، وهي بحيرات أربع ، تدخل إليها دجلة من زقاق قصب ، ثمّ تخرج منها في زقاق قصب ثان إلى البحيرة الثّانية ، فالثّالثة ، فالرّابعة ، وعند انتهاء البطائح ، تخرج منها دجلة ، فتسمّى دجلة العوراء ، وبعد ذلك تتفرّع منها أنهار البصرة ، وتسمّى البطيحة عندهم : الهور (تقويم البلدان لأبي الفداء ٤٣) أقول : وما زال اسم البطيحة عند العراقيّين : الهور ، وجمعه أهوار .

٢ معين الدّولة أبو الحسين عمران بن شاهين السّلمي : أمير البطيحة ، ورأس الإمارة الشاهينيّة ، شمل سلطانه جميع نواحي البطائح ، وكان مقرّه الجامدة ، ونشبت معارك وحروب بينه وبين الحكومات المتوالية ، وانتهت بالصلح على أن تكون له إمارة البطائح ، وطالت أيّامه أربعين سنة ، وتوفّي سنة ٣٦٩ (الأعلام ٥ / ٢٣٣) أقول : كانت البطائح في أيّام عمران بن شاهين ومن بعده ملجأ لكلّ خائف ومأوى لكلّ مطرود (معجم البلدان ٣ / ٤١٥) ، كما يتّضح لك من هذه القصّة ، واستمرّت ملجأ للخائفين في أيّام من خلفه حتّى إنّ من جملة من التجأ إليها القادر بالله العبّاسي لمّا كان أميراً ، واستقرّ فيها منذ السنة ٣٧٩ حتّى بويع له بالخلافة فأصعد إلى بغداد في السنة ٣٨١ ، وقبر عمران بن شاهين بالنجف ، شاهدته غير مرّة .

الله – فألفيت هناك جماعة من معارفي ، بالبصرة وواسط ، خائفين على نفوسهم ، قد هربوا من ابن بقيّة[3] ، الذي كان في ذلك الوقت وزيراً ، ولجأوا إلى البطيحة ، فكنّا نجتمع في المسجد الجامع بشقشى الذي بناه معزّ الدولة أبو الحسين ، فنتشاكى أحوالنا ، ونتمنّى الفرج ممّا نحن فيه من الخوف والشدّة والشقاء .

فقال لي أبو الحسن محمد بن عبد الله بن جيشان[4] الصلحي التاجر ، وكان هذا في يوم الجمعة لتسع ليال خلون من جمادى الأولى سنة خمس وستّين وثلثمائة : حدّثني في هذا اليوم أبو محمد الحسن بن محمد بن عثمان بن قنيف ، وكان أحد خلفاء الحجّاب في دار المقتدر بالله ، وهو شيخ مشهور ، ملازم الآن خدمة معين الدولة [٣٢ غ] ، قال : حدّثنا أبو القاسم بن بنت منيع ، قال : حدّثنا أبو نصر التمّار ، قال : حدّثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت البناني[5] ، عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : لو دخل العسر كوّة ، جاء يسران فأخرجاه .

فلمّا سمعت ذلك ، قلت بديهاً :

إنّا روينا عن النبيّ رسول الـ ـله فيما أفيد من أدبه
لو دخل العسر كوّة لأتى يسـ ـران ، فاستخرجاه من ثقبه

---

٣ أبو طاهر محمّد بن محمّد بن بقيّة بن عليّ (٣١٤ – ٣٦٧) : الوزير النّاصح ، نصير الدّولة ، خدم معزّ الدّولة ، ولمّا خلفه ولده عزّ الدّولة بختيار ، استوزره في السنة ٣٦٢ ، ثمّ نقم عليه فاعتقله في السنة ٣٦٦ ، وسمله ، وسلّمه لعضد الدّولة ، فطرحه تحت أرجل الفيلة ، ثم صلبه ، وكان ابن بقيّة جوّاداً ممدّحاً ، ورثاه ابن الأنباري بقصيدته المشهورة :

علوّ في الحياة وفي الممـ ـات لحقّ أنت إحدى المعجزات

(الأعلام ٧ / ٢٤٤) .

٤ في غ : خيشان .

٥ أبو محمّد ثابت بن أسلم البناني البصري : ترجم له صاحب الخلاصة ٤٧ و٤٨ وقال إنّه توفّي سنة ١٢٧ عن ٨٦ سنة .

فما مضى على هذا المجلس ، إلاّ أربعة أشهر ، حتى فرّج الله تعالى عنّي ، وعن كثير ممن حضر ذلك المجلس ، من الممتحنين[٦] ، وردّنا إلى عوائده عندنا ، فله الحمد والشكر .

وجدت هذا الخبر على غير هذا ، فقد حدّثنا به – من أصل كتابه – جعفر بن أبي طالب ابن البهلول ، قال : حدّثنا أبو القاسم عبد الله بن محمّد البغوي[٧] ، قال : حدّثني علي بن الجعد ، قال : أنبأنا شعبة ، عن معاوية بن قرة[٨] ، عمّن حدّثه عن عبد الله بن مسعود ، قال :

لو أنّ العسر دخل في جحرٍ ، لجاء اليسر حتى يدخل معه ، قال الله تعالى : ﴿ [فإنّ مع العسر يسراً][٩] إنّ مع العسر يسراً ﴾[١٠] .

وحدّثنا علي بن الحسن ، قال : حدّثنا ابن الجرّاح ، قال : حدّثنا ابن أبي الدنيا ، قال : حدّثنا علي بن الجعد ، فذكر نحوه بإسناده .

وأخبرني أبي : قال : قال جعفر بن محمد بن عيينة ، حدّثنا محمد بن معمر[١١] ، قال : حدّثنا حميد بن حماد[١٢] ، قال : حدّثنا عائذ بن شريح[١٣] ،

---

٦ في تجارب الأمم ٢ / ٣٧٤ إنّ بختيار قبض على وزيره ابن بقيّة في ذي الحجّة سنة ٣٦٦ أي بعد المجلس الّذي أشار إليه المؤلّف في هذه القصّة بسبعة أشهر .

٧ أبو القاسم عبد الله بن محمّد بن عبد العزيز المعروف بابن بنت منيع : ترجمته في حاشية القصّة ٢٥ من الكتاب .

٨ أبو إياس معاوية بن قرّة بن إياس المزني البصري : ترجم له صاحب الخلاصة ٣٢٧ وقال : إنّه ولد يوم الجمل ، وتوفّي سنة ١١٣ .

٩ الزيادة من غ .

١٠ ورد الخبر في مخطوطة (د) ص. ١٣٧ .

١١ أبو عبد الله محمّد بن معمر بن ربعي القيسي البحراني : ترجم له صاحب الخلاصة ٣٠٧ وقال إنّه توفّي بعد ٢٥٠ .

١٢ أبو الجهم حميد بن حمّاد بن الخُوار التّميمي الكوفي : ترجم له صاحب الخلاصة ٨٠ .

١٣ عائذ بن شريح : ترجم له صاحب ميزان الاعتدال ٢ / ٣٦٢ .

قال : سمعت أنس بن مالك ، قال :

كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، ينظر إلى حجر بحيال وجهه ، فقال : لو جاءت العسرة حتى تدخل تحت هذا الحجر ، لجاءت اليسرة حتّى تخرجها . فأنزل الله تعالى : ﴿ فإنّ مع العسر يسراً ، إنّ مع العسر يسراً ﴾ [14] .

---

١٤ أليسر : اللّين والانقياد ، قال الشاعر :

قوم إذا شومسوا جدّ الشماس بهم ذات العناد وإن ياسرتهم يسروا

والعسر : الضيق والشدّة والصعوبة ، قال الشاعر :

بشر أبو مروان إن عاسرته عسر وعند يساره ميسور

ولقّب البغداديّون خليفتهم المعتمد العبّاسي : القفل العَسِر ، والعامة ببغداد مشتهرون بتلقيب حكّامهم ألقاباً تظلّ لاصقة بهم (لطائف المعارف ٥٣ و٥٤) ، وقد لقّبوا المنصور العباسي ، لبخله : أبا الدوانيق (تاريخ الخلفاء ٢٥٩) ، ولقّبوا عضد الدولة البويهي : زريق الشارب ، وأبا بكر العذري ، راجع سبب تلقيبه بهذين اللقبين في كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للقاضي التنوخي ، القصة رقم ١٢٧/٥ وراجع كذلك وفيات الأعيان ١١٩/٥ ، والتكملة ٢٢٩ ، ومعجم الأدباء ٣٤٩/٥ و٣٥٥ ، ولقبوا العباس بن الحسن ، وزير المكتفي : كرب الدواء ، والحسين الخادم : عرق الموت (لطائف المعارف ٤٥ ، القصة ١٦٥ من هذا الكتاب) ، ولقّبوا الوزير حامد بن العبّاس ، وزير المقتدر : الوزير بداية ، لما نصب علي بن عيسى معيناً له في الوزارة (التكملة ٢٠) ، ولقّبوا الوزير الخاقانيّ : دقّ صدره (تجارب الامم ٢٤/١) ، ولقّبوا وزيراً آخر : الوزير الزبيبيّ ، ولقّبوا أحد الكتّاب : نطّاحة (القصة ٧٩ من هذا الكتاب) ، وكاتباً آخر : جرادة (لطائف المعارف ٤٥) ، ولقّبوا أحد كبار العمّال ، وهو محمد بن الحسن الكرخي : الجرو (وزراء ٣٣٨ ، والقصة ١٢٤/٤ من كتاب نشوار المحاضرة) ، راجع بحث الألقاب في لطائف المعارف ص ٣٥ – ٥٤ .

٦٠

كلمات في انفراج المحن

وذكر القاضي أبو الحسين ، في كتابه « كتاب الفرج بعد الشدّة » ، بغير إسناد : أنّ عليّاً عليه السلام ، قال :

عند تناهي الشدّة ، تكون الفرجة ، وعند تضايق البلاء ، يكون الرخاء ، ومع العسر ، يكون اليسر .

وذكر عنه عليه السلام ، أنّه قال : ما أبالي بالعسر رميت ، أو باليسر ، لأنّ حقّ الله تعالى في العسر الرضا والصبر ، وفي اليسر الحمد والشكر .

قال مؤلّف هذا الكتاب : حدّثني بعض الشيعة ، بغير إسناد ، قال :

قصد أعرابيّ أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام ، فقال : إنّي ممتحن ، فعلّمني شيئاً أنتفع به .

فقال : يا أعرابيّ إنّ للمحن أوقاتاً ، ولها غايات ، فاجتهاد العبد في محنته ، قبل إزالة الله تعالى إيّاها ، زيادة فيها ، يقول الله عزّ وجلّ : ﴿ إن أرادني الله بضرّ ، هل هنّ كاشفات ضرّه ، أو أرادني برحمة ، هل هنّ [٢٥ م] ممسكات رحمته ، قل حسبي الله ، عليه يتوكّل المتوكّلون ﴾[1] ، ولكن ، استعن بالله ، واصبر ، وأكثر من الاستغفار ، فإنّ الله عزّ وجلّ وعد الصابرين خيراً ، وقال : ﴿ استغفروا ربّكم إنّه كان غفّاراً ، يرسل السماء عليكم مدراراً ، ويمددكم بأموال وبنين ، ويجعل لكم جنّات ، ويجعل لكم أنهاراً ﴾ ، فانصرف الرجل .

فقال أمير المؤمنين عليه السلام [٣٣ غ] :

إذا لم يكن عون من الله للفتى فأوّل ما يجني عليه اجتهاده

---

١ ٣٨ ك الزمر ٣٩ .

٦١

الوزير المهلبيّ يجيئه الغياث من الله تعالى

حدّثنا أبو محمد الحسن بن محمد المهلّبي[١] ، في وزارته ، قال :

كنت في وقت من الأوقات – يعني في أوّل أمره – قد دفعت إلى شدّة شديدة ، وخوف عظيم ، لا حيلة لي فيهما ، فأقمت يومي قلقاً ، وهجم [٢٨ ظ] الليل ، فلم أعرف الغمض ، فلجأت إلى الصلاة والدعاء ، وأقبلت على البكاء في سجودي ، والتضرّع [١٨ ر] ، ومسألة الله عزّ وجلّ ، تعجيل الفرج لي ، وأصبحت من غدٍ ، على قريب من حالي ، إلاّ أنّي قد سكنت قليلاً ، فلم ينسلخ اليوم حتى جاءني الغياث من الله تعالى ، وفرّج عنّي ما كنت فيه ، على أفضل ما أردت ، فقلت :

بعثت إلى رب العطايا رسالة ... توسّل لي فيها دعاءٌ مناصحُ
فجاء جوابٌ بالإجابة وانجلت ... بها كرب ضاقت بهنّ الجوانح

---

١ أبو محمّد الحسن بن محمّد بن عبد الله بن هارون المهلّبي (٢٩١ – ٣٥٢) : من أولاد المهلّب بن أبي صفرة ، وزر لمعزّ الدّولة سنة ٣٣٩ واشتهر بالكفاية ، والأمانة ، والمعرفة بمصالح الدّولة ، وحسن السيرة ، وأزال كثيراً من المظالم ، وقرّب أهل العلم والأدب ، وكان أديباً ، شاعراً ، كريماً ، فاضلاً ، ذا عقل ومروءة ، ومات بموته الكرم ، دامت وزارته ثلاث عشرة سنة وثلاثة أشهر ، راجع أخباره في الكامل لابن الأثير ٨ / ٤٤٩ – ٥٤٦ وفي تجارب الأمم ٢ / ٣٤ – ١٩٧ ومعجم الأدباء ٣ / ١٨٣ – ٢٠٠ وفي نشوار المحاضرة في القصص ١ / ١٢ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٧ ، ٥٨ ، ٧٠ ، ١٦٣ ، ١٦٨ ، و ٢ / ٨١ ، ١٠٤ و ٣ / ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ١٢٣ ، ١٣٦ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٧٧ و ٤ / ١٤ ، ٢٣ ، ٤١ ، ٥٨ ، و ٧ / ٦٩ ، ٩٣ ، ٩٥ ، ١٤٦ .

٦٢

عند تناهي الشدّة تكون الفرجة

أخبرنا أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى[١] ، قال : حدّثنا ابن دريد[٢] ، [قال : أخبرنا السكن بن سعيد[٣] عن محمّد بن عبّاد[٤] عن ابن الكلبيّ[٥] عن أبيه[٦]][٧] قال : كان عمرو بن أحيحة الأوسي[٨] يقول :

عند تناهي الشدّة ، تكون الفرجة ، وعند تضايق البلاء ، يكون الرخاء ، ولا أبالي أي الأمرين نزل بي عسر أم يسر ، لأنّ كل واحد منهما يزول بصاحبه .

---

١ أبو عبيد الله محمّد بن عمران بن موسى بن عبيد الكاتب المعروف بالمرزباني (٢٩٦ – ٣٨٤) : عالم ، أديب ، صاحب أخبار ورواية ، كان في داره خمسون ما بين لحاف ودوّاج ، معدّة لأهل العلم الذين يبيتون عنده ، وكان عضد الدّولة يقف ببابه حتّى يخرج إليه فيسلّم عليه ، وقال عنه أبو علي الفارسيّ : إنّه من محاسن الدّنيا (تاريخ بغداد للخطيب ٣ / ١٣٥) .

٢ أبو بكر محمّد بن الحسن بن دريد الأزدي (٢٢٣ – ٣٢١) : من أئمة اللغة والأدب ، صاحب المقصورة الشهيرة ، تقلّد ديوان فارس ، ثم اتّصل بالمقتدر العبّاسي وأجرى عليه رزقاً قدره ٥٠ ديناراً في الشهر ، فأقام ببغداد ، وتوفّي بها (الأعلام ٦ / ٣١٠) .

٣ في م : السكن بن سعيد : وأحسبه ابن السكن ، وهو أبو علي سعيد بن عثمان بن سعيد البغدادي : من حفّاظ الحديث ، ترجم له صاحب الأعلام ٣ / ١٥٢ .

٤ أبو جعفر محمّد بن عبّاد بن موسى العكلي البغدادي : راجع ترجمته في حاشية القصّة ٣١ .

٥ أبو المنذر هشام بن محمّد بن السائب الكلبي : الأخباري ، النسّابة ، ترجم له صاحب ميزان الاعتدال ٤ / ٣٠٤ وقال إنّه توفّي سنة ٢٠٤ .

٦ أبو النّضر محمّد بن السائب الكلبي الكوفي : المفسّر ، النسّابة ، الأخباري ، ترجم له صاحب ميزان الاعتدال ٣ / ٥٥٦ .

٧ الزيادة من غ .

٨ عمرو بن أحيحة بن الجُلاح الأوسي : صحابي ، ترجم له صاحب الخلاصة ٢٤٣ .

٦٣

المنصور العبّاسي يحول بين الإمام الصادق وبين الحجّ

أخبرني أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزي ، خليفة أبي على القضاء بها ، قال : حدّثنا محمد بن العباس اليزيدي[1] ، قال : حدّثني عمّي الفضل بن محمد اليزيدي[2] ، قال :

أراد جعفر بن محمد الحجّ ، فمنعه المنصور[3] ، فقال : الحمد لله الكافي ، سبحان الله الأعلى ، حسبي الله وكفى ، ليس من الله منجى ، ما شاء الله قضى ، ليس وراء الله منتهى ، توكّلت على الله ربّي وربّكم ، ما من دابة إلاّ وهو آخذ بناصيتها ، إنّ ربّي على سراط مستقيم ، اللهم إنّ هذا عبد من عبيدك ، خلقته كما خلقتني ، ليس له عليّ فضل ، إلاّ ما فضلته عليّ به ، فاكفني شرّه ، وارزقني خيره ، واقدح لي في قلبه المحبّة ، واصرف عنّي أذاه ، لا إله إلاّ أنت ، سبحان الله ربّ العرش العظيم ، وصلّى الله على محمد النبي وعلى آله وسلّم كثيراً .

قال : فأذن له المنصور في الحجّ .

---

١ أبو عبد الله محمّد بن العبّاس بن محمّد بن يحي بن المبارك اليزيدي : ترجم له الخطيب البغدادي في تاريخه ٣ / ١١٣ وقال إنّه توفّي سنة ٣١٠ عن ٨٢ سنة .

٢ أبو العبّاس الفضل بن محمّد بن يحي بن المبارك اليزيدي : ترجم له الخطيب البغدادي في تاريخه ١٢ / ٣٧٠ وقال إنّه توفّي سنة ٢٧٨ .

٣ أبو جعفر عبد الله بن محمّد بن عليّ بن العبّاس (٩٥ – ١٥٨) : ثاني خلفاء بني العبّاس ، كان عارفاً بالفقه والأدب ، ولّي الخلافة سنة ١٣٦ ، وبنى بغداد سنة ١٤٥ ، وكان فاتكاً ، قتل خلقاً كثيراً ، وأسرف في سفك دماء بني الحسن وتعذيبهم ، إذ حبسهم ، وقتلهم في حبسه ، وقيل إنهم وجدوا مسمّرين في الحيطان . مدّة خلافته ٢٢ عاماً ، أمه بربريّة تدعى سلامة ، وهذا هو سبب تقدّم أخيه السفّاح عليه في الحكم ، لأنّ أمّه عربيّة ، والمنصور والد الخلفاء العبّاسيين جميعهم ، راجع اليعقوبي ٢ / ٣٧٠ ومقاتل الطالبيّن ١٧٨ – ٣٩٩ والأعلام ٤ / ٢٥٩ والقصص ١١٤ و١١٥ و٢٤١ و٣١٨ من هذا الكتـــاب .

البَابُ الثَالِث

من بشّر بفرج من نطق فال ، ونجا من محنة بقولٍ أو دعاء أو ابتهال

٦٤

أعرابيّة ذهب البَرَدُ بزرعها فعوِّضت خيراً

أخبرني أبو بكر محمد بن يحيى الصولي[١] [بالبصرة سنة خمس وثلاثين وثلثمائة ، قراءة عليه وأنا أسمع ،][٢] عن البرقي[٣] ، قال :

رأيت امرأة بالبادية ، وقد جاء البَرَدُ[٤] فذهب بزرع كان لها ، فجاء الناس يعزّونها ، فرفعت طرفها الى السماء ، وقالت : اللّهم أنت المأمول لأحسن الخلف ، وبيدك التعويض عمّا تلف ، فافعل بنا ما أنت [٣٤ غ] أهله ، فإنّ أرزاقنا عليك ، وآمالنا مصروفة إليك .

قال : فلم أبرح ، حتى جاء رجل من الأجلّاء[٥] ، فحدّث بما كان ، فوهب لها خمسمائة دينار .

---

١ أبو بكر محمّد بن يحيى بن عبد الله بن العبّاس بن محمّد بن صول المعروف بالصّولي : ترجمته في حاشية القصّة ٥٥ .

٢ الزيادة من م .

٣ أبو عبد الله أحمد بن جعفر بن عبد ربّه بن حسّان الكاتب : ترجمته في حاشية القصّة ٣٢٩ .

٤ البَرَد ، بفتح الباء والراء : ماء الغمام يتجمّد في الهواء ، ويسقط على الأرض حبوباً ، ويسمّيه البغداديون : الحالوب ، فإذا أصيب الزرع بالبرد قالوا : تحولب ، فهو محولب .

٥ في م : من مياسير أهل البلد .

٦٥

المعتضدّ يتخلّص من سجنه ويبطش بالوزير إسماعيل بن بلبل

وحدّثني أبي[1] في المذاكرة ، من لفظه وحفظه ، ولم أكتبه عنه في الحال ، وعلق بحفظي ، والمعنى واحد ، ولعلّ اللّفظ يزيد او ينقص ، عن أبي محمد عبد الله بن أحمد بن حمدون[2] ، [لا أظن إلّا أنّه هو سمعه منه ، أو حدّثه من سمعه من عبد الله بن أحمد بن حمدون][3] نديم المعتضد بالله ، عن المعتضد[4] ، أنّه قال[5] :

---

١ القاضي أبو القاسم عليّ بن محمّد بن أبي الفهم داود بن إبراهيم التنوخي (٢٧٨ – ٣٤٢) : والد المؤلّف ، ترجمته في حاشية القصّة ٢٠ من الكتاب .

٢ أبو محمّد عبد الله بن أحمد بن إبراهيم الملقّب حمدون بن إسماعيل بن داود : كان أبوه أحمد من ندماء المتوكّل (معجم الأدباء ١ / ٣٦٥) وكذلك جدّه إبراهيم (المفوات النادرة رقم ٢١٨ ص ٢٣٠) واختاره المتوكّل نديماً مع والده (القصّة ١ / ١٤٢ من نشوار المحاضرة) ثم نادم المعتضد ، وكان يؤاكله (القصّة ١ / ١٧٨ من النشوار) ويلاعبه بالنّرد (القصّة ١ / ١٤٣ من النشوار) وقد سدّد دينه عنه أكثر من مرّة (القصّة ١ / ١٤٤ من النشوار) ، وقد نقل القاضي التنوخي عنه في نشوار المحاضرة قصصاً عن تيقّظ المعتضد وعلوّ همّتـه وعن ضبطه لعسكره ومنعهم من التعدّي على الرعيّة (القصص ١ / ١٧٣ و ١ / ١٧٧ من النشوار) .

٣ الزيادة من غ .

٤ المعتضد بالله أبو العبّاس أحمد بن الأمير الموفّق طلحة بن المتوكّل جعفر (٢٤٢ – ٢٨٩) : من دهاة الخلفاء العبّاسيّين ، ولد ونشأ ومات ببغداد ، كان عون أبيه في حياته أيّام خلافة المعتمد ، وأظهر بسالة ودراية في حروبه مع الزنج ، بويع له بالخلافة بعد وفاة عمّه المعتمد سنة ٢٧٩ فأقام العدل ، وأصلح الحال ، وكانت مدّة خلافته ١٠ سنين إلاّ قليلاً (الأعلام ١ / ١٣٦) .

٥ في غ : قال : حدّثني المعتضد بالله وهو خليفة ، قال : ... الخ .

لما ضرّب إسماعيل بن بلبل[6] بيني وبين أبي الموفّق[7] ، فأوحشه منّي ، حتّى حبسني الحبسة المشهورة[8] ، وكنت أتخوّف القتل صباحاً ومساءً ، ولا آمن أن يرفع إسماعيل عنّي ، ما يزيد في غيظ الموفق عليّ ، فيأمر بقتلي .

فكنت كذلك ، حتى خرج الموفّق الى الجبل[9] ، فازداد خوفي [٢٦ م] ، وأشفقت أن يحدّثه عنّي إسماعيل[10] بكذب ، فيجعل غيبته طريقاً إليه ، فلا يكشفه ، ويأمر بقتلي ، فأقبلت على الدعاء ، والتضرّع إلى الله ، والابتهال في تخليصي .

وكان إسماعيل يجيئني في كلّ يوم ، مراعياً خبري ، ويريني أنّ ذلك خدمة لي .

---

٦ أبو الصقر إسماعيل بن بلبل الشيبانيّ : كاتب ، أديب ، استوزره الموفّق لأخيه المعتمد ، وجمع له السيف والقلم ، وبلغ مبلغاً عظيماً ، حبسه المعتضد لمّا ولّي الخلافة ، وعذّبه ، ثم قتله واستصفى أمواله (الفخري ٢٥٢) راجع في القصّة ١ / ٧٦ من نشوار المحاضرة كيفيّة قتل المعتضد إيّاه .

٧ أبو أحمد طلحة الموفّق بن جعفر المتوكّل (٢٣٠ - ٢٧٨) : له لقب آخر ، وهو النّاصر ، أمير عبّاسي ، شجاع ، سياسي ، إداري ، حازم ، كان القائم بأعباء الدّولة في عهد أخيه المعتمد ، وآلت إليه ولاية عهده ، ولكنّه توفّي قبل المعتمد وهو ابن ٤٨ سنة (الأعلام ٣ / ٣٣٠ والمنتظم ٥ / ١٢١) .

٨ كان سبب حبس الموفّق لابنه ، أنّه أمره أن يسير إلى بعض الوجوه ، فقال : لا أخرج إلاّ إلى الشام ، لأنّها الولاية التي ولاّنيها أمير المؤمنين ، فلمّا امتنع عليه ، أمر بإحضاره ، فلمّا حضر ، أمر بعض خدمه أن يحبسه في حجرة من داره ، فلمّا حبس ، ثار القوّاد من أصحابه ومن تبعهم ، وركبوا ، واضطربت بغداد ، فركب الموفّق إلى الميدان ، وقال لهم : ما شأنكم ؟ أترون أنكم أشفق منّي على ولدي ، وقد احتجت إلى تقويمه ، فانصرفوا (ابن الأثير ٧ / ٤٣٣) .

٩ الجبـل : اسم شامل لإقليم عراق العجم ، ومن مدنه همدان والريّ وأصبهان وقزوين ، وما بين ذلك (المشترك صقعـاً ٩٥) أقول : أدركت الناس ببغداد ، وهم إذا ذكروا الجبل ، فهم يريدون جبل بشت كوه في بلاد إيران ، ممّا يلي بدرة وجصّان في محافظة الكوت ، وكان يحكمه إذ ذاك أمير كردي اسمه حسين قلي خان .

١٠ في غ : أن يكاتبه إسماعيل عنّي .

[فدخل إليّ يوماً : وبيدي المصحف ، وأنا أقرأ ، فتركته ، وأخذت أحادثه .][11]

فقال : أيّها الأمير ، أعطني المصحف لأتفاءل لك به ، فلم أجبه بشيء .

فأخذ المصحف ، ففتحه ، فكان في أوّل سطرٍ منه : ﴿ عسى ربّكم أن يهلك عدوّكم ، ويستخلفكم في الأرض ، فينظر كيف تعملون ﴾[12] ، فاسودّ وجهه ، واربدّ ، وخلط الورق .

وفتحه الثانية ، فخرج ﴿ ونريد أن نمنّ على الّذين استضعفوا في الارض ، ونجعلهم أئمّة ونجعلهم الوارثين ﴾ .. إلى قوله : يحذرون[13] ، فازداد قلقاً واضطراباً .

وفتحه الثالثة ، فخرج ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنّهم في الأرض كما استخلف الّذين من قبلهم ﴾[14] .

فوضع المصحف من يده ، وقال : أيّها الأمير ، أنت والله الخليفة ، بغير شكٍّ ، فما حقّ بشارتي ؟

فقلت : اللهَ ، اللهَ ، في أمري ، احقن دمي ، أسأل الله أن يبقي أمير المؤمنين[15] ، والأمير الناصر ، وما أنا وهذا ؟ ومثلك في عقلك ، لا يطلق مثل هذا القول [بمثل هذا الاتّفاق][16] ، فأمسك عني .

---

١١ الزيادة من م .

١٢ ١٢٩ ك الأعراف ٧ .

١٣ تمام الآية : ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض ، ونجعلهم أئمّة ، ونجعلهم الوارثين ، ونمكّن لهم في الأرض ، ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون ، ٥ و٦ ك القصص ٢٨ .

١٤ ٥٥ م النور ٢٤ .

١٥ أبو العبّاس أحمد المعتمد بن أبي الفضل جعفر المتوكّل (٢٢٩ - ٢٧٩) : ولد بسامراء ، وولّي الخلافة سنة ٢٥٦ ، وكان الأمر مدّة خلافته إلى أخيه الموفّق الملقّب بالنّاصر أيضاً ، ولم يكن له من الخلافة إلاّ الاسم (الأعلام ١ / ١٠٢) ، وقد حاول أن يفارق أخاه ، وأن يرحل إلى مصر ، فلم يوفّق ، راجع تفصيل ذلك في حاشية القصّة ٤ / ١٠١ من نشوار المحاضرة .

١٦ الزيادة من غ .

وما زال يحدّثني ، ويخرجني من حديث ، ويدخلني في غيره ، إلى أن جرى حديث ما بيني وبين أبي ، فأقبل يحلف لي بأيمان غليظة ، انّه لم يكن له في أمري صنع ، ولا سعاية بمكروه ، فصدّقته ، ولم أزل أخاطبه بما [٢٩ ظ] تطيب به نفسه ، خوفاً من أن تزيد وحشته ، فيسرع في التدبير لتلفي ، إلى أن انصرف .

ثم صار إليّ بعد ذلك ، وأخذ في التنصّل والاعتذار ، وأنا أظهر له التصديق والقبول [١٩ ر] ، حتى سكن ، ولم يشك أنّي معترف[١٧] ببراءة ساحته .

فما كان بأسرع من أن جاء الموفّق من الجبل[١٨] ، وقد اشتدّت علّته ، ومات[١٩] ، فأخرجني الغلمان من الحبس[٢٠] ، فصيّروني مكانه ، وفرّج الله عنّي ، وقاد الخلافة إليّ ، ومكّنني من عدوّي إسماعيل بن بلبل ، فأنفذت حكم الله فيه[٢١] .

---

١٧ في غ : معتقد .

١٨ عاد أبو أحمد من الجبل إلى العراق في السنة ٢٧٨ ، وكان مريضاً لا يقدر على الركوب ، فاتّخذ له سرير عليه قبّة ، يحمله أربعون حمّالاً ، يتناوب عليه عشرون عشرون ، ولمّا بلغ النهروان ، ركب الماء فيه ، ثمّ في نهر ديالي ، ثم في دجلة إلى الزعفرانيّة ، وصار ليلة الجمعة إلى الفرك وهي قرية قرب كلواذى ، أقرب منها إلى بغداد ، راجع تفاصيل ذلك في تاريخ الطبري ١٠ / ٢٠ والكامل لابن الأثير ٧ / ٤٤١ – ٤٤٣ .

١٩ توفّي في يوم الأربعاء لثمان بقين من صفر سنة ٢٧٨ (الطبري ١٠ / ٢٢) .

٢٠ الطبري ١٠ / ٢٠ و٢١ وابن الأثير ٧ / ٤٤١ – ٤٤٣ .

٢١ راجع في القصّة ١ / ٧٦ من نشوار المحاضرة ، كيفيّة قتل المعتضد ، وزيره إسماعيل بن بلبل ، نقل الخبر باختصار صاحب حلّ العقال ص ٤٣ .

٦٦

قال الواثق : لا أترك الفرج يموت في حبسي

وحدّثني عليّ بن هشام الكاتب[١] ، قال : سمعت أبا عبد الله الباقطانيّ[٢] ، يقول : سمعت عبيد الله بن سليمان[٣] ، يقول في وزارته[٤] : قال لي أبي[٥] :

كنت[٦] يوماً في حبس محمّد بن عبد الملك الزيّات[٧] ، في [٣٥ غ]

١ أبو الحسين عليّ بن هشام بن عبد الله الكاتب ، المعروف بابن أبي قيراط : كان كاتب الوزير أبي الحسن عليّ بن الفرات على بيت المال (وزراء ١٥٨) ، وكان هو وأبوه أبو القاسم هشام بن عبد الله أثيرين عند الوزير ابن الفرات ، وكانا مصدر أخباره ، ونقل القاضي التنوخي عن ابن أبي قيراط أخباراً كثيرة في نشواره .

٢ أبو عبد الله الحسن بن عليّ الباقطانيّ ، نسبته إلى باقطايا ، من قرى بغداد على ثلاثة فراسخ من ناحية قطربّل ، كان من رجال الديوان في أيّام المقتدر ، وذكره صاحب معجم البلدان في كلمة (باقطايا) وقال : إنّه ترجمه في معجم الأدباء ، وترجمته في القسم الضائع من المعجم ، وكان من خصوم الوزير ابن الفرات ، والساعين عليه ، وقد توفّي قبل أن يوزّر ابن الفرات ، الوزارة الثالثة (معجم البلدان ١ / ٤٧٦ ، الوزراء ٢٨٨ ، ٣٦٦ ، والقصّة ١١٧ من هذا الكتاب) .

٣ أبو القاسم عبيد الله بن سليمان بن وهب الحارثي (٢٢٦ – ٢٨٨) : من كبار الكتّاب ، وزّر للمعتمد العبّاسي ، ودامت وزارته عشر سنين وتوفّي وهو وزير ، ورثاه ابن المعتزّ فقال : (الأعلام ٤ / ٣٤٩) .

هذا أبو القاسم في نعشه قوموا انظروا كيف تسير الجبال

٤ وزّر أبو القاسم عبيد الله بن سليمان للمعتمد ، وخلع عليه ، في يوم الثلاثاء لثلاث بقين من صفر سنة ٢٧٨ (الطبري ١٠ / ٢٢) ، وتوفّي سنة ٢٨٨ وعمره ٦٢ سنة ، ووزارته عشر سنين وخمسون يوماً (وفيات الأعيان ٣ / ١٢٢) .

٥ أبو أيّوب سليمان بن وهب بن سعيد بن عمرو الحارثي : من كبار الكتّاب ، ولّي الوزارة للمهتدي ، ثمّ للمعتمد ، ونقم عليه الموفّق ، فحبسه ، ومات في حبسه سنة ٢٧٢ (الأعلام ٣ / ٢٠١) ، راجع أخبار سليمان بن وهب في نشوار المحاضرة القصص ٨ / ٢٤ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٥٥ ، ٦٣ .

٦ في غ : أصبحت .

٧ أبو جعفر محمّد بن عبد الملك بن أبان بن حمزة ، المعروف بابن الزيّات ، (١٧٣ – ٢٣٣) : وزير

خلافة الواثق ، آيس ما كنت من الفرج ، وأشدّ محنة وغمّاً ، حتّى وردت عليّ رقعة أخي الحسن بن وهب[8] ، وفيها شعر له[9] :

مِحَنٌ[10] أبا أيّوب أنت محلّها ... فإذا جزعت من الخطوب فمن لها
إنّ الّذي عقد الّذي انعقدت به ... عُقَد المكاره فيك يحسن حلّها
فاصبر فإنّ الله يعقب فرجة ... ولعلّها أن تنجلي ولعلّها
وعسى تكون قريبة من حيث لا ... ترجو وتمحو عن جديدك ذلّها[11]

قال : فتفاءلت بذلك ، وقويت نفسي ، فكتبت إليه :

صبّرتني ووعظتني وأنالها ... وستنجلي ، بل لا أقول : لعلّها
ويحلّها من كان صاحب عقدها ... ثقة به إذ كان يملك حلّها

قال : [فلم أصلّ العتمة ذلك اليوم ، حتّى أطلقت ، فصلّيتها في داري.][12] ولم يمض يومي ذاك ، حتّى فرّج الله عنّي ، وأطلقت من حبسي .

وروي أنّ هاتين الرقعتين وقعتا بيد الواثق ، الرّسالة والجواب ، فأمر بإطلاق

المعتصم والواثق ، كان المتوكّل يحقد عليه أموراً ، فلمّا ولّي الخلافة قبض عليه وعذّبه بأن حبسه في تنّور في باطنه مسامير من الحديد ، أطرافها إلى داخل التنّور ، وكان التنّور ضيّقاً بحيث إنّ الإنسان كان يمدّ يديه إلى فوق رأسه ليدخله ، ولا يقدر من يكون فيه أن يجلس ، راجع القصّة ١ / ٢ من نشوار المحاضرة ، (الأعلام ٧ / ١٢٦ والكامل لابن الأثير ٦ / ٥٤٤ – ٥٢٥ و٧ / ٢٩ – ٤٣) .

٨ أبو علي الحسن بن وهب بن سعيد بن عمرو بن حصين الحارثي : كاتب ، مترسّل ، فصيح ، شاعر ، كان يكتب لمحمّد بن عبد الملك الزيّات الوزير ، وولّي ديوان الرسائل ، (الفهرست ١٣٦) راجع أخباره في الملح والنوادر ١٦٢ – ١٦٤ .

٩ في ظ : هذان البيتان .

١٠ في م : خطب .

١١ اقتصرت ظ على البيتين الأول والثالث ، والزيادة من غ وم . وفي م ، ورد الشّطر الأخير : ويمحو عن جديدك هزلها .

١٢ الزيادة من غ وم .

سليمان ، وقال : والله ، لا تركت في حبسي من يرجو الفرج[١٣] ، ولا سيّما من خدمني ، فأطلقه على [٢٧ م] كره من ابن الزيّات لذلك[١٤] .

---

١٣ في هـ : والله ، لا تركت الفرج يموت في حبسي .

١٤ في غ : ووجدت هذا الخبر في بعض الكتب بغير إسناد ، وفيه : أنّ هذه الرقعة ، وقعت في يدي الواثق بالله ، من الابتداء والجواب ، فأمر بإطلاق سليمان ، وقال : والله ، لا تركت من يرجو الفرج في حبسي ، لا سيّما من خدمني ، فأطلقه ، وابن الزيّات كاره .

٦٧

بين الحسن البصريّ والحجّاج بن يوسف الثقفي

[وحدّثني بعض شيوخنا ، بإسناد ذهب عنّي حفظه ، وبلغني عن صالح بن مسمار[1] ، فجمعت بين الخبرين][2] :

أنّ الحسن البصري دخل على الحجّاج[3] بواسط ، فلمّا رأى بناءه قال : الحمد لله ، أنّ هؤلاء الملوك ليرون في أنفسهم عبراً ، وأنّا لنرى فيهم عبراً ، يعمد أحدهم إلى قصرٍ فيشيّده ، وإلى فرش فيتّخذه ، وقد حفّ به ذباب طمع ، وفراش نار[4] ، ثم يقول : ألا فانظروا ما صنعت ، [فقد رأينا – يا عدوّ الله – ما صنعت][5] ، فماذا يا أفسق الفسقة ، ويا أفجر الفجرة ، أما أهل السماء فلعنوك ، وأما أهل الأرض فمقتوك .

ثم خرج وهو يقول : إنّما أخذ الله الميثاق على العلماء ، ليبيّننّه للنّاس ، ولا يكتمونه .

فاغتاظ الحجّاج غيظاً شديداً ، ثم قال : يا أهل الشّام ، هذا عُبَيد أهل البصرة يشتمني في وجهي فلا ينكر عليه أحد ، عليّ به ، والله لأقتلنّه .

فمضى أهل الشام ، فأحضروه ، وقد أعلم بما قال ، فكان في طريقه يحرّك شفتيه بما لا يسمع .

---

١ أبو الفضل صالح بن مسمار السّلمي المروزي الكشميهني : ترجم له صاحب الخلاصة ١٤٥ وقال إنّه توفّي سنة ٢٤٦ ، نسبته إلى كشميهن قرية من قرى مرو (اللباب ٣ / ٤٢) .

٢ الزيادة من غ .

٣ أبو محمّد الحجّاج بن يوسف الثّقفي : راجع ترجمته في آخر هذه القصّة .

٤ في ظ وم : وقد حفّ به غلمانه .

٥ الزيادة من غ وم .

فلمّا دخل على الحجّاج ، رأى السّيف والنطع بين يديه وهو متغيّظ ، فلمّا وقعت عليه عين الحجّاج ، كلّمه بكلام غليظ ، ورفق به الحسن ، ووعظه .

فأمر الحجّاج بالسيف والنطع فرفعا ، ثمّ لم يزل الحسن يمر في كلامه ، إلى أن دعا الحجاج بالطعام ، فأكلا ، وبالوضوء فتوضّآ ، وبالغالية[6] فغلّفه بيده ، ثم صرفه مكرّماً .

وقال صالح بن مسمار : قيل للحسن بن أبي الحسن : بم كنت تحرّك شفتيك ؟

قال : قلت : [يا غياثي عند دعوتي ، ويا عدّتي في ملمّتي ، ويا ربّي عند كربتي][7] ويا صاحبي في شدّتي ، ويا وليّي في نعمتي ، ويا إلهي ، وإله إبراهيم ، وإسماعيل ، وإسحاق ، ويعقوب ، والأسباط ، وموسى ، وعيسى ، [ويا ربّ النبيّين كلّهم أجمعين ، ويا ربّ كهيعص ، وطه ، وطس ، ويس ، وربّ القرآن الحكيم][7] يا كافي موسى فرعون ، ويا كافي محمّد الأحزاب ، صلّ على محمّد وآله الطيّبين الطاهرين الأخيار ، وارزقني مودّة عبدك الحجّاج ، وخيره ، ومعروفه ، واصرف عنّي أذاه ، وشرّه ، ومكروهه ، ومعرّته [٣٦ غ] .

فكفاه الله [تعالى شرّه بمنّه وكرمه][8].

[قال صالح : فما دعونا بها في شدّة إلّا فرج عنّا][9].

٦ الغالية : أخلاط من الطيب ، تجمع وتعتّق ، قيل إنّها سمّيت الغالية ، لارتفاع ثمنها .

٧ الزيادة من غ .

٨ الزيادة من ر .

٩ الزيادة من غ وم .

الحجّــاج

أبو محمّد الحجّاج بن يوسف الثقفي (٤٠ – ٩٥) : والي العراقين لعبد الملك بن مروان ، وهو الّذي يُضرب به المثل في الظلم والجور ، ثقفي من نسل أبي رغال (اليعقوبي ٢ / ٢٧٤) وأبو رغال ، بقيّة من قوم ثمود ، كان قائد الفيل ، ودليل الحبشة ، لمّا غزوا الكعبة ، فهلك فيمن هلك منهم ، ودفن بين مكّة والطائف ، ومرّ النبيّ صلوات الله عليه ، بقبره ، فأمر برجمه ، فرُجم (الأغاني ٤ / ٣٠٣) .

وكانت ثقيف ، عشيرة الحجّاج ، من أشدّ القبائل على رسول الله ، فقد تهزّأوا به ، وقعدوا له صفّين ، فلمّا مرّ بهم رجموه بالحجارة ، حتّى أدموا رجله ، وقال رسول الله : ما كنت أرفع قدماً ، ولا أضعها ، إلاّ على حجر (اليعقوبي ٢ / ٣٦) ، وقال الإمام عليّ ، في إحدى خطبه : لقد هممت أن أضع الجزية على ثقيف (الأغاني ٤ / ٣٠٦) .

كلّ ذلك ، كان من جملة أسباب حقد الحجّاج ، على النبيّ صلوات الله عليه ، وعلى أولاده ، وبغضه إيّاهم ، حتّى ضرب بذلك المثل ، قال الشاعر : [معجم البلدان ٢ / ٣٢٣]

أنا في الحلّة الغداة كأنّي ... علويّ في قبضة الحجّاج

وبلغ من حقده على النبيّ ، أنّه لمّا دخل المدينة ، سمّاها : نتنة ، وقد سمّاها رسول الله : طيّبة ، ولمّا رأى الناس يطوفون بقبر رسول الله ومنبره ، قال : إنّما يطوفون برمّة وأعواد (العقد الفريد ٥ / ٤٩) يريد بالأعواد : منبر النبيّ ، وبالرمّة : جسده الشريف ،

وتبع حقده على النبيّ ، حقده على الذين نصروه وآزروه ، وهم الأنصار ، فكان يسمّيهم : الأشرار (العقد الفريد ٥ / ٣٩) وختم أعناق بعض الصحابة منهم بقصد إذلالهم (الطبري ٦ / ١٩٥) وكان يقول : ويحكم ، أخليفة أحدكم في أهله أكرم عليه ، أم رسوله إليهم ؟ يشير بذلك إلى أنّ عبد الملك بن مروان ، أكرم على الله من النبيّ صلوات الله عليه (العقد الفريد ٥ / ٥٢) .

ولد الحجّاج بالطّائف ، وكان والده يؤدّب الصبيان (العقد الفريد ٥ / ١٣) ، وجاء مشوّهاً ، واحتيج إلى إجراء جراحة له ، لكي يكون في حالة طبيعيّة (مروج الذهب ٢ / ٩٧) ، ونشأ أخفش العينين ، دقيق الصّوت ، (شذرات الذهب ١ / ١٠٦ والعيون والحدائق ٣ / ١١) فكان لتشويه بدنه ، وخفش عينيه ، ودقّة صوته ، ووضاعة نشأته ، أصل قويّ فيما ابتلي

به من ساديّة عجيبة ، فكان يخبر عن نفسه أنّ أكبر لذّاته في سفك الدّماء (وفيات الأعيان ٢ / ٣٠) وكان يقول : إنّي – والله – لا أعلم على وجه الأرض خلقاً هو أجرأ على دم منّي (العقد الفريد ٢ / ١٧٦) ، وكان له في القتل وسفك الدّماء غرائب لم يسمع بمثلها (وفيات الأعيان ٢ / ٣١) ، وهو أحد أربعة في الإسلام ، قتل كلّ واحد منهم أكثر من ألف ألف رجل (لطائف المعارف ١٤١) ، راجع بعض غرائبه في التّعذيب وسفك الدّماء ، في آخر القصّة ١٤٩ من هذا الكتاب .

وكانت سياسة الحجّاج الّتي سلكها في العراق ، من أهمّ الأسباب الّتي أدّت إلى سقوط الدّولة الأمويّة (السيادة العربيّة ٤٤) ولمّا مات ، خلّف في حبسه ثمانين ألفاً ، حبسوا بغير جرم ، منهم خمسون ألف رجل ، وثلاثون ألف امرأة ، وكان يحبس الرجال والنّساء في موضع واحد ، ولم يكن لحبسه ستر يستر النّاس من الشمس في الصيف ولا من المطر والبرد في الشتاء (مروج الذهب ٢ / ١٢٨ والعيون والحدائق ٣ / ١٠) ، وجاء في محاضرات الأدباء ٣ / ١٩٥ أنّه أحصي من قتلهم الحجّاج ، سوى من قتل في بعوثه وعساكره وحروبه ، فوجدوا مائة وعشرين ألفاً ، ووجد في حبسه مائة ألف وأربعة عشر ألف رجل ، وعشرون ألف امرأة ، منهنّ عشرة آلاف امرأة مخدّرة ، وكان حبس الرّجال والنّساء في مكان واحد ، ولم يكن في حبسه سقف ولا ظلّ ، وربما كان الرّجل يستتر بيده من الشّمس ، فيرميه الحرس بالحجارة ، وكان أكثرهم مقرّنين بالسلاسل ، وكانوا يسقون الزعاف ، ويطعمون الشعير المخلوط بالرّماد ، وكان المسجونون في سجن الحجّاج يقرّنون بالسلاسل ، فإذا قاموا ، قاموا معاً ، وإذا قعدوا قعدوا معاً (الفرج بعد الشدّة لابن أبي الدّنيا ، مخطوط ص ١١) ، ولا يجد المسجون المقيّد منهم ، إلاّ مجلسه ، فيه يأكلون ، وفيه يتغوطون ، وفيه يصلّون (القصّة ٨٧ من هذا الكتاب) .

وبلغ من شنيع سمعة الحجّاج ، وشهرته بالظّلم ، أنّ أبا مسلم الخراساني ، الذي اشتهر بقسوته وضراوته على الدم الحرام ، حتّى قيل إنّه قتل أكثر من ألف ألف رجل (لطائف المعارف ١٤١ و١٤٢) ، قيل في حقّه : إنّه حجّاج زمانه (مرآة الجنان ١ / ٢٨٥) .

قال الخليفة الصالح عمر بن عبد العزيز : لعن الله الحجّاج ، فإنّه ما كان يصلح للدّنيا ولا للآخرة (معجم البلدان ٣ / ١٧٨) وقال فيه : لو جاءت كلّ أمّة بمنافقيها ، وجئنا بالحجّاج ، لفضلناهم (العقد الفريد ٥ / ٤٩) ، وقيل للشّعبي : أكان الحجّاج مؤمناً ؟ قال : نعم ، بالطاغوت ، كافراً بالله (البصائر والذخائر م٢ ق١ ص ٧٣ ، والعقد الفريد

٥ / ٤٩) ، وقيل لعبد الله بن المبارك : أبو مسلم كان خيراً أو الحجّاج ؟ فقال : لا أقول إنّ أبا مسلم كان خيراً من أحد ، ولكنّ الحجّاج كان شرًّا منه (ابن الأثير ٥ / ٤٧٩) ، وكان الحسن البصري ، يسمّيه : فاسق ثقيف (وفيات الأعيان ٢ / ٣٧٤) ، وقال القاسم ابن محمّد بن أبي بكر : كان الحجّاج ينقض عرى الإسلام ، عروة ، عروة (العقد الفريد ٥ / ٤٩) ، وقال ابن سيرين : إنّه لم ير أغشم من الحجّاج (شذرات الذهب ١ / ١٠٦) .

ووصف الحجّاج نفسه بأنّه : حقود ، حسود ، كنود ، فقال له سيّده عبد الملك بن مروان : ما في إبليس شرّ من هذه الخلال (نهاية الأرب ٣ / ٢٦٧) .

ولعلّ أصدق ما وصف به الحجّاج ، ما وصفه به سيّده عبد الملك بن مروان ، فقد كتب إليه يقول : إنّك عبد ، طَمَتْ بك الأمور ، فغلوت فيها ، حتّى عدوت طورك ، وجاوزت قدرك ، أنسيت حال آبائك في اللؤم ، والدناءة في المروءة والخلق ؟ فعليك لعنة الله من عبدٍ أخفش العينين ، أصكّ الرجلين ، ممسوح الجاعرتين (ابن الأثير ٤ / ٣٨٦) .

أمّا بشأن ما ارتكبه الحجّاج من تخريب ، بحيث نزلت جباية العراق من مائة ألف ألف وثمانية وعشرين ألف ألف درهم ، في عهد الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب ، إلى ثمانية عشر ألف ألف درهم فقط ، فراجع في ذلك حاشية القصّة ١٨٢ من هذا الكتاب .

وعمّ شؤم الحجّاج ، أفراد عائلته من آل أبي عقيل جميعهم ، فإنّهم بعد هلاكه ، أمر سليمان بن عبد الملك باعتقالهم ، وسيّرهم إلى العراق ، حيث حبسهم صالح بن عبد الرحمن بواسط ، وعذّبهم حتّى قتلهم (ابن الأثير ٤ / ٥٨٨ و ٥٨٩) .

ولمّا استخلف الخليفة الصالح عمر بن عبد العزيز ، سيّر الباقين من آل أبي عقيل إلى البلقاء ، وكتب إلى الحارث بن عمر الطّائي ، عامله عليها : أمّا بعد ، فقد بعثت إليك بآل أبي عقيل ، وبئس – والله – أهل البيت في دين الله ، وهلاك المسلمين ، فأنزلهم بقدر هوانهم على الله تعالى ، وعلى أمير المؤمنين (البصائر والذخائر م ٢ ق ٢ ص ٥٨٦) .

٦٨

دعاء دعا به الحسن بن الحسن ففرّج الله عنه

وجدت في بعض الكتب ، بغير إسناد : كتب الوليد بن عبد الملك بن مروان[١] إلى صالح بن عبد الله المزني[٢] ، عامله على المدينة ، أن أنزل الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم[٣] ، فاضربه في مسجد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، خمسمائة سوط .

قال : فأخرجه صالح إلى المسجد ، ليقرأ عليهم كتاب الوليد بن عبد الملك ، ثم ينزل فيضرب الحسن ، فبينما هو يقرأ الكتاب ، إذ جاء علي بن الحسين عليهما السّلام ، مبادراً يريد الحسن ، فدخل والنّاس معه الى المسجد ، واجتمع النّاس ، حتّى انتهى إلى الحسن فقال له : يا ابن عمّ ، ادع بدعاء الكرب .

فقال : وما هو يا ابن عمّ ؟

قال : قل : لا إله إلّا الله الحليم الكريم ، لا إله إلّا الله العليّ العظيم ،

---

١ أبو العبّاس الوليد بن عبد الملك بن مروان (٤٨ – ٩٦) : ولّي الخلافة سنة ٨٦ ، بنى الجامع الأمويّ بالشام ، وعمّر المسجد النبويّ ووسّعه ، وختن الأيتام ، ورتّب لهم المؤدّبين ، ورتّب للزمنى من يخدمهم ، وللأضرّاء من يقودهم ، ورزق الفقهاء ، والضعفاء ، والفقراء ، وحرّم عليهم سؤال النّاس (تاريخ الخلفاء ٢٢٣ – ٢٢٤) وكان لحّاناً ، جباراً ، قاسياً (تاريخ الخلفاء ٢٢٣ ، العقد الفريد ١ / ٥٣ واسطة السلوك ١٢١) وكان ولاته في الأمصار من شرار الخلق ، الحجّاج بن يوسف بالعراق ، وأخوه محمّد باليمن ، وعثمان بن حيّان بالحجاز ، وقرّة بن شريك بمصر ، فامتلأت الأرض بهم جوراً (واسطة السلوك ١٢١ والكامل لابن الأثير ٥ / ٥٤٧) .

٢ في غ : المرّي ، ولم أعثر بين عمّال الوليد على المدينة على عامل اسمه صالح .

٣ أبو محمّد الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب : ويسمّى : الحسن المثنّى ، كبير الطالبيّين في عهده ، كانت إقامته بالمدينة ، وتوفّي فيها سنة ٩٠ ، وكان الأمويون يتّهمونه بمكاتبة أهل العراق (الأعلام ٢ / ٢٠١) .

سبحان الله ربّ السماوات السبع ، وربّ العرش العظيم ، والحمد لله ربّ العالمين .

قال : وانصرف عليّ ، وأقبل الحسن يكرّرها دفعات كثيرة .

فلما فرغ صالح من قراءة الكتاب ونزل عن المنبر ، قال للنّاس : أرى سحنة رجل مظلوم ، أخّروا أمره حتّى أراجع أمير المؤمنين ، وأكتب في أمره.

ففعل ذلك ، ولم يزل يكاتب ، حتى أطلق .

قال : وكان النّاس يدعون ، ويكرّرون هذا الدّعاء ، وحفظوه .

قال : فما دعونا بهذا الدّعاء في شدّة إلّا فرجها الله عنّا بمنّه .

[حدّثنا علي بن أبي الطّيب ، قال : حدّثنا ابن الجراح ، قال : حدّثنا ابن أبي الدنيا قال : حدّثني محمد بن الحسين قال : حدّثني محمد بن سعيد ، قال : حدّثنا شريك ، عن عبد الملك بن عمير ، قال :

كتب الوليد بن عبد الملك إلى عثمان بن حيّان المري : خذ الحسن بن الحسن ، فاجلده مائة جلدة ، وقفه للنّاس يوماً ، ولا أراني إلّا قاتله .

قال : فبعث إليه فجيء به وبالخصوم بين يديه .

فقام إليه علي بن الحسين عليه السّلام ، فقال : يا أخي تكلّم بكلمات الفرج يفرّج الله عنك .

قال : ما هنّ ؟

قال : قل : لا إله إلّا الله الحكيم الكريم ، لا إله إلّا الله العليّ العظيم ، سبحان الله ربّ السموات السبع ، وربّ العرش العظيم ، والحمد لله ربّ العالمين .

قال : فقالها ، فأنفذ ، فردّه ، وقال : أنا أكاتب أمير المؤمنين بعذره ، فإنّ الشاهد يرى ما لا يرى الغائب [4] .

ووجدت هذا الخبر ، بأعلى وأثبت من هذين الطريقين ، حدّثنا أبو العبّاس

---

٤ ورد الخبر في مخطوطة (د) جزء منه في ص ١٥٣ وتتمّته في ص ١٦٥ .

محمّد بن أحمد الأثرم المقرئ ، قال : حدّثنا أحمد بن الربيع اللّجمي الجرّار الكوفي[5] ، قال : حدّثنا الحسين بن علي ، يعني الجعفي[6] ، عن والده ، عن قدامة ، عن عبد الملك بن عمير ، قال : حدّثني أبو مصعب ، قال :

كتب عبد الملك إلى عامله بالمدينة هشام بن إسماعيل[7] : أنّ حسن بن حسن ، كاتب أهل العراق ، فإذا جاءك كتابي هذا ، فابعث إليه الشرط ، فليأتوا به .

قال : فأتي به ، فسأله عن شيء .

فقام إليه علي بن الحسين عليهما السلام ، فقال : يا ابن عمّ ، قل كلمات الفرج ، لا إله إلّا الله ربّ السّموات السّبع ، وربّ العرش العظيم ، والحمد لله ربّ العالمين ، قال : فقالها .

ثم إنّ الأمير نظر إلى وجهه ، فقال : أرى وجهاً قد قرف بكذبة ، خلّوا سبيله فلأراجعنّ أمير المؤمنين [٣٧ غ] فيه[8] .

---

٥ كذا في الأصل ، والصّحيح : الخزّاز ، وهو أبو الحسن حميد بن الربيع بن حميد بن مالك بن سحيم الخزّاز الكوفي اللّخمي ، نسبته إلى لخم من قبائل اليمن القحطانيّة (اللباب ٣ / ٦٨) ترجم له الخطيب في تاريخه ٨ / ١٦٢ وقال إنّه توفّي سنة ٢٥٨ .

٦ أبو محمّد وأبو عبد الله الحسين بن عليّ بن الوليد الجعفي الكوفي : ترجم له صاحب الخلاصة ص ٧١ وقال إنّه توفّي سنة ٢٠٣ .

٧ أقول : أنا إلى اعتبار ما ورد في هذا الخبر أميَل ، إذ لم أعثر على اسم صالح بن عبد الله المزني بين عمّال الوليد ، أمّا هشام بن إسماعيل المخزومي فهو عامل عبد الملك على المدينة ، وهو الذي ضرب سعيد بن المسيّب ضرباً مبرّحاً لأنّه امتنع عن البيعة للوليد وسليمان ابني عبد الملك ، كما أنّه كان شديد الإيذاء للإمام عليّ بن الحسين زين العابدين ، راجع تاريخ الطبري ٦ / ٣٥٥ ، ٤١٥ ، ٤٢٨ .

٨ الزيادة من غ ، والقصّة ساقطة من م .

٦٩

دعاء ينجي من المحنة

حدّثني علي بن أبي الطّيب ، قال : حدّثني ابن الجرّاح ، قال : حدّثنا ابن أبي الدنيا ، عن الفضل بن يعقوب[١] [٢٠ ر] ، قال : [حدّثنا الفريابي][٢] ، قال :

لما أخذ أبو جعفر[٣] إسماعيل بن أميّة[٤] ، أمر به إلى الحبس ، فرأى في طريقه على حائط مكتوباً : يا وليّي في نعمتي ، ويا صاحبي في وحدتي ، ويا عدّتي في كربتي ، قال : فلم يزل يكرّرها حتى خلّى سبيله ، فاجتاز بذلك الحائط فإذا ليس عليه شيء مكتوب[٥] .

---

١ أبو العبّاس الفضل بن يعقوب بن إبراهيم بن موسى الرخامي : ترجم له الخطيب ١٢ / ٣٦٦ وقال إنّه توفّي سنة ٢٥٨ .

٢ أبو عبد الله محمّد بن يوسف الفريابي : ترجم له صاحب اللباب ٢ / ٢١١ والفرياب بلدة بنواحي بلخ ، النسبة إليها : الفريابي ، والفاريابي ، والفيريابي .

٣ أبو جعفر المنصور عبد الله بن محمّد بن عليّ بن عبد الله بن العبّاس .

٤ إسماعيل بن أميّة بن عمرو بن سعيد بن العاص الأمويّ المكّي ، من فقهاء أهل مكّة وقرّائهم ، توفّي سنة ١٣٩ (على قول مشاهير علماء الأمصار ١٤٥) وسنة ١٤٤ (على قول الخلاصة ٣٨) .

٥ ورد الخبر في مخطوطة (د) جزء منه في ص ١٦٦ وتتمّته في ص ١٥٤ سطر ٥ .

٧٠

أجارَ حيّةً فأرادت قتله ، فخلّصه جميل صنعه

ويروى : أنّ حيّة استجارت برجل من العبّاد ، من رجل يريد قتلها ، [قال : فرفع ذيله ، وقال : ادخلي ، فتطوّقت على بطنه .

وجاء رجل بسيف ، وقال له : يا رجل ، حيّة هربت منّي الساعة ، أردت قتلها ، فهل رأيتها ؟

قال : ما أرى شيئاً][1] .

فلمّا أجارها ، وانصرف من يريد قتلها ، قالت له الحيّة : لا بدّ من قتلك .

[فقال لها الرجل : ليس غنى عن هذا ؟

قالت : لا][1] .

قال : فأمهليني ، حتى آتي سفح جبل ، فأصلّي ركعتين ، وأدعو الله تعالى ، وأحفر لنفسي قبراً ، فإذا نزلته ، فافعلي ما بدا لك .

قالت : افعل .

فلمّا صلّى ، ودعا ، أوحى الله إليه : إنّي قد رحمتك ، فاقبض على الحيّة ، فإنّها تموت في يدك ، ولا تضرّك .

ففعل ذلك ، وعاد إلى موضعه ، وتشاغل بعبادة ربّه [٣٠ ظ] .

[وروى هذا الخبر ، جعفر العابد ، برامهرمز [2] ، على غير هذه السياقة ، إلّا أنّ المعنى متقارب ، فأوردت ما بلغني من ذلك ، فقال :

---

١ الزيادة من م .

٢ رامهرمز : مدينة من نواحي خوزستان ، ذكرها ياقوت في معجم البلدان ٢ / ٧٣٨ وقال : إنّها يجتمع فيها النّخل والجوز والأترج ، وليس يجتمع في غيرها ، قال الشّاعر :

أمغترباً أصبحت في رام هرمز ... ألا كلّ كعبيّ هناك غريب

قرأت في كتب الأوائل ، أنّ حيّة أفلتت من يد طالب لها ليقتلها ، وأنّها سألت الرجل أن يخبأها ، فخبأها في فمه ، وأنكرها للطّالب لها][3] .

وحدّثني عبد الله بن الحارث بن السراج الواسطي ، قال : حدّثني بعض أصحاب أبي محمد سهل بن عبد الله التستري[4] ، عنه ، قال :

كان في بني إسرائيل ، رجلٌ في صحراء قريبة من جبل ، يعبد الله تعالى ، إذ مثلت له حيّة ، فقالت له : قد أرهقني من يريد قتلي ، فأجرني ، أجارك الله في ظلّه ، يوم لا ظلّ إلّا ظلّه .

قال لها : وممّن أجيرك ؟

قالت : من عدوّ يريد [٢٨ م] قتلي .

قال : وممّن أنت ؟

قالت : من أهل لا إله إلّا الله .

قال : فأين أخبّيك ؟

قالت : في جوفك ، إن كنت تريد المعروف .

ففتح فاه ، وقال : ادخلي ، ففعلت .

فلمّا جاء الطالب ، قال له : رأيتَ حيّةً تسعى ؟

فقال العابد : ما أرى شيئاً ، وصدق في ذلك .

فقال له الطالب : اللهَ .

فقال : اللهَ .

فتركه ، ومضى ، ثمّ قال لها : اخرجي الآن .

فقالت : إنّي من قوم لا يكافئون على الجميل إلّا بقبيح .

ثم ساق الحديث على قريب ممّا تقدّم .

---

٣ لا توجد في غ .

٤ أبو محمّد سهل بن عبد الله بن يونس التستري : ترجمته في حاشية القصّة ٧٥ .

[ووقع اليّ الخبر بقريب من هذا المعنى ، على خلاف هذه السياقة :

قرئ عليَ أبي العبّاس الأثرم ، المقرئ البغدادي ، وهو محمّد بن أحمد بن حمّاد بن إبراهيم بن ثعلب ، في منزله بالبصرة ، في جمادى الأولى سنة خمس وثلاثين وثلثمائة ، وأنا حاضر أسمع ، حدّثكم علي بن حرب الطائي الموصلي[٥] ، قال : حدّثنا جعفرَ بن المنذر الطائي العابد بمهروبان][٦] ، قال :

كنت عند سفيان بن عيينة ، فالتفت إلى شيخ حاضر ، فقال له : حدّث القوم بحديث الحيّة .

فقال الرجل : حدّثني عبد الجبّار ، أنّ حميد بن عبد الله خرج إلى متعبّده[٧] ، فمثلت بين يديه حيّة ، وقالت له : أجرني أجارك الله في ظلّه .

قال : وممّن أجيرك ؟

قالت : من عدوٍّ يريد قتلي .

قال : فأين أخبئك ؟

قالت : في جوفك .

ففتح فاه ، فما استقرّت ، حتى وافاه رجل بسيف مجرّد ، فقال له : يا حميد أين الحيّة ؟

قال : ما أرى شيئاً .

فذهب الرجل ، فأطلعت الحيّة رأسها ، وقالت : يا حميد أتحسّ الرجل ؟

---

٥ أبو الحسن عليّ بن حرب بن محمّد الطّائي الموصلي : ترجم له صاحب الخلاصة ٢٣٠ وقال إنّه توفّي سنة ٢٦٥ .

٦ كذا ورد في غ ، وفي بقية النسخ : وورد عن بعض العبّاد ، قال ... الخ ، أقول : أحسبه هو جعفر العابد الذي ورد ذكره في الخبر الذي قبله ، ومهروبان : بليدة صغيرة على ساحل البحر بين عبادان وسيراف (مراصد الاطلاع ٣ / ١٣٣٩) .

٧ في الأصل : متصيّده ، وهو تصحيف .

فقال : لا ، قد ذهب ، فاخرجي .

قالت : اختر منّي إحدى خصلتين ، إمّا أن أنكتك نكتةً فأقتلك ، أو أفرث كبدك ، فترميه من دبرك قطعاً .

فقال : والله ، ما كافيتني .

فقالت : قد عرفت العداوة التي بيني وبين [٣١ ظ] أبيك آدم قديماً ، وليس معي مال فأعطيك [ولا دابّة فأحملك عليها][8] .

فقال : امهليني ، حتّى آتي سفح الجبل ، وأحفر لنفسي قبراً .

قالت له : افعل .

فبينا هو يسير إذ لقيه فتى حسن الوجه ، طيّب الرّيح ، حسن الثياب ، فقال له : يا شيخ ، [٢٩ م] ما لي أراك مستسلماً للموت ، آيساً من الحياة ؟

قال : من عدوّ في جوفي يريد هلاكي .

فاستخرج من كمّه شيئاً فدفعه إليه وقال : كُلْهُ .

قال : ففعلت ذلك ، فوجدت مغصاً شديداً ، ثم ناولني شيئاً آخر ، فإذا بالحيّة سقطت من جوفي قطعاً .

فقلت له : من أنت يرحمك الله ؟ [فما أحد أعظم عليّ [٣٨ غ] منّة منك]

فقال : أنا المعروف ، إنّ أهل السماء رأوا غدر هذه الحيّة بك ، فسألوا الله عزّ وجلّ ، أن يعيذك ، فقال لي الله تعالى : يا معروف ، أدرك عبدي ، فإيّاي أراد بما صنع .

---

٨ الزيادة من غ .

٧١

أهدر عبد الملك دمه ، فدعا ، فأمّنه وأحسن إليه

بلغني أنّه جنى رجل جناية على عهد عبد الملك بن مروان[١] ، فأهدر دمه[٢] ودم من يؤويه ، وأمر بطلبه ، فتحاماه النّاس كلّهم .

فكان يسيّح في الجبال والبراري[٣] ، ولا يذكر اسمه ، فيضاف اليوم واليومين ، فإذا عُرِف طرد [ولم يدع أن يستقر][٤] .

قال الرّجل : فكنت أسيح يوماً في بطن واد ، فإذا بشيخ أبيض الرأس واللحية ، عليه ثياب بياض ، وهو قائمٌ يصلّي ، فقمت إلى جنبه[٥] .

فلمّا سلّم [انفتل إليّ][٤] ، وقال لي : من أنت ؟

قلت : رجل أخافني السلطان ، وقد تحاماني الناس ، فلم يجرني أحد [من خلق الله تعالى][٦] ، فأنا أسيح في هذه البراري ، خائفاً على نفسي .

قال : فأين أنت عن السَّبع ؟

قلت : وأيّ سبع ؟

قال : تقول : سبحان الله الإله الواحد ، الّذي ليس غيره أحد ، سبحان الدّائم الّذي ليس يعادله شيء ، سبحان الدّائم القديم ، الّذي لا ندّ له ولا عديل ، سبحان الّذي يحيي ويميت ، سبحان الّذي هو كلّ يوم في شأن ، سبحان الّذي خلق ما يرى ، وما لا يرى ، سبحان الّذي علم كلّ شيء بغير تعليم ، أللّهم

---

١ أبو الوليد عبد الملك بن مروان : راجع ترجمته في آخر هذه القصّة .

٢ هدر ، وأهدر دمه : أباح قتله .

٣ في غ : في الجبال والصحاري والمفاوز ، وفي م : في الجبال والبراري والمفاوز .

٤ الزيادة من غ .

٥ في غ : فجئت حتّى قمت فصلّيت إلى جنبه .

٦ الزيادة من غ .

إنّي أسألك بحقّ هذه الكلمات وحرمتهنّ ، أن تفعل بي كذا وكذا ، وأعادهنّ عليّ ، فحفظتهنّ .

قال الرّجل : وفقدت صاحبي ، فألقى الله تعالى الأمن في قلبي ، وخرجت من وقتي متوجّهاً إلى عبد الملك ، فوقفت ببابه ، واستأذنت عليه [٢١ ر] ، فلمّا دخلت عليه ، قال : أتعلّمت السّحر[٧] ؟

قلت : لا ، يا أمير المؤمنين ، ولكن كان من شأني كذا وكذا ، وقصصت عليه القصّة .

فأمّنني ، وأحسن إليّ .

---

٧ السِّحْر ، في اللغة : أُخذ تأخذ العين حتى ترى ما لا أصل له في الحقيقة ، ثم شملت الكلمة كلّ ما يصرف الشيء عن حقيقته ، قال النبي صلوات الله عليه : إنّ من البيان لسحراً ، أي أنَّ الجبان يبلغ من الثناء بحيث يمدح الإنسان ، فيصدق فيه ، حتى يصرف القلوب إلى قوله ، ثم يذمّه ، فيصدق فيه ، حتى يصرف القلوب إلى قوله الآخر ، فكأنّه قد سحر السامعين بذلك ، راجع لسان العرب ، مادة : سحر ، وقد ورد في القرآن الكريم ذكر السحر والسحرة في ثلاثة وستّين موضعاً ، وأفرد صاحب الفهرست ، في المقالة الثامنة ، بحثاً في أخبار المعزّمين والمشعبذين والسحرة وأصحاب النيرنجيّات والحيل والطلسمات ص ٣٦٩ – ٣٧٣ ، للتفصيل راجع دائرة المعارف الإسلامية ١١ / ٣٠٣ – ٣٢٨ .

أبو الوليد عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي
(٢٦ - ٨٦)

استعمله معاوية على المدينة ، وهو ابن ست عشرة سنة ، وكان أحد فقهاء المدينة المعدودين ، انتقلت إليه الخلافة بموت أبيه ، وقد ناهز الأربعين ، فلمّا بشّر بها ، أطبق المصحف ، وقال : هذا فراق بيني وبينك (تاريخ الخلفاء ٢١٧ ، الفخري ١٢٢ ، فوات الوفيات ٢ / ٣٢) . من محاسنه أنّه نقل الدواوين من الفارسيّة ، والروميّة ، إلى العربيّة ، وسكّ الدنانير في الإسلام ، ومن سيّئاته أنّه سلّط الحجّاج بن يوسف الثّقفي ، الظالم السيء الصيت ، على النّاس ، فولاّه الحجاز أوّلاً ، ثمّ العراق ، فقتل العباد ، وخرّب البلاد (أحسن التقاسيم ١٣٣ وواسطة السلوك ٢٩ ، والسيادة العربيّة ٤٤) ، وهو أوّل من غدر في الإسلام ، آمن عمرو بن سعيد الأشدق ، ثمّ قتله (العقد الفريد ١ / ٧٩ و ٤ / ٤٠٩) ، وأوّل من نهى عن الأمر بالمعروف في الإسلام ، قال في إحدى خطبه : والله ، لا يأمرني أحد بتقوى الله ، إلاّ ضربت عنقه (فوات الوفيات ٢ / ٣٣ وتاريخ الخلفاء ٢١٩) ، ومنع أهل الشام من الحجّ إلى مكّة ، وبنى قبّة الصخرة في بيت المقدس ، وعلّق عليها ستور الدّيباج ، وأقام لها سدنة ، وأخذ النّاس بأن يطوفوا حولها ، بدلاً من الكعبة ، وأقام النّاس على ذلك أيّام بني أميّة (اليعقوبي ٢ / ٢٦١) ، وقد لخّص عبد الملك سياسته ، في خطبة له ، قال : إنّ من كان قبلي من الخلفاء ، كانوا يأكلون ويطعمون من هذه الأموال ، ألا وإنّي لا أداوي أدواء هذه الأمّة إلاّ بالسّيف (تاريخ الخلفاء ٢١٨) ولمّا حضره الموت جعل يضرب على رأسه بيده ، ويقول : وددت أنّي كنت منذ ولدت إلى يومي هذا حمّالاً (تاريخ الخلفاء ٢٢٠ وابن الأثير ٤/٥٢١) ، راجع أخباره في تاريخ الخلفاء ٢١٦ - ٢٢٠ والعقد الفريد ٤ / ٢٥ و٣٩٩ ، و٥ / ١٠٣ و٦ / ٩٩ وتاريخ اليعقوبي ٢ / ٢٧٣ والهفوات النّادرة ٤٢ .

٧٢

يا كاشف الضَّرّ ، بك استغاث من اضطرّ

وأخبرني صديق لي : أنّ بعض أصحابنا من الكتّاب ، دفع إلى محنة صعبة ، فكان من دعائه : يا كاشف الضّر ، بك استغاث من اضطرّ .

قال : وقد رأيته نَقَشَ ذلك على خاتمه[1] ، وكان يردّد الدعاء به ، فكشف الله محنته عن قريب .

---

١ الختم ، في اللغة : السدّ والإغلاق ، قال تعالى : ختم الله على قلوبهم (٧ م البقرة ٢) ، أي أغلقها فلا تفقه شيئاً ، ثم صرفت الكلمة إلى نهاية الشيء ، باعتبار أنّ سدّه وإغلاقه ينهيه ، قال تعالى : خاتم النبيّين (٤٠ م الاحزاب ٣٣) أي إنّه لا نبيّ بعده ، كما يقال : ختم القرآن ، أي إنّه قرأه إلى آخره ، ثم صرفت الكلمة إلى الطين الذي يسدّ به المزود أو الكتاب عند الانتهاء منه ، ثم صرفت إلى الطبعة التي توضع على الطين للاستيثاق من السدّ والإغلاق ، ثم صرفت إلى الفصّ الذي يطبع به الطين ، ثم صرفت إلى الحلقة التي ألصق بها الفصّ ، ثم شملت كلّ حلقة توضع في الإصبع .

٧٣

سليمان بن وهب يتخلّص من حبسه
بدعاء صادف استجابة

[حدّثني عليّ بن هشام[١] ، قال : سمعت أبا عبد الله حمد بن محمد القنّائي[٢] ، ابن أخت الحسن بن مخلد .

قال مؤلّف هذا الكتاب : قال لي أبو القاسم عيسى بن علي بن عيسى[٣] ، في كلام جرى بيننا – غير هذا – طويل : كان حمد بن محمّد هذا ، ابن عمّة الحسن بن مخلد ، وكان أبي عرّفني أنّه أشار على المقتدر بالله[٤] ، وقد استشاره

١ أبو الحسين عليّ بن هشام بن عبد الله الكاتب ، المعروف بابن أبي قيراط : ترجمته في حاشية القصّة ٦٦ من هذا الكتاب .

٢ أبو عبد الله حمد بن محمّد القنّائي الكاتب : نسبته إلى دير قنّى ، قرية كبيرة من نواحي النهروان قرب الصافية ، خرج منها عدد من المشاهير ، منهم أبو الحسن عليّ بن عيسى بن الجرّاح ، ومحمّد بن داود الجرّاح ، والحسن بن مخلد ، وكان أبو عبد الله يخلف ابن خالته الحسن بن مخلد على ديوان الخراج وعلى ديوان الضياع ، وولّي أعمالاً ودواوين أخرى ، منها ديوان المغرب ، ومات وهو يتقلّد ديوان الخراج والضياع العامّة بالسواد ، راجع نشوار المحاضرة القصّة ٢ / ٩٢ و٨ / ١٠ .

٣ أبو القاسم عيسى بن عليّ بن عيسى بن الجرّاح (٣٠٢ – ٣٩١) : كان عارفاً بالمنطق ، ورمي بشيء من مذهب الفلاسفة ، كتب للطائع ، وأملى الحديث (المنتظم ٧ / ٢١٨) .

٤ أبو الفضل جعفر المقتدر بن أبي العبّاس أحمد المعتضد بن أبي أحمد طلحة الموفّق بن أبي الفضل جعفر المتوكّل (٢٨٢ – ٣٢٠) : بويع بالخلافة في السنة ٢٩٥ وهو صبيّ ، فاستصغروه ، فخلعوه في السنة ٢٩٦ ، ونصبوا عبد الله بن المعتز ، وانتقض أمر ابن المعتز بعد يومين ، فأعيد المقتدر ، وفي السنة ٣١٧ خلعوه ثانية ، وبايعوا أخاه القاهر ، فأقام يومين ، ثمّ انتقض أمره ، وعاد المقتدر . ثمّ حاربه خادمه القائد مؤنس ، فقتل في المعركة (الأعلام ٢ / ١١٤) ، وكان الحكم في أيّامه لأمّه وخالته . وفي أيّامه اضمحلّت الدّولة ، وصغرت رقعتها ، وتسمّى عبد الرّحمن النّاصر ، بأمير المؤمنين في الأندلس ، وكان عظيم الإسراف ، قيل إنّه بذر من الذهب ثمانين ألف ألف دينار (شذرات الذهب ٢ / ٢٨٤) ،

فيمن يقلّده الوزارة[٥] ، قال : فأسميت له حمد بن محمد هذا ، وأبا عيسى أخا أبي صخرة[٦] ، وأبا زنبور[٧] ، ومحمد بن علي المادرائيّين[٨] .

قتل المقتدر في يوم الأربعاء ٢٧ شوال سنة ٣٢٠ (المنتظم ٦ / ٢٤٣ ومروج الذهب ٢ / ٥٤٧) وقتل قاتله في نفس اليوم بعد ساعات (تجارب الأمم ١ / ٢٣٧) وتوفّيت السيدة والدته بعد قتله بسبعة أشهر وثمانية أيّام ، على قول المنتظم ٦ / ٢٤٣ ، وفي جمادى الثّانية ، على قول الكامل لابن الأثير ٨ / ٢٥١ .

٥ سئل عليّ بن عيسى ، وهو معتقل في دار الخلافة عمّن يصلح للوزارة ، فأشار بالمادرائيّين بمصر ، وهما أبو زنبور ، وأبو بكر ، وباثنين ببغداد ، وهما أبو عيسى أحمد بن محمّد بن خالد ، أخوَ أبي صخرة ، وأبو عبد الله حمد بن محمّد القنّائي (الوزراء ٣٧٥) وفي صلة الطبري ٣٨ : إنّ أبا الحسن عليّ بن عيسى كان في السنة ٣٠٦ محبوساً عند المقتدر فوجّه إليه رقعة أثبت فيها أسماء أشخاص رغب في استيزارهم ، فوقّع تحت اسم إبراهيم بن عيسى : شره لا يصلح ، وتحت اسم ابن بسطام : كاتب سفّاك للدماء ، وتحت اسم ابن أبي البغل : ظالم لا دين له ، وتحت اسم حامد بن العبّاس : عامل موسر عفيف قد كبر ، وتحت اسم الحسين بن أحمد المادرائي : لا علم لي به ، وقد كفى ما في ناحيته ، وتحت اسم أحمد بن عبيد الله بن خاقان : أحمق متهوّر ، وتحت اسم سليمان بن الحسن بن مخلد : كاتب حدث ، وتحت اسم ابن الحواري : لا إله إلا الله .

٦ أبو عيسى أحمد بن محمّد بن خالد المعروف بأخي أبي صخرة : من شيوخ الكتّاب تقلّد كبار الأعمال ، وخلف إسماعيل بن بلبل على الوزارة (وزراء ٣٥٠) ، ولمّا وزر علي بن عيسى للمقتدر ، كان أبو عيسى على ديوان السواد (القصّة ١ / ١٤ من نشوار المحاضرة) توفّي أبو عيسى سنة ٣١١ وخلّف أموالاً وأملاكاً ، ولم يخلّف ولداً ، فتعرّض أصحاب المواريث لتركته فمنعهم الوزير أبو الحسن بن الفرات ، وكتب بذلك منشوراً (وزراء ٢٦٨) وبعد ذلك وجّه المحسّن بن الفرات ، إلى الورثة فأخذ جميع مالهم وحبسهم وأخافهم (صلة الطبري ٦٠) .

٧ أبو عليّ الحسين بن أحمد بن رستم المادرائي المعروف بأبي زنبور : من كبار العمّال في الدولة العبّاسية ، قلّده المكتفي خراج مصر ، وأقرّه المقتدر ، ورشّحه الوزير عليّ بن عيسى لوزارة المقتدر ، ولمّا وزّر ابن الفرات وزارته الثّالثة صادره ومحمّد بن عليّ المادرائي على ألف ألف وسبعمائة ألف دينار ، توفّي بالشام سنة ٣١٤ (الأعلام ٢ / ٢٤٨ والوزراء ٥١ — ٣٧٥) وهو منسوب إلى ماذرايا قرية فوق واسط ، من أعمال فم الصلح مقابل نهر سابس (معجم البلدان ٤ / ٣٨١) راجع في القصّة ٢ / ١٢ من كتاب نشوار المحاضرة موقفه من الوزير ابن الفرات ، أقول : ورد اسم ماذرايا ، بالذال ، في معجم البلدان ٤ / ٣٨١ وفي مراصد الاطّلاع ٣ / ١٢١٨ ، أمّا في كتاب الأنساب للسمعاني ص ٥٠٠ فقد وردت :

قال : سمعت عبيد الله بن سليمان بن وهب ، يقول : كان المتوكّل[9] ، أغيظ النّاس على إيتاخ[10] ، وذكر حديثاً طويلاً ، وصف فيه كيف قبض المتوكّل على إيتاخ وابنيه[11] ببغداد ، لما رجع من الحجّ ، بيد إسحاق بن إبراهيم بن مصعب ، قال فيه][12] : قال سليمان بن وهب : [ساعة][12] قبض على إيتاخ ببغداد[13] ،

مادرايا ، بالدال ، وكذلك في اللباب ٣ / ٧٨ ، وكذلك وردت بالدال في تجارب الأمم ١ / ٢٤ و٦١ ، ٦٣ ، ٨٣ ، ١٠٦ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١٢٧ ، ١٥٨ ، ١٦٦ ، ٢٤٠ ، ٢٤٤ ، وكذلك وردت في كتاب الوزراء للصابي ٤٨ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٩٩ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١١٠ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٤٦ ، ٢٤٨ ، ٢٩٤ ، ٣٤١ ، ٣٤٦ ، ٣٤٨ ، ٣٧٥ ، وكذلك في كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للقاضي التنوخي ١ / ٥٧ و٢ / ٦٣ و٥ / ٧٢ و٦ / ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، و٨ / ٢٦٢ وكذلك وردت بالدال في هذا الكتاب .

٨ أبو بكر محمّد بن عليّ بن أحمد بن رستم المادرائي (٢٥٨ – ٣٤٥) : ترجمته في حاشية القصّة ١٦٣ من هذا الكتاب .

٩ أبو الفضل جعفر المتوكّل : راجع ترجمته في آخر هذه القصّة .

١٠ أبو منصور ايتاخ ، القائد الخزري : كان غلاماً طبّاخاً خزريًّا ، اشتراه المعتصم ، ورفعه ، وقوّده ، وولّي الأعمال الكبار في خلافته ، وخلافة الواثق ، ولمّا توفّي الواثق ، كان إيتاخ ممن سعى لتولية محمّد ابن الواثق ، ثم تركوه لصغره ، فحقدها المتوكّل على إيتاخ ، ولمّا ولّي المتوكّل ، كان إلى إيتاخ : الحبس ، والمغاربة ، والأتراك ، والبريد ، والحجابة ، ودار الخلافة ، واستأذن المتوكّل في الحجّ ، فأذن له ، وأوعز إلى أمير بغداد ، فاعتقله عند عودته ، وقطع عنه الماء ، فمات عطشاً في السنة ٢٣٥ ، أنظر تفصيل ذلك في كتاب تجارب الأمم ٦ / ٥٣٢ ، ٥٤٢ – ٥٤٥ ، وجاء في لطائف المعارف للثعالبي ص ١٤٣ : إنّ المعتصم بعث إيتاخ إلى الأفشين ، وقال : قل له : يا عدوّ الله ، فعلتَ ، وصنعتَ فكيف رأيت صنع الله بك ؟ فقال الأفشين لإيتاخ : يا أبا منصور ، قد ذهبتُ بمثل هذه الرسالة ، إلى عجيف بن عنبسة ، فقال : يا أبا الحسن ، انظر من يأتيك بها ، فإني قد قد ذهبت بمثل هذه الرسالة إلى عليّ بن هشام ، فقال : انظر من يأتيك بها ، وأنا أقول لك الآن أيضاً : أنظر من يأتيك بها .

١١ في السنة ٢٣٥ اعتقل إيتاخ واعتقل معه ولداه منصور ومظفّر (ابن الأثير ٧ / ٤٦) .

١٢ الزيادة من غ .

١٣ راجع تفاصيل ذلك في الطبري ٩ / ١٦٦ – ١٧٠ وفي تجارب الأمم ٦ / ٥٤٢ – ٥٤٥ .

قبض عليّ بسرّ من رأى ، وسلّمت الى عبيد الله بن يحيى [14] .

وكتب المتوكّل إلى إسحاق بن إبراهيم [15] ، بدخول سرّ من رأى ، ليتقوّى به على الأتراك ، لأنّه كان معه بضعة عشر ألفاً ، ولكثرة الطاهريّة [16] ، بخراسان ، وشدّة شوكتهم .

فلما دخل [٣٩ غ] إسحاق سامراء ، أمر المتوكّل بتسليمي إليه ، وقال : هذا عدوّي ، ففصّل لحمه عن عظمه ، هذا كان يلقاني في أيّام المعتصم ، فلا يبدأني بالسلام [٣٠ م] فأبدأه به لحاجتي إليه ، فيردّ عليّ كما يردّ المولى على عبده ، وكلّ ما دبّره إيتاخ ، فعن رأيه .

فأخذني إسحاق ، وقيّدني بقيد ثقيل ، وألبسني جبّة صوف ، وحبسني في

---

١٤ أبو الحسن عبيد الله بن يحيى بن خاقان (٢٠٩ – ٢٦٣) : كان أبوه يحيى بن خاقان من مشايخ الكتّاب (الديارات ١٥٤ و١٥٥) ، ولّاه المتوكّل في السنة ٢٣٤ ديوان الخراج (الديارات ١٥٥) ، وعمّه الفتح بن خاقان ، الذي قتل مع المتوكّل (المُلح والنوادر ٣٣٢) ، وعمّه عبد الرّحمن بن خاقان كان يلي البصرة ، ولمّا توفّي يحيى بن خاقان في السنة ٢٤٠ كتب المتوكّل إلى عبد الرّحمن بن خاقان ، يعزّيه بأخيه ، ويطلب منه أن يشخص إلى سرّ من رأى على أن يخلّف في عمله من يقوم مقامه (البصائر والذّخائر م ١ ص ٣٥٩) . استكتب المتوكّل عبيد الله بن يحيى بن خاقان في السنة ٢٣٦ وهو ابن ٢٧ سنة ، ثم استوزره (راجع تفصيل ذلك في القصّة ٨ / ٣ من نشوار المحاضرة) ، وكان عبيد الله حسن الخطّ ، عارفاً بالحساب والاستيفاء ، كريماً ، حسن الأخلاق ، عفيفاً ، (الفخري ٢٣٨ و٢٥١) إلاّ أنّه كان فيه وفي ولده نصب شديد (الأغاني ١٦ / ٣٦٨) وكان يلثغ كثيراً في الحروف (الهفوات النّادرة ٢٧٢) وقتل المتوكّل وهو وزيره ، واستوزره المعتمد ، ومات في السنة ٢٦٣ ، في الميدان (ميدان لعب الكرة) إذ صدمه خادم له اسمه رشيق ، فسقط عن دابّته وسال من منخره وأذنه دم ، ومات بعد ثلاث ساعات (المنتظم ٥ / ٤٥) .

١٥ أبو الحسن إسحاق بن إبراهيم بن الحسين بن مصعب المصعبيّ : صاحب الشرطة ببغداد ، أيّام المأمون والمعتصم والواثق والمتوكّل ، كان قائداً شجاعاً ، وجيهاً ، مقرّباً من الخلفاء ، توفّي ببغداد سنة ٢٣٥ (الأعلام ١ / ٢٨٣) .

١٦ الطاهريّة : الجنود الخراسانيّة ، أتباع آل طاهر بن الحسين المصعبيّ .

كنيف ، وأغلق عليّ خمسة أبواب ، فكنت لا أعرف الليل من النهار .

فأقمت على ذلك عشرين يوماً ، لا يفتح عليّ الباب إلّا دفعة واحدة في كلّ يوم وليلة ، يدفع إليّ فيها خبز وملح جريش ، وماء حار ، فكنت آنس بالخنافس ، وبنات وردان[17] ، وأتمنّى الموت من شدّة ما أنا فيه .

فعرض لي ليلة من اللّيالي ، أن أطلت الصلاة [٣٢ ظ] ، وسجدت ، فتضرّعت إلى الله تعالى ، ودعوته بالفرج ، وقلت في دعائي : أللّهم ، إن كنت تعلم [أنّه كان لي في دم نجاح بن سلمة[18] صنع ، فلا تخلّصني مما أنا فيه ، وإن كنت تعلم][19] أنّه لا صنع لي فيه[20] ، ولا في الدّماء الّتي سفكت ، ففرّج عني .

فما استتممت الدّعاء ، حتى سمعت صوت الأقفال تفتح ، فلم أشكّ أنّه القتل ، ففتحت الأبواب ، وجيء بالشّمع ، وحملني الفرّاشون ، لثقل حديدي .

فقلت لحاجبه[21] : [سألتك][19] بالله ، اصدقني عن أمري .

فقال : ما أكل الأمير اليوم شيئاً ، لأنّه أغلظ عليه في أمرك ، وذلك أنّ

---

١٧ بنت وردان : دويبة كريهة الرّائحة ، تألف الأماكن القذرة في البيوت ، أقول : وتسمّى الآن ببغداد : مُردانة ، وجمعها مردان . وما أحسن ما وصفها به الشّاعر (نهاية الأرب ١٠ / ١٥٣) :

كمثل أنصاف بسر أحمر تركت من بعد تشقيقه أقماعه فيه

١٨ أبو الفضل نجاح بن سلمة الكاتب : كان إليه في السنة ٢٤٥ في دولة المتوكّل ، ديوان التوقيع والتتبّع على العمّال ، فسعى عند المتوكّل بالكتّاب ، وكان الوزير عبيد الله بن يحيى بن خاقان يعنى بهم ، فأوعز إليهمْ ، فسعوا بنجاح عند المتوكّل ، وضمنوه بألفي ألف دينار ، فأسلمه المتوكّل إليهم ، فضربوه بالمقارع مراراً ، وعذّبوه ، وخنقوه ، فمات (تجارب الأمم ٦ / ٥٥٢ – ٥٥٤) راجع في الطبري ٩ / ٢١٦ و٢١٧ كيفيّة تعذيبه وموته .

١٩ الزيادة من غ .

٢٠ لاحظ أنّ اعتقال إيتاخ وسليمان بن وهب كاتبه ، جرى في السنة ٢٣٥ ، وأنّ إسحاق بن إبراهيم المصعبيّ توفّي في نفس السنة ، وأنّ مقتل نجاح بن سلمة كان في السنة ٢٤٥ .

٢١ حاجب الأمير إسحاق بن إبراهيم المصعبيّ .

أمير المؤمنين وبّخه بسببك ، وقال : سلّمت إليك سليمان بن وهب تسمنه أو تستخرج ماله ؟

فقال الأمير : أنا صاحب سيف ، ولا أعرف المناظرة على الأموال ووجوهها ، ولو قرّر أمره على شيء لطالبته به .

فأمر أمير المؤمنين الكتّاب بالاجتماع عند الأمير لمناظرتك ، وإلزامك مالاً يؤخذ به خطّك ، [وتطالب به ، وقد اجتمعوا][19] ، واستدعيت لهذا .

قال : فحملت إلى المجلس ، فإذا فيه موسى بن عبد الملك ، صاحب ديوان الخراج ، والحسن بن مخلد ، صاحب ديوان الضياع[22] ، وأحمد بن إسرائيل الكاتب[23] ، وأبو نوح عيسى بن إبراهيم ، كاتب الفتح بن خاقان[24] ،

---

٢٢ أبو محمّد الحسن بن مخلد بن الجرّاح (٢٠٩ – ٢٦٩) : بغداديّ ، كاتب ، أديب ، وزير ، كان يتولّى ديوان الضياع في دولة المتوكل ، واستوزره المعتمد سنة ٢٦٣ ، وعزل ، ثم أعيد ، ثم عزل سنة ٢٦٥ ، ثم استقرّ بمصر عند أحمد بن طولون ، فحبسه بأنطاكية ، ومات فيها (الأعلام ٢ / ٢٣٧) .

٢٣ أبو جعفر أحمد بن إسرائيل الأنباري : كاتب ، حاذق ، حادّ الذهن (الفخري ٢٤٤) خاصم القائد التركي صالح بن وصيف في حضرة المعتزّ ، فهجم أصحابه ، واعتقلوا أبا جعفر ، وضربوه فكسروا أسنانه ، وتسلّمه صالح فاستصفى أمواله ، وعذّبه بالضرب والقيد ، وقرّب إلى كوانين الفحم في شدّة الحرّ ، ثم أخرج إلى باب العامّة ، وضرب خمسمائة سوط ، ضرب التلف ، ثم حمل على بطنه ، منكّس الرأس ، مكشوف الظّهر ، على بغل من بغال السقّائين ، فحين بلغ خشبة بابك ، مات . (الطبري ٩ / ٣٨٧ ، ٣٩٦ – ٣٩٨) .

٢٤ أبو نوح عيسى بن إبراهيم : كان في السنة ٢٤٧ يكتب للفتح بن خاقان وزير المتوكل ، ولمّا قتل المتوكّل احتال أبو نوح في الهرب من ليلته (الطبري ٩ / ٢٢٨) ولمّا اختلف المستعين والمعتزّ في السنة ٢٥١ انحاز إلى جانب المعتزّ الذي تعهّد له أن يولّيه ديوان الخاتم والتّوقيع (الطبري ٩ / ٣٤٤) وعندما ولّي المعتزّ ولّاه ديوان الضياع (القصّة ٨ / ٣٤ من النشوار) ، واعتقله أصحاب صالح بن وصيف ، القائد التركي ، في حضرة المعتزّ ، فضربوا أبا نوح حتّى جرت دماؤه ، وتسلّمه صالح بن وصيف ، فاستصفى أمواله ، وعذّبه بالضرب والقيد ، وتقريبه من كوانين الفحم في شدّة الحرّ ، ثم أخرج إلى باب العامّة ، وضرب خمسمائة سوط ضرب التلف ، ثم حمل على بطنه منكّس الرأس ، مكشوف الظهر ، على بغل من بغال السقّائين ، فمات من يومه (الطبري ٩ / ٣٩٦ – ٣٩٨) .

وداود بن الجرّاح[٢٥] ، صاحب الزمام[٢٦] ، فطرحت في آخر المجلس .

فشتمني إسحاق[٢٧] أقبح شتم ، وقال : يا فاعل ، [يا صانع][٢٨] ، تعرّضني لاستبطاء أمير المؤمنين[٢٩] ، والله ، لأفرّقنّ بين لحمك وعظمك ، ولأجعلنّ بطن الأرض أحبّ إليك من ظهرها ، أين الأموال ؟ .

فاحتججت بنكبة ابن الزيّات لي .

فبدرني الحسن بن مخلد ، فقال : أخذت من النّاس أضعاف ما أدّيت ، وعادت يدك إلى كتبة إيتاخ ، فأخذت ضياع السلطان ، واقتطعتها لنفسك ، وحزتها سرقة إليك ، وأنت تغلّها ألفي ألف درهم ، وتتزيّا بزيّ الوزراء ، وقد بقيت عليك من تلك المصادرة [٢٢ ر] جملة لم تؤدّها ، وأخذت الجماعة تواجهني بكلّ قبيح ، إلّا موسى بن عبد الملك ، فإنّه كان ساكتاً لصداقة كانت بيني وبينه .

فأقبل من بينهم على إسحاق ، وقال : يا سيّدي ، أتأذن لي في الخلوة به لأفصل أمره ؟ قال : افعل .

فاستدناني ، فحملت إليه ، فسارّني ، وقال : عزيز عليّ [يا أخي][٢٨] ، حالك ، وبالله لو كان خلاصك بنصف ما أملكه لفديتك به ، ولكن صورتك [قبيحة][٣٠] ، وما أملك إلّا الرأي ، فإن قبلت منّي ، رجوتُ خلاصك ، وإن

---

٢٥ داود بن الجرّاح : كان يلي ديوان الزمام في عهد المتوكّل ، وهو والد محمّد بن داود صاحب كتاب الورقة الّذي قتل على أثر فشل المؤامرة التي دبّرها لاستخلاف ابن المعتزّ وعزل المقتدر (فوات الوفيات ٢ / ٤٠٥) وهو كذلك جدّ الوزير أبي الحسين علي بن عيسى بن داود بن الجرّاح ، وزير المقتدر .

٢٦ الديوان : راجع التفصيل في آخر هذه القصّة .

٢٧ يريد الأمير إسحاق بن إبراهيم المصعبيّ .

٢٨ الزيادة من غ .

٢٩ في غ : تعرّضني لموجدة أمير المؤمنين .

٣٠ الزيادة من غ وم .

خالفتني ، فأنت – والله – هالك .

قال : فقلت : لا أخالفك .

فقال : الرأي أن تكتب خطّك بعشرة آلاف ألف درهم[31] ، تؤدّيها في عشرة أشهر ، عند انقضاء كلّ شهر [٤٠ غ] ألف ألف درهم ، وترفّه عاجلاً مما أنت فيه .

[فسكتُّ سكوت مبهوت ، فقال لي : ما لك ؟][30]

فقلت له : والله ، ما أرجع إلى ربعها ، إلّا بعد [٣١ م] بيع عقاري ، ومن يشتري منّي وأنا منكوب ، وكيف يتوفّر لي الثمن [وأنا على هذه الحالة ؟][30] .

فقال : أنا أعلم أنّك صادق ، ولكن احرس نفسك عاجلاً بعظم ما تبذله ، ويطمع فيه من جهتك ، وأنا من وراء الحيلة لك في شيء أميل به رأي الخليفة من جهتك ، يعود إلى صلاحك ، والله المعين ، ومن ساعة إلى ساعة فرج ، ولا تتعجّل الموت ، ولو لم تستفد إلّا الرّاحة مما أنت فيه يوماً واحداً ، لكفى .

قال : فقلت : لست أتّهم [ودّك ولا][30] رأيك ، وأنا أفعل ما تقول .

فأقبل على الجماعة ، وقال : يا سادتي ، إنّي قد أشرت عليه أن يكتب خطّه بشيء لا يطيقه ، فضلاً عما هو أكثر منه[32] ، ورجوت أن نعاونه بأموالنا وجاهنا ، ليمشي أمره ، وقد وافقته ليكتب بكذا وكذا .

فقالوا : الصواب له أن يفعل هذا .

فدعا لي بدواة وقرطاس ، وأخذ خطّي بالمال على نجومه[33] ، فلمّا أخذه ، قام قائماً ، وقال لإسحاق : يا سيّدي ، هذا رجل قد صار عليه للسلطان – أعزّه الله – مال ، وسبيله أن يرفّه ، وتحرس نفسه ، وينقل من هذه الحال [٣٣ ظ]

---

٣١ في غ : أن تكتب خطّك بالتزام عشرة آلاف ألف درهم .

٣٢ في غ : أن يكتب بشيء لا طاقة له بأكثر منه .

٣٣ نجّم الدين : أدّاه نجوماً أي أقساطاً في أوقات معيّنة .

ويغيّر زيّه ، ويردّ جاهه ، بإنزاله داراً كبيرة ، وإخدامه بفرش وآلة حسنة ، [وإخدامه خدّاماً بين يديه][34] ، ويمكّن من لقاء من يؤثر لقاءه من معامليه ، ومن يحبّ لقاءه من أهله وولده وحاشيته ، ليجدّ في حمل المال[35] الحالّ عليه قبل محلّه[36] ، ونعينه نحن ، ويبيع أملاكه ، ويرتجع ودائعه ممّن هي عنده .

فقال إسحاق : السّاعة أفعل ذلك ، وأبلغه جميع ما ذكرت ، وأمكّنه منه ، ونهضت الجماعة .

فأمر إسحاق بفكّ حديدي[37] ، وإدخالي الحمّام ، وجاءني بخلعة حسنة ، وطيب ، وبخور ، فاستعملته ، واستدعاني ، فلمّا دخلت عليه ، نهض إليّ ، ولم يكن في مجلسه أحد ، واعتذر إليّ مما خاطبني به ، وقال : أنا صاحب سيف ، ومأمور ، وقد لحقني اليوم من أجلك سماع كلّ مكروه ، حتى امتنعت عن الطعام غمًّا بأن أبتلى بقتلك ، أو يعتب الخليفة عليّ من أجلك ، وإنّما خاطبتك بذلك ، إقامة عذر عند هؤلاء الأشرار[38] ، ليبلغوا الخليفة ذلك ، وجعلته وقاية لك من الضرب والعذاب ، فشكرته ، وقلت ما حضرني من الكلام .

فلما كان من الغد ، حوّلني إلى دار كبيرة ، واسعة ، حسنة ، مفروشة ، ووكّل بي فيها ، على إحسان عشرة وإجلال ، فاستدعيت كلّ من أريده ، وتسامع بي أصحابي[39] ، فجاؤوني وفرّج الله عنّي .

ومضت سبعة وعشرون يوماً ، وقد أعددت ألف ألف درهم ، مال النجم

---

٣٤ الزيادة من غ

٣٥ في غ : يجدّ في تمحّل المال

٣٦ محلّ الدين : أجله

٣٧ في غ : فأمر إسحاق بأخذ حديدي في الحال .

٣٨ كذا وردت في جميع النسخ المخطوطة ، وفي هـ : الاشراف .

٣٩ في غ : وتسامع بي الناس .

الأوّل[40] ، وأنا أتوقّع أن يحلّ ، فأطالب ، فأؤدّيه ، فإذا بموسى بن عبد الملك قد دخل إليّ ، فقمت إليه ، فقال : أبشر .

فقلت : ما الخبر يا سيّدي ؟ .

فقال : ورد كتاب عامل مصر[41] ، بمبلغ مال مصر لهذه السنة مجملاً في مبلغ الحمل[42] والنفقات ، إلى أن ينفذ حسابه مفصّلاً ، فقرأ عبيد الله ذلك على المتوكّل ، فوقّع إلى ديواني بإخراج العبرة[43] لمصر ، ليعرف أثر العامل ، فأخرجت ذلك من ديوان الخراج والضياع ، لأنّ [مصر تجري في ديوان الخراج والضياع][44] [٢٣ ر] وينفذ حسابها إلى الديوانين ، كما قد علمت ، وجعلت سنتك الّتي تولّيت فيها عمالة مصر ، مصدّرة[45] ، وأوردت [٤١ غ] بعدها السنين النّاقصة عن سنتك ، تلطّفاً في خلاصك ، وجعلت أقول : النقصان [في سنة كذا][46] عن سنة كذا وكذا الّتي صدّرناها ، كذا وكذا ألفاً .

فلمّا قرأ عبيد الله العمل على المتوكل ، قال : فهذه السنة الوافرة ، من كان يتولّى عمالتها ؟ .

فقلت أنا : سليمان بن وهب [٣٢ م] يا أمير المؤمنين .

فقال المتوكّل : فلِمَ لا يردّ إليها ؟

---

٤٠ النّجم الأوّل : القسط الأوّل .

٤١ العامل : الموظّف المالي الّذي يناط به جمع الارتفاعات وصرف ما يقتضي صرفه ، أمّا الموظّف الإداري ، فهو الأمير ، وتناط به الخطبة والصّلاة ، ويكون مسؤولاً عن الأمن والإدارة .

٤٢ مبلغ الحمل : المال الذي يحمله العامل إلى الحضرة ، خالصاً بعد سداد جميع ما يحتاج إليه العمل من النفقات .

٤٣ العبرة : ثبت ارتفاعات الكورة ، وعبرة سائر الارتفاعات : المعدّل الوسط بين أعلى الارتفاعات وأدناها .

٤٤ الزيادة من غ وم .

٤٥ راجع القصّة ٨ / ٢٤ من نشوار المحاضرة .

٤٦ الزيادة من غ .

فقلت : وأين سليمان بن وهب ؟ ذاك مقتول بالمطالبة ، قد استصفي وافتقر .

فقال : تزال عنه المطالبة ، ويعان بمائة ألف درهم ، ويعجّل إخراجه .

فقلت : وتردّ ضياعه يا أمير المؤمنين ، ليرجع جاهه .

قال : ويفعل ذلك ، وقد تقدّم إلى عبيد الله بهذا ، واستأذنته في إخراجك ، فأذن لي ، فقم بنا إلى الوزير ، وقد كان دخل إلى اسحاق برسالة الخليفة بإطلاقي .

فخرجتُ من وقتي ، ولم أؤدّ من مال النّجم الأوّل حبّة واحدة ، ورددته إلى موضعه .

وجئت إلى عبيد الله ، فوقّع لي بمائة ألف درهم معونة على سفري ، ودفع إليّ عهدي على مصر ، فخرجت إليها[٤٧] .

---

٤٧ نقلها باختصار صاحب حلّ العقال ص ٤٢ .

المتوكّـــل

أبو الفضل جعفر المتوكّل بن أبي إسحاق محمد المعتصم (٢٠٧ – ٢٤٧) : لم يكن المتوكّل أكبر أولاد المعتصم ، ولذلك فإنّه لم يعدّ في نشأته إعداداً يؤهّله للموضع الّذي وضعته الظروف فيه .

وعندما توفّي الواثق ، واجتمع رجال الدّولة يتذاكرون فيمن يرشّح للحكم ، كان المتوكّل – إذ ذاك – في قميص وسراويل قاعداً مع أبناء الأتراك ، يتساءل ما الخبر ؟ (الطبري ٩ / ١٥٤) .

وكان وهو شاب له شعر قفا في زيّ المخنثين (الطبرى ٩ / ١٥٧) ، غير أنّ وفاة أخيه الواثق ، وعدم وجود خلف له في سنّ تؤهّله للحكم ، اضطرّ رجال الدّولة إلى اختيار المتوكّل خلفاً لأخيه ، وأصرَّ القاضي النبيل أبو عبد الله أحمد بن أبي دؤاد على مبايعته ، وألبسه الطويلة ، وعمّمه بيده (الطبري ٩ / ١٥٤) ، وكان جزاؤه منه على ذلك أن قبض ضياعه وضياع أولاده ، وأجبرهم على الإقرار والإشهاد ببيعها ، وحبس أولاده ، ثمّ نفاهم عن سامراء ، ولم يحبس القاضي لأنّه كان مشلولاً طريح الفراش (الطبري ٩ / ١٨٩) .

ولمّا تولّى الحكم ساس المملكة سياسة صبيانية خرقاء ، قوامها التعصّب والنزق ، وهو أوّل من أظهر من بني العبّاس الانهماك على الشهوات ، وكان أصحابه يسخفون ويسفّون بحضرته ، وكان يهاتر الجلساء ، ويفاخر الرؤساء (زهر الآداب ١ / ٢٥٢) وكان أوّل خليفة ظهر في مجلسه اللعب والمضاحيك (مروج الذهب ٢ / ٣٩١) وكان له مضحكان ، اسم أوّلهما شعرة ، واسم الثاني : بعرة (البصائر والذخائر م١ ص ٢٥) وكان يستطيب معاشرة المخنّثين ومجالستهم (الملح والنوادر ٢٨٢) وكان قد بسط نديمه عبادة المخنّث ، الّذي كان مجاهراً بالعهر والبغاء (البصائر والذخائر م٤ ص ٦٥) ، بحيث أباح له أن يدخل عليه وهو نائم مع نسائه (الملح والنوادر ١٤٨) ، وكان أبو الشبل البرجمي قد نفق عليه بإيثاره العبث (الأغاني ١٤ / ١٩٣) (تجارب الأمم ٦ / ٥٥٦) وغضب على نديمه أحمد بن إبراهيم بن حمدون ، فنفاه إلى تكريت ، ثمّ قطع أذنيه (معجم الأدباء ١ / ٣٦٥) ، وكان قد غضب على إبراهيم بن حمدون ، والد أحمد ، إذ اتّهمه بأنّه قد حزن لموت الواثق ، فأمر بنفيه إلى السند ، وأن يضرب ثلثمائة سوط (معجم الأدباء ١ / ٣٦٨) ولاطف أحد ندمائه ، فأمر بأن تدخل في أسته فجلة (الهفوات النادرة رقم ٢١٨ ص ٢٣٠) .

وكان شديد البغض للإمــام عليّ وأهل بيته ، يقصد من يتولّى علياً وأهله ، بالقتل والمصادرة ، بحيث كان اتّهام الإنسان بالتشيّع لآل عليّ ، في أيّامه ، كافياً لقتله (وفيات الأعيان ٥ / ٣٤٠) وكرب قبر الحسين الشهيد ، وعفّى آثاره ، ووضع على سائر الطريق مسالح ، لا يجدون أحداً زاره إلاّ أتوه به ، فقتله ، أو أنهكه عقوبة (مقاتل الطالبيّين ٥٩٧ ، وفوات الوفيات ١ / ٢٠٣ وتاريخ الخلفاء ٣٤٧ والطبري ٩ / ١٨٥) وذكر أنّه كان يكره من تقدّمه من الخلفاء : المأمون ، والمعتصم ، والواثق ، لمحبتهم علياً وأهل بيته (ابن الأثير ٧ / ٥٦) .

وكان يظهر من سبّ الإمام عليّ ، والاستهزاء بذكره كثيراً (خلاصة الذهب المسبوك ٢٢٦) وكان نديمه عبادة المخنّث ، يرقص بين يديه ، والمغنّون يغنّون : أقبل الأصلع البطين ، خليفة المسلمين (ابن الأثير ٧ / ٥٥) وبلغه أنّ أمير مصر ، ضرب رجلاً عشر درر ، فاستحلفه بحقّ الحسن والحسين أن يكفّ عنه ، فكتب إلى الأمير أن يجلده مائة جلدة (الولاة والقضاة للكندي ٢٠٣) وبلغه أنّ أبا عمر الجهضمي ، روى حديثاً عن النبيّ صلوات الله عليه أثنى فيه على الحسن والحسين وأبيهما وأمّهما ، فأمر بضربه ألف سوط (تاريخ بغداد للخطيب ١٣ / ٢٨٧ و٢٨٨) وغضب ولده المنتصر ، يوماً ، من استهزاء عبادة المخنّث بعليّ ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، إنّ الّذي يحكيه هذا الكلب ، ويضحك منه النّاس ، هو ابن عمّك ، وشيخ أهل بيتك ، وبه فخرك ، فكل أنت لحمه ، ولا تطعم هذا الكلب وأمثاله منه ، فقال المتوكّل للمغنّين : غنّوا جميعاً : (ابن الأثير ٧ / ٥٥)

غـــار الفتى لابــن عمّــه رأس الفــتى في حر أمّــه

وقتل ابن السكّيت إمام اللّغة والأدب ، لأنّه أثنى على الحسن والحسين (ابن الأثير ٧ / ٩١) وغضب على قاضي القضاة بمصر ، فأمر بأن تحلق لحيته ، وأن يطاف به على حمار وأن يضرب في كلّ يوم عشرين سوطاً (تاريخ الخلفاء ٣٤٧) .

واستعمل على المدينة ومكّة ، عمر بن فرج الرخجي ، لمعرفته بنصبه وبغضه علياً (ابن الأثير ٧ / ٥٦) ، فمنع آل أبي طالب من التعرّض لمسألة النّاس ، ومنع النّاس من البرّ بهم ، وكان لا يبلغه أنّ أحداً برّ أحداً منهم بشيء – وإن قلّ – إلاّ أنهكه عقوبة ، وأثقله غرماً ، حتّى كان القميص يكون بين جماعة من العلويات ، يصلّين فيه ، واحدة بعد واحدة ، ثمّ يرفعنه ويجلسن إلى مغازلهن ، عواري ، حواسر ، إلى أن قتل المتوكّل ، فعطف عليهم المنتصر ،

وأحسن إليهم (مقاتل الطالبيّين ٥٩٩) ووصفت للمتوكّل عائشة بنت عمر بن فرج الرخجي ، فوجّه في جوف اللّيل ، والسّماء تهطل ، إلى عمر ، أن احمل إليّ عائشة ، فسأله أن يصفح عنها ، فأبى ، وحملها إليه في اللّيل ، فوطئها ، ثمّ ردّها إلى منزل أبيها (المحاسن والأضداد ١١٨) .

وأنفق على بناء قصوره في سامراء ، أربعة وعشرين ألف ألف دينار (الديارات ٣٦٤ – ٣٧١) ، وكان المصروف على ثلاثة منها مائة ألف ألف درهم (مروج الذهب ٢ / ٤١٨) ، وصرف في حفلة ختان ولده المعتزّ ستة وثمانين ألف ألف درهم (الديارات ١٥٠ – ١٥٧) وبلغ ما نثره في تلك الحفلة على المغنّين والمغنّيات ، عشرين ألف ألف درهم ، وحصل في ذلك اليوم للمزيّن الّذي ختن المعتزّ ، نيّف وثمانون ألف دينار ، سوى الصياغات والخواتم والجواهر والعدات (الديارات ١٥٥ و١٥٦) . ورغب يوماً أن يعمل الشاذكلاه ، بأن يشرب على الورد ، ولم يكن موسم ورد ، فأمر فسكّ له خمسة آلاف ألف درهم ، وأن تلوّن ، وتنثر مكان الورد ، لكي يشرب عليها .

وكان قد بايع لولده المنتصر ، ثمّ المعتز ، ثم المؤيّد (ابن الأثير ٧ / ٤٩) ثمّ رغب في تقديم المعتز ، لمحبته لأمّه ، فسأل المنتصر أن ينزل عن العهد ، فأبى ، فكان يحضره مجلس العامّة ، ويحطّ منزلته ، ويتهدّده ويشتمه (تاريخ الخلفاء ٣٥٠) ويطلب من الفتح أن يلطمه (الطبري ٩ / ٢٢٥ وتجارب الأمم ٦ / ٥٥٥ ، وابن الأثير ٧ / ٩٧) وأمر المتوكّل بقبض ضياع وصيف ، وإقطاعها الفتح بن خاقان (الطبري ٩ / ٢٢٢ ، وتجارب الأمم ٦ / ٥٥٤) كما أنّه وافق الفتح بن خاقان على الفتك بوصيف ، وبغا ، وبابنه المنتصر ، (تجارب الأمم ٦ / ٥٥٤) ، واشتدّ عبثه ، قبل قتله بيومين ، بابنه المنتصر ، مرّة يشتمه ، ومرّة يسقيه فوق طاقته ، ومرّة يأمر بصفعه ، ومرّة يتهدّده بالقتل (الطبري ٩ / ٢٢٥) فاضطر المنتصر أن يشاور بعض الفقهاء وأن يعلمهم بمذاهب أبيه ، وحكى عنه أموراً قبيحة ، فأفتوه بقتله ، فاتّفق مع الأتراك ، وقتلوه (تاريخ الخلفاء ٣٥٠) .

وقد كان تصرّف المتوكّل مع أولاده ، ومع قوّاده ، ومع حاشيته ، ومع رعيّته ، لا بدّ أن يؤدّي به إلى النهاية الّتي انتهى إليها ، ففتح بذلك على من خلفه من الخلفاء ، وعلى من يلوذ بهم من رجال الدّولة ، باباً استحال سدّه ، وكان فاتحة لما أصيب به الخلفاء من بعده ، والوزراء ، وسائر رجال الدّولة ، من قتل ، وسمل ، وتشريد ، وامتهان .

الديـــوان

الديوان ، كلمة كانت في الأصل تطلق على جريدة الحساب ، ثمّ أطلقت على الحساب ، ثمّ على الموضع الذي يجري فيه الحساب (المنجد) .

وأوّل من دوّن الدواوين في الإسلام ، الخليفة أبو حفص عمر بن الخطاب (الطبري ٤ / ٢٠٩ والفخري ٨٣ والأعلام ٥ / ٢٠٤ والمنجد) وكتب فيه النّاس على قبائلهم ، وفرض لهم العطاء (الطبري ٤ / ٢٠٩) ، وكان يحمل دواوين القبائل بين مكّة والمدينة ، فيوزّع بيده العطاء على الصغير والكبير (الطبري ٤ / ٢١٠) .

ثمّ اتّسعت رقعة الدّولة ، ومصّرت الأمصار ، فأصبح للمدينة ديوان (الطبري ٦ / ١٨٠) وللكوفة ديوان ، وللبصرة ديوان (الطبري ٦ / ١٧٩) ، وأحدث معاوية بن أبي سفيان (٣٥ — ٦٠) ديوان الخاتم ، وأمر أن تثبت فيه نسخة من كلّ توقيع يصدره ، كما رتّب البريد الّذي أصبح من بعد ذلك ديواناً مهمّاً من دواوين الدّولة (الفخري ١٠٧ و١٠٨) وقلّد الدواوين الأخرى كتّاباً منهم سرجون الرّومي ، قلّده ديوان الخراج (الطبري ٦ / ١٨٠).

وفي أيّام عبد الملك بن مروان (٦٥ — ٨٦) ، نقلت الدواوين من الروميّة والفارسيّة ، إلى العربيّة (الأعلام ٤ / ٣١٢ والفخري ١٢٢) واستعان أولاده بمواليهم ، فنصبوهم كتّاباً على الدواوين (الطبري ٦ / ١٨٠) ، وكانت الدواوين في أيّام بني أميّة ، مقتصرة على دواوين الأصول ، ولم تكن في أيّامهم دواوين أزمّة (الطبري ٨ / ١٦٧) .

وفي أيّام الخلافة العبّاسيّة ، اتّسعت الدواوين ، وتشعّبت ، ولما استقرّت الأمور في أيّام المهدي ، قلّد الدواوين عمر بن بزيع ، وتفكّر ، فوجد أنّه لا يمكن أن يضبطها ، لتعدّدها ، واتّساع أعمالها ، فاتّخذ دواوين الأزمّة ، وولّى كلّ ديوان رجلاً (الطبري ٨ / ١٦٧) فأصبح لكل ديوان من دواوين الأصول ، ديوان زمام يراقبه ، ويشرف على أعماله (وزراء ٢٩٤) ، ثم اتّخذ المهدي ديواناً ، أسماه : ديوان زمام الأزمّة (الطبري ٨ / ١٦٧) يظهر من اسمه ، أنّه كان يراقب ويشرف على دواوين الأزمّة .

وكان توقيع الخليفة ينقل إلى ديوان التّوقيع ، وبعد التحقّق من صحّة التّوقيع ، وتخليد نسخته في الديوان ، ينقل إلى ديوان الزمام (وزراء ٢٠٣) ، ويقابله الآن في العراق ، ديوان مراقب الحسابات العام ، فإن أقرّه صاحب الديوان ، نقل إلى حيث يجري تنفيذه ، وإذا كان التّوقيع أمراً بصرف مال ، نقل إلى ديوان بيت المال ، ويقابله الآن في العراق ، مديرية الخزينة المركزيّة ، حيث يتمّ تسليم التّوقيع ، وتسلّم المال .

ثمّ انقسم ديوان بيت المال إلى ديوانين ، واحد للعامّة (وزراء ٢٠٨) وآخر للخاصّة (وزراء ١٤١) ، وانقسم ديوان الضياع إلى ديوانين ، واحد للضياع العامّة ، وآخر للضياع الخاصّة (وزراء ٣٣) ، وهي الضياع العائدة للخليفة والأمراء من أهل بيته ، وعليه ديوان زمام خاص (وزراء ٢٨٤) ثمّ أضيفت إلى ديوان الضياع الخاصة ، الضياع المستحدثة (وزراء ٣٤٠) ، ورتب لديوان الإعطاء ، وهو ديوان الجيش (وزراء ١٦٤) مجالس للتّفرقة ، يقوم فيها بتفريق الأموال ، وكلاء عن صاحب الديوان (وزراء ٢٦) وعليه ديوان زمام الجيش (القصّة ٨ / ٣٤ من نشوار المحاضرة) وللنفقات ديوان (وزراء ١٤٠) وعليه ديوان زمام النّفقات (وزراء ٣٨٠) وكان أبو العبّاس بن الفرات أحدث ديواناً اسمه : ديوان الدار (وزراء ١٤٨) فانتزع الوزير عبيدُ الله بن سليمان من ذلك الديوان ، مجلس المشرق ، وجعله ديواناً منفرداً ، سمّاه : ديوان المشرق (وزراء ١٤٩) وكذلك الوزير القاسم بن عبيد الله ، فقد انتزع من ديوان الدار ، مجلس المغرب ، وجعله ديواناً منفرداً ، سمّاه : ديوان المغرب (وزراء ١٤٩) .

وأحدثت دواوين اقتضت الظروف إحداثها ، مثل ديوان البرّ (وزراء ٣١٠) وقد أحدثه الوزير أبو الحسن عليّ بن عيسى بن الجرّاح ، عندما أقنع المقتدر ، فوقف على الحرمين والثغور ، المستغلّات الّتي يملكها بمدينة السّلام ، وغلّتها ثلاثة عشر ألف دينار ، والضياع الموروثة بالسّواد ، الجارية في ديوان الخاصّة ، وارتفاعها نيّف وثمانون ألف دينار ، وديوان المرافق ، أي ديوان الرشى ، وكان سبب إحداثه أنّ من سبق من الوزراء ، تساهلوا في الجباية ، وأنزلوا من بدلات ضمانات الأمصار ، مبالغ عظيمة ، لقاء مبالغ ارتفاق ، يؤدّيها إليهم العمّال سرًّا (وزراء ٣٨) فأصبح الارتفاع لا يفي بالنفقات ، فأنشأ الوزير ديوان الارتفاق ، وأمر العمّال أن يبعثوا إليه بالمبالغ الّتي اتّفقوا على إرفاق الوزراء السّابقين بها ، ليصرفها في أمور الدّولة .

وفي السنة ٣٢٤ لمّا ضعف أمر الدّولة في أيّام الراضي ، نصب أبا بكر محمّد بن رائق ، أميراً للأمراء ، وقلّده إمارة الجيش والخراج والمعاون ، وجميع الدواوين ، وكان ابن رائق بواسط ، فانحدر إليه الكتّاب ، والحجّاب ، وأصحاب الدواوين ، فبطلت الدواوين من ذلك الحين ، وبطلت الوزارة ، وأصبح أمير الأمراء هو النّاظر في جميع الأمور ، وصارت الأموال تحمل إلى خزائنه ، وهو يطلق للخليفة ما يقوم بأوده (ابن الأثير ٨ / ٣٢٢ و٣٢٣) .

٧٤

دعوة مستجابة

حدّثني أبو بكر محمد بن إسحاق الأهوازي[١] [أحد شهود أبي بها][٢] . عن مسرور بن عبد الله الاستادي[٣] ، قال :

حزبني[٤] أمر ضقت به ذرعاً ، فأتيت يحيى بن خالد الأزرق ، وكان مستجاب الدعوة ، فرآني مكروباً قلقاً ، فقال لي : ما شأنك ؟

فقلت : دفعت إلى كيت وكيت .

فقال لي : استعن بالصبر ، فإنّ الله وعد الصابرين خيراً[٥] .

فقلت له : ادع لي ، فحرّك شفتيه بشيء لا أعلم ما هو ، فانصرفت على جملتي من القلق ، فلمّا أصبحت أتاني الفرج بإذن الله تعالى .

[قال مؤلّف هذا الكتاب : ويحيى بن خالد هذا ، هو جدّ عبد الله بن محمّد بن يحيى الأهوازي الكاتب ، وعبد الله هذا جدّي لأمّي][٦] .

---

١ أحسبه أبا بكر محمّد بن إسحاق بن عبد الرحيم السوسي : ترجم له الخطيب في تاريخه ١ / ٢٥٨ .

٢ الزيادة من غ .

٣ لعلّه أبو شاكر مسرّة بن عبد الله الخادم ، مولى المتوكّل ، ترجم له الخطيب في تاريخه ١٣ / ٢٧١ ، وأحسب أن قوله الأستادي محرّفة عن الاستاذ ، لقب يلقّب به الخدم المجابيب .

٤ في ظ : أحزنني ، وفي غ : حدث لي .

٥ في غ : فإنّ الله عزّ وجلّ وعد الصابرين أجراً عظيماً .

٦ انفردت بها غ .

٧٥

دعاء لشفاء العلل

حدّثني عبد الله بن أحمد بن داسه البصري[١] ، قال : اعتللت علّة شديدة ، أيست فيها من نفسي ، على [٣٤ ظ] شدّة كنت فيها ، فعادني بعض أصحاب أبي محمد سهل بن عبد الله التستري[٢] ، فقال : كان أبو محمّد سهل ، يدعو الله في علله ، بدعاء ما دعا به أحد إلّا عوفي .

فقلت : وما هو ؟

فقال : قل : أللّهم اشفني بشفائك ، وداوني بدوائك ، وعافني من بلائك .

قال : فواصلت الدعاء بذلك ، فعوفيت .

---

١ أبو محمّد عبد الله بن أحمد بن بكر بن محمّد بن عبد الرزّاق بن داسه البصري : ذكره السمعاني في كتاب الأنساب ٢١٩ ، وروى عنه التنوخي في كتاب نشوار المحاضرة ، أخباراً عدّة ، راجع القصص ١ / ١٠ و٢٠ و١٠٨ و٣ / ٢٦ و٢٧ و٢٨ ، و٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٨ ، ٥١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ و٤ / ١٠٦ و٧ / ٦١ .

٢ أبو محمّد سهل بن عبد الله بن يونس التستري (٢٠٠ – ٢٨٣) : أحد أئمة الصوفيّة ، وعلمائهم ، ومتكلّميهم (الأعلام ٣ / ٢١٠) ، كان متعبّده بين البصرة والأبلّة (مهذب رحلة ابن بطّوطة ١ / ١٤٣) .

٧٦

غلامُ نازوك وكتاب العطف

حدّثني أبو الحسن أحمد بن يوسف الأزرق[1] ، [بن يعقوب بن إسحاق ابن البهلول التنوخي][2] ، عن أبي الحسين بن البوّاب المقرئ[3] ، قال :

كان يصحبنا [على القرآن][2] ، رجل مستور صالح ، يكنى أبا أحمد ، وكان يكتب كتب العطف للناس ، فحدّثني يوماً ، قال :

بقيت يوماً بلا شيء ، وأنا جالس في دكّاني ، وقد دعوت الله أن يسهّل قوتي[4] ، فما استتممت الدعاء ، حتى فتح باب دكّاني غلام أمرد ، حسن الوجه جدًّا ، فسلّم عليّ وجلس .

فقلت له : ما حاجتك ؟

فقال : أنا عبد مملوك ، وقد طردني مولاي ، وغضب عليّ ، وقال : انصرف عنّي إلى حيث شئت ، وما أعددت لنفسي من أطرحها عليه في مثل هذا الوقت ، ولا أعرف من أقصده ، وقد بقيت متحيّراً في أمري ، وقيل لي إنّك تكتب كتب العطف ، فاكتب لي كتاباً .

فكتبت له الكتاب الذي كنتُ أكتبه ، وهو : بسم الله الرّحمن الرّحيم ،

---

١ أبو الحسن أحمد بن يوسف الأزرق بن يعقوب بن إسحاق بن البهلول التنوخي (٢٩٧ – ٣٧٧) : ولد ببغداد ، وحمل عن جماعة من أهل الأدب ، وكان حافظاً للقرآن ، وحمل قطعة من اللّغة والنّحو ، وقرأ الكلام والأصول ، ودرس الفقه ، وكان منزله بالجانب الشّرقي من مدينة السلام (نشوار المحاضرة القصّة ٥ / ١٢٤) ، وأبوه أبو بكر يوسف لقّب بالأزرق لزرقة عينيه (نشوار المحاضرة القصّة ٧ / ٦) .

٢ الزيادة من غ .

٣ أبو الحسين عبد الله بن أحمد بن يعقوب بن أحمد بن عبد الله بن البوّاب المصري المقرئ : ترجم له صاحب اللباب ١ / ١٤٩ ، وقال : إنّه توفّي سنة ٣٧٦ .

٤ في غ : دعوت الله أن يسهّل لي شيئاً .

الحمد لله ربّ العالمين [٤٢ غ] إلى آخر السورة[٥] ، والمعوّذتين[٦] ، وسورة الإخلاص[٧] ، وآية الكرسي[٨] ، ولو أنزلنا هذا القرآن على جبل ، لرأيته خاشعاً [متصدّعاً من خشية الله ، وتلك الأمثال نضربها للنّاس ، لعلّهم يتفكّرون][٢] ... إلى آخر السورة[٩] ، وكتبت آيات العطف ، وهي : لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ، ما ألّفت بين قلوبهم ، ولكن الله ألّف بينهم .... الآية[١٠] ، ومن آياته أنّه خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها ، وجعل بينكم مودّة ورحمة إلى آخر الآية[١١] ، واذكروا نعمة الله عليكم ، إذ كنتم أعداءً فألّف بين قلوبكم ، فأصبحتم بنعمته إخواناً ... إلى آخر الآية[١٢] .

وقلت له : خذ هذه الرقعة ، فشدّها على عضدك الأيمن ، ولا تعلّقها عليك إلّا وأنت طاهر .

فأخذها وقام [وهو يبكي][٢] ، وطرح بين يديّ ديناراً عيناً ، فداخلتني له رحمة ، فصلّيت ركعتين ، ودعوت له أن ينفعه الله بالكتاب ، ويردّ عليه قلب

---

٥ سورة الفاتحة ك ١ .

٦ سورة الفلق ك ١١٣ وسورة النّاس ك ١١٤ سمّيتا بالمعوّذتين لأنّ مبدأ كلّ واحدة منهما (قل أعوذ) .

٧ سورة الاخلاص ، هي قل هو الله أحد .

٨ ٢٥٥ – ٢٥٧ م البقرة ٢ .

٩ ٢١ م الحشر ٥٩ ، وتمام الآية : لو أنزلنا هذا القرآن على جبلٍ لرأيته خاشعاً متصدّعاً من خشية الله ، وتلك الأمثال نضربها للنّاس ، لعلّهم يتفكّرون .

١٠ ٦٣ م الأنفال ٨ ، وتمام الآية : لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألّفت بين قلوبهم ، ولكنّ الله ألّف بينهم ، إنّه عزيز حكيم .

١١ ٢١ ك الروم ٣٠ ، وتمام الآية : ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها ، وجعل بينكم مودّة ورحمة ، إنّ في ذلك لآيات لقوم يتفكّرون .

١٢ ١٠٣ م آل عمران ٣ ، وتمام الآية : واعتصموا بحبل الله جميعاً ، ولا تفرّقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألّف بين قلوبكم ، فأصبحتم بنعمته إخواناً ، وكنتم على شفا حفرة من النّار فأنقذكم منها ، كذلك يبيّن الله لكم آياته لعلّكم تهتدون .

مولاه ، وجلست .

فما مضت [٣٣ م] إلاّ ساعتان ، وإذا بأبي الجود [13] ، خليفة عجيب [14] ، غلام نازوك ، وكان خليفته على الشرطة ، قد جاءني ، فقال لي : أجب الأمير نازوك [15] ، فارتعت .

فقال : لا بأس عليك ، وأركبني بغلاً ، وجاء بي إلى دار نازوك ، [فتركني في الدهليز ودخل] [16] .

---

١٣ أبو الجود : خليفة عجيب غلام نازوك ، وكان يقوم بأعمال الشرطة ببغداد ، ويشرف على المحبوسين المودعين في حبس الجرائم (تجارب الأمم ١ / ١٨٧) .

١٤ عجيب ، غلام نازوك : كان يقوم بأعمال الشرطة ببغداد تحت إشراف سيّده نازوك صاحب الشرطة ، وهو الذي ضرب عنق المحسّن بن الفرات في السنة ٣١٢ بأمر المقتدر ، وصار بالرأس إلى سيّده نازوك ، فأخذاه ودخلا معاً على أبيه الوزير أبي الحسن بن الفرات ، ووضعا الرأس أمامه ، فارتاع ، ثم أمر نازوك عجيباً ، فضرب عنق الوزير ابن الفرات وحمل نازوك الرأسين إلى المقتدر ، فأمره بتغريقهما (تجارب الأمم ١ / ١٣٨) وقتل عجيب مع سيّده نازوك في السنة ٣١٧ لمّا هجم الجند على قصر الخلافة وخلعوا القاهر ، وأعادوا المقتدر للخلافة (الكامل ٨ / ٢٠٤ وتجارب الأمم ١ / ١٩٦) .

١٥ أبو منصور نازوك : من كبار القوّاد الأتراك في دولة المقتدر ، ولّي الشرطة ببغداد في السنة ٣١٠ (الكامل ٨ / ١٣٧ وتجارب الأمم ١ / ٨٣) وكان يتعصّب للوزير أبي الحسن عليّ بن عيسى (تجارب الأمم ١ / ١١٠) منحرفاً عن الوزير أبي الحسن بن الفرات (تجارب الأمم ١ / ١٢٠) ، وهو الّذي قبض على الوزير ابن الفرات في السنة ٣١٢ وأعتقله في داره (تجارب الأمم ١ / ١٢٦) كما قبض على ولده المحسّن (تجارب الأمم ١ / ١٣٢) وقتلهما بأمر المقتدر (تجارب الأمم ١ / ١٣٨) وكان شديداً حازماً ، خلّص البلد أكثر من مرّة من نهب العيّارين (الكامل ٨ / ١٧٣ وتجارب الأمم ١ / ١٧٩) ، وفي السنة ٣١٦ وقعت فتنة بينه وبين القائد هارون بن غريب الخال (انظر سبب الفتنة في الكامل ٨ / ١٨٧ وتجارب الأمم ١ / ١٨٧) ، فشكا إلى المقتدر ، فلم يشكه ، فاستوحش ، وانضاف إلى مؤنس مع أكثر الجند ، وخلعوا المقتدر ، ونصبوا أخاه القاهر (الكامل ٨ / ٢٠٠ – ٢٠٢) فولّي نازوك الحجبة ، إضافة للشرطة (تجارب الأمم ١ / ١٩٣) ، وبعد يومين شغب الجند ، وهجموا على قصر الخلافة ، فتصدّى لهم نازوك ، وقتلوه (الكامل ٨ / ٢٠٤) .

١٦ الزيادة من غ وم .

فلما كان بعد ساعة ، أُدخلت ، فإذا نازوك جالس في دست عظيم ، وبين يديه الغلمان قياماً سماطين ، نحو ثلثمائة غلام وأكثر ، وكاتبه الحسين[17] جالس بين يديه ، ورجل آخر لا أعرفه .

فارتعت ، وأهويت لأقبّل الأرض ، فقال : مه ، عافاك الله ، لا تفعل ، هذا من سنن الجبّارين ، وما نريد نحن هذا ، اجلس يا شيخ ، ولا تخف ، فجلست .

فقال لي : جاءك اليوم غلام أمرد ، فكتبت له كتاباً للعطف ؟

قلت : نعم .

قال : اصدقني عمّا جرى بينكما ، حرفاً ، حرفاً .

فأعدته عليه ، حتّى لم أدع كلمة[18] ، وتلوت عليه الآيات الّتي كتبتها .

فلمّا بلغت إلى قول الغلام : أنا عبد مملوك ، وما أعددت لنفسي من أقصده في هذه الحال ، ولا أعرف أحداً ألجأ إليه ، وقد طردني مولاي ، بكيت لما تداخلني من رحمة له ، وأريته الدينار الذي أعطانيه ، فدمعت عينا نازوك [٢٤ ر] وتجلّد ، واستوفى الحديث .

وقال : قم يا شيخ ، بارك الله عليك ، ومهما عرضت لك من حاجة ، [أو لجار لك ، أو صديق][16] ، فسلنا إيّاها ، فإنّا نقضيها ، [وأكثر عندنا وانبسط في هذه الدار ، فإنّك غير محجوب عنها][16] ، فدعوت له وخرجت .

[فلمّا صرت خارج باب المجلس ، إذا بغلام قد أعطاني قرطاساً فيه ثلثمائة درهم ، فأخذته وخرجت][16] .

فلمّا صرت في الدهليز[19] ، إذا بالفتى ، فعدل بي إلى موضع وأجلسني .

---

١٧ في غ : أبو القاسم ، وفي م : أبو الحسن .

١٨ في غ : حتّى لم أخرم منه حرفاً .

١٩ الدهليز : راجع التفصيل في آخر القصّة .

فقلت : ما خبرك ؟

فقال : أنا غلام الأمير ، وكان قد طردني ، وغضب عليّ ، فلمّا أن جئتك ، واحتبست عندك ، طلبني ، فرجعت مع رسله .

فقال لي : أين كنت ؟

فصدقته الحديث ، فلم يصدّقني ، وأمر بإحضارك ، فلمّا اتّفقنا في الحديث ، وخرجت الساعة ، [أحضرني ، وقال : يا بنيّ][20] ، أنت الساعة من أجلّ غلماني [٣٥ ظ] عندي ، وأمكنهم من قلبي ، وأخصّهم بي ، إذ كنتَ لمّا غضبتُ عليك[21] ما غيّرك ذلك عن محبّتي ، والرغبة في خدمتي ، وطلب الحيل في الرجوع إليّ [٤٣ غ] وانكشف لي أنّك ما أعددت لنفسك – بعد الله – سواي ، [ولا عرفت وجهاً تلجأ إليه في الدّنيا غيري ، فما ترى بعد هذا إلاّ كل ما تحبّ][16] ، وسأعلي منزلتك ، وأبلغ بك أعلى مراتب نظرائك ، ولعلّ الله سبحانه استجاب فيك دعاء هذا الرجل الصالح ، ونفعك بالآيات ، فبأيّ شيء كافأت الرجل ؟.

فقلت : ما أعطيته غير ذلك الدينار .

فقال : سبحان الله ، قم إلى الخزانة ، فخذ منها ما تريد ، وأعطه .

فأخذت منها هذا القرطاس ، وجئتك به ، فخذه ، وأعطاني أيضاً خمسمائة درهم ، وقال لي : الزمني ، فإنّي أحسن إليك .

فجئته بعد مديدة ، فإذا هو قائد جليل ، وقد بلغ به نازوك تلك المنزلة ، فوصلني بصلة جليلة ، وصار لي عدّةً على الدهر وذخيرة[22] .

---

٢٠ في ظ : قال لي ، والزيادة من غ .

٢١ في غ : لما عاملتك بهذا .

٢٢ في غ : وصار لي عدّة على الزمان .

الدهليز

الدهليز : الممرّ الذي بين باب الدار ووسطها ، ويسمّى الآن ببغداد : المجاز ، والكلمة فصيحة ، لأنّه موضع الجواز إلى داخل الدّار ، وجمعه دهاليز ، قال يحيى بن خالد : ينبغي للإنسان أن يتأنّق في دهليزه لأنّه وجه الدار ، ومنزل الضّيف ، وموقف الصديق حتّى يؤذن له ، وموضع المعلّم ، ومقيل الخدم ، ومنتهى حدّ المستأذن .

ومن لطيف الكلام : القبر دهليز الآخرة .

وقال ابن سكّرة :

قلت للنزلـة لـمّـا أن ألمّـت بلهـاتي
بحيـاتي خـلّ حلقـي فهو دهليـز حيـاتي

(وفيات الأعيان ٧ / ٩٢ والغيث المسجم للصفدي ١ / ١٨٥ وشفاء الغليل ٨٦) .

وكانت دهاليز دور الوزراء ، والقادة ، والأمراء ، تشتمل على حجر عدّة ، برسم الخدم ، والأتباع ، والوكلاء ، والحرّاس ، والرجّالة ، وفيها مواضع للجلوس والطعام ، راجع القصّة ١ / ٥ و٢ / ١٦٤ من كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للقاضي التنوخي .

ويحدّثنا أبو جعفر بن شيرزاد عن دهليز داره ، أنّه كان محصّناً ببابين ، باب على الطريق العام ، وباب على صحن الدار ، فإذا دخل الداخلون من الباب الأوّل ، ظلّ الثاني مغلقاً ، حتّى إذا استتمّ دخولهم ، واستقرّوا في الدهليز ، أغلق الأوّل ، وفتح الثّاني ، لينفذوا منه إلى داخل الدّار ، راجع القصّة ٣٧٨ من هذا الكتاب .

ولمّا عزل الوزير أبو شجاع من وزارة الخليفة ، خرج إلى الجامع يوم الجمعة ، فانثالت العامّة عليه تصافحه وتدعو له ، فأنكر الخليفة ذلك ، فبنى في دهليز داره مسجداً ، وكان يؤذّن ويصلّي فيه (المنتظم ٩ / ٩٣) .

وكان بيت الطاحون في كلّ دار يقع في الدهليز ، راجع في المُلح والنوادر ص ٢٨٣ قصّة العاشق الذي حلّ محلّ الحمار في الطاحون .

٧٧

جور أبي عبد الله الكوفي

حدّثني محمّد بن محمّد المهندس[١] ، قال : حدّثني أبو مروان الجامدي[٢] ، قال :

ظلمني أحمد بن علي [بن سعيد][٣] الكوفي[٤] ، وهو يتقلّد واسط[٥] لناصر الدولة[٦] ، وقد تقلّد إمرة الأمراء ببغداد[٧] ، [وكنت أحد من ظلم][٣] ، فظلمني ، وأخذ من ضيعتي بالجامدة نيّفاً وأربعين كرًّا أرزًّا ، بالنصف من حقّ الرقبة ، بغير

---

١ أورد التنوخي هذه القصّة في نشوار المحاضرة ٨ / ٦٩ وقال : حدّثنا أبو الحسن محمّد بن محمّد بن عثمان الأهوازي الكاتب ، المعروف بابن المهندس .

٢ في نشوار المحاضرة ٨ / ٦٩ ذكر أنّه (ابن مروان) ، وقد ورد الآن في ظ وغ (أبو مروان) ، وفي م (ابن مروان) ، والجامدي : نسبة إلى الجامدة ، قرية كبيرة بين واسط والبصرة ، من أعمال واسط (معجم البلدان ٢ / ١٠) .

٣ الزيادة من غ وم .

٤ أبو عبد الله أحمد بن عليّ الكوفي : كان يخدم الوزير ابن مقلة ، ثم اتّصل بالبريدي ، وعاد إلى بغداد فكتب لبجكم ، ومن بعده لابن رائق ، ثمّ لناصر الدّولة ، وكان ظالماً عاتياً (تجارب الأمم ١ / ٢١٧ – ٤١٦ و٢ / ٢ – ٤٤ والكامل ٨ / ٣٦٤ – ٤٠٤) ، توفّي بحلب في السنة ٣٣٤ (التكملة ١٤٨) .

٥ واسط : بناها الحجّاج ، وسمّيت كذلك لأنّها متوسّطة بين البصرة والكوفة ، وتشمل الآن في العراق سقي الغرّاف (معجم البلدان ٤ / ٨٨١) أقول : آثار واسط موجودة قرب مدينة الحيّ ، وقد أبصرتها أكثر من مرّة عندما كنت في السنة ١٩٣٤ حاكما في قلعة سكر على نهر الغرّاف .

٦ ناصر الدّولة أبو محمّد الحسن بن أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان بن حمدون التّغلبي الحمداني : من ملوك الدّولة الحمدانيّة ، كان صاحب الموصل وما يليها ، لقّبه المتّقي العبّاسي بناصر الدّولة ، ونصبه أمير الأمراء ، ولمّا توفّي أخوه الأمير سيف الدّولة ، تغيّرت أحواله ، وساءت أخلاقه ، فحجر عليه ولده أبو تغلب ، ونقله إلى قلعة من القلاع ، وتوفّي سنة ٣٥٨ (الأعلام ٢ / ٢١٠) .

٧ كان ذلك في السنة ٣٣٠ (تجارب الأمم ٢ / ٢٨) .

تأويل ولا شبهة ، سوى ما أخذه بحقّ بيت المال ، وظلم فيه أيضاً ، فتظلّمت إليه ، وكلّمته ، فلم ينفعني معه شيء ، وكان الكرّ الأرز بالنصف – إذ ذاك – بثلاثين ديناراً .

فقلت [٣٤ م] له : قد أخذ منّي سيّدي ما أخذ ، ووالله ، ما أهتدي أنا وعيالي ، إلى ما سوى ذلك ، وما لي ما أقوتهم به باقي سنتي ، ولا ما أعمّر به ضيعتي ، وقد طابت نفسي أن تطلق لي من جملته عشرة أكرار ، وجعلتك من الباقي في حلّ .

فقال : ما إلى هذا سبيل .

فقلت : فخمسة أكرار .

فقال : لا أفعل .

فبكيت ، وقبّلت يده ، [ورقّقته][٨] ، وقلت : هب لي ثلاثة أكرار ، وتصدّق عليّ بها ، وأنت من الجميع في حلّ .

فقال : لا والله ، ولا أرزة واحدة .

فتحيّرت ، وقلت : فإنّي أتظلّم منك إلى الله تعالى .

فقال لي : كن على الظلامة ، [يكرّرها دفعات ، ويكسر الميم ، بلسان أهل الكوفة][٩] .

فانصرفت منكسر القلب[١٠] ، منقطع الرجاء ، فجمعت عيالي ، وما زلنا ندعو عليه ليالي كثيرة ، فهرب من واسط في اللّيلة الحادية عشرة من أخذه الأرز ، فجئت إلى البيدر ، والأرز مطروح ، فأخذته ، وحملته إلى منزلي ، وما عاد الكوفي بعدها إلى واسط ، ولا أفلح .

---

٨ الزيادة من غ .

٩ الزيادة من غ ، أقول : لا أثر لهذه اللغة الآن في الكوفة ، ولا في بغداد ، وهي الآن مقصورة على أهل الموصل في العراق ، وعلى أهل بلاد الشام ، أي سوريا ولبنان ، فهم يقولون : ظلامي ، وسلامي ، وكرامي ، في ظلامة ، وسلامة ، وكرامة . * ١٠ في غ : محترق القلب .

٧٨

من طريف ما اتّفق لابن مقلة في نكبته الّتي أدّته إلى الوزارة

وحدّثني غير واحد من الكتّاب، عمّن سمع أبا علي بن مقلة[1]، لما عاد من فارس[2] وزيراً، يحدّث، قال:

من طريف ما اتّفق لي في نكبتي هذه الّتي أدّتني إلى الوزارة، أنّني أصبحت

---

١ أبو علي محمّد بن عليّ المعروف بابن مقلة (٢٧٢ – ٣٢٦): كان يعمل محرراً لأبي الحسن بن الفرات أيّام خلافته أبا العبّاس أخاه على ديوان السواد، ثم تقدّمت حاله فزاد جاريه إلى ثلاثين ديناراً في الشهر (وزراء ١٣٥) وعرف بانحيازه إلى آل الفرات، فلمّا تقلّد أبو الحسن بن الفرات الوزارة، جعل رزق ابن مقلة خمسمائة دينار في الشهر، (وزراء ١٣٥)، ولمّا عزل أبو الحسن عن الوزارة في السنة ٢٩٩ استتر ابن مقلة (تجارب الأمم ١ / ٢١)، وبقي متعطّلا مدّة وزارة الخاقاني، ووزارة عليّ بن عيسى، فشكر له ابن الفرات ذلك، وزاد اختصاصه به (١ / ٤٤) ثم طمع في الوزارة، فجاهر أبا الحسن بن الفرات بالخصومة، وسعى به (١ / ٥٢) فقبض عليه وصادره (١ / ١١٣) ثمّ أبعده وسليمان بن الحسن بن مخلد إلى شيراز (١ / ١٤٠) ولمّا عزل ابن الفرات عاد إلى بغداد (١ / ١٤٠) وتقلّد في السنة ٣١٦ وزارة المقتدر (١ / ١٨٥)، ولمّا خلع ونصب القاهر، أبقاه وزيراً (١ / ١٩٣)، ولما عاد المقتدر للخلافة أقرّه على الوزارة (١ / ١٩٩) ثم اتّهمه بممايلة مؤنس، فاعتقله (١ / ٢٠٣) واستوزر سليمان بن الحسن بن مخلد فنفاه إلى شيراز (١ / ٢٢٩) ولمّا قتل المقتدر وولّي القاهر، استوزره وكتب إلى ياقوت عامل فارس بحمله وتعجيله (١ / ٢٤٢) ثمّ استوحش من القاهر، فأخذ يدبّر ضدّه (١ / ٢٥٩) وأحسّ به القاهر فأراد اعتقاله، فاستتر (١ / ٢٦٤) وحرّض عليه الغلمان الحجريّة والساجيّة (١ / ٢٨٦) فهاجموه واعتقلوه، ونصبوا الرّاضي خليفة (١ / ٢٨٩) فاستوزره (١ / ٢٩٣) ثم اعتقله الغلمان الحجريّة في السنة ٣٢٤ (١ / ٣٣٣)، ثم أخذ يدبّر ضدّ أمير الأمراء ابن رائق، فالحّ ابن رائق على الراضي حتّى قبض عليه وقطع يده (١ / ٣٨٦) ثمّ قطع لسانه، وقطع عنه الطّعام، فمات سنة ٣٢٦ (١ / ٣٩٠ – ٣٩٢).

٢ فارس: إقليم فسيح، وولاية واسعة، قصبتها شيراز، وهي خمس كور (معجم البلدان ٣ / ٨٣٥).

وأنا محبوس مقيّد في حجرة من دار ياقوت[3] ، أمير فارس ، وقد لحقني من اليأس من الفرج وضيق الصدر ما أقنطني وكاد يذهب بعقلي ، وكنّا ، أنا وفلان[4] محبوسين ، مقيّدين ، في بيت واحد من الحجرة ، إلّا أنّا على سبيل ترفيه وإكرام .

فدخل علينا [٢٥ ر] كاتب لياقوت ، وكان كثيراً ما يجيئنا برسالته ، فقال : الأمير يقرئكما السّلام ، ويتعرّف أخباركما ، ويعرض عليكما قضاء حاجة إن كانت لكما .

فقلت له : تقرأ عليه السّلام ، وتقول له : قد – والله – ضاق صدري ، واشتهيت أن أشرب على غناءٍ طيّب ، فإن جاز أن يسامحنا بذلك سرًّا ، ويتّخذ به منّة عليّ ويدًا ، تفضّل بذلك [٤٤ غ] .

فقال لي المحبوس الّذي كان معي : يا هذا ، ما في قلوبنا فضلٌ لذلك .

فقلت للكاتب : أدِّ عنّي ما قلت لك .

---

٣ أبو المظفر ياقوت ، القائد التركي : كان من كبار القادة في دولة المقتدر ، ومقامه مماثل لمقام أحمد ابن بدر ، ابن عمّ السيّدة والدة المقتدر ، وهارون بن غريب الخال ، ابن خال المقتدر ، ومفلح الأسود الخادم (الوزراء ١٧٣) وله ولدان قائدان ، هما المظفّر ، ومحمّد (تجارب الأمم (١ / ١٢٢) وقد انتدب ياقوت في السنة ٣١٢ لدفع القرامطة عن بغداد (وزراء / ٥٨ وتجارب الأمم ١ / ١٢٢) واستخلفه مؤنس على الكوفة في السنة ٣١٣ حفظاً لها من هجمات القرامطة (١ / ١٤٦) وقلّد في السنة ٣١٥ أعمال الحرب والمعاون بفارس (١ / ١٥٧) ثم ولّي حجبة الخليفة المقتدر (١ / ٢٠٩) وكان منحرفاً عن مؤنس (١ / ٢٠٣) فاستوحش مؤنس منه ، وحشد الجيش ، وطالب بصرفه من الحجبة ، وإبعاده عن الحضرة (١ / ٢١٠) فقلّده المقتدر أعمال الخراج والمعاون بفارس وكرمان (١ / ٢١١) ووقعت الحرب بينه وبين عماد الدّولة بن بويه ، فانتصر عليه عماد الدّولة في ثلاث معارك (١ / ٢٨١ – ٢٨٣ و ١ / ١٩٧ و ١ / ٣٠٣) ، وكان قد تقلّد أعمال الحرب والمعاون بالأهواز (١ / ٣٠١) فابتلي بالبريدي ، وواقعه البريدي في السنة ٣٢٤ ، فقتل في المعركة (تجارب الأمم ١ / ٣٤٧) .

٤ نفي الوزير ابن مقلة إلى فارس مرّتين ، الأولى بأمر الوزير أبي الحسن بن الفرات ، وكان رفيقه في النّفي سليمان بن الحسن بن مخلد ، أمّا في المرّة الثّانية فإن سليمان بن الحسن بن مخلد ، هو الّذي نفاه (تجارب الأمم ١ / ١٤٠ ، ٢٢٩) .

[قال : السمع والطاعة][5] ومضى ، وعاد فقال : الأمير يقول لك : نعم ، وكرامة وعزازة ، أيّ وقت شئت .

فقلت : الساعة .

فلم تمض إلّا ساعة ، حتّى جاءوا بالطعام ، فأكلنا ، وبالمشامّ والفواكه والنبيذ ، وصفّ المجلس ، فجلست أنا والمحبوس الّذي معي في القيدين .

وقلت له : تعال ، حتى نشرب ، ونتفاءل بأوّل صوت تغنّيه المغنّية ، في سرعة الفرج ممّا نحن فيه [فلعلّه يصحّ الفأل][6] .

فقال : أمّا أنا فلا أشرب ، فلم أزل أرفق به حتّى شرب ، فكان أوّل صوت غنّته المغنّية : [٣٦ ظ] .

تواعد للبين الخليط لينبتّوا　　　وقالوا لراعي الذّود موعدك السّبت
ولكنّهم بانوا - ولم أدر - بغتةً　　　وأفظع شيء حين يفجؤك البغت

[قال أبو علي : ذكر المبرّد في كتابه المعروف بالكامل ، البيت الأوّل ، ورواه لمحمّد بن يسير][7] .

فقال لي : ما هذا ممّا يتفاءل به ، [وأيّ مغنى فيه ، ممّا يدلّ على فرجنا ؟][6]

فقلت : ما هو إلّا فأل مبارك ، وأنا أرجو أن يفرّق الله بيننا وبين هذه الحالة الّتي نحن عليها ، ويبين الفرج والصلاح ، يوم السبت .

قال : وأخذنا في شربنا يومنا ، وسكرنا ، وانصرفت المغنّية ، ومضت الأيّام .

فلمّا كان يوم السبت ، وقد مضى من النّهار ساعتان ، إذا بياقوت قد دخل علينا ، فارتعنا ، وقمت إليه ، فقال : أيّها الوزير ، الله ، الله ، في أمري ،

---

٥ الزيادة من غ .
٦ الزيادة من غ وم .
٧ الزيادة من غ .

وأقبل إليّ مسرعاً ، وعانقني ، وأجلسني ، وأخذ يهنّيني بالوزارة ، [فبهتُّ][8] ، ولم يكن عندي علم بشيء من الأمر ، ولا مقدّمة له .

فأخرج إليّ كتاباً ورد عليه من القاهر بالله[9] ، يعلمه فيه [بما جرى على المقتدر ، ومبايعة النّاس له بالخلافة ، ويأمره [٣٥ م] بأخذ البيعة على من بفارس من الأولياء ، وفيه][8] تقليده إيّاي الوزارة ، ويأمره بطاعتي ، وسلّم إليّ أيضاً ، كتاباً من القاهر ، يأمرني فيه بالنّظر في أموال فارس ، والأولياء بها ، واستصحاب ما يمكنني من المال ، وتدبير أمر البلد بما أراه ، والبدار إلى حضرته ، وأنّه استخلف لي – إلى أن أحضر – الكلوذاني[10] .

فحمدت الله كثيراً ، وشكرته ، وإذا الحدّاد واقف ، فتقدّمت إليه بفكّ قيودي وقيود الرّجل ، ودخلت الحمّام ، وأصلحت أمري وأمر الرّجل ، وخرجت ،

---

٨ الزيادة من م .

٩ أبو منصور محمّد القاهر بن أبي العبّاس أحمد المعتضد (٢٨٧ – ٣٣٩) : بويع بالخلافة سنة ٣١٧ لمّا خلع أخوه المقتدر (تجارب الأمم ١ / ١٩٣) ولمّا عاد المقتدر للخلافة ، أحضره المقتدر وأمنه ، (١ / ١٩٩) واعتقل في دار الخلافة ، فعنيت به السيّدة أمّ المقتدر ، ورفّهته ، وأهدت إليه عدّة من الجواري (١ / ٢٢٦) ، ولمّا قتل المقتدر في السنة ٣٢٠ نصب القاهر خليفة (١ / ٢٤١) وكان أوّل ما فعله أن أحضر السيّدة أمّ المقتدر فضربها بيده ، وعلّقها بفرد رجل ، وأسرف في ضربها على المواضع الغامضة من بدنها (١ / ٢٤٣) ، وقبض على أبي أحمد بن المكتفي ، فأقامه في فتح باب وسدّ عليه بالجصّ والآجر ، وهو حيّ (١ / ٢٦٦) ودفن أبا السرايا نصر بن حمدان ، وإسحاق بن إسماعيل ، حيّين ، لأنّ كل واحد منهما زايده قبل خلافته على جارية أراد شراءها (١ / ٢٨٥) ثمّ دبّر على القوّاد مؤنس المظفّر ويلبق وولده علي ، فاعتقلهم (١ / ٢٦١) ، وذبح عليّ بن يلبق في حضرته ، ووجّه برأسه إلى أبيه ، ثم ذبح الأب ، ووجّه بالرأسين إلى مؤنس ، ثم أمر بمؤنس فجرّ إلى البالوعة وذبح وهو يراه (١ / ٢٦٧ – ٢٦٨) وتحرّك الجيش على أثر ذبح قوّاده ، فهاجموا قصر الخلافة ، واعتقلوه ، واستخلفوا الرّاضي (١ / ٢٨٩) وسمل القاهر (١ / ٢٩٢) ، وحبس ، ثم أطلق ، فرؤي وهو يتصدّق في السنة ٣٣٠ بسوق الثّلاثاء ، فبلغ ذلك البريديّ ، فأنفذ إليه من أقامه وأجرى له في كلّ يوم خمسة دراهم (التكملة ١٢٧) .

١٠ راجع تجارب الأمم ١ / ٢٤٢ .

فنظرت في الأعمال والأموال ، وجمعت مالاً جليلاً في أيّام يسيرة ، وقرّرت أمور البلد ، وسرت ، واستصحبت الرّجل معي إلى الحضرة ، حتّى جلست هذا المجلس ، وفرّج الله عنّا[11] .

---

11 نقلها باختصار صاحب حل العقال ص ٤٢ .

٧٩

أبو أيّوب يرفع شكواه إلى الله تعالى برقعة يعلّقها في المحراب

قال محمّد بن عبدوس ، في كتابه « كتاب الوزراء » : وجدت بخط أبي عليّ أحمد بن إسماعيل الكاتب[١] ، حدّثني أحمد بن أبي الأصبغ[٢] ، قال :

وجّهني عبيد الله بن يحيى ، إلى أبي أيّوب[٣] ، ابن أخت أبي الوزير[٤] ، أيّام تقلّد [أبي صالح عبد الله بن محمد][٥] بن يزداد الوزارة ، وكان ابن يزداد[٦] ،

---

١ ابو علي أحمد بن إسماعيل بن الخطيب الأنباريّ الكاتب : يلقّب « نطّاحة » وهو من كبار الكتّاب المترسّلين ، كان يكتب لعبيد الله بن عبد الله بن طاهر ، وقتله محمّد بن طاهر ، له عدّة كتب (الأعلام ١ / ٩٣) .

٢ أبو العبّاس أحمد بن محمّد بن أبي الأصبغ : من أقرباء أبي أيّوب سليمان بن وهب ، وكان يتصرّف معه ، وبينهما قرابة من جهة النساء (القصّة ٨ / ٥٥ من كتاب نشوار المحاضرة) وفي أيّام ولده عبيد الله ابن سليمان ، ولّي ديوان الخراج (الوزراء ٨٧) وفي السنة ٣١١ كان عاملاً على البصرة (الوزراء ٥٠ ، ١٢٥) .

٣ أبو أيّوب أحمد بن شجاع : كان خليفة أحمد بن طولون على الخراج بمصر (الولاة للكندي ١٦٣) ، ومدحه البحتري بقصيدتين (ديوان البحتري ص ٦٨٩ – ٦٩١ و٧٠٦ – ٧٠٨) ، وذكره غرس النعمة في كتاب الهفوات النادرة ص ٢٧٥ ، فقال : إنّه كان من الحمقى ، وكان يقول بمخالطته للجنّ ، وتعشّق منهم جارية تسمّى : قرّة العين ، وكان يطرح إلى جانبه مصلّى لتجلس عليه معه ، وبلغ من لهجه بها ، أن غارت جاريته « عزّ » من ذلك وهجرته ، أقول : هذا يدلّ على أنّ الجارية كانت أشدّ حمقاً من سيّدها ، وروى له المرزباني في الموشّح ص ٣٥٧ شعراً في رثاء أمّ سليمان بن وهب ، لا يتأتّى إلاّ بخذلان من الله تعالى .

٤ أبو الوزير أحمد بن خالد الصريفيني الكاتب : ترجمته في حاشية القصّة ١٦٥ من الكتاب .

٥ الزيادة من غ .

٦ أبو صالح عبد الله بن محمّد بن يزداد بن سويد : كان أبوه وزير المأمون (الفخري ٢٢٧) أمّا هو

يقصد أبا أيّوب ويعاديه .

فقال لي عبيد الله : الْقه ، وسهّل عليه الأمر ، وقل له : أرجو أن يكفيك الله شرّه .

فوصلت إليه وهو يصلّي ، وقد علّق في محرابه رقعة ، فأنكرتها ، وأدّيت إليه الرسالة .

فقال [٤٥ غ] لي : قل له : جعلت فداك ، لست أغتمّ بشيء ، لأنّ أمره قريب ، وقد رفعت فيه إلى الله تعالى قصّةً إذ أعجزني المخلوقون ، أما تراها معلّقة في القبلة ؟

فكاد يغلبني الضّحك ، فضبطت نفسي ، وانصرفت إلى عبيد الله ، فحدّثته الحديث ، فضحك منه .

قال : فوالله ، ما مضت بابن يزداد إلّا أيّام يسيرة ، حتّى سخط عليه وصرف .

فاتّفق لأبي أيّوب الفرج ، ونزل بابن يزداد المكروه ، في مثل المدّة الّتي تخرج فيها التوقيعات في القصص[٧] .

فكان يلي ديوان زمام الضياع في عهد المتوكّل (الطبري ٩ / ٢١٧) ، ثم وزّر للمستعين بعد مقتل أوتامش ، وأدّى اقتصاده في النّفقات إلى غضب القوّاد عليه ، ففرّ منهم إلى بغداد (الطبري ٩ / ٢٦٤ وابن الأثير ٧ / ١٢٣) .

٧ نقلها صاحب كتاب حلّ العقال ص ٤١ .

٨٠

أبو نصر الواسطي يتظلّم إلى الإمام موسى الكاظم برقعة علّقها على قبره

قال مؤلّف الكتاب : وأنا شاهدت مثل هذا ، وذلك أنّ أبا الفرج محمّد ابن العباس بن فسانجس[١] ، لما ولي الوزارة[٢] [٢٦ ر] أظهر من الشرّ على النّاس[٣] ، والظّلم لهم ، بخلاف ما كان يقدّر فيه ، وكنت أحد من ظلمه ، فإنّه أخذ ضيعتي بالأهواز[٤] ، وأقطعها بالحقّين[٥] ، وأخرجها عن يدي[٦] .

---

١ أبو الفرج محمّد بن العبّاس بن فسانجس : كان والده أبو الفضل العبّاس من وجهاء شيراز ، وانضاف إلى عماد الدّولة بن بويه (تجارب الأمم ١ / ٣٠٠ و٣٥٥) ولمّا استقرّ معزّ الدّولة بن بويه ببغداد ، أحضر أبا الفضل ، وقلّده دواوين الزمام (التّكملة ٢٠٥ وتجارب الأمم ٢ / ١٢٠) ولمّا توفّي بالبصرة سنة ٣٤٢ ، تقلّد أبو الفرج ولده الديوان (تجارب الأمم ٢ / ١٤٨) ولمّا توفّي الوزير المهلّبي في السنة ٣٥٢ ، تزاحم أبو الفرج وأبو الفضل الشيرازيّ على الوزارة ، فأمر معزّ الدّولة بأن ينظرا في الأمور مشتركاً ، من دون تسمية أحدهما بالوزارة (٢ / ١٩٨) ولمّا توفّي معزّ الدّولة في السنة ٣٥٦ ، عادا إلى التزاحم على وزارة ولده عزّ الدّولة بختيار (٢ / ٢٣٧) فوزّر أبو الفضل الشّيرازي (٢ / ٢٣٨ و٢٤١) فانقطع أبو الفرج عن الديوان ، فهدّده الوزير ، فعاد إلى العمل (٢ / ٢٤٢) وظلّ يكيد للوزير أبي الفضل حتّى اعتقله بختيار ، وتقلّد أبو الفرج الوزارة في السنة ٣٥٩ (٢ / ٢٦٠ و٢٦٣) فاختلطت عليه الأمور ، وانحدر إلى الأهواز لاستخراج بعض المال ، فأمر بختيار باعتقاله ، وأعيد أبو الفضل للوزارة (٢ / ٢٦٩ والقصّة ٢ / ١١٣ من نشوار المحاضرة) ، وأحضر أبو الفرج إلى بغداد ، فشملته عناية الحاجب سبكتكين ، فأطلق ، وترك التصرّف ، فسلم ، وكان هو وأخوه في أيّام عضد الدّولة ببغداد (٣٦٦ – ٣٧٢) يتقدّمان النّاس جميعاً ، لرئاستهما القديمة ، راجع القصّة ٤ / ٤٤ من نشوار المحاضرة .

٢ ولّي أبو الفرج وزارة عزّ الدّولة بختيار سنة ٣٥٩ ، راجع تفصيل ذلك في تجارب الأمم ٢ / ٢٦٠ – ٢٦٤ .

٣ في غ وم : التشدّد على النّاس .

٤ في غ : أخذ ضيعة لي بالأهواز .

. فأصعدت الى بغداد متظلّماً إليه من الحال ، فما أنصفني ، على حرمات كانت بيني وبينه[7] ، وكنت أتردّد إلى مجلسه ، فرأيت فيه شيخاً من شيوخ العمّال ، يعرف بأبي نصر محمّد بن محمّد الواسطي ، [أحد من كان يتصرّف في عمالات بنواحي الأهواز][8] ، وكان صديقاً لي ، فسألته عن أمره ، فذكر أنّ الحسن بن بختيار[9] ، أحد قوّاد الدّيلم ، ضمن أعمال الخراج والضياع بنهر تيرى[10] ، وبها منزل أبي نصر هذا ، وأنّه طالبه بظلم لا يلزمه ، فبعد عن البلد ، فكبس داره ، وأخذ جميع ما كان فيها ، وكان فيما أخذ ، عُهَد[11] ضياعه كلّها ، وأنّه حضر للوزير [محمّد بن العبّاس][12] متظلّماً منه ، فلمّا عرف الحسن بن بختيار ذلك ، أنفذ بالعُهَدِ إلى الوزير ، وقال له : قد أهديت إليك هذه الضّياع ، فقبل الوزير منه ذلك ، وكتب إلى وكيله [في ضيعته][12] بالأهواز[13] ، فأدخل يده في ضياعي ، وقد تظلّمت [٣٧ ظ] إليه ، فلم ينصفني .

فلمّا كان بعد أيّام ، دخلت المشهد بمقابر قريش[14] ، فزرت موسى بن

---

٥ قوله : بالحقّين : أي حقّ الرقبة ، وحقّ بيت المال (الوزراء ٦٦) .

٦ ذكر المؤلّف ظلامته هذه في القصّة ٣٢٨ من هذا الكتاب .

٧ في غ : كانت لي به .

٨ الزيادة من غ .

٩ الحسن بن أحمد بن بختيار ، القائد الدّيلمي : راجع أخباره في تجارب الأمم ٢ / ٣٥٧ و٣٥٨ وفي القصّة ٣ / ١٥٥ من كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للقاضي التنوخي .

١٠ نهر تيرى : بلد من نواحي الأهواز (مراصد الاطّلاع ١٤٠١/٣) .

١١ عهدة الملك ، وجمعها عُهَد : وثيقة الشراء ، أي سند الملكيّة .

١٢ الزيادة من غ .

١٣ الأهواز : اسمها الفارسي : خوزستان ، والأهواز اسم للكورة بأسرها ، أمّا البلد الذي يغلب عليه اسم الأهواز ، فهو سوق الأهواز ، راجع معجم البلدان ١ / ٤١٠ وأحسن التقاسيم للمقدسي ٤٠٢ .

١٤ مقابر قريش : مقبرة ومحلّة فيها خلق كثير ، وعليها سور ، وتقع بين الحريم الطّاهري ومقبرة الإمام

جعفر[١٥] ، وعدلت [إلى موضع الصّلاة][١٢] لأصلّي ، فإذا بقصّة معلّقة ، بخطّ أبي نصر هذا ، وقد كتبها إلى موسى بن جعفر ، يتظلّم فيها من محمّد ابن العبّاس ، ويشرح أمره ، ويتوسّل في القصّة ، بمحمّد ، وعليّ ، وفاطمة ، والحسن والحسين ، وباقي الأئمّة عليهم السّلام[١٦] ، أن يأخذ له بحقّه من محمّد ابن العبّاس ، ويخلّص له ضياعه .

فلمّا قرأت الورقة ، عجبتُ من ذلك عجباً شديداً ، ووقع عليّ الضّحك ، لأنّها قصّة إلى رجل ميّت ، [وقد علّقها عند رأسه][١٢] ، وكنت عرفت أبا نصر بمذهب الإماميّة الاثنى عشرية ، فظننت أنّه مع هذا الاعتقاد كان أكبر قصده أن يشنّع[١٧] على الوزير بالقصّة [٣٦ م] عند قبر موسى بن جعفر عليه السّلام ، وكان كثير الزّيارة له ، أيّام وزارته ، وقبلها ، [وبعدها][١٨] ، ليعلم أنّ الرّجل على مذهبه ، فيتذمّم من ظلمه ، ويرهب الدعاء في ذلك المكان ، فانصرفت .

فلمّا كان بعد أيّام ، كنت في المشهد ، وجاء الوزير ، فرأيته يلاحظ الرّقعة ، فعلمت أنّه قد قرأها ، ومضى على هذا الحديث مدّة ، وما رهب القصّة ،

أحمد بن حنبل ، وبها مشهد الإمامين موسى بن جعفر ومحمّد الجواد عليهما السلام (مراصد الاطلاع ٣ / ١٢٩٥) .

١٥ أبو الحسن الإمام موسى الكاظم بن أبي عبد الله جعفر الصّادق بن أبي جعفر محمّد الباقر بن عليّ ابن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام (١٢٨ – ١٨٣) : ترجمته في حاشية القصّة ٢١ من الكتاب .

١٦ في غ : ويسأل الله عزّ وجلّ ، في القصّة ، بمحمّد ، وعليّ ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين ، وعليّ ابن الحسين ، ومحمّد بن عليّ ، وجعفر بن محمّد ، وموسى بن جعفر ، وعليّ بن موسى ، ومحمّد ابن عليّ ، وعليّ بن محمد ، والحسن بن عليّ ، والمنتظر ، أن يأخذ له بحقّه ... الخ .

١٧ في م : أن يشفع .

١٨ الزيادة من م .

ولا أنصف الرّجل .

وامتدّت محنة الرّجل شهوراً ، ورحل محمّد بن العبّاس إلى الأهواز ، للنّظر في أبواب المال ، وتقرير أمر العمّال [٤٦ غ] ، وأقمت أنا ببغداد ، لأنّه لم يكن أنصفني ، ولا طمعت في إنصافه إيّاي لو صحبته ، وانحدر أبو نصر في جملة من انحدر معه .

فلمّا صار بالمأمونية[١٩] [قرية حيال سوق الأهواز ، وهو يريد دخولها من غد][١٢] ورد من بغداد كتاب إلى بختكين التركي [مولى معزّ الدولة][١٢] ، المعروف بآزاذرويه[٢٠] ، وكان يتقلّد الحرب والخراج ، بالأهواز وكورها ، فقبض عليه[٢١] ، وقبض على أمواله ، وقيّده ، ومضى أبو نصر إلى ضياعه ، فأدخل يده فيها ، وكفي ما كان من أمر الوزير ، واستقرّت ضياعه في يده إلى الآن .

وأقمت أنا سنين أتظلّم من تلك المحنة الّتي ظلمني فيها محمّد بن العبّاس ، فما أنصفني أحد ، وأيست ، وخرجت تلك الضيعة من يدي ، فما عادت إلى الآن .

وصحّ لأبي نصر ، بقصّته ، ما لم يصحّ لي ، وكانت محنته ومحنتي واحدة ، ففاز هو بتعجيل الفرج بها ، من حيث لم يغلب على ظنّي أن أطلب الفرج منه[٢٢] .

---

١٩ المأمونيّة : موضع بإزاء سوق الأهواز (تجارب الأمم ٢ / ٣٦٩) راجع القصّة ١ / ١١٩ من نشوار المحاضرة ص ٢١٣ سطر ٤ .

٢٠ القائد بختكين آزاذرويه : قائد تركي من قوّاد معزّ الدّولة ، كان في أيّام بختيار سنة ٣٥٧ ضامن الأهواز ، وفي السنة ٣٦٠ زوّج ابنته من المرزبان بن بختيار ، وفي نفس السنة ، عقدت عليه واسط ، مضافة إلى الأهواز ، وفي السنة ٣٦٣ اعتقله بختيار ثمّ أطلق سراحه ونصبه حاجب الحجّاب موضع سبكتكين ، وكان في السنة ٣٦٧ يحارب مع بختيار وأبي تغلب فانحاز إلى عضد الدّولة (تجارب الأمم ٢ / ٢٤٢ ، ٢٨٢ ، ٢٩٢ ، ٣٢٥ ، ٣٢٩ ، ٣٨٦) راجع القصّة ٣ / ١٥٤ و٣ / ١٥٥ من نشوار المحاضرة .

٢١ تجارب الأمم ٢ / ٢٨٣ .

٢٢ نقلها صاحب حلّ العقال باختصار ص ٤١ .

٨١

أحمد بن أبي خالد ، يبلغه أنّ جارية له توطئ فراشه غيره

قال محمّد بن عبدوس في كتاب الوزراء : إنّ ابراهيم بن العباس الصولي[١] ، قال :

كنت أكتب لأحمد بن أبي خالد[٢] ، فدخلت عليه يوماً ، فرأيته مطرقاً ، مفكّراً ، مغموماً ، فسألته عن الخبر .

فأخرج [٢٧ ر] إليّ رقعة ، فإذا فيها أنّ حظيّة من أعزّ جواريه عنده ، يخالَفُ إليها ، وتوطئ فراشه غيره ، ويستشهد في الرقعة ، بخادمين كانا ثقتين عنده.

وقال لي : دعوت الخادمين ، فسألتهما عن ذلك ، فأنكرا ، فتهدّدتهما ، فأقاما على الإنكار ، فضربتهما ، وأحضرت لهما آلة العذاب ، فاعترفا بكلّ ما في الرقعة على الجارية ، وإنّي لم أذق أمس ولا اليوم طعاماً ، وقد هممت بقتل الجارية .

فوجدت بين يديه مصحفاً ، ففتحته لأتفاءل بما يخرج فيه ، [فكان أوّل ما وقعت عيني عليه][٣] : يا أيّها الّذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبيّنوا ..... الآية[٤] ، فشككت في صحّة الحديث ، وأريته ما خرج به الفأل .

١ أبو إسحاق إبراهيم بن العبّاس بن محمّد بن صول (١٧٦ – ٢٤٣) : الكاتب ، الشّاعر ، ترجمته في حاشية القصّة ٥٥ من الكتاب .

٢ أحمد بن أبي خالد الأحول ، وزير المأمون : من عقلاء الرجال ، كان كاتباً ، سديداً ، فصيحاً ، استوزره المأمون ، وظلّ وزيره إلى أن مات سنة ٢١٠ (الفخري ٢٢٤) .

٣ الزيادة من م .

٤ ٦ م الحجرات ٤٩ ، وتمام الآية : يا أيّها الّذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبيّنوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين .

وقلت : دعني أتلطّف في كشف هذا .

قال : افعل .

فخلوت بالخادمين منفردين ، ورفقت بأحدهما ، فقال : النار ولا العار[5] ، وذكر أنّ امرأة ابن أبي خالد ، أعطته ألف دينار ، وسألته الشهادة على الجارية ، وأحضرني الكيس مختوماً بخاتم المرأة ، وأَمَرْتُهُ أن لا يذكر شيئاً إلّا بعد أن يوقع به المكروه ، ليكون أثبت للخبر ، ودعوت الآخر ، فاعترف بمثل ذلك أيضاً .

فبادرت إلى أحمد بالبشارة ، فما وصلت إليه ، حتى جاءته رقعة الحرّة[6] ، تعلمه أنّ الرقعة الأولى كانت من فعلها ، غيرة عليه من الجارية ، وأنّ جميع ما فيها باطل ، وأنّها حملت الخادمين على ذلك ، وأنّها تائبة إلى الله تعالى من هذا الفعل وأمثاله .

فجاءته براءة الجارية من كلّ وجه [٣٨ ظ] فسرّ بذلك ، وزال عنه ما كان فيه ، وأحسن الى الجارية .

---

٥ في غ : العار ولا النّار .

٦ الحرّة : التّفصيل في آخر القصّة .

الحـــرّة

الحرّ في اللّغة ، الّذي يملك أن يتصرّف كما يريد من دون أي قيد يحدّ من تصرّفاته ، مادّياً كان القيد أو معنوياً ، واتّسع مفهوم الكلمة ، فأصبحت تدلّ على الشريف الكريم .

والحرّ من كلّ شيء : خياره ، ومنه : الطير الحرّ ، أي الصقر والبازي ، والطين الحرّ ، أي الّذي لا رمل فيه ، ويسمّونه في العراق : الطين الحرّي .

أمّا في الاصطلاح فإنّ كلمة الحرّة ، تعني خلاف الأمة ، وسبب هذه التّسمية غلبة الجواري والإماء ، وقد كان ابن أبي عسرون يعرف بزوج الحرّة ، لأنّه تزوّج بامرأة كانت زوجة المقتدر (القصّة ٥ / ٢ من كتاب نشوار المحاضرة) .

وكان الأمويون يتحرّون أن يكون من تقلّد الخلافة منهم من أمّ عربيّة ، وكان أبو سعيد مسلمة بن عبد الملك من رجالهم المعدودين ، إلاّ أنّ كونه ابن أمة ، حال بينه وبين الخلافة ، وعرض مسلمة على عمرة بنت الحارس ، أن يتزوّج منها ، فقالت : يا ابن الّتي تعلم ، وإنّك لهنـاك ؟ تعني أن أمّه أمة (بلاغات النساء ١٩٠) ولما تنقّص هشام بن عبد الملك ، الإمام زيد بن عليّ بن الحسين عليهم السلام ، لم يجد ما يعيّره به ، إلاّ قوله : أنت الّذي تنازعك نفسك في الخلافة ، وأنت ابن أمة (مروج الذهب ٢ / ١٦٢ ، والعقد الفريد ٤ / ٣٢ و٤٨٢) .

ثمّ اختلف الحال في آخر أيّام الأمويين ، فإنّ آخر من تقلّد الخلافة منهم ، إبراهيم ابن الوليد ، ومروان بن محمّد ، كانا من أبناء الإماء (خلاصة الذهب المسبوك ٤٦ و٤٧) .

أمّا الخلفاء في الدّولة العبّاسية ، وعددهم سبعة وثلاثون ، فلم يكن فيهم من هو عربيّ الأم ، إلاّ ثـلاثة ، الأوّل : أبو العبّاس السفّاح ، أمه ريطة بنت عبد المدان الحـارثي (خلاصة الذهب ٥٣) وكان يدعى : ابن الحارثيّة ، وكانت عروبة أمّه ، السبب في تقدّمه على أخيه المنصور الذي كان يكبره في السنّ ، فإنّ أم المنصور بربرية ، اسمها سلامة (خلاصة الذهب المسبوك ٥٩) ، والثّاني : المهدي بن المنصور ، وأمّه أمّ موسى بنت منصور ابن عبد الله الحميري (خلاصة الذهب ٩٠) ، والثّالث : محمّد الأمين بن هارون الرّشيد ، أمّه زبيدة بنت جعفر بن المنصور ، قالوا : لم يل الخلافة هاشميّ من هاشميّين ، إلاّ ثلاثة : الإمام عليّ بن أبي طالب ، وابنه الحسن ، ومحمّد الأمين (خلاصة الذهب ١٧١) أمّا بقية الخلفاء العبّاسيين ، فكلّهم أبناء أمّهات أولاد ، للتفصيل ومعرفة أسماء أمّهات الخلفاء ، راجع خلاصة الذهب المسبوك ٥٩ — ٢٨٩ .

هذا وإنّ غلبة الجواري على الخلفاء والأمراء لم تقتصر على المشرق ، وإنّما تجاوزته إلى المغرب والأندلس ، وقد وجدتُ في قرطبة ، في السنة ١٩٦٠ ، قنطرة على نهرها ، شادتها زوجة أحد الخلفاء الأمويّين، فسمّيت : قنطرة الحرّة ، وكان الدليل أسبانياً ، لم يدرك سبب هذه التّسمية ، فقال : إنّ كلمة الحرّة تعني النّبيلة الشريفة .

٨٢

سبب خروج أحمد بن محمّد بن المدبّر إلى الشّام

[حدّثني أبو القاسم طلحة بن محمّد بن جعفر[١] ، الشّاهد ، المقرئ ، المعروف بغلام ابن مجاهد ، قال : حدّثني أبو الحسين الخصيبي[٢] ، قال : حدّثني أبو خازم القاضي[٣] ، قال : حدّثني أبو الحسن أحمد بن محمّد بن المدبّر[٤] ، قال][٥] :

كان بدء خروجي إلى الشّام ، أنّ المتوكّل خرج يتنزّه بالمحمّديّة[٦] ، فخلا به

---

١ أبو القاسم طلحة بن محمّد بن جعفر الشاهد : ترجمته في حاشية القصّة ٢٢٩ من الكتاب .

٢ أبو الحسين عبد الواحد بن محمّد الخصيبي : ترجم له الخطيب في تاريخه ١١ / ٧ وقال عنه : إنّه صاحب أخبار ، ورواية للآداب ، وذكره صاحب اللباب ١ / ٣٧٧ .

٣ أبو خازم عبد الحميد بن عبد العزيز القاضي : بصري ، سكن بغداد ، وولي القضاء بالشام والكوفة وبغداد ، توفّي سنة ٢٩٢ (المنتظم ٦ / ٥٥) وكان شديداً في إحقاق الحقّ (القصّة ٤ / ٦٥ من النشوار) عظيم الأناة في إصدار الأحكام (القصّة ٣ / ٣ من النشوار) وكانت أحكامه يتدارسها القضاة ويرجعون إليها (القصّة ٣ / ٩٤ من النشوار) وكان إليه ترشيح القضاة في أيّام المعتضد (القصّة ٣ / ٣١ من النشوار) وكان يغضب إذا وصف أحد القضاة بالعفّة ، ويقول : إنّ القاضي أعلى من ذلك وإنّما يمدح بالعفّة صاحب الشرطة (القصّة ١ / ١٢٦ من النشوار) ، راجع في نهاية الأرب ٤ / ١١ الحكم الذي أصدره على الابن الّذي ادّعى على والده بدين ، وطلب حبسه .

٤ أبو الحسن أحمد بن محمّد بن عبيد الله بن المدبّر الكاتب : تقلّد ديوان الخراج والضياع مجموعين للمتوكّل وتمالأ عليه الكتّاب فأخرجوه للشام ، فكسب بها مالاً عظيماً ، ثم حبسه أحمد بن طولون ، ومات في الحبس ، وقيل إنّه قتله ، وكان فاضلاً ، إذا مدحه شاعر ولم يرض شعره ، فرض عليه بأن يصلّي مائة ركعة عقاباً له ، راجع قصّته مع الجمل المصري الشاعر في فوات الوفيات ٨ / ٣٨ .

٥ الزيادة من غ ، وفي بقيّة النسخ : وحدّث أحمد بن محمّد بن المدبّر ، قال ... الخ .

٦ المحمّدية : قرب سامراء ، أحدثها إيتاخ القائد الخزري ، ثمّ سمّاها المتوكّل المحمّدية ، باسم ابنه محمّد المنتصر (معجم البلدان ٤ / ٤٣٠ والمفترق صقعاً ٣٨٧) .

الكتّاب هناك ، فأحكموا عليّ القصّة وأنا لا أعلم ، ثمّ بعثوا إليّ ، وأنا لا أدري ، فحضرت وهم مجتمعون [٣٧ م] فقالوا لي : وكان المخاطب لي موسى بن عبد الملك[٧] .

فقال لي : قد جرت أسباب أوجبت أنّ أمير المؤمنين أمر أن تخرج إلى الرّقّة[٨] ، فكم تحتاج لنفقتك ؟

فقلت : [٤٧ غ] أمّا خروجي ، فالسمع والطّاعة لأمير المؤمنين ، وأما الّذي أحتاج إليه للنّفقة ، فهو ثلاثون ألف درهم .

فما برحت ، حتى دفعت إليّ ، وقالوا : اخرج السّاعة .

فقلت : أودّع أمير المؤمنين .

فقالوا : ما إلى ذلك سبيل .

فقلت : أصلح من شأني .

فقالوا : ولا هذا ، وأخذ موسى يعرّض لي ، أنّ السلطان قد سخط عليّ ، وأنّ الصّواب الخروج ، وترك الخلاف .

وأقبل يقول : إنّ السلطان إذا سخط على الرّجل ، فالصّواب لذلك الرّجل أن ينتهي إلى أمره كلّه ، وأن لا يراجعه في شيء ، وينبغي أن يعلم أنّ التباعد عن السلطان ، له فيه الحظّ .

فقلت : يكفي الله ويلطف .

---

٧ أبو عمران موسى بن عبد الملك الأصبهانيّ ، صاحب ديوان الخراج في عهد المتوكّل .

٨ الرقّة : كلّ أرض يغطّيها الماء ثمّ ينحسر عنها ، وتكون عادة من أخصب الأراضي ، وأكثرها ريًّا ، وتفضّل الفواكه والخضر الّتي تزرع فيها على غيرها ، ولذلك سمّي البطّيخ في بغداد : الرقّي ، يعني أنّه من نتاج الرقّة ، وتوجد ستّ مدن باسم الرقّة (المفترق صقعاً ٢٠٨) والمقصودة في هذه القصّة المدينة المسمّاة رقّة واسط وتقع على الجانب الغربي من الفرات ، كان بها قصران لهشام بن عبد الملك (معجم البلدان ٢ / ٨٠٢) .

فوكّلوا بي جماعة ، حتى خرجت من البلد ، وأنا في حالةٍ ، الأسرُ عندي أحسن منها وأطيب ، وحثّوا بي السير .

فلمّا قاربت الرقّة ، وأردت الدّخول إليها ، أدركنا اللّيل ، فإذا بأعرابيّ في ناحية عنّي ، ومعه إبل يحدوها ، ويقول :

كم مرّة حفّت بك المكاره   خار لك الله وأنت كاره

[قال : ولم يزل يكرّر ذلك][9] ، فحفظته ، وتبرّكت بالفأل ، ودخلت الرقّة ، فلم أقم بها إلّا أيّاماً يسيرة ، حتّى ورد كتاب أمير المؤمنين بالخروج إلى الشّام للتعديل[10] ، وأجرى عليّ مائة ألف درهم ، وذكر أنّ هذا عمل جليل ، كان المأمون خرج فيه بنفسه ، لجلالته وعظم خطره ، وأنّه رآني أهلاً له .

فخرجت ، فرأيت كلّ ما أحبّ ، حتّى لو بذلت لي العراق بأسرها ، على فراق تلك النّاحية ، ما سمحت نفساً بذلك ، فللّه الحمد والمنّة[11] .

[وذكر هذا الخبر محمّد بن عبدوس في كتاب الوزراء ، فقال : حدّثني أبو الحسين عبد الواحد بن محمّد الحصيبي ، قال : حدّثني أبو خازم القاضي ، قال : حدّثني جدّك أحمد بن محمّد بن مدبّر – وكان جدّه لأمّه ، وحدّثني أنّه لم يره قط][12] – أنّ المتوكّل خرج إلى المحمّديّة سنة إحدى وأربعين ومائتين متنزّهاً ، فأتاني رسوله ، وأحضرني ، فحضرت ، فوجدت عبيد الله بن يحيى[13] ،

---

٩ الزيادة من م .

١٠ التّعديل : القسمة بين الشركاء إذا سوّيت على القيم (لسان العرب) ويريد بها هنا : تعيين واستيفاء حصّة السلطان من الحاصلات الزراعيّة .

١١ نقلها باختصار صاحب حلّ العقال ٤١ .

١٢ الزيادة من غ وم ، وفي بقيّة النسخ : قرأت في خبر آخر أنّ المتوكّل خرج إلى المحمّدية ... الخ .

١٣ أبو الحسن عبيد الله بن يحيى بن خاقان الكاتب ، وقد وزّر للتوكّل ، ترجمته في حاشية القصّة ٧٣ من هذا الكتاب .

والحسن بن مخلد[14] ، وأحمد بن الخصيب[15] ، وجماعة من الكتّاب حضوراً .

فقال لي عبيد الله بن يحيى : إنّ أمير المؤمنين يقول لك : قد فسد علينا أمر الرقّة ، ثم ذكر نحواً من الحديث الأوّل ، إلّا أنّه لم يكن فيه إطلاق ثلاثين ألف درهم ، بل قال : فخرجت وما أقدر على نفقة ، ففكّرت فيمن أقصده ، وأستعين بماله ، فما ذكرت غير المعلّى بن أيّوب[16] ، وكانت بيني وبينه وحشة ، فكتبت إليه رقعة حملت نفسي على الصّعب فيها ، فوجّه اليّ خمسة آلاف دينار ، فتحمّلت بها[17] ... ثم ذكر باقي الحديث ، على سياقة الخبر الأوّل ، إلّا أنّه قال : إنّ الّذي أجري عليه ، لما أمر بالخروج للتعديل ، في كلّ شهر مائة ألف وعشرين ألف درهم .

قال : فشخصت إليها ، ولو أعطيت الآن بقصري فيها ، سرّ من رأى كلّها ، ما سمحت نفساً بذلك .

[وكان قصره بالرّملة ، وكان جليلاً][18] .

---

١٤ أبو محمّد الحسن بن مخلد بن الجرّاح الكاتب ، وكان إليه ديوان الضياع ، ثم وزّر للمعتمد ، ترجمته في حاشية القصّة ٧٣ من هذا الكتاب .

١٥ أحمد بن الخصيب : كان من كتّاب المعتصم (الطبري ٩ / ٧٥) واستوزره المنتصر (٩ / ٢٣٤) ولمّا استخلف المستعين استكتبه ، واستوزر أوتامش (٩ / ٢٥٦) ، ثم غضب عليه القوّاد الأتراك ، فاستصفي ماله ، ونفي إلى إقريطش ، واسمها الآن كريت (الطبري ٩ / ٢٥٩) وكانت فيه مروءة وحدّة وطيش (الفخري ٢٣٩) وكان أبو العيناء يثلبه ويقع فيه ، ولمّا نفي ، كتب في ذمّه رسالة جعلها على لسان الكتّاب ورجال الدّولة ، أتى فيها بكلّ عجيب ، راجع الرسالة في الملح والنوادر ١٦٨ .

١٦ المعلّى بن أيّوب الكاتب : ترجمته في حاشية القصّة ١٧ من الكتاب .

١٧ في م : فتجمّلت بها .

١٨ الزيادة من غ وم .

٨٣

بين الحسن بن عليّ عليهما السّلام
ومعاوية بن أبي سفيان

[أخبرني أبو طالب محمّد بن [أحمد بن] إسحاق بن البهلول[1] ، فيما أجاز لي روايته عنه ، بعد ما سمعته منه من حديث ، قال : حدّثني أبو سعيد أحمد بن الصقر بن ثوبان[2] ، مستملي بندار[3] ، وكتبه لنا بخطّه ، ونقلته أنا من أصل أبي طالب ، الّذي ذكر أنّه بخط أبي سعيد ، قال : حدّثنا محمّد بن عبد الله الأنصاري[4] ، قال : حدّثنا محمد بن [علي بن] الحسين بن علي ، قال :][5] .

بعث معاوية إلى الحسن بن علي ، أو الحسين بن علي عليهما السّلام ، ودعا بضبارة[6] سياط ، فوضعها بين يديه ، فلمّا دخل الحسن عليه السّلام أخذ [٤٨ غ] السياط فرمى بها ، ومدّ يده إليه ، وقال : مرحباً بسيّد شباب قريش ودعا بعشرة آلاف دينار ، وقال : استعن [٢٨ ر] بها على زمانك ، فلمّا

---

١ أبو طالب محمّد بن أحمد بن إسحاق بن البهلول التنوخي الأنباري : ابن القاضي أبي جعفر أحمد ابن إسحاق بن البهلول ، وكان يخلف والده على القضاء بمدينة المنصور ، إذا اعتلّ ، وكان أبو طالب جميل الأمر ، حسن المذهب ، شديد التصوّن ، توفّي سنة ٣٤٨ (المنتظم ٦ / ٣٩٢) .

٢ أبو سعيد أحمد بن الصقر بن ثوبان البصري : مستملي بندار ، أصله من طرسوس ، سكن بغداد ، ترجم له الخطيب في تاريخه ٤ / ٢٠٦ .

٣ بندار : هو أبو بكر محمّد بن بشار بن عثمان البصري : ترجمته في حاشية القصّة ٢٩ من الكتاب .

٤ أبو عبد الله محمّد بن عبد الله بن المثنّى بن أنس بن مالك الأنصاري (١١٨ – ٢١٥) : بصري ، ولّي قضاء البصرة ، ثمّ قضاء بغداد ، ومات بالبصرة عن نيّف وتسعين سنة (تاريخ بغداد للخطيب ٥ / ٤٠٨) .

٥ كذا ورد في غ ، وفي بقيّة النسخ : وذكر ابن عبدوس أيضاً ... الخ .

٦ ضبّر الشيء : جمعه ، والضبارة : الجماعة ، وضبارة السياط : المجموعة منها .

خرج تبعه الحاجب ، فقال له : يا ابن رسول الله ، إنّا نخدم هذا السلطان ، ولسنا نأمن بادرته ، وقد رأيتك تحرّك شفتيك بشيء ، فما هو ؟

فقال : أعلّمك ، على أن لا تعلّم أحداً من [٣٨ م] آل معاوية .

قال : نعم .

قال : إذا وقعت في شدّة أو مكروه ، أو خفت من سلطان ، فقل : لا إله إلّا الله الحليم الكريم ، لا إله إلّا الله العليّ العظيم ، لا إله إلّا الله الكبير المتعال ، سبحان الله ربّ السماوات [٣٩ ظ] السبع ، وربّ العرش العظيم ، والحمد لله ربّ العالمين ، أللّهم جلّ ثناؤك ، وعزّ جارك ، ولا إله غيرك ، أللّهم إنّي أعوذ بك من شرّ فلان ، وأتباعه ، وأشياعه ، من الجنّ والإنس ، أن يفرطوا عليّ[٧]، أو أن يطغوا[٨].

---

٧ الفرط : الظلم والاعتداء ، يقال : فرط على فلان : آذاه ، والأمر الفرط : المجاوز فيه الحدّ .

٨ الطغيان : الإسراف في الظلم .

٨٤

لا إله إلّا الله الحليم الكريم

[أخبرني القاضي أبو طالب[١] إجازة ، قال : حدّثنا أبو سعيد[٢] ، قال : حدّثني سهل بن محمّد[٣] ، قال : حدّثنا أبو هشام الرّفاعي[٤] ، قال : حدّثنا وكيع[٥] ، قال : حدّثنا مسعر[٦] ، عن أبي بكر بن حفص][٧] عن الحسن بن أبي الحسن :

أنّ عبد الله بن جعفر ، لما أراد أن يهدي ابنته إلى زوجها ، خلا بها ، فقال لها : إذا نزل بك أمر فظيع من أمور الدّنيا ، أو الموت ، فاستقبليه بقول : لا إله إلّا الله الحليم الكريم ، لا إله إلّا الله ربّ العرش العظيم ، والحمد لله ربّ العالمين .

قال الحسن : فبعث إليّ الحجاج ، فقلتهنّ ، فلمّا مثلتُ بين يديه ، قال : لقد بعثت إليك وأنا أريد قتلك ، واليوم ما أحد أكرم عليّ منك ، فسل حوائجك .

---

١ أبو طالب محمّد بن أحمد بن إسحاق بن البهلول التنوخي الأنباريّ .

٢ أبو سعيد أحمد بن الصقر بن ثوبان ، مستملي بندار .

٣ أبو حاتم سهل بن محمّد بن عثمان السجستاني : الإمام المقرئ النحوي البصري ، ترجم له صاحب الخلاصة ١٣٤ . وقال إنّه توفّي سنة ٢٣٥ .

٤ أبو هشام محمّد بن يزيد بن محمّد بن كثير بن رفاعة بن سماعة ، الرفاعي الكوفي : ترجم له الخطيب البغدادي في تاريخه ٣ / ٣٧٥ وقال إنّه توفّي سنة ٢٤٨ .

٥ أبو سفيان وكيع بن الجرّاح بن مليح الرؤاسي الكوفي الحافظ : ترجم له صاحب ميزان الاعتدال ٤ / ٣٣٥ .

٦ مسعر بن كدام : ترجمته في حاشية القصّة ١٣ من الكتاب .

٧ الزيادة من غ .

٨٥

دعاء يعقوب الّذي نال به الفرج

[حدّثنا علي بن الحسن ، قال : حدّثنا أحمد بن محمّد بن الجرّاح ، قال : حدّثنا ابن أبي الدّنيا ، قال : حدّثني المثنّى بن عبد الكريم ، قال : حدّثني زافر بن سليمان[١] ، عن يحيى بن سليم[٢] ، قال][٣] :

بلغني أنّ ملك الموت ، استأذن ربّه عزّ وجلّ ، أن يسلّم على يعقوب ، فأذن له ، فأتاه ، فسلّم عليه .

فقال له يعقوب : بالّذي خلقك ، أقبضت روح يوسف ؟

قال : لا ، ولكنّي أعلّمك كلمات لاتسأل الله بها شيئاً إلّا أعطاك .

قال : ما هي ؟

قال : قل يا ذا المعروف الّذي لا ينقطع أبداً ، ولا يحصيه غيره .

فقالها ، فما طلع الفجر من غده ، حتى أتاه البشير بالقميص[٤] .

[حدّثنا علي بن الحسن ، قال : حدّثنا ابن الجرّاح ، قال : حدّثنا ابن أبي الدّنيا ، قال : حدّثني الحسين بن عبد الرّحمن[٥] ، قال : حدّثني أبو غسّان مالك ابن ضيغم ، عن إبراهيم بن خلاد الأزدي ، قال :][٦] .

---

١ زافر بن سليمان القوهستاني : نزل الريّ . ثمّ بغداد ، وكان يجلب الثياب القوهيّة إلى بغداد ، ترجم له صاحب ميزان الاعتدال ٢ / ٦٣ .

٢ أبو بلج يحيى بن سليم [بن أبي سليم] ، الفزاري الواسطي : ترجم له صاحب ميزان الاعتدال ٤ / ٣٨٤ .

٣ الزيادة من غ .

٤ في غ وم : بقميص يوسف ، وقد وردت في مخطوطة (د) ص ١٣٩ .

٥ الحسين بن عبد الرّحمن : ترجم له صاحب ميزان الاعتدال ١ / ٥٣٩ .

٦ كذا في غ ، وفي بقيّة النسخ : وروي ، وفي م : عن إبراهيم بن خلاد الأزدي ، قال : ...

نزل جبريل على يعقوب عليه السّلام فشكى إليه ما هو عليه من الشّوق إلى يوسف ، فقال : ألا أعلّمك دعاءً ، إن دعوت به فرّج الله عنك ؟

قال : بلى .

قال : قل ، يا من لا يعلم كيف هو ، إلّا هو ، ويا من لا يبلغ قدرته غيره ، فرّج عنّي .

فقالها ، فأتاه البشير بالقميص[7] .

[حدّثنا علي بن الحسن ، قال : حدّثنا ابن الجرّاح ، قال : حدّثنا ابن أبي الدّنيا ، قال : حدّثنا هارون بن عبد الله[8] ، قال : حدّثنا سعيد بن عامر الضبعي[9] ، عن المعمّر بن سليمان[10] ، قال :][11] .

لقي يعقوبَ رجل ، فقال له : يا يعقوب ، ما لي لا أراك كما كنت ؟

قال : طول الزمان ، وكثرة الأحزان .

قال : قل : أللّهم اجعل لي من كلّ هم همّني وكربني من أمري ، في ديني ، ودنياي ، وآخرتي ، فرجاً ومخرجاً ، واغفر لي ذنوبي ، وثبّت رجاءك في قلبي ، واقطعه عمّن سواك ، حتّى لا يكون لي رجاء إلّا إيّاك[12] .

[قال داود بن رُشَيد[13] ، حدّثني الوليد بن مسلم[14] ، عن خليد بن دعلج[15] ،

---

٧ وردت في مخطوطة (د) ص ١٣٩ .

٨ أبو موسى هارون بن عبد الله الحمّال البزّاز : ترجم له صاحب الخلاصة ٣٤٩ وقال إنّه توفّي سنة ٢٤٣ .

٩ أبو محمّد سعيد بن عامر الضّبعي البصري : ترجم له صاحب الخلاصة ١١٩ وقال : إنّه توفّي في سنة ١٨٨ .

١٠ أبو عبد الله المعمّر بن سليمان النخعي الرقّي : ترجم له صاحب الخلاصة ٣٢٩ وقال : إنّه توفّي سنة ١٩١ .

١١ الزيادة من غ .

١٢ وردت في مخطوطة (د) ص ١٣٩ .

١٣ أبو الفضل داود بن رُشَيد (بالتصغير) الخوارزمي : ترجم له صاحب الخلاصة ٩٣ وقال إنّه توفّي سنة ٢٣٩ .

عن الحسن بن أبي الحسن ، قال][16] :

لو عري من البلاء أحد ، لعري منه آل يعقوب ، مسّهم البلاء ثمانون سنة .

[حدّثنا علي بن الحسن ، قال : حدّثني ابن الجرّاح ، قال : حدّثنا ابن أبي الدّنيا ، قال : حدّثني مدلج بن عبد العزيز ، عن شيخ من قريش][17] :

أنّ جبريل عليه السّلام هبط على يعقوب صلى الله عليه ، فقال له : يا يعقوب ، تملّق إلى ربّك .

فقال : يا جبريل ، كيف أقول ؟

فقال : قل : يا كثير الخير ، يا دائم المعروف .

فأوحى الله إليه ، لقد دعوتني بدعاء ، لو كان ابناك ميتين ، لأنشرتهما لك[18] .

[حدّثنا علي بن الحسن ، قال : حدّثنا ابن الجرّاح ، قال : حدّثنا ابن أبي الدّنيا ، قال : حدّثني الحسن بن عمرو بن محمد القرشي ، قال : حدّثني أبي[19] ، قال : حدّثنا زافر بن سليمان ، عن يحي بن عبد الملك[20] ، عن رجل ، عن أنس بن مالك ، عن النّبي صلى الله عليه وسلّم ، قال :][21] .

كان ليعقوب عليه السّلام ، أخ مؤاخٍ في الله عزّ وجلّ ، فقال ليعقوب :

---

١٤ أبو شهاب الوليد بن مسلم بن شهاب التّميمي ، العنبري ، البصري : ترجم له صاحب الخلاصة ٣٥٨ .

١٥ خليد بن دعلج : ترجم له صاحب الخلاصة ٩٠ ، وقال إنّه توفّي سنة ١٦٦ .

١٦ كذا ورد في غ ، وفي بقيّة النسخ : وقال الحسن بن أبي الحسن : لو عري ... الخ .

١٧ الزيادة من غ .

١٨ أنشر الله الميت : أحياه ، ورد هذا الخبر في مخطوطة (د) ص ١٤٠ .

١٩ أبو سعيد عمرو بن محمّد العنقزي القرشي : ترجم له صاحب الخلاصة ٢٤٩ وقال إنّه توفّي سنة ١٩٩ .

٢٠ أبو زكريا يحيي بن عبد الملك بن حميد بن أبي غنيّة الخزاعي الكوفي : ترجم له صاحب الخلاصة ٣٦٦ .

٢١ كذا ورد في غ ، وفي بقيّة النسخ : روي عن أنس بن مالك ، أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، قال : ... الخ .

ما الّذي أذهب بصرك ، وقوّس ظهرك ؟

فقال : أمّا الّذي قوّس ظهري ، فالحزن على بنيامين ، وأمّا الّذي أذهب بصري ، فالبكاء على يوسف [٢٩ ر] .

فأوحى الله تعالى إليه : أما تستحي ، تشكوني إلى عبدي[٢٢] .

قال : إنّما أشكو بثّي وحزني إلى الله ، ثم قال : يا ربّ ، ارحم الشيخ الكبير ، أذهبت بصري ، وقوّست ظهري ، أردد عليّ ريحانتي يوسف ، أشمّه ، ثم افعل بي ما شئت .

فقال له جبريل عليه السّلام : إنّ ربّك يقرؤك السّلام ، ويقول لك : أبشر ، وليفرح قلبك ، فوعزّتي لو كانا ميتين ، لأنشرتهما لك ، فاصنع طعاماً للمساكين [٣٩ م] وادعهم إليه ، فإنّ أحبّ عبادي إليّ ، الأنبياء والمساكين ، وإنّ الّذي ذهب ببصرك ، وقوّس ظهرك ، [وسبب] صنع إخوة يوسف به ما صنعوا ، أنّكم ذبحتم شاة ، فأتاكم رجل صائم ، فلم تطعموه .

فكان يعقوب بعد ذلك إذا أراد الغداء ، أمر مناديه ، فنادى : من كان يريد الغداء من المساكين فليتغدّ مع يعقوب ، [وإن كان صائماً أمر مناديه ، فنادى : من كان صائماً من المساكين فليفطر مع يعقوب][٢٣] .

---

٢٢ في غ : أما تستحي ، تشكوني إلى غيري .

٢٣ الزيادة من غ وم ، ورد هذا الخبر في مخطوطة (د) ص ١٤٠ .

٨٦

كلمات الفرج الّتي دعا بها يوسف

[حدّثنا عليّ بن الحسن ، قال : حدّثنا ابن الجرّاح ، قال : حدّثنا ابن أبي الدّنيا ، قال : حدّثنا القاسم بن هاشم[1] ، قال : حدّثنا الخطّاب بن عثمان[2] ، قال : حدّثنا محمود بن عمر[3] ، عن رجل من أهل الكوفة][4] :

أنّ جبريل عليه السّلام دخل على يوسف السجن ، فقال له : يا طيّب ! ما الّذي أدخلك ها هنا ؟

قال : أنت أعلم .

قال : أفلا أعلّمك كلمات الفرج ؟

قال : بلى .

قال : [٥٠ غ] قل : اللّهم ، يا شاهداً غير غائب ، ويا قريباً غير بعيد ، ويا غالباً غير مغلوب ، اجعل لي من أمري هذا فرجاً ومخرجاً ، وارزقني [٤٠ ظ] من حيث لا أحتسب[5] .

[حدّثنا عليّ بن الحسن ، قال : حدّثنا ابن الجرّاح ، قال : حدّثنا ابن أبي الدّنيا ، قال : حدّثني أزهر بن مروان الرقاشي[6] ، قال : حدّثني قزعة بن

---

١ القاسم بن هاشم بن سعيد بن سعد بن عبد الله بن سيف بن حبيب السّمسار : ترجم له الخطيب في تاريخه ١٢ / ٤٢٩ و٤٣٠ وقال : إنّه توفّي سنة ٢٥٩ .

٢ أبو عمر الخطّاب بن عثمان الفوزي الطّائي : ترجمته في حاشية القصّة ٣١ .

٣ أبو سهل محمود بن عمر العكبري : ترجم له صاحب الميزان ٤ / ٧٨ .

٤ كذا في غ ، وفي بقيّة النسخ : وروي .

٥ ورد هذا الخبر في مخطوطة (د) ص ١٣٩ .

٦ أزهر بن مروان الرقاشي البصري : ترجم له صاحب الخلاصة ص ٢٢ ، وقال إنّه توفّي سنة ٢٤٣ .

سويد[7] ، عن أبي سعيد مؤذّن الطّائف :][8] أنّ جبريل عليه السّلام ، أتى يوسف ، فقال : يا يوسف ، اشتدّ عليك الحبس ؟

قال : نعم .

قال : قل : اللّهم اجعل لي من كلّ ما أهمّني ، وحَزَبني ، من أمر دنياي وآخرتي ، فرجاً ومخرجاً ، وارزقني من حيث لا أحتسب ، واغفر لي ذنوبي ، وثبّت رجاءك في قلبي ، واقطعه عمّن سواك ، حتّى لا أرجو أحداً غيرك[9] .

[حدّثنا علي بن الحسن ، قال : حدّثنا ابن الجرّاح ، قال : حدّثنا ابن أبي الدّنيا ، قال : حدّثني محمّد بن عباد بن موسى[10] ، قال : حدّثني عبد العزيز القرشي[11] ، عن جعفر بن سليمان[12] ، عن غالب القطّان[13]][14] قال :

لمّا اشتدّ كرب يوسف ، وطال سجنه ، واتّسخت ثيابه ، وشعث رأسه ، وجفاه النّاس ، دعا عند ذلك ، فقال : اللّهم إنّي أشكو إليك ما لقيت من ودّي وعدوّي ، أمّا ودّي ، فباعوني ، وأمّا عدوّي ، فحبسني [٤٩ غ] ، اللّهم اجعل لي فرجاً ومخرجاً .

فأعطاه الله عزّ وجلّ ذلك[15] .

---

٧ أبو محمّد قزعة بن سويد الباهلي البصري : ترجم له صاحب الخلاصة ٢٦٩ .

٨ كذا في غ ، وفي بقيّة النسخ : قرأت في بعض الكتب ...

٩ ورد هذا الخبر في مخطوطة (د) ص ١٤٠ .

١٠ أبو جعفر محمّد بن عباد بن موسى العكلي البغدادي : ترجمته في حاشية القصّة ٣١ .

١١ عبد العزيز بن أسيد الطّلحي البصري : ترجم له صاحب الخلاصة ٢٠٢ .

١٢ أبو سليمان جعفر بن سليمان الضّبعي البصري الزاهد : ترجم له صاحب الخلاصة ٥٤ وقال إنّه توفّي سنة ١٧٨ .

١٣ غالب القطّان : ذكره صاحب الخلاصة ٢٦١ .

١٤ الزيادة من غ .

١٥ ورد الخبر في مخطوطة (د) ص ١٣٩ و١٤٠ .

٨٧

إبراهيم التيمي الزّاهد في حبس الحجّاج ابن يوسف الثّقفي

[حدّثنا عليّ بن الحسن ، قال : حدّثنا ابن الجرّاح ، قال : حدّثنا ابن أبي الدنيا ، قال : حدّثني [الحسن بن] محبوب ، قال : قال الفيض بن إسحاق ، قال الفضيل بن عياض[١]][٢] ، قال إبراهيم التيمي[٣] :

لما حبستُ الحبسة المشهورة ، أدخلتُ السجن ، فأنزلت على أناس في قيد واحد ، ومكان ضيّق ، لا يجد الرّجل إلّا موضع مجلسه ، وفيه يأكلون ، وفيه يتغوّطون ، وفيه يصلّون .

قال : فجيءَ برجل من أهل البحرين ، فأدخل علينا ، فلم نجد مكاناً ، فجعلوا يتبرّمون به ، فقال : اصبروا ، فإنّما هي اللّيلة .

فلمّا دخل اللّيل ، قام يصلّي ، فقال : يا ربّ ، مننت عليّ بدينك ، وعلّمتني كتابك ، ثم سلّطت عليّ شرّ خلقك ، يا ربّ ، اللّيلة ، اللّيلة ، لا أصبح فيه .

فما أصبحنا حتّى ضربت أبواب السجن : أين البحراني ، أين البحراني ؟ فقال كلّ منّا : ما دعي السّاعة ، إلّا ليقتل ، فخلّي سبيله .

فجاء ، فقام على باب السجن ، فسلّم علينا ، وقال : أطيعوا الله لا يضيعكم[٤] .

---

١ أبو علي الفضيل بن عياض بن مسعود التّميمي اليربوعي : ترجمته في حاشية القصّة ٣٢٤ .

٢ الزيادة من غ ومن مخطوطة (د) .

٣ حبس الحجّاج إبراهيم بن يزيد التيميّ الزّاهد ، ومنع عنه الطعام ، ثم أرسل عليه الكلاب تنهشه ، حتّى مات (اللباب ١ / ١٩٠) ، ثمّ رمى بجثّته في الخندق ، ولم يجرأ أحد أن يدفنه حتّى مزّقته الكلاب (البصائر والذّخائر م ٣ ق ١ ص ٣٠٤) .

٤ ورد الخبر في مخطوطة (د) ص ١٤٣ .

٨٨

أبو سعد البقّال في حبس الحجّاج ابن يوسف الثّقفي

[حدّثنا علي بن الحسن ، قال : حدّثنا ابن الجرّاح ، قال : حدّثنا ابن أبي الدّنيا ، قال : حدّثني أبو نصر المؤدّب ، عن أبي عبد الرّحمن الطائي ، قال : أخبرنا أبو سعد البقّال ، قال :][١] .

كنت محبوساً في ديماس[٢] الحجّاج ، ومعنا إبراهيم التيمي ، فبات في السّجن ، فأتى رجل ، فقال له : يا أبا إسحاق ، في أيّ شيء حبست ؟

فقال : جاء العريف ، فتبرّأ منّي ، وقال : إنّ هذا كثير الصّوم والصّلاة ، وأخاف أنّه يرى رأي الخوارج[٣] .

فإنّا لنتحدّث مع مغيب الشّمس ، ومعنا إبراهيم التيمي ، إذ دخل علينا رجلٌ السجنَ [٣٠ ر] ، فقلنا : يا عبد الله ، ما قصّتك ، وأمرك ؟

---

١ كذا في غ ، وفي بقيّة النسخ : وقال أبو سعيد البقّال ، وهو أبو سعد سعيد بن المرزبان البقّال ، مولى حذيفة بن اليمان ، ترجم له صاحب اللباب ١ / ١٣٥ .

٢ الدّيماس في اللغة : الحفرة العميقة تحت الأرض لا ينفذ إليها الضوء ، وكان سجن الحجّاج يسمّى الدّيماس ، لوجود الشبه بين الاثنين ، وقد مات في سجن الحجّاج خمسون ألف رجل ، وثلاثون ألف امرأة ، وكان يحبس الرجال والنّساء في موضع واحد ، ولم يكن لحبسه ستر يستر الناس من الشّمس في الصيف ، ولا من المطر والبرد في الشتاء (مروج الذّهب ٢ / ١٢٨) .

٣ الخوارج : كل من خرج على الإمام الّذي اتّفقت عليه الجماعة ، سمّي خارجياً . سواء كان الخروج في أيّام الصّحابة على الخلفاء الرّاشدين ، أو على من بعدهم ، وتتلخّص دعوى الخوارج في مخالفتهم نظريّة الخلافة ، وفي تحديد الإسلام الصّحيح ، وهل يكون بالإيمان وحده ، أو بالايمان والعمل ، وهم فرق متعدّدة ، ليس هذا موضع حصرها ، وأوّل ظهورهم في السنة ٣٧ هجريّة ، وكان قاتل الإمام عليّ بن أبي طالب منهم ، ومن أراد التّفصيل في هذا الموضوع ، فليراجع دائرة المعارف الإسلاميّة ٨ / ٤٦٩ — ٤٧٧ والكامل للمبرّد ٢ / ١١٩ — ٢٣٧ والملل والنحل للشّهرستاني ١ / ٥٥ — ١٨٥ .

فقال : لا أدري ، ولكنّي أخذت في رأي الخوارج ، ووالله ، إنّه لرأي ما رأيته قط ، ولا أحببته ، ولا أحببت أهله ، يا هؤلاء ، ادعوا لي بوضوء ، فدعونا له به ، ثمّ قام فصلّى أربع ركعات ، ثمّ قال : اللّهمّ إنّك تعلم ، أنّي كنت على إساءتي وظلمي ، وإسرافي على نفسي ، لم أجعل لك ولداً ، ولا شريكاً ، ولا ندًّا ، ولا كفوًا ، فإن تعذّب فعدل ، وإن تعفُ ، فإنّك أنت العزيز الحكيم ، اللّهمّ إنّي أسألك يا من لا تغلّطه المسائل ، ولا يشغله سمع عن سمع ، ويا من لا يبرمه إلحاح الملحّين ، أن تجعل لي في ساعتي هذه ، فرجاً ومخرجاً [٤٠ م] ممّا أنا فيه ، من حيث أرجو ، ومن حيث لا أرجو ، وخذ لي بقلب عبدك الحجّاج ، وسمعه ، وبصره ، ويده ، ورجله ، حتّى تخرجني في ساعتي هذه ، فإنّ قلبه ، وناصيته ، بيدك ، يا ربّ ، يا ربّ .

قال : وأكثر ، فوالّذي لا إله غيره ، ما انقطع دعاؤه ، حتّى ضرب باب [٥١ غ] السّجن [وقيل] أين فلان ؟

فقام صاحبنا ، فقال : يا هؤلاء ، إن تكن العافية ، فوالله ، لا أدَع الدّعاء لكم ، وإن تكن الأخرى ، فجمع الله بيننا وبينكم ، في مستقرّ رحمته .

قال : فبلغنا من الغد ، أنّه خلّي سبيله [٤] .

٤ ورد هذا الخبر في مخطوطة (د) ص ١٤٣ .

٨٩

سبحان الله وبحمده

[حدّثنا عليّ بن الحسن ، قال : حدّثنا ابن الجرّاح ، قال : حدّثنا ابن أبي الدّنيا ، قال : حدّثني محمّد بن عباد بن موسى ، قال : حدّثنا كثير بن هشام[١] ، عن الحكم بن هشام الثقفي[٢] ، قال :][٣] .

أخبرت أنّ رجلاً ، أُخذ أسيراً ، فألقي في جبّ ، وألقي على رأس الجبّ صخرة ، فتلقّن فيه : قل : سبحان الله الحيّ القدّوس ، سبحان الله وبحمده ، فأخرج من غير أن يكون أخرجه إنسان[٤] .

---

١ أبو سهل كثير بن هشام الكلابي الرقّي : ترجم له الخطيب في تاريخه ١٢ / ٤٨٢ وقال : إنّه توفّي سنه ٢٠٧ .

٢ الحكم بن هشام الثّقفي : كوفي ، نزل دمشق ، ترجم له صاحب ميزان الاعتدال ١ / ٥٨٢ .

٣ كذا في غ ، وفي بقيّة النسخ : حدّث كثير بن هشام .

٤ كذا في غ ، وفي بقيّة النسخ : فأخرج من غير أن يخرجه النّاس . وقد ورد هذا الخبر في مخطوطة (د) ص ١٤٤ .

٩٠

يا عزيز ، يا حميد ، يا ذا العرش المجيد

[قال مؤلّف هذا الكتاب ، وقد ذكر القاضي[1] هذا الخبر في كتابه ، قال : [حدّثني إبراهيم بن سعيد قال :][2] حدّثنا أبو سفيان الحميري[3] ، قال : سمعت أبا بلج الفزاري[4] ، قال :][5] .

أُتي الحجّاج بن يوسف ، برجل كان جعل على نفسه ، إن ظفر به ، أن يقتله ، قال : فلمّا دخل عليه ، تكلّم بكلام ، فخلّى سبيله .

فقيل له : أيّ شيء قلت ؟

فقال : قلت : يا عزيز ، يا حميد ، يا ذا العرش المجيد ، اصرف عنّي ما أطيق ، وما لا أطيق ، واكفني شرّ كلّ جبّار عنيد[6] [٤١ ظ] .

---

١ يريد بالقاضي أبا الحسين عمر بن أبي عمر محمّد بن يوسف الأزدي .

٢ الزيادة من مخطوطة (د) ، والخبر منقول من كتاب الفرج بعد الشدّة لابن أبي الدّنيا ، رواه عن أبي إسحاق إبراهيم بن سعيد الطبري البغدادي الجوهري المتوفّى سنة ٢٤٩ ، ولا يمكن أن يكون من رواية أبي الحسين القاضي الّذي ولد سنة ٢٩١ .

٣ أبو سفيان سعيد بن يحيى بن مهدي الحميري الحذّاء الواسطي : ذكره صاحب الخلاصة ١٢٢ .

٤ أبو بلج يحيى بن سليم الفزاري : ترجم له صاحب الخلاصة ٣٨٣ وصاحب الميزان ٤ / ٣٨٤ .

٥ الزيادة من غ .

٦ ورد هذا الخبر في مخطوطة (د) ص ١٤٤ .

٩١

دعاء النّبي صلوات الله عليه

في كل هَمّ

[حدّثنا علي بن الحسن ، قال : حدّثنا ابن الجرّاح ، قال : حدّثنا ابن أبي الدّنيا ، قال : حدّثنا أحمد بن عبد الأعلى الشيباني ، قال : حدّثنا أبو عبد الرّحمن الكوفي ، عن صالح بن حسان[١] ، عن محمّد بن علي[٢] :

أنّ النّبي صلّى الله عليه وسلّم][٣] علّم علياً عليه السّلام ، دعاء يدعو به في كلّ همّ ، وكان عليّ يعلّمه النّاس ، وهو : يا كائناً قبل كلّ شيء ، يا مكوّن كلّ شيء ، ويا كائناً بعد كلّ شيء ، افعل بي كذا وكذا[٤] .

---

١ صالح بن حسّان النضري المدني : حجازي ، قدم بغداد ، ونزل البصرة ، ترجم له صاحب ميزان الاعتدال ٢ / ٢٩١ .

٢ الإمام الباقر ، أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام .

٣ كذا في غ ، وفي بقيّة النسخ : وكان النبيّ صلّى الله عليه وسلّم .

٤ ورد هذا الخبر في مخطوطة (د) ص ١٥٢ .

٩٢

الدّعاء الّذي خلّص عمرو السّرايا من العلج

[حدّثنا علي بن الحسن ، قال : حدّثنا ابن الجرّاح ، قال : حدّثنا ابن أبي الدّنيا ، قال : حدّثني إسحاق بن البهلول التّنوخي[1] ، قال : حدّثني إسحاق ابن عيسى ، ابن بنت داود بن أبي هند[2] ، عن الحارث البصري[3] ، عن عمرو السرايا][4] ، قال :

كنت أغير في بلاد الرّوم وحدي ، فبينا أنا ذات يوم نائم ، إذ ورد عليّ علج ، فحرّكني برجله ، فانتبهت .

فقال لي : يا عربي ، اختر ، إن شئت مسايفةً ، وإن شئت مطاعنةً ، وإن شئت مصارعةً .

فقلت : أمّا المسايفة والمطاعنة ، فلا بقيا لهما ، ولكن مصارعة ، فنزل ، فلم ينهنهني أن صرعني ، وجلس على صدري ، وقال : أيّ قتلة تريد أن أقتلك ؟

فذكرت الدّعاء ، فرفعت رأسي إلى السماء ، فقلت : أشهد أنّ كلّ معبود ما دون عرشك ، إلى قرار الأرضين ، باطل غير وجهك الكريم ، فقد ترى ما أنا فيه ، ففرّج عنّي ، وأغمي عليّ ، فأفقت ، فرأيت الرّومي قتيلاً إلى جانبي .

[قال إسحاق بن بنت داود ، فسألت الحارث البصري ، عن الدّعاء ، فقال :

---

١ أبو يعقوب إسحاق بن البهلول بن حسّان بن سنان التنوخي (١٦٤ – ٢٥٢) : فقيه حنفي ، محدّث ، استدعاه المتوكّل العبّاسي إلى بلاطه ، وسمع منه ، ترجم له صاحب الأعلام ١ / ٢٨٦ راجع القصّة ٦ / ١٨ من نشوار المحاضرة .

٢ أبو هاشم إسحاق بن عيسى القشيري ابن بنت داود بن أبي هند البصري : ترجم له صاحب الخلاصة ٢٥ .

٣ الحارث بن عطيّة البصري الزّاهد : ترجم له صاحب الخلاصة ٥٨ .

٤ كذا في غ ، وفي بقيّة النسخ : وروي عن عمرو السرايا .

سألت عنه عمرو السرايا ، فقلت له : بالله يا عمرو ما قلت ؟

قال : قلت : أللّهم ربّ إبراهيم ، وإسماعيل ، وإسحاق ، ويعقوب ، وربّ جبريل ، وميكائيل ، وإسرافيل ، وعزرائيل ، ومنزل التوراة والإنجيل ، والزبور ، والقرآن العظيم ، ادرأ عنّي شرّه ، فدرأ عنّي شرّه][5] .

قال [إسحاق بن [بنت] داود : فحفظته و][5] قلت أعلّمه النّاس ، فوجدته نافذاً ، وهو الإخلاص بعينه[6] .

---

٥ الزيادة من غ .

٦ ورد هذا الخبر في مخطوطة (د) ص ١٥٢ .

٩٣

تخلّص من القتل بدعاء دعا به

[حدّثنا علي بن الحسن ، قال : حدّثنا ابن الجرّاح ، قال : حدّثنا ابن أبي الدّنيا ، قال : حدّثنا إسحاق بن إسماعيل ، قال : حدّثنا جرير بن حفص ، عن الشعبي][1] قال :

كنت جالساً عند زياد [2] ، فأتي برجل [يُحمل ، ما يشكّ في][3] قتله ، فحرّك الرّجل شفتيه [٥٢ غ] بشيء ما ندري ما هو ، فخلّى سبيله .

فقلت للرّجل : ما قلت ؟

قال : قلت : ألّلهمّ ربّ إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ، وربّ جبريل وميكائيل وإسرافيل ، ومنزل التوراة والإنجيل والزبور والفرقان العظيم ، ادرأ عنّي شرّ زياد ، فدرأه عنّي[4] .

---

١ كذا في غ ، وفي بقيّة النسخ : قال الشعبي ... الخ ، والشعبي هو أبو عمرو عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار الحميري (١٩ — ١٠٣) : تابعي ، راوية ، ولد ونشأ ومات بالكوفة ، نادم عبد الملك ابن مروان ، واستقضاه عمر بن عبد العزيز ، نسبته إلى شعب ، بطن من همدان (الأعلام ٤ / ١٨) .

٢ زياد بن أبيه : راجع ترجمته في آخر هذه القصّة .

٣ كذا في غ وفي مخطوطة (د) ، وفي بقيّة النسخ : يريد .

٤ ورد هذا الخبر في مخطوطة (د) ص ١٦٦ .

زياد بن أبيه (١ – ٥٣)

من دهاة العرب وأذكيائهم ، عمل في خدمة الدّولة ، منذ نعومة أظفاره ، فقد ولّي قسمة الغنائم ، بأجر درهمين في اليوم ، وهو ابن ١٤ سنة (معجم البلدان ١ / ٦٤٠) ، ثمّ كتب لأبي موسى الأشعري ، أيّام ولايته البصرة ، ثمّ ولّي فارس للإمام عليّ بن أبي طالب (الأعلام ٣ / ٨٩) ، ولمّا قتل الإمام بايع زياد معاوية ، فولاّه البصرة والكوفة ، وارتفع أجره إلى خمسة وعشرين ألف درهم (تاريخ اليعقوبي ٢ / ٢٣٤) . وبالغ زياد في التعصّب على شيعة عليّ ، فقتلهم ، وشرّدهم ، ودفن بعضهم أحياء (الأغاني ١٧ / ١٥٣ والمحاسن والأضداد ٢٧) وكان يجمع النّاس ويحرّضهم على البراءة من عليّ ، ومن أبى ذلك ، عرضه على السيف (المحاسن والمساوئ ١ / ٣٩ ومروج الذهب ٢ / ٢٠) ، وكان شعور زياد بنشأته المتواضعة ، قد كوّن فيه مركّب نقص سعى جاهداً للتخلّص منه ، فادّى ذلك به إلى سقطة شنيعة ، وهي موافقته على إعلانه أحد أولاد أبي سفيان الأمويّ ، بحجّة واضحة الخزي ، وهي أنّ أبا سفيان ، في السنة الأولى من الهجرة ، زنى بأمّ زياد ، سميّة ، وكانت من البغايا بالطائف (مروج الذهب ٢ / ٥ ، وتاريخ اليعقوبي ٢ / ٢١٩ والفخري ١٠٩ و١١٠) فأكسبه ذلك خزياً وشناعةً ، وقال فيه أخوه أبو بكرة : هذا زنّى أمّه ، وانتفى من أبيه (وفيات الأعيان ٦ / ٣٥٨) وقد كان له من حصافته ، ودهائه ، ما يغنيه عن هذا الاستلحاق الّذي جعله ، وذريّته من بعده ، موضع هزء وسخرية (بلاغات النّساء ١٤٣ والمحاسن والمساوئ ٢ / ١٤٨) حتّى أصبحوا مضرب المثل في الادّعاء الكاذب ، قال الشاعر يهجو كاتباً :

حمــار في الكتــابة يدّعيهــا   كدعوى آل حرب في زيــاد

راجع أخبار زياد في الأغاني ١٨ / ٢٧٠ ، ٢٧٢ ، ٢٧٧ و١٨ / ٢٨٥ و٢٠ / ٧٧ والعقد الفريد ٤ / ٢٦ و٦ / ١٠٠ وأدب الكتاب ١٧٠ والطبري ٨ / ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣٤ ، ١٣٨ ، ١٣٩ .

٩٤

هارون الرّشيد يأمر بقتل فتى عَلويّ فينجّيه الله تعالى

[أخبرني محمّد بن الحسن بن المظفّر ، قال : أخبرني عيسى بن عبد العزيز الظّاهري ، قال : أخبرني أبو عبد الله [٣١ ر] قال][١] :

أمر الرّشيد[٢] بعض خدمه ، فقال : إذا كان اللّيلة ، فصر إلى الحجرة الفلانيّة ، فافتحها ، وخذ من رأيت فيها ، فأت به موضع كذا وكذا ، من الصّحراء الفلانيّة ، فإنّ ثَمّ قليباً[٣] مُحفوراً ، فارم به ، وطمّه بالتّراب ، وليكن معك فلان الحاجب .

قال : فجاء الغلام إلى باب الحجرة ، ففتحه ، فإذا فيها غلام كالشمس الطّالعة ، فجذبناه جذباً عنيفاً .

فقال له : اتّق الله ، فإنّي ابن رسول الله ، فالله ، الله ، أن تلقى الله بدمي ، فلم يلتفت إلى قوله ، وأخرجه إلى الموضع .

فلمّا أشرف الفتى على التلف ، وشاهد القليب ، قال له : يا هذا ، إنّك على ردّ

---

١ كذا في غ ، وفي بقيّة النسخ : وقال أبو عبد الله الحزنبل ، أقول : هو أبو عبد الله محمّد بن عبد الله ابن عاصم التّميمي ، عالم ، راوية ، ذكره صاحب الفهرست ص ٧٩ .

٢ أبو جعفر هارون الرّشيد بن أبي عبد الله محمّد المهدي (١٤٩ – ١٩٣) : ولد بالريّ ، ونشأ ببغداد ، وبويع بالخلافة سنة ١٧٠ ، ودامت ولايته ٢٣ سنة ، وكان يلقّب بجبّار بني العبّاس ، ومات بطوس (الأعلام ٩ / ٤٤) وممّا يؤثر عنه : إنّه أوّل من فكّر في فتح قناة السويس ، إذ رام أن يوصل ما بين بحر الرّوم وبحر القلزم ، ممّا يلي الفرما ، فقال له يحيى بن خالد البرمكي : إذن يختطف الرّوم النّاس من المسجد الحرام وتدخل مراكبهم إلى الحجاز ، فتركه (تاريخ الخلفاء ص ٢٨٦) .

٣ القليب : البئر ، سمّيت بذلك لأنّه قلب ترابها .

ما لم تفعل ، أقدر منك على ردّ ما فعلت ، فدعني أصلّي ركعتين ، وامضِ لما أمرتَ به .

فقال له : شأنك وما تريد .

فقام الفتى ، فصلّى ركعتين ، قال فيهما : يا خفيّ اللّطف ، أغثني في وقتي هذا ، والطف بي بلطفك الخفيّ .

فلا والله ما استتمّ دعاءه ، حتّى هبّت ريحٌ وغبرةٌ ، حتّى لم يرَ بعضهم بعضاً ، فوقعوا لوجوههم ، واشتغلوا بأنفسهم عن الفتى ، ثمّ سكنت الرّيح والغبرة ، وطلبنا الفتى ، فلم يوجد ، وقيوده مرميّة .

فقال الحاجب لمن معه : هلكنا والله ، [٤١ م] سيقع لأمير المؤمنين أنّا أطلقناه ، فماذا نقول له ؟ إن كذبناه لم نأمن أن يبلغه خبر الفتى فيقتلنا ، ولئن صدقناه ، ليعجّلنّ لنا المكروه .

فقال له الآخر : يقول الحكيم : إن كان الكذب ينجي ، فالصّدق أرجى وأنجى .

فلمّا دخلوا عليه ، قال لهم : ما فعلتم فيما تقدّمت به إليكم ؟

فقال له الحاجب : يا أمير المؤمنين ، الصدق أولى ما اتّبع في جميع الأمور ، ومثلي لا يجترئ أن يكذب بحضرتك ، وإنّه كان من الخبر كيت وكيت .

فقال الرّشيد : لقد تداركه اللّطف الخفيّ ، والله ، لأجعلنّها في مقدّمات دعائي ، امضِ لشأنك ، واكتم ما جرى[٤] .

---

٤ راجع كتاب حلّ العقال ٤٠ و٤١ .

٩٥

يا سامعَ كلّ صوت ، ويا بارئ النّفوس بعد الموت

[حدّثني محمّد بن الحسن ، قال : حدّثني محمّد بن عمرو بن البحتري البزاز[١] ، في جامع المنصور ، في سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة ، قال : حدّثنا الفضل بن إسحاق الدوري[٢] ، عن محمّد بن الحسن ، عن أبي سلمة عبد الله ابن منصور ، قال :][٣]

حزن رجل حزناً شديدًا ، على شيء لحقه ، وأمرٍ أهمّه وأقلقه ، فألحّ في الدّعاء ، فهتف به هاتف : يا هذا ، قل : يا سامع كلّ صوت ، ويا بارئ النّفوس بعد الموت ، ويا من لا تغشاه الظلمات ، ويا من لا يشغله شيء عن شيء .

قال : فدعا بها ، ففرّج الله عنه ، ولم يسأل الله تلك اللّيلة حاجة ، إلّا أعطاه .

١ اسمه الصحيح : أبو جعفر محمّد بن عمرو بن البختري (بالخاء) بن مدرك بن أبي سليمان الرزّاز (٢٥١ - ٣٣٩) : ترجم له الخطيب في تاريخه ٣ / ١٣٢ .

٢ أبو العباس الفضل بن إسحاق بن حيّان الدّوري البزّاز : ترجم له الخطيب في تاريخه ١٢ / ٣٦٠ .

٣ الزيادة من غ .

٩٦

لا حول ولا قوّة إلّا بالله

[حدّثنا عليّ بن أبي الطّيب ، قال : حدّثنا ابن الجرّاح ، قال : حدّثنا ابن أبي الدّنيا ، قال : حدّثني القاسم بن هاشم ، قال : حدّثنا أبو اليمان[1] ، قال : حدّثنا صفوان بن عمرو[2] ، عن أبي يحيي [٥٣ غ] إسحاق العدواني ، قال][3] : [٤٢ ظ] .

كنّا بإزاء آزرمهر[4] ، عند مدينة الكرج[5] ، وقد زحف إلينا في ثمانين فيلاً ، فكادت تنقض الصفوف ، وتشتّت الخيول ، وكان أميرنا محمّد بن القاسم[6] ، فنادى عمران بن النعمان أمير أهل حمص ، وأمراء الأجناد ، فنهضوا ، فما استطاعوا ، فلمّا أعيته الأمور ، نادى مراراً : لا حول ولا قوّة

---

١ أبو اليمان الحكم بن نافع القضاعي الهرّاني : ترجم له صاحب الخلاصة ص ٧٦ و٧٧ وقال إنّه توفّي سنة ٢٢٢ .

٢ أبو عمرو صفوان بن عمرو السكسكي الحمصي : ترجم له صاحب الخلاصة ص ١٤٧ .

٣ كذا في غ ، وفي بقيّة النسخ : وجدت في بعض الكتب ، حدّث إسحاق العدواني... وفي ظ : الغزواني .

٤ كذا ورد في جميع النسخ ، والاسم فارسي ، آذر : النار ، ومهر : محبّ ، فيكون الاسم بالعربيّة : محبّ النّار .

٥ الكرج : ورد ذكرها في الكامل لابن الأثير ٤ / ٥٨٨ و٥٩٠ و٥٩١ وفي الطبري ٦ / ٤٩٢ وسمّوها : الكيرج ، إحدى مدن السند .

٦ محمّد بن القاسم بن محمّد بن الحكم بن أبي عقيل الثّقفي (٦٢ – ٩٨) : قائد ، من عائلة الحجّاج ابن يوسف الثّقفي ، ولاّه الحجّاج قيادة جيش أزاح علّته ، وجهّزه بكل ما يحتاج إليه حتّى الخيوط والإبر ، فسار إلى مكران ، ثمّ إلى السند ، ففتحها (ابن الأثير ٤ / ٥٣٦ – ٥٣٩) ثمّ ناله شؤم الحجّاج ، إذ اعتقل مع آل أبي عقيل أقارب الحجّاج ، وعذّب معهم ، حتّى ماتوا جميعاً (ابن الأثير ٤ / ٥٨٨ ، ٥٨٩) .

إلّا بالله ، فكشف الله الفيلة ، وسلّط عليها الحرّ ، فأنضحها[7] ، ففزعَتْ إلى الماء ، فما استطاع سوّاسها ، ولا أصحابها ، حبسها ، وحملت خيلنا ، وكان الفتح بإذن الله تعالى[8] .

[حدّثنا علي بن الحسن ، قال : حدّثنا ابن الجرّاح ، قال : حدّثنا ابن أبي الدّنيا ، قال : حدّثنا القاسم بن هاشم ، قال : حدّثنا أبو اليمان قال : حدّثنا صفوان بن عمرو ، عن الأشياخ : أنّ حبيب بن مسلمة[9]][10] كان يستحبّ إذا لقي العدوّ ، أو ناهض حصناً ، أن يقول : لا حول ولا قوّة إلّا بالله .

ثمّ إنّه ناهض يوماً حصناً ، فانهزم الرّوم ، وتحصّنوا في حصن آخر لهم ، أعجزه ، فقالها ، فانصدع الحصن[11] .

---

٧ نضح ، بالحاء : عَرَق .

٨ ورد هذا الخبر في مخطوطة (د) ص ١٣٥ .

٩ أبو عبد الرّحمن حبيب بن مسلمة بن مالك الفهري القرشي (٢ ق – ٤٢ هـ) : قائد من كبار الفاتحين ، اشترك في فتح الشّام ، وفتح أرمينية ، وغزا الرّوم مراراً ، ثم ولّاه الخليفة عمر على الجزيرة وأرمينية وأذربيجان (الأعلام ٢ / ١٧٢) .

١٠ كذا ورد في غ ، وفي بقيّة النسخ : كان حبيب بن مسلمة ... الخ .

١١ ورد هذا الخبر في مخطوطة (د) ص ١٣٦ .

٩٧

الّذي كفاك الأمس يكفيك غدَك

[حدّثنا عليّ بن أبي الطّيب ، قال : حدّثنا ابن الجرّاح ، قال : حدّثنا ابن أبي الدّنيا ، قال : حدّثني الحسين بن عبد الرّحمن ، قال :][1] .

بلغني أنّ بعض الملوك ، نفى وزيراً له ، لموجدة وجدها عليه ، فاغتمّ لذلك غمّاً شديداً ، فبينا هو يسير ، إذ أنشده رجلٌ هذين البيتين :

أَحسنِ الظـنَّ بـربّ عـوّدك ... حَسَنـاً أمس وسوّى أودك
إنّ ربّاً كان يكفيك الّـذي ... كان بالأمس سيكفيـك غدك

فسرّي عن الوزير ، وأمر له بعشرة آلاف درهم[2] .

١ الزيادة من غ .

٢ ورد الخبر في مخطوطة (د) ص ١٥٩ .

٩٨

لا تيأسَنّ كأن قد فرّج الله

[حدّثنا عليّ بن أبي الطيب ، قال : حدّثنا ابن السّراج ، قال : حدّثنا ابن أبي الدّنيا ، قال][1] : حدّثنا محمّد بن أبي رجاء ، مولى بني هاشم قال :

أصابني همّ شديد ، لأمرٍ كنت فيه ، فرفعت مقعداً لي ، كنت جالساً عليه ، فإذا برقعة مكتوبة [فنظرت فيها ، فإذا فيها مكتوب][2] :

يا صاحب الهمّ إنّ الهمّ منقطعٌ لا تيأسنَّ كأنْ قد فرّج الله

قال : فذهب عنّي ما كنت فيه من الغمّ ، ولم ألبث أن فرّج الله عنّي ، فللّه الحمد والشكر[3] .

٩٩

كن للمكاره بالعزاء مقطّعاً

[حدّثني أبو بكر الثقفي ، قال :][4] قال بعضهم : أصابني همّ ضِقتُ به ذَرعاً ، فنمتُ ، فرأيت كأنّ قائلاً يقول :

كن للمكاره بالعزاء مقطّعاً فلعلّ يوماً لاترى ما تكره [٣٢ ر]

ولربّما ابتسم الوقورُ من الأذى وضميره من حرّه يتأوّه[5]

---

١ الزيادة من غ .

٢ الزيادة من مخطوطة (د) .

٣ ورد الخبر في مخطوطة (د) ص ١٥٩ .

٤ الزيادة من غ .

٥ ورد الخبر في مخطوطة (د) ص ١٥٩ .

١٠٠

الوزير محمّد بن القاسم يلاقي
عاقبة ظلمه

[حدّثني أبو الحسن عليّ بن الحسن ، الشّاهد المعروف بالجرّاحي[١] ، من حفظه ، قال : [٥٤ غ] حدّثني أبو الحسن بن أبي الطاهر محمّد بن الحسن الكاتب ، صاحب الجيش][٢] ، قال :

قبض عليَّ أبو جعفر محمّد بن القاسم بن عبيد الله[٣] ، في أيّام وزارته للقاهر بالله ، وعلى أبي ، [فحبسنا في حجرة ضيّقة ، وأجلسنا على التّراب ، وشدّد علينا ، وكان يخرجنا في كلّ يوم ، فيطالب أبي بمال المصادرة ، وأُضربُ أنا بحضرة أبي ، ولا يُضرب هو ،][٤] ، فلاقينا من ذلك أمراً شديداً صعباً .

فلمّا كان بعد أيّام ، قال لي أبي : إنّ هؤلاء الموكّلين ، قد صارت لهم بنا حرمة ، فتوصّل إلى مكاتبة أبي بكر الصيرفي[٥] – وكان صديقاً لأبي – حتّى

١ أبو الحسن عليّ بن الحسن بن عليّ بن مطرف الجرّاحي (٢٩٨ – ٣٧٦) : ترجمته في حاشية القصّة ١١ من هذا الكتاب .

٢ في م : وقال محمّد بن أبي طاهر .

٣ أبو جعفر محمّد بن القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب الحارثي : كان في السنة ٣١٩ عاملاً على جند قنسرين والعواصم (تجارب الأمم ١ / ٢١٢) وتوسّطت له اختيار ، قهرمانة القاهر ، فولّاه الوزارة (تجارب الأمم ١ / ٢٦١ و٢٦٤) ثمّ قبض عليه بعد ثلاثة أشهر و١٢ يوماً (تجارب الأمم ١ / ٢٧٢) ومات بعد ثلاثة أيّام وهو معتقل ، وفي عيون الأنباء ١ / ٢٢٩ أنّه مات بعد عشرة أيّام من اعتقاله ، اقرأ في تجارب الامم ١ / ٢٦٦ و٢٦٧ ما صنعه بأخيه ، قصّة تدلّ على لؤم أصيل .

٤ الزيادة من غ .

٥ أبو بكر الصّيرفي : راجع القصّة ٢ / ٧٢ من نشوار المحاضرة .

ينفذ إلينا بثلاثة آلاف درهم ، نفرّقها فيهم ، ففعلت ذلك ، فأنفذ إلينا بالمال من يومه .

فقلت للموكّلين ، في عشيٍّ ذلك اليوم : قد وجبت لكم علينا حقوق ، فخذوا هذه الدراهم ، فانتفعوا بها ، فامتنعوا .

فقلت : ما سبب امتناعكم ؟ ، فورّوا عن ذلك .

فقلت : إمّا قبلتم ، وإمّا عرفتمونا السّبب الّذي لأجله امتناعكم .

فقالوا : [٤٢ م] نشفق عليكم ، ونستحي من ذلك .

فقال لهم أبي : اذكروه على كلّ حال .

قالوا : قد عزم الوزير على قتلكما اللّيلة ، ولا نستحسن أخذ شيء منكما مع هذا .

[فقَلقْتُ ، ودخلت إلى أبي بغير تلك الصّورة ، فقال : ما لك ؟ فأخبرته بالخبر ،][4] وقلت لأبي : ما أصنع بالدراهم ؟

فقال : ردّها على أبي بكر ، فرددتها عليه .

وكان أبي يصوم تلك الأيّام كلّها ، فلمّا غابت الشّمس ، تطهّر ، وصلّى المغرب ، فصلّيت معه ، [ولم يفطر][4] ، ثم أقبل على الصّلاة والدّعاء ، إلى أن صلّى العشاء الآخرة ، ثم دعاني .

فقال : اجلس يا بنيّ إلى جانبي ، جاثياً على ركبتك ، ففعلت ، وجلس هو كذلك .

ثم رفع رأسه إلى السّماء ، فقال : يا ربّ ، محمّد بن القاسم ظلمني[6] ، وحبسني على ما ترى ، وأنا بين يديك ، وقد استعديت إليك ، وأنت أحكم الحاكمين ، فاحكم بيننا ؛ لا يزيد عن ذلك .

---

٦ الظّلم : راجع التّفصيل في آخر القصّة .

ثم صاح بها إلى أن ارتفع صوته ، ولم يزل يكرّرها بصياحٍ ونداءٍ واستغاثة[7] ، إلى أن ظننت أنّه قد مضى ربع اللّيل .

فوالله ما قطعها حتّى سمعت الباب يدقّ ، فذهب عليّ أمري ، ولم أشكّ في أنّه القتل .

[وفتحت الأبواب ، فدخل قوم بشموع ، فتأمّلت][4] ، وإذا فيهم سابور ، خادم القاهر[8] ، [فقال : أين أبو طاهر ؟][4] ، فقام إليه أبي ، فقال [٤٣ ظ] : ها أنذا .

فقال : أين ابنك ؟

فقال : هوذا .

فقال : انصرفا إلى منزلكما ، فخرجنا ، فإذا هو قد قبض على محمّد بن القاسم ، وحدره إلى دار القاهر .

وعاش محمّد بن القاسم في الاعتقال ثلاثة أيّام ، ومات[9] .

---

٧ في م : بصياح وبكاء واستغاثة .

٨ سابور الخصي : خادم القاهر ، كان أثيراً عنده ، وكان يكلّفه بالقبض على رجال الدّولة ممن يريد اعتقالهم وقتلهم ، راجع أخباره في تجارب الأمم ١ / ٢٧١ و٢٧٢ و٢٨٧ .

٩ نقلها صاحب حلّ العقال ص ٤٠ ، وورد في كتاب الوزراء ٢٤٥ : أن المحسّن بن الوزير أبي الحسن ابن الفرات ، في وزارة أبيه الثّالثة ، صادر أبا طاهر محمّد بن الحسن على مائة ألف دينار .

الظلم

الظلم ، في اللّغة : وضع الشيء في غير موضعه ، وفي الاصطلاح : إيذاء النّاس ، وانتقاص حقوقهم ، وهو خلاف التّقوى الّتي هي مخافة الله ، والعمل بطاعته ، وكفّ الأذى ، قال الله تعالى : فقطع دابر القوم الذين ظلموا ، وقال النبيّ صلوات الله عليه : الظلم ظلمات يوم القيامة (محاضرات الأدباء ١ / ٢١٥) وقال : من أعان ظالماً سلّطه الله عليه (محاضرات الأدباء ١ / ٢١٨) . والتاريخ عامر بأخبار قوم آذوا وظلموا ، فمنهم من عوجل ، كما في هذه القصّة ، ومنهم من أمهل ، غير أنّ عاقبة ظلمه ، أصابت أولاده وأحفاده وأهل بيته ، مصداقاً لقول النبيّ صلوات الله عليه : من خاف على عقبه ، وعقب عقبه ، فليتّق الله ، وقد كان الحجّاج بن يوسف الثّقفي من الظالمين ، ولم يعاجل ، فلمّا استخلف سليمان بن عبد الملك ، أمر بجميع الرجال من آل أبي عقيل ، عائلة الحجّاج ، فاعتقلوا بواسط ، وعذّبوا ، حتّى ماتوا جميعاً (ابن الأثير ٤ / ٥٨٨ ، ٥٨٩) ، ولما استخلف الخليفة الصالح عمر بن عبد العزيز ، بعث الباقين من أهل بيت الحجّاج ، إلى الحارث بن عمر الطائي ، عامله على البلقاء ، وكتب إليه : أمّا بعد ، فقد بعثت إليك بآل أبي عقيل ، وبئس – والله – أهل البيت في دين الله ، وهلاك المسلمين ، فأنزلهم بقدر هوانهم على الله تعالى ، وعلى أمير المؤمنين (البصائر والذخائر م٢ ق٢ ص ٥٨٦) ، وكانت عاقبة ظلم بعض الخلفاء في العهد الأمويّ للناس ، أنّ العبّاسيين لمّا انتصروا عليهم ، قتلوا أولادهم ، وأحفادهم ، حتّى النّساء ، قتلاً ذريعاً ، فلم يفلت منهم إلاّ الرّضيع ، أو من هرب إلى الأماكن القاصية كالأندلس (ابن الأثير ٥ / ٤٢٩ – ٤٣١ وأخبار مجموعة في فتح الأندلس ٤٨ و٤٩) ثمّ تجاوزوا الأحياء منهم إلى الأموات ، فنبشوا قبورهم ، وأخرجوا رممهم وضربوها بالسياط ، ثمّ أحرقوها بالنّار ، ونادى منادي عبد الله بن عليّ ، بالأمان لمن بقي ، فلمّا اجتمعوا ، أمر الجند فشدخوهم بالأعمدة حتّى قتلوهم (الفخري ٢٥٢ والعيون والحدائق ٣ / ٢٠٦ – ٢١١ وابن الأثير ٥ / ٤٢٩ والعقد الفريد ٤ / ٤٨٣ – ٤٨٧ ، والأغاني ٤ / ٣٤٣ – ٣٥٥ ومحاضرات الأدباء ٤ / ٥٣٥ وأخبار مجموعة في فتح الأندلس ٤٨ و٤٩) ، وروى ابن الأثير في كتابه الكامل في التاريخ ٨ / ٣٨١ و ٣٨٢ فصلاً في مظالم البريديّين ، ثم قال : إنّه ذكر هذا الفصل ليعلم الظَلَمَةُ أنّ أخبارهم تنقل ، وتبقى على وجه الدهر ، فربّما تركوا الظلم لهذا ، إن لم يتركوه لله سبحانه وتعالى .

١٠١

طاهر بن الحسين يحمل الدّراهم في كمّه ويفرّقها على الفقراء

لّما خرج طاهر بن الحسين[١] إلى محاربة عليّ بن عيسى بن ماهان[٢] ، جعل ذات يوم في كمّه[٣] دراهم ، يفرّقها في الفقراء ، ثم سها عنها ، فأرسلها ، فتبدّدت ، فتطيّر بذلك ، واغتمّ غمّاً شديداً ، حتّى تبيّن في وجهه ، فأنشده شاعر كان في عسكره :

هذا تفرّق جمعهم لا غيره   وذهابه منكم ذهاب الهمّ

شيء يكون الهمّ بعض حروفه   لا خير في إمساكه في الكمّ

قال : فسلا طاهر ، وأمر له بثلاثين ألف درهم .

---

١ ذو اليمينين أبو الطيّب طاهر بن الحسين بن مصعب الخزاعي (١٥٩ - ٢٠٧) : من كبار الوزراء والقوّاد ، قاد جيش المأمون إلى بغداد ، ففتحها ، وقتل الأمين سنة ١٩٨ ، ثم ولاّه المأمون خراسان ، ومات فيها (الأعلام ٣ / ٣١٨) .

٢ عليّ بن عيسى بن ماهان : من كبار القادة في عهد الرّشيد والأمين ، قاد جيش الأمين لقتال المأمون ، فقتل في المعركة سنة ١٩٥ (الأعلام ٥ / ١٣٣) .

٣ الكم : مدخل اليد ومخرجها من الثوب ، لمّا كان طراز الرّدن ، أن تكون واسعة فضفاضة ، لها ذيل متّسع ، تحمل فيه المناديل والنقود ، وما تزال أردان البدو وفق هذا الزيّ ، ولمّا ضاقت الأردان في الحواضر ، اتّخذ الناس بدلاً منها أكياساً تخاط في جانب الثّوب من الداخل ، وفتحتها إلى الخارج ، والبغداديّون يسمّون هذا الكيس : الجيب ، مع أنّ الجيب في اللّغة ، هو طوق القميص ، وقد أدركت أكثر أصحاب الحرف ببغداد يستعملون أعبابهم في حفظ نقودهم ، والعبّ : فصيحة ، وهو ما يلي الردن من الثوب لجهة الصدر ، أمّا ضعاف الحال من العامّة ، فيلبسون ثوباً فضفاضاً ينزل إلى ما تحت الركبة ، يسمّونه : دشداشة ، ويشدّون أوساطهم بسير من الجلد ، فيتحصّل لديهم عبّ يتّسع للاحتواء على جميع ما يريدون إيداعه فيه ، وما تزال ببغداد ترنيمة للطفل لكي ينام من جملة أبياتها :

هسّه يجينا بابه   شايل تمر بأعبابه

هسّه : عامية بغدادية ، أصلها : هذه الساعة ، بمعنى : الآن ، وشايل : حامل ، من شال : رفع ، وحمل

١٠٢

الهادي يتهدّد يحيى البرمكيّ ويتوعّده بكلّ عظيمة

انصرف يحيى بن خالد البرمكي[١] ، من عند الهادي[٢] ، وقد ناظره في تسهيل خلع العهد على هارون ، فحلف له يحيى أنّه فعل ، وجهد [٥٥ غ] فيه ، فامتنع عليه هارون .

فقال له الهادي : كذبتَ ، [ووالله لأفعلنّ بك وأصنعنّ][٣] ، وتوعّده بكلّ عظيمة ، وصرفه .

فجاء الى بيته ، فكلّم بعض غلمانه بشيء ، فأجابه بما غاظه ، فلطمه يحيى ، فانقطعت حلقة خاتمه ، وطاح الفصّ ، فاشتدّ ذلك على يحيى ، وتطيّر منه ، واغتمّ ، فدخل عليه السياري[٤] الشّاعر ، وقد أخبر بالقصّة ، فأنشده في الحال :

---

١ أبو علي يحيى بن خالد بن برمك (١٢٠ – ١٩٠) : سيّد بني برمك وأفضلهم ، عاقل حكيم ، اشتهر بجوده ، وحسن سياسته ، وهو مؤدّب الرشيد العبّاسي ومعلّمه ومربّيه ، وكان الرشيد يدعوه : يا أبي . لمّا نكب الرشيد البرامكة ، حبس يحيى بالرقّة حتّى مات في الحبس (الأعلام ٩ / ١٧٥) .

٢ أبو محمّد موسى الهادي بن أبي عبد الله محمّد المهدي بن أبي جعفر عبد الله المنصور (١٤٤ – ١٧٠) : ولّي الخلافة سنة ١٦٩ ، وأراد خلع أخيه الرشيد من ولاية العهد ، فلم يمهله أجله (الأعلام ٨ / ٢٧٩) أقول : والمؤرخون يتّهمون أمّه الخيرزان بسمّه ، لأنّه حال بينها وبين التدخّل في إدارة أمور الدّولة ، وهي أقوال تخالف الطبيعة الإنسانية في محبّة الأمّ لولدها ، فضلاً عن كون هذا الاتّهام لا يخرج عن دائرة التكهّن ، في حين أنّ الثابت إصابة الهادي بالحمّى ، ومن مرض كان احتمال موته ، أقوى من احتمال قتله .

٣ الزيادة من غ .

٤ في غ : السّاري .

أخلاك من كلّ الهموم سقوطه وأتاك بالفرج انفراج الخاتم
قد كان ضاق ففكّ حلقة ضيقه فاصبر فما ضيق الزمان بدائم [٣٣ ر]

قال : [فما أمسى حتّى ارتفعت الواعية بموت موسى الهادي ، وصار الأمر إلى هارون الرّشيد][٥] ، فأعطاه مائة ألف درهم[٦] .

---

٥ الزيادة من غ .

٦ في م : فأعطاه ألف درهم .

١٠٣

موسى بن عبد الملك ، صاحب ديوان الخراج يموت وهو على صهوه جواده

قال أبو علي القنّائي[١] ، قال لي جدّي :

بكّرت يوماً إلى موسى بن عبد الملك[٢] ، وحضر داود بن الجرّاح[٣] ، فوقف إلى جانبي ، فقال لي : كان لي أمس خبر طريف ، انصرفتُ من عند موسى ابن عبد الملك ، فوجدت في منزلي امرأة من شرائف النساء[٤] ، فشكته إليّ ، وقالت : قد حاول أن يأخذ ضيعتي الفلانية ، وأنت تعلم أنّها عمدتي في معيشتي ، وأنّ في عنقي صبية أيتاماً ، فأيّ شيء تدبّر في أمري ، أو تشير عليّ ؟ .

---

١ أبو عليّ بن هبنتى القنّـائي : كاتب من عائلة عريقة في الكتابة ، كان يعمل في ديوان الوزير ابن الفرات في وزارته الثالثة ، وكان على معرفة بعلم النجوم ، نقل عنه الصابي في كتاب الوزراء قصصاً طريفة ١٧٨ - ١٨٢ ، والقنّائي نسبة إلى ديرقنّى على ستة عشر فرسخاً جنوبي بغداد عند النّعمانية (معجم البلدان ٢ / ٦٨٧ و ٤ / ١٧٨) .

٢ أبو عمران موسى بن عبد الملك الأصبهاني : كان على ديوان الخراج في أيّام المتوكّل ، واشترك مع آخرين من الكتّاب في المؤامرة على نجاح بن سلمة ، وكان إليه ديوان التوقيع والتتبّع على العمال ، فرفع إلى المتوكّل أنّ موسى بن عبد الملك والحسن بن مخلد قد خانا واقتطعا ، وضمنهما بأربعين ألف ألف درهم ، فوعده بتسليمهما إليه ، فسبقاه ، وضمناه من المتوكّل بألفي ألف دينار ، فسلّمه إليهما ، فعذّباه حتّى قتلاه ، ولم يسدّدا للمتوكّل كامل بدل الضمان ، فظلّ يطالبهما ، ويقول : ردّوا عليّ كاتبي ، أو فهاتوا المال . وفي سنة ٢٤٥ ركب يشيّع المنتصر من الجعفري إلى الجوسق فسقط عن حصانه مفلوجاً ، ونقل إلى داره فمكث يومه وليلته ، ومات (ابن الأثير ٧ / ٨٨ والطبري ٩ / ٢١٧ و ٢٤١) .

٣ أبو سليمـــان داود بن الجرّاح ، صاحب ديوان الخراج في عهد المتوكّل : ترجمته في حاشية القصّة ٧٣ من هذا الكتاب .

٤ الشريفة : جمعها شرائف وشريفات .

فقلت : من معك وراء الستر ؟

فقالت : ما معي أحد .

فقلت : أمّا التدبير في أمرك ، فما لي فيه حيلة ، وأمّا المشورة ، فقد قال النبطيّ[5] : لا تبع أرضك من إقدام الرّجل السّوء[6] ، فإنّ الرّجل السّوء يموت ، والأرض تبقى ، فدعت لي ، وانصرفت .

فما انقضى كلامه ، حتّى خرج موسى ، فقال لداود : يا أبا سليمان ، لأتبع أرضك من إقدام الرّجل الرديء[7] ، فإنّه يموت ، والأرض تبقى .

فقال لي داود : أسمعت ؟ هذا والله الموت ، أين أهرب ؟ أين أمضي ؟ ما آمنه والله على نفسي ، ولا على نعمتي ، فأشر عليّ بما أصنع ، قبل نفاذ طريقنا ، ونزولنا معه إلى الديوان .

فقلت : والله ، ما أدري .

فرفع يديه إلى السماء ، وقال : ألّلهم اكفني أمره ، وشرّه ، وضرّه ، فإنّك تعلم قصّتي ، وأنّي ما أردت بما قلت إلّا الخير ، واشتدّ [٤٣ م] قلقه وبكاؤه ودعاؤه .

وقربنا من الديوان ، فقال موسى ، وهو على دابته : متى حدث هذا الجبل الأسود في طريقنا ؟ ومال على سرجه حتى سقط ، وأسكِتَ .

فحمل إلى منزله ، وكان آخر العهد به[8] .

---

٥ الأنباط ، ومفردها نبطيّ : قوم من العجم كانوا ينزلون بين العراقين ، وفي العصر العبّاسي ، أصبحت كلمة نبطي ، تقال لأخلاط النّاس وعوامهم .

٦ في غ : الرجل الردئ .

٧ في غ : الرجل الشرّير .

٨ لم ترد هذه القصّة في ر .

١٠٤

يا ذا العرش اصنع كيف شئت فإنّ أرزاقنا عليك

ذكر المدائني في كتابه : [قال أبو سعيد ، وأنا أحسبه يعني] الأصمعي[1] :

نزلت بحيّ من كلب مجدبين ، قد توالت عليهم السنون[2] ، فماتت المواشي ، ومنعت الأرض من أخراج النبات ، وأمسكت السماء قطرها ، فجعلت أنظر إلى السّحابة ترتفع من ناحية القبلة سوداء متقاربة ، حتّى تطبّق الأرض ، فيتشوّف لها أهل الحي ويرفعون أصواتهم بالتكبير ، ثم يعدلها الله عنهم مراراً .

فلمّا كثر ذلك ، خرجت عجوز [٥٦ غ] منهم ، فعلت نشزاً من الأرض ، ثمّ نادت بأعلى صوتها : يا ذا العرش ، اصنع كيف شئت فإنّ أرزاقنا عليك .

فما نزلت من موضعها ، حتّى تغيّمت السّماء غيماً شديداً ، وأُمطروا [٤٤ ظ] مطراً كاد أن يغرقهم ، وأنا حاضر .

١ الأصمعي ، أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عليّ بن أصمع الباهلي (١٢٢ - ٢١٦) : راوية العرب ، وأحد أئمّة العلم باللّغة والأدب والشعر ، ولد وتوفّي بالبصرة (الأعلام ٤ / ٣٠٧) .

٢ السنون : ترد هنا بمعنى القحط والجدب .

١٠٥

يزيد بن أبي مسلم كاتب الحجّاج وخليفته في الظّلم والبغي

وذكر المدائني في كتابه ، قال : وجّه سليمان بن عبد الملك[١] ، حين ولي الخلافة ، محمد بن يزيد[٢] إلى العراق ، فأطلق أهل السجون ، وقسم الأموال ، وضيّق على يزيد بن أبي مسلم[٣] كاتب الحجّاج ، فظفر به يزيد بأفريقية [لما وليها][٤] في شهر رمضان عند المغرب ، وفي يده عنقود عنب .

فجعل محمد يقول : اللّهم احفظ لي إطلاقي الأسرى ، وإعطائي الفقراء .

---

١ أبو أيّوب سليمان بن عبد الملك بن مروان (٥٤ – ٩٩) : ولّي الخلافة بعد وفاة أخيه الوليد سنة ٩٦ وكان يسمّى مفتاح الخير ، إذ افتتح ولايته بخير ، ردّ المظالم ، وأطلق المسجونين ، وغزا الصائفة ، وختمها بخير ، باستخلافه عمر بن عبد العزيز ، وكان عاقلاً ، فصيحاً (الأعلام ٣ / ١٩٢ ، العقد الفريد ٤ / ٤٢٥) .

٢ محمّد بن يزيد ، مولى الأنصار : ترجمته في حاشية القصّة ١٨٢ من الكتاب .

٣ أبو العلاء يزيد بن أبي مسلم دينار الثّقفي : كان أخ الحجّاج بن يوسف الثّقفي من الرضاعة ، واستكتبه الحجّاج ، وكان يجري عليه رزقاً قدره ثلثمائة درهم في الشهر ، فكان يعطي منها خمسين درهماً لامرأته ، وينفق في ثمن اللّحم خمسة وأربعين درهماً ، وينفق باقيها في ثمن الدّقيق ، وباقي نفقاته (لطائف المعارف ٦) ولمّا هلك الحجّاج ، استخلفه على الخراج بالعراق ، ولمّا استخلف سليمان بن عبد الملك أقدمه الشام ، فلمّا مثل بين يديه ، قال له : أترى الحجّاج استقرّ في قعر جهنّم ، أم هو يهوي فيها ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، إنّ الحجّاج يأتي يوم القيامة بين أبيك وأخيك ، فضعه من النار حيث شئت ، فأمر به إلى الحبس ، فكان فيه طول ولايته (العقد الفريد ٤ / ٤٢٧) وولاية خلفه عمر بن عبد العزيز ، فلمّا ولّي يزيد بن عبد الملك ، أخرجه من السجن ، وولّاه أفريقية ، فأراد أن يسير فيهم سيرة الحجّاج في العراق ، فائتمروا به ، وقتلوه في السنة ١٠٢ ، راجع القصّة ٣٥٧ من هذا الكتاب .

٤ الزيادة من غ .

فقال له يزيد حين دنا منه : محمّد بن يزيد ؟ ما زلت أسأل الله أن يظفرني بك .

قال له : وما زلت أسأل الله ، أن يجيرني منك .

قال : والله ، ما أجارك ، ولا أعاذك منّي ، ووالله لأقتلنّك قبل أن آكل هذه الحبّة العنب ، ووالله لو رأيت ملك الموت يريد قبضَ روحكَ ، لسبقته إليها .

فأقيمت الصّلاة ، فوضع يزيد الحبّة العنب من يده ، وتقدّم ، فصلّى بهم .

وكان أهل أفريقية قد أجمعوا على قتله ، فلمّا ركع ، ضربه رجل منهم على رأسه بعمود حديد ، فقتله .

وقيل لمحمّد : اذهب حيث شِئت ، فمضى سالماً[5] .

[ذكره القاضي أبو الحسين في كتابه بغير إسناد ، ولم يعزه إلى المدائني ، وجاء به على خلاف هذا اللّفظ ، والمعنى واحد ، إلّا أنّه جعل بدلى محمّد بن يزيد ، وضّاحاً ، صاحب عمر بن عبد العزيز ، وبدلاً من سليمان بن عبد الملك ، عمر بن عبد العزيز ، ولم يذكر الدّعاء في خبره .][6] .

[ووقع إليّ هذا الخبر ، على غير هذا ، حدّثنيه علي بن أبي الطّيب ، قال : حدّثنا ابن الجرّاح ، قال : حدّثنا ابن أبي الدّنيا ، قال : حدّثنا يعقوب بن إسحاق ابن زياد[7] ، قال : حدّثنا أبو همّام الصلت بن محمّد الخاركي[8] ، قال : حدّثنا

---

٥ راجع القصّة ١٨٢ من هذا الكتاب ، والعقد الفريد ٤ / ٤٢٧ .

٦ الزيادة من غ .

٧ أبو يوسف يعقوب بن إسحاق بن زياد البصري المعروف بالقلوسي القاضي : ترجم له الخطيب في تاريخه ١٤ / ٢٨٥ وقال إنّه توفّي بنصيبين سنة ٢٧١ .

٨ أبو همّام الصلت بن محمّد بن عبد الرحمن بن ابي المغيرة الخاركي : نسبته إلى خارك ، جزيرة في وسط البحر ، بين عبادان وعمان ، راجع معجم البلدان ٢ / ٣٨٧ و ٣٨٨ واللباب ١ / ٣٣٦ ، وقد ذكره صاحب الخلاصة بالخازكي (بالزاي) ، وهو تصحيف والصحيح ما اثبتناه ، راجع الخلاصة ص ١٤٨ .

مسلمة بن علقمة[٩] ، عن داود بن أبي هند[١٠] ، قال : حدّثني محمّد بن يزيد ، قال :] [٦] إنّ سليمان بن عبد الملك ، أنفذ محمّد بن يزيد إلى ديماس الحجّاج ، وفيه يزيد الرقاشي[١١] ، ويزيد الضبيّ ، وعابدة[١٢] من أهل البصرة ، فأطلق كلّ من فيه ، غير يزيد بن أبي مسلم .

فلمّا مات سليمان ، قال محمّد : كنت مستعملاً على أفريقية ، إذ قدم يزيد بن أبي مسلم ، أميراً ، في خلافة يزيد بن عبد الملك[١٣] .

قال محمّد : فعذّبني عذاباً شديداً[١٤] ، حتّى كسر عظامي ، فأتي بي يوماً

---

٩ أبو محمّد مسلمة بن علقمة المازنيّ البصري : ترجم له صاحب الخلاصة ٣٢٢ .

١٠ أبو بكر داود بن أبي هند القشيري المصري : ترجم له صاحب الخلاصة ٩٥ وقال إنّه توفّي سنة ١٣٩ .

١١ أبو عمرو يزيد بن أبان بن عبد الله الرقاشي البصري : ترجمته في حاشية القصّة ١٣ من الكتاب .

١٢ في كتاب الفرج بعد الشدّة لابن أبي الدّنيا ص ١٥٦ ، وفي نسخة الظاهريّة (ظ) عابدة ، بالباء ، وفي بقيّة النسخ : عايدة ، بالياء .

١٣ أبو خالد يزيد بن عبد الملك بن مروان (٧١ — ١٠٥) : ولّي الحكم سنة ١٠١ بعد وفاة الخليفة الصالح عمر بن عبد العزيز (الأعلام ٩ / ٢٣٩) فعمد إلى جميع اصلاحات عمر ، فأبطلها ، وإلى جميع عمّال عمر ، فعزلهم (اليعقوبي ٢ / ٣١٠) وترك أمور الدّولة مهملة ، وتفرّغ للّهو واللّعب ، وغلبت عليه جارية اسمها : حبابة ، فكان لا يخالف لها أمراً ، حتّى إنّه نصب أميراً على العراقين بترشيح منها (الأغاني ١٥ / ١٢٨) ، وماتت حبابة ، فمات غمًّا عليها (مروج الذهب ٢ / ١٥٥) ، وفي أيّامه خرج يزيد بن المهلّب ، في آل المهلّب ، بالبصرة ، وقاتل ، حتّى قتل بالعقر ، موضع قرب كربلاء ، فقال النّاس : ضحّى بنو أميّة بالدين يوم الطفّ ، وبالكرم يوم العقر (تاريخ الخلفاء ٢٤٧ ، والأغاني ٩ / ٢٢) راجع أخبار يزيد في الأغاني ، طبعة دار الكتب ، المجلّد ١٥ ، وفي تاريخ الخلفاء ٢٤٦ و٢٤٧ ، وفي مروج الذهب ٢ / ١٥٣ — ١٥٥ ، وفي الفخري ١٣١ ، واقرأ في الأغاني ، طبعة بولاق ٢٠ / ١٠٦ و١٠٧ ما وصفه به أبو حمزة الخارجي .

١٤ في كتاب الفرج بعد الشدّة لابن أبي الدّنيا ص ١٥٦ : قال محمّد بن يزيد : بعثني سليمان بن عبد الملك إلى العراق ، إلى المسجونين من أهل الدّيماس ، الذين حبسهم الحجّاج ، فأخرجتهم ، يزيد الرقّاشي ، ويزيد الضبّي ، وعابدة من أهل البصرة ، فأخرجتهم في عمل ابن أبي مسلم ، وعنّفت ابن أبي مسلم لصنيعه ، وكسوت كلّ رجل منهم ثوبين . فلمّا مات سليمان ، ومات عمر ، كنت مستعملاً

في كساء ، أُحمل عند المغرب .

فقلت له : ارحمني .

فقال : التمس الرّحمة من عند غيري ، ولو رأيتُ ملكَ الموت عند رأسك ، لبادرته إلى نفسك ، اذهب حتّى أصبح لك .

فدعوت الله ، وقلت : أللّهم اذكر ما كان منّي في أهل الديماس ، اذكر يزيد الرقاشي ، وفلاناً ، وفلاناً ، واكفني شرّ يزيد بن أبي مسلم ، وسلّط عليه من لا يرحمه ، واجعل ذلك مِن قبل أن يرتدّ إليّ طرفي ، وجعلت أحبس طرفي رجاء الإجابة .

فدخل عليه ناس من البربر [15] ، فقتلوه ، ثمّ أطلقوني ، فقالوا لي : اذهب حيث شئت .

فقلت لهم : اذهبوا واتركوني ، فإنّي أخاف إن انصرفت ، أن يظنّ أنّ هذا من عملي .

فذهبوا ، وتركوني [16] .

[حدّثنا عليّ بن أبي الطّيب ، قال : حدّثنا ابن الجرّاح ، قال : حدّثنا ابن أبي الدّنيا ، قال : حدّثني عمر بن شبّة [17] ، قال : حدّثني محدّث [٥٧ غ]

على أفريقية ، فقدم عليّ يزيد بن أبي مسلم ، أميراً ، في عمل يزيد بن عبد الملك ، فعذّبني عذاباً شديداً ... الخ .

١٥ البربر : مجموعة قبائل استقرّت في شمالي أفريقية منذ عهد سحيق ، وكانوا يحيون حياة صحراويّة ، وقد قاوموا الفتح الإسلامي ، مقاومة ضارية ، ثم أسلموا ، وانخرطوا في عداد جند المسلمين ، وشاركوا في فتح الأندلس ، وأقاموا في المغرب دولتين عظيمتين ، دولة المرابطين ، ودولة الموحّدين ، ومن بعدهما دويلات ، وما زال البربر إلى اليوم ، العنصر الغالب في سكّان شمالي أفريقية ، ولهم لهجاتهم ، إلاّ أنّهم اندمجوا في العرب . لزيادة التّفصيل راجع الموسوعة الإسلامية ج٣ ص ٥٠١ – ٥٢٢ .

١٦ ورد هذا الخبر في مخطوطة (د) ص ١٥٦ ، وفي حلّ العقال ص ٤٠ .

١٧ أبو زيد عمر بن شبّة البصري النميري ، الحافظ الأخباري الأديب : ترجم له صاحب الخلاصة ٢٤٠ وقال إنّه توفّي سنة ٢٦٢ .

عن أميّة بن خالد[18]][19] عن وضّاح بن خيثمة[20] ، قال :

أمرني عمر بن عبد العزيز[21] بإخراج [٣٤ ر] من في السجن ، فأخرجتهم إلّا يزيد بن أبي مسلم ، فنذر دمي ، فإنّي لبإفريقية ، إذ قيل لي : قد قدم يزيد ابن أبي مسلم ، فهربت منه ، فأرسل في طلبي ، فأخذت ، وأتي بي إليه .

---

١٨ أبو عبد الله أميّة بن خالد بن الأسود القيسي البصري ، أخو هدبة : ترجمته في حاشية القصّة ٢١ من هذا الكتاب .

١٩ الزيادة من غ .

٢٠ الوضّاح بن خيثمة : ترجم له صاحب ميزان الاعتدال في نقد الرّجال ٤ / ٣٣٤ .

٢١ أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم (٦١ – ١٠١) : الخليفة الصّالح ، والملك العادل ، قالوا : إنّ عدالته جاءته من جدّه لأمّه ، عمر بن الخطاب ، ولّي الخلافة في السنة ٩٩ ، وقضى فيها سنتين وخمسة أشهر ، فملأ الدّنيا عدلاً ، وردّ المظالم ، وسنّ السنن الحسنة ، وبدأ بزوجته ، ولحمته ، وأهل بيته ، فأخذ ما بأيديهم ، وسمّى أموالهم مظالم حتّى انّه أخذ جواهر زوجته فاطمة بنت عبد الملك ابن مروان ، فوضعها في بيت مال المسلمين ، ولمّا كلّمه أهل بيته في ذلك ، قال لهم : ما أنتم ، وأقصى رجل من المسلمين عندي في هذا الأمر إلّا سواء ، وإنّ حقّكم في هذا المال ، كحقّ رجل بأقصى برك الغماد (بلد بأقصى اليمن) ، وكانت نفقته في كلّ يوم درهمين ، وكان بنو أميّة يسبّون عليّ بن أبي طالب على المنابر سنّ ذلك أوّلهم معاوية ، فأبطل السبّ (تاريخ الخلفاء ٢٢٨ – ٢٤٧ والأعلام ٥ / ٢٠٩) ولمّا احتضر اشترى موضع قبره بدير سمعان ، وقبره مشهور يزار ، ويغشاه كثير من النّاس من الحاضرة والبادية (مروج الذهب ٢ / ١٤٣) ، قال سفيان الثوري : الخلفاء خمسة ، أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعليّ ، وعمر بن عبد العزيز ، وما سواهم فهم منتزون (ابن الأثير ٥ / ٦٥) وخلفه يزيد ابن عبد الملك ، فعمد إلى جميع إصلاحاته فأبطلها دفعة واحدة ، وكتب إلى العمّال : أمّا بعد ، فإنّ عمر كان مغروراً ، غررتموه أنتم وأصحابكم ، وقد رأيت كتبكم إليه في انكسار الخراج والضريبة ، فإذا أتاكم كتابي هذا ، فدعوا ما كنتم تعرفون في عهده ، وأعيدوا النّاس إلى طبقتهم الأولى ، أخصبوا أم أجدبوا ، أحبّوا أم كرهوا ، حيوا أم ماتوا ، والسلام (العقد الفريد ٤ / ٤٤٢) ، ولم يكتف يزيد بذلك ، بل عمد إلى أصحاب عمر بن عبد العزيز ، فشرّدهم كلّ مشرّد ، حتّى إنّه أمر بنفي عراك بن مالك إلى دهلك على أن يتحمّل عراك أجور سفره وأجور سفر الحرسي الذي رافقه إلى منفاه (الأغاني ٤ / ٢٥٥) أقول : وتحمّل المنفي نفقات سفره وسفر الحرسي الذي يرافقه أمر لم يسمع بمثله في تاريخ المظـالم .

١

فقال : وضّاح ؟

قلت : وضّاح .

فقال : أما والله ، طالما سألت الله أن يمكّنني منك .

فقلت : وأنا والله لطالما سألت الله أن يعيذني منك .

فقال : والله ، ما أعاذك منّي ، ووالله ، لأقتلنّك ، ولو سابقني إليك ملك الموت ، لسبقته .

ثم استدعى بالسّيف والنطع [٢٢] ،فجيء بهما ، [وكتّفت] [٢٣] ، [١٩٠ غ] ، وأقعدت فيه ، لتضرب عنقي ، [وقام قائم على رأسي بالسّيف مشهوراً] [٢٣] ، فأقيمت الصّلاة فخرج يزيد وصلّى بهم ، فلمّا خرّ ساجداً ، أخذته سيوف الجند ، وأطلقت [٢٤] .

حدّثني محمد بن الحسن بن المظفر ، قال : أخبرني أحمد بن محمّد السّرخسي أبو بكر ، قال : أخبرنا أبو العبّاس ثعلب [٢٥] ، عن الزبير بن بكّار ، قال :

كان وضّاح حاجباً لعمر بن عبد العزيز ، فلمّا حضرت عمر الوفاة أمر بإخراج كلّ من في الحبس ، إلّا يزيد بن أبي مسلم . وذكر الحديث .

---

٢٢ النطع : قطعة من الجلد يقعد فيها من يراد قطع عنقه لكي يسيل دمه فيها فلا يلوّث البساط والفراش ، ويسمّى القتل بالسّيف : القتل صبراً ، وكان المعتاد أن يكتّف من يراد قطع عنقه ، وأن يشدّ رأسه ، وأن يرفع شعره لكيلا يحوّل دون الإجهاز عليه ، ثم يخز السّيّاف ، بذبابة سيفه ، نقطة في مؤخّر القذال ، فيمتد العنق بشعور عكسي ، فيبادر إلى توجيه الضربة القاضية ، وما يزال قطع العنق جارياً في بعض ممالك الجزيرة العربيّة .

٢٣ الزيادة من غ .

٢٤ وردت القصّة في وفيات الأعيان ٦ / ٣١١ وفي مخطوطة (د) ص ١٥٥ .

٢٥ أبو العبّاس أحمد بن يحيى بن سيّار ، المعروف بثعلب (٢٠٠ – ٢٩١) : إمام الكوفيّين في النّحو واللّغة ، كان راوية للشعر ، محدّثاً ، حجّة ، ثقة ، أصيب في آخر حياته بالصمم ، وصدمته فرس ، فمات (الأعلام ١ / ٢٥٢) .

١٠٦

عواقب مكروه الأمور خيار

[حدّثني أبو طالب عبد العزيز بن أحمد بن محمّد [بن الفضل بن أحمد ابن محمّد] بن حمّاد دنقش[1] ، مولى المنصور وصاحب حرسه ، وكان محمّد ابن حمّاد يحجب الرّشيد والمعتصم ، وأحمد بن محمّد[2] أحد القوّاد بسُرَّ من رأى مع صالح بن وصيف[3] ، وولي الشرطة بها للمهتدي[4] ، وأحمد بن محمّد بن الفضل ، يكنّى أبا عيسى[5] ، وكان أحد أمناء القضاة ببغداد ، قال : قال لي القاضي أبو القاسم عليّ بن محمّد التنوخي ، قال : حدّثني القاضي أبو جعفر أحمد بن إسحاق بن البهلول التنوخي الأنباري ، قال :][6]

---

١ أبو طالب عبد العزيز بن أحمد بن محمّد بن الفضل بن أحمد بن محمّد بن حماد دنقش : ترجم له الخطيب البغدادي في تاريخه ١٠ / ٤٦٢ ، وقال إنّه ولد ببغداد سنة ٣٠٢ ، وإنّه تقلّد القضاء برامهرمز ، أقول : جده حمّاد دنقش ، مولى المنصور وصاحب حرسه .

٢ القائد الذي كان مع صالح بن وصيف هو حمّاد بن محمّد بن حمّاد دنقش ، راجع الطبري ٩ / ٣٩٨ في أخبار السنة ٢٥٥ .

٣ صالح بن وصيف : القائد التركي ، حضر مقتل المتوكّل في السنة ٢٤٧ (الطبري ٩ / ٢٢٧) ولمّا اختلف المعتزّ والمستعين ، انحاز إلى جانب المعتزّ ، واشترك في حصار المستعين ببغداد في السّنة ٢٥١ (الطبري ٩ / ٣٤١) وقتل أبوه في السنة ٢٥٣ (الطبري ٩ / ٣٧٤) ، ولمّا قتل بغا في السنة ٢٥٤ استولى على مقدّرات الدّولة (الطبري ٩ / ٣٨١) ، فخلع المعتزّ وقتله (الطبري ٩ / ٣٨٩ و٣٩٠) وقتل قوماً من كبار الكتّاب (الطبري ٩ / ٣٨٧) ولمّا قدم موسى بن بغا إلى سامرا استتر صالح (الطبري ٩ / ٤٣٨) وانكشف أمره فقتل في السنة ٢٥٦ (الطبري ٩ / ٤٥٤) .

٤ أبو عبد الله محمّد المهتدي بن الواثق هارون (٢٢٢ - ٢٥٦) : بويع له بعد خلع المعتزّ في السنة ٢٥٥ ، وانتقض عليه الأتراك ، فقاتلهم ، فقتل ، وكان حميد السيرة ، شجاعاً (الأعلام ٧ / ٣٥٢) .

٥ أبو عيسى أحمد بن محمّد بن الفضل ، والد أبي طالب عبد العزيز الدنقشي راوي القصّة .

٦ الزيادة من غ .

حدّثني [٤٤ م] أبو عبد الله بن أبي عوف البزوري[٧] ، قال : دخلت على أبي العبّاس بن ثوابة[٨] ، وكان محبوساً ، فقال لي : احفظ عنّي .

قلت : نعم .

فقال :

عواقب مكروه الأمور خيار   وأيّام سوء لا تدوم قصار
وليس بباق بؤسها ونعيمها   إذا كرّ ليل ثمّ كرّ نهار

قال : فلم تمضِ إلّا أيّام يسيرة ، حتّى أطلق من حبسه .

وقد ذكر أبو الحسين القاضي ، في كتابه ، هذين البيتين ، بغير إسناد ، ولم يذكر القصّة ، ولا سبب الشّعر .

---

٧ أبو عبد الله أحمد بن عبد الرّحمن بن مرزوق بن عطية ، المعروف بابن أبي عوف البزوري : النسبة إلى بيع البزور للبقول وغيرها ، إليه ينسب شارع بن أبي عوف ، المسلوك إلى نهر القلّائين . كان عفيفاً ثبتاً ، له حال من الدنيا واسعة ، وله منزلة من السلطان ، واختصاص بالوزير عبيد الله بن سليمان ، ومودّة في نفس العوّام ، توفّي سنة ٢٩٧ (اللباب ١ / ١٢٠ والمنتظم ٦ / ٩٠ ، راجع أخبار ابن أبي عوف ، في كتاب نشوار المحاضرة ، في القصص المرقمات ١ / ٣٢ و٢ / ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ و٣ / ٤٧ ، ٥٦ .

٨ أبو العبّاس أحمد بن محمّد بن ثوابة : من كبار الكتّاب في العهد العبّاسي ، نقل عنه صاحب الفهرست ص ١٠ و١٣٤ أخباراً عن الخطّ والخطّاطين ، وترجم له في الصفحة ١٤٣ و١٤٤ ، وقال عنه إنّه كان من الثقلاء البغضاء وإنّه توفّي سنة ٢٧٧ ، راجع في كتاب الوزراء ص ٢٧٨ قصّة نزاعه مع أبي العبّاس بن الفرات .

١٠٧

لا تيأس فإنّ اليأس كفر

[حدّثني أحمد بن عبد الله بن أحمد الورّاق ، قال : حدّثني أبو بكر محمّد بن عبد الله العلّاف ، المعروف بالمستعيني[١] ، قال : حدّثنا عبد الله بن أبي سعد[٢] ، قال : حدّثني محمّد بن الحسين الأنصاري ، قال : حدّثني إبراهيم ابن مسعود ، عن بعض تجّار المدينة ، قال :][٣]

كنت أختلف إلى جعفر بن محمّد[٤] ، وكنت له خليطاً ، وكان يعرفني بحسن حال ، [فتغيّرت حالي ، فأتيته][٣] ، فجعلت أشكو إليه ، فأنشأ يقول :

فلا تجـزع وإن أعسرت يومـاً ... فقد أيسرت في الزّمن الطّويل [٤٥ ظ]

قال : فخرجت من عنده ، وأنا أغنى النّاس[٥] .

[حدّثني أحمد بن عبد الله بن أحمد الورّاق ، قال : حدّثنا أبو الفضل أحمد بن سليمان القاضي ، قال : حدّثنا طاهر بن يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبد الله بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السّلام ، قال : حدّثني أبي ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن علي بن جعفر بن محمّد ، قال :

---

١ أبو بكر محمّد بن عبد الله بن الحسين العلّاف المعروف بالمستعيني : ترجم له الخطيب في تاريخه ٥ / ٤٤٧ وقال إنّه توفّي سنة ٣٢٥ .

٢ أبو محمّد عبد الله بن أبي سعد عمرو بن عبد الرّحمن بن بشر بن هلال الأنصاري الورّاق : (١٩٧ - ٢٧٤) ترجم له الخطيب في تاريخه ١٠ / ٢٥ و٢٦ .

٣ الزيادة من غ .

٤ أبو عبد الله الإمام جعفر الصّادق بن أبي جعفر الإمام محمّد الباقر (٨٠ - ١٤٨) : ترجمته في حاشية القصّة ١١٥ من الكتاب .

٥ فيها اختلاف في الألفاظ بين النسخ ، ووردت في مخطوطة (د) ص ١٥٤ .

جاء رجل إلى جعفر بن محمّد ، فشكا إليه الإضاقة ، فأنشده جعفر بن محمّد:

فلا تجزع إذا أعسرتَ يوماً فكم أرضاك باليسر الطّويل[6] [٥٨ غ]
ولا تيأس فإنّ اليأس كفر لعلّ الله يغني عن قليل
ولا تظنن بربّك غير خير فإنّ الله أولى بالجميل

قال الرّجل : فذهب عنّي ما كنت أجد .

وروى القاضي أبو الحسين في كتابه « كتاب الفرج بعد الشدّة » هذا الشعر بغير خبر ، ولا إسناد ، ونسبه إلى الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السّلام ، وروى البيت الأوّل كما رواه ابن أبي سعد في الخبر الّذي رويت قبل هذا ، وقال بعده :

فإنّ العسر يتبعه يسارٌ وقيل الله أصدق كلّ قيل

ثمّ جاء بالبيتين الثّاني والثالث ، كما جاءا في هذين الخبرين ، وزاد بعد ذلك بيتاً خامساً ، وهو :

ولو أنّ العقول تسوق رزقاً لكان المال عند ذوي العقول][7]

٦ في غ : فقد أيسرت في الدّهر الطويل .

٧ الزيادة من غ .

١٠٨

عبيد الله بن زياد يشتم رجلاً من القرّاء ويتهدّده

[وذكر القاضي أبو الحسين ، في كتابه : أنّ المدائني روى عن محمّد بن الزّبير التميمي] ، أنّ عبيد الله بن زياد ، أتي برجل من القرّاء[1] فشتمه ، وقال له : أحروريّ أنت[2] ؟ .

فقال الرّجل : لا والله ، ما أنا بحروريّ .

فقال : والله ، لأفعلنّ بك ، ولأصنعنّ ، انطلقوا به إلى السّجن ، فانطلقوا به .

فسمعه ابن زياد يهمهم ، فردّه ، وقال له : ما قلت ؟

فقال : عنّ لي بيتان من الشعر قلتهما .

فقال : إنّك لفارغ القلب ، أنت قلتهما ، أم شيء سمعته ؟

قال : بل قلتهما ، وهما :

عسى فرج يأتي به الله إنّه ... له كلّ يوم في خليقته أمر
إذا اشتدّ عسرٌ فارج يسراً فإنّه ... قضى الله أنّ العسر يتبعه يسر

فسكت ابن زياد ساعة ، ثم قال : قد أتاك الفرج ، خلّوا سبيله .

---

١ أقرأ الرجل ، وتقرّأ : تنسّك ، والقارئ : النّاسك المتعبّد ، جمعه : قرّاء ، وقارئون ، وقرأة .

٢ الحروري : الخارجي ، والحرورية : أقدم الخوارج ، سمّوا بهذا الاسم لأنّهم اجتمعوا بحروراء من ناحية الكوفة ، وخرجوا على أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام في حرب صفّين ، لمّا رفع معاوية المصاحف وطلب التّحكيم ، فألجأوا أمير المؤمنين إلى الكفّ عن المناجزة ، ثمّ نكصوا ونادوا بشعار : لا حكم إلاّ لله ، راجع حاشية القصّة ٨٨ من الكتاب ، ولزيادة التفاصيل فيما يتعلّق بالخوارج راجع كتاب الملل والنحل للشهرستاني ١/١٥٥ – ١٩٥ ، وتاريخ ابن خلدون ٣/١٤١ – ١٧٠

[أخبرني محمّد بن الحسن بن المظفر ، قال : أخبرنا محمد بن عبد الواحد ، قال : أخبرني عليّ بن دبيس الكاتب ، عن أحمد بن الحارث الخرّاز[3] ، عن علي بن محمّد المدائني ، عن محمّد بن الزّبير التميمي ، فذكر نحوه][4] .

---

٣ أبو جعفر أحمد بن الحارث بن المبارك الخرّاز : ترجم له الخطيب في تاريخه ٤ / ١٢٢ و١٢٣ وقال إنّه توفّي سنة ٢٥٨ ببغداد .

٤ الزيادة من غ .

١٠٩

عليّ بن يزيد كاتب العبّاس بن المأمون يتحدّث عن أيام فاقته

وذكر القاضي أبو الحسين في كتابه ، قال : حدّثني أبي ، قال : حدّثني أبو يوسف يعقوب بن بيان ، قال : حدّثني عليّ بن الحسين بن محمّد بن موسى ابن الفرات ، قال :][1] .

كنتُ أتولّى ماسبذان[2] ، وكان صاحب البريد[3] بها عليّ بن يزيد ، وكان قديماً يكتب للعبّاس بن المأمون[4] ، فحدّثني : أنّ العبّاس غضب عليه وأخذ جميع ما كان يملكه ، حتّى إنّه [٥٩ غ] بقي بسرّ من رأى لا يملك شيئاً ، إلّا برذونه[5] ، بسرجه[6] ولجامه[7] ، ومبطّنة[8] ، وطيلساناً[9] ، وقميصاً[10] ، وشاشيّة[11] ، وأنّه كان يركب في أوّل النّهار ، فيلقى من يريد لقاءه ، ثم ينصرف ، فيبعث

---

١ الزيادة من غ .

٢ ماسبذان : كورة تشتمل على عدّة مدن ، على يمين المسافر من حلوان إلى همذان ، راجع معجم البلدان ٤ / ٣٩٣ .

٣ صاحب البريد : راجع التفصيل في آخر القصّة .

٤ العبّاس بن المأمون : ترجمته في حاشية القصّة ٣٤٩ من هذا الكتاب .

٥ البرذون : راجع حاشية القصّة ٢٣٧ من هذا الكتاب .

٦ السرج : الرحل الّذي يوضع فوق ظهر الدابّة ، وغلب استعماله للخيل .

٧ اللّجام : قطعة من الحديد ، توضع في فم الفرس ، لها حكمتان وعذاران وسير .

٨ المبطّنة : ثوب ذو بطانة ، يلبس فوق القميص ، تحت الدرّاعة .

٩ الطيلسان : راجع حاشية القصّة ١٦٣ من هذا الكتاب .

١٠ القميص : ما يلبس على الجلد .

١١ الشاشيّة : راجع حاشية القصّة ٣٢٦ من هذا الكتاب .

ببرذونه إلى الكراء ، فيكسب عليه ما يعلفه ، وما ينفقه هو وغلامه .

فاتّفق في بعض الأيّام أنّ الدابّة لم تكسب شيئاً ، فبات هو وغلامه طاويين [12] ، قال : ونالنا من الغد مثل ذلك .

فقال غلامي : يا مولاي ، نحن نصبرِ ، ولكن الشأن في الدابّة ، فإنّي أخاف أن تعطب .

قلت : فأيّ شيء أعمل ؟ ليس إلا السّرج ، واللّجام ، وثيابي ، وإن بعت من ذلك شيئاً ، تعطّلتُ عن الحركة ، وطلب التصرّف .

قال : فانظر في أمرك .

فنظرتُ ، فإذا بحصيري [٣٥ ر] خلَق ، ومخدّتي لبنة مغشّاة بخرقة ، أدعها تحت رأسي ، ومطهرة خزف للطهور ، فلم أجد غير منديل دبيقيّ [13] خلَق ، قد بقي منه الرّسم .

فقلت للغلام : خذ هذا المنديل ، فبعه ، واشتر علفاً للدابّة [14] ، ولحماً بدرهم ، واشوِه ، وجئ به ، فقد قرمت إلى أكل اللحم [15] .

فأخذ المنديل ، ومضى ، وبقيت في الدّار وحدي ، وفيها شاهمرج [16] قد جاع لجوعنا ، فلم أشعر إلّا بعصفور قد سقط في المطهرة الّتي فيها الماء للطهور ، عطشاً ، [فشرب ، فنهض إليه الشاهمرج ، فناهضه ، فلضعفه ما قصر عنه ،

---

١٢ الطوى ، بالفتح : الجوع .

١٣ دبيق : بليدة بمصر بين الفرما وتنيس ، تنسب إليها الثياب الدبيقيّة (معجم البلدان ٢ / ٥٤٨) .

١٤ في م : واشتر عليقاً للدابّة ، والعليق والعلف ، بمعنى واحد ، وهو ما تطعمه الدواب .

١٥ قرم إلى اللحم : اشتدّت شهوته له .

١٦ شاهمرج : معرب : شاه مرغ ، ومعناه ملك الطير ، طائر طويل الساقين يأكل الحيّات ، والحشرات ، والجيف (الحيوان للجاحظ ١ / ٢٨ و٣ / ٣٣٦ و٤ / ١٦٦ و٣٠١ و٦ / ٣٧٤ والمخصّص لابن سيده ٨ / ١٥٣) .

وطار العصفور ، ووقف الشاهمرج ، فعاد العصفور إلى المطهرة ، فبادره الشاهمرج][17] فأخذه بحميّة ، فابتلعه . فلمّا صار في حوصلته ، عاد إلى المطهرة ، فتغسّل ، ونشر جناحيه وصاح ، فبكيت ، ورفعت رأسي إلى السّماء ، وقلت : أللهمّ ، كما فرّجت عن هذا الشّاهمرج ، فرّج عنّا ، وارزقنا من حيث لا نحتسب .

فما رددت طرفي ، حتّى دقّ بابي ، فقلت : من أنت ؟

قال : أنا إبراهيم بن يوحنّا ، وكيل العبّاس بن المأمون .

فقلت : ادخل ، فدخل [٤٥ م] ، فلمّا نظر إلى صورتي ، قال : ما لي أراك على هذه الصّورة ، فكتمته خبري .

فقال لي : الأمير يقرأ عليك السّلام ، وقد اصطبح اليوم ، وذكرك وقد أمر لك بخسمائة دينار ، وأخرج الكيس فوضعه بين يديّ .

فحمدت الله تعالى ، ودعوت للعبّاس[18] ، ثمّ شرحت له قصّتي ، وأطفته في داري وبيوتي ، وحدّثته بحديث الدابّة ، وما تقاسيه من الضرّ ، والمنديل ، والشاهمرج ، والدعاء ، فتوجّع لي ، وانصرف .

ولم يلبث أن عاد ، فقال لي : صرتُ الى الأمير ، وحدّثته بحديثك كلّه ، فاغتمّ لذلك ، وأمر لك بخمسمائة دينار أخرى ، قال : تأثّث بتلك ، وأنفق [٤٦ ظ] هذه ، إلى أن يفرج الله .

وعاد غلامي ، وقد باع المنديل ، واشترى منه ما أردته ، فأريته الدنانير ، وحدّثته الحديث ، ففرح حتّى كاد أن تنشقّ مرارته .

وما زال صنع الله يتعاهدنا[19] .

---

١٧ الزيادة من غ .

١٨ في م : ودعوت للأمير .

١٩ وردت في حل العقال ص ٣٩ .

صاحب البريد

اختلف المؤرخون في أصل كلمة البريد ، فقيل إنّ أصلها فارسي من : برّيدن ، أي العبور (المعجم الذّهبي ، فارسي – عربي) ، وقيل ، من : بريده دم ، أي محذوف الذنب ، لأنّ دواب البريد كانت كذلك (شفاء الغليل ٣٩) وقيل من : بردن ، أي نقل وحمل (الألفاظ الفارسيّة المعرّبة ١٨) ،وقيل :إنّ أصلها لاتيني ، من Veredus ، ومعناها : دابة البريد ، ثمّ صرفت إلى ناقل البريد ، ثم أطلقت بعد ذلك على نظام البريد (دائرة المعارف الإسلاميّة ٣ / ٦٠٩ ، والألفاظ الفارسيّة المعرّبة ١٨) .

والبريد : ولاية جليلة خطيرة ، ومتقلّدها يحتاج إلى جماعة كثيرة ، وإلى مواد غزيرة ، ومن جملة أعماله حفظ الطريق ، وبذرقتها ، وصيانتها من القطّاع والسرّاق ، وطروق الأعداء ، وانسلال الجواسيس في البرّ والبحر ، وإليه ترد كتب أصحاب الثغور ، وولاة الأطراف ، وهو يوصلها بأسرع ما يمكن من اختصار الطرق ، واختيار المراكب والراكب (آثار الدول ٨٥) ، وأصحاب البريد للملوك ، بمنزلة العيون الباصرة ، والآذان السامعة ، فإن أهمل الملك ذلك ، ولم يكشف له حال أوليائه وأعدائه ، انطوت عنه الأخبار ، ولم تستقم له السياسة ، بل لا يحسّ بالشرّ حتّى يقع فيه (آثار الدول ٨٣) .

وأوّل من وضع البريد ، معاوية بن أبي سفيان (الفخري ١٠٦) ولم يكن البريد ، عندئذ ، مثل ما نعرفه الآن في نقل الرسائل ، وإنّما كان مقصوراً على نقل ما يهمّ الدّولة ورجالها ، كما كان صاحب البريد ، في كلّ كورة ، بمثابة عين للخليفة يكتب إليه بكلّ ما يقع عليه بصره ، أو يصل إلى أذنه من أخبار (تاريخ بغداد لابن طيفور ٦٤) .

وقال المنصور يوماً : ما كان أحوجني إلى أن يكون على بابي أربعة نفر ، لا يكون على بابي أعفّ منهم ، وهم أركان الملك لا يصلح إلاّ بهم ، أوّلهم : قاض لا تأخذه في الله لومة لائم ، وثانيهم : صاحب شرطة ينصف الضعيف من القوي ، وثالثهم : صاحب خراج يستقصي لي ، ولا يظلم الرعيّة ، أمّا الرابع : فصاحب بريد يكتب بخبر هؤلاء ، على وجه الصحّة (لطف التدبير ١٣ ، ابن الأثير ٦ / ٢٦ ، الطبري ٨ / ٦٦) .

ومن مشاهير من ولّي البريد ، أبو تمام حبيب بن أوس الطّائي ، الشّاعر المشهور ، فإنّ الحسن بن وهب ولاّه بريد الموصل ، فأقام بها أقلّ من سنتين ، ومات سنة ٢٣١ فبنى على قبره أبو نهشل بن حُمَيد الطوسي قبّة (وفيات الأعيان ٢ / ١٥ – ١٧) ، وأحسب أنّ ذلك جزاء رثائه محمّد بن حميد الطّوسي بقصيدته العجيبة ، الّتي مطلعها :

كذا فليجلّ الخطب وليفدح الأمر　　فليس لعينٍ لم يفض ماؤها عذر

وكذلك مسلم بن الوليد الأنصاري الشاعر ، ولاّه الفضل بن سهل بريد جرجان (القصّة ٢٧٦ من هذا الكتاب) وعليّ بن بسّام ، ولاّه القاسم بن عبيد الله البريد بجند قنسرين (مروج الذهب ٢ / ٥٤٦) وابن خرداذبه ، ولاّه المعتمد العبّاسي البريد والخبر بنواحي الجبل (الأعلام ٤ / ٣٤٣) وكان أوّل أمر ابن عبدكان ، شيخ الكتّاب بمصر ، أنّه ولي البريد بدمشق وحمص ، ثم كتب للطولونية بمصر ، وتوفي سنة ٢٧٠ (الوافي بالوفيات ٣ / ٣١٥ والأعلام ٧ / ٩٥) ، وأبو محمّد عبد الرزّاق بن الحسن الشاعر المعروف بابن أبي الثياب ، ولّي البريد ببخارى (أخلاق الوزيرين ٢٤٧ و٣٤٨ و٤٢٥) .

ولا ينبغي أن تكون بين صاحب البريد ، وبين الملك ، واسطة ، كما أنّه ليس لأحد من الولاة ، أو العمّال ، أو القادة ، على صاحب البريد حكم ، ولا سلطة ، ورسائله ترد إلى الحضرة بأعجل السبل ، وليس لأحد أن يفتحها ، أو أن يؤخّرها ، أو أن يتعرّض لها بكلّ وسيلة .

وللبريد ، في الحضرة ، ديوان خاص ، يليه الثقة المؤتمن ، يجمع صاحبه جميع الرسائل الّتي ترد من الأطراف ، ويطالع بها فور وصولها .

والمقتضي أن يكون صاحب البريد مطّلعاً على جميع الأخبار ، في جميع الجهات ، بحيث لا تخفى عليه خافية ، قال الشاعر يهجو صاحب ديوان البريد [ديوان البحتري ٧٩٢] :

دهتك بعلة الحمّام خَود　　ومالت في الطريق : إلى سعيد
أرى أخبار بيتك عنك تخفى　　فكيف وليت ديوان البريد

١١٠

ويوم الوشاح من تعاجيب ربّنا

قال المدائني في كتابه ، وجاء به القاضي أبو الحسين في كتابه عن المدائني بغير إسناد ، واللفظان متقاربان :

إنّ أعرابيّة كانت تخدم نساء النّبي صلّى الله عليه وسلّم ، وكانت كثيراً ما تتمثّل :

ويوم الوشاح من تعاجيب[1] ربّنا ألا أنّه من ظلمة الكفر نجّاني

فقيل لها : إنّك تكثرين من التمثّل بهذا البيت ، وإنّا نظنّه لأمرٍ ، فما هو ؟

قالت : أجل ، كنت [٦٠ غ] عسيفة على قوم بالباديَة .

قال مؤلّف هذا الكتاب : العسيف : الأجير .

فوضعَتْ جارية منهم وشاحاً ، فمرّت عقاب ، فاختطفته ونحن لا ندري ، ففقدنه ، وقلن أين هو ؟ أنت صاحبته ، فحلفتُ ، واعتذرتُ ، فأبين قبول قولي وعذري ، واستعدين بالرّجال ، فجاءوا ففتّشوني ، فلم يجدوا شيئاً .

فقال بعضهم : احتملته في فرجها .

فأرادوا أن يفتّشوا فرجي ، فما ظنّكم بامرأة تخاف ذلك .

فلمّا خفت الشرّ[2] ، رفعت رأسي إلى السّماء فقلت : يا ربّاه ، أغثني ، فمرّت العقاب فطرحته بيننا ، فندموا ، وقالوا : ظلمنا المسكينة ، وجعلوا يعتذرون إليّ ، فما وقعت في كربة إلّا ذكرت ذلك ، وهو يوم الوشاح ، فرجوت الفرج .

حدّثنا عليّ بن أبي الطّيب ، قال : حدّثنا ابن الجرّاح ، قال : حدّثنا ابن

---

١ التّعاجيب : العجائب ، ولا مفرد لها .

٢ في م : فلمّا أيقنت بالشرّ .

أبي الدّنيا ، قال : حدّثني محمّد بن الحجّاج الضبّي ، قال : حدّثنا أبو معاوية ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : كانت امرأة تغشانا ، تتمثّل بهذا البيت :

ويوم السّخاب من تعاجيب ربّنا ۝ على أنّه من ظلمة الكفر نجّاني

فقالت لها أمّ سلمة : وذكر نحو ذلك .. إلّا أنّه قال فيه : فقالت عجوز منهنّ لارعة لها فتّشوا مالها ، أي فرجها[3] ، فأشرفتُ على الفضيحة ، فرفعت رأسي إلى السّماء ، فقلت : يا غياث المستغيثين ، فما أتممتها ، حتّى جاء غراب

---

٣ المال : في الأصل ، ما يملكه الإنسان من الأشياء (لسان العرب) وسمّي : مالاً ، لميل الإنسان إليه ، وكان يطلق على الذهب والفضّة ، ثم أطلق على كلّ ما يقتني ويملك من الأعيان ، والمال عند العرب : الماشية (التلخيص لأبي هلال العسكري ١ / ٣٢٠) وتسمّى الضياع أيضاً : مالاً ، يقال : خرج إلى ماله ، أي إلى ضياعه أو إبله (أساس البلاغة للزمخشري ٢ / ٤٠٦) ، أمّا في بغداد وما يجاورها ، فإنّ كلمة : المال ، تقوم مقام كلمة : الهن ، أي إنّها كناية عن عضو التناسل سواء عند المرأة أو الرجل أو الحيوان ، قال أحد الشعراء العراقيّين :

ظبيةٌ من آل مالك ۝ أوقعتني في المهالك
قلت بالله أرحميني ۝ وضعي مالي بمالك

لاحظ : أنّ كاف المؤنّث تلفظ في بغداد ، وما جاورها شيناً مشبعاً ، كأنّها الجيم الفارسيّة ، وهو ما يسمّى : كشكشة تميم (راجع محاضرات الأدباء ١ / ٦٣) ونسبها صاحب العقد الفريد إلى تغلب ، وسمّاها : شنشنة تغلب (العقد الفريد ٢ / ٤٧٧) وكان أحد شعراء الحلّة ، يبيع جلال الدوابّ ، جاءته أعرابيّة عجوز ، وغافلته ، وسرقت مخيطه ، فقال :

ربّ عجوز سرقت مخيطي ۝ وانصرفت تسحب أذيالها
ماذا تراها قد أرادت به ۝ لعلّها خاطت به مالها

ولذلك ، فإنّ عرب العراق ، لا يسمّون الماشية والإبل : مالاً ، وإنّما يسمّونها : حلالاً .

فرمى السخاب[4] بيننا ، فلو رأيتهم يا أمّ المؤمنين وهم حواليّ ، يقولون : اجعلينا في حلّ ، فنظمت ذلك في بيت ، فأنا أنشده لئلّا أنسى النّعمة ، فأترك شكرها[5] .

---

٤ السخاب ، بكسر السين ، وجمعه سخب ، بضم السين والخاء : القلادة من القرنفل ، قال الشاعر :

وإنّا لنلهو بالسيوف كما لهت فتاة بعقد أو سخاب قرنفل

٥ ورد هذا الخبر في مخطوطة (د) ص ١٦٠ .

١١١

بين يحيي البرمكي والفضل بن الرّبيع

ذكر القاضي أبو الحسين في كتابه ، قال : حدّثني أبو الحسن محمّد بن عبد الله بن الحسين بن سعد ، عن أبيه عبد الله بن الحسين ، قال : حدّثني الحسين ابن نمير الخزاعي ، قال :

صار الفضل بن الرّبيع[١] إلى الفضل بن يحيى بن خالد البرمكي[٢] في حاجة

---

١ أبو العبّاس الفضل بن الربيع بن يونس (١٣٨ – ٢٠٨) : كان يخلف أباه الرّبيع في حجابة المنصور ، وخدم الرشيد ، وأغراه بالبرامكة حتّى نكبهم ، واستوزره من بعدهم ، ولمّا ولي الأمين أقرّه على وزارته . فأغراه بأخيه المأمون ، وأشعل الفتنة بينهما ، ولمّا ظفر المأمون استتر الفضل ، ثمّ عفا عنه المأمون ، وأهمله بقيّة حياته ، ومات بطوس (الأعلام ٥ / ٣٥٣ ، وفيات الأعيان ٤ / ٣٧ – ٤٠ والبدء والتاريخ للمقدسي ٦ / ١٠٧ ، والفخري ١٧٧ ، وراجع كذلك البصائر والذخائر م٢ ق٢ ص ٧٣١) ، ولم يكن الفضل ، ولا أبوه من قبله ، متّصفين بصفة من صفات الفضل ، من شجاعة أو سماحة ، فكانا يحسدان ذوي الفضل من رجال الدّولة ، ويدسّان لهم عند الخلفاء ، فقد دسّ الربيع على وزير المهديّ ، حتّى عزل ، ودسّ الفضل على البرامكة ، حتّى أجتيحوا ، ولم يخفّف استئصالهم من حقده عليهم ، فكان إذا ذكر أحد من البرامكة أمامه بخير ، تغيّر لونه ، وظهرت الكراهية في وجهه (الأغاني ٤ / ٨٩) ودخل ابن مناذر الشاعر على الرّشيد ، فبدره الفضل ، قبل أن يتكلّم ، فقال : يا أمير المؤمنين ، هذا شاعر البرامكة ، ومادحهم ، فأمر به الرشيد ، فلطم وجهه ، وسحب حتّى أخرج (الأغاني ١٨ / ٢٠١) راجع العقد الفريد ٤ / ٢١٤ والطبري ٨ / ٣١٠ – ٣١٢ .

٢ الفضل بن يحيى بن خالد البرمكي (١٤٧ – ١٩٣) : وزير الرّشيد العبّاسي ، وأخوه في الرضاع ، كان من أجود النّاس ، استوزره الرّشيد مدّة قصيرة ، ثم ولّاه خراسان سنة ١٧٨ فأحسن السيرة فيها ، وكان ببغداد لمّا فتك الرشيد بالبرامكة سنة ١٨٧ فقبض عليه وعلى أبيه يحيى ، وسجنهما في الرقّة ، واستصفى أموالهما وأموال البرامكة كافّة ، وتوفّي الفضل في السجن ، قال ابن الأثير : كان الفضل من محاسن الدّنيا ، لم ير في العالم مثله (الأعلام ٥ / ٣٥٨) وكان الفضل لا يشرب الخمر ، وعتب عليه الرّشيد ، وثقل عليه مكانه لتركه الشرب معه ، وكان الفضل يقول : لو علمت أنّ الماء ينقص من مروءتي ما شربته (الطبري ٨ / ٢٩٣) .

له ، فلم يرفع له رأساً ، ولا قضى حاجته ، فقام مغضباً ، فلم يدع بدابّته ، ولا اكترث له ، ثم أتبعه رجلاً ، فقال : انظر ما يقول ، فإنّ الرّجل ينبئ عما في نفسه في ثلاثة مواضع [٦١ غ] إذا اضطجع على فراشه ، وإذا خلا بعرسه[٣] ، وإذا استوى على سرجه ، قال الرّجل : فاتّبعته ، فلمّا استوى على سرجه ، عضّ على شفتيه ، وقال :

عسى وعسى يثني الزّمان[٤] عنانه بدور زمان والزّمان يدور [٣٦ ر]
فيعقب روعات سروراً وغبطة وتحدث من بعد الأمـور أمـور

فلم يكن بين ذلك ، وبين أن سخط الرّشيد على البرامكة ، واستوزر الفضل بن الرّبيع ، إلّا أيّاماً يسيرة .

وحدّثني بهذا الخبر ، أبي ، على مثل هذا الإسناد ، ولم أحفظه ، لأنّي لم أكتبه عنه في الحال ، فقال في البيت الأوّل :

عسى وعسى يثني الزّمان عنانه بعثرة دهـر والزّمـان عثـور

وقال في البيت الثّاني :

فتدرك حاجات وتقضى مـآرب وتحدث من بعد الأمور أمور

وزاد فيه أنّ [الفضل بن] يحيى بن خالد ردّه فقضى حوائجه .

وأخبرنيه محمّد بن الحسن بن المظفّر ، قال : حدّثني أبو بكر الصولي ، عن ميمون بن هارون قال : حدّثني الحسين بن نمير الخزاعي ، وذكره ، وقد دخل فيما أجازه لي الصولي .

وقرئ على أبي بكر الصولي بالبصرة ، في كتابه « كتاب الوزراء » بسنة خمس

---

٣ في م : إذا خلا بنفسه .

٤ في م : يثني القضاء .

وثلاثين وثلثمائة ، وأنا حاضر أسمع ، قال : حدّثنا أحمد بن يزيد بن محمد ، يعني المهلّبي ، قال : حدّثني أبي ، عن إسحاق ، قال :

دخل الفضل بن الرّبيع على يحيي بن خالد ، فلم يوسّع له ، ولا هشّ به ، ثم قال : ما جاء بك يا أبا العبّاس ؟

قال : رقاع معي . فردّه عن جميعها ، فوثب الفضل وهو يقول :

عسى وعسى يثني الزّمان عنانه بعثرة دهر والزّمان عثور
فتدرك آمال وتحوى رغائب وتحدث من بعد الأمور أمور

فردّه يحيي ، ووقّع° له بجميع ما أراد .

° التوقيع في الكتاب : إلحاق شيء فيه بعد الفراغ منه ، ويراد به التعليق الذي يعلّق به من رفع إليه الكتاب ؛ سواء كان بالتأييد أو الردّ ، وكلمة (التوقيع) الآن ، تعني ما يثبته الكاتب في ذيل ما كتب ، إشارة إلى اسمه ، ويسمّى كذلك : الإمضاء .

١١٢

دعاء للشّفاء من العلل

وأخبرني علي بن عبد الله الورّاق ، المعروف بابن أبي لؤلؤ ، قال : حدّثنا محمّد بن جرير الطّبري ، قال : حدّثنا يونس بن عبد الأعلى ، قال : حدّثنا ابن وهب ، قال : أخبرني سعيد بن أبي أيوب ، عن عبد الرّحمن بن علي ، عن عبد الله بن جعفر :

أنّ رجلاً أصابه مرض شديد ، منعه من الطّعام والشّراب والنوم [٦٢ غ] ، فبينا هو ذات ليلة ساهراً ، إذ سمع وجبة شديدة[١] في حجرته ، فإذا هو كلام ، فوعاه ، فتكلّم به ، فبرأ مكانه ، وهو : أللهمّ أنا عبدك ، وبك أملي ، فاجعل الشّفاء في جسدي ، واليقين في قلبي ، والنور في بصري ، والشّكر في صدري ، وذكرك باللّيل والنّهار – ما بقيت – على لساني ، وارزقني منك ، رزقاً غير محظور ولا ممنوع .

---

١ الوجبة ، وجمعها وَجَبَات : السقطة مع الهدّة ، أو صوت السّاقط .

البَابُ الرَّابع

من استعطف غضب السلطان بصادق لفظ
واستوقف مكروهه بموقظ بيان أو وعظ

١١٣

بين المأمون وعمرو بن مسعدة

قُرئ على أبي بكر محمد بن يحيي الصولي [بالبصرة][١] ، وأنا حاضر أسمع ، [في كتابه الوزراء][١] [سنة خمس وثلاثين وثلثمائة][٢] ، قال : حدّثني عليّ ابن محمّد النوفليّ :

أنّ المأمون ذكر عمرو بن مسعدة[٣] ، فاستبطأه في أشياء ، [وقال : أيحسب عمرو أنّي لا أعرف أخباره ، وما يجي إليه ، وما يعامل به الناس ، بلى والله ، ثم يظنّ أنّه لا يسقط عليّ منه شيء ؟][٤] ، وكان أحمد بن أبي خالد حاضراً لذلك ، فمضى إلى [٤٦ م] عمرو ، فأخبره بما قال المأمون .

فنهض من ساعته ، ودخل إلى المأمون ، فرمى بسيفه ، وقال : أنا عائذ بالله من سخط أمير المؤمنين[٥] ، وأنا أقلّ من أن يشكوني إلى أحد ، أو يسرّ عليّ ضغناً

---

١ الزيادة من غ .

٢ الزيادة من م .

٣ أبو الفضل عمرو بن مسعدة بن سعد الصوليّ : وزير المأمون ، كاتب بليغ ، كان يوقّع بين يدي جعفر البرمكيّ في أيّام الرشيد ، واتّصل بالمأمون فرفع مكانته ، وكان جواداً ممدّحاً ، فاضلاً ، نبيلاً ، توفّي في أطنه سنة ٢١٧ (الأعلام ٥ / ٢٦٠) .

٤ الزيادة من تاريخ بغداد لابن طيفور ص ١١٩ .

٥ في م : من غضب أمير المؤمنين .

يظهر منه بكلامه ما ظهر .

فقال له [المأمون : وما ذاك ؟ فأخبره بما بلغه .

فقال :][1] لم يكن الأمر كذلك ، وإنّما جرى معْنًى أوجب ذكر ما ذكرتُ ، فقدّمته قبل أن أخبرك به ، وكان ذلك عزمي ، وما لك عندي إلّا ما تحبّ ، فليفرخ روعك ، وليحسن ظنُّك ، وسكَّن منه حتى شكره ، وجعل ماء الحياة يدور في وجهه .

فلمّا دخل أحمد بن أبي خالد إلى المأمون ، قال له : أشكو إليك من بحضرتي من خدمي وأهلي ، أما لمجلسي حقّ ولا حرمة ليُكتم ما يجري فيه ، حتى يؤدّى إلى عمرو بن مسعدة ؟ فإنّه قد أبلغ أشياء قلتها فيه ، واتّهمت فيها بعض بني هاشم [٤٧ ظ] ممّن كان حاضراً ، وذلك أنّ عمراً دخل عليّ ، وأعاد ما كان ، فاعتذرت له بعذر لم يبن الحق [نسجه ، ولم يتّسق القول مني فيه ، وإنّ لسان الباطل ، لعيّ الظاهر والباطن ، وما نعش الباطل أحداً][1] قال له أحمد [: لا يتّهم أمير المؤمنين أحداً][1] ، أنا أخبرت عمراً ،

قال : وما دعاك إلى ذلك ؟

قال : الشكر لله ، ولك لاصطناعك ، [والنصح لك][1] ، والمحبّة لتمام نعمتك على أوليائك وخدمك ، وقد علمتُ أنّ أمير المؤمنين يحبّ استصلاح الأعداء والبعداء ، فكيف بالأولياء والقرباء ، ولاسيّما مثل عمرو ، في موضعه من الدولة ، وموقعه من الخدمة ، ومكانه من رأي أمير المؤمنين ، فخبّرته بما أنكره عليه ، ليقوّم أود نفسه ، ويتلافى ما فرط منه ، وإنّما العيب لو أفشيت كلاماً فيه لأمير المؤمنين سرٌّ ، أو قدح على السلطان ، أو نقض تدبير له .

فقال له : أحسنت والله يا أحمد ، إذ كفيتني مخاضة الظنّ ، وصدقتني عن نفسك ، وأزلت التهمة عن غيرك .

١١٤

المنصور العبّاسيّ يحشر العلويّين جميعاً إلى الكوفة ويتهدّدهم

أخبرني أبو الفرج الأصبهانيّ ، قال : حدّثني الحسن بن عليّ السلولي ، قال : حدّثني أحمد بن رشيد ، قال : حدّثني أبو معمر سعيد بن خثيم[١] ، قال : حدّثني يونس بن أبي يعفور[٢] ، قال : حدّثني جعفر بن محمّد[٣] ، من فيه إلى أذني ، قال :

لما قتل إبراهيم بن عبد الله عليه السّلام[٤] ، بباخمرى[٥] ، حشرنا من المدينة ، فلم يترك منّا فيها محتلم ، حتّى قدمنا الكوفة ، فمكثنا فيها شهراً نتوقّع القتل .

ثم خرج إلينا الربيع الحاجب ، فقال : أين هؤلاء العلويّة ؟ [٦٣ غ] أَدخِلوا على أمير المؤمنين رجلين منكم .

قال : فدخلت أنا إليه ، والحسن بن زيد ، فلمّا صرت بين يديه ، قال لي : أنت الّذي تعلم الغيب ؟

---

١ أبو معمّر سعيد بن خثيم بن رشد الهلاليّ الكوفيّ : ترجم له صاحب الخلاصة ١١٧ .

٢ يونس بن أبي يعفور العبدي : ترجم له صاحب الخلاصة ٣٨٠ .

٣ الإمـام أبو عبد الله جعفر الصادق بن محمّد الباقر بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب .

٤ ظهر إبراهيم بالبصرة في السنة ١٤٥ وحاربه الجند العباسيّ هناك بقيادة جعفر ومحمّد ولدي سليمان ابن علي ، فهزمهما ، ثم مضى إبراهيم بنفسه إلى باب زينب بنت سليمان بن عليّ بن عبد الله بن العبّاس ، وإليها ينسب الزينبيّون من العباسيّين ، فنادى بالأمان ، وأن لا يعرض لهم أحد (ابن الأثير ٥ / ٥٦٤) .

٥ باخمرى : موضع بين الكوفة والبصرة ، وهو إلى الكوفة أقرب ، يبعد عنها ١٧ فرسخاً ، فيه كانت الوقعة بين المنصور وإبراهيم بن عبد الله بن الحسن ، فقتل إبراهيم هناك ، قال ياقوت في معجم البلدان ١ / ٤٥٨ : وقبره إلى الآن يزار ، وإيّاه عنى دعبل بقوله :

وقبر بأرض الجوزجان محلّه ... وقبر بباخمرى لدى الغرَبات

قلت : لا يعلم الغيب إلّا الله .

قال : أنت الذي يجبى إليك هذا الخراج ؟

قلت : إليك يجبى يا أمير المؤمنين الخراج .

قال : أتدرون لِمَ دعوتكم ؟

قلت : لا .

قال : أردت أن أهدم رباعكم ، وأغوّر قُلُبكم[6] ، وأعقر نخلكم ، وأنزلكم بالسّراة[7] ، فلا يجيئكم أحد من أهل الحجاز وأهل العراق ، فإنّهم لكم مفسدة .

فقلت : يا أمير المؤمنين ، إنّ سليمان عليه السّلام أُعطي فشكر ، وإنّ أيّوب عليه السّلام ابتلي فصبر ، وإنّ يوسف عليه السلام ظُلم فغفر ، وأنت من ذلك السنخ .

قال : فتبسّم ، وقال : أعدْ ، فأعدت .

فقال : مثلك فليكن زعيم القوم ، قد عفوت عنكم ، ووهبت لكم جرم أهل البصرة ، حدّثني الحديث الّذي حدّثني به عن أبيك ، عن آبائه ، عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم .

قلت : حدّثني أبي ، عن آبائه ، عن عليّ بن أبي طالب عليه السّلام ، عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، أنّه قال : صلة الرحم ، تعمّر الديار ، وتطيل الأعمار ، وتكثّر العمار ، وإن كانوا كفاراً .

قال : ليس هذا .

فقلت : حدّثني أبي ، عن آبائه ، عن عليّ ، عن رسول الله صلّى الله عليه

---

٦ غار الماء : ذهب في الأرض . والقليب : البئر . والجمع : قُلْب وقُلُب وأقلبة .

٧ السراة : الجبال والأرض الحاجزة بين تهامة واليمن (معجم البلدان ٣ / ٦٥) .

وسلّم ، أنّه قال : الأرحام معلّقة بالعرش ، تقول : صِلْ من وصلني ، واقطع من قطعني .

قال : ليس هذا .

قلت : حدّثني أبي ، عن آبائه ، عن علي ، عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، أنّه قال : إنّ الله تبارك وتعالى يقول : أنا الرحمن ، خلقت الرحم ، وشققت لها اسماً من اسمي ، فمن وصلها وصلته ، ومن قطعها قطعته .

قال : ليس هذا الحديث .

قلت : حدّثني أبي ، عن آبائه ، عن عليّ عليه السّلام ، عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، أنّه قال : إنّ ملكاً من ملوك الأرض ، كان بقي من عمره ثلاث سنين ، فوصل رحمه ، فجعلها الله عزّ وجلّ ، ثلاثين سنة .

قال : هذا الحديث أردت ، أيّ البلاد أحبّ إليكم ؟ فوالله ، لأصلنّ رحمي اليوم .

قلنا : المدينة .

قال : فسرّحنا إلى المدينة ، وكفانا الله عزّ وجلّ ، مؤونته[8] .

---

٨ انفردت بها غ ، ووردت باختصار في العقد الفريد ٣ / ٢٢٤ .

١١٥

بين الإمام جعفر الصادق والمنصور العبّاسي

[ووقع إليّ هذا الخبر ، على خلاف هذه السياقة ، وجدته في بعض الكتب بغير إسناد : إنّ معاذاً ، مولى إسماعيل بن عليّ بن عبد الله بن عبّاس رحمهم الله ، قال :

كنت قائماً على رأس محمّد بن إسماعيل ، مولاي ، ورزام[1] ، مولى [محمّد بن] خالد بن عبد الله القسريّ[2] ، يحدّثه ، وكان كاتبه إذ ذاك ، قال :][3] وجّهني محمّد بن خالد القسريّ ، لآتيه بجعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين ابن عليّ بن أبي طالب[4] ، من المدينة ، إلى المنصور .

---

١ رزام : مولى محمّد بن خالد بن عبد الله القسري ، وكان يكتب له ، لما ولّاه المنصور على المدينة ، ولمّا عزل المنصور محمّداً ، أمر بمحاسبته فاعتقل ، واعتقل معه رزام ، ولمّا ظهر محمّد بن عبد الله النفس الزكية بالمدينة ،أخرجهما من السجن ، ثم انسلّ رزام إلى المنصور (الطبري ٧ / ٥٣٣ ، ٥٥٧ ، ٥٧٢ وابن الأثير ٥ / ٥٢٠ و٥٣٠ ، ٥٤٢) .

٢ محمّد بن خالد بن عبد الله القسريّ : كان أبوه خالد القسريّ ، من كبار عمّال الدّولة الأموية ، وأمر الوليد بن يزيد بن عبد الملك باعتقاله ، فحبسه يوسف بن عمر الثقفي وعذّبه حتى قتله (الطبري ٧ / ٢٦٠) وطورد ولده محمّد ، فخرج بالكوفة مسوّداً ،يدعو لبني العباس (٧ / ٤١٧) ثمّ ولّاه المنصور على المدينة ، وأمره بطلب النفس الزكيّة محمّد بن عبد الله بن الحسن (٧ / ٥١١ و٥٣١) ثمّ استبطأه ، فعزله واعتقله (٧ / ٥٣٢) ولمّا ظهر النفس الزكيّة ، أطلقه من الاعتقال (٧ / ٥٥٧) ثمّ تبيّن له أنّه يكاتب المنصور بأخباره ، فأعاد اعتقاله ، وظلّ في الحبس حتى أطلقه عيسى بن موسى العباسيّ قائد جيش المنصور (٧ / ٥٦١ ، ٥٧٢) .

٣ الزيادة من غ .

٤ الإمام أبو عبد الله جعفر الصادق بن محمّد الباقر بن علي السجّاد زين العابدين (٨٠ – ١٤٨) : سادس الأئمّة ، أخذ عنه أبو حنيفة ومالك ، وكان جريئاً صدّاعاً بالحق ، ولد وتوفّي بالمدينة (الأعلام ٢ / ١٢١) .

فلمّا صرنا بالنجف ، نزل عن راحلته ، وأسبغ الوضوء ، واستقبل القبلة ، وصلّى ركعتين ، ثمّ رفع يديه إلى السماء ، وأنا بالقرب منه ، فسمعته يقول [٣٧ ر] : اللّهم بك أستفتح ، وبك أستنجح ، وبمحمّد عبدك ورسولك أتوجّه ، اللّهم إنّي أدرأ بك في نحره ، وأعوذ بك من شرّه [٤٧ م] اللّهمّ سهّل لي حزونته ، وذلّل لي صعوبته ، وأعطني من الخير أكثر ممّا أرجو ، واكفني من الشرّ أكثر ممّا أخاف ، ثم جاء فركب ومضى .

[فلمّا قيل لأبي جعفر : إنّه بالباب ، أمر بالستور فرفعت ، وبالأبواب ففتحت ، ثم خرج إليه ، فلقيه في منتصف الدّار [٦٤ غ] فعانقه أبو جعفر ، وأخذ بيده يماشيه مقبلاً عليه ، حتّى انتهى إلى مجلسه ، فأجلسه فيه ، ثمّ أقبل عليه المنصور يسائله ، وأقبل جعفر يدعو له ويفدّيه .

ثمّ إنّ المنصور قال له : عرفتَ ما كان من أمر هذين الرجلين ، يعني محمّداً وإبراهيم ابني عبد الله بن الحسن ، وما كان من برّي بهما ، وقد استترا ، وخفت أن يشقّا العصا ، ويلقيا بين أهل هذا البيت شرًّا لا يصلح أبداً ، فأخبرني بخبرهما ، ودلّني عليهما .

فقال له جعفر : قد والله نهيتهما فلم يقبلا ، وكرهت أن أطّلع على شيء من أمورهما ، وما زلت مائلاً إليك ، وحاطباً في حبلك ، ومواظباً على طاعتك .

فقال له المنصور : صدقت ، ولكنّك تعلم ، أنّي أعلم ، أنّ علم أمرهما عندك ، ولن أقنع إلّا أن تخبرني بخبرهما وأمرهما .

فقال : يا أمير المؤمنين ، أتلو عليك آية من كتاب الله عزّ وجلّ ، فيها منتهى علمي بهما .

قال : هات ، على اسم الله .

فتلا عليه : ﴿ لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ، ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ، ولئن نصروهم ليولّن الأدبار ، ثمّ لا ينصرون ﴾ .

فخرّ المنصور ساجداً ، وقال : حسبك . ولم يسأله بعد ذلك عن شيء من أمرهما][5] .

[وروي لي هذا الخبر على وجه آخر ، حدّثنا به عليّ بن الحسن ، قال : حدّثنا ابن الجرّاح ، قال : حدّثنا ابن أبي الدّنيا ، قال : حدّثني عيسى بن أبي حرب الصفّار[6] ، والمغيرة بن محمّد[7] ، قالا : حدّثنا عبد الأعلى بن حمّاد[8] ، قال : حدّثني الحسن بن الفضل بن الرّبيع ، قال : حدّثني عبد الله بن الفضل ابن الرّبيع][9] عن الفضل بن الربيع ، قال : حدّثني أبي ، قال :

حجّ أبو جعفر المنصور سنة سبع وأربعين ومائة ، فلمّا قدم المدينة ، قال لي : ابعث إلى جعفر بن محمّد من يأتيني به بغتة[10] ، قتلني الله إن لم أقتله ، فأمسكت عنه[11] ، رجاء أن ينساه ، فأغلظ لي في الثانية .

فقلت : جعفر بن محمّد بالباب يا أمير المؤمنين ، قال : ائذن له ، فأذنت له.

فلمّا دخل ، قال : السّلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته .

فقال : لا سلّم الله عليك ، يا عدوّ الله ، تلحد في سلطاني ، وتبغيني الغوائل في ملكي ، قتلني اللهُ إن لم أقتلك .

---

٥ انفردت بها غ وم .

٦ أبو يحيى عيسى بن موسى بن أبي حرب الصفّار البصري : ترجم له الخطيب في تاريخه ١١ / ١٦٥ وقال إنّه توفّي سنة ٢٦٧ .

٧ أبو حاتم المغيرة بن محمّد بن المهلّب بن المغيرة المهلّبي الأزدي : ترجم له الخطيب في تاريخه ١٣ / ١٩٥ وقال إنّه توفّي سنة ٢٧٨ .

٨ أبو يحيى عبد الأعلى بن حمّاد الباهلي البصري المعروف بالنرسي : ترجم له الخطيب في تاريخه ١١ / ٧٥ وقال إنّه توفّي سنة ٢٣٧ .

٩ الزيادة من غ .

١٠ في غ : بغتاً ، وفي مخطوطة (د) : تعباً .

١١ في م : فامتنعت عليه .

فقال له جعفر : يا أمير المؤمنين ، إنّ سليمان أعطي فشكر ، وإنّ أيّوب ابتلي فصبر ، وإنّ يوسف ظُلمَ فغفر ، وأنت من ذلك السنخ[12] ففكر[13] طويلاً . ثمّ رفع رأسه ، فقال : أنت عندي ، يا أبا عبد الله ، البريء الساحة ، السّليم الناحية ، القليل الغائلة ، جزاك الله عن ذي رحمك ، أفضل ما يجزي ذوي الأرحام عن أرحامهم .

ثم تناول يده ، فأجلسه على مفرشه ، واستدعى بالمنفحة ، والمنفحة مدهن كبير فيه غالية ، فغلّفه بيده ، حتّى قطرت لحيته .

ثمّ قال له : في حفظ الله وفي كلاءته ، يا ربيع ، أَلحِقْ أبا عبد الله جائزته وكسوته .

قال الرّبيع : فتبعته ، فلمّا لحقته ، قلت له : إنّي رأيت ما لم ترَ ، وسمعت ما لم تسمع ، ورأيت بعد ذلك ما قد رأيت ، وقد رأيتك تحرّك شفتيك بشيء ، فما الّذي قلت ؟

فقال : نعم ، إنّك رجل منّا أهل البيت ، ولك محبّة ومودّة ، اعلم أنّني قلت : أللّهمّ احرسني بعينك الّتي لا تنام ، واكنفني بركنك الّذي لا يرام ، وأدركني برحمتك ، واعف عنّي بقدرتك ، لا أهلك وأنت رجائي ، ربّ ، كم من نعمة أنعمت بها عليّ ، قلّ لك عندها شكري فلم تحرمني ، وكم من بليّة [٦٥ غ] ابتليتني بها ، قلّ لك عندها صبري فلم تخذلني ، [فيا من قلّ عند نعمه شكري فلم يحرمني ، ويا من قلّ عند بليّته صبري فلم يخذلني][14] ، يا من

---

١٢ السنخ : الأصل ، وجمعه أسناخ وسنوخ .

١٣ في غ : فنكس .

١٤ الزيادة من غ .

رآني على الخطايا فلم يهتكني [١٥] . يا ذا المعروف الّذي لا ينقضي [١٦] أبداً ، ويا ذا النّعماء الّتي لا تحصى عدداً ، صلّ على محمّد وعلى آل محمّد ، بك أدرأ في نحره ، وأعوذ بك من شرّه ، اللّهم أعنّي على ديني بدنياي ، وعلى آخرتي بتقواي ، واحفظني فيما غبت عنه ، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين ، يا من لا تضرّه الذنوب ، ولا تنقصه المغفرة ، اغفر لي ما لا يضرّك ، وأعطني ما لا ينقصك ، إنّك أنت الوهّاب ، أسألك فرجاً قريباً ، وصبراً جميلاً ، ورزقاً واسعاً ، والعافية من جميع البلايا ، وشكر العافية [١٧] .

---

١٥ في غ : فلم يفضحني .

١٦ في م : لا ينقطع .

١٧ في م : وشكر العاقبة ، وورد هذا الخبر في مخطوطة (د) ص ١٥٥ .

١١٦

بين موسى الهادي وأحد كتّابه

وذكر محمّد بن عبدوس الجهشياري[١] ، في [٤٨ ظ] كتابه « الوزراء » : أنّ موسى الهادي ، سخط على بعض كتّابه ، ولم يسمّه ، فجعل يقرّعه[٢] ، ويؤنّبه ، ويتهدّده ، ويتوعّده .

فقال له الكاتب : يا أمير المؤمنين ، إنّ اعتذاري إليك [فيما تقرّعني به][٣] ردّ عليك ، وإقراري بما بلغك عنّي ، يوجب ذنباً لم أجنه ، ولكنّي أقول كما قال الشّاعر :

إذا كنت ترجو في العقاب تشفّياً فلا تزهدن عند التجاوز في الأجر

فصفح عنه ، [وأمر بترك التعرّض له][٣] ، وأحسن إليه ، وصرفه مكرّماً .

---

١ أبو عبد الله محمّد بن عبدوس بن عبد الله الجهشياري الكوفي : كاتب مؤرّخ ، كان أبوه يحجب الوزير عليّ بن عيسى الجرّاح ، فخلفه على حجابته ، ثمّ حجب حامد بن العباس في وزارته للمقتدر ، وصاحب الوزير ابن مقلة ، فاعتقل لمّا نكب ابن مقلة ، وصودر فأدّى ثمانين ألف دينار ، وأطلق ، ومات في السنة ٣٣١ وهو مستتر ، وله تآليف قيّمة ، منها كتاب الوزراء وهو من عيون الكتب ، لم يعثر إلاّ على بعضه ، أمّا نسبته إلى جهشيار فإنّ أباه كان يخدم أبا الحسن عليّ بن جهشيار القائد ، حاجب الموفق (الأعلام ٧ / ١٣٥) صاحب الدار المعروفة بدار الجهشياري الشهيرة على دجلة (نشوار المحاضرة ، القصّة ١ / ١٨٦) وهي الكائنة برأس الجسر (الطبري ١٠ / ٢١) أي جسر باب الطاق أقطعه إيّاها الأمير الموفّق ، وكانت هذه الدار لأسماء بنت المنصور ، وفيها الطاق المسمّى طاق أسماء الذي تقع حوله محلة باب الطاق المنسوبة إليه ، وهي بين الرصافة ونهر المعلّى ، وعند طاق أسماء كان مجلس الشعراء في أيّام الرشيد ، والموضع المعروف بين القصرين هما قصر أسماء والثاني قصر عبد الله ابن المهدي (معجم البلدان ٣ / ٤٨٩) أقول : باب الطاق هي محلة الصرافيّة الآن ، وجسر باب الطاق حلّ محلّه جسر الصرافية الحديد .

٢ قرّعه تقريعاً : عنّفه .

٣ الزيادة من غ .

١١٧

ابن مقلة ينفذ من سجنه رقعة إلى الوزير ابن الفرات

حدّثني عليّ بن هشام بن عبد الله الكاتب[١] ، عن أبي عبد الله زنجي الكاتب[٢] ، قال :

لما نكب أبو الحسن بن الفرات[٣] ، أبا عليّ بن مقلة ، في وزارته الثّالثة ، لم أدخل إليه في الحبس ، ولا كاتبته متوجّعاً له ، ولا راسلته بحرف ، خوفاً من أن يرقى ذلك إلى ابن الفرات .

وكانت بيني وبين ابن مقلة مودّة ، فلمّا طال مكثه في الحبس ، كتب إليّ رقعة لطيفة[٤] ، أوّلها :

---

١ أبو الحسين عليّ بن هشام بن عبد الله الكاتب المعروف بابن أبي قيراط ، وكان كاتب الوزير ابن الفرات على بيت المال (الوزراء للصابي ١٥٨) ، وهشام والده ، وهو أبو القاسم هشام بن عبد الله ، المعروف بأبي قيراط ، كاتب الوزير ابن الفرات ، وكان إليه ديوان بيت المال ، فلمّا عزل ابن الفرات ، عزل أبو قيراط معه ، ونصب مكانه أبو الحسين عليّ بن الحسن ، المعروف بابن الماشطة ، وكان أبو قيراط متحقّقاً بالوزير ابن الفرات ، أثيراً عنده ، وكان يكاتبه إذا حبس ، وأكثر أخباره منقولة عنه ، ثمّ كتب للوزير عليّ بن عيسى من بعده ، ولكنّه خافه فاستتر ، فلم يهجه ، وكتب للوزير أبي عليّ بن مقلة من بعده (الوزراء ١١٢ – ٣٣٩) .

٢ أبو عبد الله محمّد بن إسماعيل الكاتب الملقّب زنجي : كان يكتب لابن الفرات قبل الوزارة ، وقدّمه لمّا وزّر ، وكثير من أخبار ابن الفرات منقولة عنه وعن ولده أبي القاسم إسماعيل ، وقد ظلاّ على وفائهما لابن الفرات بعد مقتله (الوزراء ٣٠ – ٣٢٨) .

٣ أبو الحسن عليّ بن محمّد بن الفرات (٢٤١ – ٣١٢) : وزير المقتدر ، داهية ، فصيح ، أديب ، جواد ، مهّد دولة المقتدر العباسيّ ، اتّصل بالمعتضد ، فولّاه ديوان السواد ، ثمّ وزّر للمقتدر ثلاث مرّات ، الأولى ٢٩٦ – ٢٩٩ والثانية ٣٠٤ – ٣٠٦ والثالثة ٣١١ أقلّ من سنة ، وقبض عليه المقتدر في السنة ٣١٢ وقتله (الأعلام ٥ / ١٤١) ، راجع ما ورد عنه في كتاب الوزراء للصابي ، وما ورد عنه في كتاب نشوار المحاضرة ، في الأجزاء ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٧ ، ٨ .

٤ في غ : رقعة طويلة .

ترى حرّمت كتب الأخلّاء بينهم أبن لي ، أم القرطاس أصبح غاليا ؟
فما كان لو ساءلتنا كيف حالنا وقد دهمتنا نكبة هي ما هيا
صديقك من راعاك عند شديدة وكلٌّ تراه في الرخاء مراعيا
فهبك عدوّي ، لا صديقي ، فربّما يكاد الأعادي يرحمون الأعاديا

ثمّ أتبع ذلك بكلام عاتبني فيه ، ويذكر أنّه أنفذ إليّ ، في طيّ رقعته ، رقعة إلى الوزير ، وسألني عرضها عليه ، في وقت خلوة لا يكون فيها ابنه [٤٨ م] أبو أحمد المحسّن[٥] .

فقرأت الرقعة الّتي للوزير[٦] ، فكان فيها : أقصرتُ [أطال الله بقاء الوزير ، وفعل به [٦٦ غ] وصنع][٧] ، عن الاستعطاف وعن الشكوى ، حتّى تناهت بي المحنة والبلوى ، في النّفس والمال ، والجسم والحال ، إلى ما فيه شفاء للمنتقم ، وتقويم للمجترم ، حتّى أفضت بي ، إلى الحيرة والتبلّد ، وبعيالي إلى الهتكة[٨] والتلدّد[٩] ، وما أقول إنّ حالاً أتاها الوزير – أيّده الله – في أمري ، إلّا بحقٍّ واجب ، وظنّ صادق غير كاذب ، إلّا أنّ القدرة تذهب الحفيظة ، والاعتراف يزيل الاقتراف ، وربّ المعروف[١٠] يؤثره أهل الفضل والدين ، والإحسان إلى المسيء ،

---

٥ أبو أحمد المحسّن بن الوزير أبي الحسن عليّ بن محمّد بن الفرات (٢٧٩ – ٣١٢) : كان ظالماً سيّئ السيرة ، وكان أبوه لمّا وزر ، ولّاه ديوان المغرب ، وعزلا معاً ، ولمّا عاد الأب للوزارة ، أطلق يد ابنه المحسّن في الانتقام من خصومه ، وشجّعه المقتدر على ذلك ، فعسف الناس عسفاً شديداً ، ولمّا عزل ابن الفرات عن الوزارة ، قبض عليه وعلى ولده ، وقتلا معاً في السنة ٣١٢ وكان عمر المحسّن ٣٣ سنة (الأعلام ٦ / ١٧٥) .

٦ ذكر الرقعة صاحب تجارب الأمم ١ / ١١٣ وقال : إنّه لم يستجدها ، فلم يثبتها .

٧ الزيادة من غ وم .

٨ في م : الهلكة .

٩ التلدّد : التلفّت يميناً وشمالاً من الحيرة ، وتلدّد : تحيّر .

١٠ رَبَّ النعمة : زادها .

من أفعال المتّقين ، وعلى كلّ حال ، [فلي ذمام وحرمة ، وتأميل وخدمة][11] ، إن كانت الإساءة تضيعها ، فرعاية الوزير – أيّده الله – تحفظها ، فإن رأى الوزير – أطال الله بقاءه – أن يلحظ عبده بعين رأفته ، وينعم بإحياء مهجته ، ويتخلّصها من العذاب الشديد ، والجهد الجهيد ، ويجعل له من معروفه نصيباً ، ومن البلوى فرجاً قريباً ، فعل ، إن شاء الله .

فأقامت الرقعة في كُمّي أيّاماً ، لا أتمكّن من عرضها ، إلى أن رسم لي الوزير ابن الفرات ، كتب رقعةٍ[12] إلى جعفر بن القاسم[13] ، عامله على فارس ، في مهمّ ، وأن أحرّرها بين يديه ، وأعرضها عليه ، فأمرني بتحريرها وقد خلا ، [فاغتنمت خلوته من كلّ أحد][14] ، فقلت له : قد عرف الوزير – أيّده الله – ما بيني وبين ابن مقلة ، من العشرة والإلفة الّتي جمعتنا عليها خدمته ، ووالله ، ما كاتبته ولا راسلته ، ولا قضيت له حقاً بمعونة ولا غيرها ، منذ سخط الوزير – أيّده الله – عليه ، وهذه رقعته إليّ تدلّ على ذلك ، ويسأل عرض رقعة له على الوزير – أيّده الله – وهي معي ، فإن أذن عرضتها عليه .

فقال : هاتها .

فناولته إيّاها ، قال : فقرأ رقعته إليّ ، ثم][14] قال : هات رقعته إليّ .

فقلت : أسأل الوزير – أيّده الله – أن يكتم ذلك عن سيّدي أبي أحمد – يعني المحسّن ابنه – فإنّي أخافه .

---

١١ الزيادة من غ وم .

١٢ في غ وم : كتب نسخة .

١٣ أبو عبد الله جعفر بن أبي محمّد القاسم الكرخي : من كبار العمّال ، تقلّد الولايات الكبيرة ، مثل كور الأهواز ، وفارس ، وكرمان ، والثغور ، وكان على جانب عظيم من كرم النفس ، والذكاء ، وقوّة الحافظة ، راجع ما كتب عنه ، وعن بقيّة أهله في معجم البلدان ٤ / ٢٥٣ وراجع القصص ٢ / ٧٠ و٧١ و٣ / ١ و٤ / ١٢٤ من نشوار المحاضرة .

١٤ الزيادة من غ .

فقال : أفعل .

فلمّا قرأ رقعة ابن مقلة إليه قال : والله ، يا أبا عبد الله ، لقد تناهى هذا الرّجل في السّعاية على دمي ، ومالي ، وأهلي ، ولقد صحّ عندي أنّه قال لما أسلم إليّ حامد : لو علمت أنّ ابن الفرات سيبقى بعد صرفه [يوماً واحداً][14] ما سعيت عليه ، ووالله ، لقد كنت أدعو الله في حبسي ، أن لا يمكّنني منه ، ولا من الباقطائي[15] ، أما هو فلإحساني العظيم – كان – إليه ، فلم أحبّ أن أتمكّن منه فأشفي غيظي وأفسد إحساني إليه [٣٨ ر] وأما الباقطائي ، فلقبيح إساءته إليّ ، ولأنّه شيخ من شيوخ الكتّاب ، وخفت العار بما لعلّي كنت أعامله به لو حصل في يدي ، فلم تجب دعوتي فيه ، وأُجيبت في الباقطائي[16] ، والآن [٤٩ ظ] فوحقّ محمّد وآله عليهم السّلام ، لا جرى على ابن مقلة مكروه بعد هذا ، وأنا أتقدّم اليوم بأخذه من المحسّن ، وإنفاذه مع سليمان بن الحسن[17] إلى فارس[18] ، وأجريه مجراه في الأمر بحراسة نفسه ، وباقي حاله ، وأزيدك – يا أبا عبد الله – ما لا أحسبك فهمته .

فقلت : وما هو ؟ فإنّي لم أزل أستفيد الفوائد من الوزير [– أيّده الله –

---

١٥ أبو عبد الله الحسن بن عليّ الباقطائي : ترجمته في حاشية القصّة ٦٦ من الكتاب .

١٦ في ظ ، ور : فأجيبت دعوتي فيه ، ولم تجب دعوتي في الباقطائي . والتصحيح من م ، وغ .

١٧ أبو القاسم سليمان بن الحسن بن مخلد بن الجرّاح : كان يتقلّد مجلس العامّة في ديوان الخاصّة . لمّا كان أبو الحسن عليّ بن عيسى يلي الديوان ، فلمّا وزّر ابن الفرات قلّده ديوان الخاصّة رئاسة (وزراء ٣٣) . ثمّ وزّر للمقتدر سنة ٣١٨ بعد عزل ابن مقلة ، ثمّ وزّر للراضي سنة ٣٢٤ فعجز عن إدارة المملكة لتغلّب أصحاب السيوف عليها ، فعزله ، ثمّ أعاده ، وتوفّي الراضي وهو وزيره ، فأقرّه المتّقي على الوزارة أربعة أشهر ، ثمّ عزله ، وتوفّي سليمان في السنة ٣٣٢ (الفخري ٢٧٣ و ٢٨١ والمنتظم ٦ / ٣٣٨) ، راجع القصّة ٨ / ٨٢ من كتاب نشوار المحاضرة ، وكتاب الوزراء ٣٣ والقصّة ١٨١ من هذا الكتاب .

١٨ راجع القصّة ٧٨ من هذا الكتاب .

تعلّماً وإنعاماً][19] .

فقال : قد بقيت له بقيّة وافرة من حاله ، لولاها ، لكان لا يقدر أن يقول قولاً سديداً ، ولا يتفرّغ قلبه لنظم شعر ، وبلاغة نثر .

قال : فلمّا كان من الغد ، أخرجه من المحبس ، وأنفذه إلى فارس[20] ، هو [٦٧ غ] وسليمان بن الحسن ، فسلما[21] .

---

١٩ الزيادة من غ وم .

٢٠ في غ وم : أنفذ من انتزعه من يد المحسّن ، وأخرجه إلى فارس .

٢١ نقلها باختصار صاحب حلّ العقال ص ٣٩ .

١١٨

كيف تخلّص طريح بن إسماعيل الثقفي من المنصور

[أخبرني أبو الفرج عليّ بن الحسين الأموي ، المعروف بالأصبهاني ، قال : أخبرني حبيب بن نصر المهلّبي ، قال : حدّثنا عبد الله بن شبيب[1] ، قال : حدّثني محمّد بن عبد الله بن حمزة بن أبي عيينة المهلّبي ، عن أبيه ، عن][2] طريح بن إسماعيل الثقفي[3] ، أنّه دخل على أبي جعفر[4] ، في الشعراء ، فقال له : لا حيّاك الله ، ولا بيّاك ، أما اتّقيت الله حيث تقول في الوليد :

لو قلتَ للسيل دعْ طريقك والمو ج عليه كالهضب يعتلج [٤٩ م]
لساخ وارتدّ أو لكان له إلى طريقٍ سواه منعرج

فقال طريح : قد علم الله أنّني أردت الله بهذا وعنيته ، [وقلت ذلك ، ويدي ممدودة إليه عزّ وجلّ][5] .

فقال أبو جعفر : يا ربيع ، أما ترى هذا التخلّص ؟

---

١ أبو سعيد عبد الله بن شبيب الربعي البصري : ترجمته في حاشية القصّة ٢٢ .

٢ الزيادة من غ ، وفي بقيّة النسخ : قيل إنّ طريح ...

٣ أبو الصّلت طريح بن إسماعيل بن عبيد بن أسيد الثقفي : شاعر الوليد بن يزيد الأمويّ ، انقطع إليه قبل الخلافة ، واستمرّ اتّصاله به ، وأكثر أشعاره في مدحه ، عاش إلى أيّام الهادي العباسي ، وتوفّي سنة ١٦٥ (الأعلام ٣ / ٣٢٥) .

٤ أبو جعفر المنصور ، عبد الله بن محمّد بن عليّ بن عبد الله بن العبّاس .

٥ الزيادة من غ .

١١٩

المأمون يعفو عن الحسين بن الضحّاك ويمتنع عن استخدامه

[أخبرني أبو الفرج الأصبهاني ، إجازة ، قال : أخبرني محمّد بن مزيد بن أبي الأزهر[١] ، ومحمّد بن خلف بن المرزبان ، وألفاظهم تزيد وتنقص .

وأخبرني ببعضه محمّد بن خلف ، وكيع ، من آخره ، وقصّة وصوله إلى المأمون ، ولم يذكر ما قبل ذلك ، قالوا : حدّثنا حماد بن إسحاق[٢] ، عن أبيه[٣] ، ولم يقل وكيع عن أبيه ، واللفظ في الخبر لابن أبي الأزهر ، وحديثه ، ثم قال :][٤]

كنت بين يدي المأمون[٥] قائماً ، فدخل ابن البوّاب الحاجب ، برقعة فيها أبيات ، فقال له : أتأذن في إنشادها ؟

قال : هات ، فأنشد :

---

١ أبو بكر محمّد بن مزيد بن محمود بن منصور بن راشد بن نعشرة الخزاعي ، المعروف بابن أبي الأزهر : ترجم له الخطيب في تاريخه ٣ / ٢٨٨ – ٢٩١ وقال إنّه توفّي سنة ٣٢٥ .

٢ حمّاد بن إسحاق المعروف بالموصلي : ترجم له الخطيب في تاريخه ٨ / ١٥٩ وقال عنه : إنّه روى عن أبيه إسحاق كتاب الأغاني .

٣ أبو محمّد إسحاق بن إبراهيم بن ميمون الموصلي ، المعروف بالنديم (١٥٥ – ٢٣٥) : من أشهر ندماء الخلفاء ، تفرّد بصناعة الغناء ، وكان عالماً باللغة ، والموسيقى ، والتاريخ ، وعلوم الدين ، وعلم الكلام ، راوياً للشعر ، حافظاً للأخبار ، شاعراً ، من أفراد الدهر أدباً ، وظرفاً ، وعلماً ، نادم الرشيد ، والمأمون ، والواثق (الأعلام ١ / ٢٨٣) .

٤ الزيادة من غ ، وفي بقيّة النسخ : حدّثنا حماد بن إسحاق عن أبيه ، قال : ...

٥ أبو العباس عبد الله المأمون بن هارون الرشيد بن محمّد المهديّ بن أبي جعفر المنصور (١٧٠ – ٢١٨) : سابع الخلفاء من بني العباس في العراق ، وأحد أعاظم الملوك ، في سيرته ، وعلمه ، وسعة ملكه ، نفذ ملكه من أفريقية ، إلى أقصى خراسان ، وما وراء النهر والسند ، ولّي الخلافة بعد خلع أخيه الأمين سنة ١٩٨ ، وقامت دولة الحكمة في أيّامه ، وأطلق حريّة الكلام للباحثين وأهل الجدل والفلاسفة (الأعلام ٤ / ٢٨٧) .

أجرني فإنّي قد ظمئتُ إلى الوعد متى ينجز الوعد المؤكّد بالعهد
أعيذك من خلف الملول وقد ترى تقطّع أنفاسي عليك من الوجد
رأى الله عبد الله خيرَ عبادِهِ فملّكه والله أعلم بالعبد
ألا إنّما المأمونَ للنّاس عصمة مميّزة بين الضلالة والرّشد

فقال له المأمون : أحسنت [يا عبد الله[6]][7] ، وظنّها له .

فقال : بل أحسن قائلها يا أمير المؤمنين .

قال : ومن هو قائلها ؟

قال : عبدك الحسين بن الضحّاك[8] .

فقطّب[9] ، وقال : لا حيّا الله من ذكرت ، ولا بيّاه ، ولا قرّبه ، أليس هو القائل :

أعينيّ جودا وابكيا لي محمّدا ولا تذخرا دمعاً عليه وأسعدا [٦٨ غ]
فلا تمّت الأشياء بعد محمّدٍ ولا زال شمل الملك فيه مبدّدا
ولا فرح المأمون بالعيش بعده ولا زال في الدّنيا طريداً مشرّدا[10]

هذا بذاك ، ولا شيء له عندنا .

فقال ابن البوّاب : فأين فضل أمير المؤمنين ، وسعة حلمه ، وعادته في

---

٦ لم أجد بين حجّاب المأمون ، حاجباً اسمه عبد الله ، ولقبه إبن البوّاب ، راجع أسماء حجّاب المأمون في خلاصة الذهب المسبوك للإربلي ١٩٤ .

٧ الزيادة من غ وم .

٨ أبو علي الحسين بن الضحّاك بن ياسر الباهلي ، الملقّب بالأشقر والخليع (١٦٢ - ٢٥٠) : شاعر ، من ندماء الخلفاء ، اتّصل بالأمين العبّاسي ، ونادمه ، ومدحه ، ولمّا ظفر المأمون ، خافه الخليع ، فانصرف إلى البصرة ، ولمّا استخلف المعتصم عاد ومدحه ، ومدح الواثق ، توفّي ببغداد (الأعلام ٢ / ٢٥٨) .

٩ القَطْبُ : الجمع ، يقال : قطب الثوب ، إذا جمع حاقتي فتق منفرج وخاطه ، ويقال : قطب ، وقطّب (بالتّشديد) : إذا جمع بين حاجبيه ، وزوى بين عينيه ، وكلح وعبس .

١٠ راجع القصّة ٢٦٤ من هذا الكتاب .

العفو ؟ فأمر بإحضاره .

فلمّا حضر ، سلّم ، فردّ عليه السّلام ردًّا خفيًّا[11] ، ثم قال : أخبرني عنك ، هل عرفت – يوم قتل أخي – هاشميةً قتلتْ ، أو هتكتْ ؟

قال : لا . قال : فما معنى قولك ؟ :

وممّا شجى قلبي وكفكف عبرتي[12] محارم من آل النّبي استحلّت
ومهتوكة بالخلد عنها سجوفها كعاب كقرن الشمس حين تبدّت
إذا خفرتها روعة من منازع لها المرط[13] عاذت بالخضوع ورنّت[14]
وسرب ظباءٍ من ذؤابة هاشم[15] هتفن بدعوى خير حيّ وميّت
أردّ يداً منّي إذا ما ذكرته على كبدٍ حرّى وقلب مفتّت
فلا بات ليل الشامتين بغبطة ولا بلغت آمالها من تمنّت[16]

فقال : يا أمير المؤمنين ، لوعةٌ غلبتني ، وروعة فاجأتني ، ونعمة فقدتها بعد أن غمرتني ، وإحسان شكرته فأنطقني .

فدمعت عينا المأمون ، وقال : قد عفوت عنك [٣٩ ر] وأمرت لك بإدرار أرزاقك عليك ، وإعطائك ما فات منها ، وجعلت عقوبة ذنبك ، امتناعي عن استخدامك .

---

١١ في م : خافياً ، وفي بقيّة النسخ : خفيّاً ، أقول : يريد بالردّ الخفي : الردّ الخافت ، أي إنّه ردّ بصوت منخفض .

١٢ كفكف الدمع : مسحه مرّة بعد مرّة .

١٣ المرط ، وجمعه مروط : كساء غير مخيط من الخزّ أو الصوف أو الكتّان ، تتلفّع به المرأة ، وفي الحديث : إنّ النبيّ صلوات الله عليه ، كان يغلّس بالفجر ، فينصرف النساء متلفّعات بمروطهن ، ما يعرفن من الغلس (لسان العرب) . * ١٤ في غ :

إذا خفرتها روعة من منازع لها مرطها عاذت بأخرى ورنّت

١٥ الذؤابة : الناصية ، وهي شعر في مقدّم الرأس ، وذؤابة كلّ شيء أعلاه ، وذؤابة الجبل : قمّته ، وذؤابة القوم : مقدّمهم ، وذؤابة هاشم : الطبقة العليا فيهم . * ١٦ في الأصول : ما تمنّت .

١٢٠

بين المعتصم والحسين بن الضحّاك

[أخبرني محمّد بن يحيي الصولي ، إجازة ، وقد ذكره أبو الفرج الأصبهاني في كتابه الكبير ، كتاب الأغاني ، الّذي أجازه لي في جملة ما أجاز ، في أخبار الحسين بن الضحّاك ، قال :][١]

غضب عليّ المعتصم[٢] في شيء جرى على النبيذ ، وقال : والله لأؤدّبنّه ، وحجبني ، فكتبت إليه :

غضب الإمام أشدّ من أدبه [٦٩ غ] ... وقد استجرت وعذت من غضبه
أصبحت معتصماً بمعتصم ... أثنى عليه الله في كتبه
لا والّذي لم يبق لي سبباً ... أرجو النّجاة به سوى سببه
ما لي شفيع غير رحمته ... ولكلّ من أشفى على عطبه [٥٠ ظ]
إلّا كريم طباعه وبه ... أرجو الّذي أرجوه في نسبه[٣]

فلمّا قرئت عليه ، التفت إلى الواثق[٤] ، وقال : بمثل هذا الكلام يستعطف الكرام ، ما هو إلّا أن سمعت أبيات حسين هذه ، حتّى زال ما في نفسي عليه .

فقال الواثق : هو حقيق أن يهب له أمير المؤمنين ذنبه ، ويتجاوز عنه ،

---

١ الزيادة من غ ، وفي بقيّة النسخ : حدّث الحسين بن الضحّاك .

٢ أبو إسحاق محمّد المعتصم بن أبي جعفر هارون الرّشيد (١٧٩ – ٢٢٧) : ترجمته في حاشية القصّة ١٧ من الكتاب .

٣ هذا البيت ساقط من م .

٤ أبو جعفر هارون الواثق بن أبي إسحاق محمّد المعتصم (٢٠٠ – ٢٣٢) : الخليفة العباسي التاسع ، خلف والده المعتصم سنة ٢٢٧ ، وكان في كثير من أموره ، يذهب مذهب عمّه المأمون ، حتى في المحنة بخلق القرآن ، وكان كريماً ، عارفاً بالآداب ، والأنساب ، طروباً ، عالماً بالموسيقى ، كثير الإحسان لأهل الحرمين (الأعلام ٩ / ٤٤) .

فرضي عنّي ، وأمر بإحضاري .

قال الصولي : فحدّثني الحسين بن يحي ، أنّ هذه الأبيات إنّما كتب بها إلى المعتصم لأنّه بلغه عنه أنّه مدح [٥٠ م] العبّاس بن المأمون[٥] ، وتمنّى له الخلافة ، فطلب ، فاستتر ، وكتب بهذه الأبيات إلى المعتصم على يدي الواثق ، فأوصلها ، وشفع له ، فرضي عنه ، وأمّنه ، فظهر ، ثمّ استدعاه ، فدخل عليه ، وهجا العبّاس بن المأمون ، فقال :

خلّ اللّعين وما اكتسب لا زال منقطع السّبب
يا عرّة الثّقلين لا ديناً رعيت ولا حسب
حسدُ الإمامِ مكانَهُ جهلاً هداك على العطب
وأبوك قدّمه لها لمّا تخيّر وانتخب
ما تستطيع سوى التنفّس والتجرّع للكرب
لا زلتَ عند أبيك منتقص المروءة والأدب

---

٥ العباس بن المأمون : ولّاه أبوه المأمون الجزيرة والثغور والعواصم ، في السنة ٢١٣ ، ولما توفي المأمون في السنة ٢١٨ ، وولي المعتصم ، امتنع كثير من القوّاد عن مبايعته ، ونادوا باسم العبّاس ، ولكنّ العبّاس بايع عمّه ، وسكن الجند ، ثم اتّهمه المعتصم بالتآمر عليه ، فاعتقله ، ومات في السجن في السنة ٢٢٣ (الأعلام ٤ / ٣٥) .

١٢١

الشعبيّ يروي قصّة دخوله على الحجّاج

وجدت بخطّ القاضي أبي جعفر أحمد بن البهلول الأنباري[1] ، قال الشعبيّ[2] :

كنت فيمن خرج مع ابن الأشعث[3] ، على الحجّاج ، فلمّا هُزِمَ ، هربتُ ، فأتيت يزيد بن أبي مسلم[4] ، وكان لي صديقاً ، وذكرت له أمري .

فقال : يا عامر ، أنا أخوك الّذي تعرف ، ووالله ، ما أستطيع نفعك عند الحجّاج ، وما أرى لك إلّا أن تمثل بين يديه ، فتقرّ بذنبك ، فإنّ الحجّاج ليس ممّن يُكذَب ، فاصدقه ، واستشهدني على ما بدا لك .

قال الشعبيّ : فما شعر الحجّاج ، إلّا وأنا قائم بين يديه ، فقال : عامر ؟

قلت : نعم أصلح الله الأمير .

[قال : ألم أقدم العراق ، فوجدتك خاملاً ، فشرّفتك ، وأوفدتك إلى

---

١ أبو جعفر أحمد بن إسحاق بن البهلول بن حسّان التنوخي الأنبـاري (٢٣١ – ٣١٨) : فقيه من كبار القضاة ، شاعر ، محدّث ، مفسّر ، أديب ، ولّي قضاء مدينة المنصور عشرين سنة ٢٩٦ – ٣١٦ (الأعلام ١ / ٩١) ، راجع في نشوار المحاضرة القصص ١ / ١٦ و٨٣ و١٢٨ و١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ٢ / ٢٣ ، ٤٥ ، ٨٦ ، و٣ / ٩٣ ، ١٤٤ ، و٤ / ٨ و٩ و١٠ و١١ و١٢ و١١٢ و٥ / ١٠٣ ، ١٠٤ .

٢ أبو عمرو عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار الحميري المعروف بالشعبي : ترجمته في حاشية القصّة ٩٣ من الكتاب .

٣ عبد الرحمن بن محمّد بن الأشعث بن قيس الكندي : أمير ، قائد شجاع ، ثار على ظلم الحجّاج ، ونصره كثير من الفقهاء والقرّاء والعلماء ، وخرجوا معه ، وتمّ له ملك سجستان ، وكرمان ، والبصرة ، وفارس ، والكوفة ، فاستعان الحجّاج بالشاميّين ، وبعد معارك طاحنة ، انهزم ابن الأشعث ، والتجأ إلى رتبيل ملك الترك ، فغدر به وقتله سنة ٨٥ (الأعلام ٤ / ٩٨) .

٤ أبو العلاء يزيد بن أبي مسلم دينار الثقفي ، كاتب الحجّاج : ترجمته في حاشية القصّة ١٠٥ من الكتاب .

أمير المؤمنين ، وأثبتّك عريف قومك[5] ، واستشرتك ؟

قلت : بلى .

قال : فما الّذي أخرجك عليّ ، وأين كنت في هذه الفتنة ؟

قلت : أصلح الله الأمير ، أوحش الجناب ، وأحزن بنا المنزل][6] ، فاستشعرنا الخوف ، واكتحلنا السهر ، واستحلسنا البلاء[7] ، وفقدنا صالح الإخوان ، وشملتنا فتنة ، لم نكن فيها بررة أتقياء ، ولا فجرة أقوياء ، وما أعتذر ألّا أكون سعيت ، وهذا يزيد بن أبي [٧٠ غ] مسلم ، يشهد لي بذلك ، وأنّي كنت أكتب إليه بعذري .

فقال ابن أبي مسلم : صدق ، أعزّ اللهُ الأمير .

فقال الحجّاج : هذا عامر ، ضرب وجوهنا بسيفه ، وأتانا يعتذر بالباطل ، ردّوا عليه عطاءه .

وعفا عنه .

---

٥ العريف : العليم ، من العرفان : العلم ، وصرفت الكلمة إلى القيّم بأمور الجماعة من الناس ، يلي أمورهم ، يقال : عَرُفَ (بضم الراء) : صار عريفاً .

٦ الزيادة من غ وم .

٧ إستحلسه البلاء : لم يفارقه .

١٢٢

من قصص ملوك الفرس

أ – بين كسرى أبرويز ومغنّيه

وجدت في بعض الكتب ، عن ابن خرداذبه[١] ، قال : غضب أبرويز الملك[٢] ، على بعض أصحابه ، من جرم عظيم ، فحبسه زماناً ، ثم ذكره ، فقال للسجّان : هل يتعاهده أحد ؟ .

فقال : أيّها الملك ، الفلهند[٣] المغنّي وحده ، فإنّه كان يوجّه إليه في كلّ يوم بسلّة من طعام .

فقال كسرى أبرويز للفلهند : غضبتُ على فلان ، وحبسته ، فقطعه النّاس غيرك ، فإنّك كنت تتعاهده بالبرّ في كلّ يوم .

فقال : أيّها الملك ، إنّ البقيّة الّتي بقيت له عندك ، فأبقت روحه في جسده ، أبقت له عندي مقدار سلّة من طعام .

فقال له : أحسنت ، وقد وهبت لك ذنبه ، وأطلقه للوقت .

---

١ أبو القاسم عبيد الله بن أحمد بن خرداذبه (٢٠٥ – ٢٨٠) : مؤرّخ ، جغرافي ، بغدادي ، اتّصل بالمعتمد ونادمه ، وتولّى له الخبر والبريد بنواحي الجبل ، أشهر تصانيفه المسالك والممالك (الأعلام ٤ / ٣٤٣) .

٢ كسرى أبرويز (٥٩٠ – ٦٢٨ م) : ملك فارسيّ ، وأبرويز بمعنى المنصور ، من كبار الفاتحين ، فتح بلاد الشام ، وفلسطين ، ومصر ، وبلغت جيوشه حدود البوسفور ، (المنجد) .

٣ كذا ورد في ن ، وفي م : الفهليد ، وسمّاه صاحب مطالع البدور ١ / ١٠٦ : الفلهيد المغنّي ، وذكر عنه أنّه واضع العود الخراساني على اثني عشر وتراً ، كلّ من ضرب به جرح ، إلا هو ، ، وذكر محقّق كتاب الحيوان للجاحظ ٧ / ١١٣ أنّ هذا الاسم ورد في النسخ التي استند إليها في تحقيقه : فهلبذ ، وفلهود ، وفهليد ، وقد رجّحنا إثبات الأسم على ما ورد في ن ، لأنّ كلمة : فلهند ، ربّما كان أصلها : فروهند ، ومعناها بالفارسية : جميل الصورة ، ملاك (المعجم الذهبي) .

ب – الفلهند يحرم الملك أبرويز من شطر لذّته

حدّثني الحسن بن محمّد بن الحسن الجنائني[1] ، قال : قرأت في بعض كتب الفرس أنّ أبرويز الملك كان معجباً بغناء الفلهند مغنّيه ، فنشأ للفلهند غلام أحسن غناء منه ، فأدخله إلى أبرويز يتحفه به ، ويتقرّب إليه بذلك ، فاستطابه أبرويز وغلب على قلبه حتّى قدّمه على الفلهند ، فحسده الفلهند ، فقتله .

وبلغ أبرويز ذلك ، فغضب عليه غضباً شديدًا ، واستدعى الفلهند ، فقال له : يا كلب ، علمتَ أنّ شطر لذّتي في الغناء كان فيك ، وشطرها كان في غلامك ، فقتلته لتذهب شطر لذّتي ، والله لأقتلنّك ، وأمر به ، فجرّ ليقتل .

فقال : أيّها الملك ، اسمع منّي كلمة ، ثمّ اعمل ما شئت .

قال : قل .

قال : إذا كانت لذّتك شطرين ، وقد أبطلت أنا بالجهل أحدهما ، وتبطل أنت على نفسك الشطر الثاني بطاعة الغضب ، فإنّ جنايتك على نفسك ، أعظم من جنايتي عليك .

فقال أبرويز : ما نطقت بهذا الكلام ، في مثل هذا المقام ، إلّا لما في أجلك من التأخير ، ولما يريد الله تعالى إسعادي به من الالتذاذ بغنائك ، وقد عفوت عنك .

وأطلقه[2] .

---

١ وردت في الأصل بلا نقط ، وقد اخترت لها هذه القراءة .

٢ انفردت بها ن .

جـ – صاحب المائدة يصبّ ما في الغضارة على رأس الملك

حدّثني الحسن بن محمّد الجنائني ، قال : قرأت في بعض كتب الفرس المنقولة إلى العربيّة ، أنّ ملكاً من ملوكهم قدّم إليه صاحب مائدته غضارة[1] إسفيذباج[2] فنقطت منها نقطة على ساعد الملك ، فأمر بقتله .

فقال له الرجل : أعيذ الملك بالله أن يقتلني ظلماً بغير ذنب قصدته .

فقال له الملك : قتلك واجب ، ليتّعظ بك غيرك ، فلا تُهملُ الحرمة .

فأخذ الرّجل الغضارة ، فصبّها بأسرها على رأس الملك ، وقال : أيّها الملك ، كرهت أن يشيع عنك أنّك قتلتني ظلماً ، ففعلت هذا لأستحقّ القتل ، فيزول عنك قبح الأحدوثة بظلم الخدم ، فشأنك الآن وما تريد .

فقال الملك : ما أحصن الأجل ! وعفا عنه[3] .

---

١ الغضارة : الصحفة المتّخذة من الطين الحرّ .

٢ الإسفيذباج : طعام مكوّن من اللحم المعرّق بالألية مع الحمّص والبصل والكسفرة والكمّون ومستحلب اللّوز ، راجع حاشية القصّة ٤٣٦ من هذا الكتاب .

٣ انفردت بها ن .

١٢٣
الغلط الّذي لا يتلافى

وجدت في بعض الكتب : أنّ رجلين أتي بهما إلى بعض الولاة ، وقد ثبت على أحدهما الزندقة[١] ، وعلى الآخر شرب الخمر ، فسلّم الوالي الرّجلين إلى بعض أصحابه ، وقال له : اضرِب عنق هذا ، وأومى إلى الزنديق ، وحدّ[٢] هذا ، وأومى إلى الشارب .

وقال : خذهما .

فلمّا ذهب بهما ليخرجا ، قال شارب الخمر : أيّها الأمير ، سلّمني إلى غير هذا ليحدّني ، فلست آمن أن يغلط فيضرب عنقي ، ويحدّ صاحبي ، والغلط في هذا لا يتلافى .

فضحك منه الأمير ، وخلّى سبيله ، وضرب رقبة الزنديق[٣] .

---

١ الزندقة : مصطلح عام يطلق على كلّ من خرج من الدين ، والزنديق : من أظهر الإسلام وأبطن الكفر ، وقد اتّخذت الحكومات في مختلف الأوقات من الإتّهام بالزندقة ، حجّة لاستئصال معارضيها والنكاية بخصومها ، خاصّة وأنّ بعض المذاهب الإسلاميّة ، ترى أنّه لا تقبل توبة الزنديق . لأجل التفاصيل راجع دائرة المعارف الإسلامية مادة (زنديق) ١٠ / ٤٤٠ - ٤٤٦ .

٢ الحدّ : في اللغة ، المنع أو القيد ، وفي الاصطلاح القرآني ، الحدود : هي القيود التي فرضها الله ، من الأوامر والنواهي الشرعيّة الواردة في الآيات ، وقد سمّيت حدوداً لأنّها فصلت بين الحلال والحرام ، ولأنّ العقوبات المفروضة بشأنها ، تحدّ ، أي تمنع من إتيانها . للتفصيل راجع دائرة المعارف الإسلامية ٧ / ٣٢٥ ولسان العرب ، مادة : حدّ .

٣ وردت القصّة في كتاب نشوار المحاضرة رقم ٨ / ١١٥ .

١٢٤

الأمير عبد الله بن طاهر يعفو عن الحصني ويحسن إليه

[وجدت في كتاب أبي الفرج المخزومي ، عن أبي محمّد الحسن بن طالب ، كاتب عيسى بن فرّخان شاه ، قال :][1] حدّثني عيسى بن فرّخان شاه[2] ، قال :

لما وليت ديار مصر[3] ، لم يزل وجوهها يصفون لي محمّد بن يزيد الأموي الحصنيّ[4] بالفضل ، وينشدوني قصيدته الّتي أجاب بها [٥١ م] عبد الله بن طاهر[5] ، لما فخر بأبيه ، ويذكرون قصّته معه لما دخل عبد الله الشام ، وأشرف

---

١ الزيادة من غ وم .

٢ عيسى بن فرخان شاه القناني الكاتب : من كتّاب الدولة العباسيّة ، كان في أيّام المتوكّل يخلف الحسن ابن مخلد على ديوان الضياع (الطبري ٩ / ٢١٦ وتجارب الأمم ٦ / ٥٥٢ » وفي عهد المستعين ولّي ديوان الخراج (الطبري ٩ / ٢٦٤ وابن الأثير ٧ / ١٢٤) ولمّا وقعت الفتنة بين المعتز والمستعين ، انحاز إلى جانب المعتز (الطبري ٩ / ٣٤٤ و٣٤٩) فولاّه مصر (معجم الأنساب والأسرات الحاكمة ٧) ولمّا استخلف المهتدي أجرى على يده الأمور وأصبح مقامه مقام الوزير (الطبري ٩ / ٤٦٣) ، راجع قصّته مع المبرّد في البصائر والذخائر م٣ ق١ ص ٢٦٩ ، وكان أبو العيناء يعاديه ، وسئل يوماً عن سبب ذلك ، فقال : سألته حاجة أقلّ من قيمته ، فردّني ردّاً أقبح من خلقته (نهاية الأرب ٣ / ٢٦٩) .

٣ ولي عيسى بن فرخان شاه ، مصر للمعتزّ في السنة ٢٥٢ (معجم الأنساب والأسرات الحاكمة ٧) .

٤ محمّد بن يزيد الأموي المسلمي : من ولد مسلمة بن عبد الملك ، يعرف بالحصني ، لأنه كان ينزل حصن مسلمة ، بديار مضر ، شاعر محسن ، عارض قصيدة عبد الله بن طاهر التي افتخر بها ، وامتدح الحسن بن وهب لمّا ولّي الخراج بدمشق ، (معجم بني أميّة للمنجد ١٥٨) .

٥ أبو العبّاس عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب بن زريق المصعبي (١٨٢ – ٢٣٠) : أمير خراسان ، من أشهر الولاة في العصر العباسي ، وكان سيّداً ، نبيلاً ، عالي الهمّة ، شريفاً ، أديباً ، فاضلاً ، شاعراً ، جواداً ، ممدّحاً ، عالماً بأخبار الناس ، عظيماً في دولة بني العبّاس ، وسمّيت داره بالحريم الطاهري ، لأنّ من لجأ إليها أمن (معجم الأدباء ٦ / ٩٦ ومعجم البلدان ٢ / ٢٥٥ والأعلام ٤ / ٢٢٦) .

الحصني على الهلاك [٥١ ظ] خوفاً منه ، وكيف كفي [٤٠ ر] أمره بلا سبب ، [وكيف أحسن إليه ، وأقرّه في حصنه] [٦] ، [فكنت أتفقّد أمره [٧] في ضيعته ، وأحسن إليه في معاملته] [٨] ، وكانت كتبه تردّ عليّ بالشكر بأحسن عبارة .

فلمّا خرجت لتصفّح كُوَر عملي ، وأحوال الرعيّة والعمّال بالنّواحي ، وردت الكورة الّتي فيها حصن محمّد بن يزيد في ناحية منها ، فخرج مستقبلاً لي ، وراغباً إليّ في النّزول عليه .

فلمّا التقينا ، قال لي : لم أشكّ – مع فضلك – أنّك لا تتجاوزني ، ولم آمن أن يعارضك ظنّ ، يصوّر لك أنّ عدولك عنّي ، إبقاءٌ عليّ ، وإشفاقٌ من نسبة السلطان إيّاك إلى إيثار لذّتك في لقائي ، فتطويني ، فحملت نفسي على خلاف ما كنت أحبّ أن يشيع لك ، من ابتدائي بالقصد [قبل رغبتي إليك فيه ، فالحمد لله الّذي جعل] [٨] لك السبق إلى المكرمة .

وسرنا إلى حصنه ، وأوقفني على المواضع المذكورة [في الخبر والشعر] [٨] إلى أن دخلنا حصنه ، فلم أجد فيه أهبة للنّزول به ، ورأيت أدباً ومروءة ، وسبق بما حضر من القرى ، ولم ينقبض من إحضار ما أعددته في سفرتنا ، ووجدت خدمته كلّها تدور على جارية سوداء اللون ، خفيفة الحركة ، يدلّ نشاطها على اعتيادها الطرّاق ، إلى أن رفع الطعام ، وحضر الشراب ، فحضرت السوداء في

وقد روى له ياقوت في معجم البلدان ٢ / ٢٥٦ قصّة تدل على عدالة ، وعلى خلق كريم ، وكان المأمون يثني عليه (المحاسن والمساوئ ١ / ١١٦ والديارات ١٣٧) ، وكانت مرو مستقراً لولاة خراسان ، فتحوّل عنها إلى نيسابور ، واتّخذها دار قراره (لطائف المعارف ٢٠١) ولّاه المأمون أمرة الشام ، ثمّ مصر ، ثم الدينور ، ثمّ خراسان ، وكانت له طبرستان وكرمان وخراسان والريّ والسواد وما يتّصل بتلك الأطراف ، وتوفّي في السنة ٢٣٠ في عهد الواثق .

٦ لم ترد في غ .

٧ في م : أتفقّد مصالحه .

٨ الزيادة من غ وم .

غير الزيّ الأوّل ، وجلست تغنّي ، فأنكرتها ، حتّى استثبتّه فيها ، فوصف لي [قديم][8] حرمتها ، وقال [٧١ غ] : هي كانت طليعتي يوم قصدني عبد الله بن طاهر .

فاستفتحني لمسألته عن الخبر ، فسألته .

فقال : لمّا بلغني إجماع عبد الله بن طاهر [على الخروج][8] لطلب نصر بن شبث – الخارجيّ[9] كان في ذلك الوقت – بنفسه ، أيقنت بالهلاك ، وخفت أن يقرب منّي ، فتنالني منه بادرة مكروه ، ولم أشكّ في ذهاب النعمة ، وإن سلمت النفس لما بلغه من إجابتي إيّاه ، عن قصيدته الّتي فخر بها ، وأنشدنيها :

مدمن الإغضاء موصول	ومديم العتب مملول[10]
ومدين البيض في تعبٍ	وغريم البيض ممطول[11]
وأخو الوجهين حيث رمى	بهواه فهو مدخول[12]
وقليل من يبرّزه	في يد التهذيب تحصيل[13]
فاتّئد تلق النجاح به	واعتساف الأمر تضليل
واغض[14] عن عيب أخيك يدم	لك حبل منه موصول

---

٩ في م وظ و ر نصر بن شبيب ، والتصحيح من غ ، وهو نصر بن شبث العقيليّ من قوّاد الأمين ، ولمّا حصلت الفتنة بين الأخوين ، تغلّب نصر على الجزيرة واستقلّ بها ، فندب له المأمون عبد الله بن طاهر ، وولاّه الجزيرة إلى مصر ، فحصره عبد الله وضيّق عليه حتى طلب الأمان ، فأمنه ، ووجّه به إلى بغداد (العيون والحدائق ٣ / ٣٦٣ ، ٣٦٥ الطبري ٨ / ٤٢٧ ، ٥٢٧ ، ٥٧٩ ، ٥٨١ ، ٥٩٩ ، ٦٠٢) .

١٠ كذا ورد في غ وم ، وفي بقيّة النسخ : ومدمن العتب ممطول .

١١ أضيف هذا البيت من العقد الفريد ٢ / ١٩٨ .

١٢ كذا ورد في غ ، وفي بقيّة النسخ : موصول .

١٣ أضيف هذا البيت من غ .

١٤ في غ : واعم .

من يرد حوض الردى صرداً[15]   لا يسعه السريّ تعليل
من بنات الرّوم لي سَكَنٌ[16]   وجهها للشمس إكليل
عتبتْ ، والعتبُ من سَكَنٍ   فيه تكثير وتقليل[17]
أقصري عمّا لهجت به   ففراغي عنك مشغول
سائلي عمّا تسائلني   قد يردّ الخبر مسؤول[18]
أنا من تعرفن نسبته   سلفي الغرّ البهاليل
مصعب جدّي نقيب بني   هاشم[19] ، والأمر مجهول
وحسين رأس دعوتهم[20]   ودعاء الحقّ مقبول
سل بهم تنبيك نجدتهم[21]   مشرفيّات[22] مصاقيل
كلّ عضبٍ مشرب عَلَلاً   وجراز الحدّ مفلول
وأبي من لا كفاء له   من يسامي مجده ؟ قولوا !
صاحب الرأي الّذي حصلت   رأيه القوم المحاصيل[23]
حلّ منهم بالذرى شرفاً   دونه عزّ وتبجيل

---

١٥ الصرد : القويّ الاحتمال .
١٦ السكن : ما يسكن إليه قلب الإنسان ، والمراد به هنا : الحبيب .
١٧ أضيف هذا البيت من غ .
١٨ أضيف هذا البيت من العقد الفريد ٢ / ١٩٨ .
١٩ مصعب بن زريق : أحد الدعاة السبعين ، الذين اختارهم أبو هاشم بكير بن ماهان للقيام بالدعوة العباسيّة ، راجع أخبار الدّولة العباسيّة ، تحقيق الدوري والمطالبي ، ص ٢١٣ – ٢١٩ .
٢٠ الحسين بن مصعب بن زريق : والد طاهر بن الحسين المصعبي ، توفّي سنة ١٩٩ بخراسان (الأعلام ٢ / ٢٨٤) .
٢١ النجدة : الشجاعة .
٢٢ المشرفيات : السيوف .
٢٣ هذا البيت والبيتان اللذان بعده ، أضيفا من كتاب العقد الفريد ٢ / ١٩٨ .

تفصح الأنباء عنه إذا أسكت الأنباء مجهول
سَلْ به ، والخيل ساهمة[24] حوله جرد أبابيل
إذ علت من فوقه يده نوطها أبيض مصقول[25]
وربّات الخدور وقد جعلت تبدو الخلاخيل
من ثنى عنه الخيول بأكـ ـنافها الخطّيّة الشول[26]
أبطن المخلوع[27] كلكله وحواليه المغاويل
فثوى والترب مضجعه غال عنه ملكه غول [٥٢ م]
قاد جيشاً نحو قاتله[28] ضاق عنه العرض والطول
من خراسان مصمّمهم كليوث ضمّها غيل
وهبوا لله أنفسهم لا معازيل ولا ميل
ملكٌ تجتاح سطوته ونداه الدّهر مبذول
قطعت عنه[29] تمائمه وهو مرهوب ومأمول [٥٢ ظ] [٧٢ غ]
وتره يسعى إليه به ودمٌ يجنيه مطلول[30]

قال : وكنت لما بلغتني القصيدة ، امتعضت للعربيّة ، وأنفت أن يفخر عليها رجل من العجم ، لأنّه قتل ملكاً من ملوكها بسيف أخيه ، لا بسيفه ، فيفخر عليها هذا الفخر ، ويضع منها هذا الوضع ، فرددت على قصيدته ،

---

٢٤ في العقد الفريد ٢ / ١٩٩ : سل به الجبّار يوم غدا .
٢٥ هذا البيت أضيف من العقد الفريد ٢ / ١٩٩ .
٢٦ الخطّيّة : الرماح .
٢٧ يريد بالمخلوع : محمّد الأمين .
٢٨ كذا ورد في ظ ، وم ، و ر ، وفي غ : فإذا جيش تحاوله ، وفي ه ١ / ٧٥ : نحو نائلة ، وفي العقد الفريد ٢ / ١٩٩ : نحو بابله .
٢٩ في العقد الفريد ٢ / ٩٩ : نزعت عنه .
٣٠ أضيف هذا البيت من العقد الفريد ٢ / ١٩٩ .

ولم أعلم أنّ الأيّام تجمعنا ، ولا أنّ الزمان يضطرّني إلى الخوف منه ، فقلت :

لا يرعـك القـال والقيـل / كلّما بلّغت تهويل [٤١ ر]
ما هوى لي حيث أعرفـه[٣١] / بهـوى غـيرك مـوصول
أيـن لي عـدل إلى بـدلٍ / أبديـل منـك مقبـول
إذ عدمت العـدل منـك وإذ / أنـا فيك الـدّهـر معـدول
حمّليـني كلّ لا ثمـة / كـلّ ما حمّلـت مقبـول[٣٢]
واحكمـي ما شئـت واحتكمـي / فحرامـي فيـك تحليـل[٣٣]
والّذي أرجو النجـاة بـه / مـا لقلـبي عنـك تحـويـل
ما لـداريَ منـك مقفـرةٌ / وضميـري منـك مـأهول
أيخـون العهـد ذو ثقة / لا يخون العهـد مسؤول
وأخـو حبّيـك في تعـبٍ / مطلـق مـرّاً[٣٤] ومغلـول
ما فراغـي عنـك مشتغـل / بـل فراغي بـك مشغـول[٣٥]
وبـدت يـوم الـوداع لنـا / غادة عيطاء عطبـول[٣٦]
حاسراً أو ذات مقنعـة / ذات تـاج فيـه إكليـل
أيّ عطفيهـا بـه انصرفت / أَرِجٌ بالمسـك معـلـول
تتعاطـى شدّ معجـرهـا / ونطـاق الخصر محلـول

٣١ في العقد الفريد ٢ / ١٩٩ : كنت أعرفه .
٣٢ في غ ، والعقد الفريد ٢ / ١٩٩ : كلّ ما حمّلت محمول .
٣٣ في غ ، وفي العقد الفريد ٢ / ٢٠٠ : فحرامي لك تحليل .
٣٤ المرّ ، والمرّة ، بمعنى واحد ، تقول جئته مرًّا أو مرّين ، ومرّة أو مرّتين .
٣٥ هذا البيت لا يوجد في ظ ، ولا في م ، ولا في ر ، أضيف من غ .
٣٦ العيطاء : الطويلة القامة . أقول : ما يزال هذا التعبير في العراق ، يطلق على الطول البائن ، والنخلة المرتفعة ، يسمّونها : عيطة ، والعطبول : المديدة العنق .

بأداليـــلٍ لهـــا قُتُـــلٍ حبّـــذا تلك الأداليـــل[37]
فبنفسي دمـــج مشطتهـــا[38] ومثانيهـــا المـــراسيـــل[39]
سبقـت بالـدمـع مقلتهـا فلهـا بالدّمـع تفصيـل
ورمـت بالسّحر مـن كثب فدفـين الـدّاء مقتـول
لاحظـت بالسّحـر عابثـة فحسـام الصّبر مفلـول
شملنـا إذ ذاك مجتمـــعٌ وجنـاح البـين مشكـول
ثـمّ ولّـت كـي تودّعنـا كحلها بالـدمـع مغسول[40]
لا تخـاف الـدّهـر طائـره فأذاه عنـك معقـول
أيّهـا النـازي مطيّتـه لأغـاليطـك تحصيـل[41]
قد تأوّلـتم عـلى جهـة ولنـا في ذاك تـأويـل
إنّ دلّيـلاك يـوم غـدا بـك في الحـين لضلّيـل[40]
قـاتـل المخلـوع مقتـول ودم القاتـل مطلـول [٧٣ غ]
قـد يخـون الرّمـح عاملـه وسنـان الرّمـح مصقول[40]
وينـال الـوتـر طالبـه بعدمـا تسلـو المثاكيـل[40]
سار أوحـلّ فمتّبـع بالّـتي يكبـو لهـا الفيـل
لا تنجّيـه مـذاهبـه نهـر بوشنجٍ[42] ولا النّيـل

٣٧ الأداليل : مفردها : الإدلال ، وهو التدلّل ، ويقصد به هنا التغنّج .
٣٨ الدمجة : الطريقة ، يريد إبداء إعجابه بكيفية ترتيب شعرها .
٣٩ المثناة ، وجمعها مثانية : الطيّ والالتواء : يشير إلى جدائلها الملتوية المرسلة على كتفيها .
٤٠ الإضافة من العقد الفريد ٢ / ٢٠٠ .
٤١ في العقد الفريد ٢ / ٢٠٠ :

أيّهـا البـادي بطيتـه مـا لأغلاطك تحصيـل

٤٢ بوشنج : بليدة نزهة خصيبة من نواحي هراة ، بينهما عشرة فراسخ (معجم البلدان ١ / ٧٥٨) أقول : إنّما ذكر بوشنج في شعره لأنّها موطن أهل طاهر بن الحسين .

ومدين القتل مرتهن بدماء القوم مقتول
بأخي المخلوع[43] طلت يداً لم يكن في باعها طول
وبنعماه الّتي سلفت فعلت تلك الأفاعيل
وبراعٍ غير ذي شفق جالت الخيل الأبابيل
يا ابن بيت النّار موقدها مالحاديه سراويل[44]
أيّ مجد فيك نعرفه أيّ جدّ لك بهلول
من حسينٌ أو أبوك ومن مصعب غالتهم غول
وزريق إذ تخلّفه نسبٌ عمرُكَ مَجهول
تلّك دعوى لا نناقشها[45] وأبوّات مراذيل[46]
أسرة ليست مباركة غيرها الشمّ البهاليل[46] [٥٣ م]
ما جرى في عود أثلتكم ماء مجد فهو مدخول[46]
قدحت فيه أسافله وأعاليه مجاهيل[47]
إنّ خير القول أصدقه حين تصطكّ الأقاويل
كن على منهاج معرفة لا تغرّنك الأباطيل
إنّ للإصعاد منحدراً فيه للهاوي أهاويل [٥٣ ظ]
ولريب الدّهر عن عرض بالرّدي علّ وتنهيل
يعسف الصعبة رائضها ولها بالعسف تدليل
ويخون الرّمح حامله وسنان الرّمح مصقول

---

٤٣ في الأصل : بيد المخلوع ، والتصحيح من العقد الفريد ٢ / ٢٠٠ .
٤٤ الحوادي : الأرجل ، وفي غ : لحاذيه ، بالذال ، والحاذان : لحمتان في ظاهر الفخذين (لسان العرب) .
٤٥ المناقشة : المجادلة .
٤٦ لا يوجد هذا البيت في ظ ، وأضيف من غ وم .
٤٧ في غ : وأعاليه مهازيل .

وينـــال الثـأر طالبـــه[48] بعدمـــا تسلـــو المثـاكيـــل
مضمر حقـــداً ومنصلـــه مغمد في الجفـــن مسلـــول

قال : فلمّا قرب عبد الله بن طاهر منّي ، استوحشت من المقام خوفاً على نفسي ، ورأيت بُعدي وتسليمي حرمي عاراً باقياً ، ولم يكن لي إلى هربي بالحرم سبيل ، فأقمت على أتمّ خوف مستسلماً للاتّفاق ، حتّى إذا كان اليوم الّذي قيل إنّه ينزل فيه العسكر [بهذه النواحي][49] أغلقت باب حصني ، وأقمت هذه الجارية السوداء [ربيئة][49] تنظر لي على مرقب من شرف الحصن ، وأمرتها أن تعرّفني الموضع الّذي ينزل فيه العسكر قبل أن يفجأني ، ولبست ثياب الموت أكفاناً ، وتطيّبت ، وتحنّطت .

فلمّا رأت الجارية العسكر يقصد حصني ، نزلَتْ فعرّفتني ، فلم يرعني إلّا دقّ باب الحصن فخرجت ، فإذا عبد الله بن طاهر ، واقف وحده ، منفرد عن أصحابه ، فسلّمت عليه سلام خائف [٤٢ ر] ، فرد عليّ غير مستوحش [٧٤ غ] ، فأومات إلى تقبيل رجله في الركاب ، فمنع ألطف منع وأحسنه ، ونزل على دكّان[50] على باب الحصن .

ثمّ قال : ليسكن روعك ، فقد أسأت الظنّ بنا ، ولو علمنا أنّا [بزيارتنا لك][49] نروعك ما قصدناك .

ثمّ أطال المسألة ، حتّى رأى الثقة منّي قد ظهرت ، فسألني عن سبب مقامي في البرّ ، وإيثاري إيّاه على الحاضرة ، ورفاهة عيشها ، وعن حال ضيعتي ومعاملتي في ناحيتي ، فأجبته بما حضر لي .

---

٤٨ في غ : وينال الوتر طالبه .
٤٩ الزيادة من غ وم .
٥٠ الدكّان : الدكّة .

حتى إذا لم يبق من التأنيس شيء أفضى إلى مساءلتي عن حديث نصر بن شبث[٥١] ، وكيف الطريق إلى الظفر به ، فأخبرته بما حضرني[٥٢] .

ثمّ أقبل عليّ وقد انبسطتُ في محادثته كلّ الانبساط ، فقال : أحبّ أن تنشدني القصيدة الّتي فيها :

يا ابن بيت النار موقدها ... ما لحاديه سراويل

فقلت : أصلح الله الأمير ، قد أربت نعمتك على مقدار همّتي ، فلا تكدّرها بما ينغّصها .

فقال : إنّما أريد الزيادة في تأنيسك ، بأن لا تراني متحفّظاً ممّا خفت ، وعزم عليّ في إنشادها ، [عزم مجدّ][٥٣] فقلت : يريد أن تطرأ على سمعه ، فيثور ما في نفسه ، فيوقع بي . ولم أجد من إنشادها بدًّا ، فأنشدته القصيدة ، فلمّا فرغت منها ، عاتبني عتاباً سهلاً[٥٤] ، فكان منه أن قال : يا هذا ، ما حملك على تكلّف إجابتي ؟

فقلت : الأمير أصلحه الله ، حملني على ذلك بقوله :

وأبي من لا كفاء له ... من يسامي مجده ؟ قولوا !

فقلت كما تقول العرب ، وتفتخر السوقة على الملوك ، وكنت لما بلغت إلى قولي :

يا ابن بيت النّار موقدها ... ما لحاديه سراويل

قال لي : يا ابن مسلمة ، لقد أحصينا في خزائن ذي اليمينين بعد موته ،

---

٥١ في ظ ور : نصر بن مالك ، وفي م : نصر بن شبيب بن مالك ، والتصحيح من غ .

٥٢ في غ وم : فأخبرته بما عندي في ذلك .

٥٣ الزيادة من غ .

٥٤ كذا في غ وفي بقية النسخ : شديداً .

ألفين وثلثمائة[٥٥] سراويل من صنوف الثّياب ، ما أصلح في أحدها تكّة ، سوى ما استعمل في اللّبس ، على أنّ النّاس يقلّون اتّخاذ السراويلات في كساهم .

فاعتذرت إليه بما حضرني من القول في هذا ، وفي [٥٤ م] جميع ما تضمّنته القصيدة ، فقبل القول ، وبسط العذر ، وأظهر الصفح .

وقال : قد دللتنا على ما احتجنا إليه ، من معرفة أمر نصر بن شبث ، أفنستحسن القعود عنّا في حربه . ولا يكون لك في الظفر به أثر يشاكل إرشادك لوجوه مطالبه ؟ فاعتذرت إليه بلزوم ضيعتي ومنزلي ، وعجزي عن السّفر للقصور عن آلته .

فقال : نكفيك ذلك ، وتقبله منّا ، ودعا بصاحب دوابّه [٥٤ ظ] ، فأمره بإحضار خمسة مراكب من الخيل الهماليج بسروجها ولجمها المحلّاة ، وبثلاث دوابّ من دوابّ الشاكريّة ، وخمسة أبغل من بغال الثقل ، وأمر صاحب كسوته بإحضار خمسة[٥٦] تخوت من أصناف الثياب الفاخرة ، وأمر خازنه بإحضار خمس بدر دراهم ، فأحضر جميع ذلك ، ووضع على الدّكّان الّذي كان عليه جالساً بباب الحصن .

ثم قال لي : كم مدّة تأخّرك عنّا إلى أن تلحق بنا ؟ فقرّبت الموعد ، فقام ليركب ، فابتدرت إلى يده لأقبّلها ، فمنعني ، وركب ، وسار الجيش معه ، وما ترك أحداً ينزل ، وكفى الله مؤونتهم ، وخرجت السوداء ، فنقلت الثياب [٧٥ غ] والبدر ، وأخذ الغلمان الكراع ، وما لقيت عبد الله بعدها[٥٧] .

قال عيسى بن فرخان شاه : فأقمت عند محمّد بن يزيد يومي وليلتي ،

---

٥٥ في غ : ألفاً وثلثمائة .

٥٦ في غ : ثلاثة .

٥٧ وردت القصّة في الأغاني ١٢ / ١٠٤ وفي العقد الفريد ٢ / ١٩٨ .

فأضافني أحسن ضيافة ، وكانت مذاكرته لي ، وأدبه ، ألذّ إليّ من كلّ شيء[٥٨] ، فأسقطت عنه جميع خراجه في تلك السنة ، وانصرفت .

[ووقع إليّ هذا الخبر ، بخلاف هذا ، فأخبرني أبو الفرج الأصبهاني ، قال : حدّثني عمّي الحسن بن محمّد ، قال : حدّثني ابن الدهقانة النديم[٥٩] ، قال :][٦٠] حدّثني محمّد بن الفضل الخراساني[٦١] ، وكان من وجوه قوّاد طاهر ، وابنه عبد الله ، [وكان أديباً ، عاقلاً ، فاضلاً][٦٢] :

لما [٤٣ ر] قال عبد الله ، قصيدته الّتي فخر فيها [بمآثر أبيه وأهله ، وبقتل المخلوع][٦٣] ، عارضه محمّد بن يزيد الأموي الحصني ، وهو رجل من ولد مسلمة بن عبد الملك ، فأفرط في السبّ ، وتجاوز الحدّ في قبح الردّ ، فكان فيما قال :

يا ابن بيت النار موقدها ... ما لحاديه سراويل
مَنْ حسين وأبوك ومن ... مصعبٌ غالتهم غول
[نسب في الفخر مؤتشب[٦٤] ... وأبوّات أراذيل[٦٥]
قاتل المخلوع مقتول ... ودم المقتول مطلول

وهي قصيدة طويلة .][٦٦]

---

٥٨ في غ : أحب إليّ من كلّ أحد .
٥٩ في الأغاني ١٢ / ١٠٣ أبو جعفر بن الدهقانة النديم .
٦٠ الزيادة من غ ، ومن الأغاني ١٢ / ١٠٣ .
٦١ في الأغاني ١٢ / ١٠٣ العباس بن الفضل الخراساني .
٦٢ الزيادة من الأغاني ١٢ / ١٠٣ .
٦٣ الزيادة من غ ، ومن الأغاني ١٢ / ١٠٤ .
٦٤ مؤتشب : غير صريح .
٦٥ هذا البيت والذي بعده ، زيد من الأغاني ١٢ / ١٠٤ .
٦٦ الزيادة من غ ، ومن الأغاني ١٢ / ١٠٤ .

فلمّا ولي عبد الله مصر ، وردّ إليه تدبير الشام ، علم الحصنيّ أنّه لا يفلت منه إن هرب ، ولا ينجو من يده حيث حلّ ، فثبت مكانه ، وأحرز حرمه ، وترك أمواله وكلّ ما يملكه في موضعه ، وفتح باب حصنه ، وهو يتوقّع من عبد الله أن يوقع به .

قال : فلمّا شارفنا بلده ، [وكنّا على أن نصبحه][٦٦] ، دعاني عبد الله في الليل ، فقال : بتْ عندي ، وليكن فرسك معدًّا ، ففعلت ، فلمّا كان في السّحر ، أمر غلمانه وأصحابه أن لا يرحلوا حتّى تطلع الشمس ، وركب هو وأنا وخمسة من خواصّ غلمانه ، وسار حتّى صبّح الحصنيّ ، فرأى بابه مفتوحاً ، ورآه جالساً مسترسلاً ، فقصده وسلّم عليه ، ونزل عنده .

وقال : ما أجلسك ها هنا ، وحملك على أن تفتح بابك ، ولم تتحصّن من هذا الجيش المقبل ، ولم تتنحّ عن عبد الله بن طاهر ، مع علمك بما في نفسه منك ، وما بلغه عنك ؟

فقال : إنّ الّذي قلتَ لم يذهب عنّي ، ولكنّي تأمّلت أمري ، وعلمت أنّي قد أخطأت عليه خطيئة حملني عليها نزق الشباب ، وغرّة الحداثة ، وأنّي إن هربت منه لم أفته ، فباعدت الحرم ، واستسلمت بنفسي وبكلّ ما أملك ، فإنّا أهل بيت قد أسرع فينا القتل ، ولي بمن مضى من أهلي أسوة ، وأنا واثق بأنّ الرّجل إذا قتلني ، وأخذ مالي ، شفى غيظه ، فلم يتجاوز ذلك إلى الحرم ، ولا له فيهنّ أرب ، ولا يوجب جرمي إليه أكثر ممّا بذلته .

فوالله ، ما أجابه عبد الله إلّا بدموعه تجري على لحيته ، ثمّ قال له : أتعرفني ؟ .

قال : لا والله .

قال : أنا عبد الله بن طاهر ، وقد أمّن الله روعك ، وحقن دمك ، وصان حرمك ، وحرس نعمتك ، وعفا عن ذنبك ، وما تعجّلت إليك وحدي ، [إلّا

لتأمن ، قبل هجوم الجيش][67] ، ولئلّا يخالط عفوي عنك ، روعة تلحقك .

فبكى الحصنيّ ، وقام فقبّل يده[68] ، فضمّه عبد الله إليه ، وأدناه ، ثم قال له : أمّا إنّه لا بدّ من العتاب ، يا أخي ، جعلني الله فداك ، قلتُ [٥٥ م] شعراً في قومي أفخر بهم ، ولم أطعن فيه على نسبك ، ولا ادّعيت فضلاً عليك ، وفخرتُ بقتل رجل هو وإن كان [٧٦ غ] من قومك ، فهو من الّذين ثأرك عندهم ، وقد كان يسعك السّكوت ، وإن لم يسعك ، أن لا تُغْرِق ولا تسرف .

فقال : أيّها الأمير ، قد عفوتَ فاجعله عفواً لا يخالطه تثريب ، ولا يكدّر صفوه تأنيب .

قال : قد فعلتُ ، فقم بنا ندخل إلى منزلك ، حتّى توجب علينا حقًّا وذماماً بالضيافة[69] .

فقام مسروراً [٥٥ ظ] فأدخلنا منزله ، وأتانا بالطّعام فأكلنا ، وجلسنا نشرب في مستشرفٍ له ، وأقبل الجيش ، فأمرني أن أتلقّاهم فأرحّلهم ، ولا ينزل أحد منهم إلّا في المنزل ، وكان على ثلاثة فراسخ من الحصن ، فنزلتُ ، فرحّلتهم ، وأقام عنده إلى العصر ، ثم دعا بدواة ، فكتب له بتسويغه خراجه ثلاث سنين .

ثمّ قال له : إن نشطت ، فالحق بنا [إلى مصر][70] ، وإلّا فأقم بمكانك .

فقال : أتجهّز ، وألحق بالأمير .

ففعل ، ولحق بنا ، فلم يزل مع عبد الله ، لا يفارقه ، حتّى رَحل إلى العراق ، فودّعه ، وأقام ببلده[71] .

---

٦٧ الزيادة من غ ، وم .

٦٨ في غ : وقام فقبّل رأسه .

٦٩ في غ : حتى توجب علينا ذماماً بالضيافة .

٧٠ لا توجد في غ ، ولا م .

٧١ وردت القصّة في الأغاني ١٢ / ١٠٣ – ١٠٦ ، ونقلها باختصار صاحب حلّ العقال ص ٣٨ .

[وحدّثني أبو الفَرج المعروف بالأصبهاني ، بهذا الخبر ، من لفظه وحفظه ، بخلاف هذا ، قال : أخبرني أبو دلف هاشم بن محمّد الخزاعيّ[72] ، قال : حدّثني أبو أحمد عبيد الله بن عبد الله بن طاهر ، قال :

لما قال أبي قصيدته الّتي يقول فيها :

وأبي من لا نظير له من يسامي مجده ؟ قولوا

وذكر أبياتاً من القصيدة ، قال الحصنيّ الأمويّ قصيدة أوّلها :

لا يرعك القال والقيل كلّما بلّغت تمحيل[73]

وذكر أبياتاً من القصيدة يشتمه فيها ، فلمّا ولي تلك النواحي ، علم المسلمي[74] أنّه لا يفوته ، فأقام ببلده ، فلمّا قربَ أبي من حصن مسلمةَ ، أمر الجيش فنزلوا على فرسخ منه ، ونزع من موضعه ، مع عدّة من غلمانه ، فجاء إلى الحصن ، فابتدأه وهو على باب داره ، فسلّم ، ونزل .

فقال له : من أنت ؟

قال : أنا محمّد بن مسلمة القرشيّ الحصنيّ .

قال : الّذي هجوت آل طاهر .

قال : نعم أعزّك الله .

قال : فلمَ فعلت ذلك ، فوالله ما فخر القوم إلّا بقتلهم رجلاً [من قبيلٍ] قتلكم وأفناكم ، فما دخولك في هذا ؟

قال : أطّت الرحم[75] وإن كانت مقطوعة ، ولحقتني الرّحمة والحميّة ،

---

٧٢ هاشم بن محمّد بن هارون بن عبد الله بن مالك : ترجم له الخطيب البغدادي في تاريخه ١٤ / ٦٨ وقال إنّه توفّي سنة ٣١٢ وإنّ كنيته أبو خلف ، وورد في هذا الكتاب أنّ كنيته أبو دلف .

٧٣ المماحلة : المكايدة والمماكرة .

٧٤ المسلمي : نسبه إلى جدّه مسلمة بن عبد الملك بن مروان الأموي .

٧٥ أطّت الرحم : رقت وتحركت وعطفت .

وهو أمرني أن أقول ، إذ قال :

من يسامي مجده قولوا

قال : فذكرنا ما عندنا .

قال : فلم لم تستتر من عبد الله بن طاهر وقد أظلّك ؟

قال : علمتُ أنّي لا أفوته ، فجدت بنفسي ، وصنت حرمي .

قال : أتعرفني ؟

قال : أمّا في الحقيقة ، فلا ، ولكنّي أظنّك من قوّاده .

قال : لا ، بل أنا هو ، وإنّما سبقت إليك لئلّا تراع ، وقد أمّنك الله ، وأمّن حرمك ، فسلني حاجاتك .

قال : أمّا أنا أيّها الأمير ، فقد أجبتني عن قولي بفعلك ، وأكذبت شعري بفضلك ،وما لي بعدها حاجة ، فإنّي في كفافٍ من معيشتي [٧٦] .

فاحتمل له خراجه ، وقال له : إن شئتَ فأقم ببلدك ، وإن شئتَ فكن معي .

قال : بل أقيم ببلدي ، وأزور الأمير إذا نشط لي .

فأجابه إلى ذلك] [٧٧] .

---

٧٦ العيش الكفاف : الذي يكفّ صاحبه عن الناس ، أي ما يكفي المرء لنفقته ، بلا فضل ولا نقص .

٧٧ انفردت بها غ .

١٢٥

الباب الّذي بين الله والنّاس ، لا يغلق

وحدّثني [عبد الله بن أحمد][1] بن داسة ، المقرئ البصريّ[2] ، قال :

سمعت أنّ بعض الجند ، اغتصب امرأة نفسها من الطريق ، فعرض له الجيران يمنعونه منها ، فقاتلهم هو وغلمانه حتّى تفرّقوا ، وأدخل [٧٧ غ] المرأة إلى داره ، وغلّق الأبواب ، ثم راودها عن نفسها ، فامتنعت ، فأكرهها ، ولحقها منه شدّة ، حتّى جلس منها مجلس الرّجل من المرأة .

فقالت له : يا هذا ، اصبر حتّى تغلق الباب الّذي بقي عليك أن تغلقه . [٤٤ ر]

قال : أيّ باب هو ؟

قالت : الباب الّذي بينك وبين الله .

فقام عنها ، وقال : اخرجي ، قد فرّج الله عنك .

فخرجت ، ولم يتعرّض لها .

---

١ الزيادة من غ .

٢ أبو محمّد عبد الله بن أحمد بن بكر بن داسة البصري : ذكره السمعاني في كتاب الأنساب ٢١٩ وابن الأثير في اللباب ١ / ٤٠٦ ، وروى عنه التنوخي أخباراً عدّة في كتابه نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ، راجع فيه القصص ١ / ١٠ ، ٢٠ ، ١٠٨ ، ٣ / ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٨ ، ٥١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ .

١٢٦

بين الوليد بن يزيد وطريح بن إسماعيل الثقفيّ

[أخبرنا أبو الفرج علي بن الحسين الأصبهاني][1] ، عن المدائنيّ[2] ، قال : كان الوليد بن يزيد[3] ، وهو وليّ العهد ، يكرم طريح بن إسماعيل الثقفيّ[4] ،

---

١ الزيادة من غ ، وهو أبو الفرج عليّ بن الحسين الأموي (٢٨٤ – ٣٥٦) : من أئمّة الأدب ، ومن الأعلام في معرفة التاريخ ، والأنساب ، والسير ، والآثار ، واللّغة ، والمغازي ، ويكفيه أنّه مؤلّف كتاب الأغاني (الأعلام ٥ / ٨٨) راجع ما كتبه عنه القاضي التنوخيّ في القصّة ٤ / ٣ من كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة .

٢ المدائني نسبة إلى المدائن ، قال عنها ياقوت في معجم البلدان ٤ / ٤٤٥ : إنّها تبعد عن بغداد ستة فراسخ ، في جنوبيها ، كانت مسكن الملوك الأكاسرة الساسانية ، اسمها الأوّل : طيسفون ، فتحها العرب سنة ١٦ على يد سعد بن أبي وقاص ، وهي الآن بليدة شبيهة بالقرية ، وأهلها فلاّحون ، وبالمدينة الشرقية ، قرب الإيوان قبر سلمان الفارسي رضي الله عنه ، أقول : للبحتري في وصف إيوان كسرى ، ويسمّيه فيها أبيض المدائن ، قصيدة تشتمل على ٥٦ بيتاً ، كلّها غرر ، مطلعها :

صنت نفسي عما يدنّس نفسي   وترفّعت عن جدا كلّ جبس

واسم المدائن الآن : سلمان باك ، إشارة إلى الصحابيّ سلمان الفارسي المدفون فيها ، وباك ، معناها الطاهر ، ومنه اشتق اسم : باكستان ، وما زال مشهده يزار ، وعليه بناء بناه السلطان عبد الحميد الثاني العثماني ، وما زال فيها إيوان كسرى ، وقد سقط أحد جناحيه قبل مائة عام ، وهو الآن قائم بجناح واحد ، وللبغداديين تقليد موغل في القدم ، وهو زيارة سلمان باك في موسم الربيع ، فإذا حلّ الموسم ترك الكثير أعمالهم ، وجهّزوا أنفسهم بالخيام والفرش والأواني ، ورحلوا إلى سلمان باك على الظهر ، أو انحدروا في الماء ، فيخيّمون في المناطق المزروعة المحيطة بالقبر والإيوان ، ويمكثون أيّاماً ، يأكلون ، ويغنون ، ويطربون ، ولهم أغنية يتناقلونها ، يكررون فيها هذا الشطر :

والما يزوره لسلمان ، عمره خسارة

٣ الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان (٨٨ – ١٢٦) : من فتيان بني أميّة ، وظرفائهم ، كان شجاعاً ، جواداً ، منهمكاً في اللهو ، ثار عليه ابن عمّه يزيد بن الوليد ، وحاصره ، فقتله ، ونصب رأسه في

ويدني مجلسه ، وجعله أوّل داخل وآخر خارج من عنده ، فاستفرغ مديحه كلّه فيه ، فحسده النّاس من أهل بيت الوليد ، وقدم حمّاد الراوية ، في تلك الأيّام إلى الشّام .

فقالوا له : قد ذهب طريح بالأمير كلّ مذهب ، فما لنا معه ليل ولا نهار .

فقال حمّاد : اطلبوا لي[5] من ينشده بيتين من الشّعر [في خلوة][6] لأسقط منزلته عنده .

فطلبوا إلى الخصيّ الّذي كان يقوم على رأس الوليد ، وجعلوا له عشرة آلاف درهم ، على أن ينشد بيتين من الشّعر ، على خلوة ، فإذا سأله عنهما وعن قائلهما ، قال له : طريح ، فأجابهم الخصيّ إلى ذلك ، وتعلّم البيتين .

فلمّا [كان ذات يوم][6] دخل طريح على الوليد ، ودخل النّاس ، وجلسوا طويلاً ، ثمّ نهضوا ، وبقي طريح مع الوليد ، فدعا بغدائه فتغدّيا ، ثمّ إن طريحاً خرج ، فركب إلى منزله ، وبقي الوليد وحده [في مجلسه ليس معه أحد][6] فاستلقى على فراشه ، فاغتنم الخصيّ خلوته ، فأنشده البيتين ، وهما :

سيري ركابي إلى من تسعدين به ... فقد أقمت بدار الهون[7] ما صلحا
سيري إلى سيّد سمح خلائقه ... ضخم الدسيعة قرم يحمل المِدَحا

فأصغى الوليد إليه ، ثمّ قال : من يقول هذا يا غلام ؟

الجامع الأمويّ بدمشق ، وبقي أثر دمه على الجدار ، حتى قدم المأمون سنة ٢١٥ فأمر بحكّه (الأعلام ٩ / ١٤٥) .

٤ أبو الصلت طريح بن إسماعيل بن عبيد بن أسيد الثقفي الشاعر : ترجمته في حاشية القصّة ١١٨ من الكتاب .

٥ في غ : ابغوني .

٦ الزيادة من غ .

٧ في غ : دار الذلّ .

قال : يقوله طريح .

فامتلأ غيظاً وغضباً ، ثم قال : والهَفَ أمّ لم تلدني ، قد جعلته أوّل داخل عليّ ، وآخر خارج عنّي ، ويزعم أنّ هشاماً[8] يحمل المِدَح ، وأنّي لا أحملها .

ثمّ قال : عليّ بالحاجب .

فجاء ، فقال له : لا أعلم أنّك أذنت لطريح ، ولا أراه في بسيط الأرض ، فإذا جادلك في ذلك ، فاخبطه بالسّيف .

فلمّا صلّيت العصر ، جاء طريح في السّاعة الّتي كان يؤذن له فيها ، فدنا من الباب ليدخل ، فقال له الحاجب : وراءك [٥٦ م] .

فقال : ما لك ، هل دخل على وليّ العهد أحد بعدي ؟

قال : لا ، ولكن ساعة ولّيت من عنده ، دعاني ، فأمرني أن لا آذن لك ، وإن جادلتني في الإذن خبطتك بالسيف .

فقال له : لك عشرة آلاف درهم ، وأدخلني .

فقال له الحاجب : والله ، لو أعطيتني خراج العراق[9] ما أذنت لك ، وما لك خير في الدخول عليه ، فارجع .

فقال : ويحك ، هل تعلم من دهاني عنده ؟

قال : لا والله ، لقد دخلت عليه ، وما عنده أحد ، ولكن الله تعالى يحدث ما يشاء ، في اللّيل والنّهار .

فرجع طريح ، وأقام بباب الوليد سنة ، لا يخلص إليه ، ولا يقدر [٥٦ ظ] على الدّخول عليه ، وأراد الرّجوع إلى وطنه وقومه .

---

٨ هشام بن عبد الملك بن مروان (٧١ – ١٢٥) : من مشاهير الخلفاء الأمويين ، خلف أخاه يزيد بن عبد الملك سنة ١٠٥ ، وثار عليه الإمام زيد بن عليّ بن الحسين عليهم السلام ، فوجّه إليه من قتله ، وكان ممسكاً ، فاجتمع في خزائنه مال كثير ، توفّي سنة ١٢٥ (الأعلام ٩ / ٨٤) .

٩ كذا في غ وم ، وفي بقيّة النسخ : خراج الأرض .

ثمّ قال : والله ، إنّ هذا منّي لعجز ، أرجع من غير أن ألقى وليّ العهد ، فأعلم من دهاني عنده ؟

ورأى أناساً كانوا أعداء له ، قد فرحوا بما كان من أمره [٧٨ غ] ، ولم يزل يلطف بالحاجب ، حتّى قال له : أمّا إذ أطلت المقام ، فأنا أكره أن تنصرف على حالك هذه ، ولكنّ الأمير ، إذا كان يوم كذا وكذا ، دخل الحمّام ، ثمّ أمر بسريره فأبرز ، وليس عليه يومئذ حجابٌ ، فإذا كان ذلك اليوم حضرتَ ، فدخلتَ عليه ، وظفرتَ بحاجتك ، ويكون لي أنا عذر .

فلمّا كان ذلك اليوم دخل الحمّام ، وأبرز سريره ، وجلس عليه ، وأذن للنّاس فدخلوا ، وبعث الحاجب إلى طريح ، فأقبل .

فلمّا رآه الوليد من بعيد ، صرف وجهه عنه ، وكره أن يردّه من بين النّاس ، فسلّم ، فلم يردّ عليه ، فأنشأ طريح يقول :

نام الخليّ من الهموم وبتّ في — ليلٍ أكابده وهمّ مضبع
وسهرت لا أسري ولا في لذّة — أرقي وأعقد ما لقيت المضجع [10]
أبغي وجوه مخارجي من تهمةٍ — أزمتْ عليّ وسدّ منها المطلع [٤٥ ر]
جزعاً لمغضبة الوليد ولم أكن — من قبل ذاك من الحوادث أجزع
يا ابن الخلائف إنّ سخطك لامرئ — أمسيت عصمته بلاء مفظع
فلأنزعنّ عن الذي لم تهوه — إن كان لي – ورأيتَ ذلك – منزع
فاعطف – فداك أبي – عليّ تعطّفاً — وفضيلة ، فعسى الفضيلة تنفع [11]
فلقد كفاك ، وزاد ما قد نالني — إن كنتَ لي ببلاء ضرٍّ تقنع
سمةٌ لذاك عليّ جسم شاحب — بادٍ تحسّره ، ولون أسفع

---

١٠ كذا في ظ وم ، وفي ر : أرباً وأغفل ما لقيت المنجع .

١١ في غ : فعلى الفضيلة يتبع .

إن كنتَ في ذنب عتبتَ فإنّني عمّا كرهتَ لنازعٌ متضرّع
ويئستُ منك فكلّ عسر باسط يده إليّ وكلّ يسر أقطـــع
من بعد أخذي من حبالك بالّذي قد كنت أحسب أنّه لا يقطع
أرمضتني حتّى انقطعتُ وسدّدتْ عنّي الوجوه ولم يكن لي مدفـع
ودخلتُ في حرم الذمام وحاطـني خفر أخذت به وعهد مولـع
أفهادمٌ ما قد بنيتَ وخافـضٌ شرفي وأنت بغير ذلك أوسع
أفلا خشيتَ شماتَ قومٍ فيهمُ شنف[12] وأنفسهم عليّ تقطّـع
وفضلت في الحسب الأشمّ عليهم وصنعت في الأقوام ما لم يصنع
فكأنّ أنفهم بكلّ صنيعـــة أسديتها ، وجميل فعل ، يجدع
ودّوا لو أنّهمُ ينال أكفّهـــم شللٌ وأنّك عن صنيعك تنزع
أو تستليم[13] فيجعلونك أسوة وأبى المـلام لـك الندى والمصنع

فقال له : زعمت أنّ هشاماً يحمل المدح ، وأنا لا أحملها ؟ فأنكر .

فدعا الحصيّ ، وكشف عن الصورة ، فاعترف الحصيّ ، بما كان قد رشي ، حتّى أنشد البيتين بحضرة الوليد ، فرضي عنه ، وأجزل عطاءه ، وعوّضه ما فاته ، وردّه إلى ما كان عليه .

---

١٢ الشنف : البغض .

١٣ الاستلامة : صنع ما يوجب اللوم .

١٢٧
بين الجاحظ وأحمد بن أبي دؤاد

وجدت في بعض الكتب : أُتي بالجاحظ[١] ، إلى أحمد بن أبي دؤاد ، بعد نكبة محمّد بن عبد الملك الزيّات [٧٩ غ] مقيّداً في جبّة صوف[٢] .

فقال له ابن أبي دؤاد : والله يا عمرو [٥٧ م] ما علمتك إلّا متناسياً للنعمة ، جاحداً للصنيعة ، معدّداً للمثالب ، مخفياً للمناقب ، وإنّ الأيّام لا تُصلح مثلك ، لفساد طويّتك ، وسوء اختبارك .

فقال له الجاحظ : خفّض عليك ، فوالله ، لأن تكون المنّة لك عليّ ، خير من أن تكون لي عليك ، ولأن أسيء وتحسن ، أحسن في الأحدوثة من أن أسيء وتسيء ، ولأن تعفو في حال قدرتك ، أجمل بك من أن تنتقم .

فقال له ابن أبي دؤاد : ما علمتك إلّا كثير تزويق اللّسان ، قد جعلت لسانك أمام قلبك ، ثم اضطغنت فيه النفاق ، اغرب قبحك الله .

فأُنهض في قيوده [٥٧ ظ] ، ثمّ قال : يا غلام ، الحَقه ، فخذ قيوده ، وصِرْ به إلى الحمّام ، واحمل إليه خلعة يلبسها ، واحمله إلى منزل فيه فرش وآلة وقماش [تزاح فيه علله][٣] ، وادفع إليه عشرة آلاف درهم لنفقته ، إلى أن أصلح من خلّته ، ففعل ذلك كلّه .

فلمّا كان من الغد ، رؤي الجاحظ متصدّراً في مجلس ابن أبي دؤاد ، وعليه خلعة من ثيابه ، وطويلة من قلانسه[٥] ، وهو مقبل عليه بوجهه ، يقول : هات يا أبا عثمان .

---

١ أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ (١٦٣ - ٢٥٥) : كبير أئمّة الأدب ، ورئيس الفرقة الجاحظيّة من المعتزلة ، مات شهيد الكتب ، قتلته مجلّدات من الكتب وقعت عليه (الأعلام ٥ / ٢٣٩) .

٢ في غ : في قميص رث . * ٣ الزيادة من غ .

١٢٨

الرشيد يمضي ما تعهّد به وزيره جعفر البرمكي ، في مجلس أنس

[أخبرني أبو الفرج الأصبهاني ، قال : حدّثني يحيى بن عليّ المنجّم[١] ، قال حدّثني أبي[٢]][٣] عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي ، قال :

لم أر قطّ مثل جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي[٤] ، كانت له فتوّة ، وظرف ، وأدب ، وحسن غناء ، وضرب بالطبل ، وكان يأخذ بأجزل حظّ ، من كلّ فنّ[٥] .

فحضرتُ باب الرّشيد يوماً ، وكان الرشيد نائماً ، فوافى جعفر ، فقلت له : إنّه نائم ، فرجع ، وقال : سرْ بنا إلى المنزل ، حتّى نخلو جميعاً بقيّة يومنا ، [فأغنّيك ، وتغنّيني ، ونأخذ في شأننا ، من وقتنا هذا][٣] .

فقلت : نعم

فسرنا إلى مجلسه ، فطرحنا ثيابنا ، ودعا بالطعام ، فأكلنا ، وأمر بإخراج الجواري ، وقال : ليبرزن ، فليس عندنا من نحتشمه .

فلمّا رُفع الطعام ، وجيء بالشراب ، دعا بقميص حرير فلبسه ، ودعا لي بمثله ، ودعا بخلوق[٦] ، فتخلّق ، وخلّقني ، وجعل يغنيني ، وأغنّيه .

وكان قد دعا بالحاجب ، فتقدّم إليه أن لا يأذن لأحد من النّاس كلّهم ، وإن جاء رسول أمير المؤمنين ، فأعلمه أنّي مشغول ، واحتاط في ذلك ، وتقدّم

---

١ أبو أحمد يحيى بن عليّ بن يحيى بن أبي منصور المنجّم : ترجمته في حاشية القصّة ٤٠٢ من الكتاب .

٢ أبو الحسن عليّ بن يحيى بن أبي منصور المنجّم (٢٠١ – ٢٧٥) : راوية ، شاعر ، نادم المتوكـل ، توفّي بسامراء (الأعلام ٥ / ١٨٤) .

٣ الزيادة من غ .

٤ أبو الفضل جعفر بن يحيى البرمكيّ ، ترجمته في آخر القصّة .

٥ ورد هذا الوصف لجعفر بن يحيى البرمكي في الأغاني ٥ / ٤٠٧ .

٦ الخلوق : ضرب من الطيب ، أعظم أجزائه الزعفران .

فيه إلى جميع الحجّاب والخدم .

ثمّ قال : إن جاء عبد الملك ، فأذنوا له ، يعني رجلاً كان يأنس به ، ويمازحه ، ويحضره خلواته[7] ، ثمّ أخذنا في شأننا .

فبينما نحن على حالة سارّة ، إذ رفع الستر ، فإذا عبد الملك بن صالح الهاشميّ[8] قد أقبل ، وغلط الحاجب ، فلم يفرّق بينه وبين عبد الملك الّذي يأنس به جعفر .

وكان عبد الملك هذا من جلالة القدر والتقشّف ، على حالة معروفة ، حتّى إنّه كان يمتنع من منادمة الخليفة ، على اجتهاد من الخليفة أن يشرب معه قدحاً واحداً ، فلم يفعل ، ترفّعاً .

فلمّا رأيناه مقبلاً ، أقبل كلّ واحد منّا ينظر إلى صاحبه ، وكاد جعفر أن تنشقّ مرارته غيظاً .

وفهم الرّجل حالنا ، فأقبل نحونا ، حتّى صار إلى الرّواق الّذي نحن فيه ، فنزع قلنسوته ، فرمى بها مع طيلسانه جانباً ، ثمّ قال : أطعمونا شيئاً .

فدعا له جعفر [٨٠ غ] بطعام ، وهو منتفخٌ غيظاً وغضباً ، فأكل ، ثمّ دعا برطل[9] فشربه [٤٦ ر] .

ثمّ أقبل إلى المجلس الّذي كنّا فيه ، فأخذ بعضادتي الباب ، ثمّ قال : أشركونا فيما أنتم فيه .

---

٧ في المستجاد (ص ١٥٤) : عبد الملك بن نجران ، كاتبه .

٨ عبد الملك بن صالح بن عليّ بن عبد الله بن العبّاس : أمير عباسي ، خطيب ، فصيح ، لـه مهـابة وجلالة ، ولّي الموصل للهادي ، وولّي المدينة للرشيد ، ثم ولّاه مصر ، ثم ولّاه دمشق ، وبلغه أنّه يطلب الخلافة ، فحبسه ، ولمّا استخلف الأمين ، أطلقه ، وولّاه الشام والجزيرة سنة ١٩٣ ، فأقام بالرقّة أميراً ، وتوفّي سنة ١٩٦ (الأعلام ٤ / ٣٠٤) .

٩ الرطل : يقابله في وقتنا عند الإفرنج : اللتر Litre ، قاله كوركيس عوّاد في الديارات ٤٢ .

فقال له جعفر : ادخل ، فدخل [فدعا له بقميص حرير وخلوق ، فلبس ، وتخلّق ، ثمّ دعا برطل ، ورطل][10] حتّى شرب ثلاثة أرطال[11] ، ثمّ اندفع يغنّيناً ، فكان – والله – أحسننا غناءً .

فلمّا طابت نفس جعفر ، وسرّي عنه ما كان به ، التفت إليه ، وقال : ارفع حوائجك .

فقال : ليس هذا موضع حوائج .

فقال : أقسم عليك ، لتفعلنّ .

ولم يزل يلحّ عليه حتّى قال له : أمير المؤمنين واجدٌ عليّ كما قد علمت ، فأحبّ أن ترضّاه .

قال : فإنّ أمير المؤمنين قد رضي عنك ، فهات حوائجك ، كما أقول لك .

قال : عليّ دين فادح .

قال : كم مبلغه ؟

قال : أربعة آلاف ألف درهم[12] .

قال : هذه [٥٨ م] أربعة آلاف ألف درهم[13] ، فإن أحببت قبضَها ، قبضتها الساعة ، فإنّه لا يمنعني من إعطائك إيّاها ، إلّا أنّ قدرك يجلّ عندي أن يصلك مثلي ، ولكنّي ضامن لها ، حتّى تحمل لك في غد ، من مال أمير المؤمنين ، فسل أيضاً .

قال : تكلّم أمير المؤمنين حتّى ينوّه باسم ابني .

قال : ولّاه أمير المؤمنين مصر ، وزوّجه ابنته الغالية ، ومهرها عنه ألفي

---

١٠ الزيادة من غ .

١١ في غ : عدّة أرطال .

١٢ في ظ : أربعمائة ألف درهم ، والتصحيح من غ .

١٣ في ظ وم : أربعمائة ألف درهم ، والتصحيح من غ .

ألف درهم[14] .

قال إسحاق : فقلت في نفسي ، قد سكر الرّجل - يعني جعفر - .

فلمّا أصبحنا ، حضرتُ دار الرّشيد ، فإذا بجعفر بين يديه ، ووجدت [٥٨ ظ] في الدار جلبة ، فإذا بأبي يوسف القاضي[15] ونظرائه ، وقد دعي بهم ، ثم دعي بعبد الملك وابنه ، فدخلا على الرّشيد .

فقال الرّشيد لعبد الملك : إنّ أمير المؤمنين كان واجداً عليك ، وقد رضي عنك ، وأمر لك بأربعة آلاف ألف درهم[13] ، فخذها من جعفر السّاعة .

ثمّ دعا بابنه ، وقال : اشهدوا عليّ أنّني قد زوّجته ابنتي الغالية ، ومهرتها عنه ألفي ألف درهم[14] ، وولّيته مصر .

فلمّا خرج جعفر سألته عن الخبر ، فقال : بكّرت إلى دار الرّشيد ، فحكيت له جميع ما جرى حرفاً حرفاً ، ووصفت له دخول عبد الملك وما صنع ، فعجب منه ، وسرّ به .

فقلت له : وقد ضمنت له عن أمير المؤمنين ضماناً .

فقال : ما هو ؟ فأعلمته .

فقال : نفي له بضمانك ، وأمر بإحضاره ، فكان ما رأيت[16] .

---

١٤ في ظ : مائتي ألف درهم ، والتصحيح من غ وم .

١٥ أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري الكوفي البغدادي (١١٣ - ١٨٢) : صاحب الإمام أبي حنيفة ، وتلميذه ، وأوّل من نشر مذهبه ، كان فقيهاً ، حافظاً ، ولد بالكوفة ، وولّي القضاء ببغداد أيّام المهدي والهادي والرشيد ، ومات في خلافته ، وهو على القضاء (الأعلام ٩ / ٢٥٢) راجع القصص ١ / ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٦ و٦ / ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ من كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للتنوخيّ .

١٦ وردت القصّة في المستجاد للتنوخيّ ١٥٣ - ١٥٦ ، وفي الوزراء للجهشياري ، وفي وفيات الأعيان لابن خلّكان ١ / ٣٣٠ و٣٣١ .

جعفر البرمكيّ

أبو الفضل جعفر بن يحيي بن خالد البرمكيّ (١٥٠ – ١٨٧) : وزير الرشيد ، أحد مشهوري البرامكة ومقدّميهم ، كان الرشيد يدعوه : أخي ، واستوزره ، وألقى إليه أزمّة الملك ، فانقادت له الدولة ، ثمّ قتله وأحرق جثته .

وهو أحد الموصوفين بفصاحة المنطق ، وبلاغة القول ، وكرم اليد والنفس ، وكان كاتباً بليغاً ، يتدارس الكتّاب تواقيعه (الأعلام ٢ / ١٢٦) .

حلف إسحاق الموصلي بالله الذي لا إله إلاّ هو ، ما رأيت أذكى من جعفر بن يحيي قطّ ، ولا أفطن ، ولا أعلم بكلّ شيء ، ولا أفصح لساناً ، ولا أبلغ في المكاتبة (الأغاني ٤ / ٣٢٥) وقال ثمامة بن أشرس : ما رأيت رجلاً أبلغ من جعفر بن يحيي البرمكيّ (تاريخ الخلفاء ٣٢٦) وقال إبراهيم بن المهديّ : ما رأيت أكمل من جعفر قطّ (الأوراق للصولي ، أشعار أولاد الخلفاء ٣٤ والعقد الفريد ٢ / ٤٢٥) .

قتل الرشيد جعفراً في السنة ٢٨٧ بالأنبار ، وهما قادمان من مكّة في آخر شهر محرم ، أمر ، فأحيط بجعفر ليلاً ، ودخل عليه مسرور وهو في لهوه ، فأخرجه إخراجاً عنيفاً ، يقوده ، حتى أتى به المنزل الذي فيه الرشيد ، وقيّده بقيد حمار ، ثمّ ضرب عنقه (الطبري ٨ / ٢٩٥) ، وكان قتله وهو ابن ٣٧ سنة ، بعد أن استمرّت وزارة البرامكة للرشيد ١٧ سنة (الطبري ٨ / ٣٠٠) .

وذكر الصولي في كتابه الأوراق ، أشعار أولاد الخلفاء ص ٥٧ : أنّ عليّة ، أخت الرشيد ، قالت له ، بعد إيقاعه بالبرامكة : ما رأيت لك يوم سرور تامًّا ، منذ قتلتَ جعفراً ، فلأيّ شيء قتلته ؟ فقال : يا حياتي ، لو علمت أنّ قميصي يعلم السبب الذي قتلت له جعفراً ، لأحرقته .

وفي العقد الفريد ، لابن عبد ربّه ٥ / ٦١ : إنّ الرشيد ، لما قتل جعفراً ، أمر بجثّته ففصلت على ثلاثة جذوع ، رأسه في جذع على الجسر ، مستقبل الصراة ، وبعض جسده على جذع بالجزيرة ، وسائر جسده على جذع على آخر الجسر الثاني ممّا يلي باب بغداد ، فلمّا دنا الرشيد من باب بغداد ، استقبله وجه جعفر مستقبلاً الشمس ، فاربدّ وجه الرشيد ، وأغضى بصره ، وأمر بالنضّاحات ، فنضح عليه ، حتى احترق عن آخره .

١٢٩

الرشيد يرضى عن فرج الرخّجي ، ويعيده إلى عمالة الأهواز

ذكر ابن عبدوس في كتابه « الوزراء » ، قال :

كان الرّشيد قد قلّد فرجاً الرخّجي[١] الأهواز ، فاتّصلت السعايات به عنده ، وكثرت الشكايات منه ، وتظلّم الرعية ، وادعي عليه أنّه اقتطع مالاً عظيماً ، فصرفه [بمحمّد بن أبان الأنباري][٢] وقبض عليه .

وحدث للرّشيد سفر ، فأشخصه معه ، فلمّا كان في بعض الطّريق دعا به ، فقال مطر بن سعيد ، كاتب فرج : فلمّا أمر بإحضاره ، حضر وأنا معه ، ولست أشكّ في الإيقاع به ، وإزالة نعمته ، [فوقفت بباب مضرب الرّشيد][٣] ، ودخل فرج ، ونحن نتوقّعه أن يخرج منكوباً ، إذ خرج وعليه الخلع ، فتضاعفت النعمة عندي ، وسرت معه إلى منزله .

فلمّا خلا سألته عن خبره ، فقال : دخلت عليه ووجهه إلى الحائط ، وظهره إليّ ، فلمّا [٨١ غ] أحسّ بي ، شتمني أقبح شتم ، وتوعّدني أشدّ توعّد .

---

١ فرج بن زياد الرخّجي : ينسب إلى الرخّج ، كورة ومدينة في نواحي كابل (معجم البلدان ٢ / ٧٧٠) . أبوه زياد من سبي معن بن زائدة ، أمّا فرج فكان مولى لحمدونة بنت الرشيد (الهفوات النادرة ص ٧٧) ، وكان فرج من كبار العمّال في الدولة العبّاسية ، وكان دميماً ، قبيح الصورة (المحاسن والأضداد ١١٦) وفيه شرّ وغدر ، ونفاق ومكر (رسوم دار الخلافة ٣٩) ، والقصّة المروية عنه في كتاب رسوم دار الخلافة ص ٣٨ – ٣٩ المشتملة على خيانته من أحسن إليه ، تدلّ على مقدار ما فيه من لؤم وخسّة ، ولي الأهواز للرشيد ، فسرق وظلم وخان ، فصرفه الرشيد ، ثم أعاده ، وهو صاحب قصر فرج ببغداد ، خلّفه لولده عمر ، وصادره المتوكّل ، فيما صادر من أموال ولده (معجم البلدان ٢ / ٥٢٢ والهفوات النادرة ص ٧٧ و ٧٨) .

٢ كذا في م ، وفي غ : بمحمّد بن الزيات الأنباري .

٣ الزيادة من غ .

ثمّ قال : يا ابن الفاعلة ، رفعتك فوق قدرك ، وائتمنتك ، فخنتني ، وسرقت مالي ، وفعلت ، وصنعت ، والله ، لأفعلنّ بك ، ولأصنعنّ .

فلمّا سكت ، قلت : القول ما قاله أمير المؤمنين في إنعامه ، وأكثر منه ، وحلفت له بأيمان البيعة وغيرها ، أنّي ناصحتُ وما سرقتُ ، ووفّرتُ وما خنتُ ، واستقصيتُ حقوقه من غير ظلم ، ولكنّي كنت إذا حضر وقت الغلّات ، جمعت التجّار وناديت عليها ، فإذا تقرّرت العطايا أنفذت البيع ، وجعلت لي مع التجّار حصّة ، فربّما ربحتُ ، وربّما وضعت[4] ، إلى أن اجتمع لي من ذلك وغيره ، في عدّة سنين ، عشرون ألف ألف درهم[5] ، [فاتّخذت أزجاً كبيراً ، وأودعته المال ، وسددّته عليه][6] فخذها ، وحوّل وجهك إلى عبدك ، وكرّرت عليه الأيمان ، بأيمان البيعة على صدقي .

فقال لي : بارك الله لك في مالك ، ارجع إلى عملك .

---

٤ في م : خسرت ، والوضيعة في التجارة : الخسارة .

٥ في غ : عشرة آلاف ألف درهم ، وفي م : ألف ألف درهم .

٦ الزيادة من غ وم .

١٣٠

بين ثمامة بن أشرس والفضل بن سهل وزير المأمون

وذكر ابن عبدوس [أيضاً في كتاب « الوزراء »][1] ، عن ثمامة بن أشرس[2] ، أنّه قال :

اجتمع النّاس ، وجلس لهم الفضل بن سهل[3] ، على فرش مرتفعة ، فقام خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، وذكر النبيّ فصلّى عليه ، ثمّ ابتدأ بالوقيعة في عبد الله بن مالك الخزاعي[4] ، وذكر أنّه كان يدّعي على الرّشيد – في حكاية حكاها – دخول بيت القيان ، وهو كاذب في ذلك ، وهو الّذي كان يفعل هذا الفعل ، ويدخل المواخير والدساكر ، ولا يرفع نفسه عن ذلك ، ولا يصون عرضه .

---

١ الزيادة من غ .

٢ أبو معن ثمامة بن أشرس النميريّ المعتزليّ : كان رأساً في الاعتزال ، وأتباعه يسمّون « الثماميّة » ، متكلم ، فصيح ، بليغ ، مقدّم ، أراد المأمون أن يستوزره فأبى ، وكان ذا نوادر وملح ، نقل الجاحظ كثيراً منها ، وقال فيه : ما علمت أنّه كان في زمان ثمامة ، قرويّ ، ولا بلديّ ، بلغ من حسن الإفهام ، مع قلّة عدد الحروف ، ولا من سهولة المخرج ، مع السلامة من التكلّف ، ما كان بلغه ، توفّي سنة ٢١٣ (الأعلام ٢ / ٨٦) .

٣ أبو العباس الفضل بن سهل السرخسي (١٥٤ – ٢٠٢) ترجمته في حاشية القصّة ٥٥ من هذا الكتاب .

٤ عبد الله بن مالك الخزاعي : من كبار القوّاد في الدولة العبّاسية ، ولّي الشرطة للمهدي ، وللهادي ، وللرشيد ، ثم ولّاه الرشيد طبرستان والريّ والرويان ودنباوند وقومس وهمدان ، وقام بحملات عسكريّة ناجحة ، ورافقه في رحلته الأخيرة إلى طوس ، فجعله رفيقاً للمأمون ، ولمّا حصلت الفرقة بين الأخوين ، انحاز إلى المأمون (الطبري ٨ / ١٧٥ ، و١٨٥ و١٨٩ و٢٠٧ ، ٢١٧ ، ٣٠٥ ، ٣١٧ ، ٣٢٠ ، ٣٤١ ، ٣٧١) ، وكان بينه وبين البرامكة تباغض ، راجع أخباره في كتاب التاج في أخلاق الملوك ٨٠ ، ٨١ ، ٩٢ ، ٩٣ والمحاسن والمساوئ ١ / ١٢٦ و١٢٧ ، وراجع قصّة له مع الهادي في ابن الأثير ٦ / ١٠٢ ، ١٠٣ ، ٢١٢ ، ٢٢٣ .

قال ثمامة : ثمّ أقبل عليّ ، فقال : وإنّ أبا معن[5] ، ليعلم ذلك ، ويعرف صحّة ما أقول ، فتركت تشييع كلامه بالتصديق ، وأطرقت [٥٩ م] إلى الأرض ، ودخلتني عصبية العربيّة لابن مالك .

[ثمّ عاد إلى تهجين عبد الله ، والتوسّع في الدعاوى عليه][6] ، ثمّ أقبل عليّ ثانية ، وقال : إنّ ثمامة ليعرف ذلك ، فسكتُّ ، وأطرقتُ ، وإنّما كان يريد منّي تشييع كلامه بالتصديق .

فلمّا رأى إعراضي عن مساعدته ترك الإقبال عليّ ، وأخذ في خطبته ، حتّى فرغ من أربه في أمر عبد الله بن مالك .

فلمّا تفرّق النّاس عنه ، وانصرفتُ ، علمت أنّي قد تعرّضت لموجدة الفضل ، وهو الوزير ، [وحالي عنده حالي][6] .

فلمّا حصلت في منزلي ، جاءني بعض إخواني [ممّن كان في ناحية الفضل] ، فأخبرني أنّ يحيي بن عبد الله[7] ، وغيره ، قالوا : ماذا صنع أبو معن ، يخاطبه الوزير ، فيعرض عنه مرّة بعد أخرى .

فقلت : أنا [٥٩ ظ] والله ، بالموجدة عليه – أعزّه الله – أحقّ ، لأنّه قام في ذلك الجمع ، وقد حضر كلّ شريف ومشروف ، فلم يستشهد بي في خطبته ، وما أجراه في كلامه ، إلّا في موضع ريبة ، أو ذكر نبوة[8] ، ودار مقيّن ومغنّية ، وما أقدر أن أشهد إلّا أن أكون مع القوم ثالثاً .

فقالوا : صدقت – والله – يا أبا معن ، بئس الموضع وضعك .

فرجع كلامي إليه ، فقال : صدق والله ثمامة ، وهو بالمعتبة أحقّ .

واندفعت عنّي موجدته ، وما كان بي إلّا ما داخلني من الحميّة لعبد الله بن مالك .

---

٥ في ظ : وإن المغضي . * ٦ الزيادة من غ وم .

٧ يحيي بن عبد الله : أحد قوّاد المأمون ، وهو ابن عمّ الفضل والحسن ابني سهل (الطبري ٨ / ٥٥٣) .

٨ في م : وذكر سوء .

١٣١

بين الأمين وإبراهيم بن المهديّ

[أخبرني أبو الفرج الأمويّ الأصبهانيّ ، قال : أخبرني محمّد بن خلف ابن المرزبان ، قال : حدّثنا حمّاد بن إسحاق ، عن أبيه ، ووجدت في بعض الكتب بإسناد غير هذا ، ليس لي بسماع ، فجمعت بين الخبرين ، على أتمّ اللّفظ][1] ، قال : [٨٢ غ]

جرى بين الأمين[2] ، وبين عمّه إبراهيم بن المهدي[3] ، كلام ، وهما على النبيذ [٤٧ ر] ، فوجد الأمين على إبراهيم ، وبانت لإبراهيم الوحشة منه ، فانصرف إبراهيم إلى منزله قلقاً ، وحجبه الأمين عنه .

وبلغ إبراهيم ذلك ، فبعث إلى الأمين بألطاف ، ورقعة يعتذر فيها ، فردّ الأمين الهديّة ، ولم يجب إبراهيم عن الرّقعة .

فوجّه إبراهيم إليه وصيفة مليحة مغنّية ، كان ربّاها ، وعلّمها الغناء ، وبعث معها عوداً معمولاً من العود الهندي ، مكلّلاً بالجوهر ، وألبسها حلّة منسوجة بالذّهب ، وقال أبياتاً ، وغنّى فيها ، وألقى عليها الأبيات حتّى حفظتها ، وأخذت الصوت ، وأحكمت الصنعة فيه .

---

١ كذا ورد في غ ، وفي بقيّة النسخ : أخبرني أبو الفرج الأصبهاني بإسناد ذكره .

٢ أبو عبد الله محمّد الأمين بن أبي جعفر هارون الرشيد (١٧٠ – ١٩٨) : ولّي الخلافة بعد أبيه هارون ، واختلف مع أخيه عبد الله المأمون ، بتضريب الحاشية ، فعزله من ولاية العهد ، وتحاربا ، فظفر به طاهر بن الحسين قائد المأمون ، وقتله (الأعلام ٧ / ٣٥١) ، أقول : كان الأمين خطيباً بليغاً (البصائر والذخائر ٢ / ٥٦٢) ولم يكن مضيعاً بالدرجة التي صوّره الناس بها ، ولكن سوء حظّه صيّر الناس والزمان عليه .

٣ أبو إسحاق إبراهيم بن المهديّ : ترجمته في حاشية القصّة ٣٤٧ من الكتاب .

فوقفت الجارية بين يدي الأمين ، وقالت : عمّك وعبدك ، يقول .. واندفعت تغنّي :

هتكت الضمير بـردّ اللُّطَـفْ[٤] وكشّفت هجـرك لي فانكشف
فإن كنت تنكر شيئاً جـرى فهـب للعمومـة ما قـد سلف
وجد لي بالصّفح عن زلّتي فبالفضل يأخـذ أهـل الشرف

فقال لها الأمين : أحسنت يا صبيّة ، ما اسمك ؟

قالت : هديّة .

قال : أفأنت كاسمك ، أم عارية ؟

قالت : أنا كاسمي ، وبه سمّاني آنفاً ، لمّا أهداني إلى أمير المؤمنين .

فسرّ بها الأمين ، وبعث إلى إبراهيم ، فأحضره ، ورضي عنه ، وأمر له بخمسين ألف دينار[٥] .

---

٤ اللُّطْفُ : الرفق ، واللَّطَفُ : البرّ والتكرمة ، واللَّطَفَةُ : الهدية .

٥ في غ : بخمسة آلاف دينار .

١٣٢

والٍ مستعطف خير من والٍ مستأنف

ووقف أحمد بن عروة[١] بين يدي المأمون ، لمّا عزله عن الأهواز ، فقال له : أخربت البلاد ، وقتلت العباد ، لأفعلنّ بك وأصنعنّ .

فقال : يا أمير المؤمنين ، ما تحبّ أن يفعله الله بك إذا وقفتَ بين يديه ، وقد قرّعك بذنوبك ؟ .

قال : العفو ، والصفح .

قال : فافعل بعبدك ، ما تحبّ أن يفعله الله بك .

قال : قد فعلت ، ارجع إلى عملك ، فولٍ مستعطَف[٢] ، خير من والٍ مستأنَف[٣] .

---

١ كذا ورد في ر ، وغ ، وفي ظ وم : إبراهيم ، راجع القصّة ١٣٩ من هذا الكتاب .

٢ العطف : الميل ، يقال : عطف له : رجع له بما يريد ، والوالي المستعطف : الذي كان والياً ، ثم أعيد إلى ولايته .

٣ أنف كلّ شيء : طرفه وأوّله ، واستأنف الشيء : ابتدأه ، والوالي المستأنف : المعيّن أوّل مرّة للولاية .

١٣٣

والله يحبّ المحسنين

روي أنّ غلاماً للحسن بن عليّ عليهما السّلام[1] ، جنى جناية توجب العقاب ، فقال : اضربوه .

فقال : يا مولاي ، والكاظمين الغيظ [2] ، قال : خلّوا عنه ،

قال : يا مولاي ، والعافين عن النّاس .

قال : قد عفوت عنك .

قال : والله يحبّ [٦٠ م] المحسنين .

قال : أنت حرّ لوجه الله تعالى ، ولك ضعف ما كنت أعطيك .

---

١ الإمام أبو محمّد الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليهما السلام (٣ – ٥٠) : أوّل أولاد الزهراء البتول فاطمة ابنة رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، خامس الخلفاء الرّاشدين ، وثاني الأئمّة ، حجّ عشرين مرّة ماشياً ، بويع بالخلافة سنة ٤٠ ، وصالح معاوية سنة ٤١ (الأعلام ٢ / ٢١٤) .

٢ الكظم : الحبس ، وكظم غيظه : حبسه وصبر عليه .

١٣٤

عبد الملك بن مروان يسقط حدًّا من حدود الله تعالى

حكى الأصمعيّ ، قال : أتي عبد الملك بن مروان ، برجلٍ قد قامت عليه البيّنة بسرقة يقطع في مثلها ، فأمر بقطع يده .

فأنشأ الرّجل يقول :

يدي يا أمير المؤمنين أعيذهـا بعفوك من عار عليها يشينهـا[١]
فلا خير في الدّنيا ولا في نعيمها إذا ما شمال فارقتهـا يمينهـا

فقال : هذا حدّ من حدود الله تعالى ، ولا بدّ من إقامته عليك .

فقالت أمّ له كبيرة السنّ : يا أمير المؤمنين ، كادّي ، وكاسبي ، وابني ، وواحدي ، فهبه لي .

فقال لها : بئس الكادّ كادّك ، وبئس الكاسب كاسبك ، لا بدّ من إقامة حدود الله عزّ وجلّ .

فقالت : يا أمير المؤمنين ، اجعله من ذنوبك الّتي تستغفر الله منها .

فقال : خلّوه ، فأطلق .

---

١ في م : يميـني أميرَ المـؤمنين أعيذهـا بعفوك أن تلقى نكـالاً يشينهـا

١٣٥

ومن العناء رياضة الهرم

وذكر ابن عبدوس في كتاب الوزراء : أنّ عاملاً للمنصور على فلسطين[١] كتب إليه : أنّ بعض أهلها وثب عليه ، واستغوى [٨٣ غ] جماعة منهم ، وعاث في العمل .

فكتب إليه المنصور [٦٠ ظ] : أن قيّده ، وأنفذه إليّ ، فأنفذه[٢] .

فلمّا مثل بين يديه ، قال المنصور : أنت المتوثّب على عامل أمير المؤمنين [٤٨ ر] ، لأبرينّ لحمك من عظمك ، وكان شيخاً كبيراً ، ضئيل الصوت ، فقال :

أتروض عرسك بعدما هرمت ومن العناء رياضة الهرم

فلم يفهم المنصور ما قال ، فقال : ما يقول يا ربيع ؟

قال : إنّه يقول :

العبد عبدكمُ والمال مالكم فهل عذابك عنّي اليوم مَصروف

قال : يا ربيع قد عفوتُ عنه ، خلّوا سبيله ، وأحسن إليه .

---

١ فلسطين : آخر كور الشام من ناحية مصر ، قصبتها بيت المقدس ، أولها رفح من ناحية مصر ، وآخرها اللجون من ناحية الغور ، وزغر وجبال الشراة ، إلى ايلة ، كلّه مضموم إلى جند فلسطين (معجم البلدان ٣ / ٩١٣ و ٩١٤) .

٢ في غ وم : فكتب إليه أبو جعفر : دمك مرتهن به ، إن لم توجّه به إليّ ، فعمد له العامل فأخذه ، ووجّه به إليه .

١٣٦

أوّل مائة ألف أعطيها شاعر في أيّام بني العبّاس

أخبرني أبو الفرج الأصبهانيّ [قال : أخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ ، قال : حدّثنا عبد الله بن أبي سعد[١] ، قال : حدّثني عبد الله بن محمّد بن موسى ، قال : حدّثني محمّد بن موسى بن حمزة][٢] ، قال : أخبرني الفضل بن الرّبيع ، قال :

رأيت مروان بن أبي حفصة[٣] ، وقد دخل على المهدي[٤] ، بعد وفاة معن بن زائدة[٥] ، في جماعة من الشعراء منهم سلم الخاسر[٦] ، وغيره ، فأنشده مديحاً فيه .

فقال له : من أنت ؟

---

١ أبو محمّد عبد الله بن أبي سعد عمرو بن عبد الرحمن بن بشر بن هلال الأنصاري (١٩٧ – ٢٧٤) : ترجم له الخطيب في تاريخه ١٠ / ٢٥ .

٢ الزيادة من غ .

٣ أبو الهيذام مروان بن سليمان بن يحيى بن أبي حفصة (١٠٥ – ١٨٢) : كان جدّه أبو حفصة من سبي اصطخر ، يهودياً من موالي السموأل بن عاديا ، وكان يتقرّب إلى العبّاسيين بهجاء العلويّين ، وقد اعتذر بأنّ ذلك لم يكن لعقيدة ، وإنّما طلباً للمال ، توفّي ببغداد (تاريخ بغداد للخطيب ١٣ / ١٤٢) .

٤ أبو عبد الله محمّد المهديّ بن أبي جعفر عبد الله المنصور (١٢٧ – ١٦٩) : ثالث الخلفاء العبّاسيين ، ولد بإيذج من كور الأهواز ، واستخلف سنة ١٥٨ ، ودامت خلافته عشر سنين وشهراً ، وتوفّي في ماسبذان صريعاً عن دابته في الصيد (الأعلام ٧ / ٩١) .

٥ أبو الوليد معن بن زائدة بن عبد الله بن مطر الشيباني : من أجواد العرب وشجعانهم ، أدرك العصرين الأموي والعباسي ، وعاش فيهما مكرّماً ، ولّاه المنصور اليمن ، ثم سجستان ، وقتل فيها غيلة سنة ١٥١.

٦ سلم بن عمرو بن حماد الملقّب بسلم الخاسر : لقّب بالخاسر لأنّه باع مصحفاً ، واشترى بثمنه طنبوراً ، شاعر خليع ماجن ، بصريّ ، سكن بغداد ، ومدح المهديّ والرشيد ، توفّي سنة ١٨٦ (الأعلام ٣ / ١٦٨) .

قال : شاعرك يا أمير المؤمنين ، وعبدك ، مروان بن أبي حفصة .

فقال له المهدي : ألست القائل في معن بن زائدة :

أقمنا باليمامة بعد معن   مقاماً لا نريد به زوالا[7]

وقلنا أين نذهب بعد معن   وقد ذهب النوال فلا نوالا

فقد ذهب النوال كما زعمت ، فلِمَ جئت تطلب نوالنا ؟ لا شيء لك عندنا ، جرّوا برجله ، فجرّوا برجله حتّى أخرج .

فلمّا كان في العام المقبل ، تلطّف حتّى دخل مع الشّعراء ، وإنّما كانت الشعراء ، تدخل على الخلفاء في كلّ عام مرّة ، فمثل بين يديه ، فأنشد ، رابع أو خامس شاعر ، قصيدته الّتي أوّلها :

طرقتك زائرة فحيّ خيالها   بيضاء تخلط بالجمال دلالها

قادت فؤادك فاستقاد ومثلها   قاد القلوب إلى الصبا فأمالها

قال : فأنصت المهدي يستمع منه ، إلى أن بلغ منها إلى قوله :

هل تطمسون من السماء نجومها   بأكفّكم أو تسترون هلالها

أو تجحدون مقالة عن ربّه   جبريل بلّغها النبيّ فقالها

شهدت من الأنفال آخر آية   بتراثهم فأردتم إبطالها[8] [٨٤ غ]

---

٧ مطلع القصيدة :

مضى لسبيله معنٌ وأبقى   محامد لن تبيد ولن تنالا

وتشتمل على ٥٤ بيتاً ، أثبتها الخطيب البغدادي بتمامها ١٣ / ٢٤١ – ٢٤٤ .

٨ الآية التي أشار إليها الشاعر ، هي قوله تعالى ﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله﴾ ٧٥ م الانفال ٨ والذي عليه جمهور المسلمين في تفسيرها : أنّ ذوي الأرحام والقرابة ، بعضهم أحقّ بميراث بعض من غيرهم ، يعني أنّ هذه الآية جاءت ناسخة لما كان يجري قبلها من التوارث بالمعاقدة ،

قال : فرأيت المهدي ، وقد زحف من صدر مصلّاه ، حتّى صار على البساط ، إعجاباً منه بما سمع .

ثمّ قال : كم بيت هي ؟ قال : مائة بيت .

فأمر له بمائة ألف درهم ، فكانت أوّل مائة ألف أعطيها شاعر في أيّام بني العبّاس[9] .

ومضت الأيّام ، وولي هارون الخلافة ، فرأيت مروان وقد دخل في جملة الشعراء ، فأنشده قصيدة امتدحه بها .

فقال له : من أنتَ ؟

قال : عبدك ، وشاعرك [٦١ م] ، مروان بن أبي حفصة .

فقال : ألست القائل في معن ؟ وأنشده البيتين اللّذين أنشدهما المهدي .

ثمّ قال : خذوا بيده فأخرجوه ، فلا شيء له عندنا ، فأخرج أقبح إخراج .

فلمّا كان بعد أيّام ، تلطّف حتّى دخل ، فأنشده :

لعمرك ما أنسى غداة المحصّب   إشارة سلمى بالبنـان المخضّب
وقد صدر الحجّاج إلّا أقلّهم   مصادر شتّى موكبـاً بعد موكب

قال : فأعجبته القصيدة ، فقال : كم هي ؟

قال : سبعون بيتاً ، فأمر له بعدد أبياتها ألوفاً .

فصار ذلك رسماً له عندهم إلى أن مات[10] .

أو بالهجرة ، أو المؤاخاة ، أمّا العباسيّون فيفسرونها بأنّ من كان أقرب إلى الميت في النسب ، كان أولى بالميراث ، سواء كان ذا سهم ، أو غير ذي سهم ، عصبة كان أو غير ذي عصبة ، يريدون بذلك أن يجعلوا خلافة النبيّ ميراثاً ، وأن يجعلوا أنفسهم أحقّ بها من كافة المسلمين ، باعتبارهم أولادِ عمّ النبيّ ، فيرثونه عصبة .

٩ قيل لمروان بن أبي حفصة : ما أغراك ببني عليّ ؟ قال : ما أحد أحبّ إليّ منهم ، ولكنّي لم أجد شيئاً أنفع عند القوم منه (العقد الفريد ٥ / ٨٩) .

١٠ وردت القصّة في الأغاني ١٠ / ٨٧ و٨٨ .

١٣٧

الرّشيد يرضى عن العتّابي الشّاعر

أخبرني أبو الفرج الأصبهانيّ ، قال : [أخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدّثنا محمّد بن القاسم بن مهرويه ، قال : حدّثنا عبد الله بن أبي سعد ، قال :][١]

غضب الرّشيد على العتّابي[٢] ، وحجبه[٣] ، فدخل سرًّا مع المتظلّمين ، بغير إذن[٤] ، فمثل بين يدي الرّشيد ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، قد أدّبني النّاس لك ، [ولنفسي فيك][١] ، وردّني ابتلاؤهم إلى شكرك ، وما مع ذكرك قناعة بأحد غيرك ، ولعمري لنعم الصائن كنتُ لنفسي ، لو أعانني الصبر عليك ، ولذلك أقول :

---

١ الزيادة من غ .

٢ أبو عمرو كلثوم بن عمرو بن أيوب بن عبيد بن خنيس بن أوس بن مسعود بن عمرو بن كلثوم الشاعر التغلبيّ ، من بني عتّاب بن سعد ، كاتب مترسّل ، وشاعر مجيد ، مدح هارون الرشيد ، والمأمون والبرامكة ، وطاهر بن الحسين ، راجع حكاية له لطيفة مع إسحاق الموصلي في ترجمته في تاريخ بغداد للخطيب ١٢ / ٤٨٨ – ٤٩٢ ، وحكاية أخرى لطيفة مع عثمان الورّاق في الأغاني ١٣ / ١١٤ ، توفّي سنة ٢٢٠ .

٣ سئل العتّابي عن سبب غضب الرشيد عليه ، فقال : استقبلت منصور النميريّ يوماً فوجدته مغموماً ، فسألته عن حاله ، فقال : تركت امرأتي تطلق ، وقد عسرت ولادتها ، وهي يدي ورجلي ، والقيّمة بأمري ، وأمر منزلي ، فقلت له : ألا أدلّك على ما يسهّل عليها ؟ قال : وما هو ؟ قلت : اكتب على بطنها هارون الرشيد ، قال : ليكون ماذا ؟ قلت : لتلد على المكان ، ألست القائل فيه :

إن أخلف القطر لم تخلف مواهبه ... أو ضاق أمر ذكرناه فيتّسع

فقال لي : أبالخلفاء تعرّض ، وفيهم تقع ، وإيّاهم تعيب ؟ وأخبر الرشيد بذلك ، فغضب ، وأمر بطلبي (العقد الفريد ٥ / ٣٣٥ والأغاني ١٣ / ١٤٨) .

٤ كلّ من كان يجلس للمظالم ، خليفة أو غير خليفة ، يفتح بابه ، وينحّي حجابه ، ليدخل عليه من شاء من المتظلّمين بلا إذن .

أخضني المقام الغمر إن كان غرّني سنا خلّب أو زلّت القدمان[5]
أتتركني جدب المعيشة مقتراً وكفّاك من ماء النّدى يكفان
وتجعلني سهم[6] المطامع بعدما بللت يميني[7] بالنّدى ولساني [٦١ ظ]

قال : فرضي عنه ، وخلع عليه ، وأمر له بجائزة سنيّة ، فما رأيت العتّابي أنشط منه في ذلك اليوم ، ولا أفرح ، [ولا أبسط لساناً منه يومئذ][8] .

قال أبو الفرج الأصبهاني : في البيتين الأوّلين غناء لمخارق[9] ، ثاني ثقيل بالوسطى ، [وقيل إنّ فيه للواثق ثاني ثقيل آخر][1] .

---

٥ هذا البيت لم يرد في ظ ولا في ر ، والإضافة من م ، وغ .
٦ في غ : نصب المطامع .
٧ في م : بللت بناني .
٨ الزيادة من م .
٩ أبو المهنّا مخارق بن يحيى الجزّار : أطيب الناس صوتاً ، وكان الرشيد يعجب بغنائه جدّاً ، وهو الذي كنّاه بأبي المهنأ ، توفي بسرّمن رأى سنة ٢٣١ (الأعلام ٨ / ٦٨) .

١٣٨

المأمون يصفح عن دعبل الخزاعي الشاعر ويصله

[قرئ على أبي بكر الصولي ، سنة خمس وثلاثين وثلثمائة ، بالبصرة ، وأنا أسمع : حدّثكم هرون بن عبد الله المهلّبي ، سنة ثمانين ومائتين ، قال :][1]

لما هجا دعبل[2] ، المأمون ، قال لهم : أسمعوني ما قال ، فأنشدوه هذين البيتين من أبيات ، وهما :

إنّي من القوم الّذين سيوفهم قتلت أخاك وشرّفتك بمقعد [٨٥ غ]
شادوا بذكرك بعد طول خموله واستنقذوك من الحضيض الأوهد[3]

فقال المأمون : قبّحه الله ، ما أبهته ، متى كنت خامل الذّكر ، وفي حجر الخلافة ربيت ، وبدرّها غذيت ، خليفة ، وأخو خليفة ، وابن خليفة[4] .

ثمّ جدّ في طلب دعبل ، حتّى ظفر به ، فلم يشكّ أحد في أنّه قاتله .

فلمّا دخل عليه ، قال له : يا دعبل ، واستنقذوك من الحضيض الأوهد .

---

١ الزيادة من غ .

٢ أبو عليّ دعبل بن عليّ بن رزين الخزاعيّ (١٤٨ – ٢٤٦) : شاعر مجيد ، من الكوفة ، أقام ببغداد ، كان متعصّباً لآل عليّ ، وهجا الخلفاء الرشيد ، والمأمون ، والمعتصم ، والواثق ، وطال عمره فكان يقول : لي خمسون سنة أحمل خشبتي على كتفي أدور على من يصلبني عليها ، فما أجد من يفعل ذلك ، (الأعلام ٣ / ١٨) .

٣ البيت الأوّل من المقطوعة هو :

أيسومني المأمون ، خطّة جاهل أو ما رأى بالأمس رأس محمّد

وإنّما فخر دعبل برأس محمّد (الأمين) لأنّ طاهر بن الحسين قتله ، وطاهر مولى خزاعة (الشعر والشعراء لابن قتيبة ٥٤٠) .

٤ في غ وم : وابن ثلاثة خلفاء .

فقال : يا أمير المؤمنين ، قد عفوتَ عمّن هو أعظم منّي جرماً .

فقال : صدقت ، لا بأس عليك ، أنشدني « مدارس آياتٍ[٥] » .

فقال : أنشدها وأنا آمن ؟

قال : نعم .

فأنشده إيّاها ، فجعل المأمون يبكي ، لمّا بلغ قوله :

بنات زياد[٦] في القصور مصونـة ... وبنت رسول الله في الفلوات

[ثمّ وصله وأمّنه .][٧]

---

٥ قصيدة « مدارس آيات » قصيدة عامرة ، نظمها دعبل في رثاء قتلى آل البيت ، ومطلعها :

مـدارس آيـات خلت من تـلاوةٍ ... ومنـزل وحـي مقفـر العرصـات
ديـار عـلـيّ والحسين وجعفـر ... وحمزة والسجّـاد ذي الثفنـات
إذا افتخـروا يـومـاً أتـوا بمحمّـد ... وجـبريل والقـرآن والسـورات

٦ في غ : بنات يزيد .

٧ الزيادة من غ وم .

١٣٩

المأمون يهب عمرو بن مسعدة ستة آلاف ألف درهم ، فيهبها عمرو لأحد أتباعه

[قرئ على أبي بكر الصولي ، وأنا أسمع ، في كتابه « كتاب الوزراء » ، حدّثكم أحمد بن إسماعيل ، قال : حدّثني سعد بن يعقوب النصراني ، قال :][1] :

أمر المأمون محمّد بن يزداد[2] ، وأحمد بن أبي خالد[3] ، أن يناظرا عمرو ابن مسعدة[4] ، في مال الأهواز ، فناظراه ، فتحصّل عليه ستّة عشر ألف ألف درهم ، فأعلما المأمون بذلك .

فقال : اقبلا منه كلّ حجّة ، وكلّ تعلّق ، وكلّ ادّعاء .

فقالا : قد [٦٢ م] فعلنا .

فقال : عودا . فعادا ، فتعلّق عمرو بن مسعدة بأشياء لا أصل لها ، فسقط من المال عشرة آلاف ألف درهم ، وبقي ستة آلاف ألف درهم [واجبة عليه][1] ، لا حجّة له فيها ، وأخذ خطّه بذلك .

فأحضر المأمون عمراً ، بعد خروجهما ، فقال له : هذه رقعتك ؟

قال : نعم .

قال : وهذا المال واجب عليك ؟

قال : نعم .

---

١ الزيادة من غ .

٢ محمّد بن يزداد بن سويد : من كتّاب الإنشاء في الدولة العباسيّة ، استوزره المأمون ، وتوفّي المأمون وهو وزيره ، وعاش إلى أيّام الواثق ، وتوفّي سنة ٢٣٠ (الأعلام ٨ / ١٤) .

٣ أحمد بن أبي خالد : وزير المأمون ، ترجمته في حاشية القصّة ٨١ من الكتاب .

٤ أبو الفضل عمرو بن مسعدة بن سعد الصولي : ترجمته في حاشية القصّة ١١٣ من الكتاب .

قال : خذ رقعتك ، فقد وهبته لك .

فقال : أما إذ تفضّل أمير المؤمنين عليّ به ، فإنّه واجب على أحمد بن عروة[5] ، وأشهدك أنّي قد وهبته له .

فاغتاظ المأمون ، وخرج عمرو وقد عرف غيظ المأمون ، وعلم خطأه في عمله ، فلجأ إلى أحمد بن أبي خالد[6] ، فأعلمه بذلك ، وكان يختصّه .

فقال : لا عليك ، ودخل إلى المأمون .

فلمّا رآه المأمون ، قال : ألا تعجب يا أحمد من عمرو ، وهبنا له ستّة آلاف ألف درهم ، بعد أن تجاوزنا له عن أضعافها ، فوهبها بين يديّ لأحمد بن عروة ، كأنّه أراد أن يباريني[7] ، ويصغّر معروفي ؟

فقال له أحمد : أو قد فعل ذلك يا أمير المؤمنين ؟

فقال : نعم .

قال : لو لم يفعل هذا ، لوجب أن يسقط حاله .

قال : وكيف ؟

قال : لأنّه لو استأثر به على أحمد بن عروة ، وأخذ أحمد بأداء هذا المال ، لكان قد أخرجه من معروفك صفراً ، ولما كانت نعمتك على عمرو ، نعمة على أحمد ، وهما خادماك ، فكان الأجمل أن يتضاعف معروفك عندهما ، فقصد عمرو ذلك ، فصار المال تفضّلاً منك على عمرو ، [وعلى أحمد بن عروة ، ومع ذلك ، فأنت سيّد عمرو][8] لا يعرف سيّداً [٦٢ ظ] غيرك ، وعمرو سيّد أحمد ، فاقتدى في أمر أحمد بما فعلت في أمره ، وأراد أيضاً أن ينتشر

---

٥ كذا ورد الاسم في غ ، و ر ، وفي م : أحمد بن أبي عروة ، وفي ظ : أحمد بن أبي عروبة .

٦ في غ : أحمد بن أبي دؤاد ، وهو خطأ من الناسخ .

٧ في م : يوازيني .

٨ الزيادة من غ ، وم .

في ملوك الأمم ، أنّ خادماً من خدمك اتّسع قلبه لهبة هذا المال ، من فضل إحسانك إليه ، فيزيد في جلالة الدّولة ، وجلالة قيمتها ، فيكسر ذلك الأعداء الّذين يكاثرونك .

فسرّي عن المأمون ، وزال ما بقلبه على عمرو . [٥٠ ر]

١٤٠

المأمون يصفح عن الفضل بن الربيع

[وقرئ على أبي بكر الصولي ، بالبصرة [٨٦ غ] ، وأنا أسمع ، في كتاب « الوزراء » ، خبرٌ فيه ذكر الفضل بن الرّبيع ، وظفر المأمون به ، وعفوه عنه ، وقرئ بعقبه : حدّثكم عون بن محمّد[1] ، قال : حدّثنا سعيد بن هريم ، قال :][2]

لما ظفر المأمون بالفضل بن الرّبيع ، ومثل بين يديه ، قال له : يا فضل ، أكان من حقّي عليك ، وحقّ آبائي ، ونعمتهم عندك ، وعند أبيك ، أن تثلبني ، وتشتمني [٤٩ ر] ، وتحرّض على دمي ؟ أتحبّ أن أفعل بك مع القدرة ، ما أردته بي[3] ؟ .

---

١ أبو مالك عون بن محمّد الكندي : ترجم له الخطيب في تاريخه ١٢ / ٢٩٤ .

٢ الزيادة من غ .

٣ كان الرشيد قد أمر الفضل بن الربيع ، إن حدث به حدث ، أن يحمل خزائنه ، وأمواله ، وسلاحه ، وجميع عسكره إلى المأمون ، فلمّا توفّي الرشيد ، حمل ذلك كلّه إلى محمّد (تاريخ بغداد لابن طيفور ص ١٠) ، وإلى ذلك أشار المأمون في قوله يخاطب أحد الثائرين عليه : أتدري ما صنع بي الفضل ؟ أخذ قوّادي ، وأموالي ، وجنودي ، وسلاحي ، وجميع ما أوصى به أبي إليّ ، فذهب به إلى محمّد ، وتركني بمرو ، وحيداً ، فريداً ، وأسلمني ، وأفسد عليّ أخي ، حتى كان من أمره ما كان ، وكان أشدّ عليّ من كلّ شيء (ابن طيفور ص ٧٧) ، وقد أغرى الفضل بين الأخوين الأمين والمأمون إغراء

فقال له الفضل : يا أمير المؤمنين ، إنّ عذري يحقدك إذا كان واضحاً جميلاً ، فكيف إذا عفته العيوب ، وقبّحته الذّنوب ، فلا يضيق عنّي من عفوك ما وسع غيري منه ، فأنت – والله – يا أمير المؤمنين ، كما قال الشّاعر :

صفوح عن الإجرام حتّى كأنّـــه ... من العفو لم يعرف من النّاس مجرماً
وليس يبالي أن يكون به الأذى ... إذا ماالأذى لم يغش بالكره مسلماً

قال الصولي : والشعر للحسن بن رجاء .

١٤١

جعفر بن محمّد بن الأشعث يهدّئ من غضب الرّشيد

غضب الرّشيد على جعفر بن محمّد بن الأشعث[1] ، غضباً شديداً ، من كلام جرى بينهما ، فخاف جعفر أن يستفزّه الغضب ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنّما تغضب لله عزّ وجلّ ، فلا تغضب له بما لا يغضب به لنفسه ، فانعطف له الرّشيد .

شديداً (البدء والتاريخ ٦ / ١٠٧) وأعانه بكر بن المعتمر ، وزيّن للأمين خلع أخيه المأمون (البدء والتاريخ ٦ / ١٠٨) ، قال الشاعر : [البدء والتاريخ ٦ / ١١١]

أضـاع الخـلافة غشّ الوزيـــر ... وفسق الأمـــير وجهـل المـشير
فبكـــر مشير وفضـــل وزيــــر ... يريـدان ما فيـه حتف الأمــــير

راجع ترجمة الفضل بن الربيع في حاشية القصّة ١١١ من هذا الكتاب .

١ جعفر بن محمّد بن الأشعث : من كبار العمّال في الدولة العباسيّة ، كان معه خاتم الخلافة في أيّام الرشيد ، ولمّا ورد أبو العبّاس الطوسي من خراسان ، أخذه منه ، وسلّمه إلى أبي العبّاس الطوسيّ ، وولّى جعفر خراسان ، ثم عزله عنها ، وولّى عليها ولده العبّاس بن جعفر (الطبري ٨ / ٢٣٥ و٢٣٨ والكامل ٦ / ١١٤ و١٢٠) .

١٤٢

بين هشام بن عبد الملك وإبراهيم بن أبي عبلة

أحضر هشام بن عبد الملك ، إبراهيم بن أبي عبلة ، الّذي تقلّد ديوان الخاتم لمروان بن محمّد ، فقال له : إنّا قد عرفناك صغيراً ، وخبرناك كبيراً ، وأريد أن أخلطك بحاشيتي ، وقد ولّيتك خراج مصر ، فاخرج إليها .

فأبى إبراهيم عليه ، وقال له : ليس الخراج من عملي ، ولا لي به معرفة[1] .

فغضب هشام عليه غضباً شديداً ، حتّى خاف إبراهيم بادرته ، فقال له : يا أمير المؤمنين أتأذن لي في الكلام .

فقال : قل .

قال : إنّ الله تعالى ، قال : إنّا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأَبَيْنَ أن يحملنها ، وأشفقن منها ، فوالله ما أكرهها ، ولا غضب عليها[2] في إبائها ، [ولقد ذمّ الإنسان لمّا قبلها][3] .

فقال له هشام : أبيت إلّا رفقاً ، وأعفاه ، ورضي عنه .

---

١ في غ : ولا لي بصيرة به .

٢ في غ : ولا سخط عليها .

٣ الزيادة من غ .

١٤٣

صاحب ديوان الخراج يسرق توقيع الخليفة من يد الرسول

استسلف موسى بن عبد الملك[١] من بيت مال الخاصّة[٢] ، مالاً ، إلى أجل قريب ، وضمن للمتوكّل أن يردّه في الأجل .

فجاء الأجل ولم يحمل المال ، فغضب المتوكّل من مدافعته ، وقال لعبيد الله ابن يحيى بن خاقان ، وقّع إليه عنّي بردّ المال اليوم ، وضيّق عليه في المطالبة ، وأنفذ التوقيع مع عتّاب بن عتّاب[٣] ، ومره أن يطالبه ، فإن أخّر أداء المال ، طالبَه ، وضربه بالمقارع في ديوان الخراج[٤] بحضرة النّاس ، وأن لا يرفع عنه المقارع ، حتّى يصحّح المال .

---

١ أبو عمران موسى بن عبد الملك الأصبهاني : ترجمته في حاشية القصّة ١٠٣ .

٢ بيت مال الخاصّة : بيت المال الخاص بالخليفة وأهل بيته ، ويتكوّن من واردات ضياعهم وعقاراتهم ، ومن الواردات التي لا تعتبر واردات حكوميّة كالهدايا والمصادرات ، وأوّل من أنشأ بيت مال الخاصة ، هارون الرشيد ، ولم يكن قبله بيت مال (العقد الفريد ٥ / ٧٤) ، وسبب ذلك أنّه أراد أن يشتري جارية بمائة ألف دينار ، فأمر وزيره البرمكيّ بإحضار الثمن ، فاستكثر الوزير المبلغ ، وتلكّأ في إحضاره ، ثم بعث إليه مائة ألف دينار دراهم ، ليستكثر المبلغ ، فلا يصرّ على شراء الجارية . فلمّا رأى الرشيد المبلغ ، استكثره ، وأخذه فضّمه إلى بعض خدمه ، وبحث عن الأموال ليجمع منها بيت مال خاصّة له (تجارب الأمم ٦ / ٥٢٨) .

٣ عتّاب بن عتّاب : من القوّاد ، كان أثيراً عند المتوكّل ، بعث به إلى حمص لمّا ثار أهلها ، فأصلح أمرها (ابن الأثير ٧ / ٧٣ والطبري ٩ / ١٩٧) وقرّبه المنتصر لمّا ولّي الخلافة (ابن الأثير ٧ / ١٠٥) ولمّا وقع الخلف بين المستعين ببغداد والمعتزّ بسامراء ، انحاز لجهة المستعين وفرّ إليه (ابن الأثير ٧ / ١٤٣ والطبري ٩ / ٢٨٧) ثم حارب الأتراك في صف المهتديّ ، وأمره أن يلقي إلى الأتراك رأس القائد بايكباك ، فألقاه إليهم ، فحملوا عليه فقتلوه ، وكان ذلك في السنة ٢٥٦ (ابن الأثير ٧ / ٢٢٩ والطبري ٩ / ٤٥٨) .

٤ كان موسى يلي ديوان الخراج في عهد المتوكّل ، راجع القصّة ٧٣ من هذا الكتاب .

فبادر بعض الخدم إلى موسى ، فأخبره بذلك ، فجلس ينظر في وجوه يردّ منها المال .

وصار إليه عتّاب بالتوقيع مختوماً ، وكان يوماً شديد الحرّ ، وقد انتصف النهار ، وموسى [٦٣ م] في خيش[٥] ، في حجرة من ديوانه ، وفيه مروحة[٦] ، يتناوبها فرّاشان[٧] يروّحانه ، فدخل عتّاب ، وفي يد موسى كتاب طويل يقرأه ،

---

٥ الخيش : نسيج خشن من الكتّان كان يعلّق في مجاري الهواء ، ويرشّ بالماء ، فيبرّد ما وراءه ، وأوّل من اتّخذ له الخيش المنصور ، وقد كانت الأكاسرة في صيفها يطيّن لها سقف بيت في كلّ يوم صائف فتكون قيلولة الملك فيه ، وكان يؤتى بأطباق الخلاف (نوع من الصفصاف) طوالاً ، فتوضع حول البيت ، ويؤتى بقطع الثلج الكبار ، فتوضع بين أضغاثها ، وكان بنو أميّة يفعلون مثل ذلك ، فلمّا كان في أوّل خلافة المنصور ، طيّن له بيت في الصيف ليقيل فيه ، فاتّخذ له أبو أيوب المورياني ثياباً كثيفة تبلّ وتوضع على الآلة التي يقال لها بالفارسية سيابه ، (سي پايه) ، فوجد بردها ، فاستطابها ، فقال : أحسب أنّ هذه الثياب لو اتّخذت من أكثف منها ، لحملت من الماء أكثر ممّا تحمل هذه ، وكانت أبرد ، فاتّخذ له الخيش ، فكان ينصب على قبّة ، ثم اتّخذت بعدها الشرائح ، فاتّخذها الناس (لطائف المعارف ١٩) ، أقول : وقد أدركنا الناس وهم لا يستعملون الخيش للتبرّد ، وإنّما يستعملون نوعاً من الشوك طيّب الرائحة ، يسمى العاقول (تلفظ القاف كافاً فارسيّة واللام مفخّمة) يرصّ بين أعواد الجريد ، ويقام في مجرى الهواء ، ويرشّ بالماء ، فينبعث منه نسيم عذب بليل ، وكان هارون الرشيد يؤذيه الخيش ، راجع في الطبري ٨ / ٣٥٦ كيفيّة تصرّفه لاتّقاء الحرّ ، دون أن يحتاج إلى الخيش .

٦ المِروحة ، وجمعها مراوح وقد تسمّى : المذبّة ، وجمعها مذابّ : كلّ أداة يحرّك بها الهواء عند اشتداد الحرّ ، ومروحة الخيش ، تشبه شراع السفينة ، وتعلّق في السقف ، وتبلّ بالماء ، أو ترشّ بماء الورد ، ويشدّ بها حبل ، فإذا جذبت بالحبل روّحت على ما تحتها ، روحة وجيئة ، وهبّ منها نسيم طيّب ، وذكروا أنّ أوّل من أمر بصنع هذه المروحة هارون الرشيد ، دخل يوماً على أخته عليّة بنت المهديّ في قيظ شديد ، فألفاها قد صبغت ثياباً من زعفران وصندل ، وشرّتها على الحبل لتجفّ ، فجلس هارون قريباً من الثياب المشرورة ، فجعلت الرّيح تمرّ على الثياب ، فتحمل منها ريحاً بليلةً عطرةً ، فوجد لذلك راحة من الحرّ ، واستطابه ، فأمر أن يصنع له في مجلسه مثلها (مطالع البدور ١ / ٦٥ ، ٦٦) والمذابّ عباسيّة ، أمّا قبل العباسيين ، فكان الغلمان يقفون على رؤوس ساداتهم ، يذبّون عنهم بالمناديل (الأغاني ١٣ / ٢٨٠) .

٧ الفرّاش : الأجير الذي يخدم الكتّاب والمتصرفين في الديوان ، وينفذونه في حوائجهم ، وما زال هذا اسمه ببغداد .

فجلس ، وأكبّ موسى على الكتاب يتشاغل به عن خطاب عتّاب ، وأصاب عتّاب برد المروحة والخيش ، فنام واستثقل .

وكان عتّاب قد أخرج التوقيع حين جلس ، فوضعه على دواة [٨٧ غ] موسى ، [فغمز موسى بعض غلمانه][8] فأخذ الكتاب فغيّبه .

وما زال عتّاب ينام مرّة وينتبه أخرى ، وموسى يعمل ، إلى أن انقضت الهاجرة ، وقد توّجه لموسى بعض المال ، وأنفذ أصحابه لقبضه .

فقال له عتّاب : انظر فيما جئنا له .

قال : قل أصلحك الله فيم جئت ؟

قال : فيما تضمّن التوقيع .

قال : وأيّ توقيع ؟

قال : الّذي أوصلته إليك من أمير المؤمنين .

قال : متى ؟

قال : السّاعة وضعته على الدواة .

فقال له : قد نمت نومات ، وأظنّ أنّك رأيت في نومك شيئاً .

فطلب عتّاب التوقيع ، فلم يجده ، فقال : سرق والله التوقيع ، يا أصحاب الأخبار[9] ، اكتبوا .

فقال موسى : يا أصحاب الأخبار ، اكتبوا ، كذب فيما ادّعاه ، ما أوصل إليّ توقيعاً ، وأنتم حاضرون ، فهل رأيتموه أوصل إليّ توقيعاً ؟ قم فانظر لعلّك يا أبا محمّد ضيّعت التوقيع في طريقك .

فانصرف عتّاب إلى عبيد الله[10] فأخبره بذلك .

---

٨ الزيادة من غ .

٩ صاحب الخبر : راجع حاشية القصّة ٣٥٥ .

١٠ أبو الحسن عبيد الله بن يحيى بن خاقان ، وزير المتوكّل .

فدخل عبيد الله إلى المتوكّل ، فحدّثه ، فضحك ، وقال : أحضروا موسى السّاعة ، فحضر .

فقال له المتوكّل : يا موسى ، سرقت التوقيع من عتّاب ؟

قال : إي والله يا سيّدي خمّنت أنّ فيه مكروهاً ، ونام عتّاب من قبل أن يوصله [٦٣ ظ] إليّ ، فأمرت من سرقه ، وقد أعددت نصف المال ، والساعة أحمله إلى صاحب بيت مال [الخاصّة][٨] ، وأحمل الباقي بعد خمسة أيّام ، وأتبع ذلك بتضرّع[١١] .

فأنفذ المتوكّل معه من قبض منه ذلك ، وانصرف وقد رضي عنه .

---

١١ ضرع : خضع وذلّ ، والضارع : المتذلّل ، والتضرّع : إظهار الضراعة ، أي الخضوع والذلّ .

١٤٤

صاحب الشرطة لا يصلح أن يكون نديماً للخليفة

دعا الواثق [إسحاق بن] إبراهيم المصعبيّ[1] إلى منادمته ، فامتنع ، فتلاحيا في ذلك ، إلى أن تغيّر الواثق على [إسحاق بن] إبراهيم ، فأمر بحجبه عنه .

فكتب إليه إسحاق : يا أمير المؤمنين ، لو أطلقتني الحشمة الّتي عقد بها لساني عن الانبساط لتغيّره عليّ ، لقلت : ما لي فيما عقده عليّ قلب أمير المؤمنين ذنب ، إذ كان يوقّيني من امتهان العامّة إيّاي .

فرمى الواثق كتابه إلى ابن أبي دؤاد[2] .

فقال له ابن أبي دؤاد : يا أمير المؤمنين ، ما على من كانت هذه همّته فيما يردّ على أمير المؤمنين عيب ، وهو يجد من إسحاق عوضاً في المنادمة ، ولا يجد منه عوضاً في شرطته .

فرضي عنه الواثق ، وأعفاه من المنادمة[3] ، ومنع من حجبه ، وأجراه على رسمه ، وعاد إلى ما كان عليه .

---

١ أبو الحسن إسحاق بن إبراهيم بن الحسين المصعبيّ : ترجمته في حاشية القصّة ٧٣ من هذا الكتاب .

٢ أبو عبد الله أحمد بن أبي دؤاد الايادي ، قاضي القضاة : ترجمته في حاشية القصّة ١٦٤ من هذا الكتاب .

٣ المنادمة : المجالسة في مجالس الشراب ، والنديم : الرفيق المشارب في مجالس الشراب ، وجمع النديم : نِدام ، وجمع الندام : ندامى .

١٤٥

الرّشيد يرضى عن نصر بن مالك

لمّا عزل الرّشيد نصر بن مالك ، بسعي البرامكة ، أمره أن يلزم بيته ، ولا يخرج منه ، فكتب إلى الرّشيد : قد قبضني سوء رأي أمير المؤمنين فيّ ، عن الاعتذار بحجّة ، أو نشر دلالة تنبئ بخلاف ما قُرِفْتُ به عنده ، فما أهتدي إلى وجه طلب الاعتذار ، وما يجرّأني على الإبانة عمّا لا أعلمه إلّا حسن رأيه أعزّه الله ، واطّلاعه على قلقي بضميره ، فإنّي عبد نعمته ، وغذيّ إحسانه ، إن أسبغا عليّ ، وفى شكري لهما ، وإن أزيلا عنّي ، اعتضت منهما الرجوع إلى الحرمة[1] ، ولزوم فائدة يتطوّل بها عليّ ، من تطوّل على أمير المؤمنين بردّ ميراثه[2] من الخلافة عليه .

فوقّع الرّشيد على ظهر رقعته : « نصر بن مالك ، أولى من ردّت عليه النعمة ، إذ كان معترفاً بسمتها ، وبالغاً بالشّكر حقّ قيمتها ، فما شكرني أحد من أوليائي كشكره ، فليهنه ما أوليناه من رأينا ، ومنحناه من برّنا » . وأظهر الرضا عنه ، وولّاه ولاية أخرجه إليها[3] .

---

١ في غ : الرجوع إلى الخدمة .

٢ في غ : بردّ منزلته .

٣ كذا ورد توقيع الرشيد في غ .

١٤٦

بين الحجّاج ويوسف بن عبد الله بن عثمان

ذكر أبو الحسن المدائنيّ في كتابه ، عن ابن أبي عقبة ، عن أبيه ، قال : لما أمّن الحجاج[1] النّاس ، أتاه يوسف بن عبد الله بن عثمان[2] ، وكان عبد الملك ابن مروان قد كتب له أماناً .

فقال له الحجّاج : ثكلتك أمّك .

قال : وأبي مع أمّي .

قال : أين ألقتك الأرض بعدي ؟ [٨٨ غ]

قال : ما قمت مقاماً ، منذ لم ترني ، أوسع من مقام قمته السّاعة ، إنّ الله استعملك علينا ، فأبينا ، فأبى علينا ، فعفا عنه .

فقال الفرزدق في ذلك :

ولو لم ينل حبل الخليفة يوسفاً لمجّ نجيعاً من دم الجوف أحمرا[٦٤ م]

---

١ راجع ترجمة الحجّاج بن يوسف الثقفي في حاشية القصّة ٦٧ ، وبحثاً عن قسوته وظلمه في حاشية القصّة ١٤٩ ، وبحثاً عن سياسته المالية المخرّبة في حاشية القصّة ١٨٢ من هذا الكتاب .

٢ ورد ذكره في تاريخ ٦ / ١٥٣ وكان أحد السفراء في الموادعة بين أتباع مصعب بن الزبير ، وأتباع الأمويّين ، بالبصرة في السنة ٧١ .

١٤٧

بين زياد وأحد قعدة الخوارج

وذكر المدائنيّ في كتابه ، قال : أرسل زياد إلى رجل من قَعَدة الخوارج[1] ، من بني تميم[2] ، فاستدعاه ، فأتاه خائفاً .

فقال له زياد : ما منعك من إتياني ؟

فقال له : قدمتَ علينا ، فقلتَ : لا أُعدكم خيراً ولا شرّاً إلّا وفيت به وأنجزته ، وقلتَ : من كفّ يده ولسانه لم أعرض له ، فكففت يدي ولساني ، وجلست في بيتي ، فأمر له بصلة ، فخرج والنّاس لا يشكّون في أنّه يقتله .

فقالوا له : ما قال لك الأمير ؟

فقال : ما كلّكم أستطيع أن أخبره بما كان بيننا ، ولكنّي وصلت إلى رجل لا يملك لنفسه ضرًّا ولا نفعاً ، فرزق الله منه خيراً .

---

١ القعدة : قسم من الخوارج ، يرون رأي الخوارج ، ولكنهم لا يوافقونهم في الالتزام بمحاربة القائمين بالحكم ، قال أبو نؤاس لمّا منعه الخليفة من شرب الخمر :

فكأنّي وما أزيّن منها ... قعديّ يزيّن التحكيما
كلّ عن حمله السلاح إلى الحر ... ب وأوصى المطيق أن لا يقيما

٢ في غ : من بني نمير .

١٤٨

الحجّاج يحبس رجلاً لأنّه شكا إليه أخاه محمّداً عامل اليمن

وذكر المدائنيّ في كتابه ، قال : قدم رجل من أهل اليمن ، على الحجّاج ، يشكو أخاه ، محمّد بن يوسف[1] ، فصادف الحجّاج على المنبر ، فقام إليه ، فشكا أخاه محمّداً ، فأمر به الحجّاج ، فحبس .

فلمّا نزل عن المنبر ، استدعاه وهو متغيّظ عليه ، فقال له : ما جرّأك على أن ترفع على أخي ؟

فقال له : أنا بالله ، أعزّ من أخيك بك .

فقال الحجّاج : خلّوا سبيله .

---

١ محمّد بن يوسف الثقفي : أخو الحجّاج بن يوسف الثقفي ، ومثيله في الظلم والجور ، استعمله الحجّاج على صنعاء ، ثم ضمّ إليها الجند ، فما زال والياً عليها حتى مات سنة ٩١ ، قال الطبري ٦ / ٤٩٨ : إنّه أصابه داء تقطّع منه ، وقال الخزرجيّ : جمع المجذومين بصنعاء ، وجمع الحطب ليحرقهم ، فمات قبل ذلك ، وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ، في خلافة الوليد : الوليد بالشام ، والحجّاج بالعراق ، وأخوه باليمن ، وقرّة بن شريك بمصر ، امتلأت الأرض – والله – جوراً (الأعلام ٨ / ٢٠) وحمل مرّة هدايا للوليد بن عبد الملك ، فقال له : بلغني أنّك أصبتها غصباً ، ولم يقبلها إلاّ بعد أن حلف بالبيت الحرام ، بين الركن والمقام ، خمسين يميناً بالله ، أنّه ما غصب شيئاً منها ، ولا ظلم فيها أحداً (الطبري ٦ / ٤٩٨) .

١٤٩

الحجّاج يأمر بتعذيب آزاد مرد

[وذكر المدائنيّ في كتابه ، عن أبي المضرحي ، وقد وجدته أنا ، في غير موضع ، عن المدائني ، بما يقرب من هذه العبارة : أخبرني محمّد بن الحسن ابن المظفّر ، قال : أخبرني الحرمي ، عن الزّبير ، قال :][1]

أمر الحجّاج محمّد بن المنتشر بن الأجدع الهمداني ، ابن أخي مسروق[2] ، أن [٦٤ ظ] يعذّب آزاد مرد بن الفرند ، فأخذه محمّد .

فقال له آزاد مرد : [أرى لك يا محمّد ، شرفاً ، وديناً][1] ، وإنّا من أهل بيت لا نعطي على الذلّ شيئاً ، فارفق بي ، واستأن فيّ .

فقال : أفعل .

فرفّهه محمّد ، وأكرمه ، فكان يؤدّي إليه ، في كلّ جمعة[3] ، ثلثمائة ألف درهم .

فغضب الحجّاج ، وأمر معدّ ، صاحب العذاب ، أن يأخذه من محمّد ، فأخذه معدّ من محمّد ، فعذّبه ، ودقّ يديه ورجليه[4] ، فلم يعطه شيئاً .

فقال محمّد : فإنّي لأسير ، بعد ثلاثة أيّام ، إذا به معترضاً على بغل ، مدقوق اليد والرّجل .

---

١ الزيادة من غ والحرمي ، ابو عبد الله أحمد بن محمّد بن إسحاق بن أبي حميضة ، ويعرف بالحرمي ابن أبي العلاء : من أهل مكّة ، سكن بغداد ، وكان كاتب القاضي أبي عمر محمّد بن يوسف الأزدي ، توفّي سنة ٣١٧ ، ترجم له الخطيب في تاريخ بغداد ٤ / ٣٩٠ وشذرات الذهب ٢ / ٢٧٥ والوافي بالوفيات ٨ / ٩ .

٢ في م : محمّد بن المغيث الأجدع الهمداني : ابن أخي مسروق .

٣ الجمعة : الأسبوع .

٤ راجع وصف قسوة الحجّاج وظلمه في آخر القصّة .

فصاح بي : يا محمّد .

فكرهت [٥١ ر] أن آتيه ، فيبلغ الحجّاج ، فأقع معه في مكروه ، ثمّ تذمّمت أن لا أدنو منه ، فدنوت .

فقلت : حاجتك ؟

فقال : إنّك وَلِيتَ منّي مثل هذا ، فأحسنت ، ولي عند فلان مائة ألف درهم ، فخذها منه برسالتي إليه .

فقلت : والله ، لا أخذت منك شيئاً ، وأنت على هذه الحال .

فقال : أمّا إذ أبيت ، فاستمع منّي ، أحدّثك حديثاً سمعته من أهل دينك ، عن نبيّك ، سمعتهم يقولون ، إنّه قال : إذا أراد الله تعالى بالعباد خيراً ، أمطرهم المطر في أوانه ، واستعمل عليهم خيارهم ، وجعل المال في سمحائهم ، وإذا أراد بهم شرّاً ، [أمطرهم المطر في غير أوانه][5] واستعمل عليهم شرارهم ، وموّل بخلاءهم ، ثمّ مضى .

وأتيت منزلي ، فما وضعت ثيابي حتّى أتاني رسول الحجّاج ، وقد بلغه ما جرى . فخفته خوفاً شديداً ، [ووقعت في أمر عظيم][6] ، فأتيته وقد اخترط سيفه ، وهو في حجره منتضى . فقال لي : ادن .

فقلت : ما بي دنوّ ، وفي حجر الأمير السيف .

فضحك ، وقال : ما قال [٨٩ غ] لك الخبيث ؟

فقلت له : والله ما غششتك منذ استنصحتني ، ولا خنتك منذ ائتمنتني ، ولا كذبتك مذ صدّقتني ، وأخبرته بما قال .

فلمّا أردت ذكر الرّجل الّذي عنده المال ، صرف وجهه عنّي ، وقال : لا تسمّه ، لقد سمع عدوّ الله الأحاديث ، انصرف راشداً .

فانصرفت آمناً ، وقد زال خوفي .

---

٥ الزيادة من غ وم . * ٦ الزيادة من غ .

قسوة الحجّاج وظلمه

كان الحجّاج بن يوسف الثقفي ، قد جمع خلالاً قبيحة ، ظاهرة ، وباطنة ، من دمامة الصورة ، وقبح المنظر ، وقساوة القلب ، وشراسة الأخلاق ، وغلظ الطبع ، وقلّة الدين ، والإقدام على انتهاك حرمة الله تعالى ، حتّى حاصر مكّة ، وهدم الكعبة ، ورماها بالمنجنيق ، والنفط ، والنار ، وأباح الحرم ، وسفك ، وهتك ، وقتل في مدّة ولايته ألف ألف وستمائة ألف مسلم ، ومات في حبوسه ثمانية عشر ألف إنسان ، وكان لا يرجو عفو الله ، ولا يتوقّع خيره ، وكأنّه قد ضرب بينه وبين الرحمة والرأفة ، بسور من فظاظة ، وغلاظة ، وقسوة (العقد الفريد للملك السعيد ١١٨) .

وقد أوردنا في ترجمة الحجّاج ، في حاشية القصّة ٦٧ ، العاهات الّتي ابتلي بها ، فأدّت به إلى الساديّة ، ولذلك ، فقد كان يتفنّن في ابتكار أنواع العذاب ، ويتلذّذ بمشاهدة ضحاياه عند تعذيبهم ، وكان يعذّب بعضهم ويقتلهم بيده .

فقد جيء له بابن القريّة ، فأمر به ، فأمسكه رجال أربعة ، حتى لا يستطيع حراكاً ، ثمّ وضع الحجّاج حربة في ثندوءته ، ودفعها ، حتى خالطت جوفه ، ثم خضخضها ، وأخرجها ، فأتبعها دم أسود ، فقال الحجّاج : هكذا تشخب أوداج الإبل ، وفحص ابن القريّة برجله ، وشخص ببصره ، وجعل الحجّاج ينظر إليه ، حتى قضى (الأخبار الطوال ٢٢٢ ، ٢٢٣) .

وأمر بأحد أسراه ، فشدّ عليه القصب الفارسيّ ، ثم سلّ عنه ، حتى شرّح بدنه ، ثم نضح بالخلّ والملح ، حتى مات (الكامل للمبرد ٢ / ٢٠٧) .

وجيء إليه بمحمّد بن سعد بن أبي وقاص أسيراً ، فظلّ يضرب رأسه بعصا كانت في يده ، حتّى أدماه ، ثم أطمعه في أن يطلقه ، وأطرق ملياً ، كأنّه يفكّر ، ثم قال لرجل من أهل الشام : اضرب لي مفرق رأسه ، فضربه ، فمال نصفه ها هنا ، ونصفه ها هنا (الطبري ٦ / ٣٧٩ والإمامة والسياسة ٢ / ٤١ و٤٢) .

وحبس إبراهيم بن يزيد التيمي الزاهد ، ومنع عنه الطعام ، ثم أرسل عليه الكلاب تنهشه ، حتى مات (اللباب ١ / ١٩٠) ، ولمّا مات ، رمى بجثته في الخندق ، ولم يجرأ أحد أن يدفنه ، حتى مزّقته الكلاب (البصائر والذخائر م٣ ق١ ص ٣٠٤) .

وفي معركة الزاوية ، إحدى المعارك مع ابن الأشعث ، قتل الحجاج أحد عشر ألفاً ،

بالخديعة والمكر ، فقد أمر مناديه : فصاح : لا أمان لفلان بن فلان ، وسمّى رجالاً ، فقال العامّة : قد آمن الناس ، وحضروا ، فأمر بهم فقتلوا (ابن الأثير ٤ / ٤٦٩) .

ولمّا دخل البصرة ، دخل الجامع ، وجلس على المنبر ، وأمر جنده بأخذ الأبواب وقال لهم : إذا رأيتموني وضعت عمامتي عن رأسي ، فضعوا سيوفكم ، ثمّ بدأ خطبته ، فحصبه الناس ، فخلع عمامته ، ووضعها على ركبتيه ، فجعلت السيوف ، تبري الرقاب وسالت الدماء إلى أبواب المسجد ، وإلى السكك (الإمامة والسياسة ٢ / ٢٥ و٢٦) .

وكان صغيراً في تصرّفاته ، حبس مالك بن أسماء بن خارجة ، وضيّق عليه كلّ أحواله ، حتى كان يشاب له الماء الذي كان يشربه ، بالرماد والملح ، وأحضره عنده يوماً ، فبينما هو يحدّثه ، استسقى ماءً ، فأتي به ، فلما نظر إليه الحجّاج ، قال : لا ، هات ماء السجن ، فأتي به ، وقد خلط بالملح والرماد ، فسقيه (الأغاني ١٧ / ٢٣١) .

وقبض على يزيد بن المهلّب وعذّبه ، فكان يزيد يصبر على العذاب ، فقيل له : إنّه رمي بنشّابة ، فثبت أصلها في ساقه ، فلا يمسّها شيء إلاّ صاح ، فأمر أن يعذّب بذلك ، وأن يدهق ساقه ، فلمّا فعل به ذلك ، صاح ، وسمعته أخته هند ، وكانت عند الحجّاج ، فصاحت ، فطلّقها الحجاج (وفيات الأعيان ٦ / ٢٩١) .

وبقدر ما كان الحجّاج ، قاسياً ، متغطرساً على الناس ، كان ذليلاً أمام عبد الملك بن مروان ، كتب إليه مرّة : إنّ خليفة الله في أرضه ، أكرم من رسوله إليهم .

وبلغه أنّ عبد الملك ، عطس يوماً ، فشمّته أصحابه ، فردّ عليهم ، ودعا لهم ، فكتب إليه : بلغني ما كان من عطاس أمير المؤمنين ، ومن تشميت أصحابه له ، وردّه عليهم ، فيا ليتني كنت معهم ، فأفوز فوزاً عظيماً (العقد الفريد ٥ / ٥٣) ، راجع ترجمة الحجّاج في حاشية القصّة ٦٧ ، وبحثاً عن سياسته المالية المخرّبة في حاشية القصّة ١٨٢ .

١٥٠

المأمون يرضى عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي

[حدّثني أبو الفرج الأصبهاني ، قال : أخبرني محمّد بن مزيد بن أبي الأزهر ، والحسين بن يحيي[1] ، عن حمّاد بن إسحاق الموصلي ، عن أبيه ، قال أبو الفرج ، وأخبرني يحيي بن عليّ بن يحيي المنجم ، عن أبيه ، عن إسحاق ، قال :][2]

أقام المأمون بعد دخوله بغداد عشرين شهراً ، ولم يسمع حرفاً من الأغاني ، ثمّ كان أوّل من تغنّى بحضرته أبو عيسى بن الرّشيد[3] أوّل مرّة ، ثمّ واظب على السماع متستّراً ، متشبّهاً بالرّشيد في أوّل أمره ، فأقام المأمون كذلك أربع سنين ، ثم ظهر للندماء والمغنّين[4] .

قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي : وكان حين أحبّ السّماع ، سأل عنّي ، فجرحت بحضرته ، وقال الطاعن عليّ : ما يقول أمير المؤمنين في رجل يتيه على الخلفاء ، ما بقّى هذا من التيه شيئاً إلّا استعمله .

فأمسك عن ذكري ، وجفاني من كان يصلني [٦٥م] لسوء رأيه فيّ ، فأضرّ ذلك بي ، حتّى جاءني علويه[5] يوماً ، فقال لي : أتأذن لي في ذكرك

---

١ أبو عبد الله الحسين بن يحيي بن عيّاش بن عيسى القطّان الأعور (٢٣٩ – ٣٣٤) : ترجم له الخطيب البغدادي في تاريخه ٨ / ١٤٨ .

٢ الزيادة من غ ، وفي بقيّة النسخ : قال ابن المنجّم .

٣ أبو عيسى محمّد بن هارون الرشيد : ترجمته في حاشية القصّة ٣٤٩ من هذا الكتاب .

٤ في الأغاني ١٠ / ١٠١ إنّ أوّل من غنّى بحضرة المأمون محمّد بن الحارث بن بسخنّر ، ولم يظهر للندماء أربع سنين ، حتى ظفر بإبراهيم بن المهديّ ، فلمّا ظفر به ، ظهر للندماء .

٥ أبو الحسن عليّ بن عبد الله ، المعروف بعلويه : موسيقي بغدادي ، تخرّج على إبراهيم الموصليّ ،

بحضرة المأمون ، فإنّا قد دعينا اليوم .

فقلت : لا ، ولكن غنّه بهذا الشعر ، فإنّه يبعثه على أن يسألك لمن هو ؟ فإذا سألك انفتح لك ما تريده ، وكان الجواب أسهل عليك من الابتداء .

قال : هات ، فألقيت عليه لحني في شعري :

يا سرحة الماء قد سدّت موارده ... أما إليك طريق غير مسدود

لحائم حام حتّى لا حيام به ... مشرّد[6] عن طريق الماء مطرود

قال أبو الفرج الأصبهاني : والغناء فيه لإسحاق الموصلي ، رمل بالوسطى ، عنه ، وعن عمرو بن بانة .

رجع الحديث ، قال : فمضى علويه ، فلمّا استقرّ به المجلس ، غنّاه بالشعر ، الّذي أمره به إسحاق .

فقال المأمون : ويلك يا علويه ، لمن هذا الشعر ؟ .

فقال : يا سيّدي لعبد من عبيدك ، جفوته ، واطّرحته ، من غير ذنب .

فقال : إسحاق تعني ؟

قال : نعم .

فقال : يحضر الساعة .

قال إسحاق : فجاءني رسول المأمون ، فصرت إليه ، فلمّا دخلت إليه استدناني ، فدنوت منه [٦٥ ظ] ، فرفع يديه إليّ مادّهما ، فانكببت عليه ، فاحتضنني بيديه ، وأظهر من برّي وإكرامي ، ما لو أظهره صديق مؤانس لصديق ، لسرّ به .

وبرع في الغناء ، والتلحين ، والضرب بالعود ، له أخبار مع الأمين ، والمأمون ، والمعتصم ، عاش إلى أيام المتوكّل ، وتوفّي سنة ٢٣٦ (الأعلام ٥ / ١١٨) .

٦ في غ : محلأ .

وقد ذكر القاضي أبو الحسين هذا الخبر ، في كتابه بغير إسناد ، وبأقلّ من هذا الشرح ، والمعنى متقارب[7] .

---

٧ وردت القصّة في الأغاني ٥ / ٣٨٣ وورد في نسخة غ : آخر الجزء الأوّل من كتاب الفرج بعد الشدّة ، والحمد لله وحده ، وصلواته على سيّدنا محمّد وآله وسلّم ، يتلوه في الجزء الثاني ، باب من خرج من أسر أو حبس أو اعتقال ، إلى سراح وسلامة وصلاح حال ، وهو الباب الخامس .

محتويات الكتاب

رموز

الأرقام المثبتة في العمود الأيمن : **للصفحات** ، والأرقام التالية لها: **للقصص** .

استدراكات

أوردت في مقدمّة الكتاب (ص ١٢) أنّ من جملة مراجع التنوخي المؤلّف كتاه سمّاه التنوخي «شجا» ذكر إنّه من تأليف إسحاق بن إبراهيم الموصلي ، وذكرت في الحاشية ، أنّني لم أجد فيما لديّ من المراجع ذكراً لهذا الكتاب ، ثم وجدت من بعد ذلك ، أنّ «شجا» اسم الجارية التي أهداها إسحاق بن إبراهيم الموصلي للخليفة الواثق ، وعمل لها المصنّف في الغناء ، الذي بين أيدي الناس ، راجع الأغاني ٢٧٩/١٩ و ٣١١/١٦ .

كتاب
الفرج بعد الشدة

تأليف

القاضي أبي علي المحسن بن علي التنوخي

المتوفى سنة ٣٨٤ هـ

تحقيق

عبود الشالجي

الجزء الثاني

دار صادر
بيروت

١٣٩٨هـ ــ ١٩٧٨م

الفرج بعد الشدة

٢

الباب الخامس[1]

من خرج من حبس أو أسر واعتقال
إلى سراح وسلامة وصلاح حال

١٥١

رسول الله يمنّ على هوازن

ويطلق لهم أسراهم ويردّ عليهم ما غنم منهم

حدّثنا الأمير أبو بكر محمّد بن بدر[2] ، قال : حدّثنا الأمير أبو النّجم بدر الكبير المعروف بالحمامي[3] ، قال : حدّثنا محمّد بن عبد الله العبسي الجشمي

١ ورد في غ ، في صدر هذه القصّة : بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين ، أوّل الجزء الثاني من كتاب الفرج بعد الشدّة .

٢ أبو بكر محمّد بن بدر الحمامي المعروف ببدر الكبير : كان أبوه بدر أميراً على فارس ، ولما توفّي تقلّد الولاية على فارس في محله ، ودامت ولايته مدّة ، ثم قدم بغداد وتوفّي بها سنة ٣٦٤ (الأعلام ٦/٢٧٤ وتاريخ بغداد للخطيب ٢ / ١٠٨) وكانت داره على دجلة بمحلة باب البستان (بستان الزاهر) (وزراء ٣٣١) .

٣ أبو النجم بدر بن عبد الله ، المعروف بالحمامي ، نسبة لطير الحمام ، ويقال له بدر الكبير : من كبار القوّاد الأتراك في الدّولة العباسيّة ، نشأ بمصر ، وولّي ولايات ، ثم انتقل لخدمة العبّاسيّين ، فولّي أصبهان ، وتوفّي في شيراز سنة ٣١٠ وهو عامل على فارس ، وكان شجاعاً ، جواداً ، عادلاً (الأعلام ٢ / ١٢ وتاريخ بغداد للخطيب ٧ / ١٠٥) راجع القصّة ٢ / ١٥٦ من نشوار المحاضرة ، وكان المقتدر متزوّجاً بابنته (راجع القصّة ٥ / ٢ من نشوار المحاضرة) .

من قوّاد فلسطين[4] ، قال : حدّثنا أبو عمر زياد بن طارق ، قال : قال لي ابن الرماحي ، وكانت قد أتت عليه عشرون ومائة سنة[5] ، وهو يصعد يلقط التين ، قال : سمعت أبا جرول زهير بن صرد الجشمي[6] ، يقول :

أسرنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم [يوم حنين و][7] يوم هوازن[8] ، وذهب يفرّق السبي ، فقمتُ ، فأنشدته : [٥٢ ر]

امنن علينا رسول الله في كرم ... فإنّـك المـرء نرجـوه وننتظـر
امنن على بيضة ، قد عاقهـا قـدر ... مفرّق شملها ، في دارهـا غِيَر
أبقت لنا الحربُ هيّافاً[9] على حزن ... على قلوبهم الغمّاء والغمــر
إن لم تداركهُم نعمـاء تنشرهـا ... يا أرجح النّاس حلماً حين يختبر
امنن على نسوة قد كنت ترضعها ... [إذ فوك يملؤه من محضها الدرر][10]
[إذ أنت طفل صغير كنت ترضعها][10] ... وإذ يريبك[11] ما تأتي وما تـذر
لا تجعلّنا كمن شالت نعامته[12] ... واستبق منّا فإنّا معشر زهــر

---

٤ كذا ورد في غ ، ولعلّ الصحيح : من قرّاء فلسطين .

٥ ورد السند في تاريخ بغداد للخطيب ٧ / ١٠٥ كما يلي : أخبرنا أبو نعيم ، قال : حدّثنا أبو بكر محمّد ابن بدر الأمير مولى المعتضد ببغداد ، قال : حدّثنا أبي أبو النجم بدر الكبير ، قال : حدّثنا عبيد الله ابن محمّد بن رماحس ، قال : حدّثنا أبو عمرو زياد بن طارق ، وكانت قد أتت عليه عشرون ومائة سنة ، قال : سمعت أبا جرول زهير بن صرد الجشمي ... الخ .

٦ في الطبري ٣ / ٨٦ ، إنّه زهير بن صُرَد ، يكنّى أبا صرد .

٧ الزيادة من غ .

٨ أخبار غزوة هوازن بحنين في الطبري ٣ / ٧٠ – ٨٢ و٨٦ – ٩٤ .

٩ الهيف : العطش الشديد .

١٠ الزيادة من تاريخ بغداد للخطيب ٧ / ١٠٦ .

١١ في تاريخ بغداد للخطيب : وإذ يزينك ص ٧ / ١٠٦ .

١٢ شالت نعامته : مات ، وشالت نعامة القوم : أخلوا منازلهم ، وتفرّقوا ، وذهب عزّهم .

إنّا لنشكر للنعماء إذ كفرت[13] وعندنا بعد هذا اليوم مدّخر
يا خير من مرحت كمت الجياد به عند الهياج إذا ما استوقد الشرر
فألبس العفو من قد كنت ترضعه من أمّهاتك إنّ العفو مشتهر
إنّا نؤمّل عفواً منك تلبسه هذي البريّة إذ تعفو وتنتصر
عفواً عفا الله عمّا أنت راهبه يوم القيامة إذ يهدى لك الظفر

قال : فلمّا سمع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم هذا الشعر ، قال : ما كان لي ولبني عبد المطلب ، فهو لكم .

فقالت قريش : ما كان لنا فهو لله ولرسوله .

وقالت الأنصار : ما كان لنا فهو لله ولرسوله .

فأطلقهم جميعاً[14] .

وحدّثنا أبو العبّاس محمّد بن أحمد المعروف بالأثرم ، المقرئ الخيّاط البغدادي ، بالبصرة ، قال : حدّثنا أبو عمر أحمد بن عبد الجبّار العطاردي[15] ، قال : حدّثنا يونس بن بكير الشيباني[16] ، عن محمّد بن إسحاق[17] ، قال :

---

١٣ في تاريخ بغداد للخطيب ٧ / ١٠٦ : إنّا لنشكر للنعمى إذا كفرت .

١٤ وردت القصّة في الطبري ٣ / ٨٦ و٨٧ وفي تاريخ بغداد للخطيب ٧ / ١٠٥ و١٠٦ وفي حلّ العقال ص ٣٧ ، وفي نفح الطيب ٢ / ٥٦٢ و٥٦٣ .

١٥ أبو عمر أحمد بن عبد الجبار بن محمّد بن عمير بن عطارد بن حاجب بن زرارة التميمي ، المعروف بالعطاردي : ترجم له الخطيب في تاريخه ٤ / ٢٦٢ — ٢٦٥ وقال : إنّه توفّي سنة ٢٧٢ .

١٦ أبو بكر يونس بن بكير بن واصل الشيبانيّ الحافظ : ترجم له صاحب الخلاصة ٣٧٩ وقال : إنّه توفّي سنة ١٩٩ .

١٧ أبو بكر محمّد بن إسحاق بن يسار : صاحب السيرة ، أقدم مؤرّخي العرب ، زار الإسكندرية ، وأقام ببغداد ، توفّي سنة ١٥١ (الأعلام ٦ / ٢٥٢) .

حدّثني عمرو بن شعيب[18] ، عن أبيه[19] ، عن جدّه[20] ، قال :

كنّا مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بحنين ، فلمّا أصاب من هوازن ما أصاب من أموالهم وسباياهم ، أدركته هوازن بالجعرانة ، وقد أسلموا .

فقالوا : يا رسول الله ، لنا أهل وعشيرة ، وقد أصابنا من البلاء ما لم يخف عليك ، فامنن علينا منّ الله عليك .

وقام خطيبهم زهير بن صرد فقال : يا رسول الله ، إنّ ما في الحظائر من النّساء ، خالاتك ، وعماتك ، وحواضنك اللّاتي تكفّلنك ، ولو أنّا مالحنا[21] ابن أبي شمر[22] ، أو النّعمان بن المنذر[23] ، ثمّ أصابنا مثل الّذي أصابنا منك ، رجونا عائدتهما ، وعطفهما . وأنشد أبياتاً قالها .

وذكر من الأبيات ثمانية ، فقال في الأوّل : وندّخر[24] ، وقال في الثّاني : ممزّق ، وقال في الثّالث : نهّافاً[25] ، وقال في السّادس : نعامتهم ، وقال في السّابع : إنّا لنشكر آلاء وإن كفرت .

---

١٨ أبو إبراهيم عمرو بن شعيب بن محمّد بن عبد الله بن عمرو بن العاص السّهمي المدنيّ ، نزيل الطائف : ترجم له صاحب الخلاصة ٢٤٦ وقال إنّه توفّي سنة ١١٨ .

١٩ شعيب بن محمّد بن عبد الله بن عمرو بن العاص السهميّ : ترجم له صاحب الخلاصة ١٤١ .

٢٠ محمّد بن عبد الله بن عمرو بن العاص السهميّ : ترجم له صاحب الخلاصة ٢٨٥ ، وأحسب أنّ المقصود بالجدّ أبا محمّد عبد الله بن عمرو بن العاص ، ترجم له صاحب الخلاصة ١٧٦ وقال : كان بينه وبين أبيه إحدى عشرة سنة .

٢١ الممالحة : المؤاكلة ، وهو يشير هنا إلى رضاع النبيّ صلوات الله عليه في بني سعد .

٢٢ الحارث بن أبي شمر الغسانيّ : من أمراء غسّان في أطراف الشام ، أدرك الإسلام ، ومات سنة ٨ للهجرة .

٢٣ أبو قابوس النعمان بن المنذر بن امرئ القيس اللّخمي : ممدوح النابغة الذبيانيّ ، من أشهر ملوك الحيرة في الجاهلية ، قال صاحب الأعلام ٩ / ١٠ إليه تنسب مدينة النعمانية على ضفة دجلة ، أقول : أنا أشكّ كثيراً في كون مدينة النعمانيّة من بناء النعمان بن المنذر ، وأرجّح ما أثبته ياقوت في معجمه ٤ / ٧٩٦ إذ قال : كأنّها منسوبة إلى رجل اسمه النعمان .

٢٤ في الأصل : وترخر ، وهو تصحيف .

٢٥ في الأصل : نهانا ، وهو تصحيف ، والنهّاف : المتحيرون .

١٥٢

الوزير القاسم يعتقل ثلاثة أمراء عبّاسيّين

أخبرنا أبو بكر الصولي ، قال :

كان القاسم بن عبيد الله[١] ، قد تقدّم عند وفاة المعتضد ، إلى صاحب الشرطة مؤنس الخازن[٢] ، أن يوجّه إلى قصيّ بن المؤيّد[٣] وعبد العزيز بن المعتمد[٤] ،

---

١ أبو الحسين القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب الحارثي (٢٥٨ – ٢٩١) : استوزره المعتضد العباسي ، بعد وفاة والده عبيد الله ، سنة ٢٨٨ ، ولمّا استخلف المكتفي في السنة ٢٨٩ ، أخذ له البيعة ، واستمرّ على وزارته لـه ، إلى أن مات ، والأبيات التي قالها ابن بسّام فيه ، عند وفاته ، تدلّ على أنّه توفّي مصاباً باسهال الدوزنطاريا (ابن الأثير ٧ / ٥٣٣ و٥٣٤) ، وكان جبّاراً ، سفّاكاً للدماء ، مطعوناً في دينه ، واتّهم بأنّه قتل ابن الرّومي بالسم (الفخري ٢٥٧ ومروج الذهب ٢/٥٣١) .

٢ مؤنس الخازن : ويقال له مؤنس الفحل ، تمييزاً له عن مؤنس الخادم ، القائد العباسي المعروف بالمظفّر ، كان مؤنس الخازن صاحب الشرطة ببغداد ، ولمّا خرج المعتضد لقتال أحمد بن عيسى بن شيخ في السنة ٢٨٥ استخلفه على بغداد (تاريخ الحكماء ٧٧) ، راجع القصّة ٣/٤٧ من كتاب نشوار المحاضرة .

٣ قصي بن المؤيد إبراهيم بن جعفر المتوكّل : كان أبوه إبراهيم أحد أولاد المتوكّل الثلاثة الذين عقد لهم العهد في السنة ٢٣٥ ، ثمّ قتله أخوه المعتز في السنة ٢٥٢ ، وترجمة المؤيّد في حاشية القصّة ٢٨٤ من الكتاب ، ويظهر من اعتقال هؤلاء الثلاثة ، أنّهم كانوا في مقدّمة الأمراء العباسيّين المرشحين للخلافة في ذلك الحين .

٤ للمعتمد على الله أربعة أولاد ، أكبرهم جعفر الملقّب بالمفوّض ، وكانت إليه ولاية العهد ، وعبد العزيز ، وأبو عبد الله محمّد ، وأبو أحمد إسحاق مات في حياة أبيه (خلاصة الذهب المسبوك ٢٣٤) ولما حلّ المعتضد محلّ أبيه الموفّق ، في السنة ٢٧٨ ، أجبر عمّه المعتمد على أن يبايع له بولاية العهد ، بعد المفوّض ، وبعد سنة واحدة ، خلع المفوّض من ولاية العهد ، وحلّ المعتضد محلّه ، وتوفّي المعتمد بعد ذلك بسبعة أشهر ، والمفوّض إذ ذاك محجور عليه ، في دار المعتضد ، لا يخرج ولا يظهر ، وتوفّي في السنة ٢٨٠ ، بعد وفاة أبيه بقليل (الطبري ١٠ / ٢١ و٢٢ و٢٨ و٢٩ و٣٣) ، أمّا أبو عبد الله

وعبد الله بن المعتز [5] ، فيحبسهم في داره [6] ، ويوكّل بهم ، ففعل ذلك ، وكانوا محبوسين خائفين ، إلى أن قدم المكتفي [7] بغداد فعرف خبرهم ، فأمر بإطلاقهم ، ووصل كلّ واحد منهم بألف دينار .

قال : فحدّثني عبد الله بن المعتز ، قال : سهرتُ في الليلة الّتي في صبيحتها دخل المكتفي إلى بغداد [8] ، فلم أنم ، خوفاً على نفسي ، وقلقاً لوروده ، فمرّت بي في السّحر طير ، فصاحت ، فتمنّيت أن أكون مخلّى مثلها ، لما جرى عليّ من النّكبات [9] .

ثمّ فكّرت في نعم الله تعالى عليّ ، وما خاره لي من الإسلام والقرابة من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وما أؤمّله من البقاء الدّائم في الآخرة [٦٦ م] فقلت :

يا نفس صبراً لعلّ الخير عقباك ... خانتك من بعد طول الأمن دنياك
مرّت بنا سَحَراً طيرٌ فقلت لها : ... طوباك يا ليتني إيّاك طوباك
لكن هو الدّهر فالقيه على حذر ... فربّ مثلك ينزو تحت أشراك

محمّد بن المعتمد ، فقد كان مرشّحاً للخلافة في مكان المقتدر ، ولكنّه أصيب بعارض ، وفلج في مجلس الوزير ، فحمل إلى داره ، ومات في السنة ٢٩٥ (تجارب الأمم ١ / ٤ و ٥) .

٥ أبو العبّاس عبد الله بن محمّد المعتز بن المتوكّل (٢٤٧ - ٢٩٦) : ترجمته في حاشية القصّة ٥٠ من الكتاب .

٦ راجع ابن الأثير ٧ / ٥١٤ .

٧ أبو محمّد علي المكتفي بن أبي العبّاس أحمد المعتضد (٢٦٣ - ٢٩٥) : ولّي الخلافة سنة ٢٨٩ على أثر وفاة أبيه ، وأنفق الأموال العظيمة على حرب القرامطة ، ومات شاباً من علّة الخنازير في حلقه (الأعلام ٥ / ٦٥ ، والقصّة ١ / ١٥٥ من نشوار المحاضرة) .

٨ دخل المكتفي بغداد يوم ٨ جمادى الأولى سنة ٢٨٩ (ابن الأثير ٧ / ٥١٦) .

٩ في م : من النكاية .

١٥٣

البحتري وأبو معشر يؤصّلان عند المعتزّ أصلاً

حدّثني عليّ بن هشام بن عبد الله الكاتب[١] ، قال : حدّثني أبو القاسم سليمان ابن الحسن بن مخلد[٢] ، قال :

لما أنفذ[٣] أبي إلى مصر ، اجتذبت أبا عبادة البحتري[٤] ، وأبا معشر المنجّم[٥] ، وكنت [٩٣ غ] آنس بهما في وحدتي ، وملازمتي البيت ، فكانا أكثر الأوقات عندي ، يحادثاني ويعاشراني .

فحدّثاني يوماً : إنّهما أضاقا إضاقة شديدة ، وكانا مصطحبين ، فعنّ[٦] لهما أن يلقيا المعتزّ بالله[٧] ، وهو محبوس ، فيتودّدان إليه [٦٦ ظ] ويؤصّلان

---

١ أبو الحسين علي بن هشام بن عبد الله الكاتب المعروف بابن أبي قيراط .

٢ أبو القاسم سليمان بن الحسن بن مخلد بن الجرّاح .

٣ في غ : أبعد .

٤ أبو عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى الطائي البحتري (٢٠٦ – ٢٨٤) : أحد ثلاثة كانوا أشعر أهل عصرهم : المتنبّي ، وأبو تمام ، والبحتري ، وقال أبو العلاء المعرّي : المتنبّي وأبو تمام حكيمان ، والشاعر البحتري ، مدح جماعة من الخلفاء أوّلهم المتوكّل ، وعاد فأقام بمنبج مسقط رأسه ، ومات بها .

٥ أبو معشر جعفر بن محمّد بن عمر البلخي الفلكي : عالم فلكي مشهور كان أوّلاً من أصحاب الحديث ، وتعلّم النجوم وهو ابن ٤٧ سنة ، راجع في القصّة ٤ / ٣٥ من نشوار المحاضرة كيفيّة تعلّمه النجوم ، وكان أعلم الناس بتاريخ الفرس وسائر الأمم ، وعمّر طويلاً ، ومات بواسط سنة ٢٧٢ (الأعلام ٢ / ١٢٢) بشأن أبي معشر راجع القصص ٢ / ١٧٠ و ٢ / ١٧١ من نشوار المحاضرة .

٦ في غ : فعرض .

٧ أبو عبد الله محمّد المعتز بن جعفر المتوكّل (٢٣٢ – ٢٥٥) : ولد بسامراء ، وبويع بولاية العهد سنة ٢٣٥ ، ولمّا ولي المستعين سنة ٢٤٨ سجن المعتز ، فأخرجه الأتراك سنة ٢٥١ وبايعوه بالخلافة ، وكانت أيّامه فتن وقلاقل ، وقتله الأتراك بعد أن عذّبوه (الأعلام ٦ / ٢٩٦) .

عنده أصلاً ، فتوصّلا إليه ، حتّى لقياه في حبسه .

قال البحتريّ : فأنشدته أبياتي الّتي كنت قلتها في محمّد بن يوسف الثغري[8] ، [لما حبس][9] ، وخاطبت بها المعتزّ ، كأنّي عملتها له في الحال ، وهي :

جعلت فداك الدّهر ليس بمنفكّ من الحادث المشكوّ والنّازل المشكي[10]
وما هذه الأيّام إلّا منازل فمن منزلٍ رحب ومن منزلٍ ضنْك
وقد هذّبتك الحادثات وإنّما صفا الذّهب الإبريز قبلك بالسّبك[11] [٥٣ ر]
أمّا في رسول الله يوسف أسوة لمثلك محبوساً على الظلم والإفك
أقام جميل الصبر في السّجن برهة فآل به الصّبر الجميل إلى الملك
على أنّه قد ضيم في حبسك العلى وأصبح عزّ الدّين في قبضة الشرك[12]

---

٨ أبو سعيد محمّد بن يوسف بن عبد الرحمن الثغري الطائي الصامتي : كان من القوّاد الشجعان ، اشترك في جميع الحملات التي جرّدت لحرب بابك الخرمي منذ السنة ٢١٤ ، وهو الذي أسر بابك ، وسلّمه للافشين سنة ٢٢٢ (الكامل ٦ / ٤١٢ – ٤٧٤) ، ولقب بالثغري : نسبة إلى الثغر ، وهو الموضع المواجه للعدو (اللباب ١ / ١٩٥) ، وكان الثغري شديد النكاية في الروم (راجع ديوان البحتري ٢٤٥ – ٢٥٥) وغضب عليه المتوكّل فصرفه عن حرب الثغور (ديوان البحتري ٢٤٩ سطر ٣) ثمّ اعتقله (ديوان البحتري ٦٥١) وقتل أبو سعيد بأرسناس وهو يقاتل الروم ، ورثاه البحتري ، ديوان البحتري ٤٨٨ ، ٤٩٠ ، ٤٩٣ .

٩ الزيادة من غ ومن القصّة ٨ / ١٩ من نشوار المحاضرة ، وكان المتوكّل لمّا اعتقل الثغري ، سلّمه إلى كاتب نصراني لسعيد الحاجب ، وأمره بتعذيبه والغلظة عليه في المطالبة والاستخراج ، (ديوان البحتري ٦٥١) .

١٠ ديوان البحتري ص ٧٣٥ .

١١ في الديوان يوجد بيت بعد هذا البيت لم يذكر في القصّة ، وهو :

وما أنت بالمهزوز جاشاً على الأذى ولا المتفرّي الجلدتين على الدلك

١٢ هذا البيت في غ : وأضحت يد الإسلام في قبضة الشرك ، وفي الديوان :

على أنّه قد ضيم في حبسك الهدى وأضحى بك الإسلام في قبضة الشرك

قال : فأخذ الرّقعة الّتي فيها الأبيات ، فدفعها إلى خادم كان واقفاً على رأسه ، وقال له : احتفظ بهذه الرّقعة ، فإن فرّج الله عنّي ، فأذكرني بها ، لأقضي حقّ هذا الرّجل الحرّ .

وقال لي أبو معشر : وقد كنت أنا أخذت مولده ، ووقت عقد له العهد ، ووقت عقدت البيعة للمستعين[13] بالخلافة ، فنظرت في ذلك ، وصحّحت الحكم للمعتزّ بالخلافة بعد فتنة تجري وحروب ، وحكمت على المستعين بالقتل ، فسلّمت ذلك إلى المعتز ، وانصرفنا .

وضرب الزّمان ضربه[14] ، وصحّ الحكم بأسره .

قال أبو معشر : فدخلت أنا والبحتري جميعاً إلى المعتزّ ، وهو خليفة ، بعد خلع المستعين[15] [وتغريقه][16] ، فقال لي : لم أنسك ، وقد صحّ حكمك ، وقد أجريت لك في كلّ شهر مائة دينار ، وثلاثين ديناراً نزلاً ، وجعلتك رئيس المنجّمين في دار الخلافة ، وأمرت لك عاجلاً بإطلاق ألف دينار صلة ، فقبضت ذلك كلّه في يومي .

---

١٣ أبو العباس أحمد المستعين بن محمّد بن المعتصم بن هارون الرشيد (٢١٩ – ٢٥٢) : ولد بسامراء ، وبويع بالخلافة بعد وفاة المنتصر سنة ٢٤٨ ، وكان الحكم في زمانه للأتراك ، كان المسيطر أوتامش التركي ، فقتـل ، وتسلّط أتراك آخرون ، وانتقل إلى بغداد ، فغضب الأتراك المسيطرون وطالبوه بالعودة ، فامتنع ، فخلعوه ، وأخرجوا المعتز من سجنه فبايعوه ، وحاربوا المستعين ، وانتصروا عليـه فخلع نفسه ، ثمّ قتلوه (الأعلام ١ / ١٩٤ ، ومروج الذهب ٢ / ٤٤٧ و٤٤٨) .

١٤ في غ : وضربت الأيّام ضربها .

١٥ بشأن خلع المستعين راجع الكامل لابن الأثير ٧ /١٦٧ .

١٦ هذه الكلمة لم ترد في غ ، وثمة اختلاف في كيفية قتل المستعين ، وفي موضع القتل : ففي تاريخ بغداد للخطيب ٥ / ٨٥ انّه قتل بموضع يقال له : القادسيّة ، في طريق سرمن رأى ، وفي الكامل لابن الأثير ٧ / ١٧٣ انّ سعيد بن صالح أدخله إلى منزله ، وضربه حتى مات ، وقيل : جعل في رجله حجراً وألقاه في دجلة ، وقيل ضربه بالسيف ، فصاح ، وصاحت دايته ، فقتلهما معاً .

وقال لي البحتري : وتقدّمت أنا ، فأنشدت المعتزّ قصيدة مدحته بها ، وهنّأته بالخلافة ، وهجوت المستعين ، أوّلها :

يجانبنا في الحبّ من لا نجانبه ويبعد عنّا في الهوى من نقاربه[17]

فلمّا بلغت فيها إلى قولي ، [والمعتزّ يستمع][18] :

فكيف رأيت الحقّ قرّ قراره وكيف رأيت الظلم آلت عواقبه
ولم يكن المغترّ بالله إذ سرى ليُعْجِزَ والمعتزّ بالله طالبه
رمى بالقضيب عنوة وهو صاغر وعرّي من برد النّبي مناكبه
وقد سرّني أن قيل وجّه غادياً[19] إلى الشّرق تحدّى سفنه وركائبه
إلى واسط حيث الدجاج ولم تكن لتنشب إلّا في الدجاج مخالبه[20]

فاستعادني هذه الأبيات مراراً ، فأعدتها عليه ، فدعا الخادم الّذي كان معه في [٩٤ غ] الحبس ، وطلب منه الرّقعة الّتي كنت أنشدته الشّعر الّذي كان فيها ، في حبسه ، فأحضره إيّاها بعينها .

فقال : قد أمرت لك بكلّ بيت منها بألف دينار ، وكانت ستّة أبيات ، فأخذت ستّة آلاف دينار .

ثمّ قال لي : كأنّي بك ، وقد بادرت ، فاشتريت منها جارية ، وغلاماً ، وفرساً ، وأتلفت المال ، لا تفعل ، فإنّ لك فيما تستأنفه معنا من أيّامك ، ومع

---

١٧ في ظ وم و ر : ورد الشطر الأوّل من البيت وحده ، والإضافة من غ ومن نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للتنوخي ٨ / ١٩ .

١٨ لا توجد في غ .

١٩ في ظ : غازياً ، وفي م : عارياً ، وفي ر : عازباً ، وفي غ : عادياً ، وفي نشوار المحاضرة ٨ / ١٩ مسرعاً .

٢٠ لم أجد في ديوان البحتري من هذه الأبيات السّتّة سوى بيت المطلع : يجانبنا في الحب ، والبيت الّذي أوّله : فكيف رأيت الحق ، راجع الديوان ص ١٣٥ و١٣٦ .

وزرائنا وأسبابنا ، إذا عرفوا موضعك عندنا ، غناء عن ذلك ، ولكن افعل بهذا المال كما فعل ابن قيس الرقيّات[21] بالمال الّذي أعطاه عبد الله بن جعفر ، واشترى به ضيعة ، فاشتر أنت أيضاً به ضيعة تنتفع [٦٧ م] بغلّتها ، ويبقى عليك وعلى ولدك أصلها .

فقلت : السّمع والطّاعة ، وخرجت فاشتريت بالمال ضيعة جليلة بمنبج[22] ، ثم ارتفعت حالي معه وزادت[23] .

---

٢١ عبيد الله بن قيس بن شريح بن مالك ، المعروف بابن قيس الرقيّات : ترجمته في حاشية القصّة ٤٦٢ من هذا الكتاب .

٢٢ راجع بشأن هذه الضيعة ، القصّة ٨ / ٢٠ من كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للتنوخيّ .

٢٣ وردت هذه القصّة في كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للتنوخيّ ٨ / ١٩ .

١٥٤

أبو سعيد الثغري يعتقل ويعذّب

قال مؤلّف هذا الكتاب : وللبحتري في هذه الأبيات الكافيّة ، خبر آخر حسن ، نذكره لأنّه أيضاً يدخل في هذا الباب ، أخبرني أبو بكر الصولي [إجازة ، ونقلته من خطّه ، قال : حدّثني أحمد بن إبراهيم القنوي ،][1] قال :

طولب أبو سعيد الثغري ، بمال ، بعد غزواته المشهورة ، وسلّم إلى أبي الحسين النصراني الجهبذ [٥٤ ر] ليستخرج منه المال ، فجعل يعذّبه [٦٧ ظ] فشقّ ذلك على المسلمين ، وقالوا : يأخذ بثأر النصرانية .

فقال البحتري :

يا ضيعة الدنيا وضيعة أهلها والمسلمين وضيعة الإسلام
طلبت ذحول الشرك في دار الهدى بين المداد وألسن الأقلام
هذاابن يوسف في يدي أعدائه يجزى على الأيّام بالأيّام[2]
نامت بنو العبّاس عنه ولم تكن عنه أميّة – لو رعت – بنيام

فقرئ هذا الشّعر على المتوكّل ، فأمر بإطلاق أبي سعيد ، وتوليته ، [وأمر بإحضار قائل الأبيات ، فأحضر][3] البحتري ، واتّصل به ، فكان أوّل شعر أنشده ، قوله في أبي سعيد :

جعلت فداك الدّهر ليس بمنفكّ

[وذكر الأبيات ، إلّا أنّه قال في البيت الثّالث ، بدل الحادثات : النائبات ،

---

١ الزيادة من غ .

٢ لم يرد هذا البيت في ظ .

٣ كذا ورد في غ ، وفي بقيّة النسخ : واستدعى .

وقال في البيت الّذي أوّله :

على أنّه قد ضيم في حبسك العلى وأضحى بك الإسلام في قبضة الشّرك][4]

---

٤ الزيادة من غ ، وتوفّي أبو سعيد محمد بن يوسف الثغري في السنة ٢٣٦ ، وكان قد ولّي أذربيجان وأرمينية ، فعسكر بكرخ فيروز ، وهو كرخ سامراء (المفترق صقعاً ٣٦٩) ، وأراد الركوب ، فلبس أحد خفّيه ، ومدّ الآخر ليلبسه ، فسقط ميتاً (الطبري ١٨٥/٩ ، وتجارب الأمم ٥٤٦/٦) ورثاه البحتري (ديوان البحتري ٤٨٨–٤٩٣) .

١٥٥

البحتري يهنّئ إبراهيم بن المدبّر

ومن محاسن شعر البحتري الّذي يتعلّق بهذا الباب ، وإن كان تعلّقاً ضعيفاً ، [إلاّ أنّ الشيء بالشيء يذكر ، ولا سيّما إذا قاربه][1] ، ما أخبرنيه الصولي ، إجازة ، قال :

ذكر إبراهيم بن المدبّر[2] ، يوماً ، البحتري ، فقال : ما رأيت أتمّ طبعاً منه ، ولا أحضر خاطراً ، فقد مدحني حين تخلّصتُ من الأسر[3] ، [يعني أسرَ صاحب الزنج بالبصرة][4] وذكر الضربة الّتي في وجهي[5] ، وتخلّصي ، ومدحُ المأسور شيء ما راعاه قبله أحد .

قال الصولي : والأبيات من قصيدة أوّلها :

قد كان طيفك مرّةً يغرى بي[6]

---

١ كذا ورد في غ ، وفي بقيّة النسخ : ولكنّه يقاربه .

٢ أبو إسحاق إبراهيم بن محمّد بن عبيد الله بن المدبّر : ممدوح البحتري ، راجع ديوان البحتري ٢١١ – ٢٣٣ ، كاتب ، شاعر ، تولّى الولايات الجليلة ، واستوزره المعتمد العباسي لمّا خرج يريد مصر سنة ٢٦٩ ، وكان غَزِلاً ، وكانت بينه وبين عريب حال مشهورة ، وكان يهواها وتهواه ، انظر أخبارهما في الأغاني ، طبعة بولاق ١٩ / ١١٤ ، توفّي ببغداد سنة ٢٧٩ وهو يتقلّد ديوان الضياع للمعتضد ، راجع ترجمته في الأعلام ١ / ٥٦ ، وراجع القصّة ١ / ١٤٥ من كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للقاضي التنوخيّ .

٣ انظر كيفيّة تخلّص إبراهيم بن المدبّر من الأسر في الكامل لابن الأثير ٧ / ٢٤٢ .

٤ الزيادة من غ .

٥ لما هاجم صاحب الزنج الأهواز ، هرب من فيها من الجند ومن أهلها ، ولم يبق إلاّ القليل ، فدخلها الزنج ، وأخربوها ، وكان بها إبراهيم بن المدبّر متولّي الخراج ، فأخذوه أسيراً ، بعد أن جرح ، ونهب جميع ماله ، وكان ذلك يوم ١٢ رمضان سنة ٢٥٦ (الكامل لابن الأثير ٧ / ٢٣٧) .

٦ ديوان البحتري ص ٢٢٠ ، وتتمّة البيت : يعتاد ركبي طارقاً وركابي .

قال فيها :

لو أنّه استام النّجاة لنفسه | وجد النّجاة[7] رخيصة الأسباب
ومبينة شهد المنازلُ رسمها | والخيل تكبو في العجاج الكابي
كانت بوجهك دون عرضك درأة | إنّ الوجوه تصانُ بالأحساب [٩٥ غ]
ولئن أسرت فما الإسار على امرئ | لم يأل صدقاً في اللقاء بعاب[8]
نام المضلّلُ عن سراك ولم يخف | حرس الرّقيب وقسوة البوّاب[9]
ورأى بأنّ الباب مذهبك الّذي | يخشى وهمّك كان غير الباب

[قال ذلك لأنّه نقب نقباً ، وخرج منه .][10]

فركبتها هولاً متى تخبربها | يقل الجبان أتيت غير صواب
ما راعهم إلّا امتراقك مصلتاً | عن مثل برد الأرقم المنساب
تحمي أغيلمة وطائشة الخطى | تصل التلفّت خشية الطلّاب

[قال ذلك لأنّه أخرج معه من الحبس امرأة ، وأخرج ابن أخيه][10]

ما زال يوم ندى بطَولكَ زاهراً | حتّى أضفت إليه يوم ضراب[11]
[ذِكَر من البأس استعدت إلى الّذي | أُعطيتَ في الأخلاق والآداب

وروى غير الصولي ، في البيت الّذي قبل هذا الآخر :

لم ترضَ يوم ندى بطولك ...][10]

---

٧ في الأصل : الحياة ، والتصحيح من الديوان .
٨ في الديوان : نصر الأسار على الفرار بعاب .
٩ كذا ورد في غ ، وفي الديوان : سنة الرقيب ونشوة البوّاب .
١٠ الزيادة من غ .
١١ في الديوان : قد كان يوم ندى بطولك راهن .

١٥٦

يمنع ابن أبي سبرة علناً ويجيزه سرّاً

[حدّثنا أحمد بن عبد الله الورّاق ، من كتاب نسب قريش للزبير بن بكّار ، قال : حدّثنا أحمد بن سليمان الطوسي ، قال : حدّثنا الزّبير بن بكّار ، قال : أخبرني عمّي مصعب بن عبد الله ، وحدّثني سعيد بن عمرو ، جاء بهما الزّبير خبرين مفردين فيهما تكرير وزيادة في أحدهما على الآخر ، وأنا هنا أجمع بينهما ، وأجعلهما سياقة واحدة ، وأسقط التكرير ، قال :][1]

كان أبو بكر محمّد بن أبي سبرة [بن أبي ريم بن عبد العزّى بن أبي قيس ابن عبد ودّ بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي بن غالب بن نصر بن مالك بن النضر بن كنانة][1] عاملاً لرياح بن عثمان[2] ، على مسعاة[3] أسد وطيئ .

فلمّا خرج محمّد بن عبد الله بن الحسن [بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليهم السّلام][4] جاء بما صدّق من المال إليه ، ومبلغه أربعة وعشرون ألف دينار[5] ،

---

١ الزيادة من غ .

٢ رياح بن عثمان بن حيّان بن معبد المريّ : كان أبوه عاملاً على المدينة للوليد الأمويّ وكان ظالماً جائراً ، وسار ولده رياح على طريقته في الظلم والجور ، فعسف الناس عسفاً شديداً من أجل القبض على محمّد وإبراهيم ابني عبد الله بن الحسن ، فظهر محمّد ، واستولى على المدينة ، وقتل رياحاً (الطبري ٧ / ٥١٧ ، ٥٣١ ، ٥٩١) .

٣ المسعاة : الولاية على الصدقات ، يقال : استسعى الرجل ، أي استعمله على الصدقات ، وولاّه استخراجها من أربابها .

٤ أبو عبد الله محمّد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علـيّ بن أبي طالب ، الملقّب بالنفس الزكيّة (٩٣ – ١٤٥) : عالم ، شجاع ، سخي ، حازم ، رشّحه الهاشميون ، من عبّاسيّين وعلويّين ، للخلافة ، وبايعوه سرّاً في العهد الأمويّ ، وكان السفاح والمنصور من دعاته ، فلمّا ولّي المنصور ، ألحّ في طلبه حتى اضطرّه للخروج عليه ، فخرج بالمدينة ، وخرج أخوه إبراهيم بالبصرة ، فقبض المنصور على والدهما وعلى اثني عشر رجلاً من أقاربهما ، وعذبهم أشدّ العذاب ، حتى ماتوا في حبسه بالكوفة (راجع حاشية

فدفع ذلك إليه ، فكانت قوّة لمحمّد .

فلمّا قتل عيسى بن موسى[6] محمّداً بالمدينة ، قيل لأبي بكر : اهرب ، قال : ليس مثلي يهرب ، فأخذ أسيراً ، فطرح في حبس المدينة ، ولم يحدث عيسى بن موسى في أمره شيئاً غير حبسه ، فأمر المنصور بتقييده ، فقيّد[7] .

فقدم المدينة بعدما شخص عيسى بن موسى ، عبد الله بن الرّبيع المدني[8] ومعه جند ، فعاثوا في المدينة وأفسدوا[9] ، فوثب عليه سودان المدينة والرعاع ، فقتلوا جنده ، وطردوهم ، وانتهبوهم ، وانتهبوا عبد الله بن الرّبيع ، فخرج حتّى نزل ببئر المطلب ، يريد العراق ، على خمسة أميال من المدينة[10] .

وكبس السودان السجن ، فأخرجوا أبا بكر .

وقال سعيد : فأخرج القرشيون أبا بكر ، فحملوه على منبر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فنهى عن معصية أمير المؤمنين ، وحثّ على طاعته .

وقيل له : صلّ بالنّاس .

فقال : إنّ الأسير لا يؤمّ ، ورجع إلى محبسه .

القصّة ٣١٨ من هذا الكتاب) ، وبعث المنصور عيسى بن موسى لقتال محمّد ، فقتله بالمدينة ، وقُتل أخوه إبراهيم بباخمرى ، بين الكوفة وواسط (معجم البلدان ١ / ٤٥٨ ، الأعلام ٧ / ٩٠) .

٥ الطبري ٧ / ٦٠٩ .

٦ أبو موسى عيسى بن موسى بن محمّد (١٠٢ – ١٦٧) : ابن أخ السفّاح العبّاسي ، أمير ، من الولاة القادة ، كان يلي الكوفة ، وكانت إليه ولاية عهد المنصور ، فنحّاه المنصور للمهدي ، ونحّاه المهدي لولديه موسى وهارون ، وخلعه من ولاية العهد (الأعلام ٥ / ٢٩٦) .

٧ في غ : فأمر المنصور بتحديده ، فحدّد .

٨ في غ : عبد الله بن الربيع الحارثي .

٩ قدم عبد الله بن الربيع المدينة والياً عليها من قبل أبي جعفر المنصور ، في يوم السبت ٢٥ شوال سنة ١٤٥ (الطبري ٧ / ٦١٠) .

١٠ بئر المطّلب : قال ياقوت في معجم البلدان ١ / ٤٣٤ إنّها على سبعة أميال من المدينة ، على طريق العراق ، منسوبة إلى المطّلب بن عبد الله المخزوميّ .

فلمّا ولّي المنصور ، جعفر بن [٦٨ م] سليمان[11] ، على المدينة ، قال له : بيننا وبين أبي بكر رحم ، وقد أساء وأحسن ، فإذا قدمت المدينة ، فأطلقه ، وأحسن جواره .

[وقال سعيد : فأمره بإطلاق ابن أبي سبرة [٩٦ غ] ، وأوصاه به ، وقال : إن كان قد أساء فقد أحسن .][12]

فأطلقه جعفر .

فسأل جعفر أن يكتب له بوصاة إلى معن بن زائدة [٥٥ ر] ، وهو إذ ذاك على اليمن ، فكتب له بوصاة إليه .

فلقي الرابحي ، فقال : هل لك في الخروج معي إلى العمرة ؟

فقال : أما والله ، ما أخرجني من منزلي إلاّ طلب شيء لأهلي ، فما تركت عندهم شيئاً ، فأمر له ابن أبي سبرة بنفقة [٦٩ ظ] أنفذها إلى عياله[13] ، وخرج معه .

فلمّا قضيا عمرتهما ، قال للرابحي : هل لك أن نأتي معن بن زائدة؟

قال : نعم .

فأمر له بنفقة أنفذها إلى عياله ، وأخرجه معه ، حتى قدما على معن بن زائدة .

فدخل عليه ابن أبي سبرة وحده ، فدفع إليه كتاب جعفر بالرّضا عنه ، فلمّا قرأه ، قال : كان جعفر أقدر على صلتك منّي ، انصرف ، فليس لك عندي شيء ، فانصرف مغموماً .

---

١١ جعفر بن سليمان بن عليّ العباسي : ابن عمّ المنصور ، ولّي المدينة في السنة ١٤٦ على أثر مقتل النفس الزكيّة ، وعزل في السنة ١٥٠ ، وولّي مكة والطائف واليمامة ، وتوفّي في السنة ١٧٧ وهو أمير البصرة للرشيد (ابن الأثير ٥ / ٥٧٦ و٥٩٣ و٦ / ٥٦ ، ١٤٠ ، ٢١٤) .

١٢ الزيادة من غ .

١٣ في غ : فقال له ابن أبي سبرة : تكفاهم ، وأمر لهم بما يصلحهم .

فلمّا انتصف النهار ، أرسل إليه ، فجاءه ، فقال له : يا ابن أبي سبرة ما حملك على أن قدمت عليّ ، وأمير المؤمنين عليك واجد ؟

ثم سأله : كم دينك ؟

قال : أربعة آلاف دينار .

فأعطاه أربعة آلاف دينار ، وأعطاه ألفي دينار أخرى ، وقال : أصلح بهذه أمرك .

فانصرف إلى منزله ، فأخبر الرابحي ، بما صنع معن معه ، فراح الرابحي إلى معن ، فأنشده :

الرابحيّ يقول في مدح لأبي الوليد أخي النّدى الغمر
ملك بصنعاء الملوك له ما بين بيت الله والشِحْرِ [14]
لو جاودته الرّيح مرسلة لجرى بجود فوق ما تجري
حملت به أمّ مباركة وكأنّها بالحمل لا تدري

فقال له معن : فكان بماذا ويحك ؟

فقال :

حتّى اذا ما تمّ تاسعها ولدته مولد ليلة القدر

[فقال له معن : ثمّ ماذا ويحك ؟] [15]

فقال :

فأتت به بيضاً أسرّته يرجى لحمل نوائب الدّهر

---

[14] الشِحْر . بكسر الشين وسكون الحاء : صقع على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن ، بين عدن وعُمان (معجم البلدان ٣ / ٣٦٣) .

[15] الزيادة من غ .

مسح القوابـل وجهـه فبـدا ... كالبـدر بل أبهـى مـن البدر
فنـذرن حـين رأيـن غـرّتـه ... إن عـاش أن يـوفـين بالنّذر
لله صومـاً شكـر أنعمـه ... والله أهـل الحمـد والشّكـر

فقال له معن : ثمّ ماذا ؟

فقال :

فنشا بحمـد الله حـين نشـا ... حسن المـروءة نابـه الذّكـر

[فقال معن : ثمّ ماذا ؟][16]

فقال :

حتّى إذا ما طرّ شاربـه ... خضـع الملـوك لسيّـدٍ بهـر[17]
فـإذا وهـى ثغـر يقـال لـه : ... يا معـن أنت سداد ذا الثغـر

فقال معـن : أنا أبو الوليد ، أعطوه ألف دينار .

فأخذهـا ورجع إلى ابن أبي سبرة ، فخرجا جميعاً إلى مكّة .

فقال ابن أبي سبرة : أمّا الأربعة آلاف دينار ، فلقضاء ديني ، وأمّا الألفان الفاضلة ، فلك منها ألف .

قال الرّابحي : قد أعطاني ألف دينار ، وهي تجزيني ، فلا تضيّق على نفسك ، في الألفي الدينار [٩٧ غ] .

فقال له : أقسمت عليك لتأخذنّها ، فأخذها ، وأنفق عليه ، حتّى أتى المدينة .

ونمى الخبر إلى المنصور ، فكتب إلى معن : ما حملك على أن أعطيت

---

١٦ الزيادة من غ .

١٧ بهر الرجل : فاق أقرانه .

ابن أبي سبرة ما أعطيته ، وقد علمت ما صنع ؟

فكتب إليه معن : إنّ جعفر بن سليمان كتب إليّ يوصيني به ، ولم أظنّ أنّ جعفراً يكتب في رجل لم يرضَ عنه أمير المؤمنين .

فكتب المنصور إلى جعفر ، يبكّته بذلك .

فكتب إليه جعفر : أنت ، يا أمير المؤمنين أوصيتني به ، ولم يكن في استيصائي به شيء أيسر من كتاب وصاة إلى معن[18] .

---

١٨ قال ابن خلّكان في وفيات الأعيان ٢٥٤/٥ : ومن المراثي النادرة ، أبيات الحسين بن مطير الأسدي في معن . وهي من أبيات الحماسة ، قال :

ألمّا على معنٍ ، وقولا لقبره … سقتك الغوادي مربعاً ثم مربعا
فيا قبر معنٍ أنت أوّل حفرةٍ … من الأرض خطّت للسماحة مضجعا
ويا قبر معنٍ كيف واريتَ جوده … وقد كان منه البرُّ والبحرُ مترعا
بلى ! قد وسعتَ الجودَ والجودُ ميّتٌ … ولو كان حيّاً ضقتَ حتّى تصدّعا
فتى عِيشَ في معروفه بعد موته … كما كان بعد السّيل مجراه مرتعا
ولما مضى معنٌ مضى الجودُ وانقضى … وأصبح عرنينُ المكارم أجدعا

١٥٧

بال في ثيابه خوفاً منه ثم بال على قبره

[وجدت في كتاب أبي الفرج المخزومي الحنطبي ، عن أبي طالب الجعفري ، أنّه سمع رجلاً][1] يحدّث عن محمّد بن الفضل الجرجراني[2] [في وزارته للمعتصم[3] ، قال :][4]

كنت أتولّى ضياع عجيف[5] ، بكسكر[6] ، فرفع عليّ أنّي خنته ، وأخربت

---

١ كذا ورد في غ ، وفي ر : وحكي أنّ محمّد بن الفضل الجرجرائي ، في وزارته ، حدّث أنّه ... الخ وفي م : وحدّث أبو طالب الجعفريّ ، أنّ محمّد بن الفضل الجرجرائي ، حدّث ... الخ .

٢ أبو جعفر محمّد بن الفضل الجرجرائي : كاتب ، ظريف ، حسن الأدب ، كتب للفضل بن مروان ، ثمّ وزّر للمتوكّل ، ثمّ للمستعين ، توفّي سنة ٢٥١ نسبته إلى جرجرايا ، مدينة من أعمال النهروان الأسفل ، بين واسط وبغداد في الجانب الشرقي ، خربت مع ما خرب من النهروان (الأعلام ٧ / ٢٢١ ومعجم البلدان ٢ / ٥٤) .

٣ كذا ورد في غ ، والجرجرائي لم يوزّر للمعتصم ، وإنّما وزّر للمتوكّل ، ثمّ للمستعين (الأعلام ٧ / ٢٢١) ، وأحسب أنّ هذا من أغلاط النسّاخ ، وقد وردت هذه الفقرة في نسخة م : حدّث أبو طالب الجعفري أنّ محمّد بن الفضل الجرجرائي حدّث أنّه كان في ولاية المعتصم يتولّى ضياع عجيف ... الخ ، وفي نسخة ظ : حدّث محمّد بن الفضل الجرجرائي أنّه كان يتولّى ضياع عجيف .. الخ ، وفي نسخة ر : وحكي أنّ محمّد بن الفضل الجرجرائي في وزارته حدّث أنّه كان يتولّى ضياع عجيف ... الخ .

٤ الزيادة من غ .

٥ عجيف بن عنبسة : من قوّاد الدولة العباسيّة ، كان من أصحاب رافع بن الليث الخارج على الدولة العباسيّة بخراسان ، وفارقه ، وانحاز إلى القائد العبّاسي هرثمة بن أعين ، وقمع للمأمون ثورة قم ، وهارون الشاري ، وقاتل عليّ بن هشام وأسره وقدم به على المأمون فقتله ، وفي السنة ٢١٩ وجّهه المأمون لحرب الزطّ الذين قطعوا الطريق من كسكر إلى البصرة وعاثوا فيها ، فقتل منهم ، واستسلم له الباقون وقدرهم سبعة وعشرون ألفاً ، فأصعدهم إلى بغداد ، وأنزلهم بالزعفرانية ، وهي قرية قرب بغداد ، تحت كلواذى (معجم البلدان ٢ / ٦٣١) وما زال هذا اسمها إلى الآن ، وفيها الآن مزرعة نموذجية

الضياع ، فأنفذ إليّ [٦٩ م] من قيّدني ، وأدخلت عليه في داره بسرّ من رأى ، على تلك الحال ، فإذا هو يطوف على صنّاع فيها .

فلمّا نظر إليّ شتمني ، وقال : أخربت الضّياع ، ونهبت الارتفاع ، والله لأقتلنّك ، هاتوا السياط .

فأحضِرَتْ ، وشلّحتُ للضرب[٧] .

فلمّا رأيت ذلك ، ذهب عليّ أمري ، وبلت على ساقي .

فرآني كاتبه ، فقال لعجيف : أعزّ الله الأمير ، أنت مشغول القلب بهذا البناء ، وضرب هذا وقتله في أيدينا ، ليس يفوت ، فتأمر بحبسه ، وانظر في أمره ، فإن كانت الرّفيعة[٨] [٦٩ ظ] صحيحة ، فليس يفوتك عقابه ، وإن كانت باطلة ، لم تتعجّل الإثم ، وتنقطع عمّا أنت مهتمّ [٥٦ ر] به[٩] .

فأمر بي إلى الحبس ، فمكثت فيه أيّاماً .

حكوميّة . أمّا كلواذى . فقد حرّف اسمها الآن إلى : گراره . بالكاف الفارسية . ثمّ ان عجيف نقلهم إلى عين زربة وكانت من الثغور . فأغارت الروم عليهم واصطلمتهم . وكان أحد قوّاد المعتصم في فتح عموريّة . ثمّ اشترك في المؤامرة لخلع المعتصم ونصب العبّاس بن المأمون . فاعتقله المعتصم . وسلّمه إلى إيتاخ . فلمّا صار بباعيناثا – فوق بلد قليلاً – مات في المحمل . فطرح عند صاحب المسلحة . فجاء به إلى جنب حائط . فطرحه عليه . فقبره هناك (الطبري ٨ / ٣٤٠ . ٦١٤ . ٦٢٧ و ٩ / ٨ – ١٠ . ٥٧ . ٦٩ – ٧١ . ٧٧) .

٦ كسكر : كورة واسعة قصبتها واسط . وقبل واسط كانت قصبتها خسرو سابور . تنسب إليها الفراريج الكسكرية . قال ياقوت رحمه الله في معجم البلدان ٤ / ٢٧٤ : رأيت الفراريج تباع بكسكر . أربعة وعشرين فروجاً كباراً بدرهم واحد .

٧ التشليح : التعرية . وهذا التعبير ببغداد الآن مقصور على من انكشفت عورته . ويقولون عنه : مشلّح . بتشديد اللاّم . أمّا المتعرّي . فيقولون عنه : مصلّخ . بالصاد واللاّم المشددة . وفصيحها بالسين . يقال : انسلخ من ثيابه إذا تجرّد وتعرّى . وفي م : سحبت للضرب .

٨ لرفيعة : ما يرفع على الإنسان من التهم .

٩ في غ : وتنقطع عمّا أنت بسبيله من المهمّ .

وغزا أمير المؤمنين المعتصم ، عمورية[10] ، وكان من أمر عجيف ما كان[11] ، فقتله ، واتّصل الخبر بكاتبه ، فأطلقني .

فخرجت من الحبس ، وما أهتدي إلى حبّة فضة ، فما فوقها .

فقصدت صاحب الدّيوان بسرّ من رأى ، وكان صديقي ، فلمّا رآني سرّ بإطلاقي وتوجّع لي من سوء حالي ، وعرض عليّ مالاً .

فقلت : بل تتفضّل بتصريفي[12] في شيء أستتر بجاريه[13] .

فقلّدني عملاً بنواحي ديار ربيعة[14] ، فاقترضت من التّجار لما سمعوا بخبر ولايتي ، ما تحمّلت به إلى العمل ، وخرجت .

وكان في ضياع عملي ، ضيعة تعرف بكراثا[15] ، فنزلت بها في بعض طوافي بالعمل ، وحصلت في دار منها ، فلمّا كان السّحر ، وجدت المستحمّ[16] ضيّقاً غير نظيف ، فخرجت من الدّار إلى تلّ في الصّحراء ، فجلست أبول عليه .

فخرج إليّ صاحب الدّار ، فقال لي : أتدري على أيّ شيء تبول ؟

قلت : على تلّ تراب .

فضحك ، وقال : هذا قبر رجل يعرف بعجيف ، قائد من قوّاد السلطان ، كان قد سخط عليه ، وحمله معه مقيّداً ، فلمّا بلغ إلى هاهنا قتل ، فطرح في هذا المكان تحت حائط ، فلمّا انصرف العسكر ، طرحنا عليه الحائط ، لنواريه من الكلاب ، فهو – والله – تحت هذا التلّ التّراب .

فعجبت من بولي خوفاً منه ، ومن بولي على قبره .

---

١٠ غزا المعتصم عمورية . في السنة ٢٢٣ (الطبري ٩ / ٥٧) .

١١ راجع تفصيل ذلك في الطبري (٩ / ٥٧ – ٧٧) . ١٢ صرّف الرجل : وجّه إليه عملاً له رزق أي راتب .

١٣ في ظ : بجائزته . والتصحيح من م ، و ر ، وغ .

١٤ ديار ربيعة : ما بين الموصل إلى رأس عين . وما بين ذلك من المدن والقرى (معجم البلدان ٢ / ٦٣٧) .

١٥ كراثا : قرية من قرى الموصل . بينها وبين جزيرة ابن عمر (معجم البلدان ٤ / ٢٤٥) .

١٦ المستحمّ : كناية عن المرحاض .

١٥٨

لقاء بين الجدّ الرّومي النصراني والحفيد العربيّ المسلم

[وروى إبن دريد][1] عن أبي حاتم ، عن أبي معمّر ، عن رجل من أهل الكوفة ، قال :

كنّا مع مسلمة بن عبد الملك[2] ، ببلاد الرّوم ، فسبا سبايا كثيرة ، وأقام ببعض المنازل ، فعرض السبي على السيف ، فقتل خلقاً ، حتّى عرض عليه شيخ كبير ضعيف ، فأمر بقتله .

فقال له : ما حاجتك إلى قتل شيخ مثلي ؟ إن تركتني حيًّا ، جئتك بأسيرين من المسلمين شابّين .

قال له : ومن لي بذلك ؟

قال : إنّي إذا وعدتُ وفيتُ .

قال : لست أثق بك .

فقال له : دعني حتّى أطوف في عسكرك ، لعلّي أعرف من يتكفّل [٩٨ غ] بي إلى أن أمضي وأعود أجيء بالأسيرين .

فوكّل به من يطوف به ، وأمره بالاحتفاظ به ، فما زال الشّيخ يطوف ، ويتصفّح الوجوه ، حتّى مرّ بفتى من بني كلاب ، قائماً يحسّ فرسه[3] .

---

١ الزيادة من غ .

٢ أبو سعيد مسلمة بن عبد الملك بن مروان الأمويّ : أمير ، قائد ، من أبطال عصره ، كان يلقّب بالجرادة الصفراء ، له فتوحات مشهورة ، توفّي بالشام سنة ١٢٠ ، قال الذهبيّ : كان أولى بالخلافة من سائر إخوته (الأعلام ٨ / ١٢٢) ، أقول : حال بينه وبين الخلافة أنه ابن أمة ، راجع ما كتبناه حول هذا الموضوع في حاشية القصّة ٨١ من هذا الكتاب .

٣ حسّ الدابّة : نفض التراب عنها بالمحسّة ، ما زال هذا التعبير مستعملاً في بغداد .

فقال له : يا فتى ، اضمنّي للأمير ، وقصّ عليه قصّته .

فقال : أفعل ، وجاء الفتى إلى مسلمة ، فضمنه ، فأطلقه مسلمة .

فلمّا مضى ، قال للفتى : أتعرفه ؟

قالَ : لا ، والله .

قال : فلمَ ضمنته ؟

قال : رأيته يتصفّح الوجوه ، فاختارني من بينهم ، فكرهت أن أخلف ظنّه فيّ .

فلمّا كان من الغد ، عاد الشيخ ، ومعه أسيران شابّان من المسلمين ، فسلّمهما إلى مسلمة ، وقال : إن رأى الأمير أن يأذن لهذا الفتى أن يصير معي إلى حصني لأكافئه على فعله .

فقال مسلمة للفتى الكلابي : إن شئت فامضِ معه .

فلمّا صار إلى حصنه ، قال له : يا فتى ، تعلم – والله – أنّك ابني ؟

قال له : وكيف أكون ابنك ، وأنا رجل من العرب مسلم ، وأنت رجل من الرّوم نصراني .

فقال له : أخبرني عن أمّك ، ما هي ؟

قال : روميّة .

قال : فإنّي أصفها لك ، فبالله إن صدقت ، إلّا صدقتني .

قال : أفعل .

فأقبل الرّومي ، يصف أمّ الفتى ، ما خرم من صفتها شيئاً .

فقال له الفتى : هي كذلك ، فكيف عرفت أنّي ابنها ؟

قال : بالشبه ، وتعارفِ الأرواح [٤] ، وصدقِ الفراسة .

---

٤ في م وظ : وتقارب الأرواح .

ثمّ أخرج إليه امرأة . فلمّا رآها الفتى لم يشكّ فيها أنّها [٧٠ م] أمّه ، لتقارب الشّبه ، وخرجت معها عجوز كأنّها هي ، فأقبلتا تقبّلان رأس الفتى ، ويديه ، وترشّفانه .

فقال له : هذه جدّتك ، وهذه خالتك .

ثمّ اطّلع من حصنه ، فدعا بشباب في الصّحراء ، فأقبلوا ، فكلّمهم بالرّوميّة ، فأقبلوا يقبّلون رأس الفتى ويديه ، فقال : هؤلاء [٧٠ ظ] أخوالك ، وبنو خالاتك ، وبنو عمّ والدتك .

ثمّ أخرج إليه حلياً كثيراً ، وثياباً فاخرةً ، وقال : هذا لوالدتك عندنا منذ سُبِيَتْ ، فخذه معك ، وادفعه إليها ، فإنّها ستعرفه ، ثمّ أعطاه لنفسه مالاً كثيراً ، وثياباً ، وحلياً ، وحمله على عدّة دواب ، وألحقه بعسكر مسلمة ، وانصرف .

وأقبل الفتى قافلاً حتّى دخل إلى منزله [٥٧ ر] فأقبل يخرج الشيء بعد الشيء ممّا عرّفه الشّيخ أنّه لأمّه ، وتراه أمّه ، فتبكي ، فيقول لها : قد وهبته لك .

فلمّا كثّر عليها ، قالت له : يا بنيّ ، أسألك بالله ، من أي بلد صارت إليكم هذه الثّياب ، وهل تصف لي أهل هذا الحصن الّذي كان فيه هذا ؟

فوصف لها الفتى صفة البلد والحصن ، ووصف لها أمّها وأختها ، والرّجال الّذين رآهم ، وهي تبكي وتقلق .

فقال لها : ما يبكيك ؟

فقالت : الشّيخ والله والدي ، والعجوز أمّي ، وتلك أختي .

فقصّ عليها الخبر ، وأخرج بقيّة ما كان أنفذه معه أبوها إليها ، فدفعه إليها .

١٥٩

يحتال لإخراج أحد أصحابه من الحبس

حدّثني أبو الحسن أحمد بن يوسف الأزرق التنوخي ، قال :

كان إسماعيل الصفّار البصري[١] ، أحد شيوخ المعتزلة الأجلاد ، وكان النّاس – إذ ذاك – يتشدّدون على المعتزلة[٢] ، وينالونهم بالمكاره .

فتقلّد البصرة نزار بن محمّد الضبّي[٣] ، فرُفع إليه عن رجل أنّه معتزلي ،

---

١ إسماعيل الصفّار : قال عنه التنوخيّ في نشوار المحاضرة . كان إسماعيل الصفّار البصري . أحد شيوخ أصحابنا المعتزلة . راجع القصّة ٢ / ١٠٧ و٢ / ١٠٨ من النشوار .

٢ المعتزلة : ويسمّون أصحاب العدل والتوحيد . مذهب ضمّ كثيراً من المفكّرين مثل واصل بن عطاء . وعمرو بن عبيد ، وأبي الهذيل العلاف ، والنظّام ، وثمامة بن أشرس ، والجاحظ ، وأحمد بن أبي دؤاد . والجبائيان أبو علي وأبو هاشم (راجع أسماءهم في الفهرست ص ٢٠١ – ٢٢٢) والمعتزلة يقولون : إنّ الله تعالى قديم ، والقدم أخصّ وصف ذاته ، ونفوا الصفات القديمة أصلاً ، وإنّ كلام الله محدث مخلوق . وإنّ العبد قادر خالق لأفعاله خيرها وشرّها . ويقولون بالمنزلة بين المنزلتين . وهذا القول سبب تسميتهم بالمعتزلة . فإنّ واصل بن عطاء كان يجلس إلى الحسن البصري . وحصلت المناقشة بشأن مرتكبي الكبائر . فقال الخوارج : هم كافرون . وقال الجماعة : هم مؤمنون وإن فسقوا بارتكاب الكبائر ، فخرج واصل عن الفريقين ، وقال : إنّ مرتكب الكبيرة باعتباره فاسقاً ، لا مؤمن ولا كافر . منزلة بين منزلتين . فنفاه الحسن عن مجلسه . فاعتزله . واجتمع وأصحابه في موضع آخر ، فسمّوا المعتزلة . راجع اللباب ٣ / ١٥٦ بحث « المعتزلي » . وللتفصيل عن المعتزلة : راجع كتاب الملل والنحل للشهرستاني ١ / ٥٣ – ٩٦ وراجع كذلك حاشية القصّة ٤٥٩ من هذا الكتاب . وخطط المقريزي ٢ / ٣٤٥ – ٣٤٨ .

٣ أبو معد نزار بن محمّد الضبّي : من عمّال الدولة العباسيّة . كان في السنة ٢٨٨ عاملاً على إحدى جهات الثغر . وفي السنة ٢٩٢ كان عاملاً على البصرة . وفي السنة ٢٩٤ على الكوفة . ثم ولّي شرطة بغداد . وفي السنة ٣٠٦ عزل عنها (الطبري ١٠ / ٨٥ و١١٨ و١٣٥ والكامل ٧ / ٥١٠ . و٨ / ١١٣) . راجع القصّة ٤ / ١٢ من كتاب نشوار المحاضرة .

فحبسه . فاستغاث الرّجل بإسماعيل ، فكلّم غير واحد من رؤساء البلد ، أن يكلّم نزاراً فيه ، فتجنّبوا ذلك بسبب المذهب ، فبات إسماعيل قلقاً .

ثمّ بكر من غد ، فطاف على كلّ معتزليّ بالبصرة ، وقال [٩٩ غ] لهم : إن تمّ هذا عليكم هلكتم متفرّقين ، وحبستم ، وأُتي على أموالكم ونفوسكم ، فاقبلوا منّي ، واجتمعوا ، وتدبّروا برأيي ، فإنّ الرّجل يتخلّص وتعزّون .

فقالوا : لا نخالف عليك .

فوعدهم ليوم بعينه ، ووعد معهم كلّ من يعرفه من العوام ، وأصحاب المذاهب[٤] ممّن يتّبع قصّاص المعتزلة ، ومنْ يميل إليهم .

فلمّا كان ذلك اليوم ، اجتمع له منهم أكثر من ألف رجل ، فصار بهم إلى نزار ، واستأذن عليه ، فأذن له ولهم .

فقال : أعزّ الله الأمير ، بلغنا أنّك حبست فلاناً ، لأنّه قال : إنّ القرآن مخلوق[٥] ، وقد جئناك ، وكلّنا نقول : إنّ القرآن مخلوق ، وخلفنا ألوف يقولون كما نقول ، فإمّا حبستنا جميعاً ، وإمّا أطلقت صاحبنا ، وإذا كان السلطان – أطال الله بقاءه – قد ترك المحنة ، وقد أقرّ النّاس على مذاهبهم ، فلِمَ نؤاخذ نحن بمذهبنا ، من بين سائر المقالات ؟

فنظر نزار فإذا فتنة تثور ، لم يؤذن له فيها ، ولم يدرِ ما تجرّ ، فأطلق الرّجل ، وسلّمه إليهم .

فشكره إسماعيل ، وانصرف والجماعة[٦] .

---

٤ كذا وردت في ر ، وفي ظ وم : أصحاب المدات ، وفي غ : أصحاب المداب .

٥ القول بأنّ القرآن مخلوق ، تبنّاه المأمون ، وأخذ النّاسَ بأن يتابعوه في ذلك ، وأتّبعه المعتصم والواثق ، وامتحنوا المخالفين لهم وآذوهم .

٦ وردت القصّة في كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للتنوخيّ برقم ٢ / ١٠٨ .

١٦٠

شاميّ عظيم الجاه من بقايا بني أميّة

[وجدت في كتاب أبي الفرج المخزومي الحنطبي ، عن أبي أميّة الهشامي ، عن أبي سليمان داود بن الفضل العبدي ، قال : أخبرني أبي ، عن محمّد بن الحسن بن بشر الأدمي ، قال : حدّثني][1] منارة ، خادم الخلفاء[2] ، قال :

رفع إلى هارون الرّشيد ، أنّ رجلاً بدمشق ، من بقايا بني أميّة ، عظيم الجاه واسع الدّنيا ، كثير المال والأملاك ، مطاعاً في البلد ، له جماعة أولاد ومماليك وموالي ، يركبون الخيل ، ويحملون السّلاح ، ويغزون الرّوم ، وأنّه سمح جواد ، كثير البذل والضيافة ، وأنّه لا يؤمن منه فتق لا يمكن رتقه ، فعظم ذلك على الرّشيد .

قال منارة : وكان وقوف الرّشيد على هذا وهو بالكوفة ، في بعض خرجاته إلى الحجّ سنة ست وثمانين ومائة[3] ، وقد عاد من الموسم ، وقد بايع للأمين ثمّ المأمون ثمّ المؤتمن[4] .

---

١ الزيادة من غ ، وفي بقيّة النسخ : قال منارة .

٢ منارة خادم الخلفاء : مولى المنصور ، وكان مع المنصور عند وفاته في طريقه إلى الحج سنة ١٥٨ ، فقدم على المهدي بمدينة السلام ، بخبر وفاة أبيه ، والبيعة له ، وأحضر معه القضيب والبردة وخاتم الخلافة (ابن الأثير ٦ / ٣٤ والطبري ٨ / ١١٢) ، واستمرّ في خدمة الخلفاء إلى آخر حياته .

٣ شخص هارون الرشيد من الرقّة في رمضان سنة ١٨٦ وأخرج معه الأمين والمأمون ولي عهده وقوّاده ووزراءه وقضاته ، فلمّا قضى مناسك الحج ، كتب ببيعة الأمين والمأمون وجعل الكتاب في البيت الحرام ، راجع تفصيل ذلك مع نصّ كتاب البيعة في الطبري ٨ / ٢٧٣ – ٢٨٦ ، ولمّا عاد من حجّه أوقع بالبرامكة ، راجع تفصيل ذلك في الطبري ٨ / ٢٨٧ – ٣٠٢ .

٤ لمّا حجّ الرشيد في السنة ١٨٦ لم يكن قد بايع للقاسم ، فإنّه بايع للأمين في السنة ١٧٥ وهو ابن خمس سنين (تاريخ اليعقوبي ٢ / ٤٠٨) وفي السنة ١٨٣ بايع للمأمون (تاريخ اليعقوبي ٢ / ٤١٥) ولمّا حجّ

فدعاني وهو خالٍ ، فقال لي : دعوتك لأمر أهمّني وقد منعني النوم ، فانظر كيف تكون ؟ ثمّ قصّ عليّ خبر الأموي .

وقال : اخرج السّاعة ، فقد أعددت لك الجمّازات[٥] ، وأزحت علّتك في الزاد والنّفقة والآلات ، وضممت إليك مائة غلام ، فاسلك البريّة ، وهذا كتابي إلى أمير دمشق ، وهذه قيود ، فادخل ، وابدأ بالرجل [٧١ م] ، فإن سمع وأطاع ، فقيّده ، وجئني به [٧١ ظ] وإلّا فتوكّل به أنت ومن معك

في السنة ١٨٦ أخذهما معه ، وأخذ عليهما العهد في الكعبة بأن يحفظ أحدهما الآخر ويصونه (تاريخ اليعقوبي ٢ / ٤١٦) ، أمّا القاسم فقد بايع لـه في السنة ١٨٩ ولقّبه المؤتمن ، بسعي من الفضل بن الربيع (الأغاني ١٨ / ٣١٥) وعبد الملك بن صالح الهاشميّ (الطبري ٨ / ٢٧٦) ، وكان قد مهّد لمبايعته ، بأن أغزاه الصائفة في السنـة ١٨٧ و١٨٨ وولّاه الجزيرة والثغور والعواصم (تاريخ اليعقوبي ٢ / ٤٢٣ والطبري ٨ / ٢٧٦ و٣٠٢ والكامل ٦ / ١٧٣) ، وجعل الرشيد أمر القاسم في خلعه وإقراره إلى المأمون إذا أفضت إليه الخلافة (الطبري ٨ / ٣١٥ والكامل ٦ / ١٧٣ و١٩١) ، وكان القاسم جميل الصورة (وفيات الأعيان ٦ / ٤١) ولكنّه كان ظالماً (الأغاني ٤ / ٦٦) ساقط الهمّة ، دنيء النفس (المحاسن والمساوئ للبيهقي ١ / ١٣٤) ، وقد أدّى به سوء تصرّفه إلى أن عزله أخوه الأمين عن جميع ما كان أبوه هارون ولّاه من عمل الشام وقنسرين والعواصم والثغور ، وأمره بالمقام بمدينة السلام (الطبري ٨ / ٣٧٤) ، وكان المأمون على أن يعهد إليه ، ويؤكّد له ما كـان والده جعله له من ولاية العهد ، غير أنّه كان يبلغه عنه ما يكره ، مرّة في نفسه ، وأخرى في حشمه ، فرفع إليه يوماً أنّه قـال لقوّام حمّامه : نوّروا الناسَ بالمجّان ، ففعلوا ذلك ، فلمّا اجتمع الناس ، أخرج عليهم الأسد ، فخرج الناس عراة مغمى عليهم ، مع ما عليهم من النورة ، وأشرف عليهم ، وهو يضحك ، فلما كثر هذا من فعله ، خلعه من ولاية العهد ، وصرفه عنها ، وكتب بذلك كتاباً (المحاسن والمساوئ ١ / ١٣٤) ومات القاسم ببغداد في السنة ٢٠٨ وهو ابن ٣٥ سنة (تاريخ بغداد للخطيب ١٢ / ٤٠٣) .

٥ الجمز : العدو السريع ، والجمّازات : إبل بختيّة ، تدرّب على نوع من السير السريع ، يرتاح إليه الراكب ، ويأنس به ، وأوّل من اتّخذ الجمّازات أمّ جعفر زبيدة ، كانت في سفر مع الرشيد ، ففاتها ، فأمرت الرحّالين ، أن يزيدوا في سير البختيّة ، فلمّا حرّكوها ، مشت ضروباً من المشي ، وجمزت خلال ذلك ، فوجدت لذلك النوع من السير راحة ، فأمرتهم أن يدرّبوها على الجمز ، فما زالوا بها حتى تمّ ذلك واستوى (لطائف المعارف ٢٠ و٢١) .

حتّى لا يهرب ، وأَنْفِذِ الكتابَ إلى أمير دمشق ، ليركب في جيشه فيقبض عليه ، وتجيئني به ، وقد أجّلتك لذهابك ستّاً ، ولعودك ستّاً ، ويوماً لمقامك ، وهذا محمل ، تجعله – إذا قيّدته – في شقّه ، وتجلس أنت في الشقّ الآخر ، ولا تكل حفظه إلى غيرك ، حتّى تأتيني به في اليوم الثّالث عشر من خروجك ، وإذا دخلت داره فتفقّدها ، وجميع ما فيها ، وأهله ، وولده ، وحاشيته ، وغلمانه ، وقدر النعمة ، والحال ، والمحل ، واحفظ [٥٨ ر] ما يقوله الرّجل حرفاً بحرف ، بجميع ألفاظه ، منذ وقوع طرفك عليه ، إلى أن تأتيني به ، وإيّاك أن يشذّ عليك شيء من أمره ، انطلق مصاحباً .

قال منارة : فودّعته وخرجت ، فركبنا الإبل ، وطوينا المنازل ، أسير اللّيل والنّهار ، ولا أنزل إلّا للجمع بين الصلاتين ، والبول ، وتنفيس النّاس قليلاً .

إلى أن دخلتُ دمشق في أوّل اللّيلة السّابعة ، وأبواب البلد مغلقة ، فكرهت طرقها ، فنمت بظاهر البلد ، إلى أن فتح بابه في [١٠٠ غ] الغد ، فدخلت على هيأتي ، حتّى أتيت باب دار الرّجل ، وعليه صُفَفٌ[٦] عظيمة ، وحاشية كثيرة ، فلم أستأذن ، ودخلت بغير إذن .

فلمّا رأى القوم ذلك ، سألوا بعض أصحابي عنّي ، فقالوا لهم : هذا منارة ، رسول أمير المؤمنين إلى صاحبكم ، فأمسكوا .

فلمّا صرت في صحن الدّار ، نزلتُ ، ودخلت مجلساً ، رأيت فيه قوماً جلوساً ، فظننت أنّ الرّجل فيهم ، فقاموا إليّ ، ورحّبوا بي ، وأكرموني .

فقلت : أفيكم فلان ؟

قالوا : لا ، نحن أولاده ، وهو في الحمّام ،

---

٦ الصُفَف ، والصُفّات ، والصِفاف : مفردها صُفّة ، موضع للجلوس مظلّل بسقف من جريد النّخل وغيره ، والبغداديون يسمّونها : سقيفة ، فان كانت أعمدتها مرادي ، وظللها بواري ، فيسمّونها : چرداغ . (بالجيم المثلّثة) وأحسبها فارسيّة : چارطاق أي الطاقات الأربع .

فقلت : استعجلوه .

فمضى بعضهم يستعجله ، وأنا أتفقّد الدّار ، والأحوال ، والحاشية ، فوجدت الدّار قد ماجت بأهلها موجاً شديداً .

فلم أزل كذلك ، حتّى خرج الرّجل ، بعد أن أطال ، وٱستربت به ، واشتدّ قلقي وخوفي من أن يتوارى .

إلى أن رأيت شيخاً قد أقبل بزيّ الحمّام ، يمشي في الصّحن ، وحوله جماعة كهول ، وأحداث ، وصبيان ، هم أولاده ، وغلمان كثيرة ، فعلمت أنّه الرّجل .

فجاء حتّى جلس ، وسلّم عليّ سلاماً خفيفاً ، وسألني عن أمير المؤمنين ، واستقامة أمر حضرته ، فأخبرته بما وجب .

فما انقضى كلامه حتّى جاؤوه بأطباق الفاكهة ، فقال لي : تقدّم يا منارة فكل معنا .

فقلت : ما بي إلى ذلك حاجة .

فلم يعاودني ، وأقبل يأكل هو والحاضرون معه ، ثمّ غسل يديه ، ودعا بالطعام ، فجاؤوه بمائدة حسنة جميلة[7] ، [لم أر مثلها إلّا للخليفة][8] ، فقال : تقدّم يا منارة فساعدنا على الأكل ، لا يزيد على أن يدعوني باسمي ، كما يدعوني الخليفة .

فامتنعت ، فلم يعاودني ، وأكل هو وأولاده ، [وكانوا تسعة ، عددتهم ، وجماعة كثيرة من أصحابه ، وحاشيته ، وجماعة من أولاده وأولاد أولاده][2] .

فتأمّلت أكله في نفسه ، فرأيته أكل الملوك ، ووجدت جأشه رابطاً ، وذلك الاضطراب الّذي كان في داره قد سكن ، ووجدته لا يُرفع من بين يديه

---

٧ في غ : عظيمة .

٨ الزيادة من غ .

شيء ، كان على المائدة ، إلّا وهب[9] .

وقد كان غلمانه ، لما نزلت الدّار ، أخذوا جمالي ، وجميع غلماني ، فعدلوا بهم إلى دار له ، فما أطاقوا ممانعتهم ، وبقيت وحدي ، ليس بين يديّ إلّا خمسة أو ستة غلمان وقوف على رأسي .

فقلت في نفسي : هذا جبّار عنيد ، فإن امتنع عليّ من الشّخوص ، لم أطق إشخاصه بنفسي ، ولا بمن معي ، ولا حفظه إلى أن يلحقني أمير البلد ، وجزعت جزعاً شديداً ، ورابني منه استخفافه بي ، وتهاونه بأمري ، وأن يدعوني باسمي ، وقلّة اكترائه بامتناعي من الأكل والشرب ، ولا يسألني عمّا جئت له ، ويأكل مطمئنّاً .

وأنا أفكّر في ذلك ، إذ فرغ من طعامه ، وغسل يديه ، واستدعى بالبخور ، فتبخّر ، وقام إلى الصّلاة ، فصلّى الظهر صلاة حسنة ، وأكثر من الدّعاء والابتهال .

فلمّا انفتل من محرابه ، أقبل عليّ ، وقال : ما أقدمك يا منارة ؟

فقلت : أمر لك من أمير المؤمنين ، وأخرجت الكتاب ، فدفعته إليه ، ففضّه ، وقرأه [٧٢ ظ] ، فلمّا استتمّ قراءته ، دعا أولاده ، وحاشيته ، فاجتمعوا ، فلم [٧٢ م] أشكّ أنّه يريد أن يوقع بي .

فلمّا تكاملوا ، ابتدأ فحلف أيماناً غليظةً ، فيها الطّلاق ، والعتاق ، [والحجّ ، والصّدقة ، والوقف ، والحبس][10] ، إن اجتمع اثنان منهم في موضع ، وأن يتفرّقوا ، ويدخلوا منازلهم ، ولا يظهر منهم أحد [١٠١ غ] ، إلى أن ينكشف له أمر يعمل عليه .

---

٩ في غ : نهب .

١٠ الزيادة من غ .

ثمّ قال : هذا كتاب أمير المؤمنين يأمرني بالمصير إلى بابه ، ولست أقيم بعد نظري فيه لحظة واحدة .

وقال لغلمانه ، وأولاده : [٥٩ ر] استوصوا بمن ورائي من الحرم خيراً ، وما بي حاجة أن يصحبني غلام ، هات أقيادك يا منارة .

فدعوت بها ، وكانت في سفط ، فأحضر حدّاداً ، ومدّ ساقيه ، فقيّدته ، وأمرت غلماني بحمله حتّى حصل في المحمل ، وركبت في الشقّ الآخر ، وسرت من وقتي ، ولم ألق أمير البلد ، ولا غيره .

وسرت بالرّجل ، ليس معه أحد ، إلى أن صرنا بظاهر دمشق ، فابتدأ يحدّثني بانبساط ، حتّى انتهينا إلى بستان حسن في الغوطة ، فقال : ترى هذا ؟

فقلت : نعم .

قال : هو لي ، وفيه من غرائب الأشجار كيت وكيت ، ثمّ انتهى إلى آخر ، فقال مثل ذلك ، ثمّ انتهى إلى مزارع حسان ، وقرى سريّة ، فأقبل يقول : هذا لي ، ويصف كلّ شيء فيها .

فاشتدّ غيظي منه ، فقلت له : هل علمت أنّي شديد التعجّب منك ؟

قال : ولِمَ ؟

قلت : ألست تعلم أنّ أمير المؤمنين قد أهمّه أمرك ، حتّى أرسل إليك من انتزعك من بين أهلك ، وولدك ، ومالك ، وأخرجك عن جميع حالك ، وحيداً ، فريداً ، مقيّداً ، لا تدري ما يصير إليه أمرك ، ولا كيف تكون ، وأنت مع هذا ، فارغ القلب ، تصف بساتينك وضياعك ، [هذا وقد رأيتك ، وقد جئتُ ، وأنت لا تعلم فيم جئتُ ، وأنت][10] ساكن القلب ، قليل الفكر ، وقد كنت عندي شيخاً عاقلاً .

فقال مجيباً لي : إنّا لله وإنّا إليه راجعون ، أخطأت فراستي فيك يا منارة ، قدّرتك رجلاً كامل العقل ، وأنّك ما حللت من الخلفاء هذا المحلّ ، إلّا بعد أن

عرفوك بذلك ، فإذا عقلك وكلامك يشبه كلام العوام وعقلهم ، فالله المستعان .

أمّا قولك في أمير المؤمنين ، وإزعاجه لي من داري ، وإخراجه إيّاي إلى بابه على هذه الصّورة ، فأنا على ثقة بالله عزّ وجلّ ، الّذي بيده ناصية أمير المؤمنين ، فلا يملك معه لنفسه ، ولا لغيره ، ضرًّا ولا نفعاً ، إلّا بإذن الله ومشيئته ، ولا ذنب لي عند أمير المؤمنين أخافه ، وبعد ، فإذا عرف أمير المؤمنين أمري ، وعلم سلامة جانبي ، وصلاح ناحيتي ، وأنّ الأعداء والحسدة ، رموني عنده بما لست في طريقه ، وتقوّلوا عليّ الأباطيل الكاذبة ، لم يستحلّ دمي ، وتحرّج من أذاي وإزعاجي ، فردّني مكرّماً ، أو أقامني ببابه معظّماً ، وإن كان سبق في قضاء الله تعالى ، أنّه يبدر إليّ ببادرة سوء ، وقد حضر أجلي ، وحان سفك دمي على يده ، فلو اجتهدت الملائكة والأنبياء وأهل السماوات والأرض ، على صرف ذلك عنّي ، ما استطاعوا ، فلِمَ أتعجّل الهمّ ، وأتسلّف الفكرة والغمّ ، فيما قد فرغ الله منه ، وأنا حسن الظنّ بالله الّذي خلق ورزق ، وأحيا وأمات [وفطر وجبل ، وأحسن وأجمل ، وأين الصّبر والرّضا ، والتفويض والتّسليم إلى من يملك الدّنيا والآخرة][10] وكنت أحسب أنّك تعرف هذا ، فإذ قد عرفتُ مبلغ فهمك ، فإنّي لا أكلّمك بكلمة ، حتّى تفرّق بيننا حضرة أمير المؤمنين .

ثمّ أعرض عنّي ، فما سمعت له لفظة بغير القرآن والتسبيح ، أو طلب ماء أو حاجة تجري مجراه ، حتّى شارفنا الكوفة في اليوم الثّالث عشر بعد الظّهر ، فإذا النّجب[11] قد استقبلتنا على فراسخ[12] من الكوفة ، يتجسّسون خبري .

---

١١ النجب : جمع نجيب ، من النجابة ، والبعير النجيب : هو الكريم العتيق .

١٢ الفرسخ : في اللغة : السكون ، وأطلق الاسم على مسافة معيّنة ، لأنّ من سار تلك المسافة قعد واستراح ، فكأنّه سكن ، وجاء في الغيث المسجم ٢ / ١٢٣ : أنّ الفرسخ : ثلاثة أميال ، والميل : ألف باع ، والباع : أربعة أذرع ، والذراع : أربعة وعشرون إصبعاً ، والإصبع : ستّ شعيرات ، والشّعيرة : ستّ شعرات من ذنب بغل ، وأنّ البريد : أربعة فراسخ .

فلمّا رأوني رجعوا بخبري إلى أمير المؤمنين ، فانتهيت إلى الباب آخر النّهار ، فدخلت على الرّشيد ، فقبّلت [١٠٢ غ] الأرض ، ووقفتُ بين يديه .

فقال : هات ما عندك ، وإيّاك أن تغفل منه لفظة واحدة .

فسقت [٧٣ ظ] إليه الحديث من أوّله ، حتّى انتهيت إلى ذكر الفاكهة والطّعام والغسل والطهور والبخور [٧٣ م] ، وما حدّثت به نفسي من امتناعه منّي ، والغضب يظهر في وجهه ويتزايد ، حتّى انتهيت إلى فراغ الأمويّ من الصّلاة ، وانفتاله ، وسؤاله عن سبب مقدمي ، ودفعي الكتاب إليه ، ومبادرته إلى إحضار ولده وأسبابه ، ويمينه أن لا يتبعه أحد منهم ، وصرفه إيّاهم ، ومدّ رجليه حتّى قيّدته ، فما زال [٦٠ ر] وجه الرّشيد يسفر .

فلمّا انتهيت إلى ما خاطبني به في المحمل ، عند توبيخي إيّاه ، قال : صدق والله ، ما هذا إلّا رجل محسود على النّعمة ، مكذوب عليه ، ولقد آذيناه ، ولعمري لقد أزعجناه ، وروّعناه ، وروّعنا أهله ، فبادِرْ بنزع قيوده عنه ، وائتني به . فخرجت ، فنزعت قيوده ، وأدخلته على الرّشيد ، فما هو إلّا أن رآه ، حتّى رأيت ماء الحياء يدور في وجه الرّشيد ، ودنا الأمويّ ، فسلّم بالخلافة ، ووقف ، فردّ عليه الرّشيد ردًّا جميلاً ، وأمره بالجلوس ، فجلس .

وأقبل عليه الرّشيد ، ثم قال له : إنّه بلغنا عنك فضل همّة ، وأمور ، أحببنا معها أن نراك ، ونسمع كلامك ، ونحسن إليك ، فاذكر حوائجك .

فأجاب الأموي جواباً جميلاً ، وشكر ، ودعا ثمّ قال : أمّا حاجتي ، [فما لي إلّا حاجة][1] واحدة .

فقال : مقضيّة ، فما هي ؟

قال : يا أمير المؤمنين ، تردّني إلى بلدي ، وأهلي ، وولدي .

فقال : نحن نفعل ذلك ، ولكن سل ما تحتاج إليه من صلاح جاهك ومعاشك ، فإنّ مثلك لا يخلو أن يحتاج إلى شيء من هذا .

فقال : عمّال أمير المؤمنين منصفون ، وقد استغنيت بعدله عن مسألته ، وأموري منتظمة ، وأحوالي مستقيمة ، وكذلك أمور أهل بلدي [بالعدل الشّامل في دولة أمير المؤمنين][10] .

فقال له الرّشيد : انصرف محفوظاً إلى بلدك ، واكتب إلينا بأمرٍ إن عرض لك ، فودّعه الأموي .

فلمّا ولّى خارجاً ، قال لي الرّشيد : يا منارة ، احمله من وقتك ، وسر به راجعاً كما أتيت به ، حتّى إذا أوصلته إلى المجلس الّذي أخذته منه ، فأرجع وخلّه .

ففعلت ذلك[13] .

---

١٣ نقلها باختصار صاحب حلّ العقال ص ٤٤ .

١٦١

ابن الفرات يتحدّث عن اعتقاله وتعذيبه

حدّثني عليّ بن هشام بن عبد الله الكاتب ، ويعرف هشام بأبي قيراط ، قال : كنت حاضراً مع أبي رحمه الله ، في مجلس أبي الحسن بن الفرات ، في شهر ربيع الأوّل سنة خمس وثلثمائة ، في وزارته الثانية[1] ، فسمعته يتحدّث ، قال :

دخل عليّ أبو الهيثم العبّاس بن محمّد بن ثوابة الأنباري[2] ، في محبسي بدار المقتدر[3] ، فطالبني بكتب خطّي بثلاثة عشر ألف ألف دينار .

فقلت : والله ، ما جرى قدر هذا المال ، على يدي للسلطان ، في طول وزارتي ، فكيف أصادر على مثله ؟

فقال : قد حلفتُ بالطّلاق أنه لا بدّ من أنّك تكتب خطّك بذلك ، فكتبتُ ثلاثة عشر ألف ألف ، من غير ما أذكر ما هي ، أو ضماناً فيها .

---

١ وزارة أبي الحسن عليّ بن محمّد بن الفرات الثانية للمقتدر ٣٠٤ - ٣٠٦ راجع نشوار المحاضرة جـ٥ ص ٥٠ سطر ٦ والوزراء ١١٨ .

٢ في ظ ، ور : أبو العباس بن ثوابة الأنباري ، وفي م : أبو العباس بن محمّد بن ثوابة الأنباري ، والتصحيح من تجارب الأمم ١ / ٨٨ ومن كتاب الوزراء ص ١١٨ ، راجع كتاب نشوار المحاضرة للتنوخيّ ، القصّة ٥ / ٢٧ جـ٥ ص ٥٠ .

٣ لمّا عزل ابن الفرات من وزارته الأولى في السنة ٢٩٩ ظلّ معتقلاً في دار المقتدر ، حتى خرج ليعود وزيراً في وزارته الثانية ، وكذلك لمّا عزل من وزارته الثانية ، أعيد اعتقاله ، حتى خرج ليكون وزيراً في وزارته الثالثة التي قتل في آخرها ، وكان في دار الخلافة ، دار لاعتقال الوزراء ، وكبار رجال الدولة ، تشرف عليها زيدان القهرمانة ، وفي هذه الدار اعتقل الوزير ابن الفرات ، وظلّ معتقلاً خمس سنين أولاً ٢٩٩ - ٣٠٤ وخمس سنين ثانياً ٣٠٦ - ٣١١ وحاول حامد في وزارته أن يتسلّم ابن الفرات ، فقال له المقتدر : أنا أسلّمه إليك ، وأوكّل به خادماً يحفظه ، يعني أنّه يخشى عليه أن يقتله خصمه غيلة أو بالسمّ (تجارب الأمم ١ / ٦٦ و١٩٨) .

قال : فاكتب ديناراً ، لتبريني من يميني .

فكتبت ديناراً ، ثمّ ضربت عليه ، وأكلت الرّقعة ، وقلت له : قد برئت من يمينك ، ولا سبيل لك إلى غير هذا منّي .

فاجتهد بي ، فلم أجبه إلى شيء ، فحبسني .

فلمّا كان من [١٠٣ غ] الغد ، دخل إلى الحبس ، ومعه أمّ موسى [٤] ، فطالبني بذلك ، وأسرف في سبّي وشتمي ، ورماني بالزّنا .

فحلفت بالطّلاق ، والعتاق ، والأيمان المغلظة ، أنّي ما دخلت في محظور من هذا الجنس ، من نيّف وثلاثين سنة ، وسمته أن يحلف بمثل تلك اليمين أنّ غلامه القائم على رأسه ، لم يأته في ليلته تلك [٥] ، فأنكرت أمّ موسى هذا الحال ، وغطّت وجهها حياء منه .

---

٤ أمّ موسى الهاشمية القهرمانة : كانت إحدى السيّدات المسيطرات على أمور الدولة في عهد المقتدر ، قهرمتها السيّدة أمّ المقتدر في السنة ٢٩٩ على أثر غرق فاطمة القهرمانة في طيارها تحت الجسر في يوم ريح عاصف ، وكانت تنقل رسائل السيدة ، ورسائل المقتدر إلى الوزير ، وتمكّنت من الدّولة ، تمكّناً عظيماً ، وأثرت إثراء فاحشاً ، وكان لها أخ اسمه أحمد بن العباس ، ارتفع بارتفاعها ، وكان يجلس فيلقاه الناس ويأخذ رقاعهم وقصصهم إلى أمّ موسى ، وكان المقتدر ينفذه في أموره التي يحرص على كتمانها ، وقد أنفذه في السنة ٣٠٠ إلى ابن أبي البغل ، عامل الأهواز ، يدعوه لتولّي الوزارة ، ولمّا توفّي في السنة ٣٠٢ أحمد بن عبد الصمد بن طومار الهاشمي ، نقيب بني هاشم ، عبّاسيين وطالبيّين ، قلّده المقتدر النقابة ، فضجّ الهاشميون من ذلك ، فاضطرّ المقتدر إلى عزله ، وبلغ من مكانته في الدولة أنّ راتبه الشهري بلغ سبعة آلاف دينار ، وولّاه المقتدر في السنة ٣٠٩ إقامة موسم الحجّ ، وفي السنة ٣١٠ دالت دولة أمّ موسى ، إذ اتّهمها المقتدر بأنّها تسعى في إزاحته واستخلاف أبي العباس محمّد بن إسحاق ابن المتوكّل الذي زوّجته بابنة أخيها ، فقبض عليها وعلى أخيها وأختها ، وأسلمهم إلى ثمل القهرمانة ، وكانت موصوفة بالشرّ ، فاستخرجت منهم ألف ألف دينار (المنتظم ٦ / ١٦٦ وتجارب الأمم ١ / ٢٠ و٨٣ و٨٤ والوزراء ٣٠١ وصلة الطبري ٢١ ، ٣١ ، ٤٤ ، ٥٦ ، ٦٧) .

٥ راجع تجارب الأمم ١ / ٢٢ و٩٠ .

فقال ابن ثوابة[٦] : إنّ هذا إنّما تبطره الأموال الّتي وراءه ، ومثله في ذلك ، كمثل المزيّن[٧] مع كسرى ، والحجّام مع الحجّاج ، فتستأمرين ماالسّادة ، في إنزال المكروه به ، حتّى يذعن بالأموال .

قال أبو الحسين : ويعني بالسّادة : المقتدر ، ووالدته[٨] ، وخالته[٩] [٧٤ م]

---

٦ أبو الهيثم العباس بن محمّد بن ثوابة الأنباري الكاتب : كان من شرار الناس . اشترك في حادثة ابن المعتز ، فاعتقله ابن الفرات لمّا وزّر للمقتدر ، فحقدها على ابن الفرات ، وانتصب لمحاسبته لمّا عزل من الوزارة ، وعذّبه ، وأهانه ، وكان يتقرّب للمقتدر بالسعايات ، والتحريض على المصادرات ، مما أدّى بالوزير عليّ بن عيسى إلى أن يعتقله لما عاد إلى الوزارة ، ومات وهو معتقل في سجن الكوفة (تجارب الأمم ١ / ٢٢ و٢٧ و٨٨) .

٧ المزيّن : الحلّاق ، والبغداديون من أقدم الأزمان يسمّون الحلّاق : المزيّن ، وعلى ذلك وردت قصّة : مزيّن بغداد .

٨ السيّدة شغب ، والدة المقتدر : كان إليها ، وإلى أختها خاطف ، وإلى دستبويه أمّ ولد المعتضد ، تدبير أمور الدولة ، وكان هؤلاء الثلاثة يسمّون : السادة (الوزراء ١١٩) وكان الوزير يخاطبها في الأمور البالغة الأهميّة (وزراء ٣٠٨) ويعنون رسالته إليها ، بان يكتب لها : عبدها فلان (وزراء ١٧٢) ، وكان في حيازتها خيرة الأراضي والضياع المعروفة بالارتفاع الوافر ، في واسط (وزراء ٣٨) والسيب الأسفل وجنبلاء (وزراء ١٢٢) وفي الأهواز (نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة رقم القصّة ٨ / ١١٧) ، وكان واردها من ضياعها يبلغ ألف ألف دينار في السنة (المنتظم ٦ / ٢٥٣) ، وكانت تتدخّل في أمور الوزراء وكبار الموظّفين وتشد أزرهم (وزراء ٤٥ ، ٥٦ ، ٢٩٥ ، ٣٢١ و٣٢٤ و٣٢٥ و٣٤٣) وتقبل هداياهم (وزراء ٣٤٧) ، وكان موظفو الدولة كافّة ، من الوزراء فنازلاً ، يسعون إلى كسب رضاها (وزراء ١١١ و١١٢ و٢٩٤) ، بحيث أنّ الوزير ابن الفرات ، أظهر في وزارته الثالثة عدم اهتمام بها ، فقال أصحابه : هذا آخر عهد الوزير بالحياة ، فما مضت مديدة حتى عزل وقتل (وزراء ٧٧) ، ولمّا قتل ولدها ، واستخلف أخوه محمّد القاهر ، طالبها بأن تخرج أموالها ، وضربها بيده مائة مقرعة ، وعلّقها برجل واحدة منكّسة ، واجبرها على بيع أملاكها ، وحلّ أوقافها ، وباعها ، وماتت بعد مقتل ولدها بسبعة أشهر وثمانية أيّام ، في السنة ٣٢١ (المنتظم ٦ / ٢٥٣) .

٩ خاطف : خالة المقتدر ، واحدة من الثالوث النسائي الذي سيطر على أمور الدولة خلال حكم المقتدر ، وكانت تتدخّل حتى في تعيين الوزراء (تجارب الأمم ١ / ٩٠ ، ١٤٣ ، راجع القصّة ٣٧٨ من هذا الكتاب) .

خاطف ، ودستنبويه[10] أمّ ولد المعتضد ، لأنّهم كانوا – إذ ذاك – يدبّرون الأمور ، لحداثة سنّ المقتدر[11] .

قال ابن الفرات : فمضت أمّ موسى ، ثمّ عادت ، فقالت لابن ثوابة : السّادة يقولون لك : صدقتَ فيما ذكرتَ ، ويدك مطلقة فيه .

وكنت في دار ضيّقة ، في حرّ شديد [٧٤ ظ] فأمر بكشف البواري[12] حتّى صرت في الشّمس ، ونحّي الحصير من تحتي ، وأغلق أبواب البيوت ، حتّى حصلت في الصّحن[13] ، ثمّ قيّدني بقيد ثقيل ، وألبسني جبّة صوف قد نقعت في ماء الأكارع[14] ، وغلّني بغلّ[15] ، وأقفل باب الحجرة وانصرف ، فأشرفت على التّلف .

وعدّدت على نفسي ذنوبي ، فوجدتني قد عوملت بما عاملت به النّاس ، من المصادرة ، ونهب المنازل ، وقبض الضياع ، وتسليم النّاس إلى أعدائهم ، وحبسهم ، وتقييدهم ، وإلباسهم جباب الصّوف ، وهتك حريمهم ، وإقامتهم في الشّموس ، وإفرادهم في الحبوس .

ثمّ قلت : ما غللت أحداً ، فكيف غُلِلْتُ ؟

ثمّ تذكّرت أنّ النرسي[16] ، كاتب الطائي[17] ، كان سلّمه إليّ عبيد الله بن

---

١٠ دستنبويه أمّ ولد المعتضد : واحدة من الثالوث النسائي الذي سيطر على أمور الدولة في أيّام المقتدر ، وكانت تأخذ الرشى وتنصب الوزراء (وزراء ٢٨٧ ، ٢٨٨) .

١١ كان سنّ المقتدر ، وقت حصول هذه القضيّة ١٧ سنة .

١٢ البارية ، والجمع بواري : الحصير المنسوجة من القصب ، وما يزال هذا اسمها ببغداد .

١٣ صحن الدار : الساحة تكون في وسط الدار ، وتحيط بها البيوت أي الحجر ، وما زال هذا اسمها ببغداد .

١٤ ماء الأكارع : راجع التفصيل في آخر القصّة .

١٥ الغُلّ ، بضم الغين ، وجمعه أغلال وغلول : طوق من الحديد أو الجلد ، يجعل في اليد أو العنق .

١٦ عبيد الله بن الحسن النرسي : النسبة إلى النرس ، نهر من أنهار الكوفة عليه عدّة من القرى (اللباب ٢ / ٢٢١) ، كان عبيد الله وأخوته يتقلّدون عدّة نواح من سقي الفرات ، وكان عبيد الله في السنة ٢٨٢

سليمان[18] ، لمال عليه ، فسلّمته إلى الحسن ، المعروف بالمعلوف ، المستخرج ، وكان عسوفاً ، وأمرته بتقييده ، وتعذيبه ، ومطالبته بمال ذكرته له ، فألظّ به ، فأمرت به أن يغلّ ، ثم تحوّبت بعد أن غلّ مقدار ساعتين من النّهار ، فأمرت بأخذ الغلّ عنه .

فلمّا جازت السّاعتان ، تذكّرت شيئاً آخر ، وهو أنّه لما قرب سبكرى[19] من الجبل[20] ، مع رسول صاحب خراسان[21] ، مأسوراً ، [٦١ ر] كتبت إلى بعض عمّال المشرق[22] ، بمطالبته بأمواله وودائعه ، فكتب إليّ بإلطاطه ، فكتبت

عاملاً على السيب الأعلى ، وكان أبو العبّاس بن الفرات على ديوان الخراج ، يخلفه عليه أخوه أبو الحسن ، وكانا يستقصيان على آل النرسي استقصاء غليظاً ، فخاصموهما ، وصاحبوا أعداءهما ، وسعوا عليهما عند الوزير عبيد الله بن سليمان ، وزير المعتضد ، ولكنهما انتصرا عليهم ، راجع تفاصيل ذلك في الوزراء ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٩١ ، ١٩٤ .

١٧ أبو جعفر أحمد بن محمّد الطائي : ولّي في السنة ٢٦٩ الكوفة وسوادها ، معاوناً ، وخراجاً ، وفي السنة ٢٧١ ولّي مكة والمدينة ، وغضب عليه الموفّق في السنة ٢٧٥ فاعتقله ، ثمّ أطلقه ، وأعاده إلى ولايته في الكوفة ، توفّي في السنة ٢٨١ بالكوفة ، ودفن بمسجد السهلة (الطبري ٩ / ٦٢١ و١٠ / ٧ – ٣٦ والكامل لابن الأثير ٧ / ٤١٧ – ٤٦٧ والوزراء ١٥ ، الأعلام ١ / ١٩٥) ، وهو أحد الذين ذكرهم ابن بسام في قصيدته التي هجا فيها رجال الدولة ، راجع مروج الذهب ٢ / ٥٤٢ .

١٨ أبو القاسم عبيد الله بن سليمان بن وهب الحارثي ، وزير المعتضد .

١٩ سبكرى : من قوّاد الدولة العبّاسيّة ، كان حاكماً على فارس في السنة ٢٩٧ ، وانتقض على الدولة ، فحاربه الجند العباسي ، وفرّ فاعتقله صاحب خراسان وما وراء النهر ، أحمد بن إسماعيل الساماني ، وبعث به إلى بغداد (تجارب الأمم ١ / ١٦ – ١٩) .

٢٠ الجبل : إقليم عراق العجم ، راجع حاشية القصّة ٦٥ من هذا الكتاب .

٢١ صاحب خراسان : أبو نصر أحمد بن إسماعيل الساماني ملك ما وراء النهر وعاصمته بخارى ، واستولى على خراسان ، وهراة ، والريّ ، وسجستان ، لقّب بالشهيد ، لأنّ غلمانه قتلوه سنة ٣٠١ (الأعلام ١ / ٩٣) .

٢٢ المشرق : ذكر الجهشياري في أخبار الوزراء : أنّ الرشيد ولّى جعفر بن يحيى ، المغرب كلّه ، من الأنبار إلى إفريقية ، وقلّد الفضل المشرق كلّه ، من شروان إلى أقصى بلاد الترك (وفيات الأعيان ٤ / ٢٩) .

بأن يغلّ ، وكنت أتغدّى ، فلمّا غسلت يدي ، تندّمت ، وتحوّبت ، فكتبت بأن يحلّ الغلّ عنه إن كان قد غلّ ، فوصّل الكتاب الأوّل فغلّ ، ووصل الكتاب الثّاني بعد ساعتين ، فحلّ عنه ، على ما كتبت به .

فلمّا مضت أربع ساعات ، إذا بصوت غلمان مجتازين في الممرّ الّذي فيه الحجرة الّتي أنا محبوس فيها ، فقال لي الخدم الموكّلون بي : هذا بدر الحرمي[23] وهو لك صنيعة .

فاستغثت به ، وصحتُ : يا أبا الخير ، اللهَ ، اللهَ ، فيّ ، لي عليك حقوق ، وقد ترى حالي ، والموت أسهل ممّا أنا فيه ، فتخاطب السّادة في أمري ، وتذكّرهم حرمتي ، وخدمتي في تثبيت دولتهم ، إذ خذلهم النّاس[24] ، وافتتاحي البلدان المنغلقة[25] وإثارتي الأموال المنكسرة ، فإن كان ذنبي يوجب القتل ، فالسّيف أروح لي ، فرجع ، فدخل إليهم ، فخاطبهم ورقّقهم ، ولم يبرح حتّى أمروا بأخذ حديدي ، وإدخالي الحمّام ، وأخذ شعري[26] ، وتغيير لباسي ، وتسليمي إلى زيدان[27] ، وترفيهي .

---

٢٣ أبو الخير بدر الحرمي : النسبة إلى حرم الخليفة ، أي أنّه من الخدم المرخّص له بالدخول والخدمة في دار حريم الخليفة ، وكان بدر من الخدم ذوي المكانة عند المقتدر .

٢٤ يشير إلى وقوفه إلى جانب المقتدر لما خذله الناس في فتنة ابن المعتز (تجارب الأمم ١ / ٥) .

٢٥ يشير إلى افتتاحه فارس (تجارب الأمم ١ / ١٩) .

٢٦ أخذ الشعر : قصّه وحلقه .

٢٧ زيدان القهرمانة : كان لها دار خاصة ، في دار الخلافة ، تعرف بدار زيدان القهرمانة ، يحبس فيها وجوه الدولة ، والوزراء ، وكبار العمّال ، وقد حبس عندها في السنة ٣٠٤ الحسين بن حمدان التغلبيّ ، والوزير أبو الحسن عليّ بن عيسى ، والأمير يوسف بن أبي الساج ، كما اعتقل عندها في السنة ٢٩٩ الوزير أبو الحسن بن الفرات ، واعتقل عندها كذلك في السنة ٣٠٦ ، واعتقل عندها في السنة ٣١٤ الوزير الخصيبي ، وفي السنة ٣١٦ الوزير عليّ بن عيسى ، وكانت زيدان تتعصّب لابن الفرات ، وتتخبّر له ، وكان ابن الفرات عندما يكتب إليها ، يضيف إلى الدعاء ، كلمة : يا أختي ، ولمّا عزل المقتدر ،

فجاءني بذلك ، وقال [١٠٤ غ] : يقولون لك ، لن ترى بعدها بأساً ، وأقمت عند زيدان ، إلى أن رددت إلى هذا المجلس[٢٨] .

وأعيد ، حمل إلى دار زيدان القهرمانة (وزراء ١٧٢ . تجارب الأمم ١ / ٣٨ . ٤٠ . ٥٠ . ٦٦ . ٦٨ . ١٤٩ . ١٨٤ . ١٩٨) .

٢٨ يعني أنّه ردّ إلى الوزارة . وكان الوزير ابن الفرات معروفاً بالكرم والنبل في معاملة الناس ، حتى خصومه ولكنّه في وزارته الثالثة ، أنكر الناس أخلاقه ، وما كان يعرف من كرمه ونبله (تجارب الأمم ١/١١٣) ، فإنّه اعتقل كثيراً من خصومه ، وسلّمهم إلى ولده المحسّن ، وكان ساديّ الطبع ، قاسياً ، فقتل منهم قوماً (تجارب الأمم ١/١١٣ و ١٢٣) ، فنقم عليه الخاصّة (تجارب الأمم ١/١١٥ و١١٦ و١١٨ و ١١٩ و ١٢٦) ، وحدث ان اجتاح القرمطيّ الحجّاج في وقعة الهبير (تجارب الأمم ١/١٢١) فنقمت عليه العامّة أيضاً ، ورجمت طيّاره ، وطيّار ولده المحسّن بالآجرّ ، ومنعت من الصلاة في المساجد (تجارب الأمم ١/١٢٢ و ١٢٦) ، فاعتقل الخليفة المقتدر ، الوزير ابن الفرات ، وولده ، وأراد أن يحبسهما في داره ، فهدّد القواد بخلع الطاعة إن أبقاهما ، فأمر بقتلهما ، فقتل الابن أوّلاً ، وحمل رأسه ووضع بين يديّ أبيه ، ثم قتل الأب ، وحمل رأساهما إلى الخليفة ، فأمر برميهما في النهر (تجارب الأمم ١/١٣٧ و١٣٨) .

ماء الأكارع

الكراع ، في الدوابّ ما دون الكعب ، وفي الإنسان ، ما دون الركبة من مقدّم الساق ، ويطلق الكراع كذلك ، على مستدقّ الساق من ذوات الظلف ، وفي بغداد ، يكنّون عن النساء ، بقولهم : أمّهات كراع ، وربما كان ذلك ، لدقّة ساق المرأة ورقّته ، وماء الكراع : الماء الذي يطبخ به الكراع ، وهو طعام يستطيبه العرب قديماً وحديثاً ، وقد روي عن النبيّ صلوات الله عليه ، أنّه قال : لو دعيت إلى كراع لأجبت ، والكراع يؤكل في جميع البلاد العربية ، ويسمّى في مصر : كوارع ، وفي الشام : مقادم ، وفي لبنان : غمّي ، محرّف : غنمة ، بالإمالة ، وأمّا في بغداد ، فيسمّى : پاچه ، بالباء والجيم الفارسيتين ، والكلمة فارسية ، بمعنى كراع الماشية (المعجم الذهبي) ، والبغداديون يتأنّقون في صنع الپاچه ، وهي عندهم تشتمل على الكراع ، والرأس ، واللسان ، والكرش ، وهم يقطّعون الكرش قطعاً ، ويحشون كلّ قطعة بمخلوط من الأرز واللحم واللوز والتوابل ، ثم يخيطونها ، ويسمّونها : كيبايات ، مفردها : كيبايه ، وفي بغداد دكاكين عديدة ، عمل أصحابها مقصور على صنع الپاچه ، ويسمّى صاحبها : پاچه‌چي ، وچي ، فارسيّة تفيد النسبة ، ويقصد الناس هذه الدكاكين ، ويأكلون الپاچه في داخل الدكان ، وقد استعدّ صاحبه لذلك ، بمناضد ، وصواني ، وصحون ، وكراسي ، ومغاسل ، ومناديل ، والمتعارف أن يكون بجانب كلّ پاچه‌چي ، طرشچي ، أي بائع الطرشي ، والطرشي ، هو الكبيس ، أصل الكلمة فارسيّة ، ترش بمعنى الحامض ، أو ما فيه خل ، وإذا طلب القاصد الپاچه ، أحضر له الطرشچي المجاور ، كأساً من الطرشي ، يشتمل على أنواع الكبيس ، كالشلغم (اللفت) ، والباذنجان ، والخيار ، وثوم العجم ، وأنواع أخرى يطول ذكرها ، وأهل الكرخ من بغداد ، أكثر رغبة في الپاچة ، وإقبالاً عليها ، وكان في الكرخ عدد كبير من الپاچچية ، أشهرهم : ابن طوبان ، وبجواره طرشچي ، يعرف بحنانش ، وكان الناس يقصدونهما من أطراف بغداد ، وفي السنة ١٩٢٩ – ١٩٣٠ ، عندما كنت كاتباً في مجلس النوّاب العراقي ، وكان المجلس في جانب الكرخ ، في البناء الذي شاده مدحت باشا رحمه الله ، على شاطئ دجلة ، واتّخذه مستشفى ، كنت أنا وأصحابي من الكتّاب ، مولعين بپاچة ابن طوبان ، وطرشي حنانش ، أمّا في أيّامنا هذه فقد انتقل سوق الپاچة ، إلى جانب الرصافة ، فاتّخذ لها أصحابها دكاكين في منطقة الشيخ عمر ، وضعفت شهرة ابن طوبان ، وحنانش ، وجميع پاچچية الكرخ .

١٦٢

كتاب ابن ثوابة باستيزار ابن الفرات

[وحدّثني أبو محمّد القاسم بن هشام بن أبي قيراط ، أنّ أباه حدّثه ، أنّه سمع أبا الحسن بن الفرات ..... فذكر نحو هذا الحديث ، إلّا أنّه زاد][1] : أنّ ابن الفرات لما خرج من هذه الشّدائد الهائلة ، إلى الوزارة الثّانية ، أمر أبا الحسن محمّد بن جعفر بن ثوابة ، صاحب ديوان الرّسائل[2] ، أن يكتب عن المقتدر بالله ، إلى أصحاب الأطراف ، بردّه إيّاه إلى الوزارة ، فكتب إلى جميعهم كتاباً [بنسخة واحدة ، سمعت أبي وغيره من مشايخ الكتاب – إذ ذاك – يقولون : إنّهم][3] ما سمعوا في معناه أحسن منه ، فأعطانيه أبي ، وأمرني بحفظه ، وتلاه عليّ القاسم ، فحفظت منه فصلاً ، وهو :

لما لم يجد أمير المؤمنين بدًّا منه ، ولم يكن بالملك غنى عنه ، انتضاه أمير المؤمنين من غمده ، فعاود ما عرف من حدّه ، ودبّر الأمور كأن لم يخل منها ، وأمضاها كأن لم يزل عنها ، إذ كان الحوّل القلّب ، المحنّك المدرّب ، العالم بدرّة المال كيف تحلب ، ووجوهه من أين [٧٥ م] تطلب ، وكان الكتّاب على اختلاف طبقاتهم ، وتباين مرتباتهم ، يقفون عنده إذا استبقوا ، وينتهون إليه إذا احتكموا ، وكان هذا الاسم حقّاً من حقوقه ، استعير منه ، ثمّ ردّ إليه .

---

١ الزيادة من غ ، وفي بقيّة النسخ : وقيل في غير هذه الرواية.

٢ أبو الحسن محمّد بن جعفر بن محمّد بن ثوابة بن خالد الكاتب : كان على ديوان الرسائل . ولمّا توفّي في السنة ٣١٢ خلفه ولده أبو عبد الله أحمد بن محمّد ، قال الوزير أبو الحسن عليّ بن عيسى لأبي عبد الله أحمد بن ثوابة : ما قال : أمّا بعد ، أحد على وجه الأرض ، أكتب من جدّك ، وكان أبوك ، أكتب منه ، وأنت أكتب من أبيك (معجم الأدباء ٢ / ٨٠ ، راجع القصّة ٤ / ١٧ و٨ / ٦٢ من كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للتنوخيّ) .

٣ الزيادة من غ .

١٦٣

خرج من حبس المقتدر ونصب

مستشاراً للوزير ابن مقلة

حدّثني علي بن هشام أبي قيراط الكاتب ، من حفظه ، وكتبت بإملائه ، قال :

تطاول الحبس بأبي الحسن عليّ بن عيسى[1] في دار المقتدر[2] ، حتّى أيس منه ، فلمّا اجتمع أبو الهيجاء[3] ، ونازوك[4] ، والطبقة الّذين تجمّعوا وخلعوا المقتدر

---

١ أبو الحسن عليّ بن عيسى بن داود بن الجرّاح (٢٤٤ – ٣٣٤) : وزّر للمقتدر ، وللقاهر ، أحد العلماء الرؤساء من أهل بغداد . نشأ كاتباً كأبيه وجدّه ، وولّي الوزارة للمقتدر سنة ٣٠٠ ، فحمدت سيرته ، وعزله سنة ٣٠٤ وحبسه ، ونفاه إلى مكة ، ثم إلى صنعاء ، ثم ولّاه الاطّلاع على أعمال مصر والشام ، ثمّ أعاده للوزارة سنة ٣١٤ ثمّ عزله سنة ٣١٦ وقبض عليه ، ثمّ أناط به الإشراف على الدواوين والنظر في المظالم ، قال عنه الصولي : لا أعلم انه وزّر لبني العباس مثله في عفّته وزهده وعلمه (الأعلام ٥ / ١٣٤) ، وقال عنه في كتابه : الأوراق – أخبار الراضي والمتّقي ص ٦٥ – ٦٧ وص ١٨٧ و١٨٨ : إنّه جمال بغداد ، ومن لا يرى الناس مثله ، ووصفه بأنّه تاج الدولة وجمالها وشيخ الإسلام .

٢ لمّا عزل المقتدر أبا الحسن عليّ بن عيسى في السنة ٣١٦ بعد وزارة دامت سنة واحدة وأربعة أشهر ، اعتقله عند زيدان القهرمانة وقلّد الوزارة ابن مقلة . وفي السنة ٣١٧ جرت الفتنة التي أدّت إلى خلع المقتدر ونصب القاهر . راجع تفصيل ذلك في تجارب الأمم ١ / ١٤٩ ، ١٨٥ ، ١٨٩ – ٢٠١ .

٣ أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان بن حمدون التغلبيّ العدويّ : والد الأمير سيف الدولة الحمداني ، من القادة المقدّمين في العصر العباسي . ولّي الموصل وأعمالها للمكتفي سنة ٢٩٣ ، وعزله المقتدر سنة ٣٠١ فقدم بغداد فخلع عليه المقتدر وأعاده . وقلّده في السنة ٣٠٨ طريق خراسان والدينور ، وضمن في السنة ٣١٥ أعمال الخراج والضياع بالموصل (الأعلام ٤ / ٢١٣) ، وكان شجاعاً (القصّة ٣ / ٥٠ من كتاب كتاب نشوار المحاضرة) . جواداً (تجارب الأمم ١ / ١١٢ سطر ١٧ – ٢٠) ، حميّ الأنف ، كان مع القاهر لمّا هاجمه الجند ، فقال لـه : أنا في ذمامك ، فأقسم أن لا يتركه ، وحامى عنه حتى قتل (الكامل ٨ / ٢٠٤ ، تجارب الأمم ١ / ١٩٦) ، وبالرغم من كون أبي الهيجاء شارك في خلع المقتدر ، فقد حزن المقتدر عليه لمّا قتل ، وظهر عليه من الكآبة أمر عظيم (تجارب الأمم ١ / ١٩٨ ، ١٩٩) .

٤ أبو منصور نازوك ، صاحب الشرطة ببغداد ، ترجمته في حاشية القصّة ٧٦ من الكتاب .

وأجلسوا القاهر ، وحصّلوا المقتدر في دار مؤنس[٥] ، كسرت الحبوس ، ونهب بعض دار المقتدر ، فأفلت عليّ بن عيسى من الموضع الّذي كان فيه محبوساً ، فخرج ، فاستتر تلك الأيّام الثّلاثة الّتي كان فيها المقتدر محبوساً عند مؤنس[٦] ، والقاهر متّسم[٧] بالخلافة .

فلمّا جاءت الرّجالة ، بغير مراسلة من المقتدر لهم ، ولا حيلة منه في أمر نفسه ، وإنّما كان بصنع طريف ، وسوء تدبير نازوك في خطابهم بما كرهوا ، فثاروا ، وقتلوا أبا الهيجاء ، ونازوك ، وكبسوا دار [٧٥ ظ] مؤنس ، وأخذوا المقتدر من يده ، وأعادوه للخلافة ، وردّوا القاهر إلى دار ابن طاهر[٨] ، وظهر ابن مقلة ، وكان وزير المقتدر ، وكان قد استتر .

---

٥ دار مؤنس : أنظر التفصيل في آخر القصّة .

٦ مؤنس المظفّر (٢٣١ – ٣٢١) : من أكابر القوّاد الأتراك في دولة العباسيين . كان شجاعاً . من الدهاة . دامت إمارته ستّين سنة . ولّي دمشق للمقتدر . وتولّى الفداء بين المسلمين والروم سنة ٢٩٧ . ولما حصلت وقعة الهبير (أنظر حاشية القصّة ١ / ١٠٨ من كتاب نشوار المحاضرة) كتب إليه المقتدر بالعودة . ولمّا عاد إلى بغداد اتّهم المقتدر بأنّه قد دبّر عليه ، فخلعه ونصب أخاه القاهر بدلاً منه . وبعد يومين هاج الجند . وأعادوا المقتدر . وفي السنة ٣٢٠ حارب المقتدر وقتله . ونصب القاهر خليفة . ثم انّ القاهر قبض على مؤنس بحيلة وقتله في السنة ٣٢١ (الكامل ٨ / ١٥ – ٢٧٩ وتجارب الأمم ١ / ٦ – ٣٩٦) .

٧ في غ : مرتسم .

٨ دار ابن طاهر أو الحريم الطاهري : موضعها بأعلى مدينة السلام في الجانب الغربي . على دجلة (معجم البلدان ٢ / ٢٥٥) . وكانت متصلة من الغرب بمحلة دار الرقيق (معجم البلدان ٢ / ٨٠٤) وبينها وبين باب التبن (الكاظمية) محلّة تدعى ربض أبي حنيفة ، نسبة إلى أحد قوّاد المنصور (معجم البلدان ٢ / ٧٥٠) ، فيكون موضعها اليوم « العطيفيّة » وسمّيت حريماً لأنّ كلّ من لجأ إليها أمن . وأوّل من جعلها حريماً أبو العباس عبد الله بن طاهر بن الحسين . وكان عظيماً في دولة بني العباس . وكانت إليه الشرطة ببغداد . وخراسان . والجبال . وطبرستان . والشام . ومصر (معجم البلدان ٢ / ٢٥٥) . ثم أصبح الحريم الطاهريّ محلّ سكنى الأمراء العباسيّين الذين يرى الخليفة ضرورة بقائهم تحت رقابته . وكان يحيط بالحريم سور (معجم البلدان ٢ / ٢٥٥) وعليه موكّل يحفظه .

[قال : فحدّثني أبو عبد الله محمّد بن عبدوس الجهشياري ، وأبو عبد الله محمّد بن إسماعيل زنجي الكاتب ، وأبو الحسين محمّد بن عبد الرّحمن الروذباري ، صاحب الفضل بن جعفر ، قالوا : كنّا][9] في دار مؤنس ، والنّاس يهنّونه ، وعليّ ابن عيسى مستتر ، فلم يشعر إلّا وقد جاء عليّ بنْ عيسى بطيلسان[10] ، وأحفى المسألة[11] أن يردّ إلى الحبس ، خوفاً من عواقب الاستتار ، وأن يولّد عليه أكثر من الحبس .

فتلقّاه مؤنس أحسن لقاء وأجمله ، واستصوب رأيه في الظّهور ، وراسل

ويمنع من فيه أن يبارحه إلاّ بإذن (القصّة رقم ١٦٦ وتجارب الأمم ١ / ١٩٣ والتكملة ٥٩) . ولمّا تقرّر في السنة **٢٩٥** نصب المقتدر ، أحدر من دار ابن طاهر (تجارب الأمم ١ / ٣ والقصّة ٥ / ٣٠ من نشوار المحاضرة) ولمّا بويع ابن المعتز بالخلافة في السنة **٢٩٦** أمر المقتدرَ بأن ينصرف مع والدته إلى دار ابن طاهر (تجارب الأمم ١ / ٦) ولمّا خلع المقتدر في السنة ٣١٧ وطلب أخوه القاهر ، رفض كافور ، الموكّل بالدار ، أن يفتح أبوابها ، وطالب بعلامة من مؤنس المظفّر (تجارب الأمم ١ / ١٩٣) ، ولمّا قتل المقتدر في السنة ٣٢٠ أحضر مؤنس من دار ابن طاهر أميرين هما أبو أحمد محمّد بن المكتفي ، ومحمّد بن المعتضد ، ولمّا بايع ثانيهما بالخلافة ، صرف الأوّل إلى داره في دار ابن طاهر (تجارب الأمم ١ / ٢٤٢ وابن الأثير ٨ / ٢٠١) ولمّا خلع القاهر من الخلافة ، وأطلق من اعتقاله ، أعيد إلى داره في دار ابن طاهر (تجارب الأمم ٢ / ٨٠ و٨١) ، ولمّا جرت المفاوضة مع المستكفي من أجل استخلافه ، أخرج من دار ابن طاهر في زيّ امرأة (ابن الأثير ٨ / ٤٢٠) .

٩ الزيادة من غ .

١٠ الطيلسان : لباس المشايخ والفقهاء ، وهو قطعة من القماش مدوّرة الشكل أو مربعة ، تطوى فتكون بشكل نصف دائرة أو مثلّث ، وتلقى على الكتف ، وفي بعض الأحيان على العمامة . والطيلسان ما يزال شائع الاستعمال في اليمن ، ولكنّه قليل الاستعمال ببغداد ، يرتديه بعض المعمّمين المتقدّمين في السنّ ، ويسمونه : شالة ، ويتّخذونه من قطعة مربعة من الصوف الأنيق الفاخر . وتكون في الغالب مطرّزة ، وتطوى حتى تصير مثلثة الشكل ، ثم توضع على الكتفين فوق الجبّة ، وربما وضعت فوق العمامة ولفّ بها الرأس ، راجع معجم دوزي بأسماء الملابس عند العرب ٢٢٩ ، والقصّة ٧ / ٦٧ من كتاب نشوار المحاضرة للتنوخيّ .

١١ أحفى المسألة : ردّدها .

المقتدر في الحال ، فعاد الجواب من المقتدر ، بأجمل قول وأحسنه ، وأنّه قد ردّ إلى عليّ بن عيسى الإشراف على ابن مقلة ، والاجتماع معه على سائر أمور المملكة ، وأمر أن يصل بوصوله[12] ، وأن لا ينفرد ابن مقلة بتدبير أمر دونه ، وأفرد عليّ بن عيسى بالمظالم ، من غير أن يكون لابن مقلة فيها نظر .

فقال له مؤنس : ليس يجوز مع هذا أن تلبس الطيلسان ، وعليك أن تتلقّى هذا [١٠٥ غ] الإنعام بالشّكر .

فانصرف عليّ بن عيسى ، وعاد عشيّاً وعليه درّاعة[13] ، وجلس في دار مؤنس ، منتظراً مجيء الوزير ابن مقلة ، إلى أن جاء ، فاجتمعا يتفاوضان في أمور الأموال والأعمال .

فقال له ابن مقلة : إنّ أبا بكر محمّد بن عليّ المادرائيّ[14] يطيعك ، وهو من أكبر صنائعك ، فاكتب إليه بحمل مالٍ .

فقال عليّ بن عيسى : إنّ مصر مع الاضطراب الواقع ، ستفور ناراً ، لكثرة الجيش بها ، وعظم مال صلة البيعة ، والوجه أن يكتب الوزير أعزّه الله .

فقال مؤنس لابن مقلة : افعل ما أشار به أبو الحسن .

---

١٢ يعني أن يدخل على الخليفة مع الوزير .

١٣ الدرّاعة : ثوب له جيب يلبسه الكتّاب ، ولا تكون الدرّاعة إلاّ من الصوف ، وتشبه ما يسمّى الآن ببغداد : الدشداشة ، وفي مصر : الجلابيّة ، وذكر صاحب الأغاني ٥ / ١٨٥ : أنّ موسى الهادي طرب يوماً فمدّ يده إلى جيب درّاعته فحطّها ذراعاً ، ثمّ ضرب بيده إليها ثانياً ، فحطّها ذراعاً آخر ، راجع معجم دوزي بأسماء الملابس عند العرب ١٤٦ .

١٤ أبو بكر محمّد بن عليّ بن أحمد بن رستم المادرائي (٢٥٨ – ٣٤٥) : وزير من الكتّاب ، وصفه المقريزي بأنّه أحد عظماء الدنيا ، أصله من مادرايا ، من قرى البصرة ، دخل مصر سنة ٢٧٢ وخلف أباه في ولاية النظر في أمور خمارويه بن أحمد بن طولون ، ثم استوزره هارون بن خمارويه ، ولمّا انقرضت دولة بني طولون قدم العراق ، ثمّ ولّي خراج مصر ، ثم جعل له الاخشيد أمور مصر كلّها ، توفّي بالقاهرة (الأعلام ٧ / ١٥٨) .

فقال : لا يحسن أن أكتب في شيء من هذا ، وهذا الشّيخ حاضر .

فقال أبو الحسن : فأنا أكتب بخطّي عنك ، إلى محمّد بن عليّ ، فإنّك أنت الوزير ، وكلّنا أعوانك وأتباعك ، فسرّ بذلك ابن مقلة جدًّا ، وصارت له عند النّاس جميعاً منزلة .

ودعا عليّ بن عيسى بثلث قرطاس ، وكتب فيه ، في الحال ، بغير نسخة ، كتاباً نسخته :

بسم الله الرّحمن الرّحيم ، أعزّك الله ، وأطال بقاك ، وأكرمك ، وأتمّ نعمته عليك ، وزاد في إحسانه إليك ، قد عوّد الله أمير المؤمنين – أطال الله بقاءه – في تصاريف أحواله ، ومعقبات أعماله ، وعند الخطوب إذا ألمّت ، والحوادث إذا أظلّت ، أن لا يخليه من نظر يتيحه له ، ونعمٍ يجدّدها عنده ، ومنح يضاعفها لديه ، لما يعرفه [٧٦ م] من صفاء نيّته ، وخلوص طويّته ، وحسن سريرته ، لسائر رعيّته ، عادة في الصّلاح والإصلاح ، هو – عزّ وجلّ – متمّمها ، وموزع الشّكر عليها ، وكان جماعة من الأولياء ، وجمهور الرّجال والأصفياء ، عدلوا عن طريق السّلامة ، وزالوا عن مذهب الاستقامة ، وحادّوا[١٥] ما توالى عليهم من النّعمة ، ووصل إليهم من الإحسان في طول المدّة ، وحملهم الحَيْنُ المتاح لأمثالهم ، وما قرّب الله من آجالهم ، [على الخروج عن مدينة السّلام ، بغير تدبير ولا نظام][٩] ، والمطالبة بما لا يستحقّون من الأرزاق ، على سبيل السطوة والاقتدار ، غير مفكّرين في ذميم المذاهب ، ووخيم العواقب ، متردّدين في بغيهم ، متسكّعين في جهلهم وغيّهم ، وأمير المؤمنين – أدام الله عزّه – يعدهم بنظره الّذي لا يخلفه ، والعطاء الّذي لا يؤخّره ، ويتوخّاهم بالموعظة الحسنة ، وينهاهم عن الأفعال القبيحة المنكرة ، وهم يأبون ما يدعوهم

---

١٥ حادّ : عادى .

إليه ، ويسرفون في التحكّم والبغي عليه ، إلى أن أدّاهم الجهل والطغيان ، والتمرّد والعصيان ، إلى إحضارهم دار المملكة من لقّبوه بالخلافة يوماً واحداً ، ثمّ صرف عنها ، وأمير المؤمنين – أيّده الله تعالى – يعمل فكره ورويّته في حلّ نظامهم ، وحسم موادّ اجتماعهم ، وتشتيت كلمتهم ، وتفريق جماعتهم ، حتّى يتمكّن منهم تمكّناً يفتّ في أعضادهم ، ويوهن من عنادهم ، ثمّ يعفو عمّن يرى العفو عنه ، ويوقع القصّاص على من يوجب الحقّ القصّاص منه ، فلم تكن إلّا وقعة من الوقعات ، وساعة من السّاعات ، حتّى أخلف الله آمالهم ، وأكذب أطماعهم [٧٦ ظ] وبدّد شملهم ، وخيّب سعيهم ، وأكبى زندهم ، وانفضّوا بعد أن استلحم[١٦] من كان مضرماً للفتنة ، وملهبا للنائرة[١٧] . وعاد أمير المؤمنين – أيّده الله – على الباقين بالصّفح الشّامل ، والإنعام الكامل ، وتغمّد هفوتهم ، وأقال عثرتهم ، وأحسن صلتهم ، واستأنف أفضل [١٠٦ غ] الأحوال بهم . وعادت الأمور كما كانت ، وتكشّفت الخطوب وزالت ، وخلصت النيّات وصلحت ، وهدأت الرعيّة وسكنت ، وقد تكفّل الله – عزّ وجلّ – بنصر أمير المؤمنين ، وتشييد أركان عزّه ، والله يحقّ الحقّ ، ويبطل الباطل ، ولو كره المجرمون ، فأجر أعمالك – أعزّك الله – على أجمل ما تجريها عليه ، وأحسن سيرتك فيها ، مستعملاً فيها أجدّ الجدّ ، وأبلغ التشمير ، حتّى تسهل صعابها ، وتدرّ أحلابها ، وتجري على أحسن مجاريها ، وأجمل تأتّيها ، واحذر أن ترخّص لنفسك في تأخير الحمل ، فتخرج إلى التأنيب والعذل ، وبادر الجواب عن هذا الكتاب ، لأعرضه على أمير المؤمنين – أطال الله بقاءه –

---

١٦ استلحم الرجل : نشب في الحرب فلم يجد مخلصاً .

١٧ النائرة : الهائجة والفتنة .

فإنّه يتوكّفه[18] ، ويراعيه ، ويتشوّفه[19] ، والدعاء له [20] ، وكتب يوم الاثنين لثلاث عشرة ليلة خلت من المحرّم سنة سبع عشرة وثلثمائة .

---

١٨ يتوكّفه : ينتظره ويسأل عنه .

١٩ التشوّف : التطلّع . من الشوف . أي الجلاء . والشوف هو الرؤية . لأنّها تجلو حقيقة الشيء . تقول : شاف يشوف شوفاً . أي رأى . يرى . رؤية . والبغدادي . لا يقول : رأيت . وإنّما يقول : شفت .

٢٠ يريد به الدعاء المقرّر للعامل في المراسلة . وكان الدعاء المقرّر لعامل مصر الذي أرسلت إليه الرسالة : أدام الله عزّك . وأطال بقاءك . وأكرمك . وأتمّ نعمته عليك وإحسانه إليك (الوزراء ١٧٥) .

دار مؤنس

كانت دار مؤنس على شاطئ دجلة ، مجاورة لدار الخلافة (رسوم دار الخلافة ١٣٦) وكان الجسر بحضرتها (المنتظم ٧ / ١٧١) وكانت بسوق الثلاثاء (المنتظم ٦ / ٢٠٦ والتكملة ١١٠) وهو سوق البزّازين (معجم البلدان ٣ / ١٩٣) ومن دار مؤنس اقتطعت المدرسة النظامية (التكملة ١٤٨) وكانت في وسط سوق الثلاثاء (ابن بطوطة ١٧٥) واقتطعت كذلك المدرسة المستنصرية ، وكانت في آخر سوق الثلاثاء (ابن بطوطة ١٧٥) ، ويبدو من هذه الدلالات أنّ دار مؤنس كانت واقعة على دجلة شمالي دار الخلافة ، يفصلها عنها السوق الذي ينزل من دجلة من قهوة الشطّ مارًّا بخان دلّة والممتد إلى الشورجة ، أمّا طرفها الثاني فقد كان مطلّاً على الجسر ، وقد كان في موضعه الذي هو فيه الآن ، ولا يستغرب أن تكون دار مؤنس بهذه السعة ، فقد كان القائد العام للجيش ، وكانت سلطته تزيد على سلطة الخليفة ، وكانت داره تشتمل على كتّابه وعمّاله وحرسه وغلمانه مع دوابهم وما يقتضي إعداده لإيوائهم وإطعامهم ، وأصبحت هذه الدار من بعد مقتل مؤنس ، مقراً للحكّام المتسلّطين على بغداد . فنزلها ابن رائق لمّا أصبح أميراً للأمراء في السنة ٣٢٤ . ونزلها من بعده بجكم في السنة ٣٢٦ (التكملة ١١٠) ونزلها من بعدهما أبو الحسين البريدي لمّا استولى على بغداد في السنة ٣٣٠ في عهد المتّقي (التكملة ١٢٧) كما نزلها توزون لمّا نصب أميراً للأمراء في السنة ٣٣١ (التكملة ١٣٤) وأقام بها من بعده سيف الدّولة الحمداني في السنة ٣٣١ (التكملة ١٣٤) وأقام بها كذلك معزّ الدّولة البويهي لمّا استولى على بغداد في السنة ٣٣٤

(التكملة ١٤٨) إلى أن بنى داره بالشمّاسية فانتقل إليها في السنة ٣٥٠ قبل أن يتمّ بناءها (تجارب الأمم ٢ / ١٨٣ والتكملة ١٧٩) ، وبعد أن تركها معزّ الدّولة . أصبحت مقراً للأمراء من أولاده (التكملة ٢١٤) ، إنّ المدرسة المستنصرية ما تزال ماثلة تحدّد لنا الجانب الشمالي من دار مؤنس ، أمّا المدرسة النظامية وسوقها الملاصق لها . فيبدو أنّها كانت على قطعة الأرض المستطيلة المنتظمة التي يحدّها من الشرق سوق الجوخجية (باعة الجوخ) ومن الغرب سوق المصبغة ، ومن الشمال : سوق اليمنجيّة . وهم صنّاع الأحذية الحمراء الصرّارة المسمّاة باليمنيّات . مفردها : يمني . ومن الجنوب : السوق النازل من دجلة . من قهوة الشطّ ، ماراً بخان دلّة . والممتد إلى سوق العطّارين . وعلى هذا فإنّ المدرسة النظامية التي كانت الأمثال تضرب بحسنها (ابن بطوطة ١٧٥) لم يبق منها الآن إلاّ قطعة صغيرة من الأرض ، بين الدكاكين . لعلّها لا تزيد في المساحة على حجرة واحدة من حجراتها الماضية ، اتّخذت كتّاباً للصبيان . كان فيه مؤدّب يعلّمهم الكتابة وقراءة القرآن اسمه الملاّ أحمد ، لم أدركه ، وأدركت ولده الملاّ إبراهيم . توفّي . وخلفه أخوه الملاّ مسلم ، ولمّا مات أغلق بابها ، وظلّت سنين مهجورة . ثم أقدم بعض البزّازين من أصحاب الدكاكين المحيطة بهذه القطعة ، ففتحوا بابها ، ورمّوا شعثها ، وفرشوها بالحصر والبواري ، وجهّزوها بالماء والنور ، واتّخذوها مصلّى لأهل سوقهم .

أقول : ورد في البحث ذكر سوق اليمنجية : نسبة إلى اليمني . وهو حذاء أحمر صرّار ، ينسب إلى اليمن ، معروف من القديم بهذا الاسم ، وقد أدركت هذا السوق ، وجميع دكاكينه عامرة ببائعي هذا الصنف من الأحذية ، أمّا الآن فقد انقرض هذا الصنف ، ولم يبق من بائعيه أحد . وحلّ محلهم في السوق الخيّاطون والسقطيون . ولمحمّد بن دانيال الموصلي في وصف اليمني (فوات الوفيات ٢ / ٣٨٤) :

من اليمنيّـــات التي حرّ وجههـــــا   يفوق صقالاً صفحة الصارم الهنـدي
ومن عجـــبي أنّي إذا مـا وطئتهـــــا   تئنّ أنينـــاً دونه أنّـة الوجـــد
ولم أر وجهـــاً قبلها كـــلّ ساعـة   عـلى التر ب ألقاها معفّرة الخـدّ

١٦٤

من مكارم القاضي أحمد بن أبي دؤاد

أ – سيّد العرب أحمد بن أبي دؤاد

أخبرني محمّد بن الحسن . قال : أخبرني أبو بكر الصولي ، قال : حدّثنا محمّد بن القاسم بن خلاد[١] ، قال :

رفع بعض العمّال إلى المعتصم ، وكان يلي الخراج بموضع يلي فيه خالد بن يزيد[٢] الحرب ، أنّ خالد بن يزيد اقتطع الأموال واحتجن بعضها .

فغضب المعتصم ، وحلف ليأخذنّ أموال خالد ، ويعاقبه .

---

١ أبو عبد الله محمّد بن القاسم بن خلاّد بن ياسر ، المعروف بأبي العيناء (١٩١ – ٢٨٣) : أديب ، فصيح ، ذكيّ ، من ظرفاء العالم ، من أسرع الناس جواباً ، حسن الشعر ، جيّد العارضة ، مليح الكتابة والترسّل ، بليغ الخطابة ، حاضر النادرة ، أضرّ بعد الأربعين ، نشأ بالبصرة ، وأقام ببغداد طويلاً ، ثم انحدر إلى البصرة ، فمات فيها ، ومن أنبل صفات أبي العيناء : الوفاء ، فإنّه رثى الحسن بن سهل لمّا مات ، أجمل رثاء (القصّة ٦ / ٣٥ من نشوار المحاضرة) ، مع أنّ الحسن بن سهل توفّي والدهر عنه منصرف ، وكذلك كانت حاله مع السيد العربي النبيل القاضي أحمد بن أبي دؤاد ، فقد أثنى عليه بعد وفاته ، مع أنّه توفّي مشلولاً منكوباً ، ومن بديع أقواله : أنّ رجلاً وقف عليه ، فلما أحسّ به ، قال لـه : من أنت ؟ قال : رجل من بني آدم ، فقال له أبو العيناء : مرحباً بك أطال الله بقاءك ، كنت أظنّ أنّ هذا النسل قد انقطع (وفيات الأعيان ٤ / ٣٤٤) ، ومرّ يوماً بدار أحد أصحابه ، وكان مريضاً ، فسأل : كيف حال فلان ؟ فقالوا : كما تحبّ ، فقال : فما لي إذن لا أسمع الصراخ في الدار (الديارات ٨٤) ، راجع أخبار أبي العيناء في كتاب الملح والنوادر للحصري ٦٢ ، ١٢٩ ، ١٩٧ ، ١٩٩ ، ٢٣١ ، ٢٩٢ ، وفي وفيات الأعيان ٤ / ٣٤٣ – ٣٤٨ وفي الديارات ٧٩ – ٩٢ ، وفي المنتظم ٥ / ١٥٦ ، وفي الأعلام ٧ / ٢٢٦ .

٢ أبو يزيد خالد بن يزيد بن مزيد بن زائدة الشيباني : أحد الأمراء الأجواد في العصر العباسيّ ، مدحه أبو تمّام ، ولاّه المأمون مصر ، ثمّ ولاّه الموصل وديار ربيعة ، ولما انتقضت أرمينية ، جهّزه الواثق إليها ، فمات في طريقه سنة ٢٣٠ (الأعلام ٢ / ٣٤٣) .

فلجأ خالد إلى أحمد بن أبي دؤاد القاضي [3] [١٣٨ م] . فاحتال حتّى جمع بينه وبين خصمه ، فلم تقم على خالد حجّة .

فعرّف ابن أبي دؤاد المعتصم ذلك ، وشفع إليه في خالد ، فلم يشفّعه .

وأحضر خالداً ، وأحضر آلات العقوبة ، وقد كان قبل ذلك ، قبض أمواله ، وضياعه ، وصرفه عن العمل .

وحضر ابن أبي دؤاد المجلس ، فجلس دون النّاس .

فقال له المعتصم : ارتفع إلى مكانك .

فقال : يا أمير المؤمنين ، ما أستحقّ إلاّ دون هذا المجلس .

قال : وكيف ؟

قال : النّاس يزعمون أنّ ليس محلّي محلّ من شفع في رجل قرف بما لم يصحّ عليه فلم يشفّع .

قال : ارتفع إلى موضعك .

قال : مشفّعاً أو غير مشفّع ؟

---

٣ أبو عبد الله أحمد بن أبي دؤاد بن جرير بن مالك الإيادي (١٦٠ - ٢٤٠) : رجل كلّه محاسن ، وفضائل ، ومكارم أخلاق ، وأخباره المنثورة في ثنايا كتب التاريخ والعلم والأدب ، تنبئ عن سيرة تفيض خيراً ، وتنفح عطراً ، راجع مدائحه في ديوان أبي تمّام ، وأخباره في وفيات الأعيان ١ / ٦٣ وشذرات الذهب ٢ / ٩٣ ومروج الذهب ٢ / ٣٩٩ وتاريخ بغداد ٤ / ١٤١ ودائرة المعارف الإسلامية ١ / ٤٥٤ والكامل لابن الأثير في المجلدين ٦ و٧ وفي تاريخ الطبري في المجلدين ٨ و٩ وفي هذا الكتاب وفي كتاب المستجاد من فعلات الأجواد ص ١٤١ و١٤٨ و١٥٩ و٢٠٦ ، وفي القصص ٢ / ٤٩ و٣ / ٤٨ و٧ / ١١٤ و٧ / ١٤١ و٧ / ١٤٢ من نشوار المحاضرة ، وراجع ما قاله فيه أبو العيناء في نشوار المحاضرة ج ٢ ص ١٠٢ وج ٣ ص ٦٨ ، اتّصل أوّلاً بالمأمون ، فقرّبه ، ثم أوصى به المعتصم ، فجعله قاضي قضاته ، وأخذ يستشيره في جميع أموره ، ولما استخلف الواثق ، زاد تقريباً له ، وتعويلاً على رأيه ، ولما مات الواثق ، أصرّ على مبايعة المتوكّل ، فلقي جزاء خطيئته هذه ، إذ عزله المتوكّل ، وصادره ، وحبس أولاده ، وصادرهم ، وشرّدهم .

قال : مشفّعاً ، قد وهبت لك خالداً ، ورضيت عنه .

قال : النّاس لا يعلمون بهذا .

قال : وقد رددت عليه العمالة ، والضياع ، والأموال الّتي له .

قال : ويشرّفه أمير المؤمنين بخلع تظهر للعامّة .

فأمر أن تفكّ قيوده ويخلع عليه ، ففعل به ذلك ، وردّ إلى حضرته .

فقال ابن أبي دؤاد : قد استحقّ هو وأصحابه رزق ستّة أشهر ، فإن رأى أمير المؤمنين ، أن يجعلها صلة له .

قال : لتحمل معه .

فخرج خالد ، والنّاس منتظرون الإيقاع به ، فلمّا رأوه على تلك الحال ، سرّوا ، وصاح به رجل : الحمد لله على خلاصك يا سيّد العرب .

فقال : مه ، سيّد العرب – والله – ابن أبي دؤاد ، [الّذي طوّقني هذه المكرمة الّتي لا تنفكّ من عنقي أبداً][4] لا أنا .

وفي هذه القضيّة ، يقول أبو تمّام الطائي :

يا سائلي عن خالد وفعاله ... ردْ فاغترف علماً بغير رشاء
قد كان خطب عاثر فأقاله ... رأي الخليفة كوكب الخلفاء
فخرجت منه كالشّهاب ولم تزل ... مذ كنت خرّاجاً من الغمّاء [١٧٥ ظ]
ما سرّني بخروجه من حجّة ... ما بين أندلس إلى صنعاء[5]

٤ الزيادة من المستجاد ص ١٦٠ .

٥ لم ترد هذه القصّة في غ ولا هـ . ووردت في كتاب نشوار المحاضرة رقم القصّة ٧ / ١١٤ وفي كتاب المستجاد من فعلات الأجواد ص ١٥٩ – ١٦٠ .

ب – إطلاق الكتّاب من حبس الواثق

حدّثني عليّ بن هشام ، قال : سمعت أبا الحسن عليّ بن عيسى ، يتحدّث ، قال : سمعت عبيد الله بن سليمان بن وهب ، يقول : حدّثني أبي ، قال :

كنت وأبو العبّاس أحمد بن الخصيب ، مع خلق من العمّال والكتّاب ، معتقلين في يدي محمّد بن عبد الملك الزيّات ، في آخر وزارته للواثق ، نطالب ببقايا مصادراتنا[1] ، ونحن آيس ما كنّا من الفرج ، إذ اشتدّت علّة الواثق ، وحجب ستّة أيّام عن النّاس ، فدخل عليه أبو عبد الله أحمد بن أبي دؤاد القاضي .

فقال له الواثق : يا أبا عبد الله – وكان يكنّيه – ذهبت منّي الدنيا والآخرة .

قال : كلّا يا أمير المؤمنين .

قال : بلى ، أمّا الدّنيا ، فقد ذهبت منّي بما ترى من حضور الموت [٧٧ م] وذهبت منّي الآخرة ، بما اسلفت من عمل القبيح ، فهل عندك من دواء ؟ .

قال : نعم يا أمير المؤمنين ، قد غرّك محمّد بن عبد الملك الزيّات في الكتّاب والعمّال ، وملأ بهم الحبوس ، ولم يحصل من جهتهم على كبير شيء ،وهم عدد كثير ، ووراءهم ألف يد ترفع إلى الله تعالى بالدّعاء عليك ، فتأمر بإطلاقهم ، لترتفع تلك الأيدي بالدعاء لك ، فلعلّ الله أن يهبّ لك العافية ، وعلى كلّ حال ، فأنت محتاج الى أن تقلّ خصومك .

فقال : نِعْمَ ما أشرت به ، وقّع عنّي إليه بإطلاقهم .

فقال : إن رأى خطّي ، عاندَ ولجَّ ، ولكن يغتنم أمير المؤمنين الثوابَ ، ويتساند ، ويحمل على نفسه ، ويوقّع بخطّه .

---

١ راجع في الكامل لابن الأثير ٧ / ١٠ بحثاً مفصّلاً بأسماء المصادرين من كتّاب الواثق ، ومقادير ما صودروا عليه .

فوقّع الواثق ، بخطّ مضطرب إلى إبن الزيّات بإطلاقهم ، وإطلاق كلّ من في الحبوس ، من غير استئمار ولا مراجعة .

فقال ابن أبي دؤاد : يتقدّم أمير المؤمنين إلى إيتاخ[2] أن يمضي بالتوقيع ، ولا يدعه يعمل شيئاً ، أو يطلقهم ، وأن يحول بينه وبين الوصول إليك ، أو كتب رقعة ، أو اشتغاله بشيء البتّة ، إلّا بعد إطلاقهم ، وإن لقيه في الطّريق أنزله عن دابّته ، وأجلسه على غاشيته[3] في الطّريق ، حتّى يفرغ من ذلك .

فتوجّه إيتاخ ، فلقي ابن الزيّات راكباً يريد دار الخليفة .

فقال له : تنزل عن دابّتك ، وتجلس على غاشيتك .

فارتاع وظنّ أنّه قد وقع به الحال ، فنزل ، وجلس على غاشيته ، فأوصل إليه التوقيع ، فامتنع ، وقال : إذا أطلقت هؤلاء فمن أين أنفق الأموال ، وأقيم الأنزال[4] ؟

فقال له : لا بدّ من ذلك .

فقال : أركب إليه وأستأذنه .

فقال : ما إلى ذلك سبيل .

قال : فدعني أكاتبه .

قال : ولا هذا .

قال : فما تركه يبرح من موضعه ، حتّى وقّع بإطلاق النّاس .

فصار إيتاخ إلينا ، ونحن في الحبس ، آيس ما كنّا من الفرج ، وقد بلغنا شدّة علّة الواثق ، وأن قد أرجف لابنه بالخلافة ، وكان صبيّاً ، فخفنا أن يتمّ

---

٢ إيتاخ : القائد الخزريّ : ترجمته في حاشية القصّة ٧٣ من هذا الكتاب .

٣ الغاشية : كل ما يغطّي الشيء . وغاشية السرج غطاؤه (مفردات الراغب ٣٦٦) .

٤ النزل (بفتح النون والزاي) . وجمعه أنزال : الأرزاق والأعطية .

[١٠٧ غ] ذلك ، فيجعل ابن الزيّات الصبيَّ [٧٧ ظ] شبحاً ، ويتولّى التدبير فيتلفنا ، وقد امتنعنا لفرط الغمّ من الأكل .

فلمّا دخل علينا إيتاخ ، لم نشكّ أنّه قد حضر لبليّة ، فأطلقنا ، وعرّفنا الصّورة ، فدعونا للخليفة ، ولأحمد بن أبي دؤاد ، وانصرفنا إلى منازلنا لحظة ، ثمّ خرجنا فوقفنا لأبي عبد الله بن أبي دؤاد على الطريق ، ننتظر عوده من دار الخليفة عشيّاً .

فحين رأيناه ترجّلنا له ، فقال : لا تفعلوا ، وأكبر ذلك ، ومنعنا من الترجّل ، فلم نمتنع ، ودعونا له وشكرناه .

فوقف حتّى ركبنا وسايرناه ، وأخذ يخبرنا بالخبر ، ونحن نشكره ، وهو يستصغر ما فعل ، ويقول : هذا أقلّ حقوقكم ، وكان الّذي لقيه أنا وأحمد بن الخصيب .

وقال لنا : ستعلمان ما أفعله مستأنفاً .

ثمّ رجع ابن أبي دؤاد إلى دار الخليفة عشيّاً ، فقال له الواثق : قد تبرّكت برأيك يا أبا عبد الله ، ووجدت خفّة من العلّة ، ونشطت للأكل ، فأكلتُ وزن خمسة دراهم [٥] خبزاً بصدر درّاج [٦] .

فقال له أبو عبد الله : يا أمير المؤمنين ، تلك الأيدي الّتي كانت تدعو عليك غدوة ، صارت تدعو لك عشيّة ، ويدعو لك بسببهم خلق كثير من رعيّتك ،

---

٥ الدرهم : يونانية ، دراخمه (تفسير الألفاظ الدخيلة ٢٧) ، تعادل في الوزن سبعة أعشار المثقال ، أي انّ المثقال الواحد يزن درهماً وثلاثة أسباع الدرهم (مفاتيح العلوم ١١) .

٦ الدرّاج : طائر شبيه بالحجل ، أكبر منه ، قصير المنقار ، يكثر في وسط العراق وجنوبيه ، واحدته درّاجة ، للتفصيل راجع معجم الحيوان لأمين المعلوف ١٨٤ وقوله : صدر درّاج ، لأنّ المعروف أنّ أطيب ما في الدرّاج صدره ، كما أنّ أطيب ما في الدجاج أفخاذه ، راجع القصّة ١ / ١٧٨ من كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للقاضي التنوخيّ ج ١ ص ٣٣٤ سطر ٤ - ٩ .

إلّا أنّهم قد صاروا إلى دور خراب ، وأحوال قبيحة ، بلا فرش ، ولا كسوة ، ولا دواب ، ولا ضياع ، موتى جوعاً وهزالاً .

قال : فما ترى ؟

قال : في الخزائن والاصطبلات بقايا ما أخذ منهم ، فلو أمرت أن ينظر في ذلك ، فكلّ من وجد له شيء باقٍ من هذا ردّ عليه ، وأطلقت لهم ضياعهم ، لعاشوا ، وخفّ الألم [7] ، وتضاعف الدّعاء ، وقويت العافية .

قال : فوقّع عنّي بذلك ، فوقّع عنه أحمد بن أبي دؤاد .

فما شعرنا من الغد ، إلّا وقد [٧٨ م] رجعت علينا نعمتنا . ومات الواثق بعد ثلاثة أيّام .

وفرّج الله عنّا بابن أبي دؤاد ، وبقيت له هذه المكرمة العظيمة في اعناقنا [8] .

[وقد ذكر محمّد بن عبدوس ، هذا الخبر ، في كتاب الوزراء ، عن محمّد بن داود بن الجرّاح ، عن عبيد الله بن سليمان ، بما يقرب من هذه الالفاظ ، والمعنى واحد ، إلّا أنّه لم يذكر أنّه كان معهم في الحبس أحمد بن الخصيب .] [9]

ج – انقاذ أبي دلف من موت محقّق

حدّثني أبي رضي الله عنه ، في المذاكرة ، بإسناد لست أقوم عليه ، لأنّي لم أكتبه في الحال ، قال :

كان ابتداء العداوة بين أبي عبد الله أحمد بن أبي دؤاد ، وبين الإفشين ،

---

٧ في م : وخفّ الإثم .

٨ وردت القصّة في المستجاد ص ١٤١ – ١٤٤ ونقلها باختصار صاحب حل العقال ص ٤٦ .

٩ الزيادة من غ .

أنّ الإفشين[1] كان أغرى المعتصم بأبي دلف القاسم بن عيسى العجلي[2] ، لعداوة كانت بينهما[3] ، فسلّمه إليه المعتصم ، فأجمع على قتله مِنْ يومه ذاك .

وبلغ الخبر أبا دلف ، فارتحل إلى ابن أبي دؤاد ، فاستجار به ، وعرّفه ما قد أشرف عليه .

فجاء ابن أبي دؤاد إلى المعتصم ليسأله عن أمره ، فوجده نائماً ، فكره أن

---

١ أبو الحسن خيذر بن كاوس ، الملقّب بالإفشين : من أعاظم القوّاد في الدولة العباسيّة ، أصله من أشروسنة ، وهو الذي أخمد ثورة بابك الخرميّ ، اعتقله المعتصم في السنة ٢٢٥ ، واتّهم بالخيانة ، وحوكم ، ثم أخرج ميتاً ، فصلب بباب العامّة في السنة ٢٢٦ راجع تفاصيل محاكمته في الطبري ٩ / ١٠٤ – ١١٤ والكامل لابن الأثير ٦ / ٥١٠ – ٥١٨ والعيون والحدائق ٤٠٤ – ٤٠٧ ، وكان طاغية ، لجوجاً ، شديد العربدة ، راجع في وفيات الأعيان ٣٨٨/١ قصّته مع إبراهيم بن المهديّ .

٢ أبو دُلَف القاسم بن عيسى بن إدريس بن معقل العجليّ : أمير عربي ، قائد ، شجاع ، جواد ، شاعر ، فارس ، موسيقي ، قلّده الرشيد أعمال الجبل ، وارتفع شأنه في عهد المأمون والمعتصم ، توفّي سنة ٢٢٦ (الأعلام ٦ / ١٣) ، طعن مرّة فارساً فنفذت الطعنة فيه وفي آخر وراءه رديفه ، فقتلتهما معاً ، فقال بكر بن النطّاح [وفيات الأعيان ٤ / ٧٥]

قالوا وينظم فارسين بطعنةٍ ... يوم الهياج ولا تراه كليلا
لا تعجبوا فلو انّ طول قناته ... ميلاً ، إذن نظم الفوارس ميلا

وكان أبو عبد الله بن أبي دؤاد ، قاضي القضاة ، ينكر أمر الغناء إنكاراً شديداً ، فأعلمه المعتصم ، أنّ صديقه أبا دلف يغنّي ، فقال : ما أراه – مع عقله – يفعل ذلك ، فستر أحمد بن أبي دؤاد في موضع ، وأحضر أبا دلف ، وأمره أن يغنّي ، ففعل ذلك ، وأطال ، ثم أخرج أحمد بن أبي دؤاد عليه من موضعه ، والكراهة ظاهرة في وجهه ، فلما رآه أحمد قال : سوأة لهذا من فعل ، بعد هذا السنّ ، وهذا المحلّ ، تضع من نفسك كما أرى ؟ فخجل أبو دلف ، وتشوّر ، وقال : إنّهم أكرهوني على ذلك ، فقال : هبهم أكرهوك على الغناء ، أفأكرهوك على الإحسان والإصابة ؟ (الأغاني ٨ / ٢٥١) .

٣ وردت مقدمّة القصّة في وفيات الأعيان ١ / ٨٢ كما يلي : كان الإفشين يحسد أبا دلف ، للعربية ، والشجاعة ، فاحتال عليه حتى شهد عليه بجناية وقتل ، فأخذه ببعض أسبابه ، فجلس له وأحضره ، وأحضر السيّاف ليقتله ، فبلغ ابن أبي دؤاد الخبر ، فركب من وقته ... الخ .

يقيمه وينبّهه ، وخاف أن يشرع الإفشين في قتل أبي دلف ، فجاء إلى الإفشين فقال له : يقول لك أمير المؤمنين ، بلّغني أنّك تريد أن تحدث على القاسم بن عيسى حادثة ، ووالله لئن فعلت لأقتلنّك ، ولم يكن المعتصم أرسله ، ولا قال له شيئاً [٤٠ ن] .

فرهب الإفشين أن يقتل أبا دلف .

وعاد ابن أبي دؤاد إلى المعتصم ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : ليس الكذّاب من أصلح بين النّاس ، فقال خيراً ، ومنّي خيراً ، وقد أدّيت عنك رسالة أحييت بها أهل بيت من المسلمين ، وكففت بها أسياف خلق من العرب ، بلغني أنّ الإفشين عزم على قتل القاسم بن عيسى العجلي ، فأدّيت إليه عنك رسالة هي كذا وكذا ، فحقنت دم الرّجل ، ونعشت عياله ، وكففت عنك عصيان عجل ومن يتبعها ممّن يتعصّب له فيتّفق عليك من ذلك ما تغتمّ به ، والرّجل في يده مشفٍ على القتل .

فقال له المعتصم : قد أحسنت .

ووجّه الإفشين إلى ابن أبي دؤاد : لا تأتيني ، ولا تقربني .

فقال للرّسول : أتؤدّي عنّي كما أدّيت إليّ ؟

قال : قل .

قال : قل له : ما آتيك تعزّزاً من ذلّة ، ولا تكثّراً من قلّة ، وإنّما أنت رجل ساعدك زمان ، ورفعك سلطان ، فإن جئتك فله ، وإن تأخّرت عنك فلنفسك .

أخبرني القاضي أبو طالب محمّد بن إسحاق بن البهلول التّنوخي ، فيما أجاز لي روايته عنه ، بعدما سمعته منه ، قال : حدّثنا محمّد بن خلف ، وكيع القاضي ، قال : أخبرنا موسى بن جعفر ، أخو نعس [٤] الكاتب ، قال :

٤ كذا وردت في الأصل ، بلا نقط ، وأحسب أنّ اسمه : يعيش .

كان أحمد بن أبي دؤاد حين ولي المعتصم الخلافة ، عادى الإفشين وحرّض عليه المعتصم ، وذكر حديثاً طويلاً ، ليس هذا موضعه .

ثمّ قال فيه : وكان سبب العداوة بين أحمد بن أبي دؤاد ، وبين الإفشين ، أنّ الإفشين أراد قتل أبي دلف القاسم بن عيسى العجلي ، فاستجار بابن أبي دؤاد ، ثمّ ذكر نحواً مما ذكرته عن أبي رضي الله عنه ، إلّا أنّه لم يقل في خبره أنّ ابن أبي دؤاد جاء إلى المعتصم فوجده نائماً ، ثمّ عاد فوجده قد انتبه ، وقال في آخر حديثه : وإنّما أنت رجل رفعتك دولة ، فإن جئتُ فلها ، وإن قعدتُ فعنك .

وأخبرني أبو الفرج المعروف بالأصبهاني ، قال : قال أحمد بن أبي طاهر :

كان أبو دلف القاسم بن عيسى العجلي ، في جملة من كان مع الإفشين خيذر بن كاوس لما خرج لمحاربة بابك . ثمّ تنكّر له ، فوجّه من جاءه به ليقتله .

وبلغ المعتصم الخبر ، فبعث إليه بأحمد بن أبي دؤاد ، وقال له : أدركه ، وما أراك تدركه ، واحتل في خلاصه منه كيف شئت .

قال أحمد : فمضيت ركضاً ، حتّى وافيته ، فإذا أبو دلف واقف بين يديه ، وقد أخذ بيده غلامان له تركيان ، فرميت بنفسي على البساط ، وكنت إذا جئته دعا لي بمصلّى .

فقال : سبحان الله ، ما حملك على هذا ؟

قلت : أنت أجلستني هذا المجلس ، ثمّ كلّمته في القاسم بن عيسى ، وسألته فيه ، وخضعت له ، فجعل لا يزداد إلّا غلظة .

فلمّا رأيت ذلك منه ، قلت ، هذا عبد ، وقد أغرقت في الرقّة معه فلم تنفع ، وليس إلّا أخذه بالرهبة .

فقمت ، وقلت : كم تراك قدّرت في نفسك تقتل أولياء أمير المؤمنين واحداً بعد واحد ، وتخالف أمره في قائد بعد قائد ؟ قد حملت إليك هذه الرّسالة عن

أمير المؤمنين ، فما تقول ؟

فقلّ ، وذلّ ، حتّى لصق بالأرض ، وبان لي الاضطراب فيه .

فلمّا رأيت ذلك ، نهضت إلى أبي دلف ، فأخذت بيده ، وقلت : قد أخذته بأمر أمير المؤمنين .

فقال : لا تفعل ، يا أبا عبد الله .

فقلت : قد فعلت ، وأخرجت القاسم ، وحملته على دابّة ، ووافيت المعتصم .

فلمّا بصر بي ، قال : بك يا أبا عبد الله وريت زنادي ، ثمّ سرد عليّ خبري مع الإفشين ، حديثاً ما أخطأ فيه حرفاً .

ثمّ سألني : هل هو كما قال ؟ فاخبرته أنّه لم يخطئ حرفاً واحداً .

وأخبرني أبو علي محمّد بن الحسن بن المظفّر ، المعروف بالحاتميّ ، قال : حدّثني أبي ، قال : حدّثني جدّك المظفّر بن الحسن ، قال : حدّثني أبو العباس ابن الفرات قال : حدّثني أبو إسحاق إبراهيم بن ثوابة ، قال :

كان الإفشين نقم على أبي دلف العجلي ، وهو مضموم إليه في حرب بابك ، أشياء ، فلمّا ظفر ببابك ، وقدم سرّ من رأى ، شكاه إلى المعتصم ، وسأله ليأمره به[5] ، ففعل ، ثم سأله أن يطلق يده عليه ، فلم يفعل[6] ، وكان أحمد بن أبي دؤاد متعصّباً لأبي دلف ، يقول للمعتصم : إنّ الإفشين ظالم له ، وإنّما نقم عليه نصيحته في محاربة بابك ، وجدّه فيها ، ودَفْعَهُ ما كان الإفشين يذهب إليه من مطاولة الأيّام ، وإنفاق الأموال ، وانبساط اليد في الأعمال ، وتركَهُ متابعته على ذلك ،

فألحّ الإفشين على المعتصم بالله في إطلاق يده عليه ، وكان للإفشين قدر جليل عند المعتصم ، يدخل عليه بغير إذن .

---

٥ كذا ورد في الأصل .

٦ كذا ورد في الأصل . وأحسب أنّ الصحيح : ففعل .

قال أبو إسحاق ، وأنبأنا أبو عبد الله بن أبي دؤاد ، قال : دخلت على المعتصم يوماً ، فقال : يا أبا عبد الله ، لم يدعني اليوم أبو الحسن الإفشين حتّى أطلقت يده على القاسم بن عيسى .

فقمت من بين يديه ، وما أبصر شيئاً خوفاً على أبي دلف ، ودخلني أمر عظيم ، وخرجت فركبت دابّتي ، وسرت أشدّ سير من الجوسق إلى دار الإفشين بقرب المطيرة ، أؤمّل أن أدرك أبا دلف قبل أن يحدث الإفشين عليه حادثة .

فلمّا وقفت ببابه ، كرهت أن أستأذن فيعلم أنّي قد حضرت بسبب أبي دلف ، فيعجّل عليه ، فدخلت على دابتي إلى الموضع الّذي كنت أنزل فيه ، وأوهمت حاجبه أنّي قد جئت برسالة المعتصم ، ثمّ نزلت ، فرفع الستر ، فدخلت ، فوجدت الإفشين في موضعه ، وأبو دلف مقيّد بالحديد بين يديه في نطع ، وهو يقرّعه ، ويخاطبه بأشدّ غضب وأعظم مخاطبة .

فحين قربت منه أمسك ، فسلّمت ، وأخذت مجلسي ، ثمّ قلت للإفشين : قد عرفت حرمتي بأمير المؤمنين ، وخدمتي إيّاه ، وموضعي عنده ، وموقعي من رأيه ، وتفرّده بالصنيعة عندي والإحسان ، وعلمت مع ذلك ميلي إليك ، ومحبّتي لك ، وقد رغبت إليك فيما يرغب فيه مثلي إلى مثلك ، ممّن رفع الله قدره ، وأجلّ خطره ، وأعلى همّته .

فقال : كلّ ما قلت كما قلت ، وكلّ ما أردت فهو مبذول لك ، خلا هذا الجالس ، فإنّي لا أشفّعك فيه .

فقلت : ما جئتك [٤١ ن] إلّا في أمره ، ولا ألتمس منك غيره ، ولولا شدّة غضبك ، وما تتوعّده به من القتل ، لكان في جميل عفوك ما يغني عن كلامك ، ولكنّي لما عرفت غيظك ، وما تنقمه عليه ، احتجت – مع موقعه منّي – إلى كلمة في أمره ، واستيهاب عظيم جرمه ، إذ كان مثلك في جلالتك إنّما يسأل جلائل الامور .

فقال : يا أبا عبد الله ، هذا رجل طلب دمي ، ولم تقنعه إزالة نعمتي ، ولا سبيل إلى تشفيعك فيه ، ولكن هذا بيت مالي ، وهذه ضياعي ، وكلّ ما أملك بين يديك ، فخذ من ذلك كلّه ما أردت .

فقلت : بارك الله لك في أموالك وثمّرها ، لم آتك في هذا ، وإنّما أتيتك في مكرمة يبقى لك فضلها ، وحسن أحدوثتها ، وتعتقد بها منّة في عنقي ، ولا أزال مرتهناً في شكرها .

فقال : ما عندي في هذا شيء البتّة .

فقلت له : القاسم بن عيسى فارس العرب وشريفها ، فاستبقه ، وأنعم عليه ، فإن لم تره لهذا أهلاً ، فهبه للعرب كلّها ، وأنت تعلم أنّ ملوك العجم لم تزل تفضل على ملوك العرب ، ومن ذلك ما كان من كسرى إلى النّعمان حتّى ملّكه ، وأنت الآن بقيّة العجم وشريفها ، والقاسم شريف العرب ، فكن اليوم شريفاً من العجم أنعم على شريف من العرب ، وعفا عنه .

فقال : ما عندي في هذا جواب إلّا ما سمعت ، وتنكّر ، وتبيّنت الشرّ في وجهه .

فقلت في نفسي : أنصرف ، وأدع هذا يقتل أبا دلف ؟ لا والله ، ولكن أمثل بين يديه قائماً ، وأكلّمه ، فلعله أن يستحي ، فقمت ، وتوهّمني أريد الانصراف ، فتحفّز لي .

فقلت : لست أريد الانصراف ، وإنّما مثلت بين يديك قائماً ، صابراً ، راغباً ، ضارعاً ، سائلاً ، مستوهباً هذا الرّجل منك .

فكان جوابه أغلظ .

فتحيّرت ، وقلت في نفسي : أنكبّ على رأسه ، فأقبّله . فدخلني من

ذلك أَنَفٌ شديد[7] ، وقلت في نفسي : أقبّل رأس هذا الأقلف[8] ؟ لا يكون هذا أبداً .

ثمّ راجعتني الشّفقة على أبي دلف ، فقبّلت رأسه ، وضرعت إليه ، فلم يجبني ، فأخذني ما قدم وما حدث .

فجلست ، وقلت له : يا أبا الحسن ، قد طلبت منك ، وضرعت إليك ، ووضعت خدّي لك ، ومثلت بين يديك ، وقبّلت رأسك ، فشفّعني ، واصرفني شاكراً ، فهو أجمل بك .

فقال : لا والله ، ما عندي غير الّذي قلته لك .

فقلت له : أنا رسول أمير المؤمنين إليك ، وهو يقول لك : لا تحدث في القاسم بن عيسى حدثاً ، فإنّك إن قتلته قتلتَ به .

قال : أمير المؤمنين يقول هذا بعد أن أطلق يدي عليه ؟

قلت : نعم ، أنا رسوله إليك بما قلته لك ، فإن كنت في الطّاعة فاسمع وأطع ، وإن كنت قد خلعت ، فقل : لا طاعة ، ونفضت في وجهه يدي ، ونهضت .

فاضطرب حتّى لم يقدر أن يدعو لي بدابّتي .

وركبت ، فأغذذت السير إلى المعتصم ، لأخبره الخبر ، وبما اضطررت إليه من تأدية رسالته ، لأنّي علمت أنّه لم يقل لي ما قاله ، إلّا وهو يحبّ استبقاء أبي دلف .

فانتهيت إلى الجوسق في وقت حار ، والحجّاب جميعاً نيام ، والدّار خالية ، فدخلت حتّى انتهيت إلى ستر الدّار الّتي فيها المعتصم ، فجلست ، وقلت :

---

٧ الأَنَفُ : الترفّع والتنزّه .

٨ الأقلف : الذي لم يختتن .

إن جاء الإفشين دخلت معه وتكلّمت ، وإن سأل الوصول ، أخبرت أمير المؤمنين الخبر كلّه .

فبينا أنا كذلك ، إذ خرج خادم من وراء الستر ، فعرّفته ، ثمّ دخل وخرج فقال : آدخل .

فدخلت ، وقلت : يا أمير المؤمنين ، أما لي حرمة ؟ أما لي ذمام ؟ أما لي حقّ ؟ أما في فضل أمير المؤمنين عليّ ، ونعمته عندي ، ما تجب رعايته ؟

فقال : ما لك يا أبا عبد الله ؟ ما قصّتك ؟ اجلس ، فجلست .

ثمّ قلت : يا أمير المؤمنين ، قلتَ لي اليوم في القاسم بن عيسى قولاً علمت معه أنّك أردت استبقاءه وحقن دمه ، فمضيت من فوري إلى أبي الحسن الإفشين ، ثمّ قصصت عليه القصّة إلى موضع الرّسالة الّتي أدّيتها عنه إليه ، وهو في كلّ ذلك يتغيّظ ، ويفتل سباله[9] ، حتّى إذا أردت أن اعرّفه الرّسالة الّتي أدّيتها عنه ، قطع ، وقال : يمضي قاضيّ ، وصنيعتي أحمد بن أبي دؤاد إلى خيذر ، فيخضع له ، ويقف بين يديه ، ويقبّل رأسه ، فلا يشفّعه ؟ قتلني الله إن لم أقتله ، يكرّرها .

فما استوفى كلامه ، حتّى رفع السّتر ودخل الإفشين ، فلقيه بأكبر البرّ والإكرام ، وأجلسه بقربه ، وقال : في هذا الوقت الحارّ يا أبا الحسن ؟

فقال : يا أمير المؤمنين ، رجل قد عرفتَ ما نالني منه ، وأنّه طلب دمي ، وقد اطلقت يدي عليه ، يجيئني هذا ، ويقول لي إنّك بعثتَ إليّ تأمرني أن لا أحدث فيه حَدَثاً ، وأنّي إن قتلته قتلت به . ؟

قال : فغضب ، وقال : أنا أرسلته إليك ، فلا تحدث على القاسم بن عيسى حدثاً .

فنهض الإفشين مغضباً يدمدم ، واتّبعته لأتلافاه ، فصاح بي المعتصم :

---

٩ السبال : شعر الشارب .

ارجع يا أبا عبد الله ، فرجعت ، وقلت : يا أمير المؤمنين ، إنّه كان بقي شيء مما جرى منّي قطعتني بكلامك عن ذكره لك .

قال : تعني الرّسالة ؟

قلت : نعم .

قال : قد فهمتها ، والقاسم يوافيك العشيّة ، فاحذر أن تفوه بشيء ممّا جرى .

ومضى الإفشين ، فأطلق القاسم ، وخلع عليه ، وحمله ، فجاءني القاسم من العشيّة .

وما أخبرت بالحديث حتّى قتل الإفشين ومات المعتصم[10] .

---

١٠ انفردت بها ن .

١٦٥

الصريفيني الكاتب يعلّم العمّال حسن الصرف

[حدّثني أبو الحسين علي بن هشام ، قال : سمعت أبا الحسن عليّ بن عيسى ، وأبا الحسن الايادي الكاتب ، يقولان : إنّهما سمعا][1] عبيد الله بن سليمان[2] ، يقول :

كنت بحضرة أبي[3] ، في ديوان الخراج بسرّ من رأى ، وهو يتولّاه – إذ ذاك – إذ دخل علينا أحمد بن خالد الصريفيني الكاتب[4] ، فقام له أبي قائماً في مجلسه ، وأقعده في صدره ، وتشاغل به ، ولم ينظر في عمل حتّى نهض ، ثمّ قام معه ، وأمر غلمانه بالخروج بين يديه .

فاستعظمت أنا ، وكلّ من في الدّيوان ذلك ، لأنّ رسم أصحاب الدواوين ، صغارهم وكبارهم ، أن لا يقوموا في الدّيوان لأحد من خلق الله عزّ وجلّ ، ممّن يدخل إليهم .

---

١ الزيادة من غ ، والإيادي : نسبة إلى إياد بن نزار بن معدّ بن عدنان (اللباب ١ / ٧٧) .

٢ أبو القاسم عبيد الله بن سليمان بن وهب الحارثي ، وزير المعتمد والمعتضد .

٣ أبو أيّوب سليمان بن وهب الحارثي ، وزير المهتدي والمعتمد .

٤ أبو الوزير أحمد بن خالد الصريفيني : نسبته إلى صريفين ، على ما ورد في اللباب ٢ / ٥٤ ، وإلى صريفون ، على ما ورد في معجم البلدان ٣ / ٣٨٤ ، وجاء في المعجم وفي المفترق صقعاً ٢٨٢ : أنّ الاسم يطلق على ثلاثة مواضع الأوّل : قرية قرب عكبرا ، والثاني : قرية تحت واسط ، والثالث : قرية من قرى الكوفة . كان أحمد بن خالد يكتب للمعتصم (الطبري ٩ / ١٧) وصادره الواثق (الطبري ٩ / ١٢٥ والكامل ٧ / ١٠ وتجارب الأمم ٦ / ٥٢٨) وكان ممن أشار بتولية محمّد بن الواثق ، لما توفي والده (الطبري ٩ / ١٥٤ والكامل لابن الأثير ٧ / ٣٣ وتجارب الأمم ٦ / ٥٣٥) فحقدها عليه المتوكّل وصادره وصادر أخاه وكاتبه (الطبري ٩ / ١٦٢ والكامل لابن الأثير ٧ / ٣٩) ثم ولّي خراج مصر (الولاة والقضاة للكنديّ ص ٢٠٠ سطر ١٦) .

وتبيّن ذلك أبي في وجهي ، فقال لي : يا بنيّ ، إذا خلونا ، فسلني عن السّبب فيما عملته مع هذا الرّجل .

قال : وكان أبي يأكل في الدّيوان ، وينام فيه ، ويعمل عشيّاً .

فلمّا جلسنا نأكل ، لم أذكّره ، إلى أن رأيت الطعام قد كاد ينقضي ، فقال لي : يا بنيّ شغلك الطعام عن إذكاري بما قلت لك أن تذكّرني به ؟ .

فقلت : لا ، ولكن أردت أن يكون ذلك على خلوة .

فقال : يا بنيّ ، هذا وقت خلوة ، ثمّ قال : أليس قد أنكرت ، أنت والحاضرون ، قيامي لأحمد بن خالد ، في دخوله وخروجه ، وما عاملته به ؟ .

فقلت : بلى .

قال : كان هذا يتقلّد مصر [5] ، فصرفته عنها [6] ، وقد كانت [١٠٨ غ] طالت مدّته فيها ، فتتبّعته ، فوطئت آثار رجل لم أجد أجمل منه آثاراً ، ولا أعفّ عن أموال السلطان والرعيّة ، ولا رأيت رعيّة لعامل أشكر من رعيّته له .

وكان الحسين الخادم المعروف بعرق الموت صاحب البريد بمصر [7] ، من أصدق النّاس له ، وكان مع هذا من أبغض النّاس ، وأشدّهم اضطراباً في أخلاقه ، فلم أتعلّق عليه بحجّة .

ووجدته قد أخّر رفع الحساب لسنة متقدّمة ولسنّته الّتي هو فيها ، ولم يستتمّها لصرفي له عنها ، ولم ينفذه إلى الدّيوان ، فسمته أن يحطّ من الدّخل ، وأن يزيد في النّفقات والأرزاق ، ويكسر من البقايا ، في كلّ سنة مائة ألف دينار ،

---

٥ راجع كتاب الولاة والقضاة للكنديّ ص ٢٠٠ سطر ١٦ .

٦ راجع كتاب الولاة والقضاة للكنديّ ص ٢٠٣ سطر ١٤ و١٥ وص ٥٠٨ سطر ٢ و٣ .

٧ حسين الخادم : الطواشي ، المعروف بعرق الموت ، كان على بريد مصر أيّام المتوكّل (كتاب الولاة والقضاة للكنديّ ٢٠٨ و٤٦٢) ثم عاد إلى بغداد ، واستقرّ في خدمة المعتمد (الطبري ٩ / ٤٧٥ والكامل ٨ / ٢٣٨) .

لآخذها لنفسي ، فامتنع من ذلك ، فأغلظت له ، وتوعّدته [٧٨ ظ] ونزلت معه إلى مائة ألف واحدة للسّنتين ، وحلفت بأيمان مؤكّدة[٨] ، أنّي لا أقنع منه بأقلّ منها .

فأقام على امتناعه ، وقال : أنا لا أخون لنفسي ، فكيف أخون لغيري ، وأزيل ما قام به جاهي من العفاف ؟

فقيّدته وحبسته ، فلم يجب ، وأقام مقيّداً في الحبس شهوراً .

وكتب عرق الموت ، صاحب البريد ، إلى المتوكّل يضرّب عليّ[٩] ويحلف أنّ أموال مصر لا تفي بنفقتي ومؤونتي ، ويصف أحمد بن خالد ، ويذكر ميل الرّعية إليه ، وعفّته .

فبينا أنا ذات يوم على المائدة آكل ، إذ وردت عليّ رقعة أحمد بن خالد ، يسألني استدعاءه لمهمّ يلقيه إليّ ، فلم أشكّ أنّه قد غرض[١٠] بالقيد والحبس ، وقد عزم على الاستجابة لمرادي .

فلمّا غسلت يدي دعوته ، فاستخلاني ، فأخليته ، فقال : أمّا آن لك يا سيّدي أن ترقّ لي ممّا أنا فيه ، من غير ذنب أذنبته إليك ، ولا جرم ، ولا قديم ذحل[١١] ، ولا عداوة .

---

٨ في غ : بأيمان مغلظة .

٩ كان الحسين الخادم طواشياً ، وكان سليمان بن وهب ، من أصل نصراني ، وكانا يتباغضان ، فزار سليمان بن وهب ، الحسين الخادم مرّة ، وطلب ماء ، فلما شرب ، أمر الغلام بان يحضر له عود خلال يخلّل به أسنانه ، يعرّض بالحسين الخادم ، أنّ الطواشيّ إذا شاخ ، تنسّك ، وأخذ يبري أعواد الخلال ، وشعر الحسين بالغمزة ، فقال للغلام : أحضر عودين من أعواد الخلال ، وصنع باصبعه اشارة الصليب ، يعرض بسليمان انّه نصراني من عائلة نصارى ، وانّه انّما يتظاهر بالإسلام تقاة .

١٠ غَرِض ، بكسر الراء : ضجر وملّ .

١١ الذحل : الثأر ، العداوة والحقد .

فقلت : أنت اخترتَ لنفسك هذا ، ولو أجبتني إلى ما قد سمعتَ يميني عليه ، لتخلّصت ، فاستجب لما أريد منك .

فأخذ يستعطفني ، فجاءني ضدّ ما قدّرته فيه ، وغاظني ، فشتمته ، وقلت : هذا الأمر المهمّ الّذي ذكرتَ في رقعتك أنّك تريد أن تلقيه إليّ هو أن تستعطفني ، وتسخر منّي[12] ، وتخدعني .

فقال : يا سيّدي ، فليس عندك الآن غير هذا ؟

فقلت : لا .

فقال : إذا كان ليس غير هذا ، فاقرأ يا سيّدي هذا ،

وأخرج إليّ كتاباً لطيفاً مختوماً في ربع قرطاس ، ففضضته [٧٩ م] ، فإذا هو بخطّ المتوكّل الّذي أعرفه ، إليّ ، بالانصراف ، وتسليم ما أتولّاه إلى أحمد بن خالد ، والخروج إليه مما يلزمني ، ورفع الحساب إليه ، والامتثال لأمره .

فورد عليّ ذلك أقبح مورد ، لقرب عهد الرّجل بشتمي له ، وأنّه في الحال تحت مكارهي وحديدي ، فأمسكت مبهوتاً .

ولم ألبث أن دخل أمير البلد في أصحابه وغلمانه ، فوكّل بداري ، وجميع ما أملكه ، وبأصحابي ، وغلماني ، وجهابذتي ، وكتّابي ، وجعلت أزحف من الصّدر ، حتّى صرت بين يدي أحمد بن خالد وهو في قيوده .

فدعا أمير البلد بحدّاد ، ففكّ قيوده ، [فمددت رجليّ ، ليوضع فيهما القيد ، فقال لي : يا أبا أيّوب ، ضمّ أقدامك][13] ووثب قائماً ، وقال لي : يا أبا أيّوب : أنت قريب عهد بعمالة هذا البلد ، ولا منزل لك فيه ، ولا صديق ، ومعك حرم وحاشية كبيرة ، وليس تسعك إلّا هذه الدّار – وكانت دار العمالة –

---

١٢ في المستجاد : وتستجير بي ص ٣٨ .

١٣ الزيادة من كتاب المستجاد ص ٣٨ .

وأنا أجد عدّة مواضع ، وليس لي كبير حاشية ، ومن نكبة خرجتُ ، فأقم بمكانك .

وخرج ، وصرف التوكيل [١٤] عنّي ، وعن الدّار ، وأخذ كتّابي وأسبابي إليه .

فلمّا انصرف ، قلتُ لغلماني : هذا الّذي نراه في النوم ، انظروا من وكّل بنا ؟

فقالوا : ما وكّل بنا أحدٌ .

فعجبت من ذلك عجباً شديداً . وما صلّيت العصر حتّى عاد إليّ جميع من حمله معه من المتصرّفين والكتّاب والجهابذة ، وقالوا : أخذ خطوطنا برفع الحساب ، وأمرنا بالملازمة ، وأطلقنا ، فازداد عجبي .

فلمّا كان من الغد ، باكرني مسلّماً ، ورحت إليه في عشيّة ذلك اليوم [١٠٩ غ] مسلّماً عليه .

فأقمت على ذلك ثلاثين يوماً ، يغدو إليّ ، وأروح إليه ، وربما غدوت أنا ، وراح هوَ [١٥] ، وهداياه وألطافه تأتيني في كلّ يوم من الفاكهة ، والثلج ، والحيوان ، والحلوى .

فلمّا كان بعد ثلاثين يوماً ، جاءني ، فقال لي : قد عشقتَ مصر يا أبا أيّوب ، والله ما هي طيّبة الهواء . ولا عذبة الماء ، وإنّما تطيب بالولاية والاكتساب ، ولو دخلتَ إلى سرّ من رأى ، لما أقمت إلّا شهراً حتّى تتقلّد أجلّ الأعمال .

فقلت له : والله ، ما أقمتُ إلّا توقّعاً لأمرك في الخروج .

فقال : أعطني خطّ كاتبك ، بأنّ عليه القيام بالحساب ، واخرج في حفظ الله ، فأحضرت كاتبي ، وأخذ خطّه كما أراد ، وتسلّمه ، وقال : اخرج في أيّ وقتٍ شئت .

---

١٤ التوكيل : مصطلح عبّاسيّ ، يراد به حجز الحريّة ، فيقال : وكّل به ، إذا نصب عليه حارساً يحول بينه وبين الفرار .

١٥ في غ : وأقمت ثلاثين يوماً إن سبقني إلى المجيء ، وإلاّ رحت إليه ، وإن راح ، وإلاّ باكرته .

فخرجت من غدٍ ، فخرج [٧٩ ظ] هو وأمير البلد وخاصّته[١٦] ، ووجوه أهله ، فشيّعوني إلى ظاهر البلد ، وقال لي : تقيم في أوّل منزلٍ على خمسة فراسخ ، إلى أن أزيح علّة[١٧] قائد يصحبك إلى الرّملة ، فإنّ الطّريق فاسد .

فاستوحشت من ذلك ، وقلت : هذا إنّما غرّني حتّى أخرج كلّ ما أملكه ، فيتمكّن منه في ظاهر البلد ، فيقبضه ، ثمّ يردّني إلى الحبس والتوكيل والمطالبة ، ويحتجّ عليّ بكتاب يذكر أنّه ورد عليه ثانياً .

فخرجت ، وأقمت بالمرحلة الّتي أمر بها ، مستسلماً ، متوقّعاً للشرّ ، إلى أن رأيت أوائل عسكر مقبل من مصر .

فقلتُ : لعلّه القائد الّذي يريد أن يصحبني ، أو لعلّه الّذي يريد أن يقبض عليّ به ، فأمرت غلماني بمعرفة الخبر .

فقالوا : قد جاء أحمد بن خالد العامل بنفسه .

فلم أشكّ إلّا أنّ البلاء قد ورد بوروده ، فخرجت من مضربي ، فلقيته وسلّمت عليه ، فلمّا جلس ، قال : أخلونا ، فلم أشكّ أنّه للقبض عليّ ، فطار عقلي ، فقام من كان عندي ، ولم يبق غيري وغيره .

فقال : أعلمُ أنّ أيّامك لم تطل بمصر ، ولا حظيتَ بكبير فائدة ، وذلك الباب الّذي سألتنيه في ولايتك فلم أستجب إليه ، إنّما أخّرت الإذن لك في الانصراف من أوّل الأمر إلى الآن ، لأنّي تشاغلت بالفراغ لك منه ، وقد حططتُ من الارتفاع[١٨] ، وزدتُ في النّفقات ، في كلّ سنة خمسة عشر ألف دينار ، تكون للسنتين ثلاثين ألف دينار ، وهو يقرب ولا يظهر [٨٠ م] ،

---

١٦ في غ ، وفي المستجاد ص ٤٠ : وقاضيه .

١٧ إزاحة العلّة : مصطلح عبّاسيّ ، يعني القيام بجميع ما يحتاج إليه من يراد إزاحة علّته ، فالجيش مثلاً ، يعتبر مزاح العلّة ، إذا كان أفراده قد أعطوا أرزاقهم ، وسدّت نفقاتهم ، وعرضت دوابّهم وبغالهم .

١٨ الارتفاع : الوارد .

ويكون أيسر ممّا أردته منّي ذلك الوقت ، وقد تشاغلت به حتّى جمعته لك ، وهذا المال على البغال قد جئتك به ، فتقدّم إلى من يتسلّمه .

فتقدّمت بقبضه ، وقبّلت يده ، وقلت : والله ، قد فعلتَ يا سيّدي ما لم تفعله البرامكة[19] ، فأنكر ذلك ، وتقبّض منه ، وقبّل يدي .

وقال : ها هنا شيء آخر أريد أن تقبله .

فقلت : وما هو ؟

قال : خمسة آلاف دينار[20] قد استحققتها من أرزاقي ، [فامتنعتُ من ذلك ، وقلت : فيما تفضّلت به كفاية .

فحلف بالطلاق ، أنّي أقبلها منه][21] ، فقبلتها .

ثمّ قال : وها هنا ألطاف من هدايا مصر ، أحببت أن أصحبك إيّاها ، فإنّك تمضي إلى كتّاب الدواوين ورؤساء الحضرة ، فيقولون لك : وليت مصر ، فأين نصيبنا من هداياها ؟ ولم تطل أيّامك ، فتعدّ لهم ذلك ، وقد جمعت لك منه ما يشتمل عليه هذا الثبت .

وأخرج اليّ درجاً فيه ثبت جامع لكلّ شيء في الدّنيا حسنٍ طريفٍ ، جليل القدر ، من ثياب دبيقيّ ، وقصب ، وخدم ، وبغال ، ودواب ، وحمير ، وفرش ، وطيب ، وجوهر ، حتّى أقلام ومداد ، ما يكون قيمته مالاً كثيراً .

فأمرت بتسلّمه ، وزدت في شكره .

فقال لي : يا سيّدي ، أنا [١١٠ غ] مغرى بحبّ الفَرْشِ[22] ، وقد استعمل

---

١٩ البرامكة : راجع حاشية القصّة ٣٠٠ من الكتاب .

٢٠ في غ : خمسة عشر ألف دينار .

٢١ الزيادة من غ ، ومن المستجاد ص ٤١ .

٢٢ في م : أنا مغرم بحب الفرش .

لي فرش بيت أرمنيّ[٢٣] ، وهو عشر مصلّيات بمخادّها ، ومساندها ، ومساورها ، ومطارحها ، وبسطها ، وهو مذهب ، بطرز مذهبة ، قد قام عليّ بخمسة آلاف دينار ، على شدّة احتياطي ، وقد أهديته لك ، فإن أهديته للوزير عَبَدَكَ ، وإن أهديته للخليفة ملكته به ، وإن أبقيته لنفسك وتجمّلت به ، كان أحبّ إليّ .

قال : وحمله ، فما رأيت مثله قط ، ولا سمحت نفسي بإهدائه إلى أحد ،

---

٢٣ الفَرْش : مصطلح يطلق على البُسُط والطنافس ، وتسمّى اليوم ببغداد زوالي ، مفردها زوليّة ، محرّفة عن : زلّيّة ، فصيحة ، ويبدو من هذه القصّة ، ومن القصّة ٨ / ١٧ من نشوار المحاضرة للتنوخيّ ، أنّ الفرش الأرمني – إذ ذاك – كان أعلى أنواع الفرش التي يرغب فيها الناس ، أمّا الآن ، فإنّ المرغوب فيه هو الفرش الايراني ، وأغلاه ثمناً ، وأدقّه صنعاً : الأصبهانيّ ، والنائيني ، ويليه الكرمانيّ ، وأرخصها ثمناً : التبريزيّ ، وكان الفرش الكامل للبيت ، يشتمل على عدّة من الطنافس متماثلة في اللّون والنقش ، مختلفة في المساحة ، فالصدر ، وهي أكبرها مساحة ، تفرش في وسط القاعة ، وتسمّى الآن ببغداد : أورطة ، ويفرش على جانبي الصدر : النخّان ، المفرد : نخ ، سجّادة مستطيلة ، قليلة العرض ، اسمها الآن ببغداد : يان ، وجمعها : يانات ، وإنّما سميت نخّاً ، تشبيهاً لها بنخي الطائر ، أي عظمي جناحه ، وأذكر استطراداً ، أنّ القاهر محمّد بن المعتضد ، لما خلع وسمل ، ثم خلع من بعده المتّقي إبراهيم بن المقتدر ، وسمل ، كتب القاهر إلى الخليفة المطيع يتنبّأ له بالخلع والسمل ، قال :

صرتُ وإبراهيم نخّي عمى لا بدّ للنخّين من صدر
ما دام توزون له إمرة مطاعة فالميل في الجمر

والمخادّ : وما يزال هذا اسمها ببغداد ، هي الوسائد ، وإنّما سميت مخدّة ، لأنّ الإنسان يضع عليها خدّه عند النوم ، والمساند : وسائد خاصة يستند إليها الجالس ، والمساور : وسائد مرتفعة توضع وراء ظهر الإنسان ، بينه وبين الحائط ، يتّكئ عليها ، راجع ما كتبه عنها أحمد تيمور في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ٢ / ١١ ، والمطارح : بسط صغيرة تطرح تحت الإنسان يجلس عليها ، ولا يكون فرش البيت كاملاً إلاّ إذا كانت في ضمنه ستائر مماثلة لبقية القطع في اللّون والنقش ، ومصلّيات : وهي قطع صغيرة للصلاة .

ولا استعماله ، وما ابتذلت منه شيئاً غير هذا الصّدر ومسنده ومساوره ، يوم إعذارك[٢٤] ، أفتلومني على أن أقوم لهذا الرّجل ، يا بنيّ ؟

فقلت : لا والله يا أبتِ ، ولا على ما هو أكثر من القيام ، لو كان مستطاعاً .

فكان أبي بعد ذلك ، إذا صَرَفَ رجلاً ، عامله بكلّ جميل ، ويقول : علّمنا أحمد بن خالد ، حسن الصّرف ، أحسن الله جزاءه[٢٥] .

---

٢٤ الأصل في الإعذار أنّه طعام يتخذ لسرور حادث ، قال الشاعر :

كـلّ الطعـام تشتهـي ربيعـة ... الخـرس والإعـذار والنقيعة

والخرس : طعام يصنع عند ولادة الوليد ، والنقيعة : طعام يتّخذ للقادم مَن السفر ، ثم أصبح الإعذار خاصاً بالاحتفال بختان الصبيّ .

٢٥ وردت القصّة في كتاب المستجاد من فعلات الأجواد للتنوخيّ ص ٣٥ – ٤٢ .

١٦٦
الخليفة المعتضدّ يتخبّر على وزيره

[حدّثنا أبو عليّ الحسن بن محمّد بن عليّ بن موسى الكاتب ، الّذي كان زوج ابنة أبي محمّد المهلّبي ، وخليفته على الوزارة ، وكان جدّه محدّثاً[1] ، قال :][2] حدّثني شيوخ الكتّاب :

أنّ القاسم بن عبيد الله الوزير ، لما انفرد بالوزارة بعد موت أبيه[3] ، كان يحبّ الشرب ، واللّعب ، ويخاف أن يتّصل ذلك بالمعتضد ، فيستنقصه ، وينسبه إلى الصبيانيّة ، والتهوّك[4] في اللّذات ، والتشاغل عن الأعمال ، وكان لا يشرب إلّا في الأحايين ، على أخفى وأستر ما يمكنه .

وأنّه خلا يوماً مع جواريه ، ولبس من ثيابهنّ المصبغات ، وأحضر [٨٠ ظ] فواكه كثيرة ، وشرب ، ولعب ، من نصف النّهار إلى نصف اللّيل ، ونام بقيّة ليلته ، وبكر إلى المعتضد على رسمه للخدمة ، [فما أنكر شيئاً .

وبكر في اليوم الثاني][2] ، فحين وقعت عين المعتضد عليه ، قال له : يا قاسم ، ما كان عليك لو دعوتنا إلى خلوتك ، وألبستنا معك من ثيابك المصبّغات .

قال : فقبّل الأرض ، وورّى عن الصّدق ، وأظهر الشكر على هذا البسط ، وخرج وقد كاد أن يتلف غمّاً لوقوف المعتضد على هذا السرّ ، وكيف رقي إليه ، وأنّه إذا لم يخف عليه هذا القدر من أمره ، فكيف تخفى عليه مرافقه[5] ، فجاء إلى داره كئيباً .

---

١ أبو القاسم عليّ بن موسى بن محمّد بن النضر الكاتب الانباريّ : ترجم له الخطيب في تاريخه ١١٣/١٢ .

٢ الزيادة من غ .

٣ كان انفراد القاسم بوزارة المعتضد ، بعد موت أبيه عبيد الله ، في السنة ٢٨٨ .

٤ التهوّك : التهوّر والوقوع في الشيء بلا مبالاة ولا رويّة .

٥ المرفق : الرشوة .

وكان له في داره صاحب خبر [6] جلد يرفع إليه الأمور ، فأحضره ، وعرّفه ما جرى بينه وبين المعتضد ، وقال له : ابحث لي عمّن أخرج هذا الخبر ، فإن فعلتَ ، زدتُ في رزقك وأجزتك بكذا وكذا [٦٢ ر] ، وإن لم تخرجه ، نفيتك إلى عمان ، وحلف له على الأمرين .

فخرج صاحب الخبر من حضرته متحيّراً كئيباً ، لا يدري ما يعمل في يومه ذلك ، مفكّراً كيف يجتهد ويحتال ، فما وقع له رأي يعمل عليه .

قال صاحب الخبر : فلمّا كان من الغد ، بكرت إلى دار القاسم ، زيادة [٨١ م] بكور على ما جرى به رسمي ، لفرط قلقي وسهري تلك اللّيلة ، ومحبّتي للبحث [7] .

فجئت ، ولم يُفتح باب دار القاسم بعد ، فجلست ، فإذا برجلٍ زَمِنٍ يزحف ، في ثياب المكدّين [8] ، ومعه مخلاة ، كما تكون مع المكدّين .

فلمّا جاء إلى الباب ، جلس إلى أن فتح ، فسابقني إلى الدّخول ، فولع به [9] البوّابون ، وقالوا له : [أيّ شيء] [10] خبرك يا فلان ؟ ، وصفعوه [11] ، ومازحوه ، ومازحهم ، وطايبهم [12] ، وشتموه ، وشتمهم ، وجلس في الدّهليز .

---

٦ صاحب الخبر : راجع حاشية القصّة ٣٥٥ .

٧ في م : وحيلتي للبحث .

٨ المكدّي ، السائل ، والكدية : الاستعطاء ، ما تزال الكلمة مستعملة ببغداد ، والعامة ببغداد يلفظونها : الجدية ، بالجيم ، وبالكاف الفارسية أيضاً ، ويسمون المكدّي : مجدّي بالجيم ، وبكاف فارسية أيضاً .

٩ ولع : عبث .

١٠ أي شيء : اختصرها البغداديون أوّلاً إلى : أيش ، ثم أقاموا مقامها أحد حروفها ، وهو الشين ، فالبغدادي يقول : شلونك ؟ تفصيلها : أيش لونك ، للسؤال عن الحال ، ويقول : شتريد ؟ تفصيلها : أيش تريد .

١١ راجع بحث الصفع والمصافعة في حاشية القصّة ٣٠٤ من هذا الكتاب .

١٢ المطايبة : الممازحة .

فقال : [١١١ غ] الوزير يركب اليوم ؟

قالوا : نعم ، السّاعة يركب .

قال : وأيّ وقت نام البارحة ؟

قالوا : وقت كذا وكذا .

فلمّا رأيته يسأل عن هذا ، خمّنت عليه أنّه صاحب خبر ، فأصغيت إليه ، ولم أُرِهِ أنّي حافل بأمره وهو يسأل ، إلى أن لم يُبْقِ شيئاً يجوز أن يعلمه البوّابون ، عمّن وصل إلى الوزير ، ومن لم يصل ، ومتى خرجوا ، إلّا سألهم عنه ، وحدّثوه هم ، أحاديث أخرُ ، على سبيل الفضول .

ثمّ زحف فدخل إلى حيث أصحاب الستور ، فأخذ معهم في مثل ذلك ، وأخذوا معه في مثله .

ثمّ زحف فدخل إلى دار العامّة .

فقلت لأصحاب الستور : من هذا ؟

فقالوا : رجل زَمِن[١٣] فقير أبله طيّب ، يدخل الدّار يتصدّق ويتطايب ، فيهب له الغلمان والمتصرّفون .

فتبعته إلى أن دخل المطبخ ، فسأل عمّا أكل الوزير ، ومن كان معه على المائدة ، وكلّ واحد يخبره بشيء ، ثمّ خرج يزحف ، حتّى دخل حجرة الشّراب ، فلم يزل يبحث عن كلّ شيء ، فيحدّث به ، ثمّ خرج إلى خزانة الكسوة ، فكانت صورته كذلك ، ثمّ جاء إلى مجلس الكتّاب في الدّيوان ، فتصدّق ، وأقبل يسمع ما يجري ، ويسأل الصّبيّ بعد الصّبيّ ، والحَدَث بعد الحَدَث ، عن الشيء بعد الشيء ، ويستخبر الخبر ، في كلّ موضع من تلك المواضع ، ويستقيه ، ويخلط الجدّ بالمزح والتطايب بكلامه ، والأخبار تنجرّ إليه ، وتتساقط

---

١٣ الزّمِن : المصاب بعاهة تعطّله عن العمل .

عليه ، والقطع والزّلّات[14] تجيئه ، وهو يملأ المخلاة ، فلمّا فرغ من هذا ، أقبل راجعاً يريد الباب .

[إلى هنا باتّفاق الروايتين ، ثمّ قال أحدهما في حديثه][15]

فلمّا بلغ الباب ، قبضت عليه ، وأدخلته بيتاً ، وأقفلت عليه ، وجلست على بابه ، فلمّا خلا الوزير أعلمته به ، فقال : أحضرني الرّجل .

وقال الآخر : فلمّا بلغ الباب تبعته ، فخرج حتّى جاء إلى موضع من الخلد[16] ، فدخل إليه ، فوقفتُ أنتظره ، فإذا هو بعد ساعة ، قد خرج شاباً بثياب حسان ، ماشياً ، بغير قلبة[17] ، فتبعته حتّى جاء إلى دار بقرب دار الخادم الموكّل بحفظ دار ابن طاهر ، فدخلها .

فسألت عنها ، فقالوا : هذه دار فلان الهاشمي ، رجل متجمّل .

فرصدته إلى وقت المغرب ، فجاء خادم من دار ابن طاهر ، فدقّ الباب ، فكلّمه من خوخة[18] له ، ففتح له ورمي إليه برقعة لطيفة ، فأخذها الخادم وانصرف .

فجئت ، فطلبت من الوزير غلماناً ، فسلّم إليّ ما طلبت ، فبكرت في السّحر إلى [٨١ ظ] الدّار الّتي في الخلد ، فإذا بالرّجل قد جاء بزيّه الّذي

---

١٤ الزلّة : ما يزلّه الإنسان من الطعام ليقدّمه لآخر .

١٥ الزيادة من غ .

١٦ الخلد : قال ياقوت في معجمه ٢ / ٢٥٩ : إنّه قصر بناه المنصور على شاطئ دجلة ، حلّ محلّه البيمارستان العضدي اليوم ، أقول : يعني أنّ موقعه هو في المنطقة حول رأس جسر الصرافيّة من الجانب الغربي .

١٧ القلبة : الأصل فيها : أنّها الداء الذي يتقلّب منه صاحبه على فراشه ، ثم أصبحت تطلق على العاهة التي تزمن صاحبها . وفي م : بغير علّة .

١٨ الخوخة : الباب الصغير في الباب الكبير ، وقد أدركت الخانات ببغداد ، وفي باب كلّ واحد منها خوخة تفتح وتردّ بدلاً من الباب الكبير الذي يصعب فتحه وردّه في كلّ حين ، ولكنّي لم أبصر خوخة في باب إحدى دور السكنى ، لأنّ أبواب الدور لم تكن في أيّامنا من الضخامة ، ما بلغته أبواب الخانات .

دخل به داره بقرب دار ابن طاهر ، فكبسته في الموضع ، فإذا هو قد نزع تلك الثياب ، ولبس ثياب المكدّين الّتي رأيتها عليه أوّلاً .

فحملته ، وغطّيت وجهه ، وكتمت أمره ، حتّى أدخلته دار القاسم ، ودخلت إليه ، فقصصت عليه الخبر .

[اتّفقت الآن الروايتان] ١٥

فلمّا فرغ القاسم من شغله ، استدعاه ، فقال له : اصدقني عن أمرك ، أو لا ترى ضوء الدّنيا ، ولا تخرج من هذه الحجرة – والله – أبداً .

قال : وتؤمّنني ؟

قال : أنت آمن ، فنهض لا قلبة به .

فتحيّر القاسم ، وقال له : خبرك ؟

فقال : أنا فلان الهاشمي ، وأنا رجل متجمّل ، وأنا أتخبّر عليك للمعتضد ، منذ كذا وكذا ، وأنزل في درب يعقوب[١٩] ، بقرب دار ابن طاهر ، ويجري عليّ المعتضد في كل شهر خمسين ديناراً ، فأخرج كلّ يوم من بيتي ، بالزيّ الّذي لا ينكره جيراني [٨٢ م ١١٢ غ] فأدخلَ داراً في الخلد ، بيدي منها بيت بأجرة ، فيظنّ أهلها أنّي منهم ، ولا ينكرون تغيير الزيّ .

فأخرج [٦٣ ر] من هناك بهذه الثّياب ، وأتزامن من الموضع وألبس لحية فوق لحيتي ، مخالفة للون لحيتي ، حتّى إذا لقيني في الطريق – بالاتّفاق – بعض من يعرفني ، أنكرني .

فأمشي زحفاً من الخلد إلى دارك ، فأعمل جميع ما حكاه صاحب خبرك ، وأستقي أخبارك من غلمانك ، وهم لا يعرفون غرضي فيخرجون إليّ من الأسرار – بالاسترسال – ما لو بذل لهم فيه الأموال ما خرجوا به .

ثمّ أخرج فأجيء إلى موضعي من الخلد ، فأغيّر ثيابي ، وأعطي ذلك الّذي

١٩ سمّي هذا الدرب : درب يعقوب ، لأنّ دار يعقوب بن المهديّ كانت فيه .

اجتمع لي في المخلاة للمكدّين ، وألبس ثيابي الّتي يعرفني بها جيراني ، وأعود إلى منزلي ، فآكل ، وأشرب ، وألعب ، بقيّة يومي .

فإذا كان المغرب جاءني خادم من خدم دار ابن طاهر ، مندوب لهذا ، فأرمي إليه من روزنة لي[٢٠] ، رقعة فيها خبر ذلك اليوم ، ولا أفتح له بابي .

[فإذا كان بعد تسعة وعشرين يوماً ، جاءني الخادم ، فأنزل إليه ، فأعطيه رقعة ذلك اليوم ، ويعطيني جاري ذلك الشّهر][٢] .

ولولا أنّي لم أر صاحب خبرك ، ولا فطنت له ، لما تمّ عليّ هذا ، ولو كنت لحظته لحظة واحدة ، ما خفي عليّ أنّه صاحب خبر ، ولكنتُ أرجع من الموضع الّذي أراه فيه ، فلا يعرف خبري ، وبعد ذلك ، فإنّما تمّ عليّ هذا ، لأنّ أجلي قد حضر ، فاللهَ ، اللهَ ، في دمي .

فقال له : اصدقني عما رفعته إلى المعتضد عنّي ، فحدّثه بأشياء رفعها ، منها خبر الثّياب المصبّغة .

قال : فحبسه القاسم أيّاماً ، وأخفى أمره ، وأنفذني إلى منزله ، وقال : راع أمرهم ، وأنظر ما يجري .

فمضيت إلى داره الّتي وصفها بدرب يعقوب ، فجلست إلى المغرب ، فجاء الخادم ، فصاح به .

فقالت له الجارية : ما رجع اليوم ، وهذه لم تكن عادته قط ، وقد – والله – [أشفقنا أن يكون قد حدث عليه حادث لا نعرفه][٢٥] ، وقامت قيامتنا ، فانصرف الخادم ، وانصرفت .

وعدت أيضاً المغرب من الغد ، وجاء الخادم ، فقالوا له : قد – والله – أيسنا منه ، ولا نشكّ في أنّه قد هلك ، والمأتم قد أقيم عليه في منزل أبيه وعمومته .

---

٢٠ الروزنة : فارسية : روزن ، بمعنى كوّة أو منفذ ، والبغداديون الآن يسمّونها : رازونة ، ويريدون بها تجويفاً في الحائط غير نافذ توضع فيه الحاجيّات .

فانصرف الخادم ، وجئت إلى القاسم بالخبر .

فلمّا كان من الغد ، ركب القاسم إلى المعتضد ، فحين رآه استدناه ، وسارّه ، وقال له : يا قاسم ، بحياتي ، أطلق الهاشمي المتزامن ، وأحسن إليه ، وأنت آمن بعدها أن أنصب عليك صاحب خبر ، ووالله لئن حدثت به حادثة ، لا عرفتُ في دمه غيرك .

فقبّل الأرض ، وتلجلج ، وانصرف ، فعاد إلى منزله ، وحمد الله إذ لم يعجل عليه بسوء ، وأخبرنا الخبر ، وجاء بالهاشميّ ، فخلع عليه ، ووصله بمال له قدر ، وصرفه .

وانقطعت أخباره عن المعتضد[٢١] .

---

٢١ وردت القصّة في كتاب نشوار المحاضرة للتنوخيّ بالرقم ٣ / ١٧٤ .

١٦٧

الوزير عبيد الله بن سليمان

[حدّثني أبو القاسم علي بن شهران ، المتكلّم ، القاصّ ، من أهالي عسكر مكرم ، بها ، قال : أخبرني أبو الحسين الحصيبي[١] ، ابن بنت ابن المدبّر ، ببغداد ، قال :][٢] قال لي أبو عبد الله محمّد بن داود [٨٢ ظ] بن الجرّاح :

جلس عبيد الله بن سليمان ، يوماً ، للمظالم ، في دار المعتضد ، وهو وزير ، فتقدّم إليه عمر بن محمّد بن عبد الملك الزيّات ، يتظلّم من أحمد بن إسرائيل [١١٣ غ] بسبب الضيعة المعروفة بتاصيت[٣] ، فنظر في أمره ، وقال له : أنت عمر بن محمّد ؟

قال : نعم ..

قال : وأين كنت ؟ ، فقصّ عليه أمره وخبره .

[فقال له : أنت ابن سكران[٤] ؟

فقال : نعم .][٢]

قال : فلمّا كان عشيّة يومنا ذلك ، خلا ، وكنت أنا وابناه بين يديه ، فتحدّث ، وقال : سبحان الله ، ما أعجب ما كنتَ فيه اليوم ، فلم نسأله عن ذلك إجلالاً له .

---

١ أبو الحسين عبد الواحد بن محمّد الحصيبي : ترجمته في حاشية القصّة ٨٢ من الكتاب .

٢ كذا ورد في غ ، وفي م ، وظ : حدّثني عليّ بن شيراز عن الحصيبي ، وفي ر : وحكى محمّد بن الجرّاح عن أبيه .

٣ ورد الاسم في م : تاصيت ، وفي غ : ناصفت ، وفي ظ : بلا نقط ، ولم يرد في ر ، ولم أعثر في المراجع المتوفرة لديّ على ضيعة بهذا الاسم .

٤ سكران : اسم والدته .

فقال : قال لي أبو أيّوب رحمه الله[5] إنّه كان في أيّام الواثق ، في تلك الملازمة [والبلاء][6] والضرب [ولبس الصوف][6] والقيد ، وإنّه حمل إلى محمّد ابن عبد الملك الزيّات ليناظره [٨٣ م] ويردّه إلى محبسه .

فوضع بين يديه على تلك الحال ، فجعل يناظره ، والحسن بن وهب[7] ، كاتبه حينئذ ، فربّما تكلّم بالكلمة يرقّقه بها عليه ، وربّما أمسك ، ومحمّد دائب في الغلظة على أبي أيّوب ، والتشفّي منه ، إذ مرّ بعض الخدم بصبيّ يحمله ، مزيّنٍ ، مخضوبٍ [وعليه لبوس مثله من أولاد الملوك[6]] .

فقال محمّد للخادم : هاته ، فقرّبه إليه ، فقبّله ، وترشّفه ، وضمّه إليه ، وجعل يلاعبه ، فحانت منه التفاتة إلى أبي أيّوب ، فإذا دمعته قد سبقته ، وهو يمسحها بالجبّة الصوف الّتي كانت عليه .

فقال له محمّد : ما الّذي أبكاك ؟

فقال : خير ، أصلحك الله .

فقال : والله ، لا تبرح ، أو تخبرني بالأمر على حقيقته .

فلمّا رأى ذلك أبو علي الحسن بن وهب ، قال له : أنا أصدقك ، إنّه لما رأى عمر ، متّعك الله به ، وجعلنا جميعاً فداه ، ذكر ابناً له في مثل سنّه .

قال : وما اسمه ؟

قال : عبيد الله .

[قال : وكانا ولدا في شهر واحد][6] .

فالتفت إليه كالهازئ ، فقال له : أتراه يقدّر أن يكون ابنه هذا وزيراً .

---

٥ أبو أيّوب سليمان بن وهب ، والد عبيد الله بن سليمان : ترجمته في حاشية القصّة ٦٦ من هذا الكتاب .

٦ الزيادة من غ وم .

٧ أبو عليّ الحسن بن وهب بن سعيد بن عمرو بن حصين الحارثي ، شقيق أبي أيّوب سليمان بن وهب : ترجمته في حاشية القصّة ٦٦ من هذا الكتاب .

قال الحسن : فلمّا أمر بحمله إلى محبسه ، التفت إليّ ، وقال : لولا أنّ هذا الأمر من أمور السلطان الّذي لا سبيل إلى التقصير في مثله ، لما سؤتك فيه ، ولو أعانني على نفسه لخلّصته .

فقال له الحسن : والله ، ما رأيته منذ حبس ، فإن رأيت أن تأمر بالعدول به إلى بعض المجالس ، والإذن في القيام إليه ، والخلوة به ، لأشير عليه بامتثال أمرك .

فقال : افعل .

فقمت إلى أبي أيّوب ، وتعانقنا ، وبكينا طويلاً .

فقال لي : قبل كلّ شيء، رأيت أعجب من بغيه عليّ ، وقوله بالتطانز[8] والهزء : أتراه يقدّر أنّ ابنه هذا يكون وزيراً ، فكيف يأمن أن يكون هذا ؟ والله إنّي لأرجو أن يبلغ الله ابني الوزارة ، ويتقدّم إليه عمر متظلّماً .

فلمّا كان اليوم ، تقدّم إليّ عمر متظلّماً ، وما كنت رأيته قبل ذلك ، ولا عرفت له خبراً .

[ووقع إليّ هذا الخبر ، من وجه آخر ، فحدّثني به أبو الحسن أحمد بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن البهلول التنوخي ، قال : أخبرنا أبو الحسن علي بن الفتح المعروف بالمطوّق ، مناولةً ، من كتابه : كتاب مناقب الوزراء ، ومحاسن أخبارهم ، قال :

حدّثني أبو عبد الله الحسين بن عبد الله بن عمر بن حفص الكاتب ، عن أبيه ، أبي القاسم عبد الله ، أو عن أبي القاسم ميمون بن إبراهيم بن يزيد – الشكّ من المطوّق – قال :][9]

كنّا في مجلس أبي القاسم عبيد الله بن سليمان ، وهو وزير ، في يوم من

٨ التطانز : السخرية .

٩ الزيادة من غ ، وفي بقيّة النسخ : وفي رواية أخرى .

أيّام جلوسه للمظالم ، فوقعت بيده قصّة ، فقرأها ، وتوقّف ساعة كالمفكّر ، ثمّ قال : عمر بن محمّد بن عبد الملك ، فأدخل إليه .

فقال : أنت عمر ؟

قال : نعم ، أعزّ الله الوزير ، أنا عمر بن محمّد بن عبد الملك .

فتوقّف [١١٤ غ] أيضاً ساعة ، ثمّ قام إلى خلوته ، ولم يطل ، وعاد إلى موضعه ، فوقّع له بجارٍ ، ونزل ، وصلة ، ولم يزل مفكّراً ، إلى أن تقوّض النّاس ، وخلا المجلس ممّن يحتشم .

فقال لنا : وقفتم على خبر هذا الرّجل ؟

قلنا : وقفنا على ما كان من أمر الوزير ببرّه ، ولم نقف على السّبب .

فقال : أخبركم بحديثه ، حدّثني أبو أيّوب رحمه الله ، قال : كنت في يد محمّد بن عبد الملك الزيّات ، يطالبني ، وأنا منكوب ، وكان يحضرني في كلّ يوم ، بغير سبب ، ولا مطالبة ، إلّا ليكيدني ، وأنا في قيودي ، وعليّ جبّة صوف ، وكان أخي الحسن يكتب بين يديه ، ولم يكن يتهيّأ له شيء في أمري ، إلّا أنّه كان إذا رآني مقبلاً استقبلني [٦٤ ر] فإذا رجعت إلى موضعي ، شيّعني ، إذ أقبل في يوم من الأيّام خادم لمحمد ، ومعه ابن له صغير ، فوثب كلّ من في المجلس ، إلى الصبيّ ، يقبلونه ، ويدعون له سوايَ ، فإنّي كنت مشغولاً بنفسي ، فلم أتحرّك ، وأخذ الصبيّ ، وضمّه إليه [٨٣ ظ] وقال لي : يا سليمان لِمَ لمْ تفعل بهذا الصبيّ ، ما فعله من في المجلس ؟

فقلت : شغلني ما أنا فيه .

فقال : لا ، ولكنّك [لم تطق ذلك][10] عداوة لأبيه وله ، وكأنّي بك ، وقد ذكرت عبيد الله ، وأمّلت فيه الآمال ، والله ، لا رأيت شيئاً مما تؤمّله فيه ،

---

١٠ الزيادة من م وغ .

وأسرف بعد ذلك في الإسماع ، فعلمت أنّه قد بغى ، ووثقت بجميل عادة الله تعالى ، وأنّه سيبلغني [ما آمله فيك][10] عناداً لبغيه [٨٤ م] .

قال : ولم تمض إلّا مدّة يسيرة ، حتّى سخط المتوكّل على محمّد بن عبد الملك ، وقلّدني مناظرته ، وإحصاء متاعه ، فوافيت داره ، فرأيت ذلك الخادم بعينه ، ومعه ذلك الصبيّ يبكي .

[فقلت : ما خبر هذا الصبيّ يبكي ؟][10] .

فقيل : قد منع من كلّ ماله ، وأدخل في الإحصاء .

فقلت : لا بأس عليه ، وسلّمت إليه جميع ما كان باسمه .

فينبغي ، يا بنيّ ، إن تهيّأت لك حال ، ورأيت الصبيّ عمر بن محمّد بن عبد الملك ، أن تحسن إليه ، وأن تقابل نعمة الله فيه وفيك ، بما يجب لها .

فلمّا رأيته هذا الوقت ، ذكرتُ ما قاله أبي ، فامتثلتُ ما أشار به ، وأنا أتقدّم بعد الّذي فعلت به ، إلى أبي الحسين[11] بتصريفه .

وكانت لعمر حركة قويت بها حاله عند أبي الحسين ، إلى أن استخلفه في دار أبي النجم بدر ، وبين يديه .

[حدّثني أبو الحسين عليّ بن هشام بن عبد الله الكاتب ، قال : حدّثني أبو عليّ بن مقلة ، قال : حدّثني محمّد بن سعيد الديناري .

قال أبو الحسين ، وحدّثني أبو عبدالله زنجي ، قال : حدّثني أبو العبّاس ابن الفرات ، قال :][12] .

وحدّثني أبو عبد الله الباقطائي ، قالوا كلّهم :

كنّا بحضرة عبيد الله بن سليمان ، أوّل وزارته للمعتضد ، وقد حضر رجل رثّ الهيأة ، بثياب غلاظ ، فعرض عليه رقعة ، وكان جالساً للمظالم ، فقرأها

---

١١ يريد بأبي الحسين ولده القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب .

١٢ الزيادة من غ ، وفي م : ووقع لي هذا الخبر من وجه آخر على خلاف ذلك .

قراءة متأمّل لها ، مفكّراً ، متعجّباً ، ثمّ قال : نعم ، وكرامة – ثلاث مرّات – أفعلُ ما قال أبي ، لا ما قال أبوك ، وكرّر هذا القول ثلاث مرّات .

ثمّ قال له : عد إليّ وقت العصر ، لأنظر في أمرك [١١٥ غ] .

وقال لبدر العدامي حاجبه[١٣] : إذا حضر ، فأوصله إليّ .

[ثمّ قال : إذا خلونا ، فذكّروني خبر هذا ، لأحدّثكم بحديث عجيب ، وأتمّ المجلس .

ثمّ قام ، واستراح ، ودعانا للطعام ، فلمّا حضرنا ، وأكلنا أكثر الأكل ، قال : ما أراكم أذكرتموني [حديث] صاحب الرقعة ؟

فقلنا : أنسينا .][١٤]

قال : حدّثني أبي ، قال : كنت في محبس محمّد بن عبد الملك ، في أيّام الواثق ، لمّا صادرني عن كتابة إيتاخ ، على أربعمائة ألف دينار ، وقد أدّيت منها [مائتي ألف ونيفاً وأربعين ألفاً][١٥] فأحضرني يوماً ، وطالبني بالباقي ، وجدّ بي ، وأرهقني ، ولم يرض منّي إلى أن أجبت إلى أن اؤدّي خمسين ألف دينار ، قاطعة للمصادرة ، على أن يطلق ضياعي .

قال : ونحن في ذلك ، ولم يأخذ خطّي بعد ، إذ خرج إليه خادم من دار الحرم برقعة ، فقرأها ، ونهض ، وكان بحضرته أخي أبو عليّ الحسن بن وهب ، وهو غالب على أمره ، إلّا أنّه يخافه أن يكلمه في أمري .

فلمّا قام الوزير ، رمى إليّ أخي برقعة لطيفة ، فوقعتْ في حجري ، فإذا فيها : جاءني الخبر الساعة من دارك ، أن قد رزقت ابناً ، خلقاً سوياً ، وهو جسم بغير اسم ، فما تحبّ أن يسمّى ويكنى ؟

---

١٣ كذا ورد في غ ، وفي م : بدر القدامي ، وفي بقيّة النسخ : وقال لحاجبه .

١٤ الزيادة من م ، وفي بقية النسخ : فلما خلونا ، قال : ألا أحدّثكم بحديث عجيب .

١٥ كذا ورد في غ ، وم ، وفي بقيّة النسخ : وقد أدّيت ثلثيها .

فقلت : عبيد الله ، أبو القاسم .

فكتب بذلك في الحال إلى منزلي .

قال : وتداخلني سرور بذلك ، وقوّة نفس ، وحدّثت نفسي ، بأنّك تعيش ، وتبلغ ، وأنتفع بك .

قال : وعاد محمّد إلى مجلسه ، وأعاد خطابي ، فلم أستجب له ، إلى ما كنت أجبت إليه ، وأخذت أدافع .

فقال لي : يا أبا أيّوب ، ما الّذي ورد عليك بعدي ؟ أرى عينيك ووجهك ، بخلاف ما فارقتك عليه منذ ساعة .

فقلت : ما ورد عليّ شيء .

فقال : والله ، لئن لم تصدقني ، لأفعلنّ بك ، ولأصنعنّ .

[فقلت : ما عندي ما أصدق عنه .

فأقبل على أخي ، فقال له : أخبرني ما شأنه ؟ فخافه أخي][16] فَصَدَقَهُ عن الصورة ، فسكن .

ثمّ قال : أتعرف [٦٥ ر] لأيّ شيء قمت أنا ؟.

قلت : لا .

قال : كوتبت بأنّ ولداً ذكراً سوياً قد ولد لي ، فدخلت ، ورأيته ، وسمّيته باسم أبي ، وكنيته بأبي مروان .

قال سليمان : فقمت إليه ، فهنّأته ، وقبّلت يديه ، ورجليه ، وقلت : أيّها الوزير ، هذا يوم مبارك ، وقد رزقنا الله [٨٥ م] جميعاً ، ولدين ، فارحمني ، وارع لي حقّ سالف خدمتي لك ، واجعل ابني موسوماً بخدمة ابنك ، يسلم معه

---

١٦ الزيادة من غ ، ور ، وم .

في المكتب ، يتعلّم معه ، وينشوان في دولتك [17] ، فيكون كاتباً له ، فحملته الكزازة[18] ، والقسوة التي فيه ، على أن قال : يا أبا أيّوب ، أعليّ تجوز[19] ولي تستفزّ[20] وتخاتل ؟ قد حدّثتك نفسك ، أنّ ابنك هذا سيبلغ المبالغ ، ويؤهّل للوزارة[21] ، ورجوت فيّ [٨٤ ظ] نوائب الزمان ، وقلتَ : أرجو أن يحتاج ابنه إلى ابني ، حتّى يطلب منه الإحسان والفضل ، وأنا استحلفك بالله ، وأحرّج عليك ، إن بلغ ابنك هذه المنزلة ، إلاّ وصّيته ، إن جاءه ابني لشيء من هذا ، أن لا يحسن إليه .

---

١٧ ينشوان : لغة بغدادية في ينشآن ، وقد درج البغداديون ، منذ القديم ، وما زالوا إلى الآن ، على حذف الهمزة إذا كانت في آخر الكلمة ، وإبدالها بالواو أو الياء ، إذا كانت في وسطها ، والمثال على القسم الأوّل ، وهو الحذف ، أنّهم يقولون : الببغا ، والقبا ، والثرا ، والحبا ، والدعا ، والسما ، والهوا ، والرجا ، بدلاً من : الببغاء ، والقباء ، والثراء ، والحباء ، والدعاء ، والسماء ، والهواء ، والرجاء ، ويقول : جا ، بدلاً من : جاء ، قال الشاعر (العقد الفريد ٤ / ٣٤٤) :

عشية جـا أهـل العراق كأنّـهم سحـاب خريـف صفّقته الجنـائب

والمثال على القسم الثاني : أي الإبدال ، أنّهم يقولون : رياسة ، بدلاً من : رئاسة ، وجيت ، بدلاً من : جئت ، ووطيت ، بدلاً من : وطئت ، وشايب ، بدلاً من : شائب ، وذيب ، بدلاً من : ذئب ، وبير ، بدلاً من : بئر ، وحايم ، وقايم ، ونايم ، وصايم ، بدلاً من : حائم ، وقائم ، ونائم ، وصائم ، ويقولون : جناين ، ومداين ، وضغاين ، بدلاً من : جنائن ، ومدائن ، وضغائن ، ويقولون : حسن النشوة ، بدلاً من : حسن النشأة ، ولياقوت رحمه الله ، تعليل أورده في شرح لفظة المدائن ، في معجم البلدان ٤ / ٤٤٥ ، ذكر فيه أنّ الكلمة إذا أريد بها جمع المدن ، فهي مهموزة ، وإذا أخذت من دان يدين ، لا تهمز ، وليس الأمر كذلك .

١٨ الكزّ : المتقبّض اليابس .

١٩ الجواز : المرور والعبور ، واستعملها هنا اصطلاحاً ، يريد أنّه لا تجوز عليه الحيلة ، ولا يمكن أن يخادع ، وقد تغيّر التعبير البغدادي الآن ، فهو يقول لمن يريد أن يخادعه : هذا الكلام ما يعبر عليّ .

٢٠ الاستفزاز : الإزعاج والإثارة .

٢١ في غ : وتؤمّل له الوزارة .

قال : فأعظمت هذا الخطاب ، وتنصّلت ، واعتذرت ، ووقع في قلبي ، في الحال ، أنّ هذا غاية البغي ، وأنّ الله – سبحانه وتعالى – سيحوج ابنه إلى ابني ، ويتحقّق ما قاله ، فما مضت مديدة ، حتّى فرّج الله عنّي .

ثمّ قال لي : يا بنيّ ، إن رفعك الزمان ، ووضع ابنه ، حتّى يحتاج إليك ، فأحسن إليه .

قال : وضرب الدهر ضربه ، فما عرفت لأبي مروان خبراً ، حتّى رأيته اليوم [فكان ما شاهدتم ، ثمّ أمر بطلب أبي مروان ، فأحضر ، فوهب له مالاً][22] ، وخلع عليه ، وحمله ، وقلّده ديوان البريد والخرائط .

قال أبو الحسن : فما زال يتقلّده منذ ذلك الوقت ، إلى آخر وزارة ابن الفرات الثالثة ، فإنّه مات فيها ، وقد تقلّده ثلاثين سنة أو أكثر .

وكان يكتب إلى [١١٦ غ] عبيد الله ، أوّل ما كاتبه ، بعد تقليده الديوان ، عبد الوزير وخادمه ، عبد الملك بن محمد ، فأراد عبيد الله ان يتكرّم عليه ، فقال له : أنت ابن وزير ، وما أحبّ أن تتعبّد لي ، فاكتب اسمك فقط على الكتب .

فقال : لا تسمح نفسي بذلك ، ولكن أكتب : عبد الملك بن محمّد ، عبد الوزير وخادمه[23] .

فقال : افعل ، فكتب ذلك ، فصارت عادة له يكتب بها إلى جميع الوزراء من بعده ، إلى أن مات في وزارة ابن الفرات الثالثة ، فصار كالمترتّب عليهم بما عامله به من ذلك عبيد الله ، وغلب عليه أن عرف بأبي مروان الخرائطيّ ، ونسي نسبه إلى ابن الزيّات ، إلّا من كان يعرفه من الكتّاب وغيرهم ، [أخبرني بذلك جماعة من الشيوخ][24] .

---

٢٢ الزيادة من غ وم .

٢٣ في م : عبد الملك بن محمّد ، خادم الوزير .

٢٤ الزيادة من غ .

١٦٨

أسد كالح وكبش ناطح وكلب نابح

وجدت في بعض الكتب ، بغير أسانيد : أنّ عبيد الله بن زياد[١] ، لما بنى داره البيضاء بالبصرة ، بعد قتل الحسين عليه السلام[٢] ، صوّر على بابها رؤساً مقطّعة ، وصوّر في دهليزها ، أسداً ، وكبشاً ، وكلباً ، وقال : أسدٌ كالح ، وكبشٌ ناطح ، وكلبٌ نابح .

فمرّ بالباب أعرابيّ ، فرأى ذلك ، فقال : أما إنّ صاحبها لا يسكنها إلّا ليلة واحدة لا تتمّ .

فرفع الخبر إلى ابن زياد ، فأمر بالأعرابي ، فضرب ، وحبس .

فما أمسى حتّى قدم رسول ابن الزبير ، إلى قيس بن السكون[٣] ، ووجوه أهل البصرة ، في أخذ البيعة له ، ودعا النّاس إلى طاعته ، فأجابوه ، وراسل بعضهم بعضاً في الوثوب عليه من ليلتهم ، فأنذره قوم كانت له صنائع عندهم ، فهرب من داره في ليلته تلك ، واستجار بالأزد ، فأجاروه ، ووقعت الحرب المشهورة بينهم

---

١ عبيد الله بن زياد بن أبيه : أنظر ترجمته في آخر القصّة .

٢ لما أدخل رأس الحسين عليه السلام على عبيد الله بن زياد ، جعل ينكت بالخيزرانة ثنايا الحسين ، وعنده زيد بن أرقم صاحب رسول الله صلوات الله عليه ، فقال له : مه ، إرفع قضيبك عن هذه الثنايا ، فلقد رأيت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يلثمها ، ثم خنقته العبرة ، فبكى ، فقال له ابن زياد : ممّ تبكي ؟ أبكى الله عينك ، لولا أنّك شيخ قد خرفت لضربت عنقك (الأخبار الطوال ٢٥٩ ، ٢٦٠) .

٣ في غ وم : قيس بن السكن ، ولم أعثر على شخص اسمه قيس بن السكن ، أو ابن السكون ، بين أهل البصرة في ذلك الحين ، وأحسب أنّ المقصود قيس بن الهيثم السلمي (أنساب الأشراف ٣ / ٥٧ ، ١٠٤ ، ١١٢ ، ١١٩ ، ١٥٧ ، ١٦٠) إذ انّ قيس بن السكن بن قيس الأنصاري ، قتل في السنة ١٣ هـ في وقعة الجسر عند فتح العراق (ابن الأثير ٢ / ٤٣٨ — ٤٤٠) .

وبين بني تميم بسببه ، حتّى أخرجوه ، فألحقوه بالشام[4] ، وكسر الحبس ، فخرج الأعرابيّ .

ولم يعد ابن زياد إلى داره ، وقتل في وقعة الخازر[5] .

---

٤ راجع تفصيل ذلك في الطبري ٥ / ٥٠٤ – ٥٢٣ .

٥ الخازر : قال ياقوت في معجمه ٢ / ٣٨٨ : الخازر نهر بين الزاب الأعلى والموصل ، وكانت عنده وقعة بين عبيد الله بن زياد وإبراهيم بن مالك الأشتر النخعي ، ويومئذ قتل ابن زياد الفاسق وذلك سنة ٦٦ للهجرة ، وقال أيضاً في معجمه في مادة : زاب ٢ / ٩٠٣ : وعلى الزاب الأعلى كان مقتل عبيد الله ابن زياد بن أبيه ، راجع في الأخبار الطوال ٢٩٦ ما مدح به إبراهيم بن الأشتر بعد انتصاره في هذه المعركـــة .

عبيد الله بن زياد

عبيد الله بن زياد (٢٨ – ٦٧) : والي العراقين لمعاوية بن أبي سفيان ، ولولده يزيد من بعده ، وكانت أمّه مرجانة جارية ولدته على فراش زياد ، ثمّ تركها لمولى له أعجميّ ، اسمه شيرويه الأسواري ، فنشأ عبيد الله في بيت الأسواري ، فشبّ يرتضخ لكنة فارسيّة (البيان والتبيين ١ / ٥٣ و٥٤ و٢ / ١٦٧) وكان الحسن البصري يسمّيه : الشاب المترف الفاسق ، وقال فيه : ما رأينا شرًّا من ابن زياد (أنساب الأشراف ٥ / ٨٣ و٨٦) ، وقال الأعمش فيه : كان مملوءاً شرًّا ونغلاً (أنساب الأشراف ٥ / ٨٣) ، وكان شديد القسوة في معاملة النّاس ، يتلذّذ بتعذيب ضحاياه بيده ، جيء إليه بسيّد من سادات العراق ، فأدناه منه ، ثمّ ضرب وجهه بقضيب كان في يده ، حتى كسر أنفه ، وشقّ حاجبيه ، ونثر لحم وجنته ، وكسر القضيب على وجهه ورأسه (مروج الذهب ٢ / ٤٤) وغضب على رجل ، تمثّل بآية من القرآن ، فأمر أن يبنى عليه ركن من أركـان قصره (المحـاسن والمساوئ ٢ / ١٦٥) ، وكان يقتل النساء في مجلسه ، ويتشفّى بمشاهدتهن يعذّبن ، وتقطع أطرافهنّ (بلاغات النساء ١٣٤ وأنساب الأشراف ٥ / ٨٩) ، فعاش مكروهاً عند أهل العراق (الإمـامة والسياسة ٢ / ١٦ سطر ١٣ ، ومروج الذهب ٢ / ٤٣) مهيناً عند أهل الحجاز

(الأغاني ١٨/٢٧٢ و٢٨٢) ، وشرّ ما صنع قتله الإمام الشهيد الحسين بن عليّ بن أبي طالب ، في كربلاء ، ولمّا مات يزيد بن معاوية ، أغرى بعض البصريين أن يبايعوه ، ثم جبن عن مواجهة الناس ، فاستتر ، ثمّ هرب إلى الشام ، وعاد إلى العراق صحبة جيش ، فحاربه إبراهيم بن مالك الأشتر ، قائد جيش المختار بن أبي عبيد الثقفي ، رأس المطالبين بثأر الحسين ، فسقط قتيلاً في المعركة ، فقال فيه الشاعر : (معجم البلدان ٢ / ٩٠٣)

إنّ الـذي عاش ختّـاراً بذمتـه ... ومات عبداً ، قتيل الله بالـزاب
أقول لمـا أتـاني ثمّ مصرعـه ... لابن الخبيثة وابن الكودن الكابي
العبـد للعبـد لا أصـل ولا ورق ... ألـوت به ذات أظفـار وأنيـاب
مـا شقّ جيب ولا ناحتـك نائحة ... ولا بكتـك جيـاد عند أسـلاب
إنّ المنـايا إذا حاولن طاغيـة ... ولجن من دون أستـار وأبـواب

وكان عبيد الله بن زياد من الأكلـة ، كان يأكـل جدياً ، أو عَناقاً يتخيّر له في كـلّ يوم ، فيـأتي عليه ، وأكل مرّة عشر بطّات وزبيلاً من عنب ، ثمّ عاد فأكل عشر بطّـات ، وزبيـلاً من عنب ، وجدياً (أنساب الأشراف ٥ / ٨٦) وكـان يأكل بعد الشبع أربع جرادق أصبهانيـة ، وجبنةً ، ورطلاً عسلاً (معجم الأدبـاء ٦ / ٩٥) ، قال عبيد الله ، لقيس بن عبّاد : ما تقول فيّ ، وفي الحسين ؟ قال : اعفني ، عافاك الله ، قال : لا بدّ أن تقول ، قال : يجيء أبوه يوم القيامة ، فيشفع له ، ويجيء أبوك ، فيشفع لك ، فقال عبيد الله : قد علمت غشّك ، وخبثك ، لأضعنّ يوماً أكثرك شعراً بالأرض (العقد الفريد ٢ / ١٧٥) ، راجع ترجمة عبيد الله المفصّلة في أنساب الأشراف ٣ / ٧٧ - ١٢٣ ، وراجع كذلك صبح الأعشى ١ / ٤١٤ و٤٢٥ و٤٥٥ والأغاني ١٨ / ٢٠٤ ، ٢٧٧ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ومعجم الأدباء ٢ / ٩٠٣ ورسائل الجاحظ ص ١٨ .

١٦٩

القرمطي يبعث رسولاً إلى المعتضد

[حدّثني القاضي أبو الحسن محمّد بن عبد الواحد الهاشمي ، قال : سمعت][١] العبّاس بن عمرو الغنوي[٢] ، يقول :

لما أسرني أبو سعيد الجنّابي القرمطي[٣] ، وكسر العسكر الّذي كان أنفذه المعتضد معي لقتاله[٤] ، وحصلت في يده أسيراً ، أيست من الحياة .

فإنّي يوماً على تلك الصورة ، إذ جاءني رسوله ، فأخذ قيودي ، وغيّر

---

١ الزيادة من غ وم .

٢ العباس بن عمرو الغنوي : جاء في وفيات الأعيان ٤ / ٣٥٠ انّه كان يتولى اليمامة والبحرين ، وسيّره المعتضد لحرب القرامطة في أوّل أمرهم ، فقاتلوه ، وكسروه ، وأسروه ، ثم أطلقوه ، فرجع إلى المعتضد ، ويتضح من القصّة ٥ / ١٣١ من نشوار المحاضرة أنّه ولّي إمارة ديار ربيعة ، وذكر ابن خلّكان في وفيات الأعيان ٥ / ٢٦٢ انّه توفّي سنة ٣٥٠ وهو خطأ ، والصحيح انّه توفّي سنة ٣٠٥ كما ورد في الأعلام ٤ / ٣٧ ، قال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر : ما ينقضي عجبي من ثلاثة أشياء : إفلات عباس بن عمرو ، من القرمطي ، وهلاك كلّ أصحابه ، ووقوع الصفّار ، وإفلات كلّ أصحابه ، وولاية أبي الحسن ، وأنا متعطّل (البصائر والذخائر ١ / ٢٥) يريد بأبي الحسن ولده محمّد ، استخلفه مؤنس على الشرطة ببغداد (الأغاني ١٠ / ٢٨٥) .

٣ أبو سعيد الحسن بن بهرام الجنّابي القرمطيّ : كبير القرامطة ، ومعلن مذهبهم ، كان دقّاقاً ، من أهل جنّابة بفارس ، ونفي منها ، وأقام يتاجر بالبحرين ، ودعا إلى نحلته ، فعظم أمره ، وحاربه الخليفة ، فظفر الحسن ، واضطرّ المقتدر إلى مصافاته ، واستولى على هجر ، والأحساء ، والقطيف ، وسائر بلاد البحرين ، وكان شجاعاً ، داهية ، قتله خادم له صقلبيّ بالحمّام ، في السنة ٣٠١ (الأعلام ٢ / ١٩٩) .

٤ قال صاحب وفيات الأعيان ٤ / ٣٥٠ : من العجائب أنّ العباس بن عمرو الغنوي ، توجّه لحرب القرامطة على رأس عشرة آلاف ، فقتل الجميع ، وسلم وحده ، وعمرو بن الليث الصفّار ، توجّه لحرب إسماعيل الساماني على رأس خمسين ألفاً ، فأخذ وحده ، ونجا الباقون .

ثيابي ، وأدخلني إليه ، فسلّمت ، وجلست .

فقال لي : أتدري لم استدعيتك ؟

قلت : لا .

قال : أنت رجل عربيّ ، ومن المحال أن أستودعك أمانة فتخفرها [٨٦ م] ، ولا سيّما مع منّي عليك بنفسك .

فقلت : هو ذاك .

فقال : إنّي فكّرت ، فإذا لا طائل في قتلك ، وأنا في نفسي رسالة إلى المعتضد ، لا يجوز أن يؤدّيها غيرك ، فرأيت إطلاقك ، وتحميلك إيّاها ، فإن حلفتَ لي أنّك تؤدّيها ، سيّرتك إليه .

فحلفت له .

فقال : تقول له : يا هذا لِمَ تخرق هيبتك ، وتقتل رجالك ، وتطمع أعداءك في نفسك ، وتتعبها في طلبي ، وإنفاذ الجيوش إليّ ، وإنّما أنا رجل مقيم في فلاة ، لا زرع فيها ولا ضرع ، ولا غلّة ، ولا بلد ، وقد رضيت لنفسي بخشونة العيش ، والأمن على المهجة ، والعزّ بأطراف الرماح ، وما اغتصبتك بلداً كان في يدك ، ولا أزلت سلطانك عن عمل جليل ، ومع هذا ، فوالله لو أنفذت إليّ جيشك [٨٥ ظ] كلّه ، ما جاز أن تظفر بي ، ولا تنالني ، لأنّي رجل نشأت في هذا القشف[٥] ، واعتدته أنا ورجالي ، ولا مشقّة علينا فيه ، ونحن في أوطاننا مستريحون ، وأنت تنفذ جيشك من الخيوش والثلج[٦] ، والريحان والندّ ، فيجيئون من المسافة [١١٧ غ] البعيدة ، والطريق الشاسع[٧] ، وقد قتلهم السفر قبل قتالنا ، وإنّما غرضهم أن يبلوا عذراً في مواقفتنا ساعة ، ثمّ يهربون ، وإن ثبتوا فإنّ ما يلحقهم

---

٥ القشف : ضد التنعّم .

٦ يريد بالخيوش والثلج : عيشة الترف والتنعّم ، راجع بحث الخيش في حاشية القصّة ١٤٣ .

٧ في غ : الطريق الشاق .

من وعثاء السفر وشدّة الجهد ، أكبر أعواننا عليهم ، [فما هو إلّا أن أحقق عليهم[8]][9] حتّى ينهزمون ، وإن استراحوا ، فأقاموا ، وكانوا عدداً لا قِبَلَ لنا به ، فيهزمونا ، لا يقدر جيشك على أكثر من هذا ، فأنهزْم عنهم مقدار عشرين فرسخاً ، وأجول في الصحراء شهراً ، ثمّ أكبسهم على غرّة ، فأقتلهم ، وإن لم يَستوِ لي هذا ، وكانوا متحرّزين ، فما يمكنهم الطواف خلفي في البراري والصحاري ، ثم لا يحملهم البلد في المقام ، ولا الزاد ، إن كانوا كثيرين ، فإن انصرف الجمهور منهم ، وبقي الأقلّ ، فهم قتلى سيوفي ، في أوّل يوم ينصرف الجيش ، ويبقى من يتخلّف ، هذا إن سلموا من وباء هذا البلد ، ورداءة مائه وهوائه الّذي لا طاقة لهم به ، لأنّهم نشأوا في ضدّه ، وربوا في غيره ، ولا عادة لأجسامهم بالصبر عليه ، ففكّر في هذا ، وانظر ، هل يفي تعبك ، وتغريرك بجيشك وعسكرك ، وإنفاقك الأموال ، وتجهيزك الرجال ، وتكلّفك هذه الأخطار ، وتحمّلك هذه المشاقّ ، بطلبي ، وأنا مع هذا خالي الذرع منها ، سليم النفس والأصحاب من جميعها ، وهيبتك تنخرق في الأطراف عند ملوكها ، كلّما جرى عليك من هذا شيء ، ثمّ لا تظفر من بلدي بطائل ، ولا تصل منه إلى مال ولا حال ، فإن اخترتَ بعد هذا محاربتي ، فاستخر الله عزّ وجلّ وأنفذ من شئت ، وإن أمسكت ، فذاك إليك .

قال : ثمّ جهّزني ، وأنفذني مع عشرة من أصحابه إلى الكوفة ، فسرت منها إلى الحضرة .

ودخلت على المعتضد ، فتعجّب من سلامتي ، وقال : ما خبرك ؟

فقلت : شيء أذكره سرًّا لأمير المؤمنين .

---

٨ حقّق الأمر : أكّده وأوجبه ، وحقّ العقدة : شدّها ، والحقّة : الداهية .

٩ الزيادة من غ .

فتشوّف إليه ، وخلا بي ، فقصصت عليه القصّة بأسرها ، فرأيته يتمعّط[10] في جلده غيظاً ، حتّى ظننت أنّه سيسير إليه بنفسه .

وخرجت من بين يديه ، فما رأيته ذكره بعد ذلك بحرف[11] .

---

١٠ معط الريش : نتفه ، والذئب الأمعط : الذي سقط شعره ، وتمعّط في جلده : كناية عن شدّة الغيظ والانزعاج .

١١ وردت القصّة في كتاب نشوار المحاضرة برقم ٤ / ٦٢ ج ٤ ص ١٣٠ .

١٧٠

كفى بالأجل حارساً

حدّثني أبو محمّد يحي بن محمّد بن سليمان بن فهد الأزدي الموصلي ، قال : حدّثني بعض المواصلة[١] ، من ثقات أهل الموصل :

أنّ فاطمة بنت أحمد بن عليّ الهزارمرديّ الكرديّ[٢] ، زوجة ناصر الدولة[٣] ، أمّ أبي تغلب ابنه[٤] ، اتّهمت عاملاً[٥] كان لها ، يقال له ابن أبي قبيصة ، من أهل الموصل ، بخيانة في مالها ، فقبضت عليه ، وحبسته في [٦٦ ر] قلعتها .

ثمّ رأت أن تقتله ، [فكتبت إلى المتوكّل بالقلعة ، بقتله][٦] ، فورد عليه الكتاب ، وكان لا يحسن أن يقرأ ولا أن يكتب ، وليس عنده من يقرأ ويكتب ، إلّا ابن أبي قبيصة ، فدفع الموكّل به الكتاب إليه [٨٧ م] وقال له : اقرأه عليّ .

---

١ المواصلة : إذا نسب البغداديون الآن أحداً إلى الموصل ، قالوا : موصلاوي ، والجمع : مواصلة ، وربما قالوا : مصالوة .

٢ فاطمة بنت أحمد بن علي الهزارمردي الكرديّ : زوجة ناصر الدولة ، وأمّ أولاده أبي تغلب ، وأبي البركات ، وجميلة ، وكانت مالكة أمر ناصر الدولة (الكامل ٨ / ٥٩٣ وتجارب الأمم ٢ / ٢٥٥) مسموعة الكلمة عنده (القصّة ٣ / ١١ من نشوار المحاضرة) ولمّا ساءت أخلاق ناصر الدولة ، تطابقت مع أولادها عليه ، وغلبوه على أمره ، ولم تكن له بهم طاقة ، فأخذ يدبّر في القبض عليهم ، فأحسّوا به ، فقبضوا عليه واعتقلوه سنة ٣٥٨ ، فعاش معتقلاً شهوراً ومات (تجارب الأمم ٢ / ٢٥٥) .

٣ ناصر الدولة أبو محمّد الحسن بن أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان بن حمدون التغلبيّ : ترجمته في حاشية القصّة ١٩٦ من هذا الكتاب .

٤ عدّة الدولة أبو تغلب ، فضل الله الغضنفر بن الحسن ناصر الدولة : ترجمته في حاشية القصّة ١٩٦ من هذا الكتاب .

٥ في غ : غلاماً .

٦ الزيادة من غ .

فلمّا رأى فيه الأمر بقتله . قرأ الكتاب بأسره ، إلّا حديث القتل ، وردّ الكتاب عليه .

قال ابن أبي قبيصة : ففكّرت ، وقلت أنا مقتول ، ولا آمن أن يرد كتاب آخر في هذا المعنى ، ويتّفق حضور من يقرأ ويكتب غيري فينفذ فيّ الأمر ، وسبيلي أن أحتال بحيلة ، فإن تمّت سلمتُ ، وإن لم تتمّ ، فليس يلحقني أكثر من القتل الّذي أنا حاصل فيه .

قال : فتأمّلت القلعة ، فإذا فيها موضع يمكنني أن أطرح نفسي منه إلى أسفلها ، إلّا أنّ بينه وبين الأرض أكثر من ثلاثة آلاف ذراع ، وفيه صخر لا يجوز أن يسلم معه من يقع عليه .

قال : فلم أجسر ، ثمّ ولّد لي الفكر أن تأمّلت الثّلج قد سقط عدّة ليال ، وقد غطّى [١١٨ غ] تلك الصخور ، وصار فوقها منه أمر عظيم ، يجوز إن سقطت عليه وكان في [٨٦ ظ] أجلي تأخير ، أن تنكسر يدي أو رجلي وأسلم .

قال : وكنت مقيّداً ، فقمت لمّا نام النّاس ، وطرحت نفسي من الموضع ، قائماً على رجلي ، فحين حصلت في الهواء ، ندمت وأقبلت أستغفر الله ، وأتشهّد ، وأغمضت عيني حتّى لا أرى كيف أموت ، وجمعت رجلي بعض الجمع لأنّي كنت سمعت قديماً أنّ من اتّفق له أن يسقط قائماً من مكان عالٍ ، إذا جمع رجليه ، ثمّ أرسلهما إذا بقي بينه وبين الأرض ذراع أو أكثر قليلاً ، فإنّه يسلم ، وتنكسر حدّة السقطة ، ويصير كأنّه بمنزلة من سقط من ذراعين .

قال : ففعلت ذلك ، فلمّا سقطتُ إلى الأرض ، ذهب عنّي أمري ، وزال عقلي ، ثمّ ثاب إليّ عقلي ، فلم أجد ما كان ينبغي أن يلحقني من ألم السقطة من ذلك المكان ، فأقبلت أجسّ أعضائي شيئاً شيئاً ، فأجدها سالمة ، وقمت وقعدت ، وحرّكت يدي ورجلي ، فوجدت ذلك سليماً كلّه ، فحمدت الله تعالى على هذه الحال .

وأخذت صخرة ، وكان الحديد الّذي في رجلي قد صار كالزّجاج لشدّة البرد ، قال : فضربته ضرباً شديداً ، فانكسر ، وطنّ الجبل حتّى ظننت أن سيسمعه من في القلعة لعظمه ، فيتنبّهون على صوته ، فسلّم الله عزّ وجلّ من هذا أيضاً ، وقطعت تكّتي ، فشددت ببعضها القيد على ساقي ، وقمت أمشي في الثّلج .

فمشيت طويلاً ، ثمّ خفت أن يرى أثري من غدٍ في الثلج على المحجّة[7] ، فيطلبوني ، ويتبعوني ، فلا أفوتهم ، فعدلت عن المحجّة ، إلى نهر يقال له : الخابور[8] ، فلمّا صرت على شاطئه ، نزلت في الماء إلى ركبتي ، وأقبلت أمشي [كذلك فرسخاً ، حتّى انقطع أثري ، وخفي مكان رجلي ، ثمّ خرجت لما][6] كادت أطرافي تسقط من البرد ، فمشيت على شاطئه ، ثمّ عدت أمشي فيه ، وربّما حصلت في موضع لا أقدر على المشي فيه ، لأنّه يكون جرفاً ، فأسبح .

فأمشي على ذلك أربع فراسخ ، حتّى حصلت في خيم فيها قوم ، فأنكروني ، وهمّوا بي ، فإذا هم أكراد ، فقصصت عليهم قصّتي ، واستجرت بهم ، فرحموني [وغطّوني ، وأوقدوا بين يديّ ناراً ، وأطعموني ، وستروني][6] ، وانتهى الطلب من غدٍ إليهم ، فما أعطوا خبري أحداً .

---

٧ المحجّة : جادّة الطريق ، أي وسطه .

٨ الخابور : نهران ، أحدهما يصبّ في الفرات ، ذكرته أخت الوليد بن طريف الشيباني ، في رثائها أخاها ، قالت :

فيا شجر الخابور ما لك مورقاً كأنّك لم تجزع على ابن طريف

والثاني ، أحد روافد دجلة ، ويسمّى خابور الحسنية ، من أعمال الموصل ، وإيّاه عنى عديّ بن زيد ، بقوله :

وأخو الحضر إذ بناه وإذ دجـ ـلة تجبى إليه والخابور

والثاني ، هو المقصود في هذه القصّة ، راجع معجم البلدان ٢ / ٢٨٤ و٣٨٣ و٣٨٤ .

فلمّا انقطع الطلب ، سيّروني[9] ، فدخلت الموصل مستتراً .

وكان ناصر الدولة ببغداد – إذ ذاك – فانحدرت إليه ، فأخبرته بخبري كلّه ، فعصمني من زوجته ، وأحسن إليّ ، وصرّفني .

٩ التسيار : مصطلح بغداديّ ، بمعنى البذرقة ، وسيّره : أوصله إلى مأمنه .

١٧١

يرتجع من مال مصادرته مائة ألف دينار

حدّثني أبو عليّ بن أبي عبد الله الحسين بن عبد الله المعروف بابن الجصّاص الجوهري[١] ، قال : سمعت أبي[٢] يحدّث ، قال :

لما نكبني المقتدر ، وأخذ منّي تلك الأموال العظيمة[٣] ، أصبحت يوماً في الحبس آيس ما كنت من الفرج .

فأتاني خادم ، فقال : البشرى .

فقلت : ما الخبر ؟

قال : قم ، فقد أطلقت .

فقمت معه ، فاجتاز بي في بعض الطرق [٦٧ ر] في دار الخلافة ، يريد إخراجي إلى دار السيّدة ، لتكون هي الّتي تطلقني ، [٨٨ م] لأنّها هي الّتي

---

١ أبو علي بن أبي عبد الله الحسين بن عبد الله المعروف بابن الجصّاص الجوهري : ذكره المحسن التنوخيّ في كتابه نشوار المحاضرة ، وقال : إنّه اجتمع به ببغداد في سنة نيف وخمسين وثلثمائة فرآه شيخاً طيّباً حسن المحاضرة ، وإنّه سأله عن الحكايات التي تنسب إلى والده ، وتلقّى ردّه ، وأثبته ، راجع القصّة ١ / ٩ من كتاب نشوار المحاضرة .

٢ أبو عبد الله الحسين بن عبد الله المعروف بابن الجصّاص الجوهريّ : كان جوهرياً بمصر ، واتّصل بخمارويه بن أحمد بن طولون ، أمير مصر ، ثمّ توسّط في زواج قطر الندى ابنة خمارويه ، بالمعتضد ، ثم أقام ببغداد ، وتوفّي بها سنة ٣١٥ ، وكان عظيم الغنى ، واسع الثروة ، يتّهم بالتغفيل ، ولكنّ ولده نفى عنه هذه التهمة ، وأورد له قصّة (القصّة ١ / ٩ من كتاب نشوار المحاضرة) تدلّ على ذكاء ونباهة ، راجع القصص ١ / ٧ و٨ و٩ و١٠ و١١ ، والقصص ٢ / ١٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ من كتاب نشوار المحاضرة .

٣ من قائل إنّها ستة آلاف ألف دينار (القصّة ١ / ٧ من نشوار المحاضرة للتنوخيّ) ومن قائل إنّها عشرة آلاف ألف دينار (الوزراء ٢٤٥) ، والرجل تاجر ، لا دخل لـه في السياسة ، وكان ذنبه أن خصماً سياسياً للخليفة ، وهو ابن المعتزّ التجأ إليه فآواه (تجارب الأمم ١ / ٧ والتكملة ٥) .

شفعت فيّ ، فوقعت عيني في جوازي على أعدال خيش[4] لي أعرفها ، وكان مبلغها مائة عدل .

فقلت للخادم : أليس هذا من الخيش الّذي حمل من داري ؟

قال : بلى .

فتأمّلته ، فإذا هو بشدّه وعلاماته ، وكانت هذه الأعدال قد حملت إليّ من مصر ، وفي كلّ عدل منها ألف دينار ، من مال كان لي بمصر ، كتبت بحمله ، فخافوا عليه من الطريق ، فجعلوه في أعدال الخيش ، لأنّها مما لا يكاد يحمله [١١٩ غ] اللصوص ، لو وقعوا عليه ، فلا يفطنون لما فيه ، فوصلَتْ سالمة ، ولاستغنائي عن المال ، لم أخرجه من الأعدال ، وتركته بحاله في بيت من داري ، واقفلت عليه ، وتوخّيت أيضاً بذلك ستر حديثه ، فتركته شهوراً على حاله لأنقله في وقت آخر كما أريد .

وكبستُ ، فأخذ الخيش في جملة ما أخذ من داري ، ولخسّته عندهم تهاونوا به ، ولم يعرف أحد ما فيه ، فطرح في تلك الدار .

فلمّا رأيته بشدّه ، طمعت في خلاصه ، والحيلة في ارتجاعه [٨٧ ظ] فسكتُّ .

فلمّا كان بعد أيّام من خروجي ، راسلت السيّدة ، ورقّقتها ، وشكوت حالي إليها ، وسألتها أن تدفع إليّ ذلك الخيش ، لأنّه لا قدر له عندهم ، وأنا أنتفع بثمنه .

قال : فاستحمقتني ، وقالت : أيّ شيء قدر الخيش ؟ ردّوه عليه ، فسلّم إليّ بأسره .

ففتحته ، وأخذت منه المائة ألف دينار ، ما ضاع لي منها دينار واحد ، وأخذت من الخيش ما أحتاج إليه ، وبعت باقيه بجملة وافرة .

فقلت في نفسي : قد بقيت لي بقيّة إقبال جيّدة .

---

٤ الخيش : نسيج من القماش الخشن ، وهو ما نسمّيه اليوم بالجنفاص ، راجع حاشية القصّة ١٤٣ من هذا الكتاب .

١٧٢
قد ينتفع الإنسان في نكبته بالرجل الصغير

حدّثني عليّ بن هشام ، قال : سمعت حامد بن العبّاس[١] ، يقول : ربّما انتفع الإنسان في نكبته بالرجل الصغير ، أكثر من منفعته بالكبير ، فمن ذلك : أنّ إسماعيل بن بلبل[٢] ، لمّا حبسني ، جعلني في يد بوّاب كان يخدمه قديماً .

قال : وكان رجلاً حرّاً ، فأحسنت إليه ، وبررته ، وكنت أعتمد على عناية أبي العباس بن الفرات[٣] بي ، وكان ذلك البوّاب ، لقديم خدمته لإسماعيل ، يدخل إلى مجالسه الخاصّة ، ويقف بين يديه ، ولا ينكر عليه ذلك ، لسالف خدمته[٤] .

فصار إليّ في بعض الليالي ، فقال : قد حرد الوزير على ابن الفرات بسببك ،

---

١ أبو محمّد حامد بن العباس : من كبار العمّال في الدولة العباسية ، ولي فارس للمعتضد (القصّة رقم ٨ / ٥٣ من كتاب نشوار المحاضرة) وولي واسط للمقتدر (القصّة ٤ / ٧٨ من نشوار المحاضرة) ثم ولّي وزارة المقتدر في السنة ٣٠٦ ، ثم عزله ، وتسلّمه المحسّن بن الفرات ، فبعث به إلى واسط ، فمات فيها سنة ٣١١ (الأعلام ٢ / ١٦٦) .

٢ أبو الصقر إسماعيل بن بلبل الشيباني : من كبار الكتّاب في الدولة العبّاسيّة ، استوزره الموفّق لأخيه المعتمد ، وبلغ من الوزارة مبلغاً عظيماً ، وجمع له السيف والقلم ، ومدحه الشعراء كالبحتريّ وابن الروميّ ، قتله المعتضد لما ولّي الخلافة واستصفى أمواله (الفخري ٢٥٢) أنظر أخباره في كتاب نشوار المحاضرة ١ / ٧٦ ، ١٣٧ ، و٢ / ١٦٧ و٣ / ٦٥ .

٣ أبو العباس أحمد بن محمّد بن الفرات : من أكتب أهل زمانه ، ومن أوفرهم أدباً ، وهو من ممدوحي البحتريّ ، كان يلي ديوان الخراج في أيّام المعتضد ، ويخلفه عليه أخوه أبو الحسن عليّ بن محمّد بن الفرات الذي وزّر أخيراً للمقتدر (القصّة ٥ / ٣٣ من كتاب نشوار المحاضرة ، والوزراء ١٨٤) وكان حكيماً (القصّة ٥ / ٣٣ من كتاب نشوار المحاضرة) إلاّ أنّه كان حادّ الطبع (القصّة ٨ / ٣٥ من كتاب نشوار المحاضرة) ، توفّي سنة ٢٩١ (الأعلام ١ / ١٩٦) .

٤ في غ وم : لسالف صحبته .

وقال له : ما يكسر المال على حامد غيرك ، ولا بدّ من الجدّ في مطالبته بباقي مصادرته ، وسيدعوك الوزير في غدٍ إلى حضرته ويهدّدك .

فشغل ذلك قلبي ، فقلت له : هل عندك من رأي ؟

قال : نعم ، تكتب رقعة إلى رجل من معامليك تعرف شحّه وضيق نفسه ، تلتمس منه لعيالك ألف درهم ، يقرضك إيّاها ، وتلتمس منه أن يجيبك على ظهر رقعتك ، لترجع إليك ، فإنّه لشحّه ، يردّك بعذر ، وتحتفظ بالرقعة ، فإذا طالبك الوزير أخرجتها له على غير مواطأة ، وقلتَ له : قد أفضت حالي إلى هذا ، فلعلّ ذلك ينفعك .

قال : ففعلت ما قاله ، وجاءني الجواب بالرّد كما خمّنّا ، فشددت الرقعة معي . فلمّا كان من الغد ، أخرجني الوزير ، وطالبني ، فأخرجت الرّقعة ، وأقرأته إيّاها ، ورقّقته ، وتكلّمت بما أمكن ، فاستحيا ، وكان ذلك سبب خفّة أمري ، وزوال محنتي .

فلمّا تقلّدت في أيّام عبيد الله بن سليمان ما تقلّدت ، سألت عن البوّاب ، فاجتذبته إلى خدمتي ، وكنت أجري عليه خمسين ديناراً في كلّ شهر ، وهو باقٍ إلى الآن[٥] .

---

٥ وردت القصّة في كتاب نشوار المحاضرة للتنوخيّ برقم ٨ / ٢٣ .

١٧٣

أبو العتاهية يحبس لامتناعه عن قول الشعر

أخبرني أبو الفرج عليّ بن الحسين الأصبهاني ، قال : حدّثني عمّي الحسن ابن محمّد ، قال : حدّثنا محمّد بن القاسم بن مهرويه ، قال : حدّثني محمّد ابن أبي العتاهية[١] ، قال حدّثني أبي[٢] ، قال :

لمّا امتنعتُ من قول الشعر ، وتركته ، أمر المهدي بحبسي في سجن الجرائم ، فأخرجت من بين يديه إلى الحبس .

فلمّا أدخلته [٦٨ ر] دهشت ، وذهل عقلي ، ورأيت منظراً هالني .

فرميت [٨٩ م] بطرفي أطلب موضعاً آوي فيه ، أو رجلاً آنس بمجالسته ، فإذا أنا بكهلٍ حسن السمت نظيف الثوب ، تبين عليه سيماء الخير ، فقصدته ، فجلست إليه من غير أن أسلّم عليه ، أو أسأله عن شيء [١٢٠ غ] من أمره ، لما أنا فيه من الجزع والحيرة .

فمكثت كذلك مليًّا ، وأنا مطرق مفكّر في حالي ، فأنشد الرجل :

تعوّدت مسّ الضرّ حتى ألفتـه ... وأسلمني حسن العزاء إلى الصبر
وصيّرني يأسي من النّاس واثقـاً ... بحسن صنيع الله من حيث لا أدري

قال : فاستحسنت البيتين ، وتبرّكت بهما ، وثاب إليّ عقلي ، فأقبلت على الرجل ، فقلت له : تفضّل ، أعزّك الله ، بإعادة هذين البيتين .

---

١ أبو عبد الله محمّد (الملقّب عتاهية) بن أبي إسحاق إسماعيل بن القاسم بن سويد الملقّب بأبي العتاهية : شاعر ابن شاعر ، حذا حذو أبيه أبي العتاهية في القول في الزهد ، ترجم له الخطيب في تاريخه ٢ / ٣٥ .

٢ أبو إسحاق إسماعيل بن القاسم بن سويد ، الملقّب بأبي العتاهية (١٣٠ - ٢١١) : شاعر مكثر ، سريع الخاطر ، من مقدّمي المولدين ، ولد في عين التمر ، وامتهن بيع الجرار ، ثمّ اتّصل بالخلفاء ، وعلت مكانته ، وتعشّق جارية اسمها عتبة ، وأكثر أشعاره في الزهديات (الأعلام ١ / ٣١٩) .

فقال لي : ويحك يا إسماعيل – ولم يكنّني – ما أسوأ أدبك ، وأقلّ عقلك[3] ومروءتك ، دخلتَ ، فلم تسلّم عليّ تسليم [٨٨ ظ] المسلم على المسلم ، ولا توجّعت لي توجّع المبتلى للمبتلى ، ولا سألتني مسألة الوارد على المقيم ، حتّى إذا سمعت منّي بيتين من الشعر الّذي لم يجعل الله فيك فضلاً[4] ولا أدباً ، ولا جعل لك معاشاً غيره ، لم تتذكّر ما سلف منك فتتلافاه ، ولا اعتذرت ممّا قدّمته ، وفرّطت فيه من الحق ، حتّى استنشدتني مبتدئاً ، كأنّ بيننا أنساً قديماً ، أو معرفة سالفة ، أو صحبة تبسط المنقبض .

فقلت له : تعذرني متفضّلاً ، فإنّ دون ما أنا فيه ما يدهش .

فقال : وفي أيّ شيء أنت ؟ أنت إنّما تركت قول الشعر الّذي كان به قوام جاهك عندهم ، وسببك إليهم ، فحبسوك حتّى تقوله ، وأنت لا بد أن تقوله ، فتطلق ، وأنا يدعى بي الساعة ، فأطالب بإحضار عيسى بن زيد[5] ، وهو ابن رسول الله ، صلّى الله عليه وسلّم ، فإن دللتُ عليه ، لقيت الله عزّ وجل بدمه ، وكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، خصمي فيه ، وإن لم أفعل ، قُتلتُ ، فأنا أولى بالدهش والحيرة منك ، وأنت ترى احتسابي وصبري .

فقلت : يكفيك الله عزّ وجلّ ، وأطرقت خجلاً منه .

فقال لي : لا أجمع عليك التوبيخ والمنع ، اسمع البيتين واحفظهما ، فأعادهما عليّ مراراً حتّى حفظتهما .

---

٣ في غ : وأقل معرفتك .

٤ في غ وم : خيراً .

٥ أبو يحيى عيسى بن زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب : ثائر ، من كبار الطالبيّين ، ولد ونشأ بالمدينة ، وصحب النفس الزكيّة محمّد بن عبد الله بن الحسن ، واشترك معه في الثورة على المنصور ، وأوصى محمّد بأن يكون عيسى خلفاً لأخيه إبراهيم ، ولما قتل محمّد وإبراهيم ، عاش بقيّة حياته متوارياً ، وطلبه المهديّ العباسيّ فلم يقدر عليه ، توفّي سنة ١٦٨ (الأعلام ٥ / ٢٨٦) .

ثمّ دعي به وبي ، فلمّا قمنا ، قلت له : من أنت أعزّك الله ؟

قال : أنا حاضر ، صاحب عيسى بن زيد .

فأدخلنا على المهدي ، فلمّا وقفنا بين يديه ، قال له : أين عيسى بن زيد ؟

قال : ما يدريني أين عيسى بن زيد ، طلبتَهُ ، وأخفتَهُ ، فهرب منك في البلاد ، وأخذتني ، فحبستني ، فمن أين أقف على موضعِ هاربٍ منك وأنا محبوس ؟

قال له : فأين كان متوارياً ، ومتى آخر عهدك به ، وعند من لقيته ؟

قال : ما لقيته منذ توارى ، ولا أعرف عنه خبراً .

قال : والله ، لتدلّني عليه ، أو لأضربنّ عنقك السّاعة .

فقال : اصنع ما بدا لك ، أنا أدلّك على ابن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، لتقتله ، وألقى الله عزّ وجلّ ، ورسوله ، وهما مطالبان لي بدمه ؟ ، والله لو كان بين جلدي ، وثوبي ، ما كشفت عنه .

فقال : اضربوا عنقه .

فقدّم ، فضربت عنقه من ساعته .

ثمّ دعاني ، فقال : أتقول الشّعر ، أو ألحقك به ؟

فقلت : بل أقول الشّعر .

قال : أطلقوه[٦] .

قال محمّد بن القاسم بن مهرويه : والبيتان اللّذان سمعهما أبو العتاهية ، من حاضر ، هما في شعره الآن .

---

٦ وردت القصّة في الأغاني ٤ / ٩٢ – ٩٣ ، وفيه : أنّ الذي حبس أبا العتاهية ، هو هارون الرشيد ، والصحيح أنّه المهديّ ، كما ورد في هذا الكتاب ، إذ انّ عيسى بن زيد توفّي في السنة ١٦٨ قبل أن يستخلف الرشيد .

قال القاضي أبو علي[7] : وأنشدني بعض أصحابنا ، بيتاً آخر ، زيادة :

إذا أنا لم أقنع[8] من الدّهر بالّذي   تكرّهت منه طال عتبي على الدّهر

[ووجد على مسطرة علي بن أحمد[9] ، رحمه الله تعالى ، بيت رابع لهذا ، وهو : [٦٩ ر]

ووسّع صدري للأذى كثرة الأذى   وقد كنت أحياناً يضيق به صدري][10]

---

٧ القاضي أبو علي المحسّن بن أبي القاسم التنوخيّ ، مؤلّف الكتاب .

٨ في ظ : أرضى ، والتصحيح من م ، ر .

٩ عليّ بن أحمد الخراساني ، حاجب معزّ الدولة (القصّة ٣ / ٧ من نشوار المحاضرة) مدحه المتنبّي بقصيدته التي مطلعها :

حشاشة نفسٍ ودّعت يوم ودّعوا   فلم أدر أيّ الظاعنين أشيّع

(ديوان المتنبّي ، شرح الواحدي ٤٢) .

١٠ الزيادة من ر ، راجع مقاتل الطالبيين ٤٢٥ – ٤٢٨ .

١٧٤

الفيض بن أبي صالح ومروءته

وجدت في كتاب أعطانيه أبو الحسين عبد العزيز بن إبراهيم ، ابن حاجب النعمان[١] ، وهو يومئذ كاتب الوزير المهلّبي ، على ديوان السواد[٢] ، وذكر انّه نسخه من كتاب أعطاه إيّاه [١٢١ غ] أبو الحسين عبد الواحد بن محمّد الخصيبي ، وكان فيه إصلاحات بخطّ أبي الحسين بن ما بنداد : قال أبو الحسن عليّ بن الحسين ابن عبد الأعلى [٩٠ م] الإسكافي[٣] :

كان داود ، كاتب أمّ جعفر[٤] ، قد حبس وكيلاً لها ، وجب لها عليه في حسابه مائتا ألف درهم ، فكتب الرجل إلى عيسى بن فلان ، وإلى سهل بن الصباح ، وكانا صديقين له ، يسألهما الركوب إلى داود في أمره ، فركبا إليه .

فلقيهما الفيض بن أبي صالح[٥] ، فسألهما عن خبرهما ، فأخبراه ، فقال لهما : أتحبّان أن أكون معكما .

---

١ أبو الحسين عبد العزيز بن إبراهيم : ترجمته في حاشية القصّة ٤٧٤ من هذا الكتاب .

٢ راجع القصّة ١ / ٢٨ من كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للقاضي التنوخيّ .

٣ أبو الحسن عليّ بن الحسين بن عبد الأعلى الإسكافي الكاتب : من الكتّاب المعروفين في دولة بني العبّاس ، وكان قويّ الصلة بالحسن بن سهل ، كثير الرواية عنه ، روى كثيراً من أخبار المأمون (تاريخ بغداد لابن طيفور ١١٥ – ١١٨) ثم كتب لبغا الكبير (القصّة ١٩٠ من هذا الكتاب) ، والإسكافي : نسبة إلى إسكاف بني الجنيد ، ناحية ببغداد على صوب النهروان (اللباب ١ / ٤٥) .

٤ أمة العزيز بنت جعفر بن المنصور الهاشمية العبّاسيّة : كنيتها أمّ جعفر ، ولقبها زبيدة ، لقّبها به جدّها المنصور ، لبياضها ، ونعومتها ، تزوّج بها هارون الرشيد سنة ١٦٥ ، وولدت له محمّداً الأمين سنة ١٧٠ ، كانت وافرة الغنى ، ولها خيرات ومبرّات ، توفّيت سنة ٢١٦ (الأعلام ٣ / ٧٣) وقال عنها الجاحظ : كانت زبيدة من أعقل الناس ، وأفصح الناس (الموشّح ٥٣٨) .

٥ أبو جعفر الفيض بن أبي صالح : من أهل نيسابور ، كان أهله نصارى أسلموا ، وتربّى الفضل في الدّولة العبّاسية ، وتأدّب على عبد الله بن المقفّع ، وبرع ، وكان سخيّاً ، مفضالاً ، جواداً ، عزيز النفس ،

قالا : نعم .

فصاروا إلى داود ، فكلّموه في إطلاق الرجل ، فقال : أكتب إلى أمّ جعفر ، فكتب إليها ، يعلمها خبر القوم وحضورهم ، ومسألتهم إطلاق الوكيل .

فوقّعت في الرّقعة أن يعرّفهم ما وجب لها عليه من المال ، ويعلمهم أنّه لا سبيل إلى إطلاقه دون أداء المال .

قال : فأقرأهم التوقيع ، فقال عيسى وسهل بن الصّبّاح : قد قضينا حقّ الرّجل ، وقد أبت أمّ جعفر أن تطلقه إلّا بالمال ، فقوموا ننصرف .

فقال لهما الفيض بن أبي صالح : كأنّا انّما جئنا لنؤكّد حبس الرّجل .

قالا له : [٨٩ ظ] فماذا نصنع ؟

قال : نؤدّي المال عنه .

قال : ثمّ أخذ الدواة ، فكتب إلى وكيله في حمل المال عن الرّجل كتاباً دفعه إلى داود كاتب أمّ جعفر ، وقال : قد أزحنا علّتك في المال ، فادفع إلينا صاحبنا .

قال : لا سبيل إلى ذلك ، حتّى أعرّفها الخبر .

قال : فكتب إليها بالخبر ، فوقّعت في رقعته : أنا أولى بهذه المكرمة من الفيض بن أبي صالح ، فاردد عليه كتابه بالمال ، وادفع إليه الرّجل ، وقل له لا يعاود مثل ما كان منه .

قال : ولم يكن الفيض يعرف الرّجل ، وإنّما ساعد عيسى وسهلاً على الكلام في أمره[٦] .

كبير الهمّة ، شديد الكبر والتيه ، ولّاه المهديّ وزارته لما قبض على يعقوب بن داود ، ومات المهديّ وهو وزيره ، فلما ولّي الهادي لم يستوزره ، وبقي الفيض إلى أيّام الرشيد ، وتوفّي سنة ١٧٣ (وفيات الأعيان ٧ / ٢٦ والفخري ١٨٧ – ١٨٨) .

٦ وردت هذه القصّة في الفخري ص ١٨٧ ، ١٨٨ .

١٧٥

كيف تخلّص أعشى همدان من أسر الديلم

[أخبرني أبو الفرج عليّ بن الحسين الأصبهاني ، قال : أخبرني الحسن ابن عليّ ، قال : حدّثنا الحسن بن عليل العنزيّ ، عن محمّد بن معاوية الأسدي ، عن ابن كناسة .

وحدّثني مسعود بن بشر ، عن أبي عبيدة ، والأصمعي .

ووافق روايتهم الهيثم بن عديّ[١] ، عن حمّاد الراوية[٢] ، قال :][٣]

كان أعشى همدان ، أبو المصبح[٤] ، ممّنَ أغزاه الحجّاج بلد الديلم[٥] ، ونواحي دستبى[٦] ، فأسر ، فلم يزل أسيراً في أيدي الدَّيْلم مدّة .

ثمّ إنّ بنتاً للعلج الّذي كان أسره ، رأته ، فهويته ، فصارت إليه ليلاً ، وأمكنته من نفسها ، فأصبح ، وقد واقعها ثماني مرّات .

---

١ أبو عبد الرحمن الهيثم بن عديّ بن عبد الرحمن الثعلي الطائي البحتري الكوفيّ (١١٤ – ٢٠٧) : مؤرّخ ، أديب ، نسّابة ، جالس المنصور ، والمهديّ ، والهادي ، والرشيد ، وروى عنهم ، وتوفّي بفم الصلح عند الحسن بن سهل (الأعلام ٩ / ١١٤) .

٢ أبو القاسم حمّاد بن سابور بن المبارك ، الملقّب بالراوية (٩٥ – ١٥٥) : من أعلم الناس بأيّام العرب ، وأشعارها ، وأخبارها ، وأنسابها ، ولغاتها ، كان مقدّماً عند بني أميّة ، وجفي في أيّام بني العبّاس (الأعلام ٢ / ٣٠١) .

٣ كذا وردت في ظ وغ ، وفي م ورد بدلاً عنها : روي عن حمّاد الراوية ، وفي ر : حكى أبو عبيدة عن الأصمعي ، وفي هـ : روى أبو الفرج بالإسناد .

٤ أبو المصبح عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث بن نظام بن جشم الهمداني ، المعروف بأعشى همدان : شاعر اليمن بالكوفة وفارسهم ، وكان من الفقهاء القرّاء ، انحاز إلى عبد الرحمن بن الأشعث ، لمّا خرج على الحجّاج ، ونصره بسيفه ولسانه ، قتله الحجّاج سنة ٨٣ (الأعلام ٤ / ٨٤) .

٥ الديلم : قوم من العجم ، مقامهم بناحية جرجان .

٦ دستبى : منطقة تشتمل على ما يزيد على مائتي قرية بين الريّ وهمذان (معجم البلدان ٢ / ٥٧٣) .

فقالت له الديلميّة : يا معشر المسلمين ، هكذا تفعلون بنسائكم ؟

فقال لها : هكذا نفعل كلّنا بنسائنا .

فقالت له : بهذا العمل نصرتم ، أفرأيتَ إن خلّصتك ، أن تصطفيني لنفسك ؟

فقال لها : نعم ، وعاهدها .

فلمّا كان الليل ، حلّت قيوده ، وأخذت به طريقاً تعرفه ، حتّى خلّصته .

فقال شاعر من أسراء المسلمين :

ومن كان يفديه من الأسر ماله   فهمدان تفديها الغداة أيورها

وقال الأعشى ، يذكر ما لحقه من أسر الديلم له :

[لمن الظعائن سيرهنّ تزحّف[1]   عوم السفين إذا تقاعس مجذف

وذكر أبو الفرج الأصبهاني القصيدة ، وهي طويلة ، اخترتُ منها ما تعلّق بالفرج بعد الشدّة ، وهو قوله :][7]

أصبحت رهناً للعداة مكبّلاً   أمسي وأصبح في الأداهم أرسف [٩١ م]
ولقد أراني قبل ذلك ناعماً   جذلان آبى أن أضام وآنف [١٢٢ غ]
واستنكرت ساقي الوثاق وساعدي   وأنا امرؤ بادي الأشاجع[8] أعجف[9]
وأصابني قوم وكنت أصيبهم   فالآن أصبر للزمان وأعرف
وإذا تصبك من الحوادث نكبة   فاصبر لها فلعلّها تتكشّف

[ويروى : فكلّ مصيبة ستكشّف][10].

---

٧ الزيادة من غ ، وكذلك ورد الشطر في الأغاني ط. بولاق ٥ / ١٤٨ .

٨ الأشاجع : عروق ظاهر الكف .

٩ الأعجف : الهزيل .

١٠ الزيادة من غ .

١٧٦

يحتال للخلاص من حبس نجاح بن سلمة

وذكر ابن عبدوس في أخبار الوزراء :

أنّ نجاح بن سلمة ، حبس إبراهيم بن المدبّر[1] مكايدة لأخيه[2] ، وذلك في أيّام المتوكّل .

فلمّا طال حبس إبراهيم ، ولم يجد حيلة في الخلاص ، عمل أبياتاً ، وأنفذها إلى المسدود الطنبوريّ[3] ، وسأله أن يعمل فيها لحناً ، ويغنّي بها المتوكّل ، فإذا سأل عن قائلها ، عرّفه أنّها له .

ففعل المسدود ذلك ، وسأله المتوكّل ، فقال : لعبدك إبراهيم بن المدبّر ، فذكره ، وأمر بإطلاقه .

والأبيات هي :

بأبي من بات عندي	طارقاً من غير وعد
بات يشكو ألم الشو	ق وأشكو فرط وجدي
وتجنّى فبكى فانـ	ـهلّ درٌّ فوق ورد
فيدٌ تحت يدٍ طو	راً وخدٌّ فوق خدّ

---

١ أبو إسحاق إبراهيم بن محمّد بن عبيد الله بن المدبّر الكاتب : ترجمته في حاشية القصّة ١٥٥ .

٢ أبو الحسن أحمد بن محمّد بن عبيد الله بن المدبّر الكاتب : ترجمته في حاشية القصّة ٨٢ .

٣ أبو علي الحسن الطنبوري المغنّي : كان أبوه قصّاباً ، ولقّب بالمسدود ، لأنّه كان مسدود فرد منخر ، ومفتوح الآخر ، وكان يقول : لو كان منخري الآخر مفتوحاً لأذهلت بغنائي أهل الحلوم والآداب (الأغاني ٨ / ٣٦٨) ، راجع قصّته مع الواثق في الهفوات النادرة ص ١٨ .

١٧٧

يهب أحد أتباعه خمسة آلاف ألف درهم

وذكر أيضاً أنّ إسحاق بن سعد ، قال : حدّثني أبو عبد الله محمّد بن عيسى المروروذي صاحب يحيي بن خاقان[1] ، [عنه] ، قال :

كان المأمون ألزمني خمسة آلاف ألف درهم ، فأعلمته أنّي لا أملك إلّا سبعمائة ألف درهم ، وحلفت له على ذلك ، بأيمان مغلّظة ، اجتهدت فيها ، فلم يقبل منّي ، وحبسني عند أحمد بن هشام[2] ، وكان بيني وبينه شرّ قد اشتهر وعُرِفَ ، وكان يتقلّد الحرس .

فقال أحمد للموكّلين بي : احفظوه ، واحذروا أن يسمّ نفسه .

ففطن المأمون لمراده ، فقال : لا يأكل يحيى بن خاقان ، ولا يشرب [٩٠ ظ] إلّا ما يؤتى به من منزله .

قال : فأقمت على ذلك [مدّة ، فوجّه إليّ الحسن بن سهل بألف ألف درهم ،][3] ، ووجّه إليّ فرج الرخجيّ بألف ألف درهم ، ووجّه إليّ حُمَيد الطوسيّ

---

١ يحيى بن خاقان الخراساني : مولى الأزد ، أخو الفتح بن خاقان ، وزير المتوكّل (الملح والنوادر ٣٣٢) وأخوهما الثالث عبد الرحمن بن خاقان وكان يلي البصرة للمتوكّل (البصائر والذخائر م ١ ص ٣٥٩) . ووالد عبيد الله بن يحيى بن خاقان الذي وزّر للمتوكّل ، كان يحيى من مشايخ كتّاب الدّولة العبّاسيّة (الديارات ١٥٤ ، ١٥٥) ولاّه المتوكّل ديوان الخراج في السنة ٢٣٤ على قول صاحب الديارات ١٥٥ ، وفي السنة ٢٣٣ على قول الطبري ٩ / ١٦٢ ، عزل به الفضل بن مروان ، وتوفّي يحيى في السنة ٢٤٠ (البصائر والذخائر م ١ ص ٣٥٩) .

٢ أحمد بن هشام المروزي : هو وأخوه علي ، من أوائل القوّاد الذين قاموا بدعوة المأمون ، وحاربوا في جيشه ، ولما فتح طاهر بن الحسين قائد المأمون بغداد ، جعل أحمد على شرطته (الطبري ٨ / ٣٩١) ثم أصبح على شرطة المأمون لما قدم بغداد (تاريخ بغداد لابن طيفور ٥٥) راجع في تاريخ بغداد ٥٥ و٥٦ قصّة له مع المأمون في أمر رفع الظلامة عن مظلوم .

٣ الزيادة من م .

بألف ألف درهم ، وأضفت ذلك إلى ما كان عندي ، واضطربت حتّى جمعت خمسة آلاف ألف درهم .

فلمّا اجتمعَتْ ، كتبتُ إلى المأمون بحضور المال الّذي ألزمني إيّاه ، فأمر بإحضاري ، فدخلت إليه وبين يديه أحمد بن أبي خالد ، وعمرو بن مسعدة ، وعلي بن هشام[4] .

فلمّا رآني ، قال لي : أولم تخبرني وتحلف لي أنّك لا تملك إلّا سبعمائة ألف درهم ، فمن أين لك هذا المال ؟

فصدقته عن أمره ، وقصصت القصّة عليه .

فأطرق طويلاً ، ثمّ قال لي : قد وهبته لك .

فقال له الحضور : أتهب له خمسة آلاف ألف ، وليس في بيت المال درهم واحد ، وأنت محتاج إلى ما دون ذلك بكثير ؟ فلو أخذته منه قرضاً ، فإذا جاءك مال رددته عليه .

فقال لهم : أنا على المال أقدر من يحيى ، وقد وهبته له .

فرددت إلى القوم ما كانوا حملوه ، وتخلّصت .

---

٤ علي بن هشام المروزيّ : من أوائل القوّاد الذين قاموا بدعوة المأمون . ولما فتح طاهر بن الحسين بغداد وقتل الأمين ، نصبه والياً عليها (الطبري ٨ / ٥٤٣) وكان أثيراً عند المأمون جدّاً (تاريخ بغداد ٥٧ . ١١٩) وفي السنة ٢١٦ ولّاه المأمون بلاد الجبل وأذربيجان وأرمينية . فظلم وجار . فبعث إليه القائد عجيف ليحضره ، فهمّ أن يبطش بعجيف ، ولم يقدر ، فأحضره المأمون وقتله (الطبري ٨ / ٦٢٧) وعلّق في رأسه كتاباً ذكر فيه سابقته وحسن بلائه ، ثم ذكر السّبب الذي أدّى إلى قتله . وهو كتاب جدير بالمطالعة . أنظره في الطبري ٨ / ٦٢٧ وفي تاريخ بغداد لابن طيفور ص ١٤٦ .

١٧٨

يتنازل لأحد أتباعه عن عشرة آلاف ألف درهم

قال محمّد بن عبدوس في كتابه « أخبار الوزراء »[١] :

ذكر الفضل بن مروان[٢] ، أنّ محمّد بن يزداد[٣] سعى إلى المأمون بعمرو بن بهنوى[٤] .

فقال له المأمون : يا فضل ، خذ عمراً إليك ، وقيّده ، وضيّق عليه ، ليصدق عما صار إليه من مال الفيء ، فقد اختان مالاً عظيماً ، وطالبه به .

فقلت [٩٢ م] : نعم ، وأمرت بإحضار عمرو ، فأُحضر ، فأخليت له حجرة في داري [١٢٣ غ] ، وأقمت له ما يصلحه ، وتشاغلت عنه [٧٠ ر] بأمور السلطان ، في يومي وفي الغد .

فلمّا كان في اليوم الثالث ، أرسل إليّ عمرو يسألني الدخول عليه ، فدخلت ، فأخرج إليّ رقعة ، قد أثبت فيها كلّ ما يملكه من الدور ، والضياع ، والعقار ، والأموال ، والفرش ، والكسوة ، والجوهر ، والقماش ، والكراع[٥] ، وما يجوز

---

١ في غ : كتاب الوزراء .

٢ الفضل بن مروان (١٧٠ – ٢٥٠) : كان من صغار الكتّاب في الدواوين أيّام الرشيد ، وتعطّل لما وقعت الفتنة بين الأمين والمأمون ، ثم اتّصل بالمعتصم فاستكتبه ، وخلطه بخدمة المأمون فولّاه ديوان الخراج إضافة إلى كتبة أخيه ، ولما استخلف المعتصم تمكّن منه تمكّناً تاماً ، واستوزره ، ثم صادره وعزله ، وظلّ يتنقّل في الخدمات حتى مات في أيّام المستعين ، راجع الفخري ٢٣٢ والقصّة ٨ / ١٣ و٨ / ١٤ من كتاب نشوار المحاضرة للتنوخيّ .

٣ محمّد بن يزداد بن سويد ، وزير المأمون : ترجمته في حاشية القصّة ١٣٩ من الكتاب .

٤ في ظ : عمرو بن صهنوي ، وفي م ور وغ : عمرو بن بهنوي ، وفي كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للقاضي التنوخيّ في القصّة ١ / ٦٨ : عمرو بن نهيوي .

٥ الكراع : هو مستدق الساق من البقر والغنم ، ثم أطلق على الدواب من الخيل والبغال والحمير (المنجد) .

بيعه من الرّقيق ، وكان قيمة ذلك عشرون ألف ألف درهم ، وسألني أن أوصل رقعته إلى المأمون ، وأعلمه أنّ عمراً قد جعله من ذلك كلّه في حلّ وسعة .

فقلت له : مهلاً ، فإنّ أمير المؤمنين أكبر قدراً من أن يسلبك مالك كلّه ، ونعمتك عن آخرها .

فقال عمرو : إنّه لكما وصفت ، في كرمه ، ولكنّ السّاعي لا ينام عنّي ولا عنك ، وقد بلغني ما أمرت به في أمري من الغلظة ، وما عاملتني بضدّ ذلك ، وقد طبتُ نفساً بأن أشتري عدل أمير المؤمنين في أمري ، ورضاه عنّي ، بجميع مالي .

فلم أزل أنزله ، حتّى وافقته على عشرة آلاف ألف درهم ، وقلت له : هذا شطر مالك ، وهو صالح للفريقين ، وأخذت خطّه بالتزام ذلك صلحاً عن جميع ما جرى على يده .

وصرت إلى المأمون فوجدت محمّد بن يزداد وقد سبقني إليه وهو يكلّمه ، فلمّا رآني قطع الكلام وخرج .

فقال لي المأمون : يا فضل .

قلت : لبيك يا أمير المؤمنين .

قال : ما هذه الجرأة منك علينا ؟.

قلت : يا أمير المؤمنين ، أنا عبد طاعتك وغرسك [٦] .

فقال : أمرتك بالتضييق على النبطيّ عمرو بن بهنوى ، فقابلتَ أمري بالضدّ ، ووسّعت عليه ، وأقمت له الأنزال .

فقلت له : يا أمير المؤمنين ، إنّ عمراً يطالب بأموال عظيمة ، ولم آمن أن أجعل محبسه في بعض الدواوين فيبذل مالاً يُرْغَبُ في مثله ، فيتخلّص ، فجعلت محبسه في داري ، وأشرفت على طعامه وشرابه ، لأحرس لك نفسه ،

---

٦ في م : غرس يدك .

فإنّ كثيراً من النّاس خانوا السلطان ، وتمتّعوا بالأموال ، ثمّ طولبوا بها ، فاحتيل عليهم ، أن يتلفوا ، ويفوز بالأموال غيرهم .

قال الفضل : وإنّما أردت بذلك تسكين غضب المأمون عليّ ، ولم أعرض الرقعة عليه ، ولا أعلمته ما جرى بيني وبين عمرو ، لأنّني لم آمن سورته[٧] في ذلك الوقت ، لاشتداد غضبه .

فقال لي : سلّم عمراً إلى محمّد بن يزداد ، [٩١ ظ] قال : فوجّهت من ساعتي ، من سلّم عمراً إلى محمّد بن يزداد ، فلم يزل يعذّبه بأنواع العذاب ، ليبذل له شيئاً ، فلم يفعل .

فلمّا رأى أصحابه وعمّاله ، ما قد ناله ، جمعوا له بينهم ثلاثة آلاف ألف درهم ، وسألوا عمراً أن يبذلها لمحمّد بن يزداد ، فبذلها ، فصار محمّد إلى المأمون متبجّحاً[٨] بها ، فأوصل الخطّ بها إلى المأمون ، وأنا واقف .

فقال المأمون : يا فضل ، ألم أعلمك ، أنّ غيرك أقوم بأمورنا منك ، وأطوع لما نأمره به ؟

فقلت : يا أمير المؤمنين ، أرجو أن أكون في حال استبطاء أمير المؤمنين أعزّه الله ، أبلغ في طاعته من غيري .

فقال المأمون : هذه رقعة [٩٣ م] عمرو بن بهنوى بثلاثة آلاف ألف درهم .

فقلت ، وما اجترأت عليه قطّ ، جرأتي عليه في ذلك اليوم ، فإنّي خرجت إلى إضبارة كانت مع غلامي ، فأخذت الرقعة منها مسرعاً ، وقلتُ : والله ، لأعلمنّ أمير المؤمنين ، أنّي مع رفقي ، أبلغ في حياطة أمواله من غيري مع غلظته ، وأريته رقعة عمرو الّتي كان كتبها لي ، وحدّثته بحديثه عن آخره .

---

٧ السورة : الحدّة .

٨ تبجّح وتباجح : افتخر وتباهى .

فلمّا تبيّن المأمون الخطّين ، وعلم أنّهما جميعاً خطّ عمرو ، قال : ما أدري أيّكما أكرم ، عمرو حين شكر برّك ، وطاب نفساً بالخروج عن ملكه بهذا السبب ، أم أنت ، ومحافظتك على أهل النّعم ، وسترك عليه في ذلك الوقت ، [١٢٤ غ] ، والله ، لا كنتما يا نبطيّان ، أكرم منّي [٧١ ر] .

ودفع الرّقعة الّتي أخذها محمّد بن يزداد من عمرو إليّ ، وأمرني بتخريقها ، وتخريق الأوّلة[٩] ، وأنفذ من سلّم عَمْراً من محبسه إليّ ، وأمرني بإطلاقه .

فخرجت من بين يديه ، وفعلت ذلك من وقتي .

٩ الأوّلة : تعبير بغدادي ، بمعنى الأولى ، راجع حاشية القصّة ٤ من هذا الكتاب .

١٧٩

أبو عمر القاضي يشيب في ليلة واحدة

حدّث أبو الحسين عبد الله بن أحمد بن الحارث بن عيّاش الحرزي البغدادي[١] ، وكان خليفة أبي رحمه الله على القضاء بسوق الأهواز ، المشهور الّذي كان صاهر أبا عمر القاضي[٢] ، قال : حدّثني القاضي أبو عمر رحمه الله ، قال :

لما جرى في أمر ابن المعتز ما جرى ، حبست وما في لحيتي طاقة بيضاء ،

---

١ أبو الحسين عبد الله بن أحمد بن الحارث بن عيّاش الحرزي البغدادي : ذكره القاضي التنوخي في كتابه نشوار المحاضرة ، فقال : الجوهري ، بدل الحرزي ، والمعنى واحد ، وكان خليفة القاضي أبي القاسم التنوخيّ على سوق الأهواز ، ثم صاهر أبا عمر القاضي ، ونقل عنه التنوخيّ قصصاً متنوعة ، عن أشخاص متباينين مختلفين ، من وزراء ، وولاة ، وكتّاب ، وقضاة ، وتجار ، وصوفيّة ، وندماء ، ومنجمّين ، وزرّاقين ، ومغنّين ، حتى المخنّثين ، راجع القصص ١ / ٦ و٧ و١٥ و٢١ و٢٢ و٢٣ و٢٤ و٣١ و٣٢ و٦٣ و٨٣ و١٢٣ و١٢٦ و١٢٧ و١٣٣ و١٨٩ و٢ / ٣٤ و٤٩ و٦١ و٦٣ و٦٦ و٩٤ و٩٥ و٩٦ و١١٧ و١١٨ و١١٩ و١٢٤ و١٦٥ و١٦٦ و١٦٧ و١٦٨ و١٦٩ و١٧٠ و٤ / ٨٣ و١٠١ من كتاب نشوار المحاضرة .

٢ أبو عمر محمّد بن يوسف الأزدي القاضي (٢٤٣ – ٣٢٠) : ترجم له التنوخيّ في كتاب نشوار المحاضرة ، وأثنى عليه ثناءً بالغاً ، راجع القصّة ٥ / ١٠١ في كتاب النشوار ، وممّا قال فيه : إذا بالغنا في وصفه كنّا إلى التقصير فيما نذكره أقرب ، وكان مضرب المثل في العقل ، والحلم ، إضافة إلى ما انضاف إلى ذلك من الجلالة والرياسة ، ولّي قضاء مدينة المنصور والأعمال المتّصلة بها في السنة ٢٨٤ وجلس في جامع المدينة ، ثم استخلفه أبوه على القضاء بالجانب الشرقي ، ثم صرف هو وأبوه عن القضاء لاشتراكه في السنة ٢٩٦ في مبايعة ابن المعتزّ وخلع المقتدر ، وكاد أن يقتل لولا أن تداركه الوزير ابن الفرات ، راجع أخبار أبي عمر في كتاب نشوار المحاضرة في القصص ١ / ١٠ و١٨ و٢٢ و٣٣ و٨٢ و١٢٥ و١٢٦ و١٢٧ و١٣٨ و١٣٩ و٢ / ٢٢ و٢٣ و٣٦ و٣٧ و٣٨ و٢١٠ و٣ / ٤٠ و٦٤ و٤ / ٨٦ و٥ / ١٠١ و١٠٢ ، وأنا آخذ عليه أنّه كتب بإحلال دم الحلاّج ، مع أنّ محضر محاكمته المثبت في القصّة ٧ / ٥١ من كتاب نشوار المحاضرة ، لم يظهر منه أنّه ارتكب ذنباً يستوجب العقوبة ، فضلاً عن القتـل .

وحبس معي أبو المثنّى القاضي[3]، ومحمّد بن داود الجرّاح[4] في دار واحدة ، في ثلاثة أبيات متلاصقة ، وكان بيتي في الوسط .

وكنّا آيسين من الحياة ، فكنت ، إذا جنّنا الليل ، حدّثت أبا المثنّى تارة ، ومحمّد بن داود تارة ، وحدّثاني من وراء الأبواب ، ويوصي كلّ منّا إلى صاحبه ، ونحن نتوقّع القتل ساعة بساعة .

فلمّا كان ذات ليلة ، وقد غلّقت الأبواب ، ونام الموكّلون بنا ، ونحن نتحدّث في بيوتنا ، إذ حَسَسْنا بصوت الأقفال تفتح ، فارتعنا ، ورجع كلّ واحد منّا إلى صدر بيته .

فما شعرنا إلّا وقد فتح الباب عن محمّد بن داود ، فأخرج ، وأضجع ليذبح ، فقال : يا قوم ، ذبحاً كما تذبح الشّاة ، أين المصادرات ، أين أنتم عن أموالي أفتدي بها نفسي ؟ عليّ كذا وكذا .

قال : فما التفتوا إلى كلامه ، وذبحوه ، وأنا أراه من شقّ الباب ، وقد أضاء الصّحن ، وصار كأنّه نهار من كثرة الشموع ، واحتزّوا رأسه ، وأخرجوه معهم ، وجرّوا جثّته ، فطرحَتْ في بئر الدّار ، وغلّقت الأبواب ، وانصرفوا .

---

٣ أبو المثنى أحمد بن يعقوب القاضي : اشترك في السنة ٢٩٦ في خلع المقتدر ، وبايع ابن المعتز بالخلافة ، ولما فشلت المؤامرة ، اعتقل ، وأرادوه أن يقرّ على نفسه بأنّه أخطأ ، فأبى ، وأدّى إصراره إلى قتله رحمه الله ، قال عنه صاحب شذرات الذهب ٢/٢٢٤ إنّه أحد من قام في خلع المقتدر تديّناً ، وذبح صبراً ، وهو أوّل قاضٍ قتل صبراً في الإسلام (لطائف المعارف ٢٣) .

٤ أبو عبد الله محمّد بن داود بن الجرّاح الكاتب : عمّ الوزير علي بن عيسى بن الجرّاح ، قال عنه صاحب شذرات الذهب ٢ / ٢٢٥ : كان أوحد أهل زمانه في معرفة أيّام الناس ، وكان صديقاً لابن المعتزّ ، وتزعّم المؤامرة التي قامت لاستخلافه وخلع المقتدر ، واستوزره ابن المعتزّ ، فلما فشلت المؤامرة ، اعتقل وقتل ، راجع الأعلام ٦ / ٣٥٥ ، وتجارب الأمم ١ / ٥ و٦ و٩ و١٠ وكتاب الوزراء للصابي ٢٩ — ٣١ ، ١٠٠ ، ١٠٩ ، ١٤٣ ، ١٤٥ ، ١٤٨ — ١٥٠ ، ١٥٣ ، ١٥٥ ، ١٦٦ ، ١٨٥ ، ١٩١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٤ ، ٢٥٢ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٧٨ ، ٢٨٤ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ .

قال : فأيقنت بالقتل ، وأقبلت على الصّلاة ، والدّعاء ، والبكاء .

فما مضت إلاّ ساعات يسيرة ، حتّى سمعت أصوات الأقفال تفتح ، فعاودني الجزع ، وإذا هم قد جاؤوا إلى بيت أبي المثنّى القاضي [٩٤ م] ، ففتحوه ، وأخرجوه ، وقالوا له : يقول لك أمير المؤمنين ، يا عدوّ الله ، يا فاسق ، بم استحللت نكث بيعتي ، وخلع طاعتي ؟

فقال : لأنّي علمت ، أنّه لا يصلح للإمامة .

فقالوا له : إنّ أمير المؤمنين ، قد أمرنا باستتابتك من هذا الكفر ، فإن تُبْتَ رددناك إلى محبسك ، وإلّا قتلناك .

فقال : أعوذ بالله من الكفر ، ما أتيتُ ما يوجب الكفر .

قال : وأخذ يتهوّس معهم بهذا الكلام وشبهه ، ولا يرجع عنه .

فلمّا أيسوا منه ، مضى [٩٢ ظ] بعضهم وعاد ، فظننت أنّه يستثبت في الاستئذان ، قال : ثمّ أضجعوه ، فذبحوه ، وأنا أراه ، وحملوا رأسه ، وطرحوا جثّته في البئر .

قال : فذهب عليّ أمري ، وأقبلت على البكاء ، والدّعاء ، والتضرّع إلى الله جلّ وعزّ .

فلمّا كان وجه السَّحر [٥] ، وقد سمعت صوت الدبادب [٦] ، وإذا صوت

---

٥ السَحَر : آخر الليل ، قبيل الصبح (المنجد) ، وهو من ثلث الليل الآخر إلى طلوع الفجر (لسان العرب) ، وفي فقه اللّغة ٣٢٦ : السَحَر ، ثم الفجر ، ثم الصبح ، ثم الصباح ، ثم يأتي النهار ، وأوّله الشروق ، ثم البكور ، أقول : قال متمّم بن نويره ، يرثي أخاه مالكاً :

من كان مسروراً بمقتل مالكٍ ... فليأت نسوتنا بوجه نهار
يجد النساء حواسراً ، يندبنه ... بالصبح ، قبل تبلّج الأسحار

فهو في البيت الأوّل ، ذكر النهار ، وجعله في البيت الثاني ، يشمل الصبح والسحر ، كما جعل الصبح قبل السحر ، مما لا يتّفق والتسلسل المدوّن في المعاجم ، وفي فقه اللّغة ، وتعليل ذلك ، ما ورد في

الأقفال ، فقلت : لم يبق غيري ، وأنا مقتول ، فاستسلمت ، وفتحوا الأبواب عنّي ، وأقاموني إلى الصّحن ، وقالوا : يقول لك أمير المؤمنين ، يا فاعل ، يا صانع ، ما حملك على نكث بيعتي ؟ .

فقلت : الخطأ ، وشقوة الجدّ ، وأنا تائب إلى الله عزّ وجلّ من هذا الذنب .

قال : وأقبلت أتكلّم بهذا وشبهه ، فمضى بعضهم ، وعاد فقال : أجب ، ثمّ أسرّ إليّ ، فقال : لا بأس عليك ، فقد تكلّم فيك الوزير – يعنون ابن الفرات – وأنت مسلّم إليه ، فسكنت قليلاً ، [وجاؤوني بخفّي ، وطيلساني ، وعمامتي ، فلبست ذلك][7] ، وأخرجت ، فجيء بي إلى الدّار الّتي كانت برسم ابن الفرات [١٢٥ غ] في دار الخليفة[8] ، فلمّا رآني ، أقبل [٧٢ ر] يخاطبني بعظم جنايتي وخطأي ، وأنا أقرّ بذلك ، وأستقيل ، وأتنصّل .

لسان العرب ، في مادة : صبح ، بأنّ العرب ، إذا قربت من المكان الذي تريده ، تقول : قد بلغناه ، وإذا قرّبت للساري ، طلوع الصبح ، وإن كان غير طالع ، تقول : أصبحنا ، ويقال : أصبح القوم ، أي دنا وقت دخولهم في الصباح ، وها هنا فائدة أخرى ، وهي قوله : تجد النساء حواسراً يندبنه ، أي أنّهنّ يندبنه وقد كشفن عن رؤسهنّ ، وهذا لا يكون إلاّ عند الفجيعة بعزيز ، وما زال هذا التقليد سارياً عند البغداديّات ولكنّه آخذ في الانحسار ، فإنّ المرأة البغداديّة ، إذا فجعت بعزيز ، ناحت عليه قائمة ، ولطمت ، وهي مكشوفة الرأس ، وإذا كانت فاجعتها به عظيمة ، ناحت عليه قائمة ، وقد كشفت عن رأسها وثدييها ، وهذا عندهنّ نهاية في إظهار الحزن ، وكان من تقاليد النساء العربيّات ، أنّ المرأة إذا ندبت زوجها ، وهي قائمة ، فإنّها لا تتزوج بعده أبداً (نهاية الأرب ٤ / ٢٧٨) .

٦ الدبادب : طبول صغار ، كانت تضرب على أبواب الخلفاء والولاة في أوقات الصلاة ، وسميت بالدبادب ، لأنّها حكاية صوتها عند الضرب : دب ، دب (لسان العرب) ، والدبداب : الطبل ، والدرداب : صوت الطبل ، والدبدبة : كل صوت أشبه صوت وقع الحافر على الأرض الصلبة (لسان العرب) .

٧ الزيادة من غ وم .

٨ للوزارة في أيّام المقتدر ، داران ، الدار الأولى ، هي دار الوزارة ، بالمخرّم (العلوازية) ، بالجانب الشرقي من بغداد ، بين باب الطاق (الصرافية) والزاهر (القلعة) وكانت لسليمان بن وهب ، فأخذها

ثمّ قال لي : قد وهب لي أمير المؤمنين ذنبك ، وابتعت منه جرمك بمائة ألف دينار ، ألزمتك إيّاها .

فقلت : أيّها الوزير ، ما رأيت بعضها قطّ مجتمعاً .

فغمزني بأن أسكت ، وجذبني قوم من وجوه الكتّاب ، كانوا ورائي ، فسكّتوني ، فعلمت أنّ الوزير ابن الفرات ، أراد تخليصي ، وحقن دمي .

فقلت : عليّ كلّ ما يأمر الوزير أعزّه الله .

فقال : احملوه إلى داري .

قال : فأخذت ، وحملت إلى داره ، فقرّر أمري على مائة ألف دينار ، على أن أؤدّي منها النصف عاجلاً ، ويصير النّصف في حكم الباطل على رسم المصادرات .

فلمّا صرت في دار ابن الفرات ، وسّع عليّ في المطعم ، والمشرب ، والملبس ، وأدخلت الحمّام ، ورفّهتُ ، وأكرمتُ .

فرأيت ، لما خرجت من الحمّام ، وجهي في المرآة ، فإذا طاقات شعر قد ابيضّت في مقدّم لحيتي ، فإذا أنا قد شبت في تلك الليلة الواحدة .

الوزير ابن الفرات ، في زمن وزارته للمقتدر ، وعمّرها ، وأنفق عليها ثلثمائة ألف دينار ، واتّخذها داراً للوزارة ، وبقيت كذلك من بعده ، حتى باعها القاهر ، ثمّ صارت أيّام البويهيّين داراً للمملكة ، واقتطع القائد سبكتكين ، حاجب معز الدولة ، جزءاً منها ، واقتطع القائد الديلميّ لشكرورز ، جزءاً آخر منها ، ثم إنّ عضد الدولة هدم ما فيها من أبنية ، وعمّر فيها داراً ، وأنشأ بستاناً أجرى إليه الماء من نهر الخالص ، وكان مجموع ما أنفقه على الدار والبستان عشرة آلاف ألف درهم (الوزراء ٦٣ ، ١٩٩ ، ٣٣٥ ، ٣٦٨ والقصّة ٤ / ١٢٩ من النشوار) وكانت مساحة دار الوزارة مائة ألف وثلاثة وسبعون ألف وثلثمائة وستة وأربعون ذراعاً (الوزراء ٢٩) ، وكان للوزير دار ثانية ، في دار الخلافة ، يقيم فيها ، عندما يحضر إلى دار الخلافة ، ليكون قريباً من الخليفة يتلقّى أوامره ، وهذه الدار الثانية هي التي استقبل فيها الوزير ابن الفرات ، رسول ملك الروم في السنة ٣٠٥ ، راجع المنتظم ج ٦ ص ١٤٤ سطر ١ و٢ .

قال : وأدّيت من المال نيّفاً وثلاثين ألف دينار[9] ، ثمّ نظر لي ابن الفرات بالباقي وصرفني إلى منزلي ، وتخلّص دمي .

وأقمت في بيتي سنين[10] ، وبابي مسدود ، لا أرى أحداً ، إلّا في الشاذّ ، وتوفّرت على دراسة الفقه ، والنّظر في العلم ، إلى أن منّ الله بالفرج ، فكشف ما بي ، وأخرجت من بيتي إلى ولاية الأعمال . [٩٥ م]

---

٩ في غ : ثلاثة وثلاثين ألف دينار ، وفي تجارب الأمم ١ / ١٤ : إنّه أدّى من المال تسعين ألف دينار .

١٠ أقام أبو عمر في داره إلى السنة ٣٠١ ، فإنّ الوزير علي بن عيسى تقلّد في تلك السنة وزارة المقتدر . وكلّم المقتدر بشأنه ، فرضي عنه ، وقلّده القضاء ، راجع القصّة ١٠١/٥ من كتاب نشوار المحاضرة .

١٨٠
قضى ليلته معلّقاً في بادهنج

ويشبه هذا الحديث ، ويقاربه ، وإن لم يكن في الحقيقة من باب من خرج من حبس ، إلّا أنّه من أخبار الفرج في الجملة ، ما حدّثني به أبو عليّ الحسن بن محمّد بن عليّ بن موسى الأنباري الكاتب[1] ، صهر أبي محمّد المهلّبي الوزير ، قال : سمعت دلويه[2] ، كاتب صافي الحرمي[3] ، يتحدّث ، قال :

كان في دار المقتدر بالله ، عريف على بعض الفرّاشين ، يخدمني وصافياً إذا أقمنا في دار الخليفة ، ففقدته في الدّار ، وظننته عليلاً ، فلمّا كان بعد شهور ، رأيته في بعض الطرق ، بزيّ التجّار ، وقد شاب .

فقلت : فلان ؟

قال : نعم ، عبدك يا سيّدي .

فقلت : ما هذا الشّيب في هذه الشهور اليسيرة ، وما هذا الزيّ ؟ وأين كنت ؟ فلجلج .

فقلت لغلماني : احملوه إلى داري ، وقلت : حدّثني حديثك .

---

١ أبو علي الحسن بن محمّد الأنباري الكاتب : كان يكتب لأبي يوسف البريدي ، ثم التحق بخدمة معزّ الدولة ، وتحقّق بالوزير أبي محمّد المهلّبي ، وتزوّج ابنته ، واستخلفه المهلّبي بالحضرة لما بارحها إلى البصرة ، راجع تجارب الأمم ٢ / ١٢٤ والقصّة ١ / ٢٩ و٢ / ١٩٢ من كتاب نشوار المحاضرة .

٢ أبو محمّد عبد الله بن علي بن دلويه : كان يكتب لصافي الحرميّ الخادم ، (القصّة ١ / ١٥٥ من كتاب نشوار المحاضرة) ، ثم كتب لنصر القشوري الحاجب (وزراء ٣٤١ والقصّة ٤ / ١٠ من كتاب نشوار المحاضرة) ، ثم كتب لسلامة المؤتمن حاجب القاهر (القصّة ٣ / ١٠٧ من كتاب نشوار المحاضرة) .

٣ صافي الحرميّ الخادم : مولى المعتضد ، كان في أيّام المعتضد صاحب الدولة كلّها ، وإليه أمر دار الخليفة ، واستمر على وجاهته في أيّام المقتدر (وزراء ٣٢٥) ، للاستدلال على مقدار علاقته بالخليفة راجع القصّة ١ / ١٥٥ من كتاب نشوار المحاضرة ، توفّي صافي سنة ٢٩٨ (المنتظم ٦ / ١٠٨) .

فقال : على أنّ لي الأمان والكتمان .

فقلت : نعم .

فقال : كان الرّسم الّذي تعرفه على كلّ عريف في الدّار من الفرّاشين ، أن يدخل يوماً من الأيّام ، هو ومن معه في عرافته ، إلى دور الحرم ، لرشّ الخيوش الّتي فيها .

فبلغت النّوبة إليّ ، في يوم كنت فيه مخموراً ، فدخلتُ ، ومعي رجالي ، إلى دار فلانة – وذكر حظيّة جليلة من حظايا المقتدر بالله – لرشّ الخيش .

فلعظم ما كنت فيه من الخُمار ، ما رششت قربتي ، ولم أخرج بخروج الرّجال ، وقلت لهم : امضوا ، فهاتوا قربكم لإتمام الرّش ، فإذا رششتموها فأنبهوني ، فإنّي نائم هنا .

ودخلت خلف الخيش ، إلى باب بادهنج[4] تخرج منه ريح طيّبة ، فنمت ،

---

٤ البادهنج : جاء في شفاء الغليل ٤١ انه معرب بادخون أو بادگير ، فارسيّة ، تعني المنفذ الذي يجيء منه الريح ، قال أبو الحسن الأنصاري :

ونفحة بـــادهنج أسكرتنـــا   وجدت لرَوْحهـا برد النعيـــم
صفا جـري الهوا فيه رقيقـاً   فسمينـــاه راووق النسيـــم

أقول : ويستعمل البادهنج أو البادگير في أيّـام الصيف ، حيث يلتجئ البغداديّون للتخلّص من الحر إلى غرف تتّخذ تحت مستوى أرض الدار ، في موضع ينفذ إليه الضوء ، ولا تصل إليه الشمس ، تسمى السراديب ، مفردها سرداب ، فارسيّة ، بمعنى الماء البارد (شفاء الغليل ١٠٥) ويجهّز السرداب بالبادهنج أو البادگير ، وهو منفذ في الحائط يمتدّ من أعلاه إلى أسفله ، عرضه متر ، وعمقه بحيث ينفذ فيه بدن الإنسان ، في راحة ويسر ، ويبنى له في أعلاه فم واسع يستقبل الهواء ويجرّه إلى أسفل فينفذ إلى السرداب بارداً عذباً ، وربما ساقوا الهواء إلى بئر في السرداب ، فيمرّ بها ، ثم يساق إلى أقنية تتخلّل ساحة السرداب فينفذ من منافذ فيها ، ويسمّيه البغداديون « زنبور » ، راجع في مطالع البدور ١ / ٤٥ – ٤٩ ما قاله الشعراء في البادهنج .

وغلب عليّ النّوم ، إلى أن جاء الفرّاشون ، وفرغوا من رشّ الخيش ، وخرجوا ، ولم ينبّهوني [٩٣ ظ] .

وتمادى بي النّوم ، فما انتبهت إلّا بحركة في الخيش ، فقمت ، فإذا أنا قد امسيت ، وإذا صوت نساء في الخيش ، فعلمت أنّي مقتول إن أحسّ بي ، وتحيّرت فلم أدر ما أعمل ، فدخلت البادهنج ، [وكان ضيّقاً ، فجعلت رجليّ على حائطي البادهنج][5] وتسلّقت فيه ، ووقفت معلّقاً ، أترقّب أن يفطن لي ، فأقتل .

وإذا بنسوة فرّاشات يكنسن الخيش ، فلمّا فرغن من ذلك فرشنه[6] ، وعبيّ فيه مجلس الشّراب .

ولم يكن بأسرع من أن جاء المقتدر بالله ، وعدّة جواري ، فجلس وجلسن [٧٣ ر] ، وأخذ الجواري في الغناء ، وأنا أسمع ذلك كلّه ، وروحي تكاد تخرج ، فإذا أعييت ، نزلت فجلست في أرض البادهنج ، فإذا استرحتُ ، وخفت أن يفطن بي ، عدت فتسلّقت ، إلى أن مضت قطعة من [١٢٦ غ] اللّيل ، ثمّ عنّ للمقتدر أن جذب إليه حظيّته الّتي هي صاحبة تلك الدّار ، فانصرف باقي الجواري ، وخلا الموضع ، فواقع المقتدر بالله الجارية ، وأنا أسمع حركتهما وكلامهما ، ثمّ ناما في مكانهما ، ولا سبيل لي إلى النّوم لحظة واحدة ، لما أقاسي من الخوف .

ففكّرت في أن أخرج وأصعد إلى بعض السطوح ، ثمّ علمت أنّي إن فعلت ذلك ، تعجّلت القتل ، ولم يجز أن أنجو .

فلم تزل حالي تلك إلى أن انتبه المقتدر بالله في السّحر ، وخرج من الموضع .

٥ لا توجد في ظ ، ولا في غ .

٦ في غ : رشّشنه .

فلمّا كان من غدٍ نصف النّهار ، جاء عريف آخر من الفرّاشين ، ومعه رجاله ، فرشّوا الخيش ، فخرجت فاختلطت بهم .

فقالوا : أيش تعمل هاهنا ؟

فأومأت إليهم بالسّكوت ، وقلت : اللهَ ، اللهَ ، في دمي ، فإنّ حديثي طويل ، فتذمّموا أن يفضحوني .

وقال بعضهم : ما بال لحيتك قد شابت ؟

فقلت : لا أعلم ، وأخذت ماء من [٩٦ م] قربة بعضهم ، فرطّبت به قربتي ، وخرجت بخروجهم .

فلمّا صرت في موضع من دار الخليفة ، وقعت مغشياً عليّ ، وركبتني حمّى عظيمة وذهب عقلي ، [فحملني الفرّاشون إلى منزلي ، وأنا لا أعقل][7] ، فأقمت مبرسماً مدّة طويلة[8] .

وقد كنت عاهدت الله تعالى ، وأنا في البادهنج ، إن هو خلّصني ، أن لا أخدم أحداً أبداً ، ولا أشرب النّبيذ ، وأقلعت عن أشياء تبت منها .

فلمّا تفضّل الله تعالى بالعافية ، وفيت بالنّذر ، وبعت أشياء كانت لي ، وضممتها إلى دراهم كانت عندي ، ولزمت دكّاناً لحميّ أتعلّم فيه التّجارة معه ، وأتّجر ، وتركت الدّار ، فما عدت إليها إلى الآن ، ولا أعود أبداً إلى خدمة الناس ، ولا أنقض ما تبت منه .

قال : ورأيت لحيته وقد كثر فيها الشّيب .

---

٧ الزيادة من غ وم .

٨ الاسم الصحيح للمرض : السرسام ، قال الشيخ الرئيس أبو علي بن سينا ، في كتابه القانون ٢ / ٤٤ : ومن الناس ، ممن لا يعرف اللغات ، يحسب أنّ البرسام إسم لهذا الورم ، وأنّ السرسام أخفّ منه ، وليس ذلك بشيء ، فإنّ البرسام يعني ورم الصدر ، والسرسام يعني ورم الرأس ، ووصف الشيخ الرئيس أعراض السرسام ، بأنّها حمّى لازمة يابسة ، وهذيان ، وكراهة للكلام ، واختلاط العقل ، وعبث الأطراف ، ونفس مضطرب غير منتظم ، راجع التفصيل في كتاب القانون ج٢ ص ٤٤ – ٥٤ .

١٨١

ابن الفرات يصفح عمّن أساء إليه

حدّثني أبو الحسين عليّ بن هشام[1] ، قال :

كان أبو الحسن بن الفرات ، لما ولي الوزارة الأولى[2] ، وجد سليمان بن الحسن[3] يتقلّد مجلس المقابلة في ديوان الخاصّة[4] ، من قبل علي بن عيسى ، والديوان كلّه – إذ ذاك – إلى عليّ بن عيسى ، فقلّد أبو الحسن بن الفرات ، سليمانَ ، الدّيوان بأسره فأقام يتقلّده نحو سنتين .

فقام ليلة في دار ابن الفرات يصلّي المغرب ، فسقطت من كمّه رقعة ، فرآها بعض من حضر[5] ، فأخذها ، ولم يفطن لها سليمان ، وقرأها ، فوجدها سعاية ، بخطّه ، بأبن الفرات وأسبابه ، إلى المقتدر بالله ، وسعياً لابن عبد الحميد ، كاتب السيّدة[6] ، في الوزارة ، فتقرّب بها إلى ابن الفرات ، فقبض على سليمان في الوقت ، وأنفذه في زورق مطبق إلى واسط ، فحبسه بها ، وصادره ، وعذّبه ، فكان في العذاب دهراً ، وأيس منه ،

فبلغ ابن الفرات ، أنّ أمّ سليمان بن الحسن قد ماتت ببغداد ، وأنّها كانت

---

١ أبو الحسين علي بن هشام بن عبد الله الكاتب ، المعروف بابن أبي قيراط .

٢ ولي أبو الحسن عليّ بن محمّد بن الفرات ، وزارته الأولى للمقتدر في السنة ٢٩٦ .

٣ أبو القاسم سليمان بن الحسن بن مخلد بن الجرّاح .

٤ في ظ : ديوان الخلافة ، والتصحيح من م وغ .

٥ في تجارب الأمم ١ / ٥٥ إنّه الصقر بن محمّد الكاتب ، وقد كان يصلّي إلى جنبه ، فأخذها وأقبل بها مبادراً إلى الوزير من وقته ، وكذلك ورد في كتاب الوزراء ٣٣ .

٦ أبو الحسن أحمد بن محمّد بن عبد الحميد : كاتب السيّدة أمّ المقتدر ، قال عنه التنوخيّ في كتاب نشوار المحاضرة ، القصّة ١ / ١٢٨ ، إنّه كان شيخاً صالحاً من شيوخ الكتّاب ، وكان يكتب للسيّدة أمّ المقتدر ، وكان أثيراً عندها ، مقبول الكلمة ، ذا رأي في سياسة الدّولة ، يستشيره الوزراء (وزراء ١١١ ، ١١٢) ، راجع تجارب الأمم ١ / ١٥ .

تتمنّى رؤيته قبل موتها ، فاغتمّ لذلك ، وتذكّر المودّة بينه وبين أبيه الحسن ابن مَخْلَد ، فبدأ ، وكتب إليه بخطّه كتاباً أقرأنيه سليمان بن الحسن بعد سنين كثيرة من تلك الحال ، فحفظته ، ونسخته :

بسم الله الرّحمن الرّحيم ، ميّزت - أكرمك الله - بين حقّك وجرمك ، فوجدت الحقّ يوفي على الجرم ، وتذكّرت من سالف [٩٤ ظ] حرمتك ، في المنازل الّتي فيها ربيت ، وبين أهلها غذيت ، ما ثناني إليك ، وعطفني عليك ، وأعادني لك إلى أفضل ما عهدت ، وأجمل ما ألفت ، فثق - أكرمك الله - بذلك ، وأسكن إليه ، وعوّل في صلاح ما اختلّ من أمرك عليه ، وأعلم أنّي أراعي فيك ، حقوق أبيك ، الّتي تقوم بتوكيد السبب ، مقام اللّحمة والنّسب ، وتسهّل ما عظم من جنايتك ، وتقلّل ما كثر من إساءتك ، ولن أدع مراعاتها [١٢٧ غ] ، والمحافظة عليها بمشيئة الله تعالى ، وقد قلّدتك أعمال دستميسان لسنة ثمان وتسعين ومائتين ، وبقايا ما قبلها ، وكتبت إلى أحمد بن محمّد بن حبش[7] ، بحمل عشرة آلاف درهم إليك ، فتقلّد هذه الأعمال ، وأثّر فيها أثراً جميلاً يبين عن كفايتك ويؤدّي إلى ما أبغيه من زيادتك ، إن شاء الله تعالى[8] .

---

٧ في ظ : أحمد بن محمّد بن حسن ، وفي م : أحمد بن محمّد بن حسين ، وفي مخطوطة المتحف البريطاني للجزء الثامن من كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للقاضي التنوخي : أحمد بن محمّد ابن حس ، بلا نقط ، وفي كتاب الوزراء للصابي ص ١١٨ أحمد بن محمّد بن حبش ، وفي نسخة هـ : أحمد بن محمّد بن جيش .

٨ وردت هذه القصّة في نشوار المحاضرة ٨٢/٨ ، ونقلها عن النشوار صاحب كتاب تجارب الأمم ١٥/١ وكتاب الوزراء ١١٧ و١١٨ ، والظاهر أنّ جميل الوزير أبي الحسن بن الفرات ، لم يلاق في سليمان ابن الحسن ، طبيعة طيّبة تحفظ الجميل ، فقد ظلّ على عداوته لـه ، حتى بعد وفاته ، فقد ذكر مفلح الأسود خادم المقتدر (كتاب الوزراء ٧٥ ورسوم دار الخلافة ٣٨) : أنّ سليمان بن الحسن لما وزّر للمقتدر ، كان يكثر من ذكر أبي الحسن بن الفرات ، والطعن عليه ، فلما كان في بعض الأيام ، عاود سليمان ذكر ابن الفرات ، والوقيعة فيه ، فقال له المقتدر :

قال أبو الحسين : أحمد بن حبش هذا ، كان وكيل ابن الفرات في ضياعه بواسط [9] .

أقلّوا عليهم لا أبا لأبيكم من اللوم أو سدّوا المكان الذي سدّوا

فامتقع وجه سليمان وما عاد بعدها إلى ذكره .

9 أحسب أنّ أحمد بن محمّد بن حبش ، هذا ، هو أخو أبي الحسن علي بن محمّد بن عبد الله الكاتب البغداديّ ، المعروف بابن حبش ، أبوه محمّد بن حبش ، ابن خالة الوزير أبي الحسن بن الفرات (اللباب ١ / ٢٧٥ والأنساب للسمعاني ١٥٥) .

١٨٢
أراد أن يسير بسيرة الحجّاج فقتلوه

وجدت في بعض الكتب :

أنّ عمر بن عبد العزيز[١] ، ولّى محمّد بن يزيد ، مولى الأنصار[٢] [٩٧ م] ، إفريقية[٣] ، فكان حسن السّيرة فيها ، فلمّا مات عمر بن عبد العزيز ، وولي يزيد بن عبد الملك الأمر ، صرفه ، وولّى يزيد ابن أبي مسلم كاتب الحجّاج ابن يوسف .

فلمّا ورد يزيد إفريقية ، حبس محمّد بن يزيد ، وتسلّط عليه[٤] ، وطالبه بأموال لم تكن عنده .

---

١ أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأمويّ ، الخليفة الصالح ، والملك العادل : ترجمته في حاشية القصّة ١٠٥ من هذا الكتاب .

٢ محمّد بن يزيد ، مولى الأنصار : كان يكتب لعبد الملك بن مروان في السنة ٨٥ ، وكان غالباً على أمره ، وكان أشار عليه بأن يعهد لسليمان بعد الوليد ، فحقدها عليه الوليد ، وتركه عاطلاً لما ولّي ، حتى إذا حكم سليمان ولّاه إفريقية ، وأقره الخليفة الصالح عمر بن عبد العزيز ، ولما ولّي الحكم يزيد بن عبد الملك ، عمد إلى جميع إصلاحات عمر فأبطلها ، وكان من جملة ذلك أن عزل محمّد بن يزيد عن إفريقية ، وولّى عليها يزيد بن أبي مسلم ، كاتب الحجّاج الثقفي ، فأراد يزيد أن يسير في أهل إفريقية بسيرة الحجّاج في العراق ، فقتله أهلها ، وأعادوا محمّد بن يزيد ، وكتبوا إلى يزيد بن عبد الملك إنّنا لم نخلع يداً من طاعة ، ولكن يزيد بن أبي مسلم سامنا ما لا يرضاه الله ، ولا المسلمون ، فأقرّ يزيد تولية محمّد ، مضطرّاً ، ولكنّه عزله بعد مدّة قصيرة (الأعلام ٨ / ١٤ والطبري ٦ / ٤١٤ و٦١٧) .

٣ إفريقية : حدّها عند الجغرافيين العرب ، من طرابلس الغرب ، من جهة برقة شرقاً ، إلى طنجة غرباً ، وعرضها من البحر إلى الرمال التي في بلاد السودان ، راجع ما كتبه ياقوت عنها في معجم البلدان ١ / ٣٢٤ .

٤ في م : انبسط عليه .

ثمّ إنّ يزيد بن أبي مسلم أجمع أن يصنع بأهل إفريقيه ، مثل ما صنع الحجّاج بن يوسف بأهل العراق ، في ردّه من منّ الله عليه بالإسلام ، إلى بلده ورستاقه ، وأخذهم بالخراج[٥] ، فبلغ ذلك أهل إفريقية ، فتراسلوا في قتله ، وتساعوا فيه سرًّا حتّى تمّ لهم أمرهم ، فوثبوا عليه وهو يصلّي ، فقتلوه وقد سجد ، وجاؤوا إلى حبسه ، فأخرجوا محمّد بن يزيد ، فردّوه إلى الإمارة ، وكتبوا إلى يزيد بن عبد الملك : إنّا لم نخلع يداً من طاعة ، ولكنّ يزيد بن أبي مسلم سامنا ما لا يرضى به الله عزّ وجلّ ، ولا المسلمون ، من كيت وكيت ، فقتلناه ، وولّينا محمّد بن يزيد ، ووصفوا جميل سيرته .

فكتب إليهم يزيد : إنّي لم أرض ما صنع يزيد بن أبي مسلم ، وقد أمّرت محمّداً عليكم[٦] .

وقد مضى هذا الخبر بروايات غير هذه الرواية ، وسياقة غير هذه السّياقة ، فيما تقدّم من هذا الكتاب[٧] .

---

٥ راجع التفصيل عن سياسة الحجّاج المخرّبة في آخر القصّة .

٦ راجع الطبري ٦ / ٦١٧ .

٧ راجع القصّة ١٠٥ من هذا الكتاب .

سياسة الحجّاج المخرّبة

تشير الفقرة (٥) إلى لون من ألوان السياسة المخرّبة التي اتّبعها الحجّاج خلال مدّة حكمه ، تلك السياسة الّتي كانت من أهم الأسباب الّتي أدّت إلى سقوط دولة بني مروان (السيادة العربية ، فان فلوتن ٤٤) وخرّبت العراق تخريباً تاماً .

فقد فرض على أهل الإسلام الذين سكنوا الأمصار ، ممن كان أصله من السواد ، من أهل الذمّة فأسلم ، بالعراق ، أن ردّهم إلى قراهم ورساتيقهم ، ووضع الجزية على رقابهم على نحو ما كانت تؤخذ منهم على كفرهم (وفيات الأعيان ٦ / ٣١١) إذ انّ هؤلاء لمّا أسلموا ، كتب عمّال الحجّاج إليه ، بأنّ الخراج قد انكسر ، وأنّ أهل الذمّة قد أسلموا ، ولحقوا بالأمصار ، فأمر باخراج أهل القرى إلى قراهم ، وأن تؤخذ منهم الجزية ، على نحو ما كانت تؤخذ منهم وهم كفّار (ابن الأثير ٤ / ٤٦٤ و٥ / ١٠١) .

فاجتمع إلى ابن الأشعث ، أهل الكوفة ، وأهل البصرة ، والقرّاء ، وأهل الثغور ، والمسالح ، وتضافروا على حرب الحجّاج (ابن الأثير ٤ / ٤٦٩) وكان من جملتهم كتيبة تضمّ حملة القرآن ، وتسمّى كتيبة القرّاء (ابن الأثير ٤ / ٤٧٢) .

ولمّا ثار أهل العراق على الحجّاج ، واحتشدوا لحربه ، استنجد بعبد الملك ، فأمدّه بجند من أهل الشام (بلاغات النساء ١٢٥) فأنزلهم في بيوت أهل الكوفة ، وهو أول من أنزل الجند في بيوت الناس (ابن الأثير ٤ / ٤٨٢) .

ولمّا قتل ابن الأشعث ، قال الحجّاج : الآن فرغت لأهل السواد ، فعمد إلى رؤسائهم ، وأهل بيوتاتهم من الدهاقين ، فقتلهم صبراً ، وجعل كلّما قتل من الدهاقين رجلاً ، أخذ أمواله ، وأضرّ بمن بقي منهم إضراراً شديداً ، فخربت الأرض (أدب الكتاب للصولي ٢ / ٢٢٠) .

وانبثقت في زمن الحجّاج ، بثوق ، أغرقت الأراضي ، فلم يعن الحجّاج بسدّها ، مضارّة للدهاقين ، لأنّه كان اتّهمهم بممالأة ابن الأشعث حين خرج عليه (فتوح البلدان ٢٩١) .

وكانت عاقبة هذه السياسة الخرقاء ، أنّ جباية سواد العراق ، وكانت على عهد الخليفة عمر بن الخطاب مائة ألف ألف وثمانية وعشرين ألف ألف درهم ، نزلت في عهد الحجّاج إلى ثمانية عشر ألف ألف درهم فقط ، ثم ارتفعت في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز إلى مائة ألف ألف وأربعة وعشرين ألف ألف درهم (أحسن التقاسيم للمقدسي ١٣٣) فقال

عمر بن عبد العزيز : لعن الله الحجّاج ، فإنّه ما كان يصلح للدنيا ، ولا للآخرة ، فإنّ عمر ابن الخطاب رضي الله عنه ، جبى العراق ، بالعدل والنصفة ، مائة ألف ألف ، وثمانية وعشرين ألف ألف درهم ، وجباه الحجّاج مع عسفه وجبروته ثمانية عشر ألف ألف درهم فقط ، قال عمر : وها أنا قد رجع إليّ على خرابه ، فجبيته مائة ألف ألف درهم وأربعة وعشرين ألف ألف درهم ، بالعدل والنصفة (معجم البلدان ٣ / ١٧٨) .

وممّا يدلّ على عقلية الحجّاج الفاسدة ، انّه لما خرب السواد من جراء إفراطه في الظلم وفي سوء الجباية ، تخيّل أنّ الانقطاع عن الزراعة ، إنّما كان لقلّة الماشية التي تعين الفلاّحين على حرث الأرض ، فأصدر أمره بتحريم ذبح البقر ، فقال الشاعر : [الأغاني ١٦ / ٣٧٨]

شكونـا إليـه خراب السـواد . فحرّم فينـا لحـوم البقر
فكنّـا كمن قال من قبلنـا أريهـا السهـا وتريني القمـر

وقد سمّى الناس سليمان بن عبد الملك ، مفتاح الخير ، لأنّه أذهب عنهم سنّة الحجاج ، وأخلى السجون ، وأطلق الأسرى (وفيات الأعيان ٢ / ٤٢٠) ، ولما تولّى يزيد بن المهلّب العراق ، نظر في نفسه ، وقال : إنّ العراق قد أخربها الحجّاج ، وأنا اليوم رجاء أهل العراق ، ومتى أخذت الناس بالخراج ، وعذّبتهم عليه ، صرت مثل الحجّاج ، أدخل على الناس الخراب ، وأعيد عليهم تلك السجون التي قد عافاهم الله منها ، (وفيات الأعيان ٦ / ٢٩٦ و٢٩٧) ، ولما خرج يزيد بن المهلّب ، بالعراق ، بايعه الناس ، على كتاب الله ، وسنّة نبيه ، وأن لا تعاد عليهم سيرة الفاسق الحجّاج (وفيات الأعيان ٦ / ٣٠٤) .

وليس الحجّاج هو الملوم وحده على سياسته المخرّبة ، فإنّ عبد الملك بن مروان الذي سلّطه على العراق ، هو الملوم الأوّل على ذلك ، فالحجّاج سيئة من سيّئات عبد الملك (واسطة السلوك ٢٠٩) ، ويحقّ لعبد الملك أن يحذر من الله تعالى لأنّ من يكن الحجّاج بعض سيّئاته ، يعلم أي شيء يقدم عليه (ابن الأثير ٤ / ٥٢١) .

وقد كان عبد الملك مطّلعاً تمام الاطّلاع على سياسة الحجاج المخرّبة ، وقد كتب إليه مرّة يقول : إنّ رأيك الذي يسوّل لك أنّ الناس عبيد العصا ، هو الذي أخرج رجالات العرب إلى الوثوب عليك ، وإذا أحرجت العامّة بعنف السياسة ، كانوا أوشك وثوباً عليك عند الفرصة ، ثمّ لا يلتفتون إلى ضلال الداعي ، ولا هداه ، إذا رجوا بذلك إدراك الثأر منك ، وقد ولّي العراق قبلك ساسة ، وهم يومئذ أحمى أنوفاً ، وأقرب من عمياء الجاهلية ، وكانوا عليهم أصلح منك عليهم (العقد الفريد ٥ / ٤٥) .

وظلّت سيرة الحجّاج في الظلم والعسف ، تدور مع التاريخ ، ويتذاكرها الناس خلفاً عن سلف ، حتى حيكت حولها الروايات ، ورتّبت بشأنها القصص ، فذكروا أنّ أعرابياً سأله الحجّاج : كيف سيرة أميركم الحجّاج ؟ فقال : غشوم ظلوم ، لا حيّاه الله ، ولا بيّاه ، فقال له : لو شكوتموه إلى أمير المؤمنين ، فقال الأعرابي : هو أظلم منه وأغشم ، عليه لعنة الله (الملح والنوادر للحصري ١٥) .

وذكروا أنّ رجلاً رأى في منامه الحجّاج بن يوسف ، فقال له : ما حالك ؟ فقال : ما أنت وذاك ، لا أمّ لك ، فقال : سفيه في الدنيا ، سفيه في الآخرة (المحاسن والمساوئ ٢ / ١٤) .

راجع ترجمة الحجّاج في حاشية القصّة ٦٧ من هذا الكتاب ، وبحثاً عن ساديّته في حاشية القصّة ١٤٩ من الكتاب ، وراجع بقية أخبار الحجّاج في الطبري ٦ / ٢٠٢ و٣٢٠ و٣٨٠ – ٣٨٨ و٤٨١ و٤٨٢ و٤٨٨ و٨ / ٦٩ وابن الأثير ١ / ٤٨١ و٤ / ٣٥٩ و٤٣٤ و٤٦٢ و٥٠٤ و٥ / ٣٧ و٥١ والأغاني ٦ / ٦٧ و٦٨ و١٤٥ و١٩٢ ، ٢٠١ و٢٠٦ و٢٤٦ و٨ / ٧٥ والعقد الفريد ٢ / ١٧٤ و١٧٥ و٣٢٤ و٣٥٤ و٣ / ٤٧٧ و٤ / ١١٩ و٥ / ٣٧ و٣٨ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٥٥ ، ٥٧ ، ٥٩ والعيون والحدائق ١٩ والبيان والتبيين ١ / ٢١ و٢٢ ، ١٩٣ و٢ / ٢٩ ، ٨٤ وشذرات الذهب ١ / ١٠٦ – ١٠٨ ومروج الذهب ٢ / ١١٢ ، ١٩٤ ، ولطائف المعارف ١٤١ والإمامة والسياسة ٢ / ٤٧ و٤٨ وتاريخ اليعقوبي ٢ / ٢٧٤ ، ٢٩١ ، ٢٩٥ والامتاع والمؤانسة ٣ / ١٧٨ و١٨٢ والمحاسن والمساوئ ١ / ١٠٠ ، ٢٢٠ والمعارف لابن قتيبة ٥٤٨ والفهرست ٢٠٢ وتاريخ الخلفاء ١٧٩ .

١٨٣

فتنة تثور ببغداد فتفرج عن بريء محبوس

حدّثني البهلول بن محمّد بن أحمد بن إسحاق بن البهلول التّنوخي[١]، قال : حدّثني أبو عليّ، الوكيل على أبواب القضاة ببغداد[٢]، ويعرف بالناقد،

---

١ أبو القاسم البهلول بن محمّد بن أحمد بن إسحاق بن البهلول التنوخيّ الأنباري (٣٣١ – ٣٨٠) : ترجم له الخطيب في تاريخه ٧ / ١١٠ .

٢ وكيل الدعاوى، أو وكيل الحكم، أو الوكيل على أبواب القضاة : هو من نسمّيه اليوم : المحامي، وأحسب أنّ هذه الحرفة، بدأت مزاولتها في أيّام العبّاسيّين، إذ عمد قوم إلى الاحتراف بها، والحضور أمام القضاة، وكالة عن متخاصمين لم تكن المعرفة بأحكام الشريعة متيسّرة لهم، أو لم تكن أعمالهم، وأشغالهم، تيسّر لهم الحضور أمام القاضي في كلّ حين.

والظاهر أنّ هذه الحرفة لم تكن من الأهمية، بالمكان الذي هي فيه الآن، وأنّ محترفيها، أو جلّهم، لم يكن تصرّفهم باعثاً على احترامهم، قال الشاعر :

ما وكلاء الحكم إن خاصموا ... إلاّ شياطين، أولو باس
قوم غدا شرّهم فاضلاً ... عنهم، فباعوه على الناس

ولم يورد التنوخيّ، فيما تيسّر لنا من نشواره، عن وكلاء الدعاوي، إلاّ خبراً واحداً، أورده في القصّة ٣ / ١٤٣ عن وكيل دعاوي، وكلّه قوم، وضمنوا له أجراً، فلمّا أنجز عمله، حبسوا عنه بعض أجره، فعرقل لهم سير القضيّة، حتى استوفى منهم أجره، وزيادة، وهذه القصّة، تدلّ على أنّ التنوخيّ، وهو عريق في القضاء، لم يكن ينظر إلى وكيل الدعاوي نظرة احترام.

ومما يروى عن قاض أندلسي، أنّ وكيلاً في دعوى ترافع أمامه، وشرح مظلمة موكّله، وبكى، فنظر القاضي في صك الوكالة، وقال للوكيل ساخراً : أرى أنّ موكلك، لم يخولّك في صك الوكالة، أن تبكي نيابة عنه، وذكر التوحيدي في البصائر والذخائر م ٣ ق ١ ص ٧٧ : أنّ إسماعيل القاضي اطّلع على خلّة أحد الوكلاء على بابه، فأمر غلامه بأن يخرج له عشرين درهماً في كلّ شهر.

وقال صاحب كتاب معيد النعم ومبيد النقم، في وكلاء دار القاضي، ص ٤٧ : مدحهم قوم، فقالوا : هم أناس نصبوا أنفسهم لخلاص حقوق الخلق، وذمّهم آخرون، فقالوا : هم أناس، فضل عليهم الفضول، فباعوه لغيرهم، والحقّ عندنا، أنّ من أراد منهم وجه الله تعالى، محمود،

قال :

كنت أقيم خبر المحبسين[3] في المطبق بمدينة السّلام ، في أيّام المقتدر بالله ، فرأيت في المطبق[4] رجلاً مغلولاً[5] ، على ظهره لبنة من حديد ، فيها ستّون رطلاً ، فسألته عن قصّته ، فقال : أنا والله مظلوم .

فقلت له : كيف كان أمرك ؟

قال : كنت ليلة من الليالي ، في دعوة صديق لي بسوق يحيى[6] ، فخرجت من عنده مغلّساً ، وفي الوقت فضلٌ وأنا لا أعلم ، فلمّا صرت في قطعة من الشارع ، فإذا مشاعل الطائف[7] ، فرهبته ، ولم أدر ما أعمل ، فرأيت شريجة[8] مشوّشة ،

وإن تناول أجرته . ومن أراد الخصام . وإبطال الحقوق . مذموم . ومن حقّهم التفهيم عن الموكّل . ومعرفة الواقعة . والحقّ . في أيّ الطرفين . فلا يتوكّل على المحقّ معتذراً بأنّه وكيل . ولا يبدي من الحجّة . إلاّ ما يعرفه حقّاً . أو يقوله الموكّل . وهو يجهل الحال . فيعتمد عليه . فإن علمه باطلاً . وأدلى به . فهو في جهنّم .

٣ يختار صاحب خبر المحبسين ، من الأخيار ، ويعهد إليه أن يدخل الحبوس ، ويتفقّد أحوال المحبوسين ، ويرفع خبرهم إلى الوزير ، من أجل رفع الظلامات عن المظلومين منهم ، راجع الملح والنوادر للحصري ١٣٤ و ١٣٥ .

٤ المطبق : الطبق : الغطاء ، وأمّ طبق : الداهية ، وبنت طبق : الحيّة ، والمطبق : السجن تحت الأرض ، سمّي بذلك لأنّه يطبّق على المسجون فيحول بينه وبين رؤية الضوء ويتركه في ظلام دامس وعزلة موحشة . ويعدّ للمساجين السياسيّين . ويكون عادة شديد الظلمة ، سيء التهوية ، لا ينفذ إليه النور ، ومن مكث فيه زمناً . انطفأ بصره . وقد وصف يعقوب بن داود . وزير المهديّ . المطبق الذي حبسه فيه المهديّ . بأنّه بئر بنيت عليها قبّة . لا يصعد منه ولا ينزل إليه . وكان يدلى إليه في كلّ يوم رغيف وكوز ماء . وكان من الظلمة بحيث لا يفرّق فيه بين الليل والنهار . بدليل أنّه كان يؤذن بأوقات الصلاة . وقد بقي فيه ثلاث عشرة سنة . فلما أريد إخراجه أدلي إليه حبل شدّ بـه وسطه . ثم أخرجوه . وإذا به قد عمي لطول المدّة التي قضاها في الظلمة ، راجع القصّة ١/٢٠٤ من هذا الكتاب .

٥ الغلّ ، وجمعه أغلال : طوق من الحديد يوضع في اليد أو العنق . راجع القصّة ١٦١ من هذا الكتاب .

٦ سوق يحيى : محلّة ببغداد . في الجانب الشرقي . على دجلة . راجع حاشية القصّة ٢٤٥ من هذا الكتاب .

٧ الطائف : العسس .

٨ الشريجة : جديلة من القصب تجعل على أبواب الدكاكين .

ففتحتها ، ودخلت ، ورددتها كما كانت ، وقمت في الدّكان ، ليجوز الطّائف وأخرج .

وبلغ الطّائف الموضع ، فرأى الشريجة مشوّشة ، فقال : فتّشوا هذه الدّكان .

فدخلت الرجّالة بمشعل[9] ، رأيت في ضوئه رجلاً في أرض الدكّان مذبوحاً ، على صدره سكّين ، فجزعت .

فرأى الرّجالة ذلك الرّجل ، ورأوني قائماً ، فلم يشكّوا في أنّي القاتل .

فأخذني صاحب الشرطة فحبسني ، ثمّ عُرِضْتُ فضربت ضرباً شديداً ، وعوقبت أصنافاً من العقوبات ، وأنا أنكر ، وعندهم أنّي أتجلّد ، وهم يزيدونني .

فاجتمع أهلي ، وكانت لهم شعب[10] بأسباب السلطان ، فتكلّموا فيّ واستشهدوا خلقاً كثيراً [٩٥ ظ] على سيرتي ، فبعد شدائد ألوان ، أعفيت من القتل ، ونقلت [٧٤ ر] إلى المطبق وثقلّت بهذا الحديد ، وتركت على هذه الصورة ، منذ ستّ عشرة سنة [٩٨ م] .

قال : فاستعظمت محنته ، وبهتّ من حديثه ، فقال : ما لك ، والله ما آيس مع هذا من فضل الله عزّ وجلّ ، فإنّ من ساعة إلى ساعة فرجاً .

قال : فوالله ، ما خرج كلامه[11] من فيه ، حتّى ارتفعت ضجّةٌ عظيمةٌ ، وكسر الحبس ، ووصلت العامّة إلى المطبق [١٢٨ غ] ومطاميره[11] وأخرجوا كـلّ من هناك ، وخرج الرّجل في جملتهم .

وانصرفت وأنا أريد منزلي ، وإذا نازوك قد قُتِلَ ، والفتنة قد ثارت[12] ، وفرّج الله عن الرّجل ، وعن جميع أهل الحبوس .

---

٩ المشعل : راجع حاشية القصّة ١٧ من هذا الكتاب .

١٠ كذا ورد في م وغ ، والمراد بها : الصلة ، يقال : شعب إلى القوم : نزع إليهم .

١١ المطمورة : حفيرة تتّخذ في باطن الأرض ، ضيّقة الفوهة ، واسعة الأسفل ، كانت تتّخذ لحفظ الحبوب ، ثم اتّخذ ما يشبهها على شكل حجر مظلمة تحت الأرض ، يوصل إليها دهليز مظلم لا ينفذ إليه النور .

١٢ كان ذلك في السنة ٣١٧ ، راجع تجارب الأمم ١ / ١٩٦ .

١٨٤

الصدفة تنجي عامل كوثى من القتل

وبلغني عن رجل من أهل كوثى[١] ، قال :

كان يتقلّد بلدنا رجل عامل من قبل أبي الحسن بن الفرات ، في بعض وزاراته ، فافتتح الخراج واشتدّ في المطالبة .

وكان في أطراف البلد قوم من العرب قد زرعوا من الأرض ما لا يتجاسر الأكرة[٢] على زراعته ، وكان العمّال يسامحونهم ببعض ما يجب عليهم من الخراج .

فطالبهم هذا العامل بالخراج على التمام أسوة بالأكرة ، وأحضر أحدهم فحقّق عليه المطالبة ، وهو ممتنع ، فأمر بصفعه ، فصفع حتّى أدّى الخراج ، وانصرف ، فشكا إلى بني عمّه ، فتوافقوا على كبس العامل ليلاً ، وقتله ، وراسلوا في ذلك غيرهم من العرب ، واتّعدوا لليلة بعينها .

فلمّا كان اليوم الّذي تليه تلك اللّيلة ، ورد إلى النّاحية عامل آخر ، صارفاً للأوّل ، فقبض عليه ، وصفعه ، وضربه بالمقارع ، وأخذ خطّه بمال ، وقيّده ، وأمر بأن يحمل إلى قرية أخرى على فراسخ من البلد ، فحبس فيها ، ووكّل به عشرة من الرّجّالة ، وسيّره مرّة ماشياً ، ومرّة على حمار من حمير الشّوك ، فكاد ممّا لحقه أن يتلف ، وحصل في تلك القرية .

وكان له غلام قد ربّاه ، وهو خصيص به ، عارف بجميع أموره ، فهرب عند ورود الصارف ، فلمّا كان من الغد ، لم يشعر المصروف المحبوس إلّا بغلامه الّذي ربّاه قد دخل عليه ، وكان مجيئه إليه أشدّ عليه من جميع ما لحقه إشفاقاً

١ كوثى : موضع بسواد العراق في أرض بابل (معجم البلدان ٤ / ٣١٧) .
٢ الأكرة (بفتحتين) . جمع أكّار (بالفتح وتشديد الكاف) : الزرّاع . قاله أحمد تيمور .

على الغلام ، وعلى نفسه مما يعرفه الغلام ، أن يكون قد دلّ عليه .

فقال له : ويحك ، وقعتَ في أيديهم ؟

فقال له الغلام : من هم ؟ هات رجلك حتّى أكسر قيودك ، وتقوم فتدخل بغداد .

فقال له : وأين الرّجالة الموكّلون بي ؟

فقال : يا مولاي قد فرّج الله عزّ وجلّ عنك ، وهربت الرجّالة[3] .

قال : فما السّبب ؟

قال : إنّ الأعراب الّذين كنت صفعت منهم واحداً ، وطالبتهم بالخراج ، كبسوا البارحة دار العمالة ، وعندهم أنّك أنت العامل ، وكانوا قد عملوا على قتلك ، ولم يكن عندهم خبر صرفك ، ولا خبر ورود هذا العامل ، فقتلوه على أنّه أنت ، وقد هرب أصحابه ، وأهل البلد كافّة ، فقم حتّى نمشي إلى بغداد ، لا يبلغهم خبر كونك هنا ، فيقصدوك ، ويقتلوك .

فكسر القيد ، وقام هو وغلامه ، يمشيان على غير جادّة ، إلى أن بعدا ، ودخلا قرية ، واستأجرا منها ما ركبا إلى بغداد .

ولقي المصروف الوزير ، وشنع على المقتول ، وقال : قد أفسد الناحية ، وأثار فتنة مع العرب ، فأقرّه الوزير [٩٩ م] على النّاحية ، وضمّ إليه جيشاً .

فعاد إلى كوثى ، وتحصّن بالجيش ، وساس أمره مع العرب ، إلى أن صالحهم ، وحطّ لهم من الخراج عمّا كان طالبهم به ، وأجرى أمرهم على رسومهم ، وسكنوا إليه وسكن إليهم ، وزال خوفه واستقام له أمر عمله [٧٥ ر] .

---

٣ الرجّالة ، ومفردها : الراجل : من الجند ، ويستخدمون في جباية الضرائب ، وتنفيذ أوامر المستحثّين والمستخرجين في استحصال الديون الأميرية ، راجع القصّة ١ / ١٢٠ من كتاب نشوار المحاضرة ، وقد ورد فيها : يخرج المستخرج فيبثّ الفرسان والرجّالة والمستحثّين ... الخ .

١٨٥

الأمين يغاضب عمّه إبراهيم بن المهدي

ثمّ يرضى عنه

[أخبرني أبو الفرج الأموي ، المعروف بالأصبهاني ، قال : أخبرني عمّي الحسن بن محمّد ، قال : أنبأنا عبد الله بن أبي سعد ، قال : حدّثني] [1] هبة الله ابن إبراهيم بن المهدي [2] ، عن أبيه ، قال :

غضب عليّ الأمين في بعض [٩٦ ظ] هناته ، فسلّمني إلى كوثر الخادم [3] ، فحبسني في سرداب ، وأغلقه عليّ ، فمكثت فيه ليلتي .

فلمّا أصبحت ، إذا أنا بشيخ قد خرج عليّ من زاوية السرداب ، فدفع إليّ وسطاً [4] ، فأكلت ، ثمّ أخرج إليّ قنينة شراب ، فشربت ، وقال غنّ لي : [١٢٩ غ]

---

١ الزيادة من غ . وفي بقيّة النسخ : وروي عن إبراهيم بن المهديّ .

٢ أبو القاسم هبة الله بن إبراهيم بن المهديّ العباسيّ : شاعر . موسيقي . من أهل بغداد . أسود اللون . جالس الخلفاء . توفّي سنة ٢٧٥ (الأعلام ٩ / ٥٦) .

٣ كوثر الخادم : كان خادم الأمين الخاص . وكان أثيراً لديه . وعندما خرج الأمين مستسلماً إلى هرثمة ابن أعين القائد ، كان كوثر يمشي وراءه حاملاً شارة الخلافة ، خاتم النبيّ صلوات الله عليه ، وبرده ، وسيفه ، وقضيبه . فاعتقله أصحاب طاهر بن الحسين (مروج الذهب ٢ / ٣٢٦ والطبري ٨ / ٤٩١) . ولا يدرى له خبر بعد ذلك .

٤ الوسط : لون من الطعام الناشف . شديد الشبه بما يسمّى اليوم الساندويج . وكيفيّة صنعه : أن يبسط رغيف من الخبز . وتنشر عليه طبقة من لحم الدجاج . ثم تسطر عليه سطور من اللّوز والجوز . والزيتون . والجبن . والنعنع . والطرخون . ثم تفرش فوقها قطع مدوّرة من البيض المسلوق . ويغطّى ذلك برغيف آخر من الخبز . ثم يشطر ذلك إلى شطائر . أنظر وصف الوسط لابن الروميّ في مروج الذهب ٢ / ٥٩٠ .

لي مـدّة لا بـدّ أبلغهـا   فإذا انقضت أيّامهـا متُّ
لو ساورتـني الأسد ضاريـة   لغلبتهـا مـا لم يجي الوقت

فغنّيته ، وسمعني كوثر ، فصار إلى محمّد الأمين . فقال له : قد جنّ عمّك ، هو جالس يغنّي بكيت وكيت .

فأمر بإحضاري ، فحضرت ، وأخبرته بالقصّة ، فرضي عنّي ، وأمر ليَ بسبعمائة ألف درهم[٥] .

---

٥ وردت هذه القصّة في الأغاني ١٠/١٠٤ . وكان محمد الأمين مولعاً بغناء عمّه إبراهيم . وكان يوالي صلاته ، وقد غنّاه مرّة ، فوصله بثلثمائة ألف درهم ، فقال له إبراهيم : يا أمير المؤمنين ، قد أجزتني إلى هذه الغاية بعشرين ألف ألف درهم . فقال له : هل هي إلاّ خراج بعض الكور (الأغاني ١٠/١٣٨) .

١٨٦

يتخلّصون من المحنة بأيسر الأسباب

[أخبرني محمّد بن الحسن بن المظفّر ، قال : أنبأنا أبو عمر محمّد بن عبد الواحد ، قال : أخبرني][١] النوري الصوفيّ[٢] ، قال :

لما كانت المحنة ، ورميت أنا وجماعة من الصوفيّة بالكفر ، أُخِذنا ، فأودعنا المطبق أيّاماً ، ثمّ عرضنا على [ابن] الشّاه ، وكان الوالي[٣] ، وأغري بسفك دمائنا ، فعمل على ذلك ، وأخرجنا للمسائلة ، وترديد العذاب ، وإمراره علينا قبل القتل ، وكنّا تعاقدنا أن لا نتكلّم حتّى يكفينا صاحب الأمر .

فقال للرّقام[٤] : أنت القائل : إنّ قولي بسم الله ، لجّة من نور ؟

قال : فسكت ، على العقد .

وحضر من ذوي الأقدار والمنزلة مَن استعطف ابن الشّاه علينا ، وأشار عليه بالتوقّف في أمرنا ، والزيادة في استيضاح ما قُرِفنا به .

فقال ابن الشّاه للرّقام : أنت صوفيّ ، ولعلّك تأوّلت قولك « بسم الله » نوراً ، وقولك « الحمد لله » ، بعد فراغك ، نوراً .

فصاح الرّقام صيحة عظيمة : لحنتَ أيّها الأمير .

قال النّوري : فوالله لقد أضحكني على ما بي .

---

١ الزيادة من غ .

٢ أبو الحسن أحمد بن محمّد الصوفي المعروف بالنوري : ذكره صاحب اللباب ٣ / ٢٤٢ وقال إنّه لقّب بالنوري لحسن وجهه .

٣ محمّد بن غانم . المعروف بابن الشاه . كانت إليه ولاية الشرطة في الجانب الشرقيّ من بغداد في السنة ٢٧٨ . ولّاه إيّاها أبو العبّاس المعتضد أنابه عن مولاه بدر الذي جعل إليه ولاية الشرطة ببغداد كلّها

٤ الرقّام : بفتح الراء والقاف المشدّدة . النسبة إلى رقم الثياب (اللباب ١ / ٤٧٣) .

فقال له الأمير : قد صرتَ تنظر في النحو بعدي ، حتّى صرت تعرف اللّحن من الصواب ؟.

فقال له : حاشاك أيّها الأمير من اللّحن الّذي هو الخطأ ، وإنّما عنيت بقولي لحنتَ ، أي فطنتَ* ، بمعنى الصوفيّة .

فقال ابن الشّاه : في الدنيا أحد يرمي مثل هذا وأضرابه بالزندقة ؟ وأمر بتخلية سبيلنا .

فتخلّصنا ممّا كنّا فيه ، وممّا نحاذره ، وكفينا بأضعف الأسباب وأيسرها .

---

* لحنتَ : فهمتَ .

١٨٧

عبد الله بن طاهر يطلق الطوسي من حبسه

حبس عبد الله بن طاهر ، محمّد بن أسلم الطوسيّ ، فكتب إليه بعض إخوانه يعزّيه عن مكانه .

فأجابه : كتبت إليّ تعزّيني ، وإنّما كان يجب أن تهنّيني ، أريتُ العجائب ، وعرضت عليّ المصائب ، إنّي رأيت الله تعالى يتحبّب إلى من يؤذيه ، فكيف من يؤذى فيه ، إنّي نزلت بيتاً سقطت فيه عنّي فروض وحقوق ، منها الجمعة ، والأمر بالمعروف ، والنّهي عن المنكر ، وعيادة المريض ، وقضاء حقوق الإخوان ، وما نزلت بيتاً خيراً لي في ديني منه .

فأخبر بذلك ابن طاهر ، فقال : نحن في حاجة إلى ابن أسلم ، أطلقوه . فأفرج عنه[١] .

---

١ الحبس لون من ألوان العذاب ، ولذلك كانت الشكوى منه عامّة ، ومن أظهر من المحبوسين تجلّداً ، فليس ذلك لأنّه لم يتألّم ، لكنّه تظاهر بخلاف ما يعاني ، ومن هذا اللون قصيدة علي بن الجهم التي مطلعها [المحاسن والأضداد ٢٨] :

قالوا : حبستَ فقلت : ليس بضائري ... حبسي وأيّ مهنّد لا يغمد

وقد نقض علي ابن الجهم ، قصيدته هذه ، عاصم بن محمد الكاتب ، بقصيدته التي مطلعها [المحاسن والأضداد ٢٩] :

قالوا : حبستَ ، فقلت : خطبٌ أنكد ... أنحى عليّ به الزمان المرصد

وما أحسن قول عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر لما حبس [المحاسن والأضداد ٣٠] :

خرجنا من الدنيا ونحن من أهلها ... فلسنا من الأموات فيها ولا الأحيا
إذا دخل السجّان يوماً لحاجة ... عجبنا ، وقلنا : جاء هذا من الدنيا
ونفرح بالرؤيا . فجلّ حديثنا ... إذا نحن أصبحنا الحديث عن الرؤيا
فإن حسنت كانت بطيئاً مجيئها ... وإن قبحت لم تنتظر وأتت سعيا

١٨٨

المأمون يغضب على فرج الرخّجيّ

ثمّ يرضى عنه ، ويقلّده فارس والأهواز

وكان [١٠٠ م] المأمون قد غضب على فرج الرخّجيّ[١] ، فكلّمه عبد الله بن طاهر ، ومسرور الخادم[٢] ، في إطلاقه .

قال فرج : فبتّ ليلتي ، فأتاني آتٍ في منامي ، فقال لي :

لمّا أتى فرجاً من ربّه فرج   جئنا إلى فرجٍ نبغي به الفرجا

فلما كان من الغد ، لم أشعر إلّا واللواء قد عقد لي على ولاية فارس والأهواز ، وأطلق لي خمسمائة ألف درهم معونة .

فإذا أبو الينبغي الشاعر على الباب ، وقد كتب هذا البيت في رقعة .

فقلت له : متى قلته ؟

قال لي : البارحة ، [في الوقت الّذي رضي عنك فيه][٣] .

فأمرت له بعشرة آلاف درهم .

---

١ أبو الفضل فرج بن زياد الرخجيّ : ترجمته في حاشية القصّة ١٢٩ من الكتاب .

٢ أبو هاشم مسرور الخادم ، الملقّب مسرور الكبير : كان يخدم المهديّ وكان يرافقه في سفرته التي مات فيها بماسبذان سنة ١٦٩ ، ثم خدم الرشيد ، وكان يرافقه في سفرته التي مات فيها بطوس سنة ١٩٣ ، وكان أثيراً عند الرشيد ، موضع سرّه ، ومنفّذ أمره ، وهو الذي قتل جعفر البرمكيّ بأمره ، ولما اعتقل البرامكة أمر الرشيد أن يجعل عليهم حفظة من قبل مسرور ، وكان الرشيد يتّهمه بأنّه عين للمأمون عليه ، كما كان يتّهم بختيشوع بأنّه عين الأمين ، واستمرّت حرمته أيّام المأمون والمعتصم ، ومات في أيّامه (الطبري ٨ / ١٦٩ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٣٢٣ ، ٣٣٩ ، ٣٤٤ ، ٥٣٢ ، و٩ / ٧ والكامل ٦ / ١٧٨ ، ٢٠٧ ، ٢١٢ ، ٢١٤و ، ٣٠٧ ، ٤٤٣) .

٣ الزيادة من غ وم .

١٨٩

محبوس يتحدّث عن هلاك الحجّاج

[قال عمارة بن عقبة ، من آل سلمى بن المهير ، حدّثني ملازم بن حرام الحنفي ، عن عمّه][1] ملازم بن قريب[2] الحنفي ، قال :

كنت في حبس الحجّاج بسبب الحروريّة[3] ، فحبس معنا رجل ، فأقام حيناً لا نسمعه يتكلّم بكلمة .

حتّى كان اليوم الّذي مات الحجاج في الليلة الّتي تليه ، أقبل غرابٌ في عشيّة [٩٧ ظ] ذلك اليوم ، فوقع على حائط السجن ، فنعق .

فقال [١٣٠ غ] له الرّجل : ومن يقدر على ما تقدر عليه يا غراب ؟

ثمّ نعق الثانية ، فقال : مثلك من بشّر بخير ، يا غراب .

ونعق الثالثة ، فقال له : من فيك إلى السّماء يا غراب .

فقلنا له : ما سمعناك تكلّمت منذ حبست إلى السّاعة ، فما دعاك إلى ما قلت ؟

فقال : إنّه نعق الأولى ، فقال : وقعتُ على سترة[4] الحجّاج .

---

١ الزيادة من غ .

٢ في غ : حريب ، وفي م : حريز .

٣ الحرورية : راجع حاشية القصّة ١٠٨ من الكتاب .

٤ السترة : الستر ، في اللغة : الغطاء ، وسترة السطح وجمعها سُتَر ، بضم السين وفتح التاء : ما يبنى حوله ليستر من فيه عن الجيران ، والبغداديّون ينامون ليلاً في سطوحهم ، ويقيمون سترة عالية ببعض الشيء من الطابوق ، لتحجز بين أهل كلّ سطح وبين جيرانهم ، وهم الآن يسمّون السترة : تيغه ، فارسية ، بمعنى القمّة ، أو الحافة ، وتصفّ فيها الطوابيق واحدة فوق الأخرى على حافاتها الرقيقة ، فتكون السترة ، رقيقة ، سهلة القلع ، وبالنظر لسهولة قلعها ، فقد كانت تتّخذ سلاحاً للمستقرّ في السطح ، يرمي به الماشي في الطريق ، (راجع القصّة ٣٠٧ من هذا الكتاب ، وصلة الطبري ٦٩ و٨١ والتكملة ١٢٥ وكتاب الاعتبار لأسامة ٢٢) ، وأذكر أنّ آخر مرّة استعمل فيه رمي طابوق السترة ،

فقلت : ومن يقدر على ما تقدر عليه ؟

ثمّ قال في الثانية : إنّ الحجّاج وَجِعٌ .

فقلت : مثلك من بشّر بخير .

ثمّ نعق الثالثة ، فقال : اللّيلة يموت الحجّاج .

فقلت : من فيك إلى السّماء .

ثمّ قال : إن انبلج الصّبح قبل أن أخرج ، فليس عليّ بأس ، وإن دعيتُ قبل الصّبح ، فستضرب عنقي ، ثمّ تلبثون ثلاثاً لا يدخل عليكم أحد ، ثمّ يستدعى بكم في اليوم الرّابع فتطالبون بالكفلاء° ، فمن وجد له كفيلاً ، خلّي سبيله ، ومن لم يوجد له كفيل ، فله ويل طويل .

فلمّا دخل اللّيل سمعنا الصّراخ على الحجّاج ، وأخذ [٧٦ ر] الرّجل قبل الصّبح فضربت عنقه ، ثمّ لم يدخل علينا أحد ثلاثة أيّام .

فلمّا كان في اليوم الرّابع استدعينا ، فطلب منّا الكفلاء ، حتّى صار الأمر إليّ ، فلم يكن لي كفيل .

فمكثت طويلاً حتّى خفت أن أردّ إلى الحبس ، فتقدّم رجل فضمنني .

فقلت له : من أنت يا عبد الله ، حتّى أشكرك .

فقال : اذهب ، فلست بمسؤول عنك أبداً .

فانطلقت .

كان قبل نيّف وأربعين سنة ، فإنّ اثنين من أهالي بغداد ، هما الحاج شاكر والسيّد عزيز ، قتلا في محلّة باب الشيخ شخصاً اسمه أحمد الشنّان وكانا قد خطّطا لإفلاتهما ، وعيّنا الأزقّة التي يمرّان فيها ، ولكنّهما صادفا في أوّل زقاق لجَئَا إليه ، تلاميذ مدرسة قد انتشروا فيه ، فَلَجَئَا إلى زقاق آخر ، فلحق بهما مطاردون كان عددهم يزيد كلما امتدّت المطاردة ، وعندما وصلا إلى محلّة بني سعيد تلقّاهم الطابوق من السطوح ، فانكسر ساق أحدهما وعقر ، وجاءت الثاني ضربة صائبة على أنفه فكسرته ، فاستسلما ، وجرت محاكمتهما أمام المحكمة الكبرى ببغداد ، وهي محكمة الجنايات ، في السنة ١٩٣٢ وكنت إذ ذاك كاتب الضبط فيها بعد تخرّجي من كليّة الحقوق ببغداد ، وحكم عليهما بالإعدام ، وأعدما شنقاً في الموضع الذي ارتكبا فيه جريمة القتل . ٥ في غ : فيهتف على رؤوسكم بالكفالة .

١٩٠

يحسن إلى كاتب بغا الكبير على غير معرفة منه له

وقال عليّ بن الحسين بن عبد الأعلى الإسكافي[١] :

كنت أكتب لبغا الكبير[٢] ، فصرفني ، ونكبني ، وأخذ مالي وضياعي ، وحبسني بعد ذلك ، وتهدّدني ، ونالني منه كلّ مكروه .

فإنّي لفي حبسه ، إذ سمعت حركة ، فسألت عنها ، فقيل لي : قد وافى إسحاق بن إبراهيم الطاهري ، صاحب الشرطة .

فقلت : إنّما حضر لعقوبتي ، فطارت نفسي جزعاً .

فلم ألبث أن دعيتُ ، فحملت إليه في قيودي ، وعليّ ثياب في نهاية الوسخ ، فأدخلت عليه كالميت لما بي ولعظيم الخوف ، فلمّا وقعت عين إسحاق عليّ ، تبسّم ، فسكَنَتْ نفسي .

فقال لي بغا : إنّ أخي أبا العبّاس - يعني عبد الله بن طاهر - كتب إليّ يشفع في أمرك ، وقد شفّعته ، وأزلت عنك المطالبة ، ورضيت عنك ، ورددت عليك ضياعك ، فانصرف [١٠١ م] إلى منزلك .

فبكيت بكاء شديداً ، لعظم ما ورد على قلبي من السرور ، ففكّت قيودي ، وغيّرت حالي ، وانصرفتُ .

فبتّ ليلتي[٣] ، وبكرت في السَّحَر إلى إسحاق لأشكره ، وأسأله عمّا أوجب

---

١ أبو الحسن علي بن الحسين بن عبد الأعلى الإسكافي : ترجمته في حاشية القصّة ١٧٤ من الكتاب .

٢ أبو موسى بغا : القائد التركي المعروف بالكبير ، من موالي المعتصم ، وأحد قوّاده الكبار ، شارك في معارك بابك الخرميّ ، وظفر في جميعها ، وهو الذي اعتقل الإفشين لما غضب عليه المعتصم ، واشترك في قتل المتوكّل ، توفّي سنة ٢٤٨ (العيون والحدائق ٣٨٥ ، تجارب الأمم ٦ / ٤٧٤ ، ٥٢٣ ، ٥٣٣ ، ٥٥٤ ، ٥٦٢ ، ٥٦٣) .

٣ في غ وم : فبتّ في بيتي .

ما جرى ، لأنّه شيء ما طمعت فيه ، ولا كانت لي وسيلة إلى أبي العبّاس ولا إسحاق ، فلقيته ، وشكرته ، ودعوت له ولأبي العبّاس ، وسألته عن سبب ذلك .

فقال : ورد عليّ كتاب الأمير أبي العبّاس يقول : قد كانت كتب أبي موسى بغا ترد عليّ بمخاطبات توجب الأنس والخلطة ، وتلزم الشكر والمنّة ، ثمّ تغيّرت ، فبحثت عن السبب ، فعلمت أنّ ذلك الكاتب صُرِف ، وأنّه منكوب ، وحَقٌّ لمن أحسن عشرتنا ، ووكّد المحبة بيننا وبين إخواننا ، حتّى بان لنا موقعه ، وعرفنا موضعه لمّا صرف ، أن نرعى حقّه ، فصر – أبقاك الله – إلى أخي أبي موسى ، وسله في أمر كاتبه المصروف ، عنّي ، واستصفحه عمّا في نفسه منه ، واستطلقه ، وسله ردّه إلى كتبته ، وإن كان ما يطالبه به ممّا لا ينزل عنه ، فأدّه عنه من مالنا ، كائناً ما كان .

فلقيته ، ففعل ما رأيت ، وأنا أعاود الخطاب في استكتابك ، وقد أمر لك الأمير بكذا وكذا ، من المال ، فخذه .

فأخذته ، وشكرته ، ودعوت للأميرين ، وانصرفت .

فما مضت إلّا أيام ، حتّى ردّني إسحاق إلى كتابة بغا بشفاعة أبي العباس ، ورجعت حالي ونعمتي[4] .

---

٤ في غ : وتأثّلت حالي معه .

١٩١

كيف تخلّص عمر بن هبيرة من السجن

[حدّثني عليّ بن أبي الطّيب ، قال : حدّثنا ابن الجرّاح ، قال : حدّثنا ابن أبي الدنيا ، قال : حدّثني سليمان بن أبي شيخ[١] ، قال :][٢] حدّثنا سليمان ابن زياد[٣] ، قال :

كان عمر بن هبيرة ، والياً على العراق[٤] ، ولّاه يزيد بن عبد الملك[٥] ، فلمّا مات يزيد بن عبد الملك [١٣١ غ] ، واستخلف هشام ، قال [٩٨ ظ] عمر بن هبيرة : سيولّي هشام العراق ، أحد الرّجلين ، سعيداً الحرشيّ[٦] ،

١ أبو أيّوب سليمان بن أبي شيخ منصور بن سليمان الواسطي (١٥١ - ٢٤٦) : ترجم له الخطيب في تاريخه ٩ / ٥٠ و ٥١ .

٢ الزيادة من غ .

٣ في غ : سليمان بن أبي زياد .

٤ أبو المثنّى عمر بن هبيرة بن سعد بن عديّ الفزاري : بدويّ ، أمّي ، داهية ، شجاع ، ولّاه يزيد بن عبد الملك العراق وخراسان ، وكانت عمالته ستمائة ألف درهم ، وعزله هشام بخالد القسري ، فحبسه ، وفرّ عمر من السجن ، والتجأ إلى مسلمة بن عبد الملك ، فأمن (الأعلام ٥ / ٢٣٠) وكان أميّاً ، إلا أنّه كان يتظاهر بقراءة الكتب الواردة عليه ، فاذا خلا أمر إحدى جواريه بالتوقيع عليها ، راجع في البصائر والذخائر م ٢ ق ١ ص ١٢٣ كيف احتال كتّابه فكشفوا أمره .

٥ في الأغاني ١٥ / ١٢٨ : غلبت حبابة على يزيد ، وتبنّى بها عمر بن هبيرة ، فعلت منزلته ، حتى كان يدخل على يزيد في أي وقت شاء ، وكان مسلمة بن عبد الملك على العراق ، فعملت حبابة لابن هبيرة في ولاية العراق ، حتّى وليها .

٦ أبو يحيى سعيد بن عمرو بن الأسود الحرشيّ : من قوّاد الدولة الأمويّة ، اشترك في محاربة ابن الأشعث (الطبري ٦ / ٣٦١) وفي محاربة الخوارج (الطبري ٦ / ٥٧٧) ثم ولّاه عمر بن هبيرة خراسان (الطبري ٦ / ٦١٩) ثمّ عزله (الطبري ٧ / ١٥) فانحاز إلى جانب العبّاسيّين ، واشترك في محاربة المقنّع الخراساني ، وقتله (الطبري ٨ / ١٣٥ و ١٤٤) وخدم المهديّ (الطبري ٨ / ١٦٧) والرشيد (الطبري ٨ / ٣١٦) .

أو خالد بن عبد الله القسريّ[7] ، فإنْ ولّى ابن النصرانيّة[8] ، خالداً ، فهو البلاء .

فولّى هشام خالداً العراق ، فدخل واسطاً ، وقد أذن عمر بالصلاة ، وقد تهيّأ ، واعتمّ ، وبيده المرآة يسوّي عمامته ، إذ قيل له : هذا خالد قد دخل .

فقال عمر : هكذا تقوم الساعة ، تأتي بغتة .

فتقدّم خالد ، وأخذ عمر بن هبيرة ، فقيّده ، وألبسه مدرعة صوف ، فقال له : يا خالد ، بئس ما سننت على أهل العراق ، أما تخاف أن تصرف فتبتلى بمثل هذا[9] ؟

فلمّا طال حبسه ، جاء مواليه ، واكتروا داراً بجانب الحبس ، ثمّ نقبوا منها سرباً إلى الحبس ، واكتروا داراً إلى جانب سور المدينة ، مدينة واسط ، فلمّا جاءت الليلة الّتي أرادوا أن يخرجوه فيها من الحبس ، وقد أفضى النقب إلى الحبس ، فأخرج في السرب ، ثمّ خرج من الدّار يمشي ، حتّى بلغ الدّار الّتي إلى جانب السور ، وقد نقب في السّور نقب إلى خارج المدينة ، وقد هيّأت له خيل ، فركب وسار ، وعلم به بعد ما أصبحوا ، وقد كان أظهر علّة قبل ذلك ليمسكوا عن تفقّده في كلّ وقت .

فأتبعه خالد ، سعيدَ الحرشي ، فلحقه ، وبينه وبين الفرات شيء يسير ، فتعصّب له [١٠٢ م] وتركه[10] .

---

٧ أبو الهيثم خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد القسري (٦٦ – ١٢٦) : أمير العراقين ، وأحد خطباء العرب وأجوادهم ، ولي مكة للوليد بن عبد الملك ، ثم ولي العراقين لهشام ، واستمرّت ولايته ١٥ سنة ، وعزله بيوسف بن عمر الثقفي فاعتقله يوسف ، وعذبه ، وقتله (الأعلام ٢ / ٣٣٨) .

٨ كانت أمّ خالد نصرانية ، قال الفرزدق :

ألا قطع الرحمن ظهر مطيّة ... أتتنا تهادى من دمشق بخالد

وكيف يؤمّ المسلمين وأمّه ... تدين بأنّ الله ليس بواحد

٩ ولي يوسف بن عمر الثقفي ، تعذيب خالد بن عبد الله القسري ، وقتله ، راجع الطبري ٧/٢٦٠ .

١٠ جيء بابن هبيرة ، إلى خالد القسري ، مغلولاً ، مقيّداً ، في مدرعة ، فلما صار بين يدي خالد ألقته الرجال إلى الأرض ، فأمر به إلى الحبس ، ففرّ إلى مسلمة ، بالشام ، فأجاره ، واستوهبه من

فقال الفرزدق[11] في ذلك :

ولمّا رأيتَ الأرض قد سدّ ظهرها ... ولم يبق إلّا بطنها لك مخرجاَ
دعوت الذي ناداه يونس بعدما ... ثوى في ثلاثٍ مظلماتٍ ففرّجا[12]
خرجت ولم يمنن عليك سفاهة[13] ... سوى زائد التقريب من آل أعوجا
فأصبحت تحت الأرض قد سرت ليلة[14]
وما سار سارٍ مثلها حين أدلجا[15]

[قال سليمان بن أبي شيخ : فحدّثني ابن أبي خيرة[16] ، عن أبي الحبحاب ،

هشام ، فوهبه له ، فلما قدم خالد الشام ، وجد ابن هبيرة عند هشام ، فقال لـه : أبقتَ إباق العبد ، فأجابه : حين نمتَ نوم الأمة (العقد الفريد ٢ / ١٨٥ والبصائر والذخائر ٤ / ٢١٦ و٢١٧) .

١١ أبو فراس همّام بن غالب بن صعصعة التميمي الدارميّ ، الشهير بالفرزدق : شاعر بصريّ نبيل ، عزيز الجانب ، كان أبوه من الأشراف الأجواد ، وكذلك جدّه ، توفّي ببادية البصرة سنة ١١٠ وقد قارب المائة (الأعلام ٩ / ٩٦) .

١٢ المظلمات الثلاث : ظلمة الليل ، وظلمة البحر ، وظلمة بطن الحوت .

١٣ في غ وم : طلاقة .

١٤ في غ : قد سرت سيرة .

١٥ ولي عمر بن هبيرة الفزاري ، العراقين ، ليزيد بن عبد الملك (الأغاني ١٥ / ١٢٨) فهجاه الفرزدق ، فقال : [الأغاني ٢١ / ٣١١ وأدب الكتاب ١١٣]

أمير المؤمنين وأنت عفٌّ ... كريم لست بالطّبع الحريص
أولّيت العراق ورافديه ... فزاريّاً أحذّ يد القميص
ولم يك قبلها راعي مخاضٍ ... ليأمنه على وركي قلوص
تفيهق بالعراق أبو المثنّى ... وعلّم أهله أكل الخبيص

فسجنه ، وشفع له ، أبو نخيلة الشاعر ، وهو دعيّ ، فأطلقه عمر ، فلما خرج من السجن سأل عمّن شفع فيه ، فأخبر ، فعاد إلى الحبس ، وقال : لا أريمه ولو متّ ، أأخرج بشفاعة دعيّ ؟ والله لا أخرج هكذا ولو من النار ، فأخبر ابن هبيرة بذلك ، فضحك ، ودعا به فأطلقه ، وقال : وهبتك لنفسك ، فحفظ الفرزدق لابن هبيرة هذا الجميل ، فلما عزل وحبس ، مدحه ، وعرّض بأمّ خالد القسري الذي خلفه على العراقين ، وكانت نصرانية فقال : [العيون والحدائق ٨٣]

قال : حدّثني][17] خازم ، مولى ابن هبيرة ، قال :

كنت مع عمر بن هبيرة حين هرب من السّجن ، فسرنا حتّى بلغنا دمشق ، بعد العتمة ، فأتى مسلمة بن عبد الملك ، فأجاره ، وأنزله معه في بيته ، وصلّى مسلمة خلف هشام الصّبح .

فلمّا دخل هشام داره ، استأذن عليه مسلمة ، فأذن له ، فدخل .

فقال له هشام : يا أبا سعيد ، أظنّ ابن هبيرة قد طرقك الليلة .

قال : أجل يا أمير المؤمنين ، وقد أجرته ، فهبه لي .

قال : قد وهبته لك[18] .

لقد حبس القسريّ في سجن واسط … فتى شيظميّاً لا ينهنهه الزجر

فتى لم تورّكه الإماء ولم يكن … غذاء له لحم الخنازير والخمر

فقال ابن هبيرة : ما رأيت أشرف من الفرزدق ، هجاني أميراً ، ومدحني أسيراً (الأعلام ٥ / ٢٣١) .

١٦ سعيد بن أبي خيرة : ترجم له صاحب الخلاصة ١١٧ .

١٧ الزيادة من غ .

١٨ ورد الخبر في مخطوطة (د) ص ١٦٢ و١٦٣ .

١٩٢

كيف تخلّص قيسبة بن كلثوم من أسره

[أخبرني أبو الفرج القرشي ، المعروف بالأصبهاني ، قال :][1] ذكر ابن الكلبيّ عن أبيه ، قال :

خرج قيسبة بن كلثوم السكوني ، وكان ملكاً ، يريد الحجّ ، وكانت العرب تحجّ في الجاهليّة ، فلا يعرض بعضها لبعض .

فمرّ ببني عامر بن عقيل ، فوثبوا عليه ، وأسروه ، وأخذوا ماله ، وكلّ ما كان معه ، وألقوه في القدّ[2] ، فمكث فيه ثلاث سنين ، وشاع في اليمن[3] ، أنّ الجنّ استطارته .

فبينما هو في يوم شديد البرد ، في بيت عجوز منهم ، آيس من الفرج ،

---

١ الزيادة من غ .

٢ جاء في الأغاني ١٣ / ٤ : القدّ سير يقدّ من جلد غير مدبوغ ، يتّخذ منه السوط ويقيّد به الأسير .

٣ اليمن : قال ياقوت رحمه الله في معجم البلدان ٤ / ١٠٣٤ : حدود اليمن ما بين عمان إلى نجران ، ثم تلتوي على بحر العرب إلى عدن ، إلى الشحر ، وقال : إنّما سميت اليمن لتيامنهم إليها ، يريد لأنّها عن يمين الحجازي ، أقول : إنّ اليد اليمين ، إنّما سميت يميناً ، لأنّها في جهة اليمن ، وقد كانت بلاد اليمن ، بالنسبة للحجازي ، بلاد اليُمْنِ والخير والبركة ، ولذلك سمّاها : اليمن السعيدة ، وقال عمر بن أبي ربيعة :

بالله قولي لـه في غـير معتبـة ... مـاذا أردت بطـول المكث في اليمـن

إن كنت حـاولت دنياً أو ظفـرت بهـا ... فمـا أخذت بتـرك الحـجّ من ثمـن

وبعكس ذلك كانت بلاد الشام ، بالنسبة للحجازي ، فهي بعيدة المنتجع ، تحول بينه وبينها جبال وصحاري ، ومفاوز ومهالك ، فسمّى الأول : اليمن ، من اليُمْن ، وسمّى الثانية : شآماً ، من الشؤم ، وسمّى اليد اليمنى : اليمين ، نسبة لليمن ، وكره أن يسمى اليد الأخرى شؤماً ، فسماها يساراً ، كما سمّي اللديغ سليماً ، والأعمى بصيراً ، والمهلكة مفازة .

إذ قال لها : أتأذنين لي أن آتي الأكمة ، فأتشرّق عليها[4] ؟ فقد أضرّ بي البرد .

فقالت له : نعم ، وكانت عليه جبّة حَبَرَة[5] ، لم يترك عليه غيرها .

فمشى في قيوده حتّى صعد الأكمة ، ثمّ أقبل يضرب ببصره نحو اليمن ، وتغشاه عبرة ، فبكى ، ثمّ رفع طرفه إلى السماء ، فقال : اللّهم فاطر السّماء ، فرّج لي ممّا أصبحت فيه .

فبينما هو كذلك ، إذ عرض له راكب [١٣٢ غ] يسير ، فأشار إليه أن أقبل ، فأقبل عليه الراكب ، فقال له : ما حاجتك ؟

قال : أين تريد ؟

قال : أريد اليمن .

قال : ومن أنت ؟

قال : أبو الطمحان القيني[6] ، فاستعبر قيسبة .

فقال أبو الطمحان : من أنت ؟ فإنّي أرى عليك سيما الخير ولباس الملوك ، وأنت بدار ليس فيها ملك .

فقال : أنا قيسبة بن كلثوم السكوني ، خرجت عام كذا وكذا حاجّاً ، فوثب عليّ أهل هذا الحي ، وصنعوا بي ما ترى وكشف له عن أغلاله وقيوده ، فاستعبر [٩٩ ظ] له أبو الطمحان .

فقال له قيسبة : هل لك في مائة ناقة حمراء ؟

قال : ما أحوجني إلى ذلك .

---

٤ التشرّق : القعود في المشرقة ، وهي موضع الشمس في الشتاء .

٥ الحَبَرَة : ضرب من برود اليمن ، كما أنّ الملاءات السوداء التي تلبسها النساء تسمى : حبرة ، وثمّة نوع من القماش يشبه الحرير ، يسميه أصحاب البزّ في بغداد : حَبَر .

٦ أبو الطمحان حنظلة بن شرقي القيني : شاعر من قضاعة ، فارس ، معمّر ، عاش في الجاهلية ، وأدرك الإسلام ، فأسلم ، وهو صاحب البيت المشهور : (الأعلام ٢ / ٣٢٢)

أضاءت لهم أحسابهم ووجوهم   دجى الليل حتّى نظّم الجزع ثاقبه

قال : أنخ ، فأناخ .

ثمّ قال : أمعك سكّين ؟

قال : نعم .

قال : ارفع لي عن رحلك ، فرفع له عن رحله ، حتّى بدا خشب مؤخّر الرحل .

فكتب عليه بالمسند[7] ، وليس يكتب به غير أهل اليمن :

بلّغَنْ كندة الملوك جميعاً   حيث سارت بالأكرمين الجمال
أن ردوا الخيل بالخميس[8] عجالاً   واصدروا عنه والروايا ثقال
هزئت جارتي وقالت عجيباً   إذ رأتني في جيدي الأغلال
إن تريني عاري العظام أسيراً   قد براني تضعضع واختلال
فلقد أقدم الكتيبة بالسيـ   ـفِ عليّ السلاح والسربال

وكتب تحت الشعر إلى أخيه ، أن يدفع لأبي الطمحان مائة ناقة حمراء ، ثمّ قال له : أقرئ هذا قومي ، فإنّهم سيعطونك مائة ناقة حمراء .

فخرج تسير به ناقته ، حتّى أتى حضرموت[9] فتشاغل بما ورد له ، ونسي أمر قيسبة ، حتّى فرغ من [١٠٣ م] حوائجه .

ثمّ سمع نسوة من عجائز اليمن ، يتذاكرن قيسبة ، ويبكين ، فذكر أمره ، فأتى أخاه الجون بن مالك ، [وهو أخوه لأبيه وأمّه][10] ، فقال له : يا هذا ، أنا أدلّك على قيسبة ، وقد جعل لي مائة ناقة حمراء .

فقال : هي لك .

---

٧ المسند : الخطّ الحميري .

٨ إذا أراد الرجل سفراً بعيداً ، أورد إبله الخِمْس ، راجع لسان العرب مادة خمس .

٩ حضرموت : كلمة مركّبة من اسمين ، مثل سرمنرأى ، ورامهرمز ، وهي ناحية واسعة شرقي عدن ، راجع معجم البلدان ٢ / ٤٨٤ .

١٠ الزيادة من غ ، وم ، ومن الأغاني ١٣/ ٦ .

فكشف له عن الرّحل ، فلمّا قرأه الجون بن مالك ، أمر له بمائة ناقة حمراء .

ثمّ أتى قيس بن معدي كرب الكندي[11] ، [أبا الأشعث بن قيس][12] ، فقال له : يا هذا إنّ أخي في بني عامر بن عقيل أسيراً ، فسر معي بقومك لنخلّصه .

فقال له قيس : تسيرُ تحت لوائي ، حتّى أطلب ثأرك وأنجدك ، وإلّا فامض راشداً .

فقال له الجون : مسّ السّماء أيسر من ذلك ، وأهون عليّ ممّا جئت به .

فضجّت السكون ثمّ فاءوا ، ورجعوا ، وقالوا له : وما عليك من هذا ؟ هو ابن عمّك ، ويطلب لك بثأرك ، فأنعم له بذلك .

وسار قيس ، وسار معه الجون تحت لوائه ، وكندة والسّكون معه ، [فهو أوّل يوم اجتمعت فيه السّكون وكندة لقيس][1] وبه أدرك الشّرف ، فسار حتّى أوقع ببني عامر بن عقيل ، فقتل منهم مقتلةً عظيمةً ، واستنقذ قيسبة ، فقال في ذلك سلامة بن صبيح الكندي[13] :

لا تشتمونـا إذ جلبنـا لكـم ... ألفي كميت كلّهـا سلهبه[14]
نحن أبلنـا الخيـل في أرضكم ... حتّى ثأرنـا منكـم قيسبـه
واعترضت من دونها مذحـج ... فصادفـوا من خيلنـا مشغبه[15]

---

١١ أبو الأشعث قيس بن معدى كرب بن معاوية بن جبلة الكندي : كان صاحب مرباع حضرموت ، مات قتيلاً في إحدى المعارك (الأعلام ٦ / ٦٠) .

١٢ الزيادة من غ وم ، ومن الأغاني ٦/١٣ ، وهو أبو محمّد الأشعث بن قيس بن معدي كرب الكندي (٢٣ ق - ٤٠ هـ) : رئيس كندة في الجاهلية والإسلام ، كانت إقامته في حضرموت ، ووفد على النبي فأسلم ، ثم امتنع عن بيعة أبي بكر ، وحارب الجيش الإسلامي فأسره ، ومنّ عليه أبو بكر فأطلقه وزوّجه أخته أمّ فروة ، فأقام بالمدينة ، ثم بالعراق ، ومات بالكوفة (الأعلام ١ / ٣٣٤) .

١٣ في غ : مسلمة بن صبيح الكندي .

١٤ السلهب : الطويل العظام .

١٥ وردت القصّة في الأغاني ١٣ / ٣ - ٦ .

١٩٣

جاءه الفرج من حيث لم يحتسب

حدّثني أبو الحسن أحمد بن يوسف الأزرق [الكاتب ، إبن يعقوب بن إسحاق بن البهلول التنوخي][١] قال :

كنت ، وأنا حدث ، أتعلّم في ديوان زمام السواد ، بين يدي كاتب فيه ، يقال [١٣٣ غ] له أبو الحسن عليّ بن الفتح ، ويعرف بالمطوّق[٢] ، عاش إلى بعد سنة عشرين وثلثمائة ، وأخرج إلينا كتاباً قد عمله في أخبار الوزراء ، منذ وفاة عبيد الله بن خاقان ، إلى آخر أيّام القاهر بالله ، أو بعدها[٣] – [الشكّ من أبي الحسن أحمد بن يوسف][١] – وسمّاه : كتاب مناقب الوزراء ومحاسن أخبارهم[٤] ، فقرأ علينا بعضه ، وأخبرنا بالباقي مناولة .

[قال مؤلّف هذا الكتاب : وأعطاني أبو الحسن أحمد بن يوسف ، هذا الكتاب ، مناولة][٥] ، فوجدت فيه : أنّ القاسم بن عبيد الله اعتقل أبا العبّاس أحمد بن محمّد بن بسطام[٦] في داره [أيّاماً ، لأشياء كانت في نفسه عليه ،

---

١ الزيادة من غ .

٢ أبو الحسن علي بن الفتح المعروف بالمطوّق : ترجم له ابن النديم في الفهرست ص ١٤٣ .

٣ في الفهرست ١٤٣ : إنّه وصل به كتاب محمّد بن داود الجرّاح وعمله إلى أيّام أبي القاسم الكلوذاني ، أقول : تقلّد أبو القاسم عبيد الله بن محمّد الكلوذاني وزارة المقتدر في ٥ رجب سنة ٣١٩ (تجارب الأمم ١ / ٢١٢) وكانت مدة وزارته شهرين وثلاثة أيّام (تجارب الأمم ١ / ٢١٩) .

٤ سماه صاحب الفهرست ص ١٤٣ : كتاب الوزراء .

٥ الزيادة من غ ، وم .

٦ أبو العبّاس أحمد بن محمّد بن بسطام : صهر حامد بن العبّاس وزير المقتدر ، ضمن واسط في أيّام المعتضد ، وعجز عن سداد بدل الضمان ، فحبسه المعتضد ، ثم أطلقه وأعاده إلى عمله ، راجع القصّة في كتاب الوزراء ٩٦ ، وكان في السنة ٢٩٣ عاملاً على الشام ، وكان عظيم الرياسة ، يقوم عن يمينه وشماله مائة حاجب (القضاة للكندي ٥٢٤ و٥٢٥) ، وفي السنة ٢٩٦ قلّده الوزير أبو الحسن بن

وأراد أن يوقع به][9] فلم يزل ابن بسطام، يداريه، ويلطف به، إلى أن أطلقه، وقلّده آمد[7]، وما يتّصل بها من الأعمال، وأخرجه إليها، وفي نفسه ما فيها، ثمّ ندم على ذلك، فوجّه إليه في آخر أيّام وزارته بقائد يقال له علي بن حبش، ابن أخي قوصرة[8]، ووكّله به، فكان يأمر وينهى في عمله، وهو موكّل به في داره، خائف على نفسه، لما ظهر من إقدام القاسم على القتل[9].

قال ابن بسطام: فأنا أخوفَ ما كنت على حالي ونفسي، وليس عندي خبر، حتّى ورد عليّ كتاب عنوانه: لأبي العباس أطال الله بقاءه، من العبّاس بن الحسن[10].

الفرات، مصر، ثم صادره المحسّن بن الفرات على ثلثمائة ألف دينار، فأخرجه من نعمته (الوزراء ١٢ و٤٩)، وهو أحد من هجاهم ابن بسام بقصيدته الشهيرة التي هجا فيها جميع رجال الدولة، وخصّه فيها ببيت واحد [مروج الذهب ٢ / ٥٤٢]

وأحول بسطام ظلّ المشير وكان يحوك بزرباطيه

وزرباطيه: وما زال هذا اسمها، من أعمال بادرايا، واسم بادرايا الآن في العراق: بدره.

٧ آمد: من أعمال ديار بكر (معجم البلدان ٢ / ٦٣٧).

٨ قوصرة: لقب لمصعب بن ابراهيم مولى الهادي (تجارب الأمم ٦ / ٥١٤).

٩ اشتهر القاسم بن عبيد الله بضراوته على القتل، فقد قتل بدراً غلام المعتضد (المنتظم ٦ / ٣٤ ومروج الذهب ٢ / ٥٢٨ – ٥٣٠)، وقتل عبد الواحد بن الموفّق، عمّ المكتفي (مروج الذهب ٢ / ٥٣١ و٥٣٢) وقتل ابن الرومي الشاعر (مروج الذهب ٢ / ٥٣٢)، وقتل أناساً كثيرين غيرهم، مثل محمّد بن غالب الأصبهاني صاحب ديوان الرسائل، ومحمّد بن بشار، وابن منارة النصراني، أحدرهم إلى البصرة، وأمر بإغراقهم في الطريق، فأغرقوا، (مروج الذهب ٢ / ٢٥٨)، فقال في ذلك علي بن بسام مشيراً إلى أصله النصرانيّ، فإنّ آل وهب أصلهم نصارى (الفخري ٢٤٧):

عذرناك في قتلك المسلمين وقلنا عداوة أهل الملل
فهذا المناريُّ ما ذنبه؟ ودينكما واحد لم يزل

وكان يتفنّن في تعذيب أسراه قبل قتلهم، راجع المنتظم ٦ / ٤٣.

١٠ أبو أحمد العبّاس بن الحسن بن أيّوب الجرجرائي (٢٤٧ – ٢٩٦): من وزراء الدولة العبّاسيّة،

فلمّا رأيت العنوان ناقص الدّعاء ، علمت أنّ القاسم بن عبيد الله قد مات ، وأنّ العبّاس بن الحسن قد تقلّد الوزارة[11] ، فلم أتمالك نفسي فرحاً وسروراً بالسلامة في نفسي ، وزوال الخوف عنّي .

وقرأت الكتاب ، فإذا هو بصحّة الخبر ، ويأمرني بالخروج إلى مصر ، وتقلّد الأمانة على الحسين بن أحمد المادرانّي[12] .

قال علي بن الفتح : فخرج ابن بسطام [١٠٠ ظ] إلى مصر ، ولم يزل يتقلّد الأمانة على الحسين بن أحمد إلى أن تقلّد علي بن محمّد بن الفرات الوزارة ، فقلّده مصر وأعمالها ، قال : فلم يزل بها إلى أن مات .

وزّر للمكتفي وللمقتدر ، كان أديباً بليغاً ، وزّر للمكتفي خلفاً للقاسم بن عبيد الله ، وبترشيح منه ، ولما مات المكتفي قام بالبيعة للمقتدر ، قتله الحسين بن حمدان في مؤامرة ابن المعتز (الأعلام ٤ / ٣٢) .

١١ لما كان العباس بن الحسن صاحب ديوان ، كان يخاطب ابن بسطام بدعاء أكثر ، فلما نقص الدعاء ، علم أنّ العباس قد ارتفعت مرتبته ، واستنتج أنّ الوزير القاسم مات ، وأنّ العباس قد وزّر ، ولما فتح الكتاب تأيّدت له صحّة ظنونه ، راجع في كتاب الوزراء للصابي ص ١٧٢ – ١٧٨ التقليد المتّبع في مراسلات الوزير مع الأمراء والعمّال ورجال الدولة .

١٢ أبو علي الحسين بن أحمد بن رستم المادرانّي ، الملقّب بأبي زنبور : من نبلاء الكتّاب في عصر ابن طولون ، قلّده المكتفي خراج مصر سنة ٢٩٢ ، وأقرّه المقتدر ، ثم سخط عليه ، فأحضره إلى بغداد ، وصادره ، ثم أعاده إلى مصر ، فمات بدمشق سنة ٣١٤ (الأعلام ٢ / ٢٤٨) .

١٩٤

العلويّ الصوفيّ يحتال للخلاص من سجن المعتصم

[حدّثنا أبو محمّد عبد الرحمن الورّاق المعروف بالصيرفيّ[١] ، ابن أبي العبّاس محمّد بن أحمد الأثرم[٢] ، المقرئ البغدادي ، بالبصرة ، في المحرّم سنة خمس وأربعين وثلثمائة ، بكتاب المبيّضة ، لأبي العبّاس أحمد بن عبد الله بن عمّار ، في خبر العلويّ الصوفيّ[٣] ، الخارج بالجوزجان[٤] ، على المعتصم ، وهو محمّد بن القاسم بن عليّ بن عمر بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب [١٠٤ م] رضي الله عنهم أجمعين ، وكان عبد الله بن طاهر حاربه ، وأسره ، وبعث به إلى المعتصم ، وهو ببغداد[٥] ، قال : حدّثنا أبو العبّاس بن عمّار ، قال : حدّثنا أبو الحسن النوفلي ، وهو عليّ بن محمّد بن سليمان بن عبد الله بن الحارث بن نوفل][٦] قال :

---

١ أبو محمّد عبد الرحمن بن أبي العباس محمّد بن أحمد بن حمّاد ، المعروف بالصيرفي : ترجم له الخطيب في تاريخه ١٠ / ٢٩٧ .

٢ أبو العبّاس محمّد بن أحمد بن حمّاد المعروف بابن الأثرم ، أستاذ القاضي التنوخيّ ، مؤلّف هذا الكتاب : ترجمته في حاشية القصّة ٢٧ من الكتاب .

٣ العلوي الصوفيّ : أبو جعفر محمّد بن القاسم بن علي بن عمر بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب ، عالم ، فقيه ، زاهد ، طالبيّ ، ثائر ، من أهل الكوفة ، لقّب بالصوفيّ ، لإدمانه لبس ثياب الصوف الأبيض ، خرج أيّام المعتصم بالطالقان ، واستفحل أمره ، فحاربه عبد الله بن طاهر ، وأسره ، وبعث به مقيّداً إلى بغداد ، فحبسه ، وفرّ من الحبس (الأعلام ٧ / ٢٢٥) .

٤ الذي في كتب التاريخ (العيون والحدائق ٣٨٢ ، وتجارب الأمم ٦ / ٤٧١) أنّ العلويّ الصوفيّ ظهر بالطالقان ، وهي مدينة بخراسان بين مرو الروذ وبلخ (معجم البلدان ٣ / ٤٩١) ، والظاهر أنّها جزء من الجوزجان التي وصفها ياقوت ، بأنّها كورة واسعة بخراسان بين مرو الروز وبلخ (معجم البلدان ٢ / ١٤٩) .

٥ كان ذلك في السنة ٢١٩ (العيون والحدائق ٣٨٢ وتجارب الأمم ٦ / ٤٧١) .

٦ ما بين القوسين من غ وم ، وفي ظ : لما حارب عبدالله بن طاهر محمّد بن القاسم الصوفيّ العلويّ ، أسره ، وحمله إلى المعتصم ، فبنى له حبساً في بستان موسى .. الخ .

حدّثت أنّ المعتصم أمر أن يبنى حبس في بستان موسى ، كان القيّم به مسرور مولى الرّشيد .

قال : وكنت أرى أعلى هذا البناء من دجلة إذا ركبتها ، إذ كان كالبئر العظيمة ، قد حفرَتْ إلى الماء ، أو قريب منه ، ثمّ بني فيها بناءٌ على هيأة المنارة ، مجوّف من باطنه ، وهو من داخله مدرّج ، قد حفر فيه ، في مواضع من التدريج ، مستراحات ، وبني في كلّ مستراح شبيهاً بالبيت ، يجلس فيه رجلٌ واحدٌ ، كأنّه على مقداره ، يكون مكبوباً على وجهه ، لا يمكنه أن يجلس فيه ، ولا يمدّ رجليه[7] ، فلمّا قدم محمّد ، حبس في بيت في أسفل ذلك الحبس ، فلمّا استقرّ فيه أصابه من الجهد لضيقه ، وظلمته ، ومن البرد أمر عظيم ، لنداوة الموضع ورطوبته ، فكاد أن يتلف من ساعته .

فتكلّم بكلام دقيق سمعه من كان في أعالي البئر ممّن وكّل بالموضع ، فقال : إن كان أمير المؤمنين يريد قتلي ، فالسّاعة أموت ، وإن لم يكن يريد قتلي فقد أشفيت عليه .

فأخبر المعتصم بذلك ، فقال : ما أريد [١٣٤ غ] قتله ، وأمر بإخراجه .

فأخرج وقد زال عقله ، وأغمي عليه ، فطرح في الشّمس ، وطرحت عليه اللّحف ، وأمر بحبسه في بيتٍ كان قد بني في البستان ، فوقه غرفة ، وكان في

---

٧ الحَجْرُ في الحبوس الضيّقة ، من جملة العذاب الذي كان الناس يعذّبون به ، وقد أسلفنا وصف حبس الحجّاج في حاشية القصّة ٦٧ من هذا الكتاب ، كما وصفنا كيفيّة معاملة المنصور لآل الحسن في سجنه ، في القصّة ٣١٨ من هذا الكتاب ، وفي القصّة ٢٠٤ من الكتاب ، إنّ مطبق المهديّ ، كان من الظلمة بحيث أنّ وزيره يعقوب بن داود عمي وهو فيه ، وحبس الرشيد أبا العتاهية في بيت سعته خمسة أشبار في مثلها (الأغاني ٤ / ٦٤) وحبس المعتصم الإفشين ، في بناء كالمنارة ، في وسطها مقدار مجلس رجل واحد (العيون والحدائق ٤٠٥) ، وحبس المتوكّل وزيره ابن الزيات في تنور من الخشب فيه مسامير من حديد تمنعه من الجلوس (الطبري ٩ / ١٥٩) ، راجع بحث « المطبق » وبحث « المطمورة » في حاشية القصّة ١٨٣ من هذا الكتاب ، وبحث « العذاب » في حاشية القصّة ٣٥٨ من هذا الكتاب .

البيت خلاء إلى الغرفة التي فوقه ، وفي الغرفة أيضاً خلاء آخر إلى سطحها ، فلم يزل محبوساً فيه حتّى تهيّأ له الخروج في ليلة الفطر سنة تسع عشرة ومائتين .

قال : فحدّثني علي بن الحسين بن عمر بن علي بن الحسين ، وهو ابن عمّ أبيه ، قال : أصبحت يوم الفطر ، وأنا أتهيّأ للرّكوب إلى المصلّى ، فأنا أشدّ منطقتي في وسطي ، وقد لبست ثيابي أبادر الركوب إلى المصلّى . فما راعني إلّا محمّد بن القاسم ، قد دخل إلى منزلي ، فملأني رعباً وذعراً .

وقلت له : كيف تخلّصت ؟.

فقال : أنا أدبّر أمري في التخلّص منذ حبست ، ووصف لي الخلاء الّذي كان في البيت الّذي حبس فيه إلى الغرفة الّتي فوقه ، والخلاء الّذي كان في الغرفة إلى سطحها .

قال : وأدخل معي يوم حبست ، لِبْدٌ[8] ، فكان وطائي وفراشي[9] .

قال : وكنتُ أرى بغرش[10] ، وهي قرية من قرى خراسان ، حبالاً تعمل من لبود ، وتضفر كما يفعل بالسيور ، [فتجيء أحكم شيء ، فسوّلت لي نفسي أن أعمل من اللبد الّذي تحتي حبلاً][11] وكان على باب البيت ، قوم موكّلون بي يحفظونني لا يدخل عليّ أحدٌ منهم ، إنّما يكلّموني من خلف الباب ويناولوني من تحته ما أتقوّتُ به .

فقلت لهم : إنّ أظفاري قد طالت جدًّا ، وقداحتجت إلى مقراض ، فجاءني رجل يميل إلى مذهب الزيديّة ، بمقراض أحد جانبيه منقوش كأنّه مبرد[12] .

---

٨ اللبد : الصوف المتلبّد ، والبغداديون يسمونه : چبنه ، بالجيم المثلثة .

٩ كذا ورد في جميع النسخ ، والوطاء والفراش بمعنى واحد ، وأحسب أنّ الصحيح : غطائي وفراشي .

١٠ غرش : وتسمّى غرج ، وغرشستان ، وغرجستان ، والغور ، ناحية واسعة كثيرة القرى ، تقع بين غزنة وكابل وهراة وبلخ (معجم البلدان ٣ / ٧٨٥ و٧٨٦) .

١١ الزيادة من غ وم .

١٢ في م : نقش المسحل ، وفي غ : كأنّه مسحل ، والمسحل : آلة النحت .

وقلت لهم : إنّ في هذا البيت فاراً[13] قد آذوني ، ويقذرونني إذا قربوا منّي ، فاقطعوا لي جَريدة من النخل أطردهم بها .

فقطعوا لي من بعض نخل البستان ، جريدة ، فرموا بها إليّ ، وكنت لا أزال أضرب بها في البيت ، أريهم أنّي أطرد الفار ، وأسمعهم صوتها أيّاماً ، ثمّ قشرت الخوص عنها ، وقطعتها على مقدار ما ظننت أنّه يعترض في ذلك [١٠٥ م] الخلاء إذا رميتُ بها ، فضممتُ ما قطعته منها بعضَهُ إلى بعض ، وقصصت اللبد ، وفتلت منه حبلاً ، على ما كنت أرى يعمل بغرش ، ثمّ شددت ما قطعته من الجريدة في رأس الحبل ، ثمّ رميت به في الكوّة ، وعالجته مراراً حتّى اعترض فيها ، ثمّ اعتمدت عليها وصعدت إلى الغرفة ، ومن الغرفة إلى السطح ، ففعلت ذلك مراراً ، في أيّام كثيرة ، وتمكّنت من الحركة لأنّي بردت[14] بجانب المقراض إحدى حلقتي القيد ، ولم يمكنني أن أبرد[15] الأخرى ، فكنت إذا أردت الحركة ، شددت القيد مع ساقي ، وأتحرّك ، وقد صرت مطلقاً .

فلمّا كان في هذه اللّيلة وقد شغل النّاس بالعيد وانصرف من كان على الباب من الموكّلين ، فلم أحسّ منهم أحداً إلّا شيخاً واحداً كنت أسمع كلامه وحركته ، وأطّلع فأراه .

فصعدت بين العشائين[16] إلى الغرفة ، ومن الغرفة إلى السطح ، فأشرفتُ ، [١٠١ ظ] فإذا المعتصم يفطر والنّاس بين يديه ، والشموع تزهر ، فرجعت .

فلمّا كان في جوف اللّيل صعدت والنّاس نيام ، ونزلت إلى البستان ، فإذا فيه قائد ومعه جماعة ، فصاح بي بعضهم : من أنت ؟

---

١٣ الفار : اسم جمع ، واحدته : فارة .

١٤ في غ وم : سحلت .

١٥ في غ وم : أسحل .

١٦ في غ وم : بين المغرب والعشاء .

قلت : مدينيّ من أصحاب الحمّام ، وكان في البستان منهم جماعة يشرفون على أمر الحمّام .

فقال لي : الى أين تخرج السّاعة ، إطرح نفسك حتّى تصبح ، وتفتح الأبواب ، فطرحت نفسي بينهم ، حتّى فتح باب البستان في الغلَس ، وقد تحرّك النّاس . فصرت إلى دجلة لأعبر ، فوجدت الشيخ الّذي كان بقي من الموكّلين بي يريد العبور ، فنزلت لأعبر ، فطلب منّي الملّاح قطعة[17] ، فقلت له : ما معي شيء ، أنا رجل غريب ضعيف الحال .

فقال لي الشيخ : اعبر ، فأنا أعطيه عنك ، وأعطاه [١٣٥ غ] الشيخ عنّي قطعة ، وعبرت حتّى جئتك .

قال علي بن الحسين : فقلت له : والله ، ما منزلي لك بموضع ، فاخرج عنّي من ساعتك ، ولا تقم فيه لحظة ، وركبت إلى المصلّى .

فصار إلى منزل رجل من الشّيعة ، فأخفاه[18] .

---

١٧ في غ وم : فطلب منّي الملّاح أجرته ، كما أخذ من الناس .

١٨ وردت القصّة باختصار في مقاتل الطالبيّين ٥٨٥ – ٥٨٨ .

١٩٥

حسن سيرته كانت سبب اعتقاله

[وحدّثنا أبو محمّد الأثرم ، في كتاب المبيّضة ، قال : حدّثنا أبو العبّاس ابن عمّار[1] ، قال : حدّثني هاشم بن أحمد بن الأشهب البغوي ، قال : حدّثني أبو عبدالله جعفر بن محمّد بن إسماعيل ، قال : حدّثني أبو إسحاق إبراهيم ابن رباح الجوهري ، قال : حدّثني المفضل بن حمّاد الكوفيّ ، من أصحاب الحسن بن صالح بن حيّ ، بوفاة عيسى بن زيد بن عليّ ، بالكوفة ، وكيف ستر ذلك عن المهديّ ، فذكر حديثاً طويلاً ، قال فيه :][2]

لما تواترت الأخبار على الرشيد ، بحسن طريقة أحمد بن عيسى بن زيد[3] ، وميل النّاس إليه ، أمر بحمله ، فحمل إلى بغداد ، ومعه القاسم بن عليّ بن عمر [بن عليّ بن الحسين بن عليّ رضي الله عنهم ، وهو والد محمّد بن القاسم الصّوفي الخارج بخراسان في أيّام المعتصم][4] ، فحبسا عند الفضل بن الرّبيع ، فكانا في حبسه في داره الشارعة على دجلة ، قرب رأس الجسر ، بمشرعة الصّخر .

وكان حسن الصنيع إليهما ، يؤتيان بمائدة كمائدته الّتي توضع بين يديه ، ويواصلان من الحلوى ، والفاكهة ، والثّلج في الصّيف ، بمثل ما يكون على

---

١ أبو العبّاس أحمد بن عبيد الله بن محمّد بن عمّار الثقفي : كاتب ، مؤرّخ ، أديب ، كوفيّ ، له تآليف عدّة ، منها كتاب المبيّضة ، توفّي سنة ٣١٤ (تاريخ بغداد للخطيب ٤ / ٢٥٢) .

٢ الزيادة من غ .

٣ أبو عبد الله أحمد بن عيسى بن زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب (١٥٧ – ٢٤٧) : من زعماء الزيدية في أيّام العباسيّين ، نشأ بالمدينة ، فاضلاً ، عالماً ، محدّثاً ، واتّهمه الرشيد بأنّه يريد الخروج عليه ، فأحضره إلى بغداد ، وسجنه ، ففرّ من السجن ، واختفى ، ومات وهو مستتر (الأعلام ١ / ١٨٢) .

٤ الزيادة من م .

مائدته ، فإذا أكلا ، رفعت من بين أيديهما ، ووضعت بين أيدي الموكّلين بهما .

فأكلا يوماً من الأيّام ، ورفعت المائدة فجعلت بين يدي الموكّلين بهما ، فأكلوا ، وأكثروا ، ودخل وقت القائلة فناموا [١٠٦ م] ، فخرج أحمد بن عيسى إلى حبّ[٥] في ناحية الدهليز ، فرأى القوم نياماً ، فغرف من الحبّ ، [بالكوز[٦] الّذي معه][٧] ، ثمّ رجع ، فقال للقاسم : يا هذا اعلم أنّي قد رأيت فرصة بيّنة ، وهؤلاء نيام ، والباب غير مقفل ، [لم يحكموا – كما كانوا يفعلون – إغلاقه ، فاخرج بنا][٧] .

فقال له القاسم : أنشدك الله ، فإنّك تعلم ، أنّا في عافية من كثير ممّا فيه أهل الحبوس ، والفضل محسن إلينا[٨] .

فقال له أحمد : دعني منك ، واعلم أنّ العلامة بيني وبينك ، أن أغرف من الحبّ ، فإن تحرّك القوم رجعت إليك ، وكانت علّتي ظاهرة بسبب الكوز ، وإن لم يتحرّكوا ، فأنا – والله – خارج ، وتاركك بموضعك ، واعلم أنّك لا تسلم بعدي .

ثمّ خرج ، فغرف من الحبّ بالكوز ، ثمّ طرحه من قامته ، [قال : وكان أطول منّي ومنك][٩] ، فما تحرّك أحد منهم ، ثمّ انثنى عليّ ، وقال : قد رأيتَ ما استظهرتُ به لك ولنفسي ، وأنا – والله – خارج ، ثمّ مضى ، واتّبعه القاسم ، ففتحا الباب ، وخرجا ، فقالا : لا نجتمع في طريق ، ولكن موعدنا ، موضع كذا .

---

٥ الحبّ ، وجمعه حباب : خابية من الفخّار ، تستعمل في بغداد راووقاً للماء .

٦ الكوز : راجع التفصيل في آخر القصّة .

٧ الزيادة من غ وم .

٨ في غ : وهذا الرجل – يعني الفضل – بنا برّ ، ولنا متعهّد .

٩ الزيادة من غ .

فلمّا جازا العتبة بخمسين ذراعاً ، لقيهما غلام للفضل بن الرّبيع ، مدنيّ ، أعرف بهما من أنفسهما ، فبهت الغلام[10] لما رآهما ، فأومأ إليه أحمد ، بكمّه ، كالآمر بغضب : تنحّ ، فما ملك الغلام نفسه أن تنحّى ، ثمّ كان عزمه أن يستقيم في طريقه ذاك ، [فلمّا بلي من الغلام بما بلي ، عدل عن تلك الطريق ، وسار في طريق أُخرى للاستظهار على الغلام][11] ، وأسرع حتّى نجا ... وذكر بقيّة الحديث[12] .

---

١٠ في غ وم : بعل الغلام ، وبعل : تحيّر فلم يدر ما يصنع .

١١ كذا في غ ، وفي ظ : فأسرعا حتى تجاوزا .

١٢ وردت القصّة في مقاتل الطالبيّين ٦٢٠ – ٦٢٢ .

الكــوز

إناء من الفخّار ، شائع الاستعمال في بغداد ، يشبه الإبريق ، إلاّ أنّه من دون البلبلة ، أي القناة الصغيرة التي يصبّ منها الماء ، وتسمّيه العامّة : تُنْكه ، بالكاف الفارسية ، معرّبة عن الفارسية : تنك ، أي الكوز ، والفخّار الذي يجهّز لتصفية الماء وشربه ببغداد ، على أشكال مختلفة ، فالزير ، ويسمونه الحبّ ، وهي فصيحة ، يصبّ فيه الماء الكدر ، فيقطر الماء الصافي من أسفله إلى إناء من الفخّار ، يسمّونه : بوّاقة ، تلفظ القاف كافاً فارسية على طريقة البغداديين ، والكلمة فصيحة ، من باق : أي سرق ، كأنّها تسرق الماء من الحبّ ، نقطة نقطة ، فإذا امتلأت البوّاقة ، صبّ ماؤها في الجرّة ليبرد ، ومنها إلى الكوز حيث يكون معدّاً للشرب ، فإمّا أن يشرب من الكوز ، أو يصبّ في كأس يسمّى شربة (الغيث المسجم في شرح لامية العجم ٢ / ٢٦١) ، أو حُبّانة ، يختلف اسمه باختلاف شكله ، وصانعو الفخّار يجتهدون في اختيار التراب المناسب لصنعه ، ويغالون فيه ، إذ ليس كلّ تراب صالحاً ليكون فخّاراً جيّداً ، فان وجدوا التراب المناسب ، سلّطوا عليه الماء ، وأجادوا مرسه بأيديهم ، كيلا يبقى فيه أيّ أثر للمواد المالحة ، حتى أنّ بعضهم كان يرمي بخاتمه في الطين ، ويطلب من عمّاله أن يبحثوا عنه ، وأن يعيدوه إليه ، فيكلّفهم هذا البحث ، أن يمرسوا بأصابعهم كلّ حفنة من الطين ، فإذا تمّ تنظيفه ، وتخميره ، صنع على مختلف الأشكال ، وأودع في موقد يشوى فيه ، وهذا الموقد يسمّيه البغداديون : الكورة ، فصيحة وهو اسم المحجرة من الطين ، فإذا تمّ شيّه ، أصبح صالحاً للاستعمال ، واستعمال الكوز ، إذا كان جيّد الطين ، حسن الصنع ، من طيّبات الدنيا ، وخاصّة إذا رشّ عليه ، قبل استعماله ، قطرات من ماء الورد ، فإنّ شرب الماء في الكوز ، يكسبه طعماً لذيذاً ، لا يقدّره إلاّ من ذاقه ، ومما يبعث على الأسف انّ استعمال الكوز ، يكاد أن ينقرض ، لشيوع الكهرباء والثلاّجات ، قال أبو إسحاق الصابي يتشوّق إلى شرب ماء الكوز ببغداد (معجم البلدان ١ / ٦٤٨) :

لهف ، نفس عـلى المقام ببغدا ... د وشربي من مـاء كوز بثلـج
نحن بالبـصرة الذميمة نسقى ... شرّ سقيـا من مائها الأترجّـي
أصفرٌ منـكرٌ ثقيـلٌ غليـظٌ ... خـاثر مثـل حقنـة القولنـج
كيف نـرضى بشربـه وبـخيرٍ ... منه في كُنْـفِ أرضنا نستنجي

١٩٦

محمد الحمداني يحل محلّ أخيه في إمارة الموصل

ومن طريف ما شاهدناه في هذا الباب : أنّ أبا تغلب ، فضل الله ، عدّة الدولة[١] ، بن ناصر الدولة أبي محمّد ، استوحش من أخيه محمّد[٢] ، بعد موت أبيهما ، فقبض عليه ، واستصفى ماله ، [وقبض عقاره وضياعه][٣] ، ونعمته ،

---

١ أبو تغلب ، فضل الله ، الغضنفر ، عدّة الدولة ، ابن أبي محمّد الحسن ، ناصر الدولة ، بن عبد الله الحمدانيّ ، التغلبيّ ، أمير الموصل : استولى على الإمارة من أبيه ، وحارب عضد الدولة ، فخسر المعركة ، وفرّ إلى الشام ، ثمّ إلى فلسطين ، حيث أسر وقتل في السنة ٣٦٩ (الأعلام ٥ / ٣١٢) ، أقول : كانت سياسة أبي تغلب خرقاء ، فقد اتّفق مع أمّه ومع بعض إخوانه فاعتقلوا أباهم ، وحبسوه في إحدى القلاع ، فانتشر النظام الذي كان يجمع الإخوة (تجارب الأمم ٢ / ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٨٥) ، وكان أخوه حمدان أمير الرحبة ، مبايناً له ، وكان شجاعاً ، فملك الرقّة ، وسار إلى نصيبين ، وطالب بالإفراج عن أبيه ، فحاربه أبو تغلب ثم صالحه (٢ / ٢٥٤ و٢٥٥) وبعد الصلح ، أنفذ أخاه أبا البركات فطرد حمدان من الرحبة (٢ / ٢٨٩) واشتبكا فقتل حمدان أبا البركات (٢ / ٢٩١) ثم اتّجه أبو تغلب نحو أخيه أبي الفوارس محمّد صاحب نصيبين ، فخدعه ، واعتقله ، فأوحش بقيّة الإخـوة (٢ / ٢٩١) ثم اتّفق مع بختيار ، وحاربا عضد الدولة ، فانكسرا ، وقتل بختيار ، وفرّ أبو تغلب إلى حيث أسر وقتل (٢ / ٣٨١ و ٣٨٣ و ٤٠١) .

٢ أبو الفوارس محمّد بن ناصر الدولة : أمير حمدانيّ شجاع ، كان أسيراً عند الروم سنة ٣٥٤ فأطلق مقابل أمير روميّ أطلقه سيف الدولة (تجارب الأمم ٢ / ٢١٣ ، ٢٢٠) وكان في السنة ٣٦٠ يتولّى نصيبين ، فاتّهمه أخوه أبو تغلب ، وخدعه ، واعتقله بقلعة أردمشت ، وضيّق عليه ، وأثقله بالحديد (تجارب الأمم ٢ / ٢٩١) وظلّ معتقلاً ثماني سنوات ، حتى أطلقه عضد الدولة ، وولّاه ما كان يليه أخوه أبو تغلب ، على ما هو مشروح في هذه القصّة .

٣ الزيادة من غ وم .

وثقّله بالحديد ، وأنفذه إلى القلعة المعروفة بأردمشت [4] ، وهي مشهورة حصينة ، من أعمال الموصل ، فحبسه بها في مطمورة ، ووكّل بحفظه عجوزاً يثق بها ، جلدة ضابطة ، يقال لها : نازبانو [5] [١٣٦ غ] وأمرها أن لا توصل إليه أحداً ، ولا تعرّفه خبراً ، وأن تخفي موضعه عن جميع شحنة القلعة وحَفَظَتها ، ففعلت ذلك .

فأقام على حاله تلك نحو ثمان سنين .

ثمّ اتّفق أن انحدر أبو تغلب معاوناً لعزّ الدولة أبي منصور بختيار [6] بن

---

٤ قلعة أردمشت : قال ياقوت في معجمه ١ / ١٩٩ : إنّها قلعة حصينة قرب جزيرة ابن عمر في شرقيّ دجلة الموصل ، على جبل الجودي ، وتحتها دير الزعفران ، فتحها المعتضد وخرّبها ، فأعاد أبو تغلب الحمدانيّ بناءها ، واتّخذها مدّخراً لنفائسه ، ومعتقلاً لخصومه ، ورتّب فيها أحد أقارب أمّه فاطمة الكرديه اسمه صالح بن بانويه ، وضمّ إليه أحد مماليكه المخلصين واسمه طاشتم ، وقد فتح عضد الدولة هذه القلعة سنة ٣٦٨ ، راجع تفصيل ذلك في تجارب الأمم ٢ / ٣٩٢ و٣٩٣ .

٥ نازبانو : كذا ورد في غ ، وفي ظ : نازبونا ، وفي م : بازبانو ، والاسم فارسي من كلمتين ، ناز : فخر ، وبانو : السيدة الجليلة ، فيكون الاسم بالعربية : فخر النساء .

٦ أبو منصور بختيار عزّ الدولة بن أبي أحمد الحسين معزّ الدولة بن بويه الديلميّ : (٣٣١ – ٣٦٧) : تولّى الحكم في العراق بعد وفاة أبيه في السنة ٣٥٦ ، وكان سيّء التدبير ، فأفسد عليه جنده ، وطمع فيه أعداؤه (تجارب الأمم ٢ / ٣٣٤) وكان لا يفي بعهد ، أنفذ حاجبه في مهمّة ، وفي غيابه صادره (تجارب الأمم ٢ / ٢٥٩) ، والتجأ إليه حمدان الحمدانيّ ، فعاهده على حمايته (٢ / ٣٧٨) ثم أسلمه إلى خصمه (٢ / ٣٧٩) ، وكان لا يعرف الكتمان ، ولا يضبط لسانه ، ولو جرّ ذلك عليه ذهاب النفس والملك (٢ / ٢٦٢) وقضى عمره منصرفاً إلى اللهو واللعب ومعاشرة المساخر (٢ / ٢٣٤) وكان لهجاً بلعب النرد ، فقال فيه أبو الحسن محمّد بن غسّان بن عبد الجبار بن أحمد الداري الصيدلانيّ ، الطبيب ، البصري (تاريخ الحكماء ٤٠٢) :

يسوس الممالك رأي الملك ... ويحفظها السيّد المحتنك
فيا عضد الدولة أنهض لها ... فقد ضيّعت بين شيش ويك

وقال فيه لما خرج إلى الأهواز :

أقام على الأهواز سبعين ليلة ... يدبّر أمر الملك حتى تدمّرا
يدبّر أمراً كان أوّله عمى ... وأوسطه بلوى وآخره خرا

راجع الامتاع والمؤانسة ٣ / ١٥٤ و١٥٩ .

معزّ الدولة أبي الحسين ، ومعهما العساكر ، يقصدان بغداد لمحاربة عضد الدّولة ، وتاج الملّة أبي شجاع[7] ، وخرج للقائهما ، فكانت بينهم الواقعة العظيمة بقصر الجصّ[8] ، وقتل فيها عزّ الدولة [١٠٢ ظ] بختيار ، وانهزم أبو تغلب ، فدخل الموصل ، وخاف من تخلّص أخيه محمّد ، فكتب إلى غلام له ، كانت القلعة مسلّمة إليه يقال له : طاشتم[9] ، أن يمكّن صالح بن بانويه[10] ، رئيس الأكراد ، – وكان كالشريك لطاشتم في حفظ القلعة – من أخيه محمّد بن ناصر الدّولة ، ليمضي فيه ما أمره به ، وكتب إلى صالح ، يأمره بقتل محمّد ، فمكّن طاشتم صالحاً منه .

فلمّا أراد الدّخول على محمّد ، ليقتله ، منعت نازبانو من ذلك ، وقالت : لا أمكّن منه ، إلّا بكتاب يرد عليّ [١٠٧ م] من أبي تغلب .

وشارف عضد الدولة الموصل[11] ، وأجفل عنها أبو تغلب ، وكردته العساكر[12] ،

---

٧ أبو شجاع فناخسرو عضد الدولة بن أبي علي الحسن ركن الدولة : ترجمته في حاشية القصّة ٣١ من الكتاب .

٨ قصر الجصّ : قصر عظيم ، قرب سامراء ، فوق الهاروني ، بناه المعتصم للنزهة ، وعنده قتل بختيار ابن معزّ الدولة ، قتله عضد الدولة ابن عمّه (معجم البلدان ٤ / ١١٠) لزيادة التفصيل راجع تجارب الأمم ٢ / ٣٧٧ – ٣٨٢ .

٩ في ظ : طاشتمر ، وفي م : طاسيم ، وفي غ وتجارب الأمم : طاشتم ، وطاشتم هذا من مماليك عدّة الدولة أبي تغلب الحمدانيّ ، وكان عاقلاً ، أميناً ، ديّناً ، أناط به سيّده حفظ قلعة أردمشت شريكاً لصالح بن بانويه ، فلما حاصرهما جيش عضد الدولة ، سلّمها ابن بانويه إليهم ، وقبض على طاشتم ، وتسلّمه عضد الدولة ، فبعث به إلى أبي تغلب ، فقتله (تجارب الأمم ٣ / ٣٩٢ – ٣٩٥) .

١٠ في ظ : صالح بن بانويه ، وفي غ : صالح بن بابويه ، وفي م : صالح بن مانويه ، وفي تجارب الأمم : صالح بن بادويه ، وصالح بن بانويه هذا ، كرديّ ، من أقارب فاطمة بنت أحمد الكرديّة أمّ أبي تغلب (تجارب الأمم ٢ / ٣٩٢) .

١١ في م : ودخل عضد الدولة إلى الموصل .

١٢ كردته العساكر : طردته .

فاشتدّ عليه الطلب ، وورد عليه كتاب من القلعة بما قالت ناز بانو ، فإلى أن يجيب عنه ، أحاط عساكر عضد الدولة بالقلعة ، ونازلوها ، فانقطع ما بين أبي تغلب وبينها ، فلم يصل إليها كتاب ، وفتحها عضد الدولة بعد شهور ، بأن واطأه صالح ، بالقبض على طاشتم ، وكتب إليه يعرّفه بما عمله ، ويستأمره فيما يعمله .

وكان لمحمّد خصيّ أسود مملوك ، يلي أمر داره ، اسمه ناصح ، وكان بعد القبض على محمّد ، قد وقع إلى عضد الدولة ، وهو بفارس ، فصار من وجوه خدمه ، [وحضر معه وقعة قصر الجصّ][13] ، فلمّا ورد خبر فتح القلعة ، أذكره ناصح بوعد كان له عليه في إطلاق مولاه محمّد ، إذا فتح القلعة ، فكتب بأن يطلب محمّد في القلعة ، فإن وجد حيًّا ، أطلق ، وأنفذ به إليه مكرّماً .

فحين دخل صالح ، ومعه من صعد إلى القلعة من أصحاب عضد الدولة ، إلى محمّد في محبسه ، جزع جزعاً شديداً ، ولم يشكّ أنّهم يريدون قتله ، بأمر أبي تغلب ، فأخذ يتضرّع ، ويقول : ما يدعو أخي إلى قتلي .

فقال له صالح : لا خوف عليك إنّما أمرنا الملك أن نطلقك ، وتمضي إليه مكرّماً ، فقد ملك هذه البلاد .

فقال : أغلب ملك الرّوم على هذه النواحي ، وفتح القلعة ؟

قالوا : لا ، ولكن الملك عضد الدولة .

قال : الّذي كان بشيراز ؟

قالوا : نعم ، وقد جاء إلى بغداد .

قال : وأين بختيار ؟

قالوا : قتل .

قال : وأبو تغلب ؟

---

١٣ الزيادة من غ .

قالوا : انهزم ودخل إلى بلاد الرّوم .

قال : وأين عضد الدولة ؟

قالوا : بالموصل ، وهوذا نحملك إليه مكرّماً .

فسجد حينئذ ، وبكى بكاءً شديداً ، ثمّ حمد الله ، فأرادوا فكّ قيوده فقال : لا أمكّن من ذلك ، إلّا أن يشاهد حالي الملك .

فحمل إلى الموصل إلى عضد الدولة ، فرأيته وقد أصعد به مقيّداً من المعبر الّذي عبر فيه في دجلة ، إلى دار أبي تغلب الّتي نزل بها عضد الدولة بالموصل ، وكنت أنا – إذ ذاك[14] – أتقلّدها له وجميع ما فتحه ممّا كان في يد أبي تغلب مضافاً إلى حلوان[15] ، وقطعة من طريق خراسان[16] ، فرأيت محمّداً يمشي في قيوده ، حتّى دخل إليه فقبّل الأرض بين يدي عضد الدولة ، ودعا له ، وشكره ، فأخرج إلى حجرة من الدّار ، فأُخذ حديده[17] ، وحمل على فرس فاره بمركب ذهب ، وقيّد بين يديه خمس دواب بمراكب فضّة [مذهبة][18] ، وخمس بجلالها ، وثلاثون بغلاً محمّلة مالاً صامتاً[19] ، ومن صنوف الثياب الفاخرة ،

---

١٤ في السنة ٣٦٧ .

١٥ حلوان : بضم الحاء ، اسم لأماكن عدّة ، منها حلوان العراق ، وهي آخر حدود السواد مما يلي الجبال ، وكانت رابع مدينة عراقية في السعة والعمران ، بعد بغداد ، والبصرة ، وواسط ، (مراصد الاطلاع ١ / ٤١٨) أقول : هي الآن بليدة اسمها كرند ، في داخل حدود إيران .

١٦ طريق خراسان : أنظر التفصيل في آخر القصّة .

١٧ يعني : كسرت قيوده .

١٨ الزيادة من م .

١٩ في ظ : مصمتاً ، والتصحيح من م وغ ، والمال الصامت : الذهب والفضّة ، وإنّما سمّي صامتاً ، لأنّ الأموال الأخرى من الخيل والإبل والبقر والغنم ، تصهل ، وترغو ، وتخور ، وتثغو ، وقد حدّثونا عن قائمقام في قضاء الهندية في العهد العثماني ، جاء إليه أعرابيّ بعشرين كبشاً رشوة ، فانقض عليه بالسوط ، وهو يصيح : لا أريد برطيلاً (رشوة) يصيح : ماع ، يريد أنّه يريد مالاً صامتاً يودعه الكيس .

والفرش السري ، والطّيب ، والآلات المرتفعة القدر ، ونقل إلى دار قد فرّغت له ، وفرشت بفرش حسن ، وملئت بما [١٣٧ غ] يحتاج إليه من الصّفر ، والآلات ، والعلوفات ، والحيوان ، والحلوى ، وأطعمة نقلت إليه من المطبخ ، وأنبذة ، وغير ذلك .

ثمّ أقطعه بعد أيّام ، إقطاعاً بثلثمائة ألف درهم ، وولّاه إمارة بلده وأعماله ، وجميع ما كان يتولّاه أبو تغلب[٢٠] .

٢٠ نقلها صاحب حلّ العقال باختصار ص ٤٧ .

طريق خراسان

طريق خراسان ، هو المحجّة ، أو الطريق السلطانيّ بين الحضرة بغداد ، وبين خراسان ، ومن جملة أعماله : البندنيجين ، وبراز الروز (الوزراء ١٨٧) وبعقوبا (ابن الأثير ١١ / ٢١٥) ، فالبندنبجين : بلدة مشهورة في طرف النهروان من ناحية الجبل ، من أعمال بغداد ، أصلها وندنيكان ، وعرّبت ، فأصبحت بندنيجين (معجم البلدان ١ / ٧٤٥) أقول : وقد خفّف الاسم المعرّب ، فأصبح الآن : مندلي ، وهي بلدة على حدود العراق الشرقيّة ، وقد ولّيت القضاء بها في السنة ١٩٣٤ ، وأهلها طيّبون ، وهم خليط من الأكراد ، والتركمان ، والعرب ، وأرضها عظيمة الخصب ، تكثر فيها الأرطاب والحمضيات ، تمرها من أفخر تمور العراق ، لا سيّما المسمّى الميرحاج ، وأزرق الأزرق ، وبرتقالها لا مثيل له ، رقيق القشرة ، قويّ العطر ، كثير الماء ، قليل النوى ، لذيذ الطعم جدّاً ، وتكثر فيها الزنابير ، لكثرة التمور ، وفيها الجرّار المشهور ، وهو نوع من العقارب ، أصفر اللّون ، سمّي بالجرّار ، لأنّه يجرّ ذنبه على الأرض وراءه ، ويقال انّ لدغته قتّالة ، ويوجد منه في الأهواز (المسالك والممالك للأصطخري ٦٤) ويوجد منه أيضاً في شهرزور (نهاية الأرب ١٠ / ١٤٨) ، والجرّار كثير في مندلي ، وقد كلّفت خادمي ، مرّة ، أن يحضر لي جرّاراً لأراه ، فقال : هل تريده ذكراً أو أنثى ، يريد أنّه متوفّر إلى درجة أنّ له أن يختار وينتقي ما يريد منها ، أما براز الروز ، فقد ذكر ياقوت في معجمه ١ / ٥٣٤ أنّها من طساسيج السواد ببغداد ، من الجانب الشرقي من أستان شاه قباذ ، وكان للمعتضد به أبنية جليلة ، أقول : اسمها الآن : بلدروز ، وهي ناحية تابعة لمندلي ، أرضها عظيمة الخصوبة ، وقد زرتها أكثر من مرّة ، عندما كنت قاضياً في مندلي ، لأنّها تابعة لها ، وكانت في العهد العثماني من الأملاك السنيّة ، أي من أملاك السلطان عبد الحميد العثمانيّ ، إختارها لخصوبة أرضها ، وتنازل عنها لمتموّل يونانيّ ، فأقام بها قصراً ، ونصب لإدارتها موظّفين عدّة ، يقومون بزراعتها ، واستيفاء ارتفاعها ، وموقع براز الروز ، من أطيب المواقع ، وهواؤها عذب لطيف رائق .

١٩٧

أسره الرّوم في أيّام معاوية وأطلقوه في أيّام عبد الملك

[روى حميد ، كاتب إبراهيم بن المهدي ، أنّ إبراهيم حدّثه ، أنّ مخلداً الطبري ، كاتب المهدي على ديوان السرّ ، حدّثه [١٣٨ غ]، أنّ سالماً مولى هشام بن عبد الملك ، وكاتبه على ديوان الرسائل ، أخبره ، أنّه كان في ديوان عبد الملك يتعلّم كما يتعلّم الأحداث في الدواوين][1] ، إذ ورد كتاب صاحب بريد الثغور الشاميّة ، على عبد الملك ، يخبره فيه أنّ خيلاً من الرّوم تراءت للمسلمين ، فنفروا إليها ، ثمّ عادوا ومعهم رجل كان قد أسر في أيّام معاوية بن أبي سفيان ، فذكر أنّ الرّوم لما تواقفوا مع المسلمين ، أخبروهم أنّهم لم يأتوا لحربٍ ، وإنّما جاؤوا بهذا المسلم ليسلّموه إلى المسلمين ، لأنّ عظيم الرّوم أمرهم بذلك .

وذكر صاحب البريد ، أنّ النافرين ذكروا ، أنّهم سألوا المسلم عمّا قال الرّوم ، فوافق قوله قولهم ، وذكر أنّ [١٠٣ ظ] الرّوم قد أحسنوا إليه ، فانصرفوا عنهم ، وإنّي سألته عن سبب مخرجه ، فذكر أنّه لا يخبر بذلك أحداً دون أمير المؤمنين .

فأمر عبد الملك بإشخاص المسلم إليه ، فأشخص إلى دمشق .

فلمّا دخل على عبد الملك ، قال له : من أنت ؟

قال : قتات بن رزين اللّخمي [٧٧ ر] .

[قال مؤلّف هذا الكتاب : كذا كان في الأصل الّذي نقلت منه : قتات ، وأظنّه خطأ ، لأن المشهور قباث بن رزين اللّخمي[2] ، وقد روى الحديث عن

---

١ الزيادة من غ .

٢ أبو هاشم قباث بن رزين اللخميّ : من جلّة المصريّين ، مات سنة ١٥٦ .

علي بن رباح اللّخمي ، عن عقبة بن عامر الجهني ، أو لعلّه غيره والله أعلم .

رجع الحديث :][1] أسكن فسطاط مصر في الموضع المعروف بالحمراء ، أسرتُ في زمن معاوية ، وطاغية الرّوم – إذ ذاك – توما بن مرزوق .

فقال له عبد الملك : فكيف كان فعله بكم ؟

قال : لم أجد أحداً أشدّ عداوة للإسلام وأهله منه ، إلّا أنّه كان حليماً ، فكان المسلمون في أيّامه أحسن أحوالاً منهم في أيّام غيره ، إلى أن أفضى الأمر إلى ابنه ليون ، فقال – في أوّل ما ملك – إنّ الأسرى إذا طال أسرهم في بلدٍ، أنسوا به ، ولو كان على غاية الرداءة ، وليس شيء أنكأ لقلوبهم من نقلهم من بلد إلى بلد ، فأمر باثني عشر قِدْحاً[3] ، فكتب على رأس كلّ قدح اسم بطريق[4] من بطارقة البلدان[5] ، ويضرب بالقداح في كلّ سنة أربع مرات ، فمن خرج اسمه في القِدْح الأوّل ، حوّل إليه المسلمون ، فاحتبسهم عنده شهراً ، ثمّ إلى الثاني ، ثمّ إلى الثّالث ، ثمّ تعاد القداح بعد ذلك .

فكنّا لا نصير عند أحد من البطارقة ، إلّا قال لنا : احمدوا الله حيث لم يبتلكم ببطريق البرجان[6] ، فكنّا نرتاعُ لذكره ، ونحمد ربّنا إذ لم يبتلنا به ، فمكثنا على ذلك سنين .

ثمّ ضربت القداح ، فخرج الأوّل والثاني لبطريقين ، والثالث لبطريق البرجان ، فمرّ بنا في الشهرين غمّ كبير ، نترقّب المكروه .

ثمّ انقضى الشهران ، فحملنا إليه ، فرأينا على بابه من الجمع خلاف ما كنّا نعاين ، ورأينا من زبانيته من الغلظة خلاف ما كنّا نرى ، ثمّ وصلنا إليه ،

---

٣ القِدْح : سهم الميسر .

٤ البطريق ، وجمعه بطارق ، وبطارقة ، وبطاريق : القائد من قوّاد الروم .

٥ في غ : فكتب في رأس كلّ واحد منها اسم بطريق من البطارقة الاثني عشر .

٦ البرجان : بلد من نواحي الخزر (مراصد الاطلاع ١ / ١٧٨)

فتبيّن لنا من فظاظته وغلظته ، ما أيقنّا معه بالهلكة ، ثمّ دعا بالحدّادين ، فأمر بتقييد المسلمين بأمثال[7] ما كان يقيّدهم به غيره ، فلم يزل الحديد يعمل في رجل واحد واحد ، حتّى صار الحدّاد إليّ ، فنظرت إلى وجه البطريق فرأيته قد نظر إليّ نظراً بخلاف العين الّتي كان ينظر بها إلى غيري ، ثمّ كلّمني بلسان عربيّ ، فسألني عن اسمي ونسبي ومسكني ، بمثل ما سألني عنه أمير المؤمنين ، فصدقته عمّا سألني عنه .

ثمّ قال لي : كيف حفظك لكتابكم ؟ فأعلمته أنّي حافظ .

قال : اقرأ آل عمران ، فقرأت منها خمسين آية .

فقال [١٣٩ غ] : إنّك لقارئ فصيح ، ثمّ سألني عن روايتي للشّعر ، فأعلمته أنّي راوية .

فاستنشدني لجماعة من الشعراء ، فقال : إنّك لحسن الرواية .

ثمّ قال لخليفته : إنّي قد وَمِقْتُ[8] هذا الرّجل ، فلا تحدّده .

ثمّ قال : وليس من الإنصاف أن أسوءه في أصحابه ففكّ الحديد عن جماعتهم ، وأحسن مثواهم ، ولا تقصّر في قراهم .

ثمّ دعا صاحب مطبخه ، فقال له : لست أطعم طعاماً ، ما دام هذا العربيّ عندي ، إلّا معه ، فاحذر أن تدخل مطبخي ما لا يحلّ للمسلمين أكله ، وأن تجعل الخمر في شيء من طبيخك ، ثمّ دعا بمائدته ، واستدناني حتّى قعدت إلى جانبه[9] .

فقلت له : فدتك نفسي وبأبي أنت ، أحبّ أن تخبرني من أيّ العرب أنت ؟

---

٧ بأمثال : بأضعاف .

٨ ومقت : أحببت ، والمقة : المحبّة .

٩ في غ : قعدت بلزقه .

فضحك وقال : لست أعرف لمسألتك جواباً ، لأنّي لست عربيًّا فأجيبك على سؤالك .

فقلت له : مع هذه الفصاحة بالعربية ؟

فقال : إن كان العلم باللّسان ينقل الإنسان من جنسه إلى جنس من حفظ لسانه ، فأنت إذاً روميّ ، فإنّ فصاحتك بلسان الرّوم ، ليست بدون فصاحتي بلسان العرب ، فعلى قياس قولك ينبغي أن تكون روميّاً ، وأكون أنا عربياً .

فصدّقت قوله ، وأقمت عنده خمس عشرة ليلة ، لم أكن منذ خلقت ، في نعمة ، أكبر منها .

فلمّا كانت ليلة ست عشرة ، فكّرت [١٠٤ ظ] أنّ الشّهر قد مضى نصفه ، وأن اللّيالي تقرّبني من الانتقال إلى غيره ، فبتّ مغموماً .

وصار رسوله إليّ ، في اليوم السادس عشر ، يدعوني إلى طعامه ، فلمّا حضر الطعام بين أيدينا ، رأى أكلي مقصّراً عمّا كان يعهد [٧٨ ر] ، فضحك ، ثمّ قال لي : أحسبك يا عربيّ ، لما مضى نصف الشّهر ، فكّرت في أنّ الأيّام تقرّبك من الانتقال عنّي إلى غيري ممّن لا يعاملك بمثل معاملتي ، ولا يكون عيشك معه مثل عيشك معي ، فسهرت ، واعتراك لذلك غمّ غيّر طعامك ، فأعلمته أنّه قد صدق .

فقال : [ما أنا إن لم أحسن الاختيار لصديقي بحرّ ، و][1] قد أمّنك الله ممّا حذرت ، ولم ألبث في اليوم الّذي وصلت إليّ فيه ، حتّى سألت الملكَ ، فصيّرك عندي ، ما كنتَ في أرض الرّوم ، فلستَ تنقل عن يدي ، ولا تخرج منها إلّا إلى بلدك ، وأرجو أن يسبّب الله ذلك على يدي ، فطابت نفسي ، ولم أزل مقيماً عنده ، إلى أن انقضى الشّهر .

فلمّا انقضى ، ضرب بالقداح ، فخرج الأوّل ، والثّاني ، والثالث ، لبطارقة غير الّذي نحن عنده ، فحوّل أصحابي ، وبقيت وحدي .

وتغدّيت في ذلك اليوم مع البطريق ، وكان من عادتي أن أنصرف من عنده بعد غدائي إلى إخواني من المسلمين ، فنتحدّث ، ونأنس ، ونقرأ القرآن ، ونجمّع الصلوات[10] ، ونتذاكر الفرائض ، ويسمع بعضنا من بعض ما حفظ من العلم وغيره ، فانصرفت ذلك اليوم بعد غدائي إلى الموضع الّذي كنت أصير اليه وفيه المسلمون ، فلم أر فيه أحداً إلّا الكفرة ، فضاق صدري ضيقاً تمنّيت معه أنّي كنت مع أصحابي ، فبتّ بليلة صعبة لم أطعم فيها الغمض[11] ، وأصبحت أكسف خلق الله بالاً ، وأسوأهم حالاً .

وصار إليّ الرّسول في وقت الغداء ، فصرت إليه ، فتبيّن الغمّ في أسرّة وجهي ، ومددت يدي إلى الطعام ، فرأى مدّ يدي إليه ، خلاف مدّي الّذي كان يعرف ، فضحك ، ثمّ قال : أحسبك اغتممت لفراق أصحابك ؟

فأعلمته أنّه صدق ، وسألته : هل عنده حيلة في ردّهم إلى يده .

فقال : إنّ الملك لم ير أن ينقل أصحابك من يدي إلى يد غيري إلّا ليغمّهم بما يفعل ، ومن المحال أن يدع تدبيره في الاضرار بهم ، لميلي إليك ومحبّتي لك ، وليس عندي في هذا الباب حيلة ، فسألته أن يسأل الملك إخراجي عن يده ، وضمّي إلى أصحابي أكون معهم حيث كانوا .

فقال : ولا في هذا أيضاً حيلة ، لأنّي لا أستجيز أن أنقلك من سعة إلى ضيق ، ومن كرامة إلى هوان ، ومن نعمة إلى شقاء .

فلمّا قال [١٤٠ غ] ذلك ، تبيّن فيّ الانكسار وغلبة الغمّ ، فقال لي : بلغ بك الغمّ إلى النهاية ؟

فأخبرته : أنّه قد بلغ بي الغمّ ، أن اخترت الموت على الحياة ، لعلمي

---

١٠ يريد أنّهم يصلّون جماعة .

١١ في غ : فبتّ بليلة صعبة لم أطابق فيها بين أجفاني .

أنّه لا راحة لي بغيره .

فقال لي : إن كنتَ صادقاً ، فقد دنا فرجك .

فسألته عمّا دلّه على ذلك ، فقال لي : إنّي وقعت في نكبات أشدّ هولاً ممّا أنت فيه ، وكان عاقبتها الفرج .

وأعلمني أنّ بطرقة بلده لم تزل في آبائه يتوارثونها ، وأنّ عددهم كان كثيراً ، ولم يبق غير أبيه وعمّه ، وكانت البطرقة إلى عمّه دون أبيه ، فأبطأ على أبيه وعمّه الولد ، فبذلا للمتطبّبين ، الكثير من الأموال لعلاجهما بما يصلح الرّجال للنّساء ، إلى أن بطل العمّ ، ويئس من الانتشار ، فصرف بعض الأطبّاء عنايته إلى معالجة أبي البطريق ، فعلقت أمّه به .

فلمّا علم العمّ أنّه قد علقت أمّه به ، جمع عدّة من الحبالى ، من أَلْسِنَةٍ مختلفة ، منها العربي ، والرّومي ، والافرنجي ، والصقلابي ، والخزري ، وغير ذلك ، فوضعن في داره .

فلمّا وضعت البطريق أمّه ، أمر بتصيير أولئك النّساء كلّهن معه ، وتقدّم إلى كلّ واحدة منهنّ ، ألّا تكلّمه إلّا بلسانها .

فلم تستتم له أربع سنين ، حتّى تكلّم بكلّ الألسنة الّتي لأمّهاته اللّاتي أرضعنه .

ثمّ أمر بتصيير ملاعبيه ومؤدّبيه من جميع أجناس النّساء اللّواتي ربّينه ، فكانوا يعلّمونه الكتابة ، وقراءة كتبهم [١٠٥ ظ] فلم تمرّ عليه تسع سنين ، حتّى عرف ذلك كلّه .

ثمّ أمر عمّه أن يضمّ إليه جماعة من الفرسان يعلّمونه الثّقافة والمناولة[١٢] ،

---

١٢ في ر : المنازلة ، والثقافة والمناولة بمعنى واحد ، وهي الملاعبة بالسلاح .

وجميع ما يتعلّمه الفرسان ، وتقدّم بمنعه من سكنى المنازل ، وأمر أن ينزل في [٧٩ ر] المضارب ، وأن يمنع من أكل اللّحم إلّا ما يصيده طائر يحمله على يديه ، أو كلب يسعى بين يديه ، أو صيد بسهمه ، فكانت تلك حاله حتّى استوفى عشر سنين ، ثمّ مات عمّه ، وولي أبوه البطرقة بعد عمّه ، وأمره بالقدوم عليه ، فلمّا رآه ، ورأى فهمه ، وأدبه ، وشمائله ، اشتدّ عجبه به ، فسمح له بما لم تكن الملوك تسمح به لأولادها [١٣] ، وأعدّ له المضارب[١٤] والفساطيط[١٥] الدّيباج[١٦] ، وضمّ إليه جماعة كثيفة من الفرسان ، ووسّع على الجميع في كلّ ما يحتاجون إليه ، وردّه إلى سكنى المضارب ، وأخذه بالاستبعاد عن منازل أبيه .

قال البطريق : فلمّا تمّت لي خمس عشرة سنة ، ركبت يوماً لارتياد مكان أكون فيه ، فبصرت بغدير[١٧] ماء قدّرت طوله ألف ذراع وعرضه ما بين ثلثمائة ذراع إلى أربعمائة ذراع ، فأمرت بضرب مضاربي عليه ، وتوجّهت إلى الصّيد ، فرزقت منه في ذلك اليوم ، ما لم أطمع في مثله كثرة ، ونزلت في بعض المضارب فأمرت الطبّاخين ، فطبخوا لي ما اشتهيت من الطعام ، ثمّ نصبت المائدة بين يدي .

فإنّي لأنظر إلى الطبيخ يغرف ، إذ سمعت ضجّة عظيمة ، فما فهمت خبرها حتّى رأيت رؤوس أصحابي تتساقط عن أبدانهم ، فتنحّيت عن مكاني

---

١٣ في غ : تتسمّح به لولاة عهودها .

١٤ المضارب ، مفردها مضرب : الخيمة العظيمة .

١٥ الفساطيط ، مفردها فسطاط : البيت من الشعر .

١٦ الديباج : الدبج ، النقش والتزيين ، فارسيّ معرّب (لسان العرب) ، والديباج : القماش الذي سداه ولحمته حرير (المنجد) ، وتتخذ من الديباج الثياب ، والستور ، كما تتّخذ منه البسط والفرش ، ومن خصائص سجستان ، الفرش الديباج (لطائف المعارف ٢١٣ ، ونهاية الأرب ١ / ٣٦٦) ، قال كوركيس عوّاد : الديباج ضرب من الثياب الفاخرة ، ملوّن ألواناً ، وهو المعروف عند العراقيّين اليوم بالقَنَوِيز (الديارات ١٦١) .

١٧ الغدير : قطعة من الماء يتركها السيل .

الّذي كنت فيه ، وخلعت الثّياب الّتي كانت عليّ ، ولبست ثياب بعض عبيدي ، ثمّ ضربت ببصري يمنة ويسرة ، فلم أر حولي إلّا مقتولاً ، وإذا فاعل ذلك بأصحابي منسر[18] من مناسر البرجان .

ثمّ أسرت كما يؤسر العبيد ، واحتمل جميع ما كان معنا ، من مضرب وغيره ، وصاروا بي إلى ملك البرجان .

فلمّا رآني ، ولم يكن له ولد ذكر ، أمر بالتوسعة عليّ ، وأن أكون واقفاً عند رأسه ، وسمّاني ابنه .

وكان للملك بنت ، وكان بها مغرماً ، وكان قد علّمها الفروسيّة ، ومساورة[19] الفرسان ، ومساهمتهم[20] ومراكضتهم .

فقال – وأنا حاضر – لجماعة من بطارقته : من منكم يتوجّه إلى ملك الرّوم فيجيئني بكاتب من بلده ، ليعلّم ابنتي الكتابة .

فأعلمته [١٤١ غ] أنّ رسوله لا يأتيه بأكتب منّي .

فأمرني أن أكتب بين يديه ، فكتبتُ ، فاستحسن خطّي ، وقرنه بكتب كانت ترد عليه من والدي ، فرأى خطّي أجود منها ، فدفع إليّ ابنته ، وأمرني أن أعلّمها الكتابة ، فهويتها ، وهويتني .

فمكثَتْ معي حتّى استوفت ثلاث عشرة سنة[21] ، ثمّ عَدَتْ إليّ يوماً وهي باكية ، فقلت لها : ما يبكيك يا سيّدتي ؟

فقالت : دعني ، يحقّ لي البكاء ، فسألتها عن السبب .

فقالت : كنت جالسة بين يدي أبي وأمّي في هذه اللّيلة ، فغلبتني عيني ،

---

١٨ المنسر : ما بين الأربعين إلى السبعين (البصائر والذخائر م٣ ق١ ص ٨١).

١٩ المساورة : المواثبة ، وفي غ : مناولة الفرسان .

٢٠ المساهمة : المقارعة ، وفي غ : ومسابقتهم .

٢١ في غ : ست عشرة سنة .

فنمت ، فسمعت أبي يقول لأمّي : أرى ثديي ابنتك قد تفلّكا[22] ، وأرى هذا الرّوميّ قد غلظ كلامه[23] ، وليس ينبغي أن يجتمعا بعد هذا الوقت ، فإذا جلسَتْ غداً معه ، فابعثي إليهما من يفرّق بينهما ، حتّى لا يراها ، ولا تراه .

قال البطريق : ومن سنّة البرجان ، أن يكون الرّجل يخطب لابنته زوجاً ، حتّى يزوّجها ، ولا يخطب لها إلّا من تختاره البنت .

قال البطريق : فقلت لابنة الملك ، إذا سألك أبوك ، من تحبّين أن أخطب لك من الرّجال ، فقولي : لستُ أريد إلّا هذا الرّومي .

فغضبت ، وقالت : كيف يجوز أن أسأل أبي أن يزوجني بعبد ؟

قال : فقلت لها : ما جعلني الله عبداً ، وأنا ابن ملك ، وأبي ملك الرّوم .

[قال البطريق : وأهل البرجان ، يسمّون البطريق الرومي الّذي يتولّى حدّ برجان : ملك الرّوم .][1]

فسألتني : هل أخبرتها بحقّ ؟

فأعلمتها أنّه [١٠٦ ظ] حقّ .

فما انقضى كلامنا ، حتّى جاء رسول الملك ، ففرّقوا بيننا ، ولم يمض [٨٠ ر] بعد ذلك ، إلّا ثلاثة أيّام حتّى دعاني الملك ، فدخلتُ عليه ، فرأيت أمارات الشرّ مستحكمة في وجهه .

فقال لي : يا شقيّ ، ما حملك على الكذب في نسبك ؟ وأنا أحكم على من انتسب إلى غير أبيه بالقتل .

فقلت له : ما انتسبت إلى غير أبي .

فقال لي : أتقول إنّك ابن ملك الرّوم ؟

فأعلمته أنّي أقول ذلك ، ودعوته إلى الكشف عنه .

---

٢٢ فلك ثدي الجارية : استدار .

٢٣ في غ : وأرى خلق هذا الرومي قد غلظ .

فقال : لست أحتاج إلى كشف أمرك برسول أرسله ليعرف خبرك ، ولكن لي أشياء أمتحنك بها ، فأعرف صدقك من كذبك ، فدعوته إلى كشفها بما شاء .

فدعا بدابّة ، ولبد ، وسرج ، ولجام ، فأمرني بتناول الدّابة ، فأخذت الدّابة من يد السائس ، ثمّ أمرني بأخذ اللّبد ، فأخذته ، ثمّ أمرني بإلقائه على الدّابة ، فَفَعَلْتُ ما أمرني به ، ثمّ أمرني بتناول السرج ، فأخذته ، ثمّ أمرني بشدّ الحزام ، والثفر[24] ، واللبب[25] ، وأخذ اللّجام وإلجام الدابّة ، ففعلت ذلك ، ثمّ أمرني بركوب الدابّة ، فركبت ، وأمرني بالسّير فسرت ، وأمرني بالإقبال والإدبار ، ففعلت ، ثمّ أمرني بالنزول ، فنزلت .

فقال ، عند ذلك : أشهد أنّه ابن ملك الرّوم ، لأنّه أخذ الدابّة أخذ ملك ، وعمل سائر الأشياء مثلما تعمله الملوك ، فاشهدوا أنّي قد زوّجته ابنتي .

فلمّا قالوا شهدنا ، قال : لا تشهدوا .

فلمّا سمعت قوله : لا تشهدوا ، تخوّفت أن يأتي على نفسي .

ثمّ قال لي : لم أتوقّف عن الشّهادة رغبة عنك ، ولكنّا لنا شرط لا نقدر أن نخالفه ، ولم نأمن أن تضطرّ إليه ، فنحملك على شرطنا ، وهو ما لم نخبرك به ، ونوقفك عليه ، فنكون قد ظلمناك ، أو ندع لك سنّة بلدنا ، فنكون قد فارقنا سنّتنا ، إنّ سنّتنا يا روميّ ، أن لا نفرّق بين الزوجين إذا مات أحدهما ، فإن مات الرّجل قبل المرأة ، نوّمناها معه في نعشه ، وحملناهما معاً ، حتّى ننزلهما إلى بئر هي مأوى موتانا ، وجعلنا معهما طعاماً وشراباً لثلاثة أيّام ، ثمّ أنزلناهما إلى البئر ، فإذا صارا إلى قرارها سيّبنا الحبال عليهما ، وكذلك إن ماتت [١٤٢ غ] المرأة قبل الرّجل ، جعلناها في سريرها ، وجعلنا زوجها معها ، وصيّرناهما جميعاً في البئر ، فإن رضيت بهذه السنّة فبارك الله لك في زوجك ، وإن لم ترض

---

٢٤ الثفر : سير من الجلد في مؤخّر السرج ، ويسمى عند عامّة بغداد الآن : ثُفَر ، بضم التاء وفتح الفاء .

٢٥ اللبب : ما يشدّ من سير السرج في صدر الدابّة ليمنع استئخار السرج .

أقلناك ، فلسنا نزوّجك ، ولا تستقيم لنا على خلاف سنّتنا [٢٦] ، فأحوجتني الصبابة بها ، أن قلت : قد رضيت بهذه السنّة .

فأمر بتجهيزها وتسليمها إليّ ، وجمع بيننا ، فأقمت معها أربعين يوماً ، لا نرى إلّا أنّا قد فزنا بملك الدنيا .

ثمّ اعتلّت علّة كانت معها غشية ، لم يشكّ كلّ من رآها إلّا أنّها قبضت ، فجهّزَتْ بأفخر ثيابها ، وجهّزتُ معها بمثل ذلك ، وحملنا على نعش واحد ، وركب الملك ، وأهل المملكة ، فشيّعونا حتّى وافوا بنا شفير البئر ، ثمّ شدّوا أسافل السرير بالحبال ، وجعلوا معنا في النعشِ طعاماً وشراباً لثلاثة أيّام ، ثمّ حطّونا حتّى صرنا إلى قرارة البئر .

ثمّ أرخيت علينا الحبال ، فسقط حبل منها على وجه الجارية ، فأزال الوجعُ ما كان بها من الغشي ، فانتبهت ، فلمّا انتبهَتْ ، رأيت أنّ الدنيا قد جمعت لي .

واستمرّت عيني على الظلمة ، فرأيت في الموضع الّذي أنا فيه ، من الخبز اليابس والخمر ماله دهر كثير ، فأخذنا نتغذّى به جميعاً .

وكنّا لا نعدم في يوم من الأيّام ، إلّا النادر [٢٧] ، سريراً يدلّى فيه زوجان ، أحدهما ميت ، والآخر حيّ ، فإن كان النّازل رجلاً حيّاً ، تولّيت أنا قتله ، لئلّا يكون مع زوجتي غيري ، وكذلك إن كانت الحيّة امرأة ، تولّت زوجتي قتلها ، لئلّا يكون مع زوجها غيرها .

فمكثنا في البئر على [٨١ ر] هذه الحال أكثر من سنة ، ثمّ دلّي في البئر دلو ، فعلمت أنّ مدلّي الدلو غير برجانيّ ، وأنّه [١٠٧ ظ] لا يدخل ذلك الموضع غير برجانيّ ، إلّا رومي ، ووقع لي أن أقدّم الجارية قبلي ، لتتخلّص ، ثمّ تعرّفهم حالي ، فيردّوا الدلو إليّ ، فأصعد .

---

٢٦ في غ : وان لم ترض ، فليست راضية بك ، ولا تستقيم ان تتزوّجها على خلاف سنّتنا .

٢٧ في غ : إلاّ الخطا .

فحملت بنت الملك فجعلتها في الدلو [بكسوتها ، وحليها ، وجواهرها ، واجتذب القوم الدلو][1] ، فخرجت إليهم الجارية .

فإذا القوم مماليك لأبي ، [ولم ينتبهوا للسؤال عنّي ، وهابتهم الجارية ، أن تقول لهم شيئاً][1] ، وقد كانوا رأوا ما فيه أمّي وأبي وما غلب عليهما من الحزن لفقدي ، فصاروا إليهما بالجارية ليتسلّون بها ، فسرّا بها ، وسكنا إليها .

واستمرّت الهبية[28] لهما بالجارية ، فحصلت شرّ محصل .

وقد كان لوالدي صديق ، له أدب وحكمة ، وعلم بالتصوير ، صوّر لهما صورتي في خشبة ، وزوّقها ، وجعلها في بيت ، وقال لأبويّ : إذا ذكرتما ابنكما ، واشتدّ غمّكما ، فادخلا فانظرا إلى هذه الصورة ، فانّكما ستبكيان بكاء كثيراً يعقبكما سلوة .

فلمّا صارت الجارية إلى أبويّ ، ورأتهما يدخلان ذلك البيت كثيراً ، ويخرجان ، وقد بكيا ، استقفتهما يوماً ، وهما داخلان ، فبصرت بالصّورة ، فلمّا رأتها لطمت وجهها ، ونتفت شعرها ، ومزّقت ثيابها .

فسألاها عن السبب فيما صنعت بنفسها ، فقالت : هذه صورة زوجي ، فسألاها عن اسمه ، واسم أبيه وأمّه ، فأسمتهم جميعاً .

فقالا لها : فأين زوجك ؟

قالت : في البئر الّتي أخرجت منها ، فركب أبي وأمّي في أكثر أهل البلد ، ومعهم الغلمان الّذين اخرجوا الجارية من البئر ، حتّى وافوا البئر ، فدلّوا الدلو ، وكنت قد سللت سيفي الّذي كان أنزل معي من غمده ، [وجعلت ذبابه[29] بين ثدييّ][1] لأتّكئ عليه ، فأخرجه من ظهري ، فأستريح من الدنيا ، لغلبة الغمّ عليّ ، فوثبت ، فقعدت [١٤٣ غ] في الدّلو ، واجتذبوني حتّى خرجت ،

---

٢٨ كذا في ظ ، وفي م وغ : الهيبة ، ولم أفهم معناها ، ولعلّ الجملة : واستمرّت هيبة الجارية لهما .

٢٩ ذباب السيف : طرفه الذي يضرب به .

فوجدت أبي ، وأمّي ، وامرأتي ، على شفير البئر ، وقد أحضروا لي الدّواب لأركب وأنصرف إلى بلادي ، وكان أبي قد صار ملك تلك البلاد ، فلم أطعهما ، وأعلمتهما أنّ الأصوب البعثة إلى أبي الجارية ، وأمّها ، حتّى يريا ابنتهما مثلما رأيتماني .

ففعلا ذلك ، ووجّها إلى أبي الجارية ، وهو صاحب البرجان ، فخرج في أهل مملكته ، حتّى عاينها ، وأقاموا عرساً جديداً ، وحدثت مهادنة بين الرّوم والبرجان جرت فيها أيمان مؤكّدة أن لا يعدو أحدهما على صاحبه ثلاثين سنة ، وصار القوم إلى بلادهم ، وصرنا إلى منازلنا .

قال : ومات أبي ، فورثت البطرقة عنه ، ورزقت من بنت ملك البرجان الولد ، وأنت يا عربي ، فإن كان الغمّ قد بلغ منك إلى ما ذكرت فقد جاءك الفرج .

فما انقضى كلام البطريق ، حتّى دخل عليه رسول ملك الرّوم يدعوه ، فمضى إليه ، ثمّ عاد إليّ ، فقال : يا عربيّ ، قد جاءك الفرج ، كنتُ عند الملك ، وقد جرى ذكر العرب ، ورمتهم البطارقة عن قوس واحدة ، فذكروا أنّهم لا عقول لهم ولا آداب ، وأنّ قهرهم الرّوم بالغلبة والاتّفاق ، لا بحسن التدبير .

فأعلمت الملك أنّ الامر بخلاف ما قالوا ، فإنّ للعرب آداباً ، وأذهاناً ، وتدبيراً جيّداً .

فقال لي الملك : أنت لمحبّتك لضيفك العربي تفرط في إعطاء العرب ما ليس لها ، وتصفها بما ليس فيها .

فقلت : إن رأى الملك أن يأذن في إحضار هذا العربي ، ليجمع بينه وبين هؤلاء المتكلّمين ، ليعرف فضيلته ، فأمرني بحملك إليه .

فقلت : بئس ما صنعت بي ، لأنّي أخاف إن غلبني أصحابه أن يستخفّ بي ، وإن غلبتهم أن يضطغن عليّ .

فقال : هذه صفة العامّة ، والملوك على خلافها ، وأنا أخبرك أنّك إن

غلبتهم جللت في عين الملك ، وكنت عنده بمكان يقضي لك فيه حاجة [٨٢ ر] ، وإن غلبوك سرّه غلبة أهل دينه لك ، فأوجب لك أيضا بذاك ذماماً[٣٠] ، وإنّ أقلّ ما يرى أن يقضي لك حاجة ، فإن غلبتَ أو غُلبتَ [١٠٨ ظ] فسله[٣١] إخراجك من بلده ، وردّك إلى بلادك ، فإنّه سوف يفعل ذلك .

قال قباث : فلمّا دخلت على الملك ، استدناني ، وقرّبني ، وأكرمني ، وقال لي : ناظر هؤلاء البطارقة .

فأعلمته ، أنّي لا أرضى لنفسي بمناظرتهم ، وأنّي لا أناظر إلّا البطريق الأكبر[٣٢] ، فأمر بإحضاره .

فلمّا دخل ، سلّمت عليه ، وقلت له : مرحباً أيّها الشّيخ الكبير القدر .

ثمّ قلت له : يا شيخ ، كيف أنت ؟

قال : في عافية .

قلت : فكيف أحوالك كلّها ؟

قال : كما تحبّ .

فقلت له : فكيف ابنك ؟

فتضاحكت البطارقة كلّها ، وقالوا : زعم البطريق [يعنون الّذي هو صديقي][١] أنّ هذا أديب ، وأنّ له عقلاً ، وهو لا يعلم بجهله ، أنّ الله تعالى قد صان هذا البطريق عن أن يكون له ابن .

فقلت : كأنّكم ترفعونه عن أن يكون له ابن ؟

قالوا : إي والله ، إنّا لنرفعه ، إذ كان الله رفعه عن ذلك .

فقلت : واعجباً ، أيجلّ عبد من عبيد الله ، أن يكون له ابن ، ولا يجلّ

---

٣٠ الذمام : الحرمة .

٣١ في ظ : فسألته ، والتصحيح من ر وغ .

٣٢ في غ : البطرك الأكبر .

الله تعالى ، وهو خالق الخلائق كلّها ، عن أن يكون له ابن .

قال : فنخر البطريق نخرةً أفزعتني ، ثمّ قال : أيّها الملك ، أخرج هذا السّاعة عن بلدك ، لا يفسد عليك أهله .

فدعا الملك بالفرسان ، فضمّني إليهم ، وأحضر لي دواب البريد ، وأمر بحملي عليها ، وتسليمي إلى من يلقانا في أرض الإسلام من المسلمين ، فسلّموني إلى من تسلّمني من أهل الثّغر .

ثمّ ذكر حديثاً لعبد الملك ، مع الرّجل ، لا يتعلّق بهذا الباب فأذكره ، [والله سبحانه وتعالى أعلم بالصّواب][33] [١٤٤ غ] .

---

٣٣ هذه القصّة سقطت من م .

١٩٨

استنقذ المذحجيّين من أسر بني مازن

وذكر القاضي [أبو الحسين في كتابه الفرج بعد الشدّة][1] ، قال :

بلغني أنّ عمرو بن معدي كرب[2] الزَبيدي ، قال : خرجت في خيل من بني زبيد ، أريد غطفان ، فبينما أنا أسير ، وقد انفردت عن أصحابي ، إذ سمعت صوت رجلٍ ينشد شعراً ، فحفظت منه قوله :

أما من فتى لايخاف العطب ... يبلّغ عمرو بن معدي كرب
بأنّنا ننوّط في مازنٍ ... بأرجلنا اليوم نوط القرب
فإن هو لم يأتنا عاجلاً ... فيكشف عنّا ظلام الكرب[3]
وإلّا استغثنا بعبد المدان ... وعبد المدان لها إن طلب

قال : فعلمت أنّه أسير في بني مازن بن صعصعة ، فقلت لخيلي : قفوا حتّى آتيكم ، فاقتحمت على القوم وحدي ، فإذا هم يصطلون .

فقلت : أنا أبو ثور ، أين أسرى بني مذحج ؟ .

فنادى [١٠٨ م] الأسرى من الرّجال ، وبادر القوم إليّ يطلبوني ، فلم أزل أقاتلهم وأقتل منهم حتّى استعفوني ، وقالوا : إنّنا والله لنعلم ، أنّك لم تأتنا وحدك [إلّا وأنت لا تبالي بنا][4] ، فلك الأسرى فاكفف عنّا خيلك .

---

١ الزيادة من غ وم .

٢ أبو ثور عمرو بن معدي كرب بن ربيعة بن عبد الله الزَبيدي : فارس اليمن ، وفد على المدينة سنة ٩ فأسلم ، ولما توفّي النبيّ ارتدّ ، ثم عاد فأسلم ، وشهد اليرموك ، والقادسية ، وكان أبياً ، شجاعاً (الأعلام ٥ / ٢٦٠) .

٣ هذا البيت لا يوجد في ظ ، والإضافة من غ .

٤ الزيادة من غ .

فنزلت ، وأطلقت بعضهم ، وقلت : ليحلّ بعضكم بعضاً[٥] ، وليركب كلّ واحد منكم ما وجد من الخيل ، وأقبلَتْ خيل فركبوها .

فقلت للأسرى : هل علمتم بموضعي ، حين أنشدتم ما سمعتُ .

قالوا : لا والله ، وما أصبحنا يوماً ، منذ حبسنا ، آيس من الفرج من يومنا هذا[٦] ، فلذلك أقول :

ألم ترني إذ ضمّني البلدُ القفرُ ... سمعت نداءً يصدع القلب يا عمرو
أغثنا فإنّا عصبة مذحجيّةٌ ... نناط على وفر وليس لنا وفر
فقلت لخيلي أنطروني[٧] فإنّني ... سريع إليكم حين ينصدع الفجر
وأقحمت مهري حين صادفت غرّةً ... على الطفّ حتّى قيل قد قتل المهر
فأنجيت أسرى مذحج من هوازن ... ولم ينجهم إلّا السكينة والصّبر
ونادوا جميعاً حلّ منا وثاقنا ... أخا البطش إنّ الأمر يحدّثه الأمر
وأبتُ بأسرى لم يكن بين قتلهم ... وبين طعاني ضارباً عنهم فِتْرْ
يزيد وعمر والحصين ومالكٌ ... ووهبٌ وسفيان وسابعهم وبر
[تكلّفنا يا عمرو ما ليس عندنا ... هوازن فانظر ماالّذي فعل الدّهر][٨]

قال مؤلّف هذا الكتاب : أنشدنا أبو الفرج الأصبهاني البيتين الأوّلين ، أوّلهما : ألم تر لمّا ضمّني البلد القفر . وفي الثّاني : نراد على وتر وليس لنا وفر ، قال : فيهما خفيف رمل بالوسطى لمحمّد بن الحارث بن بسخنّر [عن عمرو ، قال : وذكر أنّه لابن بانه وفيهما ثاني ثقيل عن ..][٩]

---

٥ في غ : ليحلّ مطلقكم موثقكم .

٦ في م : ما أصبحنا منذ أسرنا ، أشدّ يأساً ، ولا أتمّ إيقاناً منّا بالهلاك ، من هذا اليوم .

٧ في غ : أنطروني ، بالطاء المهملة ، وفي ر وم : أنظروني ، بالظاء المعجمة ، وكلاهما بمعنى واحد ، أي : انتظروني ، والبغداديون يقولون : أنطرني (بالطاء) بمعنى انتظرني .

٨ أضيف هذا البيت من م .

٩ وردت في غ ، ولم أفهمها . ولعل ترتيبها الصحيح كما يلي : وذكر أنّ فيهما ثقيل ثاني لعمرو بن بانه .

[أخبرني بهذا الخبر ، محمّد بن الحسن بن المظفّر [١٠٩ ظ] ، قال : أخبرني أبو القاسم الزينبي ، قال : أخبرنا أبو خليفة الجمحي[١٠] ، عن محمّد بن سلّام[١١] ، وذكر نحوه][١٢] .

---

١٠ أبو خليفة الفضل بن الحبّاب بن محمّد الجمحي : قاضي البصرة ، شاعر ، أديب ، كان مولعاً بالسجع ، جاء إلى بغداد على رأس وفد ، وكلّم الوزير ، فقال له : أحسبك أيّها الشيخ مؤدّباً ، فقال له : أيّها الوزير ، المؤدّبون أجلسوك هذا المجلس ، راجع أخباره في معجم الأدباء ٦ / ١٣٤ وفي مروج الذهب للمسعودي ٢ / ٥٠٠ و٥٠١ وفي نشوار المحاضرة للتنوخيّ القصص ٢ / ٩ و٢ / ١٠ و٣ / ٢٩ و٣ / ١٧٩ و٤ / ٧٤ .

١١ أبو عبد الله محمّد بن سلّام بن عبيد الله الجمحي (١٥٠ – ٢٣٢) : إمام في الأدب من أهل البصرة ، مات ببغداد ، له عدّة مؤلفات (الأعلام ٧ / ١٦) .

١٢ لم ترد في غ .

الباب السادس[1]

من فارق شدّة إلى رخاء بعد بشرى منام
لم يشب صدق تأويله بكذب الأحلام

١٩٩

ما عرض المعتضد في أيّامه للعلويّين

ولا آذاهم ولا قتل منهم أحداً

أخبرنا أبو بكر محمّد بن يحيي الصولي ، قال : حدّثنا محمّد بن يحيي ابن أبي عبّاد الحسني[1] ، قال :

رأى المعتضد ، وهو في حبس أبيه ، كأنّ شيخاً جالساً على دجلة ، يمدّ يده إلى مائها فيصير في يده وتجفّ دجلة ، ثمّ يردّه من يده ، فتعود دجلة كما كانت .

قال : فسألت عنه ، فقيل لي : هذا عليّ بن أبي طالب عليه السّلام .

فقمت إليه ، وسلّمت عليه ، فقال لي : يا أحمد ، إنّ هذا الأمر صائر إليك ، فلا تتعرّض لولدي ، وصنهم ، ولا تؤذهم .

---

١ أبو جعفر محمّد بن يحيى بن أبي عبّاد جابر بن يزيد بن الصباح العسكري النديم ، المعروف بمحبرة : ترجم له ابن النديم في الفهرست ٦٦ وذكره ياقوت في معجم الأدباء ١ / ٥٧ ، وقالا : إنّه كان حسن الأدب ، نادم المعتضد ، وألّف له كتاب جامع المنطق ، ووصفه التنوخيّ بأنّه كان غاية في الظرف ، وكبر النفس ، وعظم النعمة ، راجع قصّته مع جحظة البرمكيّ في القصّة ٢٤٤ من هذا الكتاب .

فقلت : السّمع والطاعة لك يا أمير المؤمنين .

وحدّثني أبي رحمه الله بهذا الحديث ، على أتمّ من هذا ، بإسناد ذكره عن إبن حمدون النديم ، [قال : حدّثني أبو محمّد عبد الله بن أحمد بن حمدون[٢] ، أو قال : حدّثني من قال حدّثني أبو محمّد - أنا أشكّ - لأنّي لم أكتبه ، وإنّما حفظته في المذاكرة ، ولعلّ الألفاظ تزيد أو تنقص ، قال][٣] :

قال لي المعتضد بالله وهو خليفة : لمّا قدم أبي ، وهو عليل [العلّة الّتي مات فيها ، وأنا في حبسه[٤] ، ازداد خوفي على نفسي ، ولم أشكّ في أنّ إسماعيل بن بلبل ، سيحمله على قتلي ، أو يحتال بحيلة يسفك بها دمي ، إذا وجد أبي قد ثقل ، وأيس منه][٣] .

فنمت ليلة من تلك اللّيالي ، وأنا من الخوف على أمر عظيم ، وقد صلّيت صلاة كثيرة ودعوت الله عزّ وجلّ ، فرأيت في منامي كأنّني قد خرجت إلى شاطئ دجلة ، فرأيت رجلاً جالساً على الشاطئ ، يدخل يده في الماء ، فيقبض عليه ، فتقف دجلة ، ولا يخرج من تحت يده قطرة من الماء ، حتّى يجفّ ما تحت يده ، ويتزايد الماء فوق يده ويقف كالطود العظيم ، ثمّ يخرج يده من الماء فيجري ، يفعل ذلك مراراً ، فهالني ما رأيت .

فدنوت منه ، وسلّمت عليه ، وقلت له : من أنت يا عبد الله الصالح ؟

فقال : أنا عليّ بن أبي طالب .

---

٢ أبو محمّد عبد الله بن أحمد بن إبراهيم (حمدون) بن إسماعيل بن داود ، الملقّب بابن حمدون النديم : ترجمته في حاشية القصّة ٦٥ من الكتاب .

٣ الزيادة من غ .

٤ في السنة ٢٧٥ حبس الموفّق ابنه أبا العباس ، فشغب أصحابه ، وحملوا السلاح ، وركب غلمانه ، واضطربت بغداد ، فركب أبو أحمد ، حتى بلغ الرصافة ، وقال لأصحاب أبي العباس وغلمانه : ما شأنكم ؟ أترونكم أشفق على ولدي منّي ؟ هو ولدي ، واحتجت إلى تقويمه ، فانصرفوا (الطبري ١٠ / ١٥) .

فقلت : يا أمير المؤمنين ، ادع الله لي .

فقال : إنّ هذا الأمر صائر إليك ، فاعتضد بالله ، واحفظني في ولدي ، فانتبهت وكأنّي أسمع كلامه لسرعة المنام .

فوثقت بأنّني أتقلّد الخلافة ، وقويت نفسي ، وزال خوفي ، فقلت لغلام لم يكن معي في الحبس غيره ، إذا أصبحنا فامض فابتع لي خاتماً ، وانقش على فصّه أحمد المعتضد بالله ، [١٠٩ م] وجئني به .

فمضى ، وفعل ، وأتاني به ، فلبسته ، وقلت : إذا وليت الخلافة ، جعلت لقبي المعتضد بالله .

ثمّ أخذت أقطع ضيق صدري في الحبس ، بتصفّح أحوال الدنيا ، والفكر في تدبير عمارة الخراب منها ، ووجه فتح المنغلق ، وتعيين العمّال للنواحي ، والأمراء في البلاد .

ثمّ أخذت رقعة ، فكتبت ، بدر : الحاجب ، عبيد الله بن سليمان ؛ الوزير ، فلان : أمير البلد الفلاني[٥] ، فلان ؛ عامل البلد الفلاني[٦] ، فلان : للديوان الفلاني ، إلى أن أتيت على ما في نفسي من ذلك ، ثمّ دفعتها للغلام ، وقلت له : احتفظ بهذه ، فإنّ دمي ودمك مرتهنان بما فيها ، فحفظها .

فما مضى إلّا أيّام يسيرة ، حتّى لحقَتِ الموفّق غشية ، لم يشكّ الغلمان معها أنّه قد مات [٨٣ ر] ، فأخرجوني ، فأتوا بي إلى بيت فيه الموفّق ، فلمّا رأيته علمت أنّه غير ميت ، فجلست عنده ، وأخذت يده أقبّلها وأترشّفها ، فأفاق ، فلمّا رآني أفعل ذلك ، أظهر التقبّل لي ، وأومأ إلى الغلمان ، أن قد أحسنتم فيما فعلتم .

---

٥ الأمير : راجع حاشية القصّة ٧٣ من هذا الكتاب .

٦ العامل : راجع حاشية القصّة ٧٣ من هذا الكتاب .

ثمّ مات الموفّق في ليلته تلك ، ووليت مكانه[7] ، فابتدأت بتقرير الأمور ، على ما كنت قرّرته [١٤٥ غ] في الرّقعة ، ثمّ وليت الخلافة ، فأمضيت بقايا تلك التدبيرات كلّها .

[قال لي أبي : قال لي ابن حمدون : ما عرض المعتضد في أيّامه للعلويّين ، ولا آذاهم ، ولا قتل منهم أحداً][8] .

---

٧ توفي الأمير الموفق ، وهو ابن ٤٨ سنة وأشهراً ، وخلفه ولده المعتضد ، وهو ابن ست وثلاثين سنة ، فيكون الأب أسنّ من ولده بثلاث عشرة سنة ، ولما عاد الموفق إلى بغداد كان قد اشتد به وجع النقرس ، وأصيب بمرض الفيل ، ولم يكن قادراً على الركوب ، فاتّخذ له سرير عليه قبّة ، وكان يحمل سريرَه أربعون رجلاً ، يتناوب عليه عشرون عشرون ، ولما وافى النهراوان ، ركب الماء ، فسار في النهراوان ، ثم في ديالي ، ثم في دجلة إلى الزعفرانية ، حتى دخل داره ببغداد (الطبري ١٠/٢٠) .

٨ الزيادة من غ وم ، ونقل الخبر باختصار صاحب حلّ العقال ص ٤٧ .

٢٠٠

سليمان بن وهب يتفاءل بمنام رآه وهو محبوس

[حدّثني عليّ بن هشام بن عبد الله الكاتب ، قال : حدّثنا أبو الحسين عبد الواحد بن محمّد الحصيبي ، ابن بنت ابن المدبّر ، قال : حدّثني أبو الفضل ميمون بن هارون بن مخلد بن أبان الكاتب – قال علي بن هشام : وميمون هذا ، هو جد أبي الحسين بن ميمون الأفطس ، كاتب المتّقي في أيّام أبيه ، ووزيره لما استخلف[1] – قال :][2]

كانت بيني وبين أبي أيّوب سليمان بن وهب ، مودّة وكيدة ، فلمّا تسهّلت محنته بعد قتل إيتاخ ، صرت إليه وهو محبوس مقيّد ، إلّا أنّه مرفّه في الكسوة ، وكبر الدار ، والفرش ، وحسن الخدمة ، وقد صلحت حاله بالإضافة إلى ما كان عليه أوّل نكبته من الضرب والتضييق .

فحدّثني : أنّه رأى في ليلته تلك ، في منامه ، كأنّ قائلاً يقول له :

اصبر وربّ البيت لا يقتادها أحد سواك وحظّك الموفور

قال : فصرت إلى أخيه أبي عليّ الحسن بن وهب ، فحدّثته بذلك ، فسرّ به ، وكان كالمستتر الممتنع عن لقاء السلطان ، فعمل شعراً ضمّنه البيت ، وسألني إيصاله إلى أخيه أبي أيّوب سليمان ، فأخذته ، وأدخلته إليه ، وهو :

الدّمع من عيني أخيك غزير في ليله ونهاره محدور

بأبي وأمّي خطوك المقصور أمقيّد، ومصفّد، وأسير؟ [١١٠ ظ]

---

١ أبو الحسين أحمد بن محمّد بن ميمون بن هارون بن مخلد بن أبان الكاتب .

٢ الزيادة من غ ، وفي م : قال علي بن هشام : كانت بيني ... الخ ، وفي ظ : رأى سليمان بن وهب وهو محبوس ، كأنّ قائلاً يقول له ... الخ .

وزادني غيره ، في غير هذه الرواية :

ماذا بقلب أخيك مذ فارقته ... ليكاد من شوق إليك يطير
فكأنّما هو قرحة مقروفة[3] ... منها البلابل والهموم تثور [١٤٦ غ]
فِكَرٌ يجول بها الضّمير كأنّما ... يذكو بها حول الشغاف سعير
وجوى دخيلٌ ليس يعلم كنهه ... ممّا يلاقيه أخ وعشير
فيظنّه أخدانه متسلّياً ... والبثّ في أحشائه مستور

رجع إلى الرواية الأولى :

ما كنت أحسبني أعيش ومهجتي ... تحت الخطوب تدور حيث تدور
قلقاً[4] ، فإنّك بالعزاء جدير ... وعلى النوائب—منذ كنتَ—صبور
عثرات مثلك في الزّمان كثيرة ... ولهنّ بعدُ مثابة وحبور
إن تمسِ في حَلَقِ الحديد فحشوها ... منك السماحة والنّدى والخِير
والفصل للشبهات رأيك ثاقبٌ ... فيها يضيء سداده وينير

وزادني غيره أيضاً :

وتحمّل العبء الثقيل بثقله ... منك المجرّب عزمه المخبور

رجع إلى الرواية الأولى :

فاصبر – وربّ البيت – لا يقتادها ... أحد سواك وحظّك الموفور

---

٣ القرف ، في اللغة : القشر ، وقوله : القرحة المقروفة ، لأنّ القرحة إذا قشرت أو مسّت بعنف ، آلمت ألماً شديداً ، والبغداديون الآن يسمّون القرحة : دنبلة ، تحريف : دمّل ، ويقولون عن القرحة المقروفة : الدنبلة الملجومة ، بالجيم المثلّثة الفارسيّة .

٤ كذا ورد في ر ، وفي م : وفي ظ : قلعا ، وفي غ : فلعاً ، والمقتضي أن يكون موضعها كلمة أخرى مثل : صبراً ، أو مهلاً ، إلاّ إذا اعتبرت الكلمة تابعة للبيت الذي قبله ، فتكون الجملة : ما كنت أحسبني أعيش قلقاً ، أو أنّ المقصود : كفى قلقاً ، أو حسبك قلقاً ، بإضمار كفى أو حسبك .

والله مرجـوّ لكربتنـا معـــاً وعلى الّذي نرجوه منه قدير[٥]

قالَ : فما مضت إلّا أيّام يسيرة ، حتّى أطلق سليمان بن وهب ، ثمّ انتهى بعد سنين إلى الوزارة .

[وذكر هذا الخبر محمّد بن عبدوس في كتابه : كتاب الوزراء ، على قريب من هذا ، إلّا أنّه أتى من الشعر ببيتين فقط .][٦]

٥ هذا البيت لم يرد في ظ ، ولا في م .

٦ الزيادة من غ .

٢٠١

لم يقصد النّهابة دار الحسن بن مخلد

لأنّه كان متعطّلاً

[حدّثني عليّ بن هشام ، قال : حدّثني أبو الفرج محمّد بن جعفر بن حفص الكاتب[١] ، قال :][٢] حدّثني أبو القاسم عبيد الله بن سليمان ، قال :

كان أبو محمّد الحسن بن مَخْلَد ، أوّل من رفعني ، واستخلفني على ديوان الضياع ، فكنت أخلفه عليه ، إلى أن ولي شجاع بن القاسم الوزارة[٣] ، [١١٠ م] مع كتبة أوتامش[٤] في أيّام المستعين ، فاشتدّ جزع أبي محمّد منه .

---

١ أبو الفرج محمّد بن جعفر بن حفص الكاتب : من كتّاب الدولة العباسيّة ، كان متحقّقاً بأبي القاسم عبيد الله بن سليمان بن وهب ، وزير المعتضد ، ولّاه أبو القاسم الخاقاني ديوان السواد في السنة ٣١٢ لما خلف أبا الحسن بن الفرات في وزارة المقتدر ، وقد أثنى ابن الفرات على كفاءته (تجارب الأمم ١ / ١٢٩ والوزراء ١٤٠) .

٢ الزيادة من غ .

٣ شجاع بن القاسم : كان كاتب القائد أبي موسى أوتامش التركي ، وكان المستعين قلّد أوتامش الوزارة ، ولكنّ كاتبه شجاع ، كان هو المتولّي لأمر الوزارة ، والقيّم بها (مروج الذهب ٢ / ٤٣٣) ، ووصف الحسن بن مخلد شجاع بأنّه : حمار ، ووصفه البحتريّ بأنّه جاهل (الطبري ٩ / ٣٥٣) ، وقال عنه الحصريّ في الملح والنوادر ص ١٧٢ إنّه أمّي لا يقرأ ولا يكتب ولا يفهم ، وإنّما علّم علامات يكتبها في التواقيع ، وروى عنه عجائب في كتاب الملح والنوادر ، راجع ذلك في الصفحة ١٧٢ و١٧٣ و١٧٤ ، وراجع كذلك الهفوات النادرة ص ٢٦٨ ، قتل شجاع مع صاحبه أوتامش في السنة ٢٤٩ .

٤ أبو موسى أوتامش : من القوّاد الأتراك في الدولة العباسيّة ، كان غلام الواثق ، وانتصر للمنتصر في خصومته مع المتوكّل (مروج الذهب ٢ / ٤١٧) ولما استخلف المستعين استوزره (مروج الذهب ٢ / ٤٣٣) وجعل ابنه العبّاس في حجره (تجارب الأمم ٦ / ٥٦٦) وقدّمه على جميع الناس (تجارب الأمم ٦ / ٥٦٤) وأطلق يده في بيوت الأموال فاكتسحها ، فهاج عليه الجند ، فقتلوه وكاتبه شجاع ابن القاسم (تجارب الأمم ٦/٢٦٦ ، الطبري ٩/٢٦٣ ، الكامل ٧/١٢٣) .

فسألته عن سبب ذلك ، فقال : [٨٤ ر] هذا رجل حمار ، لا يغار على صناعته ، وهو مع هذا من أشدّ النّاس حيلة وشرًّا ، وهو يعرف كبر نفسي ، وصغر نفسه ، وقد بدأ بأبي جعفر أحمد بن إسرائيل ، فصرفه عن ديوان الخراج ، ونكبه ، ونفاه إلى أنطاكية[٥] ، ولست آمن أن يجعلني في أثره .

قال : فما مضى إلّا أسبوع ، حتّى ظهر إنّ أبا موسى عيسى بن فرخان شاه[٦] القنّائي الكاتب قد سعى مع شجاع في تقلّد ديوان الضياع ، ثمّ تقلّده صارفاً للحسن بن مخلد ، وخلع عليه ، فازداد جزع الحسن ، وأغلق بابه ، وقطع الركوب .

فبينما أنا عنده في بعض العشيّات ، إذ أتت رقعة من شجاع ، يستدعيه ، ويؤكّد عليه في البدار ، فارتاع ، ونهض ، وتعلّق قلبي به ، فقعدت أنتظر ، إلى أن عاد وهو مغموم مكروب .

فقلت : ما خبرك ؟

قال : قد فرغ شجاع من التدبير عليّ ، وذلك أنّه قد صحّ عندي بعد افتراقنا ، أنّ أوتامش قال البارحة لبعض خواصّه : قد ثقّلنا على شجاع ، وحمّلناه مالا يطيق من كتبتي والوزارة ، وتركنا هذا الشيخ الحسن بن مخلد ، متعطّلاً ، ولا بدّ أن يفرج له شجاع عن كتبتي ، أو الوزارة ، لأقلّده أحدها ، فلمّا بلغ ذلك شجاعاً ، أنفذ إليّ في الوقت .

فلمّا لقيته السّاعة ، قال لي : يا أبا محمّد ، أنت شيخي ، ورئيسي ، وأنت اصطنعتني ، وأنا معترف بالحقّ لك ، وآخر ما لك عندي من الإنعام

---

٥ كذا ورد في جميع النسخ ، والذي في كتب التاريخ : أنّ الموالي في السنة ٢٤٨ غضبوا على أحمد بن الخصيب ، فاستصفي ماله ، ومال ولده ، ونفي إلى إقريطش (كريت) ، راجع تجارب الأمم ٦ / ٥٦٤ والطبري ٩ / ٢٥٩ والكامل ٧ / ١١٩ .

٦ أبو موسى عيسى بن فرخان شاه القنّائي الكاتب : ترجمته في حاشية القصّة ١٢٤ من الكتاب .

أن قلّدتني عمالة همذان[7] ، فانتقلت منها إلى هذه المرتبة ، والأمير يحذرك الحذر كلّه وقد أقام على أنّه لا بدّ من نكبتك وإفقارك ، فللحال الّتي بيننا ، ما أقمت على الامتناع عليه من هذا ، وسألته في أمرك ، وبعد أن جرت خطوب ، تقرّر أن لا تجاوره ، وتشخص إلى بغداد ، ورضّيته بذلك ، وصرفت عنك النكبة ، وقد أمرني بإخراجك من ساعتك ، وما زلت معه حتّى استنظرته لك ثلاثة أيّام ، أوّلها يومنا هذا ، فاعمل على هذا ، وأنّك تمضي إلى بلدِ الأمر والنّهي فيه إلى أبي العبّاس محمّد بن عبد الله بن طاهر[8] ، وهو صديقك ، ويخدمك النّاس كلّهم ، ولا تخدم أحداً ، وتقرب من ضيعتك .

فأظهرت له الشكر ، وضمنت له الخروج ، وأنا خائف منه أن يدعني حتّى أخرج آلتي وحرمي [١١١ ظ] ثمّ يقبض على ذلك كلّه ، وينكبني .

فقلت : الوجه أن تفرّق جميع مالك وحرمك والأمتعة والدوابّ ، وتودعه ثقاتك ، وإخوانك ، من وجوه قوّاد الأتراك وكتّابهم ، وتطرح الثّقل الّذي لا قيمة

---

٧ همذان : مدينة من أكبر مدن المنطقة المسمّاة : الجبل ، عذبة الماء ، طيّبة الهواء ، أرضها منبت الزعفران ، وشتاؤها مفرط البرد (مراصد الاطلاع ٣ / ١٤٦٥) أقول : مررت بهمذان في أحد أسفاري في السنة ١٩٥٥ ، وأبصرت فيها ، خارجها ، قبر الشيخ الرئيس ابن سينا رحمه الله ، ويسمّونه هناك : أبو علي ، وعلى القبر قبّة عظيمة ، نقش على دائرها من الداخل قصيدته المشهورة الّتي مطلعها :

هبطت إليـك من المحـلّ الأرفع ورقـاء ذات تعـزّز وتمنّـع

وحول القبّة ، بناء ضخم كثير الأبهاء والغرف ، مفروش بأفخر السجّاد الإيراني ، وقد بني مقابل الضريح ، فندق من الدرجة الأولى ، اسمه : فندق أبو علي .

٨ أبو العباس محمّد بن عبد الله بن طاهر بن الحسين المصعبيّ (٢٠٩ - ٢٥٣) : أمير بغداد ، شجاع ، حازم ، من بيت مجد ورياسة ، ولّي إمارة بغداد في عهد المتوكّل العباسيّ ، واستمرّ على إمارتها حتى مات ، وكان فاضلاً ، أديباً (القصّة ٤ / ١٣٤ من نشوار المحاضرة للتنوخيّ) ، حليماً (الطبري ٩ / ٣٣٨) قال الخطيب البغداديّ : كان مألفاً لأهل العلم والأدب (الأعلام ٧ / ٩٤) .

له من خيش وستائر وأسرّة وآلة المطبخ في الزواريق ، وتُجْلِس في الحرّاقة[9] العجائز اللّواتي لا تفكّر فيهنّ ، ليظنّ أنّهنّ الحرم ، وتجتهد أن يكون خروجك ظاهراً ، ولا تكاشف بالاستتار ، بل على سبيل توقٍّ ومراوغة ، فإذا حصلتَ ببغداد ، دبّرت أمرك حينئذ بما ترى [١٤٧ غ] .

فقال : هذا رأي صحيح ، وأخذ يصلح أمره على هذا .

فلمّا كان في ليلة اليوم الثالث ، لم أنم أكثر اللّيل ، فكراً فيه ، وغمّاً بأمره ، ثمّ نمت لمّا غلبتني عيني ، فرأيت في السَّحَر كأنَّ قائلاً يقول لي : لا تغتمّ ، فقد ركب الأتراك من أصحاب وصيف وبغا ، إلى أوتَامش وكاتبه شجاع ، وقد هجموا عليهما ، وقتلوهما ، واسترحتم منهما .

فانتبهت مروّعاً ، ووجدت الوقت حين انفجار الصّبح ، فصلّيت ، وركبت إلى الحسن بن مخلد ، فدخلت إليه من باب له غامض ، لأنّه كان قد أغلق أبوابه [٨٥ ر] المعروفة ، فسألته عن خبره .

فقال : هذا آخر الأجل ، وقد خفت أن يعاجلني شجاع بالقبض عليّ ، وقد أغلقت أبوابي ، واستظهرت بغلمان يراعون رسله ، فإن جاؤوا ورأوا أمارات الشرّ منهم ، خرجت من هذا الباب الغامض[10] ، وأن يسألوا عن شجاع ،

---

٩ الحرّاقة ، وجمعها حرّاقات وحراريق : هي في الأصل سفن فيها مرامي نار ، يقذف بها العدو ، ثم أطلقت على سفن المعابر ، وكان المترفون يتفنّنون في بنائها على صور الحيوان والطير ، راجع معجم المراكب والسفن في الإسلام لحبيب زيات ، مجلة المشرق م ٤٣ .

١٠ كان رجال الدّولة من أمراء وقوّاد وكتّاب في تلك الأيّام ، يعيشون عيشة حذر وترقّب ، يتآمر بعضهم على بعض ، ويغتال بعضهم بعضاً ، وكان من جملة ما يقتضيه حذرهم ، أنّهم كانوا يتّخذون في دورهم أبواباً عدّة ، وبعضها غامض لا يعرف ، فكانوا ينفذون من الأبواب الغامضة ، إن دهمهم مداهم ، وقد كان لدار أبي جعفر محمّد بن يحيى بن شيرزاد أربعة عشر باباً ، إلى أربع عشرة سكة وشارعاً وزقاقاً نافذاً ، ومنها عدّة أبواب لا يعرف جيرانها أنّها تفضي إلى دار أبي جعفر ، وأكثرها عليه الأبواب الحديد (راجع القصّة ٣٧٨ من هذا الكتاب) .

فإن كان في داره [١١١ م] قالوا لمن جاء يطلبني إنّه في دار الأمير ، وإن كان في دار الأمير ، قالوا للرّسل إنّه في دار شجاع ، مدافعة عنّي حتّى أهرب .

قال : فقصصت عليه الرؤيا ، فتضاحك ، وقال : ما ظننتك بهذه الغفلة ، نحن في اليقظة على ما ترى ، كيف يصحّ لنا خبرك في منامك ؟ هذا إنّما نمت وأنت تتمنّى خلاصي ، فرأيت ذلك في منامك .

فخرجت من عنده أريد داري ، فلقيني جماعة في الطريق ، فعرّفوني أنّ الأتراك قد ركبوا بالسّلاح ، فعدت إلى منزلي ، وأغلقت بابي ، ووصّيت عيالي بحفظ الدّار ، ثمّ عدت ، فدخلت إلى الحسن ، فأخبرته بالخبر ، فأمر بمراعاة الأمر .

فما زلنا نتعرّف الأخبار ، ساعة بساعة ، إلى أن جاء النّاس فعرّفونا أنّ الأتراك قتلوا شجاعاً ، ثمّ دخل رجل ، فقال : أنا رأيت السّاعة رأس أوتامش ، وصحّ الخبر بقتلهما جميعاً[11] .

ونهبت سامراء كلّها ، فما أفلت أحد من النّهب أحسن من إفلات الحسن ابن مخلد ، لأنّ ماله كلّه كان قد حصل عند القوّاد وكتّابهم ، فلم يضع منه شيء ، وكان متعطّلاً ، فلم يقصد النهّابة داره ، وما أمسينا إلّا في أتمّ سرور وفرح ، لأنّه فرّج عنّا بما لم يكن في حسابنا .

---

١١ قتل أوتامش وكاتبه شجاع بن القاسم في يوم السبت ١٤ ربيع الآخر سنة ٢٤٩ .

٢٠٢

اتخذ من رؤيا ادّعى أنّه رآها

سبباً للتخلّص من حبس سيف الدولة .

حدّثني أبو الفرج المخزومي ، المعروف بالببغاء الشاعر ، قال :

كان بحلب بزّاز يعرف بأبي العبّاس بن الموصول[١] ، اعتقله سيف الدولة[٢] ، بخراج كان عليه ، مدّة ، وكان الرّجل حاذقاً بالتعبير للرؤيا .

فلمّا كان في بعض الأيّام ، كنت بحضرة سيف الدولة ، وقد وصلت إليه رقعة البزّاز ، يسأله فيها حضور مجلسه ، فأمر بإحضاره .

وقال : لأيّ شيء سألت الحضور ؟

فقال : لعلمي أنّه لا بدّ أن يطلقني الأمير سيف الدولة من الاعتقال ، في هذا اليوم .

قال : ومن أين علمت ذلك ؟

قال : إنّي رأيت البارحة في منامي ، في آخر اللّيل ، رجلاً قد سلّم إليّ مشطاً ، وقال لي : سرّح لحيتك ، ففعلت ذلك ، فتأوّلت التسريح ، سراحاً من شدّة واعتقال ، ولكون المنام في آخر اللّيل ، حكمت أنّ تأويله يصحّ

---

١ في ظ : الموصل ، وفي ر : الموصلي ، وفي م وغ وفي كتاب أخبار سيف الدولة ص ٣٦١ : الموصول .

٢ أبو الحسن علي سيف الدولة بن أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان بن حمدون التغلبيّ (٣٠٣ - ٣٥٦) : الأمير ، الشجاع ، المهذّب ، الأبيّ ، الجواد ، الأديب ، الشاعر ، درّة تاج الحمدانيين ، وواسطة عقدهم ، ممدوح المتنبّي ، لم يجتمع بباب أحد من الملوك - بعد الخلفاء - ما اجتمع ببابه من شيوخ العلم ، ونجوم الدهر ، ملك حلب وما جاورها ، وأخباره ووقائعه مع الروم كثيرة ، وكان كثير العطايا مقرّباً لأهل الأدب (الأعلام ٥ / ١١٨) ، راجع بعض أخباره في القصص ١ / ١٥١ و٢ / ١٦٣ و٣ / ١٢٠ و ٣ / ١٢١ من كتاب نشوار المحاضرة للتنوخي ، واقرأ ما كتب عنه الثعالبيّ في اليتيمة

سريعاً ، ووثقت بذلك ، فجعلت الطريق إليه مسألة الحضور ، لأستعطف الأمير .

فقال له : أحسنت التأويل ، والأمر على ما ذكرت ، وقد أطلقتك ، وسوّغتك خراجك في هذه السنة .

فخرج الرّجل يشكره ويدعو له[٣] .

٣ منح الخليفة المتّقي ، الأمير أبا الحسن علي بن عبد الله بن حمدان لقب سيف الدولة ، وأمر بأن يكتب اسمه على الدنانير والدراهم ، وهذه فضيلة لم يسبقه إليها أحد ، ثم طوّقه بطوقين ، وسوّره بأربعة أسورة ذهباً (أخبار سيف الدولة ١٢ و ١٥) ، لزيادة التفصيل راجع كتاب نبذ تاريخية وأدبيّة جامعة لأخبار الأمير سيف الدولة الحمداني ، جمع الشيخ ماريوس كافار .

٢٠٣

خراساني يودع بدرة من المال لدى أبي حسّان الزيادي فيسارع إلى إنفاقها .

[أخبرني القاضي أبو طالب محمّد بن أحمد بن إسحاق بن البهلول التّنوخي[١] ، فيما أجاز لي روايته عنه ، بعدما سمعته منه ، قال : حدّثنا محمّد بن خلف وكيع القاضي[٢] قال : حدّثني أبو سهل الرازي القاضي ، قال :][٣] حدّثنا أبو حسّان الزيادي القاضي[٤] ، قال :

جاءني رجلٌ من أهل خراسان فأودعني بدرة دراهم ، فأخذتها مضمونة ، وكنت مضيقاً ، فأسرعت في إنفاقها ، وكان قد عزم [١٤٨ غ] المودع [١١٢ ظ] على الحجّ ، ثمّ بدا له ، فعاد يطلبها ، فاغتممتُ ، وقلت له : تعود إليّ من غد .

---

١ أبو طالب محمّد بن أحمد بن إسحاق بن البهلول التنوخيّ : ترجمته في حاشية القصّة ٨٣ من الكتاب .

٢ أبو بكر محمّد بن خلف بن حيّان الضبّي ، المعروف بوكيع القاضي .

٣ في ظ : حدّث أبو حسّان ، والزيادة من م وغ .

٤ أبو حسّان الحسن بن عثمان الزيادي القاضي : قال عنه التنوخيّ في كتابه نشوار المحاضرة ، إنّه كان من غلمان أبي يوسف القاضي ، وتقلّد القضاء قديماً ، ثم تعطّل ، وقال عنه الخطيب في تاريخه ٧ / ٣٥٧ : إنّه كان من خاصّة القاضي أحمد بن أبي دؤاد ، ثم قال : إنّ المتوكّل عينه قاضياً في السنة ٢٤١ ، أي بعد وفاة ابن أبي دؤاد بسنة ، وهذا يعني أنّ أبا حسّان انقلب على تعاليم ابن أبي دؤاد ، ومما يستلفت النظر أنّ القصص التي يوردها أبو حسّان الزيادي ، تشتمل على الثناء عليه ، والإطراء لـه ، وهو المخبر بها وحده ، فإنّ هذه القصّة ، وتتلخّص في اهتمام النبيّ صلوات الله عليه ، بأبي حسّان ، وتشدّده على الخليفة في العناية به ، هي من روايته هو ، ولم يكتف أبو حسّان بذلك ، فادّعى من بعد ، أنّه رأى الله سبحانه وتعالى ، ولما طولب بالايضاح ، قال : إنّه رأى في منامه نوراً (تاريخ بغداد للخطيب ٧ / ٣٥٧) ومات أبو حسّان وهو قاضي الشرقية في السنة ٢٤٢ (الطبري ٩ / ٢٠٨) .

ثمّ فزعت إلى الله تعالى ، ودعوته ، وركبت بغلتي في الغَلَس ، وأنا لا أدري إلى أين أتوجّه ، وعبرت الجسر وأخذت نحو المخرِّم ، وما في نفسي أحد أقصده ، فاستقبلني رجلٌ راكب ، فقال : [٨٦ ر] إليك بعثت .

فقلت : من بعثك ؟

فقال : دينار بن عبد الله ، فأتيته وهو جالس .

فقال لي : ما حالك ؟

قلت : وما ذاك ؟

فقال : ما نمت اللّيلة[٥] إلّا أتاني آت ، فقال : أدرك أبا حسّان .

فحدّثته بحديثي ، فدعا بعشرين ألف درهم ، فدفعها إليّ ، فرجعتُ ، فصلّيت في مسجدي الغداة ، وجاء الرّجل ، فدفعت إليه ماله ، وأنفقت الباقي .

ووقع إليّ هذا الخبر ، من طريق آخر ، [فحدّثني طلحة بن محمّد بن جعفر الشاهد ، وقرأته بالإجازة عن طلحة ، قال : حدّثني أبو الحسين عبد الواحد بن محمّد الخصيبي ، قال : حدّثني أبو علي أحمد بن إسماعيل نطاحة ، قال : حدّثني أبو سهل الرازي القاضي ، قال :][٦] حدّثنا أبو حسّان الزيادي القاضي ، قال :

أضقت إضاقة بلغت بها إلى الغاية ، حتّى ألحّ عليّ الخبّاز ، والقصّاب ، والبقّال ، وسائر المعاملين ، ولم تبق لي حيلة .

فإنّي يوماً من الأيّام على تلك الحال ، مفكّراً في أمري ، كيف أعمل ، وكيف أحتال ، إذ دخل عليّ غلامي ، فقال : بالباب حاجّ يستأذن عليك .

فقلت : أدخله .

---

٥ في غ : فقال : ما نمت البارحة .

٦ الزيادة من غ .

فدخل عليّ رجل خراساني ، فسلّم ، وقال : أنت أبو حسّان ؟

قلت : نعم ، فما حاجتك ؟

قال : أنا رجل غريب ، أريد الحجّ ، ومعي جملة مالي ، وهو عشرة آلاف درهم ، وقد أحضرته في بدرة معي [١١٢ م] أسألك أن تقبضها وتدعها قِبَلَكَ ، إلى أن أقضي حجّي ، وأرجع ، فإنّي غريب ، وما أعرف أحداً في هذا البلد .

فقلت : هات البدرة .

فسلّمها إليّ ، وخرج بعد أن وزن ما فيها .

فلمّا خرج ، فتحتها على الفور[٧] ، وأحضرت المعاملين ، فقضيت جميع ديوني ، واتّسعت بالباقي ، وقلت : أضمنها في مالي إلى أن يعود من الحجّ ، [وإلى أن يجيء ، يأتي الله بفرج من عنده .

فكنت في يومي ذاك ، في سعة ،][٦] ، وأنا فرح ، لست أشكّ في خروج الخراساني .

فلمّا أصبحت من الغد ، دخل عليَّ الغلام ، فقال : الخراسانيّ الّذي أودعك البدرة ، بالباب .

فقلت : أدخله .

فدخل ، وقال : اعلم أنّي كنت عازماً على الحجّ ، ثمّ ورد عليّ خبر وفاة أبي ، وقد عزمت على الرّجوع إلى بلدي فتفضّل عليّ بإعادة البدرة الّتي أعطيتك أمس .

فورد عليّ أمر عظيم ، لم يرد عليّ مثله قط ، وتحيّرت ، ولم أدر بما أجيبه ، ثمّ فكّرت ، فقلت : ماذا أقول له ؟ إن جحدته ، قدّمني إلى القاضي ، واستحلفني

---

٧ في غ : فلما خرج ، فككت خاتمها على المكان .

فكانت الفضيحة في الدنيا والآخرة والهتك ، وإن دافعته ، صاح وهتكني .

فقلت له : نعم ، عافاك الله ، إنّ منزلي هذا ليس بالحريز ، ولمّا أخذت منك البدرة ، أنفذتها إلى موضع أحرز منه ، فتعود إليّ غداً ، لأسلّمها إليك .

فانصرفَ ، وبقيت متحيّراً ، لا أدري ما أعمل ، وعظم عليّ الأمر جدّاً ، فأدركني اللّيل ، وفكّرت في بكور الخراساني ، فلم يأخذني النوم ، ولا قدرت على الغمض .

فقمت إلى الغلام ، فقلت : أسرج البغلة .

فقال : يا مولاي ، هذا أوّل اللّيل ، إلى أين تمضي[8] ؟

فرجعت إلى فراشي ، فإذا النّوم ممتنع عليّ ، فلم أزل أقوم إلى الغلام ، وهو يردّني ، حتّى فعلت ذلك مرّات ، وأنا لا يأخذني القرار .

وطلع الفجر ، فأسرج الغلام البغلة ، فركبت ، وأنا لا أدري إلى أين أتوجّه ، فطرحت عنان البغلة ، وأقبلت أفكّر وهي تسير ، حتّى بلغت الجسر فعدلت بي إليه ، فتركتها ، فعبرت .

ثمّ قلتُ : إلى أين أعبر ، إلى أين أتوجّه ؟ ولكن إن رجعتُ ، رأيتُ الخراسانيّ على بابي ، ولكن أدعها تمضي حيث شاءت ، فمضت البغلة . [١٤٩ غ] فلمّا عبرت البغلةُ الجسرَ[9] ، أخذت بي يمنة ، ناحية دار المأمون ، [وتركتها ،

---

٨ في غ : فقال : يا مولاي ، هذه العتمة بعدُ ، وما مضى من الليل شيء ، فإلى أين تمضي ؟ .

٩ كان لبغداد جسران معقودان على مراكب متصلة منتظمة فيما بين الشطّين ، تحفّ بها من جانبيها سلاسل حديد ، مربوطة في كلا الشطّين إلى خشبة عظيمة مثبتة بالساحل (مهذّب رحلة ابن بطوطة ص ١٧١ و١٧٤ والمسالك والممالك ص ٥٩) فالأول : يصل بين مشرعة القطّانين في الجانب الغربي ، وبين المشرعة الواقعة بحضرة دار مؤنس في الجانب الشرقيّ ، وعليها السوق الذي يجمع أصناف التجارات والبياعات والصناعات على رأس الجسر مشرّقاً ذات اليمين وذات الشمال ، من أصناف التجارات والصناعات (الأعلاق النفيسة لابن رسته ٢٥٣) والثاني يقع عند باب الطاق في الجانب الشرقيّ ، يقابله في الجانب الغربي بيمارستان عضد الدولة (المنتظم ٧ / ١١٢ وأحسن التقاسيم للمقدسي ١٢٠) ،

ومرّت ، فلم أزل كذلك إلى أن قربت من دار المأمون ،][6] ، والدنيا بعد مظلمة .

فإذا فارس قد تلقّاني ، فنظر في وجهـي ، ثمّ سار وتركني ، ثمّ رجع ، وقال : ألست أبا حسّان الزيادي ؟

فقلت : بلى .

قال : إليك بعثت .

فقلت : ما تريد ، رحمك الله ، ومن بعث بك ؟

فقال : الأمير الحسن بن سهل[10] .

فقلت : وما يريد منّي الحسن بن سهل ؟ ، [ثمّ قلت : امض بنا ، فمضى حتّى استأذن على الحسن بن سهل ،][11] فدخلت إليه .

ومحلّة باب الطاق التي تقع بين الرصافة ونهر المعلّى ، بنيت حول الطاق المنسوب إلى أسماء بنت المنصور ، وكان طاقاً عظيماً ، وعند هذا الطاق كان مجلس الشعراء أيّام الرشيد (معجم البلدان ١ / ٤٤٥ و٣/٤٨٩) وعلى مقربـة من الجسر بباب الطاق ، كانت دار الجهشياري على دجلـة بالجانب الشرقيّ ، في الموضع المعروف بـ (بين القصرين) أحدهما قصر عبد الله بن المهديّ ، والثاني قصر أسماء السالف ذكره ، أقطعه الأمير أبو أحمد الموفّق لصاحبه عليّ بن جهشيار (القصّة ١ / ١٨٦ من نشوار المحاضرة ومعجم البلدان ٣ / ٤٨٩) ، ويتّضح من الوصف السالف إيراده ، أنّ الجسر الذي بحذاء دار مؤنس ، قام مقامه الآن جسر المأمون ، والجسر الذي بحذاء دار أسماء في محلة باب الطاق ، قام مقامه جسر الصرّافية الحديد ، والجسر المذكور في القصّة هو الجسر الثاني منهما أي جسر باب الطاق .

١٠ أبو محمّد الحسن بن سهل بن عبد الله السرخسيّ (١٦٦ - ٢٣٦) : وزير المأمون العباسيّ ، وأحد كبار القادة والولاة في عصره ، اشتهر بالذكاء المفرط ، والأدب ، والفصاحة ، وحسن التوقيعات ، والكرم ، وهو والد بوران زوجة المأمون ، وللشعراء فيه أماديح (الأعلام ٢ / ٢٠٧) ، قيل له وقد كثر عطاؤه على اختلال حاله : ليس في السرف خير ، فقال : ليس في الخير سرف (وفيات الأعيان ٢ / ١٢١) ولما توفّي ، ووضع على سريره ، تعلّق به جماعة من غرمائه من التجّار ومنعوا من دفنه ، فتوسّط لهم من قطع أمرهم حتى دفن (الطبري ٩ / ١٨٥) .

١١ الزيادة من ر وغ .

فقال [٨٧ ر] : يا أبا حسّان ، ما خبرك ، وكيف حالك ، ولم انقطعت عنّا ؟

فقلت : لأسباب ، وذهبت [١١٣ ظ] لأعتذر عن التخلّف .

فقال : دع هذا عنك ، أنت في لوثة[١٢] ، وفي أمر ما هو ، فإنّي رأيتك في النّوم ، في تخليط كثير .

فشرحت له قصّتي ، من أوّلها إلى أن لقيني صاحبه ، ودخلت عليه .

فقال : لا يغمّك الله يا أبا حسّان ، هذه بدرة للخراسانيّ ، مكان بدرته ، وهذه بدرة أخرى تتّسع بها ، فإذا نفدت ، أعلمنا .

فرجعت من ساعتي ، فدفعت للخراساني بدرته ، واتّسعت بالباقي ، وفرّج الله عنّي ، فله الحمد .

[وحدّثني بهذا الحديث أيضاً ، أبو الفرج محمّد بن جعفر ، من ولد صالح صاحب المصلّى قال : حدّثنا أبو القاسم علي بن محمّد بن أبي حسّان الزيادي ، وكان محدّثاً ببغداد ، ثقة ، مشهوراً ، قال : حدّثني أبي ، عن أبيه ، قال :][١٣]

كنت وليت القضاء من قبل أبي يوسف القاضي رحمه الله ، ثمّ صرفتُ ، وتعطّلتُ ، وأضقت إضاقة شديدة ، وركبني دين فادح ، لخبّاز ، وبقّال ، وقصّاب ، وعطّار ، وبزّاز ، وغيرهم ، حتّى قطعوا معاملتي لكثرة مالهم عليّ ، وإياسهم من أن أقضيهم ، فتضاعفت إضاقتي ، واشتدّت حيرتي .

فإنّي يوماً بمسجدي ، قد صلّيت بأهله الغداة ، ثمّ انفتلت أدرّس أصحابي الفقه [١١٣ م] إذ جاءني رجل خراسانيّ ، وذكر الحديث على نحو ما ذكره

---

١٢ اللوثة : الاختلاط والتخبّط ، من التاث الأمر : أي اختلط والتبس .

١٣ الزيادة من م وغ .

طلحة ، إلّا أنّه لم يقل فيه جملة : فإلى .... .

وقال أبو الفرج في حديثه : فلمّا بلغت مربّعة الحرسي[14] ، استقبلني موكب فيه شموع ونفّاطات ، قد أضاء منه الطريق ، فصار كالنّهار ، فطلبت زقاقاً أستخفي فيه ، حتّى يجوز الموكب ، فلم أجد ، فإذا برجل من الموكب ، يقول : أبو حسّان والله ، فتأمّلته ، فإذا هو دينار بن عبد الله[15] ، فسلّمت عليه .

فقال : إليك جئت ، أرسل إليّ أمير المؤمنين السّاعة ، وأمرني أن أركب إليك بنفسي ، وأحضره إيّاك .

فمضيت معه ، حتّى أدخلني على المأمون .

فقال لي المأمون : [ما قصّتك ؟ فإنّي رأيتك في النوم البارحة ، والنّبي صلّى الله عليه وسلّم ، يأمرني بإغاثتك .

فحدّثته بحديثي .

فقال المأمون :][16] أعطوا أبا حسّان ثلاث بدر ، وولّاني الريّ[17] ، وأمرني بالخروج إليها .

قال : فعدت إلى بيتي وما طلع الفجر ، فلمّا كان وقت صلاتي في مسجدي ، خرجت ، وإذا بالخراساني ، فلمّا قضيت الصلاة ، أدخلته إلى البيت ، فأخرجت إليه البدر .

---

١٤ في ظ ، ر : مربعة الحرس ، وفي م : مربعة الجرسي ، وفي هـ : مربعة الجسر ، والصحيح : مربعة الحرسيّ ، على ما أثبتناه ، وهي محلّة في شرقي بغداد منسوبة للخرسيّ ، صاحب شرطة بغداد أيّام المنصور ، والحرسيّ : نسبة إلى خراسان يقال : خرسيّ ، وخراسيّ ، وخراساني (معجم البلدان ٤ / ٤٨٥) .

١٥ دينار بن عبد الله ، أحد قوّاد جيش المأمون : ترجمته في حاشية القصّة ٢٣٨ .

١٦ ساقطة من غ .

١٧ لم يل أبو حسّان الريّ ، وانما ولي الشرقية .

فلمّا رآها ، قال : ما هذا ؟

فقصصت عليه القصّة ، وأعطيته بدرة منها ، فأخذها وانصرف .

[وذكر محمّد بن عبدوس ، في كتاب الوزراء ، في أخبار دينار بن عبد الله : أنّ رسوله لقي أبا حسّان في الطريق ، فقال له : قسمت شيئاً على عيالنا ، فذكرت عيالك ، فأنفذت إليك عشرة آلاف درهم ، فأخذها ، ورجع من الطريق ، وباكره الخراسانيّ ، فأعطاه إيّاها كلّها ، لأنّه كان قد أنفق جميع مال الخراساني ، ثمّ عاد من غد إلى دينار ، فعرّفه ، وشكره ، وعرّفه الحديث .

فقال : فكأنّما قضينا الخراساني في ماله ، ثمّ أمر له بعشرة آلاف درهم أخرى ، ولم يذكر ابن عبدوس في خبره ذكر المنام .][18]

[وحدّثني أبي هذا الحديث في المذاكرة ، قال : حدّثني شيخ – ذكره أبي وأنسيته أنا ، [١٥٠ غ] عن أبي حسّان الزيادي ، بنحو ما ذكره محمّد بن جعفر في حديثه ، إلّا أنّه قال فيه : إنّ الخراسانيّ قال في حديثه لأبي حسّان : إن رجع الحجّاج ولم ترني قد رجعت إليك ، فاعلم أنّي هلكت ، والبدرة هبة منّي إليك ، وإن رجعت فهي لي ، ثمّ يتقارب لفظ الحديثين ، إلى أن لقيه في الجانب الشرقي قوم فلمّا رآهم تنحّى عن طريقهم ، فلمّا رأوه بطيلسان ، بادروا إليه ، وقالوا له : أتعرف منزل رجل يقال له أبو حسّان الزيادي ؟

فقال : أنا هو .

فقالوا له : أجب أمير المؤمنين ، وحمل][19] فأدخل إلى المأمون .

فقال له : من أنت ؟

---

١٨ الزيادة من م وغ .

١٩ في ظ ور : وروي في خبر آخر : أنّه لما دخل إلى المأمون ... الخ ، والزيادة من م وغ .

فقال : رجل من أصحاب أبي يوسف القاضي من الفقهاء وأصحاب الحديث .

قال : بأيّ شيء تكنّى ؟

فقال : بأبي حسّان .

فقال : بماذا تعرف ؟

فقال : بالزيادي ، ولست منهم ، وإنّما نزلت فيهم ، فنسبت إليهم .

فقال : قصّتك ، فشرحت له قصّتي .

فبكى بكاء شديداً ، وقال : ويحك ، ما تركني رسول الله أن أنام بسببك ، أتاني في أوّل اللّيل فقال : أغث أبا حسّان الزيادي ، فانتبهت ولم أعرفك ، واعتمدت السؤال عنك ، وأثبتّ اسمك ونسبك ونمت ، فأتاني ، فقال كمقالته ، فانتبهت منزعجاً ، ثمّ نمت ، فأتاني ، وقال : ويحك ، أغث أبا حسّان ، فما تجاسرت على النّوم ، وأنا ساهر ، وقد بثثتُ في طلبك ، ثمّ أعطاني عشرة آلاف درهم ، [وقال : هذه للخراسانيّ ، ثمّ أعطاني عشرة آلاف درهم أخرى ، وقال :][6] اتّسع بهذه ، وأصلح أمرك ، وعمّر دارك ، واشتر مركوباً سريّاً ، وثياباً حسنة ، [وعبداً يمشي بين يدي دابّتك][6] ، ثمّ أعطاني ثلاثين ألف درهم ، وقال : جهّز بها بناتك ، وزوّجهنّ ، فإذا كان يوم الموكب ، فصر إليّ ، حتّى أقلّدك عملاً جليلاً ، وأحسن إليك .

فخرجت والمال بين يديّ محمول ، حتّى أتيتُ مسجدي ، فصلّيت الغداة ، والتفتّ فإذا الخراساني بالباب ، فأدخلته إلى البيت ، وأخرجت بدرة [١١٤ م] فدفعتها إليه .

فقال : ليس هذه بدرتي ، أريد مالي بعينه .

فقصصت عليه قصّتي ، فبكى ، وقال : والله لو صدقتني في أوّل الأمر عن خبرك لما طالبتك ، وأمّا الآن ، فوالله لا دخل مالي شيء من مال هؤلاء ، وأنت في حلّ ، [٨٨ ر] وانصرف ،

فأصلحت أمري ، وبكّرت يوم الموكب إلى باب المأمون ، فدخلت ، وهو جالس جلوساً عامّاً .

فلمّا مثلت بين يديه استدناني ، ثمّ أخرج عهداً من تحت مصلّاه ، وقال : هذا عهدك على قضاء المدينة الشرقيّة من الجانب الغربي من مدينة السلام[20] ، وقد أجريت عليك في كلّ شهر كذا وكذا ، فاتّق الله تدم عليك عناية رسول الله صلّى الله عليه وسلّم .

فعجب النّاس من كلام المأمون وسألوني عن معناه ، فأخبرتهم الخبر ، فانتشر .

فما زال أبو حسّان قاضي الشرقية ، إلى آخر أيّام المأمون[21] .

---

٢٠ الشرقية : بالجانب الغربي من بغداد ، قيل لها الشرقية لأنّها شرقي مدينة المنصور ، لا لأنّها في الجانب الشرقيّ (معجم البلدان ٣ / ٢٧٩) .

٢١ وردت القصّة باختصار في كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للقاضي التنوخيّ برقم ٢ / ١٢٥ .

٢٠٤

حبسه المهدي وأطلقه الرّشيد

[أخبرني محمّد بن الحسن بن المظفّر ، قال : حدّثني أبو عمر محمّد ابن عبد الواحد ، قال : حدّثني بشر بن موسى الأسدي ، قال :][1] أخبرني بعض الهاشميّين ، قال :

حبس المهدي يعقوب بن داود[2] [١١٤ ظ] وزيره ، فطال حبسه ، فرأى في منامه ، كأنّ قائلاً يقول له : قل : يا رفيق ، يا شفيق ، أنت ربّي الحقيق ، ادفع عنّي الضّيق ، إنّك على كلّ شيء قدير .

قال : فقلتها ، فما شعرت إلّا بالأبواب تفتح ، ثمّ أدخلت على الرّشيد[3] ، فقال : أتاني الّذي أتاك ، فاحمد الله عزّ وجلّ .

وخلّى سبيلي .

[وقد روي هذا الخبر ، على خلاف هذا ، فحدّثنا عليّ بن أبي الطّيب ، قال : حدّثنا ابن الجرّاح ، قال : حدّثنا ابن أبي الدنيا ، قال : حدّثني خالد بن يزيد الأزدي .

وأخبرني محمّد بن الحسن بن المظفّر [١٥١ غ] ، قال : أنبأنا أبو بكر

---

١ الزيادة من غ .

٢ أبو عبد الله يعقوب بن داود بن عمر السلميّ : كان يكتب لإبراهيم بن عبد الله بن الحسن قتيل باخمرى ، فلما خرج إبراهيم على المنصور ، وقتل ، اعتقل يعقوب ، وحبس ، ثم أطلق ، واتّصل بالمهديّ ، فحظي لديه ، فآخاه ، واستوزره ، فكثر حسّاده ، وتتابعت الوشايات به ، فعزله ، وحبسه ، وأطلقه الرشيد لما استخلف ، وخيّره في موضع إقامته ، فاختار مكّة ، وأقام بها حتى مات سنة ١٨٧ (الأعلام ٩ / ٢٥٨) .

٣ في ظ : على المهديّ ، والتصحيح من م وغ .

محمّد بن محمّد السرخسي ، قال : حدّثنا أبو عبد الله المقدمي القاضي[٤] ، قال : حدّثنا أبو محمّد المعي ، قال : حدّثنا خالد بن يزيد ، [قال : حدّثنا عبد الله بن يعقوب بن داود ، قال : قال لي أبي :][٥]

حبسني المهدي في بئر بنيت عليها قبّة ، فكنت فيها خمس عشرة سنة[٦] ، حتّى مضى صدر من خلافة الرّشيد ، وكان يدلّى لي في كلّ يوم رغيف وكوز ماء ، وأوذن بأوقات الصلاة ، فلمّا كان رأس ثلاث عشرة سنة ، أتاني آتٍ في منامي ، فقال :

حنا على يوسفٍ ربٌّ فأخرجه ... من قعر جبٍّ وبئر حولها غمم

فحمدت الله تعالى ، وقلت : أتاني الفرج ، ثمّ مكثت حولاً لا أرى شيئاً ، فلمّا كان رأس الحول ، أتاني ذلك الآتي ، فقال :

عسى فرجٌ يأتي به الله إنّه ... له كلّ يوم في خليقته أمر

ثمّ أقمتُ حولاً لا أرى شيئاً ، ثمّ أتاني ذلك الآتي ، بعد الحول ، فقال :

عسى الكرب الّذي أمسيت فيه ... يكون وراءه فرج قريب
فيأمن خائف ويفكّ عانٍ ... ويأتي أهله النائي الغريب [١١٦ م]

---

٤ أحسبه أبا عبد الله محمّد بن أبي بكر بن عطاء بن مقدّم المقدّمي : نسبته إلى جدّه مقدم ، ذكره صاحب اللباب ٣ / ١٦٩ .

٥ الزيادة من غ .

٦ في الطبري ٨ / ١٥٤ : أنّ المهديّ غضب على يعقوب بن داود ، واعتقله في السنة ١٦٦ ، وفي الأعلام ٩ / ٢٥٩ أنّ الاعتقال حصل في السنة ١٦٧ وأنّ إطلاقه تمّ في السنة ١٧٥ ، وفي وفيات الأعيان ٧ / ٢٤ أنّ يعقوب قضى في الاعتقال بقيّة أيّام المهديّ ، وأيّام الهادي ، وخمس سنين وشهوراً من أيّام الرشيد .

[فلمّا أصبحت ، نوديت ، فظننت أنّي اؤذن بالصّلاة ، فدلّي إليّ حبل] [7] وقيل لي : شدّ به وسطك ، ففعلت ، فأخرجوني ، فلمّا تأمّلت الضوء ، غشي بصري ، فأخذ من شعري ، وألبست ثياباً ، وأدخلت إلى مجلس ، فقيل لي : سلّم على أمير المؤمنين .

فقلت : السلام عليك يا أمير المؤمنين المهدي ، ورحمة الله وبركاته .

فقال : لست به .

فقلت : السّلام عليك يا أمير المؤمنين الهادي ، ورحمة الله وبركاته .

فقال : لست به .

فقلت : السّلام عليك يا أمير المؤمنين الرّشيد ، ورحمة الله وبركاته .

فقال : وعليك السّلام ، يا يعقوب بن داود ، والله ما شفع أحد فيك إليّ ، غير أنّي حملت اللّيلة صبيّة لي على عنقي ، فذكرت حملك إيّاي على عنقك ، فرثيت لك من المحلّ الّذي كنت فيه ، فأخرجتك ، ثمّ أكرمني ، وقرّب مجلسي .

ثمّ إنّ يحيى بن خالد تنكّر لي ، كأنّه خاف أن أغلب على الرّشيد دونه ، فخفته ، فاستأذنت في الحجّ ، فأذن لي .

فلم يزل مقيماً بمكّة ، حتّى مات بها [8] .

---

٧ في غ : والله لئن دخلت في أعمالهم ، بعد أن خلّصك الله منها ، ليرمينّك الله بصاعقة ، فما كان بأسرع من أن دلّي إليّ حبل ... الخ .

٨ ورد الخبر في مخطوطة (د) ص ١٦١ ، وورد في غ ، كما يلي : قيل لي سلّم على أمير المؤمنين ، فقلت : السلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، فقيل لي : ومن أمير المؤمنين ؟ ، فقلت : المهديّ ، فقيل لي : رحم الله المهديّ ، سلّم على أمير المؤمنين ، فقلت : السلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، فقيل لي : ومن أمير المؤمنين ؟ فقلت : أبو محمّد موسى الهادي ، فقيل لي : رحم الله الهادي ، سلّم على أمير المؤمنين ، فقلت : السلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، فقيل لي : ومن أمير المؤمنين ؟ فقلت : أبو جعفر هارون الرشيد ، فكلّمني الرشيد ، وقال : وعليك السلام ، يعزّ عليّ يا يعقوب ما نالك ، فجعلت المهديّ في حلٍّ ، وشكرته على تخليتي ، فقال :

[حدّثني أبي في المذاكرة بإسناد له ، وكان في الخبر : أنّ المهدي حبسه في بئر ، ووكل أمره إلى خادم له ، واستحلفه أن لا يخبر بخبره أحداً من الخلق كلّهم ، فكان الخادم الموكّل به ، ينزل إليه في كلّ يوم رغيفين ، ودورق ماء ، منه شربه وطهوره ، وفي البئر موضعٌ يتطهّر فيه ، فكان كذلك خمس عشرة سنة .

فلمّا كان بعد خمس عشرة سنة [١١٥ م] سأل عنه الرّشيد فقيل له : سلّم إلى فلان الخادم ، وذكر أنّه مات .

فأحضر الخادم ، وسأله عنه ، فقال : إنّه مات .

فاستثبته ، فرأى كلاماً مختلفاً ، فجدّ به ، فقال : لا أعرف غير موته ، فهدّده ، فأقام على الإنكار ، إلى أن استحضر الرّشيد المقارع .

فقال : أنا أصدق ، استحلفني أمير المؤمنين المهدي ، ألّا أخبر بخبره أحداً من الخلق أبداً .

فأكرهه الرّشيد ، فدلّ على البئر الّتي هو فيها ، ثمّ تتّفق الرّوايات .

قال : فلمّا وقف بين يدي الرّشيد ، وسلّم ، قال له الرّشيد – مخفياً كلامه – من أمير المؤمنين ؟

فقال : المهدي .

قال : قد مضى لحال سبيله ، فسلّم على أمير المؤمنين ، فسلّم .

فقال : قولوا له من أمير المؤمنين ؟

لا يمنن عليك يحيى بن خالد ، ولا غيره ، فما لأحد في إطلاقك شيء ، ولكنّي حملت بنيّة لي على عاتقي ، فذكرت حملك إيّاي على عاتقك ، وتسريحك إيّاي من الكتّاب ، فأمرت بإخراجك ، فدعوت له ، وأمر لي بخمسمائة ألف درهم ، وردّ عليّ من ضياعي ما يغلّ خمسة آلاف درهم في السنة ، وتقدّم بعلاج عيني ، فعولجت شهوراً ، إلى أن صرت أقرأ الخطّ الجـليّ ، فكان يدعوني ، ويخلو معي ، ويحادثني ، فساء ذلك يحيى بن خالد ، فاستأذنته في الحجّ ، فأذن لي ، وأنا مقيم بمكاني كما ترى . .

[قال : الهادي

قال : قد مضى لحال سبيله ، فسلّم على أمير المؤمنين ، فسلّم .

فقال : قولوا له ، من أمير المؤمنين ؟

فقال : هارون ، ثمّ تتّفق الروايتان .

وروي لي هذا الخبر على وجه آخر ، وهو أضعف عندي ، غير أنّي أجيء به كما بلغني ، فحدّثت بروايات مختلفة ، قالوا][9] حدّث [٨٩ ر] عبد الله بن أيّوب ، قال :

رأيت يعقوب بن داود في الطواف ، فقلت له : كيف كان سبب خروجك ؟

قال : كنت في المطبق حتّى خفتُ على بصري ، فأتاني آتٍ في منامي ، فقال لي : يا يعقوب كيف ترى مكانك ؟

فقلت : وما سؤالك ؟ أما ترى ما أنا فيه ، أليس يكفيك هذا ؟

فقال : أسبغ الوضوء ، وصلّ أربع ركعات ، وقل : يا محسن ، يا مجمل ، يا منعم ، يا مفضل ، يا ذا الفضل والنّعم ، يا عظيم ، يا ذا العرش العظيم ، اجعل لي ممّا أنا فيه فرجاً ومخرجاً .

فانتبهت ، وقلت في نفسي : هذا في النّوم ، ورجعت إلى نفسي ، فحفظت الدّعاء ، وقمت ، فتوضّأت ، وصلّيت ، ودعوت به ، فلمّا أسفر الصّبح ، جاؤوني ، فأخرجوني .

فقلت : ما دعاني إلّا ليقتلني .

فلمّا رآني ، أومأ إليهم ، اذهبوا به إلى الحمّام ، فنظّفوه ، وأتوني به ، فطابت نفسي ، وسجدت شكراً لله تعالى ، فأطلت السجود .

فقالوا لي : قم .

---

٩ الزيادة من م .

فقال لهم الرّشيد : دعوه ما دام ساجداً ، ثمّ رفعت رأسي ، ثمّ مضي بي إلى الحمّام .

فلمّا خرجت خَلَعَ عليّ ، ثمّ ضرب بيده على ظهري ، وقال لي : يا يعقوب ، لا يمنّن عليك أحد بمنّة ، فما زلتُ منذ اللّيلة قلقاً بأمرك[10] .

---

١٠ بلغ من علوّ شأن يعقوب عند المهديّ ، أن يعقوب نصب أمناء على العمال في جميع الأصقاع ، فكان لا ينفذ كتاب إلى المهدي إلاّ بعد مطالعة أمناء يعقوب . فقال بشار بن برد [وفيات الأعيان ٢٢/٧] :

بني أميّة هبّوا طال نومكمْ   إنّ الخليفة يعقوب بن داود
ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا   خليفة الله بين الزقّ والعود

فأثّر ذلك في المهديّ . وكانت عاقبة ذلك . قتل الشاعر (بتهمة الزندقة) . وحبس يعقوب في المطبق . (بتهمة العلوية) .

٢٠٥

المهدي يطلق علويّاً من حبسه لمنام رآه

وجدتُ في بعض الكتب : أنّ المهديّ استحضر صاحب شرطته ليلاً ، وقد انتبه من نومه فزعاً ، فقال له : ضع يدك على رأسي ، واحلف بما أستحلفك به.

[قال :] فقلت : [١١٥ ظ] يدي تقصر عن رأس أمير المؤمنين ، ولكن عليّ وعليّ ، وحلفت بأيمان البيعة أنّي أمتثل ما تأمر به .

فقال : صِرْ إلى المطبق ، واطلب فلاناً العلويّ الحسيني ، فإذا وجدته فأخرجه وخيّره بين الإقامة عندنا مطلقاً مكرّماً محبوراً ، وبين الخروج إلى أهله ، فإن اختار الخروج قدت إليه كذا وكذا ، وأعطيته كذا وكذا ، وإن اختار المقام أعطيته كذا وكذا ، وهذه توقيعات بذلك .

فأخذتها وصرت إلى من أزاح علّتي في الجميع ، وجئت إلى المطبق ، فطلبت الفتى ، فأخرج إليّ وهو كالشنّ البالي ، [١٥٢ غ] فعرّفته أمر أمير المؤمنين ، وعرضت عليه الحالين ، فاختار الخروج إلى أهله بالمدينة ، فسلّمت إليه الصّلة والحملان .

فلمّا جاء ليركب ويمضي ، قلت : بالّذي فرّج عنك ، هل تعلم ما دعا أمير المؤمنين إلى إطلاقك ؟

قال : إنّي والله ، كنت اللّيلة نائماً ، فرأيت النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، في منامي ، وقد أيقظني ، وقال : يا بنيّ ظلموك ؟

قلت : نعم ، يا رسول الله .

قال : قم ، فصلّ ركعتين ، وقل بعد الفراغ : يا سابق الفوت ، ويا سامع الصوت ، ويا ناشز العظام بعد الموت ، صلّ على محمّد وعلى آل محمّد ، واجعل لي من أمري فرجاً ومخرجاً ، إنّك تعلم ولا أعلم ، وتقدر ولا أقدر ، وأنت علّام الغيوب ، يا أرحم الرّاحمين .

قال : فقمت ، وصلّيت ، وجعلت أكرّر الكلمات ، حتّى دعوتني .

قال : فحمدت الله على توفيقي لمسألته ، وعدت إلى المهدي ، فحدّثته بالحديث .

فقال : صدّق والله ، لقد أتاني رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في النّوم ، فأمرني بإطلاقه .

وفي خبر آخر : لقد أتاني زنجيٌّ في فراشي ، بعمود حديد ، فقال لي : أطلق فلاناً العلوي الحسيني وإلّا قتلتك ، فانتبهت فزعاً ، فما جسرت على النّوم ، حتّى جئتني ، فأمرت بإطلاقه[1] .

---

١ لم يقتل المهديّ أحداً من العلويّين . وذكر الأصبهاني في مقاتل الطالبيّين (ص ٤٢٧) أنّه قتل واحداً من أتباع عيسى بن زيد العلوي . ثم أورد بعد ذلك ما يشكّك في صحة الخبر .

٢٠٦

المعتمد يطلق بريئين من حبسه لمنام رآه

[حدّثني أبو بكر محمّد بن يحيي الصولي ، فيما أجاز لي روايته عنه ، بعدما سمعته منه ، قال : حدّثني][1] أحمد بن يزيد المهلّبي[2] ، قال :

كنّا ليلة بين يدي المعتمد على الله ، فحمل عليه النّبيذ[3] [١١٧ م] فجعل يخفق برأسه نعاساً .

فقال : لا يبرحنّ أحد ، ثمّ نام مقدار نصف ساعة ، وانتبه ، وكأنّه ما شرب شيئاً .

فقال : أحضروا لي من الحبس رجلاً يعرف بمنصور الجمّال ، فأحضر .

فقال له : منذ كم أنتَ محبوس ؟

فقال : منذ ثلاث سنين .

قال : فأصدقني عن خبرك ؟

قال : أنا رجل من أهل الموصل ، كان لي جمل أعمل عليه وأعود بكرائه على عيلتي[4] ، فضاق الكسب عليّ بالموصل ، فقلت : أخرج إلى سرّ من رأى فإنّ العمل ثمّ أكثر ، فخرجت .

---

١ الزيادة من غ ، وفي م : حدّثنا الصولي .

٢ أحمد بن يزيد بن محمّد بن المهلّب المهلّبي : أديب ، نديم ، نادم المعتمد ، وكانت له حجرة في قصر المعتمد برسمه ، باعتباره نديماً ، وأبوه يزيد بن محمّد المهلّبي ، أديب ، شاعر ، راوية ، نادم المتوكّل ، والمنتصر ، والمعتزّ ، راجع الفهرست لابن النديم ٢٠٩ ، والأعلام ٩ / ٢٤٢ وتاريخ بغداد للخطيب ١٤ / ٣٤٨ والبصائر والذخائر م ٢ ق ١ ص ١٩٦ .

٣ حمل عليه النبيذ : قارب أن يصرعه السكر ، والبغداديّون الآن يقولون : فات عليه الشراب .

٤ عيلة الرجل وعائلته : أهل بيته الذين يعوّلهم .

فلمّا قربت منها ، إذا جماعة من الجند قد ظفروا بقوم يقطعون الطّريق ، وكتب صاحب البريد بعددهم ، وكانوا عشرة ، فأعطاهم واحد من العشرة مالاً على أن يطلقوه ، فأطلقوه وأخذوني مكانه ، وأخذوا جملي ، فسألتهم بالله عزّ وجلّ ، وعرّفتهم خبري ، فأبوا ، ثمّ حبسوني ، فمات بعض القوم ، وأطلق بعضهم ، وبقيت وحدي .

فقال المعتمد : أحضروني خمسمائة دينار ، فجاؤوه بها .

فقال : ادفعوها إليه ، وأجرى عليه ثلاثين ديناراً في كلّ شهر ، وقال : اجعلوا أمر جمالنا إليه .

ثمّ أقبل علينا ، فقال : رأيت السّاعة النّبي صلّى الله عليه وسلّم ، في النّوم ، فقال : يا أحمد ، وجّه السّاعة إلى الحبس ، وأخرج منصوراً الجمّال ، فإنّه مظلوم ، وأحسن إليه ، ففعلت ما رأيتم .

قال : ثمّ نام من وقته ، وانصرفنا[٥] .

ووقع إليّ هذا الخبر ، بطريق آخر ، بأتمّ من هذه الرواية ، [فحدّثني أبو محمّد الحسن بن محمّد الصلحي ، الّذي كان كاتب أبي بكر بن رائق ، ثمّ كتب لسيف الدولة ، ثمّ كان آخر تصرّف تصرّفه ، أن كتب للمطيع لله ، رحمه الله ، على ضياع الخدمة[٦] ، وخاصّ أمره ، في وزارة أبي محمّد المهلّبي لمعزّ الدولة[٧] ، قال : حدّثني أبو علي الأوارجي الكاتب ، قال : حدّثني أبو محمّد

---

٥ انفردت غ وم برواية هذه القصّة .

٦ ضياع الخدمة : الضياع التي تخصّص وارداتها للخليفة من أجل نفقاته ، وقد كان معزّ الدولة لما تسلّط على العراق ، أقام أوّل الأمر لنفقة المطيع ألفي درهم في كلّ يوم ، (تجارب الأمم ٢ / ٨٧) ثم حلف المطيع لمعزّ الدولة على الإخلاص وحسن النيّة فخصّص له ضياعاً غلّتها مائتا ألف دينار في السنة ، وسمّيت ضياع الخدمة (تجارب الأمم ٢ / ١٠٨) .

٧ في غ : في وزارة أبي محمّد المهلبيّ للمطيع لله ، والصحيح ما أثبتناه .

عبد الله بن حمدون النّديم][8] ، قال :

كان المعتمد مع سماحة أخلاقه ، وكثرة جوده وسخائه ، شديد العربدة على ندمائه إذا سكر[9] ، لا يكاد يسلم له من العربدة مجلس إلّا في الأقل ، فاشتهى يوماً [١٥٣ غ] [٩٠ ر] أن يصطبح على أترجّ ، فاتّخذ له منه شيء كثير ، مفرط العدد ، وعبّي ، وحزم بعضه ، فاصطبح عليه ، ولم يدع شيئاً من الخلع والصّلات والحملان[10] ، إلّا وعمله مع ندمائه في ذلك اليوم ، وخصّني منه بالكثير ، وكان كثير الشرب ، وكانت علامته إذا أراد أن ينهض جلساؤه ، أن يلتفت إلى سرير لطيف ، كان إذا جلس يستند إليه ، ويشيل[11] رجليه ، كأنّه يريد أن يصعد ، فيقوم جلساؤه[12] ، فإذا كان يريد النّوم صعده ، فنام ،

---

٨ الزيادة من غ .

٩ السكر : راجع التفصيل في آخر القصّة .

١٠ الحملان : هبة الخيل وكلّ ما يركب من الدوابّ .

١١ شال : فصيحة : رفع ، ما زالت مستعملة في العراق ، ويستعمل أعراب العراق ، هذه الكلمة عند الانتقال من موضع إلى آخر ، فيقولون : شال فلان إلى الموضع الفلاني ، لأنّه إذا انتقل ، شال (رفع) أثقاله ، وحملها معه ، وما زلت أذكر أغنية بغدادية سمعتها في صباي :

لا الله يـــرضي بهـــاي لا هيجـــي گالـــوا
بعـــده الجرح مـــا طـــاب حملـــوا وشالـــوا

يقول : لا الله يرضى بهذا ، ولا هكذا قالوا ، إنّ جرح قلبي لم يبرأ بعد ، فكيف انتقلوا وتركوني .

١٢ لكلّ واحد من الملوك السالفين ، والخلفاء ، والأمراء ، إشارة ، أو لفظة ، تكون بمثابة الإذن لجلسائه بالانصراف ، ومن جملة تلك الإشارات : التثاؤب ، أو إلقاء المروحة ، أو مدّ الساق ، أو التمطّي ، أو الاتّكاء ، أو رفع الساق إلى السرير (كما ترى في هذه القصّة) ، وأقدم ما بلغنا من ذلك عن ملوك الفرس من الإشارات والأقوال : أنّ إردشير ، كانت إشارته أن يتمطّى ، والأردوان الأصغر ، إذا جاءه الغلام بنعله ، وبشتاسف إذا دلّك عينيه ، وكذلك فيروز ، ويزدجرد الأثيم ، إذا قال : شب شد ، ومعناها : صار الليل ، وبهرام جور ، إذا رفع رأسه إلى السماء ، أو إذا قال : خرّم خفتار ، أو خرّم خوش باد ، ومعناها : نم مسروراً ، وكن مسروراً ، وقباذ ، إذا رفع رأسه إلى السماء ،

وإن لم يرد النوم ، ردّ رجله ، إذا قمنا ، وأتمّ شربه مع بعض خدمه ، أو حرمه .

فلمّا كان ذلك اليوم ، [جلسنا بحضرته نهارنا أجمع ، وقطعة من اللّيل ، ثمّ][13] ردّ رجله إلى السّرير في أوّل اللّيل ، فقمنا ، وانصرف الجلساء إلى حجرة مرسومة بهم ، وانصرفتُ إلى حجرة مرسومة بي من بينهم .

فلمّا انتصف اللّيل ، إذا بالخدم يدقّون باب حجرتي ، فانتبهتُ مرعوباً ، فقالوا : أجب أمير المؤمنين .

فقمت ، وقلت : إنّا لله وإنّا إليه راجعون ، مضى يومنا وبعض ليلتنا ، أحسن مضيّ ، وقدّرت أنّي أفلتُّ من عربدته ، فقد عنّ له أن يعربد عليّ ، فاستدعاني في هذا الوقت .

فأتيته وأنا في نهاية الجزع ، أفكّر كيف أشاغله عن العربدة ، إلى أن صرتُ بحضرته :

وسابور ، إذا قال : حسبك يا إنسان ، وأنوشروان ، إذا قال : قرّت أعينكم ، أو إذا مدّ رجليه ، وفي الإسلام ، كان الخليفة عمر بن الخطاب ، إذا قال : الصلاة ، قام سمّاره ، وعثمان ، إذا قال : العزّة لله ، ومعاوية ، إذا قال : ذهب الليل ، أو قال : العزّة لله ، وعبد الملك بن مروان ، إذا ألقى المخصرة من يده ، ومصعب بن الزبير ، إذا قال : إذا شئت فقم ، والوليد ، إذا ألقى المخصرة من يده أو إذا قال : أستودعكم الله ، وعمر بن هبيرة ، أمير العراق ، إذا دعا بالمنديل ، وأبو العباس السفّاح ، إذا تثاءب ، أو ألقى المروحة من يده ، والرشيد ، إذا قال : سبحانك اللهمّ وبحمده ، والمأمون ، إذا استلقى على فراشه ، أو إذا قال : برق يمان ، والمعتصم ، إذا نظر إلى صاحب النعل ، والواثق ، إذا مسّ عارضيه ، وكان القضاة إذا أرادوا أن يقوم جلساؤهم ، أغلقوا الدواة . وسئل أحد البخلاء ، وهو محمّد بن الجهم ، عن أمارته إذا أراد أن يقوم جلساؤه ، فقال : إذا قلت : يا غلام هات الطعام ، راجع التاج في أخلاق الملوك ١١٨ – ١٢٠ ومطالع البدور ١ / ١٨٤ ومحاضرات الأدباء ١ / ١٩٢ ووفيات الأعيان ٥ / ٣٦٤ والأغاني ١٨ / ٢٦٣ و ٢١ / ١٢١ والعقد الفريد ٢ / ٤٦١ و ٦ / ١٧٧ وحلبة الكميت للنواجي ٢٦ والمحاسن والمساوئ ١ / ١١٥ .

١٣ الزيادة من غ .

فلمّا رآني قائماً لم يستجلسني ، وقال لخادمه : عليّ بصاحب الشرطة السّاعة .

فمتّ جزعاً ، وقلت في نفسي وأنا واقف بين يديه : لم تجر عادته في العربدة باستدعاء صاحب الشرطة ، وما هذا إلّا لبليّة قد احتيل بها عليّ عنده .

فاقبلتُ أنظر إليه طمعاً في أن يفاتحني بكلمة ، فأداريه في الجواب ، وهو لا يرفع رأسه عن الأرض ، إلى أن جاء صاحب الشرطة ، فرفع رأسه إليه ، وقال له : في حبسك رجل يعرف بفلان بن فلان الجمّال ؟ وفي رواية : يعرف بمنصور الجمّال ؟

قال : نعم .

قال : أحضرنيه الساعة .

فمضى ليحضره ، فسهل عليّ الأمر قليلاً ، ووقفت ، وهو لا يخاطبني بشيء ، إلى أن أحضر الرّجل .

فقال له المعتمد : من أنت ؟

قال : أنا منصور بن فلان الجمّال .

قال : وما قصّتك ؟

قال : [١١٦ ظ] أنا مظلوم ، حبست منذ كذا وكذا سنة ، وأنا رجل من أهل الجبال ١٤ ، كان لي جمال أعيش من فضل أجرتها .

وكان يتقلّد بلدنا فلان العامل ، فاستدعي إلى الحضرة ، فأخذ جمالي غصباً يستعين بها في حمل متاعه ١٥ .

فتظلّمت إليه وصحت ، فلم ينفعني ذلك ، وقال : إذا صرتُ بالحضرة رددتها عليك .

---

١٤ الجبل ، أو الجبال : عراق العجم ، راجع حاشية القصّة ٦٥ من الكتاب .

١٥ في غ وم : حمل سواده .

فخرجت معه لئلا تذهب الجمال أصلاً ، فكنت مع جمالي أخدمها في الطّريق [١١٨ م] .

فلمّا قربنا من حلوان سلّ الأكراد منها جملاً محمّلاً ، فبلغه الخبر ، فأحضرني ، وقال : أنت سرقت الجمل بما عليه ، فقلت : غلمانك يعلمون أنّ الأكراد سلّوه .

فقال : الأكراد إنّما جاءوا بمواطأة منك ، ثمّ أمر بضربي ، وتقييدي ، وطرحي على بعض جمالي .

فلمّا وردنا الحضرة ، أنفذت إلى الحبس ، وأخذ الجمال ، ولم يكن لي متظلّم ، ولا مذكّر ولا متكلّم ، فطال حبسي ، وطالت بي المحنة إلى الآن .

فقال لبعض الخدم : امض السّاعة إلى فلان العامل ، واقعد على دماغه ، ولا تبرح ، أو يرد عليه جماله أو قيمتها على ما يريد ، فإذا قبض ذلك ، فاحمله إلى الخزانة ، واكسه كسوة حسنة ، وادفع إليه كذا وكذا ديناراً ، واصرفه مصاحباً .

ثمّ قال لصاحب الشرطة : في حبسك رجل يعرف بفلان بن فلان الحدّاد ؟ قال : نعم ، قال : أحضرنيه الساعة ، فأحضره .

فقال له : ما قصّتك ؟

قال : أنا رجل حبست بظلم ، أنا رجل من أهل الشّام ، وكانت لي نعمة فزالت ، فهربت من بلدي واتّصلت محنتي [١٥٥ غ] إلى أن وافيت الحضرة طلباً للتصرّف[16] ، فتعذّر عليّ حتّى كدت أتلف جوعاً .

فسألت عن عملٍ أعمله ليلاً لأتوفّر نهاراً على طلب التصرّف ، وأنفق في النّهار ما أكسبه ليلاً ، فأرشدت إلى حدّاد يعمل ليلاً ، فقصدته ، فاستأجرني

---

١٦ التصرّف : نسمّيه الآن العمل ، والتصريف : الاستخدام .

بدرهم في كلّ ليلة ، وكنت أعمل معه ، وكان معه غلام آخر يضرب بالمطرقة ، فأفسد ذلك الغلام على الحدّاد نعلاً كان [٩١ ر] يضربها ، فاغتاظ عليه ، ورماه بالنعل الحديد على قلّته[١٧] ، فتلف للوقت ، فهرب الحدّاد ، وبقيت أنا في الموضع متحيّراً لا أدري إلى أين أمضي ، وأحسّ الحارس في الحال بما رابه في الدكّان ، فهجم عليّ فوجدني قائماً ، والغلام ميّتاً فلم يشكّ أنّي القاتل ، فقبض عليّ ورفعني ، فحبست إلى الآن ، فقال لصاحب الشرطة : خلّ عنه .

وقال لخادم آخر : خذه فغيّر حاله ، وادفع إليه خمسمائة دينار ، ودعه ينصرف مصاحباً .

ثمّ رفع رأسه إليّ ، وقال : يا ابن حمدون ، الحمد لله الّذي وفّقني لهذا الفعل .

ففرّج عني ، فقلت : كيف تكلّف أمير المؤمنين النّظر في هذا [١٥٤ غ] بنفسه ، في مثل هذا الوقت ؟

فقال : ويحك إنّي رأيت في منامي رجلاً يقول لي : في حبسك رجلان مظلومان ، يقال لأحدهما : منصور الجمّال ، والآخر : فلان بن فلان الحدّاد ، فأطلقهما السّاعة وأحسن إليهما وأنصفهما ، فانتبهت مذعوراً ، ثمّ نمت .

فما استثقلت حتّى رأيت الشّخص بعينه ، يقول لي : ويلك آمرك أن تطلق رجلين مظلومين في حبسك ، قد طال مكثهما ، وأن تنصفهما وتحسن إليهما ، فلا تفعل ، وترجع تنام ؟ لقد هممت أن أوجعك ، فكاد يمدّ يده إليّ .

فقلت له : يا هذا من أنت ؟

فقال : أنا محمّد رسول الله ، فكأنّي قبّلت يده ، وقلت : يا رسول الله ، ما عرفتك ، ولو عرفتك ما تجاسرتُ على تأخير أمرك .

---

١٧ القلّة : أعلى الرأس ، وأعلى الجبل وكلّ شيء ، وقلّة السيف : قبيعته ، وأحسبه يعني بقلّة النعل الحديد ، حاشيته الدقيقة ، والبغداديّون يسمّون الحاشية الدقيقة : الگاز ، بالكاف الفارسيّة .

قال : قم ، فاعمل في أمرهما السّاعة ، بما أمرتك به ، فانتبهت مذعوراً ، فاستدعيتك لتشاهد ما يجري .

فقلت : هذه عناية من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بأمير المؤمنين ، واهتمام بما يصلح دينه ، ويثبّت ملكه ، ومنّة عظيمة عليه ، لله عزّ وجلّ ولرسوله صلّى الله عليه وسلّم .

فقال : امض فقد أزعجناك ، فعدت إلى حجرتي [١١٧ ظ] .

فلمّا كان من الغد عشيّاً ، دخلت إليه وهو جالس [للشّرب][١٨] على الرّسم فأحببت أن أعرّف الجلساء ما جرى البارحة ، ليسرّ هو بذلك ، وكنت أعرف من طبعه أنّه يحب الإطراء والمدح ، ونشر ما هذا سبيله ، فإنّه إذا عمل جميلاً أكثر من ذكره ، وتبجّح به ، وإن كان صغيراً .

فقلت له : إن رأى أمير المؤمنين أن يخبر خدمه ، بما كان من المعجزة البارحة ، وعناية رسول الله ، صلّى الله عليه وسلّم ، بخلافته .

فقال : وما ذاك ؟

فقلت : إحضاري البارحة ، وإحضار صاحب الشرطة ، والجمّال ، والحدّاد ، ورؤياه النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، وما أمره به فيهما ، وما تقدّم به إلى أمير المؤمنين من إنصافهما .

فقال : والله ما أذكر من هذا شيئاً ، وما كنتُ إلّا سكران ، نائماً طول ليلتي ، وما انتبهتُ .

فقلت : بلى يا سيّدي .

فتنكّر ، وقال : يا ابن حمدون قد صرتَ تغالطني [١١٩ م] وتخادعني بالكذب ؟

١٨ الزيادة من غ .

فقلت : أعيذ أمير المؤمنين بالله ، هذا أمر مشهور في الدّار عند الخدم الخاصّة وصاحب الشرطة نفسه ، وقصصت عليه القصّة ، وشرحتها .

فاستدعى الخدم ، فتحدّثوا بمثل ما ذكرته ، فأظهر تعجّباً شديداً ، وحلف بالله العظيم ، وبالبراءة من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وبالنّفي من العبّاس ، أنّه لا يذكر شيئاً من ذلك ، ولا يعلم إلّا أنّه كان نائماً ، ولا رأى مناماً ، ولا انتبه ، ولا جلس ، ولا استدعى أحداً ، ولا أمر بأمر .

فما رأيت أعجب من هذا المنام والحال ، ولا أطرف من هذا الاتّفاق في نسيانه بعد ذلك[19] .

ووجدت في خبر آخر ، قريب من هذا ، ولا يذكر فيه حديث الأترجّ ، وذكر فيه أنّ اسم الجمّال ، كان نصراً ، وأنّه كان من نهاوند[20] ، وله جمال يكريها ، وأنّ صاحب المعونة[21] ، اكترى منه عشرين جملاً ، وحمل عليها عشرين رجلاً من الأكراد أسرى ، ليحملهم إلى الحضرة ، فسار الجمّال معهم ، فهرب منهم في بعض الطريق ، واحدٌ ، فوقع لصاحب المعونة أنّ نصراً الجمّال هرّبه ، فقيّده ، وحمله مكانه ، فلمّا دخلوا الحضرة ، أنفذ الجمّال مع القوم ، إلى الحبس ، وأخذ صاحب المعونة جماله .

---

١٩ نقلها باختصار صاحب حلّ العقال ص ٤٨ .

٢٠ نهاوند : مدينة من مدن الجبل ، عظيمة ، جنوبي همذان ، قال ياقوت في معجمه ٤ / ٨٢٧ : كانت نهاوند من فتوح أهل الكوفة ، والدينور من فتوح أهل البصرة ، فلما كثر الناس بالكوفة ، واحتاجوا إلى ارتياد موضع من النواحي التي صولح على خراجها ، صيّرت لهم الدينور ، وعوّض أهل البصرة ، نهاوند ، فسمّيت نهاوند : ماه البصرة ، والدينور : ماه الكوفة ، وتسمّى نهاوند كذلك ماه دينار ، راجع معجم البلدان ٤ / ٤٠٦ .

٢١ صاحب المعونة ، أو والي المعونة : الشخص المرتّب لتقويم أمور العامّة .

السكــر

السُكْر ، في اللغة : حالة تعترض بين المرء وعقله (المنجد) ، والسكر من الخمر عند أبي حنيفة ، أن لا يعلم الأرض من السماء ، وعند الشافعي وأبي يوسف ومحمّد ، أن يختلط كلامه ، وعند آخرين ، أن يختلط في مشيته إذا تحرّك (التعريفات ٨١) .

والسكر موجب للحدّ ، أي العقوبة المقرّرة ، ويعتبر حقاً من حقوق الله تعالى (التعريفات ٥٧) ، وقد جلد رسول الله صلوات الله عليه في الخمر أربعين جلدة ، وكذلك فعل أبو بكر الصدّيق ، أما الفاروق عمر ، فجلد ولده عبد الرحمن ، حدّ الخمر ، ثمانين جلدة ، وأقيم الحدّ في عهد عثمان على الوليد بن عقبة ، أمير العراق ، وأخي عثمان لأمّه ، فجلد أربعين جلدة (ابن الأثير ٣ / ١٠٧ ومروج الذهب للمسعودي ١ / ٥٣٣ ، ٥٤٦) .

أما في عهد الأمويّين ، فإنّ يزيد بن معاوية كان يدمن شرب الخمر ، فلا يمسي إلاّ سكران ، ولا يصبح إلاّ مخموراً ، وكان عبد الملك يسكر في كلّ شهر مرة ، حتى لا يعقل في السماء هو أو في الماء ، وكان الوليد بن عبد الملك يشرب يوماً ، ويدع يوماً ، وكان سليمان ابن عبد الملك ، يشرب في كل ثلاث ليال ليلة ، وكان هشام يسكر في كلّ جمعة ، وكان يزيد بن عبد الملك والوليد بن يزيد يدمنان الشرب واللهو ، وكان مروان بن محمّد يشرب ليلة الثلاثاء وليلة السبت .

أمّا العباسيّون ، فقد كان أبو العباس السفاح يشرب عشية الثلاثاء وحدها ، وكان المهدي ، والهادي يشربان يوماً ، ويدعان يوماً ، وكان الرشيد يشرب في كلّ جمعة مرّتين ، وكان المأمون في أوّل أيّامه يشرب الثلاثاء والجمعة ، ثم أدمن الشراب عند خروجه إلى الشام في السنة ٢١٥ إلى أن توفّي ، وكان المعتصم لا يشرب يوم الخميس ولا يوم الجمعة ، وكان الواثق ربما أدمن الشراب وتابعه ، غير أنّه لم يكن يشرب ليلة الجمعة ، ولا في يومها (التاج في أخلاق الملوك ١٥١ – ١٥٣) .

أقول : الذي قرأته في الأغاني ٦ / ٧٧ أنّ هشام بن عبد الملك لم يكن يشرب ، ولا يسقي أحداً بحضرته مسكراً ، وكان ينكر ذلك ويعاقب عليه ، وأنّ أبا جعفر المنصور لم يكن يشرب غير الماء (التاج ٣٣ ومحاضرات الأدباء ٢ / ٦٩٤)، وكان المهدي لا يشرب

(الأغاني ٥ / ١٦٠) لا تحرّجاً ولكن كان لا يشتهيه (الطبري ٨ / ١٦٠) ، وأنّ موسى الهادي وهارون الرشيد كانا مستهترين بالنبيذ (نهاية الأرب ٤ / ٣٣٠) ، وأنّ الأمين كان لا يبالي مع من قعد ولا أين قعد (التاج ٤٢) ، أمّا المتوكّل ، فكان منهمكاً في اللذّات والشراب (تاريخ الخلفاء ٣٤٩) وكان يعربد على جلسائه إذا سكر (الطبري ٩ / ١٦٧) أمّا المهتدي ، محمّد بن الواثق ، فقد كان زاهداً ورعاً (تاريخ الخلفاء ٣٦١) ، وكان المعتمد منهمكاً في اللهو واللذّات (تاريخ الخلفاء ٣٦٣) وكان المقتدر مؤثراً للشهوات والشراب (تاريخ الخلفاء ٣٨٤) أمّا القاهر فكان لا يصحو من السكر (تاريخ الخلفاء ٣٨٦) أما المقتفي فلم يشرب النبيذ قط (تاريخ الخلفاء ٣٩٤) وكذلك القادر بالله (تاريخ الخلفاء ٤١٢) والقائم ابنه (تاريخ الخلفاء ٤١٧) والمقتدي حفيد القائم (تاريخ الخلفاء ٤٢٣) .

أما بشأن رجال الدولة ، فقد ذكر أنّ الفضل بن يحيى البرمكي ، لم يكن يشرب الخمر ، وعتب عليه الرشيد ، وثقل عليه مكانه لتركه الشرب معه ، وكان الفضل يقول : لو علمت أنّ الماء ينقص من مروءتي ما شربته (الطبري ٨ / ٢٩٣) ، وكان سيف الدولة الحمداني لا يشرب النبيذ (الملح للحصري ٢٦٦) ، وكذلك كان سيف الدولة الأسدي صدقة بن دبيس ، فإنّه لم يشرب مسكراً (المنتظم ٩ / ١٥٩) .

٢٠٧

أبو بكر المادرائي يولّي عاملاً

وهو على صهوة جواده

وحدّثني أبو محمّد الصلحي[١] ، قال : حدّثني أبو بكر محمّد بن علي المادرائي بمصر ، [وكان شيخاً جليلاً ، عظيم الحال والنعمة والجاه ، قديم الرياسة والولايات الكبار للأعمال ، وقد وزّر لخمارويه بن أحمد بن طولون ، وتقلّد مصر مرّات ، وعاش ستّاً وتسعين سنة][٢] ، [ومات في سنة نيف وأربعين وثلثمائة][٣] ، قال :

كنت أكتب لخمارويه بن أحمد بن طولون[٤] ، في حداثتي ، فركبتني الأشغال [٩٢ ر] وقطعني [ترادف الأعمال][٢] ، عن تصفّح أحوال المتعطّلين .

وكان ببابي شيخ من شيوخ الكتّاب قد طالت عطلته ، وقد غفلت عن تصريفه .

---

١ أبو محمّد الحسن بن محمّد بن أبي محمّد الصلحي : نسبته إلى فم الصلح ، بلدة على دجلة بأعلى واسط ، بينهما خمسة فراسخ (معجم البلدان ٣ / ٩١٧ والأنساب للسمعانيّ ٣٥٤) كان أبو محمّد الحسن يكتب لابن رائق ، لما كان أميراً للأمراء ببغداد (القصّة ٥ / ٣٧ من نشوار المحاضرة) ثم انتقل إلى كتبة ناصر الدولة الحمدانيّ ، وقد ذكر قصّة هروبه من بغداد مع ناصر الدولة ، لما احتلّ معزّ الدولة بغداد (المنتظم ٦ / ٣٤٩) ثم انصرف إلى خدمة الأمير سيف الدولة الحمدانيّ في حلب (القصّة ٣ / ١٢١ من نشوار المحاضرة) ثم كان آخر تصرّف تصرّفه أن كتب للمطيع على ضياعه وخاصّ أمره (القصّة ٢٠٦ من هذا الكتاب) .

٢ الزيادة من م وغ .

٣ الزيادة من غ .

٤ أبو الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون (٢٥٠ – ٢٨٢) : من ملوك الدولة الطولونية بمصر ، وليها بعد وفاة أبيه ، سنة ٢٧٠ ، وكان شجاعاً ، حازماً ، ملك من الفرات إلى بلاد النوبة ، وتزوّج المعتضد ابنته قطر الندى ، ولد بسامراء ، وقتله غلمانه بدمشق (الأعلام ٢ / ٣٧٠) .

فرأيت ليلة في منامي ، أبي ، وكأنّه يقول لي : ويحك يا بنيّ أما تستحي من الله ، أن تتشاغل بأعمالك والنّاس ببابك يتلفون ضرّاً وهزالاً ؟ هوذا فلان ، شيخ من شيوخ الكتّاب ، قد أفضى أمره إلى أن تقطّع سراويله° ، فما أمكنه أن يشتري بدله ، أحبّ أن لا تغفل أمره أكثر من هذا .

فانتبهت متعجّباً ، واعتقدت الإحسان إلى الشيخ من غدٍ ، ونمتُ ، فأصبحت وقد أنسيت أمره .

فركبت إلى دار خمارويه بن أحمد ، فإنّي لأسير إذ تراءى لي الشّيخ على دويبة له ضعيفة ، فأهوى ليترجّل لي ، فانكشف فخذه ، فإذا هو لابس خفّاً بلا سراويل .

فحين وقعت عيني على ذلك ، ذكرتُ المنام ، فقامت قيامتي [١٢٠ م] ، فوقفت في موضعي ، واستدعيته ، فقلت له : يا هذا ، ما حلّ لك ما صنعت بنفسك من تركك إذكاري بأمرك ، أما كان في الدنيا من يوصل لك رقعة ، أو يخاطب في أمرك ؟ الآن قد قلّدتك الناحية الفلانية ، ورزقتك رزقها وهو في كلّ شهر مائتا دينار ، وأطلقت لك من خزانتي ألف دينار معونة ، وأمرت لك من الثياب والحملان بكذا وكذا ، فاقبض ذلك واخرج ، فإن حسن أثرك في عملك ، زدتك ، وفعلت بك وصنعتُ .

وضممت إليه من يتنجّز له ذلك .

---

٥ السراويل : أعجمية ، مؤنّثة ، مفرد ، والجمع : سراويلات (التلخيص للعسكري ٢١٤/١ ولسان العرب ، مادة : سربل) ، قال المتنبّي [ديوان المتنبّي ، شرح الواحدي ٢٧٨] :

إنّي على شغفي بما في خمرها لأعفّ عمّا في سراويلاتها

والبغداديّون يسمّون السراويل (الداخليّة) : لباس ، وجمعها : لبسان ، أما السراويل الخارجيّة ، فيسمّونها : بنطلون ، افرنسية ، وجمعها : بنطلونات .

٢٠٨

أدرِك أبا محمّد الأزرق الأنباري

حدّثني أبو الحسن أحمد بن يوسف الأزرق بن يعقوب بن إسحاق بن البهلول الأنباري التنوخي ، قال :

خرج أخي أبو محمّد الحسن بن يوسف ، يقصد أخانا أبا يعقوب إسحاق ابن يوسف وهو حينئذ بمصر ، ومعه زوجة كانت لأبي يعقوب إسحاق ببغداد ، وبنيّة له منها ، ومضى .

فلمّا عاد حدّثني [١١٨ ظ] أنّه سلك في قافلة كبيرة ، من هيت[١] على طريق السماوة[٢] ، يريد دمشق[٣] ، قال : فلمّا حصلنا في أعماق السماوة ، أخفرتنا[٤] خفراؤنا ، وجاء قوم من الأعراب ، فظاهروهم علينا ، وأظهروا أنّهم من غيرهم ، وقطعوا علينا ، فاستاقوا ركائبنا ، فبقيت أنا والنّاس مطرّحين على الماء الّذي كنّا نزلنا عليه بلا جمل ، ولا زاد ، ولا دليل ، فأيسنا من الحياة .

فقلت للناس : إنّ الموت لا بدّ منه على كلّ حال ، أقمنا في أماكننا أم

---

١ هيت : قال ياقوت في معجمه ٤ / ٩٩٧ إنّها بلدة على الفرات من نواحي بغداد ، فوق الأنبار ، ذات نخل كثير ، وخيرات واسعة ، وهي مجاورة للبرية ، وفيها قبر عبد الله بن المبارك .

٢ السماوة : البادية التي بين الكوفة والشام (معجم البلدان ٣ / ١٣١) أقول : وتسمّى : بادية كلب أيضاً ، لأنّ قبيلة كلب تعمرها ، ويسمّيها العراقيون اليوم : بادية الشام .

٣ دمشق : قال ياقوت في معجمه ٢ / ٥٨٧ إنّها قصبة الشام ، وجنّة الأرض بلا خلاف ، لم توصف الجنّة بشيء ، إلاّ وفي دمشق منه ، فتحها المسلمون سنة ١٤ (٦٣٩ م) ، وفي المنجد : هي الآن عاصمة سوريا ، بنيت منذ ٥٠٠٠ سنة ، فهي أقدم مدن العالم ، سكنها الآراميون ، وفتحها الأشوريون ، والبابليون ، والفرس ، واليونان ، والرومان ، والعرب ، واتّخذها الأمويون عاصمة لهم ، وأحرقها تيمورلنك ، وهي محور تجاري بين الشرق والغرب .

٤ أخفر : غدر .

سرنا ، فلأن نسير في [١٥٦ غ] طلب الخلاص فلعلّ الله أن يرحمنا ويخلّصنا ، أولى من أن نموت هاهنا ، وإن متنا في سيرنا كان أعذر .

فساعدوني ، وسرنا يومنا وليلتنا ، وأنا أحمل الصبيّة ابنة أخي ، لأنّ أمّها عجزت عن حملها ، وكلّما طال علينا الطّريق ، ولم نر إنساناً ولا محجّة[٥] ، أحسسنا بالهلاك ، ومات منّا قوم ، وأنا خلال ذلك ، قد بدأت بقراءة ختمة ، وأنا متشاغل بها ، وبالدّعاء .

إلى أن وقعنا في اليوم الثّاني ، على حلّة[٦] أعراب ، فأنكرونا ، فلم أعمل عملاً ، حتّى ولجت بيت امرأة منهم ، فأمسكت ذيلها ، وكنت سمعت أنّ الإنسان إذا عمل ذلك أمن شرّهم ، ووجب حقّه عليهم ، ثمّ تفرّقنا في البيوت .

واختلفت أحوال النّاس ، فأمّا أنا ، فإنّ صاحب البيت الّذي نزلت عليه ، لما رأى هيبتي ودرسي للقرآن ، أكرمني ، ولم أزل أحادثه وأرفق به .

فقال لي : ما تشاء ؟

فقلت : تركبني وهذه المرأة ، وهذه الصبيّة ، راحلة ، وتسير معنا إلى دمشق على راحلة أخرى ، بزادٍ وماءٍ ، حتّى أعطيك ثمن راحلتك وأهبها لك ، وأقضي حقّك بعد هذا .

قال : فتذمّم[٧] واستحيا ، وقدّرت أنّي إذا دخلت دمشق ، وجدت بها

---

٥ المحجّة : الطريق .

٦ الحلّة ، بكسر الحاء ، وجمعها حلل وحلال : مجمع القوم النزول فيهم كثرة ، أقول : إذا كانت بيوت القوم النزول من القصب ، فهي حلل ، واحدتها حلّة ، فإن كانت من السعف ، فهي صرائف ، واحدتها : صريفة ، فإن كانت من الشعر ، فهي أخبية ، واحدها : خباء ، ومن شهيرات الحلل ، الحلّة ، المدينة المعروفة في العراق ، فقد كانت من قبل تضمّ حلل عساكر الأمير دبيس المزيدي الأسدي ، ملك العرب ، وهي إلى الآن تسمّى : حلّة دبيس .

٧ تذمّم : استحيا .

من أصدقاء أخي ، من آخذ منه ما أريد .

فكساني الأعرابي ، وكسا المرأة والصبيّة ، ووطّأ لي راحلة[8] ، وحمل معنا من الماء والزّاد كفايتنا ، وركب هو راحلة أخرى ، وكان أكثر من وصل معنا [٩٣ ر] إلى ذلك الموضع ، قد تأتّى له مثل ما تأتّى لي ، فصرنا رفقة صالحة العدد .

فلمّا كان بعد أيّام ، شارفنا دمشق مع طلوع الشمس ، فإذا بأهلها قد خرجوا يستقبلوننا ، وكلّ من له صديق أو معرفة ، يسأل عنه ، وقد بلغهم خبر القطع ، فما شعرت إلّا بإنسان يسأل عنّي ، بكنيتي ونسبي .

فقلت : ها أناذا .

فعدل إليّ ، وقال : أنت أبو محمّد الأزرق الأنباري ؟

فقلت : نعم .

فقال : إليّ ، وأخذ بخطام[9] راحلتي ، وتبعني الأعرابي براحلته ، حتّى دخلنا مع الرّجل دمشق .

فجاء بنا الرّجل ، إلى دار حسنة سريّة[10] ، تدلّ على نعمة حسنة ، فأنزلنا ، ولم أشكّ أنّه صديق لأخي .

فنزلت ، وأنزلت الأعرابي معي ، وأخذت جمالنا ، وأدخلنا الحمّام [١٢١ م] وألبست خلعة[11] نظيفة ، وفعل بالمرأة والصبيّة مثل ذلك ، وأقمت عنده يومين في خفض عيش ، لا أسأله عن شيء ، ولا يسألني .

---

٨ الرّاحلة من الإبل : ما كان منها قوياً على الحمل والسفر .

٩ الخطم : الأنف ، والخطام ، بكسر الخاء ، والجمع خطم : كلّ ما وضع في أنف البعير ليقاد به .

١٠ السريّ : الجيّد من كلّ شيء .

١١ الخلعة ، بكسر الخاء : الثوب الذي يعطى منحة ، وفي أيّامنا ، كان من المتعارف في بغداد ، إذا عمّر الإنسان داراً ، فإنّ عليه أن يمنح البنّاء الذي قام بالعمل خلعة ، وتكون عادة من الثياب الغالية ، سواء كان الثوب مخيطاً أو غير مخيط وقد درست هذه العادة الآن .

فلمّا كان في اليوم الثالث ، قال : ما صورة هذا الأعرابي معك ؟ فأخبرته بما أخذنا منه .

فقال لي : خذ ما تريد من المال .

فقلت : أريد كذا وكذا ديناراً ، فأعطاني ذلك ، فدفعته إلى الأعرابي ، وسلّمت إليه جمليه .

وسألت الرّجل أن يزوّده زاداً كثيراً [لا يكون مثله في البادية ، فأخرج له شيئاً كثيراً][12] ، وخرج الأعرابيّ شاكراً .

فقال لي الرّجل : إلى أين تريد من البلاد ، وكم يكفيك من النفقة ؟

فلمّا قال لي ذلك ، ارتبت به ، وقلت : لو كان هذا من أصدقاء أخي الّذين كاتبهم بتفقّدي ، لكان يعرف مقصدي .

فقلت له : كم كاتبك أخي أن تدفع إليّ[13] ؟

قال : ومن أخوك ؟

قلت : أبو يعقوب الأزرق الأنباري ، الكاتب بمصر .

فقال : والله ، ما سمعت بهذا الاسم قط ، ولا أعرفه .

فورد عليّ أعجب مورد ، وقلت له : يا هذا ، إنّي ظننتك صديقاً لأخي ، وأنّ ما عاملتني به من الجميل من أجله ، فانبسطتُ إليك بالطّلب ، ولو لم أعتقد هذا لانقبضت [١١٨ ظ][14] فما السبب فيما عاملتني به ؟

فقال : أمر هو أوكد من أمر أخيك ، يجب أن يكون انبساطك إليه أتمّ .

فقلت : ما هو ؟ .

قال : إنّ خبر الوقعة بالقافلة الّتي كنت فيها ، بلغنا في يوم كذا وكذا ،

---

١٢ في ظ : ففعل ، والزيادة من م وغ .

١٣ في م : أن تعطيني .

١٤ يلاحظ أنّ هذا الرقم قد تكرّر في مخطوطة ظ .

فما بقي كبير أحد بدمشق ، إلّا وردت عليه مصيبة عظيمة ، إمّا بذهاب [١٥٧ غ] مال ، أو بغمّ على صديق ، غيري ، فإنّي لم يكن لي شيء من ذلك يتعلّق قلبي به ، واتّعد النّاس للخروج ، لتلقّي المنقطعين ، وإصلاح أحوالهم ، ولم أعزم أنا .

فلمّا كان في اللّيل ، رأيت النّبي صلّى الله عليه وسلّم في النّوم ، وهو يقول لي : أدرك أبا محمّد الأزرق الأنباري ، وأغثه ، وأصلح شأنه بما يبلغه مقصده ، فلمّا أصبحتُ ، خرجتُ مع النّاس ، فسألت عنك ، فكان ما رأيت ، والآن اذكر ما تريده .

فبكيت بكاء شديداً ، لم أقدر معه على خطابه مدّة ، ثمّ نظرت إلى ما يبلغني مصر ، فطلبته منه ، فأخذته ، وأصلحت أمري ، وسألت الرّجل عن اسمه ، فقال : أنا فلان بن فلان الصابوني [ذكره أبو محمّد ، وأنسيه أبو الحسن][15] .

قال : فلمّا بلغت إلى مصر ، حدّثت أخي بالحديث ، فعجب منه ، وبكى .

قال أبو الحسن : وضرب الدّهر ضربه ، وورد أبو يعقوب أخي إلى بغداد بعد سنين ، فتذاكرنا هذا الحديث .

فقال أخي : لما عرّفني أخي أبو محمّد ، ما عامله به ابن الصابوني الدمشقي هذا ، جعلته صديقاً لي ، فكنت أكاتبه .

فلمّا وردت إلى دمشق ، وجدت حاله قد اختلّت ، لمحن لحقته ، فوهبت له ضيعتي بدمشق ، وكانت جليلة الغلّة والقيمة ، فسلّمتها إليه ، مكافأة لما عامل به أبا محمّد أخي .

---

١٥ الزيادة من غ .

٢٠٩

اعتقلهم الوزير ابن الزيّات وأطلقوا لموت الواثق

[قال محمّد بن عبدوس ، في كتاب الوزراء ، حدّثني الحسين بن عليّ الباقطاني[١] ، قال : حدّثني أبي ، قال : قال لي أحمد بن المدبّر :][٢]

لما أمر محمّد بن عبد الملك[٣] بحبسي ، أدخلت محبساً فيه [٩٤ ر] أحمد بن إسرائيل ، وسليمان بن وهب ، وهما يطالبان[٤] ، فجعلت في بيت ثالث ، فكنّا نتحدّث ونأكل جميعاً ، وربّما أدخل إلينا النّبيذ[٥] ، فنشرب .

وكان أحمد بن إسرائيل شديد الجبن ، وكان ينكر علينا ، ويمنعنا أن نتحدّث بشيء ، أو نرجو لأنفسنا .

فجاءني يوماً سليمان بن وهب ، فقال لي : رأيت البارحة في نومي ، كأنّ قائلاً يقول لي : يموت الواثق إلى ثلاثين يوماً ، فقم بنا إلى أبي جعفر نحدّثه .

فقلت : والله ، إن سمع بهذا أبو جعفر ، ليشقّنّ ثوبه ، وليسدّنّ أذنه خوفاً .

---

١ قال ياقوت في معجم البلدان ١ / ٤٧٦ : باقطايا ، ويقال : باقطيا ، من قرى بغداد ، على ثلاثة فراسخ من ناحية قطربّل ، ينسب إليها الحسين بن عليّ ، الكاتب الأديب ، ذكرته في معجم الأدباء ، وقال في معجم الأدباء ١ / ٢٧٢ : قال الحسين بن عليّ الباقطاني : شاورت أبا الصقر قبل وزارته في أمر لي ، فعرّفني الصواب فيه ، فقلت له : أنت – أيّدك الله – كما قال إبراهيم بن العباس الصولي في هذا المعنى :

أتيتك شتّى الرأي لابس حيرة   فسدّدتني حتى رأيت العواقبا
على حين ألقى الرأي دوني حجابه   فجبت الخطوب واعتسفت المذاهبا

٢ كذا في غ ، وفي ظ : وحدّثني الباقطاني ، عن أحمد بن المدبّر ، وفي م : قال أحمد بن مدبر .

٣ محمّد بن عبد الملك الزيات وزير المعتصم والواثق والمتوكّل .

٤ كان ذلك في السنة ٢٢٩ ، راجع تجارب الأمم ٦ / ٥٢٧ والطبري ٩ / ١٢٥ وابن الأثير ٧ / ١٠ .

٥ النبيذ : راجع البحث في آخر القصّة .

فقال لي : قم على كلّ حال ، فقمنا فدخلنا عليه ، فأخبره سليمان بما رأى .

فقال له : يا هذا ، أنت أجسر النّاس ، وأشدّهم جناية[6] على نفسك وعلينا ، إنّما تريد أن يسمع هذا فنقتل .

فقال له : فتكتب هذه الرؤيا عندك ، لتمتحن صدقها .

فنفر ، وقال : أنا لا أكتب مثل هذا ، فكتبته أنا في رقعة صغيرة [١٢٢ م] .

فلمّا كان يوم الثلاثين ، دخل عليّ أحمد بن إسرائيل فقال لي : يا أبا الحسن ، هذا يوم الثلاثين ، فأخرجت الرقعة ، فإذا هو قد حفظ اليوم ، ومضى يومنا إلى آخره .

فلمّا كان اللّيل ، لم نشعر إلّا والباب يدقّ دقّاً شديداً ، [وصاح بنا صائح : البشرى ، قد مات الواثق[7] ، اخرجوا][8] ،

فقال أحمد بن إسرائيل : قوموا بنا ، فقد حقّق الله الرؤيا ، وأتانا بالفرج ، وصدقت الرؤيا .

فقال سليمان بن وهب : كيف نمشي مع بُعدِ منازلنا ؟ ولكن نوجّه من يجيئنا بما نركب .

فاغتاظ أحمد بن إسرائيل ، وقال : نعم ، نقعد ، حتّى يجلس خليفة آخر ، فيقال له : إنّ في الحبس جماعة من الكتّاب عليهم أموال ، فيأمر بالتوثّق منّا ، إلى أن ينظر في أمرنا ، قم عافاك الله ، حتّى نمرّ .

فخرج ، وخرجنا على أثره .

فقبل أن نخرج من باب الهاروني ، سمعنا رجلين يقول أحدهما للآخر : سأل الخليفة جعفر المتوكّل عمّن في الحبس ، فقيل : فيه جماعة من الكتّاب ،

---

٦ في غ : وأشدّهم بحثاً .

٧ توفّي الواثق في السنة ٢٣٢ (الطبري ٩ / ١٥٠ وابن الأثير ٧ / ٢٩) .

٨ الزيادة من غ ، وم .

فقال : يكونون فيه إلى أن ننظر في أمورهم .

فجددنا في المشي وقصدنا غير منازلنا ، واستترنا .

وبحثنا عن الأخبار ، فبلغنا إقرار الخليفة محمّد بن عبد الملك ، فكتبت إليه رقعة عن جماعتنا ، نعرّفه خبرنا [١٥٨ غ] ، واتّساع آمالنا فيه ، ونستأذنه فيما نعمل .

فلمّا وصلت إليه الرّقعة ، وقّع على ظهرها : لم استخفيتم ؟ وليس منكم إلّا من عنايتي تخصّه ، [١١٩ ظ] ورأيي فيه جميل ، أما أبو أيّوب فقد تكلّم في حقّه أبو منصور إيتاخ ، واستوهبه ، فوهب له ، وأمرت باحضاره ليخلع عليه ، فليحضر ، وأما أبو جعفر فإنّه طولب بما لا يلزمه ، وقد وضحت حجّته في بطلانه ، فليصر إليّ ، وأمّا أبو الحسن فإنّه قذف بباطل ، فاظهروا جميعاً ، واثقين بما عندي من حياطتكم ورعايتكم .

فصرنا إليه جميعاً ، وزال عنّا ما كنّا فيه ، فخلع على سليمان خاصة[٩] .

---

٩ في القصّة رقم ١٦٤ ب من هذا الكتاب ، تفصيل لما صنعه السيّد العربيّ النبيل ، قاضي القضاة أحمد ابن أبي دؤاد ، من أجل هؤلاء الكتّاب ، وسعيه في اطلاقهم ، وردّ بعض ما صودر منهم إليهم .

النبيذ

النبيذ : الخمر المعتصر من التمر ، أو العنب ، أو العسل ، وسمي نبيذاً ، لأنّ الذي يتّخذه يأخذ تمراً أو زبيباً ، فيلقيه في وعاء ويصبّ عليه الماء ، وينبذه حتى يفور ، ويصير مسكراً ، والمطبوخ منه هو الذي يعرض على النار ، وخير أنواع النبيذ هو القطربّلي ، من نتاج قطربّل إحدى ضواحي بغداد ، وهي مشهورة بخمرها (معجم البلدان ٤ / ١٣٣) .

وللاطّلاع على أنواع النبيذ راجع ما كتبه أبو الحسن علي بن أبي الحزم القرشيّ المتطبّب المعروف بابن النفيس في مطالع البدور ١ / ١٤٠ ، ولزيادة التفصيل راجع كتاب الأشربة لابن قتيبة .

وممّا يلاحظ أنّ العراقيين كانوا لا يرون بشرب النبيذ بأساً ، أمّا الآن فهم يرون حرمته ، والقليل منهم من يشربه ، وقد كان عند أهل العراق لشرب النبيذ آيين ، وصفه القاضي التنوخي في القصّة ٨ / ١٠٩ من كتاب نشوار المحاضرة ، فيما يتعلّق بترتيب مجلس الشراب ، وما فيه من تماثيل العنبر ، وأجاجين ماء الورد ، والصواني ، والمغاسل ، والمراكن ، والخرداذيات ، والمدافات التي تشتمل على الأنبذة ، وكيف يختار النبيذ ، ومن يختاره ، وكيف يتمّ السقي ، ومن يكون الساقي .

وفي القصّة ٣ / ٦٩ أورد التنوخي قصّة أشار فيها إلى آيين المنادمة الذي يفرض على النديم أن يقبّل يد الملك أوّلاً ، ثم يقبّل القدح ثانياً ، ويشرب ، وإذا قدّم للملك شراباً ، أو مأكلاً ، فإنّ عليه أن يتناول منه قبل الملك .

كما أورد التنوخي في نشواره وصفاً لأحد مجالس شرب المقتدر (القصّة ١ / ١٥٨) ولأحد مجالس شرب الراضي (القصّة ١ / ١٥٩) ولأحد مجالس شرب المتوكّل (القصّة ١ / ١٦٢) ولأحد مجالس شرب عضد الدولة (القصّة ٤ / ٤٤) ولأحد مجالس شرب أبي القاسم البريديّ (القصّة ١ / ١٦٤) ولأحد مجالس شرب الوزير المهلّبي ، وزير معزّ الدولة (القصّة ١ / ١٦٣) ، وفي معجم الأدباء ٥ / ٣٣٤ وصف لمجلس من مجالس شرب الوزير المهلّبي ، كان يجتمع فيها بأصحابه من شيوخ القضاة ، في كلّ أسبوع مرّتين ، فيلبسون المصبّغات ، ويوضع أمام كلّ واحد منهم طاس من الذهب وزنه ألف مثقال ،

مملوء شراباً قطربّلياً عكبرياً ، فيشربون ، ويطربون ، ويرقصون ، وإلى هذا المجلس أشار السريّ الرفّاء في قوله (ديوان السريّ الرفّاء ٢٤٦) :

إذا سقى الله منزلاً فسقى ... بغداد ما حاولت من الديم
يا حبّذا صحبة العلوم بها ... والعيش بين اليسار والعدم
كيف خلاصي من العراق وقد ... أثرت فيها معادن الكرم
رأيت فيها خلاعة وصلت ... أطرافها بالعلوم والحكم
مجالس يرقص القضاة بها ... إذا انتشوا في مخانق البرم
كأنّهم من ملوك حمير ما ... أوفت أكاليلهم على اللمم
وصاحبٍ يخلط المجون لنا ... بشيمة حلوة من الشيم
تخضب بالراح شيبه عبثاً ... أنامل مثل حمرة العنم

راجع في كتاب مطالع البدور ما ورد في الراح ، وفي آنيتها ، واستعمالها ، وما يجب على شاربيها ، ومستهديها ، ووصّافها ، والمتنادمين عليها ، ومسامراتهم ، وغنائهم ١ / ١٢٨ – ٢٢٩ .

ومن أراد التوسّع في الاطّلاع على مجالس شرب الخلفاء والأمراء والشعراء ، فعليه بكتاب الديارات للشابشتي تحقيق كوركيس عواد ، وكتاب قطب السرور في أوصاف الخمور للرقيق النديم ، فهما جامعان للكثير من هذه الأخبار ، وفي العقد الفريد ٦ / ٣٥٢ – ٣٧٣ بحث عن النبيذ ، وتحليله ، وتحريمه ، وعن الفرق بين النبيذ والخمر .

٢١٠

من شعر سليمان بن وهب لما حبس

قال : وفي هذه الحبسة كتب سليمان بن وهب إلى أخيه [الحسن بن وهب فيما حكاه محمّد بن عبدوس][١] :

هل رسولٌ وكيف لي برسولِ ... إنّ ليلي ليل السقيم العليل[٢]
هل رسول إلى أخي وشقيقـي ... ليت أنّي مكان ذاك الرّسول
يا أخي لو ترى مكاني في الحبـ ... ـس وحالي وزفرتي وعويــــلي
وعثاري إذا أردت قيـامــــاً ... وقعودي في مثقـلات الكبـول
لرأيت الّـذي يغمّـك في الأعـ ... ـداء أن يسلكوا جميعـاً سبيلي
هـذه جملـة أراني غنيّـاً ... معهـا عن أذاك بـالتفصيــل
ولعـلّ الإلـه يـأتي بصنعٍ ... وخلاصٍ وفرجة عن قليل [٩٥ ر]

[وذكر أبياتاً أخر ، تماماً لهذه الأبيات ، لم أذكرها ، لأنّها ليست من هذا المعنى][٣] ، ثمّ قال :

[وقد ذكر محمّد بن داود ، في كتابه المسمّى « كتاب الوزراء » من خروج سليمان بن وهب من حبس الواثق غير هذا ، قال في كتابه : حدّثني أبو القاسم عبيد الله بن سليمان ، واقتصّ محمّد بن عبدوس ، قصّة طويلة ، ليس فيها ذكر منام ، فذكرتها أنا في كتابي هذا ، في باب من خرج من حبس

---

١ كذا ورد في غ ، وفي م وردت : فيما حكاه محمّد بن داود ، وسقطت في ظ و ر .
٢ كذا في ظ و ر ، وفي م : إنّ ليلي منذ غبت عنّي طويل ، وفي هـ : إنّ ليلي إذ نمت غير طويل .
٣ الزيادة من م وغ .

أو أسر أو اعتقال ، إلى سراح وسلامة وصلاح حال ، ورويتها عن عليّ بن عيسى ، عن عبيد الله بن سليمان ، بألفاظ قويّة ، [أقوى] من الألفاظ الّتي أوردها ابن عبدوس ، ولم أذكرها هاهنا ، لأنّ هذا الخبر ، مختصّ بالمنامات ، فجعلته في بابه ، وأوردت تلك القصّة في الباب المفرد لأمثالها][4] .

---

٤ انفردت بها غ .

٢١١

بين الوزير المهلّبي والحسين السمري

[حدّثني علي بن محمّد الأنصاري الخطمي[1] ، قال : حدّثني أبو عبد الله الحسين بن محمّد السمري[2] كاتب الدّيوان بالبصرة ، قال :][3]

كان أبو محمّد المهلّبي ، في وزارته ، قبض عليّ بالبصرة ، وطالبني بمال ، وحبسني حتّى يئست من الفرج ، فرأيت ليلة في المنام ، كأنّ قائلاً يقول لي : اطلب من ابن الراهبوني دفتراً خلقاً عنده ، على ظهره دعاء ، فادع الله به ، فإنّه يفرّج عنك ، وكان ابن الراهبوني هذا ، صديقاً لي من تنّاء أهل واسط ، مقيماً بالبصرة .

فلمّا كان من غد ، جاءني ، فقلت له : عندك دفتر على ظهره دعاء .

فقال لي : نعم .

قلت : جئني به ، فجاءني به ، فرأيت مكتوباً على ظهره : اللّهم أنت أنت ، انقطع الرّجاء إلّا منك ، وخابت الآمال إلّا فيك ، صلّ على محمّد وعلى آل محمّد ، ولا تقطع اللّهمّ منك رجائي ، ولا رجاء من يرجوك في شرق الأرض وغربها ، يا قريباً غير بعيد ، ويا شاهداً لا يغيب ، ويا غالباً غير مغلوب ، اجعل لي من أمري فرجاً ومخرجاً ، وارزقني رزقاً واسعاً [١٥٩ غ] من حيث لا أحتسب ، إنّك على كلّ شيء قدير [١٢٣ م] .

---

١ الخطمي ، بفتح الخاء وسكون الطاء : النسبة إلى بطن من الأنصار ، بني خطمة بن جشم بن مالك ابن الأوس بن حارثة (اللباب ١ / ٣٧٩) .

٢ السمري : نسبة إلى سمر ، بلد من أعمال كسكر بين واسط والبصرة (الأنساب ٣٠٨) .

٣ في ظ : قال أبو محمّد الشوني ، وفي ر : وحكى أبو محمّد السموني ، وفي م ، وغ : حدّث أبو عبد الله الحسين بن محمّد السمري ، كاتب الديوان بالبصرة ، والزيادة من هـ .

قال : فواصلت الدّعاء بذلك ، فما مضت إلّا أيّام يسيرة ، حتّى أخرجني المهلّبي من الحبس ، وقلّدني الإشراف على أحمد الطويل[4] ، في أعماله بأسافل الأهواز[5] .

[قال لي أبو الحسن الأنصاري : قال لي أبو عليّ زكريا بن يحيى الكاتب النصراني ، حدّثني بهذا الحديث][6] أبو عبد الله السمري ، وكتبت عنه الدعاء ، ونقلته ، وحفظته ، وتقلّبت بي الأحوال ، فكتبتُ لأبي جعفر مُمْلِهْ[7] ، صاحب مائدة معزّ الدولة ، فاعتقلني بعد مدّة ، ونكبني ، فواصلت الدّعاء به ، فأطلقني بعد أيّام يسيرة .

---

٤ في م : أحمد بن محمّد بن أبي الحسين الطويل ، وذكره التنوخي في كتاب نشوار المحاضرة في القصّة ٨ / ١٠٥ ، فقال : أبو الحسين أحمد بن محمّد بن طريف ، المعروف بأحمد الطويل ، وكان يتقلّد حصن مهديّ ، راجع كذلك تجارب الأمم ٢ / ٢٤٤ .

٥ يريد بأسافل الأهواز : حصن مهديْ التي كان يتقلّدها أبو الحسين أحمد الطويل ، وهي بلد من نواحي خوزستان ، ونهر المسرقان تنحدر منه مياه خوزستان من الأهواز والدورق ، حتى تنتهي إلى حصن مهدي ، فتصير هناك نهراً كبيراً ذا عرض وعمق ، حتى يصب من حصن مهدي إلى البحر ، راجع معجم البلدان ٢ / ٢٧٩ وراجع كذلك القصّة ٨ / ١٠٥ من كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ، وقد سمّاها التنوخي في القصّة ٣٢٨ من هذا الكتاب ، بالأسافل ، بالنظر لشهرتها .

٦ الزيادة من غ وم .

٧ أبو جعفر المعروف بمملِه ، صاحب مطبخ معزّ الدولة ، ذكره صاحب تجارب الأمم ٢ / ٢٨٥ وقال عنه : إنّه كان ضامناً تكريت ، وما يجري معها من المآصير العليا ، ثم أصيب بعلل متصلة ، وأعرض معزّ الدولة عنه .

٢١٢
رأى في المنام أنّ غناه بمصر

[حدّثني أبو الرّبيع سليمان بن داود البغداديّ ، صاحبٌ كان لأبي ، وكان قديماً يخدم القاضيين أبا عمر محمّد بن يوسف ، وابنه أبا الحسين في دورهما ، وكانت جدّته تعرف بِسمسمة ، قهرمانة كانت في دار القاضي أبي عمر محمّد بن يوسف رحمه الله ، قال :][1] .

كان في جوار القاضي قديماً ، رجلٌ انتشرت عنه حكاية ، وظهر في يده مال جليل ، بعد فقر طويل ، وكنت أسمع أنّ أبا عمر حماه من السلطان ، فسألت عن الحكاية ، فدافعني طويلاً ، ثمّ حدّثني ، قال :

ورثت عن أبي مالاً جليلاً ، فاسرعت فيه ، وأتلفته ، حتّى أفضيت إلى بيع أبواب داري وسقوفها ، ولم يبق لي من الدنيا حيلة ، وبقيتُ مدّة بلا قوت إلّا من غزل أمّي ، فتمنّيت الموت .

فرأيت ليلة في النّوم ، كأنّ قائلاً يقول لي : غناك بمصر ، فاخرج إليها .

فبكرت إلى أبي عمر القاضي ، وتوسّلت إليه بالجوار ، وبخدمة كانت من أبي لأبيه ، وسألته أن يزوّدني كتاباً إلى مصر ، لأتصرّف بها ، ففعل ، وخرجت .

فلمّا حصلتُ بمصر ، أوصلتُ الكتابَ ، وسألتُ التصرّف ، فسدّ الله عليّ الوجوه حتّى لم أظفر بتصرّف ، ولا لاح لي شغل .

ونفدت نفقتي ، فبقيت متحيّراً ، وفكّرت في أن أسأل النّاس ، وأمدّ يدي على الطريق ، فلم تسمح نفسي ، فقلت : أخرج ليلاً ، وأسأل ، فخرجت بين العشاءين ، فما زلت أمشي في الطّريق ، وتأبى نفسي المسألة ، ويحملني الجوع

---

١ الزيادة من غ ، ومن هنا انقطع الكلام في غ .

عليها ، وأنا ممتنع ، إلى [١٢٠ ظ] أن مضى صدر من اللّيل .

فلقيني الطّائف[٢] ، فقبض عليّ ، ووجدني غريباً ، فأنكر حالي ، فسألني عن خبري ، فقلت : رجل ضعيف ، فلم يصدّقني ، وبطحني ، وضربني مقارع .

فصحت : أنا أصدقك .

فقال : هات .

فقصصت عليه قصّتي من أوّلها إلى آخرها ، وحديث المنام .

فقال لي : أنت رجل ما رأيت أحمق منك ، والله لقد رأيتُ منذ كذا وكذا سنة ، في النّوم ، كأنّ رجلاً يقول لي : ببغداد في الشّارع الفلاني ، في المحلّة الفلانيّة – فذكر شارعي ، ومحلّتي ، فسكتُّ ، وأصغيتُ إليه – وأتمّ الشرطيُّ الحديث فقال : دار يقال لها : دار فلان – فذكر داري ، واسمي – فيها بستان ، وفيه سدرة ، وكان في بستان داري سدرة[٣] ، وتحت السدرة مدفون ثلاثون ألف دينار ، فامض ، فخذها ، فما فكّرت في هذا الحديث ، ولا التفتّ إليه ، وأنت يا أحمق ، فارقتَ وطنك ، وجئت إلى مصر بسبب منام .

قال : فقوي بذلك قلبي ، وأطلقني [٩٦ ر] الطائف ، فبتّ في بعض المساجد ، وخرجت مع السَّحَرِ من مصر ، فقدمت بغداد ، فقطعت السدرة ، وأثرت تحتها ، فوجدت قمقماً فيه ثلاثون ألف دينار ، فأخذته ، وأمسكت يدي ، ودبّرت أمري ، فأنا أعيش من تلك الدنانير ، من فضل ما ابتعتُ منها من ضيعة وعقار إلى اليوم .

---

٢ الطائف : العسس .

٣ السدرة : شجرة النبق .

٢١٣

خزيمة بن هازم يصرّف الحرّاني

ويعقد له على طريق الفرات

[وجدتُ في كتاب أبي الفرج عبد الواحد المخزوميّ الحنطبيّ[١] ، عن عليّ ابن العبّاس النُّوبختي[٢] ، قال : حدّثني أحمد بن عبد الله التغلبيّ ، قال : كان من بقايا شيوخ خراسان ، ممّن يلزم دار العامّة بسرّ من رأى ، شيخ يكنى أبا عصمة ، وكان يحدّثنا كثيراً ، بأخبار الدولة وأهلها][٣] فحدّثنا يوماً :

أنّ خزيمة بن خازم[٤] ، كان يجلس في داره للنّاس ، في كلّ يوم ثلاثاء ، فلا يحجب عنه أحد ، ولا يستأذن لمن يدخل ، إنّما يدخلون أرسالاً ، بغير إذن ، فمن كان من الأشراف ووجوه النّاس ، سلّم وانصرف ، ومن كان من طلّاب الحوائج ، أو خطّاب التصرّف ، دفع رقعته إلى الحاجب ، فيجتمع النّاس ويدخلون ، فيعرض رقاعهم عليه .

---

١ الحنطبي : النسبة إلى حنطب ، وهو جد أبي الفرج عبد الواحد بن نصر بن محمّد بن عبيد الله من أولاد حنطب ، المخزومي الحنطبي الشاعر المعروف بالببغاء .

٢ أبو الحسن عليّ بن العباس النوبختي : من مشايخ الكتّاب في عصره ، عاش طويلاً ، وروى عن البحتري وابن الروميّ من أشعارهما قطعة حسنة ، توفّي سنة ٣٢٧ (الأعلام ٥ / ١١١) .

٣ في ظ : قال : كان من كبار الكتّاب شيخ يكنّى أبا عصمة ، فحدّثنا يوماً ... إلخ ، وفي ر : وحكي أنّه كان من الكتّاب شيخ يكنّى أبا عصمة فحدّثنا يوماً ... إلخ ، وفي م : ووجدت في كتاب أبي علي الحسن بن لبيب ، بإسناد ذكره ، قال : كان من بقايا شيوخ خراسان ... إلخ ، والذي أثبتناه من هـ .

٤ خزيمة بن خازم التميمي : من أكابر القوّاد في عهد الرشيد والأمين والمأمون ، شهد الوقائع الكثيرة ، وقاد الجيوش ، وولّي البصرة في أيّام الرشيد ، والجزيرة في أيّام الأمين ، ولما اختلف الأخوان انحاز إلى جانب المأمون ، واشترك في حصار بغداد ، ومات ببغداد سنة ٢٠٣ (الأعلام ٢ / ٣٥١) .

وكان قد أفرد لهذا كاتباً حصيفاً يقال له : الحسن بن مسلمة ، يتصفّح [١٢٤ م] الرّقاع قبل عرضها عليه ، فما كان يجوز أن يوقّع عنه فيه بخطّه ، وقّع وسلّمه إلى أربابه ، وما كان لا بدّ من وقوفه عليه ، وتوقيعه فيه بخطّه ، أوقفه عليه ، ومن كان من النّاس زائراً ، أو مسترفداً ، عرضت رقعته عليه ، فيكون هو الموقّع فيها بما يراه

فلا يكاد ينصرف أحد من ذلك الجمع العظيم المفرط ، إلّا وهو مسرور بقضاء حاجته .

قال أبو عصمة : وكان ممّن يتصرّف في الأعمال ، رجلٌ من الأعراب ، ذو لسان وفصاحة ، يقال له : حامد بن عمرو الحرّانيّ ، وكان فيه إلحاح شديد ، وملازمة تامّة إذا تعطّل ، فيؤذي بذلك ويبرم .

وكان يخاطب خزيمة في أيّام الثلاثاء ، ولا يقنع بذلك ، حتّى يلازم بابه كلّ يوم ، وإذا ركب خاطبه على الطّريق ، وربّما تعرّض له في دار الخليفة فخاطبه ، ولم يكن في طبع خزيمة احتمال مثل ذلك .

قال أبو عصمة : فحدّثني الحسن بن مسلمة ، كاتب خزيمة ، قال : نظر خزيمة إلى هذا الرّجل في داره ، وكان قد لقيه في الطّريق ، فخاطبه قبل ذلك بيوم ، وأضجره ، ووافق من خزيمة ضجراً بشيء حدث من أمور المملكة ، مع ما فيه من الجبروتية والكِبْر .

فحين خاطبه الرّجُل ، صاح فيه ، وأمر بإخراجه من داره إخراجاً عنيفاً ، ثمّ دعاني ، فقال : والله ، لئن دخل هذا داري ، لأضربنّ عنقه ، ولئن وقف لي على طريق ، أو كلّمني في دار السلطان ، لأضربنّ عنقه ، فأخبره بذلك ، وحذّره ، وتقدّم إلى البوّابين والحجّاب بمنعه ، وكان خزيمة إذا وعَد أو توعّد ، فليس إلّا الوفاء .

فخرجتُ إلى الحجّاب والبوّابين وأصحاب المقارع ، فبالغتُ في تحذيرهم ، وتهديدهم ، وعرّفتهم ما قال ، وأنّه حَلَف أن تُضرب أعناقهم إذا خالفوا ، وأكّدت الوصيّة بجهدي ، مستظهراً لنفسي .

وخرجت إلى خارج الدّار ، فوجدت الرّجل قائماً ، فأعلمته [١٢١ ظ] أنّ دمه مرتهن بنظرة ينظرها إليه خزيمة في دار السلطان ، أو على بابه ، أو في الطّريق ، وحذّرته تحذيراً شديداً ، وخوّفته من سفك دمه ، وأن لا يجعل عليه سبيلاً ، فشكرني على تحذيره ، وانصرف كئيباً .

فلمّا أصبحنا من الغد ، غدوت إلى دار خزيمة على رسمي ، للملازمة ، فلمّا دنوت من الباب ، إذا بالرّجل واقفاً كما كان يقف منتظراً لركوبه .

فعظم ذلك عليّ ، وقلت : يا هذا ، أما تخاف الله ؟ أتحبّ أن تقتل نفسك ؟ أما تعرف الرّجل ؟

فقال : والله ، ما أتيت هذا عن جهل منّي ولا اغترار ، بل أتيته على أصل قويّ ، وسبب وثيق ، وسترى من لطف الله ما يسرّك ، وتعجب منه .

قال الحسن : فزاد عجبي منه [٩٧ ر] ، ودخلت الدّار ، فصادفت خزيمة في صحن الدّار يريد الركوب ، فحين نظر إليّ ، قال : ما فعل حامد بن عمرو ؟

قلت : رأيته السّاعة بالباب ، [وقد تهدّدته ، فلمّا رأيته اليوم بالباب تعجّبت من جهله وعوده ، مع ما أعذرت إليه من الوعيد ، وأمرته بالانصراف ، فأجابني بجواب لا أدري ما هو ، فأنا بريء من فعله][٥] .

فقال : بأيّ شيء أجابك ؟ فأخبرته ، فسكت خزيمة ، وخرج فركب ، فحين رآه حامد ترجّل له .

---

٥ في ظ بدل هذه الجملة : وعجبت منه لما أنذرته من وعيدك ، والزيادة من م .

فصاح به : لا تفعل ، والحقني إلى دار أمير المؤمنين وسار خزيمة ، فدخل دار الرّشيد[٦] ، ودخلنا معه إلى حيث جرت عادتنا أن نبلغه من الدّار ، فجلسنا فيه ، ومضى خزيمة يريد الخليفة ، وجاء حامد فجلس إلى جانبي .

فقلت له : أصدقني عن خبرك ، والسّبب في جسارتك على خزيمة ، ولينه لك بعد الغلظة ، وعرّفته ما جرى بيني وبين خزيمة ثانياً .

فقال : طِب نفساً ، فما أبدي لك شيئاً إلّا بعد بلوغ [١٢٥ م] آخر الأمر .

فبينما نحن كذلك ، إذ دُعي حامد إلى حيث كان مرسوماً بأن يدخله من يخلع عليه ، فتحيّرت فلم يكن بأسرع من أن خرج وعليه الخلع ، وبين يديه لواء قد عُقد له على طريق الفرات بأسره ، فقمت إليه وهنّأته .

وقلت : ولا السّاعة تخبرني الخبر ؟

فقال : ما فات شيء، وودّعني ومضى ، فأقمت بمكاني إلى أن خرج خزيمة ، فسرت معه إلى داره ، فلمّا استقرّ ، دعاني ، فسألني عن أمورٍ جرت .

وقال : أظنّك أنكرت ما جرى من أمر حامد ؟

قلت : إي والله ، أيّها الأمير .

قال : فاسمع الخبر ، اعلم أنّي كنت في نهاية الغيظ عليه ، وأمرت فيه بما علمته أمس ، فلمّا كان البارحة ، رأيته في النّوم ، كأنّه قائم يصلّي ، وقد رفع يديه إلى الله يدعو عليّ .

---

٦ من أهمّ الأسباب التي وطّدت قدم خزيمة بن خازم في دولة الرشيد ، أنّ الهادي كان قد خلع الرشيد وبايع لابنه جعفر ، فلما توفّي الهادي ، هجم خزيمة في خمسة آلاف مسلّح ، فأخذ جعفر من فراشه ، وقال له : والله لأضربنّ عنقك أو لتخلعنها ، وبكر من غدٍ ، فأقامه على باب الدار في العلو ، والأبواب مغلقة ، فأقبل جعفر ينادي : يا معشر الناس ، من كانت لي في عنقه بيعة فقد أحللته منها ، والخلافة لعمّي هارون (تاريخ الموصل لابن اياس الأزدي ٢٦٢) .

فصحت به : لا تفعل ، لا تفعل ، وادنُ منّي ، فانفتل من صلاته ، وجاء حتّى وقف بين يديّ .

فقلت له : ما يحمِلك على أن تدعو عليّ ؟

فقال : لأنّك أهنتني ، واستخففت بي ، وهدّدتني بالقتل ظلماً ، وقطعت أملي من طلب رزقي وقوتي ، وأنا أشكوك إلى الله ، وأستعينه عليك .

وكأنّي أقول له : طِب نفساً ، ولا تدعُ عليّ ، فإنّي أحسن إليك غداً ، وأولّيك عملاً ، واستيقظت .

فعجبت من المنام ، وعلمت أنّي قد ظلمت الرّجل ، وقلتُ في نفسي : شيخ من العرب ، له سنّ وشرف ، أسأت إليه بغير جرم ، وأرعبته ، وماذا عليه إذا لجّ في طلب الرزق ؟ وعلمت أنّ الّذي رأيته في منامي موعظة في أمره ، [وحثّ على حفظ النّعم ، وأن لا أنفّرها بقلّة الشكر ، واستعمال الظّلم][7] .

فاعتقدت أن أولّيه ، كما وعدته في النّوم ، فكان ما رأيت .

قال الحسن بن مسلمة : فقوّيت رأيه في هذا ، ودعوت له ، وانصرفت ، فجاءني من العشيّ حامد ، مسلّماً ، ومودّعاً ، ليخرج إلى عمله .

فقلت له : هات الآن خبرك .

فقال : نعم ، انصرفتُ من باب خزيمة موجع القلب ، قلقاً ، مرتاعاً ، فأخبرت عيالي ، فصار في داري مأتم ، وبكاء عظيم ، ولم أُطعم أنا ، ولا هم ، شيئاً ، يومنا وليلتنا ، وأمسيت كذلك .

فلمّا هدأت العيون ، توضّأت ، واستقبلت القبلة ، فصلّيت ما شاء الله ، وتضرّعت إلى الله ، ودعوته بإخلاص نيّة ، وصدق طويّة ، وأطلت ، فحملتني عيني ، فنمت وأنا ساجد في القبلة .

---

٧ الزيادة من م .

فرأيت في منامي ، كأنّي على [١٢٢ ظ] حالي في الصّلاة والدّعاء ، وكأنّ خزيمة قد وقف عليّ ، وأنا أدعو ، فصاح بي : لا تفعل ، لا تفعل ، واْغدُ عليّ ، فإنّي أُحسن إليك ، وأولّيك ، فانتبهت مذعوراً ، وقد قويت نفسي ، فقلت : أبكّر إليه ، فلعلّ الله أن يطرح في قلبه الرقّة ، فغدوت [٩٨ ر] إليه ، فكان ما رأيت[٨] .

قال الحسن : فكثر تعجّبي لاتّفاق المنامين ، فقلت لحامد : لقد أخبرني الأمير بمثل ما ذكرتَه ، لم يخرم منه حرفاً ، وبكّرت إلى خزيمة ، فحدّثته بالحديث ، فعجب منه ، وأحضر حامداً حتّى سمع منه ذلك ، وأمر له بكسوة وصلة وحملان ، ولم يزل بعد ذلك يتعمّد إكرامه[٩] .

---

٨ هذه القصّة ساقطة من غ .

٩ جرى في مجلس القائد خزيمة بن خازم . حديث ما يسفك من الدماء ، فقال : والله ، ما لنا عند الله عذر ولا حجّة ، إلاّ رجاء عفوه ومغفرته ، ولولا عزّ السلطان ، وكراهة الذلّة ، وأن أصير بعد الرئاسة سوقة وتابعاً ، بعدما كنت متبوعاً ، ما كان في الأرض أزهد ولا أعبد منّي (الأغاني ٤ / ٩٩) .

٢١٤

بين الوزير عليّ بن عيسى والعطّار الكرخي

ويقارب هذا حديثان ، حدّثني بأحدهما بعض أهل بغداد :

أنّ عطاراً من أهل الكَرخ ، كان مشهوراً بالستر والأمانة ، فركبه دين ، وقام من دكانه[١] ، ولزم بيته مستتراً ، وأقبل على الدّعاء والصّلاة ، إلى أن صلّى ليلة الجمعة صلاة كثيرة ، ودعا ، ونام ، فرأى النّبي صلّى الله عليه وسلّم في منامه ، وهو يقول له : اقصُد عليّ بن عيسى[٢] ، وكان إذ ذاك وزيراً ، فقد أمرته أن يدفع إليك أربعمائة دينار ، فخذها وأصلح بها أمرك .

قال الرّجل : وكان عليّ ستمائة دينار ديناً ، فلمّا كان من الغد ، قلتُ : قد قال [١٢٦ م] النّبي صلّى الله عليه وسلّم ، من رآني في منامه فقد رآني ، فإنّ الشيطان لا يتمثّل بي ، فَلِمَ لا أقصد الوزير .

فلمّا صرتُ ببابه ، منعتُ من الوصول إليه ، فجلست إلى أن ضاق صدري ، وهممت بالانصراف ، فخرج الشافعيّ[٣] صاحبه ، وكان يعرفني معرفة ضعيفة ، فأخبرته الخبر .

فقال : يا هذا ، الوزير والله في طلبك منذ السَّحَر إلى الآن ، وقد سألني

---

١ قام : اصطلاح بغدادي ، لم يزل مستعملاً ، يقال : قام التاجر : إذا أغلق دكّانه ، وعجز عن سداد ديونه .

٢ أبو الحسن علي بن عيسى بن داود بن الجرّاح ، وزير المقتدر .

٣ أبو بكر محمّد بن عبد الله الشافعيّ : صاحب الوزير عليّ بن عيسى ، كان أثيراً عنده ، راجع القصص ١/٣٥ و ١/٥٠ و ٢/١٢٧ من كتاب نشوار المحاضرة للقاضي التّنوخي ، وكتاب الوزراء للصابي ٣٥٧ ، ٣٦١ وقد صادره المحسّن في وزارة أبيه ابن الفرات بمبلغ ثلاثين ألف دينار (الوزراء ٢٤٥) .

عنك فأنسيتك ، وما عرفك أحد ، والرّسل مبثوثة في طلبك ، فكن بمكانك ، ثمّ رجع فدخل ، فلم يكن بأسرع من أن دعي بي ، فدخلت إلى عليّ بن عيسى .

فقال لي : ما اسمك ؟

قلت : فلان بن فلان العطّار .

قال : من أهل الكرخ ؟

قلت : نعم .

قال : أحسن الله إليك في قصدك إيّاي ، فوالله ما تهنّأتُ بعيش منذ البارحة ، فإنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، جاءني البارحة في منامي ، فقال : أعطِ فلان بن فلان العطّار من أهل الكرخ أربعمائة دينار يصلح بها شأنه ، فكنت اليوم في طلبك ، وما عرفك أحد .

فقلت : إنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، جاءني البارحة ، فقال لي كيتَ وكيت .

قال : فبكى عليّ بن عيسى ، وقال : أرجو أن تكون هذه عناية من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بي .

ثمّ قال : هاتوا ألف دينار ، فجاءوه بها عيناً .

فقال : خذ منها أربعمائة دينار ، امتثالاً لأمر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وستمائة دينار هبة منّي لك .

فقلت : أيّها الوزير ما أحب أن أزداد على عطاء رسول الله صلّى الله عليه وسلّم شيئاً ، فإنّي أرجو البركة فيه ، لا فيما عداه .

فبكى عليّ بن عيسى ، وقال : هذا هو اليقين ، خذ ما بدا لك .

فأخذتُ أربعمائة دينار ، وانصرفتُ ، فقصصتُ قصّتي على صديق لي ، وأريته الدنانير ، وسألته أن يقصد غرمائي ، ويتوسّط بيني وبينهم ، ففعل .

وقالوا : نمهله بالمال ثلاث سنين .

فقلت : لا ، ولكن يأخذون منّي الثلث عاجلاً ، والثّلثين في سنتين ، في كلّ سنة ثلثاً ، فرضوا بذلك ، وأعطيتهم مائتي دينار ، وفتحت دكّاني بالمائتي دينار الباقية .

فما حال الحول إلّا ومعي ألف دينار ، فقضيت ديني ، وما زال مالي يزيد ، وحالي يصلح ، والحمد لله[٤] .

٤ وردت القصّة في نشوار المحاضرة للتنوخيّ برقم ٢ / ١٢٧ وهي ساقطة من غ .

٢١٥

طاهر بن يحيى العلويّ

وجرايته من الحاج الخراسانيّ

والخبر الآخر ، ما حدّثني به أحمد بن يوسف الأزرق[١] ، عن أبي القاسم ابن أماجور المنجّم[٢] ، قال :

كنت إذا حججتُ ، دخلت على طاهر بن يحيى العلوي ، فرأيت عنده خراسانيّاً ، كان يحجّ في كلّ سنة ، فإذا دخل المدينة ، جاء إلى [٩٩ر] طاهر بن يحيى فأعطاه مائتي دينار ، فكانت كالجراية له منه .

فلمّا كان في [١٢٣ ظ] بعض السنين ، جاء يريد داره ، ليعطيه المائتي دينار ، فاعترضه رجل من أهل المدينة ، فشنع بطاهر عنده ، وقال له : تضيع دنانيرك الّتي تدفعها إلى طاهر ، وهو يأخذها منك ومن غيرك ، فيصرفها فيما يكرهه الله تعالى ، ويفعل ويصنع ، وتكلّم فيه بقبيح .

قال الخراساني : فانصرفت عنه ، وتصدّقت بالدنانير ، وخرجت من المدينة ، ولم ألق طاهراً .

فلمّا كان في العام الثاني ، دخلت المدينة ، فتصدّقت بالمال ، وطويتُ طاهراً .

---

١ أبو الحسن أحمد بن يوسف الأزرق الأنباري التنوخيّ الكاتب .

٢ أبو القاسم عبد الله بن أماجور المنجّم : من أولاد الفراغنة ، كان فاضلاً ، ألّف كتباً عدّة في علم الفلك ذكرها ابن النديم في الفهرست ٢٨٠ ، وكان ولده أبو الحسن عليّ ، فاضلاً مؤلفاً ، ترجم له صاحب تاريخ الحكماء ٢٣١ ، وقال عنه : إنّه أحد العلماء بحركات الكواكب والمعانين لأرصادها ، وأهل هذا الشأن يستدلّون بقوله .

فلمّا كان في العام الثالث ، تأهّبت للحجّ ، فرأيت النّبي صلّى الله عليه وسلّم في منامي ، يقول لي : ويحك قبلت في ابني طاهر قول أعدائه ، وقطعت عنه ما كنت تبرّه به ؟ لا تفعل ، فاقصده ، وأعطه ما فاته ، ولا تقطعه عنه ما استطعت .

قال : فانتبهت فزعاً ، ونويت ذلك ، وأخذت صرّةً فيها ستمائة دينار ، وحملتها معي ، فلمّا صرت بالمدينة ، بدأت بدار طاهر ، فدخلت عليه وجلست ، ومجلسه حفل .

فحين رآني ، قال : يا فلان ، لو لم يبعث بك إلينا ما جئتنا ،

فقلت : كلمة وافقت أمراً ، ليس إلّا أن أتغافل ، فقلت : ما معنى هذا الكلام أصلحك الله ؟

فقال : قبلت فيّ قول [١٢٧ م] عدوّ الله ، وعدوّ رسوله ، وقطعت عادتك عنّي ، حتّى لامك رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في منامك وأمرك أن تعطيني الستمائة دينار ، هاتها ، ومدّ يده إليّ .

فتداخلني من الدّهش ما ذهلت معه ، فقلت : أصلحك الله ، هكذا والله كانت القضيّة ، فمن أعلمك بذلك ؟

فقال لي : بلغني خبر دخولك المدينة في السنة الأولى ، فلمّا رحل الحاجّ ولم تأتني ، أثّر ذلك في حالي ، وسألت عن القصّة ، فعرفت أنّ بعض أعدائنا لقيك ، فشنع بي عندك ، فآلمني ذلك .

فلمّا كان في الحول الثاني ، بلغني دخولك ، وخروجك ، وأنّك قد عملت على قوله فيّ ، فازددت غمّاً لذلك .

فلمّا كان منذ شهور ، ازدادت إضاقتي ، وامتنع منّي النّوم غمّاً لما دفعت إليه ، ففزعت إلى الصّلاة ، فصلّيت ما شاء الله ، وأقبلت أدعو بالفرج ، فحملتني عيني في المحراب ، فنمتُ ، فرأيت النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم في منامي وهو

يقول لي : لا تهتمّ ، فقد لقيت فلاناً الخراساني ، وعاتبته على قبوله فيك قول أعدائك ، وأمرته أن يحمل إليك ما فاتك ، ولا يقطع عنك بعدها ذلك ، ويبرّك ما استطاع ، وانتبهتُ ، فحمدت الله وشكرته ، فلمّا رأيتك ، علمت أنّ المنام جاء بك .

قال : فأخرجت الصرّة الّتي فيها ستمائة دينار ، فدفعتها إليه ، وقبّلت يده ، وسألته أن يحلّني من قبول قول ذلك الرّجل فيه[3] .

---

٣ هذه القصّة ساقطة من غ ، وقد وردت في كتاب نشوار المحاضرة للتنوخيّ برقم ٢ / ١٤٨ .

٢١٦

قصّة العلويّة الزمنة

حدّثني أبو محمّد يحيى بن محمّد بن سليمان بن فهد الأزديّ[١]، قال :

كان في شارع دار الرّقيق[٢] ، جارية علويّة ، أقامت زَمِنَةً خمس عشرة سنة[٣] ، وكان أبي في جوارها [أيّام نزولنا بدرب المعوج من هذا الشارع ، في دار شفيع المقتدريّ ، الّتي كان اشتراها][٤] ، يتفقّدها ، ويبرّها ، وكانت مسجّاة ، لا يمكنها أن تنقلب من جنب إلى جنب ، أو تُقْلَب ، ولا تَقْعُد ، أو تُقْعَد ، وكان لها من يخدمها في ذلك ، وفي الإنجاء ، والأكل ، لقصور أطرافها ، وأعضائها ، وكانت فقيرة ، إنّما قُوتها وقُوت خادمتها من برّ النّاس .

---

١ أبو محمّد يحيى بن محمّد بن سليمان بن فهد الأزدي : كاتب ، شاعر ، أديب ، راوية ، نقل عنه القاضي التنوخيّ كثيراً من الأخبار في كتابه نشوار المحاضرة ، وكان هو ، وأبوه ، على صلة متينة بالأمراء الحمدانيّين ، أمراء الموصل ، وكان أبوه يتوسّط بينهم وبين حكام بغداد (القصّة ١ / ٢٩ من نشوار المحاضرة) ويظهر من القصص ٢ / ١٨ و ٢ / ١٣٢ أنّ أبا محمّد ، كان متين العلاقة بأبي تغلب الحمداني ، راجع ما نقله عنه التنوخيّ في القصص ١ / ٢ و ١ / ١٠٣ ، و ١ / ١٤٣ ، ١ / ١٤٤ و ١ / ١٤٨ ، ٢ / ١٩ ، و ٢ / ٢٠ و ٢ / ٢٦ و ٢ / ٢٧ و ٢ / ٢٨ و ٢ / ٧٧ و ٢ / ٩٠ و ٢ / ١٣٤ و ٣ / ١٠٧ و ٣ / ١٧٢ و ٣ / ١٧٤ و ٤ / ١١٤ و ٤ / ١١٨ من كتاب نشوار المحاضرة .

٢ في ظ : دار الدقيق . والتصحيح من م و ر ، ودار الرقيق : محلة كانت ببغداد متّصلة بالحريم الطاهري من الجانب الغربي (معجم البلدان ٢ / ٥١٩) أقول : هي الآن جزء من الشالجية .

٣ الزمانة : العاهة ، أو عدم بعض الأعضاء بحيث تتعطّل القوى .

٤ الزيادة من م .

فلمّا مات أبي لاختلّ أمرها ، وبلغ تجنّي[5] ، أمّ ولد الوزير المهلّبيّ خبرها ، فكانت تقوم بأمرها ، وأجرت عليها جراية في كلّ شهر ، وكسوة في كلّ سنة .

فباتت ليلة من اللّيالي على حالها ، وأصبحت من الغد ، وقد برأت ، [١٠٠ ر] ومشت ، وقامت ، وقعدت .

وكنت مجاوراً لها ، وكنت أرى النّاس يأتون باب دارها ، فأنفذتُ امرأة من داري ، ثقة ، حتّى شاهدَتْهَا ، وسمعتها تقول : إنّي ضجرت بنفسي ضجراً شديداً ، فدعوت الله تعالى بالفرج ممّا أنا فيه ، أو الموت ، وبكيت بكاء [١٢٤ ظ] شديداً متّصلاً ، وبتُّ ، وأنا متألّمة ، قلقة ، ضجرة ، وكان سبب ذلك ، أنّ الجارية الّتي كانت تخدمني ، تضجّرت بي ، وخاطبتني بما ضاق صدري معه .

فلمّا استثقلتُ في نومي ، رأيت كأنّ رجلاً دخل عليّ ، فارتعت منه ، وقلت له : يا هذا ، كيف تستحلّ أن تراني ؟

فقال : أنا أبوك ، فظننته أمير المؤمنين[6] .

فقلت : يا أمير المؤمنين ، هوذا ترى ما أنا فيه .

---

٥ تجنّي : محظية الوزير أبي محمّد المهلّبي ، وزير معزّ الدولة ، وأمّ ولده أبي الغنائم المفضّل ، وابنته زينة التي تزوّجها الوزير أبو الفضل الشيرازي ، وكان المهلّبي شديد الولع بها (القصّة ٣ / ١٧٧ من كتاب نشوار المحاضرة) ودام حبّه لها حتّى فرّق الموت بينهما ، راجع في اليتيمة ٢ / ٢٢٤ - ٢٤١ ، في ترجمة الوزير المهلّبي ، بعض شعره في تجنّي ، وكانت من خيّرات النساء ، كثيرة الحسنات ، وقد لقيت من معزّ الدولة وأتباعه ، بعد وفاة الوزير المهلّبي ، كثيراً من الأذى ، راجع القصّة ٤ / ٥٨ من نشوار المحاضرة ، وتجارب الأمم ٢ / ١٩٧ و ١٩٨ .

٦ إذا قيل « أمير المؤمنين » مطلقاً ، فهو عليّ بن أبي طالب ، وإذا قيل « ابن عباس » فهو عبد الله ، وإذا قيل « ابن عمر » فهو عبد الله ، وإن كان لهما أولاد غيرهما ، وإذا قيل « الحسن » فهو الحسن البصري ، و « النابغة » نابغة بني ذبيان ، و « الأعشى » أعشى قيس (محاضرات الأدباء ٣ / ٣٤١) .

فقال : أنا محمّد رسول الله .

فبكيت ، وقلت : يا رسول الله ، ادعُ لي بالفرج والعافية .

فحرّك شفتيه بشيء لا أفهمه ، ثمّ قال : هاتي يديك ، فأعطيته يديّ ، وأخذهما ، وجذبني بهما ، فقمت .

فقال : امشي على آسم الله .

فقلت : كيف أمشي ؟

فقال : هاتي يديك ، فأخذهما ، وما زال يمشي بي ، وهما في يديه ساعة ، ثمّ أجلسني ، حتّى فعل ذلك ثلاث مرّات .

ثمّ قال لي : قد وهب الله لك العافية ، فاحمديه واتّقيه ، وتركني ومضى .

فانتبهت ، وأنا لا أشكّ أنّه واقف ، لسرعة المنام ، فصحت بالخادم ، فظنّت أنّي أريد البول ، فتثاقلَتْ .

فقلت لها : ويحك ، أسرجي ، فإنّي رأيت رسول الله [١٢٨ م] صلّى الله عليه وسلّم ، فانتبهَتْ ، فوجدتني مسجّاة ، فشرحت لها المنام .

فقالت : أرجو أن يكون الله تعالى قد وهب لك العافية ، هاتي يدك ، فأعطيتها يدي ، فأجلستني .

ثمّ قالت لي : قومي ، فقمت معها ، ومشيت متوكّئة عليها ، ثمّ جلستُ ، ففعلتُ ذلك ثلاث مرّاتٍ ، الأخيرة فيهنّ مشيت وحدي .

فصاحت الخادمة سروراً بالحال ، وإعظاماً لها ، فقدّر الجيران أنّي قد متُّ ، فجاؤوا ، فقمت أمشي بين أيديهم .

قال أبو محمّد : وما زالت قوّتها تزيد ، إلى أن رأيتها قد جاءت إلى والدتي في خفٍّ وإزار ، بعد أيّام ، ولا داء بها ، فبررناها ، وهي إلى الآن باقية ، وهي من أصلح وأورع أهل زماننا ، وقد تزوّجت برجل علويّ موسر ، وصلحت

حالها ، ولا تعرف إلى الآن ، إلّا بالعلويّة الزمنة[7] .

فمضى على هذا الحديث ، سنون كثيرة ، وجرى بيني وبين القاضي أبي بكر محمّد بن عبد الرّحمن ، المعروف بابن قريعة[8] ، مذاكرة بالمنامات ، فحدّثني بحديث منام هذه العلويّة ، وقصّتها ، وعلّتها ، على مثل ما حدّثني به أبو محمّد ، وقال : وأنا كنت أحمل إليها جرايتها من عند تجنّي ، جارية الوزير أبي محمّد المهلّبيّ ، وكسوتها على طول السّنين ، وسمعت منها هذا المنام ، ورأيتها تمشي بعد ذلك صحيحة ، بلا قلبة ، وتجيء إلى تجنّي ، وتجنّي

---

٧ إلى هنا وردت القصّة في كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للقاضي التنوخي ، راجع القصّة ٢ / ١٣٤ من كتاب النشوار .

٨ القاضي أبو بكر محمّد بن عبد الرحمن ، المعروف بابن قريعة (٣٠٢ - ٣٦٧) : قاضي بغداد ، قال عنه صاحب وفيات الأعيان ٤ / ٣٨٢ : كان من عجائب الدنيا في سرعة البديهة بالجواب عن جميع ما يسأل عنه ، في أفصح لفظ ، وأملح سجع ، وكان مختصاً بالوزير أبي محمّد المهلّبي ، وزير معزّ الدولة ، وله مسائل وأجوبة مدوّنة في كتاب ، ولما قدم الصاحب بن عباد إلى بغداد رأى من ظرفه ، وسرعة جوابه مع لطفه ، ما عظم منه تعجّبه ، وقد ذكر له في ترجمته فتوى له عجيبة ، وقال عنه الخطيب في تاريخه ٢ / ٣١٧ كان كثير النوادر ، حسن الخاطر ، عجيب الكلام ، يسرع بالجواب للمسجوع المطبوع ، من غير تعمّل له ، ولا تكلّف فيه ، وقال عنه الصفدي في الوافي بالوفيات ٣ / ٢٢٧ : كان الفضلاء يداعبونه برسائل ومسائل هزلية ، فيجيب عنها أسرع جواب وأعجبه من غير توقّف ، للاطّلاع على بعض أجوبته ، راجع وفيات الأعيان ٤ / ٣٨٢ وتاريخ بغداد للخطيب ٢ / ٣١٧ والوافي بالوفيات ٣ / ٢٢٧ ، وراجع في مطالع البدور ١ / ١٣٩ فتوى له عجيبة ، ولّاه أبو السائب قاضي القضاة ، قضاء السندية (وفيات الأعيان ٤ / ٣٨٢) وولّي الأهواز (القصّة ٥ / ٤ من كتاب نشوار المحاضرة للتنوخي) وولّي الحسبة ببغداد (تاريخ بغداد للخطيب ٢ / ٣١٨) وكان مختصاً بالوزير أبي محمّد المهلّبي ، ثم نادم عزّ الدولة بختيار البويهي ، وتوفّي ببغداد ، راجع الهفوات النادرة ص ٣٢٤ - ٣٣١ ، وراجع في رسائل الصابي ١ / ١٤٣ العهد الذي قلّده المطيع بموجبه قضاء جند يسابور ، وراجع فتوى له طريفة في نهاية الأرب ٤ / ١٢ وفتوى أطرف في البصائر والذخائر للتوحيدي م ٣ / ١ ص ١٧٤ ، ورقعة بحوالة بثمن ثلاثين بيضة ص ١٧٥ و١٧٦ .

زوّجتها بالعلويّ ، وأعطتني مالاً ، فقمت بتجهيزها ، وأمرها ، حتّى أعرس بها زوجها ، وهي إلى الآن من خيار النساء .

قال مؤلّف الكتاب : وحدّثني بعد هذا ، جماعة أسكن إليهم من أهل شارع دار الرّقيق ، بخبر هذه العلويّة ، على قريبٍ من هذا ، وهي باقية إلى حين معرفتي بخبرها في سنة ثلاث وسبعين وثلثمائة[9] .

ثمّ كنت في سنة سبع وسبعين وثلثمائة عند أبي الفتح أحمد بن عليّ بن هارون المنجم[10] ، فرأيت في داره بدرب سليمان من شارع دار الرّقيق[11] ، وأنا عنده ، امرأة عجوزاً ، قد دخلت ، فأعظمها .

فقلت : من هذه ؟

فقال : العلويّة الزمنة ، صاحبة المنام ، وكانت تمشي بخفّها وإزارها .

فسألتها أن تجلس ، ففعلت ، واستخبرتها ، فحدّثتني ، فقالت :

اعتللتُ من برسام ، [١٠١ ر] وأنا في حدود عشرين سنة من عمري ، ثمّ انجلى عنّي ، وقد لحق حقوي شيءٌ أزمنني ، فكنت مطروحة على الفراش سبعاً

---

٩ إلى هنا وردت القصّة في م ، والباقي من ر وظ .

١٠ أبو الفتح أحمد بن عليّ بن هارون بن عليّ بن يحيى بن أبي منصور المنجّم : قال عنه الخطيب البغدادي ٤ / ٣١٨ : إنّه أخذ عن والده أبي الحسن عليّ بن هارون المشتهر بالعلم والفضل والأدب وخدمة الخلفاء . وقال عنه ياقوت في معجمه ١ / ٢٣٢ : إنّه أحد من سلك سبيل آبائه في طرق الآداب ، واهتدى بهديهم في الوصول إلى الفضائل من كلّ فنّ . وقد نقل عنه صاحب النشوار قصصاً ، وأثبت شيئاً من شعره ، شعر متوسّط ، راجع القصص ٣ / ١٣٣ و ٤ / ١٣ و ٤ / ٣٤ من نشوار المحاضرة .

١١ درب سليمان : أحد الدروب في شارع دار الرقيق ، وهو منسوب إلى سليمان بن جعفر بن المنصور . وفيه كانت داره ، وكان هذا الدرب يقابل الجسْر في أيّام المهدي والهادي والرشيد . وأيّام كون بغداد عامرة (معجم البلدان ٢ / ٥٦٣) أقول : الجسر الذي أشار إليه ياقوت ، حلّ محلّه الآن جسر الصرّافيّة الحديد ، ودرب سليمان هو الدرب الذي يتغلغل في الشالجيه ، امتداداً لجسر الصرّافية في الجانب الغربي من بغداد .

وعشرين سنة ، لا أقدر أن أقعد ، ولا أقوم أصلاً ، وأنجو في موضعي ، وأغسل ، وكنت مع ذلك ، لا أجد ألماً .

ثمّ بعد سنين كثيرة من علّتي ، رأيت النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، في منامي [١٢٥ ظ] وأنا أقول له : يا جدّي ، ادعُ الله عزّ وجلّ أن يفرّج عنّي .

فقال : ليس هذا وقتك .

ثمّ رأيت أمير المؤمنين رضي الله عنه ، فقلت له : أما ترى ما أنا فيه ، فاسأل رسول الله أن يدعو لي ، أو ادعُ لي أنت ، فكأنّه قد دافعني .

ثمّ توالت عليّ بعد ذلك ، رؤيتي لهما في النّوم ، فجرى بيني وبينهما قريب من هذا ، ورأيت الحسن والحسين رضي الله عنهما ، وكأنّي أسأل كلّ واحد منهما الدّعاء بالعافية ، فلا يفعل .

فلمّا مضت سبع وعشرون سنة ، لحقني ألم شديد ، أيّاماً في حقوي ، فقاسيت منه شدّة شديدة ، فأقبلت أبكي ، وأدعو الله بالفرج .

فرأيت ليلة في منامي ، النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، فعرفته ، لأنّي كنت أراه طول تلك السّنين على صورة واحدة ، وكأنّي أقول له : يا جدّي ، متى يفرّج الله عنّي ؟

فكأنّه أدخَل يده في طرف كمّي ، وجسّ بدني ، من أوّله إلى آخره ، حتّى بلغ حقوي ، فوضع يده عليه ، وتكلّم بكلام لا أفهمه ، ثمّ ردّني على قفاي ، كما كنت نائمة ، وقال : قد فرّج الله عنك ، فقومي .

فقلت : كيف أقوم ؟

فقال : هاتي يدك ، فأعطيته يدي ، فأقعدني .

ثمّ قال : قومي على اسم الله .

فقمت ، ثمّ خطا بيَ خطوات يسيرة ، وقال : قد عوفيت .

فانتبهت ، وأنا مستلقية على ظهري ، كما كنت نائمة ، إلّا أنّني فرحانة ،

فرمت القعود ، فقعدت لنفسي وحدي ، ودلّيت رجليّ من السرير ، فتدلّتا ، فرمت القيام عليهما ، فقمت ، ومشيت ، فقلت للمرأة الّتي تخدمني : لست آمن أن يشيّع خبري ، فيتكاثر النّاس عليّ ، فيؤذوني ، وأنا ضعيفة من الألم الّذي لحقني ، إلّا أنّي كنت لمّا انتبهت ، لم أحسّ بشيء من الألم ، ولم أجد غير ضعف يسير .

فقلت : اكتمي أمري يومين ، إلى أن صلحت قوّتي فيهما ، وزادت قدرتي على المشي والحركة ، وفشا خبري ، وكثر النّاس عليّ ، فلا أُعرف إلى الآن ، إلّا بالعلويّة الزَمِنَة .

فسألتها عن نسبها ، فقالت : أنا فاطمة بنت عليّ بن الحسن بن القاسم ابن عبد الله بن موسى بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنهم ، لم تذكر لي غير هذا[12] ، ولا سألتها عنه[13] .

١٢ تبيّن لي من المطابقة بين المخطوطات التي تيسّر لي الاطّلاع عليها من كتاب الفرج بعد الشدّة ، أنّ القاضي التنوخي رحمه الله ، كان يتعاهد مؤلّفاته ، ويراجعها من وقت إلى وقت ، كما اتّضح لي من بعض القصص التي أثبتها في النشوار ، ثم أوردها في هذا الكتاب ، أنّه كان إذا توافرت لديه فوائد جديدة ، تزيد عما رواه أوّلاً ، أثبتها عند تكراره القصّة ، وقصّة العلويّة الزمنة ، هذه ، من الأدلّة على ذلك ، فإنّه أثبت القصّة في النشوار ، بالرقم ٢ / ١٣٤ ، وذكر أنّ العلويّة كانت عاتقاً ، ولما عاد فأثبت هذه القصّة في كتاب الفرج بعد الشدّة ، ذكر أنّ العلويّة الزمنة تزوّجت ، وأنّ السيدة تجنّي ، أمّ ولد الوزير المهلبيّ ، كانت تجري عليها ، وأنّها هي التي زوّجتها ، وجهّزتها من مالها ، وأنّها باقية ، إلى حين معرفته بخبرها في السنة ٣٧٣ (نسخة دار الكتب المصرية (م) ص ١٢٨) ثم عاد من بعد ذلك ، فأضاف إلى القصّة ما توافر لديه من فوائد جدّت من بعد ذلك ، فأثبت في الكتاب ، أنّه أبصر هذه العلويّة في السنة ٣٧٧ في دار صديقه أبي الفتح أحمد بن عليّ بن هارون المنجّم ، رآها في داره بدرب سليمان في شارع دار الرقيق ، فتحرّكت فيه طبيعة القاضي ، فاستجوبها ، ولم يكتف بأن أثبت قصّتها مفصّلة ، حتى سألها عن نسبها ، وعندما أنهى استجوابها ، كتب في آخره : ولم تذكر لي غير هذا . وهذه فقرة يختم بها القضاة أقوال المتداعين ، كي لا تضاف إلى أقوالهم إضافات أخرى ، (نسخة ر ١٠٠ و١٠١ ونسخة ظ ١٢٤ و١٢٥) .

١٣ هذه القصّة ساقطة من غ .

٢١٧

أبو القاسم السعدي يرى مناماً

فيتوب عن فعل المنكر .

حدّثني أبو محمد يحيى بن محمّد بن سليمان بن فهد الأزديّ الموصليّ ، قال : سمعت أبا القاسم السعديّ ، يحدّث أبي ببغداد ، قال :

كنت وأنا حدث السنّ ، مشغوفاً بغلام لي شغفاً شديداً ، منهمكاً معه في الفساد ، فكان ربّما هجرني ، فأترضّاه بكلّ ما أقدر عليه ، حتّى يرضى .

قال : وإنّه غضب عليّ مرّة غضباً شديداً ، فهرب ، واستتر عنّي خبرُه ، فلحقني من الحيرة والوله[1] ، [ما قطعني عن النّظر في أمري ، وصيّرني كالمجنون ، واجتهدت في صرف ذلك عنّي فما انصرف][2] .

وحضر وقت خروج النّاس إلى الحائر[3] ، على ساكنه أفضل الصلاة والسّلام ، فكتبت رقعة أسأل الله عزّ وجلّ فيها الفرج ممّا أنا فيه ، وأتوسّل إلى الله تعالى بالحسين ابن عليّ رضي الله عنهما ، ودفعتها إلى بعض من خرج ، وسألته أن يدفعها في ناحية من القبر .

وكانت ليلة النّصف من شعبان ، ففزعت إلى الله ، في كشف ما بي ، وتفرّدت بالصّلاة والدّعاء ، قطعة من اللّيل ، ثمّ حملني النّوم [١٠٢ ر] .

---

١ وردت القصّة في ظ في الصحيفة ١٢٦ مبتورة إلى هذا الحدّ ، ثم ورد جزء منها في الصحيفة ١٢٧ وأكثر باقيها في الصحيفة ١٢٨ ثم عادت الخاتمة إلى الصحيفة ١٢٦ .

٢ هذه الجملة وردت في ظ في الصحيفة ١٢٧ .

٣ الحائر : قبر الحسين عليه السلام .

فرأيت في منامي كأنّي في مقابر قريش[4] ، والنّاس مجتمعون فيها ، إذ قيل : قد جاء الحسين بن عليّ ، وفاطمة بنت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، للزيارة .

فتشوّفت لرؤيتهما ، فإذا بالحسين ، في صورة كهل ، حسن الوجه ، بدرّاعة ، وعمامة ، وخفٍّ ، قد أقبل ، ومعه فاطمة عليها السّلام ، متنقّبة بنقاب أبيض ، وملحفة بيضاء .

فاعترضت الحسين ، وقلت : يا ابن رسول الله ، كتبتُ إليك رقعة في حاجة لي ، فإن رأيت أن تعمل فيها ؟ فلم يجبني ، ودخل إلى القبّة الّتي فيها محمّد بن عليّ بن موسى رضي الله عنهم ، ودخلَتْ فاطمة عليها السّلام معه ، وكأنّ قوماً قد وقفوا يمنعون النّاس من الدخول إليها ، فلم أزل أكابس[5] وأتوصّل ، إلى أن دخلتُ ، فأعدت عليه الخطاب ، فلم يجبني .

فقلت لفاطمة : يا سيّدة النّساء ، إن رأيت أن تعملي في أمري .

فقالت : على أن تتوب ؟

فقلت : نعم .

فقالت : اللهَ ؟

فقلت : اللهَ .

فكرّرت ذلك عليّ ثلاثاً ، ثمّ أومأت إلى جماعة ممّن كانوا قياماً ، فقالت : خذوه ، فأخذوني ، ونزعَتْ خاتماً من يدها فدفعته إليهم ، وخاطبتهم بما لم أفهمه ، فحملوني حتّى غبت عن عينها ، وأضجعوني وحلّوا سراويلي وشدّوا

---

٤ مقابر قريش : قال ياقوت في معجم البلدان ٤ / ٥٨٧ ، مقبرة مشهورة ومحلّة فيها خلق كثير ، وعليها سور ، وهي التي فيها قبر موسى الكاظم بن جعفر الصادق ، أقول : هي مقبرة الإمامين الكاظمين ، وقد اتّسعت المحلّة المحيطة بها ، فأصبحت مدينة الكاظميّة .

٥ المكابسة : الضغط والاقتحام .

ذكري بخيطٍ حلبيّ ، ووضعوا على الشدّ طيناً ، وختموه بالخاتم [١٢٩ م] ، فورد عليّ من الألم أمر عظيم ، أنبهني ، فانتبهتُ وقد أثّر الخيط في الموضع [١٢٨ ظ] ، وصار أثر الخاتم كأنّه الجديريّ ، مستديراً حول الموضع .

ثمّ قال لأبي : إن شئتَ كشفتُ لك فأريتك ، فقد أريته لجماعة .

فقال : لا أستحلّ النّظر إلى ذلك .

قال السّعديّ : فأصبحت من غدٍ ، وما في قلبي البتّة من الغلام شيءٌ ، وابتعت الجواري ، فكنت أطأهنّ ، لا أنكر من جماعي شيئاً .

ثمّ طالبتني بالغلمان ، فدافعتها مدّة ، ثمّ غلبتني الشّهوة ، فاستدعيت غلاماً ، فلم أقدر عليه ، واسترخى العضو ، وبطل ، فلمّا فارقته ، أنعظت ، فعاودته ، فاسترخى ، فجرّبت ذلك على عدّة غلمان ، فكانت صورتي واحدة .

فجدّدت توبةً ثانية ، وما نقضتها بعد ذلك .

قال أبو محمّد : وكان أبو علي القارئ الضّرير ، قد سمع معي هذا الخبر من السعديّ ، فأخبرني بعد مدّة طويلة[6] — وحلف لي على ذلك — أنّه رأى فاطمة رضي الله عنها ، في النّوم ، قال : فقلت لها: يا سيّدتي[7] ، منام السعديّ الّذي حكاه صحيح ؟ فقالت : نعم[8] .

٦ إلى هذا الحدّ من القصّة ورد في الصحيفة ١٢٨ من مخطوطة ظ .

٧ في ر : يا سيّدة النساء .

٨ هذا الجزء الأخير من القصّة ، ورد في الصحيفة ١٢٦ من ظ ، والقصّة ساقطة من غ .

٢١٨

أبو جعفر بن بسطام له قصّة في رغيف

حدّثنا أبو علي الحسن بن محمد الأنباريّ الكاتب ، قال :

كانَ ابن الفرات[1] ، يتتبّع أبا جعفر بن بسطام بالأذيّة ، ويقصده بالمكاره ، فلقي منه في ذلك شدائد كثيرة .

وكانت أمّ أبي جعفر قد عوّدته منذ كان طفلاً ، أن تجعل له في كلّ ليلة ، تحت مخدّته الّتي ينام عليها ، رغيفاً من الخبز ، فإذا كان في غدٍ ، تصدّقتْ به ، عنه .

فلمّا كان بعد مدّة من أذيّة ابن الفرات له ، دخل إلى ابن الفرات في شيء احتاج إلى ذلك فيه ، فقال له ابن الفرات : لك مع أمّك خبر في رغيف ؟

قال : لا .

فقال : لا بدّ أن تصدقني .

فذكر أبو جعفر الحديث ، فحدّثه به على سبيل التطايب بذلك من أفعال النّساء .

فقال ابن الفرات : لا تفعل ، فإنّي بتّ البارحة ، وأنا أدبّر عليك تدبيراً لو تمّ لاستأصلتك ، فنمتُ ، فرأيت في منامي ، كأنّ بيدي سيفاً مسلولاً ، وقد قصدتك لأقتلك به ، [١٢٦ ظ] فاعترضتني أمّك بيدها رغيف تترّسك به منّي ، فما وصلتُ إليك ، وانتبهتُ .

فعاتبه أبو جعفر على ما كان بينهما ، وجعل ذلك طريقاً [١٠٣ ر] إلى

---

١. أبو الحسن عليّ بن محمّد بن الفرات ، وزير المقتدر .

استصلاحه ، وبذل له من نفسه ما يريده من حسن الطاعة ، ولم يبرح حتّى أرضاه ، وصارا صديقين .

وقال له ابن الفرات : والله ، لا رأيت منّي بعدها سوءاً أبداً[2] .

---

٢ لا توجد هذه القصّة في م ، ولا في غ ، وقد وردت في كتاب نشوار المحاضرة للتنوخي برقم القصّة ٣ / ١٧٢ وفي الوزراء للصابيّ ٧٣ و ٧٤ وفي المنتظم لابن الجوزي ٦ / ١٩٢ .

٢١٩

بينما كان يترقّب القتل

وافاه الفرج في مثل لمح البصر

ذكر محمّد بن عبدوس في كتابه ، كتاب الوزراء ، عن أبي العبّاس ابن الفرات[١] ، عن محمّد بن عليّ بن يونس ، عن أبيه ، أنّه كان يكتب لرجاء ابن أبي الضحّاك ، وهو بدمشق[٢] ، وأنّ عليّ بن إسحاق بن يحيي بن معاذ ، كان يتقلّد خلافة صول أرتكين على المعونة بدمشق ، فوثب على رجاء ، فقتله[٣] ، وقبض على جماعة من أسبابه ، وأمر بحبسي ، فحُبست في يدي سجّان كان جاراً لي ، فكان يأتيني بالخبر ساعةً بساعة .

فدخل إليّ ، وقال : قد أخرج راس صاحبك رجاء على قناة .

[ثمّ جاءني وقال : قد قتل مطبّبه . ثمّ جاءني فقال : قد قتل ابن عمّه][٤] ، ثمّ جاءني فقال : قد قتل كاتبه الآخر .

ثمّ قال : السّاعة ، والله ، يدعى بك لتقتل ، فقد سمعت نبأ ذلك ، فنالني جزع شديد ، وخرج السجّان ، فأقفل الباب عليّ .

فدعي بي ، فدافع عنّي ، وقال : البيت الّذي هو فيه مقفل ، والمفتاح مع

---

١ أبو العباس أحمد بن محمّد بن الفرات : ترجمته في حاشية القصّة ١٧٢ من الكتاب .

٢ كان رجاء بن أبي الضحّاك متقلداً الخراج بدمشق (الطبري ٩ / ١١١ والكامل ٦ / ٥١٧) .

٣ كان ذلك في السنة ٢٢٦ وقد أعتقل عليّ بن إسحاق ، وأصيب بمسّ ، ثم اطلق من بعد ذلك . فقال البحتري يعيّر الحسن بن رجاء (الطبري ٩ / ١١١) :

عفا عليّ بن إسحاق بفتكته ... على غرائب تيهٍ كنّ في الحسن
فلم يكن كابن حجر حين ثار ولا ... أخي كليب ولا سيف بن ذي يزن

٤ الزيادة من ر .

شريكي ، والسّاعة يجيء، وبعث في طلبه .

فنالني في تلك السّاعة نعاس ، فرأيت في منامي ، كأنّي ارتطمت في طين كثير ، وكأنّي قد خرجت ، وما بلّ قدمي منه شيء، فاستيقظت . وتأوّلت الفرج ، وسمعت حركة شديدة ، فلم أشكّ أنّها لطلبي . فعاودني الجزع .

فدخل السجّان ، فقال : أبشِر فقد أخذ الجند عليّ بن إسحاق فحبسوه .

فلم ألبث حتّى جاءني الجند ، فأخرجوني ، وجاؤوا بي إلى مجلس عليّ بن إسحاق [5] الّذي كان فيه جالساً ، وقدّامه دواة وكتاب قد كان كتبه إلى المعتصم في تلك السّاعة ، يخبره بخبر قتله رجاء ، وجعل له ذنوباً ، ولنفسه معاذير . وسمّاه رجاء المجوسيّ [6] ، والكافر ، فخرّقت الكتاب ، وكتبت بالخبر كما يجب إلى المعتصم .

فحبس طويلاً ، ثمّ أظهر الوسواس ، وتكلّم فيه أحمد بن أبي دؤاد ، فأُطلق [7] .

---

٥ وردت القصّة في ظ مبتورة إلى هذا الحدّ في الصحيفة ١٢٩ وتتمتها في الصحيفة ١٢٧ .

٦ كان رجاء ابن عم الفضل بن سهل السرخسيّ وزير المأمون (الطبري ٨ / ٥٤٠) .

٧ لم ترد هذه القصّة في م ولا في غ .

٢٢٠

المنصور يرى مناماً

فيرفع الظلامة عن محبوس

وجدت في بعض الكتب :

أنّ المنصور استيقظ من منامه ليلة من اللّيالي ، وهو مذعور لرؤيا رآها ، فصاح بالرّبيع ، وقال له : صِر السّاعة إلى الباب الثاني الّذي يلي باب الشّام فإنّك ستصادف هناك رجلاً مجوسيّاً مستنداً إلى الباب الحديد ، فجئني به ، فمضى الرّبيع مبادراً ، وعاد والمجوسيّ معه .

فلمّا رآه المنصور ، قال : نعم ، هو هذا ، ما ظلامتك ؟

قال : إنّ عاملك بالأنبار ، جاورني في ضيعة لي ، فسامني أن أبيعه إيّاها ، فامتنعتُ ، لأنّها معيشتي ، ومنها أقوت عيالي ، فغصبني إيّاها .

فقال له المنصور : فبأيّ شيء دعوت قبل أن يصير إليك رسولي ؟

قال : قلت : اللّهمّ إنّك حليم ذو أناة ، ولا صبرَ لي على أناتك .

فقال المنصور للرّبيع : أشخص هذا العامل ، وأحسِن أدبه ، وانتزع ضيعة هذا المجوسيّ [من يده ، وسلّمها إلى هذا المجوسيّ ، وابتع من العامل ضيعته ، وسلّمها إليه أيضاً][1] .

ففعل الرّبيع ذلك كلّه في بعض نهار يوم ، وانصرف المجوسيّ ، وقد فرّج الله عنه ، وزاده ، وأحسن إليه[2] .

---

١ الزيادة من هـ و ر .

٢ لم ترد هذه القصّة في م ، ولا في غ .

٢٢١

صاحب الشرطة ببغداد يرى مناماً

يرشده إلى القاتل ويبرّئ فيجاً مظلوماً .

وجدتُ في كتاب : حدّث القاسم بن كرسوع ، صاحب أبي جعفر محبرة[1] ، قال :

كان ابن أبي عون ، صاحب الشرطة[2] ، قد وعد محبرة أنّه يجيئه للإقامة عنده ، والشرب مصطبحاً على ستارته[3] في يوم الثلاثاء ، فأبطأ عليه ، وتعلّق قلب محبرة بتأخّره ، فبعث غلاماً له يطلبه ويعرف خبره في تأخّره .

فعاد إلى محبرة ، وقال : وجدته في مجلس الشرطة ، يضرب رجلاً بالسياط ، وذكر أنّه يجيء السّاعة ، [١٠٤ ر] فلمّا كان بعد ساعة ، جاء ابن أبي عون .

فقال له أبو جعفر : أفسدت صبوحنا[4] ، وشغلت قلبي بتأخّرك ، فما سبب ذلك ؟

---

١ أبو جعفر محمّد بن يحيى بن أبي عبّاد جابر بن يزيد بن الصباح العسكري ، الملقّب بمحبرة النديم : ترجمته في حاشية القصّة ١٩٩ في الكتاب .

٢ محمّد بن أبي عون : كان من قوّاد الأمير محمّد بن عبد الله بن طاهر أمير بغداد (الطبري ٩ / ٢٨٤) واشترك إلى جانب المستعين في الحرب بينه وبين المعتزّ (الطبري ٩ / ٣٠١ و٣١٠ و٣٣٧) وجنّد جنداً من العيّارين لحرب الأتراك (الطبري ٩ / ٢٨٨) ثم تقلّد البصرة واليمامة والبحرين (الطبري ٩ / ٣٥٤) ثم تقلّد واسط (الطبري ٩ / ٤١٢) ثم نقل عنها إلى ولاية الأبلّة وكور دجلة (الطبري ٩ / ٤١٥) واشترك في المعارك مع صاحب الزنج إلى نهايتها (الطبري ٩ / ٤١٨ — ٤٢٠ ، ٤٢٦ ، ٤٢٨) ويظهر من هذه القصّة أنّه تقلّد ، بعد ذلك ، الشرطة ببغداد .

٣ الستارة : كناية يراد بها المغنّيات .

٤ الصبوح : الشرب بكرة .

فقال : إنّي رأيت البارحة في منامي ، كأنّي بكّرت بليل لأجيك[5] ، وليس بين يديّ إلّا غلام واحد ، فسرت في خراب إسحاق بن إبراهيم بن مصعب[6] ، لأجيءإلى رحبة الجسر[7] ، فإنّي لأسير في القمر ، إذ رأيت شيخاً بهيّاً ، نظيف الثّوب ، على رأسه قلنسوة لاطية[8] ، وفي يده عكّاز ، فسلّم عليّ ، وقال : إنّي أرشدك إلى ما فيه مثوبة : في جبسك فيج[9] مظلوم ، وافى من المدائن ،

---

٥ يريد لأجيئك ، وقد حذفت الهمزة من الكلمة على طريقة البغداديين التي ما زالوا عليها إلى الآن في حذف الهمزة إذا كانت في آخر الكلمة ، أو إبدالها بالواو أو الياء إذا كانت في وسطها ، راجع حاشية القصّة ١٦٧ من الكتاب .

٦ أبو الحسن إسحاق بن إبراهيم بن الحسين بن مصعب المصعبيّ : توفّي سنة ٢٣٥ وهو أمير بغداد ، وصاحب الدولة ، فأصبحت داره من بعد ربع قرن خراباً ، وفي هذا عبرة لمن اعتبر .

٧ رحبة الجسر : راجع البحث في آخر القصّة .

٨ القلنسوة : لباس الرأس ، وقد تسمى الشاشيّة (القصّة ٣٢٦ من هذا الكتاب ورسوم دار الخلافة ص ٤٣) ، وهي طاقية مخروطة الشكل ، مدبّبة الرأس ، تلفّ حولها العمامة ، وعند التخفّف تلبس القلنسوة وحدها ، ولا يلفّ حولها شيء ، وقد رأيت في غرناطة في السنة ١٩٦٠ صورة للسلطان أبي عبد الله بن الأحمر ، صوّرها له المصوّرون الأسبان ، وعلى رأسه قلنسوة ، وكانت القلنسوة تختلف في ارتفاعها ، زيادة ونقصاً ، وقد فرض المنصور على جنده لبس القلانس الطوال ، حتى أنّ أحد أتباعه ، وصف نفسه لما لبسها ، أنّ وجهه أصبح في وسطه (الملح والنوادر للحصري ٨٧ ونهاية الأرب ٤ / ٣٧) ، ثم أصبحت القلنسوة الطويلة من بعده مقصورة على القضاة والفقهاء ، وكانت القلنسوة تدعم من باطنها لتبقى قائمة على الرأس (راجع رسوم دار الخلافة ص ٤٣) ، فإن لم تكن فيها أعواد تدعمها ارتخت وتهدّلت على الرأس وسميت : قلنسوة لاطية ، وفي المنجد : القلنسوة اللاطئة ، قلنسوة صغيرة تلطأ ، أي تلصق بالرأس ، وما يزال هذا اسمها ببغداد ، ولكنهم يلفظونها بياء مشدّدة (لاطيّة) ، وقد تطوّرت القلانس إلى لبدة ، وكلوته ، وشربوش ، وكلاو ، وطاقية ، والطاقية تسمى في بغداد : عرقچين ، واللفظة مكونة من كلمتين : عرق : فصيحة ، وهو الماء الذي يرشح من الجلد ، وچين : فارسية بمعنى طيّة أو ثنية .

٩ الفيج : في الأصل تطلق الكلمة على رسول السلطان الذي يسعى على قدميه ، ثم أطلقت على كل من اتخذ نقل الرسائل صناعة ، وبذلك أصبح « التفيّج » صناعة ، ويعني نقل الرسائل من بلد إلى بلد ،

في وقت ضيّق ، فاتّهم بأنّه قتل رجلاً ، وهو بريء من دمه ، وقد ضُرِب وحبس ، وقاتلُ الرّجلِ غيره ، وهو في غرفة وسطى من ثلاث غرف مبنية على طاق العكّي[10] بالكرخ ، واسمه فلان بن فلان ، ابعث من يأخذه ، فإنّك ستجده سكران ، عريان ، بسراويل ، وفي يده سكّين مخضّبة بالدّم ، فاصنع به ما ترى ، وأطلق الفيج البائس [١٢٩ ظ] .

قلت : أفعل ، وانتبهت ، فركبتُ ، وسرتُ ، حتّى وافيت رحبة الجسر .

فقلت : ما حدث في هذه اللّيلة ؟

وكان للفيوج زيّ خاص يفرضه عليهم التخفّف من حمل الرحل ، فكانوا يلبسون المرقّعة ، ويحملون ركوة لشرابهم ، وعصا في أيديهم ، وتاسومة في أقدامهم ، إضافة إلى الخريطة التي تودع فيها الرسائل ، راجع القصّة ٢٨٤ والقصّة ٣٢٩ من هذا الكتاب .

١٠ في ظ و ر : طاق السكك ، وفي هـ : طاق التك ، وكلاهما محرّف عن طاق العكّيّ ، والطاق : البناء المعقود ، ويجمع على طاقات وطيقان ، وطاقات العكّيّ ، كانت في قطيعة العكّيّ ، بمدينة المنصور ، بين باب البصرة ، وباب الكوفة ، وكانت أوّل طاقات بنيت ببغداد (معجم البلدان ٣ / ٤٨٨ ، والقصّة ٤ / ٢٤ من كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للقاضي التنوخي) ، أقول : وقد رأينا ببغداد طاقات يربط الطاق منها بين دارين متقابلين ، يمرّ عابرو السبيل من تحتها ، منها طاق البصراوي في عقد النصارى ، والطاق في عقد « جوّا الطاق » النافذ من سوق العطارين إلى عقد الكنائس ، وطاقاً في عقد النصارى ، قرب البناية القديمة للمدرسة الجعفرية ، يصل بين داري أرسطو ، وهو طبيب فارسي ، يداوي مرضاه بالطب اليونانيّ ، وطاقاً عند بيت عبد الرحمن باشا الحيدري ، في الزقاق النافذ إلى عقد مشرعة بيت النوّاب المتفرّع من شارع النهر ، أما الطاقات خارج بغداد ، فهي طاقات أبواب السور وقد رأينا منها طاقات باب المعظم ، وهو الباب الشمالي في سور بغداد ، وطاقات الباب الشرقي ، وهو الباب الجنوبي المسمى باب كلواذى ، أو باب البصلية ، وطاقات باب الظفرية ، ويسميه البغداديون ، الباب الوسطاني ، أي المتوسّط بين الباب الشمالي ، وباب كلواذى ، وقد اتّخذ الآن متحفاً للأسلحة القديمة (أنظر صورته في كتاب بغداد الصادر في السنة ١٩٦٩ ص ٢٥٠ و٢٥١) ، وهنالك طاقات باب آخر ، هو باب الحلبة ، ويسميه عامة بغداد : باب الطلّسم ، لوجود صورة حيّتين ، ملتفّتين ، متقابلتين على الطاق ، وهو في الجانب الشرقي من السور ، وقد نسفه الجيش التركي عند مغادرته بغداد في السنة ١٩١٧ في الحرب العالمية الأولى (أنظر صورته في كتاب بغداد ص ٢٤٨ و٢٤٩) .

فقالوا : وجدنا هذا القتيل ، وهذا الفيج معه ، فضربناه ، ولم يقرّ .

فرأيت به أثر ضرب عظيم ، فسألته عن خبره ، فقال : أنا معروف بالمدائن بسلامة الطّريقة ، ومعاشي التفيّج ، أنفذني فلانٌ بن فلان من المدائن ، إلى فلان بن فلان من أهل بغداد ، بهذه الكتب ، وأخرج إضبارة[11] ، فدخلت أوائل بغداد وقت العتمة ، فوجدت في الطّريق رجلاً مقتولاً ، فجزعت ، ولم أدر أين آخذ ، فأنا على حالي إذ أدركني الأعوان ، فظنّوني قتلته ، ووالله ما أعرفه ، ولا رأيته قطّ ، وقد حبسوني وضربوني ، فاللهَ ، اللهَ ، في دمي .

فقلت : قد فرّج الله عنك ، انطلق حيث شئت ، ثمّ أخذت الرجّالة ، ومضيت إلى طاق العكّي[12] ، فإذا الثّلاث غرف مصطفّة ، فهجمت على الوسطى ، فإذا فيها رجل سكران عليه سراويل فقط ، وفي يده سكّين مخضّب بالدم ، وهو يقول : أخ عليك ، والك ، نعم يا سيدي ، أنا جرحته ، أخو القَحبة[13] ، وإن مات فأنا قتلته ، فأنزلته مكتوفاً ، وبعثت به إلى الحبس ، وانحدرت إلى الموفّق ، فأعلمته بالحديث ، فتعجّب ، وتقدّم إليّ أن أضرب القاتل بالسّياط إلى أن يتلف ، وأصلبه في موضع جنايته ، فتشاغلت بذلك إلى أن فرغت منه ، ثمّ جئتك[14] .

---

١١ الإضبارة : بكسر أوّله ، المجموعة من الصحف .

١٢ في ظ و ر : طاق السكك ، وفي هـ : طاق التك .

١٣ هذه الكلمات التي نطق بها العيّار السكران ، ما يزال العيّارون البغداديون يستعملونها الآن ، كما كان أسلافهم منذ أكثر من ألف عام ، والبغداديون يسمون العيّارين الآن : الأشقياء ، ويسمون العيارة : الشقاوة ، لاحظ أنّ كلمة : والك ، أصلها : ويلك ، للتفصيل راجع حاشية القصّة ٤٧٨ من هذا الكتاب .

١٤ لم ترد هذه القصّة في م ولا في غ .

الرحبـــة

الرحبة : الأرض الواسعة ، وكانت الكلمة تطلق على المدينة أو القرية ، أو الفضاء الكائن بين الأبنية ، مما يسمّى الآن ساحة ، أو ميداناً .

وذكر ياقوت في كتابه (المشترك وضعاً والمفترق صقعاً ص ٢٠٣) ستة مواضع تسمّى الرحبة ، بضم الراء ، وتسعة مواضع تسمّى الرحبة ، بفتح الراء .

فمن المدن : رحبة مالك بن طوق ، بناها مالك ، ونسبت إلى بانيها ، وهي بين الرقّة وبغداد على شاطئ الفرات على بعد ٨ أيّام من دمشق (معجم البلدان ٢ / ٧٦٤) .

ومن القرى : الرحبة ، قرية بحذاء القادسية ، على مرحلة من الكوفة ، قال عنها ياقوت إنّها على يسار الحاج المتوجّهين إلى مكة ، وقد خربت الآن لكثرة طروق العرب ، لأنّها على ضفة البريّة ، ليس بعدها عمارة (معجم البلدان ٢ / ٧٦٢ والمفترق صقعاً ص ٢٠٣) .

أقول : مررت على الرحبة في السنة ١٩٣٥ لما كنت قاضياً في منطقة أبي صخير المجاورة للنجف ، وكانت الحيرة ، ورحبة القادسية تابعة لمحكمة أبي صخير ، وقد أبصرت أهالي الرحبةيقيمون في حصن ، وقد اتخذوا في باطنه مساكن لهم ، وهم يزرعون الخضر والبطيخ الأحمر المعروف ببغداد بالرقّي ، وماؤهم من عين ثرّة هناك ، تسمى « عين الرحبة » .

وأمّا الرحبة بمعنى الساحة ، أو الميدان ، أو الفضاء الكائن بين الأبنية ، فقد كان لكلّ جامعٍ رحبة ، وفي كلّ رأس جسر رحبة ، هذا ما عدا الرحبات الأخرى الكائنة في داخل المدينة ، وقد سميت إحدى رحبات مسجد المدينة ، رحبة القضاء ، إذ كانت داراً لعبد الرحمن بن عوف ، قضى فيها لعثمان بالخلافة (الطبري ٤ / ٢٣٧) ، ورحبة القصّابين بالبصرة ، وقعت فيها معركة بين أنصار يزيد بن المهلّب ، وبين أتباع الأمويين في السنة ١٠١ (العيون والحدائق ٣ / ٥٧) ، وكان لمسجد البصرة رحبة (الطبري ٥ / ٥١٨) ولجامع المنصور بالمدينة المدوّرة رحبة (الطبري ٩ / ٣٥٨) ، وكانت إحدى الرحبات في سامراء ، اسمها رحبة زيرك وهي بالقرب من باب الفراغنة (تاريخ بغداد للخطيب ٦ / ٣٦٨) .

وكان لجامع القصر ببغداد رحبة ، وهو الجامع الذي كان الخلفاء العبّاسيّون يقيمون فيه ببغداد صلاة الجمعة ، ينفذون إليه من قصر الخلافة ، عبر ممرّات تحت الأرض ، وهذا الجامع ، تعاورته أيدي الغصب فلم يبق منه إلاّ مئذنته ، واسمها الآن منارة سوق الغزل .

أمّا رحبة جامع القصر ، فهي واقعة خارج الجامع ، مما يلي المئذنة ، في شرقيّها ، وما تزال إلى الآن رحبة يحتلّها القصّابون الذين يبيعون لحم البقر . وتفصل هذه الرحبة الآن بين سوق الشورجة حيث تباع الغلال ، وبين سوق الدهانة ، حيث دكاكين العطّارين ، والبقّالين ، والحلوانيين ، ويسميهم البغداديون (الشكرچية) .

وكانت رحبة الجسر من أنزه المواضع ببغداد ، بحيث انّ الناس كانوا يجتمعون فيها للفرجة ، وفي بغداد أغنية شائعة ، نظمها بغدادي أضاق ، فقال يسلّي نفسه :

لا بـدّ مـا تنقضـي والفقـر مـا هو عيـب
وأقف بـراس الجسـر وأخرخشـك يـا جيـب

وحدّثوا أنّ أعرابياً قدم بغداد ، فأطعم اللوزينج (اسمه الآن ببغداد : بقلاوه ، فارسية : باقلاوا) ، فاستطابه ، وقال : سمعت الأشياخ من أهلي ، يذكرون أنّ من طيّبات بغداد : الحمّام ، ورأس الجسر ، وهذا الذي أكلته ، لا بدّ أن يكون واحداً منهما .

٢٢٢

عزم على قتله ثم منّ عليه وأطلقه

ثمّ يمنّ عليه ويطلقه

حدّثني عليّ بن محمّد بن إسحاق بن إبراهيم بن موسى ، وكان ابن أخي موسى بن إسحاق القاضي الأنصاريّ[١] ، قال :

كنت خرجت مع أبي وهو يكتب لأبي جعفر الكرخيّ محمّد بن القاسم[٢] ، لما تقلّد الموصل والديارات[٣] ، وكان قد ضمّ إلى أبي جعفر جماعة من قوّاد السلطان ، فلمّا صرنا بنصيبين[٤] كان[٥] أبي قد مضى وأنا معه إلى أبي العباس أحمد

---

١ أبو بكر موسى بن إسحاق بن عبد الله الأنصاري الخطمي (٢١٠ – ٢٩٧) : قاضٍ ، ثقة ، ثبت ، عفيف ، صدوق ، فصيح ، أقرأ القرآن في الجانب الشرقيّ وهو ابن ١٨ سنة ، واستقضي وله ٢٨ سنة ، ولّي القضاء بالريّ والأهواز ، وتوفّي وهو على قضاء الأهواز (المنتظم ٦ / ٩٦) .

٢ أبو جعفر محمّد بن القاسم الكرخيّ : من رجال الدولة العباسيّة ، ولّي الجبل ، وديوان السواد ، دفعات ، وقطعة كبيرة من المشرق ، وتقلّد البصرة والأهواز مجموعة ، ثم تقلّد عدّة دواوين كبار جليلة بالحضرة ، ثم تقلّد الوزارة للراضي ، وللمتّقي ، وكان يخرج إلى عمله ومتاعه على ستمائة بغل ودابّة ، وكان له نيّف وأربعون طبّاخاً ، وآلت حاله في آخر عمره إلى الفقر الشديد ، ومات بمنزله ببغداد بعد سنة ٣٤٠ ، ونسبته إلى كرخ البصرة ، وهي من ناحية الرستاق الأعلى بالبصرة من عراص الفتح ، قال عنها ياقوت في معجم البلدان ٤ / ٢٥٣ إنّها باقية إلى الآن ، إلاّ أنّها كالخراب لشدّة اختلالها ، راجع معجم البلدان ٤ / ٢٥٣ وتجارب الأمم ١ / ٣٣٨ والفخري ٢٨١ وكتاب الوزراء للصابي ٧٤ و١٩١ والقصص ٢ / ١١٤ و٣ / ١٠٧ و٤ / ١٢٤ من كتاب نشوار المحاضرة للتنوخي .

٣ الديارات : ديار بكر ، وديار ربيعة ، وديار مضر .

٤ نصيبين : قال ياقوت في معجم البلدان ٤ / ٧٨٧ عنها : إنّها مدينة عامرة من بلاد الجزيرة على جادة القوافل بين الموصل والشام ، قالوا إنّ فيها ، وفي قراها ، أربعين ألف بستان ، وتبعد ستّة أيّام عن الموصل ، راجع أخبار سيف الدّولة ص ٢١٠ ، أقول : وهي الآن بليدة .

٥ وردت القصّة في ظ مبتورة إلى هذا الحدّ ، وقد أكملناها من ر .

ابن كشمرد[6] مسلّماً عليه ، فتحدّثنا ، فسمعته يحدّثه ، قال :

لما أسرني أبو طاهر القرمطيّ[7] ، فيمَن أسره بالهبير[8] ، حبسني وأبا الهيجاء[9] ،

---

٦ أبو العباس أحمد بن محمّد بن كشمرد : ورد اسمه في بعض التواريخ أحمد بن محمّد بن كمشجور : من رجال الدولة العباسية ، كان في السنة ٢٨٦ يتولى المعاون بالأنبار (الطبري ١٠ / ٧٢) وفي السنة ٢٩١ يتولّى المعاون بالأنبار وطريق الفرات ، وكان أحد من اعتقله أبو طاهر القرمطيّ في وقعة الهبير سنة ٣١٢ (الطبري ١٠ / ٧٢ و١٠٩ ، والكامل ٨ / ١٤٧ وتجارب الأمم ١ / ١٢١) .

٧ أبو طاهر سليمان بن الحسن بن بهرام الجنّابي الهجريّ القرمطي ، ملك البحرين ، وزعيم القرامطة ، خارجي ، طاغية ، جبار ، نسبته إلى جنّابة من بلاد فارس ، وكان أبوه استولى على هجر والأحساء والقطيف ، وخلف أباه فوثب على البصرة ، ونهبها ، وأغار على الكوفة ، وسلب ما فيها ، وأغار على مكّة يوم التروية ، فقتل ثلاثين ألفاً من الحجاج ، ونهب أموالهم ، وقلع الحجر الأسود ، وأرسله إلى هجر ، وعرّى البيت الحرام ، وأخذ بابه ، وردم زمزم بالقتلى ، ومات في السنة ٣٣٢ في هجر (الأعلام ٣ / ١٨٣) .

٨ وقعة الهبير في السنة ٣١٢ ، التي قطع فيها أبو طاهر القرمطيّ الطريق على الحاجّ ، واستباح أموالهم ودماءهم ، وكان رئيس القرامطة أبو طاهر الجنّابي – إذ ذاك – سنّه ١٧ سنة ، خرج إلى الهبير في ثمانمائة فارس وثمانمائة راجل ، فاستقبل الحاجّ عند عودتهم من مكّة ، وقتلهم قتلاً مسرفاً ، وأخذ جمالهم ، وسبى من اختار من النساء والصبيان ، وسار بهم إلى هجر ، وترك باقي الحاجّ في موضعهم بلا جمال ولا زاد ، فمات أكثرهم بالعطش والحفاء ، وحصل لأبي طاهر ما حزر من الأموال بألف ألف دينار ، ومن الأمتعة والطيب نحو ألف ألف دينار أيضاً ، فانقلبت بغداد ، وخرجت النساء منشورات الشعور ، مسودات الوجوه ، يلطمن ويصرخن في الشوارع ، ووثب العامّة على الوزير ابن الفرات ، ورجموا طيّاره بالآجر ، ورجموا داره أيضاً (المنتظم ٦ / ١٨٨) .

٩ أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان بن حمدون التغلبيّ العدوي : ترجمته في حاشية القصّة ١٦٣ ، وقد كانت إليه في سنة الهبير ، طريق الكوفة ، وطريق مكّة ، وبذرقة الحاجّ ، وكان قد أشار على الحاجّ أن يعدل بهم من فيد إلى وادي القرى ، لئلا يجتازوا بالهبير ، إذ انّه بلغه خبر القرمطي ، فضج الحجّاج من ذلك ، وامتنعوا عليه ، وساروا ، فاضطرّ إلى المسير معهم ، فلاقاهم القرمطي ، وأوقع بهم (تجارب الأمم ١ / ١٢٠) .

والغمر[10] ، في ثلاث حجرٍ متقاربة ، ومكّننا أن نتزاور ، ونجتمع على الحديث .

فمكّن أبا الهيجاء خاصّة ، واختصّ به ، وعمل على إطلاقه . وشفّعه في أشياء .

فسألت أبا الهيجاء أن يسأله إطلاقي ، فوعدني ، واستدعاه القرمطيّ ، فمضى إليه وعاد [١٠٥ ر] إلى حجرته ، فجئت وسألته : هل خاطبه ؟ فدافعني .

فقلت : لعلّك أنسيت ؟

فقال : لا والله ، ولوددت أنّي ما ذكرتك له ، إنّي وجدته متغيّظاً عليك ، فقال : والله ، لأضربنّ عنقه عند طلوع الشّمس في غدٍ .

ورحل أبو الهيجاء ، فورد عليّ أمر عظيم ، وعدت إلى حجرتي وقد يئست من الحياة ، فلمّا كان في اللّيل ، رأيت في منامي كأنّ قائلاً يقول لي : اكتب في رقعةٍ : بسم الله الرّحمن الرّحيم ، من العبد الذليل ، إلى المولى الجليل ، مسّني الضرّ والخوف ، وأنت أرحم الرّاحمين ، فبحقّ محمّد وآل محمّد ، اكشف همّي وحزني ، وفرّج عنّي ، واطرح هذه الرّقعة في هذا النّهر ، وأومأ إلى ساقية كانت تجري هناك في المطبخ .

فانتبهتُ من نومي ، وكتبت الرّقعة ، وطرحتها في السّاقية .

فلمّا كان السَّحَر استدعاني القرمطيّ ، فلم أشكّ أنّه القتل ، فلمّا دخلت إليه أدناني وأجلسني ، وقال : قد كان رأيي فيك غير هذا ، إلّا أنّي قد رأيت تخليتك .

---

١٠ كذا في ظ وهـ ، ووردت في ر : والعم ، وجميعها محرّفة عن : العمري ، وهو نحرير العمري أحد قوّاد الدولة العبّاسيّة ، اشترك في قتال القرامطة في السنة ٢٩٣ ، وأسره القرمطي أبو طاهر في وقعة الهبير (الطبري ١٠ / ١٢٧ ، تجارب الأمم ١ / ١٢١ والكامل ٨ / ١٤٧) .

فخرجت ، فإذا على الباب راحلة ، ورجل يصحبني ، فركبت ، ودخلت البصرة سالماً ، ولحقت أبا الهيجاء بها ، فدخلنا معاً إلى بغداد[11]

[11] لم ترد هذه القصّة في م ، ولا في ع ووردت في ظ مبتورة ، وأكملناها من ر ، أقول : لما ظفر أبو طاهر الجنابي ، يوم الهبير ، بالحجّاج ، وقتلهم ، وأخذ أموالهم ، كان من جملة ما أخذ بعض الأحمال ، وفيها من رفيع البزّ ، والمثقل ، وطريف الوشي والمصمت ، ما أعجبه ، وأبهته ، فقال : عليّ بصاحب هذه الأحمال ، فأحضروه ، فقال له : ما منعك أن يكون ما جئت به أكثر من هذا ؟ فقال : لـو علمت أنّ السوق بهذا النفاق لفعلتُ ، فاستظرف أبو طاهر الجواب ، وأعاد إليه جميع ما أخذ منه ، ودفع إليه مالاً من عنده ، وأرسل معه من يحفظه ، حتى أوصله إلى مأمنه (الملح للحصري ٢٠) . وكان عروة الزبيري ، ممن سلم من الوقعة يوم الهبير ، وكان معه قرد وكلب ، تركهما ناجياً بنفسه ، ووصل الكوفة سالماً ، ووصل القرد والكلب بعده ، وكان القرد راكباً الكلب ، وإذا القرد كان يحتال في طعامه وطعام الكلب ، طول الطريق ، ويركبه مقابل إطعامه ، راجع التفصيل في القصّة ١٠٨/١ من كتاب نشوار المحاضرة للقاضي التّنوخي .

٢٢٣

محمّد بن سليمان الكاتب

دخل مصر أجيراً ثمّ دخلها أميراً

قال أبو الحسن عليّ بن زكيّ[١] :

كنت مع صاحبي عيسى النوشريّ[٢] ، وكان مضافاً لمحمّد بن سليمان الكاتب[٣] على حرب الطولونية[٤] ، إلى أن افتتحت مصر[٥] ، فتقلّدها عيسى[٦] .

---

١ كذا في ظ وه ، وفي ر : أبو عليّ الحسن بن تركي .

٢ عيسى النوشري : كان من قوّاد بدر غلام المعتضد ، استخلفه في السنة ٢٧٨ على شرطة الجانب الغربيّ من بغداد (الطبري ١٠ / ٢٢) ثم تقلّد أصبهان ، ثم فارس (الطبري ١٠ / ٤٧ و٧٧) ثم تقلّد المعونة بالقاهرة لما فتحها محمّد بن سليمان واستأصل الطولونيّين (الطبري ١٠ / ١١٩) . وقال صاحب اللباب ٣ / ٢٤٣ انّ النوشري : نسبة إلى نوشر ، ولم يعيّن ماهيتها ، ولعلّها مخفّفة عن : نوشهر ، وهو اسم لنيسابور ونواحيها بخراسان ، راجع معجم البلدان ٤ / ٨٢٤ و٨٥٧ .

٣ محمّد بن سليمان الكاتب : فاتح مصر ، كان في ابتداء أمره يكتب لأبي الصقر إسماعيل بن بلبل وزير المعتمد ، ثم تولّى ديوان الجيش ، وفي السنة ٢٩٠ وجّهه الوزير القاسم بن عبيد الله لحرب القرمطي صاحب الشامة ، فناجزه الحرب ، وفتك بالقرامطة ، وأسر صاحب الشامة وجماعة من قوّاده ، فخلع عليه ، وطوّق ، وسوّر . ثم وجّهه المكتفي في السنة ٢٩١ إلى الشام ومصر . لحرب الطولونية . فلما وصل إلى مصر استأمن إليه القائد بدر الحمامي وكثير من قوّاد الطولونية ، ففتح مصر ، واعتقل جميع آل طولون ، وأسبابهم . وبعث بهم إلى بغداد ، راجع أخباره في الطبري ١٠ / ٢٢ ، ٤٥ ، ١٠٧ – ١١٣ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٢ .

٤ دامت دولة الطولونية ٣٨ سنة . من ٢٥٤ إلى ٢٩٢ بدأت بأحمد بن طولون ، وانتهت بهارون بن خمارويه بن أحمد بن طولون .

٥ افتتحت مصر في السنة ٢٩٢ (الطبري ١٠ / ١١٩) .

٦ راجع الطبري ١٠ / ١١٩ .

قال : قال عيسى : خرج يوماً محمّد بن سليمان إلى ظاهر الفسطاط[7] ، فانتهى به السير إلى قبّة كانت لأحمد بن طولون[8] ، يقال لها : قبّة الهواء ، مطلّة على النيل وعلى البرّ ، فجلس فيها ومعه الحسين بن حمدان[9] وجماعة من القوّاد ، ثمّ قال : الحمد لله الّذي بيده الأمر كلّه يفعل ما يشاء .

فقال له الحسين بن حمدان : لا شكّ أنّ تجديدك الحمد لأمر .

قال : نعم ، وهو عجيب طريف ذكرته السّاعة ، وهو أنّي نزعت إلى مصر وأنا في حال رثّة ، في زيّ صغار الأتباع ، فضاق عليّ المعاش بها ؟ فاتّصلت بلؤلؤ الطولونيّ[10] ، فأجرى عليّ دينارين في كلّ شهر ، وصيّرني مشرفاً في

---

٧ الفسطاط : حاضرة الديار المصرية ، قبل بناء القاهرة ، أنشأها المسلمون لما افتتحوا مصر ، وكان سبب إنشائها أنّ قائد جيش المسلمين كان قد نصب فسطاطه في موضع ، ولما أراد تقويضه ، إذا بيمامة قد باضت في أعلاه ، فقال : لقد تحرّمت بجوارنا ، وأقرّ الفسطاط على حاله ، ووكّل به من يحفظه ، وعمّر الناس حول الفسطاط مدينة أصبحت حاضرة مصر (معجم البلدان ٣ / ٨٩٦) .

٨ أبو العباس أحمد بن طولون (٢٢٠ – ٢٧٠) : من كبار القوّاد الأتراك في الدولة العبّاسيّة ، تقدّم عند المتوكّل ، فولّاه الثغور والشام ، ثمّ مصر ، واختلف مع الحضرة ، فاستقلّ ، وحارب الجيش العبّاسيّ ، وكان شديداً ، قاسياً ، سفّاكاً للدماء (الأعلام ١ / ١٣٧) .

٩ الحسين بن حمدان بن حمدون الحمداني : عمّ سيف الدولة الحمداني ، أحد الأمراء الشجعان المقدّمين في العصر العباسي ، من قوّاد المعتضد ، اشترك في فتنة ابن المعتزّ ، ثم ولّي قم ، ثم ديار ربيعة ، ثم خرج عن الطاعة ، فأسر ، واعتقل ، وقتل في الحبس سنة ٣٠٦ (الأعلام ٢ / ٢٥٤) .

١٠ لؤلؤ الطولوني : غلام أحمد بن طولون ، ربّاه أحمد ، وقوّده ، وقلّده حمص وحلب وقنسرين وديار مضر (الطبري ٩ / ٦١٤) فانتقض عليه في السنة ٢٦٨ (الطبري ٩ / ٦١١) وكاتب أبا أحمد الموفّق في المصير إليه (الطبري ٩ / ٦١٤) وقدم بغداد في جيش عظيم من الفراغنة والأتراك والروم والبربر والسودان وغيرهم من نخبة أصحاب ابن طولون (الطبري ٩ / ٦٥٠) فقلّد أعمال الفرات وشهرزوراء وحلوان وأعمالاً أخرى غيرها (الطبري ٩ / ٦٢٨) واشترك في حرب صاحب الزنج ، فأبلى وجيشه بلاء حسناً (الطبري ٩ / ٦٥٠) وكان قتل صاحب الزنج بيد أحد أتباعه (الطبري ٩ / ٦٥٩) فجازاه الموفّق أقبح جزاء ، إذ اعتقله في السنة ٢٧٣ واستصفى ماله ، فقال لؤلؤ : ما عرفت لنفسي ذنباً

إصطبله على كراعه ، فكنت هناك من حيث لا يعرف وجهـي جيّداً ، ولا أقدم على الوقوف بين يديه .

فلمّا كان في بعض الأيّام أحضرني ، فقال : ويحك ، من أين يعرفك الأمير ؟ يعني أحمد بن طولون .

فقلت : والله ، ما رآني قط ، ولا وقعت عينه عليّ إلّا في الطّريق ، ولا محلّي محلّ من يتصدّى للقائه .

فقال : دعاني السّاعة ، وهو في قبّة الهواء ، فقال : معك رجل أشقر أشهل[١١] ، يقال له : محمّد بن سليمان .

فقلت : ما أعرفه .

فقال : بل هو في جَنْبَتِك ، فأبعده عنك ، فإنّي رأيته البارحة وفي يده مكنسة يكنس داري بها ، فتوقّ ويحك ، ولا تتعرّف إلى أحد من حاشيته ، وأقرّني على أمري ، فامتثلت أمره .

ومضت لهذا الحديث شهور ، ثمّ دعاني ثانية ، فقال : ويحك ، ماذا بليت به منك ، وبليتَ أنت به من هذا الأمير ؟ دعاني بعدّة من أصحاب الرّسائل ، فوافيته وأنا في غاية الوجل ، فقال . أليس أمرتك بصرف محمّد بن سليمان الأزرق الأشقر ؟

فقلت : قد عرّفتك يا سيّدي أنّي ما[١٢] استخدمت مَنْ هذه سبيله ، ولا وقعت لي عليه عين .

استوجبت به ما فعل بي ، إلاّ كثرة مالي (الطبري ١٠ / ١٢) واستمرّ معتقلاً إلى أن أطلقه المعتضد في السنة ٢٨٢ (الطبري ١٠ / ٤١) .

١١ الأشهل : ذو العين الشهلاء ، وهي التي يخالط سوادها زرقة .

١٢ جاءت هذه القصّة في ظ مبتورة الأوّل إلى هنا ، وقد أكملناها من ر .

فقال : كذبتَ ، هو معك في إصطبلك ، فأخرجهُ السّاعة عن البلد ، فإنّي قد رأيته البارحة في النّوم ، وفي يده مكنسة ، وهو يكنس بها سائر حجري وداري ، ونسأل الله الكفاية .

فقلت للؤلؤ : [١٠٦ ر] وأيّ ذنب لي يا سيّدي في الأحلام ؟

فقال لي : صدقتِ ، فاستتر إلى أن يتناسى الأمير ذكرك ، ففعلتُ ، وكان يجري عليّ ذلك الرزق ، وأنا لا أعمل شيئاً .

فلمّا تهيّأ من إنفاذ لؤلؤ إلى الشّام ما تهيّأ ، نهضت معه ، وتخلّف عنه كتّابه ، لما كانوا علموه من تغيّر حاله عند صاحبه ، فأدناني ، وقرّبني ، وأجرى عليّ في كلّ شهر عشرة دنانير ، وحملني على دابّة وبغل ، فلزمت خدمته ، وكفيته ، واستحمدت إليه ، فزادني من رأيه ، ولم ينته إلى العريش ، حتّى تنبّه أحمد بن طولون على استيحاش لؤلؤ ، فكتب إليه بالرّجوع إلى مصر ، فشاورني ، فأشرت عليه بالانحدار إلى نواحي ديار مضر ، وأخذ ما يستهدف له من المال ، ولم أترك غايةً إلّا أتيتها في تضريبه وتأليبه ، حتّى أوردته مدينة السّلام .

ثمّ تقلّبت بي الأحوال في خدمة السلطان ، وخدمة الدول ، وتوفّي أحمد بن طولون ، وقتل أبو الجيش [١٣] ، وجيش ابنه [١٤] ، وتولّى بعدهم هارون بن خمارويه [١٥] ،

---

١٣ أبو الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون . قتل سنة ٢٨٢ .

١٤ أبو العساكر جيش بن خمارويه بن أحمد بن طولون : أمير مصر والشام ، تولّى بعد مقتل أبيه بدمشق في السنة ٢٨٢ ، وعاد إلى مصر ، فغلب عليه اللهو ، فنقمت عليه الخاصّة ، فخلع ، وحبس ، وقتل في الحبس سنة ٢٨٣ (الأعلام ٢ / ١٤٩) .

١٥ هارون بن خمارويه بن أحمد بن طولون (٢٦٤ — ٢٩٢) : من ملوك الدولة الطولونية بمصر ، بويع له بعد مقتل أخيه جيش في السنة ٢٨٣ وخسر كثيراً من جيشه في قتال القرامطة ، ولما صار الأمر للمكتفي ، سيّر جيشاً لاستخلاص مصر من آل طولون سنة ٢٩١ ، فافتتحت مصر ، وقتل هارون في السنة ٢٩٢ (الأعلام ٩ / ٤٠) .

فاختصصت أنا بالقاسم بن عبيد الله ، فقلّدني ديوان الجيش . ثمّ ندبني لمحاربة هارون ، وضمّ إليّ القوّاد والرّجال ، وكان فيهم لؤلؤ صاحبي ، وكان أصغر الجماعة حالاً ، وأحقرهم شأناً ، خالياً من الرّجال والكراع ، فلم أقصّر في إصلاح حاله ، والإحسان إليه ، ومعرفة حقّه .

فلم أدن من الشّام حتّى تلقّاني بدر الحماميّ ، وتلاه طغج بن جف[16] مسرعاً ، وصرت إلى مصر ، فلمّا شارفتها وثب شيبان بن أحمد بن طولون [١٣٠ ظ] ومن تابعه من جند مصر ، فقتلوا هارون[17] ، وتولّى شيبان الأمر بعده ، وانثال إليّ القوّاد في الأمان ، ولحق بهم شيبان ، وتخلّف الرّجالة وقطعة من الفرسان ، وأظهروا الخلاف ، فأوقعت بهم ، وأفنيتهم قتلاً وأسراً ، ودخلت فسطاط مصر عنوةً ، وحويت النعم والمهج ، وأشخصت الطولونية عن البلد إلى الحضرة ، حتّى لم يبقَ منهم أحد .

وصحّ بذلك منام أحمد بن طولون ، فسبحان الّذي ما شاء فعل ، وإيّاه نسأل خير ما تجري به أقداره ، وأن يختم لنا بخير برحمته[18] .

---

١٦ أبو محمّد طغج بن جف بن يلتكين الفرغاني : وتفسير كلمة طغج : عبد الرحمن . أصله من ملوك فرغانة ، ورد والده على المعتصم ، فأكرمه ، وأقطعه بسرّ من رأى ، ومات جف ليلة قتل المتوكّل سنة ٢٤٧ ، واتّصل طغج بلؤلؤ غلام أحمد بن طولون ، فاستخدمه ، ثم رآه أبو الجيش خمارويه ، فأعجب به ، وقلّده دمشق وطبريّة ، ولما قتل خمارويه ، رحل طغج إلى المكتفي ، فأكرمه ، ثم اعتقله ، ومات في الحبس ، وهو والد أبي بكر محمّد بن طغج ، الذي استولى على مصر والشام وأسّس الدولة الإخشيدية (وفيات الأعيان ٥ / ٥٦ و٥٧) .

١٧ في الكامل ٧ / ٥٣٦ انّ الذي قتل هارون ، جندي مغربي ، وأنّه لما قتل قام عمّه شيبان بن أحمد بن طولون بالأمر من بعده ، ثم استأمن شيبان إلى محمّد بن سليمان ، وخرج إليه ، وكان ذلك في السنة ٢٩٢ .

١٨ لم ترد هذه القصّة في م ولا في غ .

٢٢٤

شفاه منام رآه أحد أصحابه

حدّثني أبو الفرج عبد الواحد بن نصر الكاتب المعروف بالببغاء ، قال :

اعتللت بحلب[١] علّةً ، جفّ منها بدني كلّه ، فكنت كالخشبة ، لا أقدر على أن أتحرّك أو أُحرَّك ، ونحل جسمي ، وتقلّبت بي أعلال متّصلة متضادّة صعبة ، فمكثت حليف الفراش ثلاث سنين ، وآيسني الأطبّاء من البرء ، وقطعوا مداواتي .

وكان لي صديق شيخ يعرف بأبي الفرج بن دارم ، من أهل بلدي – يعني نصيبين – مقيمٌ بحلب ، مواظبٌ على عيادتي ، وملازمٌ لي ، وكان لفرط اغتمامه بي ، وأنّ الأطبّاء قد آيسوه منّي ، يُظهر لي من الجزع عليّ أمراً يؤلم قلبي ، ويؤيسني من نفسي ، ثمّ تجاوز ذلك إلى التصريح باليأس ، وتوطيني عليه ، ثمّ تعدّى هذا إلى أن صار لا يملك دمعته إذا خاطبني .

فضعفتُ عن تحمّل هذا ، وتضاعفَتْ به علّتي ، وخارت معه قوّتي ، فاعتقدت أن أقول لغلامي أن يترصّده ، فإذا جاء الرّجل إليّ قال له عنّي : إنّي لا أستحسن حجابه ، وإنّ علّتي تضاعفت ممّا أشاهده ، وأسمعه منه ، ويسأله أن ينقطع عنّي ، أو يقطع مخاطبتي بما فيه إياس لي ، وقرّرت عزمي على هذا في ليلة من اللّيالي ، ولم أخاطب به غلامي .

---

١ كان أبو الفرج عبد الواحد بن نصر المخزومي ، في عنفوان أمره ، وريعان شبابه ، متّصلاً بسيف الدولة الحمداني ، مقيماً في جملته ، في حلب حاضرة ملكه ، ثم تنقلت به بعد وفاة صاحبه الأحوال (اليتيمة ١ / ٢٥٢) .

فلمّا كان في صبيحة تلك اللّيلة ، باكرني ابن دارم ، فحين وقعت عيني عليه ، تثاقلت به خوفاً من أن يسلك معي مذهبه ، وهممت أن أفتتح خطابه بما كنت عزمت على مراسلته به ، فسبقني بأن قال لي : جئتك مبشّراً .

فقلت : بماذا ؟

قال : رأيت البارحة في منامي ، كأنّي بالرقّة ، والنّاس يهرعون [١٠٧ ر] إلى زيارة قبور الشهداء .

قال أبو الفرج : وهم جماعة ممّن قتل بصفّين[٢] ، مع عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، منهم عمّار بن ياسر[٣] ، حملوا إلى ظاهر الرقّة ، فدفنوا بها ، والحال في ذلك مشهور ، والقبور إلى الآن مغشيّة معمورة .

قال لي ابن دارم : ورأيت كأنّ أكثر النّاس مطيفون بقبّة ، فسألت عنها ، فقيل لي : هي على قبر عمّار بن ياسر رضي الله عنه ، فقصدتها ، وطفت بها ،

---

٢ صفّين : موضع بقرب الرقّة ، على شاطئ الفرات من الجانب الغربي ، بين الرقّة وبالس ، وفيه كانت وقعة صفّين بين الإمام عليّ بن أبي طالب ومعاوية في السنة ٣٧ ، قتل فيها من الطرفين خمسة وسبعون ألفاً (معجم البلدان ٣ / ٤٠٢) .

٣ أبو اليقظان عمّار بن ياسر بن عامر الكناني المذحجي العنسي القحطاني (٥٧ ق‌هـ - ٣٧ هـ) : من الولاة الشجعان ذوي الرأي ، أحد السابقين إلى الإسلام والجهر به ، وأمه سميّة ، أوّل شهيدة من النساء في الإسلام (لطائف المعارف ١٣) ، هاجر إلى المدينة ، وشهد بدراً وأُحداً والخندق ، وبيعة الرضوان ، وكان النبيّ صلوات الله عليه يلقبه : الطيّب المطيّب ، وقال عنه : ما خيّر عمّار بين أمرين ، إلا اختار أرشدهما ، وهو أوّل من بنى مسجداً في الإسلام ، ولّاه الخليفة عمر الكوفة ، وشهد وقعة الجمل وصفّين مع عليّ ، وقتل في إحدى معارك صفّين ، قتله أحد أنصار معاوية ، فأحدث قتله اضطراباً في الشاميّين ، لأنّ النبيّ صلوات الله عليه ، قال له : يا عمّار ، تقتلك الفئة الباغية (الطبري ٥ / ٣٩ و ٤١ والأعلام ٥ / ١٩٢) ، وحاول معاوية أن يهدّئ اضطراب أصحابه ، فقال : إنّ عليّاً هو الذي قتل عمّار ، لأنّه جاء به إلى المعركة ، وبلغ ذلك عليّاً ، فقال : إذن يكون النبيّ صلوات الله عليه ، هو قاتل عمّه حمزة ، لأنّه جاء به إلى معركة أحد .

فإذا القبر مكشوف ، وفيه رجل شيخ ، بثياب بيض ،وفي رأسه ضربات بيّنة دامية ، وعلى لحيته دم ، والنّاس يسألونه فيجيبهم ، فلحقتني حيرة ، ولم أدرِ عمّا أسأله .

فقلت له : يا سيّدي ، لعلّك عارف بأبي الفرج عبد الواحد بن نصر المخزوميّ المعروف بالببغاء .

فقال : نعم ، أنا عارف به .

فقلتَ : أيعيش أم لا ؟

فقال : نعم ، يعيش ، ويبرأ ، ولكن أنت لك ابن فاحذر عليه من علّة تلحقه قريباً ، واستيقظتُ .

وأخذ يهنّيني بالعافية ، ويقول : سرّني ما جرى ، ولكن قد أوحشني في أمر ابني ، وأسأل الله تعالى الكفاية .

قال أبو الفرج : وكان للرّجل ابن ، له نحو الثّلاثين سنة ، وهو في الحال معافى ، فلمّا مضت خمسة أيّام من الرؤيا حُمّ الفتى ، وتزايدت علّته ، فمات في اليوم الرّابع عشر من يوم حمّ ، فقويت نفسي في صحّة المنام ، وما مضى على موت الفتى إلّا أيّام يسيرة ، حتّى أدبر مرضي ، ولم تزل العافية تقوى [١٣١ ظ] إلى أن عوفيت ، وعادت صحّتي كما كانت بعد مدّة يسيرة [٤] .

---

٤ لم ترد هذه القصّة في م . ولا في غ .

٢٢٥

رأى الإسكندر رؤيا

تبعها انتصاره على دارا ملك الفرس

وجدتُ في بعض الكتب :

أنّه لما اشتدّت الحرب بين الإسكندر[1] ، وبين دارا بن دارا[2] ، استظهر دارا عليه ، وأشرف الإسكندر على الهلاك ، وأيس من النّصر ، وحال الشتاء بينهما ، فانصرف الإسكندر إلى معسكره ، مغموماً مهموماً ليلته ، ثمّ نام .

فرأى في منامه ، كأنّه صارع دارا ، فصرعه دارا ، فانتبه وقد كربه ذلك ، وزاد في همّه وغمّه .

فقصّ رؤياه على بعض فلاسفته ، فقال : أبشر أيّها الملك بالغلبة والنّصر ، فإنّك تغلب دارا على الأرض ، لأنّك كنت تليها لما صرعك .

فلمّا كان بعد أيّام يسيرة ، انهزم دارا ، وقُتل ، وجاؤوا برأسه إلى الإسكندر[3] .

---

١ الإسكندر بن فيلبس (٣٥٦ قم - ٣٢٤ قم) : لقّب بالكبير ، وبذي القرنين ، درس على أرسطوطاليس ، وتولّى الحكم في مكدونيا بعد وفاة أبيه ، حارب الفرس ، وانتصر عليهم في عدّة معارك ، كان آخرها معركة إربل في العراق ، حيث قتل دارا (داريوس) ملك الفرس ، وتابع زحفه حتى ضفاف نهر الهندوس ، ثم عاد وتوفّي في بابل .

٢ داريوس كودومان : ملك فارس ، آخر ملوك سلالة الأخمنيين ، حاربه الإسكندر الكبير في عدّة معارك ، قتل في آخرها ، وهي معركة إربل سنة ٣٣٠ قم .

٣ لم ترد هذه القصّة في م ، ولا في ر ، ولا في غ .

٢٢٦

رؤيا عبد الله بن الزبير وتعبيرها

قال مؤلّف هذا الكتاب :

ومثل هذا ما هو مشهور في روايات أصحاب الأخبار والسّير ، أنّ عبد الله ابن الزّبير[1] رأى في منامه ، كأنّه صارع عبد الملك بن مروان ، فصرع عبد الملك ، وسمّره على الأرض بأربعة أوتاد .

فأرسل راكباً إلى البصرة ، وأمره أن يلقى محمّد بن سيرين[2] ، ويقصّ الرؤيا عليه ، ولا يذكر له من أنفذه .

فأتاه وقصّ عليه المنام ، فقال له ابن سيرين : من رأى هذا ؟

قال : أنا رأيته في رجل بيني وبينه عداوة .

فقال : ليس هذه رؤياك ، هذه رؤيا ابن الزّبير أو عبد الملك ، أحدهما في الآخر .

فسأله الجواب ، فقال : ما أفسّرها أو تصدقني ، فلم يصدقه ، فامتنع من التفسير ، فانصرف الرّاكب إلى إبن الزّبير ، فأخبره بما جرى .

فقال له : ارجع إليه ، واصدقه ، أنّني رأيتها في عبد الملك .

---

١ أبو بكر عبد الله بن الزبير بن العوّام القرشي الأسدي (١ - ٧٣) : ترجمته في حاشية القصّة ٥٦ من هذا الكتاب .

٢ أبو بكر محمّد بن سيرين البصري الأنصاري (٣٣ - ١١٠) : تابعيّ . ولد وتوفّي بالبصرة . إمام وقته في علوم الدين بالبصرة . تفقّه وروى الحديث . واشتهر بالورع وتعبير الرؤيا . (الأعلام ٧ / ٢٥) .

فرجع الرّاكب إلى ابن سيرين ، وصدقه ، فقال له : قل له يا أمير المؤمنين ، إنّ عبد الملك يغلبك على الأرض ، ويلي هذا الأمر من ولده لظهره أربعة ، بعدد الأوتاد الّتي سمّرته بها على الأرض[3] .

٣ لم ترد هذه القصّة في غ ، ولا في م .

٢٢٧

رأى في منامه أنّه قد صرع خصمه

فكان تعبير رؤياه أنّ الخصم هو المنتصر

حدّثني أبو القاسم الحسن بن بشر الآمديّ[١] ، الكاتب ، المقيم – كان – بالبصرة ، إلى أن مات ، قال :

لمّا سعى أبو أحمد طلحة بن الحسن بن المثنّى[٢] ، مع جيش أبي القاسم بن أبي عبد الله البريديّ[٣] ، في أن يقبضوا عليه ، ويحبسوه عند أبي أحمد ، إلى

---

١ أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي : صاحب كتاب الموازنة بين الطائيّين (أبي تمام والبحتري) في عشرة أجزاء ، كان حسن الفهم ، جيّد الدراية ، والرواية ، سريع الإدراك ، وهو من أهل البصرة ، كان يكتب بمدينة السلام لأبي جعفر هارون بن محمّد الضبيّ ، وكتب بالبصرة لأبي الحسين أحمد ، وأبي أحمد طلحة ، ولدي الحسن بن المثنّى ، وبعدهما لقاضي البلد جعفر بن عبد الواحد الهاشميّ على الوقوف التي تليها القضاة ، ثم لأخيه أبي الحسن محمّد بن عبد الواحد لما ولّي قضاء البصرة ، وكان كثير الشعر ، حسن الطبع ، جيّد الصنعة ، توفّي بالبصرة سنة ٣٧٠ (معجم الأدباء ٣ / ٥٤) .

٢ أبو أحمد طلحة بن الحسن بن المثنّى : كان هو ، وأخوه أبو الحسين أحمد بن الحسن ، على نعمة وافرة ، ومركز محترم ، ويتّضح من هذه القصّة ، والقصّة ٣ / ١٤٦ من كتاب نشوار المحاضرة ، أنّه خاصم أبا القاسم بن أبي عبد الله البريدي المتغلّب على البصرة ، وتآمر على استئصاله ، فأحسّ به البريدي ، واعتقله ، وقتله في السنة ٣٣٥ .

٣ أبو القاسم عبد الله بن أبي عبد الله أحمد بن محمّد بن يعقوب البريدي : تسلّط على البصرة بعد موت أبيه ، ونازعه عمّه أبو الحسين السلطة ، وحاربه ، فانكسر أبو الحسين ، والتجأ إلى القرامطة ، ثم إلى بغداد ، حيث قتل صبراً ، فاستقلّ أبو القاسم بالبصرة ، وفي السنة ٣٣٦ طرده منها معزّ الدولة ، فالتجأ إلى هجر مجدّداً ، ثم دخل إلى بغداد بأمان من معزّ الدولة ، فأعاد عليه ضياعه ببادوريا ، وأقطعه ضياعاً جديدة ، وأنزله بدار الموزة ، بمشرعة الساج ، محتاطاً عليه ، وأقام ببغداد حتّى توفّي سنة ٣٤٩ (تجارب الأمم ٢ / ٥٨ – ١٨١) .

أن يرد المطيع لله [4] ، أو جيش له إلى البصرة ، فيملكوها ، ويتسلّمون منه أبا القاسم البريديّ ، وكانت القصّة المشهورة في ذلك .

فبلغني ذلك ، فخلوتُ بأبي أحمد ، وكنت أكتب له حينئذ ، وكان لا يحتشمني في أموره ، وثنَيته عن هذا الرّأي ، وعرّفته وجوه الغلط فيه ، والمخاطرة بدمه ونعمته ، وهو غير قابل لمشورتي ، إلى أن أكثرت عليه .

فقال لي : اعلم أنّني قد رأيت رؤيا أنا بها واثق في تمام [١٠٨ ر] ما قد شرعت فيه من القبض على هذا الرّجل .

فعجبت في نفسي من رجل يخالف الحزم الظّاهر ، والرأي الواضح ، من أجل منام ، ثمّ قلت له : ما الرؤيا ؟

فقال : رأيت كأنّ حيّة عظيمة ، قد خرجت عليّ من حائط هذا العرضيّ [5] .

قال : وكان جالساً في عرضيّ داره ، قال : فكأنّني قد رميتها ، فأثبتها في الحائط .

فحين قال أبو أحمد : أثبتّها في الحائط ، ذكرت تأويل منام ابن الزّبير ، وقصّ المنام الّذي ذكرته ، فسبق إلى قلبي ، أنّ تأويل منام أبي أحمد ، أنّه قد أثبت عدوّه في حائطه ، وأنّ عدوّه سيغلبه على البلد .

قال : فأمسكتُ ، وقطعت الكلام ، فما مضت إلّا مدّة يسيرة ، حتّى شاع التدبير ، وصحّ الخبر به عند أبي القاسم البريديّ ، [فبادر إلى القبض على

---

٤ المطيع لله ، أبو القاسم الفضل بن جعفر المقتدر : ولّي الخلافة سنة ٣٣٤ على أثر خلع سلفه المستكفي وسمله ، وكان أمر المطيع ضعيفاً ، والحكم لبني بويه ، واستمرّت خلافته ثلاثين سنة إلاّ أشهراً ، وأصيب بالفالج ، وثقل لسانه ، فخلع نفسه ، ونصب ولده عبد الكريم الطائع لله ، مكانه (الفخري ٢٨٩) .

٥ العرض : الناحية ، والعرضيّ : حجرة تكون في ناحية من الدار ، تشرف على ساحتها ، وتهيّأ لاستقبال الضيوف ، وقد حرّف البغداديون اسمها الآن ، فأصبحت : أرسي .

فائق الأعسر ، وكان هو الّذي ندَبهُ أبو أحمد للقبض على البريديّ][6] ، وأن يكون أمير البلد ، إلى أن يرد جيش الخليفة ، فقرّره ، فأقرّ بالخبر على شرحه ، فقبض أبو القاسم على أبي أحمد بعد قبضه على فائق بيومين أو ثلاثة ، فاستصفاه ، وأهله ، وولده ، ثمّ قتله بعد ذلك بأيّام[7] [١٣٢ ظ] .

---

٦ الزيادة من ر .

٧ في ر : ثم قتله بعد ذلك بثلاثة أيّام . ولم ترد هذه القصّة في م . ولا في غ . وقد وردت بتقديم وتأخير في كتاب نشوار المحاضرة للتنوخي برقم ٣ / ١٤٥ .

١ ٢٢٨

الرّشيد يولّي أخاه إبراهيم بن المهدي دمشق

بلغني عن إبراهيم بن المهدي ، قال :

كنت في جفوة شديدة من أخي الرّشيد ، أثّرت في جاهي ، ونقصت حالي ، وأفضيت معها إلى الإضاقة بتأخير أرزاقي ، وظهور اطّراحه إيّاي ، فاختلّت لذلك أحوالي ، وركبني دينٌ فادح ، فبلغ بي القلق والفكر فيه ليلة من اللّيالي ، مبلغاً شديداً ، ونمت فرأيت في النّوم كأنّي واقف بين يدي أبي المهدي ، وهو يسألني عن حالي ، وأنا أشكو إليه ما نكبني به الرّشيد ، وأنهيت إليه حالي ، وأنا أقول : ادع الله عليه يا أمير المؤمنين .

فكأنّه يقول : اللّهم أصلح ابني هارون ، يكرّرها ثلاثاً .

فكأنّي أقول : يا أمير المؤمنين أشكو إليك ظلم هارون لي ، وأسألك أن تدعو عليه ، فتدعو له .

فقال : وما عليك ، إن أصلحه الله لك وللكافّة ، أن يبقى على حاله ، هوذا أمضي إليه السّاعة ، وآمره أن يرجع لك ، ويقضي دينك ، ويولّيك جند دمشق .

فكأنّني أومي إليه بسبّابتي ، وأقول له : دمشق ، دمشق ، استقلالاً لها .

فيقول لي : حرّكت مسبّحتك استقلالاً لدمشق ، فكلّما خفّ منها حظّك ، كان في العاقبة أجود لك .

فانتبهتُ ، وأحضرت رجلاً كان مؤدّبي في أيّام المهدي ، فسألته عن المسبّحة ، فقال : كان عبد الله بن العبّاس ، يسمي السبّابة : المسبّحة[1] ، فما

---

١ المسبّحة : راجع البحث في آخر القصّة .

سؤال الأمير لي عنها ؟

فقصصت عليه الرؤيا ، وامتنع النّوم عنّي ، فأخذ يحدّثني وأنا جالس في فراشي ، إذ جاءني رسول الرّشيد ، فارتعت له ارتياعاً شديداً ، ولم أعبأ بالمنام ، وخفت أن يريدني لسوء يوقعه بي .

فقلت : أدافعه إلى أن تطلع الشّمس ، ثمّ يكون دخولي الدّار نهاراً ، فإن كان أرادني لغيلة لم تتمّ .

فتقاطرتْ رسله حتّى أعجلوني عن الرأي ، واضطرّوني إلى الرّكوب في الحال ، فدخلت إليه وأنا شديد الجزع ، وهو جالس في فراشه ينتحب .

فلمّا رآني ، قال : سألتك بالله يا أخي هل رأيت اللّيلة في منامك شيئاً ؟

فقلت : نعم ، الساعة رأيت أمير المؤمنين المهدي .

فلمّا قلت له ذلك ازداد بكاؤه ، ثمّ قال لي : ويحك ، بالله ، شكوتني إليه وسألته أن يدعو عليّ ؟

فقلت : قد كان ذلك ، ولكنّه قال كذا وكذا ، وشرحت له ما قال .

فقال : السّاعة والله ، جاءني في منامي ، فقصّ عليّ جميع ما ذكرت ، وقد وفى بوعده ، والله لأمتثلنّ أمره ، ولأصلنّ رحمك ، كم دينك ؟

قلت : كذا وكذا ، فأمر بقضائه .

وقال : لا تبرح ، حتّى أصلّي وأخرج ، فأعقد لك على دمشق ، فانتظرت حتّى وجبت الصّلاة ، فصلّى ، وجاء وقت جلوسه ، فجلس ، واستدعاني [١٠٩ ر] فأظهر تكرمتي ، وعقد لي لواء على دمشق[٢] ، وأمر النّاس ، فساروا معي إلى منزلي ، فعاد جاهي ، وصلحت حالي[٣] .

---

٢ في الأعلام أنّ الرشيد ولّى إبراهيم إمرة دمشق ، ثم عزله عنها بعد سنتين ، ثم أعاده إليها ، فأقام فيها أربع سنين (الأعلام ١ / ٥٥) .

٣ لم ترد هذه القصّة في م ولا في غ .

المسبّحة

التسبيح ، في اللغة : الصلاة ، والدعاء ، وفي الاصطلاح : قول سبحان الله ، تمجيداً وتنزيهاً له ، والمسبِّحة : الإصبع التي تلي الإبهام ، لأنّها يشار بها عند التسبيح (لسان العرب ، مادة : سبح) .

وكان التسبيح يجري باليد ، ثمّ بالحصى ، وكانت ساحات المساجد في الكوفة والبصرة والموصل ، مفروشة بالحصى ، يسبّح به المصلّون ، ويحصبون به الولاة والخطباء ، إذا سمعوا منهم ما لا يرضيهم (الطبري ٥ / ٢٣٤ و ٢٣٥ و ٦ / ٢٠٣ والأغاني ١٧ / ١٣٥ و١٣٦ والإمامة والسياسة لابن قتيبة ٢ / ١٦ و ٢٥ و ٢٦ والعقد الفريد ٤ / ٨ والهفوات النادرة ١٠٠ و ١٠١) .

وكان عبد الملك بن هلال ، عنده زنبيل حصى ملآن ، فكان يسبّح بواحدة ، واحدة ، فإذا ملّ شيئاً ، طرح اثنتين ، اثنتين ، فإذا ملّ ، قبض قبضةً ، وقال : سبحان الله بعدد هذا ، فإذا ضجر ، أخذ بعروتي الزنبيل ، وقلبه ، وقال : سبحان الله بعدد هذا كلّه ، وإذا بكّر لحاجة ، وكان مستعجلاً ، لحظ الزنبيل ، لحظة ، وقال : سبحان الله عدد ما فيه (البيان والتبيين ٣ / ٢٢٨) .

ثم اتّخذت السُبحة (بضم السين) ، أو المِسْبَحَة (بكسر الميم) ، وهي خرزات منظومة في سلك ، يجري التسبيح بها ، وكان حمل السُبحة ، دلالة على التقوى ، قال ابن أبي عتيق ، لسلاّمة : احملي معك سُبحة ، وتخشّعي (القصّة ٢٢٧ من هذا الكتاب ، والأغاني ٨ / ٣٤٢) .

ثم تعدّى الأمر إلى اتخاذ السُبحة للتسلية ، وأصبح للسبحة هواة ، يجمعون أصنافاً منها ، ويغالون في أثمانها ، وكانت سبحة زبيدة ، قد اشترتها بخمسين ألف دينار (البصائر والذخائر م ١ / ق ٣ / ص ١٤٥ و ١٤٦) . وكان للمقتدر العباسي ، سبحة قوّمت بمائة ألف دينار ، حدّثنا عنها الأمير أبو محمد الحسن بن عيسى بن المقتدر ، وذكر أنّ والدته عمرة ، جارية المقتدر ، أخبرته ، بأنّ المقتدر استدعى بجواهر ، فاختار منها مائة حبّة ،

ونظمها سُبحة يسبّح بها ، وأنّ هذه السبحة عرضت على الجوهريّين ، فقوّموا كلّ حبّة منها بألف دينار وأكثر (القصّة ٧ / ١٤٧ من نشوار المحاضرة) .

وأعطى المقتدر ، قهرمانته زيدان ، سبحة لم ير مثلها (تاريخ الخلفاء ٣٨٤) وكان يضرب بها المثل ، فيقال : سبحة زيدان (المنتظم ٦ / ٧٠) .

ولمّا وزر عليّ بن عيسى للمقتدر ، قال : ما فعلت سبحة جوهر ، قيمتها ثلثمائة ألف دينار ، أخذت من ابن الجصّاص ؟ ، قال : في الخزانة ، فقال : تطلب ، فطُلِبَتْ ، فلم توجد ، فأخرجها الوزير من كمّه ، وقال : عرضت عليّ ، فاشتريتها ، فإذا كانت خزانة الجوهر لا تحفظ ، فما الذي يحفظ ؟ ، فاشتدّ ذلك على المقتدر (المنتظم ٦ / ٧٠) .

ولما عاد الخليفة القائم في السنة ٤٥١ من منفاه في الحديثة ، إلى بغداد ، بعثت إليه زوجته أرسلان خاتون ، اثنتي عشرة حبّة لؤلؤ كباراً مثمنة ، وسألته أنّ يتخذ منها سبحة يسبّح بها (المنتظم ٨ / ٢٠٧) .

ولما سَمَلَ توزون ، الخليفة المتّقى ، في السنة ٣٣٣ ، ونصّب المستكفي خليفة بدلاً منه ، وجّه المستكفي إلى توزون سبحة جوهر في قدّ واحد ، خاتمتها ياقوتة حمراء ، لم ير مثل ذلك الدرّ والخاتمة ، وقوّمت بخمسين ألف دينار (تجارب الأمم ٢ / ٧٥) .

وكان لأبي الحسن محمّد بن عمر العلوي الكوفي (٣١٥ - ٣٩٠) سبحة جوهر ، قيمتها مائة ألف دينار ، طوّق بها قنينة بلّور للشراب (المنتظم ٧ / ٢١٢) .

وكانت سبحة نصر الدولة ، صاحب ميافارقين (ت ٤٥٣) من اللؤلؤ ، عدد حبّاتها مائة وأربعون لؤلؤة ، وزن كلّ حبّة مثقال ، وفي وسطها الجبل الياقوت ، وقطع بلخش ، قدّرت قيمتها بثلثمائة ألف دينار (الوافي بالوفيات ١ / ١٢٢) .

ولما استولى أمير المسلمين ، يوسف بن تاشفين ، على غرناطة في السنة ٤٧٩ ، وجد لصاحبها سبحة جوهر ، من أربعمائة حبّة ، وقوّمت كلّ حبّة بمائة دينار (ابن الأثير ١٠ / ١٥٥) .

أقول : وقد زرت في السنة ١٩٦٨ عندما كنت في طهران ، متحف الجواهر ، في قبو عمارة البنك الملّي الايراني ، فوجدت من جملة الجواهر المعروضة فيها ، سبحة من اللؤلؤ ، عدد حبّاتها قليل ، إلاّ أنّ كلّ حبّة منها ، كانت بقدر الجوزة ، ولم تكن الحبّات تامّة التكوير ، وسألت عنها ، فقالوا : إنّها سبحة فتح علي شاه .

وفي أيّامنا هذه ، تتّخذ المسابح المعدّة للتسبيح ، من الطين أو الخشب ، أمّا التي تتّخذ

للتسلية ، فلا حصر لها ، فهي تتخذ من أنواعِ المعادن ، والحجارة ، والزجاج ، والعظام ، والجواهر ، واللآلئ ، ولعلّ أكثرها استعمالاً ، التي تتّخذ من معدن الكهرمان ، ويسمّى ببغداد : الكهرب .

ومن أطرف ما سمعناه عن أصناف المسابح ، مسبحة من الباقلاء ، اتّخذها أحد طلبة الفقه في النجف ، ليغيظ بها أهالي الحلّة ، وتفصيل القصّة : أنّ الحليّين ، يكثرون من زرع الباقلاء وأكلها ، وهم يعيّرون بذلك ، ويغضبون إذا ذكرت في مجالسهم ، لا فرق بين صغيرهم وكبيرهم ، وكان الشيخ محمد طه نجف ، أحد كبار علماء الشيعة ، يقضي شهرين من فصل الصيف في قرية الجمجمة من ضواحي الحلّة ، وكان موكبه يشقّ الحلّة ليصل إلى تلك القرية ، فكان إذا مرّ بسوق الحلّة ، يسمع من خلفه الشتائم ، فيعجب ، ثم تبيّن له أنّ أحد تلاميذه يتحرّش بأهل الحلّة ، ويعيّرهم بالباقلاء ، فيسبّونه ، فأنذر الشيخ تلميذه بأن لا يصحبه في رحلة الصيف ، فاعتذر هذا وأظهر التوبة ، وحلف لشيخه أنّه سوف لا يفتح فمه ، ولا ينبس بحرف عند مروره بالحلّة ، ولكن ما إن مرّ موكب الشيخ إلاّ وأخذت الشتائم تترى ، فالتفت ، فوجد تلميذه صامتاً كما وعد ، ولكنّه كان قد رفع كفّه حاملاً مِسْبَحَةً من الباقلاء يسبّح بها أمام الناس .

٢٢٩

يرى مناماً وهو محبوس

فيطلق من حبسه .

حدّثني أبو القاسم طلحة بن محمّد بن جعفر ، المقرئ ، الشّاهد[١] ، قال : حدّثني أبو الحسين عبد الواحد بن محمّد الحصيبي ، قال : حدّثني أبو الفضل ميمون بن هارون[٢] ، قال : حدّثني موسى بن عبد الملك[٣] ، قال :

رأيت وأنا في الحبس ، كأنّ قائلاً يقول لي :

لازلتَ تعلو بك الجدودُ ... نعم وحفّت بك السّعود
أبشر فقد نلت ما تريد ... يبيد أعداءَك المبيد
لم يمهلوا ثمّ لم يقالوا ... بل يفعل الله ما يريد
فاصبر فصبر الفتى حميدٌ ... واشكر ففي شكرك المزيد

---

١ أبو القاسم طلحة بن محمّد بن جعفر ، المقرئ ، الشاهد ، المعتزلي (٢٩١ – ٣٨٠) : نقل عنه التنوخي في نشواره أخباراً عدّة ، وترجم له الخطيب البغدادي في تاريخه ١٩ / ٣٥ ووصفه صاحب شذرات الذهب ٣ / ٩٧ بأنّه الشاهد ، العدل ، المقرئ ، تلميذ ابن مجاهد ، وفي المنتظم ٧ / ١٥٤ انّه كان مقدّماً على الشهود ، وقد كان أحد الشهود الذين شهدوا على خلع المطيع لله نفسه من الخلافة ، راجع تفصيل ذلك في خلاصة الذهب المسبوك (٢٥٧ و٢٥٨) .

٢ أبو الفضل ميمون بن هارون بن مخلد بن أبان : كاتب بغدادي ، صاحب أخبار وآداب وأشعار ، أخذ عن الجاحظ ومعاصريه (الأعلام ٨ / ٣٠١) وهو جد أبي الحسين أحمد بن محمّد بن ميمون وزير المتقي (القصّة ٢٠٠ من هذا الكتاب) راجع قصّته مع فرج الرخجي في رسوم دار الخلافة ص ٣٨ .

٣ أبو عمران موسى بن عبد الملك الأصبهاني ، صاحب ديوان الخراج : ترجمته في حاشية القصّة ١٠٣ من الكتاب .

[فانتبهتُ ، وقد طفئ السّراج ، فطلبت شيئاً ، حتّى كتبت الأبيات على الحائط ، وأصبحت وقد قويت نفسي] [4] .

قال : فما مضى على ذلك إلّا أيّام يسيرة ، حتّى أطلقت [5] .

---

٤ الزيادة من ه .

٥ لم ترد هذه القصّة في م ولا في غ .

٢٣٠

يكره شخصاً على العمل ثمّ يحبسه ويعذّبه

وذكر المدائني في كتابه ، كتاب الفرج بعد الشدّة والضيقة ، قال :

قال توبة العنبري[1] : أكرهني يوسف بن عمر[2] على العمل ، فلمّا رجعتُ حبسني حتّى لم يبقَ في رأسي شعرة سوداء .

فأتاني آتٍ في منامي فقال لي : يا توبة [١٣٣ ظ] أطالوا حبسك ؟

قلت : أجل .

فقال : سلِ الله عزّ وجلّ العفو والعافية ، في الدنيا والآخرة ، ثلاثاً ،

---

١ أبو المورع توبة بن أبي الأسد كيسان العنبري البصري : أحد الولاة ، من رجال الحديث ، ولد باليمامة ، وتحوّل إلى البصرة ، ولّاه يوسف بن عمر سابور ، ثم ولّاه الأهواز ، توفّي سنة ١٣١ (الأعلام ٢ / ٧٤) .

٢ أبو يعقوب يوسف بن عمر بن محمّد بن الحكم الثقفي : من الأمراء في العهد الأموي ، كان قصير القامة ، عظيم البطن ، عريض اللحية ، وكان يلبس ثياباً طوالاً يجرّها (العيون والحدائق ١٠٣/٣) وكان إذا أحضر لـه الثوب الطويل ، وقال له الخياط : إنّه يفضل منه ، ضربه ، وإذا قال له : لا يكفينا إلاّ بعد التصرّف في التفصيل ، سرّه (ابن الأثير ٥ / ٢٢٥ و٢٢٦) وكان جباراً ظالماً ، يكفي للدلالة على ظلمه ، أنّه سلك سبيل الحجّاج ، السيّئ الصيت ، في الأخذ بالشدّة والعنف ، وكان يضرب به المثل في التيه والحمق ، يقال : أتيه من أحمق ثقيف (وفيات الأعيان ٧ / ١٠٩) وكان يلقّب تيس ثقيف (خطط المقريزي ٢ / ٤٤٨ سطر ١٨) وفي المحاسن والأضداد للجاحظ (ص ٣٤) عجائب من حماقاته ، وقد قتل مرّة أحد المجانين لأنّه تكلم أثناء خطبته ، واحتبس كاتبه يوماً عن الديوان ، فقال له : ما حبسك ؟ فقال : اشتكيت ضرسي ، فقال : تشتكي ضرسك ، وتقعد عن الديوان ، ودعا بالحجّام وأمره أن يقلع ضرسين من أضراسه ، ولّي اليمن لهشام بن عبد الملك ، ثم أضاف إليه العراق وخراسان ، وكان أوّل ما بدأ به عند ولايته العراق ، أن قتل سلفه خالد بن عبد الله القسري ، بعد أن عذّبه عذاباً شديداً ، راجع تفصيل ذلك في الطبري ٧ / ٢٥٤ – ٢٦١ ولما ولّي يزيد بن الوليد ، عزله واعتقله ، وقتل في الحبس سنة ١٢٧ (الأعلام ٩ / ٣٢٠) .

فاستيقظت ، فكتبتها ، وتوضّأت ، وصلّيت ما شاء الله ، ثمّ جعلت أدعو ، حتّى وجبت صلاة الصّبح ، فصلّيتها .

فجاء حرسي ، فقال : أين توبة العنبريّ ، فحملني في قيودي ، فأدخلني عليه ، وأنا أتكلّم بهنّ ، فلمّا رآني ، أمر بإطلاقي .

قال توبة : فعلّمتها في السّجن رجلاً ، فقال : إنّي لم أدعَ إلى عذابٍ قط ، فقلتهنّ ، إلّا خلّوا عنّي ، فجيء بي يوماً إلى العذاب ، فجعلت أتذكّرهنّ ، فلا أذكرهنّ ، حتّى جلدتُ مائة سوط ، فذكرتهنّ بعد ، فدعوتُ بهنّ ، فخلّوا عنّي [3] .

[حدّثنا علي بن الحسن ، بن أبي الطيّب ، قال : حدّثنا ابن الجرّاح ، قال : حدّثنا ابن أبي الدّنيا ، قال : حدّثنا حاتم بن عبد الله ، أنّه حُدِّث عن سيّار بن حاتم [4] ، قال : حدّثنا عثمان بن مطر [5] ، قال : حدّثنا توبة العنبري ، فذكر مثله ، وزاد فيه ، فقيّدني ، فما زلت في السّجن ، حتّى لم يبقَ في رأسي شعرة سوداء] [6] .

---

٣ لم ترد هذه القصّة في م ، ولا في غ ، ووردت في مخطوطة (د) الجزء الأخير منها في ص ١٥٣ والجزء الأول منها في ص ١٦٥ .

٤ أبو سلمة سيار بن حاتم العنزي البصري : ترجم له صاحب الخلاصة ص ١٣٦ وقال إنّه توفّي سنة ١٩٩ .

٥ أبو الفضل عثمان بن مطر الشيباني البصري : ترجم له صاحب الخلاصة ص ٢٢٢ .

٦ هذه الفقرة انفردت بها ظ .

أقول : ذكر ابن الأثير ، في الكامل ٥/١٣٠ توبة ، وسمّاه : توبة بن أبي سعيد ، وذكر أنّه كان على خاتم مسلم بن سعيد عامل خراسان ، ولما ولّي أسد بن عبد الله (القسري) خراسان ، جعل على خاتمه أيضاً ، وذكر الطبري ٧/٣٥ بتفصيل ، وسمّاه توبة بن أبي أسيد ، وذكر أنّ مسلم بن سعيد ، طلبه من ابن هبيرة ، فبعث به إليه من البصرة ، فلما حضر عنده ، قال له مسلم : هذا خاتمي ، فاعمل برأيك ، ولما عزل مسلم عن خراسان ، أراد توبة أن يشخص معه ، فتمسك به خلف مسلم ، وهو عبد الله بن أسد القسري ، وقال له : أقم معي ، فأنا أحوج إليك من مسلم ، فأقام معه ، وأحسن إلى الناس ، وألان جانبه ، وأحسن إلى الجند ، ووفاهم أرزاقهم .

٢٣١

رأى في منامه أن قد أخرجت

من داره اثنتا عشرة جنازة

وروى المدائني في كتابه أيضاً ، عن معمر بن المثنى ، عن علي بن القاسم ، قال : حدّثني رجلٌ قال :

رأيت في المنام ، أيّامَ الطاعون ، أنّهم أخرجوا من داري اثنتي عشرة جنازة ، وأنا وعيالي اثنا عشر نفساً ، فمات عيالي ، وبقيتُ وحدي ، فاغتممت ، وضاق صدري .

فخرجتُ من الدّار ثمّ رجعت في الغد ، فإذا لصٌّ قد دخل ليسرق ، فطعن في الدّار ، فمات ، وأخرجت منها جنازته .

وسرِّي عنّي ما كنت فيه ، ووهب الله العافيةَ والسلامة[1] .

---

١ لم ترد هذه القصّة في م ، ولا في غ .

٢٣٢

وهب بن منبّه يصاب بالإملاق

ثمّ يعطيه الله من فضله

ذكر القاضي أبو الحسين ، في كتابه الفرج بعد الشدّة : أنّ وهب بن مُنَبّه[١] ، قال :

أملقت ، حتّى قنطت ، أو كدت ، فأتاني آتٍ في منامي ، ومعه شبيه بالفستقة ، فدفعها إليّ .

وقال : افضِض ، ففضضتها فإذا حريرة .

فقال : انشُر ، فنشرتها ، فإذا فيها ثلاثة أسطر ببياض : لا ينبغي لمن عرف عن الله عدله ، أو عقل عن الله أمره ، أن يستبطئ الله في رزقه .

قال : فأعطاني الله بعدها ، فأكثر[٢] .

---

١ أبو عبد الله وهب بن منبه الأبناوي ، الصنعاني ، الذماري (٣٤ – ١١٤) : مؤرّخ ، عالم بأساطير الأوّلين ، وبالإسرائيليات ، يعدّ من التابعين ، أبوه من أبناء الفرس الذين جاؤوا إلى اليمن ، وأمّه من حمير ، ولّاه عمر بن عبد العزيز قضاء صنعاء ، حبسه يوسف بن عمر الثقفي ، وضربه حتى مات (الأعلام ٩ / ١٥٠) .

٢ لم ترد هذه القصّة في م ، ولا في غ .

٢٣٣

درس في الإيثار

وذكر أيضاً عن الواقدي[١] ، أنّه قال :

أضَقتُ إضاقة شديدة ، وهجم شهر رمضان ، وأنا بغير نفقة ، فضاق ذرعي بذلك ، فكتبتُ إلى صديق لي علويّ ، أسأله أن يقرِضني ألف درهم ، فبعث إليّ بها في كيس مختوم ، فتركتها عندي .

فلمّا كان عشيُّ ذلك اليوم ، وردت عليّ رقعة صديق لي ، يسألني إسعافه لنفقة شهر رمضان ، بألف درهم ، فوجّهت إليه بالكيس بخاتمه .

فلمّا كان في الغد ، جاءني صديقي الّذي اقترض منّي ، والعلويّ الّذي اقترضت منه [١١٠ ر] ، فسألني العلويّ عن خبر الدراهم ، فقلت : صرفتها في مهمّ .

فأخرج الكيس بختمه ، وضحك ، وقال : والله لقد قرب هذا الشّهر وما عندي إلّا هذه الدراهم ، فلمّا كتبت إليّ ، وجّهت بها إليك ، وكتبت إلى صديقنا هذا ، أقترض منه ألف درهم ، فوجّه إليّ بالكيس ، فسألته عن القصّة ، فشرحها ، وقد جئناك لنقتسمها ، وإلى أن ننفقها يأتي الله بالفرج .

قال الواقدي : فقلت لهما ، لست أدري أيّنا أكرم ، فقسمناها ، ودخل شهر رمضان ، فأنفقت أكثر ما حصل منها ، وضاق صدري ، وجعلت أفكّر في أمري .

---

١ أبو عبد الله محمّد بن عمر بن واقد السهمي ، المعروف بالواقدي (١٣٠ – ٢٠٧) : من أقدم المؤرّخين في الإسلام ، ولد بالمدينة ، وانتقل إلى العراق ، واتّصل بالبرامكة ، ونصب قاضياً ببغداد ، ومات بها (الأعلام ٧ / ٢٠٠) .

فبينما أنا كذلك ، إذ بعث إليّ يحيى بن خالد البرمكي في سحرة يوم ، فصرت إليه .

فقال : يا واقدي ، رأيتك البارحة فيما يرى النّائم ، وأنت على حال دلّتني على أنّك في غمّ شديد وأذى ، فاشرح لي أمرك .

فشرحته ، إلى أن بلغت حديث العلويّ ، وصديقي والألف درهم ، فقال : ما [١٣٤ ظ] أدري أيّكم أكرم ، وأمر لي بثلاثين ألف درهم ، ولهما بعشرين ألف ، وقلّدني القضاء[٢] .

---

٢ لم ترد هذه القصّة في م ، ولا في غ ، ووردت في المستجاد للتنوخي بتصرّف ١١٠ و١١١ .

البَابُ السَّابع

من استنقذ من كرب وضيق خناق
بإحدى حالتي عمدٍ أو اتّفاق

٢٣٤
محمّد بن زيد العلوي يضرب مثلاً عالياً في النبل

حدّثنا أبو الفرج علي بن الحسين المعروف بالأصبهاني الكاتب ، قال :

كان محمّد بن زيد العلوي[1] ، الداعي بطبرستان[2] ، إذا افتتح الخراج ، نظر ما في بيت المال من خراج السنة التي قبلها ، ففرّق في قبائل قريش قسطاً ، على دعوتهم ، وفي الأنصار ، وفي الفقهاء ، وأهل القراءات ، وسائر طبقات النّاس ، حتّى يفرّق جميع ما بقي .

فجلس سنة من السنين ، يفرّق المال ، على ما كان يفعل ، فلمّا فرغ من بني هاشم ، دعا بسائر بني عبد مناف ، فقام رجل ، فقال له : من أيّ بني عبد مناف أنت ؟ ، فسكت .

---

١ محمد بن زيد بن اسماعيل بن الحسن العلوي الحسني : صاحب طبرستان والديلم . كان أخوه الحسن ابن زيد . أمير طبرستان والديلم عشرين سنة . وتوفي في السنة ٢٧٠ فولّيها محمد . ودامت ولايته ١٨ سنة . من ٢٧٠-٢٨٧ . وكانت في أيامه حروب وفتن . وكان شجاعًا . فاضلاً . كريم الأخلاق . أديبًا . شاعرًا . عالمًا بالتاريخ . جرح في إحدى حروبه مع السامانيين . وتوفي سنة ٢٨٧ (الأعلام ٣٦٦/٦ وابن الأثير ٤٠٧/٧) .

٢ طبرستان : وتسمى مازندران . بلاد واسعة . مجاورة لجيلان وديلمان . يغلب عليها الجبال (مراصد الاطلاع ٨٧٨/٢) .

قال : لعلّك من ولد معاوية ؟

قال : نعم .

قال : فمن أيّ ولده أنت ؟ فسكت .

قال : لعلك من ولد يزيد[3] ؟

قال : نعم .

قال : بئس الاختيار اخترت لنفسك ، من قصدك بلداً ولايته لآل أبي طالب ، وعندك ثأرهم في سيّدهم وإخوته وبني عمّه ، وقد كانت لك مندوحة عنهم بالشام والعراق ، عند من يتولّى جدّك ، ويحبّ رفدك ، فإن كنت جئت عن جهل بهذا منك ، فما يكون بعد جهلك شيء ، وإن كنت جئت متمرّياً[4] بهم ، فقد خاطرت بنفسك .

فنظر إليه العلويّون نظراً شديداً ، فصاح بهم محمّد وقال : كفّوا عافاكم الله ، كأنّكم تظنّون أنّ في قتل هذا دركاً أو ثأراً بالحسين بن علي رضي الله عنهما ، وأيّ جرم لهذا ؟ ، إنّ الله عزّ وجلّ قد حرّم أن تطالب نفس بغير ما اكتسبت ، والله ، لا يعرِض له أحد إلّا أقدته به[5] ، واسمعوا حديثاً أحدّثكم به ، يكون قدوة لكم فيما تستأنفون من أموركم .

حدّثني أبي ، عن أبيه ، قال : عرض على المنصور ، سنة حجّ ، جوهر فاخر ، فعرفه ، وقال : هذا كان لهشام بن عبد الملك[6] ، وهذا بعينه ، قد بلغني خبره ، عند ابنه محمّد ، وما بقي منهم أحد غيره .

---

٣ أبو خالد يزيد بن معاوية بن أبي سفيان : ترجمته في آخر القصّة .

٤ التمرّي : التحكّك والتعرّض طلباً للشرّ . راجع الامتاع والمؤانسة ج ١ ص ٥٠ سطر ٩ ، قال أبو نؤاس يهجو أبان اللاحقي من أبيات . [الحيوان للجاحظ ٤/٤٥٠] .

عن كـافر يتمـرّى بـالكفر بـالرحمن

٥ أقاد القاتل بالقتيل : قتله به .

٦ هشام بن عبد الملك بن مروان الأموي (٧١–١٢٥) : ترجمته في حاشية القصّة ٦٨ من الكتاب .

ثمّ قال للرّبيع : إذا كان غداً ، وصلّيتُ بالنّاس في المسجد الحرام ، وحصل النّاس فيه ، فأغلق الأبواب كلّها ، ووكّل بها ثقاتك من الشيعة ، واقفلها ، وافتح للنّاس باباً واحداً ، وقف عليه ، فلا يخرج إلّا من عرفته .

فلمّا كان من الغد ، فعل الرّبيع ما أمره به ، وتبيّن محمّد بن هشام القصّة ، فعلم أنّه هو المطلوب ، وأنّه مأخوذ ، فتحيّر .

وأقبل محمّد بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب عليهم السلام على أثر ذلك ، فرآه متحيّراً ، وهو لا يعرفه ، فقال له : يا هذا ، أراك متحيّراً [١١١ ر] فمن أنت ؟ ولك أمان الله التام العام ، وأنت في ذمّتي حتّى أخلّصك .

فقال : أنا محمّد بن هشام بن عبد الملك ، فمن أنت ؟

قال : أنا محمّد بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب .

فقال محمّد بن هشام : عند الله احتسب نفسي .

قال : لا بأس عليك ، فإنّك لست قاتل زيد[٧] ، ولا في قتلك إدراك ثأره ، وأنا الآن بخلاصك ، أولى منّي بإسلامك ، ولكن تعذرني في مكروه أتناولك به ، وقبيح أخاطبك به ، يكون فيه خلاصك بمشيئة الله تعالى .

قال : أنت وذاك .

قال : فطرح رداءه على رأسه ووجهه ، ولبّبه به ، وأقبل يجرّه .

فلمّا وقعت عين الرّبيع عليه ، لطمه لطمات ، وجاء به إلى الرّبيع ، وقال :

---

٧ الإمام أبو الحسين زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، العلوي ، الهاشمي القرشي (٧٩–١٢٢) : أحد الخطباء المشهورين ، قال أبو حنيفة : ما رأيت في زمانه أفقه منه ، ولا أسرع جوابًا ، ولا أبين قولاً ، أقام بالكوفة ، وأشخص إلى الشام ، فآذاه هشام بن عبد الملك ، وحبسه ، فعاد إلى العراق ، حيث بايعه أربعون ألفًا ، وانتهت المعركة بمقتله ، وحمل رأسه إلى الشام ، ثم إلى المدينة ، ثم إلى مصر ، وصلب يوسف بن عمر جثته بالكوفة ، طيلة مدة حكم هشام ، فلما ولي الوليد ، أنزل ، وأحرق (الاعلام ٩٨/٣ والعيون والحدائق ١٠٠/٣) .

يا أبا الفضل ، إنّ هذا الخبيث جمّال من أهل الكوفة ، أكراني جماله ذاهباً وراجعاً ، وقد هرب منّي في هذا الوقت ، وأكرى بعض القوّاد الخراسانيّة ، ولي عليه بذلك بيّنة ، فتضمّ إليّ حرسيّين يصيران به معي إلى القاضي ، ويمنعان الخراساني من عراره[8] .

فضمّ إليه حرسيّين ، وقال : امضيا معه .

فلمّا بعد عن المسجد ، قال له : [١٣٥ ظ] يا خبيث ، تؤدّي إليّ حقّي ؟

قال : نعم يا ابن رسول الله .

فقال للحرسيّين : انصرفا ، وأطلقه محمّد .

فقبّل محمّد بن هشام رأسه ، وقال : بأبي أنت وأمّي ، الله أعلم حيث يجعل رسالاته ، ثمّ أخرج جوهراً له قدرٌ ، فدفعه إليه ، وقال : تشرّفني يا سيّدي بقبول هذا منّي .

فقال : يا ابن عمّ ، إنّا أهل بيت ، لا نقبل على المعروف مكافأة ، وقد تركت لك دم زيد ، وهو أعظم من متاعك ، فانصرف راشداً ، ووارِ شخصك ، حتّى يخرج هذا الرّجل ، فإنّه مجدّ في طلبك ، فمضى ، وتوارى .

قال : ثمّ أمر محمّد بن زيد ، الداعي بطبرستان ، للأمويّ ، بمثل ما أمر به لسائر بني عبد مناف ، وضمّ إليه جماعة من مواليه ، وأمرهم أن يخرجوا معه إلى الريّ[9] ، ويأتوه بكتاب بسلامته .

فقام الأموي ، فقبّل رأسه ، ومضى ومعه القوم ، حتّى وصل إلى مأمنه ، وجاءوه بكتاب بسلامته[10] .

---

٨ عارّه عرارًا : قاتله وآذاه .

٩ الريّ : مدينة قديمة في مادي ، جنوبي طهران بشرق ، فتحها العرب في زمن عمر ، وفيها ولد هارون الرّشيد (المنجد) .

١٠ لم ترد هذه القصّة في م ولا في غ ، ووردت في كتاب المستجاد للتنوخي ١٤٩-١٥٢ .

يزيد بن معاوية

أبو خالد يزيد بن معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب الأموي (٢٥ — ٦٤) : ثاني ملوك الدولة الأموية بالشام ، فرضه أبوه على الناس فرضاً ، وشدّد في بيعته بالرغبة والرهبة ، ففتح بذلك على المسلمين باباً من أبواب الفتنة ، راجع خبر ذلك في الأغاني ١٦ / ١٩٧ وفي مروج الذهب ٢ /٢١٠ وفي ترجمة معاوية (القصّة ٣٠٩ من هذا الكتاب) .

ولد يزيد بالشام ونشأ بها في ظل والده الذي حكم الشام حكماً مستمراً دام ما يزيد على أربعين سنة ، فنشأ نشأة الأمراء الأرستقراطيين ، يشرب الخمر ، ويسمع الغناء ، ويمارس الصيد ، ويتّخذ القيان ، ويتفكّه بما يلهو به المترفون من اللعب بالقرود ، والمعافرة بالكلاب والديكة (الأغاني ١٧ / ٣٠٠ و٣٠١ والبصائر والذخائر م ٤ / ٢٦٦ وأنساب الأشراف ج ٤ ق ٢ ص ١ و٣) حتى وصفه أبو حمزة الخارجي ، بأنّه : يزيد الخمور ، ويزيد الصقور ، ويزيد الفهود ، ويزيد الصيود ، ويزيد القرود (السيادة العربية ١٤٣) .

وكان تصرّفه وهو ولي لعهد ، يستره لين أبيه مع الناس ، فلمّا مات انكشفت أعماله للناس فلم يحتملها أحد منهم ، لقرب عهدهم بأيّام الخلفاء الراشدين (١١ — ٤٠) فاضطرّوا إلى قتاله .

وكانت أيّام حكمه ثلاث سنوات لم تخل واحدة منها ، من عظيمة من العظائم ، ففي السنة الأولى قتل الحسين عليه السلام وأهل بيت رسول الله صلوات الله عليه ، فضحّى بالدين يوم الطفّ (الأغاني ٩ / ٢٢) وفي السنة الثانية استباح مدينة رسول الله صلوات الله عليه وانتهك حرمات أهلها ذبحاً ونهباً وانتهاك حرمات (اليعقوبي ٢ / ٢٥٣) فشفى بذلك غيظه من الأنصار الذين عاونوا في انتصار المسلمين في موقعة بدر حيث قتل في مبارزة واحدة أبو جدّته هند ، وعمّها ، وأخوها (الأغاني ٤ / ١٨٩) ذلك الغيظ الذي لم يطق كتمانه وهو أمير ، فطلب من كعب بن جعيل أن يهجو الأنصار ، فأبى وأشار عليه بالأخطل (العقد الفريد ٥ / ٣٢١) فهجاهم ، ووصفهم باللؤم ، وعيّرهم بأنّهم يهود ، فلما ذبح أهل المدينة ، كان جند يزيد يقاتلونهم ويقولون لهم : يا يهود (أنساب الأشراف ٤ / ٢ / ٣٧) ولما عرضت على يزيد جريدة بأسماء قتلى أهل المدينة ، تملّكه

العجب من كثرتهم ، وقال : يا عجباً ، قاتلني كلّ أحد ، حتى ابن خالتي ، وقال : ما أرى أنّه بقي بالمدينة أحد (الأغاني ٨ / ٣٢٥ و١٤ / ٢٤٠) ، ثم تمثّل بقول ابن الزبعري ، الذي شمت بقتل المسلمين في يوم أحد . فقال : [رسائل الجاحظ ١٩ — ٢٠] :

ليت أشياخي ببدر شهدوا   جزع الخزرج من وقع الأسل
لاستطالوا واستهلّوا فرحاً   ثم قالوا : يا يزيد لا تشل
قد قتلنا الغرّ من ساداتهم   وعدلناه ببدر فانعدل

وفي السنة الثالثة ، استباح الكعبة ، حرم الله سبحانه وتعالى ، وسفك فيها الدماء ، وأحرقها (اليعقوبي ٢ / ٢٥٣ وأنساب الأشراف ج ٤ ق ٢ ص ١ والفخري ١٢٣) ، وقضى في سنة حكمه الثالثة ، فختم بهلاكه صحيفة سوداء ملوّثة ، حتى أنّ رجلاً ذكره في مجلس الخليفة الصالح عمر بن عبد العزيز ، فقال : أمير المؤمنين يزيد ، فقال له عمر : تقول أمير المؤمنين ، وأمر به ، فضرب عشرين سوطاً (تاريخ الخلفاء ٢٠٩) .

٢٣٥

بين الإسكندر وملك الصين

حدّثني أبو الفرج المعروف بالأصبهاني ، إملاء من حفظه ، قال :

قرأت في بعض الأخبار للأوائل ، أنّ الإسكندر[١] لمّا انتهى إلى الصين ، وحاصر ملكها[٢] ، أتاه حاجبه ، وقد مضى من اللّيل شطره ، فقال له : هذا رسول ملك الصين بالباب ، يستأذن عليك .

فقال : أدخله[٣] .

فوقف بين يدي الإسكندر ، وسلّم ، وقال : إن رأى الملك أن يخليني ، فعل .

فأمر الإسكندر من بحضرته بالانصراف ، وبقي حاجبه ، فقال : إنّ الّذي جئت له لا يحتمل أن يسمعه غيرك .

فقال: فتّشوه ، ففتّش ، فلم يوجد معه شيء من السلاح .

فوضع الإسكندر بين يديه سيفاً مسلولاً ، وأخرج حاجبه ، وكلّ من كان عنده ، وقال له : قف بمكانك ، وقل ما شئت .

فقال له : إنّي أنا ملك الصين ، لا رسوله ، وقد جئت أسألك عمّا تريده ، فإن كان مما يمكن الانقياد إليه ، ولو على أشقّ الوجوه[٤] ، قبلته ، وغنيت أنا وأنت عن الحرب .

قال الإسكندر : وما آمنك منّي ؟

---

١ الإسكندر الكبير ذو القرنين . إبن فيلبس : ترجمته في حاشية القصّة ٢٢٥ من الكتاب .

٢ في المستجاد : ونازل ملكها .

٣ في المستجاد : فقال : إئذن لـه .

٤ في المستجاد : أصعب الوجوه .

قال : علمي بأنّك رجل عاقل ، وليس بيننا عداوة ، ولا مطالبة بذحل ، وأنت تعلم أنّك إن قتلتني لم يكن ذلك سبباً لأن يسلم إليك أهل الصين ملكهم ، ولم يمنعهم قتلي من أن ينصبوا لأنفسهم ملكاً غيري ، ثمّ تنسب أنت إلى غير الجميل[5] ، وضدّ الحزم .

فأطرق الإسكندر ، وعلم أنّه رجل عاقل ، فقال : الّذي أريده منك ، ارتفاع مملكتك لثلاث سنين عاجلاً ، ونصف ارتفاعها في كلّ سنة .

قال : هل غير ذلك شيء ؟

قال : لا .

قال : قد أجبتك .

قال : فكيف يكون حالك حينئذ ؟

قال : أكون قتيل أوّل محارب ، وأكلة أوّل مفترس .

قال : فإن قنعت منك بارتفاع ثلاث سنين ، كيف يكون حالك ؟

قال : أصلح مما كانت ، وأفسح مدّة .

قال : فإن قنعت منك بارتفاع سنة ؟

قال : يكون ذلك كمالاً لأمر ملكي ، وموفياً لجميع لذّاتي[6] .

قال : فإن اقتصرتُ منك على ارتفاع السّدس ؟

قال : يكون السّدس موفّراً ، ويكون الباقي للجيش ولسائر الأسباب .

قال : قد اقتصرت منك على هذا ، فشكره ، وانصرف .

فلمّا طلعت الشمس ، أقبل جيش ملك الصين حتّى طبّق الأرض ، وأحاط بجيش الإسكندر حتّى خافوا الهلاك ، وتواثب أصحابه فركبوا ، واستعدّوا للحرب .

فبينما هم كذلك إذ طلع ملك الصين ، وعليه التاج ، وهو راكب ،

---

٥ في المستجاد : عين الجهل .

٦ في المستجاد : مجحفاً بملكي . ومذهباً لجميع لذّاتي .

فلمّا رأى الاسكندر ، ترجّل .

فقال له الاسكندر : غدرتَ ؟

قال : لا والله .

قال : فما هذا الجيش ؟

قال : إنّي أردت أن أريك أنّني لم أطعكَ من قلّة ولا من ضعف ، وأنت ترى هذا الجيش ، وما غاب عنك منه أكثر ، ولكنّي رأيت العالم الأكبر[7] مقبلاً عليك ، ممكّناً لك ممن هو أقوى منك ، وأكثر عدداً ، ومن حارب العالم الأكبر غُلب ، فأردت طاعته بطاعتك [١٣٦ ظ] والذلّة لأمره بالذلّة لك .

فقال الإسكندر : ليس مثلك من يؤخذ منه شيء ، فما رأيت بيني وبينك أحداً يستحق التفضيل ، والوصف بالعقل ، غيرك ، وقد أعفيتك من جميع ما أردته منك ، وأنا منصرف عنك .

فقال ملك الصين : أما إذ فعلت ذلك ، فلستَ تخسر .

فلمّا انصرف الاسكندر ، أتبعه ملك الصين ، من الهدايا ، بضعف ما كان قرّره معه[8] .

---

٧ في المستجاد : العالم الأثير .

٨ لم ترد هذه القصّة في م ولا في غ . ووردت في كتاب المستجاد من فعلات الأجواد للتنوخي ص ٤٦-٤٩ .

٢٣٦

بين إسحاق الموصلي وغلامه فتح

أخبرني أبو بكر محمّد بن يحيي الصولي – فيما أجاز لي روايته عنه ، بعد ما سمعته منه – قال : حدّثني الحسن بن يحيي[1] ، قال :

كان لإسحاق الموصلي غلام يقال له : فتح ، يسقي الماء لأهل داره على بغلين من بغاله دائماً .

قال إسحاق : فقلت له يوماً : أيش خبرك يا فتح ؟

قال : خبري أن ليس في هذه الدار أشقى منّي ومنك ، أنت تطعم أهل الدار الخبز ، وأنا أسقيهم الماء .

فاستظرفت قوله ، وضحكت منه ، وقلت له : فأيّ شيء تحبّ ؟

قال : تعتقني ، وتهب لي البغلين ، لأستقي عليهما لنفسي .

ففعلت[2] .

---

١ أبو عيسى الحسن بن يحيى بن الحسين بن زهير الربعي المقرئ : ترجم له الخطيب في تاريخه ٤٥٤/٧ وقال : إنّه توفي سنة ٣٠٣ .

٢ لم ترد هذه القصّة في م ولا في غ .

٢٣٧
أنسب بيت قالته العرب

أخبرني أبو الفرج ، قال : حدّثني خلف بن وضاح[١] ، قال : حدّثني عبد الأعلى بن عبد الله بن محمّد بن صفوان الجمحي[٢] ، قال :

حملت دَيناً بعسكر المهدي[٣] ، فركب المهديّ يوماً بين أبي عبيد الله[٤] ، وعمر بن بزيع[٥] ، وأنا وراءه في موكبه على برذون قطوف[٦] ، فقال : ما أنسب بيت قالته العرب ؟

فقال أبو عبيد الله : قول امرىء القيس :

وما ذرفت عيناك إلّا لتضربي　　　بسهميك في أعشار قلبٍ مقتّل

فقال : هذا أعرابيّ قحّ .

---

١ في تاريخ بغداد للخطيب ٧٠/١١ : خالد بن وضّاح .

٢ في تاريخ بغداد للخطيب ٧٠/١١ : عبد الأعلى بن عبيد الله بن محمد بن صفوان بن عبيد الله بن عبد الله بن أبي بن خلف الجمحي المكي . من أشراف قريش . ومن أهل الفضل والعلم والأدب . ولّي قضاء المدينة للمهدي بعد موت أبيه .

٣ عسكر المهدي : المحلّة المعروفة ببغداد بالرصافة بالجانب الشرقي (المفترق صقعاً ٣١٠) أقول : هي الآن المحلّة الّتي تقع فيها المقبرة الملكيّة بالأعظمية .

٤ أبو عبيد الله معاوية بن يسار . وزير المهدي (١٠٠–١٧٠) : أوحد الناس في عصره حذقًا . وخبرةً . وكتابة . وزّر للمهدي . ودسّ عليه الربيع الحاجب . فأفسد ثقة المهدي به . فعزله . ومات معزولاً (الاعلام ١٧٤/٨) .

٥ عمر بن بزيع . مولى المهدي : كان أثيرًا عند المهدي . يشرب النبيذ في مجلسه . والمهدي لا يشرب . ويحضر معه في رحلات صيده . وظل أثيرًا لديه . ولدى ولديه موسى وهارون . وولّي للمهدي في السنة ١٦٢ دواوين الأزمّة . ولم تكن هذه الدواوين موجودة في أيام بني أميّة . وأوّل من أسّسها عمر بن بزيع . راجع تفصيل ذلك في حاشية القصّة ٧٣ من هذا الكتاب .

٦ البرذون : دابّة الحمل الثقيل . والدابّة القطوف : التي تسيء السير وتبطئ .

فقال عمر بن بزيع : قول كثيِّر يا أمير المؤمنين :

أريد لأنسى ذكرها فكأنّما تمثّل لي ليلى بكلّ سبيل

فقال : ما هذا بشيء ، وما له يريد أن ينسى ذكرها ، حتّى تمثّل له ؟

فقلت : عندي حاجتك يا أمير المؤمنين .

قال : الحق بي .

فقلت : لا لحاق بي ، ليس ذلك في دابّتي .

فقال : احملوه على دابّة .

قلت : هذا أوّل الفتح ، فحملت على دابّة ، فلحقته .

فقال : ما عندك ؟

فقلت : قول الأحوص يا أمير المؤمنين :

إذا قلت إنّي مشتفٍ بلقائها

فحمّ التلاقي بيننا زادني سقما [١١٢ ر]

فقال : أحسنت ، حاجتك ؟

قلت : عليّ دين .

قال : اقضوا دينه .

فقضي ديني[٧] .

٧ لم ترد هذه القصّة في م ولا في غ .

٢٣٨

تقلّد الإنفاق على عسكرين فأفاد في

أقلّ من شهر سبعمائة ألف درهم

ذكر ابن عبدوس في كتابه ، كتاب الوزراء : حدّث أحمد بن محمّد بن زياد[1] ، قال : قال لي الريّان بن الصلت :

كنت في خدمة الفضل بن سهل[2] ، فيما كنت فيه ، من ثقته واستنامته ، على ما كنت عليه .

فدعاني في وقت من الأوقات ، إلى أن يضم إليّ أربعة آلاف من الشاكريّة والجند ، ويقوّدني عليهم ، ويجريني مجرى قوّاده ، فامتنعت عليه من ذلك ، وأعلمته أنّي لا أقوم بذلك ، ولا أصلح له ، ولا آمن أن أتقلّد منه ما يقع فيه التقصير ، فيسقط حظّي عنده ، ومنزلتي لديه .

فأنكر ذلك عليّ أشدّ الإنكار ، وعاودني فيه مراراً ، فلم أجبه إليه ، فلمّا رأى إقامتي على الإمتناع ، جفاني ، وأعرض عنّي ، وامتدّت الأيّام على هذا ، حتّى أدّاني ذلك إلى الاختلال الشديد الّذي أضرّ بي .

فدخل إليّ غلامي يوماً ، فأعلمني أنّه لا نفقة عنده ، ولا مضطرب له في احتيالها ، لامتناع التجّار عن إعطائه ، لتأخّر مالهم علينا عنهم ، وأنّه لا علف لدوابنا ، ولا قوت لنا .

---

١ أبو علي أحمد بن محمد بن زياد بن أيوب : ترجم له الخطيب في تاريخه ٥/٩ و١٠ وقال : إنّه توفي سنة ٣١٠ .

٢ أبو العباس الفضل بن سهل السرخسي ، وزير المأمون : ترجمته في حاشية القصّة ٥٥ من الكتاب .

فأومأتُ إلى عمامة مُلْحَم[3] كانت بحضرتي ، وأمرته ببيعها ، وصرف ثمنها فيما يحتاج إليه ، فباعها بثمانية دراهم .

وورد عليّ في ذلك اليوم كتاب وكيلي على أهلي ، بمدينة السّلام ، يعلمني ضيق الأمر عليه فيما يحتاج إلى إقامته للعيال ، وإنّه التمس من التجّار مقدار ألفي درهم ، فلم يجيبوه إليها ، فعظم علّي ما ورد من ذلك ، وضاقت بي [١٣٧ظ] المذاهب .

فبينما أنا قاعد في عشيّة يومي ذلك ، إذ أتاني رسول الفضل يأمرني بحضور الدار ، والمقام فيها ، إلى عند خروجه من دار المأمون ، فحضرتها بعد صلاة العتمة ، فأقمت ، إلى أن خرج الفضل في وقت السحر ، فلقيته ، وبين يديه خرائط كثيرة محمولة .

فقال : صلّيت صلاة اللّيل ؟

قلت : نعم .

فقال : لكنّي ما صلّيت ، فكنْ ها هنا إلى أن أصلّي ، فصلّى ، ثمّ انفتل من صلاته ، فدعاني .

فقال : أتدري ما هذه الخرائط ؟

قلت : لا .

قال : هذه ثماني وستّون خريطة وردت ، وقرأتها ، وأجبت عنها بخطّي ، فدعوتُ الله له بحسن المعونة والتوفيق .

ثمّ قال لي : يا ريّان ، إن أبا محمّد الحسن بن سهل قد دفع إلى واسط ،

---

٣ الملحم : القماش الذي سداه إبريسم ، ولحمته غير إبريسم (قاله ميخائيل عواد في رسوم دار الخلافة ص ٩٠) أقول : إختصّت مرو بالثياب الملحم (لطائف المعارف ص ٢٠١) .

ورأى أمير المؤمنين أن يمدّه بدينار بن عبد الله [4] ونعيم بن خازم [5] في عشرة آلاف رجل ، وأن يقلّدك الإنفاق عليهم في عسكريهما ، وأن يجرى لك في كلّ شهر عشرة آلاف درهم ، ولكاتبك ثلاثة آلاف درهم ، ولقراطيسك ألف درهم ، وأن يوظّف لك على كلّ عسكر عشرة أجمال لحملك ، أو مائة دينار عوضاً

---

٤ دينار بن عبد الله : من كبار القوّاد في الدولة العباسيّة ، وهو من موالي الرشيد ، وارتفعت منزلته في أيام المأمون ، وخلف الحسن بن سهل في السنة ٢٠٣ على القيادة العامة في العراق ، وولي للمأمون عدّة ولايات وإليه تنسب دار دينار ، في الجانب الشرقي من بغداد ، بين سوق الثلاثاء ونهر دجلة (معجم البلدان ٥١٨/٢) يعني أنّها كانت على النهر إما في موضع المستنصرية ، أو في جوارها ، وهذه الدار هي التي نزل بها الأمير الموفق أبو أحمد طلحة بن المتوكل ، لما ورد بغداد منفياً إلى البصرة وواسط بأمر من أخيه المعتز (الطبري ٣٧٧/٩) ، وهو أحد ملوك المخرّم الذين هجاهم دعبل الخزاعي ، فقال :

ومن يشتري منّي ملوك المخرِّم ... أبع حسنًا وابني هشام بدرهم
وأعطي رجاءً فوق ذاك زيادة ... وأمنح دينارًا بغير تندّم
فإن طلبوا منّي الزيادة زدتهم ... أبا دلف والمستطيل ابن أكثم

يريد بالحسن : الحسن بن سهل ، وزير المأمون ، وبابني هشام ، أحمد وعلي من رجال الدولة العباسيّة ، ثانيهما قتله المأمون ، راجع تفصيل ذلك في كتاب بغداد لابن طيفور ١٤٦ ، وبرجاء : رجاء بن أبي الضحّاك ، ابن عم الفضل بن سهل وزير المأمون (الطبري ٥٤٠/٨) وبأبي دلف : القائد العربي القاسم بن عيسى بن إدريس بن معقل العجليّ ، وبابن أكثم ، القاضي يحي بن أكثم قاضي المأمون ، راجع أخبار دينار بن عبد الله في الكامل لابن الأثير ٣٥٦/٦ و ٣٨١ والطبري ٥٦٩/٨ و٥٩٣ و٦٠٦ والعيون والحدائق ٣٥٧/٣ و ٤٥٦ وتاريخ بغداد لابن طيفور ١٢٢ .

٥ نعيم بن خازم : أحد قوّاد الدولة العباسيّة ، كان في جيش الرشيد لما سافر إلى طوس سنة ١٩٢ (الطبري ٣٤١/٨) ، وفي السنة ١٩٦ لما عقد المأمون للفضل بن سهل على المشرق وجعل عمالته ثلاثة آلاف ألف درهم ، وسماه : ذا الرئاستين ، أي رئاسة السيف ، ورئاسة القلم ، حمل له اللواء نعيم بن خازم (الطبري ٤٢٤/٨) ، ثم انحاز إلى صف إبراهيم بن المهدي ، وخاض معارك عدّة ، كانت آخرها المعركة التي أسر فيها قرب واسط (الطبري ٥٦٢/٨) ، فأحضر أمام الحسن بن سهل حافيًا ، حاسرًا ، وهو يقول : ذنبي أعظم من السماء ، ذنبي أعظم من الأرض ، فقال له الحسن : على رسلك أيّها الرجل ، لا بأس عليك ، قد تقدّمت لك طاعة ، وحدّثت لك توبة ، وليس للذنب بينهما موضع ، وما ذنبك في الذنوب ، بأعظم من عفو أمير المؤمنين في العفو (العقد الفريد ١٥٧/٢ وعيون الأخبار ١٠٥/١) .

عنها . ثمّ أمر لي في ذلك الوقت ، أن تحمل إليّ أرزاق ثلاثة أشهر ، فما صلّيت الصبح حتّى حمل إليّ اثنان وأربعون ألف درهم ، وأخذ في تجهيز العسكرين .

قال : وبعث إليّ الفضل بفرس من دوابّه وأمرني أن أبعث به إلى نعيم بن خازم ، وأعلمه أنّه خصّه به ، وأنّه من خيله الّتي يركبها ، فوجّهت به إلى نعيم بن خازم ، فأظهر السرور والابتهاج بذلك ، والتعظيم له ، ووهب لغلامي عشرة آلاف درهم ، وبعث إليّ بخمسين ألف درهم .

فكتبت بذلك إلى الفضل . فكتب على رقعتي : أردد على نعيم ما بعث به إليك . وما وهب لغلامك ، واقبض لنفسك عوضاً منه ، مائة وعشرين ألف درهم .

ثمّ أمر بعد أيّام لدينار ، بسبعمائة ألف درهم صلة ومعونة ، ولنعيم بن خازم بخمسمائة ألف درهم ، فبعثت بها إليهما ، فبعث إليّ كلّ واحد منهما بخمسين ألف درهم .

فكتبت إلى الفضل رقعة ، فأعلمته فيها بما فعلاه ، فوقّع على ظهرها : إقبَل من دينار ما بعث به إليك . واردد إلى نعيم ما بعث به ، واقبض لنفسك عوضاً من ذلك مائة ألف درهم .

قال : وسرنا عن مرو ، فلمّا صرنا في الطّريق ، ورد عليّ كتاب الفضل ، يأمرني فيه ، أن أحمل الى دينار ألف ألف درهم وخمسمائة ألف درهم ، وإلى نعيم ألف ألف درهم ، ففعلت ، فحمل إليّ دينار مائة ألف درهم ، وخمسين ألف درهم ، وبعث إليّ نعيم مائة ألف درهم ، فقبلت من دينار ما بعث به ، ورددت على نعيم ما بعث به ، حسبما حدّ لي في رقعتيّ الأولى والثانية ، ولم أكتب بالخبر في ذلك إلى الفضل ، لئلا يتوهّم عليّ استدعاء العوض ، وكتب له بذلك صاحب خبر[٦] ، كان له في السرّ علينا ، فوقّع على ظهر كتابه إليّ ،

---

٦ صاحب الخبر : راجع حاشية القصّة ١٤٣ من هذا الكتاب .

قد علمت أنّك أمسكت عن الكتابة إليّ بما فعله نعيم ودينار ، وما كان من ردّك على نعيم ما بعث به ، لئلا أتوهّم عليك الاستدعاء للصّلة ، وقد رأيت أن تقبض لنفسك عوضاً عن ذلك مائتي ألف درهم .

قال الريّان : فلم تمضِ سبعة وعشرون يوماً ، حتّى حصل عندي سبعمائة ألف درهم[7] .

---

٧ لم ترد هذه القصّة في م ولا في غ ..

٢٣٩

المأمون بخراسان ينقلب حاله

من أشدّ الضيق إلى أفسح الفرج

وذكر في كتابه عن جبريل بن بختيشوع[١] ، في خبرٍ طويل ، أنّه سمع المأمون يقول :

كان لي بخراسان يوم عجيب ، فأولى الله فيه بإحسانه جميلاً ، لما توجّه طاهر بن الحسين[٢] إلى عليّ بن عيسى بن ماهان[٣] ، كما قد عرفتموه من ضعف طاهر وقوّة عليّ ، وَقَرَ[٤] في نفوس عسكري جميعاً ، أنّ طاهراً ذاهب ، ولحق أصحابي إضاقة شديدة ، وظهرت فيهم خلّة عظيمة ، ونفد ما كان [١٣٨ ظ] معي ، فلم يبق منه لا قليل ولا كثير ، وأفضيت إلى حال كان أصلح ما فيها الهرب ، فلم أدرِ إلى أين أهرب ، ولا كيف آخذ ، وبقيت حائراً متفكّراً .

فأنا – والله – كذلك وكنت نازلاً في دار أبوابها حديد ، ولي مستشرفات[٥] أجلس فيها إذا شئت ، وعدد غلماني ستّة عشر غلاماً ، لا أملك غيرهم ، وإذا بالقوّاد والجيش جميعاً قد شغبوا ، وطلبوا أرزاقهم ، ووافوا جميعاً يشتموني ، ويتكلّمون بكلّ قبيح .

---

١ جبريل بن بختيشوع بن جورجيس بن بختيشوع الجنديسابوري : طبيب هارون الرشيد . والأمين من بعده . ولما ولي المأمون سجنه . ثم أطلقه ورفع منزلته . توفي سنة ٢١٣ (الأعلام ٢/١٠٠) وله ترجمة مفصّلة في تاريخ الحكماء ١٣٢–١٤٦ .

٢ أبو الطيّب طاهر بن الحسين بن مصعب الخزاعي . ذو اليمينين : ترجمته في حاشيه القصّة ١٠١ من الكتاب .

٣ علي بن عيسى بن ماهان . القائد العباسي : ترجمته في حاشية القصّة ١٠١ من هذا الكتاب .

٤ وقر : ثبت وبقي (أساس البلاغة للزمخشري ٢/٥٢٢) .

٥ المستشرفات : المرتفعات التي يشرف منها الانسان ويطلّ على ما تحته .

فكان الفضل بن سهل بين يديّ . فأمر بإغلاق الأبواب ، وقال لي : قم فاصعد إلى المجلس الّذي يستشرف فيه ، إشفاقاً عليّ من دخولهم ، وسرعة أخذهم إيّاي ، وتعليلاً لي بالصعود .

فقلت : القوم يدخلون الساعة ، فيأخذوني ، فلأن أكون بموضعي ، أصلح .

فقال لي : يا سيّدي اصعد ، فوالله ، ما تنزل إلّا خليفة .

فجعلت أهزأ به ، وأعجب منه . وأحسب أنّه إنّما قال ما قال ، ليسمعني[٦] . وأركنت للهرب من بعض أبواب الدار . فلم يكن إلى ذلك سبيل . لإحاطة القوم بالدار والأبواب كلّها .

فالحّ عليّ أن أصعد ، فصعدت وأنا وجِل ، فجلست في المستشرف . وأنا أرى العسكر .

فلمّا علموا بصعودي اشتدّ كلبهم ، وشتمهم ، وضجيجهم ، وبادروني بالوعيد والشتم ، فأغلظت على الفضل بن سهل وقلت له : أنت جاهل ، غررتني ، ولم تدعني أعمل برأيي . وليس العجب إلّا ممّن قَبِلَ منك ، وهو في هذا كلّه ، يحلف أنّني لا أنزل إلّا خليفة ، وغيظي عليه ، وتعجّبي من حمقه ، ومواصلة الأيمان أنّني لا أنزل إلّا خَليفة ، مع ما أشاهده ، والحال يزيد ، أشدّ عليّ ممّا أقاسيه من الجند .

ثمّ وضع القوم النار في شوك جمعوه ، وأدنوه من الدار ، ونقبوا في سورها عدّة نقوب ، وثلموا منه قطعة ، فذهبت نفسي خوفاً وجزعاً ، وعلمت أنّي بين أن أحترق ، وبين أن يصلوا إليّ فيقتلوني ، فهممت بأن ألقي نفسي إليهم . وقدّرت أنّهم إذا رأوني استحيوا منّي ، وأقصروا .

وجعل الفضل بن سهل يقبّل يدي ورجلي ، ويناشدني أن لا أفعل ، ويحلف لي أنّي لا أنزل إلّا خليفة ، وفي يده الإسطرلاب ، ينظر فيه في الوقت بعد الوقت .

---

٦ كذا في الأصل .

فلمّا اشتدّ عليّ الأمر ، واستحكم اليأس ، قال لي : يا سيّدي ، قد – والله – أتاك الفرج ، أرى شيئاً في الصحراء قد أقبل ، ومعه فرجنا ، فازددت من قوله غيظاً ، وأمرت غلماني بتأمّل الصحراء ، فلم أرَ ، ولم يروا شيئاً .

وجدّ القوم في الهدم والحريق ، حتّى هممت – لما داخلني – أن أرمي بالفضل إليهم .

فقال الغلمان : إنّا نرى في الصحراء شيئاً يلوح ، فنظرت فإذا شبح ، وجعل يزيد تبياناً ، إلى أن تبيّنوا رجلاً على بغلة ، ثمّ قرب ، فإذا هو يلوّح ، وقرب من العسكر ، وقويت له قلوبنا ، ورأى الجند ذلك فتوقّفوا ، وخالطهم ، فإذا هو يقول : البشرى ، هذا رأس علي بن عيسى بن ماهان معي في المخلاة[7] ، فلمّا رأوا ذلك أمسكوا [١١٣ ر] عنّا ، وانقلبوا بالدعاء ، والسرور بالظفر والفتح .

فقال لي الفضل بن سهل : يا سيّدي ، إئذن لي في إدخال بعضهم ، فأذنت له ، فشرط عليهم أن لا يدخل إلّا من يريد ، فأجابوا إلى ذلك ، وسمّى قوماً من القوم ، فأدخلهم .

فكان أوّل من دخل عليّ ، عبد الله بن مالك الخزاعي[8] ، فقبّل يدي ، وسلّم عليّ بالخلافة ، ثمّ أدخل القوّاد بعده ، واحداً ، واحداً ، ففعلوا مثل ذلك ، فأطفأ الله – عزّ وجلّ – النائرة ، ووهب السلامة ، وقلّدني الخلافة ، فظفرت

---

٧ كان جيش الأمين يشتمل على خمسين ألف فارس بقيادة علي بن عيسى بن ماهان ، وجيش المأمون ، أقل من أربعة آلاف فارس ، بقيادة طاهر بن الحسين ، والتقيا بالريّ ، فانكسر جيش الأمين ، وقتل قائده ، وكتب طاهر إلى المأمون بالفتح ، قال : بسم الله الرحمن الرحيم ، كتابي إلى أمير المؤمنين ، ورأس علي بن عيسى بين يديّ ، وخاتمه في أصبعي ، وجنده مصرّفون تحت أمري ، والسلام (ابن الأثير ٦/٢٤٥) .

٨ عبد الله بن مالك الخزاعي : ترجمته في حاشية القصّة ١٣٠ من هذا الكتاب .

من أموال علي بن عيسى بن ماهان ، وما في عسكره ، بما أصلحنا به أمور جندنا .

ثمّ ذكر تمام الحديث .

وحدّثني بهذا الخبر ، أبو محمّد الحسن بن محمّد الصلحي ، قال : حدّثني أبو سعيد سنان بن ثابت بن قرّة[9] ، قال : قال الفضل بن مروان : كنت مع المأمون ، وقد خرج إلى نواحي الإسحاقي ليتصيّد في [١٣٩ ظ] جماعة من عسكره قليلة ، فذكر هذا الخبر بطوله ، وصدره وعجزه على ما في كتاب ابن عبدوس ، ممّا لم أذكره ، فذكر فيه هذه القطعة من الخبر ، على قريب ممّا هي مذكورة هاهنا[10] .

---

٩ أبو سعيد سنان بن ثابت بن قرّة الحراني الطبيب : كان طبيب المقتدر ، وكان المقتدر فرض أن ليس لأيّ طبيب ببغداد أن يزاول مهنته ، إلاّ بإذن من سنان يطلق له فيه مزاولة المهنة ، على أن يعيّن له ما يصلح أن يتصرّف فيه (يعني الاختصاص) ، وقد أحصي عدد الأطباء في ذلك الوقت ممن أجيز بمزاولة المهنة ، في جانبي بغداد ، فبلغ عددهم ثمانمائة ونيف وستّون رجلاً ، سوى من استغني عن امتحانه لاشتهاره بالتقدّم في صناعته ، وسوى من كان في خدمة السلطان ، إذ لم يدخل هؤلاء تحت الإحصاء ، وإليه كتب الوزير أبو الحسن علي بن عيسى بأن يفرد أطباء يدخلون إلى المسجونين في كلّ يوم ويحملون معهم الأدوية والأشربة ، وكتب إليه مرة أخرى بأن ينفذ أطباء ومعهم خزانة أدوية وأشربة إلى خارج بغداد يطوفون بالسواد ، ويقيمون في كلّ صقع منه مدّة ما تدعو الحاجة لإقامتهم لمعالجة من فيه ، وهو ما يسمى اليوم بالمستوصفات السيّارة ، وبناء على إشارته أنشأ المقتدر بيمارستانًا (مستشفى) بباب الشام ، سمّي البيمارستان المقتدري ، وفي نفس السنة أنشأت السيّدة أمّ المقتدر بيمارستانًا آخر ، سمّي باسمها ، تولّت هي الصرف عليه من مالها ، راجع في ترجمة سنان ، في كتاب تاريخ الحكماء ١٩٠–١٩٥ النصيحة التي أسداها لأمير الأمراء بجكم التركي في تدبير صحّته وتصرّفاته .

١٠ لم ترد هذه القصّة في م ولا في غ .

٢٤٠
طلب الولاية على بزبندات
البحر وصدقات الوحش

وذكر أيضاً في كتابه ، قال : حدّثني محمّد بن مخلد ، وكان يلقّب لبد ، لطول عمره[1] ، وروى عنه المدائنيّ الكاتب ، عن أبيه مخلد بن يزيد :

أنّ المأمون ، أوّل ما قدم العراق ، خطر له أن يقلّد الأعمال ، الشيعة الذين قدموا معه من خراسان . فطالت عطلة كتّاب السواد وعمّاله ، وكانوا يحضرون داره في كلّ يوم ، حتّى ساءت أحوالهم .

فخرج يوماً بعض مشايخ الشيعة ، وكان مغفّلا ، فتأمّل وجوههم ، فلم ير فيهم أسنّ من مخلد بن يزيد ، فجلس إليه ، وقال له : إنّ أمير المؤمنين أمرني أن أتخيّر ناحية من نواحي الخراج ، صالحة المرفق ، ليوقّع بتقليدي إيّاها ، فاختر لي ناحية .

---

١ إنّ تلقيب من طال عمره ، لبد ، يستند إلى قصّة متداولة ، وهي أنّ لقمان ، عاش عمر سبعة نسور ، كلما هلك واحد ، خلفه آخر ، عمر كلّ نسر ثمانون سنة ، وهلك منها ستة ، وكان السابع لبد ، فكان لقمان يقول له : إنهض لبد ، قال أبو السري الخزرجي في معاذ بن مسلم النحوي (وفيات الأعيان ٥/٢١٨ و ٢١٩ ، والحيوان للجاحظ ٣/٤٢٣ و ٤٢٤ و٦/٣٢٧ و٣٢٨) .

إنّ معاذ بن مسلم رجلٌ ... ليس لميقات عمره أمد
قد شاب رأس الزمان واكتهل الـ ... ـدهر وأثواب عمره جدد
يا بكر حواء كم تعيش وكم ... تسحب ذيل الحياة يا لبد
قد أصبحتْ دار آدم خربت ... وأنت فيها كأنّك الوتد
تسأل غربانها إذا حجلت ... كيف يكون الصداع والرمد

فقال : لا أعرف لك عملاً أولى بك من بزبندات[٢] البحر ، وصدقات الوحش .

فقال له : أكتبه لي ، فكتبه له مخلد ، فعرض الشيعيّ الرقعة على المأمون ، وسأل تقليده ذلك العمل .

فقال له : من كتب لك هذه الرقعة ؟

فقال : شيخ من الكتّاب ، يحضر الدار في كلّ يوم .

فقال : هلمّه .

فلمّا دخل ، قال له المأمون : ما هذا يا جاهل ؟ تفرّغت لأصحابي[٣] ؟

فقال له : يا أمير المؤمنين ، أصحابنا هؤلاء ثقات يصلحون لحفظ ما يصل إلى أيديهم من الخزائن والأموال ، وأما شروط الخراج ، وحكمه ، وما يجب تعجيل استخراجه ، وما يجب تأخيره ، وما يجب إطلاقه ، وما يجب منعه ، وما يجب إنفاقه ، وما يجب الإحتساب به ، فلا يعرفونه ، وتقليدهم يعود بذهاب الإرتفاع ، فان كنت يا أمير المؤمنين لا تثق بنا ، فضمّ إلى كلّ واحد منهم رجلاً منّا ، فيكون الشيعيّ يحفظ المال ، ونحن نجمعه .

فاستطاب المأمون رأيه وكلامه ، وأمر بتقليد عمّال السواد وكتّابه ، وأن يضمّ إلى كلّ واحد منهم ، واحداً من الشيعة ، وضمّ مخلد إلى ذلك الشيخ ، وقلّده ناحية جليلة[٤] .

---

٢ في ظ : ترندات ، وفي هـ ٢/٨ : بريدات ، وقال ميخائيل عوّاد : هي البزندات ، ويقصد بها الحواجز التي توضع في وجه الماء لتصدّه ، وتحمي الشاطئ من التأكّل ، ومن طغيان الماء على ما خلفه من الأراضي والزروع ، وإنّها في العراق تسمّى : المسنّيات ، مفردها : مسنّاة ، والسكور ، مفردها : سكر ، بكسر السين ، وفي مصر ، تسمّى : الجسور ، أقول : إسمها الصحيح : بزبندات ، فارسيّة ، بند : بمعنى سدّ ، وبز : بمعنى قاعدة (المعجم الذهبي) .

٣ سبب غضب المأمون على مخلد ، لأنّه هزأ بالخراساني ، إذ لا تبنى سدود أو مسنّيات على البحر ، ولا تفرض صدقة على الوحش .

٤ لم ترد هذه القصّة في م ولا في غ ولا في ر .

٢٤١
المنصور يقتل مؤدّب ولده جعفر ظلماً

وذكر في كتابه :

أنّ المنصور ضمّ رجلاً يقال له فضيل بن عمران[١] الكوفي إلى جعفر ابنه[٢] ، يكتب له ، ويقوم بأمره .

وكانت لجعفر حاضنة تعرف بأمّ عبيدة ، فثقل عليها مكان فضيل ، فسعت به إلى أبي جعفر ، وادّعت عنده أنّه يلعب بجعفر ، فبعث المنصور ، مولاه الريّان[٣] ، وهارون بن غزوان ، مولى عثمان بن نهيك[٤] ، إلى الفضيل ، وأمرهما بقتله ، وكتب لهما منشوراً بذلك ، فصارا إليه فقتلاه .

---

١ سماه صاحب تاريخ الموصل ص ١٩٨ : الفضيل بن غزوان .

٢ جعفر بن أبي جعفر المنصور : أكبر أولاد المنصور ، وبه يكنّي ، وهو والمهدي من أمّ واحدة ، ويقال له جعفر الأكبر ، تمييزاً له عن جعفر آخر من أولاد المنصور ، هو ابن الكرديّة (الأغاني ٨١/٦) ويقال له جعفر الأصغر ، وكان جعفر الأكبر خليعاً ماجناً ، وكان يصرع في اليوم مرات ، وكان يزعم إنّه يعشق امرأة من الجنّ ، وهو مجتهد في خطبتها ، وجمع أصحاب العزائم عليها ، وهم يغرونه ، ويعدونه بها ، ويمنّونه (الأغاني ٢٨٨/١٣ و ٢٨٩) ولذلك فإنّ المنصور قدّم عليه المهدي ، وبايعه بولاية العهد ، فغضب جعفر ، راجع ما قاله في هذا الموضوع ، في الأغاني ٢٨٧/١٣ ، ومات جعفر في حياة أبيه ، فحزن عليه حزناً شديداً ، ولما عاد من دفنه طلب من أنشده قصيدة أبي ذؤيب في رثاء أولاده وهي التي مطلعها : أمن المنون وريبها تتوجّع (الأغاني ٢٧٢/٦ و ٢٨٨/١٣) .

٣ الريّان مولى المنصور : يظهر أنّه كان أحد جلاديه أيضاً ، فقد بعثه لقتل مؤدّب ولده جعفر ، وبعثه إلى البصرة لقتل المغيرة بن الفزع ، أحد المستأمنين (العيون والحدائق ٢٥٥/٣) وكان أثيراً لدى المنصور ، حتى إنّه كان أحد من نزل في قبره عند دفنه (ابن الأثير ٢٢/٦) .

٤ أبو يزيد عثمان بن نهيك : من قوّاد الدّولة العباسيّة ، كان قائد حرس المنصور ، وهو أوّل من ضرب بسيفه أبا مسلم ، لما أراد المنصور قتله ، ولما ثار الراوندية على المنصور في السنة ١٤١ أصيب بين كتفيه بسهم ، فمرض ومات (الطبري ٣٦٢/٧ ، ٣٨٩ ، ٤١٨ ، ٤٥٣ ، ٤٥٥ ، ٤٦٢ ، ٤٨٨–٤٩١ ، ٥٠٥ ، ٥٠٦ وابن الأثير ٣٨٦/٥ ، ٤٣٩ ، ٤٤٢ ، ٤٧٤ ، ٤٧٦ ، ٥٠٢ ، ٥٠٣) .

وكان الفضيل ديّناً ، عفيفاً ، فقيل للمنصور في ذلك ، وأنّه أبرأ النّاس ممّا قُرِفَ به ، فأحضر المنصور غلاماً من غلمانه ، وجعل له عشرة آلاف درهم ، إن أدركه قبل أن يقتل ، فصار إليه ، فوجده قد قتل ، ولم يجفّ دمه .

واتّصل خبر قتله بجعفر بن أبي جعفر ، فطلب الريّان ، فلمّا جيء به ، قال له : ويلك ، ما يقول أمير المؤمنين في قتل رجل مسلم بغير جرم ؟

فقال له الريّان : هو أمير المؤمنين ، يفعل ما يشاء .

فقال له جعفر : يا ماصّ بظر أمّه ، أكلّمك بكلام الخاصّة ، فتكلّمني بكلام العامّة ؟ جرّوا برجله ، فألقوه في دجلة .

قال الريّان : فأخذوا – والله – برجلي ، فقلت : أكلمك بكلمة ، ثمّ اعمل ما شئت .

فقال : ردّوه ، فرددت ، فقال : قل .

فقلت له : أبوك إنّما يسأل عن قتل فضيل بن عمران وحده ؟ ومتى يسأل عنه ، وقد قتل عمّه عبد الله بن علي[5] ، وقتل عبد الله بن الحسن ، وعشرات من أولاد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم[6] ، وقد قتل من أهل الدنيا ما لا يحصى

---

٥ عبد الله بن علي بن عبد الله بن العبّاس (١٠٣–١٤٧) : عمّ المنصور ، من أعاظم القوّاد ، هزم مروان الحمار بالزاب ، وتبعه إلى دمشق ، وقتل من أعيان بني أميّة بالرملة ثمانين رجلاً ، وظلّ أميرًا على الشام مدّة خلافة ابن أخيه السفّاح ، وكان يؤمّل أن يخلفه ، فلما خلفه المنصور ، ثار عليه ، فانتدب المنصور له أبا مسلم الخراساني ، وانكسر جيش عبد الله ، وفرّ هو إلى إخوانه بالبصرة ، فأمنه المنصور ، واعتقله ، وأسكنه في دار أساسها من الملح ، وأجرى عليه الماء فانهدم البيت عليه (ابن الأثير ٥٨٢/٥ والاعلام ٢٤١/٤ والعيون والحدائق ٢٥٨/٣ وخلاصة الذهب المسبوك ٧٧) ، وفي مروج الذهب ٢٤١/٢ إنّه قتل خنقًا ، وخنقت معه جارية له ، ثم وضعا في الفراش متعانقين ، وهدم عليهما البيت .

٦ راجع ما صنعه المنصور بآل الحسن في حاشية القصّة ٣١٨ من هذا الكتاب .

ولا يعدّ[7] ، هو إلى أن يسأل عن فضيل بن عمران جوشانة[8] تحت خصى فرعون .
قال : فضحك ، وقال : خلّوا عنه ، لعنه الله ، فأفلتُّ منه[9] .

---

٧ سأل المنصور ابن أبي ذؤيب : ناشدتك الله أيّ الرجال أنا عندك ؟ فقال : أنت – والله – عندي شرّ الرجال ، لأنّك استأثرت بمال الله ورسوله ، وسهم ذوي القربى واليتامى والمساكين ، وأهلكت الضعيف ، وأتعبت الأقوياء في أموالهم ، وسفكت الدماء في غير حقّها ، فما حجّتك ؟ فقال أبو جعفر : ويحك ، أتعقل ؟ أنظر ما أمامك ، قال : نعم ، قد رأيت أسيافًا ، وإنّما هو الموت ، ولا بدّ منه ، فما لا بدّ منه ، عاجله خير من آجله (واسطة السلوك في سياسة الملوك ٢٧) ، ولما ثقل المنصور ، وهو في طريقه إلى مكّة ، قال للربيع : بادر بي إلى حرم ربّي وأمنه ، هاربًا من ذنوبي ، وإسرافي على نفسي (الطبري ٨/١١٤) ودخل سفيان الثوري على المهدي بمكّة ، فوعظه وشدّد عليه ، فقال المهدي : لو كان المنصور حيًّا ، ما احتمل هذا الكلام منك ، فقال سفيان : لو أخبرك المنصور بما لقي ، ما استقرّ بك مجلسك (البصائر والذخائر ج ٢ ق ٢ ص ٨١٤ و ٨١٥) .

٨ في الأصل جوذابة ، وفي الطبري ٨/١٠٠ جردانة ، وأحسب أنّ الصحيح ما أثبتناه : جوشانة ، من جوش الفارسيّة : حبوب تظهر على الجلد مثل حبّ الشباب (المعجم الذهبي) .

٩ لم ترد القصّة في م ، ولا في غ ، وردت في الطبري ٨/١٠٠ مبتورة وفي تاريخ الموصل لابن أياس ص ١٩٨ .

٢٤٢
مالك بن طوق يتزوّج المهناة بنت الهيثم الشيباني

وجدت في كتاب أبي الفرج الحنطي المخزومي الكاتب : أنّ محمّد [١٤٠ ظ] بن عبد الحميد الجشمي قال :

حججت سنة ثلاث وأربعين ومائتين ، فأنا في بعض المنازل راجعاً ، إذ رأيت فقراء بالبادية يستميحون[١] ، فوقفَتْ منهم عليّ جارية تتصدّق ، بوجه كأنّه القمر حين استدار ، أو كقرن الشمس حين أنار ، فرددت طرفي عنها ، واستعذت بالله من الفتنة بها ، فلم تزل تذهب وتجيْ ، فيما بين رجال الحجّ ، وتعود إلى رحلي ، فوقفَتْ .

فقلت لها : أما تستحين أن تبدين هذا الوجه في مثل هذا الموضع ، بحضرة الخلائق .

فلطمت وجهها ، وقالت :

لم أبده حتّى تقضّت حيلتي فبذلته وهو الأعزّ الأكرم
ويعزّ ذاك عليّ إلّا أنّه دهرٌ يجور كما تراه ويظلم
قد صنته وحجبته حتّى إذا لم يبق لي طمع ومات الهيثم
أبرزته من حجبه مقهورةً والله يشهد لي بذاك ويعلم
كشف الزمان قناعه في بلدة قلّ الصديق بها وعزّ الدرهم
أصبحت في أرض الحجاز غريبة وأبو ربيعة أسرتي ومحلّم

قال : فأعجبني ما رأيت من جمالها ، وفصاحتها ، وأدبها ، وشعرها ، فبرزتها ، وقلت لها : ما اسمك ؟

---

١ المليح : إغتراف الماء بالكفّ ، ومنه اشتقّت الاستماحة ، أي طلب العطاء .

قالت : أنا المهنّاة بنت الهيثم الشيباني ، وكان أبي جاراً لبني فزارة ، فاعتلّ ، واستنفد ماله ، وتوفّي ، وتركني فقيرة ، فاحتجت إلى التكفّف[2] .

قال : ورحلنا ، فلمّا صرنا بالرحبة ، دخلت إلى مالك بن طوق[3] مسلّماً ، فسألني عن طريقي وسفري ، وما رأيته من الأعاجيب فيه ، فحدّثته بحديث الجارية ، فأعجب به ، واستطرف الأبيات ، وكتبها منّي ، ورحلتُ الى منزلي بالشام .

فلمّا كان بعد أيّام من اجتماعنا ، أتاني رسوله يستزيرني ، فصرت إليه ، فبينما أنا جالس عنده يوماً ، فإذا خادمان قد جاءا معهما أكياس مختومة ، ونحوت ثياب مشدودة ، فوضعاها بين يديّ .

فقلت لمالك : ما هذا ؟

---

٢ التكفّف : مدّ الكفّ إلى الناس للاستعطاء .

٣ أبو كلثوم مالك بن طوق بن عتّاب التغلبي : أمير ، فارس ، جواد ، فصيح ، شاعر (الأعلام ١٣٧/٦) ، بنى الرحبة في خلافة المأمون (معجم البلدان ٧٦٤/٢ ومراصد الاطلاع ٦٠٨/٢) وإليه تنسب ، وولّي أمرة دمشق للمتوكّل في السنة ٢٣٢ (فوات الوفيات ٢٩٤/٢ ومعجم الأنساب والأسرات الحاكمة ٤٣) ولما اختصم المستعين والمعتز ، كان في جانب المستعين (الطبري ٢٨٧/٩ وابن الأثير ١٤٢/٧ وتجارب الأمم ٥٧٩/٦) وتوفّي في الرحبة سنة ٢٦٠ (ابن الأثير ٢٧٤/٧) أقول : أورد ياقوت رحمه الله في معجم البلدان ٧٦٤/٢ عند حديثه عن الرحبة ، قصّة خلاصتها أنّ مالك بن طوق كان من ندماء الرشيد ، وأنّه رافقه في حرّاقة في الفرات ، وأنّ الرشيد منحه أرض الرحبة ، فبناها ، وأنّه عصى بعد ذلك على الرشيد ، فحاربه ، وأسره ، ثم منّ عليه وأطلقه ، ونقل عنه القصّة صاحب فوات الوفيات في ترجمة مالك بن طوق ٢٩٤/٢ ، وهذا القول لا يعلق بقبول ، فإنّ من ينادم هارون الرشيد لا بد أن يكون قد تجاوز العشرين ، وآخر مرّة مرّ فيها الرشيد بالفرات ، في السنة ١٩٠ لما غزا الصائفة (الطبري ٣١٩/٧) وحيث أنّ مالك بن طوق توفي في السنة ٢٦٠ فيقتضي أن يكون قد تجاوز التسعين من عمره ، يضاف إلى ذلك أنه لا يوجد ذكر للرحبة في كتب التاريخ في أيّام الرشيد مطلقًا ، والقصّة والشعر اللذان أوردهما ياقوت وصاحب فوات الوفيات ، حصلت بين المعتصم وبين أحد الخارجين عليه ، وهو تميم بن جميل السدوسي ، راجع القصّة رقم ٣٩٣ من هذا الكتاب ، وكتاب المستجاد من فعلات الأجواد ١١٧-١١٩ .

قال : هذا حقّ دلالتك على المهنّاة بنت الهيثم الشيباني ، الّتي أظفرني الله منها بما كانت أمنيتي تقصر عنه ، وهي أنفذت إليك بهذا من مالها ، ولك من مالي ضعفه .

فقلت : كيف كان خبرها ؟

فقال : إنّك لما انصرفت ، أنفذتُ رسلاً إلى البادية ، أثق بعقولهم وأمانتهم ، فما زالوا يسألون عنها ، حتّى ظفروا بها ، فحملوها ، ووليّها معها ، فتزوّجتها ، فرأيت منها ما زاد على ما كان زرعه حديثك عنها في نفسي ، وقد افضتُ عليها من دنياي ، بحسب تمكّنها من قلبي ، [١١٤ ر] فسألتني عن سبب طلبي إيّاها ، فأخبرتها بخبرك ، وكتبت أستزيرك لأعرّفك هذا ، وأقضي حقّك ، وقد أمرت لك بعشرين ألف درهم ، وعشر تخوت ثياب .

قال عبد الحميد : وكانت أمّ عدّة من أولاده [٤] .

٤ لم ترد هذه القصّة في م ولا في غ .

٢٤٣
بين ابن أبي البغل عامل أصبهان

وأحد طلّاب التصرّف

حدّثني أبو القاسم سعد بن عبد الرحمن الأصبهاني[1] ، قال :

كان أبو الحسين بن أبي البغل[2] يتقلّد بلدنا[3] ، فقدم عليه شيخ من الكتّاب يطلب التصرّف ، وأورد عليه كتباً من الحضرة ، يذكرون فيها طول عطلته ، ومحلّه من الصناعة ، ويسألونه تصريفه ، فسلّم إليه الكتب ، فتركها ابن أبي البغل بين يديه ، وكانت كثيرة ، وكان فيه حدّة وضجرة ، فاستكثرها ، وفضّ منها واحداً ، فقرأه ، وأقبل على شغله ، من غير أن يقرأ باقي الكتب .

فقال له الرجل : إن رأيت أن تقف على باقي الكتب .

فضجر ، وتغيّظ ، وقال : أليس كلّها في معنى واحد ؟ قد — والله — بلينا بكم يا متعطّلين ، كلّ يوم يصير إلينا منكم واحدٌ يريد تصرّفاً ، لو كانت

---

١ أبو القاسم سعد بن عبد الرحمن الأصبهاني : ذكره التنوخي في كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة في القصص ٥٦/١ و٧٨/٢ و٧٩/٢ وفي القصّة ١٥٦/٣ قال عنه : إنّه ضمن عمالة البصرة من الوزير المهلّبي ، في شركة ابن أخته أبي علي الحسن بن علي بن مهدي الأصبهاني ، وأبي الحسين أحمد بن محمد بن عبدالله بن الحسين الأهوازي .

٢ أبو الحسين محمد بن أحمد بن يحيى ، المعروف بابن أبي البغل : من كبار العمال في الدولة العباسيّة ، كان عاملاً على أصبهان ، ورغب في الوزارة ، وتوسّطت له أمّ موسى القهرمانة ، وأحسّ الخاقاني الوزير بذلك ، فقبض عليه ، واستنقذته أمّ موسى ، فأعيد إلى أصبهان ، ولما قبض على أمّ موسى ، صرف عن عمله ، وصودر أوّلاً ، وثانيًا ، واعتقل ، وكان في خشية القتل لما ورد الخبر بعزل الوزير ابن الفرات فكتب في تقويم لديه : اليوم ولد محمد بن أحمد بن يحيى (يعني نفسه) وله إحدى وثمانون سنة (تجارب الأمم ٢١/١ ، ٤٣ ، ٨٤ ، ١٤٠ ، والوزراء ٥١–٣٨٢) .

٣ في ظ : البصرة ، والتصحيح من هـ ومن القصّة ٧٨/٢ من نشوار المحاضرة .

خزائن الأرض لي ، لكانت قد نفدت ، يا هذا ، مالك عندي تصرّف ، ولا عمل شاغر [4] فأردّه إليك ، ولا في مالي فضل فأبرّك ، فدبّر أمرك بحسب ذلك ، هذا والرجل ساكت .

فلمّا سكن ابن أبي البغل ، قام الرّجل ، وقال : أحسن الله جزاءك [١٤١ ظ] وفعل بك وصنع ، وأسرف في الشكر والدّعاء له ، وولّى منصرفاً .

فقال ابن أبي البغل : ردّوه ، فرجع .

فقال له : يا هذا ، هوذا تسخر منّي ، على أيّ شيء تشكرني ؟ على إياسي لك من التصرّف ، أو على قطع رجائك من الصّلة ، أو قبيح ردّي لك ، أو ضجري عليك ؟ أم تريد خدعتي بهذا الفعل ؟.

فقال : والله ، ما أريد خداعك ، وما كان منك من قبيح الردّ فغير منكر ، لأنّك سلطان ، ولحقك ضجر ، ولعلّ الأمر كما ذكرته من كثرة الواردين عليك ، وقد بَعِلتَ [5] بهم ، واتّفق لقوّة نحسي ، أن كان هذا الرد القبيح وقع في بابي ، ولم أشكرك إلّا في موضع الشكر ، لأنّك صدقتني عمّا في نفسك من أوّل وهلة ، وأعتقت عنقي من رقّ الطمع ، وأرحتني من التعب بالغدوّ والرواح إليك ، وخدمة قوم أستشفع بهم إليك ، وكشفت لي ما أدبّر به نفسي ، وكسوتي جديدة ، وبقيّة نفقتي معي ، ولعلّي أتحمّل بها إلى بلد آخر ، في وجه أحد سواك .

قال : فأطرق ابن أبي البغل ، ومضى الرّجل ، فرفع رأسه ، فاستدعاه ، واعتذر اليه ، وأمر له بصلة ، وقال له : خذ هذه ، إلى أن أقلّدك ما يصلح لك ، فإنّي أرى فيك مصطنعاً .

فلمّا كان بعد أيّام قلّده عملاً جليلاً ، وصلحت حال الرّجل معه [6] .

---

٤ العمل الشاغر : الخالي ممن يقوم به ، والأرض الشاغرة : الخالية ممّن يضبطها ويحميها .

٥ بعل : تحيّر ، فلم يدر ما يصنع .

٦ وردت القصّة في كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للقاضي التنوخي برقم ٧٨/٢ ، ولم ترد في م ولا في غ .

٢٤٤
بين جحظة البرمكي ومحبرة بن
أبي عبّاد الكاتب

حدّثني أبو الفرج الأصبهاني ، عن جحظة[١] ، أنّه قال :

اتّصلت عليّ إضاقة ، حتّى بعت فيها كلّ ما أملك ، وبقيتُ وليس في داري غير البواري ، فأصبحت يوماً أفلس من طنبور مقطّع الأوتار[٢] ، ففكّرت في الحيلة ، فوقع لي أن أكتب إلى محبرة الكاتب[٣] ، وكنتُ أجاوره بالبصرة ، وكان منقرساً[٤] ، يلازم بيته ، حتّى صار لا يمكنه الحركة ، إلّا أن يحمل في محفّة[٥] ، وكان ظريفاً ، عظيم النعمة ، كثير الشرب والقصف ، فأتطايب عليه ، ليدعوني ، أو يبرّني بشيء ، فكتبت إليه :

١ أبو الحسن أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد البرمكي ، المعروف بجحظة (٢٢٤–٣٢٤) : برمكي ، كاتب ، شاعر ، مغنّ حاذق ، طنبوري فائق ، قبيح الوجه ، لقّب بجحظة ، لجحوظ عينيه ، لقّبه به عبد الله بن المعتز ، وقال فيه ابن الرومي :

نبّئتُ جحظة يستمدّ جحوظَه ... من فيل شطرنج ومن سرطان
وارحمتا لمنادميه تحمّلوا ... ألم العيون للذّة الآذان

(معجم الأدباء ٣٨٣/١ ووفيات الأعيان ١٣٤/١) ، راجع في كتاب قطب السرور ص ١٦٢–١٦٥ قصّته مع الشابّة البغداديّة التي أقسمت أن تبذل نفسها لأقبح الناس وجهًا ، وراجع بقيّة أخباره في نشوار المحاضرة ٩٤/٢ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ١٥١ ، و١٥/٤ ، ٩٠ ، ٩١ و١٠٥/٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ و ٦٧/٧ .

٢ المثل البغداديّ المشهور : أفلس من طنبور بلا وتر .

٣ أبو جعفر محمد بن يحيى بن أبي عباد جابر بن يزيد بن الصباح العسكري ، المعروف بمحبرة الكاتب : ترجمته في حاشية القصّة ١٩٩ من الكتاب .

٤ النقرس : ورم يحصل في مفاصل القدم وإبهامها .

٥ المحفّة ، بكسر الميم وفتح الحاء : سرير يحمل عليه المريض أو المسافر .

ماذا ترى في جُدَيٍّ[6] وبرمةٍ[7] وبوارد[8]
وقهوة[9] ذات لون يحكي خدود الخرائد
ومُسمِعٍ[10] يتغنّى من آل يحيى بن خالد
إنّ المضيع لهذا نزر المروءة بارد

قال : فما شعرت إلّا بمحفّة محبرة ، يحملها غلمانه ، إلى داري ، وأنا جالس على بابها .

فقلت : لِمَ جئت ، ومن دعاك ؟

قال : أنت [١١٥ ر] .

قلت : إنما قلت ماذا ترى ، وعنيت في منزلك ، ولم أقل أنّه عندي ، وبيتي – والله – أفرغ من فؤاد أمّ موسى .

فقال : قد جئتُ الآن ، ولا أرجع ، ولكن أحضر من داري ، ما أريد .

فقلت : ذاك إليك ، فدخل الدار ، فلم ير فيها إلّا بارية .

فقال : يا أبا الحسن ، هذا والله فقر مدقع .

فقلت : هو ما ترى .

---

٦ الجديّ : تصغير الجدي ، وهو ابن المعز في السنة الأولى (كتاب التلخيص للعسكري ٦٢٣/١) ويسمّيه البغداديّون : قوزي ، أحسبها تركية .

٧ البرمة : القدر من الحجر (المنجد) ، وربما سمّي بهذا الإسم طعام يصنع في ذلك القدر ، أو أنّه البرمة المعروفة الآن في بغداد ، وهي حلوى تتّخذ من الجوز والسكر وتلفّ في رقاقة فتكون كالإصبع .

٨ البوارد : الألوان التي تؤكل باردة ، ذكر بعضها صاحب كتاب الطبيخ ٥٦–٥٩ ومنها البزماورد المسمّى الآن بالساندويج (القصّة ٤٩٢ من هذا الكتاب) والوسط (القصّة ١٨٥ من الكتاب) .

٩ القهوة : الخمر ، وقد أصبح هذا الإسم الآن مقصورًا على شراب البنّ ، واشتقّ منه إسم المقهى ، وهو الموضع الذي تشرب فيه القهوة .

١٠ المسمع : المغنّي ، والسماع : الغناء ، إلاّ أنّ كلمة السماع ، تكاد تكون مقصورة على الغناء الذي يحصل في حلقات الأذكار عند الصوفية .

فانفذ إلى داره ، فجاءوه بفرش حسنة ، وآلة ، وقماش ، وآنية ، وطعام كثير من مطبخه ، وألوان الأشربة ، والفواكه ، والمشامّ ، وعبّي المجلس ، وفرش الفرش ، وجلس يومه يشرب على غنائي وغناء مغنّية دعوتها له كانت تألفني .

فلمّا كان من الغد ، سلّم اليّ غلامه كيساً فيه ألفا درهم ، ورزمة ثياب صحاحاً ومقطوعة ، من فاخر الثياب ، واستدعى محفّته فجلس فيها ، وشيّعته .

فلمّا بلغ آخر الصّحن ، قال : مكانك يا أبا الحسن ، فكلّ ما في دارك هو لك ، فلا تدع أحداً يأخذ منه شيئاً .

وقال للغلمان : اخرجوا بين يديّ ، فخرجوا ، وأغلقت بابي على قماش يساوي ألوفاً كثيرة[11] .

١١ وردت القصّة في نشوار المحاضرة ٤/٩٠ وفي المنتظم ٦/٢٨٤ ولم ترد في م ولا في غ .

٢٤٥
تاجر خراساني يجد الفرج
عند صاحبه الكرخي

حدّثني عبيد الله بن محمّد العبقسي ، عن بعض تجّار الكرخ ببغداد ، قال :

كنت أعامل رجلاً من الخراسانيّة ، أبيع له في كلّ موسم متاعاً ، فأنتفع من سمسرته بألوف دراهم .

فلمّا كان سنة من السنين تأخّر عنّي ، فأثّر ذلك في حالي ، وتواترت عليّ محنٌ ، فأغلقت دكّاني [١٤٢ ظ] وجلست في بيتي ، مستتراً من دين لحقني ، أربع سنين .

فلمّا كان في وقت الحاجّ ، تتبّعت نفسي خبر الخراساني ، طمعاً في إصلاح أمري به ، فمضيت إلى سوق يحيي[١] ، فلم أعط له خبراً ، فرجعت ، فنزلت الجزيرة وأنا تعب مغموم .

---

١ سوق يحيى : محلّة ببغداد ، في الجانب الشرقي ، منسوبة إلى يحيى بن خالد البرمكي ، أقطعه إيّاها الرّشيد ، وانتقلت إلى أمّ جعفر ، ثم إلى طاهر بن الحسين ، وخربت عند ورود السلاجقة إلى بغداد ، وتقع بين الرصافة (منطقة المقبرة الملكية الآن) ودار المملكة (أي المخرِّم الّتي هي الآن العلوازية) ، راجع معجم البلدان ١٩٥/٣ ، وحيث أنّه تقع شمالي المخرِّم محلّة باب الطاق (هي الآن الصرافية) ، فتكون محلّة سوق يحيى ، واقعة على دجلة شمالي باب الطاق (الصرافية) ، بينها وبين الرصافة (منطقة المقبرة الملكيّة) ، ويظهر من القصّة أنّه كان في النهر مقابل محلّة سوق يحيى ، جزيرة يرتادها النّاس للسباحة ، أقول : هذه الجزيرة كانت واسعة المساحة ، يقابلها من جهة الغرب الحريم الطاهري ، الذي كان يقيم فيه أمير بغداد محمد بن عبد الله بن طاهر (الطبري ٢٨٣/٩ ، ٣٠٧) وفيها كان عامة بغداد يجتمعون ويتظاهرون ضدّ أميرهم (الطبري ٣٢٧/٩) وفيها صلّى المستعين صلاة العيد لما كان محصوراً ببغداد في السنة ٢٥١ (الطبري ٣٤٣/٩) .

وكان يوماً حاراً ، فنزلت إلى دجلة ، فتغسّلت ، وصعدت ، فابتلّ موضع قدمي ، فقلعت رجلي قطعة من الرمل ، انكشفت عن سير[2] .

فلبست ثيابي ، وجلست مفكّراً أولع بالسير ، فلم أزل أجرّه حتّى ظهر لي هميان[3] موصول به ، فأخذته ، فإذا هو مملوء دنانير ، فأخفيته تحت ثيابي ، ووافيت منزلي ، فإذا فيه ألف دينار .

فقويت نفسي قوّة شديدة ، وعاهدت الله عزّ وجلّ ، أنّه متى صلحت حالي ، وعادت ، أن أعرّف الهميان ، فمن أعطاني صفته ، رددته عليه .

واحتفظت بالهميان ، وأصلحت أمري مع غرمائي ، وفتحت دكّاني ، وعدت إلى رسمي من التجارة والسمسرة ، فما مضت إلّا ثلاث سنين حتّى حصل في ملكي ألوف دنانير .

وجاء الحُجّ[4] ، فتتبّعتهم لأعرّف الهميان ، فلم أجد من يعطيني صفته ، فعدت إلى دكّاني .

فبينما أنا جالس ، إذا رجل قائم حيال دكّاني ، أشعث ، أغبر ، وافي السبال[5] ، في خلقة سؤّال الخراسانيّة[6] وزيّهم ، فظننته سائلاً ، فأومأت إلى دريهمات لأعطيه ، فاسرع الإنصراف ، فارتبت به ، فقمت ، ولحقته ، وتأمّلته ، فإذا هو صاحبي الّذي كنت أنتفع بسمسرته في السنة بألوف دراهم .

فقلت له : يا هذا ، ما الذي أصابك ؟ وبكيت رحمة له .

فبكى ، وقال : حديثي طويل .

---

٢ السير : قدّة من الجلد مستطيلة ، ما زال هذا اسمها ببغداد .

٣ الهميان : فارسية : حزام عريض يودع في باطنه المال ويشدّ على الوسط ، ما زال هذا اسمه ببغداد .

٤ الحجّ : بضم الحاء وتشديد الجيم ، الحجّاج والحجيج ، مفردها : حاجّ .

٥ وافي السبال : يريد أنّه لم يقص شيئاً من شاربه ، وتركه يدور حول فمه ، ويتهدّل على شفتيه .

٦ السؤّال : جمع سائل ، وهو الشحّاذ .

فقلت : البيت ، وحملته إلى منزلي ، فأدخلته الحمّام ، وألبسته ثياباً نظافاً ، وأطعمته ، وسألته عن خبره .

فقال : أنت تعرف حالي ونعمتي ، وإنّي أردت الخروج إلى الحجّ في آخر سنة جئت إلى بغداد ، فقال لي أمير البلد : عندي قطعة ياقوت أحمر كالكفّ ، لا قيمة لها عظماً وجلالةً ، ولا تصلح إلّا للخليفة ، فخذها معك ، فبعها لي ببغداد ، واشتر لي من ثمنها متاعاً طلبه ، من عطر ، وطرف ، بكذا وكذا ، وأحمل الباقي مالاً .

فأخذت القطعة الياقوت ، وهي كما قال ، فجعلتها في هميان جلد ، من صفته كيت وكيت ، ووصف الهميان الّذي وَجَدْتُهُ ، وجعلتُ في الهميان ألف دينار عيناً من مالي ، [١١٦ ر] وحملته في وسطي .

فلمّا جئت إلى بغداد ، نزلت أسبح عشيّاً في الجزيرة الّتي بسوق يحيى ، وتركت الهميان وثيابي بحيث ألاحظها .

فلمّا صعدت من دجلة ، لبست ثيابي عند غروب الشمس ، وأنسيت الهميان ، فلم أذكره إلى أن أصبحت ، فعدت أطلبه ، فكأنّ الأرض ابتلعته .

فهوّنت على نفسي المصيبة ، وقلت : لعلّ قيمة الحجر ثلاثة آلاف دينار ، أغرمها له .

فخرجت إلى الحجّ ، فلمّا رجعت ، حاسبتك على ثمن متاعي ، واشتريت للأمير ما أراده ، ورجعت إلى بلدي ، فأنفذت إلى الأمير ما اشتريته ، وأتيته ، فأخبرته بخبري .

وقلت له : خذ منّي تمام ثلاثة آلاف دينار ، عوضاً عن الحجر .

فطمع فيّ ، وقال : قيمته خمسون ألف دينار ، وقبض عليّ ، وعلى جميع ما أملكه من مال ومتاع ، وأنزل بي صنوف المكاره ، حتّى أشهد عليّ في جميع

أملاكي[٧] ، وحبسني سبع سنين ، كنت يُرَدَّدُ عليّ فيها العذاب .

فلمّا كان في هذه السنة ، سأله النّاس في أمري ، فأطلقني .

فلم يمكنني المقام ببلدي ، وتحمّل شماتة الأعداء ، فخرجت على وجهي ، أعالج الفقر ، بحيث لا أعرف ، وجئت مع الحجّ الخراساني ، أمشي أكثر الطريق ، ولا أدري ما أعمل ، فجئت إليك لأشاورك في معاش أتعلّق به .

فقلت : قد ردّ الله عليك بعض ضالّتك ، هذا الهميان الّذي وصفَتَه ، عندي ، وكان فيه ألف دينار [١٤٣ ظ] أخذتها ، وعاهدت الله تعالى ، أنّني ضامنها ١
لمن يعطيني صفة الهميان ، وقد أعطيتني أنت صفته ، وعلمت أنّه لك ، وقمتُ ، فجئته بكيس فيه ألف دينار .

وقلت له : تعيّش بهذا في بغداد ، فإنّك لا تعدم خيراً إن شاء الله .

فقال لي : يا سيّدي الهميان بعينه عندك ، لم يخرج عن يدك ؟

قلت : نعم .

فشهق شهقة ، ظننت أنّه قد مات معها ، وغشي عليه ، فلمّا أفاق بعد ساعة ، قال لي : أين الهميان ؟

فجئته به ، فطلب سكّيناً ، فأتيته بها ، فخرق أسفل الهميان ، وأخرج منه حجر ياقوت أحمر ، أشرق منه البيت ، وكاد يأخذبَصَري شعاعه ، وأقبل يشكرني ، ويدعو لي .

فقلت له : خذ دنانيرك .

فحلف بكلّ يمين ، لا يأخذ منها إلّا ثمن ناقة ، ومحمل ، ونفقة تبلغه ، فبعد كلّ جهد أخذ ثلثمائة دينار ، وأحلّني من الباقي ، وأقام عندي ، إلى أن عاد الحاجّ ، فخرج معهم .

---

٧ أشهد عليه في جميع أملاكه : يعني أنّه أجبره على الإشهاد بأنّه باعها للأمير .

فلمّا كان العام المقبل ، جاءني بقريب ممّا كان يجيئني به سابقاً من المتاع .

فقلت له : أخبرني خبرك .

فقال : مضيت ، فشرحت لأهل البلد خبري ، وأريتهم الحجر ، فجاء معي وجوههم إلى الأمير ، وأعلموه القصّة ، وخاطبوه في إنصافي .

فأخذ الحجر ، وردّ عليّ جميع ما كان أخذه منّي ، من متاع ، وعقار ، وغير ذلك ، ووهب لي من عنده مالاً .

وقال : اجعلني في حلّ ممّا عذّبتك وآذيتك ، فأحللته .

وعادت نعمتي إلى ما كانت عليه ، وعدت إلى تجارتي ومعاشي ، وكلّ هذا بفضل الله تعالى وبركتك ، ودعا لي .

وكان يجيئني بعد ذلك ، حتّى مات[8] .

٨ لم ترد هذه القصة في م ولا في غ .

٢٤٦

أضاع هميانه في طريق الحجّ

ووجده أحوج ما يكون إليه

حدّثني عبيد الله بن محمّد الصروي[١] : قال حدّثني أبي :

أنّ رجلاً حجّ ، وفي وسطه هميان فيه دنانير وجواهر ، قيمة الجميع ثلاثة آلاف دينار ، وكان الهميان ديباج أسود[٢] .

فلمّا كان في بعض الطريق ، جلس يبول ، فانحلّ الهميان من وسطه وسقط ، ولم يعلم بذلك إلّا بعد أن سار من الموضع فراسخ .

واتّفق أنّ رجلاً جاء على أثره ، فجلس يبول مكانه ، فرأى الهميان ، فأخذه ، وكان له دِيْنٌ ، فحفظه .

قال الرّجل : فلم يؤثّر في قلبي ذهابه ، لكثرة مالي ، فاحتسبته عند الله تعالى ، وتغافلت .

وكان [١١٧ ر] معي تجارة بأموال عظيمة ، فقضيت حجّي ، وعدت إلى بلدي .

فلمّا كان بعد سنين ، افتقرت لمحنٍ توالت عليّ ، حتّى لم يبقَ لي شيءٌ ،

---

١ أبو القاسم عبيد الله بن محمّد الصروي : شاعر ، أديب ، كان منقطعاً إلى أبي العبّاس سهل بن بشر ، عامل الأهواز ، وله مدائح في القاضي التنوخي ، مؤلّف هذا الكتاب ، ونقل عنه التّنوخي كثيراً من القصص في كتابيه نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ، وهذا الكتاب ، راجع القصص ٩٧/٢ و١٤٩/٢ و١٥٧/٢ و١٥٨/٢ و٥٥/٧ و٦٦/٧ و١١١/٧ من كتاب نشوار المحاضرة ، والصروي : نسبة إلى الصراة . نهر ببغداد .

٢ الدّيباج : القماش الذي سداه ولحمته حرير ، راجع حاشية القصّة ١٩٧ من هذا الكتاب .

فهربت على وجهي من بلدي ، وقد أفضيت إلى الصدقة عليّ ، وزوجتي معي ، فأويت إلى بعض القرى ، فنزلتُ في خان خراب[3] .

فأصاب زوجتي الطلق ، وما أملك غير دانق ونصف فضّة ، وكانت ليلة مطيرة ، فولدَتْ .

---

٣ الخان : فارسيّة : الحانوت ، وأصل الكلمة آرامي ، وتطلق على الدكّان والمخدع والماخور (الألفاظ الفارسية المعربّة ٥٨) ثم أطلقت على المواضع التي ينزلها المسافرون مما يطلق الآن عليه إسم الفندق ، وما تزال في العراق أماكن عدّة تسمّى الخان ، لأنّها بنيت مواضع لنزول المسافرين الذين يقدمون لزيارة الأماكن المقدّسة في العراق ، في سامراء والكاظمين ، وكربلاء والنجف ، مثل : خان بني سعد ، خان آزاد ، خان المحمودية ، خان الحصوة ، خان النصّ (خان النصف ، في منتصف الطريق بين كربلا والنجف) قال معروف الرصافي :

نزلت الخان في بلدي كأنّي ... أخو سفر تقاذفه الدروب
وعشت معيشة الغرباء فيه ... لأنّي اليوم في وطني غريب

ولا بن الروميّ قصيدة كلّها غرر ، ذكر فيها الخان ، كتبها إلى أبي العبّاس أحمد بن محمد بن ثوابة لما ندبه للخروج من أجل تصريفه ، مطلعها [الملح والنوادر للحصري ٢٤٥ و ٢٤٦] :

دع اللّوم إنّ اللّوم عون النوائب ... ولا تتجاوز فيه حدّ المعاتب

قال فيها :

لقيت من البرّ التباريح بعدما ... لقيت من البحر ابيضاض الذوائب
سقيت على ريّ به ألف مطرة ... شغفت لبغضيها بحبّ المجادب
فملت إلى خان مرثّ بناؤه ... مميل غريق الثوب لهفان لائب
فما زلت في خوفٍ وجوعٍ ووحشةٍ ... وفي سهرٍ يستغرق الليل واصب
يؤرّقني سقف كأنّي تحته ... من الوكف تحت المدجنات الهواضب
وكم خان سفْر خانَ فانقضّ فوقهم ... كما انقضّ صقر الدجن فوق الأرانب

وقال الشاعر : [أخبار القضاة ١٨٧/١]

يا أيّها السائل عن حالتي ... نزلت في الخان على نفسي
يغدو عليّ الخبز من خابز ... لا يقبل الرهن ولا ينسي
آكل من كيسي ومن كسرتي ... حتّى لقد أوجعني ضرسي

فقالت : يا هذا ، الساعة أموت ، فأخرج ، وخذ لي شيئاً أتقوّى به .

فخرجت أتخبّط في الظلمة والمطر ، حتّى جئت إلى بقّال فوقفت عليه ، فكلّمني بعد كلّ جهد ، فشرحت له حالي ، فرحمني ، وأعطاني بتلك القطعة حلبة ، وزيتاً ، أغلاهما عنده ، وأعارني غضارة جعلته فيها ، فمشيت أريد موضعي ، فزلقتُ ، فانكسرت الغضارة ، وذهب ما فيها .

فورد عليّ أمر عظيم ، ما ورد عليّ مثله قط ، وأقبلت ألطم ، وأبكي ، وأصيح ، فإذا برجل قد أخرج رأسه من شبّاك في دار ، وقال : ويلك ، مالك تبكي ، ما تدعنا ننام ، فشرحت له قصّتي .

فقال : هذا البكاء كلّه بسبب دانق ونصف ؟

فتداخلني من الغمّ أكثر من الأوّل ، فقلت : يا هذا ، والله ، ما لما ذهب عندي محلّ ، ولكنّ بكائي رحمة لنفسي ممّا دفعت إليه ، وإنّ زوجتي وولدي الساعة يموتان جوعاً ، ووالله ، وإلّا فعليّ وعليّ ، وحلفت بأيمان مغلّظة ، لقد حججت في سنة كذا ، وأنا أملك من المال ، ما ذهب منّي هميان فيه دنانير وجواهر بثلاثة آلاف [١٤٤ ظ] دينار ، ما فكّرت فيه ، وهوذا تراني الآن أبكي بسبب دانق ونصف فضّة[٤] ، فأسأل الله العافية والسلامة ، ولا تعيّرني فتبتلي بمثل بلواي .

فقال لي : بالله عليك ، ما كان صفة هميانك ؟

فلطمت رأسي ، وقلت : ما يقنعك ما خاطبتني به وما تراه من صورتي ، وقيامي في الطين والمطر ، حتّى تتلهّى بي ، وأيّ شيء ينفعني وينفعك من صفة همياني ، وقد ضاع من كذا وكذا سنة ، ومشيت .

وإذا هو قد خرج يصيح بي : تعال خذ هذا ، فقدّرته يتصدّق عليّ ، فجئته .

---

٤ الدانق : سدس الدرهم .

فقال : أيش صفة هميانك ؟ وقبض على يدي ، فلم أقدر أتخلّص منه ، فوصفت له همياني .

فقال لي : أدخل ، فدخلت منزله .

فقال : أين زوجتك ؟

فقلت : في الخان الفلاني .

فأنفذ غلمانه ، فأتوا بها ، فأدخلها إلى حرمه ، فأصلحوا أمرها ، وأطعموها ما احتاجت إليه ، وكساني كسوة حسنة ، وأدخلني الحمّام ، وأصبحت عنده في عيشة طيّبة .

فقال لي : أقم عندي أيّاماً لأضيفك ، فأقمت عنده عشرة أيّام ، فكان يعطيني في كلّ يوم عشرين ديناراً ، وأنا متحيّر من عظيم برّه ، بعد شدّة جفائه .

فلمّا كان بعد ذلك ، قال لي : أيّ شيئ تتصرّف فيه ؟

فقلت : كنت تاجراً .

فقال : أقم عندي ، وأنا أعطيك رأس مال فتتّجر في شركتي .

فقلت : أفعل .

فدفع إليّ مائتي دينار ، وقال لي : اتّجر بها ها هنا .

فقلت : هذا معاش ، قد أغناني الله تعالى به ، يجب أن ألزمه ، فلزمته .

فلمّا كان بعد شهور ، ربحنا ، فجئته ، فقلت له : خذ ربحك .

فقال لي : اجلس ، فجلست .

فأخرج إليّ همياني ، وقال : أتعرف هذا ؟

فحين رأيته ، شهقت شهقة غشي عليّ منها .

ثمّ أفقت بعد ساعة ، فقلت له : يا هذا ، أملَكٌ أنت أم نبيّ ؟

فقال : لا ، ولكنّي ممتحن بحفظ هميانك منذ كذا وكذا سنة ، فلمّا سمعتك تلك اللّيلة تقول ما قلته ، وأعطيتني علامته ، أردت أن أعطيك هو ،

فخشيت أن تنشقّ مرارتك من الفرح ، فأعطيتك تلك الدنانير الّتي أوهمتك أنّها هبة لك ، وإنّما أعطيتك ذلك كلّه من هميانك ، والدنانير المائتان ، قرض ، فخذ هميانك واجعلني في حلّ .

فأخذته ، ودعوت له ، ورددت عليه القرض ، ورجعت إلى بلدي ، وبعت الجوهر [١١٨ ر] وأضفت ثمنه إلى الدنانير ، واتّجرت بها ، فما مضت إلّا سنيّات ، حتّى صرت صاحب عشرة آلاف دينار ، وصلحت حالي ، فأنا في فضل الله تعالى ، أعيش إلى الآن[٥] .

٥ لم ترد القصّة في م ولا في غ .

٢٤٧
الوزير عليّ بن عيسى يقول : ليتني تمنّيت المغفرة

حدّثني أبو سهل بن زياد القطّان[١] ، صاحب عليّ بن عيسى ، قال : كنت مع علي بن عيسى[٢] بمكّة ، حين نفي إليها[٣] ، فدخلنا في حرّ شديد ، وقد كدنا نتلف ، فطاف علي بن عيسى[٤] ، وسعى[٥] ، وجاء فألقى نفسه كالميت من الحرّ والتعب ، وقلق قلقاً شديداً .

وقال : أشتهي على الله عزّ وجلّ ، شربة ماء بثلج .

فقلت له : يا سيّدنا ، تعلم أنّ هذا ما لا يوجد بهذا المكان .

فقال : هو كما قلت ، ولكنّ نفسي ضاقت عن ستر هذا ، فاستروحت إلى المنى .

قال : وخرجت من عنده ، فرجعت إلى المسجد الحرام[٦] ، فما استقررت

---

١ أبو سهل أحمد بن محمد بن عبد الله بن زياد بن عبّاد المعروف بالقطّان (٢٥٩–٣٥٠) : أديب ، شاعر ، راوية للأدب ، ترجم له الخطيب البغدادي (٥/٤٥–٢٤٠٤) ، ولقب بالقطّان لأنّه أقام بدار القطن فنسب إليها ، ويتّضح من هذه القصّة أنّه كان متين العلاقة بالوزير علي بن عيسى بحيث رافقه إلى مكّة لما نفي ، كما أنّه في القصّة ٣/٦٣ من كتاب نشوار المحاضرة يتحدّث عن علي بن عيسى في أمور لا يعرفها إلاّ الخواص .

٢ أبو الحسن علي بن عيسى بن الجراح وزير المقتدر : ترجمته في حاشية القصّة ١٦٣ من الكتاب .

٣ كان ذلك في السنة ٢٩٦ ، راجع تجارب الأمم ١/١٣ .

٤ الطواف : الدوران حول الكعبة سبعًا ، وهو من أركان فعل الحجّ ، قال تعالى : وليطّوّفوا بالبيت العتيق (٢٩ م الحج ٢٢) .

٥ السعي : الترداد بين الصفا والمروة سبعًا ، وهو فرض سواء كان في الحج في أيّامه المعلومة ، أو في العمرة ، قال تعالى : إنّ الصفا والمروة من شعائر الله ، فمن حجّ البيت أو اعتمر ، فلا جناح عليه أن يطّوّف بهما (١٥٨م البقرة ٢) ، لزيادة التفصيل راجع معجم البيان في تفسير القرآن ٢/٢٣٨–٢٤٠ .

٦ المسجد الحرام : أنظر التفصيل في آخر القصّة .

فيه ،، حتّى نشأت سحابة ،، فأبرقَتْ ، وأرعدَتْ رعداً متّصلاً شديداً ، ثمّ جاءت بمطر يسير ، وبَرَدٍ كثير .

فبادرت إلى الغلمان ، فقلت : آجمعوا ، فجمعنا شيئاً كثيراً ، وكان علي بن عيسى نائماً .

فلمّا كان وقت المغرب ، خرج إلى الصلاة ، فقلت له : أنت والله مقبل ، والنكبة زائلة ، وهذه علامات الإقبال ، فاشرب الثلج كما طلبت .

وجئته إلى المسجد الحرام بأقداح مملوءة بالأشربة[7] والأسوقة[8] ، مكبوسة بالبَرَدِ ، فأقبل يسقي ذلك من كان بقربه من الصوفيّة والمجاورين والضعفاء ، ويستزيد ، ونحن نأتيه بما عندنا من ذلك ، وكلّما قلت له : اشرب ، يقول : حتّى يشرب النّاس .

فخبأت من البَرَد مقدار خمسة أرطال ، وقلت [١٤٥ ظ] له : لم يبق شيء .

فقال : الحمد لله ، ليتني كنت تمنّيت المغفرة ، بدلاً من تمنّي الثلج ، فلعلّي كنت أجاب .

---

٧ الأشربة ، مفردها : شراب ، كلّ ما يشرب ، ويسمّى الآن ببغداد : شربت ، ويجمع على شرابت .

٨ الأسوقة ، مفردها سويق ، بفتح السين ، وفي بغداد يلفظ بضمّها وتلفظ القاف كافًا فارسية : الناعم من الدقيق ، وكل ما صلح أن يكون دقيقًا ، يمكن أن يتّخذ منه السويق ، وأعلى أنواعه سويق اللوز ، ويخلط بالسكر أو العسل ، ويصبّ عليه الماء ، ويضاف إليه الثلج في وقت الصيف ، ويقال أنّ المنصور سمّ وزيره أبا جهم ، في سويق اللّوز ، قال الشاعر :

تجنّب سويق اللّـــوز لا تشربنّـــه   فشرب سويق اللّوز أردى أبـا جهم

ويتّخذ في جنوب الجزيرة العربية سويق النبق ، وسويق الشعير معروف في بغداد إلى الآن ، فإنّ أهلها عند احتفالهم بالنيروز ، يصنعون أنواع الحلوى والمخلّط ، ومن جملة ذلك سويق الشعير ، مخلوطًا بدبس التمر ، وفي القصّة ٥/٧٩ من كتاب نشوار المحاضرة ذكر القاضي التنوخي أنّ شخصًا أخبره في السنة ٣٦٠ أنّه كان يصنع في بغداد في كلّ سنة ٢٨٠ كرًّا من سويق الحمّص ويستهلك كلّه في نفس السّنة .

فلمّا رجع إلى بيته حلفت عليه أن يشرب ، فما زلت أداريه حتّى شرب منه بقليل ماء وسويق ، وتقوّت به باقي ليلته[9] .

---

9 وردت القصّة في نشوار المحاضرة ١٠٦/٤ ، وفي المنتظم ٣٥١/٦ ، ولم ترد في م ولا في غ .

المسجد الحرام

المسجد الحرام : المسجَد ، بفتح الجيم : ما يمسّ الأرض من الأعضاء عند السجود ، وبكسر الجيم : الموضع الذي يسجد فيه ، والجمع في كليهما : مساجد (المنجد) ، والحرام : المقدّس ، ومنه سمّيت مكّة والمدينة : المنطقة الحرام ، والحَرَمان (دائرة المعارف الإسلامية ٧ / ٣٦١) والمسجد الحرام هو الكعبة ، سمّيت الكعبة ، لتربيعها (معجم البلدان ٤ / ٦١٦ - ٦٢٦) .

ولم يكن للمسجد الحرام في أيّام النبي صلوات الله عليه وأبي بكر سور يحيط به ، فضيّق الناس على الكعبة ، وألصقوا دورهم بها ، فاشترى عمر تلك الدور ، وهدمها ، وزادها في المسجد ، واتّخذ للمسجد جداراً دون القامة ، كانت المصابيح توضع عليه ، ولما استخلف عثمان زاد في سعة المسجد ، واتخذ فيه الأروقة حين وسّعه (معجم البلدان ٤ / ٥٢٥ - ٥٢٦) ثم وسّعه المنصور (أحسن التقاسيم ٧٥) .

وأقصى ما وصلت إليه سعة المسجد الحرام ثلاثين ألف متراً مربّعاً ، فأقدمت الحكومة العربية السعودية على عمل من أشرف الأعمال وأكرمها عند الله والناس ، إذ زادت في سعة المسجد إلى خمسة أضعاف مساحته الأولى ، فبلغت مساحته مائة وخمسين ألف متر مربّع ، وشيّدت حوله أروقة محيطة بالمسجد على طابقين بلغ من علوها أنّ سقف الطابق الثاني منها ، قارب في علوه رؤوس المآذن القديمة في المسجد ، وسقفت المسعى بين الصفا والمروة ، وشادت عليه طابقين ، وكان البناء جميعه بالرخام البديع ، فاكتسى المسجد الحرام رداء من الجمال والبهاء ، لم أشاهد مثله في أي مكان من أماكن العبادة الأخرى ، فإنّي شاهدت الفاتيكان ، وكنائس روما ، والإسكوريال ، وجامع قرطبة ، وجامع دمشق ، وجوامع القسطنطينيّة ، وجوامع أصبهان ، والمراقد المقدّسة في العراق وإيران وفي جميعها ما يبهر الناظر ، ولكنّها لا تماثل بناء المسجد الحرام ولا تقاربه ، وأدارت بسور المسجد الحرام ، رحبة عظيمة السعة أحاطت به من جميع جهاته ، تنفذ منها طرق إلى خارج مكّة ، إضطرّت لانفاذ بعضها أن نحتت الصخور ، فصحّ في ذلك المثل القائل : همم الرجال ، تقلع الجبال .

٢٤٨

فتى ورث مالاً فأتلفه ثمّ آل أمره إلى صلاح

حدّثني عبيد الله بن محمّد الصروي ، أيضاً ، عن أبيه ، قال :

كان يجاورنا ببغداد فتى مَن أولاد الكتّاب ، ورث مالاً جليلاً ، فأتلفه في القيان[1] ، وأكله إسرافاً ، حتّى لم يبق منه شيئ ، واحتاج إلى نقض داره ، فلم يبق منها غير بيت يكنّه .

فحدّثني بعض من كان يعاشره وانقطع عنه لما افتقر ، قال :

قصدته يوماً بعد انقطاعي عنه نحو سنة ، لأعرف خبره ، فدخلت إليه ، فوجدته نائماً في ذلك البيت ، في يوم بارد ، على حصير خَلَقٍ ، قد توطّأ قطناً

---

١ القيان : الجواري المغنّيات اللواتي يعدّهنّ أصحابهنّ للغناء والمجالسة إمّا في دور أصحابهنّ ، أو يخرجن إلى دور من يطلبهنّ لقاء جذر . وهنّ المسمّيات في زماننا هذا بالأرتستات ، وقد أفرد أبو الطيّب الوشّاء ، في كتابه : الموشّي ، باباً في وصفهنّ والكلام عن تصرّفاتهنّ ، جاء فيه بكلّ طريف نادر . بدأه بقوله : إعلم أنّه لم يبتل أحد من أهل المروءات والأدب ، وأهل التظرّف والأرب ، ولا امتحن سراة الفتيان ، ببليّة هي أعظم من هوى القيان . ووصف في كتابه كيفيّة تصرّف القينة إذا رأت في المجلس فتى له غنى ويسار ، وكيف تمنحه نظرها وتغمزه بطرفها ، وتشير إليه بكفّها ، وتغني له على كاساته ، وتميل إلى مرضاته ، وتشرب من فضلة كأسه ، حتى توقع المسكين في حبالها ، فاذا حوت عقله ، وصارت شغله ، أخذت في طلب الهدايا السريّة ، وتمارضت من غير سقم ، وشكت من غير ألم ، وفصدت من غير علّة ، لتجيئها هدايا ذوي الوجد ، في المرض والفصد ، حتى إذا نفد اليسار ، وأحسّت بالإفلاس ، أظهرت الملل ، وأعلنت البذل ، وتبرمّت بكلامه ، وضجرت بسلامه ، وطلبت عليه العلل ، وتفقّدت منه الزلل ، وتتبّعت عليه سقطاته ، وتيمّمت عثراته ، وصرفت عنها هواه ، ومالت إلى سواه ، راجع كتاب الموشّى ، باب صفة ذمّ القيان ص ١٣٤ وما بعدها ، وللجاحظ رسالة في القيان ، جمعت فأوعت .

ووصفت فضل الشاعرة القيان ، فقالت من أبيات [أعلام النساء ٤/١٧٥] :

ويحك إنّ القيان كالشرك الـ ... منصوب بين الغرور والعطب
لا يتصدّين للفقير ، ولا ... يطلبن إلاّ معادن الذهب

كأنّه حشو فراش ، وتغطّى بقطن كان في لحاف ، فهو بين ذلك القطن كأنّه السفرجل[2] .

فقلت له : ويحك ، بلغت إلى هذا الحدّ .

فقال : هو ما ترى .

فقلت : فهل لك حاجة .

قال : أو تقضيها ؟

فظننت أنّه يطلب منّي شيئاً أسعفه به ، فقلت : إي والله .

فقال : أشتهي أن تحملني إلى بيت فلانة المغنّية ، حتّى أراها ، وهي الّتي كان يتعشّقها ، وأتلف ماله عليها .

وبكى ، فرحمته ، فمضيت إلى منزلي ، فأتيته من ثيابي بما لبسه ، وأدخلته الحمّام ، وحملته إلى بيتي ، فأطعمته ، وبخّرته ، وذهبنا إلى دار المغنّية .

فلمّا رأتنا ، لم تشكّ أنّ حاله قد صلحَتْ ، وأنّه قد جاءها بدراهم ، فبشّت في وجهه ، وسألته عن حاله ، فصدقها عن حاله ، حتّى انتهى إلى ذكر الثياب ، وأنّها لي .

فقالت له في الحال : قم ، قم .

فقال : لِمَ ؟

فقالت : لئلّا تجيء ستّي ، فتراك ، وليس معك شيء ، فتحرد عليّ ، لِمَ أدخلتكَ ، فاخرج برّا[3] ، حتّى أصعد فأكلّمك من فوق ، فخرج ، وجلس ينتظر أن تخاطبه من روزنة في الدار ، إلى الطريق ، فأقلبت عليه مرقة سكباج[4] ،

---

٢ أدركت البقّالين ببغداد وهم يعرضون السفرجل في دكاكينهم ، وقد أحيط من فوقه ومن تحته بالقطن ، ويتّضح من هذه القصّة أنّ هذا الآيين في عرض السفرجل ، كان متّبعاً منذ عهد القاضي التنوخي ، أي منذ أكثر من ألف عام ، ولعلّ السبب في ذلك أنّ القطن يحفظه من التعرّض للفساد ، كما أنّه يحول دون أن يسحق بعضه بعضاً ، والعامّة ببغداد الآن يسمّون السفرجل : حيوه .

٣ برّا : يعني خارج الدار ، (كتاب أخلاق الوزيرين ص ١٤٩) ، أقول : لم تزل الكلمة مستعملة ببغداد .

فصيرته آية ونكالاً .

فبكى ، وقال لي : بلغ أمري إلى هذا ؟ أشهد الله ، وأشهدك ، أنّي تائب .

فضحكت منه ، وقلت : أيّ شيءٍ تنفعك التوبة الآن وقد افتقرتَ ؟

فرددته إلى بيته ، ونزعت ثيابي عنه ، وتركته بين القطن ، كما كان أوّلاً ، وحملت ثيابي فغسلتها وانقطعت عنه ، فما عرفت له خبراً .

وبعد نحو ثلاث سنين ، بينما [١١٩ ر] أنا ذات يوم بباب الطاق ، إذا أنا بغلام يطرّق[٥] لرجل راكب ، فرفعت رأسي ، فإذا به على برذون فاره[٦] ، بمركب فضّة ، خفيف ، بمليح ، وثياب حسنة ، وكان أوّلاً يركب من الدواب أفخرها ، ومن المراكب أثقلها .

فلمّا رآني ، قال لي : يا فلان ، فعلمت أنّ حاله قد صلحت ، فقبّلت فخذه .

وقلت : سيّدي أبو فلان .

قال : نعم ، قد صنع الله تعالى، وله الحمد ، البيتَ ، البيتَ ، فتبعته إلى منزله ، فإذا بالدار الأوّلة ، قد رمّها ، وجصّصها ، من غير بياض ، وطبّقها[٧] ، وبنى فيها مجلسين متقابلين ، وخزائن ، ومستراح ، وجعل باقي ما كان فيها ، صحناً كبيراً ، وقد صارت حسنة ، غير أنّها ليست بذلك الأمر الأوّل .

فأدخلني إلى حجرة منها ، كان يخلو فيها قديماً ، قد أعادها كأحسن

---

٤ السكباج : مرق يصنع من اللحم والخلّ ومواد أخرى ، راجع كتاب الطبيخ للبغدادي ١٣ أقول : السكباج شديد الحموضة ، لموضع الخلّ فيه ، والعامة ببغداد ، إذا شكوا من حموضة طعام ، قالوا : حامض كأنّه سكباج .

٥ يطرّق : يركض أمام الدابّة ، ويصيح : الطريق .

٦ الفاره : النّشيط القويّ .

٧ طبّق الدار : فرش أرضها بالطابوق ، مفردها : طابوقة ، وهي آجرة عريضة مسطّحة تفرش بها الأرض ، وما زالت هذه الكلمة مستعملة ببغداد .

ما كانت ، وفيها فرش حسنة ، وفي داره ثلاثة غلمان ، قد جعل كلّ خدمتين إلى واحد منهم ، وقد أقام على حرمه خادماً كان لأبيه ، وله سائس هو شاكريّه[8] ، وشيخ بوّاب كان يصحبه قديماً ، ووكيل يتسوّق له[9] .

فجلس ، وأجلسني ، وأحضر فاكهة قليلة ، في آلة مقتصدة مليحة ، وجاءوا بعدها بطعام نظيف ، كافٍ ، غير مسرف ولا مقصّر ، فأكلنا ، ثمّ نام ، ولم تكن تلك عادته ، ومدّت ستارة ، وأحضرت مشامّ ورياحين ، في صواني وزبديّات ، والجميع متوسّط مليح ، غير مسرف [١٤٦ ظ] ، فانتبه ، فصلّى ، وتبخّر بقطعة ندّ[9] ، وبخّرني بقطعة عود مطرّى[10] ، وقدّم بين يديه صينيّة فيها من مطبوخ العنب[11] شيء حسن ، وقدّم بين يديّ صينية فيها نبيذ التمر[12] ، جيّد .

فقلت : يا سيّدي ما هذه الترتيبات الّتي لست أعرفها .

---

٨ الشاكري : أصلها : جاكري ، فارسية ، بمعنى خادم ، ثم صرفت إلى من يعني بالدابّة خارج الإصطبل ، ويعدو معها إذا ركبها سيّده ، ويمسك بعنانها إذا نزل عنها ، راجع القصّة ٢٨٣ من هذا الكتاب .

٩ . السوق : موضع البياعات ، والتسوّق : البيع والشراء في السوق ، يقال : تسوّق القوم ، إذا باعوا واشتروا (لسان العرب) ، والتسوّق عند البغداديّين الآن ، مقصور على الشراء من السوق فقط ، تقابله الكلمة الانكليزية ، وكان لكلمة التسوّق ، عند البغداديّين في القرن الرابع الهجري ، معنى آخر ، هو : الخوض في سيرة الناس ، واتّهامهم بالباطل ، راجع كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ، للقاضي التنوخي ، القصّة رقم ٤٥/٤ ج ٤ ص ٩٧ و ٩٨ .

١٠ الندّ : عود يتبخّر به ، والعود : ضرب من الطيب يتبخّر به أيضًا . وخير أنواعه الهندي المندلي ، نسبة إلى مندل ، من بلاد الهند ، وكلّما كان أصلب ، كان أجود ، وامتحان جودته إذا كانت فيه رطوبة بأن يوضع عليه نقش الخاتم ، فينطبع ، وإذا كان يابسًا ، فالنار تفصح عنه ، ومن خصائصه ثبات رائحته في الثوب أسبوعًا وأكثر (لطائف المعارف—حاشية الصحيفة ٢١٥) لزيادة التفصيل راجع نهاية الأرب ١٢/٢٣-٤٢ .

١١ مطبوخ العنب : إذا نبذ العنب أو التمر أو الزبيب ، دون عرضه على النار ، فهو نبيذ ، فإذا عرض على النار ، سمّي مطبوخًا ، لتفريقه عن غير المطبوخ .

١٢ نبيذ التمر : راجع حاشية القصّة ٢٠٩ من هذا الكتاب .

فقال : دع ما مضى ، فإنّ الحال لا تحتمل الإسراف ، فأقبل يشرب ، وأنا أساعده ، فتغنّى من وراء الستارة ، ثلاث جواري في نهاية طيب الغناء ، كلّ واحدة منهنّ أطيب من الّتي أنفق عليها ماله .

فلمّا طابت أنفسنا ، قال لي : تذكر أيّامنا الأوّلة ؟

قلت : نعم .

قال : أنا الآن في نعمة متوسّطة ، وما قد أفدته من العقل ، والعلم بأمر الدنيا وأهلها ، يسلّيني عمّا ذهب منّي ، وهوذا ترى فرشي ، وآلتي ، ومركوبي ، وإن لم يكن ذلك بالعظيم المفرط ، ففيه جمال ، وبلاغ ، وتنعّم ، وكفاية ، وهو مغنٍ عن الإسراف ، والتخرّق ، والتبذير ، وقد تخلّصت من تلك الشدّة ، تذكر يوم عاملتني فلانة المغنّية ، بما عاملتني ؟

قلت : نعم والحمد لله الّذي كشف ذلك عنك ، فمن أين هذه النعمة ؟

قال : مات مولى لأبي ، وابن عمّ لي ، في يوم واحد بمصر ، فحصل لي من تركتهما أربعون ألف دينار ، فوصل أكثرها إليّ ، وأنا بين القطن كما رأيتني ، فحمدت الله ، واعتقدت التوبة من التبذير ، وأن أدبّر ما رزقته ، فعمّرت هذه الدار بألف دينار ، واشتريت الفرش ، والآلة ، والجواري بتسعة آلاف دينار ، وسلّمت إلى بعض التجّار الثقات ، ألفي دينار ، يتجرّ لي بها ، وأودعت بطن الأرض عشرة آلاف دينار ، للحوادث ، وابتعت بالباقي ضيعة تغلّ لي في كلّ سنة نفقتي هذه الّتي شاهدتها ، فما أحتاج إلى قرض ، ولا استزادة ، ولا تقبل غلّة ، إلّا وعندي بقية من الغلّة الأوّلة ، فأنا أتقلّب في نعمة الله ، عزّ وجلّ ، كما ترى ، ومن تمام النعمة ، إنّي لا أعاشركَ ، ولا أحداً ممّن كان يحسّن لي السرف ، يا غلمان ، أخرجوه .

قال : فأخرجت ، فوالله ما أذن لي بعدها في الدخول عليه[١٣] .

---

١٣ وردت القصّة في نشوار المحاضرة ٩٣/١ ، ولم ترد في م ولا في غ .

٢٤٩
أبو يوسف القاضي يأكل اللوزينج بالفستق

وحدّثني أبي ، قال : بلغني أنّ أبا يوسف[١] صحب أبا حنيفة[٢] ، ليتعلّم العلم ، على فقر وشدّة ، وكانت أمّه تحتال له فيما يتقوّته يوماً بيوم ، فطلب يوماً ما يأكل ، فجاءته [١٢٠ ر] بغضارة[٣] مغطّاة ، فكشفها ، فإذا فيها دفاتر .

فقال : ما هذا ؟.

فقالت : هذا الّذي أنت مشتغل به نهارك أجمع ، فكل منه .

فبكى ، وبات جائعاً ، وتأخّر عن المجلس من الغد ، حتّى احتال فيما أكله ، ثمّ مضى إلى أبي حنيفة ، فسأله عن سبب تأخّره ، فصدقه .

فقال له : ألا عرّفتني فكنت أمدّك ؟ ولا يجب أن تغتمّ ، فإنّه إن طال عمرك ، فستأكل اللوزينج[٤] بالفستق .

قال : فلمّا خدمت الرشيد ، واختصصت به ، قدّم بحضرته يوماً ، جام

---

١ أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري ، قاضي الرّشيد : ترجمته في حاشية القصّة ١٢٨ من الكتاب .

٢ أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي (٨٠–١٥٠) : إمام الحنفية ، الفقيه ، المجتهد ، المحقّق ، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنّة ، ولد ونشأ بالكوفة ، يبيع الخزّ ، ويطلب العلم ، ثم انقطع للتدريس والإفتاء ، أريد على القضاء أكثر من مرّة فامتنع وكان عالمًا ، عاملاً ، زاهدًا ، عابداً (الأعلام ٤/٩) .

٣ الغضارة : الصحفة المتّخذة من الطين اللازب الحرّ .

٤ اللوزنيج : حلوى تصنع بأن يبسط العجين المرقّق ، ويوضع عليه اللّوز المسحوق والسكّر الناعم معجونًا بماء الورد ، ثم يطوى ويلفّ ، ويقطّع قطعًا صغارًا ، ويصب عليه الشيرج ، ويغمر بالجلاّب المضاف إليه ماء الورد ، وينثر عليه الفستق المدقوق (كتاب الطبيخ للبغدادي ٧٦) ، إقرأ في مروج الذهب ٥٣٦/٢ وصف ابن الروميّ للّوزينج ، أقول : والبغداديون الآن يسمّون اللّوزينج : بقلاوة ، فارسية : باقلاوا .

فيه لوزينج بفستق ، فدعاني إليه ، فحين أكلت منه ، ذكرت أبا حنيفة ، فبكيت ، وحمدت الله تعالى ، فسألني الرّشيد عن قصّتي ، فأخبرته[5] .

5 وردت القصّة في كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للقاضي التنّوخي ١/١٣٤ ولم ترد في م ولا في غ .

٢٥٠

الشيخ الخيّاط وأذانه في غير وقت الأذان

حدّثني أبو الحسن محمّد بن عبد الواحد الهاشمي[1] :

أنّ شيخاً من التجّار ، كان له على بعض القوّاد ، مال جليل ببغداد ، فماطله به ، وجحده إيّاه ، واستخفّ به .

قال : فعزمتُ على التظلّم إلى المعتضد[2] ، لأنّي كنت تظلّمت إلى عبيد الله بن سليمان الوزير[3] ، فلم ينفعني ذلك .

فقال لي بعض إخواني : عليّ أن آخذ لك المال ، ولا تحتاج إلى أن تتظلّم إلى الخليفة ، قم معي السّاعة ، فقمت معه .

---

١ أبو الحسن محمد بن عبد الواحد الهاشمي : أحد الأشخاص الذين نقل عنهم القاضي التنوخي كثيراً من الأحاديث الّتي دوّنها في كتابيه ، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ، وكتاب الفرج بعد الشدّة ، ونقل عنه في نشوار المحاضرة شيئًا من شعره الّذي لا يرتفع إلى مرتبة الوسط (القصّة ١/٤١ من نشوار المحاضرة) وكان الهاشمي قاضيًا بالبصرة ثم عزل في السنة ٣٥٦ (القصّة ٢/٨٠ من نشوار المحاضرة) راجع القصص ١/٥ و ١/١٧٢ و ١/١٧٥ و ٢/٣٦ من كتاب نشوار المحاضرة .

٢ المعتضد ، أبو العبّاس أحمد بن أبي أحمد الموفق : ترجمته في حاشية القصّة ٦٥ من الكتاب .

٣ أبو القاسم عبيد الله بن سليمان بن وهب ، وزير المعتمد والمعتضد : ترجمته في حاشية القصّة ٦٦ من الكتاب .

فجاء بي إلى خيّاط في سوق الثلاثاء[4] ، يخيط ، ويقرئ القرآن في مسجدٍ ، فقصّ عليه قصّتي ، فقام معنا .

فلمّا مشينا ، تأخّرت ، وقلت لصديقي : لقد عرّضت هذا الشيخ ، وإيّانا ، لمكروه عظيم ، هذا إذا حصل على باب الرجل ، صُفِعَ ، وصفعنا معه ، هذا لم يلتفت [١٤٧ ظ] إلى شفاعة فلان ، وفلان ، ولم يفكّر في الوزير ، فكيف يفكّر في هذا الفقير ؟

فضحك ، وقال : لا عليك ، إمش ، واْسكت .

فجئنا إلى باب القائد ، فحين رأى غلمانه الخيّاط ، أعظموه وأهووا لتقبيل يده ، فمنعهم من ذلك ، وقالوا : ما جاء بك أيّها الشيخ ، فإنّ صاحبنا راكب ، فإن كان لك أمر يتمّ بنا بادرنا إليه وإلّا فادخل ، واْجلس إلى أن يجئ ، فقويت نفسي بذلك ، ودخلنا وجلسنا .

وجاء القائد ، فلمّا رأى الشيخ أعظمه إعظاماً تاماً ، وقال : لست أنزع ثيابي ، أو تأمرني بأمرك .

فخاطبه في أمري ، فقال : والله ، ما عندي إلّا خمسة آلاف درهم تسأله أن يأخذها ، وأعطيه رهناً في باقي ماله .

فبادرت إلى الإجابة ، فأحضر الدراهم ، وحلياً بقيمة الباقي ، فقبضت

---

٤ سوق الثلاثاء : قال ياقوت في معجم البلدان ١٩٣/٣ إنّ فيه اليوم سوق بزّ بغداد الأعظم ، أقول : وما زال هو سوق البزّازين الأعظم ببغداد ، وذكره ابن بطّوطة الذي زار بغداد في عهد السلطان أبي سعيد ابن السلطان خدابنده ، فقال : إنّ أعظم أسواق الجانب الشرقي في بغداد ، يعرف بسوق الثلاثاء ، كلّ صناعة فيه على حدة ، وفي وسط هذا السوق المدرسة النظامية العجيبة الّتي صارت الأمثال تضرب بحسنها ، وفي آخره المدرسة المستنصرية (مهذب الرحلة ١٧٥/١) ، أقول : يتّضح من هذا الوصف أنّ سوق الثلاثاء يشتمل على سوق الهرج الذي أمام المستنصرية ، ويمتد بامتداد ما نسمّيه الآن سوق المصبغة ، ثم يلتفّ حتى يمر على خان دلة ، وينتهي بالطريق العام الذي هو الآن شارع الرّشيد ، راجع بحثنا عن دار مؤنس التي اقتطعت منها المدرستان النظامية والمستنصرية ، في حاشية القصّة ١٦٣ من الكتاب.

ذلك منه ، وأشهدت عليه الرّجل ، وصديقي ، أنّ الرهن عندي إلى أجل ، فإن حلّ الأجل ولم يعطني ، فقد وكّلني في بيعه ، وقبض مالي من ثمنه ، فخرجنا ، وقد أجاب إلى ذلك .

فلمّا بلغنا مسجد الخيّاط ، قلت له : قد ردّ الله تعالى عليّ هذا المال بسببك ، فأحبّ أن تأخذ منه ما أحببت ، بطيبة من قلبي .

فقال : ما أسرع ما كافأتني على الجميل بالقبيح ، إنصرف ، بارك الله لك في مالك .

فقلت : قد بقيت لي حاجة .

قال : قل .

قلت : تخبرني عن سبب طاعته لك ، مع تهاونه بأكثر أهل الدولة .

فقال : قد بلغتَ مرادك ، فلا تقطعني عن شغلي ، وما أعيش به .

فألححت عليه ، فقال : أنا رجلٌ أصلّي بالنّاس في هذا المسجد ، وأقرئ القرآن ، منذ أربعين سنة ، ومعاشي من هذه الخياطة ، لا أعرف غيرها .

وكنت منذ دهر ، قد صلّيت المغرب ، وخرجت أريد منزلي ، فاجتزت بتركيّ كان في هذه الدار ، وامرأة جميلة مجتازة ، وقد تعلّق بها وهو سكران ، ليدخلها داره ، وهي ممتنعة تستغيث ، وليس من أحد يغيثها ، أو يمنعه منها ، وتقول في جملة كلامها : إنّ زوجي قد حلّف عليّ بالطلاق ، أن لا أبيت برّا[5] ، فإن بيّتني ، خرب بيتي ، معَ ما يرتكبه منّي من الفاحشة .

قال : فرفقت به وسألته تركها ، فضرب رأسي بدبّوس[6] كان في يده ،

---

٥ برّا : تعبير بغدادي ، يراد به ما كان خارجاً ، فيقال : برّا البيت ، أي في خارجه ، ويقابله تعبير بغدادي آخر هو : جوّا ، أي ما كان داخله ، فيقال : جوّا البيت ، أي في داخله .

٦ الدبّوس : مقمحة أو عصا من الحديد أو الخشب ، في رأسها شيءٌ كالكرة (المنجد) ، أقول : البغداديّون الآن ، يسمّون العصا الصلبة ، إذا كان في رأسها كرة من القير : مگوار ، أو مگيار ، نسبة للگير

فشجّني[7] ، ولكمني ، وأدخل المرأة بيته .

فصرتُ إلى منزلي ، وغسلت الدم ، وشددت الشجّة ، واسترحت ، وخرجت لصلاة العشاء الآخرة .

فلمّا صلّينا ، قلت لمن معي في المسجد : قوموا بنا إلى عدوّ الله ، هذا التركي ، لننكر عليه ، ولا نبرح ، أو نخرج المرأة .

فقاموا ، وجئنا فضججنا على بابه ، فخرج إلينا في عدّة غلمان ، فأوقع بنا ، وقصدني من بين الجماعة ، فضربني [١٢١ ر] ضرباً عظيماً كدت أتلف منه ، فحملني الجيران إلى منزلي كالتالف ، فعالجني أهلي ، ونمت نوماً قليلاً ، وقمت نصف الليل ، فما حملني النوم ، للألم ، والفكر في القصّة .

فقلت : هذا قد شرب طول ليلته ، ولا يعرف الأوقات ، فلو أذّنتُ ، لوقع له أنّ الفجر قد طلع ، وأطلق المرأة ، فلحقت بيتها قبل الفجر ، فسلمت من أحد المكروهين .

فخرجت إلى المسجد متحاملاً ، وصعدتُ المنارة ، فأذّنتُ ، وجلست

(القير) ، فإن كانت العصا مطوية الرأس ، أو كانت ذات عقدة في رأسها ، فهي : جماغ (بالجيم الفارسية والغين) ، وقد كان الجماغ معروفًا باسم (جماق) منذ القديم ، راجع تاريخ ابن الأثير ١٥/١٢ و ٨٥ ، فان كانت العصا في رأسها أداة من الحديد ، مدبّبة من إحدى جهتيها ، كأنّها المطرقة ، فهي : كلنك ، فإن كانت قضيباً من الحديد ، برأس بيضيّ فهي : كراز وإذا كان رأس العصا معقوفاً ، كهيأة رأس حرف الحاء ، فإنّ اسمها الآن عبد البغداديّين : باكور واسمها في الفصحى : المحجن (فقه اللغة ٢٥٨) .

٧ شجّه : ضربه على رأسه فجرحه ، وفي بغداد يقولون : فشخه ، وهي فصيحة ، بمعنى لطمه ، وأهل القرى المحيطة ببغداد وفي جنوبها يقولون : فجّه ، وهي فصيحة أيضًا ، بمعنى : شقّه .

أطّلع منها إلى الطريق ، أترقّب خروج المرأة ، فإن خرجَتْ ، وإلّا أقمتُ الصلاة ، لئلا يشكّ في الصباح ، فيخرجها .

فما مضت إلّا ساعة ، والمرأة عنده ، حتّى رأيت الشارع قد امتلأ خيلاً ، ورجالاً ، ومشاعل ، وهم يقولون : من أذّن الساعة ؟ ففزعتُ ، وسكتُّ .

ثمّ قلت : أخاطبهم ، لعلّي أستعين بهم على إخراج المرأة ، فصحت من المنارة : أنا أذّنت .

فقالوا لي : إنزل ، وأجب أمير المؤمنين .

فقلت : دنا الفرج ، فنزلت ، فإذا بدر ، وعدّة غلمان ، فحملني ، وأدخلني على المعتضد ، فلمّا رأيته ، هبته ، وارتعتُ ، فسكّن منّي .

وقال : ما حملك على أن تغرّ المسلمين بأذانك في غير وقته ، فيخرج ذو الحاجة [١٤٨ ظ] في غير وقتها ، ويمسك المريد للصوم[٨] ، في وقت قد أباح الله له الأكل فيه ، وينقطع العسس والحرس عن الطواف ؟

فقلت : يؤمنني أمير المؤمنين ، لأصدقه .

فقال : أنت آمن .

فقصصت عليه قصّة التركي ، وأريته الآثار .

فقال : يا بدر ، عليّ بالغلام الساعة والمرأة ، وعُزِلْتُ في موضعٍ .

فمضى بدر ، وأحضر الغلام والمرأة ، فسألها المعتضد عن الصورة ، فأخبرَتْه بمثل ما أخبرته .

فقال لبدر : بادر بها الساعة إلى زوجها ، مع ثقة يدخلها دارها ، ويشرح لزوجها القصّة ، وبأمره عنّي بالتمسّك بها ، والإحسان إليها .

---

٨ الإمساك : إنقطاع من أراد الصيام عن تناول الطعام والشراب إستعداداً للصوم ، ويكون الإمساك إعتباراً من طلوع الفجر الثاني ، تطبيقاً لما جاء في القرآن : وكلوا ، وأشربوا ، حتى يتبيّن لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ، ثم أتمّوا الصيام إلى الليل (١٨٧م البقرة ٢) .

ثمّ استدعاني ، فوقفت بازائه ، فجعل يخاطب الغلام ، وأنا واقف أسمع .

فقال له : كم جرايتك ؟

قال : كذا وكذا .

قال : وكم عادتك[9] ؟

قال : كذا وكذا .

قال : وكم صِلاتك ؟

قال : كذا وكذا .

قال : وكم جارية لك ؟

قال : كذا وكذا ، فذكر عدّة جواري .

قال : أفما كان فيهنّ ، وفي هذه النعمة العريضة ، كفاية عن ٱرتكاب معصية الله تعالى ، وخرق هيبة السلطان ، حتّى استعملت ذلك ، وجاوزته إلى الوثوب بمن أمرك بالمعروف ؟ فأسقط الغلام في يده ، ولم يحر جواباً .

فقال : هاتوا جوالقاً[10] ، ومداقّ الجصّ[11] ، وأدخلوه الجوالق ، ففعلوا ذلك به .

وقال للفرّاشين : دقّوه ، فدقّوه ، وأنا أسمع صياحه ، إلى أن مات[12] ،

---

٩ كذا ورد في ظ ، ولم ترد في ر ، وفي هـ : وكم عطاؤك ؟

١٠ الجوالق : بضم الجيم ، وبكسرها ، جمعها جوالق ، بفتح الجيم : العدل من الصوف أو الشعر ، وأحسب أنّ الجملة الواردة في القصّة : هاتوا جوالقًا ، من تصرّف النسّاخ ، وصحيحها ، ما ورد في نشوار المحاضرة ، في القصّة ١/١٧٢ قال المعتضد : هاتم جوالق ، وهاتم ، لغة بغدادية في هاتوا .

١١ مدقّة الجصّ : عصا من الخشب الثقيل ، بعرض الكفّ ، أو أعرض قليلاً ، وسمكها ثلاثة أصابع أو أكثر قليلاً ، ولها مقبض ، يدقّ بها الجصّ ليصير ناعمًا ، صالحاً لاستعماله في أعمال البناء .

١٢ روى المؤرخون عن المعتضد ألوانًا من العذاب ، فقد شوى أحد الخارجين عليه ، وهو حيّ (القصّة ١/٧٣ من كتاب نشوار المحاضرة) وعذّب وزيره إسماعيل بن بلبل بأنواع العذاب ، وجعل في عنقه غلاً فيه رمانة حديد ، والغلّ والرمانة مائة وعشرون رطلاً ، وألبسه جبّة صوف قد صيّرت في ودك الأكارع ، =

فأمر به ، فطرح في دجلة ، وتقدّم إلى بدر ، أن يحمل ما في داره .

ثمّ قال لي : يا شيخ ، أيّ شيئ رأيت من أجناس المنكر ، كبيراً كان أو صغيراً ، أو أيّ أمر عنّ لك ، فمر به ، وأنكر المنكر ، ولو على هذا – وأومأ إلى بدر[13] – فإن جرى عليك شيئ ، أو لم يقبل منك ، فالعلامة بيننا أن تؤذّن في مثل الوقت الّذي أذّنت فيه ، فإنّي أسمع صوتك ، وأستدعيك ، وأفعل هذا بمن لا يقبل منك .

فدعوت له ، وانصرفت .

وانتشر الخبر في الأولياء والغلمان ، فما خاطبت أحداً بعدها في إنصاف أحد ، أو كفّ عن قبيح إلّا أطاعني كما رأيت ، خوفاً من المعتضد .

وما احتجت إلى الأذان في مثل ذلك الوقت[14] .

وعلّق معه رأس ميت ، فلم يزل على ذلك حتى مات (حاشية القصّة ٧٦/١ من النشوار) وقتل آخر بأن سدّ بالقطن فمه وأنفه وعينيه وأذنيه وسائر منافذ جسمه ، حتى اختنق ومات (القصّة ٧٧/١ من النشوار) وعذّب قرطاس الروميّ ، بأن قلع أظفاره ، وسلخ جلد أصابع كفّه من رؤوسها إلى أكتافه ، وعبر بها صلبه وكتفيه ، إلى آخر أصابعه الأخرى ، وأمر أن تفتل من الجلد المسلوخ أوتار ، صلب بها قرطاس (القصّة ٧٨/١ من النشوار) ، راجع بحث العذاب في حاشية القصّة ٣٥٨ من الكتاب .

١٣ قول المعتضد للشيخ المؤذّن : إن رأيت منكرًا ، فأنكره ، ولو على هذا ، وأشار إلى بدر ، دليل على عظم المنزلة الّتي كان يتمتّع بها بدر ، وهو بدر بن خير ، وأبوه خير من موالي المتوكل ، وكان بدر في خدمة ناشئ غلام الموفق صاحب ركابه ، ثم اتّصل بالمعتضد في أيام الموفّق وقرب من قلبه ، وأصبح أثيراً عنده عالي المرتبة ، حتى كان تلتمس به الحوائج عند المعتضد ، وكان جميل الصورة جدًّا ، وكان المعتضد يفرح إذا رآه ، وكانت منزلته هذه من المعتضد ، السبب في إشعال نار الحسد في قلوب كثير من رجال الدولة والقوّاد له ، فلمّا مات المعتضد ، واستخلف المكتفي وكان بينه وبين بدر تباعد ، استغلّ رجال الدولة هذا التباعد ، فأغروا المكتفي به ، واحتال عليه القاسم بن عبيد الله الوزير ، فكتب له أمانًا ، ثم غدر به وقتله . (مروج الذهب ٥٢٨/٢ والمنتظم ٣٤/٦–٣٦) .

١٤ وردت القصّة في كتاب نشوار المحاضرة للتنوخي برقم ١٧٢/١ ولم ترد في م ولا في غ .

٢٥١
أحيحة بن الجلاح أكبّ على إصلاح ضيعته

وجدت في بعض الكتب :

أنّ أحيحة بن الجلاح[1] ، أسرع في ماله فأتلفه مع إخوان له ، حتّى افتقر ، فهجروه وقطعوه ، واحتاج إليهم في الشيئ اليسير فمنعوه ، فلحقته شدّة ، وضرّ وجهد .

فمات بعض أهله ، فورّثه مالاً ، وضيعة خراباً ، تعرف بالزوراء ، فأخذ المال ، وخرج إلى الضيعة يعمرها به ، فطمع فيه القوم الّذين أنفق ماله عليهم ، فكتبوا إليه يعتذرون ممّا جرى ، ويرغّبونه في مواصلتهم ، ومعاشرتهم ، وكان أديباً ، فكتب إليهم :

إنّي مكبّ على الزوراء أعمرها   إنّ الكريم على الإخوان ذو المال

كلّ النداء إذا ناديت يخذلني   إلّا ندائي إذا ناديت يا مالي [١٢٢ ر]

فأيسوا منه ، وكفّوا عنه ، وثابت حاله ، وحسنت ضيعته[2] .

---

١ أبو عمرو أحيحة بن الجلاح بن الحريش الأوسي : شاعر جاهلي ، شجاع ، كان سيد الأوس في الجاهلية ، وكان له حصنان بالمدينة ، توفي سنة ١٣٠ قبل الهجرة (الاسلام ١/٢٦٣) .

٢ لم ترد هذه القصّة في م ولا في غ ولا ه .

٢٥٢
مجلس غناء بمحضر الرشيد

وروى حمّاد[1] ، عن [أبي] صدقة[2] ، وكان يحضر مجلس الرشيد مع المغنّين ، فربّما غنّى ، وربّما لم يغنّ ، قال : فدعانا الرّشيد يوماً ، فدخلنا ، والستارة دونه ، وهو من خلفها جالس ، فقال خادم من خلفها : غنّ يا ابن جامع[3] ، فاندفع يغنّي بهذا الصوت :

قف بالمنازل ساعة فتأمّل ... هل بالديار لزائر من منزل
أولا ففيم توقّفي وتلدّدي ... وسط الديار كأنّني لم أعقل
ما بالديار من البلى ولقد أرى ... أن سوف يحملني الهوى في محمل
وأحقّ من يبكي بكلّ محلّة ... عرضت له في منزل للمعول
عانٍ بكلّ حمامة سجعت له ... وغمامة برقت بنوء الأعزل [١٤٩ ظ]
يبكي فتفضحه الدموع فعينه ... ما عاش مخضلة كفيض الجدول

فقال الخادم : ليغنّ هذا الصوت منكم من كان يحسنه ، فغنّى كلّ من أحسنه منهم ، فكأنّه لم يطرب له .

---

١ حماد بن إسحاق بن إبراهيم الموصلي : ترجمته في حاشية القصّة ١١٩ .

٢ في الأصل : صدقة ، وأحسب أنّ المقصود أبا صدقة واسمه مسكين بن صدقة ، وهو مغنّ مدني ، أقدمه الرشيد من الحجاز في أيّامه ، وكان مليح الغناء ، طيّب الصوت ، خفيف الروح ، لطيف النادرة ، وكان من أشدّ الناس طمعاً ، وألحهّم في المسألة ، وليم على ذلك ، فقال : وما يمنعني من ذلك ، واسمي مسكين ، وكنيتي أبو صدقة ، واسم إبني صدقة ، واسم امرأتي فاقة ، راجع ترجمته في الأغاني ١٩/٢٨٩-٢٩٩ .

٣ أبو القاسم إسماعيل بن جامع السهمي القرشي : من أكابر المغنين الملحنين ، ولد بمكة ، وانتقل إلى المدينة ، واحترف الغناء ، فاشتهر ، ورحل إلى بغداد ، فاتّصل بالرشيد ، وحظي عنده ، وكان من أقران إبراهيم الموصلي ، توفي سنة ١٩٢ (الأعلام ١/٣٠٦) .

فأقبل الخادم عليّ ، فقال : إن كنت تحسن أن تغنّيه ، فغنّه .

فقلت : نعم ، فعجبوا من إقدامي على صوت لم يستطب من جماعتهم ، فغنّيته .

فقال الخادم : أحسنت ، والله ، فأعده ، فأعدته ، وأعاد الاستحسان ، والأمر بإعادته على ذلك سبع مرّات .

ثمّ قال لي الخادم : قم يا [أبا] صدقة ، فادخل ، حتّى تغنّي أمير المؤمنين بحيث يراك ، فدخلت ، والمغنّون كلّهم محجوبون[٦] ، فغنّيته إيّاه ، ثلاث مرّات ، فطرب في جميعهنّ .

---

٤ كان الخلفاء الأمويون ، معاوية ، ومروان ، وعبد الملك ، والوليد ، وسليمان ، وهشام ، ومروان بن محمد ، بينهم وبين الندماء ستارة . فكان إذا طرب الخليفة للمغنّي ، أو رقص ، أو تجرّد ، لا يراه إلاّ خواصّ جواريه ، وإذا ارتفع من خلف الستارة صوت ، قال صاحب الستارة : يا جارية كفّي ، إنتهي ، أقصري ، يوهم الندماء أنّ الفاعل لذلك بعض الجواري . أمّا الباقون من خلفاء بني أميّة ، فلم يكونوا يتحاشون أن يرقصوا أو أن يتجرّدوا ، ويحضروا عراة بحضرة الندماء والمغنّين ، وعلى ذلك لم يكن أحد منهم في مثل حال يزيد بن عبد الملك والوليد بن يزيد في المجون والرفث والتجرّد بحضرة الندماء ، لا يباليان ما صنعا ، أمّا عمر بن عبد العزيز ، فإنّه ما طنّ في سمعه حرف غناء منذ أفضت الخلافة إليه ، إلى أن فارق الدنيا ، أما قبلها ، لما كان أمير المدينة ، فكان يسمع الغناء ، ولا يظهر منه إلاّ الأمر الجميل ، ولا يخرجه السرور إلى السخف (التاج ٣٢ و٣٣) ، واستسقى الأخطل يوماً في حضرة عبد الملك بن مروان ، وأراد خمراً ، فقال له عبد الملك : أو عهدتني أسقي الخمر لا أمّ لك ، لولا حرمتك بنا ، لفعلت وفعلت (الأغاني ٢٩٤/٨) وكان هشام بن عبد الملك لا يشرب ، ولا يسقى أحدٌ بحضرته مسكراً ، وكان ينكر ذلك ، ويعاقب عليه (الأغاني ٧٧/٦) . وكان أبو العبّاس السفّاح ، أوّل الخلفاء العباسيين ، في أوّل أيامه ، يظهر للندماء ، ثم احتجب (التاج ٣٣) ، أمّا المنصور فكان لا يظهر لندمائه بشرب ولا غناء ، بل يجلس وبينه وبين الندماء ستارة ، وبينهم وبينها عشرون ذراعاً ، وبينها وبينه كذلك ، أمّا المهدي ، فكان في أوّل أمره يحتجب عن الندماء ، وكان يسمع المغنّين جميعاً ، ويحضرون مجلسه ، فيغنّونه من وراء الستارة ، لا يرون له وجهاً ، إلاّ فليح بن أبي العوراء (الأغاني ٣٦٠/٤) ثم ظهر لهم (تاريخ الخلفاء ٢٦٩ ومحاضرات الأدباء ٦٩٤/٢) إلا أنّه كان لا يشرب النبيذ (الأغاني ١٦٠/٥) لا تحرّجاً ، ولكن كان لا يشتهيه (الطبري ١٦٠/٨) ، أمّا الهادي فكان يتناول المسكر ، ويلعب (تاريخ الخلفاء ٢٧٩) ، وكان الرشيد في أخلاق المنصور ، أي إنّه كان لا يظهر للندماء ، وإذا أراد أن يشرب شرب

وقال : أحسنت يا [أبا] صدقة .

فلمّا سمعت ما خصّني به من استحسانه ، قلت : يا أمير المؤمنين ، إنّ لهذا الصوت حديثاً عجيباً ، أفلا أحدّثك به يا أمير المؤمنين ، لعلّه يزداد حسناً .

فقال : بلى ، هات .

فقلت : كنت يا سيّدي ، عبداً لبعض آل الزبير ، وكنت خيّاطاً مجيداً ، أخيط القميص بدرهمين ، والسراويل بدرهم ، وأؤدّي ضريبتي الى سيّدي في كلّ يوم درهمين ، وآخذ ما فضل عن ذلك ، فبينما أنا ذات يوم منصرفاً ، وقد خطت قميصاً لبعض الطالبيّين ، وقد أخذت منه درهمين ، وانصرفت إلى موضع يجتمع فيه المغنّون ، كنت أقصده إذا فرغت من شغلي ، لشغفي بالغناء ، فلمّا صرت بحذاء بركة المهدي ، إذا أنا بسوداء على رقبتها جرّة ، تريد أن تملأها من ماء العقيق [٥] ، وهي تغنّي بهذا الصوت ، أحسن غناء يكون ، فأصابني من الطرب بغنائها ما أذهلني عن كلّ شئ .

فقلت لها : فداك أبي وأمي ، ألقي عليّ هذا الصوت .

فقالت : استحسنته ؟

فقلت : إي والله .

فقالت : وحقّ القبر ومن فيه ، لا أعدته إلّا بدرهمين .

فدفعت الدرهمين إليها ، فأحدرت جرّتها عن رقبتها فارغة ، فوضعتها

بحضرة خاصّ جواريه (التاج ٣٧) والرشيد أوّل من جعل للمغنّين مراتب وطبقات (تاريخ الخلفاء ٢٩٥) وصيّر أمرهم إلى مسرور الخادم (الأغاني ٣٠٤/٦) وكان الرشيد يصحّح على المغنّين أخطاءهم (الأغاني ٣٠١/٦ و٣٠٢) . أمّا الأمين فكان متبذّلاً لا يبالي مع من قعد ، ولا أين قعد (التاج ٤٢) أمّا المأمون ، فقد أقام بعد قدومه بغداد عشرين شهراً لا يسمع حرفاً من الأغاني ، فكان أوّل من تغنّى بحضرته أبو عيسى ابن الرشيد ، ثم واضب على السماع متستّراً ، متشبهاً في أوّل أمره بالرشيد ، فأقام كذلك أربع حجج ، ثم ظهر للندماء والمغنّين (الأغاني ٣٨٣/٥) .

٥ العقيق : مسيل ماء شقّه السيل خارج المدينة ، للتفصيل راجع القصّة ٤٨٤ من الكتاب .

على الارض ، وجلست عليها ، وكأنّي أنظر إلى فقحتها وقد برزت عن الجرّة نحو ذراع ، وأقبلت تلقيه عليّ ، وتوقّع على الجرّة ، حتّى أخذته ، ثمّ أخذت الجرّة على رقبتها ، وانصرفت .

فحين انصرفت ، أنسيت الصوت ولحنه ، حتّى كأنّي لم أسمعه قط ، فبقيت متحيّراً لا أدري ما أصنع ، وانصرفتُ إلى سيّدي بأسوء حال ، وأكسف بال .

فلمّا رآني ، قال : هات ضريبتك [١٢٣ ر] .

فلجلجت في كلامي ، وقلت : يا سيّدي ، اسمع حديثي .

فقال : يا ابن اللّخناء[٦] ، أبي تتعرّض ؟

فبطحني ، وضربني مائة مقرعة ، وحلق رأسي ولحيتي ، ومنعني قوتي ، وكان أربعة أرغفة ، فلم يكن شيئ من ذلك ، أشدّ عليّ ، من ذهاب الصوت منّي ، وبتّ ليلتي أسوء خلق الله حالاً ، وأنا لا أعرف الجارية ، ولا موضعها ، ولا لمن هي .

فلمّا أصبحنا ، خرجت وَلِهاً أطلبها في الموضع الّذي لقيتها فيه ، وأسأل الله أن يحوج أهلها إلى الماء ، حتّى تخرج لتأتيهم به ، فأراها ، فلم أزل أطلبها ، لا أعمل شيئاً إلى العصر .

فبينما أنا كذلك ، وإذا بها قد أقبلت ، فلمّا رأتني ، وما بي من الوَلَه ، قالت لي : مالك ، أنسيت الصوت ؟

فقلت : إي والله ، وضربت مائة مقرعة ، ومنعت قوتي ليلتي ، وحلقت رأسي ولحيتي .

---

٦ اللخناء : المرأة المنتنة المغابن أي مطاوي الجسد . والبغدادي العامي إذا أقذع ، قال : إبن الجايفة ، والمعنى واحد في الكلمتين .

فقلت : دع هذا عنك ، فوربِّ الكعبة ، لاسمعته منّي ، فضلاً عن أخذه ، إلّا بدرهمين .

فقلت : اللهَ ، اللهَ ، فيّ ، فيمرّنّ عليّ الليلة مثل ما مرّ عليّ البارحة ، فارحميني .

فقالت : قد سمعتَ اليمين ، وذهبَتْ لتمضي .

فقلت : اصبري ، وجئت إلى بقال كان يعاملني ، فرهنت عنده الجلمين[7] ، على درهمين ، وجئت بهما إليها ، فأخذتهما ، وجعلتهما في فيها .

فلمّا بدأت بالصوت ، ذكرته ، فقلت : اللهَ ، اللهَ ، ردّي عليّ الدرهمين ، فلا حاجة بي إلى غنائك .

فقالت : أنت أحمق ، ولست تعرف هذا الأمر ، لئن لم أردّده عليك مائة مرّة ما حصل لك منه شيئ ، وجلست على الجرّة ، فغنّته مائة مرّة ، أعدّها عليها [١٥٠ ظ] حتّى فهمته ، وصرت به أمهر منها ، وانصرفَتْ .

فساعة فارقتها ، لحقتني الندامة ، وقلت : سيلحقني اللّيلة أكثر ممّا لحقني البارحة ، لفقد الجلمين .

فرجعت إلى مولاي ، فحين رآني ، قال : هات ضريبتك .

فقلت له : اسمع منّي .

قال : أيّ شيئ أسمع ، يا ابن الفاجرة ، أما كفاك ما مرّ بك أمس ، ووثب إلى السوط .

فقلت له : اسمع ، واصنع ما شئت .

فقال : هات ، فغنّيته الصوت .

---

٧ الجَلَمان : المقص ، ذكر بلفظ التثنية ، لأنّ المقصّ له عضادتان ، قال رجل في لحيته :

لها درهم للدهـــن في كلّ ليلـة ... وآخـر للحنّـاء يبتـــدران

ولولا نوال من يزيـــد بن مزيـــد ... لصوّت في حافاتهـــا الجلمان

فقال : أحسنت ، والله ، يعزّ عليّ ما أصابك ، أما الضرب فقد مضى ، ولا حيلة فيه ، وأما قوتك فمردود ، وأما ضريبتك ، فساقطة عنك ما عشنا ولو متُّ أنا وعيالي جوعاً ، فأنت اليوم واحداً منّا أبداً ما بقينا ، فهذا خبر الصوت .

وكان المغنّون الّذين حضروا ، إبراهيم الموصلي ، وابنه إسحاق ، وابن جامع ، ومسلم بن سلام .

فأمر لكلّ واحد منهم بألف دينار ، وأمر لي بعشرة آلاف دينار ، مثل ما أمر لجماعتهم ، ثمّ استدعى ألف دينار ، فقال : خذ هذه بدل المائة مقرعة الّتي ضربتَ .

فانصرفت ، والمغنّون يتعجّبون ممّا جرى[8] .

٨ لم ترد القصّة في م ولا في غ ولا في هـ.

٢٥٣
الوليد بن يزيد يستقبل البريد بموت هشام

وحدّث المنذر بن عمرو ، وكان كاتباً للوليد بن يزيد بن عبد الملك ، قال : أرسل إليّ الوليد صبيحة اليوم الّذي أتته فيه الخلافة ، فقال لي : يا أبا الزّبير ، ما أتت عليّ ليلة أطول من البارحة ، وعرضت لي أمور حدّثت نفسي فيها بأمور ، وهذا الرّجل قد جدّ بنا ، فاركب بنا .

فركبنا جميعاً ، وسرنا نحو ميلين ، فوقف على تلٍّ ، فجعل يشكو إليّ هشاماً ، إذ نظر إلى رهج[1] قد أقبل ، وقعقعة البريد .

فتعوّذ بالله من شرّ هشام ، وقال : إنّ هذا البريد ، قد أقبل ، بموت حيّ ، أو هلك عاجل .

فقلت : لا يسؤك الله أيّها الأمير ، بل يسرّك وينفعك ، إذ بدا رجلان على البريد مقبلان ، أحدهما مولى لآل أبي سفيان بن حرب ، فلمّا رأيا الوليد نزلا ، وسلّما عليه بالخلافة ، فوجم ، فجعلا يكرّران عليه السّلام بالخلافة .

فقال لهما : ويحكما ما الخبر ، أمات هشام ؟.

قالا : نعم .

قال : فمرحباً بكما ، ما معكما ؟.

قالا : كتاب مولاك سالم بن عبد الرحمن ، فقرأ الكتاب ، وانصرفنا .

وسأل عن عياض بن سالم ، كاتبه الّذي كان هشام قد حبسه ، وضربه ، فقالا : لم يزل محبوساً ، حتّى نزلت بهشام مصيبة الموت ، فلمّا بلغ إلى حال لا يرجى معها الحياة له ، أرسل عياض إلى الخزّان : احتفظوا بما في أيديكم ،

---

[1] الرهج : ما أثير من الغبار .

ولا يصل أحد إلى شيء منه ، فأفاق هشام إفاقة ، فطلب شيئاً ، فمنعه الخزّان ، فقال : أرانا كنّا خزّاناً للوليد ، وقضى من ساعته .

فخرج عياض لوقته من السجن عندما قضى هشام ، فغلّق الأبواب ، وختمها ، وأمر بهشام ، فأنزل عن فراشه ، ومنعهم أن يكفّنوه من الخزائن ، فكفّنه غالب مولاه ، ولم يجدوا قمقماً[2] يسخّن فيه الماء ، حتّى استعاروه .

وذكر باقي الحديث ممّا لا يتعلّق بهذا الباب[3] .

---

٢ القمقم : له مدلولات عدّة ، منها : الحلقوم ، ومنها : القنينة أو الإبريق من الزّجاج أو الفضّة ، يملأ بماء الورد ، ويرشّ على من يراد تعطيره ، ومنها : الوعاء من النحاس يسخّن فيه الماء ، ووجدت القاضي التنوخي في نشوار المحاضرة ، في القصّة ٢/٣٠ قد سمّاه : مسينة ، ولعلها معرّبة عن مسين الفارسية ، أي المصنوع من النحاس ، أو مخفّف مسخنة ، أي الوعاء الذي يسخّن فيه الماء ، والبغداديّون الآن يسمّونها : مصخنه ، بالصاد ، وبعضهم يسميها : مشربة (قاله المحامي حسين جميل) ، أمّا أهل المناطق المحيطة ببغداد ، فإنّهم ما يزالون يسمّونها : القمقم ، ويلفظون القاف كافًا فارسيّة .

٣ لم ترد القصّة في م ولا في غ ولا هـ .

محتويات الكتاب

الباب الخامس : من خرج من حبس أو أسر أو اعتقال ، إلى سراح وسلامة وصلاح حال

كتاب

الفرج بعد الشدة

تأليف

القاضي أبي علي المحسن بن علي التنوخي

المتوفى سنة ٣٨٤ هـ

تحقيق

عبود الشالجي

الجزء الثالث

دار صادر

بيروت

١٣٩٨هـ ــ ١٩٧٨م

الفرج بعد الشدة
٣

٢٥٤

ابن جامع المغنّي يأخذ صوتاً بثلاثة دراهم

فيفيد منه ثلاثة آلاف دينار

حدّث محمّد بن صلصال ، عن اسماعيل بن جامع[١] ، أنّه قال :

ضامني الدّهر ضيماً شديداً بمكّة ، فأقبلت منها بعيالي إلى المدينة ، فأصبحت يوماً ، وما معي إلّا ثلاثة دراهم ، لا أملك غيرها ، وإذا بجارية على رقبتها جرّة ، تريد الركيّ[٢] ، وهي تتغنّى بهذا الصوت :

شكونا إلى أحبابنا طول ليلنـا فقالوا لنا ما أقصر اللّيل عندنا
وذاك لأنّ النوم يغشى عيونهـم سريعاً ولا يغشى لنا النوم أعينا
إذا ما دنا اللّيل المضرّ بذي الهوى قلقنا وهـم يستبشرون إذا دنا
فلو أنّهـم كانـوا يلاقون مثلمـا نلاقي لكانوا في المضاجع مثلنا

قال : فأخذ الغناء بقلبي ، ولم يَدُرْ لي منه حرف .

فقلت : يا جارية ما أدري [١٥١ ظ] أوجهك أحسن ، أم غناؤك [١٢٤ ر] ، فلو شئتِ ، لأعدتِ .

فقالت : حبّاً وكرامة ، ثمّ أسندت ظهرها إلى جدار قريب منها ، ورفعت إحدى رجليها ، فوضعتها على الأخرى ، ووضعت الجرّة على ساقِها ، ثمّ انبعثت ، فغنّته ، فوالله ما دار لي منه حرف .

فقلت : قد أحسنت ، فلو تفضّلت ، وأعدته مرّة اخرى .

---

١ أبو القاسم اسماعيل بن جامع السهمي القرشيّ المغنّي : ترجمته في حاشية القصّة ٢٥٢ من الكتاب .

٢ الركيّة : جمعها ركايا وركيّ ، البئر ذات الماء .

ففطنت ، وكلحت[٣] .

وقالت : ما أعجب أمركم ، لا يزال أحدكم يجيء إلى الجارية عليها الضريبة[٤] ، فيحبسها .

فضربتُ يدي إلى الثلاثة دراهم ، فدفعتها إليها ، وقلت : أقيمي بهذه وجهك اليوم ، إلى أن نلتقي .

فأخذتها كالكارهة ، وقالت : أنت الآن تريد أن تأخذ منّي صوتاً ، أحسبك ستأخذ به ألف دينار ، وألف دينار ، وألف دينار ، وانبعثت تغنّي .

فأعملتُ فكري في غنائها ، حتّى دار لي الصوت ، وفهمته ، فانصرفت مسروراً إلى منزلي ، وأنا أردّده ، حتّى خفّ على لساني .

ثمّ إنّي خرجت إلى بغداد ، فدخلتها ، فطرحني المكاري بباب محوّل[٥] ، لا أدري أين أتوجّه ، فلم أزل أمشي مع النّاس ، حتّى أتيت الجسر[٦] ، فعبرته ، ثمّ انتهيت إلى شارع الميدان[٧] ، فرأيت مسجداً بالقرب من دار الفضل بن

---

٣ كلح : عبس وتكشّر .

٤ الضريبة : مبلغ من المال يفرض السيد على مملوكه أن يؤدّيه إليه يوميًّا ، إذا أذن له بالعمل في صناعة أو حرفة ، على أن للمملوك ما زاد على الضريبة .

٥ باب محوّل : محلّة كبيرة من محالّ بغداد ، كانت متّصلة بالكرخ ، وهي الآن منعزلة كالقرية ذات جامع وسوق مستغنية بنفسها في غربي الكرخ ، مشرفة على الصراة (مراصد الاطلاع ١٠/١٤٦) ، أقول : إنّ باب محوّل اندثرت منذ زمان بعيد ، ولكنّ اتّساع العمران في بغداد ، في النصف الثاني من القرن العشرين ، أعاد العمران إلى الموضع الذي كانت فيه .

٦ هو الجسر الذي يصل محلّة الشرقيّة في الجانب الغربي من بغداد ، بمحلّة باب الطاق في الجانب الشرقي ، وفي محلّه الآن جسر الصرافية الحديد .

٧ شارع الميدان : شارع بالجانب الشرقي من بغداد خارج الرصافة ، وكان يمتدّ من الشماسيّة إلى سوق الثلاثاء (معجم البلدان ٣/٢٣١ و ٢٣٢) أقول : هو الآن شارع الأعظمية ، وهو الشارع العامّ الممتد من الأعظمية إلى أن يتّصل بشارع الرّشيد ببغداد .

الرّبيع[8] مرتفعاً ، فقلت : هذا مسجد قوم سراة ، فدخلته ، وحَضَرَتْ صلاة المغرب ، فصلّيت ، وأقمت بمكاني إلى أن صلّيت العشاء ، وبي من الجوع والتعب أمر عظيم .

فانصرف أهل المسجد ، وبقي رجل يصلّي ، وخلفه جماعة خدم وفحول[9] ، ينتظرون فراغه ، فصلّى مليّاً ، ثمّ انصرف إليّ بوجهه ، وقال : أحسبك غريباً .

قلت : أجل .

قال : فمتى كنت في هذه المدينة ؟

قلت : دخلتها آنفاً ، وليس لي بها منزل ولا معرفة ، وليست صناعتي من الصنائع الّتي يمتّ بها إلى أهل الخير .

فقال : وما صناعتك ؟

قلت : أغنّي .

فقام ، وركب مبادراً ، ووكّل بي بعض من كان معه ، فسألت الموكّل بي عنه ، فقال لي : هذا سلام الأبرش[10] ، ثمّ عاد ، فأخذ بيدي ، فانتهى بي إلى قصر من قصور الخليفة ، فأدخلني مقصورة[11] في آخر الدهليز ، ودعا بطعام من طعام الملوك على مائدة ، فأكلت ، فإنّي لكذلك ، إذ سمعت ركضاً في الدهليز ، وقائلاً يقول : أين الرّجل ؟

فقيل : هوذا .

---

٨ كانت دار الفضل بن الربيع على شارع الميدان ، وله منظرة تطلّ على الشارع (تاريخ بغداد لابن طيفور ١١).

٩ يريد بالخدم : الطواشية ، والطواشي إمّا خصي أو مجبوب ، ويريد بالفحول : الخدم غير الطواشية .

١٠ سلام الأبرش : خادم خصي ، خدم المنصور (ابن الأثير ٢٣/٦) وحجب المهدي (العيون والحدائق ٢٨١/٣) وخدم الرشيد أيضاً (ابن الأثير ١٧٩/٦) والمأمون (ابن الأثير ٣٨٣/٦) ، وكان إيتاخ القائد الخزري من مماليكه ، فاشتراه منه المعتصم ورفعه حتّى ولّاه هو والواثق أكبر الأعمال (تجارب الأمم ٥٤٢/٦ وابن الأثير ٤٣/٧) .

١١ المقصورة : حجرة من حجر الدار .

فدعي لي بغسول[١٢] ، وطيب ، وخلعة ، فلبست ، وتطيّبت ، وحملت إلى دار الخليفة على دابّة ، فعرفتها بالحرس ، والتكبير ، والنيران[١٣] ، فجاوزت مقاصير عدّة ، حتّى صرت إلى دار قوراء[١٤] ، وسطها أسرّة ، قد أضيف بعضها إلى بعض ، فأمرت بالصعود ، فصعدت ، فإذا رجل جالس ، وعن يمينه ثلاث جواري ، وإذا حياله مجالس خالية ، قد كان فيها قوم قاموا عنها .

فلم ألبث أن خرج خادم من وراء الستر ، فقال للرّجل : تغنّ ، فغنّى صوتاً لي وهو :

لم تمش ميلاً ، ولم تركب على جمل[١٥] ولم تر الشمس إلّا دونها الكلل
تمشي الهوينا[١٦] كأنّ الشمس بهجتها مشي اليعافير[١٧] في جيآتها الوهل[١٨]

فغنّى بغير إصابة ، وأوتار مختلفة الدساتين[١٩] ، وعاد الخادم إلى الجارية الّتي تليه ، فقال لها : غنّي ، فغنّت أيضاً ، صوتاً لي ، كانت فيه أحسن حالاً ، وهو :

---

١٢ الغسول ، بفتح الغين : هو الأشنان الذي تغسل به الأيدي بعد الطعام ، وكان يشتمل على أنواع من الطيب تخلط وتدقّ وتحفظ في وعاء اسمه الاشناندان ، له غطاء يحفظ رائحته ، ويتناول منه بملعقة ، لكي لا يتّسخ الباقي بملامسة الأيدي ، وكان الأشنان الذي يصنع للرشيد يتكون من ثلاثة عشر جزءاً ، راجع مطالع البدور ٦٦/٢ .

١٣ هذا يعني أنّ وجود الحرس ، والإعلان بالتكبير ، وإشعال النيران ، لا تجتمع إلاّ على باب دار الخليفة .

١٤ الدار القوراء : الواسعة .

١٥ في الأغاني ٣١٣/٦ ولم تركب على قتب .

١٦ الهوينا : التوءدة والرفق ، والبغداديّون يقولون : تمشي برهدنة ، وهي فصيحة ، وتعني الاستدارة في المشي .

١٧ اليعافير : الظباء .

١٨ الوهل : الخوف والفزع .

١٩ الدساتين : ومفردها الدستان ، الرباطات التي توضع عليها الأصابع في العود ، وأسامي دساتين العود تنسب إلى الأصابع التي توضع عليها ، فأوّلها دستان السبابة ، ثم دستان الوسطى ، ثم دستان البنصر ، ثم دستان الخنصر ، للتفصيل راجع مفاتيح العلوم للخوارزمي ١٣٧ و ١٣٨ .

يا دار أمست[20] خلاءً لا أنيس بهـا إلّا الظباء وإلّا الناشِطُ الفَرِدُ[21]
أين الّذين إذا ما زرتهم جذلوا وطارعن قلبي التشواق والكمد [١٢٥ ر]

قال : ثمّ عاد إلى الثانية ، فغنّت صوتاً لحكم الوادي[22] ، وهو :

فوالله ما أدري أيغلبني الهـوى إذا جدّ جدّ البين[23] أم أنا غالبه
فإن أستطعْ أغلبْ ، وإن يغلب الهوى فمثل الّذي لاقيت يغلب صاحبه

ثمّ عاد إلى الثالثة ، فقال لها غنّي ، فغنّت بصوت لحنين[24] ، وهو :

مررنا على قيسيّة عامريّة لها بَشَرٌ صافي الأديم هِجانِ[25]
فقالت وألقتْ جانب الستر دونها لأيّة أرض أو لأيّ مكانِ[26] [١٥٢ ظ]
فقلت لها إمّا تميم فأسرتي هُديتِ ، وإمّا صاحبي فيماني
رفيقان ضمّ السَفْر بيني وبينه وقد يلتقي الشتّى فيأتلفانِ

---

٢٠ في الأغاني ٦/٣١٤ أضحت .

٢١ الناشط : الحمار الوحشي ، والفرد : المنفرد .

٢٢ حكم بن يحيى بن ميمون الملقب حكَم الوادي : مغنّ من الطبقة الأولى ، أدرك الوليد بن عبد الملك وغنّاه ، وأدرك الرشيد وغنّاه ، توفي سنة ١٨٠ (الأعلام ٢/٢٩٦) .

٢٣ في الأغاني ٦/٣١٤ إذا جدّ وشك البين .

٢٤ حنين بن بلوع الحميري : شاعر ، موسيقي ، من كبار المغنّين ، انفرد في العراق بالغناء والضرب على العود ، ولم يزاحمه أحد ، شخص إلى المدينة ، وغنّى في مجلس ازدحم فيه الناس ، فسقط السقف ، ومات تحت الردم سنة ١١٠ (الأعلام ٢/٣٢٥ و ٣٢٦) .

٢٥ البشر : جمع بشرة ، وهي ظاهر الجلد ، والهجان : الأبيض الخالص من كلّ شيء .

٢٦ في الأغاني ٦/٣١٤ : من أيّة أرض ، أو مَنِ الرجلان .

ثمّ عاد إلى الرّجل ، فغنّى صوتاً لي ، فشبّه فيه[27] ، من شعر عمر بن أبي ربيعة[28] :

أمسى بأسماء هذا القلب معمودا إذا أقول صحا يعتاده عيدا
كأنّ أحور من غزلان ذي رشأ[29] أعارها سِنَةَ العينين والجيدا
ومشرقاً كشعاع الشمس بهجته ومسبطرّاً[30] على لبّاته سودا

ثمّ عاد إلى الجارية الأولى ، فغنّت صوتاً لحكم الوادي ، وهو :

تعيّرنا أنّا قليل عديدنا فقلت لها إنّ الكرام قليل
وما ضرّنا أنّا قليلٌ وجارنا عزيزٌ وجار الأكثرين ذليل
وإنّا أناس لا نرى القتل سبّة إذا ما رأته عامر وسلول
يقرّب حبّ الموت آجالنا لنا وتكرهه آجالهم فتطول

ثمّ عاد إلى الثانية ، فغنّت صوتاً ، تقول فيه :

وددتك لّما كان ودّك خالصاً وأعرضتُ لما صار نهباً مقسّما
ولا يلبث الحوض الجديد بناؤه إذا كثر الورّاد أن يتهدّما

ثمّ عاد إلى الجارية الثالثة ، فغنّت بشعر الخنساء[31] وهو :

٢٧ يريد : خلط فيه ولم يحسن أداءه .
٢٨ أبو الخطّاب عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي القرشيّ (٢٣–٩٣) : أرقّ شعراء عصره ، وشعره في الغزل لا يعلو عليه شعر ، من طبقة جرير والفرزدق (الأعلام ٢١١/٥) .
٢٩ في الأغاني ٣١٤/٦ : من غزلان ذي بقر .
٣٠ الشعر السبط : المسترسل .
٣١ تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد ، الملقبّة بالخنساء : أشهر شواعر العرب ، وأشعرهنّ ، أدركت الإسلام ، وأسلمت ، ووفدت على رسول الله صلوات الله عليه ، وكان يعجبه شعرها ، وأكثر شعرها في رثاء أخويها صخر ومعاوية ، وكان لها أولاد أربعة استشهدوا في معركة القادسية ، توفيت سنة ٢٤ (الأعلام ٦٩/٢) .

وما كرّ إلّا كان أوّل طاعـــنٍ   وما أبصرته العين إلّا اقشعرّت [32]
فيدرك ثاراً وهو لم يخطه الغنى   فمثل أخي يوماً به العين قــرّت
فلست أرزّى بعــده برزيّـــة   فأذكره إلّا سلــت وتجلّــت

وغنّى الرّجل في الدور الثالث ، بهذه الأبيات :

لحى الله صعلوكاً منـــاهُ وهمّــه   من الدّهر أن يلقى لبوساً ومطعما
ينام الضحى حتّى إذا ليلــه بدا [33]   تنبّه مسلوب الفؤاد متيّمــا [34]
ولكنّ صعلوكــاً يساور همّــه   ويمضي إلى الهيجاء ليثاً مصمّما [35]
فذلك إن يلقَ المنيّة [36] يلقهــا   حميداً [37] وإن يستغن يوماً فربّما

[قال : وتغنّت الجارية :

إذا كنت ربّاً للقلوص فلا يكــن   رفيقك يمشي خلفها غير راكب
أنخها فأردفه [38] فإن حملتكمــا
فذاك وإن كان العقاب [39] فعاقب] [40]

قال : وغنّت الجارية ، بشعر عمرو بن معدي كرب ، وهو :

ألم ترني إذ ضمّني البلد القفر   سمعت نداء يصدع القلب ياعمرو

٣٢ في الأغاني ٦/٣١٥ ولا أبصرته الخيل إلا اقشعرّت .
٣٣ في الأغاني ٦/٣١٥ حتى إذا ليله انتهى .
٣٤ في الأغاني ٦/٣١٥ تنبّه مثلوج الفؤاد مورّماً .
٣٥ في الأغاني ٦/٣١٥ ليثاً مقدما .
٣٦ في الأغاني ٦/٣١٥ الكريهة .
٣٧ في الأغاني ٦/٣١٥ كريماً .
٣٨ الردف : أن تركب أحداً معك على الدابّة ، فيكون لك رديفاً .
٣٩ العِقاب : أن تركب الدابّة مرّة ، ويركبها صاحبك مرّة .
٤٠ الزيادة من الأغاني ٦/٣١٦ .

أغثنا فإنّـا عصبــة مذحجيّــة

نراد على وفر وليس لنا وفر[41] [١٢٦ ر]

وأظنّه أغفل الثانية ، فغنّت الثالثة ، بهذه الأبيات :

فلمّا وقفنا للحديث وأسفرت[42] وجوه زهاها الحسن أن تتقنّعا

تباهــنَ بالعرفـان لمـا عرفنـني وقلن امرؤ باغ أضلّ وأوضعا[43]

فلمّا تواضعن الأحاديث قلن لي أخفت علينا أن نغرّ ونخدعا

قال : فتوقّعت مجيء الخادم ، فقلت للرّجل : بأبي أنت ، خذ العود ، وشدّ وتركذا ، وارفع الطبقة ، وحطّ دساتن كذا ، ففعل ما أمرته .

وخرج الخادم ، فقال لي : تغنَّ عافاك الله .

فغنّيت بصوت الرجل الأوّل ، على غير ما غنّى ، فإذا جماعةٍ من الخدم يُحْضِرون[44] حتّى استندوا إلى الأسرّة ، فقالوا : ويحك لمن هذا الغناء ؟

فقلت : لي .

فانصرفوا وعاد إليّ خادم ، فقال : كذبتَ ، هذا لابن جامع ، فسكتُّ .

ودار الدور الثاني ، فلمّا انتهى إليّ ، قلت للجارية الّتي تلي الرّجل ، خذي العود ، فعلمَتْ ما أريد ، فأصلحته على غنائها ، فغنّيت به ، فخرج الخدم ، وقالوا : ويحك ، لمن هذا الغناء ؟

فقلت : لي .

فرجعوا ، ثمّ عاد ذلك الخادم من بينهم ، فقال : كذبتَ ، هذا لابن جامع .

---

٤١ ورد البيتان ضمن أبيات أخرى في القصّة ١٩٨ من هذا الكتاب .

٤٢ في الأغاني ٦/٣١٦ فلما تواقفنا وسلّمت أسفرت .

٤٣ في الأغاني ٦/٣١٦ أكلّ وأوضعا .

٤٤ الحُضْر : العدو الشديد .

ودار الدور ، فلمّا انتهى إليّ الغناء ، قلت للجارية الأخرى ، سوّي العود على كذا ، فعلمت ما أريد ، وخرج الخادم فقال لي تغنّ ، فغنّيت هذا الصوت ، وهو لا يعرف إلّا بي ، وهو : [١٥٣ ظ]

عوجي علَيّ فسلّمي جَبْرُ   فيم الوقوف وأنتم سَفْرُ
ما نلتقي إلّا ثلاث منى[٤٥]   حتّى يفرّق بيننا النَّفْرُ[٤٦]

فتزلزلت عليهم الدار ، وخرج الخادم ، فقال : ويحك ، لمن هذا الغناء ؟
فقلت : لي .
فمضى ، ثمّ عاد ، فقال : كذبتَ ، هذا لابن جامع .
قلت : فأنا ابن جامع .
فما شعرت إلّا وأمير المؤمنين ، وجعفر بن يحيي ، قد أقبلا من وراء الستر الّذي كان يخرج منه الخادم[٤٧] .
فقال لي الفضل بن الرّبيع : هذا أمير المؤمنين ، قد أقبل إليك ، فلمّا صعدِ السرير ، وثبت قائماً .
فقال : ابن جامع ؟
فقلت : ابن جامع ، جعلت فداك ، يا أمير المؤمنين .
فقال : متى كنت في هذه المدينة ؟
فقلت : دخلتها في الوقت الّذي علم بي فيه أمير المؤمنين .

---

٤٥ ثلاث منى : أيّام عيد الأضحى الثلاثة التي يقضيها الحاج في منى .
٤٦ يوم النفر : اليوم الذي ينفر فيه الحجّاج من منى منصرفين إلى مكّة ، وهو اليوم الثالث من عيد النحر ، ويصادف ١٣ ذي الحجّة .
٤٧ كان جعفر يدخل في منادمة الرشيد ، وكان أبوه ينهاه عن منادمته ، ويأمره بترك الأنس به ، فيترك أمر أبيه ويدخل معه فيما يدعوه إليه ، أما الفضل أخوه ، فكان يمتنع عن منادمة الرّشيد والشرب معه ، وكان يقول : لو علمت أنّ الماء ينقص من مروءتي ما شربته (الطبري ٢٩٣/٨) .

فقال : اجلس ، ومضى هو وجعفر ، فجلسنا في تلك المجالس .

فقال : ابشر ، وابسط أملك ، فدعوت له .

فقال : غنّ يا ابن جامع ، فخطر ببالي صوت الجارية السوداء ، فأمرت الرّجل بإصلاح العود على ما أردت من الطبقة ، فعرف ما أريد ، فوزنه وزناً .

فلمّا أخذت الأوتار والدساتين مواضعها ، وتعاهدها ، ابتدأت أغنّي بصوت الجارية ، فنظر الرّشيد إلى جعفر ، فقال : هل سمعت كذا قط ؟

قال : لا والله ، ولا خرق مسامعي مثله قط .

فرفع الرّشيد رأسه إلى خادم كان بالقرب منه ، فأتى بكيس فيه ألف دينار ، فرمى به إليّ ، فصيّرته تحت فخذي ، ودعوت له .

فقال : يا ابن جامع ، ردّ عليّ هذا الصوت ، فردّدته عليه ، وتزيّدت في غنائي .

فقال له جعفر : أما ترى كيف تزيّد في الغناء ، وهذا خلاف الأوّل ، وإن كان اللّحن واحداً .

فرفع الرّشيد رأسه إلى الخادم ، فأتى بكيس فيه ألف دينار ، فرمى به إليّ ، فجعلته تحت فخذي الآخر .

ثمّ قال : تغنّ يا إسماعيل بما حضرك .

فجعلت أقصد الصوت بعد الصوت ، بما كان يبلغني أنّه يشتري عليه الجواري ، فأغنّيه ، فلم أزل كذلك ، إلى أن عسعس الليل .

فقال : أتعبناك يا إسماعيل هذه اللّيلة ، فأعد عليّ الصوت ، يعني صوت الجارية ، فغنّيته به ، فرفع رأسه إلى الخادم ، فوافى بكيس ثالث فيه ألف دينار .

فذكرت [١٢٧ ر] قول الجارية ، فتبسّمت ، فلحظني ، وقال : يا ابن الفاعلة ، فيم تبسّمت ؟

فجثيت على ركبتي ، وقلت : يا أمير المؤمنين ، الصدق منجاة .

قال : قل .

فقصصت عليه خبر الجارية ، فلمّا استوفيته ، قال : صدقت ، قد يكون مثل هذا ، وقام .

ونزلت من وراء الستر ، لا أدري أين أمضي ، فابتدرني فرّاشان ، فصارا بي إلى دارٍ قد أمر لي أمير المؤمنين بها ، فيها من الفرش ، والآلة ، والخدم ، جميع ما أريد ، فدخلتُ فقيراً ، وأصبحت من المياسير .

ذكر الاصبهاني : أنّ صوت إسماعيل الّذي غنّاه ، لا يعرف إلّا به ، وهو :

فلو كان لي قلبان عشتُ بواحـدٍ وخلّفتُ قلباً في هـواك يعذّب
ولكنّني أحيا بقلبٍ معذّبٍ[48] فلا العيش يصفو لي ولا الموت يقرب
تعلّمت أسباب الرّضا خوف سخطهـا
وعلّمهـا حبّي لهـا كيف تغضب
ولي ألف وجهٍ قد عرفت مكـانه ولكن بلا قلب إلى أين أذهب[49]

٤٨ في الأغاني ٣١٩/٦ : ولكنّما أحيا بقلب مروّع .

٤٩ لم ترد هذه القصّة في م ولا في غ ولا في هـ ، ووردت في الأغاني ٣١١/٦–٣١٩ .

٢٥٥
ابن هرمة يتحدّث عن أفضال
عبد الواحد بن سليمان عليه

قال : قال رجل لابن هرمة[١] : بما استحقّ منك عبد الواحد بن سليمان[٢] أن تقول فيه ؟ :

أعبد الواحد المأمول إنّي   أغصّ حذار سخطك بالقراح
وجدنا غالباً كانت جناحاً   وكان أبوك قادمة الجناح

فقال : إن ذهبتُ أعدّد صنائعه الّتي استحقّ بها منّي هذا القول ، طالت ، ولكن أخبرك بأصغر صنيعة له عندي .

كنت منقطعاً إليه بالمدينة [١٥٤ ظ] أيّام كان يتولّاها ، فأغناني عن سواه ، ثمّ عزل ، فظننت أنّ الوالي سيحسن اليّ ، فلم يبرّني بشيء ، فأنفقت ما كان معي ، حتّى لم يبق لي شيء .

فقلت لأختي : ويحك ، أما ترين ما أنا فيه من الشدّة ، وتعذّر القوت ؟

قالت : بسوء اختيارك .

قلت : فبمن تشيرين ؟

---

١ أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن سلمة بن عامر بن هرمة الكناني القرشيّ ، المعروف بابن هرمة (٩٠–١٧٦) : مدنيّ ، شاعر ، من مخضرمي الدولتين الأمويّة والعبّاسية ، مدح الوليد بن يزيد ، ومدح المنصور العبّاسي ، وكان مولعاً بالشراب ، جلده الحدّ صاحب شرطة المدينة (الأعلام ١/٤٤) ولما مدح المنصور ، سأله أن يحميه من الحدّ إذا شرب الخمر ، فقال : ويحك هذا حدّ من حدود الله ، فألحّ عليه ، فكتب إلى والي المدينة : من أتاك بابن هرمة سكران ، فاجلده مائة ، واجلد ابن هرمة ثمانين ، فكان الجلواز يمرّ بابن هرمة وهو سكران ، فيقول من يشتري ثمانين بمائة (الأغاني ، طبعة بولاق ٤/١٠٥) .

٢ عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك بن مروان : أمير مروانيّ أمويّ ، ولي إمرة مكّة والمدينة سنة ١٢٩ لمروان بن محمد ، قتله العبّاسيون في جملة من قتلوا من الأمويّين (الأعلام ٤/٣٢٤) .

فقالت : ما أعرف لك غير عبد الواحد بن سليمان .

فقلت : ومن لي به ، وهو بدمشق ، وأنا بالمدينة ؟

فقالت : أنا أعينك على قصدك إليه .

فقلت : افعلي .

فباعت حلياً كان لها ، واشترت لي راحلة ، وزوّدتني ، فوافيت دمشق بعد اثنتى عشرة ليلة ، فأنخت عشاءً على باب عبد الواحد ، وعقلت راحلتي ، ودخلت المسجد ، فحططت فيه رحلي .

فلمّا صلّى عبد الواحد ، وجلس يسبّح ، حوّل وجهه إلى جلسائه ، فنظر إلى رحلي ، فقال : لمن هذا ؟

فوثبتُ ، وقبّلت يده ، وقلت : أنا يا سيّدي ، عبدك ابن هرمة .

فقال : ما خبرك يا أبا اسحاق ؟

فقلت : شرّ خبر ، بعدك – أيّها الأمير – تلاعبت بي المحن ، وجفاني الصديق ، ونبا بي الوطن ، فلم أجد معوّلاً إلّا عليك .

فوالله ، ما أجابني إلّا بدموعه ، ثمّ قال : ويحك ، أبلغ بك الجهد إلى ما ذكرت ؟

فقلت : إي والله ، وما أخفيه عنك أكثر .

فقال : اسكن ، ولا ترع .

ثمّ إنّه نظر إلى فتية بين يديه ، كأنّهم الصقور ، فوثبوا ، فاستدعى أحدهم ، وهمس إليه بشيء، فمضى مسرعاً ، ثمّ أومأ إلى الثاني ، فهمس إليه بشيء، وكذلك الثالث ، فمضى .

ثمّ أقبل الأوّل ، ومعه خادم على رأسه كيس ، فصبّه في حجري ، فقال له أبوه : كم هذا ؟

فقال : ألف دينار وسبعمائة دينار ، ووالله ما في خزانتك غيرها .

ثمّ أقبل الثاني ، وبين يديه عبد على كتفه كارة ، فصبّها بين يديه ، فإذا فيها حلي مخلّعٌ من بناته ونسائه .

فقال : والله ، ما تركت لهنّ شيئاً ، إلّا أخذته .

وأقبل الثالث [١٢٨ ر] ، ومعه غلامان ، معهما كارتان عظيمتان من فاخر ثيابه ، فوضع ذلك بين يديّ .

ثمّ قال : يا ابن هرمه ، أنا أعتذر إليك من قلّة ما حبوتك به ، مع بعد العهد ، وطول الشقّة ، وسعة الأمل ، ولكنّك جئتنا في آخر السنة ، وقد تقسّمت أموالنا الحقوق ، ونهبتنا أيدي المؤمّلين ، فلم يبق عندنا غير هذه الصُبابة[٣] ، آثرناك بها على أنفسنا ، وسللناها لك من أفواهنا ، ولو قدمتَ قبل هذا الإعسار ، لأعطيناك ما يكفيك ، ولو علمنا بك ، لأتاك عفواً ، ولم تتجشّم المشقّة ، ولم نحوجك إلى سوانا ، وذلك منّا لك أبداً ، ما بقيتَ ، فأقسم عليك ، لما أصبحت إلّا على ظهر راحلتك ، وتداركت أهلك ، فخلّصتهم من هذه المحنة ، فقمت إلى ناقتي ، فإذا هي قد ضعفت .

فقال : ما أرى في ناقتك خيراً ، يا غلام ، أعطه ناقتي الفلانيّة ، فجئ بها برحلها ، فكانت – والله – أحب إليّ من جميع ما أعطاني ، ثقة ببلوغها ، ثمّ دعا بناقتين أخريين ، وأوقرهما من المال ، والثّياب ، وزاداً يكفيني لطريقي ، ووهب لي عبدين .

وقال : هذان يخدمانك في السقي والرعي ، فإن شئت بعتهما ، وإن شئت أبقيتهما ، أفتلومني أنّي أغصّ حذار سخطه بريقي ؟

قال : لا والله[٤] .

---

٣ الصُّبابة ، بضم الصاد : البقيّة من كلّ شيء ، قال البحتري في سينيّته :

بُلَـغٌ من صُبابـة العيـش عنـدي طفّفتهـا الأيـام تطفيف بخـس

٤ لم ترد هذه القصّة في م ولا في غ ولا هـ ، ووردت في البصائر والذخائر م ٣ ق ١ ص ٢٢٥ و ٢٢٦ .

٢٥٦
القائد هرثمة بن أعين

يتحدّث عمّا أمره به الهادي في ليلة موته

حدّثني علي بن هشام ، عن محمّد بن الفضل : أنّ هرثمة بن أعين[1] ، قال :

كنت اختصصت بموسى الهادي ، وكنت - مع ذلك - شديد الحذر منه ، لإقدامه على سفك الدماء[2] .

فاستدعاني نصف نهار ، في يوم شديد الحرّ ، قبل أكلي ، فتداخلني منه رعب ، وبادرت فدخلت عليه ، وهو في حجرة من دور حرمه ، فصرف جميع من كان بحضرته ، وقال لي : اخرج وأغلق الباب ، وعد إليّ ، فازداد جزعي ، ففعلت ، وعدت إليه .

فقال لي : قد تأذّيت بهذا الكلب الملحد ، يحيى بن خالد ، ليس له فكر غير تضريب الجيش[3] ، واجتذابهم إلى صاحبه هارون ، يريد أن يقتلني ، ويسوق [١٥٥ ظ] إليه الخلافة ، وأريد أن تمضي اللّيلة إلى هارون ، وتقبض عليه ، وتذبحه ، وتجيئني برأسه ، إمّا في داره ، وإمّا أن تخرجه برسالتي تستدعيه إلى حضرتي ، ثمّ تعدل به إلى دارك ، فتقتله ، وتجيئني برأسه .

فورد عليّ أعظم وارد ، فقلت : تأذن يا أمير المؤمنين في الكلام ؟

فقال : قل .

---

١ هرثمة بن أعين : أمير ، قائد ، شجاع ، ولاّه الرشيد مصر ، ثم إفريقية ، ثم خراسان ، ولمّا اختصم الأمين والمأمون ، انحاز إلى جانب المأمون ، ثم نقم عليه المأمون أمراً فحبسه ومات في حبسه سنة ٢٠٠ (الأعلام ٩/٧٥) .

٢ كان الهادي شكس الأخلاق ، صعب المرام ، قليل الإغضاء ، سيء الظن (التاج ٣٥) .

٣ التضريب : الإفساد .

فقلت : أخوك ، وابن أبيك ، وله بعدك العهد ، فكيف تكون صورتنا ، أوّلاً عند الله ، ثمّ عند الجيش ؟

فقال : إنّك إن فعلت هذا ، وإلّا ضربت عنقك الساعة .

فقلت : السمع والطاعة .

فقال : وأريد إذا فرغتَ منه هذه اللّيلة ، أن تُخرج من في الحبس من الطالبيّين ، فتضرب رقاب أكثرهم ، وتغرق الباقين .

فقلت : السمع والطاعة .

قال : ثمّ ترحل إلى الكوفة ، فتجمع من تقدر عليه من الجيش ، فتخرج من بها من العبّاسيّين ، وشيعتهم ، وعمّالنا ، والمتصرّفين ، ثمّ تضرمها بالنار ، حتّى لا يبقى فيها جدار .

فقلت : يا أمير المؤمنين ، هذا أمر عظيم .

فقال : هؤلاء أعداؤنا ، وشيعة آل أبي طالب ، وكلّ آفة ترد علينا ، فهي من جهتهم ، ولا بدّ من هذا .

فقلت : السمع والطاعة .

فقال : لا تبرح من مكانك إلى نصف اللّيل ، لتمضي إلى هارون .

فقلت : السمع والطاعة .

ونهض عن موضعه ، ودخل إلى دور النّساء ، وجلست مكاني ، لا أشكّ أنّه قد قبض عليّ ليقتلني ، ويدبّر هذه الأمور على يد غيري ، لما أظهرت له من الجزع عند كلّ باب منها ، والتخطئة لرأيه ، والامتناع عليه ، ثمّ الإجابة ، وقد علم الله تعالى ، أنّي ما أجبته إلّا على أن أخرج من حضرته ، فأركب فرسي من بابه ، وألحق بطرف من الأرض ، وأفارق جميع نعمتي ، فأكون بحيث لا يصل إليّ ، حتّى أموت ، أو يموت .

فلمّا اعتقلني ، ودخل دار الحرم ، لم أشكّ في أنّه قد فطن لغرضي ، وأنّه سيقتلني ، لئلا يفشو السرّ ، فوردت عليّ شدّة شديدة ، وغلبت عليّ ،

فطرحت نفسي في الحرّ مغموماً ، جائعاً [١٢٩ ر] ، على عتبة المجلس ، ونمت .

فما انتبهت إلّا بخادم قد أيقظني ، وقال : أجب أمير المؤمنين ، فنظرت الوقت ، فإذا هو نصف اللّيل .

فقلت : إنّا لله ، عزم والله على قتلي ، فمشيت معه ، وأنا أتشاهد ، إلى ممرّات سمعت منها كلام النساء .

فقلت : عزم على قتلي بحجّة ، يقول : من أذن لك في الدخول إلى حرمي ، ويعتلّ عليّ بذلك ، فوقفت .

فقال لي الخادم : ادخل .

فقلت : لا أدخل .

فقال لي : ادخل ، ويحك .

فقلت : هوذا أسمع صوت الحرم ، ولا يجوز لي أن أدخل .

فجذبني ، فصحت : والله ، لا دخلت ، ولو ضربت عنقي ، أو أسمع كلام أمير المؤمنين ، بالإذن لي .

وإذا امرأة تصيح : ويلك يا هرثمة ، أنا الخيزران[٤] ، وقد حدث أمرٌ عظيم ، استدعيتك له ، فادخل .

فتحيّرت ، ودخلت ، وإذا ستارة ممدودة ، فقيل لي من ورائها : إنّ موسى قد مات ، وأراحك الله منه ، وجميع المسلمين ، فانظر إليه ، فأتيته ، فإذا هو

---

٤ الخيزران : زوجة المهدي العبّاسي ، وأمّ ولديه الهادي والرشيد ، ملكة ، حازمة ، عاقلة ، أديبة ، شاعرة ، كانت ذات كلمة مسموعة في عهد زوجها المهدي ، فلما ولي ابنها الهادي ، حرّم عليها أن تتدخّل في أمور الدّولة ، ومنع الناس من الوقوف ببابها ، فانكمشت ، ولمّا ولي الرشيد ، عادت إلى ممارسة حريتها في التدخّل في شؤون المملكة ، وكان الرشيد لا يخالف لها رأياً ، وكانت حامية البرامكة ، ولما ماتت في السنة ١٧٣ أخذ الرشيد بقائمة سريرها حافياً يعدو في الطين ، وعليه جبّة سعيدية ، وطيلسانه خرق أزرق ، حتى إذا خرج من قبرها ، دعا الفضل بن الربيع ، وحلف له ، أنّه كان يهمّ بأن يولّيه ، فتمنعه أمّه ، فيطيع أمرها ، ثم أمر الفضل بأن يأخذ الخاتم من جعفر (الطبري ٢٣٨/٨) .

مسجّى على فراشه ، فمسست قلبه ، ومجسّه ، ومناخره ، فإذا هو ميت بلا شكّ .

فقلت : ما كان خبره ؟

فقالت لي الخيزران : كنت بحيث أسمع خطابه لك في أمر ابني هارون ، وأمر الطالبيّين ، وأهل الكوفة ، فلمّا دخل عليّ ، استعطفته ، وسألته أن لا يفعل شيئاً من ذلك ، فصاح عليّ ، فلم أزل أرفق به ، إلى أن كشفت له ثديي ، وشعري ، وبكيت ، وتمرّغت بين يديه ، وناشدته الله أن لا يفعل ، فانتهرني ، وقال : والله ، لئن لم تمسكي ، لأضربنّ عنقك الساعة ، فخفته ، وقمت ، فصففت قدميّ في المحراب ، أصلّي ، وأبكي ، وأدعو عليه .

فلمّا كان منذ ساعة ، طرح نفسه على فرشه لينام ، فشَرِق[٥] ، فتداركناه بكوز ماء ، فازداد شَرَقُهُ ، إلى أن تلف ، فامض إلى يحيى بن خالد ، وعرّفه [١٥٦ ظ] ما جرى ، وامضيا إلى هارون ، وجيئا به قبل انتشار الخبر ، وجدّدا له البيعة على النّاس .

فخرجت وجئت بالرّشيد ، فما أصبحنا إلّا وقد فرغنا من بيعته ، واستقام أمره ، وتوطّأت الخلافة له ، وكفاني الله تعالى ، والنّاس ، ما كان أظلّنا من مكروه موسى ، وكان ذلك سبب اختصاصي العظيم بالرّشيد ، وتضاعف نعمتي ومحلّي عنده[٦] .

---

٥ شرق بريقه : غصّ .

٦ لم ترد هذه القصّة في م ولا في غ ولا ه .

٢٥٧
دهاء عبدون أخي صاعد بن مخلد

حدّثني عليّ بن هشام قال[١] :

كان في يد صاعد بن مخلد[٢] ضمانات كثيرة ، وكانت معاملته مع أبي نوح عيسى بن إبراهيم[٣] ، وكان صاعد من وجوه النّاس .

فحضر صاعد بين يدي أبي نوح ، يحاسبه في أموال وجبت عليه ، فجرت بينهما مناظرات ، فشتم فيها أبو نوح صاعداً[٤] ، فردّ عليه صاعد ، مثل ما قاله له .

فاستعظم الحاضرون ذلك ، واستخفّوا بصاعد ، وقالوا له : يا مجنون ، ما هذا الفعل ؟ قتلتَ نفسك ، ثمّ أقاموه ، وخلّصوه من أبي نوح ، وقالوا : هذا مجنون ، لم يدر ما خرج من رأسه .

فانصرف إلى منزله ، متحيّراً ، لا يدري ما يصنع فيما نزل به ، فحدّث أخاه عبدون[٥] بما جرى .

---

١ في نشوار المحاضرة ٣٤/٨ : حدّثني أبو الحسين (يعني علي بن هشام) ، قال : سمعت أبا الحسن علي بن محمد بن الفرات ، وكان يخلف أبا نوح عيسى بن ابراهيم على ديوان الضياع ، حدّث أنّه ... الخ .

٢ صاعد بن مخلد : وزير الموفّق ، بغدادي ، نصراني ، أسلم على يد الموفّق ، وكان حازماً ، ضابطاً ، كفؤاً ، ينتدبه الموفّق في المهمات ، وزر للموفّق سنة ٢٦٥ وفتح فارس سنة ٢٧٢ واعتقله الموفّق في هذه السنة ومات في حبسه سنة ٢٧٥ ، وكانت غلّته في السنة ألف ألف وثلثمائة ألف دينار ، راجع القصّة ١/١ من كتاب نشوار المحاضرة للقاضي التنوخي ، والأعلام ٢٧٢/٣ ومروج الذهب ٤٨٠/٢ .

٣ أبو نوح عيسى بن إبراهيم الكاتب : ترجمته في حاشية القصّة ٧٣ من هذا الكتاب .

٤ في نشوار المحاضرة ٣٤/٨ : فاغتاظ أبو نوح ، فأعضّه ، أي قال له : يا عاضّ بظر أمّه .

٥ عبدون بن مخلد : أخو الوزير صاعد بن مخلد ، أسلم أخوه ، وظلّ عبدون على نصرانيّته ، وكان وجهاً =

فقال له : إن لمْ تطعني ، قبض عليك في غدٍ ، وطالبك من المصادرة بما لا يفي به حالك ، ولا حال جميع أهلك ، وقتلك - بلا شكّ - تشفّياً .

قال له صاعد : فما الرأي ؟

قال : كم عندك من المال[٦] ، واصدقني ؟ .

قال : خمسون ألف دينار .

قال : أتطيب نفسك أن تتعرّى عنها ، وتحرس دمك ، وما يبقى من حالك وضياعك ؟ أم لا تسمح بذلك ، فتؤخذ منك تحت المقارع ، وتذهب النّفس والنّعمة كلّها ؟.

فقال له : قد تعرّيت عنها ، كي تبقى نفسي .

قال : فادفع إليّ منها ثلاثين ألف درهم ، ففعل .

فحملها عبدون ، وأتى [١٣٠ ر] حاجب موسى بن بغا[٧] ، فقال له : خذ هذه العشرة الآف درهم ، وأوصلني إلى فلان الخادم ، وكان هذا خادمه

= من وجوه النصارى في العراق ، وإليه ينسب دير عبدون بسرّ من رأى وموقعه جنب المطيرة . قال ابن المعتز :

سقى المطيرة ذات الظلّ والشجر ودير عبدون هطّال من المطر

قبض عليه مع أخيه صاعد ، وأسبابهما ، وصودرا ، ونهبت منازلهم ، ولما توفّي صاعد ، أطلق عبدون من الحبس ، فصار إلى دير قنّى ، فأقام فيه يتعبّد ، ومات فيه وهو مترهّب سنة ٣١٠ ، وروى عنه الشابشتي في الديارات ص ٢٧٠ قصّة تدلّ على تخلّفه ، مع أنّ ما ورد في هذا الكتاب يدلّ على حصافة وذكاء (الديارات ٢٧٠-٢٧٣ وابن الأثير ٧/٤١٧ و ٤١٩) .

٦ في نشوار المحاضرة ٣٤/٨ : كم عندك من المال الصامت العتيد ، والعتيد : الحاضر ، والمال الصامت : النقد من ذهب وفضّة .

٧ موسى بن بغا : أحد القادة الأتراك الكبار ، وهو ابن خالة المتوكّل ، وكان ديّناً لا يشرب النبيذ ، وكان في عهد المتوكّل يخلف والده على أعماله ، ولما توفّي بغا في السنة ٢٤٨ ، عقد له المستعين على جميع =

الّذي يتعشّقه موسى ، ويطيعه في كلّ أموره ، وموسى إذ ذاك هو الخليفة[8] ، وكتبته كالوزارة ، والأمور في يده ، والخليفة في حجره .

قال : فأخذ الحاجب ذلك ، وأوصله إلى الخادم ، فأحضره العشرين ألف درهم ، وقال : خذ هذه ، وأوصلني إلى الأمير السّاعة ، وأعنّي عليه في حاجة أريد أن أسأله إيّاها ، ومشورة أشير بها عليه ، فأوصله الخادم إليه .

فلمّا مثل بين يديه ، سعى إليه بكتّابه ، وقال له : قد نهبوك ، وأخذوا مالك ، وأخربوا ضياعك ، وأخي يجعل كتابتك أجلّ من الوزارة ، ويغلب لك على الأمور ، ويوفّر عليك كذا ، ويحمل إليك اللّيلة ، من قبل أن ينتصف اللّيل ، خمسين ألف دينار عيناً ، هديّة لك ، لا يريد عنها مكافأة ، ولا يرتجعها من مالك ، وتستكتبه ، وتخلع عليه .

فقال موسى : أفكّر في هذا ؟.

فقال : ليس في هذا فكر ، وألحّ عليه .

فقال الخادم : في الدنيا أحد جاءه مثل هذا المال ، فردّه ؟ وكاتب بكاتب ، فأجابه موسى ، وأنعم له .

فقال له عبدون : فتستدعي أخي السّاعة ، وتشافهه بذلك ، فأنفذ إليه ، فأحضره ، وقرّر عليه ذلك ، وبات عبدون في الدّار لتصحيح المال ، فوفّاه .

وبكر صاعد ، فخلع عليه لكتابته ، وأركب الجيش كلّه في خدمته ، وانقلبت سامراء ، بظهور الخبر .

= أعمال أبيه ، وأضيف إليه ديوان البريد ، ولما اختلف المستعين والمعتزّ ، إنحاز إلى جانب المعتزّ ، ثم ولي الريّ ، فانصرف إليها ، وبلغه خبر قتل المعتزّ فقفل راجعاً إلى سرّمن رأى وقتل صالح بن وصيف ، ثم قاد جيوشاً عدّة لمحاربة العصاة في حروب الزنج والصفّار ، وتوفّي في السنة ٢٦٤ في خلافة المعتمد (ابن الأثير ٩٨/٧–٣١٠ ومروج الذهب ٤٤٤/٢ ، ٤٦١ ، ٤٦٤ ، ٤٧٨ ، وتجارب الأمم ٥٥٥/٦ ، ٥٦٣ ، ٥٨١ ، ٥٨٢ .

٨ هو الخليفة المعتزّ ، مدّة خلافته ٢٥٢–٢٥٥ .

فبكر بعض المتصرّفين إلى الحسن بن مخلد[9] ، وكان صديقاً لأبي نوح ، فقال له : قد خلع على صاعد .

فقال : لأيّ شيء؟

فقال : تقلّد كتابة موسى بن بغا ، فاستعظم ذلك .

وركب في الحال ، إلى أبي نوح ، وقال له : عرفتَ خبر صاعد ؟.

فقال : نعم ، الكلب ، قد بلغك ما عاملني به ، والله لأفعلنّ به ، ولأصنعنّ .

فقال له : أنت نائم ؟ ليس هذا أردت ، قد ولي الرّجل كتابة [١٥٧ ظ] الأمير موسى بن بغا ، وخلع عليه ، وركب معه الجيش بأسرهم إلى داره .

فقال أبو نوح : ليس هذا ما ظننته ، بات خائفاً منّا ، فأصبحنا خائفين منه ، فما الرّأي عندك ؟

قال : أن أصلح بينكما السّاعة .

فركب الحسن بن مخلد إلى صاعد ، فهنّأه ، وأشار عليه أن يصالح أبا نوح ، وقال له : أنت بلا زوجة ، وأنا أجعلك صهره ، وتعتضد به ، وإن كنت قد نصرت عليه ، فهو من تعلم موضعه ، ومحلّه ، ومحلّ مصاهرته ومودّته ، ولم يدعه ، حتّى أجاب إلى الصلح والمصاهرة .

فقال له : فتركب معي إليه ، فإنّه أبو البنت ، والزّوج يقصد المرأة ، ولولا ذاك لجاءك .

فحمله من يومه إلى أبي نوح ، واصطلحا ، ووقع العقد في الحال بينهما في ذلك المجلس ، وزوّج أبو نوح ابنته الأخرى بالعبّاس بن الحسن بن مخلد ، فولدت له أبا عيسى المعروف بابن بنت أبي نوح[10] ، صاحب بيت مال الإعطاء[11] ،

---

٩ أبو محمّد الحسن بن مخلد بن الجراح (٢٠٩-٢٦٩) : ترجمته في حاشية القصّة ٧٣ من هذا الكتاب .

١٠ أبو عيسى ابن بنت أبي نوح : راجع القصّة ١/١٢١ من نشوار المحاضرة .

١١ بيت مال الإعطاء : ديوان الجيش .

ثمّ تقلّد زمام ديوان الجيش[12] لعمّه سليمان بن الحسن[13] ، فكانت كتابة صاعد لموسى ، ومصاهرته لأبي نوح ، أوّل مرتبة عظيمة بلغها ، وتقلّبت به الأحوال ، حتّى بلغ الوزارة[14] .

---

١٢ زمام ديوان الجيش : راجع حاشية القصّة ٧٣ من هذا الكتاب .

١٣ أبو القاسم سليمان بن الحسن بن مخلد بن الجراح : ترجمته في حاشية القصّة ١١٧ من هذا الكتاب ، وقد كان أصغر سنّاً من أخيه العبّاس (القصّة ٣٤/٨ من نشوار المحاضرة) .

١٤ وردت القصّة في كتاب نشوار المحاضرة للتنوخي برقم ٣٤/٨ ولم ترد في م ولا في غ ولا هـ .

٢٥٨
زوّر مناماً فجاء مطابقاً للحقيقة

قال رجلٌ من شيوخ الكتّاب ، يقال له عباد بن الحريش :

صحبت عليّ بن المرزبان[١] ، وهو يتقلّد شيراز[٢] ، من قبل عمرو بن الليث الصفّار[٣] ، فصادر المتصرّفين على أموال ألزمهم إيّاها ، فكنت ممّن أخذ خطّه عن العمل الّذي تولّيته ، بثمانين ألف درهم ، فأدّيت منها أربعين ألفاً ، ودرجت حالي[٤] ، حتّى لم يبق لي شيءفي الدنيا غير داري الّتي أسكنها ، ولا قدر لثمنها فيما بقي عليّ ، فلم أدر ما أصنع .

وفكّرت ، فوجدت عليّ بن المرزبان ، رجلاً حرّاً سليم الصّدر [١٣١ ر] ، فروّيت له رؤيا ، أجمعت على أن ألقاه بها ، وأجعلها سبباً لشكوى حالي إليه ، والتوصّل إلى الخلاص ، وكنت قد حفظت الرؤيا .

فاحتلت خمسين درهماً ، وبكرت إليه قبل طلوع الفجر ، فدققت بابه .

فقال حاجبه ، من خلف الباب : من أنت ؟.

---

١ علي بن المرزبان : في القصّة ٨/١٠٧ من كتاب نشوار المحاضرة ، إنّ علي بن المرزبان هذا هو عمّ والد أبي الفضل محمد بن عبد الله بن المرزبان ، الكاتب الشيرازي .

٢ شيراز : قصبة بلاد فارس ، عذبة الماء ، صحيحة الهواء ، كثيرة الخيرات ، فتحها المسلمون في خلافة عثمان ، اشتهرت بخمرها وسجّادها (معجم البلدان ٣/٣٤٨ والمنجد) أقول : مررت بشيراز في السنة ١٩٦٨ وزرت بها قبري الشاعرين سعدي وحافظ .

٣ عمرو بن الليث الصفّار : ثاني أمراء الدّولة الصفّارية ، شجاع ، داهية ، خلف أخاه يعقوب مؤسّس الدّولة سنة ٢٦٥ ، وكانت تحت حكمه ، خراسان ، وأصبهان ، وسجستان ، والسند ، وكرمان ، واستمر إلى سنة ٢٨٧ في حروب متصلة ، تارة مع السامانيين ، وتارة مع جيوش الخلافة ، حتى وقع في الأسر سنة ٢٨٧ واعتقل ببغداد ومات في السنة ٢٨٩ (الأعلام ٥/٢٥٧) راجع القصّة ٣/٦٦ من كتاب نشوار المحاضرة .

٤ درج هنا ، بمعنى انقرض وباد .

فقلت : عباد بن الحريش

فقال : في هذا الوقت ؟

قلت : مهمّ[5] ، ففتح الباب .

فشكوت إليه حالي ، وقلت : هذه خمسون درهماً ، لا أملك غيرها ، خذها ، وأدخلني عليه ، قبل أن يتكاثر النّاس عليه .

فدخل ، فاستأذن لي ، وتلطّف ، إلى أن أوصلني إليه ، وهو يستاك[6] .

فقال : ما جاء بك في هذا الوقت ؟

فدعوت له ، وقلت : بشارة رأيتها البارحة .

فقال : ما هي ؟

فقلت : رأيتك في النوم ، كأنّك تجيء إلى شيراز ، من حضرة الأمير ، وتحتك فرس أشهب عالٍ ، لم ترعيني قط أحسن منه ، وعليك السواد ، وقلنسوة الأمير ، وفي يدك خاتمه ، وحولك مائة ألف إنسان ، ما بين فارس وراجل ، وقد تلقّوك ، وأنا فيهم ، إلى العقبة الفلانية ، وقد لقيك أمير البلد ، فترجّل لك وأنت تجوز ، وطريقك كلّه أخضر ، مزهر بالنور ، والنّاس يقولون : إنّ الأمير ، قد استخلفك على جميعَ أمره .

فقال : خيراً رأيت ، وخيراً يكون ، فما تريد ؟

فشكوت إليه حالي ، وذكرت له أمري .

فقال : أنظر لك بعشرين ألف ، وتؤدّي عشرين ألف درهم .

فحلفت له بأيمان البيعة[7] ، أنّه لم يبق لي إلّا مسكني ، وثمنه شيء يسير ، وبكيت ، وقبّلت يده ، واضطربت بحضرته ، فرحمني ، وكتب إلى الديوان

---

٥ يريد أنّه جاء في أمر مهم .

٦ الاستياك : التدليك بالمسواك ، وهو العود الذي تنظف به الأسنان .

٧ أيمان البيعة : هي الأيمان التي يحلف بها من يبايع بالخلافة ، وهي في العادة أشدّ ما يكون من الأيمان بالله ، وبالطلاق ، وعتق المماليك ، والحجّ ماشياً ، إلى غير ذلك .

بإسقاط ما عليّ ، وانصرفتُ .

فلم تمض إلّا شهور ، حتّى كتب عمرو بن الليث ، إلى عليّ بن المرزبان ، يستدعيه ، ويأمره بحمل ما اجتمع له من المال صحبته .

وكان قد جمع من الأموال ، ما لم يسمع أنّه اجتمع قط لأحد من مال فارس ، مبلغه ستون ألف ألف ، فحملها معه إلى نيسابور [8] ، وخرج عمرو ، فتلقّاه ، وجميع قوّاده .

فأعظم الأموال ، واستخلفه على فارس وأعمالها ، حرباً ، وخراجاً [9] ، وخلع عليه سواداً ، وحمله على فرس أشهب عال ، ودفع إليه خاتمه ، وردّه إلى فارس [١٥٨ ظ] .

فوافى في وقت الرّبيع ، ولم يحل الحول على رؤياي ، وخرج أمير البلد ، يستقبله على ثلاثين فرسخاً ، وخرجتُ فلقيته على العقبة الّتي ذكرتها في المنام الموضوع ، والدنيا على الحقيقة خضراء بأنوار الرّبيع ، وحوله أكثر من مائة ألف فارس وراجل ، وعليه قلنسوة عمرو بن الليث ، وفي يده خاتمه ، وعليه السواد [10] ، فدعوت له .

فلمّا رآني تبسّم ، وأخذ بيدي ، وأحفى بي السؤال ، ثمّ فرّق الجيش بيننا ، فلحقته إلى داره ، فلم أستطع القرب منه لكثرة الدواب ، فانصرفت ، وباكرته في السَحَر .

فقال لي الحاجب : من أنت ؟.

---

٨ نيسابور : عاصمة خراسان ، من أعظم المدن الإسلامية في القرون الوسطى ، مسقط رأس عمر الخيام وفريد الدين العطّار (المنجد) ، وكانت مرو مستقرّ ولاة خراسان ، إلى أن تحوّل عنها عبد الله بن طاهر إلى نيسابور ، فجعلها دار قراره (لطائف المعارف ٢٠١) .

٩ تولّى الحرب والخراج ، يعني أنه أصبح الأمير المطلق على البلد ، إليه الإدارة والجباية .

١٠ السواد : شعار العبّاسيّين ، اتّخذوه شعاراً لهم ضدّ الأمويّين الذين كان شعارهم البياض ، وقوله هنا : عليه السواد ، يعني أنّه وافى وعليه الخلع .

فقلت : عباد بن الحريش ، فأدخلني عليه ، وهو يستاك .

فضحك إليّ ، وقال : قد صحّت رؤياك .

فقلت : الحمد لله .

فقال : لا تبرح من الدّار حتّى أنظر في أمرك .

وكان بارّاً بأهله ، ورسمه إذا ولي عملاً ، أن لا ينظر في شيء من أمر نفسه ، حتّى ينظر في أمر أهله ، فيصرّف من صلح منهم للتصرّف ، فإذا فرغ ، عدل إلى الأخصّ ، فالأخصّ من حاشيته ، فإذا فرغ من ذلك ، نظر في أمر نفسه .

فجلست في الدّار إلى العصر ، وهو ينظر في أمر أهله ، والتوقيعات تخرج بالصلات والأرزاق ، وكتب التقليدات ، إلى أن صاح الحاجب : عباد بن الحريش ، فقمت إليه ، فأدخلني عليه .

فقال : إنّي ما نظرت في أمر أحد غير أهلي ، فلمّا فرغتُ منهم ، بدأت [١٣٢ ر] بك قبل النّاس كلّهم ، فاحتكم ما تريد ؟ .

فقلت : ترد عليّ ما أخذت منّي ، وتولّيني العمل الّذي كان بيدي .

فوقّع لي بذلك ، وقال : امض ، فقد أوغرت لك العمل ، فخذ ارتفاعه كلّه[١١] .

فكان يستدعيني كلّ مدة ، ولا يأخذ منّي شيئاً ، وإنّما يكتب لي روزات[١٢] من مال العمل ، ويصلح لي حسبانات يخلّدها الديوان ، فأرجع إلى العمل .

فكنت على ذلك إلى أن زالت أيّامه ، فرجعت إلى شيراز وقد اجتمع لي مال عظيم ، صودرت على بعضه ، وجلست في بيتي ، وعقدت نعمة ضخمة ، ولم أتصرّف[١٣] إلى الآن[١٤] .

---

١١ أوغر له العمل ، يعني أنّه أباح له أن يستولي على أصل الارتفاع .

١٢ الروزات : الوصولات .

١٣ التصريف : التولية ، وهو ما نسميه الآن التعيين في الوظيفة ، والصرف : العزل .

١٤ وردت القصّة في نشوار المحاضرة برقم ١٠٧/٨ ولم ترد في م ولا في غ ولا هـ .

٢٥٩
شرّ السلطان يدفع بالساعات

حدّثني ابن أبي علّان[1] ، وقد جرى حديث السلطان ، وأنّ شرّه يدفع بالساعات ، قال :

ورد علينا أبو يوسف البريدي[2] ، كاتب السيدة[3] ، يطالبني ، أنا وأبا يحيى الرامهرمزي[4] ، أن نضمن منه ضياع السيدة ، وشدّد علينا ، ونحن ممتنعون .

---

١ أبو القاسم عبد الله بن محمد بن مهرويه المعروف بابن أبي علان الأهوازيّ (٣٢١–٤٠٩) : ترجم له صاحب المنتظم ٢٩٠/٧ وقال عنه إنّه كان يؤدّي خراج ضياعه بالأهواز تسعين ألف دينار ، راجع أخباره في القصص ١١٩/١ و ١٢٠/١ من نشوار المحاضرة .

٢ آل البريدي : إخوة ثلاثة ، أرهجوا الدنيا ، وأخربوا العراق والبلاد المجاورة له ، وكانوا اشدّ على العراق من ألدّ أعدائه ، عاثوا فيه عيثاً شنيعاً ، وأخربوا الأهواز ، وواسط ، والبصرة ، وبغداد ، بظلمهم ، وفساد جبايتهم ، وتعذيبهم الناس في سبيل الحصول على المال ، حتى إنّهم كانوا ينعلونهم بنعال الدوابّ ، وقد كانوا أوّل أمرهم من صغار الكتّاب ، وكان كبيرهم أبو عبد الله أحمد بن محمد البريدي يضمن الضياع الخاصّة ، ويقيم أخاه أبا يوسف يعقوب بن محمّد فيها ، كما كان أبو يوسف يتولّى خراج رامهرمز ، ولما ولي ابن مقلة الوزارة ، رشاه البريدي الكبير بعشرين ألف دينار ، فولّاه الأهواز ، وولّى أخويه أبا يوسف وأبا الحسين علي بن محمد مناصب جليلة ، وبقي البريديّون بين نصب وعزل ومصادرات تتخلّلها حروب ومؤامرات ، حتى وزر أوّلهم أبو عبد الله للمتّقي سنة ٣٢٩ وشغب عليه الجند ، ففرّ إلى واسط ، وفي السنة ٣٣٠ وزّر ثانية ، وأصعد إلى بغداد ، واستولى عليها ، وصادر الخليفة على خمسمائة ألف دينار ، ونهب أصحابه بغداد ، وكبسوا الدور ، وأخرجوا أهلها منها ، وفرضوا على الناس فرائض فاحشة ، وأخذوا القويّ بالضعيف ، وكبسوا منازل الناس ليلاً ونهاراً ، وعسفوا أهل العراق ، وظلموهم ظلماً لم يسمع بمثله قط ، وكانت إدارة الأمور المالية ، إلى أبي يوسف يعقوب ، فنقم عليه أبو عبد الله ، واتّهمه باحتجان المال لنفسه ، فقتله في السنة ٣٣٢ ، ومات بعده بأشهر (القصّة ١٢٢/٧ من نشوار المحاضرة ، تجارب الأمم ٥٨/١ ، ١٥٢ و١٥٨ ، ٢٤٧–٢٥٠ ، ٣٥٨ و١٤/٢ و٥١ ، ٥٣ ، ٥٨ ، ٧٨) .

٣ السيّدة : لقب أمّ المقتدر ، واسمها شغب ، ترجمتها في حاشية القصّة ١٦١ من الكتاب .

٤ أبو يحيى الرامهرمزي ، زكريا بن محمد بن زكريا : نقل عنه القاضي التنوخي القصّة ٨٢/٢ من كتاب نشوار المحاضرة .

إلى أن أخلى لنا مجلسه يوم خميس ، وناظرنا مناظرة طويلة ، وشدّد علينا ، حتّى كدنا أن نجيبه ، وكان علينا في ذلك ضرر كبير ، وخسران ظاهر ، لو أجبناه .

فقلت لأبي يحيي : اجتهد أن تدفع المجلس اليوم ، لنفكّر إذا انصرفنا ، كيف نعمل .

وكان أبو يوسف محدّثاً طيّب الحديث ، فجرّه أبو يحيي إلى المحادثة ، وسكت له يستمع .

وكانت عادة أبي يوسف في كلامه ، أن يقول في كلّ قطعة من حديثه : أفهمت ؟ فكان كلّما قال ذلك لأبي يحيي ، قال له : لا ، فأعاد أبو يوسف الحديث ، ويخرج منه إلى حديث آخر .

فلم يزل كذلك إلى أن حميت الشمس ، وقربت من موضعنا ، فرجع أبو يوسف إلى ذكر الضمان ، وطالبنا بالعقد .

فقلت : إنّه قد حمي الوقت ، وهذا لا يتقرّر في ساعة ، ولكن نعود غداً ، ورفقنا به ، فقال : انصرفا ، فانصرفنا .

واستدعانا من غدٍ ، فكتبنا إليه : هذا يوم جمعة ، يوم ضيق ، ويحتاج فيه إلى دخول الحمّام ، والصلاة ، وقلّ أمر يتمّ قبل الصلاة ، ولكنّا نبكّر يوم السبت .

فلمّا كان يوم السبت ، صرنا إليه ، وقد وضعنا في أنفسنا الإجابة ، فحين دخلنا عليه ، ورد عليه كتاب فقرأه ، وشغل قلبه ، فقال : انصرفا اليوم .

فانصرفنا ، ورحل من الغد عن الأهواز ، لأنّ الكتاب ، كان يتضمّن صرفه ، فبادر قبل ورود الصارف ، وكفينا أمره[٥] .

٥ وردت القصّة في نشوار المحاضرة ١١٧/٨ ولم ترد في م ولا في غ ولا هـ .

٢٦٠
كيفيّة إغراء العمّال بأخذ المرافق

وقال[1] : ورد علينا في وقت من الأوقات ، بعض العمّال [١٥٩ ظ] متقلّداً للأهواز ،من قبل السلطان ، فتتبّع رسومنا[2] ، ورام نقض شيء منها .

فكنت أنا وجماعة من التنّاء في المطالبة ، وكان فيها ذهاب غلّاتنا في تلك السنة ، لو تمّ علينا ، وذهاب أكثر قيمة ضياعنا .

فقال لي الجماعة : ليس لنا غيرك ، تخلو به ، وتبذل له مرفقاً ، وتكفيناه .

فجئته ، وخلوتُ به ، وبذلت له مرفقاً جليلاً ، فلم يقبله ، ودخلت عليه بالكلام من غير وجه ، فما لانَ ، ولا أجابَ .

فلمّا يئست منه ، وكدت أن أقوم ، قلت له : يا هذا الرّجل ، أنت مقيم من هذا الأمر ، على خطأ شديد ، لأنّك تظلمنا ، وتزيل رسومنا ، من حيث لا يحمدك السلطان ، ولا تنتفع أنت أيضاً بذاك .

ومع هذا فأخبرني ، هل تأمن أن تكون قد صُرِفْتَ ، وكتاب صرفك في الطّريق ، يرد عليك بعد يومين أو ثلاثة ، فتكون قد أهلكتنا ، وأثمت في أمورنا ، وفاتك هذا المرفق الجليل ، ولعلّنا نحن نكفى ، ويجيء غيرك ، فلا يطالبنا ، أو يطالبنا فنبذل له نحن هذا المرفق ، فيقبله ، ويكون الضرر يدخل عليك .

فحين سمع هذا وافق ، كأنّه قد علم من أمره ضعفاً ببغداد ، وتلوّناً ،

---

١ الراوي : أبو القاسم عبد الله بن محمّد بن مهرويه الأهوازي ، المعروف بابن أبي علان ، قال عنه القاضي التنوخي صاحب كتاب الفرج بعد الشدّة : إنّه خال والده ، راجع القصّة ١٨٩/١ من نشوار المحاضرة .

٢ الرسوم ، ومفردها رسم : كلّ تصرّف استمرّ ، وأصبح في حكم المقرّر ، كالتصرّف الحاصل في كيفيّة احتساب الضرائب ، وفي كيفيّة استيفائها .

وأنّي قد أحسست بانحلال أمره ، وأنّ لي ببغداد من يكاتبني بالأخبار .

فأخذ يخاطبني مخاطبة من [أين] وقع إليّ هذا ، فقوّيته في نفسه ، فأجاب إلى أخذ المرفق ، وإزالة المطالبة .

فسلّمت إليه رقاعاً إلى الصيارف بالمال ، وأخذت منه حجّة بزوال المطالبة ، فانصرفت وقد بلغتُ ما أردت .

فلمّا كان بعد خمسة أيّام ، ورد عليه كتاب الصرف ، فدخلت إليه ، فأخذ يشكرني ويخبرني بما ورد عليه ، فأوهمته أنّي كنت قلت له ذلك عن أصل ، وكفيناه[٣] .

---

٣ وردت القصّة في نشوار المحاضرة ١١٨/٨ ولم ترد في م ولا في غ ولا هـ .

٢٦١
الصوفي المتوكّل وجام فالوذج حار

حدّثني ابن سيّار[1] ، عن شيخ من الصوفية ، قال :

صحبتُ شيخاً من الصوفيّة ، وجماعة منهم ، في سفر ، فجرى ذكر التوكّل ، والأرزاق ، وضعف النفس .

فقال ذلك الشيخ : عليّ ، وعليّ ، وحلف بأيمان مغلّظة ، لا ذقتُ شيئاً ، أو يبعث الله عزّ وجلّ ، إليّ ، جام فالوذج[2] حار ، ولا آكله إلّا بعد أن يحلف عليّ ، أو يجرى عليّ مكروه ، وكنّا نمشي في الصحراء .

فقالت الجماعة : أنت جاهل ، ونحن نمشي ، حتّى انتهينا إلى القرية ، وقد مضى عليه يومان وليلتان ، ولم يطعم شيئاً ، ففارقته الجماعة ، غيري .

فطرح نفسه في مسجد في القرية ، وقد ضعفت قوّته ، وأشرف على الموت ، فأقمت عنده .

فلمّا كان في ليلة اليوم الثالث ، وقد انتصف اللّيل ، وكاد يتلف ، دقّ علينا باب المسجد ، ففتحتُهُ ، فإذا بجارية سوداء ومعها طبق مغطّى ، فلمّا رأتنا ، قالت : أنتم من أهل القرية ، أم غرباء ؟.

---

١ في القصّة ٣/٥٤ من نشوار المحاضرة : حدّثني محمد بن هلال بن عبد الله ، قال : حدّثنا القاضي أحمد بن سيّار ، قال : حدّثني رجل من الصوفيّة ، قال ... الخ .

٢ الفالوذج : حلوى تعمل من الدقيق والعسل والماء ، فارسيّة : بالوده (الألفاظ الفارسيّة المعربّة ١٢٠) أقول : هذه الحلوى ما زالت تؤكل في بغداد وتسمّى (پالوته) بالباء المثلثّة وكانت تؤكل حارّة ، أمّا اليوم فتؤكل في بغداد حارّة وباردة ، وذكر أنّه قدّم فالوذج حار إلى مائدة عليها أبو هفّان ، وأبو العيناء ، فقال أبو هفّان لأبي العيناء : هذه أحرّ من مكانك في جهنّم ، فقال أبو العيناء : إن كانت حارّة ، فبرّدها بشعرك (مطالع البدور ٢/٨٠) وأتى أعرابي بفالوذج ، فأكل منه ، فقيل له : تعرف ما هذا ؟ فقال : هذا – وأبيك – السراط المستقيم (مطالع البدور ٢/٨٠) .

فقلنا : غرباء .

فكشفت عن جام[3] فالوذج حار .

فقالت : كلوا .

فقلت له : كل .

فقال : لا أفعل .

فقلت : والله ، لا أكلتُ أو تأكل ، ووالله لتأكلنّ ، لأبرّ قسمه .

فقال : لا أفعل .

فشالت الجارية يدها ، فصفعته صفعة عظيمة ، وقالت : والله ، لئن لم تأكل ، لأصفعنّك هكذا ، إلى [١٣٣ ر] أن تأكل .

فقال : كل معي ، فأكلت معه ، فنظّفنا الجام .

فلمّا أخذته لتمضي ، قلت لها : بالله ، حدّثينا بخبر هذا الجام .

قالت : نعم ، أنا جارية رئيس هذه القرية ، وهو رجل حديد ، طلب منّا منذ ساعة ، فالوذج حار ، فقمنا لنصلحه ، وهو شتاء وبرد ، فإلى أن نخرج الحوائج ، ونعقد الفالوذج ، تأخّر عليه ، فطلبه ، فقلنا : نعم ، فحلف بالطلاق ، أنّه لا يأكله ، ولا أحد من أهل داره ، ولا أحد من أهل القرية ، إلّا غريب .

فأخذته ، وجعلت أدور في المساجد ، إلى أن وجدتكما ، ولو لم يأكل هذا الشيخ ، لقتلته صفعاً ، ولا تطلّق ستّي .

فقال لي الشيخ : كيف ترى ، إذا أراد أن يفرّج[4] ؟.

---

٣ الجام : فارسيّة : الكأس ، أو الصحن العميق من الزجاج .

٤ وردت القصّة في كتاب نشوار المحاضرة للتنوخي برقم ٥٤/٣ ولم ترد في م ولا في غ ولا هـ .

٢٦٢
سخاء الأمير سيف الدولة

وحدّثني عبد الله بن معروف[١] ، قال : [١٦٠ ظ]

دخلت حلب إلى أبي محمّد الصلحي[٢] ، وأبي الحسن المغربي[٣] ، أسلّم عليهما ، وكانا في صحبة سيف الدولة[٤] ، [وهما في دار واحدة نازلان لضيق الدّور][٥] .

وكان وكيل كلّ واحد منهما يبكّر فيقيم لهما جميع ما يحتاجان إليه من المائدة[٦] والوظائف[٧] ، فإذا كان من الغد ، بكّر وكيل الآخر ، فأقام لهما ، ولغلمانهما ، من المائدة والوظائف ما يحتاجون إليه على هذا .

فلمّا دخلت إليهما ، وجلست ، دخل شيخ ضرير ، فسلّم ، وجلس ، ثمّ قال : إنّ لي بالأمير سيف الدولة ، حرمة واختصاص ، أيّام مقامه بالموصل ، وقد لحقتني محن وشدائد ، أمّلته لكشفها ، وقد قصدته ، وهذه رقعتي إليه ،

---

١ أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن معروف : أخو القاضي أبو محمد عبيدالله بن أحمد بن معروف ، كان أبو القاسم من ندماء سيف الدولة ، وكان أثيراً لديه ، نقل عنه القاضي التنوخي قصصاً أودعها في نشوار المحاضرة ٣/١٢٠ و ٣/١٢١ وفي هذا الكتاب .

٢ أبو محمد الحسن بن محمد الصلحيّ الكاتب : ترجمته في حاشية القصّة ٢٠٧ من هذا الكتاب .

٣ في الأصل : أبي القاسم ، والصحيح ما أثبتناه ، وهو أبو الحسن علي بن الحسن المغربي الكاتب ، كان من أصحاب الأمير سيف الدولة الحمدانيّ ، وخواصّه ، واستوزره سعد الدولة ولده ، ثم رحل إلى مصر ، وخدم الفاطميّين ، قتله الحاكم سنة ٤٠٠ (الأعلام ٥/٨٨) .

٤ الأمير سيف الدولة أبو الحسن علي بن عبد الله الحمداني : ترجمته في حاشية القصّة ٢٠٢ من هذا الكتـــاب .

٥ الزيادة من نشوار المحاضرة رقم القصّة ٣/١٢١ ج ٣ ص ١٧٨ .

٦ في نشوار المحاضرة ٣/١٢١ : من المادة .

٧ الوظائف ، مفردها وظيفة : ما يخصّص لكلّ شخص من الخبز واللحم والفاكهة في كلّ يوم .

فإن رأيتما أن تتفضّلا بإيصالها إليه ، فعلتما ، وأخرج رقعة طويلة جدّاً .

فلمّا رأياها ، قالا له : هذه عظيمة ، ولا ينشط الأمير لقراءتها ، فغيّرها ، واختصرها ، وعد في وقت آخر ، فإنّا نعرضها عليه .

فقال : الّذي أحبّ ، أن تتفضّلا بعرض هذه الرّقعة .

فدافعاه عن ذلك ، فقام يجرّ رجليه ، منكسر القلب ، فتداخلتني رحمة له ، وركبتُ ، ودخلت على سيف الدولة ، وهو جالس .

وكان رسمه أن لا يصل إليه أحد ، إلّا برقعة يكتبها الحاجب ، باسم من حضر ، فإذا قرأ الرّقعة ، إن شاء أذن له ، وإن شاء صرفه .

فلمّا استقررت عرض الحاجب عليه رقعة فيها : فلان بن فلان ، الموصليّ الضرير .

فقال له : هذا في الدنيا ؟ أين هو ؟.

فقيل : بالباب .

فقال : يدخل ، فما أظنّه – مع ما أعرفه من زهده في الطلب ، وقصد الملوك – قصدنا إلّا من شدّة ، فدخل الشيخ الّذي رأيته عند الصلحي والمغربي .

فلمّا رآه استدناه ، وبشّ له ، وقال له : يا هذا ، أما سمعت بأنّا في الدنيا ؟ أما علمت مكاننا على وجه الأرض ؟ أما حان لك أن تزورنا إلى الآن ، مع ما لك بنا من الحرمة والسبب الوكيد ؟ لقد أسأتَ إلى نفسك ، وأسأتَ الظنّ بنا .

فجعل يدعو له ، ويشكره ، ويعتذر ، فقرّبه ، وجلس ساعة ، ثمّ سلّم إليه تلك الرقعة بعينها ، فأخذها من يده ، وقرأها .

ثمّ استدعي يونس بن بابا ، وكان خازنه ، فحضر ، فأسرّ إليه شيئاً .

ثمّ استدعى رئيس الفراشين ، فخاطبه سرًّا .

واستدعى خادماً له ، فخاطبه بشيء .

واستدعى صاحب الإصطبل ، فأمره بشيءٍ ، فانصرفت الجماعة .

وعاد ابن بابا ، فوضع بين يديه صرّتين فيهما خمسمائة دينار ، وثياباً كثيرة صحاحاً ، من ثياب الشتاء والصّيف ، وطيباً كثيراً .

ثمّ جاء عريف الفرّاشين ببسط وآلة وفرش تساوي ألوف دراهم ، فصار ذلك كالتلّ بين يديه .

وكان يعجبه إذا أمر لإنسانٍ بشيءٍ أن يكون بحضرته مجتمعاً ، فيراه بين يديه ، ثمّ يهبه له .

فاجتمع ذلك ، والضرير لا يعلم ، وعنده أنّه قد تغافل عنه ، فهو في الرّيب .

ثمّ حضر [١٣٤ ر] صاحب الكراع ، ومعه بغلة تساوي ثلاثة آلاف درهم ، ومركب ثقيل .

وجاء غلام أسود عليه ثيابٌ جدد ، فسلّمت إليه البغلة ، فأمسكها في الميدان أسفل الدكة الّتي عليها الأمير .

فقال للغلام : كم جرايتك في السنة ؟.

قال : عشرون ديناراً .

فقال : قد جعلتها ثلاثين ، وخدمة هذا الشيخ خدمة لنا ، فلا تقصّر فيها ، ولا ينكسر قلبك بخروجك عنّا من دارنا ، وأعطوه سلفاً لسنة ، فدفع إليه ذلك في الحال .

ثمّ قال : فرّغوا الدّار الفلانية ، له ، ويحدر زورقٌ من تل فافان[٨] إلى الموصل ، فيه كرّان حنطة ، وكرّ شعير ، وفواكه الشام ومآكلها ، فاعملوا بهذا ثبتاً[٩] ، ففعل ذلك .

٨ فافان : موضع على دجلة ، تحت ميافارقين ، يصب عنده في دجلة وادي الرزم (معجم البلدان ٣/٨٤٥ ومراصد الاطلاع ٣/١٠١٥) .

٩ الثبت : القائمة التي تسجّل فيها الأشياء .

ثمّ استدعى أبا إسحاق بن شهرام[10] ، كاتبه ، [المعروف بابن ظلوم المغنّية ، وكان يكتب له ، ويترسّل إلى ملك الرّوم ، ويبعثه في صغير أموره وكبيرها][11] فسارّه بشيء ، وكان صاحب سرّه .

فابتدأ ابن شهرام يعتذر إلى الضرير ، عن سيف الدّولة ، باعتذار طويل ، وأنّك قصدتنا في آخر [١٦١ ظ] وقت ، وقد نفدت غلّاتنا [وتقسّمت أموالنا الحقوق ، والزوّار ، والجيوش ، وببابنا خلق من الرؤساء ، ونحتاج أن نواسيهم][11] ، ولولا ذلك لأوفينا على أملك ، وقد أمرنا لك بكذا وكذا ، وجعل ابن شهرام يقرأ عليه ما في الثبت ، وسيف الدولة يسمع .

فقلت له : لا تورد على الشيخ هذه الجائزة جملة ، عقيب اليأس الّذي لحقه ، فتنشقّ مرارته .

فلمّا استوفى ، بكى الشيخ بكاءً شديداً ، وقال : أيّها الأمير ، لقد زدت – والله – على أملي بطبقات ، وأوفيت على غناي بدرجات ، وقضيت حقّي ، وما هو أعظم من حقّي ، وما أحسن أن أشكرك ، ولكنّ الله تعالى ، يتولّى مكافأتك ، فمنّ عليّ بتقبيل يدك ، فأذن له ، فقبّلها .

فجذبه سيف الدولة ، وسارّه بشيء ، فضحك ، وقال : إي والله ، أيّها الامير .

فاستدعى خادماً للحرم ، وسارّه بشيء ، وقام الشيخ إلى داره الّتي أخلاها له ، وقال له : أقم فيها إلى أن أنظر في أمرك ، وتخرج إلى عيالك .

فسألتُ الخادم عمّا سارّه به ، فقال : أمرني أن أخرج إليه جارية ، من وصائف أخته ، في نهاية الحسن ، في ثياب وآلة قيمتها عشرة آلاف درهم ، قال : فحملتها إليه .

---

١٠ أبو إسحاق محمد بن عبد الله بن محمد بن شهرام : كاتب سيف الدّولة ، وسفيره إلى ملك الروم ، نقل عنه صاحب تاريخ الحكماء في الصحيفة ٣١ إنّه في إحدى سفاراته إلى ملك الروم ، اطّلع في موضع عندهم على كثير من الكتب والآلات .

١١ الزيادة من القصة ١٢١/٣ من كتاب نشوار المحاضرة للقاضي التنوخي .

قال ابن معروف : فقمت قائماً ، وقلت : أيّها الأمير ، ما سمع بهذا الفعل عن أحد من أهل الأرض قديماً ، ولا حديثاً .

فقال : دعني من هذا ، ما معنى قولك لابن شهرام ، لا تورد عليه هذا كلّه مع اليأس ، فتنشقّ مرارته ؟.

فقلت : نعم ، كنت منذ ساعة عند أبي محمّد الصلحي وأبي الحسن المغربي ، فجرى كذا وكذا ، وقصصت عليه قصّة الضرير معهما ، وأنّه انصرف أخزى منصرف ، ثمّ جاء بعد اليأس ، فعاملته بهذا الفعل العظيم .

فقال : أحضروا الصلحي والمغربي ، فأحضرا .

فقال لهما : ويحكما ، ألم أحسن إليكما ؟ وأنوّه باسمكما ؟ ، وأرفع منكما ؟ ، وأصطنعكما ؟ وعدّد أياديه عليهما .

فقالا : بلى ، وأخذا يشكرانه .

فقال : ما أريد هذا ، أفمن حقّي عليكما ، أن تقطعا عنّي رجاء مؤمليّ وقاصديّ ، وتنسباني عندهم إلى الضجر برقاعهم ؟ ما كان عليكما لو أخذتما رقعة الضرير ، فأوصلتماها اليّ ؟ فإن جرى على يدي شيء ، كنتما شريكاي فيه ، وإن ضجرت ، كان الضجر منسوباً إليّ دونكما ، وكنتما بريئين منه ، وقد قضيتما حقّ قصده ، فلا حقّه قضيتما ، ولا حقّ الله فيما أخذه على ذوي الجاه ، وأسرف في توبيخهما ، كأنّهما قد أذنبا ذنباً .

فجعلا يعتذران إليه ، ويقولان : ما أردنا إلّا التخفيف عنه من قراءة شيء طويل ، لينقلها إلى أخفّ منها ، ولو علمنا أنّه أيس ، لأخذنا رقعته وعرضناها .

فدعت الجماعة له ، وحلفت أنّ هذا التأنيب في الجود ، أحسن من الجود ، ورفقوا به حتّى انبسط في الحديث[١٢] .

---

١٢ لم ترد هذه القصّة في م ولا في غ ولا هـ .

٢٦٣
ألمعيّة المأمون وذكاؤه

قال : دعا المأمون يوماً بأبي عبّاد[1] ، فدفع إليه كتاباً مختوماً ، وأمره أن يأتي عمرو بن مسعدة[2] ، فيناظره على ما فيه باباً ، باباً ، ويأخذ تحت كلّ باب خطّه فيه ، ويختمه بخاتمه ، وخاتم عمرو ، ويحتفظ به إلى أن يسأله عنه ، ولا يذكره ابتداءً ، وأكّد على ذلك .

قال : فعلمت أنّها وقيعة[3] ، وقد كنت شاركت عمراً في أشياء ، فصارت إلينا منها أموال ، فخفت أن تكون مذكورة في الكتاب .

فقصدت عمراً ، فوجدته في بستان أحمد بن يوسف[4] ، يلعب بالشطرنج[5] مع بعض أصحابه ، فعرّفته أنّي محتاج إلى الخلوة معه .

فقال : دعني الساعة ، فقد استوى لي هذا الدست .

---

١ أبو عبّاد ثابت بن يحيى بن يسار : وزير المأمون ، كان كاتباً ، حاسباً ، وكان أهوج ، شديد الحدّة ، سريع الغضب ، أنظر أخباره في الفخري ٢٢٦ وفي الهفوات النادرة ٢٤٦—٢٥٠ وفي الملح والنوادر ٢٩٧ وكان إذا غضب رمى من يكون بين يديه بدواته ، أو شتمه فأفحش ، قال فيه دعبل :

أولى الأمور بضيعةٍ وفساد ... أمر يدبّره ، أبو عبّاد
يسطو على كتّابه بدواته ... فمضمّخ بدمٍ ونضح مداد
وكأنّه من دير هِزْقِلَ مفلتٌ ... حردٌ يجرّ سلاسل الأقياد

٢ أبو الفضل عمرو بن مسعدة الصولي : وزير المأمون ، ترجمته في حاشية القصّة ١١٣ من هذا الكتاب .

٣ الوقيعة : الغيبة والوشاية .

٤ أحمد بن يوسف بن القاسم بن صبيح العجلي الكاتب : كوفيّ ، من كبار الكتّاب ، ولّي ديوان الرسائل للمأمون ، ثم استوزره بعد وفاة أحمد بن أبي خالد الأحول ، وكان فصيحاً ، شاعراً ، حسن البديهة ، توفّي ببغداد سنة ٢١٣ (الأعلام ١/٢٥٧) .

٥ الشطرنج : راجع البحث في آخر القصّة .

فضاق صدري ، وقلبت الشطرنج ، وقلت : قد سال السّيل ، وهلكنا وأنت غافل ، [إقرأ] هذا الكتاب ، فقرأه ، فطالبته أن يكتب خطّه ، تحت كلّ فصل منه ، بحجّته .

فضحك ، وقال : ويحك ، أما تستحي ، تخدم رجلاً طول هذه المدّة ، ولا تعرف أخلاقه ، ولا مذهبه ؟ .

فقلت : يا هذا ، أخبرني عنك ، إن أقدمتَ على جحد ما في هذا الكتاب ، لتعذّر حجّة ما شاركتك فيه ، أمّا أنا فوالله ما [١٦٢ ظ] أجحدُ ، ولكن أصبر لأمر الله تعالى .

قال : فتحبّ أن اطلعك على ما هو أشدّ عليك من هذا ؟.

قلت : وما هو ؟.

فقال : كتاب دفعه إليّ أمير المؤمنين منذ سنة ، وأمرني فيه بمثل ما أمرك في هذا ، فعرفت ضيق صدرك ، فلم أذكره لك .

فكدتَ أموت إلى أن فرغ من كلامه ، فقلت له : أرني ايّاه ، فأحضره ، وقرأته ، وأنا أنتفض ، وعمرو يضحك .

فلمّا فرغت منه ، قلت : عند الله أحتسب نفسي ونعمتي .

فقال : أنتَ والله مَجنون .

فقلت : دعنا من هذا ، ووقّع تحت كلّ فصل .

فنظر إلى جملة ما نسب إليه في الكتاب ، فوجده أربعين ألف ألف درهم ، فوقّع في آخره : لو قصرت همّتنا في هذا القدر وأضعافه ، لوسعتنا منازلنا ، وما يلي هذا ، بدجلة في بردٍ ، أو روحةٍ في حرٍّ ، وأرجو أن يطيل الله بقاء أمير المؤمنين ، ويبلغنا فيه ما نؤمّله به ، وعلى يده .

وكان جملة ما رفع عليّ ، سبعة وعشرون ألف ألف درهم .

فقال : يا هذا ، إنّ صاحبنا ليس ببخيل ، ولكنّه رجل يكره أن يطوى

معروفه ، وإنّما أراد أن يعلمنا أنّه قد علم بما صار إلينا ، فأَمْسَكَ عنه على علم .

ثمّ ختم الكتاب بخاتمه ، وخاتمي ، وانصرفت وأنا في الموت ، فلم ألبث أن كتبت وصيّتي ، وأحكمت أمري ، وكنت سنة مغموماً ، وذاب جسمي .

فقال لي المأمون يوماً : يا أبا عبّاد ، قد أنكرتِ حالك ، أتشكو علّة ؟

فقلت : لا ، يا أمير المؤمنين ، ولكنّي منذ سنة ، حيّ كميت ، لأجل الكتاب الّذي دفعه إليّ أمير المؤمنين ، لأناظر عليه عمرو بن مسعدة .

فقال : أمسك عنّي ، حتّى أعيد عليك جميع ما جرى بينكما ، فحدّثني بجميع ما دار بيننا ، كأنّه كان ثالثنا .

فقلت : لقد استقصى لك الّذي وكّلته بخبرنا ، والله ، ما خرم منه حرفاً[٦] .

فقال : والله ، ما وكّلت بكما أحداً ، ولكن ظنّاً ظننته ، وعلمت أنّه لا يدور بينكما غيره ، ولقد عجبتَ من غير عجب ، لأنَّ عقول الرجال يدرك بعضها بعضاً ، وهذا عمرو بن مسعدة ، أعرف بنا منك ، وأوسع صدراً ، وأبعد همّة ، وما أردتُ بما فعلتُ ، إلّا أن تعلما أنّي قد عرفت ما صار إليكما ، وتستكثرانه ، فأحببت أن أزيل عنكما غمّ المساترة ، وثقل المراقبة ، وأنّي لمتذمّم لكما ، خجل من ضعف أثري عليكما .

فسررت ، وصرت كأنّي أطلقت من عقال ، فشكرته ودعوت له .

ثمّ قلت : ما أصنع بذلك الكتاب ؟.

قال : خرّقه إلى لعنة الله ، وامض مصاحباً ، آمناً ، في ستر الله عزّ وجلّ[٧] .

---

٦ ما خرم منه حرفاً : ما نقص منه حرفاً .

٧ لم ترد هذه القصّة في م ولا في غ ولا هـ .

الشطرنج

الشطرنج : لعبة مشهورة ، تشحذ اللبّ ، وتدرّب على الفكر . وتعلّم شدّة البصيرة ، وهي معرّب : شطرنك ، بالفارسيّة ، أي ستّة ألوان ، لأنّ القطع في اللعب هي ستّ ، وهي : الشاه . والفرزان (ويسمى في بغداد الوزير أو الفرز) ، والفيل . والفرس ، والرخّ . والبيدق .

وقد اختلف المؤرّخون فيمن وضع الشطرنج ، فاليونان ينسبونه إلى يوناني ، والهنود ينسبونه إلى هندي ، والفرس إلى فارسي ، ويروى أنّ ملوك الهند كانوا إذا تنازعوا على كورة أو مملكة ، لعبوا الشطرنج ، فيأخذها الغالب من دون قتال .

وكانت لعبة الشطرنج في العصور الوسطى ، لعبة الأشراف ، في الشرق والغرب ، وقد جاء في التاريخ ، أنّ هارون الرشيد أهدى إلى شارلمان رقعة شطرنج ، وكان المأمون يحبّ لعب الشطرنج حبّاً شديداً ، ويقول إنّه يشحذ الذهن (تاريخ الخلفاء ٣٢٤) .

ومن الذين اشتهروا بإتقان لعب الشطرنج أبو بكر الصولي ، وقد أعجب به من الخلفاء المكتفي ، والراضي ، وأصبح مضرب المثل في الشطرنج ، وكان لفرط إتقانه ، يلاعب بالشطرنج ، وهو مستدبر الرقعة ، راجع ما قاله فيه ابن الروميّ في الغيث المسجم ٢ / ٥٠ و ٥١ . وكذلك كان سعيد بن جبير ، أحد أعلام التابعين ، يلعب الشطرنج إستدباراً (وفيات الأعيان ٢ / ٣٧٤) .

وللعبة الشطرنج اليوم ببغداد سوق رائجة ، ولها هواة كثيرون ، وأحذق من شاهدت من البغداديين فيها ، القاضي محمود خالص ، الذي كان رئيساً لمحكمة التمييز في العراق ، وهو شخص نادر المثال في الفضل والخلق الكريم ، جامع لجميع الصفات الحسنة ، وقد تعدّت شهرته في لعب الشطرنج حدود العراق ، فكان زوّار العراق ، من علية القوم ، يجتمعون به ، ويلعبون معه الشطرنج .

ومن لطيف الإشارات إلى لعب الشطرنج قول الخبّاز البلدي ، في فتية أسكرتهم الخمر [الديارات ١٨٤، ١٨٥] :

مشوا إلى الراح مشي الرخ وانصرفوا   والراح تمشي بهم مشي الفرازين

وسئل أبو الطيّب الصعلوكي (ت ٤٠٤) عن الشطرنج ، فقال : إذا سلم المال من

الخسران ، والصلاة من النسيان ، فذاك أنس بين الإخوان (شذرات الذهب ١٧٣/٣) وخالفه في ذلك ابن تيميّة (ت ٧٢٨) فقال : اللعب بالنرد خير من اللعب بالشطرنج ، لأنّ لاعب النرد يعترف بالقضاء والقدر ، والشطرنج لاعبه ينفي ذلك (الغيث المسجم ٥٢/٢) .

وحكي أنّ بعضهم كان إذا لعب الشطرنج ، تضارب مع خصمه ، فوصف أمره لبعض الظرفاء ، فقال : أنا التزم ألعب معه ، وما تحصل بيننا مضاربة ، ولعبا ، فقال له أثناء اللعب : شاه أستر ، فقال له : أنت قوّاد ، فتعجّب منه ، وقال : يا أخي ، ما الذي قلت لك حتى تغضب ؟ فقال : قلت : أستر ، وتصحيفها : أشتر ، وهي بالفارسية ، تعني الجمل ، وتصحيف الجمل ، حمل ، والحمل نجم في السماء ، يقارنه الجدي ، والجدي الكبش ، والكبش له قرون ، وذو القرون هو القوّاد ، فقال له : يا أخي ، ما رأيت أحداً قبلك يخاصم ويضارب بتصحيف وتفسير (تحفة المجالس ٣٤٥) .

وجاء في مطالع البدور ٧٧/١ : سأل بعض الأكابر إنساناً : هل تعرف اللعب بالشطرنج ؟ ، فقال : لا والله يا مولانا ، ولكن لي أخ اسمه عزّ الدولة ، وهو أخي لأمّي ، أكبر مني بسنتين ، أو أكثر بشيء يسير ، وكان قد حصل بيني وبينه خصومة غاظته ، فسافر من مدّة عشرة أعوام ، وسكن مدينة قوص ، وبلغني أنّه فتح دكان عطارة ، وإلى الآن ما ورد على المملوك منه كتاب ، وهو أيضاً مثلي ما يعرف يلعب بالشطرنج .

للتفصيل راجع دائرة المعارف الإسلامية ٢٩٤/١٣ – ٢٩٦ ومطالع البدور ٧٥/١ – ٨١ ووفيات الأعيان ٣٥٦/٤ – ٣٦١ ونشوار المحاضرة القصّة ١٣٦/٢ ومروج الذهب ٥٦٢/٢ – ٥٦٤ والغيث المسجم للصفدي ٥١/٢ ومحاضرات الأدباء ٧٢٥/٢ – ٧٢٨ .

٢٦٤

الحسين بن الضحّاك يعيش ببقايا هبات الأمين

أخبرني الصولي ، قال : حدّثني أبو أحمد[1] ، قال :

كان أبي صديقاً للحسين بن الضحّاك[2] ، وكان يعاشره ، فحملني معه يوماً ، وجعل يحادثه ، إلى أن قال : يا أبا علي [١٣٥ ر] ، قد تأخّرت أرزاقك ، وانقطعت موادّك ، ونفقتك كبيرة ، فكيف تمشي أمورك ؟.

فقال له : والله يا أخي ، ما قوام أمري ، إلّا ببقايا هبات الأمين[3] ، وهبات جاريته ، فإنّي حظيت منهما ، بأمر طريف ، على غير تعمّد.

وذلك أنّ الامين دعاني يوماً ، فقال لي : يا حسين ، إنّ جليس الرّجل ،

---

١ في الأغاني ٢٠٥/٧ حدّثني أبو محمد بن النشار .

٢ أبو علي الحسين بن الضحّاك بن ياسر الباهلي (١٦٢-٢٥٠) : شاعر من ندماء الخلفاء ، ولد ونشأ بالبصرة ، ومات ببغداد ، اتّصل بالأمين العبّاسي ، ومدحه ، ونادمه ، فلما قتل الأمين انصرف إلى البصرة ، ولما ولي المعتصم ، عاد ومدحه ، ومدح الواثق ، والمتوكل (الأعلام ٢٥٨/٢) .

٣ كان الحسين بن الضحّاك كثير التحقّق بالأمين ، والموالاة له ، لكثرة افضاله عليه ، فلما مات رثاه بمراث كثيرة ، وبلغ من جزعه عليه ، أنّه خولط ، فكان ينكر قتله ، ويدفعه ، ويقول : إنّه مستتر ، وإنّه قد وقف على تفرّق دعاته في الأمصار ، يدعون إلى مراجعة أمره والوفاء ببيعته ، ومن جيّد مراثيه في الأمين (الأغاني ١٥١/٧) :

سألونا أن كيف نحن ؟ فقلنا : من هوى نجمه فكيف يكون
نحن قوم أصابنا حدث الدهر فظللنا لريبه نستكين
نتمنى من الأمين إياباً لهف نفسي وأين منّي الأمين

وأحسن منه ، قول أبي نؤاس :

طوى الموت ما بيني وبين محمّد وليس لما تطوى المنية ناشر
وكنت عليه أحذر الموت وحده فلم يبق لي شيء عليه أحاذر

عشيره ، وثقته ، وموضع سرّه وأنسه ، وإنّ جاريتي فلانة ، أحسن النّاس وجهاً وغناءً ، وهي منّي بمحلّ نفسي ، وقد كدّرت عليّ صفو الحياة ، ونغّصتها عليّ ، بعجبها بنفسها ، وبتجنّيها عليّ وإدلالها ، لما تعلمه من حبّي لها ، وإنّي محضرها ، ومحضر صاحبة لها ليست منها في شيئ ، لتغنّي معها ، فإذا غنّت ، أومأتُ إليك ، على أنّ أمرها أبين من أن يخفى عليك ، فلا تستحسن غناءها ، ولا تشرب عليه ، وإذا غنّت الأخرى ، فاشرب ، واطرب ، واستحسن ، وشقّ ثيابك ، وعليّ ، بكلّ ثوب ، مائة ثوب .

فقلت : السّمع والطاعة ، لأمير المؤمنين .

فجلس في حجرة خلوته ، وأحضرني ، وسقاني أرطالاً ، فغنّت المحسنة [١٦٣ ظ] ، وقد أخذ منّي الشراب ، فما ملكت نفسي أن استحسنت ، وطربت ، فأومأ اليّ ، وقطّب في وجهي .

ثمّ غنّت الاخري ، فجعلت أتكلّف القول ، وأفعله .

ثمّ غنّت المحسنة ثانية ، فأتت بما لم أسمع مثله حسناً قط ، فما ملكت نفسي أن صحت ، وطربت ، وشربت ، وهو ينظر إليّ ، ويعضّ شفتيه غيظاً عليّ ، وقد زال عقلي ، فما أفكّر فيه ، حتّى فعلت ذلك مراراً ، وكلّما زاد شربي ، ذهب عقلي .

فأمر بجرّ رجلي ، وصرفي ، وأمر أن لا أدخل عليه ، فجاءني النّاس يتوجّعون لي ، ويسألون عن قصّتي ، فقلت : حمل عليّ النّبيذ ، فأسأت أدبي ، فمنعني من الدخول إليه .

ومضى لما أنا فيه شهر ، وقد استمرّت عليّ المحنة .

فبينما أنا كذلك ، إذ جاءتني البشارة ، بأنّه قد رضي عنّي ، وأمر باحضاري ، فحضرت ، وأنا خائف ، فلمّا وصلت إليه ، أعطاني يده فقبّلتها ، فضحك إليّ ، ثمّ قام وقال : اتبعني .

فتبعته ، فدخل تلك الحجرة بعينها ، ولم يحضر غيري ، وغيره ، وغير المحسنة الّتي نالني من أجلها ما نالني ، وأحضر الشراب ، فغنّت ، فسكتُّ .

فقال : قل ما شئت ، ولا تخف ، فلقد خار الله لك في خلافي ، وجرى القدر بما تحبّ .

إعلم أنّ هذه الجارية ، عادت إلى الحال الّتي أحبّها منها ، وأرضتني في أفعالها ، واصطلحنا ، فأذكرتني بك ، وسألتني الرّضا عنك ، والإحسان إليك ، وقد فعلت ، وأمرت لك بعشرة آلاف دينار ، ووصلتك هي بدون ذلك . ولو كنت فعلتَ ما أمرتك ، حتّى تعود إلى مثل هذه الحال ، ثمّ تحقد عليك ، فتسألني أن لا تصل إليّ قط ، لأجبتها .

فدعوت له ، وشكرته ، وحمدت الله على توفيقه إيّاي ، وزدت في الاستحسان والسرور إلى أن انصرفت ، وحمل معي المال .

فما كان يمضي أسبوع إلّا أتتني ألطافها ، وصلاتها ، من الجوهر والثياب ، بغير علم الأمين . وما جالَسْتُهُ يوماً ، إلّا سألته أن يصلني بشيء .

فجميع ما أنفقه إلى السّاعة ، من فضل ما وصلني منها [٤] .

---

٤ لم ترد هذه القصّة في م ولا في غ ولا هـ ، ووردت في الأغاني ٧/٢٠٥–٢٠٧ .

٢٦٥
من مكارم البرامكة

ذكر سعيد بن سليمان الباهلي ، قال : أضقت إضاقة شديدة ، وكثر عليّ الغرماء ، فاستترت مدّة ، ثمّ صرت إلى عبد الله بن مالك[1] ، فشكوت إليه حالي ، وشاورته في أمري .

فقال : لست أعرف لك غير قصد البرامكة ، ومسألتهم في إصلاح ما اختلّ من أمرك .

فقلت : ومن يحتمل تيههم وصلفهم[2] ؟.

قال : تحتمله ، في جنب ما تقدّر من صلاح حالك .

قال : فصرت إلى جعفر والفضل ابني يحيى ، فشكوت إليهما أمري .

فقالا : نكفيك ، إن شاء الله .

فانصرفت إلى عبد الله بن مالك ، فعرّفته ما جرى [١٣٦ ر] .

فقال : أقم عندي ، ولا ترجع إلى منزلك ، وتقاسى غرماءك ، فأقمت عنده .

فصار إليّ غلام لي ، فقال : يا مولاي ، رحبتنا[3] مملوءة بالجمال عليها المال ، ورجل مع الجمال ، معه رقعة يزعم أنّها من الفضل وجعفر ، وأنّه رسولهما .

فقال لي عبد الله : أرجو أن يكون قد فرّج الله عنك .

فصرت إلى منزلي ، وإذا رسول جعفر والفضل ، ومعه رقعة يذكران فيها :

---

١ عبد الله بن مالك الخزاعي القائد : ترجمته في حاشية القصّة ١٣٠ من هذا الكتاب .

٢ كان الفضل بن يحيى البرمكي شديد الكبر ، عظيم التيه والعجب ، فعوتب في ذلك ، فقال : إنّ هذا شيء حمل عليه نفسه ، فقد تعلم من عمارة بن حمزه السخاء والكبر معاً ، وذكر قصّة وقعت له مع عمارة بن حمزة ، جديرة بالمطالعة ، راجعها في معجم الأدباء ٦/٧ و ٨ .

٣ الرَحبة : الفضاء الكائن بين الأبنية ، ولزيادة التفصيل راجع حاشية القصّة ٢٢١ من هذا الكتاب .

أنّهما عرّفا أمير المؤمنين خبري ، وأنّ عليّ ثمانمائة ألف درهم ، ديناً ، فأمر بحملها إليّ .

ثمّ قالا له : فإذا قضى دينه ، يرجع إلى الدين ؟ – فأمر لي بثمانمائة ألف درهم أخرى ، لنفقتي .

وأنّهما أضافا إليها من أموالهما ، ألفي ألف درهم ، فحملاها مع ذلك .

فاستوفيت من رسولهما ، ثلاثة آلاف ألف ، وستمائة ألف درهم .

وقد ذكر أبو الحسين القاضي ، هذا الخبر في كتابه ، على قريب من هذا اللّفظ والمعنى ، بغير إسناد ، ولم يذكر فيه مبلغ المال ، ولا حال الاستتار [٤] .

٤ لم ترد هذه القصّة في م ولا في غ ولا هـ .

٢٦٦
المأمون يهب أحد كتّابه اثني عشر ألف ألف درهم

[وجدت في كتاب عتيق [١٦٤ ظ] فيه أخبار جمعها يعقوب بن بيان الكاتب : حدّثني أبو القاسم علي بن داود بن الجعد ، قال : حدّثني يزيد بن دينار بن عبد الله[1] ، قال : حدّثني أبي ، عن يحيى بن خاقان][2] ، قال :

كنت كاتب الحسن بن سهل ، فقدم المأمون مدينة السّلام ، فقال لي : يا يحيى ، خلوت بالسواد[3] ، ولعبت بالأموال الّتي لي ، واحتجنتها ، واقتطعتها .

فقلت : يا أمير المؤمنين ، إنّما أنا كاتب الرّجل ، والمناظرة في الأموال ، والأعمال ، مع صاحبي ، لامعي .

فقال : ما أطالب غيرك ، ولا أعرف سواك ، فصالِحْني على مائة ألف ألف درهم .

قال : فضحكت .

---

١ في الأصل ظ : دينار بن يزيد ، والصحيح ما أثبتناه .

٢ الزيادة من ظ ، وفي ر : وحدّث عن يحيى بن خاقان ... الخ ، ويحيى بن خاقان : أحد مشايخ الكتّاب في الدولة العبّاسية ، كان يكتب للحسن بن سهل في أيّام المأمون ، وولاّه المتوكل ديوان الخراج (الديارات ١٥٥) وهو أخو الفتح بن خاقان وزير المتوكّل (الملح والنوادر ٣٣٢) ووالد عبيد الله بن يحيى بن خاقان وزير المتوكّل (الديارات ١٥٤ و ١٥٥) توفّي في السنة ٢٤٠ فكتب المتوكّل إلى أخيه عبد الرحمن بن خاقان ، وكان يلي البصرة ، يعزّيه به (البصائر والذخائر م ١ ص ٣٥٩) .

٣ السواد : قال ابن قتيبة في كتابه المعارف : السواد ، سوادان : سواد البصرة : الأهواز ، ودستميسان ، وفارس ، وسواد الكوفة : كسكر إلى الزاب ، وحلوان إلى القادسية ، وقال ياقوت في معجم البلدان ٣/١٧٤ : يراد بالسواد ، رستاق العراق ، وحدّه من حديثة الموصل طولاً ، إلى عبادان ، ومن العذيب بالقادسيّة ، إلى حلوان عرضاً ، وسمّي السواد لسواده بالزروع والأشجار والنخيل ، والعرب تسمي الخضرة سواداً ، والسواد خضرة ، قال الشاعر :

وأنا الأخضر من يعرفني ... أخضر الجلدة من جنس العرب

فقال : يا يحيي ، أجدٌّ وتهزل ؟.

فقلت : لا ، يا أمير المؤمنين ، إنّما ضحكت تعجّباً ، وبالله ، ما أملك إلّا سبعمائة ألف درهم .

فقال : دع هذا عنك ، واعطني خمسين ألف ألف درهم .

قال : فما زلت أجاذبه ، ويجاذبني ، إلى أن بلغ اثنا عشر ألف ألف درهم ، فلمّا بلغ إليها ، قال : نفيت من الرّشيد ، إن نقصتك شيئاً منها .

فقلت : السمع والطاعة .

قال : أقم لي ضميناً ، إن لم تف لي بها ، طالبته .

قلت : صاحبي يا أمير المؤمنين يضمنني .

فقال : أتراني إن دافعتَ الاداء ، أطالب الحسن بن سهل عنك ؟ هذا ما لا يكون .

فقلت : عبد الله بن طاهر .

فقال : عبد الله بن طاهر ، سبيله سبيل صاحبك .

قلت : فَحُمَيد .

قال : وهذه سبيله .

قلتُ : ففرج مولاك يا أمير المؤمنين .

قال : مليٌ — والله — وثقة ، ثمّ التفت إلى فرج ، فقال : أتضمنه يا فرج ؟.

قال : نعم ، يا أمير المؤمنين ، قد ضمنته .

فقال : أنا والله محرجه بالإلحاح في المطالبة ، حتّى يهرب ، أو يستتر ، ثمّ آخذك بالمال ، فتؤدّيه ، فإنّك مليّ به .

فقال فرج : صاحبي ثقة ، وهو لا يخفرني ، إن شاء الله .

قال يحيي : فكتبت إلى الحسن بن سهل ، وعبد الله بن طاهر ، وحُمَيد[4] ،

---

٤ أبو غانم حُمَيد بن عبد الحميد الطوسي : قائد من أكابر قوّاد الدّولة العبّاسية ، كانت له مواقف في =

ودينار بن عبد الله ، وغسّان[٥] ، ورجال المأمون ، أسألهم إعانتي في المال .

قال : فحملوا لي ذلك عن آخره ، حمل كلّ إنسان منهم ، على قدره ،

قال يحيى : فكتبت رقعة إلى المأمون ، أعرّفه أنّ المال قد حضر ، وأسأله أن يأمر من يقبضه .

قال : فأحضرني ، فلمّا وقعت عينه عليّ ، قال لي : يا خائن ، الحمد لله الّذي بيّن لي خيانتك ، وأظهر لي كذبك ، ألم تذكر أنّك لا تملك إلّا سبعمائة ألف درهم ؟ فكيف تهيّأ لك أن حملت في عشرة أيّام إثني عشر ألف ألف درهم ؟

قال : فقلت : حُمِلَتْ ، يا أمير المؤمنين من هذه الجريدة ، ودفعت إليه جريدة بأسماء من حمل إليّ المال ، ومبلغ ما حمل كلّ واحد منهم .

قال : فقرأ الجريدة ، ثمّ أطرق مليّاً ، ورفع رأسه ، فقال : لا يكون أصحابنا ، أجود منّا ، هذا المال قد وهبناه لك ، وأبرأنا ضمينك .

قال يحيى : فانصرفت ، فرددت المال إلى اصحابه ، فأبوا أن يقبلوه ، وقالوا : قد وهبناه لك ، فاصنع [١٣٧ ر] به ما أحببت .

قال : فحلفت ، أن لا أقبل منه درهماً ، وقلت لهم : أخذته في وقت حاجتي ، ورددته عند استغنائي عنه ، وقبولي إيّاه في هذا الوقت ضرب من التغنّم .

فرددته عليهم[٦] .

= حرب العراق تحت قيادة الحسن بن سهل ، وفيه يقول علي بن جبلة :

لولا حُمَيْدٌ لم يكن حسب يعدّ ولا نسب
يا واحد العرب الذي عزّت بعزّته العرب

راجع أخباره في تاريخ بغداد لابن طيفور ٢ ، ٣ ، ٧ ، ٩ ، ٥٥ ، ٥٧ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، وكتاب العيون والحدائق ٣/٤٣٢ و ٤٤٤ .

٥ غسان بن عبّاد بن أبي الفرج : ترجمته في حاشية القصّة ٣٧٢ من هذا الكتاب .

٦ هذه القصّة لم ترد في م ولا في غ ولا هـ .

٢٦٧
ما بقي له غير درهمين ثمّ جاءه الفرج

ووجدت في هذا الكتاب ، عن يعقوب بن بيان : حدّثني بعض أصحابنا ، وهو عندي ثقة ، وقد تجارينا لزوم المتعطّلين ، أبواب المتشاغلين ، وتعذّر الشغل عليهم ، بعد أن قلنا جميعاً : إنّ الارزاق مقسومة ، وإنّ الله تعالى إذا أذن فيها سهّلها ، قال : فحدّثني عمرو بن حفص ، عن أبيه ، قال :

كان أبي حفص ، قد صحب بعض عمّال فارس ، إلى فارس ، فأقام على بابه ستّة أشهر ، يلقاه كلّ يوم فيها ، فلا يكلّمه العامل فيها بشيء ، وينصرف أبي إلى منزله .

قال : فنفدت نفقته ، وباع كلّ ما كان معه ، حتّى قال له غلامه يوماً : ما بقي إلّا الدابّة ، [١٦٥ ظ] والبغل ، ودرهمان .

قال : فقال له : اشتر لنا بالدرهمين خوخاً ، فإنّه أرخص من الخبز ، لنتقوّته ، إلى أن يفرج الله – عزّ وجلّ – عنّا .

قال : ففعل الغلام ذلك ، وأكل حفص من الخوخ شيئاً ونام ، فما استيقظ إلاّ بدقّ الباب ، وإذا رسول العامل يأمره بالحضور ، فركب ، فوجد العامل قاعداً في داره على كرسي ينتظره .

فلمّا دخل ، قال العامل : لا جزّاك الله خيراً عنّي ، ولا عن نفسك .

قال : ولِمَ ذاك ، أصلحك الله ؟ .

قال : أتستقيم على بابي ستّة أشهر ، لم تَرَ على نفسك أن تريني وجهك يوماً واحداً ؟ .

فقال : أعزّك الله ، أنا في مجلسك كلّ يوم .

قال : والله ، ما وقعت لي عليك عين ، ولا خطرت ببالي إلّا السّاعة ،

فإنّي ذكرتك ، فعلمت طول مقامك في العطلة والغربة .

ودعا بكاتبه ، فكتب كتبي على فسا[1] ودرابجرد[2] ، وخرجت من يومي إلى العمل ، فحصلت منه ، في مديدة قريبة ، سوى نفقتي ، ستمائة ألف درهم[3] .

---

١ فسا : من مدن فارس ، وهي من أنزه المدن ، بينها وبين شيراز أربع مراحل ، وتقارب شيراز في السعة (معجم البلدان ٨٩١/٣ و ٨٩٢) .

٢ درابجرد : كورة بفارس نفيسة ، النسبة إليها : دراوردي ، على خلاف القياس ، وهي كثيرة المعادن ، جليلة الخصائص (معجم البلدان ٥٦٠/٢) .

٣ لم ترد هذه القصّة في م ولا في غ ولا هـ .

٢٦٨
سبب توبته عن النبيذ

حدّثني علي بن محمّد الأنصاري ، وعبيد الله بن محمّد العبقسي ، واللّفظ له ، قالا : حدّثنا أبو الفتح القطّان : أنّ رجلاً من أولاد التجّار ، زالت نعمته ، وصار بوّاباً لأبي أحمد الحسين بن موسى الموسوي العلوي ، نقيب الطالبيين ، أيّده الله[1] ، ببغداد ، قال : حدّثني خالي ، وكان صيرفيّاً ، قال :

كنت وجماعة من إخواني ، عند بعضنا مجتمعين نشرب ، وعندنا غلام أمرد ، ونحن نأكل بطّيخاً[2] ، وفي يد كلّ واحد منّا سكّيناً .

---

١ أبو أحمد الحسين بن موسى الحسيني العلوي الطالبي (٣٠٤–٤٠٠) : نقيب العلويّين ببغداد ، والد الشريفين الرضي والمرتضى ، ولّي نقابة العلويّين وإمارة الحاجّ سنة ٣٥٤ ، اعتقله عضد الدّولة سنة ٣٦٩ وأطلقه شرف الدّولة بن عضد الدّولة في السنة ٣٧٢ ، عزل عن النقابة سنة ٣٨٤ وأعيد إليها سنة ٣٩٤ وأضيف إليه الحجّ والمظالم ، توفّي سنة ٤٠٠ ضريراً ، لاحظ أنّ التنوخي لما ذكر اسم أبي أحمد في القصّة قال : أيّده الله ، ذلك لأنّه كان حياً لما دوّن القصّة ، وقد مات التنوخي قبله في السنة ٣٨٤ .

٢ البطّيخ : من الفواكه اللّذيذة الطعم ، وهو على نوعين ، فالأصفر منه ، وقشرته صفراء أو خضراء أو داكنة اللّون ، يكون طعم لبّه لذيذاً جداً ، ويقوم مقام الفاكهة والغذاء والشراب ، وفي بغداد مثل شائع : كل البطّيخ وقلّب زندك ، أي إنّه يقوّي العضلات ، والبطّيخ الأحمر : قشره على ألوان مختلفة من أبيض مشوب بزرقة إلى الأسود ، وفيه ما هو معلّم بالأبيض والأخضر ، والبطّيخ الأحمر يسمّى في كل صقع باسم ، واسمه في بغداد والمناطق المجاورة لها : الرقّيّ نسبة إلى الرقّة ، وهي كلّ لسان رملي ممتد في النهر ، يغطيه الماء ثم ينحسر عنه ، وإنّما سمي كذلك لأنّ البطّيخ الذي يزرع في الرقّة ، يكون ريّانًا حلواً من أحسن وأجود أنواع البطّيخ ، وتسمية البطّيخ بالرقّيّ ، معروف لدى البغداديين منذ القديم فقد جاء في كتاب الطبيخ لمحمّد بن الحسن البغدادي ، من أوائل القرن السابع الهجري ، صفة عمل رطب في غير أوانه ، فقال : تؤخذ بطيخة رقّيّة خضراء ... الخ ، وروى الصفدي في الغيث المسجم ٢/٢٦١ أنّ أحد عوامّ بغداد مرض نسيب له ، فوصف له بطيخ رقّي ، وأنه اشترى واحدة من أحد الفاكهانيين بالكرخ ، والبطّيخ الرقّي ، يسمّى في الموصل : شمزي ، وفي النجف : دبشي ، وفي مكّة : حبحب ، وفي المغرب : الدلاع ، وفي الشّام كان يسمى : الزبش (نهاية الأرب ١١/٣٠) والبطّيخ الرقّي ، أكثر =

فأخذ الغلام يمزح مع واحد منّا في يده سكّين ليأخذها منه ، فرمى بالسكّين ، كالضجر من مجاذبته إيّاها ، فوقعت في قلب الغلام ، فتلف في الحال . فقمنا لنهرب .

فقال صاحب البيت : ما هذه فتوّة[3] ، إمّا أن نبتلى كلّنا ، أو نتخلّص كلّنا .

فأغلقنا باب الدار ، وشققنا بطن الغلام ، فألقينا ما فيه في المستراح ، وفصّلنا أعضاءه ، فأخذ كلّ منا عضواً ، وخرجنا متفرّقين ، لنلقي ذلك بحيث يخفى خبره .

فوقع معي الرأس ، فلففته في فوطة[4] ، وجعلته في كمّي[5] .

= الفواكه استهلاكاً في العراق الأوسط والجنوبي ، عند اشتداد الحرّ في الصّيف ، لأنّه يجمع بين الشراب والفاكهة ، وإذا أكل مع الخبز ، ففيه للفقير غذاء وشراب وفاكهة ، والمعروف في النجف ، حيث الألوف من طلبة الفقه أنّ الكتب ترخص في موسم البطّيخ الرقّي ، لأنّ رغبتهم في شرائه ، تضطرهم إلى بيع كتبهم بالثمن البخس ، لشراء ما يريدون من الرقّي ، وأذكر أن أبوينا رحمهما الله تعالى كانا يوقظاننا ، ونحن أطفال ، في ليالي المربعانية ، وهي أشدّ ليالي الشتاء برداً ، فيطعماننا مقداراً من الرقّي ، ويقولان إنّ فيه فائدة صحّيّة حسب إرشادات الطبّ القديم ، وكنا نأكله ونحن نرتجف من البرد ، راجع في كتاب الجامع لمفردات الأدوية والأغذية لابن البيطار ١/٩٨–١٠٠ بحثاً طبّياً عن البطّيخ .

٣ الفتوّة : تعبير عن جميع الصفات الحسنة ، والفتى : هو الذي يتمتّع بالحسن من الصفات ، من مروءة ، وشهامة ، ونجدة ، وشجاعة ، وكرم ، ولذلك قيل : لا سيف إلاّ ذو الفقار ، ولا فتى إلاّ علي .

٤ الفوطة : في لسان العرب : ثوب قصير ، غليظ ، يكون مئزراً ، يجلب من السند ، وقيل : الفوطة ثوب من صوف ، جمعها : فُوُط ، وفي المنجد الفوطة : ما يأتزر به الخدم ، وعند العامة : قطعة تنشّف بها الأيدي أو قطعة يمسح بها الأنف ، وعند دوزي في معجم الألبسة ٣٣٩–٣٤٣ إنّها قطعة من القماش تستعمل لأغراض مختلفة ، وفي شفاء الغليل ١٤٦ الفوطة : إزار ، والكلمة ليست عربية ، وفي المعجم الذهبي ، فوطة : فارسية بمعنى منديل أو مئزر ، أمّا في بغداد الآن ، فإنّ لفظ الفوطة ، مقصور على قطعة سوداء رقيقة من الحرير أو الغزل ، تلفّ بها المرأة رأسها ، بحيث تغطّي شعرها وأذنيها وعنقها ، ويبقى وجهها سافراً .

٥ الكمّ : راجع حاشية القصّة ١٠١ من الكتاب .

فلمّا مشيت ، استقبلني رجّالة المحتسب[٦] ، فقبضوا على كمّي ، وقالوا : قد أمرنا المحتسب بختم كلّ كيس نجده ، حتّى يفتح بحضرته ، ويخرج ما فيه ، وتؤخذ منه الزائفة[٧] .

فرفقت بهم ، وبذلت لهم دراهم كثيرة ، فلم يجيبوا ، ومشوا بي معهم ، وأمسكوني يريدون المحتسب .

فنظرت ، فإذا أنا هالك ، وفكّرت في الحيلة والخلاص ، فلم تتّجه ، حتّى رأيت درباً[٨] ضيّقاً لطيف الباب[٩] ، كأنّه باب دار ، وأنا أعرفه منفذاً[٧] .

فقلت لهم : أنتم تريدون ختم كيسي ، فما معنى تشبّثكم بيدي وكمّي كأنّني لصٌّ ؟ أنا معكم إلى المحتسب ، فخلّوا عن يدي ، ففعلوا ، وأطافوا بي .

فلمّا صرت على باب الدرب ، سعيت ، فدخلته ، وأغلقت بابه ، واستوثقتُ منه ، وسعيت إلى آخره ، فإذا بئر كنيف قد فتحت لتنقّى ، وتركت مفتوحة ، فألقيت الفوطة بما فيها في البئر ، وخرجت أسعى من طرف الدرب الآخر ، حتّى بلغت منزلي ، وحمدت الله تعالى على الخلاص من الهلكة .

وتبت عن النّبيذ[١٠] .

---

٦ المحتسب : مأمور من الحاكم ، لملاحظة سير الأمور في البلد ، ومنها فحص النقود المتداولة لنفي الزائف منها ، وملاحظة صحّة العيار ، وضبط الميزان ، وأسعار البيع .

٧ الزائف من الدراهم : الرديئ ، المردود لغشّ فيه .

٨ الدرب : الطريق ، فإن كان مفتوحاً من طرفيه ، فهو نافذ أو منفذ ، أي صالح لاجتيازه والعبور منه إلى غيره ، والبغداديّون يسمّون الدرب الضيّق : دربونه ، مصغّر درب بإضافة الألف والنون ، كما يصغرون بس ، وهي الهرّة ، فيقولون : بسّون ، ويلفظونها : بزّون ، بالزاي المشددة ، وكما يصغرون حسن ، فيقولون : حسّون ، وكما يصغرون : صغير ، فيقولون : صغيرون ، ويلفظونها : زغيرون ، بالزاي .

٩ كانت جميع الدروب في بغداد ، على أفواهها أبواب تغلق في الليل ، كما كانت أفواه الجسور كذلك تسدّ ، ويمنع من المرور عليها إلاّ بأذن من صاحب الجسر ، وقد أدركت في صباي دروباً كانت أبوابها مركّبة عليها ، وأبصرت دروباً قد قلعت أبوابها ولكن إطارات تلك الأبواب بقيت زمناً حتى زالت .

١٠ لم ترد هذه القصّة في م ولا في غ ولا هـ .

٢٦٩

حلف بالطلاق

لا يحضر دعوة ، ولا يشيّع جنازة

حدّثني عبيد الله بن محمّد[1] ، قال : حدّثنا أبو أحمد الحسين بن موسى الموسوي العلوي النّقيب ، قال :

حدّثني شيخ كان يخدمني ، وقد تجارينا أحاديث النّاس ، فقال : إنّه حلف بالطلاق ، ألّا يحضر دعوة ، ولا يشيّع جنازة ، [ولا يودع وديعة][2] ، فسألته عن ذلك[3] .

فقال : كنت انحدرت إلى البصرة من بغداد ، فصعدت إلى بعض مشارع البصرة عشاءً ، فاستقبلني رجل ، فكناني بغير كنيتي ، وبشّ في وجهي ، وأحفى ، وجعل يسألني عن قوم لا أعرفهم ، ويحلف [١٦٦ ظ] عليّ في النّزول عنده .

وكنت غريباً ، لا أعرف مكاناً ، فقلت : أبيت عنده اللّيلة إلى غدٍ ، فأطلب موضعاً .

فموّهت عليه في القول ، فجذبني إلى منزله ، وكان معي رَحْل صالح[4] ، وفي كمّي دراهم كثيرة .

فدخلت إليه ، فإذا عنده دعوة ، والقوم على نبيذ ، وقد خرج لحاجة ،

---

١ أبو القاسم عبيد الله بن محمّد الصروي : ترجمته في حاشية القصّة ٢٤٦ من هذا الكتاب .

٢ الزيادة من م ، لاحظ أنّ كلمة الإيداع ، من الأضداد في اللّغة ، فإنّ لفظة أودعت ، تعني تسليم الوديعة للغير للحفظ ، كما تعني قبول الوديعة من الغير ، راجع كتاب الأضداد لأبي الطيّب الحلبي ج ٢ ص ٦٦٦ ، وهو في هذه القصّة يريد : قبول الوديعة .

٣ في م : فسألته عن سبب يمينه .

٤ الرحل : ما يستصحبه الانسان في سفره .

فشبّهني بصديق له ، وتموّه عليه أمري لسكره .

وكان فيمن عنده ، رجل له غلام أمرد ، فلمّا أخذوا مضاجعهم للنّوم ، أرقت من بينهم .

فلمّا كان بعد ساعة ، رأيت واحداً من الجماعة ، قد قام إلى الغلام الأمرد ، ففسق به ، ورجع إلى موضعه ، وكان قريباً من صاحب الغلام .

واستيقظ في الحال صاحب الغلام ، فتقدّم إلى غلامه ليفسق به .

فقال له : ما تريد؟ ألم تكن الساعة [١٣٨ ر] عندي ، وفعلت بي كذا وكذا ؟

فقال : لا .

فقال : قد جاءني السّاعة من فعل بي ، وظننته إيّاك ، فلم أتحرّك ، ولم أظنّ أنّ أحداً يجسر عليك .

فنخر الرّجل ، وجرّد سكيناً من وسطه ، وقام ، وأنا أرعد ، فلو كان دنا منّي ، حتّى يجدني أرعد ، لقتلني ، وظنّ أنّي صاحب القصّة .

فلما أراد الله عزّ وجلّ ، من بقاء حياتي ما أراد ، بدأ بصاحبه ، فوضع يده على قلبه ، فوجده يخفق ، وقد تناوم عليه ، يرجو بذلك السلامة ، فوضع السكّين في قلبه ، وأمسك فاه ، فاضطرب الرّجل ، وتلف .

فأخذ الرّجل بيد غلامه ، وفتح الباب ، وانصرف .

فورد عليّ أمر عظيم .

وقلت : أنا غريب ، وينتبه صاحب البيت ، فلا يعرفني ، ولا يشكّ في انّي صاحب الجناية ، فأقتل .

فتركت رحلي ، وأخذت ردائي ، ونعلي ، وطلبت الباب ، فلم أزل أمشي ، لا أدري أين أقصد ، والليل منتصف ، وخفت العسس[٥] ، فرأيت

---

٥ العسس : الذين يطوفون بالليل ويكشفون أهل الريبة .

أتّون حمّام[٦] لم يوقد بعد .

فقلت : أختبئ فيه ، إلى أن يفتح الحمّام ، فأدخله ، فجلست في كسر الأتّون .

فما لبثت حيناً ، حتّى سمعت وقع حافر ، وإذا برجل يقول : قد رأيتك يا ابن الفاعلة ، ودخل الاتّون ، وأنا كالميت من الفزع ، لا أتحرّك ، فلمّا لم يجد حسّاً ، أدخل رأسه ، ويده ، يومئ بسيف معه في الأتّون ، وأنا بعيد عن أن ينالني السّيف ، صابر ، مستسلم .

فلمّا لم يحسّ أحداً ، خرج إلى بابه ، وإذا معه جارية ، فأدخلها الأتّون ، فذبحها ، وتركها ومضى .

فرأيت بريق خلخالين[٧] في رجليها ، فانتزعتهما منها ، وخرجت ، وما زلت أمشي في الطريق متحيّراً ، إلى أن صرت إلى باب حمّام قد فتح ، فدخلته ، وخبّأت ما معي في ثيابي [١٣٠ م] ، عند الحمّامي .

وخرجت وقد أصبحت ، فضممت [الخلخالين إلى][٨] ما معي ، وطلبت الطريق ، فعرفت أنّي بالقرب من دار صديق لي ، فطلبتها ، فدققت بابه ، ففتح لي ، وسرّ بمقدمي ، وأدخلني .

فدفعت إليه منديلي الّذي كان فيه دراهمي والخلخالين ، ليخبّئهما ، فلمّا نظر إليهما تغيّر وجهه .

فقلت : مالك ؟.

---

٦ الأتّون ، وجمعها أُتُن ، وأتاتين : موقد نار الحمّام ، وفي بغداد يسمّونه : طمّه .

٧ الخلخال ، وجمعه خلاخل ، والبغداديّون يجمعونه على خلاخيل ، حلية من الذهب أو الفضّة ، تلبس في الساق ، كالسوار في المعصم ، وإذا وضع في الخلخال جلاجل ، سمّاه البغداديّون : جناجل ، بالنون ، محرّفة عن جلاجل ، جمع جلجل ، وهو الجرس الصغير .

٨ الزيادة من م .

فقال : من أين لك هذان الخلخالان ؟

فأخبرته بخبري كلّه في ليلتي ، فدخل مسرعاً إلى دار حرمه ، وخرج إليّ .

فقال : أتعرف الرّجل الّذي رأيته قتل الجارية ؟.

قلت : أمّا بوجهه فلا ، لأنّ اللّيل والظلمة كانت حائلة بيننا ، ولكن إن سمعت كلامه عرفته .

فأعدّ طعاماً ، وغدا في أمره ، وعاد بعد ساعة ، ومعه رجلٌ شابّ من الجند ، فكلّمه ، وغمزني عليه .

فقلت : نعم ، هذا هو الرّجل .

ثمّ أكلنا ، وحضر الشراب ، فحمل عليه بالنّبيذ[٩] ، فسكر ، ونام موضعه ، فأغلق باب الدار ، وذبح الرّجل .

وقال لي : إنّ المقتولة أختي ، وكان هذا قد أفسدها ، ونمى الخبر إليّ منذ أيّام فلم أصدّق ، إلاّ أنّي طردت أختي ، وأبعدتها عنّي ، فمضت إليه ، ولست أدري ما كان بينهما ، حتّى قتلها ، وإنّما عرفت الخلخالين [١٦٧ ظ] ودخلتُ فسألت عنها .

فقيل لي : هي عند فلان .

فقلت : قد رضيت عنها ، فوجّهوا ، فردّوها ، فلجلجوا في القول ، فعلمت أنّ الرّجل قد قتلها كما ذكرتَ ، فقتلته ، فقم حتّى ندفنه .

فخرجنا ليلاً ، أنا والرّجل ، حتّى دفنّاه ، وعدت إلى المشرعة ، هارباً من البصرة ، حتّى دخلت بغداد .

وحلفت ألّا أحضر دعوة أبداً ، [ولا أودع وديعة أبداً][٨] .

وأمّا الجنازة ، فإنّي خرجت ببغداد ، نصف النّهار ، في يوم حار ، [لحاجة][٨] فاستقبلتني جنازة يحملها نفسان .

---

٩ حمل عليه بالنبيذ : أسكره .

فقلت : غريب ، فقير ، أحملها معهما فأثاب ، فدخلت تحتها ، بدلاً من أحد الحمّالين .

فحين استقرّت على كتفي ، افتقدتُ الحمّال ، فلم أجده ، فصحت : يا حمّال ، يا حمّال .

فقال الآخر : إمش ، واسكت ، قد انصرف الحمّال .

فقلت [١٣٩ ر] : السّاعة ، والله ، أرمي بها .

فقال الحمّال : والله ، لئن فعلتَ لأصيحنّ .

فاستحييت ، وقلت : ثواب ، فحملناها إلى مسجد الجنائز[١٠] ، فلمّا حططنا الجنازة في مسجد الجنائز ، هرب الحمّال الآخر .

فقلت : ما لهؤلاء الملاعين ، والله، لأُتِمَّنَّ الثواب ، فأخرجت من كمّي دراهم ، وصحت : يا حفّار ، أين قبر هذه الجنازة ؟.

فقال : لا أدري .

فقلت : أحفر ، فأخذ منّي درهمين ، وحفر قبراً .

فلمّا صوّبت عليه الجنازة ، ليأخذ الميت فيدفنه ، وثب الحفّار من القبر فلطمني ، وجعل عمّامتي في رقبتي ، وصاح : يا قوم قتيل ، فاجتمع الناس ، فسألوه .

فقال : هذا الرّجل ، جاء بهذا الميت ، بلا رأس ، لأدفنه ، وحلّ الكفن ، فوجدوا الأمر على ما قاله الحفّار .

فدهشت ، وتحيّرت ، وجرى عليّ من مكروه العامّة ، ما كادت نفسي تتلف معه .

ثمّ حملت إلى صاحب الشرطة ، وأخبر الخبر ، فلم يُرِدْ شاهداً عليّ ، فجرّدت للسياط ، وأنا ساكتٌ باهت .

---

١٠ في م : فحملناها إلى الشونيزيّة ، والشونيزيّة : مقبرة بالجانب الغربي من بغداد (معجم البلدان ٣/٣٣٨) ، أقول : اسمها الآن مقبرة الشيخ جنيد .

وكان له كاتب عاقل ، فحين رآني ، ورأى حيرتي ، قال له : أنظرني[11] ، حتّى أكشف حال هذا الرّجل ، فإنّي أحسبه مظلوماً ، فأمهله .

فقام ، وخلا بي ، وساءلني ، فأخبرته خبري ، ولم أزد فيه ولم أنقص .

فنحّى الميت عن الجنازة ، وفتّشها ، فوجد عليها مكتوباً : أنّها للمسجد الفلاني ، في النّاحية الفلانية .

فأخذ معه رجاله ومضى ، فدخل المسجد متنكّراً ، فوجد فيه خيّاطاً ، فسأله عن جنازة هناك ، كأنّه يريد أن يحمل عليها ميتاً له .

فقال الخيّاط : للمسجد جنازة ، إلّا أنّها قد أخذت منه الغداة ، لحمل ميت ، ولم تردّ .

قال : من أخذها ؟.

قال : أهل تلك الدار ، وأومأ إليها .

فكبسها الكاتب برجّالة الشرطة ، فوجد [١٣١ م] رجالاً عزّاباً[12] ، فقبض عليهم ، وحملهم إلى الشرطة ، وأخبر صاحب الشرطة بالخبر .

وقرّر القوم ، فأقرّوا أنّهم تغايروا على غلام أمرد كان معهم ، فقتلوه ، وطرحوا رأسه في بئر حفروها في الدّار ، وحملوه على تلك الصورة ، وأنّ الحمّالين كانا من جملة القوم ، وعلى أصلٍ[13] هربا .

فضربت أعناق القوم ، وخلّي سبيلي .

فهذا سبب يميني في ألّا أحضر جنازة[14] .

---

١١ أنظرني : أمهلني .

١٢ العَزَب ، وجمعه : عزّاب ، وأعزاب : من لا أهل له من الرجال والنساء .

١٣ على أصل : على اتّفاق وتفاهم سابق .

١٤ لم ترد هذه القصّة في غ ، ولا هـ ، وفي م أعتبرت هذه القصّة بداية الباب السابع ، وقد وردت في كتاب نشوار المحاضرة للتنّوخي على هيأة ثلاث قصص بالأرقام ٥/٥٩ و ٦١ و ٦٣ .

٢٧٠
ابن قمير الموصلي
وقع في ورطة وتخلّص منها

وحدّثني عبيد الله بن محمّد الصرويّ ، قال : حدّثني ابن قمير[١] ، مجلّد الكتب - كان - بالموصل ، قال :

أعطاني أبو عبدالله بن أبي العلاء بن حمدان[٢] ، دفتراً ، أجلّده ، وأكّد عليّ الوصيّة في حفظه ، فأخذته منه ، ومضيت إلى دكاني .

وكان طريقي على دجلة ، فنزلت إلى مشرعة أتوضّأ ، فسقط الدفتر من كمّي في الماء ، فتناولته عجلاً قبل أن يغرق[٣] ، وقد ابتلّ ، فقامت قيامتي ، ولم أشكّ أنّه سيجري عليّ مكروه شديد من أبي عبد الله ، من ضرب ، وحبس ، وأخذ مال ، فعملت على الهرب من الموصل .

ثمّ قلت : أجفّفه ، وأجلّده ، وأجتهد في أن أسلّمه إلى غلام له ، وهو لا يعلم ، واستتر ، فإن ظهر الحديث ، هربت ، وإن كفى الله تعالى ذلك ، وتمّت عليه الحيلة [١٦٨ ظ] ظهرتُ .

---

١ في م : ابن نمير .

٢ أبو عبد الله الحسين بن أبي العلاء سعيد بن حمدان بن حمدون التغلبيّ : أمير ، شجاع ، ممدوح ، أخو أبي فراس الحمداني ، وابن عمّ ناصر الدّولة ، وكان من قوّاد ناصر الدّولة ، وولّي له في السنة ٣٢٦ المعاون بأذربيجان ، وفي السنة ٣٣٠ كان في جيش ناصر الدّولة يحارب البريديّين على أبواب بغداد ، واستمرّ في خدمة ناصر الدّولة ، حتى ولاّه في السنة ٣٣٢ طريق الفرات ، وديار مضر ، وجند قنسرين ، والعواصم ، وحمص ، فحارب أهل الرقّة ، واستقرّ بحلب ، وهو أوّل من حكمها من بني حمدان ، وتوفّي بالموصل في السنة ٣٣٨ (الكامل لابن الأثير ٣٥٠/٨ ، ٣٥١ ، ٣٨٤ ، ٣٩٤ ، ٤٠٦ ، ٤١٤ ، ٤١٧ ووفيات الأعيان ٤٠٥/٣ و٤٠٦ ومعجم الأنساب والأسرات الحاكمة لزمباور ٢٠٢ و٢٠٣) .

٣ في م : قبل أن يغوص .

فحللته ، وجفّفته ، وثقّلته ، حتّى رجع واستوى ، أكثر ما يمكن من مثله ، وجلّدته ، وتأنّقت في التجليد .

فلمّا فرغت منه ، جئت إلى الحاجب لأسلّمه إليه من باب الدّار وأمضي ، فصادفت الحاجب جالساً في الدهليز ، فسلّمت إليه الدفتر .

فقال : ادخل إليه ، وادفعه من يدك إلى يده ، فلعلّه يتوقّعك ، ولعلّه يأمر لك بشيء .

فقلت : لا أريد ، فإنّي مستعجل .

فقال : لا يجوز ، ولم يدعني حتّى دخلت إليه ، فلم أشكّ أنّ ذلك من سوء الاتّفاق عليّ ، المؤدّي إلى المكروه ، ومشيت في الصّحن وأنا في صورة عظيمة من الهمّ .

فوجدت أبا عبد الله جالساً على بركة ماء في صحن [١٤٠ ر] داره ، والغلمان قيام على رأسه ، فأخرجت الدفتر من كمّي .

فقال لأحد غلمانه : خذه من يده ، وهاته .

فجاء الغلام من جانب البركة ، وأنا من الجانب الآخر ، ومدّ يده ليأخذه ، فأعطيته إيّاه ، فلم يتمكّن في يده ، حتّى سقط الدفتر في البركة ، وغاص إلى قعرها .

فجنّ أبو عبد الله ، [وشتم الغلام] [٤] ، وقال : مقارع ، مقارع .

فحمدت الله عزّ وجلّ ، على استتار أمري [٥] من حيث لا أحتسب ، وكفايتي ما كنت أخافه .

وخرجت ، والغلام يضرب [٦] .

٤ الزيادة من م .

٥ في م : فحمدت الله تعالى على استتار جنايتي ، وكشف محنتي .

٦ لم ترد هذه القصّة في غ ولا هـ .

٢٧١

واسطيّ أتلف ماله وافتقر

ثم صلح حاله بعد أهوال

حدّثني عبيد الله بن محمّد الصروي ، قال : حدّثني أبي ، قال :

كان في جوارنا بواسط ، شاب أتلف ماله في اللّعب[١] ، فافتقر فقراً شديداً ، ثمّ رأيته بعد ذلك بمدة ، وقد أثرى ، وصلحت حاله ، وأقبل على شأنه .

فقلت له : ما سبب هذا ؟، فدافعني .

ثمّ قال : أحدّثك ، وتكتم عليّ ؟.

فقلت : نعم .

فقال : إنّ الفقر بلغ بي إلى حال تمنّيت معها الموت ، وولدت امرأتي ذات ليلة ، وكانت ليلة العيد ، فلم يكن معي ما أشتري لها ما يمسك رمقها ، فخرجتُ على وجهي ، أطلب من أتصدّق منه شيئاً أعود به إلى امرأتي .

فافضيت إلى زقاق طويلٍ لا أعرفه ، فدخلت ، فإذا هو لا ينفذ ، وإذا فيه باب دار مفتوح ، ومستراح .

فدخلت الدار بغير إذن ، فإذا برجل يطبخ قدراً ، فصاح عليّ ، وقال : من أنت ، ويلك ؟ ، فقصصت عليه خبري .

فقال : إمض إلى ذلك البيت ، واجلس إلى أن أفرغ من القدر ، فأعطيك منها مع الخبز شيئاً تحمله إلى امرأتك ، ونفقة تكفيك أيّاماً .

فدخلت البيت ، فرمى إليّ كساءً[٢] ، وقال : تغطّ به ، ونم ساعة .

---

١ اللعب : اللّهو .

٢ الأصل في الكساء ، أنّه الثوب بصورة عامة ، أي كلّ ما يكسو الجسد ، ثم صرف إلى ما يلبس فوق الثياب ، فيكون بمثابة المعطف ، راجع معجم دوزي ص ٣٨٣–٣٨٦ .

وكانت ليلة باردة ، و كنتُ بقميص واحد ، فتغطّيت بالكساء ، وانضجعت [٣] ، ولم يدخل عيني النّوم ، لما بي من الجوع والغمّ .

فما لبثت أن جاء رجل عريان ، فدخل وعلى رأسه شيءٌ ثقيل ، فقام [١٣٢ م] الّذي يطبخ ، فأغلق الباب ، وأنزل ما كان على رأسه .

وقال له : ويلك ، غبتَ ، حتّى أيستُ منك .

فقال : كنت يومي وليلتي ، مختبئاً خلف حطب لهم ، حتّى تمكّنت من أخذ هذه البدرة [٤] ، وما أدري أدنانير هي أم دراهم ؟ ، وأنا ميت جوعاً ، فأطعمني شيئاً .

قال : فأخذ الرّجل يغرف من القدر ، ومضى العريان فلبّس شيئاً ، وجاء إلى الآخر ، وقد غرف ، فجعلا يأكلان ، وقد خرجت [١٤٢ ر] نفسي فزعاً .

فلمّا أكلا ، أخرجا شراباً ، وجعلا يشربان ، وأنا متحيّر لا أدري ما أصنع ، ولست أجترئ أطلب من الرّجل شيئاً .

وأقبل العريان يشرب أكثر من الآخر الّذي كان يطبخ ، وجعل الّذي كان يطبخ ، يقول له : استكثر من الشرب لتدفأ ، إلى أن سكر العريان ، ونام .

فقام الأوّل ، فطاف في الدّار ، ثمّ جاءني ، فكلّمني ، فسكتُّ ، خوفاً من أن يعلم أنّي قد علمت بقصّتهما ، فيقتلني ، فظنّ أنّني قد نمت .

فمضى إلى النّائم ، فذبحه ، ثمّ أمسكه حتّى مات ، ثمّ لفّه في كساءٍ ، وحمله على عاتقه ، وخرج من الدار .

فقلت لنفسي : لأيّ [١٦٩ ظ] شيءٌ قعودي ؟.

---

٣ في م : واضطجعت ، وكلاهما فصيح ، والانضجاع ، والاضطجاع : وضع الجنب بالأرض .

٤ البدرة : كيس يحتوي على عشرة آلاف قطعة من النقد .

فقمت ، فجئت إلى البدرة ، فجعلتها في الكساء الّذي كان عليّ ، وخرجت أسعى سعياً شديداً .

فلم أزل كذلك ، حتّى رأيت مسجداً قد فتحه إنسان ، وخرج منه ، وجلس يبول ، فدخلته ، وجاء الرّجل الّذي كان يبول ، فدخله ، وأغلق بابه .

وقال لي : أيّ شيء أنت ؟.

فقلت : غريب ، جئت الساعة من السواد[5] ، ولم أجسر أن أتجاوز هذا الموضع ، فأجرني ، أجارك الله .

فقال : نم مكانك ، فتركت البدرة تحت جنبي[6] واتّكأت عليها .

فلم ألبث حتّى سمعت في الطريق صوت رجل يسعى سعياً شديداً ، وإذا كلام صاحبي بعينه ، وهو يقول : عملها ابن الزانية ، ويلي على دمه .

فأبصرته من شبّاك المسجد ، وإذا في يده خنجر مجرّد ، وهو يتردّد ذاهباً وجائياً ، وأعماه الله عن دخول المسجد ، إلى أن مضى .

ولم أزل ساهراً لا يحملني النوم[7] ، خوفاً منه ، وإشفاقاً على ما معي ، إلى أن أضاء الصّبح ، وأذّن في المسجد .

وخرجت كأنّي أتوضّأ ، وحملت ما معي ، ومشيت ، والنّاس قد كثروا في الطّريق ، حتّى انتهيت إلى بيتي ، فأخفيت ما جئت به ، وأصلحت حالي ، وحال زوجتي .

ثمّ خرجت إلى ضيعة -كانت لأبي - خراب ، فأقمت بها مدّة ، حتّى عمّرتها بأكثر ذلك المال ، وعلمت أنّه لا يتّفق مثل هذا الاتّفاق أبداً ، ولزمت شأني ، وصلحت حالي .

---

٥ من السواد : أي من الريف ، من خارج البلد ، ويقال للريفيّ : سوادي .

٦ كذا في ظ ور ، وفي م : تحت رأسي .

٧ في م : لا يقربني النوم .

قال : فقال أبي : ما حدّثت بهذا الحديث حتّى مات الرّجل ، ولا أسمّيه أبداً[8] .

8 هذه القصّة لم ترد في غ ولا ه .

٢٧٢
اللّجاج شؤم

حدّثني أبو الحسن محمّد بن محمّد بن جعفر الأنباري الشّاهد ببغداد ، أحد كتّاب قضاتها ، وخلفائهم ، ويعرف أيضاً بصهر القاضي ابن سيّار[١] ، الّذي كان يخلف القاضي أبا القاسم التنوخي ، رحمه الله ، على أعمال نواحي واسط ، وكور الأهواز ، وخلف بعده عدّة قضاة رؤساء ، وكان من شيوخ غلمان أبي الحسن الكرخي ، [وقد رأيت أنا أبا الحسن هذا كثيراً عند أبي رضي الله عنه ، ولم اسمع هذا الحديث منه][٢] ، قال :

حدّثني شيخ من البصريّين ، أثق به ، قال : عادلت[٣] فلاناً القاضي – ذكره ابن مرغول رحمه الله ، وأنسيه محمّد بن محمّد – إلى الحجّ[٤] .

قال : وتشاجر رجلان ، في الرفقة الّتي كنّا فيها من القافلة .

قال : وجذبهما ذلك القاضي إليه ، ولم يزل يتوسّط بينهما ويترفّق بهما ، وقد استعمل كلّ واحد منهما اللّجاج والمشاحنة ، وأقاما عليها ، وهو يصبر عليهما ، ويقول : اللّجاج شؤم ، فلا تستعملانه ويكرّر هذه اللّفظة ، إلى أن فصل بينهما .

فقال لي : أذْكِرْني حديثاً في اللّجاج ، جرى على يدي ، لك فيه ، ولكلّ من سمعه ، أدب[٥] .

قال : فأذكرته بعد وقت .

---

١ في ر و ظ : ابن بيان ، والتصحيح من م .

٢ الزيادة من م ، وقوله في هذه الزيادة : لم أسمع هذا الحديث منه ، يناقض ما ورد في صدر القصّة في قوله : حدّثني ، والغالب على ظنّي ، أنّ كلمة : حدّثني ، أصلها : حدّث ، وقد حرّفها النسّاخ .

٣ المعادلة : الركوب متقابلين في المحمل ، ويسمّى الراكب : عديلاً .

٤ كذا في ظ و ر ، وفي م : عادلت فلاناً القاضي ، واسمه محمد بن محمد إلى الحج .

٥ في م : ولكل من يسمعه فائدة .

فقال : كنت أتولّى القضاء ، في البلد الفلاني ، فتقدّم إليّ [١٣٣ م] رجلان ، فادّعى أحدهما على الآخر عشرين ديناراً .

فقلت للمدّعى عليه : ما تقول ؟.

فقال : له عليّ ذلك ، إلّا أنّي عبد لآل فلان ، مُكاتب[٦] ، مأذون لي في التصرّف ، واتّجرت ، فخسرت ، وليس معي ما أعطيه ، وقد عاملني هذا الرّجل سنين كثيرة ، وربح عليّ أضعاف هذه الدنانير مراراً ، فإن رأى القاضي أن يسأله الرّفق بي ، فإنّي عبدٌ ، وضعيف ، ولا حيلة لي .

فسألته أن يرفق به ، ويؤخّره ، فامتنع .

فقلتُ : قد سمعتَ .

فقال : ما لي حيلة .

فقال الرّجل : احبسه لي .

فعاد العبد يسألني ، فسألته [١٤٣ ر] أن لا يفعل ، وبكى العبد ، فرققت له ، وسألت خصمه أن لا يحبسه ، وأن ينظره .

فقال : لا أفعل .

فقال العبد : إن حبسني أهلكني ، ووالله ما أرجع إلى شيئ ، وإنّه ليضايقني ، ويلجّ في أمري ، وقد انتفع منّي بأضعاف هذه الدنانير ، وورث منذ أيّام من أخي ألوف دنانير ، فأشير عليّ بمنازعته إلى القاضي في الميراث ، فلم أفعل .

قال : فحين قال ذلك ، توجّه لي وجه طمع في خلاصه من لجاج ذلك الغريم ، وقد كان غاظني بلجاجه ومحكه[٧] .

فقلت : [١٧٠ ظ] كيف ورث أخاك ، وأردت منازعته ؟ .

---

٦ المكاتب : الرقيق الذي يتّفق مع سيده على أن يؤدّي إليه مبلغاً معيّناً ، فإذا أدّاه صار حرًّا ، ويكتبان بذلك كتاباً .

٧ المحك : التمادي في اللجاجة والخصومة .

فقال : إنّ أخي كان عبداً له ، مأذوناً له في التصرّف ، وكان يتّجر ويتصرّف ، ويؤدّي إليه ضريبته ، وجمع مالاً وأمتعةً ، بأكثر من ثلاثة آلاف دينار ، ثمّ مات ، ولم يخلّف أحداً غيري ، وأنا رجل ضعيف ، مملوك ، ولي ابنان طفلان من امرأة حرّة ، وهما حرّان ، فأنا أعولهما ، وأعول نفسي ، وزوجتي ، وأؤدّي إلى مولاي ضريبته[8] فطمعت في أن أنازعه في الميراث ، وآخذ شيئاً أعود به على نفسي ، وأولادي ، وعيالي ، فقيل لي : إنّك لا ترث ، فلم أحبّ منازعته ، صيانة له ، وهو الآن يضايقني .

قال : فقلت للرّجل : هو كما قال ، إنّ أخاه كان عبدك ، ومات ، وخلّف عليك تركة قيمتها ثلاثة آلاف دينار ؟.

قال : نعم .

فقلت له : ولهذا العبد طفلان حرّان ؟ .

قال : نعم .

فقلت : قم ، فأخّره بالدنانير ولا تطالبه بها .

فقال : ما أبرح إلّا بالدّنانير ، أو بحبسه .

فقلت : اقبل رأيي ، ولا تلجّ .

فقال : لا أفعل .

فقلت : إنّك متى لم تفعل ، خرج من يدك مال جليل .

فقال : لا أفعل .

قال : فقلت للعبد : قد أذنت لك أن تتكلّم عن ابنيك الطفلين ، وهما – على مذهب عبد الله بن مسعود ، وهو مذهبي – أحقّ بالميراث من مولاه ، وإن كنت أنتَ حيّاً ، فإنّك بمنزلة الميت للعبوديّة ، فطالبه عن ابنيك الحرّين الطفلين بالتركة .

---

٨ الضريبة : راجع حاشية القصّة ٢٥٤ .

قال : فطالبه بها .

فأحضرت الشهود ، فأعاد الخصومة ، والدعوى ، ولم أزل بالمولى ، حتّى أسمعت الشهود إقراره بما كان أقرّ به عندي ، ثمّ حكمتُ للإبنين الطفلين بالتركة ، وانتزعت جميعها من يده ، وسلّمت إليه منها عشرين ديناراً ، لما أقرّ له العبد به ، وجعلت ذلك ديناً عليه لابنيه .

وسلّمت مقدار ثمن العبد ، من مال الطفلين ، إلى أمين من أمنائي ، وقلت : اشتر أباهما من مولاه بهذه الدنانير ، واعتقه عليهما ، ففعل .

وجعلت باقي مال الطفلين في يد أبيهما ، وأمين جعلته عليه مشرفاً ، وأمرت الأب أن يتّجر لهما بالمال ، ويأخذ ثلث الرّبح ، بحقّ قيامه ، وحكمت بالجميع ، وأشهدت على إنفاذي الحكم له الشهودَ .

فقام العبد ، وهو فرحان ، وقد فرّج الله عنه ، وآمنه أن يحبس ، وعتقت رقبته ، وصار موسراً .

وقام اللّجوج خاسراً خائراً ، وقد أخذ عشرين ديناراً ، وأعطى ثلاثة آلاف دينار[٩] .

٩ لم ترد هذه القصّة في غ ولا ه .

٢٧٣

ابن الجصّاص الجوهري

يلتقط جواهره المبعثرة لم يفقد منها شيئاً

حدّثني أبو علي بن أبي عبد الله بن الجصّاص ، قال : سمعت أبي يقول : إتّفق أنّي كنت يوم قبض عليّ المقتدر جالساً في داري ، وأنا ضيّق الصّدر ، ضيقاً شديداً ، لا أعرف سببه .

وكان من عادتي إذا لحقني مثل ذلك ، أن أخرج جواهر عندي في درج معزولة لهذا ، من ياقوت أحمر ، وأزرق ، وأصفر ، وحبّاً كباراً ودرًّا فاخراً ، يكون [١٣٤ م] قيمة الجميع خمسين ألف دينار[1] ، وأكثر ، وأستدعي صينيّة[2] ذهب لطيفة ، فأجعله فيها ، وألعب به ، وأقلّبه ، فيزول ضيق صدري .

فاستدعيت ذلك الدرج ، فجاءوني به بلا صينيّة ، فأنكرتُ ذلك ، وأمرت بإحضارها ، وفتحت الدرج ، وفرّغت ما فيه في حجري ، ورددته على الخادم ، وأنفذته يجيئني بالصينيّة ، [١٤٤ ر] ، وأنا جالس في بستان ، في صحن داري ، في يوم بارد ، طيّب الشّمس ، وهو مزهر بصنوف الشقائق[3] ، والمناثير[4] ، وأنا ألعب بتلك الجواهر ، إذ دخل النّاس إليّ بالصّياح ، والمكروه ، والكبس ، فقربوا منّي .

---

١ في م : عشرين ألف دينار .

٢ الأصل في الصينيّة ، أنّها الآنية المنسوبة إلى الصين ، ثم صرفت إلى كلّ أناء يشبه الطبق يتّخذ لتقديم الأشياء عليه ، هذا إذا كان من المعدن ، فإن لم يكن من المعدن ، فهو طبق .

٣ الشقائق : زهور ربيعيّة ذات لون أحمر جميل ، سمّيت شقائق النعمان ، لأنّ النعمان بن المنذر ، نزل بأرض فيها هذه الزهرة ، فاستحسنها ، وأمر أن تحمى ، فنسبت إليه .

٤ المناثير ، مفردها : المنثور : نبات ذو زهر ، ذكيّ الرائحة ، سمّي منثوراً لأنّه كان ينثر ويفرش في ـــ

فدهشت ، ولم أحبّ أن يظهروا على ما في حجري ، فنفضت جميعه في ذلك الزّهر في البستان ، ولم ينتبهوا له .

فأخذتُ ، فحملت ، وجرى عليّ ما جرى من المصادرة ، وبقيت في الحبس المدّة الطويلة ، وتقلّبت الفصول على البستان ، فجفّ ما فيه ، ولم يفكّر أحد في قلعه ، أو زراعته ، وإثارته ، وأغلقت الدّار ، فما قربها أحد [١٧١ ظ] من أصحابي ، ولا أعدائي ، بعد الّذي أخذ منها ، وفرغت ، ووقع اليأس من وجود شيئ فيها .

ثمّ سهّل الله إطلاقي ، فأطلقت ، فحين جئت إلى داري ، ورأيت الموضع الّذي كنت جالساً فيه ذلك اليوم ، ذكرت حديث الجوهر الّذي كان في حجري ، ونفضي إيّاه في البستان .

فقلت : ترى بقي منه شيئ ؟ .

ثمّ قلت : هيهات ، هيهات ، وأمسكت .

فلمّا كان في الغد ، أخليت الدّار ، وقمت بنفسي ومعي غلام يثير البستان بين يدي ، وأنا أفتّش شيئاً ، شيئاً ، ممّا يثيره ، وأجد الواحدة بعد الواحدة ، من ذلك الجوهر ، وكلّما وجدت شيئاً ، حرصت على الإثارة ، وطلب الباقي ، إلى أن أثرت جميع البستان ، فوجدت جميع ذلك الجوهر ، ما ضاع لي منه واحدة .

فأخذته ، وحمدت الله ، وعلمت أنّه قد بقيت لي بقيّة من الإقبال صالحة[٥] .

= مجالس الشراب ، وما كان منه أصفر اللون فهو الخيري ، راجع القصّة ٣/٩٦ و ٧/١٣٤ من كتاب نشوار المحاضرة .

٥ وردت هذه القصّة في نشوار المحاضرة برقم ٧/١٣٤ ولم ترد في غ ولا هـ .

٢٧٤
الوزير ابن مقلة ينكب رجلاً ثمّ يحسن إليه

حدّثني أبو محمّد يحيى بن سليمان بن فهد رحمه الله ، قال : حدّثنا أبو علي إسماعيل بن محمّد بن الخبّاز ، قال :

كان أبو علي بن مقلة[1] ، نكبني ، وصادرني ، لشيء كان في نفسه عليّ ، فأفقرني ، حتّى لم يدع لي شيئاً على وجه الأرض .

وأطلقني من الحبس ، فلزمتُ بيتي حزيناً ، فقيراً ، يتعذّر عليّ القوت .

ثمّ لم أجد بدًّا من الاضطراب في معاشي ، فأشير عليّ أن ألزم ابن مقلة ، وأستعطفه ، وقيل لي إنّه إذا نكب إنساناً فخدمه ، رقّ عليه .

قال : فلزمته مديدة ، لا أراه يرفع إليّ رأساً ، ولا يذكرني[2] .

قال : وكان يعرفني بحسن الثياب ونظافتها ، والتفقّد في أمر نفسي[3] ، أيّام يساري .

واتّفق أنّي حضرت داره في يوم جمعة ، غدوة ، ولم أكن دخلتُ الحمام قبل ذلك بأسبوع ، ولا حلقت شعري ، ولا غيّرت ثيابي ، وأنا وسخ الجسد والثّياب ، طويل الشعر ، وإنّما أخّرت ذلك لإضاقتي عن مقدار ما أحتاج إليه ، ولشغل قلبي أيضاً ، وغمّي بالفقر المدقع الّذي دفعت إليه ، وهوان نفسي عليّ .

فخرج ابن مقلة ليركب ، فقمت إليه في جملة النّاس ، فدعوت له .

١ الوزير أبو عليّ محمد بن علي المعروف بابن مقلة : ترجمته في حاشية القصّة ٧٨ من هذا الكتاب .
٢ في م : ولا يفكّر فيّ .
٣ كذا في م ، وفي ظ : والتنقية في أمر نفسي .

فحين رآني ، تأمّلني طويلاً ، ثمّ أومأ إلى خادم له بكلام لا أفهمه ، وركب .

فجاءني الخادم ، فقال : الوزير يأمرك أن لا تبرح من الدار ، إلى أن يعود ، وأخذني إلى حجرة ، فأجلسني فيها .

فقامت قيامتي ، وخفت أن يكون قدّر أن تكون لي بقيّة حال ، ويريد الرّجوع عليّ بالمطالبة ، وليس ورائي شيء ، فأتلف .

فتداخلني من الجزع أمر عظيم ، وحصلت في شدّة كانت أشدّ عليّ ممّا مرّ بي ، فلم يكن بأسرع من أن عاد .

فجاءني الخادم ، فقال : قم إلى الوزير ، فقد طلبك .

فجئت ، حتّى دخلت عليه ، وهو خالٍ وحده ، وليس بين [١٣٥ م] يديه غير أبي الحسين ، ابنه[٤] ، فرحّب بي ، وأكرمني ، ورأيت من برّه ما زال عنّي معه الخوف .

ثمّ قال : يا أبا علي ، أعرفك نظيف الثوب ، حسن القيام على نفسك ، فلِمَ أنت بهذه الصورة ؟.

قال : ففطنت أنّه لما رآني على صورتي تلك ، رقّ لي .

فقلت : أيّها الوزير ، لم يبقَ لي – والله – حال ، وإنّه ليتعذّر عليّ ما أغيّر به هذا المقدار من أمري ، وفتحت أبواب الشكاية ، إلى أن بكيت .

فقال : إنّا لله ، إنّا لله[٥] ، ما ظننت أنّ حالك بلغت إلى هذا ، ولقد أسأنا إليك .

---

٤ الوزير أبو الحسين علي بن محمد بن علي بن مقلة : هو ابن الوزير أبي عليّ ، لما قلّد الراضي ولديه ، المشرق والمغرب ، استكتب لهما أبا الحسين ، ثمّ استخلفه أبوه على جميع الدواوين ، ثم ولاّه الراضي الوزارة مع أبيه ، ولما قبض على أبيه استتر ، ثم وزّر للمتّقي ، وسافر معه إلى الموصل ، ولما عاد معه إلى بغداد ، قبض عليه توزون ، وتوفّي في السنة ٣٤٦ (تجارب الأمم ١/٣٠٩–٣٨٨ و ٢/٤٣–١٦٧) .

٥ في مُ : إنّا لله وإنّا اليه راجعون .

قال : ثمّ مدّ يده إلى الدواة ، فكتب لي على الجهبذ ، بألف دينار صلة ، ووقّع توقيعاً آخر ، بأن أبايع ضيعة من المبيع بألفي دينار ، بحيث أختار ذلك ، ثمّ قال : خذ هذه الدنانير فاتّجر بها ، وأصلح منها [١٤٥ ر] حالك ، وابتع بهذه الألفي دينار ضيعة من المبيع ، تغلّ لك ألف دينار في السنة ، واخترها ، وشاور فيها ، فإذا وقع اختيارك عليها ، فأسمها لي ، لأكتب بمبايعتك إيّاها ، لتستكفي بغلّتها سنتك ، إلى أن [١٧٢ ظ] أنظر لك بعد هذا ، فأردّ جاهك ، فشكرته ودعوت له ، ونهضت .

فقال : قف ، فوقفت .

فقال لابنه أبي الحسين : بحياتي عليك ، عاون أبا عليّ حتّى يحصل له هذا كلّه في أسبوع ، وفي دفعة واحدة ، ولا ينمحق عليه .

قال : فوعدني أبو الحسين بذلك ، وأمرني بالمصير إليه ، فانصرفت .

ورحت إلى أبي الحسين ، فأعانني ، فحصل ذلك كلّه لي في أيّام قليلة ، وحصلت لي الضيعة ، فاستغللتها في تلك السنة ألف دينار .

ولزمت أبا عليّ ، فعوّضني بمكاسب جليلة ، عاد إليّ منها أكثر ممّا خرج عن يدي بنكبته[٦] .

---

٦ لم ترد هذه القصّة في غ ولا هـ .

٢٧٥

إبن عبدونِ الأنباري الكاتب

يكسب في ليلة واحدة مائة ألف دينار

قال محمّد بن عبدوس في كتاب الوزراء : حكي عن محمّد بن خلف ، المعروف بابن عبدون الأنباري الكاتب ، إنّه قال :

بينما أنا يوماً أدرج في بعض سكك المدينة[1] ، وكانت حينئذ لا يدخلها راكباً إلّا من له نباهة ، إذ سمعت خلفي وقع حوافر ، فنظرت فإذا يوسف[2] بن الوليد الأنباري ، وكانت بيني وبينه مودّة وقرابة ، فلم أسلّم عليه .

فقال لي : من أين يا أبا عبد الله ؟ .

فقلت : إنّي كسرت[3] هذه السنة ثلاثة آلاف فرسخ ، وانصرفت وأنا سبروت[4] .

---

١ المدينة : مدينة المنصور .

٢ في م : يونس .

٣ كسر : هنا ، بمعنى قطع مسافة .

٤ السبروت : كناية بغداديّة عن المفلس ، فصيحة ، والسبروت من الأرض : القفر الذي لا نبات فيه ، وللبغداديّين في الإفلاس تعابير وأوصاف وكنايات يضيق عنها هذا البحث ، ومن جملة كناياتهم عن المفلس : هلكان ، مهلوس ، پريشان ، (فارسية : سيئ الحال) ، نابديد (فارسية : غير ظاهر ، مختفي ، وربما كان أصلها نابود : مفلس ، فقير ، معدوم) ، هتيان (أحسبها تركية ، أصلها هايتان) قال الشاعر البغداديّ :

إجتمع البعــض مـن الشبّـان ... من مفلسٍ حـافٍ ومن هتيـان

ويكنون عن المفلس ، بقولهم : ضربه جويريد ، وجويريد هو الخريف الذي يجرد الأشجار من أوراقها كما يكنون عن المفلس ، بقولهم : يقرأ بجيبه أبو الربّاز ، وهذه الكناية لا بدّ لها من شرح ، فإنّ أبا الربّاز ، أحد المغنّين المشهورين ببغداد في القرن التاسع عشر ، وكان له صوت معروف به ، يبزّ به المغنّين كافّة ، =

فقال لي : ثلاثة آلاف فرسخ ؟ .

قلت : نعم ، مضيت إلى مصر[٥] ، فأخفقت ، ثمّ مضيت إلى فارس[٦] ، ثمّ إلى كرمان[٧] ، ثمّ إلى خراسان[٨] ، وانقلبت إلى أذربيجان[٩] ، وانصرفت بغير شيء ، وأنا أتمنّى أن يهب الله تعالى قوتاً ، فأتموّنه في بلدي .

فقال لي : كم يكفيك من الرزق ؟ .

= وهو غناؤه في هذين البيتين :

هو الحبّ فاسلم بالحشا ما الهوى سهل ... فما اختاره مضنىً به وله عقل

وعش خالياً فالحبّ راحته عنىً ... وأوّله سقم وآخره قتل

والبغداديّون في قولهم عن المفلس : يقرأ بجيبه أبو الربّاز ، يشيرون إلى صدر البيت الثاني ، الذي يقول فيه : وعش خالياً ، ومن الأمثال البغداديّة اللطيفة عن الإفلاس قولهم : المفلس يتعثّر بخصيانه (فصيحه بخصاه) ، وأنا أروي منذ أكثر من خمسين سنة ، قصّة بغدادي أملق ، فقال يسلّي نفسه :

لا بدّ ما تنقضي ... والفقر ما هو عيب

وأوقف براس الجسر ... واخرخشك يا جيب

لاحظ أنّ القاف ، يلفظها البغداديّون كافاً فارسية ، كالجيم المصرية .

٥ مصر : أرض مصر أربعون ليلة في مثلها ، عرضها من برقة إلى أيلة ، وطولها من أسوان إلى الشجرتين اللتين بين رفح والعريش (معجم البلدان ٥٤٦/٤) فتح المسلمون مصر في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ، وأنشأوا مدينة الفسطاط ، راجع حاشية القصّة ٢٢٣ من هذا الكتاب .

٦ فارس : راجع حاشية القصّة ٧٨ من هذا الكتاب .

٧ كرمان : إقليم واسع . يشتمل على مدن كثيرة . وبلدان واسعة . وخيرات وافرة . وهو بين فارس وسجستان ومكران . وحدّ منها يتّصل بخراسان (المشترك وضعاً ٣٧٢) .

٨ خراسان : بلاد واسعة في شمالي إيران . كانت قصبتها مرو . ثم نيسابور ، لما إنتقل إليها عبد الله بن طاهر لمّا ولي خراسان (لطائف المعارف ٢٠١) و (معجم البلدان ٤٠٩/٢) ، أقول : خراسان اليوم قصبتها طوس . وفيها قبر الإمام علي بن موسى الرضا . وقبر الخليفة العباسي هارون الرشيد ، وقد زرت طوس في السنة ١٩٥٥ ثم في السنة ١٩٦٨ .

٩ أذربيجان : صقع جليل . ومملكة عظيمة . الغالب عليها الجبال . وفيها خيرات واسعة ، وفواكه جمة ، وأكبر مدنها تبريز . وهي قصبتها (معجم البلدان ١٧٣/١) .

فقلت : إن كان في بلدي ، فخمسة عشر ديناراً في كلّ شهر ، أتقوّت بها أنا وعيالي ، وهو ما لا فضل فيه لشهوة ولا نائبة .

فقال : كن معي .

فاتّبعته ، فصار بي إلى ديوان فيه كتّاب ، وحجرة لطيفة ، فدخلتها ، فإذا في صدرها الفضل بن مروان[10] ، وهو يكتب حينئذٍ للمعتصم[11] ، وهو أمير ، فوصفني للفضل ، ورغّبه في استخدامي ، فرمى إليّ الفضل بكتاب .

وقال : أجب عنه بما يجب .

فاستعلمت منه الدعاء[12] ، وأجبت الرّجل عن الكتاب ، وعرضته عليه ، فرضي خطّي ، ولفظي .

وقال لي : كم يكفيك في كلّ شهر من الرزق ؟ .

فقال له يوسف : الّذي ذكر إنّه يقنعه خمسة عشر ديناراً في كلّ شهر .

فقال : هذا قوت ، ولا بدّ من استظهار لنائبة ، ولكن قد جعلتها ثلاثين ديناراً في كلّ شهر ، فقبّلت يده .

فقال : الزمني ليلك ونهارك ، طلبتك أم لم أطلبك ، فإنّ الملازمة رأس مال الكاتب .

قال : فلزمته كما رسم .

---

١٠ الفضل بن مروان ، وزير المعتصم : ترجمته في حاشية القصّة ١٧ من هذا الكتاب .

١١ أبو إسحاق محمد المعتصم بن أبي جعفر هارون الرشيد (١٧٩–٢٢٧) : ترجمته في حاشية القصّة ١٧ من الكتاب .

١٢ يريد بالدعاء ما يورد في صدر الكتاب ، بعد إسم المخاطب ، فإنّ آيين الدواوين يفرض أن يكون لكلّ واحد من الأشخاص ، دعاء خاص ، وقد أفرد صاحب كتاب الوزراء ، فصلاً خاصّاً في هذا الموضوع ، وأورد في ضمنه ثبتاً ذكر فيه كيفية الدعاء ، بدأ فيه بالأمراء أولاد الخليفة ، ثم السيّدة أمّ الخليفة ، ثم خالة الخليفة ، ثم الأمراء العباسيّين ، ثم كبار أصحاب الأطراف ، ثم القوّاد ، ثم أصحاب الدواوين ، ثم العمّال ، ثم القضاة ، وهكذا ... راجع كتاب الوزراء للصابي : ١٦٦–١٧٨ وكتاب رسوم دار الخلافة ١١٣–١٢١ .

وكان صالح بن شيرزاد[13] ، يخلفه في دار المعتصم ، وقد استولى على المعتصم [١٣٦ م] بحيلته ، وتلطّفه ، على حماريّة كانت فيه[14] ، وكره ذلك الفضل بن مروان ، واجتهد في قلعه ، فلم يتمكّن .

فقال لي يوماً ، ما في نفسه من ذلك ، وقال : أنا أحبّ أن أجعلك مكانه ، إلّا أنّي أتخوّف أن تسلك مسلكه[15] ، فهل فيك خير ؟ .

فقلتُ : قد عرفتَ أخلاقي وطبعي ، فإن كنتُ عندك ممّن يصلح للخير ، وإلّا فلا تتقْ إليّ .

فكان في هذا التدبير ، حتّى حدث أمر القبط بمصر ، فندب المأمون أخاه أبا إسحاق ، لمحاربتهم ، في سنة اثنتي عشرة ومائتين[16] .

فخرج أبو إسحاق إلى مصر ، ومعه الفضل بن مروان ، واستخلف صالح بن شيرزاد بحضرة المأمون ، فيما لا يضرّه أن يغلب عليه ، وسلّه عن المعتصم ، وجعلني مكانه ، وشخصنا .

فكسبت مع المعتصم ، في ليلة واحدة ، مائة ألف دينار حلالاً طيّباً ، وذلك إنّ القتل كثر في أهل مصر ، وجلا الباقون ، وأشرف البلد على الخراب .

---

١٣ صالح بن شيرزاد : كان يخلف الفضل بن مروان في دار المعتصم ، ثم استخلفه المعتصم بحضرة المأمون ، لما خرج المعتصم إلى مصر . وفي السنة ٢١٣ ولي خراج مصر ، فظلم الناس وزاد عليهم في خراجهم فانتقض أسفل الأرض بمصر (الولاة والقضاة للكندي ١٨٥) وهو والد أحمد بن صالح بن شيرزاد وزير المعتمد (الفخري ٢٥٤) .

١٤ كذا ورد في ر وظ ، وفي م : على خيانة كانت فيه ، والصحيح ما أثبتناه ، ويريد بالحماريّة ، العناد والجمود .

١٥ في م : أن تسلك سبيله .

١٦ في ابن الأثير ٤٠٩/٦ : في السنة ٢١٣ خلع عبد السلام . وابن جليس ، المأمون ، بمصر ، في القيسيّة واليمانيّة ، وظهرا بها ، ثم وثبا بعامل المعتصم ، وهو عمير بن الوليد الباذغيسي فقتلاه في السنة ٢١٤ ، فسار المعتصم إلى مصر ، وقاتلهما ، فقتلهما ، وافتتح مصر ، فاستقامت أمورها واستعمل عليها عمّاله ، الطبري ٦٢٢/٨ .

وشقّ ذلك على المأمون ، وأنكره [على أبي إسحاق][17] ، إنكاراً شديداً ، فكان [١٤٦ ر] فيما رآه ، تسكين النّاس ، وردّهم إلى مصر .

فوردت عليّ في يوم واحد ، كتب جماعة [١٧٣ ظ] من رؤساء البلد ، يسألون الأمان لهم .

فقلت للفضل في ذلك .

فقال : أجبهم إلى ما التمسوا ، وأجب كلّ من سأل مثل ذلك .

فكتبت في ليلة ، لمائة رجل ، أماناً ، فظهروا ، وبعث إليّ كلّ واحد منهم ، من ثلاثة آلاف دينار ، إلى ألف دينار ، إلى خمسمائة دينار ، وبعضهم لم يبعث إليّ شيئاً .

فحصّلت ما اجتمع لي ، فكان مائة ألف دينار ، وأحييت مائة إنسان ، وفرّجت عنهم ، [وعن أتباعهم ، ومن يلوذ بهم ، وكشفت كربة عظيمة عن أبي إسحاق][18] .

١٧ الزيادة من م .

١٨ الزيادة من م ، لم ترد هذه القصّة في غ ولا هـ .

٢٧٦

الفضل بن سهل ومسلم بن الوليد الأنصاري

أخبرني أبو الفرج المعروف بالأصبهاني ، قال : أخبرني حبيب ابن نصر المهلّبي ، قال : حدّثنا عبد الله بن أبي سعد ، قال : حدّثني محمّد بن عبد الله بن سليمان[١] ، عن أبي الخطاب الأزدي ، قال :

كان مسلم بن الوليد[٢] ، والفضل بن سهل ، متجاورين في قنطرة البردان[٣] ، وكانا صديقين .

قال مسلم : فأعسرت إعساراً شديداً ، ولحقتني محنة ، وولي الفضل بن سهل الوزارة بمرو[٤] ، فتحمّلت إليه على مشقّة .

فلمّا رآني رحّب بي وأدناني ، وقال : ألست القائل ؟

فاجْرِ مع الدّهر إلى غاية ترفع فيها حالك الحال

فقلت : نعم .

قال : صرنا إلى هذه الحال ، وصرت بنا إليها ، وأمر لي بثلاثين ألف درهم ،

---

١ في م : محمد بن طهمان .

٢ أبو الوليد مسلم بن الوليد الأنصاري ، المعروف بصريع الغواني : شاعر غزل ، كوفي ، نزل بغداد ، واتّصل بالفضل بن سهل ، فولاّه بريد جرجان ، فاستمر فيها إلى أن مات ، لقّبه الرشيد بصريع الغواني ، لأنّه أنشده قوله : (الأعلام ٨/١٢٠)

وما العيش إلاّ ألفا تروح مع الصبا وتغدو صريع الكأس والأعين النجل

٣ قنطرة : البردان : محلة ببغداد (معجم البلدان ٤/١٨٧) .

٤ مرو : واسمها مرو الشاهجان ، قصبة خراسان ، بينها وبين نيسابور سبعون فرسخاً (مراصد الاطلاع ٣/١٢٦٢) .

وولّاني عملاً اخترته[٥] .

فانصرفت عنّي المحنة الّتي كنت أعانيها ، وحصلت لي نعمة طائلة .

قرئ على أبي بكر الصولي وأنا أسمع ، في كتابه ، كتاب الوزراء ، بالبصرة ، في سنة خمس وثلاثين وثلثمائة ، حدّثكم أحمد بن يزيد المهلّبي ، قال : حدّثنا عبد الله بن أبي سعد ، فذكر بإسناده نحوه ، إلّا أنّه ذكر في الشّعر زيادة أربعة أبيات ، لا تتعلّق بكتابي هذا فأذكرها ، وذكر أنّ الفضل ولّى مسلماً بريد جرجان .

---

٥ ذكروا أنّ الفضل بن سهل ضمّن مسلم بن الوليد ضياعاً بجرجان ، بخمسمائة ألف درهم ، وقد بذل له فيها ألف ألف درهم (معجم البلدان ٢/٥٠) .

٢٧٧
كيف طهّر عثمان بن حيّان المريّ المدينة من الغناء

أخبرني أبو الفرج الأصبهاني ، قال : أخبرني الحرمي بن أبي العلاء ، قال : حدّثنا الزبير بن بكّار ، قال : حدّثني عمّي مصعب ، عن عبد الرّحمن بن المغيرة الحرامي[1] الأكبر ، قال :

لما قدم عثمان بن حيّان المرّي[2] المدينة[3] والياً عليها ، قال له قوم من وجوه النّاس : قد وليت المدينة على كثرة من الفساد ، فإن كنت تريد أن تصلح ، فطهّرها من الغناء والزناء .

---

١ في م : الحراني ، وفي الأغاني ٣٤١/٨ الحزامي .

٢ أبو المغراء عثمان بن حيّان بن معبد المرّي : من الظلمة ، ولاّه الوليد بن عبد الملك ، المدينة ، خلفاً لعمر بن عبد العزيز ، والسبب في ذلك ، أنّ عمر بن عبد العزيز ، وكان يلي الحجاز ، كتب إلى الوليد ، يشكو إليه عسف الحجّاج للناس بالعراق ، واعتدائه عليهم ، وظلمه لهم ، فاغتاظ الوليد ، وعزل عمر ، وولّى بدلاً منه عثمان بن حيّان ، بإشارة من الحجّاج (الطبري ٤٨١/٦ ، ٤٨٢ وابن الأثير ٥٧٧/٤) وكانت أوّل خطبة خطبها عثمان بالمدينة ، شتم فيها أهل العراق ، ورماهم بكلّ نقيصة ، وأمر فنودي في الأسواق : ببراءة الذمّة ممّن آوى عراقيًّا ، وأمر بهم فشرّدوا في كلّ وجه ، واعتقل قوماً منهم بعث بهم إلى الحجّاج في العراق (الطبري ٤٨٥/٦ و٤٨٦) ويكفي للدلالة على ظلم عثمان ، ما قاله عمر ابن عبد العزيز ، وقد جرى ذكر المظالم : الحجّاج بالعراق ، والوليد بالشّام ، وقرّة بمصر ، وعثمان بالمدينة ، وخالد بمكّة ، ألّلهم إنّ الدنيا قد امتلأت ظلماً وجوراً (ابن الأثير ٥٨٤/٤) .

٣ المدينة : يوجد ستة عشر موضعاً يسمّى باسم المدينة ، منها : يثرب ، مدينة الرسول صلوات الله عليه (المفترق صقعاً ٣٨٨–٣٩٢) ، وبها قبره ومسجده ، وبها نخل كثير على مياه الآبار والسواقي (مراصد الاطلاع ١٢٤٦/٣) أقول : زرت المدينة لمّا حججت في السنة ١٩٦٤ فوجدتها من أطيب البلدان هواء ، وأعذبها ماء ، وفيها أنواع كثيرة من الفواكه والتمور ، والأسعار فيها رخيصة ، وأهلها طيبوا الأخلاق ، معاملتهم حسنة ، ورأيت العمران فيها قائماً على ساق ، وقد استملكت الحكومة السعودية مساحة عظيمة من العقار المحيط بقبر رسول الله ومسجده ، وبنت بجوار القبر مسجداً ، شاهق البنيان ، بديع الصنعة ، واسع الأكناف ، واحاطته برحبة واسعة .

فصاح في ذلك[4] ، وأجّل أهله ثلاثاً ، يخرجون فيها من المدينة .

وكان ابن أبي عتيق[5] غائباً ، وكان من أهل الفضل والعفاف والصلاح ، فلمّا كان في آخر ليلة من الأجل ، قدم [١٣٧ م] .

فقال : لا أدخل منزلي حتّى أدخل على سلّامة القس[6] .

فقال لها ، وقد دخل عليها : ما دخلت منزلي ، حتّى جئتكم أسلّم عليكم .

قالوا : ما أغفلك عن أمورنا ، فأخبروه الخبر .

فقال : اصبروا لي اللّيلة .

فقالوا : نخاف أن لا يمكنك شيء ، ونؤذى[7] .

فقال : إن خفتم شيئاً ، فاخرجوا في السّحر .

ثمّ خرج ، واستأذن على عثمان بن حيّان ، فأذن له ، فسلّم عليه ، وذكر غيبته ، وأنّه جاء ليقضي حقّه ، ثمّ جزاه خيراً على ما فعل من إخراج أهل الغناء والزناء .

وقال : أرجو أن لا تكون عملت عملاً ، هو خير لك من ذلك .

---

٤ صاح في ذلك : أمر أن ينادى به في البلدة .

٥ عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصدّيق ، المعروف بابن أبي عتيق : كان من أجلّ أهل زمانه ، من أهل الفضل ، والعفاف ، والصلاح ، كريماً ، حليماً ، يهتزّ للشعر الرائق ، ويطرب للغناء الحسن ، وكان محبوباً ، محترماً من أهل الحجاز على اختلاف آرائهم ، وهو الذي جمع بين لبنى وقيس بعد طلاقها منه ، روى له الحصري في كتاب الملح والنوادر ملحتين مع عمته عائشة أمّ المؤمنين (الملح ٣ و ٤٥) ، راجع أخباره في كتاب الأغاني ، في جميع أجزائه ، وفي كتاب الملح ص ٢٥ و ٤٢–٤٥ وله قصّة من أطرف القصص مع عبد الله بن عمر ، راجعها في التاج ص ١٣١ وقصص أخرى ظريفة في الأغاني ١٢/١٥٧ و ١٥/٣٣٥ ، وراجع كذلك حاشية القصّة ٤٨٢ من هذا الكتاب .

٦ سلّامة القس : مغنّية ، شاعرة ، نشأت بالمدينة ، ومهرت في الغناء وضرب العود ، وشغف بها عبد الرحمن بن أبي عمّار التابعي ، الملقّب بالقسّ ، لعبادته وزهده ، فغلب لقبه عليها ، واشتراها يزيد بن عبد الملك بعشرين ألف دينار ، ورثته لما مات (الأعلام ٣/١٦٣) .

٧ في الأغاني ٨/٣٤١ : وننكظ ، يقال : أنكظه ، إذا أعجله عن حاجته .

قال عثمان : قد فعلتُ ما بلغكَ ، وأشار عليّ به أصحابك .

قال : قد وفّقت ، ولكن ما تقول يرحمك الله في امرأة كانت هذه صناعتها ، ثمّ تركتها ، وأقبلت على الصيام والصدقة والخير ، وإنّي رسولها إليك تقول : أتوجّه إليك ، وأعوذ بك أن تخرجني من جوار رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، ومن مسجده .

فقال : إنّي أدعها لك ولكلامك .

فقال ابن أبي عتيق : لا يدعك النّاس ، ولكن تأتيك ، وتسمع كلامها ، وتنظر إليها ، فإن رأيت أنّ مثلها يسع أن تترك ، تركتها .

قال : نعم .

فجاءه بها ، وقال لها : احملي معك سبحة[8] ، وتخشّعي ، ففعلَتْ .

فلمّا دخلت على عثمان ، حدّثته ، فإذا هي من أعلم النّاس بأمور النّاس ، فأعجب بها ، وحدّثته عن آبائه وأمورهم [١٧٤ ظ] ففكه لذلك .

فقال لها ابن أبي عتيق : اقرئي للأمير[9] ، فقرأت .

---

٨ راجع ما كتبناه عن المسبحة في حاشية القصّة ٢٢٨ من هذا الكتاب .

٩ القراءة : الدراسة والتفهّم (مفردات الراغب الأصبهاني ٤١٢) وقد ورد في القرآن الكريم : سنقرئك فلا تنسى ، (٦ ك الأعلى ٨٧) ، والقارئ : الناسك المتعبّد (أساس البلاغة للزمخشري ٢/٢٣٩) ، والقارئ : قارئ القرآن ، والقراءات السبع : قراءة كلّ من أبي عمر زبان بن العلاء المازني ، وأبي رويم نافع بن عبد الرحمن المدني ، وأبي معبد عبد الله بن كثير المكّي ، وأبي بكر عاصم بن أبي النجود بهدلة الكوفي ، وأبي عمران عبد الله بن عامر اليحصبي ، وأبي عمارة حمزة بن حبيب الزيات ، وأبي الحسن علي بن حمزة الكسّائي (الفهرست ٢٨) ، فاذا قيل القراءات العشر : أضيفت إليها قراءة أبي جعفر يزيد بن القعقاع المخزومي ، وأبي محمّد خلف بن هشام الأسدي البزاز ، وأبي محمّد يعقوب بن إسحاق البصري ، وكان ابن عبّاد النجار ، يقرأ بالسبعة ، وكان فقيراً ، يخرج بالنهار يتصدّق ، فيشد الرقائق والزهديات ، فسئل لماذا لا يتصدّق بقراءة القرآن . فقال : والله ، لا أعرّض القرآن للمسألة أبداً (القصّة ٤/٣ من نشوار المحاضرة) وخالفه في ذلك سائل كان يتصدّق بقراءة القرآن ، فقيل له : أما تستحي =

فقال لها : احدي له[10] ، ففعلت ، فكثر عجبه بها .

فقال : كيف لو سمعتها في صناعتها ، فلم يزل ينزله شيئاً شيئاً ، حتّى أمرها بالغناء ، فقال لها ابن أبي عتيق ، غنّي :

سددن خصاص البيت[11] لما دخلنه بكلّ لبان[12] واضح[13] وجبين

فغنّته ، فقام عثمان بن حيّان ، فقعد بين يديها ، ثمّ قال : لا والله ، ما مثل هذه تخرج .

فقال ابن أبي عتيق : لا يدعك النّاس ، يقولون أقرّ سلّامة ، وأخرج غيرها .

فقال : دعوهم جميعاً ، فتركوهم .

وأصبح النّاس يتحدّثون بذلك ، يقولون : كلّم ابن أبي عتيق الأمير في سلّامة القس ، فتركوا جميعاً[14] .

= تسأل بالقرآن ؟ فقال : أسكتوا ، فوالله ، لو جعتم كما أجوع ، لبعتم جبرائيل ، وميكائيل ، فضلاً عن القرآن (البصائر والذخائر ٤/٤٢) .

١٠ الحداء ، بضم الحاء : غناء يغنّيه الحادي للإبل ، فتسرع في سيرها ، وما يزال هذا النوع من الغناء معروفاً في البلاد العربية ، ويسمّى : الركباني .

١١ الخِصاص ، بكسر الخاء ، ومفردها : الخصّ ، بضم الخاء : حواجز البيت إذا كانت من قصب أو أغصان الأشجار .

١٢ اللّبان ، بفتح اللام : الصدر ، أو ما بين الثديين .

١٣ الواضح : الأبيض .

١٤ وردت القصّة في الأغاني ٨/٣٤١ و ٣٤٢ ، ولم ترد في غ ولا هـ .

٢٧٨
أضاع كيسه واستعاده بعد سنة

أخبرني محمّد بن الحسن بن المظفّر، الكاتب اللّغوي، المعروف بالحاتمي[١]، قال: أخبرنا أبو عمر محمّد بن عبد الواحد، قال: أخبرنا ثعلب، قال: أخبرنا عمر بن شبّه، قال: حدّثني سعيد بن عامر، قال: حدّثنا هشام بن خالد الربعي، قال:

دخلت المسجد، ومعي كيس فيه ألف درهم، لا أملك غيره، فوضعته على ركن سارية[٢]، وصلّيت، ثمّ ذهبت ونسيته.

فكربني أمره، وفدحت حالي لفقده، فما حدّثت بذلك أحداً سنة، وجهدني الضرّ.

قال: فصلّيت من بعد ذلك، إلى تلك السارية، ودعوت الله، وسألته ردّه عليّ، وعجوز إلى جانبي تسمع قولي.

فقالت: يا عبد الله ما الّذي أسمعك تذكر؟.

قلت: كيساً أنسيته على هذه السارية عام أوّل.

قالت: هوذا عندي، وأنا منذ سنة أراقبك، فجاءت به بخاتمه.

---

١ أبو علي محمّد بن الحسن بن المظفر، المعروف بالحاتمي: ترجمته في حاشية القصّة ١٣ من الكتاب.

٢ في م: على تربيع السارية، والسارية: الأسطوانة، والبغداديّون يسمّونها: دلك، بفتح الدال واللام، وبالكاف الفارسية.

٢٧٩

عبد الله بن الزبير

يطالب بني هاشم بالبيعة أو يضرب أعناقهم

أخبرني محمّد بن الحسن بن المظفر ، المعروف بالحاتمي ، قال : أخبرني عيسى بن عبد العزيز الطاهري[١] ، قال : أخبرني الدمشقي ، عن الزبير بن بكار ، قال :

جمع [عبد الله بن] الزبير بني هاشم بمكة ، وقال : لا تمضي الجمعة حتّى تبايعوا ، أو آمر بضرب أعناقكم .

فنهض إليهم قبل الجمعة يريد قتلهم ، فناشده المسوّر بن مخرمة الزهري[٢] أن يدعهم إلى الوقت الّذي وقّت لهم ، وهو يوم الجمعة ، ففعل .

فلمّا كان يوم الجمعة ، دعا محمّد بن الحنفيّة رضي الله عنه خادماً له بغسل[٣] وثياب ، وهو لا يشكّ في القتل .

وقد كان المختار بن أبي عبيد بعث أبا عبد الله[٤] وأصحابه إليهم ، فجاءهم الخبر بحال محمّد بن الحنفيّة ، وما دفع إليه من ابن الزّبير ، وقد نزلوا ذات

---

١ هو عيسى بن عبد العزيز بن عبد الله بن طاهر ، روى له المرزباني في الموشّح ٤٩٩ خبراً وأورد نسبه كما ذكرنا .

٢ أبو عبد الرحمن المسور بن مخرمة بن نوفل بن أهيب القرشي الزهري (٢-٦٤) : من فضلاء الصحابة وفقهائهم ، أدرك النبيّ صلوات الله عليه وهو صغير وسمع منه ، وهو ابن أخت عبد الرحمن بن عوف ، وانحاز إلى جانب ابن الزبير في حربه مع بني أميّة ، أصابه حجر من حجارة المنجنيق في محاصرة الكعبة فقتله (الأعلام ٨/١٢٤) .

٣ الغِسل ، بكسر الغين وسكون السين : ما يغتسل به من أشنان وماء .

٤ أبو عبد الله الجدلي : من كبار القوّاد الكوفيّين ، نسبته إلى جديلة بطن من قيس عيلان ، وجديلة أمّهم نسبوا إليها (اللباب ١/٢١٤) .

عرق[5] ، فتخلّل منهم سبعون رجلاً حتّى وافوا مكّة صبيحة يوم الجمعة ، فشهروا السلاح ، ونادوا يا محمّد[6] .

فبلغ الخبر ابن الزّبير ، فراعه ، وتخلّص محمّد رضي الله عنه ، ومن كان معه ، وأرسل محمّد ، عليَّ بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فنادى في القوم الّذين أنفذهم المختار : من كان يرى لله تعالى عليه حقّاً ، فليستأمر نفسه ، فإنّه لا حاجة لي بأمرٍ النّاسُ له كارهون ، وأنا إن أعطيتها عفواً قبلتها ، وإن كرهوا ذلك لم أختره .

فبعث ابن الزّبير إلى محمّد : إنّي أصالحك على أن تتنحّى عنّي ، فتلحق بأيلة[7] ، فأجابه إلى ذلك ، ولحق بأيلة .

وكفّ الله تعالى ابن الزّبير ، وقبض يده عمّا حاوله من قتله ، وقتل أهل بيته[8] .

---

٥ ذات عرق : مهلّ أهل العراق المتوجّهين إلى الحجاز ، وذات عرق هي الحدّ بين نجد وتهامة (معجم البلدان ٦٥١/٣) .

٦ في الطبري ٧٥/٦–٧٧ إنّهم نادوا : يا لثارات الحسين .

٧ أيلة : مدينة على ساحل البحر الأحمر مما يلي الشّام ، كانت ملتقى القوافل بين مصر وأواسط بلاد العرب ، وبين موانئ فنيقيا وجنوبي بلاد العرب (معجم البلدان ٤٢٣/١ والمنجد) .

٨ انفردت بها ن ، وقد ورد الخبر في الطبري ٧٥/٦–٧٧ وفي الكامل لابن الأثير ٢٤٩/٤–٢٥٤ ، راجع القصّة ٥٦ من هذا الكتاب .

٢٨٠
عاقبة الظلم

وجدت في بعض الكتب : حدّث علي بن المعلّى ، عن الزهري البصري ، قال :

كنّا جلوساً عند أبي عبد الله جعفر بن محمّد عليه السّلام ، وذكر حديثاً فيه : أنّ أبا عبد الله [١٤٧ ر] قال : إنّ قوم سدوم ، هلكوا بمجوسيّ .

قيل : ما سبب ذلك ؟.

قال : أما تعرفون بالبصرة عندكم جسراً ، يقال له : جسر الخشب ؟.

قلنا : بلى .

قال : ذاك جسر سدوم ، جاءه رجل مجوسي ، ومعه زوجته حاملاً ، راكبة حماراً ، تريد العبور ، فمنعوها إلّا أن يأخذوا خمسة دراهم ، فأبيا أن يعطيا ذلك ، فطلبوا منهما عشرة دراهم ، فأبيا أن يعطيا ذلك ، فشمصوا الحمار[1] ، وقطعوا ذنبه ، فاضطربت المرأة ، فأسقطت جنينها ، فاشتدّت بالمجوسي محنته .

وقال : إلى من نتظلّم فيما فعل بنا ؟.

فقيل : إلى صاحب هذا القصر .

فدخل إليه ، وقال : فعل بي كيت وكيت .

قال : لا بأس ، ادفع إليهم حمارك ، يعملوا عليه إلى أن ينبت ذنبه ، وادفع إليهم زوجتك ، حتّى يطؤوها إلى أن تحمل .

فرفع المجوسي رأسه الى السماء ، وقال : اللّهم ، إن كان هذا حكم من عندك ، وأنت به راضٍ ، فأنا به أرضى ، وأرضى .

---

١ - شمص الدابّة : أعجلها ، وطردها طرداً عنيفاً .

فبعث الله إليه ملكاً من الملائكة ، فأخذ بعضده ، وعضد زوجته ، فعبر بهما الجسر .

فقال له : يا عبد الله من أنت ؟ فلقد مننت عليّ .

قال : أنا ملك من الملائكة ، لما أن قلت : أللّهم إن كان هذا حكم من عندك ، وأنت به راضٍ ، فأنا أرضى وأرضى ، بعثني الله لأخلّصك ، فالتفِتْ إلى القوم ، وانظر ما أصابهم .

فالتفت المجوسي ، فإذا القوم قد خُسِفَ بهم[٢] .

---

٢ لم ترد هذه القصة في غ ولا هـ .

٢٨١

دواء عجيب وضعه الطبيب للكاتب زنجي

أخبرني علي بن نصر بن فنن[١] ، الكاتب النصراني : أنّ أبا عبد الله زنجي الكاتب[٢] ، سرق منه مال جليل ، وكان شديد البخل ، فناله غمّ شديد ، حتّى أنحل جسمه ، واجتهد في صرف الهمّ والغمّ عنه ، فلم يجد إلى ذلك سبيلاً .

فشاور الأطبّاء في ذلك ، وعملوا له أشياء وصفوها له ، فما نجعت ، إلى أن استشار علي [١٣٩ م] بن نصر ، الطبيب النصراني[٣] ، جدّه ، وكان يطبّ زنجي ويلزمه ، فأشار عليه أن يصوغ إهليلجة من ذهب[٤] ، ويمسكها في فيه .

ففعل ذلك ، فلم تمض إلّا أيّام ، حتّى زال غمّه ، وعاد إلى صحّة جسمه[٥] .

---

١ كذا في ظ ور ، وأحسب أنّه أبا الحسن علي بن نصر النصراني الكاتب المعروف بابن الطبيب ، ترجمته في حاشية القصّة ٥٠ من هذا الكتاب .

٢ أبو عبد الله محمّد بن إسماعيل الكاتب ، الملقّب زنجي : ترجمته في حاشية القصّة ١١٧ من هذا الكتاب .

٣ في م : علي بن بشر النصراني .

٤ الإهليلجة : نوع من الحلي ، إهليلجيّ الشكل ، كالبيضاويّ ، وهو ما يسمّى بالانكليزية Elliptical ، وقد أخبرنا أحد البرامكة ، إنّه كان معه ثلاثون ألف دينار ، صاغها عشرة آلاف إهليلجة ذهباً (وفيات الأعيان ٤٧٣/٣) .

٥ لم ترد هذه القصّة في غ ولا هـ .

٢٨٢
يا غياث المستغيثين أغثني

وجدت في بعض الكتب :

حكي أنّ رجلاً خرج في وجه شتاء ، فابتاع بأربعمائة درهم ، كان لا يملك غيرها ، فراخ الزرياب[1] للتجارة .

فلمّا ورد دكّانه ببغداد ، هبّت ريح باردة ، فأماتتها كلّها إلّا فرخاً واحداً ، كان أضعفها وأصغرها ، فأيقن بالفقر .

فلم يزل يبتهل إلى الله تعالى ليلته أجمع بالدّعاء والاستغاثة ، ويسأله الفرج ممّا لحقه ، وكان قوله : يا غياث المستغيثين ، أغثني .

فلمّا انجلى الصبح ، زال البرد ، وجعل ذلك الفرخ الباقي ينفش ريشه ، ويقول : يا غياث المستغيثين ، أغثني .

فاجتمع النّاس على دكّان الرّجل ، يرون الفرخ ، ويسمعون الصوت .

فاجتازت جارية راكبة ، من جواري أمّ المقتدر ، فسمعت صوت الطائر ، ورأته ، واستامته ، وتقاعد الرّجل ، فاشترته بألفي درهم ، وأعطته الدراهم ، وأخذت الطّائر[2] .

---

١ الزرياب : طائر على قدر الحمامة ، أصدأ اللّون ، أسود الذنب ، مخطّط الجناحين ، وهو ألوف يقبل التعليم ، سريع الإدراك لما يعلّم ، وربما زاد عن الببغاء ، راجع التفصيل في معجم الحيوان لمعلوف ١١٢ و ١٣٥ .

٢ لم ترد هذه القصّة في غ ولا هـ .

٢٨٣
قصّة سلمة الأنباري النصراني

وجدت في بعض الكتب :

كان بسرّ من رأى ، ثلاثة إخوة نصارى أنباريون ، أحدهم موسر ، ولم يسمّ ، والثاني متجمّل ، يقال له عون ، والثالث ، يقال له سلمة ، فقير ، فآل أمر سلمة فيما يكابده من شدّة الفقر ، إلى أن تعذّر عليه قوت يومه .

فمضى إلى أخيه عون ، وسأله أن يتلطّف إلى أخيه الموسر ، في أن يشغّله فيما يعود عليه نفعه ، ويخدمه فيه ، بدلاً من الغريب .

فامتنع [١٧٦ ظ] الأخ الموسر من ذلك ، وعاوده دفعات ، واستعطفه ، وضرّه يتزايد .

فقال الموسر ، على سبيل الولع[١] : إن شاء أن أصيّره مكان الشاكريّ ، وصَبَرَ على العدو ، فعلتُ .

فعرض عون على سلمة ذلك ، فقال سلمة : ما عرض أخونا عليّ هذا إلّا لأمتنع ، ويجعله حجّة ، وأنا أستجيب إليه وأصبر ، وأرجع إلى الله تعالى ، في كشف الحال الّتي أكون فيها معه ، وأرجو الفرج ببغيه عليّ ، ولا أضع نفسي بمسألة النّاس ، ففعل ذلك [١٤٨ ر] .

فكان أخوه يركب ، وهو يمشي في أثره بطليسان ونعل ، حتّى لا يظهر أنّه غلامه ، وإذا نزل في موضع ، لحقه ، وأخذ ركابه ، وتسلّم المركوب ، وحفظه إلى أن يخرج .

---

١ الولع : العبث .

فلم يزل على هذا ، إلى أن طلب وصيف الكبير[٢] ، رفيق بُغا[٣] ، من يجلسه بباب داره ، فيكتب ما يدخل إلى المطبخ ، من الحيوان ، والحوائج ، ليقايس به ما يحتسب عليه .

فوصف عون ، أخاه سلمة ، لذلك ، ووجّه إليه فأحضره ، فامتنع ، وذكر أنّه لا دربة له به ، ولا فيه آلة له .

فضمن له عون معاونته ، وإجمال الحساب في كلّ عشيّة ، وأجري عليه رزقٌ يسيرٌ .

وجلس بالباب ، وصار يدعو بالحمّالين ، فيثبت ما يحضرونه ، ويرفع في كلّ يوم مدرجاً[٤] بتفصيل ذلك .

فلمّا انقضى الشّهر جمع وصيف المدارج ، وأحضر كاتباً غريباً ، وتقدّم إليه أن يؤرّجها[٥] على أصنافها .

وعمل كاتب ديوانه عملاً بما رفعه الوكلاء في ذلك الشّهر ، فظهرت فيه زيادة عظيمة ، فحطّت وتوفّر مالها .

وحسن موقع ذلك من وصيف ، وأحضر سلمة ، وما كان رآه قبل ذلك ، وصرف المتصرّفين في المطبخ به ، وأسنى جائزته .

فتوفّر على يده في الشّهر الثاني ، ممّا كان حطّ من الأسعار ، ما حسن موقعه .

---

٢ وصيف : القائد التركي ، من موالي المعتصم ، وأحد قوّاده الكبار ، كان يحجب المعتصم ، وعند وفاة الواثق . اشترك في استخلاف المتوكّل ، وتولّى حجابته ، ثم اشترك في قتله ، وسيطر على الدولة مشاركاً للقائد بغا ، وقتل سنة ٢٥٣ (العيون والحدائق ٤٠٩/٣ وتجارب الأمم ٤٨٥/٦–٥٧٨ ، والطبري ٣٧٤/٩) .

٣ أبو موسى بغا الملقّب بالكبير : ترجمته في حاشية القصّة ١٩٠ من الكتاب .

٤ المدرج ، بضم الميم : الرقعة الملفوفة ، يريد بها القائمة الّتي دوّن فيها ما أحضره الحمّالون إلى المطبخ .

٥ التأريج : تنظيم فقرات الحساب وصفّها تحت عدّة أبواب يحتاج إلى علم جملها ، ليسهل عقد الحساب (مفاتيح العلوم ٣٧) .

فردّ إليه قهرمة[6] داره ، فتتابعت التوفيرات ، واتّصلت جوائزه إيّاه ، وزيادته في جاريه[7] .

وطالت مدّة خدمته لوصيف ، وغلب على حاله ، واتّفق له خلوة المتوكّل ، وحضور وصيف .

فقال لوصيف : قد كثر ولدي ، وأريد لهم شيخاً ، عفيفاً ، ثقة ، ليس فيه بأو[8] ، ولا مخرقة[9] ، لأفرد لهم على يده إقطاعات أجعلها [١٤٠ م] لهم ، فلست أحبّ أن أوسّط كتّابي أمره .

فوقع في نفس وصيف ، أن يصف سلمة ، وبخل به ، فلم يزل يتردّد ذلك في قلبه .

ثمّ قال : إعلم يا مولاي ، إنّ الله قد رزقني هذه الصفة الّتي تريدها منّي ، والرّجل عندي ، فإذا فكّرتُ في حقوقك ، وأنّ نعمتي منك ، لم أستحسن أن أكتمك ، وإذا فكّرت فيما أفقده منه ، توقّفتُ ، والآن ، فقد أنطقني إقبالك بذكره ، وهو سلمة بن سعيد النصراني .

فقال : أحضرنيه السّاعة .

فأحضره في الوقت ، فحين عاينه المتوكّل وقع في نفسه صحّة ما وصفه ، فوقّع لكل ابن بإقطاع ثلثمائة ألف درهم ، ولكل ابنة بمائة وخمسين ألف درهم ، وقيل أنّ المتوكّل مات عن خمسين إبناً ، وخمس وخمسين إبنة ، ودفع إليه التوقيع .

---

٦ القهرمة : مهمّة القهرمان ، قال صاحب الألفاظ الفارسيّة ١٣٠ : إنّ القهرمان فارسيّة ، ومعناها : الوكيل ، وصاحب الحكم ، وقال صاحب تفسير الألفاظ الدخيلة ٥٩ : إنّ أصلها يوناني ، ومعناها : مدبّر البيت ، ويراد به أمين الدخل والخرج ، لزيادة التفصيل راجع حاشية القصّة ٤٧٨ من هذا الكتاب .

٧ الجاري : الراتب .

٨ البأو : الزهو .

٩ المخرقة : التمويه والكذب ، والبغداديّون يكنون عن المخرقة ، بأنّها حنقبازيات أو بهلوانيات ، وعن =

وقال له : نجّز هذا ، واختر من الضّياع ما ترى ، وانصب لها ديواناً ، ووصله ، وجعل له منزلة كبيرة ، بكتابة الولد .

فلمّا فرغ من ذلك ، وقام به ، جرى أمر آخر ، أوجب أن ردّ إليه أيضاً أمر سائر الحرم ، وجعل له قبض جراياتهنّ ، وأرزاقهنّ ، وإنفاق ذلك عليهنّ ، وصَرَفَ وكلاءهنّ ، وأسبابهنّ عنهنّ ، وزادت منزلته بذلك لكثرة الحرم[10] .

فبينما سلمة يتردّد في دار المتوكّل ، إلى مقاصير الولد والحرم ، وقعت عين المتوكّل عليه ، فاستدعاه .

وقال له : يا سلمة ، ما أكثر ما يذهب على الملوك ، حفظتُ بك ولدي ، وحرمي ، وأضعت نفسي ، وليس لي منك عوض ، قد رددت إليك بيت المال ، وخزائن الفرش ، والكسوة ، والطيب ، وسائر أمر الدار ، فتسلّم ذلك ، واستخلف عليه من تثق به .

وكان قد أنكر عليه ، في بعض خدمته ، شيئاً [١٧٧ ظ] فأمر باعتقاله ، ففرشت له حجرة ، وتُرِكَ خلفاؤه يعملون .

ثمّ ذكره في اللّيل ، وهو يشرب ، فقال لخادم : امض إلى الحجرة الّتي فيها سلمة ، فاطّلع عليه ، وعرفني الصورة الّتي تجده عليها .

فعاد وذكر أنّه وجده يسوّد[11] ، ثمّ أعاده بعد وقت آخر ، فوجده على ذلك ، وأعاده الثالثة ، فكانت الصورة واحدة .

فاستحضره ، وقال : أنت شيخ كبير ، تسوّد ليجود خطّك في الآخرة ، أو لتصل به في الدنيا إلى أكثر ممّا وصلتَ إليه ؟.

قال : لا هذا ولا هذا ، ولكنّك لما اعتقلتني [١٤٩ ر] ، وأقررت أصحابي ،

= الممخرق بأنّه جلوان أو حنقباز .

١٠ الحرم : أنظر البحث في آخر القصّة .

١١ يسوّد : يكتب بالحبر على الورق مسودات ، والذي يكتب لتمرين يده على تجويد الخط ، يقال عنه : يسوّد .

وثقتُ بحسن رأيك ، فلم أقطع التأهّب لخدمتك ، لأنّي أكاتبك كثيراً ، فيما أستأمرك به ، فأنا أحبّ أن لا تقع عينك على ما تستقبحه من الخطّ .

فحسن موقع هذا القول من المتوكّل ، وأمر بإحضار حقّة[12] ، فيها خاتم الخاصّة ، فدفعه إليه .

وقال : هذا خاتمي ، وقد رددت إليك ختم ما كنت أختمه بيدي ، من غير أن تستأمرني فيه ، ليعلم الخاصّ والعامّ ، أنّي رفعت منك ، وزدت في محلّك ، ولا يخلقك عندهم الاعتقال ،

ثمّ رآه المتوكّل بعد ذلك ، في وقت من الأوقات ، ماشياً في الدّار ، فقال : سلمة شيخ كبير ، هوذا يهرم ويتلف بهذا المشي ، لأنّه يريد أن يطوف في كلّ يوم ، على الحرم والولد ، وقد رأيت أن أجريه مجرى نفسي ، في إطلاق الركوب له في داري .

وكان المتوكّل يركب حماراً[13] يتخطّى به في الممرّات ، ويركب سلمة حماراً أيضاً ، ولم يكن في الدّار من يركب غيرهما[14] .

---

١٢ الحقّة : الوعاء الصغير .

١٣ الحمار : أنظر البحث في آخر القصّة .

١٤ لم ترد هذه القصّة في غ ولا هـ .

الحرم

الحرم : النساء لرجل واحد ، وحريم الرجل : ما يدافع عنه ويحميه ، ولذلك سميت نساء الرجل : الحريم .

وكان حريم المتوكّل يشتمل على أربعة آلاف سريّة (تاريخ الخلفاء ٣٥٠) منهنّ خمسمائة لفراشه (شذرات الذهب ١١٤/٢) وقد أهدى إليه عبيد الله بن عبد الله بن طاهر ، أربعمائة جارية ، مرّة واحدة ، (المستطرف من أخبار الجواري للسيوطي ٦٣) .

أما المعتصم ، والد المتوكّل ، فإنّه لما توفّي سنة ٢٢٧ كان من جملة ما ترك ثمانية آلاف جارية (شذرات الذهب ٦٣/٢) .

وأمّا المأمون ، حكيم بني العبّاس ، فقد كان حريمه يشتمل على مائتي جارية فقط (المستطرف من أخبار الجواري ٦٩) .

أمّا الرشيد ، فقد كان حريمه يشتمل على أكثر من ألفي جارية ، سوى ما كان لزوجه زبيدة من الجواري ويزيد عددهن عن ألفي جارية أيضاً (الأغاني ١٧٢/١٠ ونهاية الأرب ٢١٤/٤ و ٢١٥ ونشوار المحاضرة رقم القصّة ٦٤/٥) .

وكان في دار المقتدر ، أربعة آلاف امرأة ، بين حرّة ومملوكة (رسوم دار الخلافة ٨) .

ولم يكن الإكثار من الجواري مقصوراً على الخلفاء وحدهم ، وإنّما تعدّى ذلك إلى أتباعهم ، والمترفين من الأمراء ، والرعيّة .

وعلى سبيل المثال ، لا الحصر ، نورد أنّ عتّابة ، أم جعفر البرمكي ، كانت تخدمها أربعمائة وصيفة (وفيات الأعيان ٣٤١/١) .

وأنّ عمر بن فرج الرخجي ، أحد العمال الأشرار ، كانت لديه مائة جارية (الطبري ١٦١/٩) .

وأنّ زوجة يعقوب بن اللّيث الصفّار ، كانت لديها ألف وسبعمائة جارية (وفيات الأعيان ٤٢٩/٦) .

وأنّ بلكّين الصنهاجي ، خليفة المعزّ الفاطمي على أفريقية (ت ٣٧٣) كانت لديه أربعمائة حظية (وفيات الأعيان ٢٨٧/١) .

وأنّ العزيز الفاطمي توفي سنة ٣٨٦ عن عشرة آلاف جارية (إتّعاظ الحنفا ٢٩٥) .

وأنّ ستّ النصر ، أخت الحاكم الفاطميّ (ت ٤١٥) ، تركت أربعة آلاف جارية بين بيضاء وسوداء ومولّدة (بدائع الزهور ٥٨/١) .

وأنّ نصر الدولة الحميدي ، صاحب ميـافارقين (ت ٤٥٣) ، كانت لديه ثلثمائة وستّون جارية ، بعدد أيّام السنة (وفيات الأعيان ١٧٧/١ والوافي بالوفيات ١٧٦/٨) .

وكان للمعتمد بن عباد اللّخمي ، صاحب أشبيلية (ت ٤٨٨) ثمانمائة سريّة (شذرات الذهب ٣٨٦/٣ ومرآة الجنان ١٤٧/٣) .

وكان لأبي زنبور ، الوزير بمصر (ت ٣١٤) سبعمائة جارية (شذرات الذهب ١٧٣/٦) .

وكان عند الوزير يعقوب بن كلس ، وزير العزيز الفاطمي (ت ٣٨٠) ثمانمائة حظية ، سوى جواري الخدمة (خطط المقريزي ٨/٢) .

وكان في دار ابن نجيّة الواعظ (ت ٥٩٩) عشرون جارية للفراش ، تساوي كل جارية ألف دينار (الذيل على الروضتين ٣٥) فأعجب لواعظ يرتبط لفراشه عشرين جارية .

ومات السلطان الناصر محمّد بن قلاوون (ت ٧٤١) ، عن ألف ومائتي وصيفة مولّدة ، سوى من عداهنّ من بقيّة الأجناس (خطط المقريزي ٢١٢/٢) وماتت زوجته الخونده طغاي سنة ٧٤٩ عن ألف جارية (خطط المقريزي ٤٢٦/٢) ، أما الخونده أردوتكين ، زوجة الملك الأشرف خليل ، وزوجة الملك الناصر محمد بن قلاوون من بعده ، (ت ٧٢٤) ، فقد كان لها من المماليك أكثر من ألف ، ما بين جارية وخادم (خطط المقريزي ٦٣/٢) .

وكان مقبول خان وزير فيروز شاه ملك الهند (٧٥٢ — ٧٩٠) يملك ألفي جارية ، من بينهنّ الروميّة ، والصينيّة ، والفارسيّة (الاسلام والدول الاسلامية في الهند ص ٢٢) .

وفي مقابل من ذكرنا ، نورد أن الخليفة الصالح عمر بن عبد العزيز لما استخلف ، خيّر جواريه ، وأعتق من رغبت في العتق ، واقتصر على زوجته ابنة عمّه ، فاطمة بنت عبد الملك (تاريخ الخلفاء ٢٣٥) .

أما أبو العبّاس السفّاح ، أوّل الخلفاء العباسيّين ، فانه تزوّج أمّ سلمة المخزوميّة ، قبل الخلافة ، فلم يتزوّج عليها ، ولم يتسرّ ، ولما استخلف ظلّ على وفائه لها ، فلم يدن إلى امرأة غيرها ، حرّة ولا أَمَة ، إلى أن مات (راجع التفصيل في مروج الذهب للمسعودي ٢٠٦/٢ — ٢٠٨) .

وكذلك كان المتّقي ، ابراهيم بن المقتدر (ت ٣٥٧) ، فانه لما استخلف لم يتسرّ على جاريته التي كانت له (تاريخ الخلفاء ٣٩٤) .

وتابعهم في ذلك ملك العرب سيف الدولة ، صدقة بن منصور بن دبيس الأسدي (ت ٥٠١) ، فإنّه اكتفى بزوجة واحدة ، لم يتزوّج عليها ، ولم يتسرّ (المنتظم ١٥٩/٩) .

وكذلك كان المستعصم ، آخر الخلفاء العبّاسيين ببغداد (ت ٦٥٦) فقد كانت له – وهو أمير – جاريتان ، فلما استخلف لم يتغيّر عليهما (خلاصة الذهب المسبوك ٢٩١) .

الحمار

قسم صاحب معجم الحيوان ، الحمير ، إلى أربعة أنواع ، حمار البيت ، وحمار قبّان ، وحمار الزرد ، والحمار العتّابي (معجم الحيوان ٢١ ، ٩٨ ، ١٧٥ ، ٢٦٥ ، ٢٧٠) وفي دائرة المعارف الاسلامية ٦٥/٨ قسم الحمار إلى أهليّ ووحشيّ ، والأهليّ إلى دابة ركوب ، ودابّة حمل ، ووصف حمار الركوب ، بأنّه سريع العدو ، يهتدي إلى الطريق ، ولو سلكه مرّة واحدة ، وأنّه حادّ السمع ، قليل المرض ، وذكر أنّ العرب لا يركبون الحمير استنكافاً .

أقول : إنّ العرب في صدر الاسلام ، لم يكونوا يستنكفون من ركوب الحمار ، فإنّ النبيّ صلوات الله عليه كان يركب الحمار (المخلاة للبهائي ٢٩٢) والخليفة عمر بن الخطاب ، وهو قدوة ، ركب حماراً أرسنه بحبل أسود (العقد الفريد ٢٧١/٤) ولما قدم الشام ، قدمها على حمار (العقد الفريد ٣٦٥/٤ و ١٤/١ والبصائر والذخائر ٣٠/٤) .

ثم تغيّر الحال ، فأصبحت الخيل مركب الخلفاء ، والأمراء ، والأميرات ، والوزراء ، والقوّاد ، وقد روى ياقوت في معجم الأدباء ٤٨٥/٥ و٤٨٦ قصّة عن جمال الدين بن القفطي ذكر فيها أنّ والده قدم مصر ، لم تكن دوابّه معه ، فأبى أن يركب حماراً .

واستمرّ على ركوب الحمار ، التجّار البغداديّون (القصّة ٥٤/٢ و٥٦/٣ من نشوار المحاضرة) والشعراء ومتوسّطو الحال (نهاية الأرب ٧١/٤ و٩٩/١٠ و١٠٠ وفوات الوفيات ١٤٠/٣) والفقهاء والقضاة (القصّة ٤٠/٣ من نشوار المحاضرة ، وشذرات الذهب ٢٢٠/٢) وكذلك عقيلات النساء (القصّة ٣١٧ من هذا الكتاب) .

وممّن عرف بركوب الحمار خالد بن صفوان (البصائر والذخائر م ٢ ق ٢ ص ٥٨٨ و٥٨٩) ، وأبو عبيدة معمر بن المثنّى (مرآة الجنان ٤٥/٢) ، وابن جامع القرشي المغنّي (الأغاني ٢٩١/٦ ونهاية الأرب ٣٠٦/٤) ، وعيسى بن مسكين فقيه المغرب وقاضي القيروان (مرآة الجنان ٢٢٤/٢) ، وأبو يزيد النكاريّ ، الخارج بالمغرب على الفاطميّين (اتعاظ الحنفا

ص ٧٠) . وأبو العيناء محمد بن القاسم بن خلاّد (الملح والنوادر للحصري ص ٢٣٠) .

ومن الطريف أن نذكر أن أبا القاسم الضحّاك بن مزاحم البلخي المفسّر (ت ١٠٥) كان مؤدّباً ، وكان في مكتبه ثلاثة آلاف صبي ، وكان يطوف عليهم على حمار (ميزان الاعتدال ٣٢٥/٢) .

وكان الخلفاء ، يركبون الحمير ، في أوقات التخفّف ، وفي بيوتهم ، وفي بساتينهم ، وخرج الوليد بن يزيد مرّة على المغنّين ، وهو راكب على حمار (الأغاني ٢٧٨/١٣) ، وكان الهادي يركب حماراً فارهاً (تاريخ الخلفاء ٢٧٩) ، وخرج مرّة ليعزّي أحد أفراد حاشيته وهو على حمار أشهب (الطبري ٢٩١/٨) ، وزار عبد الله بن مالك ، وهو على حمار (الطبري ٢١٦/٨) ، وكان الرشيد يركب حماراً مصرياً أسود اللون ، قريباً من الأرض ، يطوف به على جواريه (المحاسن والأضداد ١٧٤ ومطالع البدور ٢٣٨/١) ويخرج به لعيادة من يريد عيادته (الأغاني ٢٥٣/٥ ونهاية الأرب ٣٤١/٤) وزيارة من يزوره (الأغاني ١٧٥/١٠) ، وانتبه مرّة في نصف الليل ، فقال : هاتوا حماري ، وركبه ، وخرج (الأغاني ١٧٦/١٠) ، وعاد المعتصم ولدَه الواثق ، ثم رجع راكباً حماراً (الأغاني ٢٥١/٨ و٢٥٢ ونهاية الأرب ٢٣٢/٤) وكان يركب الحمار عند خروجه من داره متخففاً (القصّة ١٢٥/٧ من نشوار المحاضرة) ، وكان العزيز الفاطمي يركب الحمار (إتعاظ الحنفا ٢٩٤) ، وكان الحاكم الفاطمي ، يركب الحمار ، ويدور في الأسواق (شذرات الذهب ١٩٣/٣ وخطط المقريزي ٢٨٨/٢) ومات الحطيئة الشاعر ، وهو على حمار (فوات الوفيات ٢٧٩/١) .

ومما يجدر ذكره أنّ الرشيد ، لما أمر بقتل جعفر البرمكي ، دخل عليه مسرور ، وأخرجه إخراجاً عنيفاً ، وقيّده بقيد حمار ، ثم ضرب عنقه (الطبري ٢٩٥/٨) .

وكان الحمار مركب المتحابّين إذا خرجوا لموعد (الأغاني ٣٩٥/١) ومركب القهرمانات إذا بارحن القصور من أجل أشغال السادة (القصّة ٤٧٨ من هذا الكتاب) ، ومركب المغنّين والمغنّيات والجواري (القصّة ٤٧٩ من هذا الكتاب ، ونهاية الأرب ٣١/٥ و١١٠) ومركب رجال الدولة إذا خرجوا متنكّرين (القصّة ٤٧١ من هذا الكتاب ، والقصّة ٢/٢ من نشوار المحاضرة) .

وكان المتوكّل يركب الحمار في داره (كما في هذه القصّة) ، وكان يصعد إلى أعلى منارة سامراء ، وهو على حمار مريسي (لطائف المعارف ١٦١) ، أقول : هذه المنارة ، ما زالت شامخة في الجوّ ، يسميها الناس : الملويّة ، والطريق إلى أعلاها ، يتلوّى حولها ، من خارجها .

ولما بنى المكتفي قصر التاج ، بنى قبّة على أساطين رخام ، عرفت بقبّة الحمار ، لأنّه كان يصعد إليها ، في مدرج حولها ، كمنارة جامع سامراء ، على حمار صغير الجرم ، وكانت عالية مثل نصف دائرة (كتاب دليل خارطة بغداد ص ١٢٦) .

أقول : لما زرت بلاد الأندلس في السنة ١٩٦٠ ، أبصرت في أشبيلية ، من آثار المسلمين الباقية ، مأذنة ، يسمّونها : الجيرالدا ، ذات علوّ شاهق ، يصعد إليها من باطنها ، في طريق يتّسع لستّة أشخاص ، يسيرون جنباً إلى جنب ، وذكروا لنا أنّ المؤذن كان يصعد إلى أعلى هذه المأذنة ، راكباً حماراً ، ووجدت أهالي أشبيلية ، يفتخرون بهذه المأذنة ، ويقولون : إنّ من صعد إلى أعلى برج إيفل بباريس ، أبصر باريس كلّها ، أمّا من صعد إلى أعلى الجيرالدا ، فإنّه يرى الدنيا كلّها .

وكان الناس يغالون في حمير مصر ، وهي موصوفة بحسن المنظر ، وكرم المخبر (لطائف المعارف ١٦١ ونهاية الأرب ٩٣/١٠) ، وأهل مصر يعنون بتربية الحمير ، والقيام عليها ، لما يجدونه فيها من الفراهة ، وسرعة الحضر ، والنجابة ، ويبالغون في أثمانها ، حتى بيع في بعض السنين ، حمار ، بمائة دينار وعشرة دنانير ، وكان صاحبه يسمع أذان المغرب بالقاهرة ، فيركب ، ويسوقه ، فيلحقها بمصر ، وبينهما ثلاثة أميال (مطالع البدور ١٨٢/٢) .

وذكر ابن سعيد : أنّ المغاربة كانوا يأنفون من ركوب الحمار ، خلافاً لأهالي مصر ، فإنّ أعيان مصر ، والفقهاء ، والسادة ، يركبون الحمير (خطط المقريزي ٣٤١/١ ونفح الطيب ٣٣٩/٢) حتى إنّ ابنة الإخشيد محمّد بن طغج ، كانت تقطع الأزقّة في القاهرة وهي على ظهر حمار (خطط المقريزي ٣٥٣/١) .

أقول : لم تقتصر الأنفة من ركوب الحمار على المغاربة المسلمين ، وإنّما تعدّتهم إلى إفرنج أسبانيا ، فإنّ الملك الفونس ، لما انكسر في السنة ٥٩١ في المعركة بينه وبين السلطان أبي يوسف الموحّدي ، حلق ألفونس رأسه ، وركب حماراً ، وأقسم لا يركب فرساً حتى ينتصر (ابن الأثير ١١٥/١٢) ، وكذلك صنع علاء الدين الغوري ، في السنة ٦٠٢ ، فإنّ أهالي غزنة نهبوا جميع ما كان لديه ، فلما وصل إلى باميان ، لبس ثياب سواديّ ، وركب حماراً ، وقال : أريد أن يراني الناس وما صنع بي أهل غزنة ، حتى إذا عدت إليها وأخربتها لا يلومني أحد (ابن الأثير ٢٢٠/١٢) .

وذكر القزويني ، في آثار البلاد ٢٦٢ : أنّ الحمر المريسيّة ، نسبة إلى المريسة في ناحية

الصعيد بمصر ، من أجود حمر مصر ، وأمشاها ، وأحسنها صورة ، وأكبرها ، تحمل إلى سائر البلاد للتحف ، وليس في شيء من البلاد مثلها ، والبلاد الباردة لا توافقها ، فتموت فيها سريعاً .

وخرج توقيع عبد الله بن طاهر : إذا وجدتم البرذون الطخاري ، والبغل البرذعي ، والحمار المصري ، والرقيق السمرقندي ، فاشتروها ، ولا تستطلعوا رأينا فيها ، (لطائف المعارف ٢١٩) .

وروى صاحب مطالع البدور ١٨٣/٢ طريفتين عن الحمار ، الأولى : ذكر إنّه ركب حماراً ، من مصر إلى القاهرة ، فلما كان في أثناء الطريق ، حاد به عن السكّة ، وجهد أن يردّه ، فلم يطق ، حتى انتهى إلى جدار بستان ، فوقف ، وبال ، وعاد إلى الطريق ، وكذلك جرى له مع حمارين آخرين ، والطريفة الثانية : إنّ حماراً كان بمصر ، يجتمع عليه الناس ، ويجمعون له مناديل ، تلقى على ظهره ، ثم يأمره صاحبه بإعادة كلّ منديل إلى صاحبه ، فيدور في الحلقة ، ولا يقف إلاّ على من له في ظهره منديل ، فإن أخذه ، ذهب عنه ، وإن أخذ غيره ، لا يذهب ، ولو ضرب مائة ضربة ، ويأخذ الخاتم من إصبع الرجل ، ويسأله عن وزنه ، فيقول : كم وزن الخاتم ؟ فان كان وزنه درهماً ، مشى خطوة واحدة ، وإن كان درهماً ونصفاً ، مشى خطوة ونصفاً ، وهكذا ، وبينما هو واقف ، يقول له شخص : الوالي يسخّر الحمير ، فما يتمّ كلامه ، إلاّ ويلقي الحمار نفسه على الأرض ، وينفخ بطنه ، ويقطع نَفَسَهُ ، كأنّه ميت من زمان ، فإذا قيل له ، بعد ذلك ، ما بقيت سخرة ، ينهض قائماً .

وكان القاضي ، أو الوالي ، إذا أمر بإشهار شخص ، داروا به على حمار (المنتظم ٢٩٤/٨ و ٢٣٧/١٠ ومهذّب رحلة ابن بطوطة ١٤٧/٢) ، ومن طريف ما يذكر أنّ شخصاً حجَره القاضي للسفه ، وأمر بإشهاره في البلد ، ليمتنع الناس من التعامل معه ، فحمل على حمار ، وداروا به في الأسواق ، فلما انتهى النهار ، طالبه المكاري بالأجر ، فالتفت إليه ، وقال له : في أيّ شيء كنّا منذ الصباح ؟ .

وكان الشماخ الشاعر ، أوصف الناس للحمير ، أنشد الوليد بن عبد الملك ، شيئاً من شعره في وصف الحمير ، فقال : ما أوصفه لها ، إنّي لأحسب أنّ أحد أبويه كان حماراً (الأغاني ١٦١/٩) .

راجع في الملح للحصري ص ٢٨٣ قصّة العاشق الذي حلّ محلّ الحمار في الطاحون .

وقيل لمزبّد ، وقد اشترى حماراً : ما في حمارك عيب ، إلاّ أنّه ناقص الجسم ، يحتاج إلى عصا ، فقال : إنّي كنت أغتمّ ، لو كان يحتاج إلى بزماورد ، فأمّا العصا ، فأمرها هيّن (البصائر والذخائر م ٢ ق ٢ ص ٦٨٩) .

وقيل لمخنّث عليل ، كان يشرب لبن الأتان : كيف أصبحت ؟ قال : لا تسل عمّن أصبح أخا الحمار (البصائر والذخائر م ٢ ق ١ ص ٢٩) .

ومن مشهوري الحمير : يعفور ، حمار النبي صلوات الله عليه ، أهداه له المقوقس ، صاحب مصر ، ونفق منصرف النبي صلوات الله عليه من حجّة الوداع (الطبري ١٧٤/٣) .

ومن مشهوري الحمير : حمار بشّار بن برد ، وقد زعم بشّار أنّ حماره هنا كان شاعراً غزلاً ، وروى أبياتاً من شعره ، راجع القصة في الأغاني ٢٣١/٣ و٢٣٢ .

ومن مشهوري الحمير ، الحمار الذي كان يركبه الحاكم الفاطمي ، وكان يسميه : القمر (النجوم الزاهرة ٥٤٩) .

ومن مشهوري الحمير : حمار الحكيم توما ، الذي قال فيه الشاعر :

قال حمار الحكيم توما ... لو أنصفوني لكنتُ أركَب
لأنني جاهل بسيط ... وصاحبي جاهل مركَّب

ومن مشهوري الحمير ، حمار أبي الحسين الجزار ، جمال الدين يحيى بن عبد العظيم ، وهو من عائلة جزّارين ، تكسّب بالشعر مدّة ، ثم عاد إلى الجزارة ، واحتج لعدوله عن الشعر إلى الجزارة ، بقوله :

لا تلمني يا سيّدي شرف الديـ ... ـن إذا ما رأيتني قصّابا
كيف لا أشكر الجزارة ما عشـ ... ـت حفاظاً وأترك الآدابا
وبها صارت الكلاب ترجّيـ ... ـني وبالشعر كنت أرجو الكلابا

وكان الجزّار ، كثير الشكوى من حماره ، قال فيه :

هذا حماري في الحمير حمار ... في كلّ خطو كبوة وعثار
قنطارُ تبنٍ في حشاه شعيرةٌ ... وشعيرةٌ في ظهره قنطار

ولما مات حمار هذا الشاعر ، داعبه شعراء عصره ، بمراثٍ وهزليّات ، فقال بعضهم :

قولوا ليحيى لا تكن جازعاً ... لا يرجع الذاهب بالليت

طامن أحشاءك فقدانه ... وكنت فيه عالي الصوت
وكنت لا تنزل عن ظهره ... ولو من الحشّ إلى البيت
ما مات من داءٍ ولكنّه ... مات من الشوق إلى الموت

وقال آخر :

مات حمار الأديب ، قلت قضى ... وفات من أمره الذي فاتا
مات وقد خلّف الأديب ومن ... خلّف مثل الأديب ما ماتا

فأجابه أبو الحسين قائلاً :

كم من جهولٍ رآني ... أمشي لأطلب رزقا
وقال لي : صرتَ تمشي ... وكلّ ماشٍ ملقّى
فقلت : مات حماري ... تعيش أنت وتبقى

ومات لابن عُنَين الدمشقي (٥٤٩ – ٦٣٠) حمار ، بالموصل ، فرثاه بقصيدة مثبتة في ديوانه (١٤٠ – ١٤٢) ، منها :

لا تبعدَنْ تربةً ضمّت شمائلَهُ ... ولا عدا جانبيها العارض الهطل
قد كان إن سابقته الريحُ غادرها ... كأنّ أخمصها بالشوك ينتعل
لا عاجزاً عند حمل المثقلاتِ ولا ... يمشي الهوينا كما يمشي الوجي الوَجِل
وإنّ لي بنظام الدين تعزية ... عنه وفي النجب من أبنائه بدل

وقرأت في كتاب من تأليف أديب مغربي ، أنّ مغربياً باع حماره من آخر ، وشرط عليه المشتري ، أن يسلّمه الحمار في حلّته ، وخرجا إليها معاً ، ولما دخلا بين البيوت ، أبصر البائعُ حماراً أدبر ، قد أهمله أصحابه ، فالتفت إلى صاحبه ، وقال : أهكذا يعامل الحيوان الأعجم ؟ أنتم قوم سوء ، وأعاد إلى المشتري ماله ، وكرّ عائداً بالحمار .

وعرض محمّد بن واسع الأزدي ، بسوق مرو ، حماراً ، فقال له رجل : يا عبد الله ، أترضاه لي ؟ فقال : لو رضيته لما بعته (نشوار المحاضرة ، القصّة ٦١/٤) .

ولزيادة التفصيل في هذا الموضوع راجع نهاية الأرب ١٠/٩٣–١٠٢ والغيث المسجم في شرح لاميّة العجم ١٣٧/٢ و ١٣٨) ، وكتاب الحيوان للجاحظ .

أقول : أدركت الناس ببغداد ، قبل انتشار استعمال السيارات ، يركب الوجهاء منهم ،

الحمير ، ويختارونها بيضاء ، عالية ، ويسمّونها : الحساويّة ، لأنّها تجلب من الأحساء ، وكانوا يتأنّقون في اختيار الجلّ ، ويسمّونه : المعرقة (تلفظ القاف كافاً فارسية) .

وقد وصف حمير بغداد البيض ، سائح أمريكي اسمه بيري فوك ، مرّ ببغداد في السنة ١٨٧٢ ، في عهد الوالي محمد رديف باشا ، الذي خَلَفَ مدحت باشا ، فقال :

إنّ الحمير البيض في بغداد مشهورة في أنحاء الشرق ، وأثمانها عالية ، وقسم منها كبير الحجم ، وتزيّن بصبغها بالحنّاء ، فتبدو آذانها وأذنابها حمراء اللون ، وأبدانها منقّطة بالحنّاء ، وهي ما زالت – كما كانت في قديم الزمان – مركب رجال الدين و كبار الحكّام ، كما أنّ السيدات يفضّلنها على بقيّة الدواب ، وهم يشرحون منخر الحمار ، ويشقّونه شقّاً مستطيلاً ، ويقولون إنّ هذا الشقّ يجعل الحمار أطول نَفَساً ، ولكنّي كلّما سمعت حماراً ينهق ، أيقنت أنّه لا ضرورة لهذا التصرّف ، ولا محلّ له (كتاب عربستان أو بلاد ألف ليلة وليلة) .

والبغداديون يسمّون الحمار : زمال ، من الزِمْل (بكسر الزاي وميم ساكنة) أي الحمل ، ويقال : زَمَلَ (بفتح) ، أي حَمَلَ ، والزاملة ، مؤنث الزامل : الدابّة من الابل وغيرها يحمل عليها (المنجد) ، قالت السيدة أسماء بنت أبي بكر : كانت زِمالة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وزِمالة أبي بكر ، واحدة ، أي مركوبهما (لسان العرب) ، راجع ما كتبه الدكتور سليم النعيمي في مجلّة المجمع العلمي العراقي م ٢٥ ص ٢٥ و٢٦ .

وكانت «زمالة الزهاوي» الشاعر جميل صدقي الزهاوي (ت ١٩٣٦) مضرب المثل في جمال الهيئة والنظافة ، وكانت بيضاء ، عالية الظهر ، حساوية ، وكان الزهاوي يعنى عناية فائقة ، بعلفها ، ونظافتها ، وكان – رحمه الله – مصاباً بارتخاء في عضلات ساقيه لا يمكّنه من المشي إلاّ بمعونة ، فكان يركبها في روحاته وغدواته .

وللبغداديين أمثال تتعلّق بالحمار ، أذكر منها ثلاثة :

أوّلها : مثلٌ يضرب لمن يكدّ ليله ونهاره ، من دون راحة ، فيقولون : مثل زمال الطمّة ، يروح محمّلاً ، ويعود محمّلاً ، والطمّة : فصيحة ، ما طمّ من الجمر في الرماد ، ويطلق البغداديّون هذه الكلمة على موقد الحمّام ، وكان يوقد فيه النفايات والقمامة ، وكلّ ما يحترق ، فكان «زمال الطمّة» يروح إليها حاملاً الوقود ، ويعود منها حاملاً الرماد المتخلّف .

وثانيها : مثلٌ يضرب لمن ورّط نفسه في ورطة يصعب التخلّص منها ، فيقولون : تعال طلّع هذا الزمال من هذي الوحلة .

وثالثها : مثلٌ يضرب لمن يتحايل بحيلة مكشوفة ، فيقولون : إحنا دافنيه سوا ، وأصل المثل : إنّ بغداديّين تعطّلا ، وحاولا أن يجدا عملاً ، فلم يوفّقا ، ثم وجدا حماراً نافقاً ، فأخذاه ، ودفناه ، ووضعا على قبره شاهداً ، وادّعيا إنّه قبر ولي من أولياء الله ، وأصبح أحدهما سادناً للقبر ، والثاني واعظاً وإماماً للجماعة فيه ، وظلاّ على ذلك حيناً ، ثم أحسّ أحدهما أنّ صاحبه يغتال قسماً من الواردات ، ويستأثر بها ، فخاصمه ، فبادر صاحبه وضرب بيده على القبر ، يحلف على براءته من التهمة ، فصاح به صاحبه : ويحك ، إحنا دافنيه سوا .

وللبغداديّين نوادر ، فيها ذكر للحمار ، يتندّرون بها ، أذكر منها نادرتين :

الأولى : نادرة يتندّر بها البغداديون على أهل الموصل ، والمعروف عن أهل الموصل تعصّبهم لبعضهم ، بحيث لا يتسنّى للغريب أن يجد فيها رزقاً ، وخلاصتها : أنّ سقّاءً بغداديّاً هاجر إلى الموصل ، واستقرّ فيها ، وأراد أن يمارس فيها مهنته ، فاشترى حماراً وقربة ، وباشر بحمل الماء من النهر إلى المدينة ، وفي اليوم الأول لم يتعامل معه أحد ، وكذلك في اليوم الثاني ، وجاع السقّاء ، وجاع حماره ، فأخذه في اليوم الثالث ، وذهب إلى سوق المدينة ، وقال : يا جماعة ، إنّ حرمانكم إيّاي من الرزق أمر مفهوم ، لأنّي بغداديّ ، ولكنّ هذا الحمار موصلي ، وهو يكاد يموت جوعاً ، فإن لم ترفقوا بي ، فارفقوا به .

والثانية : نادرة يتندّر بها البغداديّون على أحد القضاة ، وخلاصتها : أنّ اثنين اختصما على حمار ، كلّ واحد منهما يدّعي ملكيته ، وتداعيا عند القاضي ، وقدّم المدعي للقاضي عشرة مجيديّات رشوة ، وبلغ المدعى عليه ما صنعه خصمه ، فذهب إلى القاضي وأعطاه عشرة مجيديّات أيضاً ، ونظر القاضي في الدعوى ، وأراد أن يرضي الطرفين ، فحكم بأن يباع الحمار ويقسم ثمنه بين المتداعيين ، وبيع الحمار بعشرين مجيديّاً ، وتسلّم كل واحد من المتداعيين عشرة مجيديّات ، فتوجّها إلى القاضي ، وقالا له : يا أفندينا ، تبيّن أنّ الحمار لا يعود لواحد منّا ، وإنّما يعود لك ، لأنّك استوفيت ثمنه كاملاً .

ودخل أحمد بن محمّد القزويني إلى سوق النخّاسين في الكوفة ، وطلب حماراً ، لا بالصغير المحتقر ، ولا بالكبير المشتهر ، إن أقللت علفه صبر ، وإن أكثرت علفه شكر ، لا يدخل تحت البواري ، ولا يزاحم براكبه السواري ، إذا خلا الطريق تدفّق ، وإذا كثر الزحام ترفّق ، فقال النخّاس : أصبر حتى يمسخ القاضي حماراً ، وأشتريه لك ، (أخبار الحمقى والمغفّلين ص ١٢٦) .

ونهيق الحمير ، يسمّى : الزرّ (البصائر والذخائر ٢٩٧/٤ ، راجع أخلاق الوزيرين ١٤٩) وفي بغداد ، يلفظونها : زعرّ ، وإذا صيح بها أمام الحمار ، نهق .

وذكر الجبرتي في تاريخه ٥٣٩/٢ و١٥٥/٣ أنّ العسكر العثماني ، بالقاهرة ، باشروا في السنة ١٢١٧ بخطف حمير الناس من أولاد البلد ، فأخفى الناس حميرهم ، فكان الجماعة من العسكر ينصتون بآذانهم على أبواب الدور ، ويقف بعضهم على الدار ، ويقول (زرّ) ، ويكرّرها ، فينهق الحمار ، فيؤخذ .

وكان إبراهيم بن الخصيب المديني ، أحمق ، وكان له حمار أعجف ، وكان إذا علّق الناس المخالي بالعشيّ ، أخذ مخلاة حماره ، وقرأ عليها «قل هو الله أحد» ، وعلّقها عليه فارغة ، وقال : لعن الله من يرى كيلجة شعير ، أنفع من «قل هو الله أحد» ، فما زال هكذا حتى نفق الحمار ، فقال : إنّ قل هو الله أحد ، تقتل الحمير ، فهي للناس أقتل ، لا قرأتها ما عشت (البصائر والذخائر م ١١٨/٤ و ١١٩ ، وراجع كتاب أدب الغرباء للاصبهاني ٤٦) .

ومما يروى عن السيد عبد الحسين الغريفي ، من علماء البحرين ، وكان فقيهاً من العلماء الأتقياء ، أنّه هجم عليه يوماً ، وهو في حلقة درسه ، معيديّ ، أوسعه إزعاجاً ، وألحّ عليه أن يستخير له ، فإنّه بصدد عمل يريد أن يقوم به ، فعمد السيد إلى كتاب الله ، وفتحه ، ثم التفت إليه وقال : أنت تريد أن تشتري حماراً ، فقال له : إي والله يا سيّدنا ، فقال له : امض فاشتره ، ولما بارح المعيديّ المكان ، سأله تلامذته : كيف عرف مراد المعيديّ ؟ فقال له : استفتحت له ، فظهرت الآية : سنشدّ عضدك بأخيك .

أقول : أنا في شكّ من صحّة هذه الحكاية ، لأنّ السيد عبد الحسين ، وهو من الفقهاء الزهّاد ، أتقى لله من أن يتّخذ من آيات القرآن مورداً للتملّح .

وقال عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١) [شذرات الذهب ٣٤١/٣] :

تكبّر على العقل لا ترضه ... ومل إلى الجهل ميل هائم
وعش حماراً تعش سعيداً ... فالسعد في طالع البهائم

وصديقنا المصوّر أرشاك ببغداد ، يخالف الناس في وصف الحمار بالبلادة ، وهو يقول : إنّ الحمار عاقل حكيم ، وإنّ النظرة التي نراها في عينه ونحسب أنها نظرة بلادة ، إنّما هي نظرة استهانة بنا ولا مبالاة ، وكأنّه يقول لنا : أنتم تقولون عنّي أنّي حمار ، وفي الحقيقة ، إنكم أنتم الحمير .

للتوسّع في البحث ، راجع الطبري ٥٢٢/٥ و ٤٠/٦-٤٢ و ٥٢/٧ و ٢٤٠ و ٥٥٥ و ١٢٢/٨ و ١٩٤ و ٣٠٠/٨-٣٠٢ و ٨/١٠ ، والولاة للكندي ٤٦٩ و ٤٧١ ، والأغاني ١٥٧/١٢ و ٣٠٣/١٨ و ٣٤٧ و ٦٩/٢٠ و ١٨٢/٢٢ ، والعقد الفريد ٤٤٢/٦ ، والأغاني ط بولاق ٣١/٢٠ .

٢٨٤
ابن الطبري الكاتب النصراني
تجلب له التوفيق رفسة حصان

وجدت في بعض الكتب : أنّ عبد الله المعروف بابن الطبري النصراني الكاتب ، قدم سرّ من رأى يلتمس التصرّف ، فلزم الدواوين مدّة ، إلى أن نفدت نفقته ، وانقطعت حيلته ، ولم يبق إلّا ما عليه من كسوته ، [فعدم القوت ثلاثة أيّام بلياليها ، وهو صابر خوفاً من أن يبيع ما عليه ، فيتعطّل عن الحركة ، فلمّا كان في اليوم الرّابع][1] عمل على بيع ما عليه ليأكل [١٤١ م] ببعضه ، وليشتري بالبعض الآخر تاسومة[2] ، ومرقّعة[3] ، وركوة[4] ، ويخرج في زيّ فيج[5] إلى بلد آخر ، لأنّه بقي ثلاثة أيّام لم يأكل شيئاً .

ثمّ شرهت نفسه إلى الرّجوع إلى الدّيوان ، مؤمّلاً فرجاً يستغني به عن هذا ، من تصرّفٍ أو غيره .

فمشى يريد الديوان ، وهو مغموم مفكّر ، إذ سمع صوت حافر من ورائه ، وقوم يصيحون : الطّريق ، الطّريق .

فلشدّة ما به ، غفل عن التنحّي عن الطّريق ، فكبسه شهريّ[6] كان راكبه

---

١ الزيادة من م .

٢ التاسومة : ضرب من الأحذية (الألفاظ الفارسيّة المعربّة ٣٣) .

٣ المرقّعة : كساء من الصوف لبسه الصوفيّة أوّلاً ، وكانوا يخيطون فيه رقاعاً عدّة إظهاراً للزهد ، ولبسه غيرهم من الناس ، وأصبح اسمه مرقّعة حتى لو خلا من الرقاع .

٤ الركوة : إناء صغير من الجلد يشرب فيه الماء .

٥ راجع حاشية القصّة ٢٢١ من هذا الكتاب .

٦ الشهريّ : برذون بين الرمكة والفرس العتيق (أساس البلاغة للزمخشريّ ٥١١/١) .

المؤيّد بالله[7] بن المتوكّل على الله ، وهو إذ ذاك أحد أولياء العهود[8] ، فداسه ، وسقط على وجهه .

فصعب ذلك على المؤيّد ، ولم يكن يعرفه ، فاغتمّ أن يجرى منه على إنسان مثل ذلك ، فأمر أن يحمل إلى داره ، ففعل ذلك ، وأفردت له حجرة ، ومن يخدمه ، وعولج بالدواء ، والطعام ، والشراب ، والطّيب ، والفرش ، حتّى برئ بعد أيّام ، فأنفذ إليه ألفي درهم ، وسأله إحلاله ممّا جرى عليه .

فقال : لا أقبلها ، أو تقع عيني على المؤيّد ، فأشافهه بالدّعاء .

فأوصل إليه ، فشكره ، ودعا له ، وقصّ عليه قصّته ، وسأله استخدامه .

فخفّ على قلب المؤيّد ، واستكتبه ، وأمر أن يصرّف في داره ، وفي دار والدته إسحاق ، جارية المتوكّل ، فتصرّف فيها مدّة ، وصلحت حاله .

وكان الموفّق ، أخو المؤيّد من أمّه[9] ، قد رأى ابن الطبري ، فاجتذبه إلى خدمته ، ونفق عليه ، وانتهى أمره معه إلى أن جعل إليه تربية المعتضد[10] ، وأكسبه الأموال الجليلة[11] .

---

٧ المؤيّد : إبراهيم بن جعفر المتوكّل ، كان أحد أولاد المتوكّل الثلاثة الذين عقد لهم العهد في السنة ٢٣٥ ، ولما قتل المتوكّل ، خلع المنتصر أخويه المعتزّ والمؤيّد من ولاية العهد ، ولما ولّي المستعين جرّد المعتزّ والمؤيّد من كلّ ما لديهما من أموال وعقار ، وترك للمعتزّ ما قيمته عشرين ألف دينار ، وللمؤيّد ما قيمته خمسة آلاف دينار ، وحبسهما ، ثم اختلف الأتراك مع المستعين ، فأخرجوا المعتزّ والمؤيّد من حبسهما ، وبايعوا المعتزّ بالخلافة ، ولما قوي المعتزّ ، بادر في السنة ٢٥٢ إلى خلع أخيه المؤيّد ، وحبسه ، ثم قتله في حبسه ، والمؤيّد والموفق أبو أحمد طلحة من أمّ واحدة وهي إسحاق الأندلسية ، راجع تجارب الأمم ٥٤٥/٦ ، ٥٥٨ ، ٥٧٩ وابن الأثير ١٧١/٧ و١٧٢ والمستظرف من أخبار الجواري ص ١٠ .

٨ يعني أنّ ذلك في حياة المتوكّل ، أي قبل السنة ٢٤٧ ، إذ أنّ المؤيّد عزل من ولاية العهد بعد قتل أبيه .

٩ المستظرف من أخبار الجواري ص ١٠ .

١٠ راجع القصّة ٥٦/٧ من كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للتنوخي .

١١ لم ترد هذه القصّة في غ ولا هـ .

٢٨٥

أبو بكر محمّد بن طغج

ينتقل من ضعف الحال إلى ملك مصر

وجدتُ في بعض الكتب : حدّث أبو الطّيب بن الجنيد ، الّذي كان صاحباً لأبي جعفر محمّد بن يحيي بن زكريا بن شيرزاد[١] ، وكان قبل ذلك جاراً لأبيه أبي القاسم ، قال :

كان أبو بكر محمّد بن طغج بن جف[٢] ينزل قديماً بالقرب من منازلنا ببغداد ، بقصر فرج[٣] ، وكان رقيق الحال ، ضعيفاً جدّاً .

وكان له على باب دويرته[٤] دكّان[٥] يجلس عليها دائماً ، ودابّته مشدودة

---

١ أبو جعفر محمّد بن يحيى بن زكريا بن شيرزاد : ترجمته في حاشية القصّة ٣٧٨ من هذا الكتاب .

٢ أبو بكر محمّد بن طغج بن جف ، الملقّب بالإخشيد (٢٦٨-٣٣٤) : مؤسّس الدّولة الإخشيديّة بالشّام ومصر ، فرغاني الأصل ، من أبناء المماليك ، ولد ونشأ في بغداد ، وتقلّب في الأعمال ، إلى أن ولّاه الراضي إمرة الديار المصريّة ، واستقرّ بها سنة ٣٢٣ بعد حروب وفتن ، ولقبه الراضي بالإخشيد لأنّه لقب ملوك فرغانة ، توفّي بدمشق ، ودفن ببيت المقدس بباب الأسباط (الأعلام ٤٤/٧) .

٣ قصر فرج : وتسمّى دار فرج أيضاً ، محلّة كانت ببغداد فوق سوق يحيى ، نسبت إلى فرج بن زياد الرخجي ، مملوك حمدونه بنت الرّشيد إذ كان قصره فيها على دجلة ، ولم يكن على شاطئ دجلة أحكم بناء منه . أبصره أعرابي فأعجبه ، وسأل عن صاحبه ، فلمّا أخبر به ، قال :

لعمرك ما طول البناء بنافع ... إذا كان فرع الوالدين قصير

معجم البلدان ٥٢٢/٢ ومراصد الاطلاع ٥٠٧/٢ والهفوات النادرة ٧٧ .

٤ الدويرة : مصغّر دارة ، وكلّ ما يدور عليه سور فهو دارة ، يريد بذلك الدار الصغيرة .

٥ الدكّان : فارسية ، دكّة كالمصطبة ، يقعد عليها ، ثم استعملت للحانوت الصغير ، لأنّ صاحبه يجلس في صدره على دكّة ، والبغداديّون يسمّون الحانوت الصغير : دكّاناً ، فإن كبر ، سمّوه : مغازة ، والكلمة محرّفة عن الإفرنجية Magazine المنقولة عن الكلمة العربية : مخزن .

إلى جانبها ، وهو يراعيها [١٧٨ ظ] بالعلف والماء بنفسه[٦] .

وكان له رزق سلطانيّ يسير ، يتأخّر عنه أبداً ، فلا يقبضه إلّا في الأحايين .

وكان شديد الاختلال ، ظاهر الفقر ، وكان له عدّة بنات لا ذَكَر فيهنّ .

وكان يجتاز به أبو القاسم يحيى بن زكريا بن شيرزاد ، أو أحد ابنيه ، أبو الحسن ، وأبو جعفر ، فيقوم قائماً ، ويظهر التعبّد لهما ، ولا يزال واقفاً إلى أن يبعدا عنه .

وكنت ربّما جلست إليه ، فيأنس بي ويحدّثني ، ويشكو بثّه ، وما يقاسيه من كثرة العائلة ، وضيق الحال .

ويقول : ليت كان لي فيما رزقته من الولد ، ذَكَرٌ واحدٌ ، فكنت أتعزّى به قليلاً [١٥٠ و] ، ويخفّ بالرّجاء له ، والسّرور به ، بعض كربي وهمّي بهؤلاء البنات .

قال أبو الطّيب : وضرب الدّهر من ضربه ، وتقلّب من تقلّبه ، وطال العهد بابن طغج ، وخرج في جملة تجريد[٧] جرّد إلى الشّام ، وأنسيناه ، وترجّمت به الظنون ، وترامت به الأحوال ، حتّى بلغ أن يقلّد مصر وأعمالها[٨] ، وكان من علوّ شأنه ، وارتفاع ملكه ، وحصول الأمر له ، ولولده من بعده ، ما كان ، ممّا هو مشهور .

وكان قد طرأ إلى تلك النّاحية أحد التجّار الواسعي الأحوال ، من جوارنا ، ممّن كان يعرف ابن طغج على تلك الأحوال الأول ، فلمّا كان بعد سنين ،

---

٦ يعني إنّه لم يكن لديه سائس أو شاكري أو خادم يعنى بدابّته ، وهذا أقصى ما يصل إليه الجنديّ من الاختلال في ذلك الحين .

٧ الجريدة : جماعة الخيل لا رجّالة فيها ، والتجريدة : جماعة مقتطعة من الجند ، والتجريد : تهيأة التجريدة وإرسالها .

٨ في السنة ٣٢١ ولّى القاهر أبا بكر بن طغج ، مصر ، وهو مقيم بدمشق ، فلم يرحل إليها ، وفي السنة ٣٢٣ ولّاه الراضي مصر ، فرحل إليها واستقرّ بها (الولاة والقضاة للكندي ٢٨١ و ٢٨٦) .

عاد الرّجل إلى الحضرة ، فحدّثنا بعظم أمر ابن طغج ، واتّساع ملكه .

وقال : رأيته غير الرّجل الّذي كنّا نعرفه ، مكانة ، ورجاحة ، وحين رآني ، قرّبني ، وأكرمني ، وما زال مستبشراً بي ، يحادثني ، وأحادثه ، ويسألني عن واحد واحد ، من بني شيرزاد ، وغيرهم من الجيران ، وأنا أخبره .

حتّى قال في بعض قوله : الحمد لله الّذي بيده الأمور ، ما شاء فعل ، يا فلان ، ألستَ ذاكراً ما كنت فيه ببغداد ، من تلك الأحوال الخسيسة [١٤٢ م] وما كنت ألاقي من الشدّة ، والفقر ، والفاقة ، والغرض بالعيش[٩] ، والهمّ باولئك البنات ؟.

قلت : نعم يا سيّدي .

قال : والله لقد كنت أتمنّى وأسأل الله أن يرزقني ابناً ، فكلّما اجتهدت في ذلك جاءتني ابنة ، حتّى تكاملن في بيتي عشراً .

وكنت أتمنّى منذ سنّ الحداثة أن أرزق دابّة أبلق[١٠] ، واستشعر أنّي اذا ركبت ذلك ، فقد حصلت لي كلّ فائدة ونعمة ، لشدّة شهوتي لها ، فما سهّل الله لي ما طلبته من هذا الباب أيضاً شيئاً .

وتكهّلت ، وعلت سنّي ، وأنا على تلك الأحوال .

وضرب الدّهر ضربه ، وخرجت من بغداد ، فابتدأ الإقبال يأتي ، والإدبار ينصرف .

وكان الله تعالى يرزقني في كلّ سنة ابناً ، ويقبض عنّي ابنة ، حتّى مات البنات كلّهنّ ، ونشأ لي هؤلاء البنون ، وأومأ إلى أحداث بين يديه كأنّهم الطواويس حسناً وجمالاً .

---

٩ الغَرَض : الضجر والملال . وفي م : وتنغيص العيش .

١٠ الدابّة : يجوز فيها التذكير والتأنيث ، والأبلق : الذي في لونه سواد وبياض .

ثمّ قال : وملكت من الخيل العتاق[11] ، والبراذين[12] ، والبغال[13] ، والحمير البلق[14] ، ما لم يملك أحد مثله ، ولا اجتمع لأحد ما يقاربه ، وأكثر من أن يحصى ، وصار لغلمان غلماني ، الكراع الكثير ، فقم بنا حتّى ندخل الاصطبلات ، فنشاهدها ، وتعجب .

فأخذ بيدي ، ومشينا حتّى دخلنا إلى إصطبل البلق ، فما أشكّ ، أنّا عددنا من صنوف الدواب البلق أكثر من خمسمائة رأس ، ثمّ ضجرنا ، وما زلنا نجتاز في الاصطبل ، سنة ، سنة .

فيقول : هذا اصطبل الفلانيّات ، وهو يسأل صاحب كراعه ، كم في هذا ؟ .

فيقول : في هذا خمسمائة ، وفي هذا أربعمائة ، ونحو ذلك .

---

١١ العتيق : الكريم ، والخيار من كلّ شيْ ، والفرس العتيق : الكريم الرائع .

١٢ البرذون : راجع حاشية القصّة ٢٣٧ .

١٣ البغل : حيوان متولّد من الحمار والرمكة (الحيوان للجاحظ ١٦٢/٣ ومعجم الحيوان ١٦٤) وهو موصوف بالصبر والعناد ، ذكره الجاحظ في كتاب الحيوان ٢٠٧/٥ ، وقال : ليس في الحيوان أطول عمراً منه ، وروى عنه قصصاً ٢٠٣/٣ و ٢٠٤ و ١١٨/٧ وكتب عنه كتاباً مفرداً ، سمّاه : القول في البغال ، وبالنظر لاختلاف جنس أبويه ، سموه نغلاً ، وقالوا : البغل نغل ، وهو لذلك أهل ، (أساس البلاغة للزمخشري ٥٦/١) ، واشتقّ من اسمه : التبغيل ، وهو : التهجين ، يقال : بغّل أولادهم ، إذا هجّنهم (أساس البلاغة ٥٦/١ والمنجد) ، وتزوّج الحجّاج بن يوسف الثقفي ، هند بنت أسماء ، فسمعها تقول :

وما هند إلاّ مهرة عربيّة ... سليلة أفراس تزوّجها بغل
فإن ولدت مهراً كريماً فبالحرى ... وإن ولدت بغلاً فما أنجب الفحل

فطلّقها ، وبعث إليها رسولاً يحمل مائة ألف درهم ، فقال لها : يقول الأمير ، كنتِ ، فبنتِ ، وهذا المال صداقك ، فقالت للرسول : ما سررنا به إذ كان ، ولا جزعنا عليه إذ بان ، وهذا المال لك ، بشارة لما جئتنا به ، فكان هذا القول على الحجّاج ، أشدّ عليه من فراقها (المحاسن والأضداد للجاحظ ١٢٠ و ١٢١) ، لزيادة التفصيل راجع نهاية الأرب ٧٩/١٠-٩٢ .

١٤ الحمار : راجع حاشية القصّة ٢٨٣ .

ثمّ عدنا إلى المجلس ، وقد أبهجني ما رأيت ، وهو يحمد الله على تفضّله وإحسانه ، ولازمته ، وما فارقت داره حتّى قضيت حوائجي ، ونفعني ، وأحسن اليّ ، وما قصّر ، وعدت إلى الشام مكرّماً[١٥] .

١٥ لم ترد هذه القصّة في غ ولا ه .

٢٨٦

غريب الدار ليس له صديق

ذكر عن رجل كان بالبصرة ، أنّه كان ذا يسار ، وتغيّرت حاله ، فخرج عن البصرة ، ثمّ عاد إليها وقد أثرى ، فجعل [١٧٩ ظ] يحدّث بألوان لقيها إلى أن قال :

تغيّرت حالي ، إلى أن دخلت بغداد ، غريباً ، سليباً[١] ، لا أهتدي إلى مذهب ولا حيلة .

قال : فجعلت أسأل : أين السَوق ، أين الطريق ، إلى أن ضجرت ، فقلت وأنا مكروب :

١ غريب الدّار ليس لـه صديق   جميـع سؤاله أين الطريــق
تعلّق بالسؤال بكلّ صقـــع   كما يتعلّـق الرّجـل الغريــق

وجعلت أردّد ذلك وأمشي ، وإذا برجل مشرف من منظر[٢] ، فقال لي : [١٥١ ر]

ترفّـق يا غريـب فكـلّ عبـد   تطيف بحاله سعـةٌ وضيــق
وكلّ مصيبـة تأتي ستمـضي   وإنّ الصّبر مسلكه وثيــق

فخفّ ما بي ، ورفعت رأسي إليه ، وسألته عن خبره .

فقال : اصعد إليّ أحدّثك ، فصعدت إليه .

فقال : وردتُ هذا البلد ، وأنا غريب ، فتحيّرت – والله – كتحيّرك ،

---

١ السليب ، وجمعه : سَلْبى : المستلب العقل أو المال .

٢ المنظر ، والمنظرة : ما ارتفع من الأرض أو البناء ونظرت منه .

إلى أن مررت بهذه الغرفة[٣] ، فأشرف عليّ رجل كان فيها ، لا أعرفه ، فقال لي : اصعد .

فصعدتُ ، فأسكننيها ، ثمّ تقلّبت بي الأحوال ، فابتعت الدّار ، وأثريت ، وأنا أتبرّك بها ، وأجلس فيها كثيراً ، فلعلّها أن تكون مباركة عليك أيضاً ، فإنّ لي فيما سواها من الدّور ، مساكن تجذبني .

ففعلت ، وأقبلَتْ أحوالي ، واحتجتُ إلى الاتّساع ، فانتقلتُ عنها[٤] ،

---

٣ الغرفة : المخدع ، أو العليّة : أي الغرفة العالية من الأرض .

٤ لم ترد هذه القصّة في غ ولا هـ .

٢٨٧

عبد الله بن مالك الخزاعي

يتسلّم كتاباً من الرّشيد يخبره بمقتل جعفر البرمكي

وجدت في بعض الكتب :

أنّ البرامكة[١] ، قصدت عبد الله بن مالك الخزاعي[٢] ، بالعداوة ، وكان الرّشيد [١٤٣ م] حسن الرأي فيه ، فكانوا يغرونه به ، حتّى قالوا له : لا بدّ من نكبته .

فقال : ما كنت لأفعل هذا، ولكن أبعده عنكم .

فقالوا : ينفى .

فقال : لا ، ولكن أولّيه ولاية دون قدره ، وأخرجه إليها .

فرضوا بذلك ، فكتبوا له على حرّان[٣] والرّها[٤] فقط ، وأمروه بالخروج عن الخليفة .

قال عبد الله : فودّعتهم واحداً ، واحداً ، حتّى صرت إلى جعفر لأودّعه .

فقال لي : ما على الأرض عربيّ أنبل منك يا أبا العبّاس ، يغضب عليك الخليفة ، فيولّيك حران والرّها ؟ .

---

١ البرامكة : يريد بالبرامكة يحيى بن خالد وولديه الفضل وجعفر .

٢ أبو العبّاس عبد الله بن مالك الخزاعي : ترجمته في حاشية القصّة ١٣٠ من الكتاب .

٣ حرّان : قصبة ديار مضر ، على طريق الموصل والشام والروم ، فيها حبس مروان بن محمّد إبراهيم الامام حتى مات في حبسه (معجم البلدان ٢/٢٣٠) . أقول : ذكر سديف حرّان في قوله :

أذكروا مصرع الحسين وزيداً وقتيلاً بجانب المهراس

والامام الذي بحرّان أضحى ثاوياً بين غربة وتناسي

٤ الرها ، وفي المنجد إنّها تسمّى أورفا أيضاً : مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام (معجم البلدان ٢/٨٧٦) .

فقلت : فما ذنبي حتّى غضب عليّ ، وأيّ شيء جرى منّي حتّى أوجب الّذي أن يفعل بي هذا ؟.

قال [جزاؤك أن] : يضرب وسطك ، وتصلب نصفاً في جانب ، ونصفاً في جانب .

فقلت : العجب منّي حيث صرت إليك ، ونهضت ، وخرجت .

وقطعت طريقي بالهمّ ، والغمّ ، ممّا دفعت إليه ، وأنّي لا آمنهم ، مع غيبتي ، على السعاية[٥] عليّ .

فبينما أنا في عشيّة يوم ، على باب الدّار الّتي نزلتها ، جالساً على كرسي ، إذ أقبل إليّ مولى لي ، فقال لي سرّاً : قد قتل جعفر بن يحيى البرمكي .

فتوهّمت أنّه هو أمره بذلك ليجد عليّ حجّة ينكبني بها ، فبطحته ، وضربته ثلثمائة مقرعة ، وحبسته ، وبتّ بليلة طويلة على السّطح في داري .

فلمّا كان في السّحر ، إذا صوت حلق البريد[٦] . فارتعت ، ونزلت عن السّطح .

وقلت في نفسي : إن هجم عليّ صاحب البريد فهي بليّة ، وإن ترجّل لي ففرج .

فلمّا بصر بي صاحب البريد ترجّل لي ، فطابت نفسي ، ودفع إليّ كتاباً من الرّشيد ، يخبرني فيه بقتله جعفر ، وقبضه على البرامكة ، ويأمرني بالشخوص إلى حضرته .

فشخصتُ ، فلمّا وصلت إليه ، عاملني من الإكرام والإنعام بما زاد على أمنيّتي .

---

٥ السعاية : النميمة ، والوشاية .

٦ في م : خلق البريد ، وفي ر ، وظ : على البريد ، وأحسب أنّ الصحيح ما أثبته ، وحلق البريد تتّخذ من النحاس ، وإذا ضربت الواحدة الأخرى ، سمع لها رنين خاص به يعرف البريد ، فلا يعطّل سيره ولا يؤخّر استقباله .

وخرجت ، فأتيت الجسر ، فوجدت جعفراً ، قد ضرب وسطه ، وصلب نصفه في جانب ، ونصفه في الجانب الآخر[٧] .

٧ لم ترد هذه القصّة في غ ولا ه .

٢٨٨

نجاح بن سلمة ينصح سليمان بن وهب

برغم ما بينهما من عداوة

حكي أنّ الواثق سخط على سليمان بن وهب[١] ، فردّه إلى محمّد بن أبي اسحاق[٢] ، وأمره أن يأخذ خطّه بثلاثة آلاف ألف درهم ، يؤدّيها بعد خمسة عشر يوماً ، فإن أذعن لذلك ، وإلّا ضربه خمسمائة سوط .

فطالبه محمّد بكتب الخطّ ، فامتنع ، فدعا له بالسياط ، وجرّد لضربه .

ودخل [١٨٠ ظ] نجاح بن سلمة[٣] ، فلمّا رآه سليمان أيقن بالموت ، واستغاث به سليمان .

فقال نجاح لمحمّد : خلّه ، وأخلني وإيّاه ، ففعل .

فقال نجاح لسليمان : أتعلم أنّ في الدنيا أحداً أعدى لك منّي ؟ .

قال : لا .

قال : فهوذا أحامي عنك اليوم لأجل الصناعة ، أيّما أحبّ إليك وآثر

---

١ أبو أيّوب سليمان بن وهب الحارثي : ترجمته في حاشية القصّة ٦٦ من الكتاب .

٢ أبو صالح محمّد بن إبراهيم بن مصعب : أخو إسحاق بن إبراهيم بن مصعب ، أمير بغداد (العيون والحدائق ٤٠٠/٣ والطبري ١٢٢/٩) وكان من قوّاد المعتصم (العيون والحدائق ٣٩١/٣ ، ٤٠٠ ، والطبري ٥٧/٩ ، ٧٧) ، وكان يثني عليه (الطبري ١٢٢/٩) وهو الذي أحضر مازيار إلى سامراء ، لما آستسلم (العيون والحدائق ٤٠٢/٣ و ٤٠٣ ، وتجارب الأمم ٥١١/٦) ، وكان يخلف أخاه إسحاق بن ابراهيم ، على إمارة بغداد ، إذا غاب (تجارب الأمم ٥٣٠/٦ ، والطبري ١٣٦/٩) ، ولما تحرّك أحمد بن نصر الخزاعي ببغداد ، على الواثق ، كان محمّد ، أمير بغداد ، بالوكالة عن أخيه ، فحمل نصر إلى سامراء ، في السنة ٢٣١ ، حيث قتله الواثق بيده (تجارب الأمم ٥٢٩/٦ والطبري ١٣٧/٩) ، وفي السنة ٢٣٢ ولّاه الواثق فارس (الطبري ١٥٠/٩) ، وتوفي بها في السنة ٢٣٦ (الطبري ١٨٣/٩) .

٣ أبو الفضل نجاح بن سلمة الكاتب : ترجمته في حاشية القصّة ٧٣ من الكتاب .

في نفسك ، أن تموت الساعة بلا شكّ ، أو يكون ذلك إلى خمسة عشر يوماً ، قد يفرّج الله فيها عنك ؟ [١٥٢ ر]

قال : بل أكون إلى خمسة عشر يوماً بين الأمرين .

قال : فاكتب خطّك بما طولبت به ، فكتب خطّه[٤] .

قال سليمان : فما مضت ستّة أيّام ، حتّى مات الخليفة ، وبطل ذلك المال . [وصار نجاح بن سلمة بمشورته تلك على سليمان ، أحبّ إليه من أخيه وولده ، وزالت العداوة من بينهما][٥] .

قال مؤلّف الكتاب : هذا الخبر عندي أنّه مضطرب ، لأشياء كثيرة ، ولكنّي كتبته ، كما وجدته ، وقد مضى فيما تقدّم من هذا الكتاب خبر نكبة الواثق لسليمان بن وهب ، بما هو أصحّ من هذه الحكاية[٦] .

---

٤ في م : فكتب سليمان ، بمشورته تلك ، بخطه .

٥ الزيادة من م .

٦ لم ترد هذه القصّة في غ ولا ه .

٢٨٩

المعتمد يأمر بقطع يد غلام من غلمانه ثمّ يعفو عنه

بلغني أنّ أبا محمّد بن حمدون[١] ، قال :

إشتهى المعتمد[٢] أن يتّخذ له فرش ديباج ، بستوره ، وجميع آلاته[٣] ، على صورة صوّرها ، وألوان اقترحها .

فعمل ذلك بتنّيس[٤] ، وحمل إليه ، فسرّ به غاية السرور ، وتقدّم ، فنجّد ، ونضّد ، ونصب ، وأحضرني والندماء ، وهو يأكل فيه ، فما منّا إلّا من وصفه واستحسنه ، ثمّ قام لينام وينتبه ، فيشرب فيه ، وصرفنا[٥] .

فما شعرنا إلّا وقد امتلأت الدّار ضجّة وصياحاً ، ودعا بنا ، فوجدناه يزأر كالأسد .

وإذا نصف ستر [١٤٤ م] من تلك الستور قد قطع ، وهو يقول : ليس بي قطعه ، ولا قيمته ، لأنّه يمكنني أن أستعمل مكانه ، وإنّما بي أنّه نغّص عليّ السّرور به أوّل يوم ، واجترأ عليّ بمثل هذا الفعل ، وأصعب من هذا أنّه

---

١ أبو محمّد عبد الله بن أحمد بن إبراهيم الملقّب حمدون : ترجمته في حاشية القصّة ٦٥ من الكتاب .

٢ أبو العبّاس أحمد بن أبي الفضل جعفر المتوكّل : ترجمته في حاشية القصّة ٦٥ من الكتاب .

٣ الفَرْش ، في اللغة : المفروش من متاع البيت ، ثم صرف التعبير إلى ما يفرش في البيت من السجّاد ، وما يزال هذا التعبير مستعملاً ببغداد ، وقد فصّلنا ذلك في حاشية القصّة ١٦٥ من هذا الكتاب ، والظاهر أنّ الفرش الذي أوصى عليه المعتمد ، لا يخرج عمّا ذكرنا ، ويريد بآلاته ، ما يتبع الفرش ، من ستائر ، ومساور ، ودسوت ، ومصلّيات ، ومما يجدر ذكره أنّه لا يوجد الآن فَرْش من الديباج ، والفرش الآن مقصور على الصوف وهو الغالب ، والحرير ، وهو الأقلّ ، ومن القطن ، وهو أقلّ من القليل .

٤ تنّيس : جزيرة في بحر مصر ، قريبة من البحر ، ما بين الفرما ودمياط ، تعمل بها الثياب الملوّنة والفرش الأبوقلمون ، وهو الذي إذا قوبل به عين الشمس تلوّن بألوان شتّى (معجم البلدان ١/٨٨٢ و ٤/١٦٦) .

٥ في م : وتفرّقنا .

قطعه وأنا أراه ، وغاص الّذي قطعه عن عيني فلم أثبته .

ثمّ دعا بنحرير الخادم وحلف له بأيمان مغلّظة ، أنّه إن لم يبحث إلى أن يحضر الجاني ، ليضربنّ عنقه ، وجلس على حاله مغضباً .

ومضى نحرير ، فما أبعد حتّى أحضر صبيّاً من الفرّاشين ، كأنّه البدر حسناً ، والقطعة الديباج معه ، وقد أقرّ بقطعها ، واعتذر ، وبذل التوبة ، وهو يبكي ، ويسأل الإقالة .

فلم يسمع المعتمد منه ذلك ، وأمر نحرير أن يخرجه ، فيقطع يده ، فأخرج ، وما منّا إلّا من آلمه قلبه عليه ، لملاحة وجهه ، وصغر سنّه ، وليس منّا من يجسر على مسألة المعتمد فيه ونحن قيام سكوت .

حتّى صرخ المعتمد على الله من يده صراخاً عظيماً ، وتأوّه ، وقال : قد دخل شيئ في أصبعي الساعة ، وزاد الألم عليه ، وجيئ بمن رآها ، فأحضر منقاشاً ، فأخرجت من إصبعه شظيّة من قصب كالشعرة ، فما ندري ممّ يتعجّب ، من صغرها ؟ أو من دخولها في لحمه مع ضعفها ؟ ، أو من شدّة إيلامها إيّاه ؟ ومن كونها فوق الديباج ساعة طرح ونفض .

فلمّا استراح ، قال : يا قوم ، إن كان هذا القدر اليسير قد آلمني هذا الالم الكثير ، فما حال هذا الصبيّ الّذي أمرنا بقطع يده ؟ .

قلنا : أسوأ حال وأشدّها ، فيجب أن تجعل العفو عنه شكراً لما كفيته .

فقال : ابعثوا إلى نحرير من يلحقه ، فإن كان لم يقطعه ، منع من قطعه .

فتسابق الغلمان ، فلحقوه ، والزّيت يغلي[6] ، وقد مدّت يده لتقطع ، فخلّوه ، وسلم[7] .

---

٦ إذا كانت العقوبة مقصورة على قطع اليد ، أغلي الزيت ، وغمس المعصم بعد قطع الكفّ ، في الزيت المغليّ لقطع النزيف ، وإن كان قطع اليد مقدّمة للقتل ، ترك المعصم ينزف ، راجع القصّة ٧٤/١ من كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للتنوخي .

٧ لم ترد هذه القصّة في غ ولا ه .

٢٩٠
مروءة عديّ بن الرقاع العاملي

أخبرني أبو الفرج الأصبهاني ، قال : أخبرني محمّد بن خلف بن المرزبان[١] ، قال : حدّثنا أحمد بن جرير[٢] ، عن محمّد بن سلام[٣] ، قال :

عزل الوليد بن عبد الملك عبيدة بن عبد الله بن عبد الرحمان[٤] عن الأردن ، وضربه ، وحَلَقَهُ[٥] ، وأقامه للناس .

وقال للموكّلين به : من أتاه متوجّعاً ، وأثنى عليه ، فأتوني به .

فأتاه عديّ بن الرقاع العاملي[٦] ، وكان عبيدة محسناً إليه ، فوقف عليه ، وأنشأ يقول : [١٨١ ظ]

وما عزلوك مسبوقاً ولكن ... إلى الغايات سبّاقاً جوادا
وكنت أخي وما ولدتك أمّي ... وصولاً باذلاً لا مستزادا

---

١ أبو بكر محمّد بن خلف بن المرزبان بن بسّام المعروف بالمحوّلي : نسبته إلى بلدة المحوّل ، وهي قرية قريبة من بغداد ، في غربيّها ، كان مترجماً ينقل الكتب الفارسيّة إلى العربيّة ، وترجم أكثر من خمسين كتاباً ، وله تصانيف عدّة (الأعلام ٣٤٨/٦) .

٢ أحمد بن جرير الكشي : ذكره صاحب ميزان الاعتدال ٨٧/١ .

٣ أبو عبد الله محمّد بن سلام بن عبيد الله بن سالم : ترجم له الخطيب في تاريخه ٣٢٧/٥ وقال : إنّه توفّي سنة ٢٣٢ .

٤ عبيدة بن عبد الرحمن بن أبي الأغرّ السلمي : من عمّال الأمويّين ، ولاّه الوليد ، ثم ولاّه هشام في السنة ١٠٩ إفريقية ، وكانت الأندلس وجزر البحر المتوسّط تابعة لولايته ، واستعفى في السنة ١١٣ ، فأعفاه ، (الكامل لابن الأثير ١٤٦/٥ و ١٧٤ و ١٧٥) .

٥ حَلَقَهُ : يعني حلق لحيته ، وكان ذلك من مظاهر الإهانة ، ويدخل في باب العقوبة .

٦ أبو داود عديّ بن زيد بن مالك بن عديّ بن الرقاع العاملي : شاعر دمشقي ، كان مقدّماً عند بني أميّة ، مدّاحاً لهم ، واختصّ بالوليد بن عبد الملك ، مات بدمشق سنة ٩٥ (الأعلام ١٠/٥) .

فقـد هيضـت بنكبتـك القدامى | كذاك الله يفعـل مـا أرادا

فوثب الموكّلون به ، فأدخلوه إلى الوليد ، وأخبروه بما جرى .

فتغيّظ عليه الوليد ، وقال له : أتمدح رجلاً قد فعلتُ به ما فعلت ؟.

قال : يا أمير المؤمنين ، إنّه كان إليّ محسناً ، ولي مؤثراً ، ففي أيّ وقت كنت أكافئه بعد هذا اليوم ؟ .

قال : صدقتَ ، وكرمتَ ، وقد عفوت عنك ، وعنه لك ، فخذه وانصرف .

فانصرف به إلى منزله[7] .

٧ لم ترد هذه القصّة في غ ولا هـ .

٢٩١

غدّة كغدّة البعير وموت في بيت سلوليّة ؟

أخبرني محمّد بن الحسن[١] ، قال : حدّثنا ابن أبي غسّان البصري[٢] ، قال : حدّثنا أبو خليفة[٣] ، قال : أخبرنا محمّد بن سلّام[٤] .

قال محمّد بن الحسن ، وأخبرني علي بن الحسين الأصبهاني ، قال : أخبرني عبد العزيز بن أحمد ، عمّ أبي[٥] ، قال : حدّثنا الزّبير بن بكّار ، قال : [١٥٣ ر] حدّثتني كلما بنت عبد العزيز بن موله ، قالت :

كان عامر بن الطفيل[٦] ، فارس قيس ، وكان عقيماً ، وكان أعور .

وكان النّبي صلّى الله عليه وسلّم ، قد رمي منه ، ومن أربد ، أخي لبيد بن ربيعة ، بما أهمّه [١٤٥ م] عليه السّلام .

---

١ أبو علي محمّد بن الحسن بن المظفر الحاتمي : ترجمتهفي حاشية القصّة ١٣ من الكتاب .

٢ أبو الحسن محمّد بن غسّان بن عبد الجبّار بن أحمد الداري ، الطبيب الصيدلاني ، البصري : طبيب من أهل البصرة ، خدم بصناعته ملوك بني بويه ، وكان شاعراً ، أديباً ، ترجم له القفطي ، وروى أبياتاً من شعره (تاريخ الحكماء ٤٠٢) وجاء في حكاية أبي القاسم البغدادي انّه انتحر غرقاً في كرداب كلواذى ، أنظر سبب ذلك في الصفحة ٨٣ ، ونقل عنه التنوخي في نشوار المحاضرة قصصاً منها ٣/١٤٠ و ٨/٢٧ و ١٠١ و ١٠٢ .

٣ أبو خليفة الفضل بن الحباب بن محمّد الجمحي القاضي : ترجمته في حاشية القصّة ٣٩ .

٤ أبو عبد الله محمد بن سلام بن عبيد الله بن سالم : ترجمته في حاشية القصّة ٢٩٠ من هذا الكتاب .

٥ عبد العزيز بن أحمد بن الهيثم بن عبد الرحمن بن مهران بن عبد الله بن مروان الحمار ، وعبد العزيز هذا عم أبي الفرج الأصبهاني صاحب كتاب الأغاني .

٦ أبو علي عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر العامري : فارس قومه ، وكان شاعراً ، سيّداً ، فاتكاً ، ولد ونشأ بنجد ، وأدرك الإسلام شيخاً ولم يسلم ، وكان أعور عقيماً ، وهو ابن عمّ لبيد الشاعر وأخيه أربد ، توفّي سنة ١١ هجرية (الأعلام ٤/٢٠) .

[وذلك إنّهما أتياه][7] ، فلقيهما ، فوسّد عامراً وسادة ، وقال : اسلم يا عامر .

قال : على أن تجعل لي الوبر ، ولك المدر ، فأبى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم .

قال : فعلى أن تجعلني الخليفة بعدك ، إن أنا أسلمتُ .

قال : لا .

قال : فما الّذي تجعل لي ؟

قال : أعنّة الخيل ، تقاتل عليها في سبيل الله .

قال : أو ليست أعنّة الخيل بيدي اليوم ؟ ، وولّى عامر مغضباً وهو يقول : لأملأنّها عليك خيلاً جرداً ، ورجالاً مرداً ، ولأربطنّ على كلّ نخلة فرساً .

وقال عامر لأربد : إمّا أن تقتله ، وأكفيكه ، وإمّا أن أقتله ، وأكفنيه .

قال أربد : اكفنيه ، وأنا أقتله .

فانصرفا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، فقال عامر : إنّ لي إليك حاجة .

قال : اقترب .

فاقترب ، حتّى حنى على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وسلّ أربد سيفه ، وأبصر رسول الله بريقه ، فتعوّذ منه بآية من كتاب الله تعالى ، فأعاذه الله منه ، ويبست يده على السّيف ، فلم يقدر على شيءٔ .

فلمّا رأى عامِرُ أربدَ لا يصنع شيئاً ، انصرف عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم .

وقال لأربد : ما منعك منه ؟.

قال : إنّي لما سللت بعض سيفي ، يبست يدي ، فوالله ما قدرت على سلّه .

---

٧ الزيادة من م .

قال ابن سلّام : وذكر بعضهم أنّه قال : لما أردت سلّ سيفي ، نظرت فإذا فحل من الإبل ، قطم [8] ، فاغرفاه ، بين يديه ، يهوي إليّ ، فوالله ، لوسللته ، لخفت أن يبتلع رأسي .

ثمّ دعا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وقال : اللّهم أرحني منهما ، واكفنيهما .

فأمّا أربد ، فأرسل الله تعالى عليه صاعقة ، فأحرقته .

وأمّا عامر فطعن في عنقه ، فأخذته غدّة كغدّة الجمل ، فلجأ إلى بيت امرأة من سلول .

فلمّا غشيه الموت ، جعل يقول : غدّة كغدّة البعير ، وموت في بيت سلولية ؟ ثم مات [9] .

وفي أربد ، نزل قوله تعالى : ويرسل الصواعق ، فيصيب بها من يشاء ، وهم يجادلون في الله ، وهو شديد المحال .

وفي أربد يقول لبيد أخوه :

---

٨ وردت هذه الكلمة في م فقط ، وجاءت بالفاء : فطم ، وهو خطأ ، والصواب : قطم ، بالقاف ، أي غضبان .

٩ الذي أرويه ، أنّه قال : غدّة كغدّة البعير ، وموت على الفراش ، وفي بيت سلولية ، وكان العربي لا يرضى لنفسه أن يموت على فراشه ، ويعدّ الموت في المعركة أكرم ، ولما قتل مصعب بن الزبير بمسكن في السنة ٧١ في المعركة بينه وبين عبد الملك بن مروان ، قال أخوه عبد الله يفخر بموت أخيه في المعركة ، ويعيّر بني مروان بأنهم يموتون على فراشهم : إنّا والله ما نموت على مضاجعنا كما يموت بنو أبي العاص ، ما قتل منهم رجل في زحف ، في جاهليّة ولا إسلام ، وإنّما نموت قصعاً بالرماح ، وموتاً تحت ظلال السيوف (الطبري ١٦٧/٦) .

أخشى على أربد الحتوف ولا أرهب نوء السماء والأسل
أفجعني الرّعد والصواعق بالـ ـفارس يوم الكريهة النجل[10]

١٠ لم ترد هذه القصّة في غ ولا في هـ ، ووردت في نهاية الأرب ٤٢/٣ وفي الوافي بالوفيات ٣٣٣/٨ و ٣٣٤ وورد فيهما الشعر كما يلي :

أخشى على أربد الحتوف ولا أرهب نوء السماك والأسد
فجعني الرعد والصواعق بالـ ـفارس يوم الكريهة النجد

٢٩٢
خرج ليغير فوقع على زيد الخيل

أخبرني محمّد بن الحسن ، قال : أخبرني عبد الله بن أحمد ، قال : حدّثنا ابن دريد ، بإسناد ذكره عن هشام بن محمّد بن السائب الكلبيّ ، قال : أخبرني شيخ من بني شيبان ، قال :

أصابت بني شيبان سنة ذهبت بالأموال [١٨٢ ظ] فخرج رجل منهم بعياله حتّى أنزلهم الحيرة .

وقال لهم : كونوا قريباً من الملك يصيبكم من خيره ، إلى أن أرجع إليكم .

وخرج على وجهه لما قد حلّ به ، يؤمّل أن يكسب ما يعود به على عياله ، وقد جهده الفقر ، وبلغ به الطوى .

فحدّث ، قال : مشيتُ يوماً وليلة ، بحيث لا أدري إلى أين أتوجّه ، غير أنّي أجوب في البلاد .

فلمّا كان من الغد عشاءً ، إذا بمهرٍ مقيّدٍ حول خباء ، فقلت : هذا أوّل الغنيمة .

فحللته ، فلم أذهب إلّا قليلاً ، حتّى نوديت : خلّ عن المهر ، وإلّا اختلجت مهجتك .

قال : فنزلت عنه ، وتركته ، ومضيت وقد تحيّرت في أمري ، واغتممت غمّاً شديداً .

فسرت سبعة أيّام ، حتّى انتهيت إلى موضع عطن[1] أباعر ، مع تطفيل[2] الشمس ، فإذا خباءٌ عظيم ، وقبّة من أدم .

---

١ العطن : مبرك الإبل ، ومربض الغنم حول الماء .

٢ طفول الشّمس : دنوّها للغروب .

فقلت : ما لهذا الخباء بدّ من أهل ، وما لهذه القبّة بدّ من ربّ ، وما لهذا العطن بدّ من إبل [١٥٤ ر] .

فنظرت في الخباء فإذا شيخ قد اختلفت ترقوتاه ، وكأنّه نسر[٣] .

قال : فجلست خلفه ، فلمّا وجبت الشمس ، إذا أنا بفارس قد أقبل ، لم أر قطّ فارساً [١٤٦ م] أجمل منه ، ولا أجسم ، على فرس عظيم ، ومعه أسودان يمشيان إلى جنبيه ، وإذا مائة من الإبل مع فحلها ، فبرك الفحل ، وبركن حوله .

ونزل الفارس ، وقال لأحد عبديه : احلب فلانة ، ثمّ اسق الشيخ .

قال : فحلب في عسٍّ[٤] حتّى ملأه ، ثمّ جاء به فوضعه بين يدي الشيخ ، وتنحّى .

فكرع منه مرّة ، أو مرّتين ، ثمّ نزع[٥] ، فثرتُ ، فشربته .

فرجع العبد ، فأخذ العسّ ، فقال : يا مولاي ، قد أتى على آخره .

قال : ففرح بذلك ، وقال : احلب فلانة ، فحلبها ، ثمّ جاء بالعسّ ، فوضعه بين يدي الشّيخ .

فكرع منه كرعة واحدة ، ثمّ نزع فثرت إليه ، فشربت نصفه ، وكرهت أن أتّهم ، إن أتيت على آخره .

ثمّ جاء العبد ، وأخذ العسّ ، وقال : يا مولاي ، قد شرب .

قال : دعه ، ثمّ أمر بشاة ، فذبحت ، وشوى للشّيخ منها ، وأكل هو وعبداه .

فأمهلت حتّى ناموا ، وسمعت الغطيط ، فثرت إلى الفحل ، فحللت عقاله ،

---

٣ في م : كأنّه شنّ بال ، والشنّ : القربة الخلقة الصغيرة .

٤ العسّ ، وجمعه عساس : القدح العظيم .

٥ نزع : كفّ .

ثمّ ركبته ، فاندفع بي ، واتّبعته الابل ، فسللتها ليلتي كلّها حتّى أصبحت .

فلمّا أسفر الصّبح ، نظرت فلم أر أحداً ، فسللتها سلّا عنيفاً[6] ، حتّى تعالى النّهار ، فالتفتّ التفاتة ، فإذا بشيءٍ كأنّه طائر ، فما زال يدنو حتّى تبيّنته ، فإذا هو فارس على فرس ، وإذا هو صاحبي البارحة .

فعقلت الفحل ، ونثلت كنانتي[7] ، ووقفت بينه وبين الإبل .

فدنا منّي ، وقال : حلّ عقاله .

فقلت : كلّا – والله – لقد أضرّ بي الجهد ، وخلّفت نسيّات ، وصبية بالحيرة ، وآليت أن لا أرجع إليهنّ إلّا بعد أن أفيدهنّ خيراً ، أو أموت .

قال : فإنّك ميت ، حلّ عقاله .

قلت : هوذاك .

قال : إنّك لمغرور ، أنصب لي خطامه[8] ، وفي خطامه خمس عجر[9] ، فنصبته .

قال : أين تريد أن أضع سهمي ؟.

قلت : في هذا الموضع .

قال : فكأنّما وضعه بيده ، حتّى والى بين خمسة أسهم .

قال : فرددت نبلي ، ودنا هو ، فأخذ القوس والسّيف .

وقال : ارتدف خلفي ، ففعلت .

فقال لي ، وقد عرف أنّي أنا الّذي شربت اللّبن عند الشّيخ : ما ظنّك بي ؟

قلت : أحسن الظنّ ، مع ما لقيت منّي من تعب ليلتك ، وقد أظفرك الله بي .

---

٦ يقال : فرس سريع السلّة ، إذا كان مندفعاً في سباقه ، ويريد بالسلّ ، هنا ، السير السريع .

٧ نثل الكنانة : استخرج سهامها ونثرها .

٨ الخطام : حبل يجعل في عنق البعير ويثنى في خطمه .

٩ العجرة : العقدة .

فقال : أترى كنّا يلحقك منّا سوء ، وقد بتّ تنادم مهلهلاً[10] ليلتك .

قلت : زيد الخيل أنت ؟.

قال : نعم ، أنا زيد الخيل[11] .

قلت : كن خير آخذ .

قال : ليس عليك بأس .

فمضى إلى موضعه الّذي كان به ، ثمّ قال : أما لو كانت هذه الإبل لي لسلّمتها إليك ، ولكنّها لابنة مهلهل ، فأقم عندي ، فإنّي على شرف غارة .

فأقمت أيّاماً ، ثمّ أغار على بني نمير بالملح[12] ، فأصاب مائة بعير .

فقال : هذه أحبّ إليك ، أم تلك ؟

فقلت : هذه ، فأعطانيها .

قال : فقلت : ابعث [١٨٣ ظ] معي خفراء ، ففعل .

وعدت إلى وطني ، وفرّج الله بكرمه عنّي ، وأصلح حالي[13] .

---

١٠ المهلهل بن مُنهب بن عبد رضا ، والد زيد الخيل ، وفي م : أترى إنّا كنّا نهيجك بسوء وقد بتّ تنادم مهلهلاً .

١١ أبو مكنف زيد بن مهلهل بن منهب بن عبد رضا ، المعروف بزيد الخيل : من طيّئ ، كان بطلاً ، طويلاً ، جسيماً ، جميلاً ، شاعراً ، خطيباً ، كريماً ، أدرك الإسلام ، ووفد على النبي صلوات الله عليه ، فأسلم ، وقفل إلى نجد فمات في الطريق سنة ٩ (الأعلام ١٠٢/٣) .

١٢ الملح : موضع في ديار بني سعد بن زيد بن مناة بن تميم (معجم ما استعجم) وقال زيد الخيل في يوم الملح : [معجم البلدان ٦٣١/٤]

ولو كانت تكلّم أرض قيسٍ لأضحت تشتكي لبني كلاب
ويوم الملح يوم بني سليم صدمناهم بأظفار وناب
وقد علمت بنو عبس وبدر ومرّة أنّني مرّ عقابي

١٣ لم ترد هذه القصّة في غ ولا هـ ، ووردت في المستجاد للتنوخي ٦٦-٦٩ .

٢٩٣

منع الله سوّاراً من الطعام والشراب

وجاء به حتّى أقعده بين يديك

ذكر محمّد بن إسحاق بن أبي العشير ، عن إسحاق بن يحيى بن معاذ[١] ، وقال : حدّثني سوّار ، صاحب رحبة سوّار[٢] ، قال :

انصرفت من دار المهدي ، فلمّا دخلت منزلي ، دعوت بالغداء ، فحاشت نفسي[٣] ، فأمرت به فردّ .

ثمّ دعوت بالنرد[٤] ، ودعوت جارية لي ألاعبها ، فلم تطب نفسي بذلك ، ودخلت القائلة ، فلم يأخذني النّوم .

فنهضت ، وأمرت ببغلة لي شهباء ، فأسرجت ، فركبتها ، فلمّا خرجت استقبلني وكيل لي ومعه ألفا درهم .

فقلت له : ما هذا ؟.

فقال : ألفا درهم ، جبيتها من مستغلّك الجديد .

قال : قلت : أمسكها معك ، واتبعني .

قال : ومضيت ، وخلّيت رأس البغلة ، حتّى عبرت الجسر ، ثمّ مضت بي في شارع دار الرّقيق[٥] ، حتّى انتهيت إلى الصحراء ، ثمّ رجعت إلى [١٥٥ ر]

---

١ لم أعثر على ترجمة لإسحاق بن يحيى بن معاذ ، أما أبوه يحيى ، فهو أبو زكريا يحيى بن معاذ الواعظ الرازي ، ترجم له الخطيب في تاريخه ١٤/٢٠٨–٢١٢ .

٢ راجع بحثنا عن الرحبة في حاشية القصّة ٢٢١ من هذا الكتاب .

٣ في م : فجاشت ، وفي ه : فخاشت ، والصحيح ما أثبتناه : فحاشت : أي نفرت ، والحوش : النفار .

٤ النرد : راجع حاشية القصّة ٤٠٨ من هذا الكتاب .

٥ شارع دار الرّقيق : محلّة متّصلة بالحريم الطاهري ، وبها السوق ، وجادّة الطريق إلى باب التبن (مراصد =

[باب الأنبار[٦] ، فطوّفت ، فلمّا صرت في شارع باب الأنبار[٧] ، انتهيت إلى][٨] باب دار لطيف ، عنده شجرة ، وعلى الباب خادم ، فوقفت ، وقد عطشت ..

فقلت للخادم : أعندك ما تسقينيه ؟.

قال : نعم فأخرج قلّة[٩] نظيفة [١٤٧ م] طيّبة الرّيح ، عليها منديل ، فناولنيها ، فشربت .

وحضر وقت العصر ، فدخلت مسجداً ، فصلّيت فيه ، فلمّا قضيت صلاتي ، إذا أنا بأعمى يتلمّس .

قلت : ما تريد يا هذا ؟.

قال : إيّاك أريد .

قلت : وما حاجتك ؟.

فجاء ، حتّى قعد إليّ ، فقال : شممت منك رائحة الطيب فتخيّلت أنّك من أهل النّعمة ، فأردت أن ألقي إليك شيئاً .

الاطلاع ٧٧٣/٢) ، أقول : هذا الوصف يعني أنّ هذه المحلّة كانت بين مسجد المنطقة وبستان العطيفيّة ، وفيها الشارع المؤدّي إلى مدينة الكاظمية .

٦ باب الأنبار : إحدى أبواب مدينة المنصور (مراصد الاطلاع ٧٧٢/٢) وكان عليها خندق (الطبري ٤٦١/٨) ، وفيها بستان عظيم ، نزل به طاهر بن الحسين لمّا حاصر الأمين (الطبري ٤٤٣/٨) وعلى باب الأنبار علّق رأس الأمين لمّا قتل (الطبري ٤٨٨/٨) وحصلت عليه معارك بين جيش المستعين لمّا التجأ إلى بغداد وبين جيش المعتزّ (الطبري ٢٩٠/٩ ، ٣٣١ ، ٣٦٠) ومن هذا الباب أدخل رؤساء القرامطة ، صاحب الشامة والمدّثّر والمطوّق مع بقيّة الأسرى في السنة ٢٩١ حيث أُحتفل بتعذيبهم وقتلهم ، راجع التفاصيل في الطبري ١١٢/١٠-١١٤ .

٧ شارع باب الأنبار : محلّة خارج باب الأنبار من مدينة المنصور ، فيها قبر إبراهيم الحربي (مراصد الاطلاع ٧٧٢/٢) ، وفي شارع باب الأنبار قتل الأمين (تاريخ بغداد للخطيب ٦٨/١) .

٨ الزيادة من م .

٩ القلّة : الكوز الصغير .

فقلت : قل .

قال : أترى هذا القصر ؟.

قلت : نعم .

قال : هذا قصر كان لأبي ، فباعه ، وخرج إلى خراسان ، وخرجت معه ، فزالت عنّا النّعمة الّتي كنّا فيها ، فأتيت صاحب الدّار ، لأسأله شيئاً يصلني به فإنّي في ضنك شديد ، وضغطة عظيمة ، [ورزوح حال قبيح][8] ، وأصير إلى سوّار ، فإنّه كان صديقاً لأبي .

قلت : ومن أبوك ؟.

قال : فلان بن فلان ، فإذا أصدق النّاس – كان – لي .

فقلت : يا هذا ، إنّ الله قد أتاك بسوّار ، منعه الطعام والشراب والنّوم ، حتّى جاء به فأقعده بين يديك .

ثمّ دعوت الوكيل ، وأخذت منه الألفي درهم ، فدفعتها إليه ، وقلت له : إذا كان غداً ، فصر إليّ ، إلى المنزل .

ثمّ مضيت ، فقلت : ما أحدّث المهدي ، بشيء أطرف من هذا ، فأتيته ، فاستأذنت عليه ، فأذن لي ، فحدّثته بالحديث ، فأعجب به ، وأمر لي بألفي دينار ، فأحضرت .

فقال لي : ادفعها إليه .

[قال : فنهضت ، فقال لي : اجلس ، أعليك دين ؟.

قلت : نعم .

قال : كم مبلغه ؟.

قلت : خمسون ألف دينار .

فقال : تحمل إليك ، فاقض بها دينك ، فقبضتها .

فلمّا كان من الغد ، أبطأ عليّ المكفوف ، وأتاني رسول المهدي ، يدعوني ، فجئته .

فقال : فكّرت في أمرك ، فقلت : يقضي دينه ، ثمّ يحتاج إلى الحيلة والقرض ، وقد أمرت لك بخمسين ألف دينار أخرى .

قال : فقبضتها ، وانصرفت ،][8]

فجاءني المكفوف ، [فدفعت إليه الألفي دينـار][8] ، وقلت له : قد رزق الله خيراً كثيراً ، [وأعطيته من مالي ألفي دينار أخرى ، فقبض أربعة آلاف دينار ، ودعا لي][8] ، وقال : والله ، ما ظننت أنّي أصل منك ، ولا من أحد من أهل هذه البلاد ، إلى عشر هذا المال ، فجزاك الله خيراً[10] .

---

١٠ لم ترد هذه القصّة في غ ولا هـ .

٢٩٤
عروة بن أذينة يفد على هشام بن عبد الملك

أخبرني أبو الفرج الأصبهاني ، قال : حدّثنا محمّد بن جرير الطبري ، عن يحيى بن عروة بن أذينة ، قال :

أضاق أبي[1] ، إضاقة شديدة ، وتعذّرت عليه الأمور ، فعمل شعراً امتدح به هشام بن عبد الملك .

ودخل عليه في جملة الشعراء ، [فلمّا دخلوا عليه ، نسبهم ، فعرفهم جميعاً][2] وقال لأبي : أنشدني قولك : لقد علمتُ .... ، فأنشده :

---

١ أبو عامر عروة بن يحيى (أذينة) بن مالك بن الحارث الليثي : من الفقهاء المحدّثين ، ومن شعراء الغزل المقدّمين ، شعره كلّه غرر ، وهو في الحديث ثقة ثبت ، سمع ابن عمر ، وروى عنه مالك بن أنس ، وكان من أعيان العلماء وكبار الصالحين (وفيات الأعيان ٣٩٤/٢ والشعر والشعراء ٣٦٧ و ٣٦٨ وفوات الوفيات ٧٤/٢ والأغاني ٣٢٢/١٨) ، وكان يصوغ الألحان والغناء على شعره في حداثته وينحلها المغنّين (العقد الفريد ١٦/٦) ، مرّت به سكينة بنت الحسين ، تحفّها جواريها ، وهو في مجلسه يفتي ، فمالَت نحوه ، وقالت : ألست الذي تقول :

قالت وأبثثتها سرّي وبحت به ... قد كنتَ عندي تحبّ الستر فاستتر
ألست تبصر من حولي؟ فقلت لها : ... غطّى هواكِ ، وما ألقى ، على بصري

كلّ من ترى حولي من الجواري أحرار ، إن كان هذا الكلام خرج من قلب سليم قطّ (الأغاني ٣٢٨/١٨ وديوان الصبابة ٩٧/١) وهو القائل [العقد الفريد ٢٨٩/٥ والأغاني ٣٢٩/١٨ و ٣٣٠] :

إذا وجدت أوار الحبّ في كبدي ... عمدت نحو سقاء القوم أبترد
هبني بردت ببرد الماء ظاهره ... فمن لنار على الأحشاء تتّقد

وأنا أرتفع بجيّد غزله إلى جيّد غزل عمر بن أبي ربيعة ، على أن جيّد غزل عمر فيه رقّة وأنوثة ، وجيّد غزل عروة فيه رقّة ورجولة ، راجع أخبار عروة في الأغاني ٣٢٢/١٨–٣٣٥ وفي العقد الفريد ٢٨٩/٥ و ١٦/٦ و ٤٨ وفي وفيات الأعيان ٣٩٤/٢ وفي الأعلام ١٨/٥ .

٢ الزيادة من م .

لقد علمتُ وما الإشراف[3] من خُلُقي
أنّ الّذي هو رزقي سوف يأتيني
أسعى لـه فيعنّيني تطلّبه[4] ولو جلست أتاني لا يعنّيني
وأيّ حظّ امرىءٍ لا بدّ يبلغه يوماً ولا بدّ أن يحتازه دوني
لا خير في طمع يهدي إلى طَبَعٍ[5] وعلقة من قليل العيش تكفيني
لا أركب الأمر تزري بي عواقبه ولا يعاب به عرضي ولا ديني
أقوم بالأمر إمّا كان من أربي وأكثر الصمت فيما ليس يعنيني
كم من فقير غنيّ النّفس تعرفه ومن غنيّ فقير النّفس مسكين
وكم عدوّ رماني لو قصدت له
لم يأخذ البعض منّي[6] حين يرميني [١٨٤ ظ]
وكم أخ لي طوى كشحاً فقلت له
إنّ انطواءك عنّي سوف يطويني [١٤٨ م]
لا أبتغي وصل من يبغي مفارقتي ولا ألين لمن لا يبتغي[7] ليني

فقال هشام : ألا جلست في بيتك ، حتّى يأتيك رزقك ؟.

قال : وغفل عنه هشام ، فخرج من وقته ، وركب راحلته ، ومضى منصرفاً . فافتقده هشام ، فسأل عنه ، فعرف خبره ، فأتبعه بجائزة .

---

٣ في الأصل : الاسراف ، والتصحيح من محمد كرد علي ، قال : الإشراف : الحرص والتهالك ، راجع المستجاد للتنوخي ص ٩٨ .

٤ في م : أسعى إليه فيعييني تطلبّه .

٥ الطَبَعُ : التدنّس بعيب ، وفي المستجاد :

لا خير في طمع يـدني لمنقصـة وغبّر من كفـاف العيش يكفيني

٦ في المستجاد ، وفي م : لم يأخذ النصف منّي .

٧ في المستجاد : لمن لا يشتهي .

فمضى الرّسول ، فلحقه على ثلاثة [١٥٦ ر] فراسخ ، وقد نزل على ماء يتغدّى عليه .

فقال له : يقول لك أمير المؤمنين : أردت أن تكذّبنا ، وتصدّق نفسك ؟ هذه جائزتك .

فقال : قل له : قد صدّقني الله ، وأتاني برزقي بحمده .

قال يحيى : وفرض له فريضتين [٨] ، كنت في إحداهما [٩] .

---

٨ الفريضة هنا ، ما يتقرّر أداؤه من بيت المال ، وفي حديث عديّ : أتيت عمر بن الخطّاب في أناس من قومي ، فجعل يفرض للرجل من طيء في ألفين ألفين ويعرض عنّي ، أي يقطع ويوجب لكلّ رجل منهم في العطاء ألفين من المال ، وفيما يتعلّق بالمعاني الأخرى للفريضة ، راجع لسان العرب ، مادة : فرض .

٩ لا توجد هذه القصّة في غ ولا ه ، ووردت في المستجاد للتنوخي ٩٨–١٠٠ .

٢٩٥

أبو أيّوب المورياني

يجيز ابن شبرمة بخمسين ألف درهم

قرئ على أبي بكر الصولي ، وأنا أسمع ، في المسجد الجامع بالبصرة ، حدّثكم الغلابيّ ، قال : حدّثنا عمر بن شبّة ، قال : حدّثنا علي بن ميثم ، وقد كان جاز المائة سنة ، قال : سمعت ابن شبرمة[1] ، يقول :

زوّجت ابني على ألفي درهم ، وما هي عندي ، فطولبت بها ، فصرت إلى أبي أيّوب المورياني[2] ، فقلت له : إنّي اخترتك لحاجتي ، وعرّفته خبري ، فأمر لي بألفي درهم ، فشكرته وقمت .

فقال : اجلس ، ألا تريد خادماً ؟.

قال : فقلت : إن رزق الله .

قال : وهذه ألفان لخادمك ، ألا تريد نفقة ؟ ألا تريد كذا ؟ ، وجعل يعدّد ويعطيني .

حتّى قمت على خمسين ألف درهم ، وصلني بها[3] .

ذكر القاضي أبو الحسين في كتابه ، هذا الخبر ، بلا إسناد ، على قريب من هذا .

---

١ أبو شبرمة عبد الله بن شبرمة الضبّي القاضي : كان عاقلاً ، ناسكاً ، عفيفاً ، صارماً ، جواداً ، شاعراً ، ولّي قضاء الكوفة في السنة ١٢٠ و ١٢١ وتوفّي في السنة ١٤٤ (شذرات الذهب ٢١٥/١ والكامل لابن الأثير ٢٢٨ و٢٤٢) .

٢ أبو أيّوب سليمان بن مخلد المورياني الخوزي : كان من مماليك المنصور ، وأخذه منه أبو العبّاس السفّاح ، فأعتقه ، وقدّمه ، وبعدموفاة السفّاح استوزره المنصور ، ثم قتله سنة ١٥٤ ، وموريان : قرية من قرى الأهواز (الأعلام ١٩٨/٣) .

٣ لا توجد هذه القصّة في غ ، ولا هـ .

٢٩٦
الواثق يطرد أحمد بن الخصيب من حضرته
ثمّ يعفو عنه

حدّثني أبو إسحاق إبراهيم بن الحسن بن رجاء بن أبي الضحّاك الكاتب ، وكان يعرف بالديناريّ[١] ، لما بين أبيه الحسن بن رجاء[٢] ، وبين دينار بن عبد الله[٣] ، من القرابة ، فإنّهما كانا ابني خالة ، على ما أخبرني ، قال : حدّثني أبو عيسى محمّد بن سعيد الديناريّ الكاتب ، جدّ أبي الحسن علي بن محمّد بن علي بن مقلة لأمّه[٤] ، قال :

لما تخلّص أبو أيّوب سليمان بن وهب[٥] ، من نكبة المعتمد ، وكنت أكتب له ، وجلس في منزله ، أمرني أن أكتب إلى العمّال الّذين ضياعه في أعمالهم ، كتباً أعرّفهم فيها رجوع الخليفة له ، وتبيّنه باطل ما أنهي إليه ، وحمل به عليه ،

---

١ أبو إسحاق إبراهيم بن الحسن بن رجاء بن أبي الضحّاك ، المعروف بالديناري : نقل عنه التنوخي القصّة ١٦١/٣ من كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ، وأثبت في القصّة ١٦١/٣ شيئاً من شعره ، وهو شعر متوسّط .

٢ الحسن بن رجاء الكاتب : من كتّاب الدّولة العبّاسية ، كان ذكياً ، سريع الجواب ، أديباً ، وكان من أصحاب الحسين الخليع (الديارات ٦٠ و ٦١) ، دخل المأمون الديوان ، فرأى الحسن ، وكان غلاماً ، فقال له : من أنت ؟ فقال : أنا الناشئ في دولتك ، المتقلّب في نعمتك ، المؤمّل لخدمتك ، الحسن بن رجاء ، فقال المأمون : بالإحسان في البديهة تتفاضل العقول ، يرفع عن مرتبة الديوان ، إلى مراتب الخاصّة ، ويعطى مائة ألف درهم تقوية له (المحاسن والأضداد ٧) راجع أخباره في الأغاني ٢٠٠/٧ و ٢٠١ وقطب السرور ٥٠ ، ٦٠ ، و٦١ و٧١ .

٣ دينار بن عبد الله ، القائد العبّاسي : ترجمته في حاشية القصّة ٢٣٨ من الكتاب .

٤ راجع القصّة ٦١/٢ و١٦١/٣ من كتاب نشوار المحاضرة للقاضي التنوخي .

٥ أبو أيّوب سليمان بن وهب الحارثي ، وزير المهتدي والمعتمد : ترجمته في حاشية القصّة ٦٦ من الكتاب .

وأخاطبهم عنه في أمر ضياعه وأسبابه .

فكتبت نسخة ، قلت فيها : إنّ أمير المؤمنين – أعزّه الله – لما وقف على تمويه من موّه عليه في أمرنا ، فَعَلَ وصَنَعَ .

فلمّا وقف على هذا الفصل ، خطّ على هذا الحرف ، وأبدله بغيره ، ولم يغيّر في النّسخة سواه .

وقال لي : إذا فرغتَ من تحرير الكتب ، فأذكرني بالتمويه ، أحدّثك بما كرهته له .

قال : فحرّرت الكتب ، فلمّا خلا ، سألته : لِمَ ضرب على التمويه ؟ ، فقال : نعم لما غضب عليّ الواثق ، وعلى أحمد بن الخصيب[6] ، بسبب إيتاخ[7] ، وأشناس[8] ، كانت موجدته علينا بسبب واحد ، وحبسه لنا في معنى واحد ، فمكثنا في الحبس والقيد ، إلى أن كلّم فينا ، فأمر بإحضارنا .

فقلت لأحمد بن الخصيب : قد دعانا ، وأظنّ أنّه سيوبّخنا ، ويعدّد علينا ما قرفنا به عنده ، ليخرج ما في نفسه ، فيعظّم منّته علينا ، بما يأتيه من إطلاقنا ، وأعرف عَجَلتك ، وتسرّعك إلى ما يضرّك ، وكأنّي بك حين يبتدئ

---

٦ أبو العبّاس أحمد بن الخصيب ، وزير المستعين : ترجمته في حاشية القصّة ٨٢ من الكتاب .

٧ أبو منصور إيتاخ القائد الخزري : ترجمته في حاشية القصّة ٧٣ من الكتاب .

٨ أبو جعفر أشناس : القائد التركي ، من مماليك المعتصم ، حامى عنه في إحدى المعارك لمّا كان المعتصم من قوّاد إبراهيم بن المهديّ ، فقدّمه ، وقوّده ، وتوّجه ،ووشّحه ، وولاّه حجابته وكذلك فعل الواثق معه لما استخلف ، واشترك أشناس في صوائف المأمون ، وقام في فتح عمورية مقاماً محموداً ، ومزّق المؤامرة الّتي قام بها بعض القوّاد لقتل المعتصم ومبايعة العبّاس بن المأمون ، وكان أثيراً عنده لدرجة أنّ ابنته أترنجة لما تزوّجت الحسن بن الإفشين ، أمر المعتصم بأن يكون العرس في قصره ، وكان يباشر تفقّد الحاضرين بنفسه ، ولما حجّ في السنة ٢٢٦ ولاّه المعتصم كلّ بلدة يدخلها ، فدعي له على جميع المنابر في البلدان التي دخلها من سامراء إلى مكّة ، وتوفّي أشناس في السنة ٢٣٠ (الطبري ٥٥٨/٨ ، ٦٢٣ ، ١٠/٩ ، ٥٧ ، ٧٣–٧٨ ، ١٠١ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١٢٤ ، ١٣١ ، وتجارب الأمم ٤٣٨/٦ ، ٤٨٥–٥٠٢ و٥١٦ و٥١٨ ، والقصّة ٣١٦ من هذا الكتاب) .

بتقريعنا ، قد قطعت كلامه ، وأنحيت عليه بلسانك ويديك ، فأنشأت لنا استئناف غضبٍ وموجدةٍ ، وأكسبتنا شرّاً ممّا قد أمّلنا الخلاص منه .

فقال لي : فما أعمل ؟.

قلتُ : لست أحسبك تتّهمني على نفسي ولا عليك ، ولا تشكّ أنّنا حبسنا لقضية واحدة ، فولّني جوابه ، وأعرني سكوتك[9] ، ودعني أرفق به ، وأخدعه بما تخدع به الملوك ، فلعلّنا نتخلّص من المكروه الّذي نحن فيه .

قال : أفعل .

فاستحلفته على ذلك ، فحلف لي .

فلمّا دخلنا الصّحن ، وجدنا الخليفة يستاك[10] ، وبين يديه طست ذهب ، وإبريق ذهب ، بيد فراش قائم ، [١٤٩ م] ، وبيد الخليفة مسواك طوله ذراعان .

فلمّا رآنا ، قال : أحسنتُ اليكما ، واصطنعتكما ، فخنتماني ، وكفرتما نعمتي ، وفعلتما ، وصنعتما .

فكأنّي - والله - إنّما أوصيت أحمد بن الخصيب ، ألّا يدعه ينطق .

فقال له ، وقد رفع يديه في وجهه : لا والله يا أمير المؤمنين ، ما بلغك عنّا الحقّ، ولا فعلنا شيئاً ممّا سعي بنا ، ولقد موّه عليك في أمرنا .

فقال : إنّما يموّه على غبيّ مثلك ، فأومأت إليه بعيني ، فأمسك [١٨٥ ظ] بعض الإمساك .

وعاد الواثق يتمّم كلامه ، ويعدّد علينا نعمه ومننه ، فما ملك أحمد نفسه ، أن رفع يده ، وقال : والله يا أمير المؤمنين ، ما كفرنا نعمتك ، ولا فعلنا ، ولا صنعنا ، إنّما موّه على أمير المؤمنين في أمرنا .

---

٩ التعبير البغداديّ الآن : أكرمنا سكوتك .

١٠ يستاك : ينظّف أسنانه بالسواك ، وهو عود تنظّف به الأسنان .

فقال : يا جاهل ، قد عدت لها ، إنّما يجوز التمويه على أحمق مثلك ، وأومأت إليه بعيني ، فأمسك .

وعاد الواثق في كلامه ، فما انضبط أحمد أن ردّ قوله ، وجاء بالتمويه .

فحين سمعها الواثق ، انقلبت عيناه في أمّ رأسه ، واستشاط غضباً ، وأغلظ له في الشتم ، وحذفه بالمسواك ، فلولا أنّه زاغ عنه ، لهشم وجهه ، وأعمى عينه .

ثمّ قال : يا غلمان ، أخرجوه إلى لعنة الله ، فأخرج أخزى خلق الله .

ونالني من الجزع ، والغمّ ، والحيرة في أمره ، أمر عظيم ، ولم أدر ، أقفُ ، أم أمضي ، وخفت إن وقفت ، أن يقول : ما وقوفك بين يديّ ، وقضيّتكما واحدة ، وإن مضيت أن نردّ جميعاً إلى الحبس ، فرجعت أتقهقر عن موضعي قليلاً ، كأنّي أريد الخروج .

فقال لي : مكانك أنت يا سليمان ، هب هذا على ما هو عليه ، أنت أيضاً ، تنكر أنّك فعلتَ كذا ، وصنعتَ كذا ؟ .

فوجدت السبيلَ إلى ما أردت ، فلم أزل أعترف ، وألزم نفسي الجناية ، وأديم الخضوع والاستعطاف [١٥٧ ر] ، وأسأل الصفح والإقالة ، إلى أن قال : قد عفوتُ عنك ، فقبّلت الارض ، وبكيت .

فقال : إخلعوا عليه ، وأصرفوه إلى منزله ، وليلزم الدّار على عادته ورسمه .

فلمّا ولّيت ، قال : وذلك الكلب ، قد كنت أردت العفو عنه ، فأخرجني عن حلمي سوء أدبه ، فاخلعوا عليه أيضاً .

فخرجت ، وإذا بأحمد في بعض الممرّات ، فعرّفته الخبر ، ثمّ قلت له : يا هذا كدت أن تأتي علينا ، أرأيت أحداً يكرّر على الخليفة لفظة قد كرهها ، وأنكرها ، ثلاث مرّات ؟ أو ما علمت أنّ التمويه في الحقيقة ضرب من السخرية ؟

قال : فلم يخرج من قلبي فزع التمويه ، من ذلك الوقت ، إلى الآن[١١] .

---

١١ لم ترد هذه القصّة في غ ولا هـ .

٢٩٧

غضب الرّشيد على مروان بن أبي حفصة لمدحه

معن بن زائدة وضربه مائة سوط

حدّثني عبد الله بن عمر بن الحارث الواسطي [السرّاج ، المكفوف][١] المعروف بأبي أحمد الحارثي[٢] ، قال : حدّثنا ابن دريد ، قال : حدّثنا عبد الرّحمن بن أخي الأصمعي ، عن عمّه ، قال :

بعث إليّ الرّشيد في وقت لم تكن عادته أن يستدعيني في مثله ، وجاءني الرّسول بوجه منكر ، فأحضرني إحضاراً عنيفاً منكراً مستعجلاً ، فوجلت وجلاً شديداً ، وخفت ، وجزعت .

فدخلت ، فإذا الرّشيد على بساط عظيم ، وإلى جانبه كرسي خيزران ، عليه جويرية خماسيّة[٣] ، فسلّمتُ ، فلم يردّ عليّ ، ولا رفع رأسه إليّ ، وجعل ينكت الأرض بإصبعه .

فقلت : سعي بي عنده بباطل ، يهلكني قبل كشفه ، وأيست من الحياة .

فرفع رأسه ، وقال : يا أصمعيّ ، ألا ترى الدعيّ بن الدعيّ ، اليهودي ، عبد بني حنيفة ، مروان بن أبي حفصة ، يقول لمعن بن زائدة ، وإنّما هو عبد من عبيدنا :

---

١ الزيادة من م .

٢ أبو أحمد عبد الله عمر بن الحارث السرّاج الواسطي المعروف بالحارثي : نقل عنه القاضي التنوخي كثيراً من القصص في كتابه نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ، وفي هذا الكتاب ، ويتّضح من القصّة ١٧١/٢ من النشوار أنّ أبا الحارثي كان يعمل في خزانة السلاح للمعتمد ، ومن القصّة ٢٢/٣ من النشوار ، أنّ أبا الحارثي استمرّ يخدم في دار الموفق والمعتضد من بعده ، كما يتّضح من هذه القصّة أنّه قد كفّ بصره .

٣ الخماسيّة : بنت خمس سنوات .

أقمنا باليمامة بعد معنٍ مقاماً لا نريد به زيالا [4]
وقلنا أين نذهب بعد معنٍ وقد ذهب النوال فلا نوالا
وكان النّاس كلّهمُ لمعنٍ إلى أن زار حفرته عيالا .

فقال : إنّ النوال قد ذهب ، مع بقائنا ، فما يصنع بنا إذن ؟ ، ولم يرض
[١٥٠ م] حتّى جعلني وخاصّتي ، عيالاً لمعن ، والله ، لأفعلنّ به ولأصنعنّ .
فقلت : يا أمير المؤمنين ، عبد من عبيدك ، أنت أولى بأدبه ، أو العفو عنه .
فقال : عليّ بمروان ، فدخل عليه .
فقال : السياط ، فأخذ الخدم يضربونه بها ، وهو يصيح : يا أمير المؤمنين ،
ما ذنبي ؟ يا أمير المؤمنين ، استبقني ، إلى أن ضرب أكثر من مائة سوط [5] .
فقال : يا أمير المؤمنين ، اعف عنّي ، واذكر قولي فيك ، وفي آبائك .
فقال : يا غلام ، كفّ عنه ، ثمّ قال : ما قلت ، يا كلب ؟ .
فأنشده قصيدته الّتي يقول فيها : [١٨٦ ظ]

هل تطمسون من السماء نجومها بأكفّكم أم تسترون هلالها

---

٤ الذي أرويه :

أقمنا باليمامة بعد معنٍ مقاماً لا نريد له زوالاً

٥ السوط : ما يضرب به من جلد مضفور أو نحوه ، سمّي بذلك لأنّه يسوط اللحم بالدم ، أي يخلطهما ، وكلّ ما يقرع به ، فهو مقرعة ، سوطاً كان أو عصا ، وإنّما سمّيت عصا ، لأنّ اليد والأصابع ، تعصو عليها ، أي تجتمع ، والضرب بالسياط ، هو الجلد ، والذي يضربُ بها ، هو الجلاّد ، على وزن فعّال ، ثم صرف الاسم إلى السيّاف الذي يقطع العنق ، ثم شمل كلّ من يقوم بالإعدام ، بجميع أنواعه ، والحكم الشرعيّ في الجلد ، أنّه لا يجوز إلاّ بسوط معتدل ، بين القضيب والعصا ، لا رطب ولا يابس ، وتفرّق السياط على الأعضاء ، ويتّقى الوجه والرأس والمقاتل ، ولا يلقى المضروب على وجهه ، ولا يمدّ ، ولا يجرّد عن ثيابه . بل عن مقدار ما يدفع وصول الألم ، ويترك عليه قميص ، أو قميصان ، ولا يقام حدّ الخمر في السكر ، بل يؤخّر حتى يفيق ، فإن أقامه في السكر ، أخطأ ، ولم يعْده إذا أفاق (معيد النعم ومبيد النقم للسبكي ٣٣) .

أم تدفعون مقالة عن ربّه   جبريل بلّغها النّبيّ فقالها
شهدَتْ من الأنفال آخرُ آيةٍ   بتراثهم فأردتمُ إبطالها
فدعوا الأسود خوادراً في غيلها   لا تولغنّ دماءكم أشبالها

قال : فأمر بإطلاقه ، وأن يدفع إليه ثلاثون ألف درهم .

فلمّا خرج ، قال : يا أصمعي تدري من هذه الصبيّة ؟.

قلت : لا أدري .

قال : هذه مؤنسة بنت أمير المؤمنين ، فدعوت له ولها ، وتأمّلته ، فإذا هو شارب ثمل .

قال : قم فقبّل رأسها .

فقلت : أفلتّ من واحدة ، ودفعت إلى أخرى أشدّ منها ، إن أطعته أدركته الغيرة فقتلني ، وإن عصيته قتلني بمعصيتي له ، فلما أحبّ اللهُ عزّ وجلّ من تأخيرُ أجلي ، ألهمني أن وضعت كمّي على رأسها ، وقبّلت كمّي .

فقال : والله يا أصمعي ، لو أخطأتها لقتلتك ، أعطوه عشرة آلاف درهم ، والحق بدارك .

[فخرجت وأنا ما أصدّق بالسّلامة ، فكيف بالحباء والكرامة .][٦]

٦ لم ترد هذه القصّة في غ ولا هـ ، والزيادة من م .

٢٩٨
أمدح بيت قالته العرب

قال المفضل بن محمّد الضبّي[1] :

أصبحت يوماً ببغداد ، في خلافة المهدي ، [١٥٨ ر] وأنا من أشدّ النّاس إضاقة وضرّاً ، لا أدري ما أعمل ، حيرة وفكراً .

فخرجت ، فجلست على باب منزلي بالصراة[2] ، أفكّر فيما أصنع ، فإذا أنا برسول المهدي ، قد وقف عليّ .

فقال : أجب أمير المؤمنين ، فراعني ، وساء ظنّي .

فقلت : أدخل ، فألبس ثيابي .

فقال : ما إلى ذلك سبيل .

فاشتدّ جزعي ، وخشيت أن يأخذني بما كان بيني وبين إبراهيم بن عبد الله ابن حسن بن حسن رضي الله عنهم .

فاستدعيت ثيابي ، وجدّدت وضوءاً على الباب ، ولم أخبر أهلي بقصّتي ،

---

١ أبو العبّاس المفضل بن محمّد بن يعلى بن عامر الضبي الكوفي : راوية ، علاّمة بالشعر والأدب وأيّام العرب ، قيل أنّه توفي سنة ١٦٨ (الأعلام ٢٠٤/٨) .

٢ نهر الصراة : نهر يأخذ من نهر عيسى ، من عند بلدة يقال لها : المحوّل ، بينها وبين بغداد فرسخ ، ويسقي ضياع بادوريا ، وتتفرّع منه أنهار ، إلى أن يصل إلى بغداد ، ويصب في دجلة (معجم البلدان ٣٧٨/٣) ، قالوا : ما كان في شرقي الصراة ، فهو بادوريا ، وما كان في غربيّها ، فهو قطربّل (معجم البلدان ٤٦٠/١) ، أقول : يتّضح من هذا الوصف أنّ مصبّ الصراة في دجلة ، في منطقة أعلى الجعيفر ، وبين مصبّ الصراة ، وجسر باب الطاق (جسر الصرافية الحديد) ، كان قصر الخلد الذي حلّ محلّه المارستان العضدي وأسفل منه قصر أمّ جعفر المعروف بقصر القرار الذي هو في قرن الصراة (الطبري ٤٧٦/٨ و ٥١٠) واستولى على هذه الرقعة من بعدهم الوزير أبو الفضل العبّاس بن الحسين الشيرازي ، صهر الوزير المهلبيّ ، وعمّر عليها داره المشهورة المطلّة على دجلة والصراة ، وأولم فيها لمعزّ الدولة وعسكره الوليمة التي سار بذكرها الركبان ، راجع تفصيل ذلك في الملح والنوادر للحصري ٢٧٦–٢٧٩ .

ولا بما هجم من الغمّ عليّ .

وقلت : إن كان خيراً أو شرّاً ، فسيبلغهم ، فما معنى تعجيل الهمّ لهم .

ومضيت مع الرّسول ، حتّىدخلت على المهدي ، وأنا في نهاية الجزع ، فسلّمت ، فردّ عليّ السلام .

فقلت في نفسي : ليس إلّا خيراً .

فقال : اجلس يا مفضّل ، فجلست .

فقال : أخبرني عن أمدح بيت قالته العرب .

فتبلّدت[3] ساعة ، لا أذكر شيئاً ، ثمّ أجرى الله على لساني ، أن قلت : قول الخنساء[4] .

فأشرق وجهه ، وقال : حيث تقول ماذا ؟ .

فقلت : حيث تقول :

وإنّ صخراً[5] لوالينا وسيّدنـــا وإنّ صخراً إذا نشتو لنحّار
وإنّ صخراً لتأتمّ الهداة بـــه كأنّـــه علـم في رأسه نـــار

فاستبشر به ، وقال : قد أخبرت هؤلاء بهذا ، وأومأ إلى جماعة بين يديه ، فلم يقبلوا منّي .

قلت : كان أمير المؤمنين ، أحقّ بالصواب منهم .

قال : يا مفضّل ، حدّثني الآن .

قلت : أيّ الأحاديث ؟.

---

٣ كذا في جميع النسخ ، وأحسب أنّ الصحيح : تلدّدت ، أي تحيرت وتلفتّ ، والتبلدّ والتلدّد بمعنى واحد .

٤ تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد ، المعروفة بالخنساء : ترجمتها في حاشية القصّة ٢٥٤ من الكتاب الكتـــاب .

٥ صخر بن عمرو بن الحارث بن الشريد الرياحي السلمّي : أخو الخنساء الشاعرة ، كان من فرسان بني سُلَيم ، جرح في غزوة له ، ومرض سنة ، ثم مات ، سنة ١٠ قبل الهجرة (الأعلام ٢٨٨/٣) .

قال : أحاديث الأعراب

فلم أزل أحدّثه ، بأحسن ما احفظ منها ، إلى أن كاد المنادي بالظهر أن ينادي .

ثمّ قال لي : كيف حالك يا مفضّل ؟.

قلت : ما يكون حال رجل عليه عشرون ألف درهم ديناً حالّاً ، وليس في رزقه فضل لقضائها ، وقصصت عليه قصّة حالي ويومي في الإضافة .

فقال : يا عمر بن بزيع ، ادفع إليه السّاعة ، عشرين ألف درهم يقضي بها دينه ، [١٥١ م] ، وعشرين ألف درهم يصلح بها حاله ، وعشرين ألف درهم يجهّز بها بناته ، ويوسّع بها على عياله .

ثمّ قال : يا مفضّل ، ما أحسن ما قال ابن مطير ، في مثل حالك :

وقد تغدر الدنيا فيضحي غنيّها فقيراً ويغنى بعد بؤس فقيرها
وكم قد رأينا من تكدّر عيشة وأخرى صفا بعد اكدرار غديرها

فأخذت المال ، وانصرفت إلى بيتي بستّين ألف درهم ، بعد الإياس ، وتوطين النفس على ضرب الرّقبة[٦].

---

٦ لم ترد هذه القصّة في غ ولا هـ .

٢٩٩

بين الأصمعي والبقال الّذي على باب الزقاق

وجدت في بعض الكتب عن الأصمعي ، قال :

كنت بالبصرة ، أطلب العلم ، وأنا مقلّ ، وكان على باب زقاقنا[١] بقّال ، إذا خرجتُ باكراً [١٨٧ ظ] يقول لي : إلى أين ؟ فأقول : إلى فلان المحدّث ، وإذا عدت مساء ، يقول لي : من أين ؟ فأقول : من عند فلان الأخباريّ ، أو اللّغوي .

فيقول : يا هذا ، اقبل وصيّتي ، أنت شابّ ، فلا تضيّع نفسك ، واطلب معاشاً يعود عليك نفعه ، وأعطني جميع ما عندك من الكتب ، حتّى أطرحها في الدنّ ، وأصبّ عليها من الماء للعشرة أربعة ، وأنبّذه ، وأنظر ما يكون منه ، والله ، لو طلبت منّي ، بجميع كتبك ، جرزة بقل[٢] ، ما أعطيتك .

فيضيق صدري بمداومته هذا الكلام ، حتّى كنت أخرج من بيتي ليلاً ، وأدخله ليلاً ، وحالي - في خلال ذلك - تزداد ضيقاً ، حتّى أفضيت إلى بيع آجرّ أساسات داري ، وبقيت لا أهتدي إلى نفقة يومي ، وطال شعري ، وأخلق ثوبي ، واتّسخ بدني .

فأنا كذلك ، متحيّراً في أمري ، إذ جاءني [١٥٩ ر] خادم للأمير محمّد بن سليمان الهاشمي[٣] ، فقال : أجب الأمير .

---

١ الزقاق : الطريق الضيّق ، ولذلك سمي مجاز البحر الذي بين طنجة والجزيرة الخضراء ، بالزقاق ، لضيقه : إذ أنّ عرضه لا يتجاوز اثني عشر ميلاً (معجم البلدان ٩٣٦/٣) أقول : اسمه الآن مضيق جبل طارق ، ما بين المغرب العربي واسبانيا .

٢ الجرزة : الحزمة .

٣ أبو عبد الله محمد بن سليمان بن علي العبّاسي (١٢٢-١٧٣) : أمير البصرة ، وليها في أيام المهدي ، ثم عزله ، وأعاده الرشيد ، وزوّجه أخته العبّاسة ، واستمرّ على ولايته البصرة ، إلى أن توفّي [الأعلام ١٩/٧]

فقلت : ما يصنع الأمير برجل بلغ به الفقر إلى ما ترى ؟.

فلمّا رأى سوء حالي ، وقبح منظري ، رجع فأخبر محمّد بن سليمان بخبري ، وعاد إليّ ، ومعه تخوت ثياب[4] ، ودرج فيه بخور[5] ، وكيس فيه ألف دينار .

وقال : قد أمرني الأمير ، أن أدخلك الحمّام ، وألبسك من هذه الثياب ، وأدع باقيها عندك ، وأطعمك من هذا الطعام ، وإذا بخوان كبير فيه صنوف الاطعمة ، وأبخّرك ، لترجع إليك نفسك ، ثمّ أحملك إليه .

فسررت سروراً شديداً ، ودعوت له ، وعملت ما قال ، ومضيت معه ، حتّى دخلت على محمّد بن سليمان ، فسلّمت عليه ، فقرّبني ، ورفعني .

ثمّ قال : يا عبد الملك ، قد اخترتك لتأديب ابن أمير المؤمنين ، فاعمل على الخروج إلى بابه ، وانظر كيف تكون ؟.

فشكرته ، ودعوت له ، وقلت : سمعاً وطاعة ، سأخرج شيئاً من كتبي وأتوجّه .

فقال : ودّعني ، وكن على الطريق غداً .

فقبّلت يده ، وقمت ، فأخذت ما احتجت إليه من كتبي ، وجعلت باقيها

---

٤ التخت : وعاء من خشب أو نسيج تصان فيه الثياب ، قاله كوركيس عواد في الديارات ٢٨٠ .

٥ البخور : مادة صمغية ، إذا أحرقت فاحت منها رائحة طيبة (المنجد) ، وكان البخور في العصور الوسطى ، من الضروريات ، لا يكاد يخلو منه بيت ، وكيفية استعماله : أن يوضع في المبخرة ، ويؤرّث ، حتى يتصاعد دخانه ، ثم يوضع تحت ذيل المتبخّر ، لتعبق ثيابه بالرائحة ، وكانوا يغالون في أثمان البخور ، ويتأنّقون فيه ، ويخلطون أنواعاً منه ، ليكون ريحها أعبق ، وكانوا يركّبون من ثلاثة أصناف منه بخوراً طيّب الرائحة جداً ، يسمّونه المثلّثة ، اقرأ في الأغاني ١٨٩/١٠ وفي الهفوات النادرة ٣٨٠ خبر المثلّثة الّتي اعدت ليعقوب بن المهدي العبّاسي ، وراجع بعض وصفات البخور المخلوط في مطالع البدور ٦٣/١ و ٦٤ ، وكان للظرفاء بخور خاص ، وهو العود المعنبر بماء القرنفل المخمّر ، والندّ السلطاني (الموشى في الظرف والظرفاء ١٨٢) ، أمّا الآن ، فإنّ البخور يكاد أن ينقرض ، ولا يرى إلاّ في المعابد ، وفي الاحتفالات الدينيّة ، وفي المآتم .

في بيت ، وسددت بابه ، وأقعدت في الدّار عجوزاً من أهلنا ، تحفظها .

وباكرني رسول الأمير محمّد بن سليمان ، وأخذني ، وجاء بي إلى زلّال قد اتّخذ لي ، وفيه جميع ما أحتاج إليه ، وجلس معي ، ينفق عليّ ، حتّى وصلت إلى بغداد .

ودخلت على أمير المؤمنين الرّشيد ، فسلّمت عليه ، فردّ عليّ السلام .

وقال : أنت عبد الملك بن قريب الأصمعي .

قلت : نعم ، أنا عبد أمير المؤمنين بن قريب الاصمعي .

قال : إعلم ، أنّ ولد الرجل مهجة قلبه ، وثمرة فؤاده ، وهوذا أسلم إليك ابني محمّداً بأمانة الله ، فلا تعلّمه ما يفسد عليه دينه ، فلعلّه أن يكون للمسلمين إماماً .

قلت : السمع والطاعة .

فأخرجه إليّ ، وحوّلتُ معه الى دار ، قد أخليت لتأديبه ، وأخدم فيها من أصناف الخدم ، والفرش[6] ، وأجرى عليّ[7] في كلّ شهر عشرة آلاف درهم ، وأمر أن تخرج إليّ في كلّ يوم مائدة ، فلزمته .

وكنت مع ذلك ، أقضي [١٥٢ م] حوائج النّاس ، وآخذ عليها الرغائب ، وأنفذ جميع ما يجتمع لي ، أوّلاً ، فأوّلاً ، إلى البصرة ، فأبني داري ، وأشتري عقاراً ، وضياعاً .

فأقمت معه ، حتّى قرأ القرآن ، وتفقّه في الدّين ، وروى الشعر واللّغة ، وعلم أيّام النّاس وأخبارهم .

---

٦ من تقاليد الخلفاء العبّاسيّين ، أنّهم اذا استخدموا مؤدّباً لأولادهم ، أفردوا له داراً مجهزّة بجميع ما يحتاج إليه من فرش وخدم ، فإذا جلس أوّل مجلس ، أمروا – بعد قيامه – بحمل كلّ ما في المجلس إلى منزله ، مع ما يوصل به ، ويوهب له (معجم الأدباء ١١٠/٥) .

٧ في م : وأجري له .

واستعرضه الرّشيد ، فأعجب به ، وقال : يا عبد الملك ، أريد أن يصلّي بالنّاس ، في يوم الجمعة ، فاختر له خطبة ، فحفّظه إيّاها .

فحفّظته عشراً ، وخرج ، فصلّى بالنّاس ، وأنا معه ، فأعجب الرّشيد به ، وأخذه نثار الدنانير والدراهم من الخاصّة والعامّة ، وأتتني الجوائز والصلات من كلّ ناحية ، فجمعت مالاً عظيماً .

ثمّ استدعاني الرّشيد ، فقال : يا عبد الملك ، قد أحسنتَ [١٨٨ ظ] الخدمة ، فتمنَّ .

قلتِ : ما عسى أن أتمنّى ، وقد حزت أمانيّ .

فأمر لي بمال عظيم ، وكسوة كثيرة ، وطيب فاخر ، وعبيد ، وإماء ، وظهر ، وفرش ، وآلة .

فقلت : إن رأى أمير المؤمنين ، أن يأذن لي في الإلمام بالبصرة ، والكتاب إلى عامله بها ، أن يطالب الخاصّة والعامّة ، بالسّلام عليّ ثلاثة أيّام ، وإكرامي بعد ذلك[٨] .

فكتب إليه بما أردت ، وانحدرت إلى البصرة ، وداري قد عمرت ، وضياعي قد كثرت ، ونعمتي قد فشت ، فما تأخّر عنّي أحد .

فلمّا كان في اليوم الثالث ، تأمّلت أصاغر من جاءني ، فإذا البقّال ، وعليه عمامة وسخة ، ورداء لطيف ، وجبّة قصيرة ، وقميص طويل ، وفي رجله جرموقان[٩] ، وهو بلا سراويل .

فقال : كيف أنت يا عبد الملك ؟.

فاستضحكت من حماقته ، وخطابه لي بما كان يخاطبني به الرّشيد .

وقلت : بخير ، وقد قبلت وصيّتك ، وجمعت ما عندي من الكتب ،

---

٨ في م : وإعادتي بعد ذلك .

٩ الجرموق : ما يلبس فوق الخفّ لوقايته من الطّين ، وتسميه العامّة ببغداد : كالوش .

وطرحتها في الدنّ ، كما أمرتَ ، وصببت عليها من الماء للعشرة [١٦٠ ر] أربعة ، فخرج ما ترى .

ثمّ أحسنت إليه بعد ذلك ، وجعلته وكيلي[١٠] .

١٠ هذه القصّة لم ترد في غ .

٣٠٠

المنذر بن المغيرة الدمشقي أحد صنائع البرامكة

قال مسرور الكبير[١] : استدعاني المأمون ، فقال لي : قد أكثر عليّ أصحاب أخبار السرّ[٢] ، أنّ شيخاً يأتي خرائب البرامكة ، فيبكي وينتحب طويلاً ، ثمّ ينشد شعراً يرثيهم به ، وينصرف ، فاركب أنت [وأيّوب الخادم ، والأصمعي ،][٣] ودينار بن عبد الله ، واستترا بالجدران ، فإذا جاء الشيخ ، فأمهلاه ، حتّى تشاهدان ما يفعل ، وتسمعان ما يقول ، فإذا أراد الانصراف ، فاقبضا عليه ، وأتياني به .

قال مسرور : فركبت أنا ودينار [وأيّوب الخادم][٣] مغلّسين ، فأتينا الموضع ، فاختفينا فيه ، وأبعدنا الدوابّ .

فلمّا كان آخر اللّيل ، إذا بخادم أسود قد أقبل ، ومعه كرسي حديد ، فطرحه ، وجاء على أثره كهل ، فجلس على الكرسي ، وتلفّت يميناً وشمالاً ، فلم ير أحداً ، فبكى وانتحب ، حتّى قلت : قد فارق الدنيا ، وأنشأ يقول :

[أما والله لولا خوف واشٍ وعينٍ للخليفة لا تنام
لطفنا حول جذعك واستلمنا كما للنّاس بالحجر استلام[٤]

ثمّ بكى طويلاً ، وأنشأ يقول :][٣]

---

١ أبو هاشم مسرور الخادم المعروف بمسرور الكبير : ترجمته في حاشية القصّة ١٨٨ .

٢ يريد بهم أصحاب الخبر ، راجع حاشية القصّة ٣٥٥ من هذا الكتاب .

٣ الزيادة من م .

٤ للبيتين تتمة ، وهي :

فما أبصرت قبلك يا ابن يحيى حساماً حتفه السيف الحسام
على اللّذات والدنيا جميعاً ودولة آل برمكٍ السلام

ولما رأيت السيف جلّل جعفراً ونادى منادٍ للخليفة في يحي
بكيت على الدنيا وزاد تأسّفي عليها وقلت الآن لا تنفع الدنيا[٥]

وذكر أبياتاً طويلة ، لا تدخل في كتابي هذا ، فأرويها .

قال : فلمّا فرغ من إنشاده وقام ، قبضنا عليه ، فقال : ما تريدون ؟ .

قلت : هذا دينار بن عبد الله ، [وهذا أيّوب الخادم بالحرم ، وهذا عبد الملك بن قريب الاصمعي][٦] ، وأنا مسرور خادم أمير المؤمنين ، وهو يستدعيك .

فأبلس[٧] ، ثمّ قال : إنّي لا آمنه على نفسي [١٥٣ م] فامهلاني حتّى أوصي[٨] .

فقلت : شأنك وما تريد ، فقام ، وسار ، ونحن معه ، حتّى أتى بعض دكاكين العلّافين[٩] ، بفرضة الفيل[١٠] .

---

٥ هذا البيت لا يوجد في ظ ، وقد أضفناه من ه ، وورد في م كما يلي :

بكيت على الدنيا وأيقنت إنّما قصارى الفتى يوماً مفارقة الدنيا

٦ الزيادة من م .

٧ أبلس : انكسر وحزن .

٨ في م : فالتبس عليّ ساعة ، ثم قال : السمع والطاعة لأمير المؤمنين ، إنّي لا آمنه على نفسي ، وأعلم أنّه آخر أيّامي ، فأمهلني حتى أوصي .

٩ العلّاف : في الأصل بائع العلف ، ثم شملت التسميّة بائعي الحبوب عامّة ، وما يزال هذا التعبير سارياً في شمالي العراق ، على بائعي الحبوب . أما في بغداد ، فإنّ باعة الحبوب يسمّون : العَلْوَجيّة ، والمفرد : عَلْوَجي ، نسبته إلى العلوة ، أي الموضع العالي من الأرض ، لأنّ الحبوب كانت توضع في العالي من الأرض لئلاّ تفسدها الرطوبة ، وأصبح موضع بيع الحبوب يسمّى : العلوة ، حتى وإن لم تكن في الموضع العالي .

١٠ الفُرضة : موضع وقوف السفن والزوارق في النهر ، ومنها فرضة الفيل المذكورة في هذه القصّة ، حيث دكاكين العلّافين ، وقد ذكر صاحب النشوار في القصّة ١١٤/٤ فرضة جعفر على دجلة ، وهي منسوبة =

فاستدعى دواةً وبياضاً ، وكتب فيها وصيّته ، ودفعها إلى الخادم الّذي كان معه ، وأنفذه إلى منزله ، وسرنا به ، حتّى أدخلناه على المأمون ، فلمّا مثل بين يديه ، زبره ، وانتهره .

ثمّ قال له : من أنت ؟ وبم استحقّ منك البرامكة ما تصنع [في دورهم وخراباتهم ؟][6] .

فقال : غير هائب ، ولا محتشم : يا أمير المؤمنين ، إنّ للبرامكة عندي أياد ، فإن أمر أمير المؤمنين حدّثته بإحداها .

فقال : هات .

قال : أنا المنذر بن المغيرة الدمشقي ، من ذوي الحسب ، نشأت في ظلّ نِعَمٍ قديمة ، فزالت عنّي ، كما تزول النّعم عن النّاس ، حتّى أفضيت إلى بيع مسقط رأسي وروس آبائي ، وأملقت حتّى لا غاية ، فأشير عليّ بقصد البرامكة .

فخرجت من الشّام إلى بغداد ، ومعي نيف وعشرون امرأة وصبيّاً وصبيّة ، فدخلت بهم مدينة السّلام ، فأنزلتهم في مسجد .

ثمّ عمدت إلى ثويبات كنت قد أعددتها للقاء النّاس ، والتذرّع بها للبرامكة ، فلبستها ، وسلكت الطّريق ، لا أدري أين أقصد ، [وكنت كما قيل :

وأصبح لا يدري وإن كان حازماً ... أقدّامه خير له أم وراءه

فلمّا قال ذلك ، بكى المأمون ، فقال له مسرور : أقصر يا رجل ، فقد أتعبت أمير المؤمنين بوصفك .

فقال له المأمون : دعه يتحدّث بما يريد .

= الى جعفر بن أبي جعفر المنصور ، أقطعها المنصور لولده جعفر (الطبري ٦٢٠/٧) ، وهي في الجانب الغربي من بغداد ، وهناك فرضة البصريّين ، تصعد إليها السفن من البصرة وواسط ، وتنحدر منها السفن التي تريد البصرة وواسط ، وهي عند الكتبيّين ، في الجانب الغربي من بغداد (الطبري ١١٨/١٠ والقصّة ٤٦٩ من هذا الكتاب) .

قال : نعم][6] ، وتركت عيالي جياعاً لا نفقة لهم ، ولا معهم ما يباع ، فأفضيت إلى مسجد مزخرف ، فيه جمع شيوخ ، بأحسن زيّ ، وأجمل هيأة ، فطمعت في مخاطبتهم ، فصعدت إلى المسجد ، فجلست معهم ، لم أزد على السّلام ، وجعلت أردّد في صدري كلاماً أخاطبهم به ، فيحصرني التشوّر[11] ، ويخجلني ذلّ المسألة ، ويحبسني عن الكلام ، [وأتصبّب عرقاً ، حياءً وخوفاً من أن يقال لي : من أنت ، وما تريد ؟ وما يمكنني الجواب ، ولا أدري ما أخاطبهم به][6] ، إذ لم تكن لي عادة بالخوض في مثله .

فأنا كذلك ، إذ جاء خادم فاستدعى القوم ، فقاموا ، وقمت معهم ، ومضينا ، فأدخلوا [١٨٩ ظ] داراً ذات دهليز طويل ، فدخلت معهم ، وأفضينا إلى صحن واسع ، وإذا شيخ بهيّ ، فإذا هو يحيى بن خالد ، على دكّة [أبنوس في صحن الدّار][6] ، في وسط البستان ، وله ميدان عنده بركة ، وقد نصب عليها كراسي أبنوس .

وأقبل القوم ، فجلسوا ، وجلست معهم ، وتأمّل الخدمُ القومَ وعددهم ، فإذا نحن مائة رجل ورجل ، فدخل الخدم وغابوا ، ثمّ خرج مائة خادم وخادم ، في يد كلّ واحد منهم مجمرة من ذهب ، فيها قطعة كالفهر[12] من عنبر ، والخدم بأفخر الثياب ، عليهم مناطق الذّهب المرصّعة بالجوهر ، وهم يطيفون بغلام ، حين اخضرّ شاربه ، حسن الوجه ، فسجروا العنبر .

وأقبل يحيى على الزريقي القاضي[13] ، وقال : زوّج ابن أخي هذا ، بابنتي عائشة على صداق قدره مائة ألف درهم .

فخطب ، وعقد النكاح ، وأخذنا النثار من فتات المسك ، وبنادق العنبر ،

---

١١ التشوّر : الخجل .

١٢ الفهر ، بكسر أوّله وسكون ثانيه : الحجر ملءُ الكفّ (لسان العرب) .

١٣ الزريقي : نسبة إلى زريق بطن من الأنصار ، من الخزرج (اللباب ١/٤٩٩) .

وتماثيل الندّ الصغار ، والتقط النّاس ، والتقطتُ .

ثمّ جاءا مائة خادم وخادم ، [١٦١ ر] في يد كلّ واحد منهم صينيّة فضّة فيها ألف دينار ، مخلوطة بالمسك ، فوضع بين يدي كلّ رجل منّا صينيّة .

فأقبلت الجماعة تكوّر الدنانير في أكمامها ، وتأخذ الصواني تحت آباطها ، وتنصرف ، ألأوّل ، فالأوّل ، حتّى بقيت وحدي ، لا أجسر على أخذ الصينيّة وما فيها ، والأسف ، والحاجة ، يمنعاني أن أقوم وأدعها ، وأنا مطرق ، مفكّر .

حتّى ضاق صدري [١٥٤ م] ، فرفعت رأسي ، فغمزني بعض الخدم على أخذها والقيام ، فأخذتها وقمت ، وأنا لا أصدّق ، وجعلت أمشي وأتلفّت ، خوفاً من أن يتبعني من يأخذها ، ويحي يلاحظني من حيث لا أعلم .

فلمّا قاربت الستر ، رددت ، فأيست من الصينيّة ، فجئت – وهي معي – حتّى قربت منه ، فأمرني بالجلوس ، فجلست .

فسألني عن حالي ، وقصّتي ، ومن أنا ، فصدقته ، حتّى إذا بلغت إلى تركي عيالي في المسجد ، بكى .

ثمّ قال : عليّ بموسى ، فجاء .

فقال : يا بنيّ ، هذا رجل من أبناء النعم ، قد رمته الأيّام بصروفها ، والنوائب بحتوفها ، فخذه ، واخلطه بنفسك ، واصطنعه .

فأخذني موسى إلى داره ، فخلع عليّ من أفخر ثيابه ، وأمر بحفظ الصينيّة لي ، وقضيت على ذلك يومي وليلتي .

ثمّ استدعى أخاه العبّاس من الغد ، وقال له : إنّ الوزير سلّم إليّ هذا الفتى ، وأمرني فيه بكذا وكذا ، وأريد أن أركب اليوم إلى دار أمير المؤمنين ، فليكن عندك اليوم حتّى أرتجعه غداً ، فكان يومي عنده مثل أمسي .

وأقبلوا يتداولوني كلّ يوم ، واحداً بعد واحد ، وأنا قلق بأمر عيالي ، إلّا أنّني لا أذكرهم إجلالاً لهم .

فلمّا كان في اليوم العاشر ، أدخلت إلى الفضل بن يحيى ، فأقمت في داره يومي وليلتي .

فلمّا أصبحت ، جاءني خادم من خدمه ، فقال : يا هذا قم إلى عيالك وصبيانك .

فقلت : إنّا لله ، لم أحصل لهؤلاء الصبيان على الأكل والشرب ، والصينيّة وما فيها ، وما حصّلته من النثار ، ذهب[14] ، فليت هذا كان من أوّل يوم ، وكيف أتوصّل الآن إلى يحيى ، وأيّ طريق لي إليه .

وتلاعبت بي الأفكار مخافة اليأس ، وأظلمت الدنيا في عيني ، وقمت أجرّ رجلي ، والخادم يمشي بين يديّ ، [حتّى أخرجني من الدار ، فازداد إياسي ، وما زال يمشي بين يديّ][6] حتّى أدخلني الى دار كأنّ الشّمس تطلع من جوانبها ، وفيها من صنوف الفرش والأثاث والآلات ، ما يكون في مثلها .

فلمّا توسّطتها ، رأيت عيالي أجمعين فيها ، يرتعون في الديباج والشفوف[15] ، وقد حمل إليهم مائة ألف درهم ، وعشرة آلاف دينار ، والصينيّة والنثار ، وسلّم إليّ الخادم ، صكّ ضيعتين جليلتين .

وقال : هذه الدار ، وما فيها ، والضياع بغلّاتها ، لك .

فأقمت مع البرامكة في أخفض عيش ، وأجلّ حال ، حتّى نزلت بهم النازلة .

ثمّ قصدني عمرو بن مسعدة في الضيعتين ، فألزمني في خراجهما ، ما لا يفي به دخلهما .

---

١٤ في ظ : حسب .

١٥ الشف ، وجمعه شفوف : الثوب الرّقيق ، قالت الفتاة البدويّة الشاعرة :

ولبس عباءة وتقرّ عيني ... أحبّ إليّ من لبس الشفوف
وأكل كسيرة في كسر بيتي ... أحبّ إليّ من أكل الصنوف
وبيت تخفق الأرواح فيه ... أحبّ إليّ من قصر منيف

فلحقتني شدّة عظيمة ، فكلّما لحقتني نائبة [١٩٠ ظ] واشتدّت بي بليّة ، قصدت دورهم ومنازلهم ، فبكيتهم ، ورثيتهم ، وشكرتهم ، ودعوت لهم ، على ما كان منهم إليّ ، وشكوت ما حلّ بي بعدهم ، فأجد لذلك راحة .

قال : فاستدعى المأمون عمرو بن مسعدة ، فلمّا أتي به ، قال له : أتعرف هذا الرّجل ؟ .

قال : يا أمير المؤمنين ، هو بعض صنائع البرامكة .

فأمره أن يردّ على الرّجل ، كلّما استخرج منه ، وأن يقرّر خراجه على ما كان عليه أيّام البرامكة [وأن يجعل له ضيعة أخرى من جملة الإيغارات يكون دخلها له ويتّخذ به سجلّاً][٦] وأن يقضي حقّه ويكرمه ، فبكى الشيخ بكاءً شديداً .

فقال له المأمون : ألم أستأنف إليك جميلاً فما بكاؤك ؟ .

فقال : بلى والله يا أمير المؤمنين ، وزدت على كلّ فضل وإحسان ، ولكن هذا من بركة الله ، وبركة البرامكة[١٦] عليّ ، وبقيّة إحسانهم إليّ ، فلو لم [١٥٥ م] آت خراباتهم ، فأبكيهم ، وأندبهم ، حتّى اتّصل خبري بأمير المؤمنين ، ففعل بي ما فعل ، من أين كنت أصل إلى أمير المؤمنين .

فقال له المأمون : إمض مصاحباً ، فإنّ الوفاء مبارك ، وحسن العهد من الايمان[١٧] .

---

١٦ البرامكة : راجع البحث في آخر القصّة .

١٧ هذه القصّة لم ترد في غ .

البرامكة

جاء في الفخري ١٩٧ : إنّ دولة آل برمك ، كانت غرة في جبهة الدهر ، وتاجاً على مفرق العصر ، فانّ يحيى وبنوه ، كالنجوم زاهرة ، والبحار زاخرة ، والسيول دافقة ، والغيوث ماطرة ، أسواق الأدب عندهم نافقة ، ومراتب ذوي الحرمات عندهم عالية ، والدنيا في أيّامهم عامرة ، وأبّهة المملكة ظاهرة ، وهم ملجأ الضعيف ، ومعتصم الطريد ، وفيهم يقول أبو نؤاس :

سلامٌ على الدنيا إذا ما فقدتم بني برمكٍ من رائحين وغاد

وقال الجاحظ : البرامكة محض الأنام ، ولباب الكرام ، وملح الأيّام ، عتق منظر ، وجودة مخبر ، وجزالة منطق ، وسهولة لفظ ، ونزاهة نفس ، واكتمال خصال ، (العقد الفريد ٢٨/٥) ، وقال عنهم أيضاً : إنّ أيّامهم كانت رياض الأزمنة (وفيات الأعيان ٤٧٤/٣) .

وقال محمد بن جميل الكاتب : كان البرامكة شفاء سقام دهرهم ، وغياث جدب عصرهم ، وما زالوا كهفاً للاّجئين ، ومفزعاً للملهوفين (قطب السرور ٦٣) .

وقال القاضي التنوخي ، في امتداح مجلس من مجالس الوزير المهلّبي : كأنّه من مجالس البرامكة (نشوار المحاضرة القصّة رقم ٢٨/١) .

وقال سليمان بن وهب ، لشخص أحسن إليه : إنّك قد فعلت ما لم تفعله البرامكة (القصّة ١٦٥ من هذا الكتاب) .

وقال صالح ، صاحب المصلّى : إنّ الدهر لا يخلف مثل يحيى أبداً (القصّة ٣٧١ من هذا الكتاب) .

وقال إسحاق الموصليّ ، في الفضل بن يحيى البرمكي : سبحان الذي خلق هذا الرجل ، وجبله على كرم بذّ به من مضى ومن غبر (المحاسن والمساوىء ٢٢/٢) .

وحلف إسحاق الموصلي ، بالله الذي لا إله إلاّ هو : ما رأيت أذكى من جعفر بن يحيى قط ، ولا أفطن ، ولا أعلم بكلّ شيء ، ولا أفصح لساناً ، ولا أبلغ في المكاتبة (الأغاني ٣٢٥/٤) .

وقال ثمامة بن أشرس : ما رأيت رجلاً أبلغ من جعفر بن يحيى البرمكي والمأمون (تاريخ الخلفاء ٣٢٦) .

وقال إبراهيم بن المهدي : ما رأيت أكمل من جعفر قط (الأوراق للصولي ، أشعار أولاد الخلفاء ٣٤) .

وأبو حيّان التوحيدي ، الذي كان كثير الغرام ، بثلب الكرام (معجم الأدباء ٢٨٢/٢) إذ لم يترك أحداً من رؤساء زمانه ، إلاّ وشتمه ، أثنى على البرامكة في كتابه أخلاق الوزيرين ، فذكر أنّ معروفهم كان يسع الصغير والكبير ، ويعمّ الغني والفقير (أخلاق الوزيرين ٤٨٩) ، ونقل في كتابه كذلك ما أورده محمّد بن داود الجرّاح ، في كتابه أخبار الوزراء ، في الثناء عليهم ، فقال : كان آل برمك أندى من السحاب (أخلاق الوزيرين ٣٨٠) .

وفي محاضرات الأدباء ١٩٨/٣ : إنّ امرأة مرّت بجعفر بن يحيى ، وقد صلب ، فقالت : لئن صرت اليوم راية ، لقد كنت بالأمس غاية .

وفي تحفة المجالس ١٧٩ : إنّ البرامكة كانوا يُقصدون من آفاق الأرض ، وقال أعرابيّ قصدهم من اليمن : قصدت هؤلاء الأمجاد ، الذين انتشر صيتهم في البلاد .

وكان للبرامكة من السخاء والكرم ، ما لم يكن لأحد من الناس ، وكانوا يخرجون بالليل سرّاً ، ومعهم الأموال يتصدّقون بها ، وربما دقّوا على الناس أبوابهم ، فيدفعون إليهم الصرّة ، بين الثلاثة آلاف إلى الخمسة آلاف ، أو الأكثر من ذلك ، والأقل ، وربما طرحوا ما معهم في عتب الأبواب ، فكان الناس – لاعتيادهم ذلك – يعدون إلى العتب ، إذا أصبحوا ، يطلبون ما التي فيها (المحاسن والمساوىء ١٥٠/١) .

وقال فيهم الشاعر : [وفيات الأعيان ٣٥/٤]

عنـد الملـوك مضرّة ومنافـــع … وأرى البرامك لا تضرّ وتنفــع
إن كان شرّ كـان غيرهم لـه … والخيـر منسوب إليهم أجمـع

وقال أبو نؤاس : [وفيات الأعيان ٥٩/٥]

إنّ البرامـكة الكرام تعلّمـــوا … فعـل الجميـل فعلّمـوه النـاسا
كانوا إذا غرسوا سقوا وإذا بنـوا … لم يهدمـوا مما بنـوه أساسا
وإذا همُ صنعوا الصنائع في الورى … جعلوا لهـا طـول البقـاء لباسا

وقال أشجع السلميّ ، يذكر أيّامهم : [وفيات الأعيان ٣٣٦/١]

كأنّ أيّامهم من حسن بهجتها ... مواسم الحجّ والأعياد والجمع

وأصبح جود البرامكة ، على تمادي الأيّام ، مضرب المثل ، قال الجمّاز : جاءنا فلان ، بمائدة ، كأنّها زمن البرامكة على العفاة (زهر الأداب ٢/٣ والملح والنوادر ٢٣٦) .

والبغداديون ، إلى وقتنا هذا ، يذكرون البرامكة ، ويصفون الرجل الكريم النفس ، السخيّ اليد ، بأنّه : برمكي .

وعمّت شهرة البرامكة بالجود ، جميع أنحاء الدنيا ، بحيث أنّ المقري في نفح الطيب ١٠٩/٣ امتدح أحد أمراء الموحّدين بالأندلس ، فوصفه بأنّ «له حكايات في الجود برمكيّة» .

وقد أنكر صاعد ، وزير الموفّق ، ما يذكر عن البرامكة ، وقال : هذه أقاصيص من صنع الورّاقين ، فقال له أبو العيناء : لم لا يكذب على الوزير – أعزّه الله – مثل هذا الكذب ، وهو حيّ ، يرجى ويخاف ، وأولئك موتى ، مأيوس من خيرهم وشرهم ، (القصّة ١/١ من نشوار المحاضرة) .

وبالنظر لعدم وجود سبب واضح عن نكبتهم ، فقد خبط المؤرخون خبطاً في الاستنتاج ، وذكر كلّ واحد منهم سبباً ، أو أكثر من سبب ، فادّعى بعضهم أنّ السبب سياسي ، وأنّهم أرادوا قلب الدولة ، وقال بعضهم : أنّ ثمة سبباً يتعلّق بزواج جعفر ، زواجاً لم يرضه الخليفة ، وهذا كلّه لا أصل له ، فإنّ البرامكة ، لو أرادوا قلب الدولة ، لحاولوا ذلك عندما كانت خراسان في قبضتهم ، وأمّا قضية الزواج ، فهي أقصوصة لا تعلق بقبول ، ولا تدخل في معقول ، والذي يظهر للمتأمّل ، أنّ استئثار البرامكة بالحكم ، وانقياد الناس لهم ، ولهجتهم بالثناء عليهم ، والتعلّق بهم ، أثار غيرة الرشيد ، وأشعل نار هواجسه ، وصادف وجود دسّاسين ، من رجال الحاشية ، ممن يرغب في انتقال السلطة من البرامكة إليهم ، مثل الفضل بن الربيع ، وعلي بن عيسى بن ماهان ، وأحمد بن صبيح ، فتظافروا ، وأغروا الرشيد بهم ، فوجدوا منه أذناً سامعة ، وكانت الخيزران ، أمّ الرشيد ، حامية البرامكة ، قد توفيت في السنة ١٧٣ ، فلم يكد الرشيد يودعها قبرها ، حتى دعى الفضل ابن الربيع ، وأمره بأخذ الخاتم من جعفر ، وحلف له إنّه كان يهمّ بأن يولّيه ، فتمنعه أمّه ، فيطيع أمرها (الطبري ٢٣٨/٨) .

ولعلّ أصحّ ما ورد في هذا الباب ، ما ذكره ابن خلّكان في كتاب وفيات الأعيان ٣٣٥/١ ، قال : سئل سعيد بن سالم عن جناية البرامكة الموجبة لغضب الرشيد ، فقال : والله ، ما كان منهم ما يوجب بعض ما عمل الرشيد بهم ، ولكن طالت أيّامهم ، وكلّ

طويل مملول ، ووالله ؛ لقد استطال الناس ، الذين هم خير الناس ، أيّام عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وما رأوا مثلها عدلاً ، وأمناً ، وسعة أموال ، وفتوح ، وأيّام عثمان رضي الله عنه ، حتى قتلوهما ، ورأى الرشيد – مع ذلك – أنس النعمة بهم ، وكثرة حمد الناس لهم ، ورميهم بآمالهم دونه ، والملوك تتنافس بأقلّ من هذا ، فتعنّت عليهم ، وتجنّى ، وطلب مساويهم ، ووقع منهم بعض الإدلال ، خاصّة جعفر والفضل ، دون يحيى ، فإنّه كان أحكم خبرة ، وأكثر ممارسة للأمور ، ولاذ من إعدائهم قوم بالرشيد ، كالفضل بن الربيع ، وغيره ، فستروا المحاسن ، وأظهروا القبائح ، حتى كان ما كان .

ويؤيّد هذا الرأي ، ما روي عن هرون الرشيد أنّه قال : إنّ الدالّة تفسد الحرمة ، وتنقص الذمّة ، ومنها أتي البرامكة (كتاب الآداب لمجد الملك جعفر بن شمس الخلافة ص ٢٠) .

وقد ذهب المؤرخ ابن خلدون ، إلى هذا الرأي ، قال : إنّما نكب البرامكة ما كان من استبدادهم على الدولة ، واحتجانهم أموال الجباية ، حتى كان الرشيد يطلب اليسير من المال فلا يصل إليه ، فغلبوه على أمره ، وشاركوه في سلطانه ، ولم يكن له معهم تصرّف في أمور ملكه ، فعظمت آثارهم ، وبَعُدَ صيتهم ، وعمروا مراتب الدولة وخططها ، بالرؤساء من ولدهم وصنائعهم ، واحتازوها عمّن سواهم ، من وزارة ، وكتابة ، وقيادة ، وحجابة ، وسيف ، وقلم ، ويقال إنّه كان بدار الرشيد ، من ولد يحيى بن خالد ، خمسة وعشرون رئيساً ، من بين صاحب سيف وصاحب قلم ، زاحموا فيها أهل الدولة بالمناكب ، ودفعوهم عنها بالراح ، لمكان أبيهم يحيى من كفالة هارون ، وليّ عهد ، وخليفة ، حتى شبّ في حجره ، ودرج من عشّه ، وغلب على أمره ، وكان يدعوه : يا أبتِ ، فتوجّه الإيثار من السلطان إليهم ، وعظمت الدالّة منهم ، وانبسط الجاه عندهم ، وانصرفت نحوهم الوجوه ، وخضعت لهم الرقاب ، وتخطت إليهم من أقصى التخوم ، هدايا الملوك ، وتحف الأمراء ، وسيّرت إلى خزائنهم ، في سبيل التزلّف والإستمالة ، أموال الجباية ، وأفاضوا في رجال الشيعة (يريد شيعة بني العبّاس) وعظماء القرابة ، العطاء ، وطوّقوهم المنن ، وكسبوا من بيوتات الأشراف ، المعدم ، وفكّوا العاني ، ومدحوا بما لم يمدح به خليفتهم ، وأسنوا لعفاتهم الجوائز والصلات ، واستولوا على القرى والضياع ، حتى آسفوا البطانة ، وأحقدوا الخاصة ، وأغصّوا أهل الولاية (تاريخ ابن خلدون ١٣/١ و١٤) .

وذكر صاحب الأغاني ٣٠٣/١٨ : أنّ الرشيد ندم على قتله البرامكة ، وربما بكى عليهم في بعض المجالس .

وذكر ابن خلّكان في وفيات الأعيان ٢٢٨/٦ و ٢٢٩ نقلاً عن الجهشياري : أنّ الرشيد ندم على ما كان منه في أمر البرامكة ، وتحسّر على ما فرط منه في أمرهم ، وخاطب جماعة من إخوانه ، بأنّه لو وثق منهم بصفاء النيّة ، لأعادهم إلى حالهم ، وكان الرشيد كثيراً ما يقول : حملونا على نصحائنا وكفاتنا ، وأوهمونا أنّهم يقومون مقامهم ، فلما صرنا إلى ما أرادوا ، لم يغنوا عنّا ، وأنشد :

أقِلّـوا عليهـم لا أبـا لأبيكـم　　　من اللّوم أو سدّوا المكان الذي سدّوا

راجع بعض أخبار البرامكة في المحاسن والمساوىء ١٤٠/١ و١٤١ و١٥١ – ١٦٢ وراجع في العقد الفريد ٦٢/٥ – ٦٥ الحوار الذي جرى بين هارون الرشيد وبين فاطمة بنت محمّد بن الحسن بن قحطبة ، أمّ جعفر البرمكي . وهي أمّ الرشيد بالرضاعة ، وراجع بشأن الثناء على البرامكة ، القصّة ٢/١ و٣/١ من كتاب نشوار المحاضرة للتنوخي ، وراجع كذلك في كتاب الأوراق للصولي أشعار أولاد الخلفاء ص ٤٧ الحوار الذي جرى بين الرشيد وبين أخته عليّة حول مقتل جعفر البرمكي ، وراجع في كتاب جواهر الأدب من خزائن العرب ص ٤١٨ قصّة عن الفضل وجعفر ، رواها محمّد بن عبد الرحمن الهاشمي ، صاحب صلاة الكوفة ، وراجع الطبري ٣٠٠/٨–٣٠٢ والأغاني (ط بولاق) ٣١/٢٠ .

٣٠١
هل جزاء الإحسان إلّا الإحسان

بلغني أنّه كان بالكوفة رجل من أهل الأدب والظرف ، يعاشر النّاس ، وتأتيه ألطافهم ، فيعيش بها .

ثمّ انقلب الدّهر عليه ، فأمسك النّاسُ عنه ، وجفوه حتّى قعد في بيته ، والتجأ إلى عياله ، فشاركهنّ في فضل مغازلهنّ ، واستمرّ ذلك عليه ، حتّى نسيه النّاس ، ولزمه الفقر .

قال : فبينما أنا ذات ليلة في منزلي ، على أسوء حال ، إذا وقعُ حافرِ دابّة ، ورجل يدقّ بابي ، فكلّمته من وراء الباب .

فقلت : ما حاجتك ؟.

فقال : إنّ أخاً لك لا أسمّيه ، يقرأ عليك السلام ، ويقول لك : إنّي رجل مُستتر ، ولست آنس بكلّ أحد ، فإن رأيت أن تصير إليّ ، لنتحدّث ليلتنا .

فقلت في نفسي : لعلّ جدّي أن يكون قد تحرّك ؟ ثمّ لم أجد لي ما ألبسه ، فاشتملت بأزار امرأتي[١] ، وخرجت ، فقدّم إليّ فرساً مجنوباً كان معه ، فركبته .

إلى أن أدخلني إلى فتى من أجلّ النّاس وأجملهم وجهاً ، فقام إليّ ، وعانقني ، ودعا بطعام فأكلنا ، وبشراب فشربنا ، وأخذنا في الحديث ، فما خضت في شيءٍ إلّا سبقني إليه .

حتّى إذا صار وقت السَحَر ، قال : إن رأيت أن لا تسألني عن شيءٍ من أمري ، وتجعل هذه الزيارة بيني وبينك ، إذا أرسلت إليك فعلتَ ، وها هنا

---

١ اشتمل بالثوب : تلفّف به وأداره على بدنه ، والشمال : شيءٌ كالمخلاة يغطى به ضرع الشاة ، والشمال عند البغداديّين الآن : خرقة تشدّ بين الساقين لستر العورة .

دراهم تقبلها ، ولا تردّها ، ولا يضيق بعدها عنك شيئ ، فنهضت ، فأخرج إليّ جراباً مملوءاً دراهم .

فدخلتني أريحيّة الشراب ، فقلت : اخترتني على النّاس للمنادمة ، ولسرّك ، وآخذ على ذلك أجراً ؟ لا حاجة لي في المال .

فجهد بي ، فلم آخذه ، وقدّم إليّ الفرس ، فركبتـه ، وعدت إلى منزلي ، وعيالي متطلّعون لما أجيئ به ، فأخبرتهم بخبري .

وأصبحت نادماً على فعلي ، وقد ورد عليّ وعلى عيالي ، ما لم يكن في حسابنا .

فمكثت حيناً ، لا يأتي إليّ رسول الرّجل ، إلى أن جاءني بعد مدّة ، فصرت إليه ، فعاودني بمثل ذلك الفعل ، فعاودته بالامتناع ، وانصرفت مخففاً ، فأقبلت امرأتي عليّ باللوم والتوبيخ .

فقلت لها : أنت طالق ثلاثاً إن عاودني ولم آخذ ما يعطيني .

فمكثت مدّة أطول من الاوّلة[2] ، ثمّ جاءني رسوله ، فلمّا أردت الركوب ، قالت لي امرأتي : يا ميشوم اذكر يمينـك ، وبكاء بناتك ، وسوء حالك .

فصرت إلى الرّجل ، فلمّا أفضينا إلى الشراب ، قلت له : إنّي أجد علّة تمنعني منه ، وإنّما أردت أن يكون رأيي معي .

فأقبل الرّجل يشرب ، وأنا أحادثه ، إلى أن انبلج الفجر ، فأخرج الجراب ، وعاودني ، فأخذته ، فقبّل رأسي ، وشكرني على قبول برّه ، وقدّم إليّ الفرس ، فانصرفت عليه ، حتّى انتهيت إلى منزلي ، فألقيت الجراب .

فلمّا رآه عيالي ، سجدن لله شكراً ، وفتحناه ، فإذا هو مملوء دنانير .

فأصلحت منه حالي ، واشتريت مركوباً ، وثياباً حسنة ، وأثاثاً ، وضيعة قدّرت أنّ غلّتها تفي بي ، وبعيالي بعدي ، واستظهرت على زماني ببقيّة الدنانير .

وانثال النّاس عليّ ، يظهرون السرور بما تجدّد لي ، وظنّوا أنّي كنت غائباً

٢ الأوّلة : لغة بغداديّة ، بمعنى الأولى ، والبغداديّون الآن يقولون الأوليّة : والأولانيّة .

في انتجاع ملك[3] ، فقدمت [١٩١ ظ] مثرياً ، وانقطع رسل الرّجل عنّي .

فبينما أنا أسير يوماً بالقرب من منزلي ، فإذا ضوضاء عظيمة[4] ، وجماعة مجتمعة .

فقلت : ما هذا ؟.

قالوا : رجلٌ من بني فلان ، كان يقطع الطريق [١٤١ ر] ، فطلبه السلطان ، إلى أن عرف خبره هاهنا ، فهجم عليه ، [١٥٦ م] وقد خرج على النّاس بالسّيف ، يمنع نفسه .

فقربت من الجمع ، وتأمّلت الرّجل ، فإذا هو صاحبي بعينه ، وهو يقاتل العامّة ، والشُرَط ، ويكشف النّاس ، فيبعدون عنه ، ثمّ يتكاثرون عليه ويضايقونه .

فنزلت عن فرسي ، وأقبلت أقوده ، حتّى دنوت منه ، وقد انكشف النّاس عنه .

فقلت : بأبي أنت وأمّي ، شأنك والفرس ، والنُجاة ، فاستوى على ظهره ، فلم يلحق .

فقبض عليّ الشرط ، وأقبلوا عليّ ، يلهزوني[5] ، ويشتموني ، حتّى جاءوا بي إلى عيسى بن موسى ، وهو والي الكوفة ، وكان بي عارفاً .

فقالوا : أيّها الأمير ، كدنا أن نأخذ الرّجل ، فجاء هذا ، فأعطاه فرساً نجا عليه .

فاشتدّ غضب عيسى بن موسى ، وكاد أن يوقع بي ، وأنا منكر لذلك .

---

٣ في م : في انتجاع ذلك .

٤ الضوضاء ، والضوضى ، والضوضأة : أصوات الناس إذا اختلطت ، قال الحارث بن حلّزة اليشكري :

أجمعوا أمـرهم عشـاءِ فلمّـا ... أصبحوا أصبحت لهم ضوضاء

من مناد ، ومن مجيب ، ومن تصـ ... ـهال خيلٍ خلال ذاك رغـاء

٥ اللهز : الضرب بجمع الكفّ في اللهزمة والرقبة .

فلمّا رأيت المصدوقة ، قلت : أيّها الأمير ، أدنني إليك ، أصدقك .

فاستدناني ، فشرحت له ما كان أفضت بي الحال إليه ، وما عاملني به الرّجل ، وأنّي كافأته بجميل فعله .

فقال لي سرّاً : أحسنت ، لا بأس عليك .

ثمّ التفت إلى النّاس فقال : يا حمقى ، هذا يتّهم ؟ إنّما لفظ حافر فرسه حصاة ، فقاده ليريحه ، فغشيه رجل مستقتل ، بسيف ماض ، قد نكلتم عنه بأجمعكم ، فكيف كان هو يدفعه عن فرسه ؟ انصرفوا ، ثمّ خلّى سبيلي .

فانصرفت إلى منزلي ، وقد قضيت ذمام الفتى ، وحصلت النعمة بعد الشدّة ، وأمنت عواقب الحال ، و كان آخر عهدي به[٦] .

٦ لم ترد هذه القصّة في غ .

٣٠٢

جعفر بن سليمان أمير البصرة

يصفح عمّن سرق منه جوهراً

سرق لجعفر بن سليمان الهاشمي[١] جوهر فاخر بالبصرة ، وهو أميرها ، فجهد أن يعرف له خبراً ، فخفي عليه ، فأقلقه ذلك ، وغاظه ، وجدّ بالشرط [١٦٢ ر] وضربهم ، وألزمهم إظهاره ، فجدّوا في الطلب .

فلمّا كان بعد شهور ، أتاه بعضهم برجل وجده في ساباط اللؤلؤ ، يبيع درّة فاخرة من ذلك الجوهر ، قد قبض عليه ، وضربه ضرباً عظيماً إلى أن أقرّ ، فأخبر جعفر بخبره ، فأذن بدخوله .

فلمّا رأى الرّجل جعفراً ، استغاث به ، وبكى ، ورقّقه ، فرحمه جعفر ، وقال : ألم تكن طلبت منّي هذه الدرّة في وقت كذا ، فوهبتها لك ؟.

فقال : بلى .

فقال للشرط : خلّوا عنه ، واطلبوا اللصّ[٢] .

---

١ جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العبّاس ، العبّاسيّ ، الهاشمي : ترجمته في حاشية القصّة ١٥٦ من الكتاب .

٢ لم ترد هذه القصّة في غ .

٣٠٣

أخذ الصينية من لا يردّها ورآه من لا ينمّ عليه

وروت الفرس قريباً من هذا ، فذكروا أنّ بعض ملوكهم ، سخط على حاجبٍ له سخطاً شديداً ، وألزمه بيته ، وكان فيه كالمحبوس ، وقطع عنه أرزاقه وجراياته ، فأقام على ذلك سنين ، حتّى تهتكّ ، ولم تبق له حال .

ثمّ بلغه أنّ الملك قد اتّخذ سماطاً عظيماً ، يحضره النّاس في غدِ يومه ذلك ، فراسل أصدقاءه ، وأعلمهم أنّ له حقاً[1] يحضره لبعض ولده ، واستعار منهم دابّة بسرجه ولجامه ، وغلاماً يسعى بين يديه ، وخلعة يلبسها ، وسيفاً ، ومنطقة ، فأعير ذلك ، فلبسه ، وركب الدابّة ، وخرج من منزله ، إلى أن جاء إلى دار الملك .

فلمّا رآه البوّابون لم يشكّوا في أنّه ما أقدم على ذلك إلّا بأمر الملك ، وتذمّموا لقديم رئاسته عليهم ، فأشفقوا من عودها أن يحجبوه إلى أن يستثبتوا .

ودخل هو مظهراً القوّة بأمر نفسه ، ولم تزل تلك حاله ، مع طائفة ، حتّى وصل إلى الملك ، وقد أكل ، وهو جالس يشرف .

فلمّا رآه الملك قطّب ، وأنكر حضوره ، وهمّ بأن يأمر به ، وبالحجّاب ، والبوّابين ، فكره أن ينغصّ يوماً قد أفرده بالسرور على نفسه .

وأقبل الرّجل يخدم ، فيما كان يخدم فيه قديماً ، فازدادت الحال تمويهاً على الحجّاب والحاشية ، إلى أن كاد المجلس ينصرم ، وغفل أكثر من كان [١٩٢ ظ] حاضراً عنه .

فتقدّم إلى صينيّة ذهب زنتها ألف مثقال ، مملوءة مسكاً ، فأخذها بخفّة ،

---

١ الحقّ : موضع الاجتماع من أجل تشييع جنازة المتوفّى ، راجع القصّة ١٣٨/١ و ٩/٤ من كتاب نشوار المحاضرة للقاضي التنوخي .

وجعل المسك في كمّه ، والصينيّة [١٥٧ م] في خفّه ، والملك يراه .

وخرج ، وعاد إلى منزله ، وردّ العواري إلى أهلها ، وباع المسك ، وكسر الصينية ، وجعلها دنانير ، واتّسع بها حاله .

وأفاق الملك – من غدٍ – من سكره ، وسمع من يخدم في الشراب يطلب الصينيّة ، وقهرمان الدار يضرب قوماً في طلبها ، فذكر حديث الحاجب ، وعلم أنّه ما حمل نفسه على الغرر الشديد في ذلك ، إلّا من وراء شدّة وضرّ .

فقال لقهرمانه : لا تطلب الصينيّة ، فما لأحد في ضياعها ذنب ، فقد أخذها من لا يردّها ، ورآه من لا ينمّ عليه .

فلمّا كان بعد سنة ، عاد ذلك الحاجب ، إلى شدّة الإضاقة ، بنفاد الدنانير ، وبلغه خبر سماط يكون عند الملك ، في غد يومه ، فاحتال بحيلة أخرى ، حتى دخل إلى حضرة الملك ، وهو يشرب .

فلمّا رآه الملك ، قال : يا فلان ، نفذت تلك الدنانير ؟.

فقبّل الارض بين يديه ، وبكى ، ومرّغ خدّيه ، وقال : أيّها الملك ، قد احتلت مرّتين ، على أن تقتلني فأستريح ممّا أنا فيه ، من عظم الضرّ الّذي أعانيه ، أو تعفو عنّي كما يليق بك ، وتذكر خدمتي[٢] ، فأعيش في ظلّك ، وليست لي بعد هذا اليوم حيلة .

فرقّ له الملك ، وعفا عنه ، وأمر برد أرزاقه عليه ونعمته ، وردّه إلى حالته الأولى في خدمته[٣] .

---

٢ في م : وتذكر حرمتي .

٣ لم ترد هذه القصّة في غ ، ووردت باختصار في البصائر والذخائر م ٢ ق ٢ ص ٧٠٨ .

٣٠٤

سفتجة بثلاث صفعات

يفتديها المحال عليه بخمسمائة وخمسين ديناراً

بلغني عن رجل من أهل ديار ربيعة ، كانت له حال صالحة[١] ، فزالت ، قال : فلزمتني المحنة والإضاقة ، مدّة طويلة ، فتحيّرت ، ولم أدر ما أعمل .

وكان أمير الناحية إذ ذاك ، العبّاس بن عمرو الغنوي[٢] ، وكانت بيني وبين كاتبه معرفة قديمة ، فأشير عليّ بأن ألقاه ، وآخذ كتاباً عن العبّاس إلى بعض [١٦٣ ر] أصدقائه من أمراء النواحي وأخرج إليه ، فلعلّي أتصرّف معه ، وأعود من جهته بفائدة أجعلها أصل معيشة .

فلقيت الكاتب ، فقال لي : صِرْ في غدٍ إلى دار الأمير ، حتّى أكتب لك .

فمضيت إليه ، فكتب لي عنه كتاباً مؤكّداً إلى بعض أمراء الأطراف من أصدقاء العبّاس ، فخرجت أريد منزلي .

---

١ في م : كانت له نعمة سنّية .

٢ العبّاس بن عمر الغنوي : من كبار القوّاد والعمال العبّاسيين كان يلي ديار ربيعة ، وأشخصه المعتضد في السنة ٢٨٦ إلى الأنبار لمحاربة أعراب أغاروا على القرى (الطبري ٧٢/١٠) ثم ولاّه فارس (ابن الأثير ٤٩٩/٧) واحتاج المعتضد إلى من يحارب القرامطة ، فولاّه في السنة ٢٨٧ اليمامة والبحرين ، وأناط به حرب القرامطة (الطبري ٧٥/١٠) وحاربهم ، فظهر عليه أبو سعيد ، وأسره ، وأبقاه حيّاً ، وقتل جميع عساكره وأحرقهم (الطبري ٧٧/١٠) ثم أطلقه وبعثه برسالة إلى المعتضد (القصّة ٦٢/٤ من نشوار المحاضرة وابن الأثير ٥٠٠/٧) ، ثم التحق ببدر مولى المعتضد ، وكان بفارس ، ولما بويع المكتفي ، واختلف بدر معه ، انفصل عن بدر وانصرف عنه إلى مدينة السلام (الطبري ٨٩/١٠ و ٩٠)) فولاّه المكتفي قم وقاشان ، ثم عزله عنها في السنة ٢٩٦ (ابن الأثير ٥٤/٨) وقلّده أعمال الحزب بديار مضر ، ومات فيها سنة ٣٠٥ (ابن الأثير ١٠٧/٨) .

فلمّا صرت في بعض الممرّات وأنا رجل طويل مبدّن[3] ، وكنت قد حلقت رأسي ، وعليه منديل خفيف ، قد أطارته الرّيح ، فانكشف ، ولعلّة انشغال قلبي بأمري لم أردّ المنديل .

وإذا بصفعة قد جاءت ، كادت تكبّني على وجهي ، وتوالت بعدها اثنتان . فالتفتُّ ، فإذا العبّاس بن عمرو ، وقد خرج إلى موضع من مواضع الدّار ، وكان مشتهراً بالمصافعة[4] ، مكاشفاً بها ، هو ، وجماعة من قوّاد المعتضد ، أصدقاء ، أخلاء ، يستعملون ذلك ، ويكاشفون به .

فقبضت على يده ، وقلت : ما هذا أيّها الامير ؟ ما أفارقك ، أو تعطيني شيئاً أنتفع به عوضاً عن هذا الفعل .

فدافعني ، وأنا متشبّث به ، وسقط الكتاب من كمّي ، فقال : ما هذا الكتاب .

قلت : كتابٌ ، كتب لي عنك إلى فلان ، لأخرج إليه ، فلعلّي أتصرّف معه ، أو يبرّني بشيء .

فقال : هوذا ، أكتب لك عليه سفتجة بالصفع ، فإنّه يفتديها منك بما تنتفع به .

واستدعى دواة ، وكتب لي إلى الرجل سفتجة[5] ، كما يكتب التّجار ، بثلاث مكتوبات ، كناية عن ثلاث صفعات .

فأخذت الكتاب ، وانصرفت متعجّباً ممّا جرى عليّ ، ومن حُرفتي في

---

٣ المبدّن : بتشديد الدال : السمين الجسم ، والبغداديّون الآن يقولون : مبدن ، بلا شدّة .

٤ المصافعة : انظر التفصيل في آخر القصّة .

٥ السفتجة : الحوالة التجارية ، وهي أن تعطي مالاً لرجل ، فيعطيك خطاً يمكّنك من استرداد ذلك المال من عميل له في مكان آخر ، وإذا كان الخطّ يشترط أداء المال في وقت مؤجّل ، فهي سفتجة بأجل ، وما زال هذا اسمها ببغداد ، وفي القانون التجاري العراقي كذلك .

أنّ العبّاس لم يسمح لي بشيءٍ ، مع جوده ، وتحمّلت ، وخرجت إلى ذلك البلد ، فأوصلت الكتاب الّذي كتبه لي الكاتب عنه .

فردّني ذلك الأمير أقبح ردّ ، وآيسني ، وقال : قد بلينا بهؤلاء الشحّاذين ، يجيئونا في كلّ يوم بكتب لا تساوي مدادها ، ويقطعونا عن أشغالنا ، انصرف ، فمالك عندي تصرّف ، ولا برّ .

فورد عليّ ما لم أر مثله ، وما هالني وقطع بي ، وكنت قد سافرت إليه ، وقطعت [١٩٣ ظ] شقّة بعيدة ، فانصرفت أسوء النّاس حالاً .

وفكّرت ليلتي ، فقلت : ليس إلّا [١٥٨ م] العود إليه ، ومداراته ، فلعلّ أن يعطيني قدر نفقة الطريق ، فأتحمّل بها .

فعدت إليه ، وخاطبته بكلّ رفق وخضوع وسؤال وهو يخشن عليّ ، ويؤيسني ، إلى أن قال لحاجبه : أخرجه عنّي ، ولا تدعه بعدها يدخل إليّ .

فورد عليّ أعظم من الأوّل ، وخرجت أخزى خروج ، وأقمت ايّاماً لا أعود إليه ، ولا أدري ما أصنع ، إلّا أنّ بقّالاً في المحلّة الّتي نزلتها يعطيني خبزاً وإداماً بنسيئة .

فجلست إليه يوماً وأنا متحيّر ، والغمّ بيّن عليّ ، فسمعت قائلاً يقول : إنّ الامير قد جلس للمظالم ، جلوساً ارتفع عنه الحجاب فيه ، ففكّرت كيف أعمل ؟.

وذكرت الكتاب بالسفتجة ، فقلت : أمشي وأجعلها نادرة كالظلامة ، فإن أعطاني شيئاً ، وإلّا فضحته بين رعيّته ، وانصرفت .

فأخذتُ السفتجةَ ، وجئتُ ، فلم أصادف بالباب من يمنعني ، فدخلت إليه .

فحين رآني اغتاظ عليّ ، وقال لحاجبه : ألم آمرك أن لا تدخل هذا اليّ .

فقال : كان الإذن عاماً ، ولم يميّز .

فأقبل الأمير عليّ ، فقال : ألم أقل لك ، وأؤيسك منّي ؟ فما هذه الملازمة ،

كأنّ لك عليّ ديناً أو سفتجة ؟ .

فقلت : نعم ، لي على الأمير - أعزّه الله - سفتجة .

فازداد غيظه ، وقال كالمتعجّب : سفتجة ، سفتجة ؟ .

فأخرجتها ، فدفعتها إليه ، فلمّا قرأها عرف الخطّ والخطاب ، فنكس رأسه ساعة ، خجلاً ، ثمّ قال لكاتب كان بين يديه ، شيئاً لا أعلمه .

فجذبني الكاتب ، وقال : إنّ الأمير قد تذمّم ممّا عاملك به ، وأمرني بدفع مائة دينار إليك ، فقم معي لتأخذها .

فقلت : ما قصدت الأمير ليبرّني ، أنا رجل أوصلت إليه سفتجة بمال ، فإمّا قبلها [١٦٤ ر] فأعطانيه ، فما أريد غيره ، ولا أستزيد عليه ، ولا أنقص منه شيئاً ، وإمّا كتب لي على السفتجة : راجعة[٦] ، فأخذتها ، وانصرفت .

فسارّه الكاتب بما قلت ، وقوي طمعي في الصنع ، فالتفت إليّ الكاتب ، وقال : قد جعلها لك الأمير مائتي دينار ، فانهض لتأخذها .

فقلت ، لمن يقول هذا : ما عندي غير ما سمعت ، ولانَ الأمير ، وتشدّدت ، ولم يزل الكاتب يتوسّط بيننا ، إلى أن بذل خمسمائة دينار .

فقلت : على شرط أنّي لا أبرح من هذا المجلس حتّى أقبضها وأسلّمها إلى يد تاجر ، وآخذ منه سفتجة بها ، ويدفع إليّ نفقة تكفيني إلى أن أعرف صحّة السفتجة ، ثمّ أتحمّل بباقي ذلك .

فأجبت إلى ذلك ، وأحضر التاجر ، والمال ، وأخذت منه سفتجة ، ودفعوا لي خمسين ديناراً للنفقة ، وأقمت مدّة ، إلى أن عرفت خبر صحّة السفتجة ، وتحمّلت ببقيّة النفقة إلى بلدي .

وحصل لي المال ، فجعلته بضاعة في متجر ، صلحت به حالي ، إلى الآن[٧] .

---

٦ راجعة : كلمة تكتب على السفتجة ، معناها رفض أداء مبلغ الحوّالة ، ويحق للمحال له عندئذ أن يرجع بالمحال به على المحيل .

٧ لم تردِ هذه القصّة في غ .

المصافعة

الصفع : ضرب القفا بالكفّ مبسوطة ، والمصافعة : تبادل الصفعات ، والصفعان : الذي يصفع كثيراً .

والأصل في الصفع أن يكون للعقوبة والتأديب . كأن يأمر القاضي بصفع من أخلّ بالحرمة الواجبة نحو مجلس الحكم (القصص ٢/١٠ و١٧٨/٦ من نشوار المحاضرة للتنوخي) .

وقد يصفع المتشدّق المتقعّر في كلامه (الامتاع والمؤانسة ٥٢/٢) .

وقد أمر الوزير علي بن عيسى بصفع رجل ادّعى النبوة (صلة الطبري ٢٦) .

وصفع بعض العامّة في البصرة ، القاضي أبا خليفة وصحبه ، لما حسبوهم يقرأون القرآن بلغة الدجاج (مروج الذهب ٥٠١/٢) .

وصفع أبو محمّد المافروخي الفأفاء ، عامل البصرة ، ابن أحد خلفائه ، لما فأفأ له ، حاسباً أنّه يحاكيه (نشوار المحاضرة ، رقم القصّة ١٤/٤) .

وقد يجري الصفع لإجبار المكلّف على أداء الضريبة المتحقّقة عليه (القصّة ١٨٤ من هذا الكتاب) أو لإجبار العامل المصروف على سداد ما بذمّته من الأموال الأميريّة (القصّة ٢١/٨ من كتاب نشوار المحاضرة) أو لإجبار من صودر على أداء ما صودر عليه (القصّة ٣٥/١ و ١٢٢/٣ من كتاب نشوار المحاضرة ، والكامل لابن الأثير ١٤٢/٨ ، وتجارب الأمم ١١٠/١ وصلة الطبري ٣٩) ، أو لاستخراج الودائع (تجارب الأمم ٦٥/١) أو لتقرير مبلغ المصادرة (تجارب الأمم ٦٥/١) أو لإجبار المصفوع على ترك عناده (القصّة ٢٦١ من هذا الكتاب ، والقصّة ٥٤/٣ من نشوار المحاضرة) .

وقد يرد الصفع عقاباً للمدعي الذي عجز عن القيام بما ادّعى ، كما حصل لابن المغازلي الذي شرط على نفسه إن لم يضحك المعتضد ، أن يصفع عشر صفعات ، وعجز عن إضحاكه (مروج الذهب ٥١٠/٢ و٥١١) .

ولما أراد المكتفي الخروج لقتال القرامطة ، منعه المنجّم أبو الحسن العاصمي ، بحجّة أنّ طالعه يدلّ على أنّ خروجه هذا ، يؤدّي إلى زوال دولته ، وخرج المكتفي ، واستأصل القرامطة ، وعاد مظفّراً سالماً ، فأمر بالعاصمي فأحضر ، وصفع صفعاً عظيماً (الفلاكة والمفلوكون ٣٧) .

وقد يحصل الصفع للإهانة والايذاء ، فقد ذكر أنّ المتوكّل غضب على عمر بن فرج الرخجي ، أحد كبار العمّال في الدولة ، فأمر بأن يصفع في كلّ يوم ، فأحصي ما صفع ، فكان ستة آلاف صفعة (مروج الذهب ٤٠٣/٢) ، وغضب المتوكّل على ولده المنتصر ، ولي عهده ، فأمر بأن يصفع في مجلسه (تجارب الأمم ٥٥٥/٦ والكامل لابن الأثير ٩٧/٧) ، ولزيادة التفصيل راجع تاريخ الطبري ١٧٥/٩ ، وصلة تاريخ الطبري ص ٥٢ و٥٨ و٨٦ والتكملة ٣٧ و ٤١ ، وتجارب الأمم ١٠٣/١ و ٣٧١ والقصّة ١١٩/١ و ٧/٤ من كتاب نشوار المحاضرة للتنوخي ، والقصّة ٢٥٠ و ٣٠٤ من هذا الكتاب ، والمستطرف من أخبار الجواري للسيوطي ٢٩ والوزراء للصابي ٤٦ و٢٦٤ ووفيات الأعيان ١٥٩/٤ و٥٨/٦ وحكاية أبي القاسم البغدادي ١٣٨ ومرآة الجنان لليافعي ١٨/٤) .

وقد يقع الصفع على المقامر إذا قُمِرَ ، كما وقع لأمير البصرة إسحاق بن العبّاس بن محمّد العباسي ، لما قمر ، فتحقّق عليه حسب الشرط أن يصفع عشر صفعات ، فأحالها هذا على صاحب شرطته ، وطلب هذا أن يكون الصفع ، صفع المداعبة والإخوان ، لا صفع العقوبة والسلطان (الهفوات النادرة ٢٣١) .

وأغرب ما أثر عن الصفع ، وروده لايقاع الحجة على الخصم في المناظرة (معجم الأدباء ٢٣٧/٥) .

والذي يتضّح من هذه القصّة ، ومن غيرها من القصص ، أنّ المصافعة ، كان لها من يستحسنها ، ويستطيبها ، ويتملّح بذكر فوائدها (البصائر والذخائر ١٨٠/٤) ، وكان لها سوق رائجة .

وكان العبّاس بن عمرو الغنوي ، وهو أحد كبار القوّاد والولاة العباسيين ، من المستهترين بالمصافعة ، المكاشفين بها ، هو وجماعة من قوّاد المعتضد ، أصدقاء ، أخلاّء ، يستعملون ذلك ، ويكاشفون به ، وأنّ المصافعة تجري بينهم للمطايبة ، (القصّة ١١٦ من هذا الكتاب ، والقصّة ١١٩/٨ من نشوار المحاضرة) وأنّها تقع على سبيل المباسطة (القصّة ٥١/١ و ١٦٦ من نشوار المحاضرة ، ومعجم دوزي لأسماء الألبسة ٢٧١) .

وكان زيادة الله بن الأغلب ، أمير أفريقية (١٧٢-٢٢٣) قد اتّخذ ندامى يتصافعون في حضوره (فوات الوفيات ٣٤/٢ و٣٥) .

وكان القاضي محمّد بن الخصيب ، قاضي مصر (ت ٣٤٨) ، وهو ممدوح المتنبّي ، ممن يمازح في المصافعة (أخبار القضاة للكندي ٥٧٩ و ٥٨٠) .

وكان للصفاعنة أرزاق في الدولة ، ولما وزر أبو الحسن علي بن عيسى في السنة ٣١٤ كان من جملة ما صنعه أن أسقط أرزاق الصفاعنة (الكامل لابن الأثير ١٦٥/٨) .

وسئل القاضي ابن قريعة ، عن حدّ القفا ، فقال للسائل : هو ما اشتمل عليه جرّبانك ، وشرطك فيه حجّامك ، وداعبك فيه إخوانك ، وباسطك فيه غلمانك ، وأدّبك فيه سلطانك (اليتيمة ٢٣٨/٢ وتاريخ بغداد للخطيب ٣٢٠/٢) .

وداعب ابن المرزبان ، أبا العيناء ، فقال له : لم لبست جبّاعة ؟ فقال : وما الجبّاعة ؟ قال : التي بين الجبّة والدرّاعة ، فقال : ولم أنت صفديم ؟ قال : وما صفديم ؟ قال : الذي هو بين الصفعان والنديم (الملح للحصري ١٨٣) .

وكان حذّاء ماجن بباب الطاق (اسمها الآن الصرافيّة) يسمّي النعال ، بأسماء من جنس الصفعة ، فنعل راسكية ، ونعل صعلكية ، ونعل قفوية (القصّة ٩٨/٢ من نشوار المحاضرة) .

وأفرد ابن النديم في الفهرست ص ١٥٧ بحثاً في أخبار الصفادمة والصفاعنة ، كما ذكر أنّ الكتنجي ألّف كتاباً سماه : كتاب الصفاعنة (الفهرست ١٧٠) .

والأصل في الصفع أن يحصل ، بالكفّ على القفا ، وربما حصل بجراب فارغ أو محشوّ (مروج الذهب ٥٠٩/٢ - ٥١١) ، وقد يحصل بالنعال (وفيات الأعيان ٤٥٥/٤) ، أو بقشور القرع (اليتيمة ٣٤٠/٢) ، أو بقشور البطيخ الأحمر المسمّى في بغداد بالرقّي ، نسبة إلى الرقّة (راجع سبب هذه التسمية في حاشية القصّة ٢٦٨ من هذا الكتاب) ، ولا يوجد الآن ببغداد من يمارس هذا اللون من المباسطة السمجة ، وقد أدركت بعض باعة الرقّي الأحداث كانوا يتصافعون بقشور الرقّي المقوّ (فصيحة ، والبغداديون يلفظون قافها كافاً فارسيّة) .

وممن أحسن في الإشارة إلى المصافعة ، ابن الحلاوي الموصلي (ت ٦٥٦) قال : [الوافي بالوفيات ١٠٨/٨]

فطبّ طربطبّ فـــوق راسـي ... وطـاق طرطـاق في قـذالي

وقال الشاعر الأندلسي ، أبو عبد الله بن الأزرق : [نفح الطيب ٢٢٩/٣]

أفـدي صديقـاً كـان لي ... بنفســه يســعدني
فـربّمـا أصفعـــه ... وربّمـــا يصفعـــني
طَقْطَـقِ طَـقْ طَقْطَـقِ طَـقْ ... أصـــخ بســـمع الأذن

ولأبن الحجّاج شعر كثير في المصافعة ، أورد بعضه صاحب اليتيمة ٨٦/٣ – ٨٨ ، وللأحنف العكبري في المصافعة (اليتيمة ٧٠٤/٣) ؛

لقــد بتّ بماخــــــــور عــلى دفّ وطنبـــــــــور
وصوت الطبـل كردم طــع وصــوت النـــاي طلّـــير
فصرنـــــــا من حمى البيــت كأنّـــــــا وسط تنّـــور
وصرنــا مــن أذى الصفـــع كمثــــل العمــي والعـــور

وممّن أحسن في وصف الصفع ، جمال الدين بن شيث ، المتوفي سنة ٦٢٥ وقد أورد له صاحب فوات الوفيات ٣١٣/٢ أبياتاً ، اخترت منها هذين البيتين :

وتخـــالفت بيض الأكــفّ كأنّها الـ ـتصفيق عنــد مجــامع الأعراس
وتطابقت سـود الخفـاف كأنّهـــا وقـع المطـارق في يـد النحّــاس

ولأبي الرقعمق ، أبي حامد أحمد بن محمّد الانطاكي ، مقطوعات في المصافعة ، راجعها في يتيمة الدهر للثعالبي ٣٣٤/١ – ٣٤٠ .

ولزيادة التفصيل ، راجع كتاب الغيث المسجم للصفدي ٢٠٣/١ – ٢٠٥ وكتاب محاضرات الأدباء للراغب الأصبهاني ٦٩٩/٢ و ٧٠٠ .

٣٠٥

السبب في خلع المقتدر

الخلع الثاني ، وعودته إلى الحكم

ذكر أصحاب التواريخ ، ومصنّفو الكتب ، وأبو الحسن علي بن الفتح الكاتب المعروف بالمطوّق[١] ، على ما أخبرني به [أحمد بن يوسف بن يعقوب التنوخي عنه][٢] في كتابه « مناقب الوزراء ومحاسن أخبارهم » ، وما شاهده أحمد بن يوسف[٣] من ذلك ، وجماعة حدّثوني به ، ممّن شاهَدَ الحال ، منهم أيّوب بن العبّاس بن الحسن[٤] ، وعليّ[٥] ، والقاسم ، ابنا هشام بن عبد الله الكاتب[٦] ، وأبو الحسين بن عياش الخرزي[٧] ، خليفة أبي رحمه الله على الحكم بسوق الأهواز ، ومن لا أحصي من شيوخنا كثرة ، بالسبب في خلع المقتدر عن الخلافة ، الخلع الثاني ، بعبارات مختلفة ، معنى جميعها أنّ الجيش كلّه ، الفرسان ، والرّجالة ، شغبوا يطلبون الزيادات ، ويتبسّطون في التماس المحالات ، وملّوا أيّام المقتدر وبغوا عليه بأشياء[٨] .

---

١ أبو الحسن علي بن الفتح الكاتب ، المعروف بالمطوّق : ترجمته في حاشية القصّة ١٩٣ من الكتاب .

٢ الزيادة من م .

٣ أبو الحسن أحمد بن يوسف الأزرق الأنباري الكاتب : ترجمته في حاشية القصّة ٧٦ من الكتاب .

٤ أيّوب بن العبّاس بن الحسن الجرجرائي : كان أبوه ، أبو أحمد العبّاس بن الحسن وزير المكتفي والمقتدر ، وقتل في السنة ٢٩٦ ، وقد ذكر التنّوخي أنّه واجه أيّوب في السنة ٣٥٠ بالأهواز ونقل عنه بعض القصص .

٥ أبو الحسين عليّ بن هشام بن عبد الله الكاتب ، المعروف بابن أبي قيراط : ترجمته في حاشية القصّة ٦٦ من الكتاب .

٦ أبو القاسم هشام بن عبد الله الكاتب ، المعروف بأبي قيراط : ترجمته في حاشية القصّة ١١٧ من الكتاب .

٧ أبو الحسين عبد الله بن أحمد بن الحارث بن عياش الخرزي (الجوهري) البغداديّ : ترجمته في حاشية القصّة ١٧٩ من الكتاب .

٨ راجع في القصّة ١٥٤/١ من كتاب نشوار المحاضرة للقاضي التنّوخي ما قاله المقتدر للقاضي أبي طالب =

واتّفق أنّ سائساً لهارون بن غريب الخال[9] ، علق بغلام [١٥٩ م] في الطريق ، للفساد ، فرفع إلى أبي الجود[10] ، خليفة عجيب[11] ، غلام نازوك[12] ، على مجلس الجسر بالجانب الغربي[13] ، فجاء غلمان هارون يخلّصونه ومانعوهم ، إلى أن لحقه بعض أصحاب نازوك [١٩٤ ظ] فصارت بينهم حرب ، وانتهت

= التنوخي ، حول كَلَب غلمانه عليه ، ومطالبتهم إيّاه بالأموال .

٩ هارون بن غريب الخال : هو ، وأبوه غريب ، خال المقتدر ، من قوّاد الدّولة العبّاسيّة . وكان هارون مسيطراً على الدولة في أيّام المقتدر . يشترك في ترشيح الوزراء (تجارب الأمم ١/١٢٧) ونصب العمّال (١/٢٢٨) وكان له دور في قمع ثورة العامّة ببغداد في وزارة حامد بن العبّاس للمقتدر (١/٧٣ و ٧٤) وكان من خصوم الوزير ابن الفرات ، ومن أنصار الوزير علي بن عيسى (١/١١٢ . ١٨٥) ولما أنيطت به مناظرة ابن الفرات عند عزله ، ضربه خمس درر (١/١٣٥) وضرب ولده المحسّن على رأسه بالدبابيس . وقيّده ، وغلّه (١/١٣٣) . واشترك في دفع أبي طاهر القرمطي عن العراق لما هاجمه في السنة ٣١٥ (١/١٨٠) ثم خاصم القائد نازوك (١/١٨٧) ثم خاصم مؤنس المظفّر (١/١٨٨) فأصرّ القوّاد على أن يبرح هارون بغداد ، فقلّده المقتدر الثغور الشاميّة والجزيرة . ولكنّ هارون بارح بغداد ، وأقام بقطربّل (١/١٩٢) فكان ذلك من أسباب خلع المقتدر ومبايعة القاهر (١/١٨٩—٢٠٠) ، ولما أعيد المقتدر للخلافة ، أخرج هارون إلى الجبل ، لمحاربة مرداويج (١/٢١٣) ثم عاد إلى بغداد ، فاستوحش مؤنس مجدّداً (١/٢٢٢) وأصعد إلى الموصل ، ثم كرّ راجعاً ، وحارب المقتدر ، وقتله (١/٢٣٤—٢٣٦) ولما قتل المقتدر ، انحدر هارون إلى واسط ، حيث راسل الحضرة ، وقلّد أعمال المعاون بالكوفة (١/١٥٣—١٥٤) ، ولما ولي الراضي ، أراد هارون أن يعود إلى الحضرة (١/٣٠٦) وسار متوجّهاً إليها ، وكان الراضي يكرهه (١/٣٠٧) فطلب منه أن يعود إلى موضعه ، فأبى (١/٣٠٨) فجرّد إليه جيشاً حاربه ، وقتل هارون في المعركة سنة ٣٢٣ (تجارب الأمم ١/٣٠٩) .

١٠ أبو الجود خليفة عجيب غلام نازوك صاحب شرطة بغداد : ترجمته في حاشية القصّة ٧٦ من الكتاب .

١١ عجيب غلام نازوك القائد التركي صاحب شرطة بغداد : ترجمته في حاشية القصّة ٧٦ من هذا الكتاب .

١٢ أبو منصور نازوك ، صاحب شرطة بغداد : ترجمته في حاشية القصّة ٧٦ من هذا الكتاب .

١٣ صاحب الشرطة ، هو صاحب الجسر (تاريخ بغداد لابن طيفور ص ٩٩ سطر ١٠ و ١١) وكان له مجلس على رأس الجسر في الجانب الغربي ، يعرض فيه أرباب الجنايات ويعاقبهم (تاريخ بغداد ٣٧ و٣٨) وكان رسم ولاة الشرطة ، أن يبيتوا في هذا المجلس ، في غرفة من غرفه (الهفوات النادرة ١٩٢) ، ثم أصبح لصاحب الجسر مجلس في الجانب الشرقي أيضاً ، راجع القصّة ٣٩٥ من هذا الكتاب .

الحال إلى قصص يطول شرحها .

إلى أن أطبق الجيش بأسرهم على خلع المقتدر ، فزحفوا إلى داره ، بمواطأة من مؤنس المظفّر[١٤] ، فقبضوا عليه ، وحملوه إلى دار مؤنس[١٥] ، في يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة خلت من المحرّم سنة سبع عشرة وثلاثمائة ، فحبس فيها ، وخلع نفسه ، وأشهد عليه بالخلع .

وكان رأس الفتنة ، والقائم بها ، عبد الله بن حمدان ، أبو الهيجاء[١٦] ، ونازوك المعتضدي ، على مساعدة لهما من مؤنس ، وإطباق من الجيش كلّهم ، وجاءوا بأبي منصور محمّد بن المعتضد بالله[١٧] ، فأجلسوه في دار الخلافة ، وسلّموا عليه بها ، ولقّبوه القاهر بالله ، فقلّد نازوك الحجبة ، مضافاً إلى ما كان إليه من الشرطة ، وجعله صاحب داره .

فلمّا كان في يوم الإثنين لسبع عشرة ليلة خلت منه ، بكّر النّاس إلى دار الخليفة للبيعة ، وجاءت إلى فناء الدار ، ممّا يلي دجلة ، جماعة من الرّجالة ، يطالبون بمال البيعة والزيادة .

فجاء نازوك وأشرف عليهم من الرواق ، ومعه خادم من رؤوس غلمانه يقال له عجيب ، فقال لهم : ما تريدون ؟ نعطيكم ثلاث نوائب . فقالوا : لا ، إلّا أرزاق سنة ، وزيادة دينار ، وزادوا في القول .

فقال لهم : يصعد إليّ منكم جماعة ، أفهم عنهم ، وأكلّمهم ، فصعد إليه جماعة منهم ، من باب الخاصّة ، وتسلّق إلى الرواق جماعة منهم كبيرة ، وثاروا على غير مواطأة ، ولا رأي متقرّر .

---

١٤ مؤنس المظفّر ، القائد التركي : ترجمته في حاشية القصّة ١٦٣ من هذا الكتاب .

١٥ دار مؤنس كانت مجاورة لدار الخلافة ، راجع وصفها في حاشية القصّة ١٦٣ من هذا الكتاب .

١٦ أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان بن حمدون التغلبيّ : ترجمته في حاشية القصّة ١٦٣ من هذا الكتاب .

١٧ أبو منصور محمد بن المعتضد : ترجمته في حاشية القصّة ٧٩ من هذا الكتاب .

فقال لهم نازوك : اخرجوا إلى مجلس الإعطاء ، حتّى نخرج المال إلى الكتّاب ، فيقبضونكم .

فقالوا : لا نقبض إلّا هاهنا ، وهجموا على التسعيني[18] ، يبوّقون[19] ، ويشتمون نازوك .

فمضى نازوك من بين أيديهم ، يريد الممرّ في الطريق الّذي ينفذ إلى دجلة ، وكان قد سدّ آخره [١٦٥ ر] بالأمس ، إحتياطاً لحفظ من في الدار ، وتحرّزاً من هربهم ، فلمّا رآه مسدوداً رجع ، فاستقبله جماعة من الرجّالة يطلبونه .

فوثب عليه رجل أصفر منهم ، فضربه بكلّاب[20] ، وثنّاه آخر يكون في مطبخ أمّ المقتدر ، وله رزق في الرجّالة ، يقال له : سعيد ، ويلقّب : ضفدعاً ، فقتلوه ، وقتلوا عجيباً ، وقالوا : لا نريد إلّا خليفتنا جعفر المقتدر ، وقتل الخدم في الدّار أبا الهيجاء ، واختبأ القاهر في بعض الحجر ، عند بعض الخدم .

وأقبلوا برأس نازوك على رمح قد خرج طرفه من وسط الرأس ، إلى دار مؤنس ، وهم يقولون : مقتدر ، يا منصور .

فطالبوا مؤنساً بالمقتدر ، فخافهم على نفسه ، فأخرجه إليهم ، والمقتدر يستعفي من الخروج ، ويظهر الزهد في الخلافة ، ويظنّ أنّ ما سمعه حيلة على قتله .

إلى أن سمع صياح النّاس : مقتدر ، يا منصور ، وأعلم بقتل نازوك وأبي الهيجاء ، فسكن .

وقعد في طيّاره ، وانحدر إلى داره ، والرجّالة يعدون على الشط بأزائه ، إلى أن خرج من الطيّار ، فالتحقوا به يقبّلون يديه ورجليه ، حتّى دخل داره .

وأحضر جماعة من الهاشميين وغيرهم ، فبايعوه بيعةً ثانيةً ، وظهر ابن

---

١٨ التسعيني : صحن في دار الخلافة ، قريب من مجلس الخليفة ، سمّي التسعيني لأنّ ذرعه تسعون ذراعاً .

١٩ يبوّقون : أي ينفخون في البوق ، والعامي البغداديّ يسمّى البوق : برزان .

مقلة وزيره ، وكان مستتراً تلك الأيّام ، فأقرّه على الوزارة[20]، ودبّر أمره ، وزال عنه ما كان فيه من المحنة والنكبة ، ولم ير خليفة أزيل عن سريره ، وأخرج من دار ملكه ، وأجلس آخر في موضعه ، ولقّب لقباً من ألقاب الخلفاء [١٦٦ ر] ، وتسمّى بأمير المؤمنين ، وأجمع على بيعته أهل المملكة والجيش كلّه ، وعلى خلع الأوّل وحبسه [١٦٠ م] ، ثمّ رجع إلى أمره ، ونهيه ، وملكه ، وداره ، في مدّة خمسة أيّام ، بلا سبب ممهّد ، ولا مواطأة لأحد ، ولا مشاورة ، ولا مراسلة ، إلّا ما اتّفق في أمر المقتدر ، وأخيه القاهر[21] .

---

٢٠ وزر ابن مقلة للمقتدر في السنة ٣١٦ خلفاً لعلي بن عيسى الذي صرف واعتقل عند زيدان القهرمانة في دار الخلافة ، وعلى أثر فتنة القاهر اتهم المقتدر وزيره ابن مقلة بممايلة القائد مؤنس المظفّر ، فاعتقله في السنة ٣١٨ واستوزر سليمان بن الحسن ، للتفصيل راجع تجارب الأمم ١/١٨٥–٢٠٥ .

٢١ كان سبب خلع المقتدر ونصب القاهر ، ان المقتدر استوحش من القائد مؤنس الخادم الذي كان يعترض على تصرّفات الخليفة ، وأفراد العائلة المالكة ، والحاشية في البلاط ، وكان الخليفة يعده بالاصلاح ، وعداً من دون تنفيذ ، فاتّفق مؤنس مع القوّاد وخلعوا المقتدر ، ونصبوا أخاه القاهر ، غير أنّ أفراد الجند ، تحرّكوا على القوّاد ، وعلى الخليفة الجديد ، وهاجموا دار مؤنس ، حيث كان المقتدر معتقلاً ، واخرجوه ، واعادوه إلى الخلافة ، راجع تجارب الأمم ١/١٨٩–١٩٩ .

٣٠٦

خلع الأمين وعودته إلى الحكم

قال مؤلّف هذا الكتاب : وعلى أنّه قد كان جرى على [١٩٥ ظ] محمّد الأمين[١] قريب من هذا ، لما قبض عليه الحسين بن علي بن عيسى بن ماهان[٢] ، وخلعه ، وحبسه[٣] ، وعزم على أن ينفذه إلى المأمون ، ثمّ أنّ الجيش طالبوه بأرزاقهم ، فلم يكن معه ، ما يعجّله لهم ، فوعدهم ، فشغبوا ، ولم يرضوا بالوعد ، واستخرجوا الأمين من حبسه ، فبايعوه ثانياً ، وردّوه ، وهرب الحسين بن علي ، وزالت عن الأمين تلك الشدّة ، والقصّة في ذلك مشهورة ، رواها أصحاب التواريخ ، بما يطول اقتصاصه هنا ، إلّا أنّه لم يجلس على سريره خليفة آخر[٤] .

---

١ أبو عبد الله محمد الأمين بن هارون الرشيد : ترجمته في حاشية القصّة ١٣١ عن الكتاب .

٢ الحسين بن علي بن عيسى بن ماهان : هو وأبوه من قوّاد الدولة العبّاسية ، قتل أبوه في المعركة الّتي خاضها مع جيش المأمون بقيادة طاهر بن الحسين في الريّ سنة ١٩٥ وبعثه الأمين على رأس جيش إلى الرقّة ، وكان واليها عبد الملك بن صالح ، فأقام بالرقّة حتى مات عبد الملك ، فانصرف بجيشه إلى بغداد ، وخلع محمداً الأمين في السنة ١٩٦ ونقله من قصر الخلد ، فحبسه في قصر أبي جعفر ، وتحرّك أهل بغداد وسكّان الأرباض فحاربوا الحسين وأسروه ، وأخرجوا الأمين من الحبس ، وأحضروا الحسين أمامه ، فعاتبه وصفح عنه ، وأناط به قيادة جيش لحرب المأمون ، فلم يلبث أن هرب ، فركب الناس في طلبه ، وأدركوه ، فقتلوه (الطبري ٨/٤١٥ ، ٤٢٦ ، ٤٢٨–٤٣٢) .

٣ راجع تفصيل ذلك في الطبري ج ٨ في أخبار السنة ١٩٦ ، والعيون والحدائق ٣/٣٢٨ .

٤ لم ترد هذه القصّة في غ ، وقد ورد في نسخة ظ في ذيل هذه القصّة : تمّ الجزء الأول من كتاب الفرج بعد الشدّة للتنوخي ، والحمد لله وحده ، وصلواته وسلامه على محمّد خاتم النبيّين ، وعلى الأنبياء أجمعين ، وعباد الله الصالحين أفضل الصلاة والسلام ، والحمد لله ربّ العالمين ، وورد بعدها : قال القاضي أبو علي المحسّن بن القاضي أبي القاسم علي بن محمّد التنوخي رحمه الله تعالى وقد جرت على المقتدر شدّة أخرى ، وفرّج الله عنه ، وورد بعد ذلك : ملك هذا الكتاب المبارك ، وطالعه ، العبد الفقير إلى الله تعالى ماجد بن عبد الوهاب عفا الله عنه ، وغفر لمن نظر فيه ، ودعا له بالمغفرة ، وقال غفر الله له تقدم من ذنبه وما تأخّر ، وللقائل مثله ، كتب في جمادى الآخر سنة سبع وسبعون وسبعمائة ، أحسن الله انقضاءها .

٣٠٧

كيف خلع المقتدر الخلع الأول

قال القاضي أبو علي المحسّن بن القاضي أبي القاسم علي بن محمّد التنوخي رحمه الله تعالى :

وقد جرت على المقتدر بالله شدّة أخرى ، وفرّج الله عنه ، [في قصّة] تشبه قصّة الأمين ، سواء بسواء ، لما أجمع جميع القوّاد والحاشية ، على أن قتلوا العبّاس بن الحسن ، الوزير ، وخلعوا [٢ ن] المقتدر من الخلافة ، الخلع الأوّل ، وبايعوا ابن المعتزّ ، وأحضروه من داره[١] إلى دار سليمان بن وهب ، المرسومة – إذ ذاك – بالوزراء[٢] ، وجلس يأخذ البيعة على القضاة ، والأشراف ، والكافّة ، ويدبّر الأمور ، ووزيره محمّد بن داود ، ابن الجرّاح[٣] ، يكاتب أهل الأطراف ، والعمّال ، والأكناف ، بخبر تقلّدهما ، وقد تلقّب بالمنتصر بالله[٤] ، وخوطب بالخلافة ، وأمره في نهاية القوّة ، وهو على أن يسير إلى دار الخلافة ، فيجلس بها ، ويقبض على المقتدر ، إلاّ أنّه أخّر ذلك ، لتتكامل البيعة ، وتنفذ الكتب ، ويسير من غد .

وكان سوسن حاجب المقتدر[٥] ، والمتولّي لأمور داره ، والغلمان المرسومين بحمايتها ، ممّن وافق ابن المعتز ، ودخل مع القوّاد فيما دخلوا فيه ، وشرط

---

١ كانت دار عبد الله بن المعتزّ على الصراة بالجانب الغربي من بغداد (تجارب الأمم ١/٥) .

٢ يريد بها دار الوزارة بالمخرم (العلوازية) : راجع حاشية القصّة ١٧٩ من الكتاب .

٣ أبو عبد الله محمد بن داود بن الجراح الكاتب : ترجمته في حاشية القصّة ١٧٩ من الكتاب .

٤ في غ : وقد تلقّب بالمنتصف بالله .

٥ سوسن : حاجب المقتدر ، ساهم في مؤامرة ابن المعتزّ ، على أن يقلّد الشرطة إضافة إلى الحجابة ، فلما حجب ابن المعتزّ غيره ، استوحش وعاد إلى نصرة المقتدر ، ثم ظهر أمره للمقتدر ، فقبض عليه ، وقتله من يومه (تجارب الأمم ١/١٢) .

عليه ، أن يُقرَّ على ما إليه ، ويزاد شرطة بغداد .

فلمّا جلس ابن المعتزّ في اليوم الأوّل ، كان المتولّي لإيصال النّاس إليه ، والخادم بحضرته فيما يخدم فيه الحاجب ، أحد الخدم غيره .

فبلغ ذلك سوسناً ، فشقّ عليه ، وتوهّم أنّ ذلك غدرٌ به ، ورجوعٌ عمّا شرط ، وَوُوْقِفَ عليه ، فدعا الخدم ، وغلمان الدار ، إلى نصرة المقتدر ، فأجابوه ، فأغلق الأبواب ، وأخذ أهبة الحرب .

وأصبح ابن المعتز ، في اليوم الثاني من بيعته ، وهو يوم الأحد لسبع[٦] بقين من شهر ربيع الأوّل سنة ستّ وتسعين ومائتين ، عامداً على المسير إلى الدار ، فثبّطه محمّد بن داود ، وعرّفه رجوع رأي سوسن ، عمّا كان وافق عليه .

وصغّر القوّاد ذلك في نفسه ، فلم يتشاغل بتلافيه ، وأشاروا عليه بالركوب إلى دار الخلافة ، وهم لا يشكّون في تمام الأمر ، فركب وهم معه .

وانقلبت العامّة مع المقتدر ، ورموا ابن المعتز بالستر[٧] ، وحاربوه مع شرذمة أنفذهم سوسن لحربه ممّن أطاعه على نصرة المقتدر .

ولمّا شاهد ابن المعتز الصورة ، انهزم ، وهرب ، وانحلّ ذلك الأمر العظيم كلّه ، وتفرّق القوّاد ، وسار بعضهم خارجاً عن بغداد ، ورُوسل باقيهم عن المقتدر ، بالتلافي ، فسكنوا ، وعادوا إلى طاعته [١٦١ م] .

وطُلِبَ ابن المعتزّ ، فوجد[٨] ، وجيءُ به إلى دار الخلافة ، فحبِّس فيها ، ثمّ قتل ، وكانت مدّته منذ ظهر يوم السبت ، إلى قريب من الظهر من يوم الأحد .

---

٦ في ر : لست بقين .

٧ الستر : راجع حاشية القصّة ١٨٩ من هذا الكتاب .

٨ التجأ ابن المعتزّ إلى دار ابن الجصّاص الجوهري ، فنمّ عليه أحد الخدم ، وكبست الدار واستخرج ابن المعتزّ ، وحمل إلى دار السلطان ، وحبس إلى اللّيل ، وقتل ، ولفّ في كساء ، وسلم إلى أهلـه (إبن الأثير ٨/١٦–١٨ ، تجارب الأمم ١/٦–٨) .

وعاد الأمر مستقيماً للمقتدر بالله ، وانفرجت له تلك الشدّة ، عن ثبات الملك له .

وقد شرح هذا أصحاب التواريخ ، بما لا وجه لإعادته ها هنا[9] .

---

9 للاطلاع على تفاصيل ما حصل ، راجع تجارب الأمم ١/١٨٨-٢٠١ والتكملة ٥٨-٦٣ وكتاب الوزراء للصابي ، والمنتظم لابن الجوزي ٦/٢٢١ و ٢٢٢ والكامل لابن الأثير ٨/٢٠٠-٢٠٧ .

٣٠٨

بعث الفضل بن سهل

خدابود لقتال خارجي فجاء برأسه

وذكر عبد الله بن بشر ، قرابة الفضل بن سهل[١] ، قال :

كان الفضل إذا دخل مدينة السلام ، من السيب – موضع قرية[٢] – لحوائجه ، وهو – إذ ذاك – صغير الحال ، نزل على فاميّ بها[٣] ، يقال له : خدابود[٤] ، فيخدمه هو وأهل بيته ، ويقضي حوائجه إلى أن يعود .

وتقضّت الأيّام ، وبلغ الفضل مع المأمون ما بلغ ، بخراسان ، وقضي أنّ الفاميّ ألحّ عليه الزمان [١٦١ غ] بنكبات متّصلة ، حتّى افتقر ، فنهض إلى الفضل [بن سهل .

وقدم مرو ، فبدأ بي ، فسررت به ، وأكرمته ، وأصلحت من شأنه ما يجب أن يصلح لدخوله على الفضل ، وقمت فدخلت إلى الفضل][٥] وقد جلس على مائدته .

فقلت له : أتذكر الشيخ الفاميّ ، الّذي كنّا ننزل عليه ببغداد ؟ .

فقال لي : سبحان الله ، تقول لي تذكره ، وله علينا من الحقوق ما قد

---

١ أبو العبّاس الفضل بن سهل السرخسي ، وزير المأمون : ترجمته في حاشية القصّة ٥٥ من الكتاب .

٢ السيب : هما سيبان ، الأعلى ، والأسفل ، عند قصر ابن هبيرة الذي هو بالقرب من سورا ، وسورا من أرض بابل (معجم البلدان ٨٤/٣ و ٢٠٨ و ١٢٣/٤) .

٣ الفاميّ : بائع الفواكه اليابسة ، وقد يطلق على البقّال (اللباب ١٩٥/٢) وقد يكون من أهل فامية ، قرية من قرى واسط بناحية فم الصلح ، أهلها نبط (معجم البلدان ٨٤٦/٣) .

٤ خدابوذ : فارسية ، معناها : الله موجود .

٥ هذه الجملة ساقطة من م .

علمت ؟ فكيف ذكرته ؟ أظنّ إنساناً أخبرك بموته .

فقلت : هوذا في منزلي .

فاستطير فرحاً ، وقال : هاته السّاعة ، ثمّ رفع يده ، وقال : لا آكل أو يجيئ .

فقمت ، وجئت به ، فحين قرب منه ، تطاول له[6] ، وأجلسه بين يديه ، فيما بيني وبينه ، وأقبل عليه ، وقال : يا هذا ، ما حبسك عنّا طول هذه المدّة ؟ .

فقال : محن عاقتني ، ونكبات أصابتني .

فاقبل يسائله عن واحدة واحدة من بناته وأهله .

فقال له : لم يبق لي بعدك ولدٌ ، ولا أهل ، ولا مال إلّا تلف ، وما تحمّلت إليك ، إلّا من قرض ومسألة ، فكاد الفضل يبكي .

فلمّا استتمّ غداءه ، أمر له بثياب فاخرة ، ومركوب ، ومال لنفقته ، وأن يدفع إليه منزل ، وأثاث ، واعتذر إليه ، ووعده النظر في أمره .

فلمّا كان من غد ، حضر عنده وكلاء تجّار بغداد ، وكانوا قد قدموا عليه ، يبتغون بيع غلّات السواد منه ، وأعطوه عطايا لم يجب إليها .

فأحضرني ، وقال : قد علمتَ ما دارٍ بيني وبين هؤلاء ، فاخرج إليهم ، وأعلمهم أنّي قد أنفذت البيع لهم ، بما التمسوا ، على أن يجعلوا لخدابود معهم الربع .

ففعلت ذلك ، وأجاب التجّار ، وفرحوا بما تسهّل لهم .

ثمّ قال لخدابود : إنّهم سيهوّلون عليك بكثرة المؤن ، ويبذلون لك مائة ألف درهم على أن تخرج من الشركة ، فاحذر أن تفعل ، ولا تخرج باقلّ من خمسين ألف دينار .

ثمّ قال : اخرج معه ، وتوسّط فيما بينهم وبينه [١٦٧ ر] ، ففعلت ذلك ،

---

٦ تطاول له : همّ بالقيام له .

ولم أقنع حتّى قدّم التجّار لخدابود خمسين ألف دينار ، ودخل ، فعرّف الفضل ما جرى ، وشكره ، وأقام معنا مدّة .

ثمّ دخل إليه يوماً ، والفضل مغموم مفكّر ، فقال له : أيّها الأمير ما الّذي قد بلغ بك إلى ما أرى من الفكر والغمّ ؟

قال : أمر لا أحسب لك فيه عملاً يا خدابود .

قال : فأخبرني به ، فإن كان عندي فيه ما يفرّجه عنك ، وإلّا ففي الشكوى راحة .

فقال له الفضل : إنّ خارجيًّا قد خرج علينا ببعض كور خراسان ، ونحن على إضاقة من المال ، وأكثر عساكرنا قد جرّدوا إلى بغداد ، والخارجيّ يقوى في كلّ يوم [١٦٢ م] وأنا مرتبك في هذا الأمر .

فقال : أيّها الأمير ، ما ظننت الأمر ، إلّا أصعب من هذا ، وما هذا حتّى تفكّر فيه ؟ أنت قد فتحت العراق ، وقتلت المخلوع ، وأزلت مثل تلك الدولة ، وتهتمّ بهذا اللصّ الّذي لا مادّة له ؟ أنفذني إليه أيّها الأمير ، فإن أتيتك به ، أو برأسه ، بإقبالك ، فهو الذي تريد ، وإن قُتِلْتُ ، لم تنثلم الدولة بفقدي ، على أنّي أعلم أنّ بختك[٧] لا يخطئ في هذا المقدار اليسير .

قال : ففكّر [١٦٢ غ] الفضل ساعة ، ثمّ التفت إليّ ، فقال : لعلّ الله يريد أن يعرّفنا قدرته بخدابود .

ثمّ لفّق رجالاً ، واحتال مالاً ، ففرّقه عليهم ، وخلع على خدابود ، وقلّده حرب الخارجيّ ، والبلد الّذي هو فيه .

فسار خدابود بالعسكر ، [٣ ن] فلمّا شارف عسكر الخارجيّ ، جمع وجوه عسكره وقال لهم : إنّي لست من أهل الحرب ، وأعوّل على نصرة الله تعالى لخليفته على العباد ، وعلى إقبال الأمير ، وليس هذا الخارجيّ من أهل

---

٧ في م : نجمك .

المدد ، وإنّما هو لصّ لا شوكة له ، فاعملوا عمل واثق بالظفر ، ولا تقنعوا بدون الوصول إليه ، ولكم إن جئتم به ، أو برأسه ، كذا وكذا .

قال : فحملوا ، وحقّقوا ، فانجلت الحرب عن الخارجيّ قتيلاً ، فاحتزّ رأسه .

وكتب خدابود إلى الفضل : لستُ ممّن يحسن كتب الفتوح ، ولا غيرها ، ولكنّ الله جلّت عظمته قد أظفرنا بالخارجيّ ، وحصل رأسه معي ، وتفرّق أصحابه ، وأنا أستخلف على الناحية ، وأسير برأسه .

قال : وتلا الكتاب مجيءُ خدابود بالرأس ، فعجبنا ممّا تمّ له ، وعلت حاله مع الفضل[٨] .

٨ لم ترد هذه القصّة في ه .

٣٠٩
موت زياد يفرّج عن ابن أبي ليلى

وذكر أبو الحسن المدائني ، في كتابه « كتاب الفرج بعد الشدّة والضيقة » [عن محمّد بن الحجاج][1] ، عن عبد الملك بن عمير[2] ، قال :

كتب معاوية[3] ، إلى زياد[4] : إنّه قد تلجلج في صدري شئ من أمر حجر ابن عديّ[5] ، فابعث لي رجلاً من أهل المصر[6] ، له فضل ، ودين ، وعلم ،

فدعا عبد الرّحمن بن أبي ليلى[7] ، فقال له : إنّ أمير المؤمنين كتب إليّ يأمرني أن أوجّه إليه رجلاً من أهل المصر ، له دين وفضل وعلم ، ليسأله عن حجر بن عديّ ، فكنتَ عندي ذلك الرّجل ، فإيّاك أن تقبّح له رأيه في حجر ، فأقتلك ،

---

١ لا توجد في غ .

٢ عبد الملك بن عمير بن سويد اللخمي الفرسي : ذكره صاحب اللباب ٢/٢٠٦ وقال : إنّه كوفيّ توفّي سنة ١٣٦ ، وانّه لقب بالفرسي ، نسبة إلى فرس له اسمه القبطي .

٣ أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أميّة : راجع ترجمته في آخر القصّة .

٤ زياد بن أبيه : ترجمته في حاشية القصّة ٩٣ من الكتاب .

٥ حجر بن عديّ بن جبلة الكندي : صحابيّ ، شجاع ، من المقدّمين ، يقال له : حجر الخير ، وفد على رسول الله صلوات الله عليه ، وشهد حرب القادسيّة ، وكان من أصحاب عليّ ، شهد معه حرب الجمل ، وحرب صفّين ، وأقام بالكوفة (الأعلام ٢/١٧٦) ولما قدم زياد بن أبيه ، والياً على الكوفة ، كان إذا شتم عليًّا ، ردّ عليه حجر ، فاضطغنها عليه ، وبعث به وبجماعة من أصحابه إلى معاوية ، فأمرهم معاوية أن يلعنوا عليًّا ، وأن يبرأوا منه ، فأبوا ، فأمر فحفرت قبورهم ، ونشرت أكفانهم أمامهم ، وهم أحياء ، ثم قتلهم ببرج عذراء قرب دمشق في السنة ٥١ (ابن الأثير ٣/٤٨٥) .

٦ في م : من أهل البصرة .

٧ أبو علي عبد الرحمن بن أبي ليلى يسار بن بلال الأنصاري (١٧–٨٣) : ولد لست سنين بقين من خلافة عمر ، وأقام بالكوفة ، وشهد حرب الخوارج مع علي ، وحارب الحجاج مع ابن الأشعث ، فقتل في موقعة دير الجماجم سنة ٨٣ (تاريخ بغداد للخطيب ١٠/١٩٩–٢٠٢) .

وأمر له بألفي درهم ، وكساه حلّتين ، وحمله على راحلتين .

قال عبد الرّحمن : فسرت ، وما في الأرض خطوة ، أشدّ عليّ ، من خطوة تدنيني إلى معاوية .

فقدمت بابه ، فاستأذنت ، فأذن لي ، فدخلتُ ، فسألني عن سفري ، ومن خلّفت من أهل المصر ، وعن خبر العامّة والخاصّة .

ثمّ قال لي : انطلق فضع ثياب سفرك ، والبس الثياب الّتي لحضرك ، وعد .

فانصرفت إلى منزلي ، ثمّ رجعت إليه ، فذكر حُجْراً ، ثمّ قال : أما والله ، لقد تلجلج في صدري منه شيءٌ ، ووددت أنّي لم أكن قتلته .

قلت : وأنا والله يا معاوية ، وددت أنّك لم تقتله ، فبكى .

فقلت : والله ، لوددت أنّك حبسته .

فقال لي : وددت أنّي كنتِ فرّقتهم في كور الشام ، فتكفينيهم الطواعين .

قلت : وددت ذلك .

فقال لي : كم أعطاك زياد ؟

قلت : ألفين ، وكساني حلّتين ، وحملني على راحلتين .

قال : فلك مثل ما أعطاك ، أخرج إلى بلدك .

فخرجت وما في [١٦٣ م ١٦٨ ر] الأرض شيءٌ أشدّ عليّ من أمر يدنيني من زياد ، مخافة منه .

فقلت : آتي اليمن ، ثمّ فكّرت ، فقلت : لا أخفى بها .

فأجمعت على أن آتي بعض عجائز الحيّ ، فأتوارى عندها ، إلى أن يأتي الله بالفرج من عنده .

قال : وقدمت الكوفة ، فأمرّ بجهينة الظاهرة[8] ، حين طلع الفجر ، ومؤذّنهم يؤذّن .

---

٨ جهينة الظاهرة : محلّة لقبيلة جهينة في ظاهر الكوفة ، تقابلها جهينة الباطنة ، محلّة أخرى لجهينة في باطن الكوفة .

فقلت : لو صلّيت ، فنزلت ، فصرت في المسجد ، حتّى [١٦٣ غ] أقام المؤذّن .

فلمّا قضينا الصلاة ، إذا رجل في مؤخّر الصف ، يقول : هل علمتم ما حدث البارحة ؟

قالوا : وما حدث ؟

قال : مات الأمير زياد .

قال : فما سررت بشيءٍ ، كسروري بذلك[٩] .

٩ لم ترد هذه القصة في هـ .

معاوية بن أبي سفيان

أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أميّة (٢٠ ق - ٦٠) : مؤسس الدولة الأمويّة بالشام ، وأحد دهاة العرب المتميّزين الكبار ، حكم الشام حكماً مستمراً ، دام ما يزيد على الأربعين سنة ، قضى بعضها (١٨ - ٣٥) أميراً ، وقضى الباقي متغلّباً . ولاّه على الشام الخليفة عمر ، ولما ولي عثمان جمع له الديار الشامية كلّها ، ولما ولي علي عزله ، فخرج على عليّ بحجّة المطالبة بدم عثمان (الأعلام ١٧٢/٨) حتى إذا قتل عليّ ، وتمكن من السيطرة ترك المطالبة بدم عثمان (البصائر والذخائر ٥٨٦/٢) .

وهو أوّل من لعن المسلمين على المنابر (العقد الفريد ٣٦٦/٤ و٩١/٥) وأوّل من حبس النساء بجرائر الرجال ، إذ طلب عمرو بن الحمق الخزاعي ، لموالاته علياً ، وحبس امرأته بدمشق ، حتى إذا قطع عنقه ، بعث بالرأس إلى امرأته وهي في السجن ، وأمر الحرسي أن يطرح الرأس في حجرها (بلاغات النساء ٦٤ واليعقوبي ٢٣٢/٢ والديارات ١٧٩ و١٨٠) .

وكان يفرض على الناس لعن عليّ والبراءة منه ، ومن أبى ، قتله ، أو بعث به إلى عامله زياد ليدفنه حيّاً (العقد الفريد ٢٣٤/٣ و٣٤/٤ والأغاني ١٥٠/١٨ وابن الأثير ٤٨٥/٣ والأغاني ١٥٣/١٧) .

وهو أوّل من سخّر الناس ، واستصفى أموالهم ، وأخذها لنفسه (اليعقوبي ٢٣٢/٢) وهو أوّل من حبس على معارضيه أعطياتهم (أدب الكتاب للصولي ٢٢٤/٢) محتجاً بأنّ العطاء ينزل من خزائن الله ، فقال له الأحنف : إنّا لا نلومك على ما في خزائن الله ، ولكن على ما أنزله الله من خزائنه ، فجعلته في خزائنك ، وحلت بيننا وبينه (البصائر والذخائر م ٢ ق ٢ ص ٦٨٩) .

وقيل لشريك بن عبد الله ، إنّ معاوية كان حليماً ، فقال : كلا ، لو كان حليماً ما سفّه الحق ولا قاتل علياً (كتاب الآداب لجعفر ٢٢ و٢٣) .

وروى ابن الجوزي ، عن الحسن البصري ، انّه قال : أربع خصال كنّ في معاوية ، لو لم تكن فيه إلاّ واحدة ، لكانت موبقة ، وهي : أخذه الخلافة بالسيف ، من غير مشاورة ، وفي الناس بقايا الصحابة ، وذوو الفضيلة ، واستخلافه ابنه يزيد ، وكان سكّيراً خمّيراً ، يلبس الحرير ، ويضرب بالطنابير ، وادّعاؤه زياد أخاً ، وقد قال رسول الله صلى

الله عليه وسلّم : الولد للفراش ، وللعاهر الحجر ، وقتله حجر بن عديّ وأصحابه ، فيا ويلاً له من حجر ، وأصحاب حجر (خزانة الأدب للبغدادي ٥١٨/٢ و ٥١٩) .

وقال نيكلسون : اعتبر المسلمون انتصار بني أميّة ، وعلى رأسهم معاوية ، انتصاراً للأرستقراطية الوثنية ، التي ناصبت الرسول وأصحابه العداء ، والتي جاهدها رسول الله حتى قضى عليها ، وصبر معه المسلمون على جهادها ومقاومتها حتى نصرهم الله ، فقضوا عليها . وأقاموا على أنقاضها دعائم الإسلام ، لذلك ، لا ندهش إذا كره المسلمون بني أميّة ، وغطرستهم ، لا سيّما أنّ جمهور المسلمين كانوا يرون بين الأمويين رجالاً كثيرين ، لم يعتنقوا الإسلام إلاّ سعياً وراء مصالحهم الشخصيّة ، ولا غرو ، فقد كان معاوية يرمي إلى جعل الخلافة ملكاً كسرويّاً ، وليس أدلّ على ذلك من قوله : أنا أوّل الملوك (تاريخ الإسلام ٢٧٨/١ و ٢٧٩) .

وكان مصروف الهمّة إلى تدبير أمر الدنيا ، يهون عليه كلّ شيء إذا انتظم أمر الملك (الفخري ١٠٧) ولما استولى على الملك ، استبدّ على جميع المسلمين ، وقلب الخلافة ملكاً (رسائل الجاحظ ١٤ – ١٦) وكان يقول : إنّا لا نحول بين الناس وألسنتهم ، ما لم يحولوا بيننا وبين السلطان (محاضرات الأدباء ٢٢٦/١) .

وختم معاوية أعماله ، بإرادته أن يظهر العهد ليزيد ، فقال لأهل الشام : إنّ أمير المؤمنين قد كبرت سنّه ، ورقّ جلده ، ودقّ عظمه ، واقترب أجله ويريد أن يستخلف عليكم ، فمن ترون ؟ فقالوا : عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، فسكت وأضمرها ، ودسّ ابن أثال الطبيب إلى عبد الرحمن ، فسقاه سمّاً ، فمات (الأغاني ١٩٧/١٦) .

ثم فرض ولده يزيد على الناس فرضاً ، وحملهم على بيعته قسراً ، وأوعز إلى رجل من الأزد ، اسمه يزيد بن المقفّع ، فقام خطيباً وقال : أمير المؤمنين هذا (وأشار إلى معاوية) ، فإذا مات فهذا (وأشار إلى يزيد) ، ومن أبى فهذا (وأشار إلى السيف) ، فقال له معاوية : أقعد ، فأنت سيّد الخطباء (العقد الفريد ٣٧٠/٤ ومروج الذهب ٢١/٢) .

إقرأ بعض أخبار معاوية في تاريخ اليعقوبي ٢١٧/٢ وفي الامتاع والمؤانسة ٧٥/٢ و١٧٨/٣ وفي محاضرات الأدباء ٣٥٣/١ وفي كتاب التاج للجاحظ ٢٠٥ وفي المحاسن والمساوئ ١٤٨/٢ وفي البيان والتبيين للجاحظ ٨٧/٢ و ١١٠ و١٣٣/٤ وفي الأغاني ١٨٩/٤ و ٢٦٦/٦ و ١٦٨/١٥ ، ١٩٧ و١٩٨ ، و١٤٤/١٧ وفي وفيات الأعيان ١٦٩/٢ وفي الفخري ١٠٦–١١٠ وفي البصائر والذخائر م ٢ ق ٢ ص ٦٧١ و ٧٠٢ وفي نفح الطيب ٥٤٢/٢ وفي خزانة الأدب للبغدادي ٥١٨/٢ و ٥١٩ .

٣١٠

خرج يريد خالداً القسري

فأعطاه الحكَم فأغناه

وقد أخبرني علي بن دبيس ، عن الخزاعي المدائني ، [عن أبي عمر الزاهد] وقد لقيت أبا عمر ، وحملت منه شيئاً من علومه ورواياته ، وأجاز لي كل ما صحّ منها ، فدخل هذا في إجازته[١] .

وحدّثنا أحمد بن عبد الله بن أحمد الورّاق ، في كتاب نسب قريش ، قال : حدّثنا أحمد بن سليمان الطوسي ، قال : حدّثنا الزبير بن بكّار ، قال : أخبرني عمّي مصعب ، عن نوفل بن عمارة :

أنّ رجلاً من قريش ، من بني أميّة ، له قدر وخطر ، لحقه دين ، وكان له مال من نخل وزرع ، فخاف أن يباع عليه ، فشخص من المدينة يريد الكوفة ، يقصد خالد بن عبد الله القسري[٢] ، وكان والياً لهشام بن عبد الملك على العراق[٣] ، وكان يبرّ من قدم عليه من قريش .

فخرج الرجل يريده ، وأعدّ له من طرف المدينة[٤] ، حتّى قدم فيد[٥] ، فأصبح بها .

فرأى فسطاطاً ، عنده جماعة ، فسأل عنه ، فقيل : للحكم بن عبد المطلب ،

---

١ في ن : وأخبرنا بهذا الخبر محمد بن الحسن بن المظفّر ، قال : أخبرني أبو عمر محمد بن عبد الواحد ، قال : أخبرني علي بن [بياض بالأصل] الكاتب ، قلت : لقيت أبا عمر وحملت منه شيئاً من علومه ...الخ

٢ أبو الهيثم خالد بن عبد الله القسري ، أمير العراقين : ترجمته في حاشية القصّة ١٩١ من الكتاب .

٣ ولي خالد القسري العراقين سنة ١٠٥ وعزل عنها سنة ١٢٠ (الأعلام ٢/٢٣٨) .

٤ الطُرَفُ ، ومفردها : طُرْفَة : المستحدث المعجب (أساس البلاغة ٢/٦٨) .

٥ فيد : أحد منازل الحاج بين الكوفة ومكّة ، وهي نصف الطريق ، كثيرة الأهل ، فيها قناة يزرع عليها ، وفيها ينزل عامل الطريق ، وفيها مسجد جامع (معجم البلدان ٣/٩٣٧ والاعلاق النفيسة ١٧٦) .

يعني أبا عبد الله بن عبد المطلب بن حنظلة بن الحارث بن عبيد بن عمرو بن مخزوم ، وكان يلي المشاعر[6] ، فلبس نعليه ، وخرج حتّى دخل عليه .

فلمّا رآه ، قام إليه فتلقّاه ، وسلّم عليه وأجلسه في صدر فراشه ، ثمّ سأله عن مخرجه ، فأخبره بدينه ، وما أراد من إتيان خالد بن عبد الله .

فقال الحكم : انطلق بنا إلى منزلك ، فلو علمتُ بمقدمك لسبقتك إلى إتيانك ، فمضى معه ، حتّى أتى منزله ، فرأى الهدايا الّتي أعدّها لخالد ، فتحدّث ساعة معه .

ثمّ قال : إنّ منزلنا أحضر عدّة ، وأنتم مسافرون ، ونحن مقيمون ، فأقسمت عليك إلّا قمت معي إلى المنزل ، وجعلت لنا من هذه الهدايا نصيباً .

فقام الرّجل معه ، وقال : خذ منها ما أحببت ، فأمر بها ، فحملت كلّها إلى منزله ، وجعل الرّجل يستحي أن يمنعه شيئاً ، حتّى صار إلى المنزل .

فدعا بالغداء ، وأمر بالهدايا ، ففتحت ، فأكل منها ، ومن حضره ، ثمّ أمر ببقيّتها فرفعت إلى خزانته ، وقام النّاس .

ثمّ أقبل على الرّجل ، وقال له : أنا أولى بك من خالد ، وأقرب منه رحماً ومنزلاً ، وها هنا مال للغارمين[7] ، أنت أولى النّاس به ، وأقرب ، وليس لأحد عليك فيه منّة ، الّا الله تعالى ، تقضي به دينك، ثمّ دعا له بكيس فيه ثلاثة آلاف دينار ، فدفعت إليه .

ثمّ قال : قد قرّب الله – جلّت عظمته – عليك الخطوة ، فانصرف إلى أهلك مصاحباً ، محفوظاً .

فقام الرّجل من عنده ، يدعو له ويشكره ، ولم يكن له همّة إلّا الرجوع إلى أهله ، وانطلق الحكم يشيّعه .

---

٦ المشاعر : مواضع مناسك الحجّ .

٧ الغارم : الذي أصابه خسر أو ضرر أدى به إلى الحاجة .

ثمّ قال : كأنّي بزوجتك ، قد قالت : أين طرائف العراق[8] ، خزّها[9] ، وبزّها[10] ، وعروضها[11] ، أما كان لنا منها نصيب ؟

ثمّ أخرج صرّة [١٦٤ م] قد كان حملها معه ، فيها خمسمائة دينار ، فقال له : أقسمت عليك ، إلّا جعلت هذه عوضاً عن هدايا العراق ، وانصرف .

وذكر أبو الحسين [٤ ن] القاضي ، هذا الخبر ، في كتابه ، كتاب الفرج بعد الشدّة ، بغير إسناد ، على قريب من هذه العبارة[12] .

---

٨ سمّي العراق عراقاً ، لأنّه سفل عن نجد ، ودنا من البحر ، أخذ الاسم من عراق القربة ، وهو الخرز الذي في أسفلها ، راجع معجم البلدان ٦٢٨/٣ أقول : ما زال البغداديّون ، وسكّان الفرات الأوسط ، يطلقون كلمة العراق على القسم الجنوبي الداني من البحر ، راجع كتاب نشوار المحاضرة للتّنوخي ج ٥ ص ١٧٠ و ٤٤٩ .

٩ الخزّ : ثياب تنسج من صوف وإبريسم ، وبائعة الخزّاز .

١٠ البزّ : الثياب ، وبائعه البزّاز .

١١ العَرْض ، وجمعه عروض : المتاع ، وكل شيء سوى الدراهم والدنانير .

١٢ لا توجد هذه القصّة في ر ولا في غ .

٣١١
لا بارك الله في مال بعد عثمان

وذكر أيضاً في كتابه ، بغير إسناد : أنّ عثمان بن طلحة ، ركبه دين فادح ، مبلغه ألفا دينار ، فأراد الخروج إلى العراق ، لمسألة السلطان قضاءه عنه .

فلمّا عزم على السفر ، اتّصل خبره بأخيه جعفر بن طلحة ، فقال : لا بارك الله في مال بعد عثمان .

فدخل على نسائه ، فجعل يخلع حليهنّ ، حتّى جمع له أكثر من ألفي دينار ، فدفعها إليه .

فقضى دينه ، وأقام[1] .

[1] لم ترد هذه القصّة في هـ .

٣١٢

رفع صوته بالتلبية

فحملت إليه أربعة آلاف دينار

وحدّثنا أحمد بن عبد الله ، في هذا الكتاب ، كتاب نسب قريش ، قال : حدّثنا أحمد بن سليمان ، قال : حدّثنا الزّبير ، قال : حدّثني مفضّل بن غسّان ، عن أبيه ، عن رجل من قريش ، قال :

حجّ محمّد بن المنكدر[1] ، من بني تيم بن مرّة ، قال : وكان معطاءً ، فأعطى حتّى بقي في إزار واحد ، وحجّ معه أصحابه .

فلمّا نزل الروحاء[2] ، أتاه وكيله ، فقال : ما معنا نفقة ، وما بقي معنا درهم .

فرفع محمّد صوته بالتلبية ، فلبّى ، ولبّى أصحابه ، ولبّى النّاس ، وبالماء محمّد بن هشام[3] .

فقال : والله ، إنّي لأظنّ أنّ محمّد بن المنكدر بالماء ، فانظروا .

فنظروا ، وأتوه فقالوا : هو بالماء .

فقال : ما أظنّ معه درهماً ، احملوا إليه أربعة آلاف درهم[4] .

---

١ محمّد بن المنكدر بن عبد الله بن الهدير (بالتصغير) بن عبد العزّى القرشيّ التيمي (٥٤–١٣٠) : من أهل المدينة ، محدّث ، زاهد ، تابعي (الأعلام ٧/٣٣٣) .

٢ الروحاء : موضع يبعد أربعين ميلاً عن المدينة إلى جهة مكّة (مراصد الاطلاع ٢/٦٣٧) .

٣ محمد بن هشام بن إسماعيل المخزوميّ : ولاّه هشام بن عبد الملك إمرة مكّة والطائف سنة ١١٤ ولما ولّي الوليد بن يزيد الخلافة عزله ، واعتقله ، وبعثه وأخاه إبراهيم إلى يوسف بن عمر أمير العراق ، فعذّبهما حتّى ماتا (الأعلام ٧/٣٥٥) .

٤ لم ترد في غ .

٣١٣

يزيد بن عبد الملك بن مروان

يصف عمر بن هبيرة بالرجلة ويولّيه العراق

قال : وذكر أبو الحسين القاضي ، في كتابه ، قال :

نالت عمر بن هبيرة[١] ، إضاقة شديدة ، فاصبح ذلت يوم ، في نهاية الكسل ، وضيق الصدر ، والضجر ممّا هو فيه .

فقال له أهله ومواليه : لو ركبت فلقيت أمير المؤمنين ، فلعلّه – إذا رآك – أن يجري لك شيئاً فيه محبّة ، أو يسألك عن حالك ، فتخبره .

فركب ، فدخل على [يزيد بن] عبد الملك ، فوقف بين يديه ساعة ، وخاطبه .

ثمّ نظر [يزيد بن] عبد الملك إلى وجه عمر ، وقد تغيّر تغيّراً شديداً ، أنكره ، فقال : أتريد الخلاء ؟

قال : لا .

قال : إنّ لك لشأناً .

قال : يا أمير المؤمنين ، أجد بين كتفيّ أذىً لا أدري ما هو .

قال [يزيد بن] عبد الملك : انظروا ما هو .

فنظروا ، فإذا بين كتفيه عقرب ، قد ضربته عدّة ضربات .

فلم يبرح حتّى كتب عهده على العراق ، وجعل [يزيد بن] عبد الملك يصفه بالرجلة ، وشدّة القلب[٢] .

---

١ أبو المثنى عمر بن هبيرة بن سعد بن عديّ الفزاري : ترجمته في حاشية القصّة ١٩١ من هذا الكتاب .

٢ ورد في هذه القصّة ذكر عبد الملك بن مروان على أنّه هو الذي ولّى ابن هبيرة العراق ، وهو سهو من المؤلّف ، فإنّ الذي ولاّه العراق هو يزيد بن عبد الملك وكان ذلك في السنة ١٠٢ وعزله هشام بن عبد الملك في السنة ١٠٥ بخالد القسري راجع الطبري ٦/٦١٥ و ٦١٦ و ٧/٢٦ والأعلام ٥/٢٣٠ .

٣١٤

كان خالد القسري لا يملك إلّا ثوبه

فجاءه الفرج بولاية العراق

وذكر أبو الحسين في كتابه :

أنّ خالد بن عبد الله القسري ، أصابته إضاقة شديدة ، فبينما هو ذات يوم في منزله ، إذ أتاه رسول هشام بن عبد الملك يدعوه لولاية العراق ، فتلوّم[١] ، فاستحثّه الرّسول .

فقال له خالد : رويداً حتّى يجفّ قميصي ، وقد كان غسله قبل موافاة الرّسول ، ولم يكن بقي له غيره .

فقال له الرّسول : يا هذا ، أسرع في الإجابة ، فإنّك تدعى إلى قمصان[٢] كثيرة .

فجاء إلى هشام ، فولّاه العراق[٣] .

---

١ تلوّم في الأمر : تمكّث فيه .

٢ في غ : فإنّك تدعى إلى قمص كثيرة ، والقميص يجمع على أقمصة ، وقمص وقمصان .

٣ لا توجد هذه القصّة في ر .

٣١٥

يهلك ملوكاً ويستخلف آخرين

قال : ومن الأعجوبات ، ما ذكر القاضي أبو الحسين في كتابه ، عن علي بن الهيثم[١] ، قال :

رأيت شيئاً قلّما رئي مثله ، رأيت ثقل[٢] الفضل بن الرّبيع ، على ألف بعير ، [١٦٥ م] ثمّ رأيت ثقله في زنبيل ، ونحن مستترون ، وفيه أدوية لعلّته ، وهو ينقله من موضع إلى موضع .

ورأيت الحسن بن سهل ، وكان مع طريف خادمي في بيت الدهليز ، وثقله في زنبيل ، فيه نعلان ، وقميصان ، وإزار ، وإسطرلاب[٣] ، وما أشبه ذلك ، ثمّ رأيت ثقله على ألف بعير[٤] .

١ علي بن الهيثم : فقيه من المتكلمين في مجلس المأمون (تاريخ بغداد لابن طيفور ١٥ وتجارب الأمم ٤٤٨/٦) وكان وكيل ولد المأمون من سندس (تاريخ بغداد ٣٥) .

٢ الثقل : متاع المسافرين .

٣ الإسطرلاب : آلة رصد لقياس الكواكب .

٤ لا توجد هذه القصّة في ر .

٣١٦

باع من إضاقته لجام دابته في الصباح

وحصلت له عشرون ألف دينار وقت الظهر

قال : وذكر أبو الحسين القاضي في كتابه ، [قال : حدّثنا أبو القاسم ميمون بن موسى][١] قال :

خرج رجل من الكتّاب[٢] في عسكر المعتصم إلى مصر ، يريد التصرّف ، فلم يحظ بشيءٍ ممّا أمّل ، ودخل المعتصم بالله مصر .

قال : فحدّثني بعض المتصرّفين عنه ، قال : نزلت في دار بالقرب منه ، فحدّثني الرّجل بما كنت وقفت على بعضه .

• قال : أصبحتُ ذات [١٦٤ غ] يوم ، وقد نفدت نفقتي ، وتقطّعت ثيابي ، وأنا من الهمّ ، والغمّ ، على ما لا يوصف عظماً .

فقال لي غلامي : يا مولاي ، أيّ شيءٍ نعمل اليوم ؟

فقلت له : خذ لجام الدابّة ، فبعه ، فإنّه محلّى ، وابتع مكانه لجاماً حديداً ، واشتر لنا خبزاً سميذاً[٣] ، وجدياً سميناً ، فقد قرمت إلى أكلهما ، وعجّل ، ولا تدع أن تبتاع فيما تبتاعه كوز نبيذ شيرويّ .

فمضى الغلام ، وجلست أفكّر في أمري ، ومن ألاقي ، وكيف أعمل ، وإذا بباب الدار قد دقّ دقّاً عنيفاً ، حتّى كاد أن يكسر ، وإذا رهج شديد .

---

١ لا توجد في غ .

٢ في ر وغ : من المتصرفين .

٣ الخبز السميذ : المصنوع من الدقيق الأبيض ، والباعة ببغداد الآن ينادون بكلمة : سميط ، بالطاء ، على نوع من الخبز المسمسم ، يتخذ على هيأة الحلقات ، وهذا النداء موروث عن أسلافهم الذين كانوا ينادون على الخبز السميذ .

فقلت لغلام كان واقفاً بين يدي : بادر ، فانظر ما هذا .

فإلى أن يفتح الباب ، كُسِرَ ، وامتلأت الدار بالغلمان الأتراك وغيرهم ، وإذا بأشناس[4] ، وهو حاجب المعتصم ، ومحمّد بن عبد الملك الزيّات[5] ، وهو الوزير ، قد دخلا .

فطرحتُ لهم زلّية[6] ، فجلسا عليها ، وإذا معهما حفّارون .

قال : فلمّا رأيت ذلك ، بادرت فقبّلت أيديهما ، فسألاني عن خبري ، فخبرتهما إيّاه ، وأنّني قد خرجت في جملة أهل العسكر ، طلباً للتصرّف ، وذكرت حالي [١٦٩ ر] وما قد آلت إليه ، فوعداني جميلاً ، والحفّارون يحفرون في وسط الدار ، حتّى ترجّل النهار[7] ، وأنا واقف بين أيديهما ، وربّما حدّثتهما .

فالتفت أشناس إلى محمّد بن عبد الملك فقال : أنا والله جائع .

فقال له محمّد : وانا — والله — كذلك .

فقلت عند ذلك : يا سيديّ ، عند خادمكما شيئ قد اتّخذ له ، فإن أذنتما في إحضاره أحضره .

فقالا : هات .

فقدّمت الجدي ، وما كان ابتيع لنا ، فأكلا ، واستوفيا ، وغسلا أيديهما .

ثمّ قال لي أشناس : عندك شيئ من ذلك الفنّ ؟

قلت : نعم ، فسقيتهما ثلاثة أقداح .

---

٤ أبو جعفر أشناس ، حاجب المعتصم ، القائد التركي : ترجمته في حاشية القصّة ٢٩٦ من الكتاب .

٥ أبو جعفر محمّد بن عبد الملك الزيات وزير المعتصم : ترجمته في حاشية القصّة ٦٦ من الكتاب .

٦ في ر وغ : زيلونة ، في معجم الألفاظ الفارسية ٧٩ : إنّ الكلمة فارسيّة ، زيلو : بمعنى البساط ، والبغداديّون يسمّونها الآن : زوليّة ، ويجمعونها : زوالي .

٧ ترجّل النهار : علا .

وجعل أحدهما يقول للآخر : ظريف ، وما ينبغي لنا أن نضيعه البائس .

فبينما الحال على ذلك ، إذ ارتفع تكبير الحفّارين ، وإذا هم قد كشفوا عن عشرين مرجلاً[8] دنانير ، فوجّهوا بالبشارة إلى المعتصم ، وأخرجت المراجل .

فلمّا نهضا ، قال أحدهما للآخر : فهذا الشقيّ الّذي أكلنا [٥ ن] طعامه ، وشربنا شرابه ، ندعه هكذا ؟

فقال له الآخر : فنعمل ماذا ؟

قال : نحفن له من كلّ مرجل حفنة ، لا تؤثّر فيه ، فنكون قد أغنيناه ، ونصدق أمير المؤمنين عن الحديث .

ثمّ قالا : افتح حجرك ، وجعل كلّ واحد ، يحفن لي حفنة ، من كلّ مرجل ، وأخذا المال ، وانصرفا .

فنظرتُ ، فإذا قد حصل لي عشرون ألف دينار ، فانصرفت بها إلى العراق ، وابتعت بها ضياعاً [١٦٦ م] ولزمت منزلي ، وتركت التصرّف .

---

٨ المرجل ، وجمعه مراجل : القِدْر .

٣١٧

سبحان خالقك يا أبا قلابة

فقد تنوّق في قبح وجهك

وذكر القاضي أبو الحسين في كتابه ، قال : حدّثني أبي ، عن أبي قلابة المحدّث[١] ، قال :

ضقت ضيقة شديدة ، فأصبحت ذات يوم ، والمطر يجيء كأفواه القِرَبِ ، والصبيان يتضوّرون جوعاً ، وما معي حبّة واحدة[٢] فما فوقها ، فبقيت متحيّراً في أمري .

فخرجت ، وجلستُ في دهليزي ، وفتحتُ بابي . وجعلت أفكّر في أمري ، ونفسي تكاد تخرج غمّاً لما ألاقيه ، وليس يسلك [١٦٥ غ] الطريق أحد من شدّة المطر .

فإذا بامرأة نبيلة ، على حمار فاره ، وخادم أسود آخذ بلجام الحمار ، يخوض في الوحل ، فلمّا صار بإزاء داري ، سلّم ، وقال : أين منزل أبي قلابة ؟

فقلت له : هذا منزله . وأنا هو .

فسألتني عن مسألة ، فأفتيتها فيها ، فصادف ذلك ما أحبّت ، فأخرجت

---

١ أبو قلابة عبد الملك بن محمّد بن عبد الملك بن مسلم الرقاشي (١٩٠-٢٧٦) : بصري ، أقام ببغداد . وتوفّي بها ، ترجم له الخطيب في تاريخه ١٠/٤٢٥ وقال عنه : إنّه كان صالحاً خيّراً . صادق اللّهجة . وذكره ابن الأثير في الكامل ٧/٤٣٧ .

٢ في غ : حبّة فضة . وفي مفاتيح العلوم ٤١ و ٤٢ : إنّ الحبّة ، هي ١ من ٣٦ من المثقال ، وقال : إنّ المقادير التي ذكرها تختلف باختلاف البلدان ، أقول : أما الآن فإنّ الحبّة في بغداد هي ١ من ٢٤ من المثقال ، ولذلك فإنّ البغداديّين إذا وصفوا شيئاً بالكمال ، قالوا : إنّه كامل على أربع وعشرين حبّاية (حبّة) .

من خفّها[3] خريطة[4] ، فدفعت إليّ منها ثلاثين ديناراً .

ثمّ قالت : يا أبا قلابة ، سبحان خالقك ، فقد تنوّق في قبح وجهك[5] ، وانصرفَتْ[6] .

---

٣ الخفّ : حذاء يغطّي القدم ويرتفع إلى وسط الساق ، وربما وصل إلى الركبة .

٤ الخريطة : كيس من الجلد أو القماش يشدّ على ما فيه .

٥ كان أبو قلابة قبيح الصورة ، إلى درجة أنّ رستم المخنّث ، قال : أعياني وجه أبي قلابة أن أخرجه في الحكاية (خيال الظل) .

٦ لا توجد هذه القصّة في ر .

٣١٨
المنصور العباسي يتذكر
ما ارتكب من العظائم فيبكي وينتحب

وذكر القاضي أبو الحسين في كتابه ، قال :

دخل عمرو بن عبيد ، على أبي جعفر المنصور قبل دولة بني العبّاس ، وكان صديقه ، وبين يديه طبق عليه رغيف ، وغضارة فيها فضلة سكباج ، وهو يتغدّى ، وقد كاد يفرغ ، فلمّا بصر بعمرو ، قال : يا جارية ، زيدينا من هذا السكباج ، وهاتي خبزاً .

قالت : ليس عندنا خبز ، وما بقي من السكباج شيء .

قال : فارفعي الطبق ، ثمّ قال : ﴿عسى ربّكم أن يهلك عدوّكم ، ويستخلفكم في الأرض ، فينظر كيف تعملون﴾ .

فلمّا أفضى الأمر إلى أبي جعفر ، وارتكب العظائم[1] ، دخل عليه عمرو بن عبيد ، فوعظه ، ثمّ قال : أتذكر يوماً دخلت عليك ... وأعاد الحديث ، وقد استخلفك ، فماذا عملت ؟

فجعل المنصور يبكي وينتحب ، وفيه حديث طويل[2] .

---

١ بشأن عظائم المنصور ، راجع التفصيل في آخر القصّة .

٢ هذه القصّة لم ترد في ر .

ارتكب المنصور فظائع من قتل ، وتعذيب ، ودفن الناس أحياء ، ودقّ الأوتاد في الأعين ، وبناء الحيطان على الأحياء ، وكان يشهد تعذيب من يأمر بتعذيبه ، حتّى أنّه كان يشهد تعذيب النساء أيضاً .

راجع في الفخري ١٦٥ سبب حبس آل الحسن ، وقتلهم ، وقد حبسهم المنصور في سرداب تحت الأرض ، لا يفرّقون فيه بين ضياء النهار ، وسواد اللّيل ، وهدم الحبس على قسم منهم ، وكانوا يتوضّؤون (أي يقضون حاجاتهم) في مواضعهم ، فاشتدّت عليهم الرائحة ، وكان الورم يبدو في أقدامهم فلا يزال يرتفع حتّى يبلغ القلب ، فيموت صاحبه ، ومات إسماعيل بن الحسن ، فتُرِكَ عندهم حتّى جيف ، فصعق داود بن الحسن ، ومات (مروج الذهب ٢٣٦/٢) .

وبلغ المنصور أنّ عبد الله بن محمد النفس الزكيّة ، فرّ منه إلى السند ، فبعث وراءه من قتله (مقاتل الطالبيين ٣١٠–٣١٣) ، وأمر المنصور بمحمد بن إبراهيم بن الحسن ، فبنيت عليه أسطوانة ، وهو حيّ (الفخري ١٦٤ ، ومقاتل الطالبيين ٢٠٠ ، والطبري ٥٤٦/٧ وابن الأثير ٥٢٦/٥) وأمر بعبد الله بن الحسن بن الحسن فطرح عليه بيت فقتله (مقاتل الطالبيين ٢٢٨) أمّا الباقون فما زالوا في الحبس حتّى ماتوا ، وقيل إنّهم وجدوا مسمّرين في الحيطان (اليعقوبي ٣٧٠/٢) .

وأمر المنصور بإبراهيم بن الحسن بن الحسن ، فدفن حياً (مقاتل الطالبيين ٢٢٨) وجرّد محمّد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفّان ، وأمه فاطمة بنت الحسين ، فضرب ألف سوط (مروج الذهب ٢٣٦/٢) وأمر بأن يدقّ وجهه بالجرز ، وهو العمود من الحديد (الطبري ٥٤٣/٧) وبلغ من شدّة الضرب أن أخرج وكأنّه زنجي (مقاتل الطالبين ٢٢٠ وابن الأثير ٥٢٥/٥) وجاءت إحدى الضربات على عينه ، فسالت (مقاتل الطالبيين ٢٢٠ والطبري ٥٤٢/٧) ثم قتله ، وقطع عنقه (مقاتل الطالبيين ٢٢٦) .

ولما حمل رأس محمّد بن عبد الله إلى المنصور ، قال لمطير بن عبد الله : أما تشهد أنّ محمّداً بايعني ؟ فقال : أشهد بالله لقد أخبرتني بانّ محمّداً خير بني هاشم ، وأنّك بايعت له ، فشتمه ، وأمر به ، فوتّد في عينيه (المحاسن والمساوئ ١٣٨/٢) .

ولما قتل إبراهيم بن عبد الله في باخمرى ، بعث المنصور برأسه إلى أبيه عبد الله فوضعه بين يديه (مروج الذهب ٢/٢٣٦ و ٢٣٧) وأمر بسديف بن ميمون الشاعر ، فدفن حيّاً (العقد الفريد ٥/٨٧-٨٩) .

ومن بعد وفاة المنصور عثر المهدي ، وزوجته ريطة ، على أزج في قصر المنصور ، فيه جماعة من قتلى الطالبيين ، وفي آذانهم رقاع فيها أنسابهم ، وإذا فيهم أطفال ، ورجال ، شباب ومشايخ ، عدّة كثيرة ، فلما رأى المهدي ذلك ، ارتاع لما رأى ، وأمر فحفرت لهم حفيرة دفنوا فيها (الطبري ٨/١٠٥) .

ولما طال حبس عبد الله بن الحسن ، وأهل بيته ، جلست إحدى بناته للمنصور ، فتوسّلت إليه بالقرابة ، وطلبت منه الرحمة ، فقال لها : أذكرتنيه ، وأمر به فحدر إلى المطبق وكان آخر العهد به (تاريخ بغداد للخطيب ٩/٤٣٢) .

ومما يبعث على العجب أنّ المنصور ، الذي ضرب أسوء الأمثال في القسوة ، أوصى ولده المهدي ، فقال : أحفظ محمّداً في أمّته ، وإيّاك والدم الحرام ، فإنّه حوب عند الله عظيم ، وعار في الدنيا لازم مقيم ، وافتتح عملك بصلة الرحم ، وبرّ القرابة (الطبري ٨/١٠٥ و١٠٦) .

٣١٩
إنّ قرح الفؤاد يجرح جرحاً

وذكر القاضي أبو الحسين ، قال : روي لنا عن خالد بن أحمد البطحاوي[١] ، مولى آل جعفر بن أبي طالب ، قال :

تزوّجت امرأة ، فبينا أنا ذات ليلة من ليالي العرس ، وليس عندنا قليل ولا كثير ، وأنا أهمّ النّاس بذلك ، إذ جاءتني امرأتان ، فطرقتا باب منزلي ، فخرجتُ إليهما ، فإذا بجارية شابّة ، وأخرى نَصَف[٢] .

فقالت : أنت خالد البطحاوي[١] ؟ .

قلت : نعم .

قالت : أحبّ أن تنشدنا قولك : خلّفوني ببطن حام ، فأنشدتهما :

خلّفوني ببطن حامٍ صريعـاً ثمّ ولّـوا وغادروني صبحـا
جمع الله بين كلّ محـبٍّ ذبحـوه بشفرة الحبّ ذبحـا
غادر الحـبّ في فؤادي قرحـاً إنّ قرح الفؤاد يجرح جرحـا

قال : فرمت إليّ الشابة بدملج[٣] ذهب ، وانصرفتا ، فبعته بجملة دراهم ، واتّسعت بها[٤] .

---

١ في غ : خالد البطحاني .
٢ النَصَفُ : من كان في متوسط العمر .
٣ الدملج : المعضد من الحلي (لسان العرب) أي الحلية الّتي تلبس في العضد .
٤ هذه القصّة لم ترد في ر .

٣٢٠

أبو عمر القاضي يصبح وليس عنده درهم واحد

فيجيئه الفرج في وقت قريب

وذكر القاضي أبو الحسين[1] في كتابه ، قال : حدّثني أبي[2] ، قال :

أضقت إضاقة شديدة ، في نكبتي[3] ، وأصبحتُ يوماً ، وما عندي درهم واحد فما فوقه ، وكان الوقت شتاءً ، والمطر يجيئ .

فجلست ضيّق الصدر ، مفكّراً في أمري ، إذ جاءني صديق لي ، فقال : قد جئت لأقيم عندك اليوم ، فازداد ضيق صدري ، وقلت له : بالرّحب والسعة ، وأظهرت له السرور بمجيئه .

ودخلتُ إلى النساء ، فقلت لهنّ : احتلن فيما ننفق في هذا [١٦٦ غ] اليوم ، على رهن أو بيع شيئ [١٦٧ م] من البيت ، فقد طرقنا ضيف .

وخرجت ، فجلست مع الرّجل ، وأنا على نهاية من شغل القلب ، خوفاً أن لا يتّفق قرض ، ولا بيع ، لأجل المطر .

فأنا كذلك ، إذ دخل الغلام ، فقال : خليفة أبي الأغرّ السلمي بالباب .

فقلت : أيّ وقت هذا لخليفة أبي الأغرّ ؟ وأمرته أن يخرج فيصرفه ، ثمّ تذمّمت من صرفه ، وقد قصدني في مثل هذا اليوم .

فقلت : قل له يدخل .

فدخل ، وحادثني قليلاً ، ثمّ قرب منّي ، وأخرج صرّة فيها مائة دينار .

---

١ أبو الحسين عمر بن محمّد بن يوسف الأزدي القاضي : ترجمته في حاشية القصّة ١٩ من الكتاب .

٢ أبو عمر محمّد بن يوسف الأزدي القاضي : ترجمته في حاشية القصّة ١٧٩ من الكتاب .

٣ راجع قصّة نكبته في القصّة ١٧٩ من الكتاب .

وقال : يقول لك أخوك : وجّهت إليك بهذه الصرّة ، فتأمر بصرفها في مثل هذا اليوم ، في بعض ما يصلح حالك .

فامتنعت من قبولها ، فلم يزل خليفته يلطف بي ، حتّى قبلتها[4] .

---

٤ لم ترد هذه القصّة في هـ ، وأبو الاغر خليفة بن المبارك السلمي ، أحد الأمراء القوّاد في دولة المعتضد والمكتفي ، وكان مظفراً في كثير من المعارك التي شارك فيها ، راجع أخباره في الطبري ٧٤/١٠ ، ٨٠ ، ٩٤ ، ٩٧ ، ١٠٤ ، ١٤٣ .

٣٢١
بين أحمد بن أبي خالد وصالح الأضجم

حدّثني أبي ، أبو القاسم التنوخي ، في المذاكرة ، بإسناد ذهب عن حفظي ، قال :

كان أحمد بن أبي خالد ، بغيضاً[1] ، قبيح اللهجة ، وكان مع ذلك حرّاً ، وكان يلزمه رجل متعطّل من طلاّب التصرّف يقال له : صالح بن عليّ الأضجم[2] ، من وجوه الكتّاب ، فحدّث ، قال :

طالت بي العطلة في أيّام المأمون ، والوزير – إذ ذاك – أحمد بن أبي خالد ، وضاقت حالي ، حتّى خشيت التكشّف .

---

١ البغيض : تعبير عبّاسيّ يطلق على من كان شديد التزمّت ، أو كان سيّء المواجهة عبوساً .

٢ سمّاه الجاحظ في كتاب الحيوان ٤٨١/٣ : صالح الأفقم ، وسمّاه صاحب الأغاني ١٣٨/٢٠ و١٥٧ : الأضجم (بالضاد والجيم) ، والأضجم : الذي في فمه عوج ، وفي ر ، وغ : الأضخم (بالخاء) ، وورد اسمه في م : علي بن أبي صالح الأضجم ، وفي القصّة ١١١/٢ من كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للتنوخي : ابن أبي الأضخم ، وسمّاه صاحب الأغاني ١٣٨/٢٠ و ١٥٧ : صالح بن عطيّة الأضجم ، ولعلّ عطية اسم جدّه ، وذكر عنه إنّه كان من أبناء الدعوة ، وكان من أقبح الناس وجهاً ، وكان ينزل واسطاً ، وعرضت لدعبل الخزاعي إليه حاجة ، فقصر عنها ، ولم يبلغ فيها ما أحبّه ، فقال يهجوه :

أحسن ما في صالح وجهه ... فقس على الغائب بالشاهد
تأمّلت عيني له خلقة ... تدعو إلى تزنية السوالد

وقال فيه ، مخاطباً المعتصم :

قل للإمام إمام آل محمّد ... قول أمرئ حدبٍ عليك محام
أنكرتُ أن تفترّ عنك صنيعة ... في صالح بن عطيه الحجّام
إضرب به جيش العدوّ فوجهه ... جيش من الطاعون والبرسام

فبكّرت يوماً إلى أحمد بن أبي خالد مغلّساً ، لأكلّمه في أمري ، فرأيت بابه قد فتح ، وخرج وبين يديه شمعة ، يريد دار المأمون .

فلمّا نظر إليّ ، أنكر عليّ بكوري ، وعبس في وجهي ، وقال : في الدنيا أحد بكّر هذا البكور ليشغلنا عن أمرنا .

فلم تصبر نفسي أن قلت : ليس العجب منك – أصلحك الله – فيما استقبلتني به ، وإنّما العجب منّي ، وقد سهرت ليلتي ، وأسهرت من في داري تأميلاً لك ، وتوقّعاً للصبح ، لأصير إليك ، فأبثّك أمري ، وأستعين بك على صلاح حالي ، وإلّا فعليّ ، وعليّ ، وحلفت يميناً غليظة ، لا وقفت ببابك ، ولا سألتك حاجة ، حتّى تصير إليّ معتذراً ممّا كلّمتني به .

وانصرفت مغموماً ، مكروباً بما لقيني به ، متندّماً على ما فرط منّي ، غير شاكّ في العطب ، إذ كنت لا أقدر على الحنث ، وكان ابن أبي خالد ، لا يلتفت إلى إبرار قسمي .

فإنّي لكذلك ، وقد طلعت [٦ ن] الشمس ، إذ طلع بعض غلماني ، فقال : أحمد بن أبي خالد ، مقبل في الشّارع ، ثمّ دخل آخر ، فقال : قد دخل دربنا ، ثمّ دخل آخر ، فقال : قد وقف على الباب ، ثمّ تبادر الغلمان بدخوله الدهليز ، فخرجت مستقبلاً له .

فلمّا استقرّ به مجلسه في داري ، ابتدأت أشكره على إبراره قسمي ، فقال : إنّ أمير المؤمنين ، كان أمرني بالبكور إليه في بعض مهمّاته ، فدخلت إليه ، وقد غلبني الفكر[٣] ، لما فرط منّي إليك ، حتّى أنكر ذلك ، فقصصت عليه قصّتي معك .

فقال : قد أسأت بالرجل ، قم ، فامض إليه ، فاعتذر ممّا قلت له .

قلت : فأمضي إليه فارغ اليد ؟

---

٣ في غ : غلبني البهر ، والبهر : انقطاع النفس من الإعياء .

قال : فتريد ماذا ؟

قلت : يقضي دينه .

قال : كم هو ؟ .

قلت : ثلثمائة ألف درهم .

قال : وقّع له بذلك .

قلت : فيرجع بعدُ إلى الدين ؟

قال : وقّع له [١٧٠ ر] بثلثمائة ألف درهم أخرى .

قلت : فولاية يشرّف بها .

قال : ولّه مصر [١٦٧ غ] ، أو غيرها ، ممّا يشبهها .

قلت : ومعونة على سفره ؟

قال : وقّع له بثلثمائة ألف درهم ثالثة .

قال : وأخرج التوقيع من خفّه ، بالولاية ، وبتسعمائة ألف درهم ، فدفع ذلك إليّ ، وانصرف[٤] .

[وقد ذكر محمّد بن عبدوس ، في كتاب الوزراء ، [الخبر] على قريب من هذا[٥] .]

٤ وردت القصّة في كتاب نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة للقاضي التنوخي برقم ٢/١١١ .

٥ لم يرد هذا السطر في غ .

٣٢٢

جندي تركي تشتدّ إضاقته ثمّ يأتيه الفرج

وذكر القاضي أبو الحسين في كتابه [١٦٨ م]، [قال: حدّثنا إبراهيم بن القاسم[١]]، قال:

كان في جيراني، بالجانب الشرقي، من مدينة السلام، رجل من الأتراك، له رزق في الجند. فتأخّر رزقه في أيّام المكتفي، ووزارة العبّاس بن الحسن، فساءت حاله، ورثّت هيأته، حتّى أدمن الجلوس عند خبّاز كان بالقرب منّا، وكان يستسعفه، فيعطيه في كلّ يوم خمسة أرطال خبزاً، يتقوّت بها هو وعياله.

فاجتمع عليه للخبّاز شيئ، ضاق به صدر الخبّاز معه أن يعطيه سواه، فمنعه، فخرج ذات يوم، فجلس، وهو عظيم الهمّ، ثمّ كشف لي حديثه.

وقال: قد عملتُ على مسألة كلّ من يشتري من الخبّاز شيئاً، أن يتصدّق عليّ، فقد حملني الجوع على هذا، وكلّما أردت فعله، منعتني نفسي منه.

فبينما هو معي في هذا، إذ جاء رجل بزيّ نقيب، يسأل عنه، فدلّ عليه، فوجده جالساً عند الخباز.

فقال له: قم.

فقال: إلى أين؟

قال: إلى الديوان، حتّى تقبض رزقك، فقد خرج لك ولأصحابك رزق شهرين، فمضى معه.

فلمّا كان بعد ساعة، جاءني، وقد قبض مائتين وأربعين ديناراً.

فرمّ منزله، وأصلح حاله، وحال عياله، وأبتاع دابّةً وسرجاً وسلاحاً، وقضى دينه، وخرج مع قائد كان برسمه، وحسنت حالته.

١ لم ترد هذه الفقرة في غ.

٣٢٣

أحمد بن مسروق عامل الأهواز

يتحدّث عن الفرج الّذي وجده في قانصة البطّة

[وذكر أبو الحسين في كتابه][١] عن الحسين بن موسى ، أخي ابراهيم بن موسى ، قال :

خرجتُ إلى فارس ، في أيّام المعتمد على الله ، فمررت بالأهواز ، والمتقلّد لخراجها أحمد بن مسروق ، فاجتمعنا ، وتذاكرنا حديث الغمّ والفرج[٢] ، وما ينال النّاس منهما ، ومن المرض والصحّة .

فحدّثني : أنّه كان في ناحية إسحاق بن إبراهيم[٣] ، فلمّا توفّي ، وقدم محمّد بن عبد الله بن طاهر[٤] ، تعطّل ، وافتقر ، حتّى لم يبق له شيءٌ ، وحالفته أمراض كثيرة ، فكان لا يصحّ له بدن يوماً واحداً .

قال : وكان له رفيق ، فخرج الى سرّ من رأى ، فتعلّق بالفتح بن خاقان[٥] ، فحسنت حاله .

قال : فكان يكتب إليّ في الخروج إليه ، فيمنعني من ذلك عوز النفقة .

فإنّي لمغموم ، مفكّر في الحال الّتي أنا عليها ، إذ دخل بعض نسائنا ، فلامتني على طول الهمّ والغمّ ، وقالت : كن اليوم عندي ، حتّى أذبح لك

---

١ في غ : وحكي .

٢ كنا في ر وفي غ ، وفي م : حديث الهمّ والفرج .

٣ أبو الحسن إسحاق بن إبراهيم بن الحسين بن مصعب المصعبيّ ، أمير بغداد : ترجمته في حاشية القصّة ٧٣ من الكتاب .

٤ أبو العبّاس محمد بن عبد الله بن طاهر بن الحسين المصعبيّ : ترجمته في حاشية القصّة ٢٠١ من الكتاب .

٥ أبو محمد الفتح بن خاقان : ترجمته في حاشية القصّة ٣٤٥ من الكتاب .

مخلفة بطّة[6] سمّنت لنا ، وتجتمع مع جواريك ، فيغنّين لك وتتفرّج[7] .

فقلت : نعم ، وجئت إلى منزلها ، وذبحت البطّة ، فإذا قد خرجت إليّ ، ومعها حجر أحمر ، لم تدر ما هو .

فقالت : خرج هذا من قانصة البطّة ، فما هو ؟

قلت : لا أدري ، ولكن هبيه لي حتّى أريه لمن يعرفه .

فقالت : خذه ، فرأيت شيئاً لم أعرفه ، إلّا أني بعثت به إلى صديق لي بباب الطاق[8] ، وسألته أن يبيعه لي .

فقال : نعم ، ثمّ إنّه غسله بماء حار ، وباعه بمائة وثلاثين ديناراً[9] .

فأخذت الدنانير ، واشتريت مركوباً ، وتجهّزت الى سرّ من رأى ، فلزمت أبا نوح[10] ، وباب الفتح بن خاقان ، فنفدت [١٦٨ غ] نفقتي ، وجعل رفيقي ينفق عليّ ، ويقرضني .

فدعاني الفتح بن خاقان يوماً ، وقد يئست منه ، وإذا بين يديه أبو نوح ، فقال : هذا أحمد بن مسروق ؟

قال : نعم .

قال : كيف أنت إن أنفذتك في أمر ، واصطنعتك ؟

قلت : إنّي كنت مع الخراسانيّة كاتباً [١٧١ ر] أعرف جميع الأعمال .

---

٦ كذا وردت في جميع النسخ ، ويقال : أخلف الطير : إذا نبت له ريش بعد الريش ، كذا ورد في لسان العرب ، مادة : خلف ، وفي أساس البلاغة ٢٤٧/١ ، ولعلّ المقصود أنّها بطة عجوز ، وكان المقتضي أن تكون الصفة تابعة للموصوف ، فيقول : بطة مخلفة .

٧ في غ : ونفرح .

٨ محلّة باب الطاق : هي الآن محلّة الصرافية ، راجع حاشية القصّة ١٧ من الكتاب .

٩ في غ : بمائتين وثلاثين ديناراً .

١٠ أبو نوح عيسى بن إبراهيم ، من كبار الكتاب في الدولة العبّاسية : ترجمته في حاشية القصّة ٧٣ من الكتاب .

فأدخلني إلى المتوكّل ، فلمّا وقَفت بين يديه ، قال : إنّا ننفذك في أمر هو محنتك ، وبه ارتفاعك أو سقوطك ، فانظر كيف تكون ؟

قال : فقبّلت الأرض ، ووعدت الكفاية به من نفسي .

وخرج [١٦٩ م] الفتح ، ومعه عبيد الله بن يحيي[١١] ، فوقّع لي عبيد الله بأجر ثلاثة آلاف درهم ، مع الشاكرية الّذين يقبضون عشرة أشهر من السنة ، والإستقبال في أوّل شهر يوضع لهم ، ووقّع إلى خازن بيت المال بأن يدفع إليّ ثلاثين ألف درهم معونة .

وكتب كتبي بالنظر في مصالح الأهواز ، وأشياء هناك بالستر والأمانة ، احتيج إلى كشفها ، فسرت اليها ، وبلغت في الأمور ما أحمد .

فصار رسمي أن أقلّد أعمالها ، فمرّة المعونة ، ومرّة الخراج ، ومرّة يجمعان لي جميعاً .

فزالت تلك العلل والأمراض الّتي كانت قد حالفتني ، ولا أعرف لذلك سبباً غير الفرج .

فقال الحسين بن موسى ، لأحمد بن مسروق : على ذكر وجود الحجر في قانصة البطّة : أخبرك أنّي لما سرت في سفرتي هذه ، إلى الموضع المعروف باصطربند[١٢] ، رأيت بستاناً حسناً ، فيه باقلّى وخضرة ، بعقب مطرة ، فاستحسنته ، فعدلت إليه .

فقال : عساه البستان الّذي فيه الصخرة الّتي كأنّها نابتة .

قلت : هو .

قال : هيه .

---

١١ أبو الحسن عبيد الله بن يحيى بن خاقان ، وزير المتوكّل : ترجمته في حاشية القصّة ٧٣ من الكتاب .

١٢ اصطربند : قرية بين السيب ودير العاقول من النهراوان الأوسط (وفيات الأعيان ٦/٤١٤ و٤١٦ و٤١٨) .

قلت : فتغدّينا فيه ، وشربنا أقداحاً ، وكنت مستنداً إلى الصخرة ، فلمّا نهضنا ، رأيت في وسط الصخرة نقرة ، قد اجتمع فيها ماء المطر ، فهو في غاية الصفاء .

فوضعت [٧ ن] فمي لأشرب منه ، فتحرّك فيه شيئ ، فنحّيت فمي عنه ، وتأمّلته ، فبدت لي خرقة ، فجذبتها ، فإذا صرّة .

فقال أحمد بن مسروق : صرّتي ، والله ، كان فيها ثلثمائة دينار .

قلت ; نعم ، فمن أين صارت لك ؟ .

قال : مررت بهذا الموضع ، آخر خرجة خرجتُها إلى الأهواز ، فملتُ إلى الموضع ، كما ملتَ ، وكانت هذه الصرّة في يدي ، فوضعتها[١٣] في الحجر ، وأنسيتها وركبت ، ثمّ طلبتها ، فلم أجدها ، ولا علمت أين وضعتها ، إلّا السّاعة ، فذكرتها بحديثك .

قلت : فالدنانير مع غلامي .

قال : خذها ، بارك الله لك فيها ، وأبرأت ذمّتك منها .

١٣ من هنا انقطعت القصّة وما بعدها في غ ، وعادت في آخر القصّة ٣٢٨ ، وضاع ما بينهما من القصص .

٣٢٤

أصلح بين متخاصمين بدرهم

فوهب الله له درّة بمائة وعشرين ألفاً

قال : وذكر أبو الحسين القاضي ، في كتابه ، بإسناد ، قال : حدّث حمّد بن إبراهيم بن عمر البرقي ، قال : حدّثنا العبّاس بن محمّد البرقي ، ل : حدّثنا أبو زيد ، عن الفضيل بن عياض[1] ، قال : حدّثني رجل :

أنّ رجلاً خرج بغزل ، فباعه بدرهم ليشتري به دقيقاً ، فمرّ على رجلين ، كلّ واحد منهما آخذ برأس صاحبه .

فقال : ما هذا ؟

فقيل : يقتَتِلان في درهم ، فأعطاهما ذلك الدرهم ، وليس له شيءٌ غيره .

فأتى إلى امرأته ، فأخبرها بما جرى له ، فجمعتْ له أشياء من البيت ، فذهب ليبيعها ، فكسدت عليه ، فمرّ على رجل ومعه سمكة قد أروحت[2] .

فقال له : إنّ معك شيئاً قد كسد ، ومعي شيءٌ قد كسد ، فهل لك أن تبيعني هذا بهذا ؟ فباعه .

وجاء الرّجل بالسمكة إلى البيت ، وقال لزوجته : قومي فأصلحي أمر هذه السمكة ، فقد هلكنا من الجوع .

فقامت المرأة تصلحها ، فشقّت جوف السمكة ، فإذا هي بلؤلؤة ، قد خرجت من جوفها .

---

١ أبو علي الفضيل بن عياض بن مسعود التميمي اليربوعي (١٠٥–١٨٧) : شيخ الحرم المكّي ، من أكابر العبّاد الصلحاء ، ولد بسمرقند ، ونشأ بأبيورد ، ودخل الكوفة وهو كبير ، وسكن في مكّة ، وتوفّي بها (الاعلام ٥/٣٦٠) .

٢ أروح اللحم : تغيّرت رائحته ، أي أنتن .

فقالت المرأة : يا سيّدي ، قد خرج من جوف السمكة شيئ أصغر من بيض الدجاج ، وهو يقارب بيض الحمام .

فقال : أريني ، فنظر إلى شيئ ما رأى في عمره مثله ، فطار عقله ، وحار لبّه .

فقال لزوجته : هذه أظنّها لؤلؤة .

فقالت : أتعرف قدر اللؤلؤة .

قال : لا ، ولكنّي أعرف من يعرف ذلك ، ثمّ أخذها ، وانطلق بها إلى أصحاب اللؤلؤ ، [١٧٢ ر] إلى صديق له جوهريّ ، فسلّم عليه ، فردّ عليه السلام ، وجلس إلى جانبه يتحدّث ، وأخرج تلك البيضة .

وقال : أنظر كم قيمة هذه ؟

قال : فنظر زماناً طويلاً ، ثمّ قال : لك بها عليّ أربعون ألفاً ، فإن شئت أقبضتك المال الساعة ، وإن طلبت الزيادة ، فاذهب بها إلى فلان ، فإنّه أثمن بها لك منّي .

فذهب بها إليه ، فنظر إليها واستحسنها ، وقال : لك بها عليّ ثمانون ألفاً ، وإن شئت الزيادة ، فاذهب بها إلى فلان ، فإنّي أراه أثمن بها لك منّي .

فذهب بها إليه ، فقال : لك بها عليّ مائة وعشرون ألفاً ، ولا أرى أحداً يزيدك فوق ذلك شيئاً .

فقال : نعم ، فوزن له المال ، فحمل الرّجل في ذلك اليوم أثنتي عشرة بدرة ، في كلّ بدرة عشرة آلاف درهم ، فذهب بها إلى منزله ، ليضعها فيه ، فإذا فقير واقف بالباب ، يسأل..

فقال : هذه قصّتي الّتي كنت عليها ، أدخل ، فدخل الرّجل .

فقال : خذ نصف هذا المال ، فأخذ الرّجل الفقير ، ستّ بدر ، فحملها ، ثمّ تباعد غير بعيد ، ورجع إليه .

وقال : ما أنا بمسكين ، ولا فقير ، وإنّما أرسلني إليك ربّك عزّ وجلّ ،

الّذي أعطاك بالدرهم عشرين قيراطاً[3] ، فهذا الّذي أعطاك ، قيراط منه ، وذخر لك تسعة عشر قيراطاً[4] .

٣ القيراط : واحداً من عشرين من الدرهم أو الدينار (مفاتيح العلوم ٤١) .

٤ لا توجد في غ .

٣٢٥

يحيى البرمكي يتحدّث

عن عارفة في عنقه ليعقوب بن داود

وذكر أبو الحسين القاضي ، في كتابه ، قال :

روي أنّ خالد بن برمك[١] ، قال [١٧٠ م] لابنه يحيى ، في إضاقة نالته : قد ترى ما نحن فيه ، فلو لقيت يعقوب بن داود ، وشكوت إليه ما نحن فيه .

فأتى يعقوب بن داود[٢] ، فذكر له ذلك ، فسكت عنه ، فانصرف يحيى ، وهو مكروب ، آيس من خيره ، فأخبر أباه .

فقال : افتضحنا ، فياليت أنا لم نكن كشفنا له خبرنا .

قال : فركب يحيى بن خالد من غد ، فلقيه بعض إخوانه ، فقال : ما زال يعقوب بن داود يطلبك طلباً شديداً ، فمضى إليه .

فقال له يعقوب : أين كنت ؟ والله ، إنّك أوردت على قلبي ما شغله بالفكر في إصلاحه ، وقد عنّ لي أمر رجوت به صلاح حالك ، إمض بنا إلى الديوان ، فسار معه إليه .

فقال يعقوب : عليّ بتجّار السواد ، فأحضروا .

فقال : أشركوا أبا علي معكم بالثلث فيما تبتاعونه من غلّة السلطان[٣] ، ففعلوا .

---

١ خالد بن برمك (٩٠–١٦٣) : أبو البرامكة ، سخي ، سري ، عاقل ، نبيل ، ولاّه السفّاح ديوان الخراج ، ثم ديوان الجند ، وقلّده المنصور فارس ، ثم عزله ونكبه ، ثم ولاّه الموصل ، وأعاده المهدي إلى ولاية فارس (الأعلام ٢/٣٣٤) .

٢ أبو عبد الله يعقوب بن داود بن عمر السلمي : ترجمته في حاشية القصّة ٢٠٤ من الكتاب .

٣ غلّة السلطان : كان السلطان يستوفي حصّته من المزروع عيناً ، ثم يعرضها للبيع .

فقال : لعلّ ذلك يشقّ عليكم ؟

فقالوا : أجل .

فقال : أخرجوه ، بربح تجعلونه له .

فأخرجوه بربح ستّين ألف دينار ، فصلحت حاله ، وحال أبيه ، ومضى إليه بالمال[4] .

٤ لم ترد هذه القصّة في ر ولا في غ .

٣٢٦
من يفعل الخير لا يعدم جوازيه

وذكر محمّد بن عبدوس ، في كتاب الوزراء ، هذا الخبر بخلاف هذا ، فقال : حكى يحيي بن خاقان ، قال[١] :

كنت يوماً عند يحيي بن خالد ، وبحضرته ابنه الفضل ، إذ دخل عليه أحمد بن يزيد ، المعروف [بابن] أبي خالد[٢] ، فسلّم وخرج .

فقال يحيي للفضل : في أمر هذا الرّجل ، خبَرٌ ، فإذا فرغنا من شغلنا فأذكرني به ، حتّى أعرّفك ، فلمّا فرغ من عمله ، أذكره .

فقال : نعم ، كانت العطلة ، قد بلغت منّي ، ومن أبي ، وتوالت المحن علينا ، حتّى لم نهتد إلى ما ننفقه .

فلبستُ ثيابي يوماً ، لأركب ، فقال لي أهلي : إنّ هؤلاء الصبيان باتوا البارحة بأسوء حال ، وأنا ما زلت أعلّلهم بما لا علالة فيه ، وأصبحتُ ، وما لهم شيءٌ ، وما لدابّتك علف .

فقرعَتْ قلبي ، وقطعتني عن الحركة ، ورميت بفكري ، فلم يقع إلّا على منديل طبريّ ، كان بعض البزّازين أهداه إليّ .

فقلت : ما فعل المنديل الطبريّ[٣] ؟

فقالت : ها هو .

فأخرجته إلى الغلام وقلت له : اخرج إلى الشارع ، فبع هذا المنديل ،

---

١ لم ترد هذه القصّة في ر ولا في غ .

٢ أبو العبّاس أحمد بن أبي خالد الأحول ، وزير المأمون : ترجمته في حاشية القصّة ٨١ من هذا الكتاب .

٣ من خصائص طبرستان : المناديل الخيش ، والدراهم تحمل إليها من الآفاق لاستجلاب مناديل الخيش منها (لطائف المعارف ١٨٦) .

فمضى ، وعاد من ساعته ، فقال : خرجت إلى البقال الّذي يعاملنا ، وعنده رجل ، فأعطاني بالمنديل إثني عشر درهماً صحاحاً ، وقد بعته بشرط ، فإن أمضيتَ البيع ، وإلّا أخرجتُ المنديل إلى سوق قنطرة البردان ، واستقصيت فيه ، كما تحبّ .

فأمرته بإمضاء البيع للحال الّتي خبّرتني بها المرأة ، وأن يشتري ما يحتاج إليه الصبيان ، وعلفاً للدابة ، وركبت ، لا أدري إلى أين أقصد .

فأنا في الشارع ، وإذا أنا بأبي خالد ، والد هذا ، ومعه موكب عظيم ضخم ، وهو يومئذ يكتب لأبي عبيد الله ، كاتب المهدي ، فملت إليه ، ورميت نفسي عليه .

وقلت له : قد تناهت العطلة بأخيك ، وبي ، إلى ما لا نهاية وراءه ، وعليّ ، وعليّ ، إن لم تكن قصّتي في يومي هذا ، كيت وكيت ، وقصصت عليه الخبر ، وهو مستمع لذلك ، ماض في سيره ، فلمّا بلغ مقصده [١٧٣ ر] ، انصرفت عنه ، ولم يقل لي حرفاً .

فانصرفت منكسف البال ، منكراً على نفسي إسرافي في الشكوى ، وإطلاعي إيّاه على ما أطلعته عليه .

وقلت : ما زدت على أن فضحت نفسي ، وقلّلتها في عينه من غير نفع .

ووافيتُ منزلي على حال أنكرتها أهلي ، فسألتني [١٧١ م] .

فقلت : جنيت اليوم على نفسي جناية كنتُ عنها غنيّاً ، وقصصت عليها قصّتي مع يزيد .

فأقبلت توبّخني ، وقالت : ما حملك على أن أظهرت للرّجل حالك ؟ فإنّ أقلّ ما في ذلك ، أن لا يأتمنك على أمر ، فإنّ من تناهت به الحال إلى ما ذكرت ، كان غير مؤتمن ، فنالني من توبيخها ، أضعاف ما نالني أوّلاً .

وأصبحنا في اليوم الثاني ، فوجّهت بأحد ثوبيّ [٨ ن] ، فبيع ، وتبلّغنا بثمنه يومنا .

وأصبحنا في اليوم الثالث ، ونحن في غاية الضيقة ، فطوينا يومنا وليلتنا .

فلمّا كان اليوم الرابع ، ضاقت نفسي ، وقلّ صبري ، وضعفت قوّتي ، واخترتُ الموت على الحالة الّتي أنا فيها .

فقالت لي أهلي : أنا خائفة عليك من الوسواس ، فيكون ما نحتاج لعلاجك ، أضعاف ما نحتاج لمؤونتنا ، فسهّل الأمر عليك ، ولا تضجر ، ولا تقنط من رحمة الله ، فإنّ الله عزّ وجلّ ، الصانع ، المدبّر ، الحكيم .

قال : فركبت ، لا أدري أين أقصد ، فلمّا صرت إلى قنطرة البردان ، لقيني رسول أبي خالد يطلبني ، فدخلت داره .

فقال لي حاجبه : اجلس ، فأقمت ، وخرج مع الزوال ، فدنوت منه .

فقال : يا ابن أخي ، شكوت إليّ بالأمس ، شكوى ، لم يكن في جوابها إلّا الفعل ، وأمر بإحضار حميد ، وداهر ، تاجرين كانا يبيعان الطعام .

فقال لهما : قد علمتما أنّي إنّما بعتكما البارحة ، ثلاثين ألف كرّ ، على أنّ ابن أخي هذا شريككما فيها [بالسعر][4] .

ثمّ قال : لك في هذه عشرة آلاف كر [بالسعر][4] ، فإن دفعا إليك ثلاثين ألف دينار[5] ربحك ، وآثرت أن تخرج إليهما من حصّتك ، فعلتَ ، وإن آثرت أن تقيم على ابتياعك ، فعلتَ .

قال : فتنحّينا ناحية ، وقالا : إنّك رجل شريف ، وابن شريف ، وليست التجارة من شأنك ، ومتى أقمت على الابتياع ، احتجت إلى كفاة وأعوان ، ولكن خذ منّا ثلاثين ألف دينار[5] ، وخلّنا والطعام .

فقلت : قد فعلتُ ، وقمت إلى أبي خالد ، فقلت : قد أجبتهما إلى أخذ المال ، وتركهما والطعام .

---

٤ الزيادة من م .

٥ في م : خمسين ألف دينار .

فقال : هـذا أروح لك ، فخذ المال ، وتبلّغ به ، والزمنا ، فإنّا لا نقصّر في أمرك بكلّ ما يمكننا .

فأخذت من الرّجلين ثلاثين ألف دينار ، وما كان بين ذلك ، وبين بيع المنديل والثّوب ، إلّا أربعة أيّام .

فسرت إلى أبي ، وخبّرته الخبر ، وقلت له : جعلت فداك تأمر في المال بأمرك ؟

فقال : نعم ، أحكم عليك فيه ، بمثل ما حكم أبو خالد به على التاجرين ، أي أنّ الثلث لي .

فحملت إليه عشرة آلاف دينار ، واشتريت بعشرة آلاف دينار ضيعة[٦] ، ولم أزل أنفق الباقي ، إلى أن أدّاني ذلك إلى هذه الحال ، وإنّما حدّثتك بهذا ، لتعرف – يا بنيّ – للرّجل حقّه .

فقلت ليحيى بن خاقان : فما الّذي كان من يحيى بن خالد إلى أحمد بن أبي خالد ؟

قال : ما زال هو وولده ، على نهاية البرّ به ، حتّى نال ما نال من الوزارة ، بذلك الأساس الّذي أسّساه[٧] .

وقرئ على أبي بكر الصولي ، بالبصرة ، سنة خمس وثلاثين وثلثمائة ، بإسناد ، وأنا حاضر ، في كتابه « كتاب الوزراء » حدّثكم عون بن محمّد الكندي ، عن إبراهيم بن الحسن بن سهل ، قال : سمعت أهلي يتحدّثون :

أنّ يحيى بن خالد البرمكي ، قال : نالتني خلّة في أيّام المهدي ، فجئت إلى يزيد الأحول ، أبي خالد ، وكان يكتب لأبي عبيد الله ، فأبثثته حالي ، فما أجابني ، ولا أقبل عليّ ، فتأخّرت نادماً ، ثمّ جاءني [١٧٤ ر] رسوله من

---

٦ في ر : عقدة ، والعقدة : العقار المعتقد ، أي المقتنى ملكاً .

٧ لم ترد هذه الفقرة المنقولة عن الجهشياري في غ .

الغد ، فصرت إليه .

فقال لي : إنّك شكوت إليّ شكوى لم يكن جوابها الكلام والتوجّع ، وقد بعتُ جماعة من التجّار ، ثلاثين ألف كرّ ، من غلّات السواد ، واشترطت لك ربع [١٧٢ م] الرّبح ، فخذ كتابي هذا إليهم ، فإن أحببت أن تصبر إلى أن تباع الغلّة ، توفّر ربحك ، وإن ناظرت التجّار ، وخرجت من حصّتك بربح عاجل ، فأقلّ ما يبذلونه لك ثلاثون ألف دينار ، فدعوت له .

ولقيت القوم ، فقالوا : أنت رجل سلطان ، ولا يتهيّأ لك ما نفعل نحن من الصبر على الغلّة ، وانتظار الأسعار ، فهل لك أن تخرج منها بربح ثلاثين ألف دينار معجّلة ؟

فقلت : نعم ، فقبضتها في يوم واحد ، وانصرفت[8] .

وذكر أبو الحسين في كتابه ، قال : حدّث محمّد بن أحمد بن الخصيب ، قال : حدّثني من سمع أحمد بن أبي خالد الأحول ، يحدّث ، قال :

كان السلطان قد جفا خالد بن برمك ، واطّرحه ، حتّى نالته إضاقة شديدة ، وكاد أن ينكشف .

فحدّثت أن يحيى بن خالد أصبح يوماً ، فخرجت إليه امرأته ، أمّ الفضل ابنه ، فقالت له : ما أصبح اليوم في منزلك دقيق ، ولا علف للدابّة ، ولا نفقة لشيء .

فقال لها : بيعوا شيئاً من البيت .

قالت : ما بقي في البيت ما له قدر ، ولا ما يمكن بيعه .

فقال : قد كان فلان ، أهدى إلينا منديلاً فيه ثياب ، فبعنا الثياب ، فما فعل المنديل ؟

قالت : باقٍ .

---

٨ لم ترد هذه الفقرة المنقولة عن الصولي في غ .

قال : فبيعوه .

فبعثت به إلى سوق قنطرة البردان ، فبيع بنيف وعشرين درهماً ، فأنفقوها أيّاماً .

ثمّ خرجت إليه ، فقالت : ما قعودك ؟ ما عندنا نفقة ، ولا دقيق ، ولا علف للدابّة .

فركب يحيى ، فكان أوّل من لقيه أبو خالد الأحول ، فشكا إليه ما هو فيه ، فأمسك ، ثمّ أجابه بجواب ضعيف .

وانصرف يحيى إلى منزله ، وقد كاد يتلف غمّاً وندماً ، ولام زوجته ، وأقام أيّاماً لا يركب ، وزوجته تحتال فيما تنفق .

ثمّ حرّكته على الركوب ، وشكت إليه انقطاع الحيلة ، وتعذّر القوت ، فركب ، فلمّا صار في بعض الطريق ، لقيه أبو خالد .

فقال له : صرت إليّ ، وسألتني أمراً ، حتّى إذا أحكمته لك ، تركت تنجّزه .

فقال : كرهت التثقيل عليك .

فقال : إنّك شكوت إليّ أمرك ، فغمّني ، وذكرته لأبي عبيد الله ، فتقدّم إليّ فيه بأمر ، ثمّ لم تصر إليّ ، فتعال معي الآن إلى الديوان .

قال يحيى : فمضيت معه إلى الديوان ، فأحضر التجّار المبتاعين لغلّات الأهواز ، فقال لهم : هذا الرّجل الّذي جعل له الوزير سهماً معكم فيما ابتعتموه فحاسبوه على ما بينكم وبينه .

قال يحيى : فأخذ التجّار بيدي إلى ناحية ، فواقفوني ، على ربح خمسين ألف دينار ، وأن أدعهم والغلّة ، فما برحتُ ، حتّى راج لي المال ، وحملته إلى منزلي .

وعرّفت أبي الحال ، فأخذ من المال عشرين ألفاً ، وقال : هذه تكفيني

لنفقتي ، إلى أن يفرّج الله تعالى عنّي ، والباقي لك ، فإنّ عيالك كثير .

قال أحمد بن أبي خالد : فرعى لي القوم ذلك ، يعني البرامكة ، فلمّا صار الأمر إليهم ، أشركوني في نعمتهم ، وكان آخر ما وليت لهم جند الأردن .

وانصرفت إلى مدينة السلام ، وقد سخط الرّشيد على يحيى ، ومعي من المال ستّة آلاف دينار ، فتوصّلت إلى أن [١٧٥ ر] دخلت إليه فيَ الحبس ، فتوجّعت له ، وعرضت عليه المال .

فقال : لست أجحف بك ، احمل إلينا منه ثلاثة آلاف دينار ، وكتب رقعة ، بخطّ لا أعرفه ، ثمّ أتربها ، ثمّ قطعها نصفين ، فجعل أحدهما تحت [١٠ ن] مصلّاه ، ودفع إليّ الآخر .

وقال : أمرنا قد ولّى ، ودولتنا قد انقضت ، وهذا الخليفة سيموت ، وستقع فتنة يطول فيها الأمر بين خليفتين ، يكون الظاهر منهما صاحب المشرق ، وسيكون [١٧٣ م] لغلام ، يقال له الفضل بن سهل ، معه حال ، فإذا بلغك ذلك ، فادفع إليه هذا النصف من الرقعة ، فإنّك ستبلغ بها ما تحبّ عنده .

قال أحمد بن أبي خالد : فخرجت من عنده ، وأنا أندم النّاس على إخراجي من يدي ثلاثة آلاف دينار ، إلى رجل قد نعى نفسه إليّ ، فاحتفظتُ بنصف الرقعة .

ومضت الأيّام ، وولي محمّد المخلوع ، ووقعت الفتن ، ولزمتني عطلة ، ودامت ، حتّى رقّت حالي ، واشتدّ إختلالي .

ودخل طاهر مدينة السلام ، فإنّي ذات يوم متفكّر في أمري ، متحيّر فيما أعمله ، سمعت قرع الباب عليّ .

فقلت لزوجتي : أخرجي إلى الدهليز ، وأعرفي الخبر ، ولا تتكلّمي ، ولا تفتحي ، فمضت ، وجاءت مذعورة .

وقالت : ما أدري ، على الباب جماعة من الشرط والمسوّدة[9] ونفّاطات .

فخرجت ، ووقفت خلف الباب ، وقلت : من هذا ؟

فقالوا : هذا منزل أحمد بن أبي خالد الأحول ؟

فقلت : نعم .

فقالوا : نحن رسل الأمير طاهر بن الحسين إليه .

فقلت : لعلّكم غلطتم ، ما يريد الأمير من مثله ؟

فقال بعضهم : يا هذا ، إنّا جئنا في أمر يسرّه ، فأعلمه إيّاه ، وأنّه لا بأس عليه .

قال : وظنّني غلاماً في الدار ، فسكنت إلى هذا القول ، ورجعت إلى مجلسي من الدار ، وأنفذت جارية سوداء كانت لي ، حتّى تفتح الباب .

فدخل قائد جليل ، وبرك بين يدي ، وقال : أنت - أعزّك الله تعالى أحمد بن أبي خالد ؟

قلت : نعم .

قال : الأمير يسألك أن تصير إليه الساعة .

قال : فأردت أن أسبر الأمر الّذي دعيت إليه ، أخير هو أم شرّ .

فقلت : أدخل ، وألبس ثيابي .

قال : افعل .

قال : فدخلت ، وأوصيت زوجتي فيما أحتاج إليه ، وعلمت أنّه لا بأس عليّ ، ولبست مبطّنتي ، وطيلساني[10] ، وشاشيتي[11] ، وخفّي ، ثمّ خرجت .

---

٩ المسوّدة : لابسوا السواد ، أي الجنود العباسيّة .

١٠ الطيلسان : راجع حاشية القصّة ١٦٣ من الكتاب .

١١ الشاشية : تطلق الكلمة على الطاقية التي تقوم مقام القلنسوة ، وقد تطلق على ملاءة من القماش الرّقيق تلفّ على الطاقية ، للتفصيل راجع معجم دوزي للألبسة ٢٤٠-٢٤٤ .

فقلت : ليس لي مركوب .

قال : فاركب من جنائبي[١٢] ، فركبت دابّة قدّمها إليّ ، وصرت إلى طاهر ، فسلّمت عليه ، فساعة رآني ، قال : أنت أحمد بن أبي خالد الأحول ؟

قلت : نعم .

فألقى إليّ كتاباً في نصف قرطاس ، بخطّ الفضل بن سهل ، وكان أوّل كتاب رأيته ، لأبي فلان ، من فلان ، فإذا عنوانه : لأبي الطيّب أعزّه الله تعالى ، من ذي الرياستين ، الفضل بن سهل ، وصدره : أعزّك الله ، وأطال بقاءك ، أمر أمير المؤمنين أطال الله بقاءه ، بأن تتقدّم ساعة وصول كتابي هذا ، بطلب أحمد بن أبي خالد الأحول الكاتب ، حيثما كان من أقطار الأرض[١٣] ، فتحضره مجلسك ، وتصله بخمسين ألف درهم ، وتحمله على عشرين دابة من دوابّ البريد ، إلى باب أمير المؤمنين أطال الله بقاءه ، مصوناً ، ولا ترخّص له في التأخّر ، [فرأيك – أعزّك الله – في العمل بذلك ، موفّقاً ، إن شاء الله تعالى ، وكتب في يوم كذا من شهر كذا][١٤] .

قال : فلمّا قرأت الكتاب ، اشتدّ سروري ، وقلت : آخذ فيما أحتاج إليه ، وأنهض .

فقال : ما إلى تأخّرك سبيل ، هذا المال ، وهذه الدوابّ ، وتخرج الساعة .

فقلت : أكتب إلى منزلي بما أحتاج إليه ، وأخذتُ المال ، وحملت أكثره [١٧٦ ر] إليهم ، وكاتبتهم بما أحتاج إليه .

وذكرتُ الرقعة الّتي من يحيى بن خالد ، فأمرتهم بإنفاذها إليّ ، وطلبت قماشاً قليلاً ممّا لا بدّ منه .

---

١٢ الجنيبة ، وجمعها جنائب : الدابّة تقاد إلى جانب الراكب .

١٣ في ر : من أقطار بغداد وأعمالها .

١٤ الزيادة من م .

فعاد الجواب بوصول المال ، وأنفذوا النصف من الرقعة ، وما طلبت من القماش ، وشخصت من دار طاهر ، سَحَرَ تلك الليلة .

فما مررت بمدينة إلّا خُدِمْتُ فيها أتمّ خدمة ، إلى أن وافيت الريّ ، فلقيني رجل ذكر لي أنّ ذا الرياستين أنفذه لتلقّي ، والقيام [١٧٤ م] بمصالحي إلى أن أوافي حضرته ، فلم يزل قائماً بما أحتاج إليه ، ويحضّ كلّ من أجتاز به على تفقّدي وخدمتي إلى أن وافيت باب الفضل بمرو ، ومعي صاحبه ، وصاحب طاهر .

فوقفتُ بباب الفضل طويلاً إلى أن تفرّغ ، ودعاني ، فدخلت ، وهو في قبة أدم ، وعليه سواد ، وحوله السلاح كلّه ، وبين يديه جحفة فيها كتب .

فلمّا مثلت بين يديه ، قال لي : أنت أحمد بن أبي خالد الكاتب ؟

فقلت : نعم .

قال : انصرف إلى منزلك ، وارجع إلينا بعد ثلاثة أيّام في سواد ، لأدخلك على أمير المؤمنين .

فولّيت من بين يديه ، وأنا لا أدري إلى أين أمضي ، وإذا خادم قد لحقني ، وأخذ بيدي ، وخرج معي ، حتّى سار إلى دار قد أعدّت لي ، وفيها كلّ ما أحتاج إليه من فرش ، وآلة ، وكسوة ، وغلمان ، ودوابّ ، وقماش ، وغير ذلك من الأطعمة والأشربة ، فجعل يعرّفني ما تحت يد كلّ غلام ، ثمّ قال : هذا كلّه لك ، وانصرف ، فأقمت في كلّ نعمة وسرور ، ثلاثة أيّام .

ثمّ غدوت في اليوم الرّابع في سواد[١٥] ، فألفيت ذا الرياستين خارجاً من داره ، فترجّلت ، ودنوت ، فأعطاني طرف كمّه فقبّلته ، ثمّ أمرني بالركوب ، فركبت ، وسرت في موكبه ، حتّى وافى دار المأمون ، فثنى رجله ، ونزل في محفّة معدّة له ، فجلس فيها ، وحمله القوّاد على أعناقهم ، حتّى أجلسوه مع

---

١٥ كان من آيين الخلافة ، أن لا يدخل أحد على الخليفة في أيّام الموكب ، إلاّ بسواد .

المأمون على السرير ، فمكثت غير بعيد .

فجاء خادم فدعاني ، فدخلت ، والفضل والمأمون على السرير ، وكلّ واحد منهما مقبل على صاحبه .

فقال الفضل : يا أمير المؤمنين ، هذا أحمد بن أبي خالد ، كانت كتبه ترد علينا من مدينة السلام بأخبار المخلوع ، في وقت كذا ، وفي وقت كذا ، وقد وفد على أمير المؤمنين وهو من اليسار ، وحسن الحال ، على أمر يقصر عنه الوصف ، وهو يعرض نفسه ، وماله ، على أمير المؤمنين ، يريد أنّه متى خلا بي ، فسألني عن شيء ، كنت قد عرفته .

قال أحمد : فشيّعت كلامه بما حضرني [١١ ن] .

فقال المأمون : بل ، قد وفّر الله تعالى عليه ماله ، ونضيف إليه أمثاله .

فقال : يا أمير المؤمنين ، ويشرك بينه وبين خدم أمير المؤمنين ، في تقلّد الأعمال .

قال : نعم .

قال : ويولّى ديوان التوقيع ، وديوان الفضّ والخاتم .

قال : افعل .

قال : ويخلع عليه خلعة هذه الأعمال .

قال : نعم .

قال : وصلة يعرف بها موقعه من أمير المؤمنين .

قال : نعم .

قال أحمد : فما برحت ، حتّى أنجز لي كلّ ذلك ، وانصرفت .

فلمّا كان بعد عشرين يوماً بعث إليّ في اللّيل ، فعلمت أنّه لم يحضرني في هذا الوقت ، إلّا ليسألني عن الرقعة ، فجعلتها في خفّي ، وصرت اليه ، وإذا هو جالس ، والحسن أخوه إلى جانبه .

فقال لي : يا أبا العبّاس ، كانت بينك وبين شيخنا أبي علي رضي الله عنه حرمة ؟

قلت : نعم ، وأيّ حرمة .

فقال : ما هي ؟

فقصصت عليه كيف كانت قصّة أبي معه ، ثمّ وصلت ذلك بخبري ، إلى أن انتهيت إلى حديث الدنانير ونصف الرّقعة .

فقال : أين هي ؟

فأخرجتها من خفّي ، فدفعتها إليه ، فرفع مصلّاه ، فإذا النصف الّذي كان يحيي بن خالد رحمه الله ، جعله تحت مصلّاه ، فقرن بينهما ، والتفت إلى أخيه وقد دمعت عيناه .

فقال : هذا خطّ [١٧٧ ر] أبي علي رضي الله عنه ، ثمّ قال : أقرأت ما فيها ؟ .

قلت : لا .

قال : فيها « أمتعني الله بك – يا بنيّ – طويلاً ، وأحسن الخلافة عليك ، قد وجب عليّ من حقّ أبي العبّاس أحمد بن أبي خالد الأحول الكاتب ، في الحال الّتي أنا عليها ، ما قد [١٧٥ م] أثقلني ، وأعجزني عن مكافأته ، إلى غير ذلك ممّا أعتدّ به لسلفه ، ونجمنا قد أفل ، وأمرنا قد انقضى ، ودولتك قد حضرت ، وجدّك قد علا ، فأحبّ أن تقضي عنّي حقّ هذا الفتى ، إن شاء الله تعالى .

قال أحمد بن أبي خالد : فلم أزل مع الفضل ، تترقّى حالي ، واختصّ بخدمة المأمون ، إلى أن دارت الأيّام ، واستكتبني المأمون ، وزادت النعمة ، ونمت ، والحمد لله على ذلك[١٦] .

---

١٦ لم ترد في غ .

وذكر محمّد بن عبدوس في كتابه « كتاب الوزراء » في أخبار أحمد بن أبي خالد ، قال :

كان سبب اتّصاله بالمأمون ، أنّ الرّشيد لما سخط على البرامكة ، واتّصل خبرهم ، وما هم فيه من الضيق ، بأحمد بن أبي خالد ، شخص نحو الرقّة ، فوافاها وقد أمر الرّشيد بمنع حاشيتهم من الدخول إليهم .

فلم يزل يحتال حتّى وصل إلى يحيى ، فانتسب له ، وعرّفه أنّه قصده لخدمته .

فرحّب به يحيى وأعلمه أنّه كان يحبّ أن يقصده في وقت إمكان الأمور ، ليبلغ من مكافأته وتحقيق ظنّه حسب رغبته .

فشكره أحمد ، وسأله قبول شيء حمله معه ، وإن كان يسيراً ، وضرع إليه .

فدفعه يحيى عنه ، وقال : نحن في كفاية .

فألحّ أحمد عليه ، وأعلمه أنّه لا يثق بقبول انقطاعه إليه إلّا بإجابته إلى ما سأل .

فسأله يحيى عن مقدار ذلك ، فقال : عشرة آلاف درهم .

فقال : ادفعها إلى السجّان .

وقال لأحمد : إنّ حالنا حالٌ لا نرجو معها بلوغ مكافأتك ، ولكنّي سأكتب لك كتاباً إلى رجلٍ سيقوم بأمر الخليفة الّذي يملك خراسان ، فأوصل إليه كتابي ، فسيقوم بقضاء حقّك .

ثمّ كتب له في قريطيس كتاباً ، وطواه ، ووضع عليه خاتمه ، فانصرف أحمد إلى منزله .

فلمّا قلّد الفضل بن سهل أمر المأمون ، قصده أحمد بن أبي خالد ، فوصل إليه في دار المأمون .

فلمّا فرغ من أعماله ، أوصل إليه الكتاب ، فأنكر وجهه ، وسأله عن صاحب الكتاب ، فقال : يقرأه الأمير – أطال الله بقاءه – فإنّه سيعرفه .

فلمّا فضّه ، ونظر إلى الخطّ استبشر ، ثمّ استدنى أحمد بن أبي خالد ،

وأعلمه إنّه من أعظم خلق الله منّةً عليه ، وأوجبهم حقّاً ، وأمره بالمصير إلى منزله .

فصار أحمد بن أبي خالد إلى دار الفضل ، فلمّا وصل إليه فيها ، عانقه ، وقبّله ، وقال : أوجبت – والله – عليّ حقّاً .

وسأله عن خبر الكتاب ، فذكره له ، فوعده ببلوغ المحبّة ، وأمر بإنزاله منزلاً يتّخذ له ، ويفرش بما يحتاج إليه ، ووجّه بحاجبه ، وبعض خدمه ، ومعهم تخوت ثياب ، وخمسون ألف درهم ، واعتذر إليه ، وأمره بالاستعداد للوصول إلى المأمون ، ثمّ أوصله إليه ، ووصفه له ، وقرّظه .

ولم يزل يقوم بحاله عنده ، حتّى أمر المأمون بتصريف أحمد بن أبي خالد ، وأجرى له الأرزاق والأنزال ، وأجراه في الوصول إليه مجرى الخاصّة ، وقلّده من أعمال خراسان ، وما وراء النهر ، أعمالاً جليلة ، وتمكّنت حاله عنده[17] .

قال محمّد بن عبدوس : وحدّثني علي بن أبي عون ، قال : حدّثني أبو العبّاس بن الفرات ، قال : حدّثني علي بن الحسن ، قال : حدّثني محمّد بن عمر الجرجاني الكاتب[18] : وذكر من خبر أحمد بن أبي خالد ويحيى بن خالد مثل الّذي ذكره يحيى بن خاقان ، وزاد فيه :

إنّ أحمد بن أبي خالد لم يحظ من أيّام يحيى بن خالد بشيْ ، وإنّه لزمه عند حبسه ، فلمّا حضرته الوفاة زوّده كتاباً إلى الفضل بن سهل [٩ ن] يعتذر إليه فيه من ولاية ما أولاه ، ويسأله مكافأته عنه ، وأنّه احتفظ بالكتاب مدّة أيّام الرّشيد ، وصدراً من أيّام محمّد ، وساءت حال أحمد بن أبي خالد ، وعظم فقره جدًّا ، واشتدّت عليه العطلة والخلّة ، فلمّا أنفذ محمّد الأمين علي بن عيسى بن ماهان ، لمحاربة طاهر ، عمل أحمد على اتّباع عسكره .

١٧ انفردت بها ن .

١٨ محمد بن عمر الجرجاني : روى له المرزباني في الموشّح ، راجع ص ٨٥ ، ٤٤٤ ، ٤٩٤ .

قال محمّد بن عمر الجرجاني : فجاءني يذكر ما عزم عليه ، ويصف إفراط خلّته ، وقصور حيلته ، وسألني أن أسأل سلاماً الأبرش ، لمودّة كانت بينه وبين أبيه ، أن يعينه بمركوب وبألفي درهم .

فقصدت سلاماً ، وسألته في ذلك ، فقال : والله ، لو كان لي بعدد الذباب دوابّ ، ما أعطيته شعرة من ذنب واحد منها ، ولو كان عندي بقدر رمل عالج عَيْنٌ وَوَرِقٌ ، ما أعطيته منها حبّة .

فانصرفت إليه – وقد كان أقام في منزلي ، ينتظر ما يجري – فأخبرته بما قال ، وحلفت له أنّي ما أملك إلّا دابّة ، وبغلة ، وأربعمائة درهم ، فليأخذ منها ما شاء .

فقال : أنت إلى الدابّة في الحضر أحوج ، وأنا إلى البغلة في السفر أحوج ، فأعطنيها ، وأنت مقيم ، وأنا مسافر ، وتقدر – أنت – أن تحتال لنفسك نفقة ، وأنا لا أقدر ، فأعطني أربعمائة الدرهم كلّها .

فدفعتها إليه مع البغلة ، وصحب عسكر علي بن عيسى .

فلمّا حدث على عليّ ما حدث ، صار إلى الفضل ، فأوصل إليه الكتاب ، فقرأه ، وسرّ نهاية السرور ، وأكرمه غاية الإكرام ، وأنكر عليه تأخّره إلى ذلك الوقت .

وقال : ما أعرف شيئاً أقضي به حقّك ، إلّا أن أشركك في أمري ، وأقلّدك العرض على أمير المؤمنين خلافة لي .

فقلّده ذلك ، وكبر أمره .

ولم يزل أحمد بن أبي خالد ، يضرّب على سلام الأبرش ، ويغري به المأمون ، إلى أن قال له : قد وهبت لك دمه ، وجميع ما يملكه .

فقبض عليه ، وقبض منه ما قيمته أربعة آلاف ألف درهم ، ودعا بالسيف والنطع ، وأمر بضرب عنقه ، بعد أن قرّعه بما كان منه عند مسألة محمّد بن عمر الجرجاني في أمره .

ثمّ أعرض عن قتله ، وأمر بحبسه ، وقال للمأمون : إنّي كرهت أن أتجاوز مذهب أمير المؤمنين في العفو ، فاستصوب رأيه .

وترقّت أحوال أحمد بن أبي خالد ، إلى أن تقلّد وزارة المأمون .

قال محمّد بن عمر الجرجاني : وحدثت الفتن بعد ذلك ببغداد ، وتشرّد أهلها عنها ، فهربت إلى إخوان كانوا لي بالكوفة ، فأقمت عندهم ، واستطبت البلد ، فسكنته ، وأبتعت بجميع ما أملكه ضيعة هناك ، وولينا عامل أحسن إلينا ، فشكرناه ، وانعقدت بيننا وبينه مودّة وكيدة .

ثمّ صرف بعامل آخر ، فحقد علينا المودّة الّتي كانت بيننا وبين المصروف ، فأساء معاشرتنا ، واضطرّنا إلى قصد أحمد بن أبي خالد للتظلّم ، فدخلت بغداد ، فلمّا رآني أكرمني ، واستبطأني ، وذكر تطلّعه إلى لقائي ، وطلبه إيّاي ، وغموض خبري عليه ، وسألني عن أموري ، فشرحتها له ، فكتب بخطّه بصرف العامل ، وتقليد المصروف الّذي كان صديقي .

وأعلمني بما جرى عليه أمر سلام الأبرش ، وقال : قد كنتُ جعلتُ لك فيما قبضت منه الربع ، وهو معزول لك ، فتسلّمه ، وكان قيمته ألف ألف درهم [19] .

---

١٩ انفردت بها ن .

٣٢٧
قصّة أبي عبيد الله وزير المهدي
وكيف ارتقت به الحال حتّى نال الوزارة

وذكر أبو الحسين القاضي ، في كتابه ، قال : حدّثني محمّد بن أحمد بن الخصيب ، قال : حدّثني من سمع أحمد بن أبي خالد الأحول ، يقول :

كان أبي صديقاً لأبي عبيد الله وزير المهدي ، وهو إذ ذاك معلّم ، وأبي متخلّي[1] ، فكانا يتعاشران ، ويألفهما أحمد بن أيّوب .

قال أبو خالد : وكنّا نتبيّن في أبي عبيد الله شمائل الرئاسة ، ونصدّره إذا اجتمعنا ، ونرجع إلى رأيه فيما يعرض لنا .

فقلت له ليلة ، ونحن نشرب : نحسبك سترأس ، وتبلغ مبلغاً عظيماً ، فإن كان ذلك ، فما أنت صانع بنا ؟

فقال : أمّا أنت يا أبا خالد ، فأصيّرك خليفتي على أمري ، وأمّا أنت يا ابن أيّوب ، فقل ما أردت .

فقال : أريد أن تولّيني أعمال مصر سبع سنين متوالية ، ولا تسألني بعد الصرف عن حساب .

قال : ذلك لك .

قال أبو خالد : فلم يمض لهذا الأمر إلّا مديدة ، حتّى أمسكت السماء ، وخرج النّاس يستسقون ، وكان عليهم – إذ ذاك – ثعلبة بن قيس ، عاملاً من قبل صالح بن عليّ ، فما انصرف النّاس ، حتّى أتت السماء بمطر غزير .

فقال ثعلبة لكاتبه : اكتب إلى الأمير بما كان من القحط ، وما حدث بعده

---

١ في م : متجمّل .

من الاستسقاء ، وما تفضّل الله به من الغيث .

فكتب كتاباً ، لم يرضه ثعلبة ، فقال لمن حوله : ألا يصاب لي رجل ، يخاطب السلطان عنّي ، بخطاب حسن .

فقال له بعضهم : ها هنا رجل مؤدّب ، معه بلاغة ، وأدب كثير ، وفيه – مع ذلك – عقل .

فقال : أحضره .

فأحضر أبا عبيد الله ، وأمره بأن يكتب عنه إلى صالح بن علي[٢] ، في ذلك المعنى ، فكتب كتاباً استحسنه ثعلبة ، وأنفذه إلى صالح بن علي .

فلمّا قرأه أعجبه ، وكتب إلى ثعلبة : أن أحمل إليّ كاتبك على البريد ، فحمله إليه ، فلمّا وافاه ، امتحنه ، فوجده كافياً في كلّ ما أراده ، فاستكتبه .

فلمّا تتابعت كتبه عن صالح بن علي ، إلى المنصور ، قال المنصور : كنت أرى كتب صالح بن علي ترد ملحونة ، وأراها الآن ترد بغير ذلك الخطّ ، وهي محكمة ، سديدة ، حسنة .

فخبّر بخبر أبي عبيد الله ، فأحضره ، فلمّا فاتشه ، وجده كما أراد ، فاستكتبه لابنه المهدي .

قال أبو خالد : وطعن الرّبيع على أبي عبيد الله ، عند المنصور ، مراراً[٣] .

فقال : ويلك ، أتلومني في اصطناع معاوية ، وقد كنت أجتهد بأبي عبد الله – يعني المهدي – أن ينزع عنه لباس العجم ، فلا يفعل ، فلمّا صحبه معاوية ،

---

٢. صالح بن عليّ بن عبد الله بن العبّاس الهاشمي (٩٦–١٥١) : عم المنصور ، أمير ، قائد ، كان قائد الجيش الذي تعقّب مروان إلى مصر وقتله ، فولاّه السفّاح مصر ، ثم ضمّت إليها فلسطين ، ثم ولّي مصر وفلسطين وأفريقية ، ثم ولّي الجزيرة واستقرّ بها وكانت له الديار الشاميّة كلّها ، وتوفّي بقنسرين (الأعلام ٢٧٨/٣) .

٣ بدأ الربيع يدسّ على أبي عبيد الله عند المنصور ، فخاب سعيه ، فعاود الدسّ عليه عند المهدي ، فظفر به ، وعزله المهدي .

لبس لباس الفقهاء .

قال أبو خالد : ثمّ أشخصني أبو عبيد الله إليه ، لما كتب للمهدي ، فقلّدني خلافته على الديوان ، فلمّا مات المنصور ، وولي المهدي الخلافة ، أنفذت الكتب إلى أحمد بن أيّوب بولاية مصر ، فلم يزل بمصر ، والياً عليها ، إلى أن توفي بها[٤] .

---

٤ لم ترد هذه القصّة في غ .

٣٢٨

القاضي التنوخي يتحدّث

عن قصّته مع أبي علي أحمد بن محمّد الصولي

قال مؤلّف هذا الكتاب : كنت بالبصرة [١٧٨ ر] في المكتب سنة خمس وثلاثين ، وأنا مترعرع ، أفهم ، وأحفظ ما أسمع ، وأضبط ما يجري .

وكان أبو بكر محمّد بن يحيى الصولي ، قد مات بها في شهر رمضان من هذه السنة ، وأوصى إلى أبي في تركته ، وذكر في وصيته أنّه لا وارث له .

فحضر إلى أبي ثلاثة إخوة شباب ، فقراء ، بأسوء حال ، يقال لأكبرهم : أبو علي أحمد[1] ، والأوسط : أبو الحسن محمّد ، والأصغر أبو القاسم ، بنو محمّد التمّار .

وذكروا لأبي ، أنّ أمّهم تقرب إلى أبي بكر الصولي ، وأنّهم يرثونه برحمها منه ، وذكروا الرحم واتّصالها .

فسامهم أبي ، أن يبينوا ذلك عنده بشهادة شاهدين من العدول ، ليعطيهم ما يفضل – بعد الدين من التركـة – عن الثلث ، فاضطربوا في ذلك ، وكانوا يتعكّسون[2] في إقامة الشهادة شهوراً ، ويلازمون باب أبي .

وكان مكتبي في بيت قد أخرجه من داره إلى سكّة الإثنين الّتي ينزلها ، وجعل بينه ، وبين باب داره ، دكّاناً[3] ممتدًّا .

---

١ أبو علي أحمد بن محمّد بن جعفر الصولي : ترجم له الخطيب في تاريخه ٤٠٨/٤ وقال عنه إنّه سكن الأهواز بآخرة ، ومات بها .

٢ التعكّس في المشية : السير سير الأفعى يميناً وشمالاً .

٣ الدكّان : الدكّة ، راجع حاشية القصّة ٢٨٥ من الكتاب .

فكنت ، ومعلّمي ، والصبيان ، نجلس طرفي النهار على الدكان ، وفي انتصافه في البيت .

فكان هؤلاء الإخوة يجلسون عندي في المكتب كثيراً ، ويؤانسون معلّمي ، ويلاعبوني ، ويتقربون إليّ ، ويسألوني أن أعرض لهم على أبي ، الرقعة ، بعد الرّقعة ، يعطوني إيّاها .

فقال لي يوماً ، الأكبر منهم ، وهو أبو علي أحمد بن محمّد : إن أعطاك الله تعالى ، الحياة ، حتّى تتقلّد القضاء ، وتصير مثل القاضي أبيك في الجلالة والنعمة ، وجئتك ، أيّ شيئ تعطيني ؟

فقلت له ، بالصبا ، وكما جرى عليه لساني : خمسمائة دينار .

قال : فأعطني خطّك بها ، فاستحييتُ ، وسكتُّ .

فقال لمعلّمي : قل له يكتب لي .

فقال لي : اكتب له ، وأملى عليّ المعلم ، وأبو علي ، رقعة في هذا المعنى ، وأخذها أبو علي [١٢ ن] .

فما مضت إلّا أيّاماً حتّى استدّت [٤] لهم الشهادة عند أبي ، على صحّة ما ادّعوه من الرحم ، واستحقاق الميراث بها .

وكان أبي قد باع التركـة ، وقضى الدين ، وفرّق قدر الثلث ، وترك الباقي مالاً عنده ، فأمر بتسليمه إليهم ، وأشهد بقبضه عليهم ، وانصرفوا .

فما وقعت لي عين على أحد منهم ، إلّا في سنة ست وخمسين وثلثمائة ، فانّي كنت أتقلّد القضاء والوقوف بسوق الأهواز ، ونهر تيرى ، والأنهار ، والأسافل ، وسوق رامهرمز ، سهلها وجبلها ، وأعمال ذلك ، وأنا في داري بالأهواز ، وأمري في ضيعتي مستقيم .

---

٤ استدّ : استقام ، ومنه قول الشاعر :

أعلّمه الرماية كلّ يوم فلما استدّ ساعده رماني

فدخل إليّ بوّابي ، فقال : بالباب رجل يقول : أنا من قرابة الصولي ، قدمت من بغداد بكتبٍ إليك ، وذكره لي ، فلم أذكره .

وقلت : أدخله .

فدخل رجل شيخ لم أعرفه ، فسلّم ، وجلس ، وقال : أنا خادم القاضي منذ كان في المكتب ، أنا قرابة الصولي ، فعرفته ، ولم أذكر الخطّ ، ولا القضية .

فأخرج إليّ كتباً من جماعة رؤساء ببغداد ، يذكرون أنّه قد كان مقيماً منذ سنين ، ببغداد ، ورّاقاً بقصر وضّاح[5] بالشرقية[6] ، بحالة حسنة ، فلحقته محنٌ أفقرته ، ويسألوني تصريفه ، ومنفعته ، فوعدته جميلاً .

فقال : إنّما جعلت هذه الكتب ، طريقاً يعرفني القاضي بها ، وما أعوّل الآن عليها ، إذ قد أحياني الله عزّ وجلّ ، إلى أن رأيته قاضياً في بعض عمل أبيه رضي الله عنه ، وجاهه ونعمته ، كجاهه ونعمته ، أو قريب من ذلك ، وقد حلّ لي بذلك دين عليه ، واجب في ذمته ، وما أقنع إلّا به .

فقلت : ما معنى هذا الكلام [١٧٩ ر] .

فقال : أينسى القاضي ديني ؟ ثمّ أخرج رقعتي الّتي كان أخذها منّي في المكتب .

فحين رأيتها ، ذكرت الحديث ، وحمدت الله كثيراً ، وقلت : دين واجب حالّ ، وحقّ مرعيّ وكيد ، ولكن تعرف صعوبة الزمان ، والله ، ما يحضرني اليوم مائة دينار منها ، ولو حضرت ، ما صلح أن أشتهر بصلتك بها ،

---

٥ قصر وضّاح : قال ياقوت في معجم البلدان ١٢٣/٤ إنّها محلّة بالجانب الغربي من بغداد تنسب إلى وضّاح بن شبا مولى المنصور ، قال الشاعر :

سقى الله بـاب الكرخ من متنزّه   إلى قصر وضّـاح فبركة زلزال

٦ الشرقيّة : محلّة بالجانب الغربي من بغداد ، قيل لها الشرقيّة ، لأنّها شرقي مدينة المنصور (معجم البلدان ٢٧٩/٣) .

فيصير لي حديث يعود بضرر عليّ ، ولكن ارض منّي ، بأخذ دينك متفرّقاً .

فقال[7] : قد رضيت ، وما جئت إلّا لأقيم في فنائك ، إلى أن أموت .

وجاء لينهض ، فقلت : إلى أين ؟ اجلس ، فجلس ، فوقّعت له في الحال ، إلى بزّاز كان يعاملني ، أن يعطيه ثياباً بثلثمائة درهم ، وإلى جهبذ الوقوف ، أن يعطيه من أبواب البرّ ، عشرة دنانير ، واستدعيت كيس نفقتي ، وأعطيته منه مائتي درهم .

وقلت له : قم ، فاستأجر داراً ، وتأثّث بما قد حضر الآن ، واكتس ، وعد إليّ ، لأصرّفك فيما أرجو أن أوصله إليك ، منه ، ومن مالي ، الجملة الّتي في الرّقعة .

فقبّل يدي ، ورجلي ، وبكى ، وقال : الحمد لله الّذي أراني هذا الفضل منك ، وحقّق فراستي فيك ، وقام .

وجاءني بعد يومين ، في ثياب جدد ، فأمرت بوابي ألّا يحجبه عليّ ، وخلطته بنفسي ، وأجريت عليه من أبواب [١٦٩ غ] البرّ بالوقوف ، بالضعف والمسكنة[8] ، دينارين في الشهر ، وقلّدته الإشراف على المنفقين في ديوان الوقوف ، وأجريت عليه لهذا ثلاثة دنانير أخرى في الشهر ، وولّيته[9] جباية عقار الأيتام ، وولّيته عليهم ، وأذنت له في أخذ أعشار الارتفاع ، وجعلته مشرفاً على أوصياء في وصايا في أيديهم ، إلى أن يخرجوها في وجوهها ، [وجعلت له على ذلك أجراً ،][10] .

وركبت إلى عامل البلد ، فسألته له ، فأجرى عليه في كلّ سنة ، من مال

---

٧ في غ : فراغ من منتصف القصّة ٣٢٣ إلى هذه الكلمة .

٨ في ن : من الوقوف بالضعف والمسكنة ، يريد أنّه أجرى عليه المبلغ من الوقوف المشروط فيها صرف غلّتها على الضعفاء والمساكين .

٩ في ن : ورددت إليه .

١٠ الزيادة من ن .

أثمان فرائض الصدقات ، ستّين ديناراً ، [وكان رسم أهل ديوان الصدقات بكور الأهواز ، في ذلك الحين ، أن يسبّب لهم بنصف أرزاقهم ، [ويرتفق العمّال من ذلك النصف بقطعة منه][10] ، ويصل إليهم الباقي تحقّقاً ، أو يسبّب أخذه مستأنفاً ، لضيق المال ، وقلّته عن أصول أرزاق المرتزقة ، فكنت أتقدّم إلى من يقوم له في المطالبة ، أن يلازم العمّال ، حتّى يصل إليه كاملاً][11] .

وكنت أعطيه ، في كلّ شهر أو شهرين ، شيئاً من مالي ، وشيئاً من كسوتي ، وثياباً صحيحة من بزّازيّ ، فوالله الّذي لا إله إلّا هو ، ما صُرِفْتُ عن عملي — وكانت صحبته لي نحو ثلاثين شهراً — إلّا وقد وصل إليه من هذا الوجه ، ومن غيره ، أكثر من خمسمائة دينار ، حتّى أنّه تزوّج فيها بوساطتي ، وبجاه خدمتي ، إلى امرأة موسرة ، من أهل الأهواز ، وصار الرجل من المتوسطين بالأهواز ، وصار ينسب إلى الصولي ، وشهر نفسه بأبي عليّ الصولي .

ثم صرفت عن تلك الولاية في سنة تسع وخمسين وثلثمائة ، لما ولي الوزارة محمد بن العباس ، فقصدني ، وصرفني ، وقبض ضيعتي ، وأشخصني إلى بغداد ، بعد حقوقٍ كانت لي عليه ، وآمالٍ لي فيه[12] .

فتجرّد أبو علي هذا ، المعروف بالصولي ، لسبّي في المجالس ، وشتمي في المحافل ، والطعن عليّ بالعظائم ، والسعاية عليّ في مكارهي .

فكشف الله تعالى تلك المحن عنّي ، وأجراني على تفضّله ، بغير كثيرِ سعيٍ منّي ، ولا حول ولا قوة إلّا بالله ، وعدت بعد ثلاث سنين وشهور ، إلى الأهواز ، والياً بها ، وللأعمال الّتي كنت عليها معها ، وأضيف إليّ واسط وأعمالها ، وقد استخلفت عليها ، ورجعت [١٨٠ ر] إلى داري ، فجاءني هذا الرّجل معتذراً .

فقلت له : أتحبّ أن أقبل عذرك ؟

---

١١ وردت الجملة مضطربة فأصلحتها .

١٢ ذكر المؤلّف ظلامته في القصّة ٨٠ من هذا الكتاب .

قال : نعم .

قلت : أخبرني ما السبب الّذي أحوجك إلى ما عملت بي من القبيح ، بعدما عملته معك من الجميل ؟ فجمجم في القول[13] .

فقلت له : ما إلى الرضا سبيل .

فقال : أنا أصدقك ، دخلت عليك يوماً ، وعلى رأسك قلنسوة باذان[14] جديدة من خرقة حسنة ، فاستملحتها ، فسألتك هبتها لي ، فرددتني ، فلمّا كان بعد أيّام ، رأيتها على رأس ابن نظيف المتكلّم ، المعروف بشهدانه[15] .

فسألته : من أين لك هذه ؟

فقال : وهبها لي القاضي .

فوقر ذلك في نفسي منك ، وتزايد ، فلمّا حدثت تلك النكبة ، كان منّي بعض ما بلغك [١٧٠ غ] ، وأكثره كذب ، وأنت وليّ العفو ، وجعل يقبّل يدي ورجلي ، ويبكي .

فعجبت من لؤم طبعه ، ومن كثرة شرّه ، وقبح كفره للنعم ، واختلاف أحكام الأزمنة وأهلها ، وجعلت أكثر من قول : الحمد لله على تفضّله ، ولم أكافه بقبيح البتّة .

واقتصرت به على الحال الّتي كنت ولّيته إيّاه ، لأنّ القاضي الّذي [١٣ ن] ولي القضاء بعدي ، أقرّه على ما كنت ولّيته ، فكان قد استمرّ له أخذ الدنانير من الصدقات ، والجاري من الوقوف ، وأبواب البرّ ، وقبضت يدي عن نفعه بما فوق ذلك[16] .

---

١٣ في غ : فلجلج في القول .

١٤ يريد قلنسوة من صنع مدينة باذان ، وتسمّى باذان فيروز ، من مدن أذربيجان وهي مدينة أردبيل المشهورة (معجم البلدان ٤٦١/١) .

١٥ أبو الحسن علي بن نظيف البغداديّ البهشمي ، أي المتكلم على مذهب أبي هاشم الجبائي ، المعتزلي ، المعروف بابن السراج ، وبشهدانه : نقل عنه التنّوخي في نشوار المحاضرة القصّتين ٦٠/٣ و ٢٨/٨ .

١٦ هذه القصّة لم ترد في م .

٣٢٩

فرّ هارباً من الضائقة

فوافاه الفرج في النهروان

وذكر أبو الحسين القاضي في كتابه ، قال : حدّثني أبو علي أحمد بن جعفر بن عبد ربّه البرقي[١] ، قال : حدّثني أبو سعيد الحسين بن سعيد القطربّلي[٢] .

قال مؤلّف هذا الكتاب : وحدّثني صاحب لي من ولد إبراهيم بن إسحاق ، أخي موسى بن إسحاق القاضي الأنصاري الخطمي ، وهو علي بن محمّد بن إسحاق ، أخي موسى بن إسحاق ، قال : سمعت أبا الحسين بن أبي عمر القاضي ، يحدّث أبا القاسم علي بن يعقوب كاتب بجكم ، وكاتب الترجمان بهذا الحديث ، ويقول : إنّني ألّفت كتاباً [١٧٨ م] وسمّيته « كتاب الفرج بعد الشدة » ، وذكرت فيه هذا الخبر ، وعدّة أخبار تجري مجراه ، قال : وأخذ يقرّظ كتابه ، ويشوّق عليّ بن يعقوب إليه ، قال :

حدّثني أبو سعيد الحسين القطربّلي ، قال : كان في جيراني رجل من أهل البيوتات ، وكانت له نعمة ، فزالت عنه ، وساءت حاله جدّاً ، وكانت له زوجة وأربع بنات ، فحبلت زوجته ، وأخذها المخاض في اللّيل .

قال : ولم تكن لي حيلة في الدنيا ، فخرجت ليلاً ، هارباً على وجهي ، أمشي ، حتّى أتيت جسر النهروان[٣] ، وأمّلت أن ألقى عاملها ، وكان يعرفني ،

---

١ أبو عبد الله أحمد بن جعفر بن عبد ربه بن حسان الكاتب المعروف بالبرقي : ترجم له الخطيب في تاريخه ٦٩/٤ .

٢ لعلّه الحسين بن سعد بن الحسين بن سعد القطربّلي : ترجم له الخطيب في تاريخه ٥١/٨ .

٣ لا بدّ للمسافر من بغداد إلى بلاد الجبل أو خراسان ، أن يعبر النهروان ، وهو نهر عظيم يبدأ من قرب تامرا أو حلوان ، ويسقي كورة واسعة خصبة ، ثم يصبّ في دجلة أسفل المدائن ، وكان عليه جسر =

وأسأله تصريفي في شيءٍ ، وتعجيل رزق شهر ، لأنفذه إلى زوجتي .

فوصلت إلى الموضع ، وقد ارتفع النهار ، فقعدت أستريح بالقرب من بقّال .

فإذا فيج[٤] – وهو الساعي – قد جاء ، فوضع مخلاته[٥] وعصاه ، ثمّ قال للبقّال : أعطني كذا [١٧٢ غ] وكذا ، من خبز ، وتمر ، وإدام[٦] ، فأعطاه ، فأكل ، ووزن له الثمن .

ثمّ فتح مخلاته ، فميّز ما فيها من الكتب ، فرأيت فيها كتاباً إليّ ، وعليه اسم منزلي ، واسمي ، وكنيتي ، ولا أعرف كاتبه .

فقلت للفيج : هذا الكتاب إليّ .

فقال : أتدري ما تقول ؟ .

فقلت له : قد قلتُ الصحيح ، فإن مضيت إلى بغداد ، لم تجد صاحب الكتاب .

فقال : أهاهنا إنسان يعرفك ؟

قلت : نعم ، العامل .

قال : قم بنا إليه .

= للعابرين ، وعمرت في ذلك الموضع مدينة على جانبي النهر ، فيها أسواق ، ومسجد جامع في كلّ جانب ، وخانات لنزل المسافرين ، وهي على بعد أربعة فراسخ من بغداد ، قال ياقوت في معجمه : إنّ اختلاف المتحكّمين في العراق أدّى إلى حصول البثوق في النهر ، فاندرس ، واندرست كلّ المدن والقرى التي كانت عليه (معجم البلدان ٤/٨٤٦–٨٥١ والأعلاق النفيسة ١٦٣) .

٤ الفيج : الساعي الذي يرتزق بنقل ما يكلّفه الناس نقله من رسائل وغيرها . راجع حاشية القصّة ٢٢١ من هذا الكتاب .

٥ المخلاة : كيس يجعل فيه العلف ، ويعلّق في عنق الدابّة ، ثم صرف الاسم إلى كلّ كيس يعلّق في العنق ، وتوضع فيه الأشياء ، والبغداديّون يسمّون المخلاة : عليجة ، نسبة للعليج (العليق) ، ويتندّرون على المفلس التيّاه ، بأنّه : مكدّي (شحاذ) وعليجته قديفة (قطيفة) .

٦ الإدام : بكسر أوّله ، الطعام الذي يؤكل مع الخبز ، والبغداديّون يسمّونه إيدام .

فجئت ، فلمّا دخلت على العامل ، قال : ما أقدمك علينا يا فلانُ ؟

فقلت له : قبل كلّ شيئ – أعزّك الله – ، من أنا ؟ وأين منزلي ببغداد ؟

فقال : أنت فلان بن فلان ، ومنزلك بمدينة السلام ، في مدينة المنصور منها ، في سكة كذا وكذا .

فقلت للفيج : عرفتَ صدقي ؟

قال : نعم .

قال : فحدّثت العامل بحديثي ، وأخذت الكتاب من الفيج ، فإذا هو من بعض المستورين بالدينور[7] ، يذكر أنّ ابن عمّ كان لي قد توفي ، بعد أن أوصى إليه أنّي وارثه ، وسمّاني له ، ووصف منزلي ببغداد .

قال : وقد كتب الرّجل يذكر أنّ ابن عمّي أوصى بالثلث من ماله في وجوه من أبواب القرب[8] ، وأن يسلّم باقي ثلثيه إليّ ، وأنّه باع من أثاثه ومنقوله ، ما خاف فساده من تركته ، وصرف الثلث منه في بعض ما كان أوصى به ، وأنفذ إليّ سفتجة بالثلثين من ذلك ، مبلغها سبعمائة ديناراً وكذا وكذا ديناراً ، تحلّ بعد أربعين يوماً ، على تاجر في دار القطن بالكرخ[9] .

وقال : الوجه أن تبادر إلى الدينور ، وتبيع العقار والضياع ، أو أبيع الثلث منها ليصرف في وجوهه ، وتتمسّك بالثلثين إذا شئت .

قال : فورد عليّ من السرور ما لا عهد لي بمثله ، وحمدت الله عزّ وجلّ .

فقلت للفيج : قد وجب حقّك ، وسأحسن إليك ، وشرحت له قصتي ، وأنّه لا حبّة معي فضّة فما فوقها .

---

٧ الدينور : مدينة من أعمال الجبل ، قرب قرميسين (كرمانشاه) ، (معجم البلدان ٢/٧١٤) .

٨ القربة ، وجمعها ، قرب : ما يتقرّب به إلى الله تعالى من أعمال البرّ والطاعة .

٩ دار القطن : محلّة كانت ببغداد في نهر طابق ، بالجانب الغربيّ ، بين الكرخ ونهر عيسى (معجم البلدان ٢/٥٢٣) .

فجاء إلى البقال ، فقال : زِنْ لأستاذي بكذا وكذا خبزاً ، وبكذا وكذا إداماً ، وما يريد غيرهما .

فتغدّيت ، ووزن الفيج ثمن ذلك من عنده ، واستأجر حمارين ، فأركبني أحدهما ، وركب هو الآخر ، ووزن الأجرة من عنده .

وجئنا في بقيّة يومنا إلى بغداد ، وقصدنا دار القطن ، وفي النهار بقيّة صالحة ، فأوصلت السفتجة [١٧٩ م] إلى التاجر ، فنظرها ، وقال : صحيحة ، إذا حلّ الأجل ، فاحضر للقبض .

فقلت له : خذ حديثي ، وافعل بعد ذلك ما يوفّقك الله تعالى له ، وقصصت عليه قصّتي .

فقال لي : والله الّذي لا إله إلّا هو ، إنّك صادق ؟ ، فحلفتُ .

فأخرج كيساً كان بقربه ، فوزن لي منه مال السفتجة .

وصرت من وقتي إلى السوق ، فاشتريت سويقاً[١٠] ، وسكراً ، وعسلاً ، وشيرجاً[١١] ، وخبزاً عظيماً ، وخروفاً مشويًّا ، وحلوى ، مما يصلح للنساء في النفاس ، ومهداً ، وفرشاً حسناً ، وعطراً صالحاً ، وشيئاً من ثياب .

وصرت إلى منزلي ، وقد قرب العشاء الآخرة ، فوجدت كلّ من فيه من النساء يلعنني ، ويدعو عليّ .

فقدّمت الحمالين ، ودخلت وراءهم ، فانقلبت الدار بالدّعاء لي ، وصار الغمّ سروراً ، ووجدت زوجتي قد ولدت غلاماً .

فعرّفت الصبيان خبر السفتجة [١٧٣ غ] ، والميراث ، والفيج ، وأعطيت

---

١٠ السويق : راجع حاشية القصّة ٢٤٧ من الكتاب .

١١ الشيرج ، والسيرج : زيت السمسم ، وكان البغداديّون في عهد صاحب كتاب الفرج بعد الشدّة ، يكثرون من استعمال الشيرج ، ويدخل في كثير من ألوان أطعمتهم ، راجع كتاب الطبيخ للبغدادي ، وكتاب ألف ليلة وليلة ، والقصّة ٣٤٢ من هذا الكتاب ، أما الآن فالبغداديّون لا يكادون يعرفونه ، وقد أدركت الناس ببغداد ، وهم لا يستعملون الشيرج إلاّ للسراج في الحمّامات ، قبل استعمال الكهرباء .

الزوجة ، والقابلة ، من الدنانير شيئاً .

وأقمت الفيج عندي أيّاماً ، حتّى أصلحت من أمري ، وأمر عيالي ، ما وجب صلاحه ، وخلّفت لهم نفقة ، وأخذت من الدنانير نفقة ، وأعطيت الفيج منها ، فأجزلت له ، واكتريت حمارين ، لي وله ، واستصحبته إلى الدينور .

فوجدت فيها ما تحصّل لي ممّا خلفه ابن عمّي نحو عشرة آلاف دينار ، فبعت ذلك كلّه ، وأخذت بحصّتي سفاتج إلى بغداد .

وعدتُ وقد فرّج الله عنّي ، وقد صلح حالي ، وأنا أعيش في بقيّة تلك الحال إلى الآن .

٣٣٠
خرج مملقاً وعاد قائداً

وذكر القاضي أبو الحسين في كتابه ، قال :

أملق بعض الكتّاب ، وتعطّل ، وافتقر ، حتّى لم يبق له شيء ، وكاد يسأل ، وخرج على وجهه في الحالة الّتي كان عليها .

ثمّ إنّه ورد بعد قليل من سفرته ، فدخلتُ عليه ، وقلت : ما خبرك يا فلان ؟

فقال : متمثّلاً بهذين البيتين :

فـإبنـا سالمـين كما ترانـا ... وما خابت غنيمـة سالمينـا
وما تدريـن أيّ الأمـر خـير ... أما تهويـن أم ما تكرهينـا

فطيّبت نفسه ، وجعلت أسلّيه .

فأقام أيّاماً ، وتأتّتْ له نفقة ، فخرج إلى خراسان ، فما سمعنا له خبراً سنين ، فإذا هو قد جاءنا بزيّ قائد عظيم ، لكثرة الدواب ، والبغال ، والجمال ، والغلمان ، والمال العظيم ، والقماش .

فدخلت إليه ، وهنّأته ، فقال : تضايقي تنفرجي ، وما تراني بعد هذا أطلب تصرّفاً .

فباع تلك الأشياء ، وترك منها ما يصلح لذي المروءة ، واشترى من المال ضيعة بعشرين ألف دينار ، ولزم منزله [١٨٢ ر] وضيعته .

٣٣١
عودة المرء سالماً غنيمة حسنة

قال مؤلّف هذا الكتاب :

أرجف لبعض رؤساء دولة شاهدناها ، بالوزارة ، واحتدّ أمره ، وبرد ، وأرجف لعدوٍّ له بالوزارة[1] .

فلقيت بعض [١٤ ن] أصدقاء الأوّل ، فسألته عن حقيقة الحال ، فقال لي : أمس لقيته ، فسألته عن سبب وقوف أمره ، واحتداد أمر عدوّه ، فردّ عليّ جوابَ آيس من الأمر .

ثمّ قال لي : وقد جعلتُ في نفسي ، أنّ انصراف هذا الأمر خير لي ، فإنّ فيما ألي من أمور المملكة كفاية ، ثمّ أنشدني كالمستريح إلى ذلك ، يقول :

إذا نحن إبنا سالمين بأنفس ... كرامٍ رجت أمراً فخاب رجاؤها
فأنفسنا خير الغنيمة إنّها ... تؤوبُ وفيها ماؤها وحياؤها

فلمّا كان بعد بضعة عشر يوماً ، أمّر ، وولي الوزارة ، وبطل أمر عدوّه .

وكان هذا الخبر ، أجدر بأن يجعل في باب من بشّر بفرج من نُطْقٍ أو فأل ، ولكنّني جئت به هاهنا ، لاشتباك معنى الشعر في الخبرين المتجاورين .

---

١ لما توفّي المهلّبي ، وزير معزّ الدولة ، في السنة ٣٥٢ تطلّع للوزارة كلّ من أبي الفضل العبّاس بن الحسين الشيرازي ، زوج زينة ابنة المهلّبي ، وأبي الفرج محمّد بن العبّاس بن فسانجس ، فأمر معزّ الدولة أن ينظرا سويّة في الأمور ، من غير تسمية لواحد منهما بالوزارة ، ولما مات معزّ الدولة ، سعى كلّ منهما لنفسه مجدّداً ، وترتّبت الوزارة أوّلاً لأبي الفضل ، ثم وافى أبو الفرج من عمان ، وصار الناس حزبين ، ثم تمكّن أبو الفضل بمعاونة شيرزاد ، فتمّت له الوزارة (تجارب الأمم ١٨١/٢ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨) .

٣٣٢

قضى الله للهبيري رزقاً

على يد الوزير ابن الزيات فاستوفاه على رغم أنفه

وذكر أبو الحسين القاضي ، بإسناد ، قال : حدّثني أبو الحسن علي بن أحمد الكاتب ، عن أحمد بن اسرائيل ، قال :

كنت كاتباً لمحمّد بن عبد الملك الزيّات ، فقدم عليه رجل من ولد عمر بن هبيرة ، يقال [١٧٤ غ] له : إبراهيم بن عبد الله الهبيري ، فلازمه يطلب تصرّفاً .

وكان ابن الزيّات قليل الخير ، لا يرعى ذماماً ، ولا يوجب حرمة ، ولا يحبّ أن يصطنع أحداً ، فأضجره الهبيري من طول تردّده عليه .

فدعاني ابن الزيّات يوماً ، وهو راكب ، وقال : قد تبرّمت بملازمة هذا الرّجل ، فقل له : إنّي لست أولّيه شيئاً ، ولا له عندي تصرّف ، ومره بالانصراف عنّي .

قال : فقلت : أنا والله أستحي أن ألقى مؤمّلاً لك ، عنك ، بمثل هذا .

قال : لا بدّ أن تفعل .

قلت : نعم .

فلمّا صرت إلى منزلي ، وجّهت إلى الهبيري ، فجاءني ، فقلت له : ما كنت تؤمّل أن تنال بصحبة أبي جعفر محمّد بن عبد الملك الزيّات ، خذه من مالي ، ولا تقربه ، وهذه ثلاثة آلاف درهم .

فقال متعجّباً : من مالك ؟ [١٨١ م] .

قلت : نعم .

قال: أنا أؤمّل أن أكسب معه أكثر من ذلك[1] .

فقلت : إنّه قد حمّلني إليك رسالة ، استحيت من أدائها ، فعدلت عنها إلى هذا .

قال : فهات ما حمّلك .

قال : فأعدت عليه ما قال ابن الزيّات .

فقال : قد سمعت منك ، فهل أنت مؤدٍّ عنّي ما أقول ؟

قلت : نعم .

قال : قل له ، قد كنت آتيك في صبيحة كلّ يوم مرّة ، ووالله لآتينّك منذ الآن في كلّ غدوة وعشيّة ، فإن قضى الله عزّ وجلّ على يدك رزقاً ، أخذته على رغمك .

فرجعت إلى ابن الزيّات ، فأعلمته قوله .

فقال : دعه ، فوالله ، لا يرى منّي خيراً أبداً .

قال : ولازمه الرّجل ، غدوة وعشيّة ، فكان إذا رآه ، التفت إليّ ، وقال : قد جاء البغيض ، فمكث كذلك مدّة .

وركب ابن الزيّات يوماً إلى الواثق ، وهو بالهاروني[2] ، بسرّ من رأى[3] ، وكنت معه .

---

١ في غ : أؤمّل أن أكسب معه أكثر مما تناله يدك .

٢ الهاروني : قصر قرب سامراء ، ينسب إلى الواثق هارون ، يبعد عنها ميلاً واحداً ، وبازائه بالجانب الغربيّ ، قصر المعشوق (معجم البلدان ٤/٩٤٦) .

٣ سرّمن رأى : وتسمّى الآن سامراء ، مدينة شمالي بغداد ، تبعد عنها مائة كيلومتر ، بناها المعتصم في السنة ٢٢١ لما ضاقت بغداد بجنوده الأتراك ، فانتقل إليها وسكنها الخلفاء من بعده ، إلى أن استقرّ المعتضد ، ومن بعده ، ببغداد ، فتقلّصت سامراء ، وأصبحت بليدة ، بعد أن كانت حاضرة الدنيا (المنجد ، معجم البلدان ٣/١٤–٢٢) .

فدخل إلى الخليفة ، وجلست في بعض الدور ، أنتظر خروجه ، فخرج ، وهو يكثر التعجّب .

فسألته ، فقال : أنت تعرف مذهبي ، قال : وكان يرى رأي المعتزلة ، ويقول : إنّ الارزاق ، تأتي بالاكتساب .

فقلت له : وماذا تهيّأ عليك ؟

فقال : دخلت إلى الخليفة ، فقال : على الباب أحد نصطنعه[4] ؟ فلم يخطر ببالي غير الهبيري ، فأمسكت .

فقال : ويلك أكلّمك فلا تجيبني ، وأعجلني عن الفكر .

فقلت : على باب أمير المؤمنين ، رجل من أعداء دولته ، وأعداء سلفه ، ومن صنائع بني أميّة ، من ولد عمر بن هبيرة .

قال : فنصطنعه فيشكرنا ، كما اصطنع أباه بنو أمية فشكرهم .

قلت : إنّه معدم .

قال : نغنيه ، [١٨٣ ر] فراودته .

فقال : كم تدفعني [١٦ ن] عنه ؟ أعطه الساعة ثلاثين ألف درهم .

ثمّ قال : من أهل الدراريع[5] هو ، أم من أهل الأقبية[6] ؟ .

قلت : صاحب قباء .

قال : قلّدوه الساعة عملاً يصلح له ، وأثبت له من ولده ، وغلمانه ، وأهله ، مائة رجل .

فلمّا فرغ من كلامه ، قال : قل للهبيري ما عرّفتك ، وادفع إليه ما أمر له الخليفة به ، وسله ألّا يشكرني ، فقد جهدت في دفع الواثق عنه ، فما اندفع ،

---

٤ الاصطناع : إسداء الصنيعة ، أي الإحسان .

٥ أهل الدراريع : يريد بهم الكتاب ، أي المدنيّين .

٦ أهل الأقبية : يريد بهم الجند ، والعمّال .

قال أحمد بن إسرائيل : فلمّا خرجت إلى الشارع ، إذا بالهبيري ينتظر خروج ابن الزيّات ، [فعرّفته ما جرى ، فقال : لا بدّ من شكره على كلّ حال ، وجاء ابن الزيّات][7] [١٧٥ غ] فترجّل له الهبيري ، فشكره .

فقال له : ألم أقل لأحمد يقول لك : لا تشكرني .

فقال : لا بدّ من ذلك ، لأنّ الله تعالى قد أجرى رزقي على يديك .

قال : أحمد بن إسرائيل : فوالله ، ما مضى اليوم ، حتّى قبض المال ، وولي بعض كُوَرِ فارس .

[وذكر هذا الخبر محمّد بن عبدوس الجهشياري ، في كتابه « كتاب الوزراء » عمّن حدّثه به ، عن أحمد بن إسرائيل ، فذكر أنّ الرجل ، يقال له : أحمد بن عبد الله الهبيري ، وذكر قريباً من هذا ، وذكر أنّ الّذي خوطب في أمره من الخلفاء ، كان المتوكّل ، وأنّ الّذي أمر له به ، كان خمسة آلاف درهم ، وأن يضمّ إليه ثلثمائة رجل ، وأنّ حاله بعد ذلك علت عند المتوكّل ، ولم يقل أنّه قلّده بعض كُوَرِ فارس][8] .

وحدّثني أبي رحمه الله تعالى ، هذا الحديث ، وذكر أنّ تردّد الهبيري – ولم يسمّه – إلى ابن أبي خالد الأحول ، وأنّ الّذي حمل الرسالة إلى الهبيري ، قصده إلى منزله ، وحمل معه ثلاثة آلاف درهم ، وقال : إنّ الوزير يقول لك ، ليس لك عندي تصرّف ، فخذ هذه النفقة ، وانصرف عنّي إلى حيث شئت .

فغضب الهبيري ، وقال : جعلني شحّاذاً ، والله لا أخذتها .

قال الرسول : فغاظني ذلك ، فقلت له : والله ، ما المال إلّا من عندي ، لأنّي استحيت أن أعيد عليك رسالته ، فآثرت أن أغرم مالاً في الوسط ، أجمّل به صاحبي ، وأؤجر فيك ، وأرفع نفسي عن قبيح التوسّط الّذي ارتكبته .

---

٧ الزيادة من غ .

٨ الزيادة من م .

فقال : أمّا أنت ، فأحسن الله جزاءك ، وأمّا مالك ، فأنا لا أقبله ، ولو مصصت الثماد ، ولكن تؤدّى إليّ الرسالة بعينها ، فأدّيتها .

فقال : تتفضّل ، وتحمل عنّي حرفين .

فقلت : هات .

قال : تقول له : والله ، ما لزومي لك في نفسك ، ولو تعطّلتَ ، ما مررتُ بك ، ولكنّ الله تعالى ، يقول : وأتوا البيوت من أبوابها ، وأنت باب رزق مثلي ، لأني لا أحسن إلّا هذه الصناعة ، ولا بدّ من أن آتيك طالباً رزقي من بابه ، وليس يمنعني ذلك استقبالك إيّاي بالرّد ، فإن قسم الله تعالى لي على يديك شيئاً ، أخذته منك ، وإلّا ، فلا أقلّ من أن أؤذيك برؤيتي ، كما تؤذيني بتعطيلي .

وقال فيه عن ابن أبي خالد : فصرت في الوقت إلى المأمون ، فقال : هاتم شخصاً أوّله مصراً .

قال : فأراد أن يذكر له رجلاً يعتني به ، يعرف بالزّبيريّ ، لتولّي ذلك العمل ، فلغيظه من الهبيري ، وقرب عهده به وبحديثه ، غلط ، فقال : الهبيري .

فقال الخليفة : أو يعيش ؟ وعرفه ، وذكر له خدمة قديمة .

وأراد ابن أبي خالد أن يزهّده فيه ، قال : فطعنت عليه بكلّ شيء ، وهو يقول : لا أريد غيره ، أنا أعرفه بالجلادة .

الى أن قلت له : أنا غلطت ، وإنّما أردت أن أقول فلان الزبيريّ .

قال : وإن غلطتَ ، فالهبيري ، أقوم بهذا من الزبيريّ ، وأنا أعرفهما ، فلمّا رآني قد أقمت على الدفع عنه ، قال : له معك قصّة ، فاصدقني عنها ، فصدقته .

فقال : قد والله ، أجرى رزقه على يديك ، وأنت راغم ، أخرج فولّه مصر .

فقلت : إنّه ضعيف ، ولا حالة له ، ولا مروءة ، فكيف يخرج في مثل هذه الحال إلى عمله ؟

قال : وهذا من رزقه الّذي يجرى على يديك وأنت راغم ، أطلق له مائة ألف درهم فأخرجه .

فخرجت ، وامتثلت أمره راغماً[٩] .

٩ الفقرة المنقولة عن كتاب الجهشياري لم ترد في م ، ووردت في كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للقاضي التنّوخي برقم القصّة ١١١/٢ .

٣٢٣

تضايقي تنفرجي

وذكر القاضي أبو الحسين رحمه الله تعالى ، [عن رجل][1] ، قال : حدّثتني أمّ أبي ، قالت : كان زوجي [١٨٤ ر] قد نهض إلى مصر ، وتصرّف بها ، وعمل ، ونكب ، وتعطّل ، فأقام هناك .

وأضقنا إضاقة شديدة ، وعرضنا بيع ضيعة لنا [١٧٦ غ] ، فلم نجد لها ثمناً ، وتأخّر كتابه عنّا ، وانقطع خبره ، حتّى توهّمنا أنّ حادثاً قد حدث عليه .

وكان أولادي أصاغر ، فجعلتُ أحتال وأنفق عليهم ، حتّى لم يبق في المنزل شيء .

وحضر وقت عمارة الضيعة ، واحتجنا إلى بذار ونفقة ، فتعذّر ذلك علينا ، حتّى كادت تتعطّل ، ويفوت وقت الزراعة .

فأصبحت يوماً ، وبي من الغمّ لاجتماع هذه الأحوال أمر عظيم ، فوجّهت إلى بعض من كنت أثق به ، وأتوهّم أنّني لو سألته إسعافنا بالكثير من ماله لا يخالفنا ، لأقترض منه شيئاً لذلك ، فردّ رسولي ، واعتذر .

وعرّفني الرّسول الّذي بعثت به إليه ، أنّه قال : إذا بعثت إليهم ما طلبوا ، والضيعة لم تعمر ، ولم تحصل لهم غلّة ، وزوجها لم يعرف له خبر [١٧ ن] ، فمن أين يردون عليّ ؟

فلمّا رجع الرّسول بذلك ، كدت أموت غمّاً ، وامتنعت من الطعام يومي وليلتي .

وأصبحت ، فما انتصف النهار ، حتّى ورد كتاب زوجي بسلامته ، وذكر

---

١ الزيادة من غ وم .

السبب في تأخير كتابه ، وأرسل إليّ في كتابه سفتجة بمائة دينار ، ونحوت ثياب قد أنفذها مع تاجر من أهل مصر ، قيمتها خمسون ديناراً ، فقبضت ذلك ، وعمرنا الضيعة ، وررعَتْ تلك السنة ، وصلحت حالنا[٢] .

٢ ورد السند في م : حدثتني جدّتي أمّ أبي . قالت حدثتني أمّ جدّي ، قالت : كان زوجي يعقوب بن عليّ قد نهض إلى مصر ، وورد السند في ن : حدّثتني جدّتي أمّ أبي ، قالت : حدّثتني أمّ أبي ، قالت كان زوجي يعقوب بن علي قد نهض إلى مصر .

٣٣٤
من مكارم سعيد بن العاص أمير الكوفة

وذكر القاضي أبو الحسين في كتابه :

حكي أنّ سعيد بن العاص[١] ، قدم الكوفة عاملاً لعثمان بن عفّان[٢] ، رضي الله عنه ، وكان ممّن يتعشّى عنده ، رجل من الفقراء ، قد ساءت حاله .

فقالت امرأته : ويحك ، أنّه قد بلغنا عن أميرنا كرم ، فاذكر له حالك ، وحاجتك ، لعلّه أن ينيلنا شيئاً ، فلم يبق [١٨٣ م] للصبر فينا بقيّة .

فقال : ويحك لا تخلقي وجهي .

قالت : فاذكر له ما نحن فيه على كلّ حال .

فلمّا كان بالعشيّ ، أكل عنده ، فلمّا انصرف النّاس ، ثبت الرّجل .

فقال سعيد : [حاجتك ؟ ، فسكت][٣] .

فقال سعيد لغلمانه : تنحّوا ، ثمّ قال : [إنّما نحن أنا وأنت ، فاذكر حاجتك ، فتعقّد ، وتعصّر ، فنفخ سعيد المصباح فأطفأه .

ثمّ قال له :][٣] يرحمك الله ، لست ترى وجهي ، فاذكر حاجتك .

---

١ سعيد بن العاص (٣–٥٩) : صحابيّ ، أمير ، أمويّ ، قرشيّ ، فصيح ، جواد ، ولّي لعثمان الكوفة ، ولمعاوية المدينة (الأعلام ١٤٩/٣) ، أقول : هو الذي قال فيه الفرزدق :

ترى الغرّ الجحاجحَ من قريش ... إذا ما الخطب في الحدثات غالا
قياماً ينظرون إلى سعيدٍ ... كأنّهم يرون به هلالا

٢ أبو عمرو عثمان بن عفّان (٤٧ ق–٣٥) : ذو النورين ، ثالث الخلفاء الراشدين ، أحد العشرة المبشّرة ، كان غنياً شريفاً في الجاهلية ، وأسلم بعد البعثة بقليل ، وصرف الكثير من ماله في إعلاء شأن الإسلام بويع بالخلافة سنة ٢٣ ، فاتمّ جمع القرآن ، ونقم عليه الناس اختصاصه أقاربه من بني أميّة ، بالولايات والأعمال ، فقتل بالمدينة (الأعلام ٣٧١/٤) .

٣ الزيادة من غ .

فقال : أصلح الله الأمير ، أصابتنا حاجة ، فأحببت أن أذكرها لك .

فقال : إذا أصبحت فالقَ فلا ناً وكيلي .

فلمّا أصبح الرّجل ، لقي الوكيل ، فقال : إنّ الأمير قد أمر لك بشيءٍ ، فهات من يحمله معك ، [قال : ما عندي من يحمل ، فانصرف إلى امرأته ، فجعل يلومها ، ويقول : قال لي وكيله هات من يحمل معك][3] ، وما أظنّه أمر لي إلّا بقوصرة تمر ، أو قفيز برّ ، وذهب ماء وجهي ، ولو كانت دراهم أو دنانير لأعطانيها في يدي .

فلمّا كان بعد أيّام ، قالت له امرأته : يا هذا ، قدبلغ بنا الأمر إلى ما ترى ، ومهما أعطاك الأمير ، يقوتنا أيّاماً ، فالق وكيله ، فلقيه .

فقال : أين تكون ؟ إنّي قد أخبرت الأمير أنّه ليس لك من يحمل ما أمر به لك معك ، فأمرني أن أوجّه من يحمل معك ما أمر به لك [١٧٧ غ] .

ثمّ أخرج إليه ثلاثة من السودان ، على راس كلّ واحد منهم بدرة دراهم ، ثمّ قال : امضوا معه .

فلمّا بلغ الرّجل باب منزله ، فتح بدرة ، فأخرج منها دراهم ، فدفعها إلى السودان ، وقال : امضوا .

فقالوا : أين نمضي ، نحن عبيدك ، ما حمل مملوك للأمير هدية قط ، فرجع إلى ملكه .

قال : فصلحت حاله ، واستظهر على دنياه .

٣٣٥

ألجأته الحاجة إلى بيع مقنعة أمّه

ثمّ ملك مصر

وذكر أبو الحسين القاضي ، في كتابه ، بإسناد ذكره ، قال : حدّثني عمّي أبو الطّيبَ محمّد بن يوسف بن يعقوب ، قال : حدّثني بعض إخواني ، قال[١] :

كنت أحضر طعام عبيد الله بن السريّ[٢] ، بمصر ، فكان إذا وضع الخوان[٣] ، وضع رغيفاً ، وعزل بيده من كلّ شيءٍ ، فإذا فرغ تصدّق به .

فقُدّمَتْ إليه ذات يوم عناق[٤] سمينة ، في أوّل الطعام ، فضرب بإصبعه في جنبها ، فشخبت[٥] حتّى ملأت الخوان دسماً [١٨٥ ر] فأمسك يده ، وقال : الحمد لله ، ذكرت بهذا شيئاً أحدّثكم به .

كنت ببغداد ، نازلاً بسوق الهيثم[٦] ، فأصابتني حاجة شديدة ، وبقيت بلا

---

١ كذا ورد في م ، وفي غ : حدّثني عمي أبو الطّيب محمد بن يوسف بن يعقوب ، قال ... الخ ، وفي ر : وحدّث أبو الطّيب رحمه الله تعالى ، قال ... الخ

٢ عبيد الله بن السريّ : من القوّاد ، تغلّب على مصر ، وخلع الطاعة في السنة ٢٠٦ ، وولّى المأمون خالد ابن يزيد بن مزيد ، مصر ، فدفعه عبيد الله عنها ، فولّى عبد الله بن طاهر ، فلما قدم عبد الله في السنة ٢١٠ مصر ، بعث اليه ابن السريّ هدية جليلة ، وهي ألف وصيف ، يحمل كلّ وصيف كيساً من الحرير فيه ألف دينار ، فردّ عبد الله الهدية ، وأمره بمغادرة مصر ، فتركها إلى العراق حيث أنزل مدينة المنصور ومات بسامراء في السنة ٢٥١ (الأعلام ٣٤٨/٤ وابن الأثير ٣٩٦/٦–٣٩٩ و ٤٠٢ والعيون والحدائق ٣٦٧/٣–٣٦٩ وتجارب الأمم ٤٥٩/٦–٤٦١) .

٣ الخوان : سفرة الطعام ، أو السماط ، أو المائدة ، فارسية .

٤ العناق : الأنثى من أولاد المعز ، قبل استكمالها السنة .

٥ الشخب : صوت اندفاق اللبن من الضرع عند الحلب .

٦ سوق الهيثم : سوق كبيرة متّصلة ، في ربض الهيثم بن معاوية ، في مدينة المنصور ، ويشتمل الربض على السوق وعلى منازل ودروب وسكك (البلدان لليعقوبي ٢٤٧) .

حبّة فضّة فما فوقها ، ولا في منزلي ما أبيعه .

فإنّي لكذلك ، وما عندي طعام ، ولا ما أشتري به قوت يومي ، إلّا أنّ عندي نبيذ قد أدرك ، وأنا جالس على باب داري ضيّق الصدر ، أفكّر فيما أعمله .

إذ اجتاز بي صديق لي ، فجلس اليّ ، فتحدّثنا ، فعرضت عليه المقام عندي ، عرض معذّر[7] ، كما جرى على لساني ، فأجابني ، وقعد .

فانقطع بي ، وتمنّيت أنّي خرست ، فلم أجد بدّاً من إدخاله منزلي ، فأدخلته .

وقمت إلى أمّي فعرّفتها الخبر ، فأعطتني مقنعتها[8] ، وقالت : بعها ، وقم بأمرك اليوم ، فبعتها بثلاثة دراهم ، واشتريت بها خبزاً وسمكاً وبقلاً ، وريحاناً ، وجئت به .

فبينا نحن كذلك ، إذ مرت بي سنّور لبعض الجيران ، فمددت يدي إليها ، فإذا هي ذلول ، فقبضت عليها ، وذبحتها ، وسلختها ، ودفعتها إلى أمّي ، فقلت : اشويها ، ففعلت ، وقدّمتها الى صديقي ، مع ما [١٨٤ م] اشتريته ، فأكلنا .

فذكرتُ لما وقعت يدي على هذه العناق ، حالي تلك ، وحالنا اليوم من السعة والنعمة ، ونفاذ الأمر ، فالحمد لله على ما أنعم .

ودعا بمال عظيم ، وأمر أن يتصدّق بنصفه بمصر ، وبعث نصفه إلى مكة والمدينة ، يتصدّق به هناك .

وأمر بالخوان وما عليه أن يطعم للمساكين ، ودعا بخوان آخر .

---

٧ المعذّر : المقصّر في الأمر ، يريد أنّه دعاه من دون رغبة في دعوته ، ولكن كي يرفع عنه اللوم .

٨ كلّ ما يغطّي الرأس ، فهو قناع ، والمقنعة : غطاء للرأس أصغر من القناع .

٣٣٦
أبى أن يعطيه ديناراً ثمّ أعطاه ألفي دينار

حدّثني أبو بكر محمّد بن عبيد الله بن محمّد الرازي ، المعروف بابن حمدون ، [عن الحسن بن محمّد الأنباري الكاتب ، قال : كان لي أيّام مقامي بأرجان جارٌ تاجر ، يعرف بجعفر بن محمّد ، وكنت آنس به ، فحدّثني][1] ، قال :

كنت أحجّ دائماً ، وأنزل على رجل علويّ ، حسيني فقير ، مستور ، فألطفه ، وأتفقّده .

فتأخّرت عن الحجّ سنة ، ثمّ عاودت ، فوجدته مثرياً ، فسررت ، وسألته عن سبب ذلك .

فقال : كان قد اجتمع معي دريهمات على وجه الدّهر ، ففكّرت ، عام أوّل ، في أن اتزوّج ، فإنّي كنت عزباً[2] ، كما قد علمتَ .

ثمّ علمتُ أنّ فرض الحجّ قد تعيّن عليّ ، فرأيت أن أقدّم أداء الفرض ، وأتوكّل على الله عزّ وجلّ ، في أن يسهّل لي – بعد ذلك – ما أتزوّج به .

فلمّا حججتُ ، طفت طواف الدخول ، وأودعت رحلي ، وما كان معي ، في بيت من خان ، وأقفلت بابه ، وخرجت إلى منى[3] .

---

١ الزيادة من غ و ن .

٢ العزب : بفتح ، الذي لا أهل له من الرجال والنساء .

٣ منى : موضع رمي الجمار في الحرم ، بليدة على فرسخ من مكّة ، تعمر أيام الموسم ، وتخلو بقيّة السنة إلاّ ممن يحفظها (معجم البلدان ٦٤٢/٤) أقول : نزلت بمنى لما حججت في السنة ١٩٦٤ فوجدتها بليدة ، والعمران فيها قليل جداً ، وذكروا أنّ سبب قلّة العمران بها ، أنّ الفقهاء أفتوا بأنّها مشعر من المشاعر ، فلا يجوز لأحد أن يقتطع منها قسماً يستأثر به ويمنع الحاجّ من النزول فيه ، أو بالبناء المبني فيه ، وهي تكاد تكون ، في غير موسم الحاجّ خالية ، فإذا حلّ الموسم اكتظّت بالحجّاج اكتظاظاً عظيماً ، حتى أني في ثالث الأضحى ، استأجرت في الثانية عشرة ظهراً سيارة توصلني إلى مكّة ، فلم أصل إلاّ في الرابعة ، مع وجود أربعة طرق عريضة للسيّارات ، عدا الطرق المخصّصة للمشاة .

فلمّا عدت ، وجدت البيت مفتوحاً ، فارغاً ، فتحيّرت ، ونزلت بي شدّة ما مرّ بي قطّ مثلها .

فقلت : هذا أعظم للثواب ، فما وجه الغمّ ، فاستسلمت لأمر الله عزّ وجلّ .

فجلست في البيت ، لا حيلة لي ، ولا تسمح نفسي بالمسألة ، فاتّصل مقامي ثلاثة أيّام ، ما طعمت فيها شيئاً .

فلمّا كان في اليوم الرابع ، بدأ فيّ الضعف سَحَراً ، وخفت على نفسي ، وذكرت قول جدّي رسول الله صلّى الله عليه وآله : ماء زمزم لما شرب له ، فخرجت أريدها حتّى شربت منها ، ورجعت أريد باب إبراهيم الخليل[4] على نبيّنا وعليه أفضل الصلاة والسلام لأستريح فيه .

فبينا أنا أسير ، إذ عثرت في الطريق بشيئ أوجع إصبعي ، فأكببت عليه لأمسكه ، فوقعت يدي على هميان أدم[5] أحمر كبير ، فأخذته .

فلمّا حصلَ في يدي ، ندمتُ ، وعلمت أنّ اللقطة – ما لم تعرّف – حرام .

وقلت : إن تركته الآن ، كنتُ أنا المضيّع له ، وقد لزمني أن أعرّفه ، ولعلّ صاحبه ، إذا رجع إليه ، أن يهب لي شيئاً أقتاته حلالاً .

فجئت إلى بيتي ، وفتحت الهميان[6] ، فإذا فيه دنانير صفر ، تزيد على ألفي دينار .

فسددته ، ورجعتُ إلى المسجد ، فجلست عند الحِجْر[7] ، وناديت : من ضاع

---

٤ باب إبراهيم : أحد أبواب الحرم ، اعتبره ابن جبير في رحلته (ص ٧٤) منسوباً للنبيّ ابراهيم الخليل ، فقال : باب ابراهيم الخليل صلّى الله عليه وسلّم ، في زاوية كبيرة ، فيها دار إمام المالكيّة في الحرم ، وفيها خزانة للكتب ، أما ابن بطّوطة ، فقد ذكر في رحلته (ص ٢١١) باب ابراهيم وقال : إنّ البعض ينسبه إلى ابراهيم الخليل عليه السّلام ، والصحيح أنه منسوب إلى ابراهيم الخوزي من الأعاجم .

٥ الأديم : الجلد المدبوغ .

٦ الهميان : راجع حاشية القصّة ٢٤٥ من هذا الكتاب .

٧ الحجر ، بكسر الحاء وسكون الجيم : موضع بجانب الكعبة ، فيه قبر هاجر أم اسماعيل عليه السلام (معجم البلدان ٢/٢٠٨) .

له شيءٌ ، فيأتيني بعلامته ، ويأخذه .

فانقضى يومي ، وأنا أنادي ، وما جاءني أحد ، وأنا على حالي من الجوع .

وبتّ في بيتي ، ليلتي كذلك ، وعدت إلى الصفا والمروة[٨] ، فعرّفته عندهما يومي ، حتّى كاد [١٨٨ غ] ينقضي ، فلم يأتني أحد .

فضعفت ضعفاً شديداً ، وخشيت على نفسي ، فرجعت متحاملاً ، ثقيلاً ، حتّى جلست على باب إبراهيم الخليل ، على نبيّنا وعليه السلام ، وقلت قبل انصرافي : إنّي قد ضعفت عن الصياح وأنا ماضٍ أجلس على باب إبراهيم ، فمن رأيتموه يطلب شيئاً ضاع منه ، فأرشدوه إليّ .

فلمّا قرب المغرب ، وأنا في الموضع ، إذا أنا بخراسانيّ ينشد ضالّة ، فصحت به ، وقلت له : صف لي ما ضاع منك [١٩٣ م] ، فأعطاني صفة الهميان بعينه ، وذكر وزن الدنانير وعددها .

فقلت : إن أرشدتك إلى من يردّه عليك ، تعطيني منه مائة دينار ؟ .

قال : لا .

قلت : فخمسين ديناراً ؟

قال : لا .

قلت : فعشرة دنانير ؟

قال : لا .

فلم أزل أنزل معه ، حتّى بلغت إلى دينار واحد .

فقال : لا ، إن رأى من هو عنده ، أن يردّه إيمانا واحتساباً ، وإلّا فهو أبصر ، وولّى لينصرف [١٨٩ ر] .

فورد عليّ أعظم وارد ، وهممت بالسكوت ، ثمّ خفت الله سبحانه وتعالى ،

---

٨ الصفا والمروة : أكمتان في مكّة ، قرب المسجد الحرام ، والسعي بينهما من مناسك الحجّ ، راجع معجم البلدان ٣/٣٩٧ و ٤/٥١٣ .

وأشفقت أن يفوتني الخراسانيّ .

فصحت به : إرجع ، إرجع ، وأخرجت الهميان ، فدفعته إليه ، فأخذه ، ومضى ، وجلست ، ليس لي قوّة على المشي إلى بيتي .

فما غاب عنّي إلّا قليلاً ، حتّى عاد ، فقال لي : من أي البلاد أنت ، ومن أيّ النّاس ؟ .

قال : فاغتظت منه غيظاً شديداً ، وقلت : ما عليك ، هل بقي لك عندي شيء ؟

قال : لا ، ولكنّي أسألك بالله العظيم ، من أي النّاس والبلاد أنتَ ؟ فعرّفني ، ولا تضجر .

فقلت : رجلٌ من العرب ، من أهل الكوفة .

فقال : من أيّهم أنت ، واختصِرْ ؟

فقلت : رجل من ولد الحسين بن علي بن أبي طالب ، رضي الله عنهم .

فقال : ما حالك ومالك ؟

قلت : لا أملك في هذه الدنيا كلّها إلّا ما تراه ، وقصصت عليه حال محنتي وما كنت طمعت فيه أن يعطينيه من الهميان ، وما قد انتهيت إليه من الضعف من الجوع .

فقال : أريد من يعرّفني صحّة نسبك وحالك ، حتّى أقوم بجميع أمرك كلّه .

فقلت : ما أقدر على المشي للضعف ، ولكن إئت الطواف ، وصح بالكوفيّين ، وقل : رجل من بلدكم ، علويّ ، بباب إبراهيم ، يريد أن يجيئه منكم من ينشط لحالٍ هو فيها ، فمن جاء معك فهاته .

فغاب غير بعيد ، ثمّ جاء ومعه من الكوفيين جماعة اتّفق أنّهم كلّهم كانوا يعرفون باطن حالي .

فقالوا : ما تريد أيّها الشّريف[9] ؟

---

٩ الشريف : تعبير يطلق على من كان من السلالة النبويّة .

فقلت : هذا رجلٌ يريد أن يعرف حالي ، ونسبي ، لشيءٍ بيني وبينه ، فعرّفوه ما تعرفون من ذلك .

قال : فعرّفوه صحّة نسبي ، ووصفوا له طريقتي ، وعدمي .

فمضى ، وجاء فأخرج الهميان بعينه ، كما سلّمته إليه ، فقال : خذ هذا بأسره ، بارك الله لك فيه .

فقلت : يا هذا ، ما كفاك ما عاملتني به ، حتّى تهزأ بي ، وأنا في حال الموت .

قال : معاذ الله ، هو لك ، والله .

فقلت : فلِمَ بخلتَ عليّ بدينار منه [١٨٩ غ] ، ثمّ وهبت لي الجميع ؟

فقال : ليس الهميان لي ، وما كان يجوز لي أن أعطيك منه شيئاً ، قلّ أو كثر ، وإنّما أعطانيه رجل من بلدي ، وسألني أن أطلب في العراق ، أو في الحجاز ، رجلاً علوياً ، حسينياً ، فقيراً ، مستوراً ، فإذا علمت هذا من حاله ، أغنيته ، بأن أسلّم إليه هذا المال كلّه ، ليصير أصلاً لنعمة تنعقد له ، فلم تجتمع لي هذه الصفات قبلك في أحد ، فلمّا اجتمعت فيك ، بما شاهدته من أمانتك ، وفقرك ، وعفّتك ، وصبرك ، وصحّ عندي نسبك ، أعطيتكه .

فقلت له : يرحمك الله ، إن كنت تحبّ استكمال الأجر ، فخذ منه ديناراً ، وابتع لي به دراهم ، واشتر بها ما آكله ، وصر به إليّ الساعة ها هنا .

فقال : لي إليك حاجة .

قلت : قل .

قال : أنا رجلٌ موسر ، والّذي أعطيتك ليس لي فيه شيئ ، كما عرّفتك ، وأنا أسألك أن تقوم معي إلى رحلي ، فتكون في ضيافتي إلى الكوفة ، وتتوفّر عليك دنانيرك .

فقلت : ما فيّ حركة ، فاّحتل في حملي ، كيف شئت .

فغاب عنّي ساعة ، وجاء بمركوب ، وأركبنيه إلى رحله ، وأطعمني في الحال

ما كان عنده ، وقطع لي من الغد [١٩٤ م] ثياباً وكان يخدمني بنفسه ، وعادلني في عمّاريته[١٠] إلى الكوفة ، فلمّا بلغتها ، أعطاني من عنده دنانير أخر ، وقال لي : تزوّد بها بضاعة ، وفارقته ، وأنا أدعو له ، وأشكره ، ولم أمسّ الهميان .

وأخذت [٢٣ ن] أنفق من الدنانير الّتي أعطانيها الرّجل ، باقتصاد ، إلى أن اتّفقت لي ضيعة رخيصة ، فابتعتها بالهميان ، فأغلّت ، وأثمرت ، وأنا ، من الله عزّ وجلّ ، في نعمة جزيلة ، وخير كثير ، والحمد لله على ذلك .

---

١٠ العمّارية : شبه الهودج ، يوضع على ظهر الدابّة ، ويركب فيه المسافر .

٣٣٧

سافر إلى الموصل ثمّ إلى نصيبين

في طلب التصرّف حتّى إذا أيس جاءه الفرج

وذكر القاضي أبو الحسين ، في كتابه ، قال : قال بعضهم :

لحقتني نكبة في بعض الاوقات ، وتطاولت عليّ الأيّام في العطلة ، وركبني دين فادح ، وبعت آخر ما كان في ملكي .

فصار إليّ صديق لي ، حاله مثل حالي في العطلة ، فقال : هل لك أن نخرج إلى الموصل[1] ، فإنّ عاملها فلان ، ولي به حرمة ، فنتطلّب منه تصرّفاً .

فقلت : أفعل .

فاحتلت نفقة ، وخرجنا ، حتّى دخلنا الموصل ، فوجدنا العامل يريد الرحيل إلى ديار ربيعة[2] .

قال : فلقيه الرّجل ، ولم يتهيّأ لي لقاءه ، وخرجنا إلى ناحية ، فلقيته أنا هناك ، فوعد [١٧٦ م] جميلاً ، وسرتُ إلى نصيبين ، وقد نفدتْ نفقتي .

وكشف لنا العامل هناك ، أنّه قد قلّد مصر ، مضافاً الى أعماله ، وأنّه يريد الخروج إليها .

---

١ الموصل : قال ياقوت في معجم البلدان ٤/٦٨٢–٦٨٥ إنّها إحدى قواعد بلاد الإسلام ، وهي باب العراق ، وإنّما سمّيت الموصل ، لأنّها وصلت بين الشرق والغرب ، وهي كثيرة الخيرات ، عذبة الماء ، صحيحة الهواء ، شديدة الحرّ في الصيف ، شديدة البرد في الشتاء . أقول : وقد عانيت ، أنا ، من برد الموصل ، فقد نقلت إليها قاضياً ، في خريف السنة ١٩٣٦ ، ومكثت فيها شهراً ، وكنت قد أعددت لنفسي ثياباً ثقيلة ، ومعطفاً ، ولكنّي لاقيت فيها ما لا عهد لي به من البرد ، فاضطررت إلى استعارة عباءة صوف ثقيلة من أحد أصدقائي هناك ، السيد رؤف المفتي رحمه الله ، أحد القضاة المتقاعدين .

٢ ديار ربيعة : ما بين الموصل إلى راس عين ، وما بينها من المدن والقرى يسمّى ديار ربيعة ، لأنّ أهلها كلهم من ربيعة ، وتعبير الجزيرة يشمل ديار ربيعة وديار بكر (معجم البلدان ٢/٦٣٧) .

فقلت لصديقي : إنّه لم تبق معي نفقة ، ولا فيّ فضل للخروج إلى مصر ، فأعطاني من نفقته .

وقد كان صديقي تقلّد من قِبَلِ العامل عملاً جليلاً ، وخرج إليه ، وأقمت أنا بنصيبين ، وأقام العامل بها ، ليصلح أمره ويخرج إلى مصر ، وعملت أنا على أن أتحمّل بما أعطانيه صديقي ، وأرجع إلى بغداد[3] .

فغلب عليّ ضيق الصدر ، والهمّ ، واستدعيت المزيّن ليصلح شعري ، فهو بين يديّ ، إذ دخل عليّ غلام العامل ، فقال : صاحبي يطلبك ، وقد قلبنا عليك الدنيا منذ أمس ، فلم نعرف منزلك إلّا الساعة .

ففرغت من شغلي مع المزيّن ، وتوضّأت ، وركبت ، وكان يوم الجمعة ، فلمّا صرت في دار العامل ، لقيني غلامه ، وكان حاجبه ، فقال : نحن في طلبك منذ أمس ، فلم توجد ، وقد قام الآن عن مجلسه ، وأخذ في التشاغل بأمر الصلاة ، ولكن بكّر في غد .

قال : فضعف في نفسي ، وقلت : إنّه ما أرادني لخير ، وعملت على أن أنحدر تلك العشيّة إلى بغداد .

فلم يدعني غلامي ، وقال : أقلّ ما في الأمر ، أن يكون الرّجل قد تذمّم من

---

٣ بغداد : حاضرة العراق الآن ، وعاصمة العبّاسيّين الزاهرة ، وعاصمة العالم الإسلامي مدّة طويلة من الزمان ، قال عنها ياقوت : إنّها أمّ الدنيا ، وسيّدة البلاد (معجم البلدان ٦٧٧/١) ، وقال عنها أبو إسحاق الزجّاج : بغداد حاضرة الدنيا ، وما سواها بادية (لطائف المعارف ١٧٠) وقال عنها اليعقوبيّ : بغداد وسط الدنيا ، وسرّة الأرض (البلدان ٢٣٣) وقال عنها المقدسي : مصر الأسلام ، ومدينة السلام (أحسن التقاسيم ١١٩) وقال عنها ابن بطّوطة : مدينة دار السلام وحضرة الاسلام ، ذات القدر الشريف ، والفضل المنيف (مهذب رحلة ابن بطّوطة ١٧٢/١) ، للتفصيل ، راجع دائرة المعارف الاسلامية ٣/٤-٢١ ومعجم البلدان ٦٧٧/١-٦٩٣ ولطائف المعارف ١٧٠-١٧٣ والبلدان لليعقوبي ٢٣٣-٢٥٤ وأحسن التقاسيم للمقدسي ١١٩-١٢٢ ومهذب رحلة ابن بطّوطة ١٧٢/١-١٧٧ ورحلة ابن جبير ١٧٣-١٨٤ وتاريخ بغداد للخطيب ٣/١-١٣١ وكتاب بغداد مدينة السلام ، إخراج نقابة المهندسين العراقيّين سنة ١٩٦٩ ، وكتاب دليل خارطة بغداد قديماً وحديثاً تأليف الدكتور مصطفى جواد والدكتور أحمد سوسه.

أتّباعك إيّاه إلى هاهنا ، فيطلق لك نفقة ، ونحن مضيقون .

فعلمت أنّ الصواب في لقائه ، فأقمت ، وبكرت من غدٍ ، فدخلت إليه ، فعاتبني على انقطاعي عنه .

وقال : أنا مفكّر في أمرك ، وقد غمّني طول تعطّلك ، مع قصدك إيّاي من بغداد ، ومسيرك معي إلى ها هنا ، ثمّ التفت إلى كاتب بين يديه ، فقال : أكتب له كتاب التقليد ، للإشراف على الضياع بديار مضر[4] ، وأحل النفقة على الثغور الجزريّة [١٧١ غ] ، واستقبِلْ برزقه ، وهو مائة وخمسون ديناراً ، في كلّ شهر ، الوقت الّذي جاءنا فيه إلى الموصل[5] .

قال : فشكرته ، واضطربتُ من قلّة الرّزق .

فقال : إقبل هذا ، ولا تخالفني ، إلى أن يسهّل الله – جلّت عظمته – غيره ، فقمت مفكّراً ، من أين أصلح أمري ، وأتحمّل إلى العمل ، وأنفق إلى أن أصل إليه .

قال : فما خرجت من الدّار حتّى ردّني ، فقال : بالباب قوم يحتاج إلى إثباتهم ، فاجلس ، وأثبتهم ، واعمل لهم جرائد[6] بأسمائهم ، وحلاهم[7] ، وأرزاقهم ، واستقبالاتهم ، وجئني بها .

فتشاغلت بذلك يومين ، وثلاثة ، وجئت بالجرائد ، فلمّا وقف عليها أعجبته ، وقال : أرى عملك ، عمل فَهِمٍ بالجيش .

فقلت : ما عملته قط إلّا مرّة واحدة .

---

٤ ديار مضر : المنطقة التي تشمل السهل الواقع شرقي الفرات نحو حرّان والرقّة وشمشاط وسروج وتل موزن (معجم البلدان ٢/٦٣٧) .

٥ يعني أنّه أمر الكاتب أن يحتسب للرجل رزقه ، أي راتبه الشهري ، اعتباراً من تاريخ خروجه معه من الموصل ، لا من تاريخ مباشرته بالعمل الذي أناطه به .

٦ الجريدة : القائمة .

٧ الحلى ، بضم الحاء وكسرها ، مفردها : الحلية وتعني شكل الإنسان ، ولونه ، وهيأته .

فقال : لم أقل هذا لأنّك تقصر في نفسي عن غيره ، ولكن ينبغي للكاتب ، والعامل ، أن يحسنا كلّ شيئ يقع عليه اسم كتابة وعمالة .

ثمّ قال : خذ هذا الصكّ ، واْقبض ما فيه من الجهبذ ، واجلس في المسجد المحاذي لداري ، وأنفق في الصنف الفلاني من أهل هذه الجريدة .

قال : فأخذتُ الصكّ وكان بألوف دنانير ، فأخذت ماله ، وأنفقت في القوم ، وتفرّقوا وهم شاكرون ، وفضل مال من ذلك ، وكتبت إليه بخبره ، واستأمرته فيما أعمل به .

فقال : خذه من رزقك .

وأعطاني مالاً ثانياً ، وقال : أنفقه في الصنف الآخر ، إلى أن انفقت في جميع أهل الجريدة ، فحصل لي من ذلك ، زيادة [١٧٧ م] على ألف دينار ، فجعلتها في طريقي لنفقتي .

وشخصت قبله إلى ديار مضر ، فنظرت في العمل ، وسار هو مجتازاً إلى مصر .

واستأذنته في المسير إليها معه ، فقال : لا أحبّ أن أعجّل لك الصرف ، ونحن نمضي إلى أعمال فيها قوم ، ولعلّي أقف من حالهم على ما لا يجوز معه صرفهم ، فتحصل أنت على الصرف المعجّل ، ولكن أقم بمكانك وعملك ، وأسير أنا ، فإن احتجتُ إلى متصرّفين ، كنتَ أوّلَ من استدعيته .

فشكرته ، وأقمت في عملي سنتين ، أثريت فيهما ، وعظمت حالي ، ولم يتّفق استدعاؤه إيّاي إلى مصر ، إلى أن صرفت ، وانسللت من الرقّة ، ودخلت بغداد ، موفّراً ، ومعي مال جليل ، فابتعت به ضيعة ، ولزمتها ، وتركت التصرّف[8] .

---

٨ لا توجد هذه القصّة في ر .

٣٣٨
للّذين أحسنوا الحسنى وزيادة

وذكر أبو الحسين القاضي ، قال : حدّثني أبي ، عن بعض إخوانه ، أحسبه أبا يوسف يعقوب بن بيان ، أنّه قال :

أملق بعض الكتاب في أيّام الرّشيد حتّى أفضى إلى بيع أنقاض داره ، ونقض ما فيها ، فلم يبق فيها إلّا بيتاً واحداً ، كان يأوي إليه وولده ، وانقطع عن النّاس ، وانقطعوا عنه دهراً [١٥ ن] .

وكان الرّشيد يولّي [على أذربيجان] في كلّ سنتين أو ثلاثة ، رجلاً من بني هاشم .

فولّاها سنة من السنين ، رجلاً منهم كان متعطّلاً ، فطلب كاتباً فارهاً يصطنعه ، وشاور فيه صديقاً له من الكتاب ، فوصف له هذا الرّجل المتعطّل ، ووعده بإحضاره ، وصار إليه ، وطرق الباب عليه ، ودخل ، فوجده من الفقر على حال لا يتهيّأ له معها لقاء أحد .

فبعث إليه من منزله بخلعة من ثيابه ، ودابّة ، وغلاماً ، وبخوراً ، ودراهم ، فركب معه إلى الهاشمي ، فلقيه .

وامتحنه الهاشمي ، فوجده بارعاً في صناعته ، فاستكتبه ، وقرّر جاريه ، وأمر له بمالٍ معجّلٍ معونة له على سفره ، وأمره بأن يتقدّمه إلى أذربيجان .

فعاد الرّجل إلى منزله ، وأصلح من حاله ، وخلّف نفقة لعياله ، وشخص .

فلمّا بلغ المصروف الخبر ، رحل عن البلد ، وأخذ غير الطريق الّذي بلغه أنّ الكاتب قد سلكها ، وخلّف كاتبه لرفع الحساب .

فلمّا شارف كاتب الوالي الناحية ، خرج إليه كاتب المعزول ولقيه ، فسأله عن صاحبه ، فأعلمه شخوصه إلى مدينة السلام ، فأنكر ذلك .

فقال له كاتب المعزول : مل بنا إلى موضع نجلس فيه ، ونتحدّث ، وترى رأيك ، فمالا ، ونزلا ، وطرح [١٨٠ م] لهما ما جلسا عليه .

فقال : أعزّك الله لا تنكر انصراف صاحبي ، فإنّه رجل كبير المقدار ، وفي مقامه إلى أن تصيروا إلى العمل ، مهانة تلحقه ، وقد خلّف قبلي ، خمسين ومائة ألف درهم لصاحبك ، ودواباً ورقيقاً بقيمة ثلاثة آلاف درهم ، فاقبض ذلك ، وآكتب لنا كتاباً بإزاحة علّتك ، وانفصال ما بيننا وبينك ، ونحن ننصب لك من يرفع الحساب ، رفع من لا يستقصى عليه ، ولا يُعْنَت .

فقبل كاتب الوالي ذلك ، وركبا ، وقد زال الخلاف فيما بينهما ، وخرج الكاتب لاحقاً بصاحبه ، وخلّف من يسلّم الحساب .

واتّصل ظاهر الخبر بالهاشمي الوالي ، وكتب إليه كاتبه : إنّي قد بلغت من الأمر مبلغاً مرضيّاً ، إذا وقفت عليه .

فلمّا ساروا إلى الناحية ، عرف ما جرى ، فحسن موقعه ، وتبرّك بالكاتب ، وغلب على قلبه ، فكسب مالاً عظيماً .

فلمّا مضت ثلاث سنين ، صُرِفَ الهاشمي بالرّجل الّذي كان والياً قبله ، وبلغ الهاشمي الخبر .

فقال لكاتبه : ما الرأي ؟

قال : نفعل به مثلما فعل بنا ، وترحل أنت ، وأقيم أنا ، ومعي مثل ما أعطانا ، فأعطيه إيّاه ، وآخذ كتابه بانفصال ما بيننا وبينه ، وألحق بك ، ففعل .

ووافى كاتب الصارف ، الّذي كان معروفاً ، فتلقّاه الكاتب في الموضع الّذي لقيه فيه ، لما كان معزولاً مصروفاً ، فسلّم عليه ، وعدلا فنزلا ، وعرض عليه ما خلّفه صاحبه ، له ، ولصاحبه ، وسأله قبول ذلك ، والكتاب بمثل ما كان كتب الى الرّشيد ، فامتنع من قبول ذلك ، وكتب له بانفصال ما بينهما ، إلى الرّشيد ، كتاباً وكيداً .

وقال له : أراك فاضلاً ، فطناً ، وأرى صاحبك عاقلاً ، وقبول ذلك ، لا يكون

منكما مكافأة ، بل كأنّه بيع وشراء ، وقد فكّرت في أمر ، هو أنفع – لنا ولكم – من هذا .

قال : ما هو ؟

فقال : أعقد بين صاحبك وصاحبي صهراً ، وبيني وبينك صهراً ، ونكون إخوة وأصدقاء .

فقال : فعل الله بك وصنع ، ما في الدنيا أكرم ولاية ، ولا صرفاً منك .

فعقدا بينهما الصهرين ، وسارا إلى مقصدهما ، ودخل الكاتب بغداد ، وقد حصّل الهاشميّ صاحبه ، فأخبره الخبر ، فأحمد رأيه ، وأمضى عقده في المصاهرة .

فصار الكاتب من أرباب الأحوال ، وعاد إلى أفضل ما كان عليه[1] .

١ انفردت م بهذه القصّة .

٣٣٩
هاك يا هذا الذي لا أعرفه

وذكر القاضي أبو الحسين في كتابه ، قال : روي عن شيخ من أهل الكوفة ، قال :

أملقت وبلغت بي الحال أن نقضْتُ منزلي ، فلما اشتدّ عليّ الأمر ، وتجرّد عيالي من الكسوة ، جاءتني الخادمة ، فقالت : ما لنا دقيق ، ولا معنا ثمنه ، فما نعمل ؟ [١٨٢ م] .

فقلت : أسرجي حماري ، وقد كان بقي لي حمار .

فقالت : ما أكل شعيراً منذ ثلاث ، فكيف تركبه ؟

فقلت : أسرجيه على كلّ حال ، فأسرجَتْهُ ، فركبته ، أدبّ عليه ، هارباً ممّا أنا فيه ، حتى انتهيت إلى البصرة .

فلما شارفتها إذا أنا بموكب مقبل ، فلما انتهوا إليّ ، دخلت في جملتهم ، فرجعت الخيل تريد البصرة ، فسرت معهم حتى دخلتها ، وانتهى صاحب الموكب إلى منزله ، فنزل ، ونزل الناس معه ، ونزلت معهم .

ودخلنا ، فإذا الدهليز مفروش ، والناس جلوس مع الرجل ، فدعا بغداء ، فجاءوا بأحسن غداء ، فتغدّيت مع الناس ، ثم وضّأنا ، ودعا بالغالية ، فغلّفنا بها [١] .

ثم قال : يا غلمان ، هاتوا سَفَطاً [٢] ، فجاءوا بسفط أبيض مشدود ، ففتح فإذا فيه أكياس ، في كلّ كيس ألف درهمٍ ، فبدأ يعطي مَنْ على يمينه ، فأمرّها

---

١ الغالية : أخلاط من الطّيب ، والمتعطّر بها يمسح بها شعر رأسه ولحيته ، فكأنّه يغلّف بها رأسه .

٢ السفط : وعاء كالقفة أو الجوالق (المنجد) ، أقول : السفط عند البغداديّين ، حقّ ذو أطواق ، يصنع من القشّ ، ويتّخذ لحفظ الحلي والأشياء الدقيقة ، وما يزال ، سائراً في بغداد ، المثل العربي : قد يوجد في الأسقاط ، ما لا يوجد في الأسفاط .

عليهم ، ثم انتهى إليّ وأعطاني كيساً ، ثم ثنّى وأعطاني آخر ، ثم ثلّث وأعطاني آخر ، وأخذت الجماعة .

وبقي في السفط كيس واحد ، فأخذه بيده ، وقال : هاك يا هذا الذي لا أعرفـه .

فأخذت أربعة أكياس ، وخرجت ،

فقلت لانسان : من هذا ؟

قال : عبيدالله بن أبي بكرة[3] .

---

٣ لم ترد هذه القصّة في ر ولا في غ ، وعبيد الله بن أبي بكرة ، هو أبو حاتم عبيد الله بن أبي بكرة الثقفي (١٤–٧٩) : بصري ، تابعي ، ثقة ، ولّي إمارة سجستان ، ثم ولّي قضاء البصرة ، وأخباره في الجود متواترة ، وكان ينفق على أربعين داراً من جيرانه ، في جهات داره الأربع ، ويعتق في كلّ عيد مائة عبد (الأعلام ٤/٣٤٥) .

٣٤٠
أوّل دخول الأصمعي إلى الرشيد

وذكر أبو الحسين في كتابه أيضاً ، أنّ الأصمعيّ قال :

لزمت باب الرشيد ، فكنت أقيم عليه طول نهاري ، وأبيت باللّيل مع الحراس أسامرهم ، وأتوقّع طالع سعد ، حتّى كدت أموت ضرًّا وهزالاً ، وأن أصير إلى ملالة ، ثم أتذكّر ما في عاقبة الصبر من الفرج ، فأؤمّل صلاح حالي باتّفاق محمود ، فأصبر .

فبينا أنا ذات ليلة ، وقد قاسيت فيها السهاد والأرق ، إذ خرج بعض الحجّاب ، فقال [١٧٨ غ] : هل بالباب أحد يحسن الشعر ؟

فقلت : الله أكبر ، ربّ مضيق فكّه التيسير ، أنا ذلك الرجل .

فأخذ بيدي ، وقال : ادخل ، فإن ختم لك بالسعادة ، فلعلّها أن تكون ليلة تقرّ عينك فيها بالغنى .

فقلت : بشّرك الله بخير ، ودخلت ، فواجهت الرشيد في البهو جالساً ، والخدم قيام على رأسه ، وجعفر بن يحيى البرمكي ، جالس إلى جنبه .

فوقف بي الحاجب حيث يسمع تسليمي ، فسلّمت ، ثم قال : تنحّ قليلاً حتى تسكن ، إن كنت وجدت روعة .

فقلت في نفسي : فرصة تفوتني آخر الدهر ، إن شغلت بعارض ، فلا أعتاض منها إلاّ كمداً ، حتى يصفق عليّ الضريح ، فقلت : إضاءة كرم أمير المؤمنين ، وبهاء جدّه ، يجرّدان من نظر إليه من أذية النفس ، يسألني — أيّده الله — فأجيب ، أو أبتدئ فأصيب ؟

فتبسّم إلي جعفر ، وقال : ما أحسن ما استدعى الإحسان ، وحريّ به أن يكون محسناً .

ثم قال لي : أشاعر أنت ، أم راوية للشعر ؟

قلت : راويـة .

قال : لمـن ؟

قلت : لكلّ ذي جدّ وهزل ، بعد أن يكون محسناً .

فقال : أنصف القارة من راماها .

ثم قال : ما معنى هذه الكلمة ؟

قلت : لها وجهان ، زعمت التبابعة ، أنّه كان لها رماة لا تقع سهامها في غير الحدقّ ، فكانت تكون في الموكب الذي يكون فيه [١٨ ن] الملك ، فخرج فارس معلم بعذبات سمور في قلنسوته ، فنادى : أين رماة الحدق ؟

فقالت العرب : أنصف القارة من راماها .

والوجه الآخر : الموضع المرتفع من الأرض ، والجبل الشاهق ، فمن ضاهاه بفعاله فقد راماه ، وما أحسب هذا هو المعنى ، لأنّ المراماة ، كالمعاطاة ، وكما أنّ المعاطاة للنديم ، هي أن يأخذ كأساً ، ويعطي كأساً ، كذلك المراماة ، أن يرميها وترميه .

فقال : أصبت ، فهل رويت للعجّاج بن رؤبة[١] شيئاً ؟

قلت : الأكثر .

قال : أنشدني قوله :

أرّقـــني طـــارقُ هـــمٍّ طرقـــــا

فمضيت فيها مضيّ الجواد ، تهدر أشداقي ، فلمّا بلغت مدحه لبني أميّة ، ثنيت عنان اللسان ، لامتداحه المنصور .

---

١ كذا في الأصل ، وأحسب أنّ الصحيح : رؤبة بن العجّاج ، الراجز المشهور ، إذ أنّ والده العجّاج بن رؤبة ، توفّي في السنة ٩٠ ولم يدرك المنصور ، وإنّما أدركه ولده أبو الجحّاف رؤبة ، إذ كانمن مخضرمي الدولتين الأمويّة والعبّاسيّة ، ومات بالبادية سنة ١٤٥ (الأعلام ٦٢/٣ و ٢١٧/٤) .

فقال : أعن عمد ، أو غير عمد ؟

فقلت : عن عمد ، تركت كذبه إلى صدقه ، بما وصف فيه المنصور من مجده .

فقال جعفر : بارك الله عليك ، مثلك يؤهّل لمثل هذا الموقف .

ثم التفت إليّ الرشيد ، فقال : أرويت لعديّ بن الرقاع[٢] ، شيئاً ؟

قلت : الأكثر ، قال : أنشدني قوله :

بـانت سعاد وأخلفـت ميعـــادها

فابتدأت تهدر أشداقي ، فقال جعفر : يا هذا أنشد على [١٨٥ م] مهل ، فلن تنصرف إلاّ غانماً .

فقال الرشيد : أمّا إذ قطعت عليّ ، فأقسم ، لتشركني في الجائزة .

قال : فطابت نفسي ، فقلت : أفلا ألبس أردية التيه على العرب ، وأنا أرى الخليفة والوزير يتشاطران لي المواهب ، فتبسّم ، ومضيت فيها .

ثم قال : أرويت لذي الرمّة[٣] شيئاً ؟ قلت : الأكثر ، قال [١٧٩ غ] أنشدني قوله :

أمن حـذر الهجـران قلبك يطمـح

فقلت : عروس شعره .

قال : فأيّه الختن[٤] ؟ قلت : قوله ، يا أمير المؤمنين :

ما بال عينيـك منها المـاء ينسكـب

---

٢ أبو داود عديّ بن زيد بن مالك بن عديّ بن الرقاع العامليّ : ترجمته في حاشية القصّة ٢٩٠ من الكتاب .

٣ أبو الحارث غيلان بن عقبة بن نهيس بن مسعود العدوي ، المعروف بذي الرمّة (٧٧–١١٧) : شاعر من فحول الطبقة الثانية ، مقيم بالبادية ، يجيد التشبيه والنسيب (الأعلام ٣١٩/٥) .

٤ كذا وردت في م وفي ن .

فقال : امض فيها ، فمضيت فيها ، حتى انتهيت إلى وصفه جمله .

فقال جعفر : ضيّق علينا ما اتّسع من مسامرة السهر ، بجمل أجرب .

فقال الرشيد : أسكت ، فهي التي سلبتك تاج ملكك ، وأزعجتك عن قرارك ، ثم جعلت جلودها سياطاً ، تضرب بها أنت وقومك عند الغضب .

فقال جعفر : الحمد لله ، عوقبت من غير ذنب .

فقال الرشيد : أخطأتَ في كلامك ، لو قلتَ : أستعين بالله ، قلتَ صواباً ، إنّما يحمد الله تعالى على النعم ، ويستعان على الشدائد .

ثم قال لي : إنّي لأجد مللاً ، وهذا جعفر ، ضيف عندنا ، فسامره باقي ليلتك ، فإذا أصبحت ، فإنّ وضّاء الخادم ، يلقاك بثلاثين ألف درهم .

قال : ثم قرّبت إليه النعل ، فجعل الخادم يصلح عقب النعل في رجله ، فقال : ارفق ويحك ، أحسبك قد عقرتني .

فقال جعفر : قاتل الله العجم ، لو كانت سنديّة ، ما احتاج أمير المؤمنين إلى هذه الكلفة .

فقال : هذه نعلي ونعل آبائي ، ما تدع نفسك والتعرّض لما تكره .

ثم قال لي جعفر : لولا أنّ المجلس مجلس أمير المؤمنين ، ولا يجوز لي فيه أن آمر بمثل ما أمر به ، لأمرت لك بثلاثين ألف درهم ، ولكنّي آمر لك بتسعة وعشرين ألف درهم ، فاذا أصبحتَ فاقبضها والزم الباب .

قال : فما صلّيت من غدٍ الصبحَ ، إلاّ وفي منزلي ما أمر لي به ، فأيسرتُ ولزمتهما ، وزال ما كنت فيه من الضرّ ، وأتى الإقبال ، والنعمة والسلامة ، وأفلحتُ ، ولله الحمد[5] .

---

٥ لم ترد هذه القصّة في ر .

٣٤١

قصّة حائك الكلام

وذكر أبو الحسين القاضي ، في كتابه ، قال : بلغني عن عمرو بن مسعدة ، أنّه قال :

كنتُ مع المأمون عند قدومه من بلاد الروم ، حتى إذا نزل الرقّة ، قال لي : يا عمرو ، أما ترى الرخّجي[1] ، قد احتوى على الأهواز ، وهي سلّة الخبز ، وجميع الأموال قبله ، وقد طمع فيها ، وكتبي متّصلة في حملها ، وهو يتعلّل ، ويتربّص بنا الدوائر .

فقلت : أنا أكفي أمير المؤمنين هذا ، وأنفذ من يضطرّه إلى حمل ما عليه .

فقال : ما يقنعني هذا .

قلت : فيأمر أمير المؤمنين بأمره .

قال : تخرج إليه بنفسك ، حتى تصفّده بالحديد ، وتحمله إليّ ، بعد أن تقبض جميع ما في يده من أموالنا ، وتنظر في ذلك ، وترتّب فيه عمالاً .

فقلت : السمع والطاعة ، فلمّا كان من غد ، دخلت إليه .

فقال : ما فعلت فيما أمرتك به ؟

قلت : أنا على ذاك .

قال : أريد أن تجيئني في غدٍ مودّعاً .

قلت : السمع والطاعة ، فلمّا كان من غدٍ ، جئت مودّعاً .

فقال : أريد أن تحلف لي ، أنّك لا تقيم ببغداد إلاّ يوماً واحداً ، فاضطربت من ذلك ، إلى أن حظر عليّ واستحلفني أن لا أقيم فيها أكثر [١٨٠ غ] من ثلاثة أيّام ، فخرجت ، وأنا مضطرب مغموم .

---

١ عمر بن فرج الرخجي : ترجمته في حاشية القصّة ٣٧٤ من الكتاب .

وقلت في نفسي : أنا في موضع الوزارة ، وقد [١٨٦ م] جعلني مستحثًّا إلى عامل ، ومستخرجاً ، ولكنّ أمر الخليفة لا بدّ من سماعه ، وامتثال مرسومه .

وسرت حتى قدمت بغداد ، ولم أقم بها إلاّ ثلاثة أيّام ، وانحدرت منها في زلاّل [٢] ، أريد البصرة [٣] ، وجعل لي فيه خيش ، واستكثرت من الثلج لشدّة الحرّ .

فلمّا صرت بين جرجرايا [٤] ، وجبّل [٥] ، سمعت صائحاً من الشاطئ ، يصيح : يا ملاّح ، فرفعت سجف الزلاّل ، فاذا بشيخ كبير السنّ حاسر الرأس ، حافي القدمين ، خلق القميص .

فقلت للغلام : أجبه ، فأجابه .

---

٢ الزلاّل : نوع من الزوارق ، والظاهر من اسمها أنّها سريعة الإنسياب على وجه الماء ، راجع معجم المراكب والسفن في الاسلام لحبيب زيّات ، مادة : زلاّل .

٣ البصرة : ثغر العراق ، أمّ النخيل ، إحدى أمّهات مدن العراق ، الشهيرة الذكر في الآفاق ، الفسيحة الأرجاء ، المونقة الأفناء ، مدينة الدنيا ، ومعدن تجاراتها وأموالها ، بناها العرب سنة ١٦ في عهد الخليفة عمر ، وكانت مرتعاً خصباً للحروب الأهلية ، وازدهرت فيها التجارة البحريّة ، والحياة العقلية ، ثم جاءتها ضربات من الزنج ، والقرامطة ، خربتها حتى ضرب بخرابها المثل ، راجع دائرة المعارف الإسلامية ٦٦٩/٣-٦٧٢ والبلدان لليعقوبي ٦٣٦/١-٦٥٢ وأحسن التقاسيم للمقدسي ١١٧ و ١١٨ ورحلة ابن بطّوطة ١٣٩/١-١٤٢ .

٤ جرجرايا : بلد من أعمال النهروان الأسفل ، بين واسط وبغداد ، في الجانب الشرقي من دجلة ، خربت مع ما خرب من النهروانات (معجم البلدان ٥٤/٢) .

٥ جبّل : بليدة بين النعمانيّة وواسط ، في الجانب الشرقي من دجلة ، قال ياقوت في معجم البلدان ٢٣/٢ : كانت مدينة ، وهي الآن قرية كبيرة ، أقول : اشتهرت قصّة قاضي جبّل ، ورويت في أكثر من كتاب خلاصتها : أنّ أبا يوسف القاضي ، نصب قاضياً على جبل ، وبلغه أنّ الرشيد سيمرّ بجبّل ومعه أبو يوسف ، فكبّر عمامته ، وسرّح لحيته ، ووقف في المشرعة ، حتى مرّت حرّاقة الرشيد ، فصاح : يا أمير المؤمنين ، نعم القاضي قاضي جبّل ، عدل فينا ، وصنع كذا وكذا ، ثم وقف لهما في المشرعة الثانية ، والثالثة ، فقال الرشيد : هذا أعجب قاضٍ على وجه الأرض ، لم يمتدحه إلاّ رجل واحد ، فقال أبو يوسف : وأعجب من ذلك ، أنّ المثني على القاضي ، هو القاضي ، فضحك الرشيد ، حتى فحص برجله الأرض ، وعزله .

فقال : أنا شيخ كبير السنّ ، على هذه الصورة التي ترى ، وقد أحرقتني الشّمس ، وكادت تتلفني ، وأنا أريد جبّل ، فاحملوني معكم ، فإنّ الله عزّ وجلّ يحسن أجر صاحبكم .

قال : فشتمه الملاّح ، وانتهره .

فادركتني عليه رقّة ، وقلت للغلام : خذه معنا ، فقدّم إلى الشط [6] ، وصحنا به ، وحملناه .

فلمّا صار معنا في الزلاّل ، وانحدرنا ، تقدّمتُ ، فدفع إليه قميص ، ومنديل ، وغسل وجهه ، واستراح ، فكأنّه كان ميتاً عاد إلى الدنيا .

وحضر وقت الغداء ، فتذمّمت [7] وقلت للغلام : هاته يأكل معنا .

فجاء وقعد على الطعام ، فأكل أكل أديب ، نظيف ، غير أنّ الجوع قد أثّر فيـه .

فلمّا رفعت المائدة ، أردت أن يقوم ويغسل يده ناحية ، كما يفعل العامّة ، في مجالس الخاصّة ، فلم يفعل ، فغسلت يدي .

وتذمّمت أن آمر بقيامه ، فقلت : قدّموا له الطست ، فغسل يده ، وأردت بعدها أن يقوم لأنام ، فلم يفعل .

فقلت : يا شيخ ، أيش صناعتك ؟

قال : حائك ، أصلحك الله .

فقلت في نفسي : هذه الحياكة علّمته سوء الأدب ، فتناومت عليه ، ومددت رجليّ .

فقال : قد سألتني عن صناعتي ، فأجبتك ، فأنتَ – أعزّك الله – مـا صناعتك ؟

---

٦ قدّم : تعبير بغدادي ، ما زال مستعملاً ، يقوله صاحب الزورق إذا ألصق زورقه بالشاطئ ، راجع حاشية القصّة ٣٧٧ من هذا الكتاب .

٧ تذمّم : استنكف واستحيا .

فأكبرتُ ذلك ، وقلت : أنا جنيت على نفسي هذه الجناية ، ولا بدّ من احتماله ، أتراه - الأحمق - لا يرى زلاّلي ، وغلماني ، ونعمتي ، وأنّ مثلي لا يقال له مثل هذا ؟

ثم قلت : أنا كاتب .

فقال : كاتبٌ كامل ، أم كاتب ناقص ؟ فإنّ الكتّاب خمسة ، فمن أيّهم أنت ؟ [١٩ ن]

فورد عليّ من قول الحائك ، مورد عظيم ، وسمعت كلاماً أكبرته ، وكنت متّكئاً ، فجلست .

ثم قلتُ له : فصّل الخمسة .

قال : نعم ، كاتب خراج ، يقتضي أن يكون عالماً بالشروط ، والطسوق[٨] ، والحساب ، والمساحة ، والبثوق[٩] ، والفتوق ، والرتوق .

وكاتب أحكام ، يحتاج أن يكون عالماً بالحلال ، والحرام ، والاختلاف ، والاحتجاج ، والإجماع ، والأصول ، والفروع .

وكاتب معونة ، يحتاج أن يكون عالماً بالقصاص ، والحدود ، والجراحات ، والمراتبات[١٠] ، والسياسات .

وكاتب جيش ، يحتاج أن يكون عالماً بحلى الرجال ، وشيات الدوابّ ، ومداراة الأولياء ، وشيء من العلم بالنسب والحساب .

وكاتب رسائل ، يحتاج إلى أن يكون عالماً بالصدور ، والفصول ، والإطالة ، والإيجاز ، وحسن البلاغة ، والخطّ .

---

٨ الطسق : الوظيفة توضع على أصناف الزروع ، لكلّ جريب ، فارسيّة : تشك ، بمعنى الأجرة (مفاتيح العلوم ٤٠) .

٩ البثوق ، مفردها بثق ، بكسر الباء : موضع الكسر من الشط ، والبغداديّون يسمّون البثق : كسرة .

١٠ في غ : المواثبات .

قال : فقلت : أنا كاتب رسائل [١٨١ غ] .

قال : فأسألك عن بعضها ؟

قلت : سل .

قال : أصلحك الله ، لو أنّ رجلاً من إخوانك تزوّجت أمّه ، فأردت أن تكاتبه مهنّئاً ، فماذا كنت تكتب إليه ؟

ففكّرت في الحال ، فلم يخطر ببالي شيء ، فقلت : اعفني .

قال : قد فعلت ، ولكنّك ، لست بكاتب رسائل .

قلت : أنا كاتب خراج .

قال : لا بأس ، لو أنّ أمير المؤمنين ولاّك ناحية [١٨٧ م] وأمرك فيها بالعدل والإنصاف ، وتقصّي حقّ السلطان ، فتظلّم إليك بعضهم من مسّاحك ، وأحضرتهم للنظر بينهم وبين رعيتك ، فحلف المسّاح بالله العظيم ، لقد أنصفوا ، وما ظلموا ، وحلف الرعية بالله العظيم ، أنّهم قد جاروا وظلموا ، وقالوا لك : قف معنا على ما مسحوه ، وأنظر من الصادق من الكاذب ، فخرجت لتقف عليه ، فوقفوا على قراح شكله : قاتل قثا ، كيف كنت تمسحه ؟

فقلت : كنت آخذ طوله على انعواجه [١١] ، وآخذ عرضه ، ثم أضربه في مثله .

قال : إن شكل قاتل قثا ، يكون رأساه محدّدان ، وفي تحديده تقويس .

قلت : فآخذ الوسط فأضربه بالعمود .

قال : إذاً ينثني عليك العمود ، فأسكتني .

فقلت : أنا لست كاتب خراج .

قال : فإذاً ماذا ؟

قلت : أنا كاتب قاضٍ .

قال : لا تبال ، أفرأيت لو أنّ رجلاً توفّي ، وخلّف امرأتين حاملتين ، إحداهما

---

١١ كذا في م ، وفي غ : انعراجه ، والانعواج ، عامية بغدادية ، تعني الاعوجاج .

حرّة ، والأخرى سريّة ، وولدت السريّة غلاماً ، والحرّة جارية ، فعمدت الحرّة إلى ولد السريّة فأخذته ، وتركت بدله الجارية ، فاختصمتا في ذلك ، كيف الحكم بينهما ؟

قلت : لا أدري .

قال : فلست كاتب قاضٍ .

قلت : أنا كاتب جيش .

قال : لا بأس ، أرأيت ، لو أنّ رجلين جاءا إليك لتحلّيهما ، وكلّ واحد منهما ، اسمه ، واسم أبيه ، كاسم الآخر ، واسم أبيه ، إلاّ أنّ أحدهما مشقوق الشفّة العليا ، والآخر مشقوق الشفّة السفلى ، كيف كنت تحلّيهما ؟

قلت : أقول فلان الأعلم ، وفلان الأعلم .

قال : إنّ رزقيهما مختلفان ، وكلّ واحد منهما يجيئ في دعوة الآخر .

قلت : لا أدري .

قال : فلست بكاتب جيش .

قلت : أنا كاتب معونة .

قال : لا تبالِ ، لو أنّ رجلين [رفعا إليك][12] شجّ أحدهما شجّة موضحة[13] ، وشجّ الآخر صاحبه شجّة مأمومة[14] ، كيف تفصل بينهما ؟

قلت : لا أدري .

قال : إذن ، لست كاتب معونة ، فاطلب لنفسك – أيّها الرجل – شغلاً غير هذا .

قال : فقصرت إلى نفسي ، وغاظني ، فقلت : قد سألتَ عن هذه الأمور ،

---

١٢ الزيادة من غ .

١٣ الشجّة الموضحة ، أو الواضحة : التي تكشف العظم .

١٤ الشجّة الآمّة أو المأمومة : التي تصل إلى أمّ الدماغ ، وتسمّى الجائفة أيضاً (مفاتيح العلوم ١٥) .

ويجوز أن لا يكون عندك جوابها ، كما لم يكن عندي ، فإن كنت عالماً بالجواب ، فقل .

فقال : نعم ، أمّا الذي تزوّجت أمّه ، فتكتب إليه : أمّا بعد ، فإنّ الأمور ، تجري من عند الله ، بغير محبّة عباده ، ولا اختيارهم [١٨٢ غ] ، بل هو تعالى ، يختار لهم ما أحبّ ، وقد بلغني تزويج الوالدة ، خار الله لك في قبضها ، فإنّ القبر أكرم الأزواج ، وأستر للعيوب ، والسلام .

وأمّا قراح قاتل قثا ، فيمسح العمود ، حتى إذا صار عدداً في يدك ضربته في مثله ، ومثل ثلثه ، فما خرج فهو مساحته .

وأمّا الجارية والغلام ، فيوزن اللبنان ، فأيّهما أخفّ ، فالجارية له .

وأمّا المرتزقان المتوافقان في الاسمين فإن كان الشقّ في الشفة العليا ، كتبت فلان الأعلم ، وإذا كان في الشفة السفلى ، كتبت فلان الأفلح .

وأمّا أصحاب الشجّتين ، فلصاحب الموضحة ثلث الديّة ، ولصاحب المأمومة نصف الدية .

قال : فلمّا أجاب في هذه المسائل ، تعجّبت منه ، وامتحنته في أشياء غيرها كثيرة ، فوجدته ماهراً في جميعها ، حاذقاً ، بليغاً .

فقلت : ألست زعمت أنّك حائك ؟

فقال : أنا – أصلحك الله – حائك كلام ، ولست بحائك نساجة ، ثم أنشأ يقول :

ما مرّ بؤس ولا نعيم — إلاّ ولي فيهما نصيب [١٨٨ م]
نوائب الدهر أدّبتني — وإنّما يوعظ الأديب [١٥]
قد ذقت حلواً وذقت مرّاً — كذاك عيش الفتى ضروب

---

١٥ في غ : وانما يوعظ اللبيب .

قلت : فما سبب الذي بك من سوء الحال ؟

قال : أنا راجل كاتب ، دامت عطلتي ، وكثرت عيلتي [16] وتواصلت محنتي ، وقلّت حيلتي ، فخرجت أطلب تصرّفاً ، فقطع عليّ الطريق ، فتركت كما ترى ، فمشيت على وجهي ، فلمّا لاح لي الزلاّل ، استغثت بك .

قلت : فإنّي قد خرجت إلى تصرّف جليل ، أحتاج فيه إلى جماعة مثلك ، وقد أمرت لك بخلعة حسنة ، تصلح لمثلك ، وخمسة آلاف درهم ، تصلح بها أمرك ، وتنفذ منها إلى عيالك ، وتتقوّى نفسك بباقيها ، وتصير معي إلى عملي ، فأولّيك أجلّه ، إن شاء الله تعالى .

[فقال : أحسن الله جزاءك ، إذن تجدني بحيث يسرّك ، ولا أقوم مقام معذّر إن شاء الله][17] .

فأمرت بتقبيضه ما رسمت له ، فقبضه ، وانحدر إلى الأهواز معي ، فجعلته المناظر للرخّجي ، والمحاسب له بحضرتي ، والمستخرج لما عليه ، فقام بذلك أحسن قيام وأوفاه .

وعظمت حاله معي ، وعادت نعمته إلى أحسن ما كانت عليه .[18]

---

١٦ العَيّلُ : أهل بيت الرجل ، والجمع : عيال ، وعيايل ، وعالة .

١٧ الزيادة من غ .

١٨ لم ترد هذه القصّة في ر ، ووردت في كتاب العقد الفريد ٤/١٧٥–١٧٩

٣٤٢

أنا أبوك

قال مؤلّف هذا الكتاب : وقد بلغني حديث لعمرو بن مسعدة في زلّاله ، بخلاف هذا ، حدّثني به عبيد الله بن محمد بن الحسن بن الحفا العبقسي ، وهو يذكر أنّ أهله أقرباء لبني مارية[١] الذين كانوا تنّاء الصراة ، وأهل النعم بها ، قال : حدّثني أبي ، قال : سمعت شيوخنا بالصراة ، وأهلنا ، يتحدّثون :

أنّ عمرو بن مسعدة ، كان مصعداً من واسط إلى بغداد ، في حرّ شديد ، وهو جالس في زلّال ، فناداه رجلٌ : ياصاحب الزلّال [بنعمة الله عليك إلا نظرت إليّ .

قال : فكشف سجف الزلّال ، فإذا بشيخ ضعيف حاسر الرأس][٢] .

فقال [٢٠ ن] له : قد ترى ما أنا عليه [١٨٣ غ] ، ولستُ أجد من يحملني ، فابتغ الأجر فيّ ، وتقدّم إلى ملّاحيك يطرحوني بين مجاديفهم[٣] ، إلى أن أصل بلداً يطرحوني فيه .

قال عمرو بن مسعدة : فرحمته ، وقلت خذوه ، فأخذوه ، فغشي عليه ، وكاد يموت لما لحقه من المشي في الشمس .

فلمّا أفاق ، قلت له : يا شيخ ، ما حالك ، وما قصّتك ؟

فقال : قصّة طويلة .

---

١ بنو مارية : أناس من أهل الصراة ، يضرب أهل السواد بهم الأمثال ، لكبرهم في نفوسهم (مروج الذهب ٣٦٤/٢) ، راجع القصّة ١٤٦/١ و١١٢/٣ من كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للقاضي التنوخي ، ولزيادة التفصيل راجع حاشية القصّة ٤٤٠ من هذا الكتاب .

٢ الزيادة من ن .

٣ كذا ورد في غ وفي ن ، والمجداف : خشبة طويلة مبسوطة أحد الطرفين ، تسيّر بها القوارب ، وما زال هذا اسمها ببغداد .

فسكّنته وطرحت عليه قميصاً ومنديلاً ، وأمرت له بدراهم [وشمشك][4] ، فشكرني .

فقلت : لا بدّ أن تحدّثني بحديثك .

فقال : أنا رجل كانت لله عزّ وجلّ عليّ نعمة جليلة ، وكنت صيرفيّاً ، فابتعت جارية بخمسمائة دينار ، فعشقتها عشقاً عظيماً ، وكنت لا أقدر أن أفارقها ساعة واحدة ، فاذا خرجتُ إلى الدكّان ، أخذني كالجنون والهيمان[5] ، حتى أعود فأجلس معها يومي كلّه .

فدام ذلك حتى تعطّل دكّاني ، وتعطّل كسبي ، وأقبلت أنفق من رأس المال ، حتى لم يبق منه قليل ولا كثير ، وأنا مع ذلك لا أطيق أن أفارقها .

فحبلت الجارية ، وأقبلت أنقض داري ، وأبيع نقضها ، حتى فرغت من ذلك ، فلم تبق لي حيلة .

فضربها الطّلْقُ ، فقالت : يا هذا ، هوذا أموت ، فاحتل فيما تبتاع به عسلاً ، ودقيقاً ، وشيرجاً[6] ، ولحماً ، وإلاّ متُّ .

فبكيت ، وحزنت ، وخرجت على وجهي ، وجئت لأغرق نفسي في دجلة ، فذكرت حلاوة النفس ، وخوف العقاب في الآخرة ، فامتنعت .

ثم [١٨٩ م] خرجت هائماً على وجهي إلى النهروان ، وما زلت أمشي من قرية إلى قرية ، حتى بلغت خراسان ، فصادفت بها من عرفني ، وتصرّفت في ضياعه ، ورزقني الله عزّ وجلّ مالاً عظيماً ، فأثريت ، واتّسعت حالي ، ومكثت

---

٤ الشمشمك : الصندل ، وهو الحذاء الذي يلبس داخل الدار ، والكلمة فارسيّة : شم ، بضم الميم ، بمعنى الصندل ، راجع معجم الملابس لدوزي ٢٣١ .

٥ الهيام ، والهيمان : في الأصل ، داء كالجنون يصيب الإبل من شدّة العطش ثم أطلق على من اشتدّ به العشق ، يقال : هام هيماً ، وهيوماً ، وهياماً ، وهيماناً ، وتهياماً .

٦ الشيرج : راجع حاشية القصّة ٣٢٩ من هذا الكتاب .

سنين ، لا أعرف خبر منزلي ، فلم أشكّ أنّ الجارية قد ماتت .

وتراخت [١٨٦ ر] السنون حتى حصل لي ما قيمته عشرون ألف دينار .

فقلت : قد صارت لي نعمة ، فلو رجعت إلى وطني .

فابتعت بالمال كلّه ، متاعاً من خراسان ، وأقبلت أريد العراق ، من طريق فارس والأهواز .

فلما حصلت بينهما ، خرج على القافلة لصوص ، فأخذوا جميع ما فيها ، ونجوت بثيابي ، وعدتُ فقيراً .

ودخلت الأهواز ، فبقيت بها متحيّراً ، حتى كشفتُ خبري لبعض أهلها ممن أعرفه ، فأعطاني ما تحمّلت به إلى واسط .

ونفدَتْ نفقتي ، فمشيت إلى هذا الموضع ، وقد كدت أتلف ، فاستغثت بك ، ولي منذ فارقت بغداد ، ثمان وعشرون سنة .

فعجبت من ذلك ، وقلت له : اذهب ، فاعرف خبر أهلك ، وصر إليّ ، فإنّي أتقدّم بتصريفك فيما يصلح لمثلك ، فشكر ، ودعا ، ودخلنا بغداد .

ومضت على ذلك مدّة طويلة ، أنسيته فيها ، فبينا أنا يوماً ، قد ركبت ، أريد دار المأمون ، وإذا بالشيخ على بابي ، راكباً بغلاً فارهاً ، بمركب مخلّى ثقيل ، وغلام أسود بين يديه ، وثياب حسنة [١٨٤ غ] ،

فلما رأيته رحّبت به ، وقلت : ما الخبر ؟

فقال : طويل ، وها أنا آتي إليك في غدٍ ، وأحدّثك بالخبر .

فلمّا كان من الغد ، جاءني ، فقلت له : عرّفني خبرك ، فقد سررت بسلامتك ، وبظاهر حالك .

فقال : إنّي صعدت من زلاّلك ، فقصدت داري ، فوجدت حائطها الذي يلي الطريق كما خلّفته ، غير أنّ باب الدار كان مجلوّاً ، نظيفاً ، وعليه دكاكين ، وبوّاب ، وبغال مع شاكريّة .

فقلت : إنّا لله وإنّا إليه راجعون ، ماتت جاريتي ، وملك الدار بعض الجيران ، فباعها من رجل من أصحاب السلطان .

ثم تقدّمت إلى بقّال كنت أعرفه في المحلّة ، فوجدت في دكّانه غلاماً حَدَثاً .

فقلت له : من تكون من فلان البقّال ؟

فقال : أنا ٱبنه .

فقلت : ومتى مات ؟

قال : منذ عشرين سنة .

قلت : لمن هذه الدار ؟

قال : لابن داية أمير المؤمنين ، وهو الآن صاحب بيت ماله .

قلت : بمن يعرف ؟

قال : بابن فلان الصيرفيّ ، فأسماني .

قلت : فهذه الدار من باعها إليه .

قال : هذه دار أبيه .

قلت : وأبوه يعيش ؟

قال : لا .

قلت : أتعرف من حديثهم شيئاً ؟

قال : نعم ، حدّثني أبي ، أنّ والد هذا الرجل كان صيرفيّاً جليلاً ، فافتقر ، وأنّ أمّ هذا الرجل ضربها الطلق ، فخرج أبوه يطلب لها شيئاً ، ففقد ، وهلك .

وقال أبي : جاءني رسول أمّ هذا ، يطلب لها شيئاً ، وهي تستغيث بي ، فقمت لها بحوائج الولادة ، ودفعت لها عشرة دراهم ، فما أنفقتْها ، حتى قيل : قد ولد لأمير المؤمنين الرشيد ، مولود ذكر ، وقد عرض عليه جميع الدايات ، فلم يقبل ثديهنّ ، وقد طلب له الحرائر ، فجاءوه بغير واحدة ، فما أخذ ثدي واحدة منهنّ ، وهم في طلب مرضع .

فأرشدت الذي طلب الداية إلى أمّ هذا ، فحملت إلى دار الرشيد [١٩٠ م] ، فحين وضع فمّ الصبيّ على ثديها ، قَبله ، فأرضعته ، وكان الصبيّ المأمون ، وصارت عندهم في حال جليلة ، ووصل إليها منهم خير كثير .

ثم خرج المأمون إلى خراسان ، وخرجت هذه المرأة وابنها هذا معها ، ولم نعرف أخبارهم إلاّ منذ قريب ، لما عاد المأمون ، وعادت حاشيته ، رأينا هذا قد صار رجلاً ، ولم أكن رأيته قَبْلُ قط ، وقد كان أبي مات .

فقالوا : هذا ابن فلان الصيرفي ، وابن داية الخليفة المأمون ، فبنى هذه الدار وسوّاها .

فقلت : فعندك علم من أمِّهِ أهي حيّة أم ميتة ؟

قال : هي حيّة ، تمضي إلى دار الخليفة أيّاماً ، وتكون عند ابنها أيّاماً هنا .

فحمدت الله تعالى على هذه الحال ، وجئت ، حتى دخلت الدار مع الناس ، فرأيت الصحن في نهاية العمارة والحسن ، وفيه مجلس كبير مفروش بفرش فاخرة ، وفي صدره رجل شابّ بين يديه كتّاب وجهابذة[7] ، [١٨٧ ر] وحساب يستوفيه عليهم ، وفي صفاف الدار وبعض مجالسها ، جهابذة بين أيديهم الأموال والتخوت[8] والشواهين[9] [١٨٥ غ] ، يقبضون ويُقْبِضُون ،

وبصرت بالفتى ، فرأيت شبهي فيه ، فعلمت أنّه ابني ، فجلستُ في غمار الناس ، إلى أن لم يبق في المجلس غيري ، فأقبل عليّ .

فقال : يا شيخ ، هل من حاجة تقولها ؟

فقلت : نعم ، ولكنّه أمر لا يجوز أن يسمعه غيرك .

---

٧ الجهابذة ، مفردها : جهبذ : الكاتب المختصّ بتحصيل الأموال ، وكتابة الإيصالات بها ، وتدوينها في السجلات ، وإثبات ما ينفق منها (لسان العرب) .

٨ التخت : علبة من الخشب ، يحفظ فيها الطيار وهو الميزان الذي توزن به الأشياء الدقيقة كالذهب .

٩ الشاهين : لسان الميزان ، فارسيّة ويصرف إلى الميزان أيضاً .

فأومأ إلى غلمان كانوا قياماً حوله ، فانصرفوا ، وقال : قل ، أعزّك الله .

قلت : أنا أبوك .

فلمّا سمع ذلك تغيّر وجهه [٢١ ن] ، ثم وثب مسرعاً ، وتركني مكاني .

فلم أشعر إلاّ بخادم جاءني ، فقال : قم يا سيّدي ، فقمت أسير معه ، حتى بلغت ستارة منصوبة ، في دار لطيفة ، وكرسيّ بين يديها ، والفتى جالس على كرسيّ آخر .

فقال : اجلس أيّها الشيخ .

فجلست على الكرسي ، ودخل الخادم ، فإذا بحركة خلف الستارة .

فقلت : أظنّك تريد أن تختبر صدق ما قلت لك من جهة فلانة ، وذكرت اسم جاريتي ، أمّه .

قال : فإذا بالستارة قد كشفت ، والجارية قد خرجت إليّ ، فوقعت عليّ تقبّلني وتبكي ، وتقول : مولاي والله .

قال : فرأيت الفتى ، قد تشوّش ، وبهت ، وتحيّر .

فقلت للجارية : ويحك ما خبرك ؟

فقالت : دع خبري ، في مشاهدتك ، ممّا تفضل الله عزّ وجلّ بذلك ، كفاية ، إلى أن أخبرك ، فقل ما كان من خبرك أنت ؟

فقصصت عليها خبري ، منذ يوم خروجي من عندها ، إلى يومي ذاك ، وقصّت هي ، عليّ قصتها ، مثل ما قال ابن البقّال ، وأعجب ، وأشرح ، وكلّ ذلك بمرأى من الفتى ومسمع ، فلما استوفى الحديث ، خرج وتركني في مكاني .

قال : وإذا أنا بخادم ، قال : يا مولاي ، يسألك ولدك أن تخرج إليه .

قال : فخرجت إليه ، فلما رآني من بعيد ، قام قائماً على رجليه ، وقال : معذرة إلى الله ، وإليك يا أبة ، من تقصيري في حقّك ، فإنّه فجأني من أمرك ، ما لم أظنّ أنّه يكون ، والآن ، فهذه النعمة لك ، وأنا ولدك ، وأمير المؤمنين مجتهد بي

منذ دهر ، أن أدع هذه الجهبذة ، وأتوفّر على خدمته في الدار ، فلا أفعل ، طلباً للتمسّك بصنعتي ، والآن ، فأنا أسأله أن يردّ إليك عملي ، وأخدمه أنا في غيرها ، فقم عاجلاً ، وأصلح أمرك .

فأخذت إلى الحمّام ونظّفت ، وجاءوني بخلعة ، فألبستها ، وخرجت إلى حجرة والدته ، فجلست فيها [١٩١ م] .

ثم أدخلني على أمير المؤمنين ، وحدّثته بحديثي ، وخلع عليّ ، وردّ إليّ العمل الذي كان إلى ولدي ، وأجرى عليّ من الرزق ، في كلّ شهر كذا ، وقلّد ابني أعمالاً هي من أجلّ عمله ، وأضعف له أرزاقه ، وأمره بلزوم حضرته في أشياء استعمله فيها من خاصّ أمره .

فجئت لأشكرك على ما عاملتني به من الجميل ، وأعرّفك بتجدّد النعمة .

قال عمرو بن مسعدة : فلمّا أسمى الفتى ، علمت أنّه ابن داية المأمون ، كما قال .

٣٤٣

سقط عليه حائط ونهض سالماً

حدّثني[عمر بن عبد الملك [١٨٦ غ] بن الحسن بن يوسف السقطي ، وكان خليفتي على القضاء بحرّان ونواح من ديار مضر ، ثم خلفني على قطعة من سقي الفرات ، قال : حدّثني][1] أبو الخطاب محمد بن أحمد بن زكريّا الأنصاري ، الشاهد بالبصرة ، قال :

غلّست[2] يوماً أريد مسجد الزياديّين[3] ، بشارع المربد[4] ، لوعدٍ كان عليّ فيه ، وكانت الريح قويّة ، وإذا بين يديّ بأذرع رجل يمشي .

فلما بلغنا دار رياح ، قلعت الريح سترة[5] آجرّ وجصّ على رأس حائط ، فرمت بها على ذلك الرجل ، فلم أشكّ في هلاكه ، وارتفعت غبرة عظيمة أفزعتني ، فرجعت .

فلما سكَنَتْ ، عدت أسلك الطريق ، حتى إذا دست بعض السترة ، لم أجد الرجل ، فعجبت .

وتمّمت طريقي ، حتى دخلت مسجد الزياديّين ، فرأيت أهل المسجد مجتمعين ، فحدّثتهم بما رأيت في طريقي ، متوجّعاً للرجل ، وشاكراً لله عزّ وجلّ على سلامتي .

فقال رجل منهم : يا أبا الخطاب ، أنا الذي وقعت عليه السترة ، وذلك أنّي قصدت هذا المسجد [١٨٨ ر] لمثل ما وعدت له ، فلمّا سقطت السترة لم أحسّ

---

١ الزيادة من غ .

٢ التغليس : السير في الغلس ، أي في ظلمة آخر الليل .

٣ الزياديّون : نسبة إلى زياد ، راجع اللباب ١/٥١٥ .

٤ شارع المربد : من أجمل شوارع البصرة ، راجع معجم البلدان ٤/٤٨٣ .

٥ السترة : راجع حاشية القصّة ١٨٩ من الكتاب .

بضرر لحقني ، ووجدت نفسي قائماً سالماً ، فحمدت الله تعالى ، وتحيّرت ، ووقفت حتى انجلت الغبرة ، فتأمّلت الصورة ، فاذا في السترة موضع بابٍ كبيرٍ ، وقد سقط باقي السترة حواليّ ، وسائر جسدي في موضع ذلك الباب ، فخرجت منه إلى هاهنا .

٣٤٤

نفاه الواثق وأعاده المتوكّل

ووجدت بخطّ جحظة : حدّثني عبيد الله بن عمر البازيار ، نديم المتوكّل ، قال :

لما نفاني الواثق ، من سرّمن رأى ، إلى البحر ، من أجل خدمتي لجعفر[١] ، لحقتني إضاقة شديدة ، وغموم متّصلة ، واستبعدت الفرج .

فكنت أبكّر في كلّ يوم ، بباشق[٢] على يدي ، إلى الصحراء ، فأرجع بالدرّاجة والدرّاجتين ، فيكون ذلك قوتي ، لإضاقتي .

فدخلت يوم جمعة ، إلى الجامع ، لأصلّي قريباً من المنبر ، وليس معي خبر ، فإذا الخطيب ، يخطب : اللّهم أصلح عبدك وخليفتك عبد الله جعفر ، الإمام المتوكّل على الله ، أمير المؤمنين .

فداخل قلبي من السرور ، حال ، لم أدر معه ، في أيّ مكان أنا[٣] .

قال : وسقطتُ مغشياً عليّ ، فظنّ الناس[٤] أنّي قد صرعت ، فأخرجوني ، فمشيت إلى الموضع الذي أسكنه ، فإذا البُرُد على بابي ، يطلبونَني .

فركبت معهم إلى المتوكّل ، فكان من أمري معه ما كان ، وزادني على الغنى درجات عظيمة ، وعدت إلى حالي من اليسار[٥] .

---

١ المتوكّل أبو الفضل جعفر بن أبي إسحاق محمد المعتصم : ترجمته في حاشية القصّة ٧٣ من الكتاب .

٢ الباشق : وجمعه بواشق : طائر من أصغر الجوارح .

٣ في غ : فدخل قلبي من السرور شيٌ لا أدري ما هو .

٤ في غ : فظنّ من حولي .

٥ لا توجد هذه القصّة في ر .

٣٤٥

البحتري يهنئ الفتح بنجاته من الغرق

وحدّثت : أنّ الفتح بن خاقان[١] ، اجتاز على بعض القناطر ، وهو يتصيّد ، وقد انقطع من عسكره ، فانخسفت القنطرة من تحته ، فغرق .

فرآه أكّار[٢] ، وهو لا يعرفه ، فطرح نفسه وراءه ، وخلّصه ، وقد كاد أن يتلف ، ولحقه أصحابه ، فأمر للأكّار بمال عظيم ، وصدّق بمثله .

فدخل إليه البحتري ، فأنشده قصيدته التي أوّلها :

متى لاح برق أو بدا طلل قفر
جرى مستهلّ لا بكيّ[٣] ولا نزر[٤] [١٩٢ م]

وفيها يقول :

لقد كان يوم النهر يوم عظيمة ... أطلّت ونعماء جرى بهما النهر [١٨٧ غ]
أجزت عليه عابراً فتشاعبت[٥] ... أواذيه[٦] لما أن طما فوقه البحر

---

١ أبو محمّد الفتح بن خاقان : أديب ، شاعر ، فصيح ، ذكي ، فطن ، استوزره المتوكّل ، وآخاه ، وقدّمه على جميع أهله وولده ، كان مع المتوكّل لما هاجمه مغتالوه ، فوقف في الدفاع عنه ، وهو أعزل ، موقفاً رائعاً ، فقتلا معاً سنة ٢٤٧ (الأعلام ٥/٣٣١) وهو أخو يحيى بن خاقان ، أحد مشايخ الكتّاب ، وصاحب ديوان الخراج في أيام المتوكّل (الملح والنوادر ٣٣٢ والديارات ١٥٥) وأخو عبد الرحمن بن خاقان ، عامل البصرة في السنة ٢٤٠ (البصائر والذخائر م ١ ص ٣٥٦) وعم عبيد الله بن يحيى بن خاقان وزير المتوكّل (الديارات ١٥٤ و ١٥٥) .

٢ الأكّار : الحرّاث .

٣ البكيّ والبكيْ : القليل النزر .

٤ راجع ديوان البحتري ص ٨٦ .

٥ تشاعبت : انتشرت وتباعدت .

٦ الأواذي : الموج .

وزالــت أواخي الجسر وانهدمت بـه قواعــده العظمى ومـا ظلم الجسر
تحمّـــل حلمـاً مثـل قدسٍ[٧] وهمّــة كرضوى[٨] وقـدراً ليس يعدله قدر
فما كان ذاك الهول إلاّ غيابـــة بدا طالعاً من تحت ظلمتها البدر
فـإن ننس نعمى الله فيـك فحظّنا أضعنا وإن نشكر فقد وجب الشكــر

فقال له الفتح : الناس يهنّئونا بنثر ، وأنت بنظم ، وبراحة ، وأنت بتعب ، وأجزل صلته[٩] [٢٢ ن]

٧ قدس : جبل (معجم البلدان ٣٨/٤) .
٨ رضوى : جبل بالمدينة (معجم البلدان ٧٩٠/٢) .
٩ لم ترد هذه القصّة في ر .

الباب الثامن

فيمن أشفى على أن يقتل فكان الخلاص من القتل إليه أعجل

٣٤٦

بدأ الهادي خلافته بتنحية الربيع عن الوزارة

واستيزار إبراهيم الحرّاني

ذكر محمّد بن عبدوس في كتاب «الوزراء» : أنّ إبراهيم بن ذكوان الحرّاني الأعور الكاتب[1] ، صاحب طاق الحرّاني ببغداد[2] ، كان خاصًّا بالمهدي .

قال : وانّ المهدي أنفذ موسى ابنه إلى جرجان[3] ، وأنفذ معه إبراهيم الحرّاني ، [فخصّ إبراهيم بموسى][4] ولطف موضعه منه .

فاتّصل بالمهدي عنه أشياء تزيّد فيها عليه أعداؤه وكثّروا ، فكتب المهدي إلى موسى في حمله إليه ، فضنّ به ، ودافع عنه .

---

١ إبراهيم بن ذكوان بن الفضل الحرّاني : من موالي المنصور ، إتّصل بالهادي في حداثته ، فخفّ على قلبه وألفه ، وصار لا يصبر عنه ، وكره المهديّ صحبته لولده ، فنهاه ، فلم ينته ، فصمّم على قتله ، وبعث فأحضره ، ثمّ نجا من القتل ، فاستوزره الهادي لمّا استخلف ، وكان له ناصحاً ، ولمّا توفّي الهادي ، قبض الرشيد أموال إبراهيم ، وحبسه في دار يحيى البرمكي ، ثمّ أخلى سبيله ، وأذن له في الانحدار إلى البصرة (الفخري ١٩٢ ، الطبري ٢١٥/٨ ، ٢٣٣ ومعجم البلدان ٤٩٠/٣) والحرّاني نسبة إلى حرّان ، مدينة بالجزيرة من ديار ربيعة (اللباب ٢٨٩/١) .

٢ – طاق الحرّاني : محلّة ببغداد ، بالجانب الغربي ، منسوبة إلى ابراهيم بن ذكوان الحرّاني ، وزير الهادي (معجم البلدان ٤٨٩/٣) .

٣ جرجان : مدينة عظيمة مشهورة بين طبرستان وخراسان (معجم البلدان ٢٨/٢) .

٤ الزيادة من غ .

فكتب إليه المهدي : إن لم تحمله ، خلعتك من العهد ، وأسقطت منزلتك .

فلم يجد موسى من حمله بدًّا ، وحمله مع بعض خدمه ، مرفّهاً ، مكرّماً ، وقال للخادم : إذا دنوت من محلّ المهدي ، فقيّد إبراهيم ، واحمله في محمل ، بغير وطاء ولا غطاء ، وألبسه جبّة صوف ، وأدخله إليه بهذه الصورة ، فامتثل الخادم ما أمر به في ذلك .

واتّفق أنّه ورد إلى العسكر [5] ، والمهدي يريد الركوب إلى الصيد ، وهو – إذ ذاك – بالروذبار [6] ، فبصر بالموكب ، فسأل عنه فقيل خادم لموسى ومعه إبراهيم الحرّاني .

فقال : وما حاجتي إلى الصيد ، وهل صيدٌ أطيب من صيد إبراهيم الحرّاني ؟

قال : فأدنيتُ منه ، وهو علي ظهر فرسه .

فقال : إبراهيم ؟

قلت : لبيك يا أمير المؤمنين .

فقال : لا لبّيك ، والله لأقتلنّك ، ثم والله لأقتلنّك ، ثم والله لأقتلنّك ، إمض يا خادم به إلى المضرب [7] .

فحملت ، وقد يئست من الفرج ، ومن نفسي ، ففزعت إلى الله تعالى بالدعاء والإبتهال .

---

٥ العسكر : قال ياقوت في المفترق صقعاً ٣٠٩ : أنّ ثمة عشرة مواضع باسم العسكر ، منها عسكر المهديّ ، بالرصافة ببغداد ، ومنها عسكر المعتصم ، وهي سامراء ، وأنا أرجّح أنّ قوله العسكر ، يريد به الموضع الذي عسكر فيه الجند الذين خرجوا مع المهديّ للصيد في ماسبذان حيث توفّي .

٦ الروذبار : ذكر ياقوت في المفترق صقعاً ص ٢١١ و ٢١٢ : أنّ ثمة ثمانية مواضع تسمّى بالروذبار ، ليس منها موضع يقرب من الموضع الذي مات فيه المهديّ ، والاسم الصحيح هو الرذ ، قرية من قرى ماسبذان ، وفيها أصيب المهديّ ، ومات ، وبها دفن ، راجع العيون والحدائق ٢٨٠/٣ والطبري ١٦٨/٨ ، ١٦٩ ومعجم البلدان ٧٧٥/٢ .

٧ المضرب : الخيمة العظيمة .

وانصرف المهدي ، فأكل اللوزينج المسموم المشهور خبره[8] ، فمات من وقته ، وتخلّصت .

[وذكر محمّد بن عبدوس – بعد هذا – أنّ الهادي لمّا بلغه موت المهدي ، نجا من جرجان إلى بغداد ، على دوابّ البريد ، وما سمع بخليفة ركب دوابّ البريد غيره ، فدخل بغداد والربيع مولى المنصور على الوزارة ، كما كان يتقلّدها للمهدي ، فصرفه وقلّد إبراهيم بن ذكوان الحرّاني][9] .

---

٨ في وفاة المهديّ ، قولان : الأوّل ، ما ورد في العيون والحدائق ٢٨٠/٣ والطبري ١٦٩/٨ وابن الأثير ٨١/٦ أنّه طرد ظبياً ، فسقط عن جواده فمات ، وهذا أرجح الأخبار ، وأقربها للصحّة ، والقول الثاني ، ورد في الطبري ١٦٩/٨ ، وابن الأثير ٨٢/٦ والعيون والحدائق ٢٨١/٣ أنّه أكل لبأً ، فمات ، واللبأ : أوّل اللبن ، ويسمّيه البغداديّون : الدلوة ، وقيل إنّه أكل كمثراة مسمومة ، فمات .

٩ الزيادة من ن .

٣٤٧

لمّا اعتقل إبراهيم بن المهدي

حبسه المأمون عند أحمد بن أبي خالد الأحول

قال محمّد بن عبدوس ، في كتاب «الوزراء»[١] : لمّا ظفر المأمون بإبراهيم بن المهدي[٢] ، حبسه عند أحمد بن أبي خالد ، ولم يزل في أزجه[٣] .

فحكى يوسف بن إبراهيم[٤] ، مولى إبراهيم بن المهدي ، قال : لمّا وجّه

---

١ كتاب الوزراء والكتّاب لمحمد بن عبدوس الجهشياري .

٢ أبو إسحاق إبراهيم بن محمّد المهديّ بن عبد الله المنصور (١٦٢–٢٢٤) : ولد ونشأ ببغداد ، وولّي دمشق للرّشيد مرّتين ، ولمّا قتل الأمين ، أعلن نفسه خليفة ببغداد ، واستمرّ سنتين (٢٠٢–٢٠٤) ، ولما قدم المأمون بغداد ، استتر ستّ سنين ، ثم ظفر به المأمون في السنة ٢١٠ ، وعفا عنه ، بناء على طلب بوران بنت الحسن بن سهل (وفيات الأعيان ٢٨٩/١ و٣٨٦) وكان يلقب بالتّنين لأنّه كان مع سواده عظيم الجثّة (وفيات الأعيان ٣٩/١) وكان شديد الانحراف عن علي بن أبي طالب (الأغاني ١٢٦/١٠) كما كان من أكفر خلق الله للإحسان ، فان الحسن بن سهل حقن دمه ، فلم يشكر له ذلك ، فقال له المأمون : أبيت إلاّ كفراً ، يا أكفر خلق الله لنعمة ، راجع القصّة في الأغاني ١٣٢/١٠ ، وكذلك فهو لم يشكر للمأمون عفوه عنه ، وحقنه دمه ، راجع حاشية القصّة ٣٤٩ من هذا الكتاب ، وذكر صاحب وفيات الأعيان ٤١/١ أنّ إبراهيم كان يقلّب خاتماً في يده ، في مجلس المعتصم ، فسأله عنه العبّاس بن المأمون ، فقال له : هذا خاتم رهنته في أيّام أبيك ، فا فككته إلاّ في أيّام أمير المؤمنين ، فقال له العبّاس : والله ، لئن لم تشكر أبي على حقن دمك ، مع عظيم جرمك ، لا تشكر أمير المؤمنين على فكّ خاتمك ، وكان إبراهيم يعيّر بأمّه السوداء (راجع حاشية القصّة ٣٥١ من هذا الكتاب) ، كما كان يعيّر بالغناء ، ويعيّر به بنو العبّاس (راجع حاشية القصّة ٣٥٤ من هذا الكتاب) .

٣ الأزج : القبو المبني سقفه بالآجر المعقود .

٤ أبو الحسن يوسف بن إبراهيم ، المعروف بابن الداية : من موالي إبراهيم بن المهديّ وهو ابن دايته ، نشأ في خدمته ، فلمّا مات إبراهيم سنة ٢٢٤ ، رحل يوسف إلى الشام ، ومنها إلى مصر ، فكان من جلّة كتابها ، ومات بها في السنة ٢٦٥ (الأعلام ٢٨٠/٩) .

المأمون ، إبراهيم بن المهدي ، إلى أحمد بن أبي خالد ليحبسه عنده ، دخل إبراهيم إلى أحمد .

فقال له إبراهيم : الحمد لله الذي منّ عليّ بمصيري إليك وحصولي في دارك ، وتحت يدك ، ولم يبتلني بغيرك .

قال إبراهيم : فقطّب أحمد ، وبسر في وجهي ، وقال : يا إبراهيم ، لقد حسن ظنّك بي ، إذ تتوهّم أنّ أمير المؤمنين [١٩١ غ] لو أمرني بضرب عنقك ، أنّي أتعدّى ذلك إلى غير ما أمرني به فيك .

قال : فأدرت عيني في مجلسه ، فتبيّنت فيمن حضر منّ أهل خراسان ، إنكاراً لقوله .

فقلت : صدقتَ يا ابن أبي خالد ، إن قتلتني بأمر أمير المؤمنين ، كنتَ غير ملوم ، وكذلك لو أمرني بالشقّ عن قلبك وكبدك ، فعلتُ ذلك ، وكنتُ غير ملوم .

ولم أحمد ربّي - وإن كان حمده واجباً في كلّ حال - لحسن ظنّي بك ، ولكنّني علمت ، أنّ لأمير المؤمنين [١٩٥ م] خزنة سيوف ، وخزنة أقلام ، وأنّه متى أراد قتل إنسان ، دفعه إلى خزنة السيوف ، ومتى أراد مناظرته ، دفعه إلى خزنة الأقلام .

فحمدت الله تعالى ، على ما منّ به عليّ ، من إحلاله إيّايّ ، محل من يساءل ، لا محلّ من يعاجَلْ .

قال : فرأيت وجوه كلّ من حوله قد أشرقت ، وأسفرت ، وأعجبوا بما كان منّي .

فقال أحمد بن أبي خالد : الناس يتكلّمون على قدر أنفسهم وآبائهم ، وكلامك على قدر المهدي ، وقدر نفسك ، وكلامي على قدر خلقي ، وقدر يزيد الأحول ، وأنا أستقيلك مما سبق منّي ، فأقلني ، أقال الله عثرتك ، وسهّل أمرك ، وعجّل خلاصك .

فقلت : قد أقال الله عثرتك .

قال : وما مضت لي في داره ، خمسون ليلة ، حتى سار إليّ في نصف الليل ، فأخرجني ، وألقى عليّ درعاً ، وظاهر بدرّاعة[5] ، وحملني على دابّة ، وهو يركض إلى الجانب الغربي ، فوقفني بين الجسر والخلد[6] .

فوقع في نفسي أنّ إلقاءه عليّ الدرع ، إنّما هو لإيراده إيّاي على سكران ، فأراد أن يقيني بادرته ، وعلمت أنّه أراد أنّه إذا ورد عليّ أمر ، أن أتماوت .

فخلّفني مع أصحابه ، ومضى يركض ، ثم عاد إليّ .

ثم قال : يقول لك أمير المؤمنين : يا فاسق ، ألم يكن لك في السابق القديم من فعلك ، كفاية تحوّلك عمّا كان منك في هذه الليلة التي وثب فيها عليّ ابن عائشة وابن الأفريقيّ ، ومن يتابعهما[7] ، وأضرابهم ، [٢٤ ن] حتى اضطروني إلى أن ركبت إلى المطبق لمحاربتهم ، حتى أظفرني الله جلّ وعزّ بهم ، فقتلتهم ، وأنا ملحقك بهم ، فاحتجّ لنفسك ، إن كانت لك حجّة ، وإلاّ فإنّك لاحق بهم .

فعلمت أنّ الرسالة ممن غلب عليه النبيذ ، وأنّي أحتاج إلى إغضابه ، حتى يغلب غضبه السكر .

فقلت : يا أبا العبّاس ، دمي في عنقك ، فاتّق الله ، ولا تقتلني .

---

٥ قوله ظاهر بدراعة ، يعني أنّه ألبسه دراعة ظاهرة فوق الدرع .

٦ الجسر المقصود ، هو جسر باب الطاق ، الذي حلّ محلّه الآن جسر الصرافية الحديد ، وقصر الخلد ، كان على الشاطئ الغربي لدجلة شمالي الجعيفر .

٧ كان ابن عائشة وهو ابراهيم بن محمّد بن عبد الوهاب بن إبراهيم الامام ، والأفريقي وهو محمّد بن إبراهيم ، من قوّاد إبراهيم بن المهديّ ، وشاركا في محاربة جيش المأمون (ابن الأثير ٣٤٤/٦) وقد تآمر هذان مع آخرين في السنة ٢١٠ على خلع المأمون ومبايعة إبراهيم بن المهديّ ، فنمّ عليهم أحد المشتركين معهم ، فأخذوا ، وركب المأمون إلى السجن وأخذهما ، واثنين من رفاقهما ، فضرب أعناقهم ، للتفصيل راجع تاريخ بغداد لابن طيفور ٩٦–٩٩ وابن الأثير ٣٩١/٦ ، ٣٩٢ ، والطبري ٦٠٢/٨–٦٠٤ .

فقال لي : يا هذا ، ما الذي يتهيّأ لي أن أعمل ، وهل يمكنني دفع شيء يأمرني بـه ؟

فقلت : لا ، وإنّي أريد أن أحقن دمي ، بأن تؤدّي عنّي ما تسمعه منّي ، وإنّما تقتلني ، إذا أجبتهُ بجوابٍ ، فأدّيتَ عنّي غيره ، تقديراً منك ، أنّه أصلح وأدعى إلى سلامتي ، فلا يتلقّى قولك بالقبول ، فأدّ قولي كما أقول .

فقال أحمد بن أبي خالد : عليّ عهد الله ، أن أؤدّي ما تقول .

قال : فقلت ، تقول له : يا أمير المؤمنين إن كنتَ تعقل ، فأنت تعلم أنّي أعقل ، فما أشكّ [١٩٢ غ] أنّه سيستعيد منك هذا القول ، فأعده .

وتقول له : يقول لك : يا أمير المؤمنين استترت منك ، وأنت خارج عن البلد ، وأنا نافذ الأمر فيه ، ومعي عالم من الناس ، وأثب بك في مدينتك ، ومدينة آبائك ، وأنا أسيرٌ في سَرَب [8] ابن أبي خالد ، مع نفر محبّسين ، مثقلين بالحديد ؟ هذا ما لا يقبله عاقل .

فأدّى أحمد رسالته إلى المأمون ، فقال : صدق ، فأردده إلى موضعه .

فركض أحمد إليّ ، وهو ينادي : سلامة سلامة ، والحمد لله رب العالمين ، وانصرف إلى منزله .

قال ابن عبدوس : فأقام فيه ، إلى أن انصرف المأمون ، لنكاح بوران [9] ، فأشخصه معه إلى فم الصلح ، وسألته بوران بنت الحسن بن سهل ، فرضي عنه [10] .

---

٨ السَّرَب ، بفتح السين والراء : الحفير تحت الأرض .

٩ بوران : اسمها خديجة ، بنت الحسن بن سهل (١٩١–٢٧١) زوجة المأمون العبّاسي ، من أكمل النساء أدباً وأخلاقاً ، ليس في تاريخ العرب زفاف أنفق فيه ما أنفق في زفافها على المأمون (الأعلام ٢/٥٦) ، وتنسب إليها أصناف من الطعام منها ما ورد في كتاب الطبيخ للبغداديّ ، عن طعام إسمه بوران (ص ٣٨) وعن طعام اسمه بورانيّة (ص ٤٠) وآخر اسمه بورانيّة بالقرع (ص ٤٣) ، وفي بغداد الآن طعام اسمه بورانية ، وهي أن يقطّع الباذنجان أقراصاً ، ويقلى بالزيت ، ويصب عليه اللّبن الرائب مخلوطاً بالثوم .

١٠ لا توجد هذه القصّة في ر .

٣٤٨

جيء بإبراهيم بن المهدي

وهو مذنب وخرج وهو مثاب

وحدّثني أبو العلاء الدلاّل البصريّ ، بها[١] ، قال : حدّثني أبو نصر بن أبي دؤاد ، قال : حدّثني أبي ، عن أبيه ، قال :

كنت يوماً عند المأمون ، وقد [١٩٦ م] جاءوه بإبراهيم بن المهدي ، وفي عنقه ساجور[٢] ، وفي رجله قيدان ، فوقف بين يدي المأمون .

فقال له : هيه ، يا إبراهيم ، إنّي استشرت في أمرك ، فأُشير عليّ بقتلك ، فرأيت ذنبك يقصر عن واجب حقّ عمومتك .

فقال : يا أمير المؤمنين ، أبيت أن تأخذ حقك إلاّ من حيث عوّدك الله تعالى ، وهو العفو عن قدرة .

فقال المأمون : مات – والله – الحقد ، عند هذا العذر ، يا غلام ، لا يتخلّف أحد من أهل المملكة عن الركوب بين يديه ، ويحمل بين يديه عشر بدر ، وعشرة تخوت ثياب .

قال : ما رأيت إنساناً جيء به وهو مذنب ، فخرج وهو مثاب ، وأهل المملكة بين يديه ، إلاّ هو .

---

١ بها : أي بالبصرة .

٢ الساجور : خشبة تعلّق في العنق .

٣٤٩
قبض على إبراهيم بن المهدي وهو بزيّ امرأة

وجدت في كتاب أبي الفرج المخزومي الحنطبي[١] :

أنّ إبراهيم بن المهدي ، لمّا طال استتاره من المأمون ، ضاق صدره ، فخرج ليلة من موضع كان فيه مستخفياً ، يريد موضعاً آخر ، في زيّ امرأة ، وكان عَطِراً .

فعرض له حارس ، فلمّا شمّ منه رائحة الطيب ، ارتاب به ، فكلّمه ، فلم يجب ، فعلم أنّه رجل ، فضبطه .

فقال له : خذ خاتمي ، فثمنه ثلاثون ألف درهم[٢] [١٩١ ر] وخلّني ، فأبى ، وعلق به ، وحمله إلى صاحب الشرطة ، فأتى به المأمون .

فلمّا أدخل داره ، وعرف خبره ، أمر بأن يدخل إليه ، إذا دعي ، على الحال التي أخذ عليها .

ثم جلس مجلساً عاماً ، وقام خطيبٌ بحضرة المأمون ، يخطب بفضله ، وما رزقه الله ، جلّت عظمته ، من الظفر بإبراهيم[٣] .

---

١ أبو الفرج عبد الواحد بن نصر بن محمّد المخزوميّ ، الشاعر المعروف بالببغاء : ترجمته في حاشية القصّة ١٥ من هذا الكتاب .

٢ في غ : ثلاثون ألف دينار .

٣ من جملة ما ابتدع في أيّام العبّاسيّين ، نصب خطباء مقصور عملهم على الوقوف في مجلس الخليفة ، يشيدون بذكره ويخصّون أعماله بالحمد والتمجيد ، ويتناولون أعداءه بالذمّ والتجريح ، ومنهم هذا الخطيب الذي وقف في مجلس المأمون يطنب في مدحه ، وكان أحد هؤلاء الخطباء ، وهو سعيد الخطيب ، يتناول المأمون أيّام الفتنة ، بالذمّ ، ويسمّيه : المأفون ، فلمّا دخل بغداد ، عفا عنه ، وأبقاه خطيباً ، فكان يقف في مجالس المأمون ، ويرفعه في التقريظ إلى مصاف الأنبياء (تاريخ بغداد لابن طيفور ٤ و ٧ و ٨) وقصّ علينا الصولي في كتابه الأوراق قصّة خطيب كان يقف في مجلس الراضي ، ويقرّظه ويمجّده ، كما ورد في القصّة ٣٨٥ من هذا الكتاب ذكر هشام الخطيب المعروف بالعبّاسي ، وكان =

وأدخل إبراهيم بزيّه ، فسلّم على المأمون ، وقال : يا أمير المؤمنين ، إنّ وليّ الثأر محكّم في القصاص ، والعفو أقرب للتقوى ، ومن تناولته يد الاغترار ، بما مدّ له من أسباب الرجاء ، لم يأمن عادية الدهر ، [ولست أخلو عندك من [١٩٣ غ] أن أكون عاقلاً أو جاهلاً ، فإن كنتُ جاهلاً فقد سقط عنّي اللوم من الله تعالى ، وإن كنت عاقلاً ، فيجب أن تعلم أن الله عزّ وجلّ] [٤] ، قد جعلك فوق كلّ ذي عفو ، كما جعل كل ذي ذنب دوني [٥] ، فإن تؤاخِذْ ، فبحقّك ، وإن تعفُ ، فبفضلك ، ثم قال :

ذنـــبي إليـــك عظـيم وأنـــت أعظـم منـــه
فخــــذ بحقّـــك أو لا فاصفـــح بحلمـــك عنـه
إن لم أكــن في فعــــالي مـــن الكـــرام فكنـــه

وقال :

أذنبت ذنبـــاً عظـــيمًا وأنـــت للعفـــو أهــــل
فإن عفــــوت فـــنٌّ وإن جزيت فعـــــدل

قال : فرقّ له المأمون ، وأقبل على أخيه أبي إسحاق وابنه العبّاس [٦] والقوّاد ،

= أثيراً جدًّا لدى المأمون بحيث أنّه توسّط أمر إبراهيم الصولي ، وأحسبه لا يخرج عن جملة هؤلاء الخطباء ، ولم يرد لخطباء من هذا النوع ذكر في أيّام الأمويّين .

٤ الزيادة من غ ، وقد وردت هذه الجملة مكرّرة في موضعين .

٥ أورد صاحب العيون والحدائق ٣٦٦/٣ ، قول إبراهيم ، كما يلي : يا أمير المؤمنين ، وليّ الثأر محكّم في القصاص ، والعفو أقرب للتقوى ، ومن تناوله الاغترار بما مدّ له من أسباب الشقاء ، أمكن عادية الدهر من نفسه ، وقد جعلك الله فوق كلّ ذي ذنب ، كما جعل كلّ ذي ذنب دونك ، فإن تعاقب فبحقك ، وان تعف فبفضلك .

٦ أبو إسحاق محمد المعتصم بن أبي جعفر هارون الرشيد ، ترجمته في حاشية القصّة ١٧ من هذا الكتاب ، والعبّاس بن المأمون ، ترجمته في حاشية القصّة ١٢٠ من هذا الكتاب .

وقال : ما ترون في أمره ؟

فقال بعضهم : يضرب عنقه .

وقال البعض : تقطع أطرافه ، ويترك إلى أن يموت ، وكلّ أشار بقتله ، وإن اختلفوا في القتلة .

فقال المأمون ، لأحمد بن أبي خالد : ما تقول أنت يا أحمد ؟

فقال : يا أمير المؤمنين ، إن قتلته ، وجدت مثلك قد قتل مثله ، وإن عفوت عنه ، لم تجد مثلك قد عفا عن مثله ، فأيّ أحبّ إليك ، أن تفعل فعلاً تجد لك فيه شريكاً ، أو أن تنفرد بالفضل ؟

فأطرق المأمون طويلاً ، ثم رفع رأسه ، فقال : أعد عليّ ما قلت يا أحمد ، فأعاد .

فقال المأمون : بل ننفرد بالفضل ، ولا رأي لنا في الشركة .

فكشف إبراهيم المقنعة [١٩٧ م] عن رأسه ، وكبّر تكبيرة عالية ، وقال : عفا - والله - أمير المؤمنين عنّي ، بصوت كاد الإيوان أن يتزعزع منه ، وكان طويلاً ، آدم ، جعد الشعر ، جهوريّ الصوت .

فقال له المأمون : لا بأس عليك يا عمّ[٧] ، وأمر بحبسه في دار أحمد بن أبي خـالد .

فلمّا كان بعد شهر ، أحضره المأمون ، وقال له : اعتذر عن ذنبك .

فقال : يا أمير المؤمنين ، ذنبي أجلّ من أن أتفوّه معه بعذر ، وعفوُ أمير المؤمنين ، أعظم من أن أنطق معه بشكر ، ولكنّي أقول :

---

٧ قال أبو العيناء : سمعت إبراهيم بن المهدي ، يقول - وذكر عفو المأمون عنه - ، فقال : والله ما عفا عنّي تقرّبًا إلى الله ، ولا صلةً للرحم ، ولكن قامت له سوق في العفو ، فكره أن تكسد بقتلي ، قال : فذكرت هذا الحديث لأبي يعقوب سليمان بن جعفر ، فقال : ما أكفره ، أمّا المأمون ، فقد فاز بحظّها ، كفر من كفر ، وشكر من شكر (البصائر والذخائر م ٣ ق ١ ص ٦٢) .

تفديك نفسي أن تضيق بصـــالح   والعفو منك بفضل جود[8] واسع
إنّ الذي خلـق المكارم حازهـا   في صلب آدم للإمام السابع
ملئت قلوب الناس منك مهابـة   وتظلّ تكلؤهم بقلبٍ خاشـع
فعفوت عمّن لم يكن عن مثلـــه   عفو ولم يشفع إليك بشافـع
ورحمت أطفالاً كأفراخ القطـا   وحنين والدة بقلب جازع [١٩٤ غ]
ردّ الحياة إليّ بعد ذهابهـــــا   كرم المليك العادل المتواضع[9]

فقال له المأمون : لا تثريب [١٩٢ ر] عليك يا عمّ ، قد عفوت عنك ، فاستأنف الطاعة متحرّزاً [٢٥ ن] من الظنّة ، يصفُ عيشك ، وأمر بإطلاقه ، وردّ عليه ماله وضياعه ، فقال إبراهيم يشكره [في ذلك][10] :

رددتَ مالي ولم تبخل عليّ بـــه   وقبل ردّك مالي قد حقنت دمي
فأبتُ عنك وقد خوّلتني نعمـــاً   هما الحياتان من موت ومن عدم
فلو بذلتُ دمي أبغي رضاك بـه   والمال ، حتى أسلّ النعل من قدمي
ما كان ذاك سوى عاريّة رجعت   إليك لو لم تعرها كنت لم تُلَم
وقام علمك بي فاحتجّ عندك لي   مقام شاهد عدل غير متّهم
فإن جحدتك ما أوليت من نعم   إنّي لباللؤم أولى منك بالكرم[11]

فقال المأمون : إنّ من الكلام ، كلاماً كالدرّ ، وهذا منه ، وأمر لإبراهيم بخلع ومال ، قيل أنّه ألف ألف درهم .

وقال له : يا إبراهيم ، إنّ أبا إسحاق ، وأبا عيسى[12] ، أشارا عليّ بقتلك .

---

٨ في غ : بفضل خلق .
٩ هذا البيت لم يرد في م .
١٠ الزيادة من غ .
١١ هذا البيت لم يرد في م .
١٢ في م : وولدي . وأبو عيسى بن هارون الرشيد : أمير عبّاسي ، كان من أحسن الناس وجهًا ، ومجالسةً ، =

فقال إبراهيم : ما الذي قلت لهما يا أمير المؤمنين ؟

قال : قلت لهما : إنّ قرابته قريبة ، ورحمه ماسّة ، وقد بدأنا بأمر ، وينبغي أن نستتمّه ، فإن نكث فالله مغيّر ما به .

قال إبراهيم : قد نصحا لك ، ولكنّك أبيت إلاّ ما أنت أهله يا أمير المؤمنين ، ودفعتَ ما خفتَ ، بما رجوت .

فقال المأمون : قد مات حقدي بحياة عذرك ، وقد عفوت عنك ، وأعظم من عفوي عنك أنّني لم أجرّعك مرارة امتنان الشافعين .

= وعشرةً ، وأمجنهم ، وأحدّهم نادرة ، وأشدّهم عبثًا ، اقرأ في الأغاني ١٠/١٨٩ وفي تاريخ بغداد لابن طيفور ٦٦ قصّة عن عبثه بالأمير طاهر بن الحسين ، وكذلك قصّته مع المأمون ، لمّا كان يخطب يوم الجمعة على المنبر بالرصافة ، عندما حضر يعقوب بن المهدي ، وكان أبو عيسى يقول شعراً لينا طيّبًا من مثله ، ويجيد الغناء ، ويصنع الأصوات ، وهو أوّل من غنّى للمأمون لما قدم بغداد ، وكان جميل الصورة جدًّا حتى أنّ الناس كانوا يجلسون له ليروه أكثر ممّا يجلسون للخلفاء (الأوراق للصولي ٨٨) ، وكان مغرمًا بالصيد ، وطرد خنزيراً ، فسقط عن جواده ، فأصيب بالصرع ، ومات ، فحزن عليه المأمون حزنًا شديدًا ، ونزل في قبره ، ودفنه وهو يبكي ، ودموعه تسيل على خدّيه ، وامتنع عن الطعام والنوم أيّامًا (الأغاني ٥/٣٨٣ و ١٠/١٨٦–١٩٢) وكان أبو عيسى في أوّل زمان الخلاف بين الأخوين ، قد مالأ المخلوع ، فكتب إليه طاهر بن الحسين كتابًا من أبلغ الكتب ، راجعه في أدب الكتّاب للصولي ١٥١ ، ١٥٢ ، ومن بديع شعره ، [الأوراق للصولي ، أشعار أولاد الخلفاء ٨٨ و ٨٩] :

أسهرني ثم رقد وما رثى لي من كمد
ظبي إذا زدت هوى وذلّة تاه وصد
واعطشا إلى فمٍ يمجّ خمراً من برد

٣٥٠

إنّ من أعظم المحنة

أن تسبق أميّة هاشماً إلى مكرمة

[وحدّثني أبو الفرج الأصبهاني ، قال : حدّثني علي بن سليمان الأخفش ، ومحمّد بن خلف بن المرزبان قالا : حدّثنا محمّد بن يزيد النحوي ، يعنيان أبا العبّاس المبرّد ، قال : حدّثنا][1] الفضل بن مروان ، قال :

لمّا دخل إبراهيم بن المهدي على المأمون وقد ظفر به ، كلّمه بكلام كان سعيد بن العاص كلّم به معاوية بن أبي سفيان في سخطة سخطها عليه ، [١٩٧ غ] واستعطفه به ، وكان المأمون يحفظ الكلام .

فقال له المأمون : هيهات يا إبراهيم ، هذا كلامٌ قد سبقك به فحل بني العاص ، وقارحهم[2] ، سعيد بن العاص ، خاطب به معاوية .

فقال له إبراهيم : وأنت إن عفوت عنّي ، فقد سبقك فحل بني حرب ، وقارحهم ، إلى العفو ، ولم تكن حالي في ذلك ، أبعد من حال سعيد عند معاوية ، فإنّك أشرف منه ، وأنا أشرف من سعيد ، وأنا أقرب إليك من سعيد إلى معاوية ، وإنّ من أعظم المحنة أن تسبق أميّة هاشماً إلى مكرمة .

فقال له : صدقت يا عمّ ، وقد عفوت عنك[3] .

---

١ الزيادة من غ وفي بقية النّسخ : وقيل باسناد عن الفضل بن مروان .

٢ القارح : البعير الذي نبت نابه ، يريد به سيّد القوم .

٣ هذه القصّة لم ترد في ر .

٣٥١
لمّا قدّم للقتل تماسك فلمّا عفي عنه بكى

وجدت في بعض الكتب :

أنّه لمّا حصل إبراهيم بن المهدي في قبضة المأمون ، لم يشكّ هو وغيره في أنّه مقتول ، فأطال حبسه في مطمورة[1] ، بأسوأ حال وأقبحها .

قال إبراهيم : فأيست من نفسي ، ووطّنتها على القتل ، وتعزّيت عن الحياة ، حتى صرت أتمنّي القتل ، للراحة من العذاب ، وماأؤمّله في الآخرة ، من حصول [١٩٨ م] الثواب .

فبينا أنا كذلك ، إذ دخل عليّ أحمد بن أبي خالد مبادراً ، فقال : أَعهد[2] ، فقد أمرني أمير المؤمنين بضرب عنقك .

فقلت : أعطني دواة وقرطاساً ، فكتبتُ وصيّة[3] ذكرت فيها كلّما احتجت إليه ، وأسندتها إلى المأمون ، وشكلة والدتي[4] ، وتوضّأت ، فتطوّعت ركعات ، ومضى أحمد .

وفرغت من الصلاة ، وجلست أتوقّع القتل ، فعاد إليّ أحمد بعد ساعتين ،

---

١ المطمورة : راجع حاشية القصّة ١٨٣ من الكتاب .

٢ إعهد : أوصِ .

٣ لمّا مات إبراهيم أسند وصيّته إلى المعتصم ، ورأى المعتصم أنّه لم يوصِ فيها لأولاد علي بن أبي طالب بشيء ، لأنّه كان شديد الإنحراف عن عليّ ، فاستقبح الواثق فعله ، وعدّل المعتصم وصيّته (الأغاني ١٠/١٢٦ والأوراق للصولي – أشعار أولاد الخلفاء ٤٨ و٤٩) .

٤ كانت شكلة أم إبراهيم ، سوداء ، وكان يعيّر بها ، وينسبه إليها من يبتغي الطعن فيه ، ولمّا أعلن خلافته ، قال فيه دعبل [وفيات الأعيان ١/٤٠] :

نعر ابن شكلة بالعراق وأهله ... فهفا إليه كلّ أحمق مائق

إن بات إبراهيم مضطلعاً بها ... فلتصلحن من بعده لمخارق

فقال : أمير المؤمنين ، يقرؤك السلام ، ويقول لك : أنا أحمد الله – جلّت عظمته – الذي وفّقني لصلة رحمك ، والصفح عنك ، وقد أمّنك ، وردّ عليك نعمتك ، وجميع ضياعك وأملاكك ، فانصرف إلى دارك .

قال : فبدأت أدعو للمأمون ، وغلب البكاء عليّ والانتحاب ، وهو يطالبني بالجواب ، وأنا غير متمكّن منه .

فقال لي أحمد : لقد رأيت منك عجباً ، أخبرتك أنّي أمرتُ بضرب عنقك ، فلم تجزع ، ولم تبك ، ثم أخبرتك بتفضّل أمير المؤمنين عليك ، وصفحه عنك ، فلم تتمالك من البكاء .

فقلت له : أمّا السكوت عند الخبر الأوّل ، فلأنّي لم أتوسّم – منذ ظفر بي – أن أسلم من القتل ، فلمّا ورد عليّ ما لم أشكّ فيه ، لم أجزع له ، ولم أبك .

وأمّا بكائي عند الخبر الثاني ، فوالله العظيم شأنه ، ما هو عن سرور بالحياة ، ولا لرجوع النعمة ، وما بكائي إلاّ لما كان منّي في قطيعة رحم من عنده – بعد استحقاقي منه القتل – مثل هذا الصفح الذي لم يسمع في جاهليّة ولا إسلام ، بأنّ أحداً أتى بمثله ، فقد حاز أمير المؤمنين الثواب من الله تعالى ، في صلة رحمه ، وبؤتُ أنا بالإثم ، في قطيعة رحمي ، وقد أظهر إحسانهُ إساءتي ، وحلمه جهلي ، وفضله نقصي ، وجوابي هو ما شاهدت وسمعت [١٩٥ ر] .

فرجع أحمد إلى المأمون فأخبره ، ثم عاد إليّ بمالٍ وخلعٍ ، ومركوب ، فانصرفت إلى داري ونعمتي .

٣٥٢

قال المأمون : لقد حبّب إليّ العفو

حتى خفت أن لا أؤجر عليه

[ووجدت الخبر على خلاف هذه الرواية ، فأخبرني أبو الفرج الأموي المعروف بالأصبهاني ، قال : أخبرني علي بن سليمان الأخفش ، قال : حدّثنا محمّد بن يزيد النحوي ، عن الجاحظ ، قال :

أرسل إليّ ثمامة ، يوم حبس المأمون إبراهيم بن المهدي ، وأمر بإحضار الناس على مراتبهم ، فحضروا ، وجيء بإبراهيم .

قال أبو الفرج ، وأخبرني عمّي ، قال : حدّثني الحسن بن عُلَيْل[١] ، قال : حدّثني][٢] محمّد بن عمرو الأنباري [من أنبار خراسان][٣] ، قال :

لمّا ظفر المأمون بإبراهيم المهدي ، أحبّ أن يوبّخه على رؤوس الأشهاد ، فأمر بإحضار الناس على مراتبهم ، وجيء بإبراهيم يرسف في قيوده[٤] ، فوقف على طرف البساط في طرف الإيوان ، يحجل في قيوده .

فقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ، ورحمة الله تعالى وبركاته .

فقال له المأمون : لا سلّم الله عليك ، ولا كلأك ، ولا حفظك ، ولا رعاك .

فقال له إبراهيم : على رسلك يا أمير المؤمنين ، فلقد أصبحت وليّ الثأر ،

---

١ أبو علي الحسن بن عُليل بن الحسين بن علي العنزي : أديب ، لغوي ، عالم بأخبار العرب ، إسم أبيه علي ، وغلب عليه اسم عُليل ، وهو لقب له ، وله تآليف في اللغة ، وشعر ، مات بسامراء سنة ٢٩٠ (الأعلام ٢/٢١٦) .

٢ الزيادة من غ .

٣ الزيادة من غ ، وأنبار خراسان مدينة قرب بلخ ، هي قصبة جوزجان (معجم البلدان ١/٣٦٧) .

٤ الرسف : مشية المقيّد .

والقدرة تذهب الحفيظة ، وقد أصبح ذنبي فوق كلّ ذنب ، كما أصبح عفوك فوق كلّ عفو ، ولم يبق إلاّ عفوك أو انتقامك ، فإن تعاقب فبحقّك [١٩٥ غ] ، وإن تعفُ فبفضلك ، وأنت للعفو أقرب .

فأطرق المأمون مليًّا ، ثم رفع رأسه ، فقال : إنّ هذين أشارا عليّ بقتلك ، يعني أخاه المعتصم ، وابنه العبّاس ، وكانا يشيران عليه في معظم تدبير الخلافة والسياسة .

فقال إبراهيم : لقد نصحا لك يا أمير المؤمنين فيما أشارا عليك به ، وما غشّاك ، إذ كان منّي ما كان ، ولكنّ الله عزّ وجلّ ، عوّدك في العفو عادة جريت عليها ، دافعاً ما تخاف بما ترجو ، فكفاك الله كلّ مكروه ، ودفع عنك كلّ محذور .

قال : فتبسّم المأمون ، وأقبل على ثمامة ، وقال : إنّ من الكلام ما يفوق الدرّ ، ويغلب السحر ، وكلام عمّي منه ، أطلقوه ، وفكّوا عن عمّي حديده ، وردّوه إليّ مكرّماً .

فلمّا ردّ إليه ، قال : يا عمّ ، صر إلى المنادمة ، وارجع إلى الأنس ، فلن ترى منّي أبداً إلاّ ما تحب ، [فلقد حبّب إليّ العفو ، حتى خفت أن لا أؤجر عليه ، أمّا أنه لو علم الناس ما لنا في العفو من اللذة ، لتقرّبوا إلينا بالذنوب ، لا تثريب اليوم عليك يا عمّ ، يغفر الله لنا ولك ، ولو لم يكن في حقّ نسبك ما يبلغ الصفح عن إساءتك ، ولو لم يكن في حقّ قرابتك ، ما يستحقّ العفو عن جرمك ، لبلغت ما أمّلتَ بحسن تنصّلك ، ولطف توصّلك ، ثم أمر بردّ ضياعه وأمواله إليه][٥] .

فلمّا كان من الغد ، بعث إليه إبراهيم درجاً فيه هذه الأبيات : [١٩٣ ر]

---

٥ لا توجد في غ .

يا خير من ذملت[٦] يمانية بـــه بعد الرسول لآيس أو طامـــع
والله يعلم ما أقول فإنّهــــا جهد الأليّة من حنيف راكـع
قسمًا وما أدلي إليك بحجّـــة إلاّ التضرّع من مقرّ خاشـع[٧]
ما إن عصيتك والغواة تمـدّ لي أسبابها إلاّ بقلب طائـع[٨]
حتى إذا علقت حبائـل شقوتي بردى على حَفْر المهالك هائع[٩]
لم أدر أنّ لمثـل ذنبي غافـراً فأقمت أرقب أيّ حتف صارعي
ردّ الحيـاة علـيّ بعـد ذهـابها عفو الإمام القـادر المتواضع[١٠]
أحياك من ولّاك أطول مـدّةٍ ورمى عدوّك في الوتين بقاطع[١١]
إنّ الذي قسم الفضائل حازهـا في صلب آدم للإمـام السابع
كم من يدٍ لك لا تحدّثني بهـا نفسي إذا آلت إليّ مطـامعي
أسديتها عفـواً إليّ هنيئـةً فشكرتُ مصطنعاً لأكرم صانع
ورحمت أطفالاً كأفراخ القطـا وحنين والهـة كقوس النـازع[١٢]
وعفوت عمّن لم يكن عن مثلـه عفوٌ ولم يشفع إليك بشافـع
إلاّ العلوّ عن العقوبـة بعدمـا ظفرت يداك بمستكين خاشع[١٣]

قال : فبكى المأمون ، ثم قال : عليّ به ، فأُتي به ، فخلع عليه ، وأمر له بخمسة آلاف درهم ، وكان ينادمه ، لا ينكر منه شيئاً .

---

٦ الذميل : السير الليّن ، والذمول : الناقة التي تسير سيراً ليّناً .
٧ في تاريخ بغداد لابن طيفور ص ١٠٢ : من مقرّ باخع .
٨ في تاريخ بغداد ص ١٠٢ : إلاّبنية طائع .
٩ الهوع : التحفّز للوثوب .
١٠ في غ : ورع الإمام القاهر المتواضع .
١١ الوتين : عرق في القلب يجري منه الدم إلى العروق كلّها .
١٢ نزع القوس : جذبها للرمي ، يريد أنّ الوالهة ، وهي أمّه ، عجوز محدودبة الظهر .
١٣ وردت القصيدة بتمامها في تاريخ بغداد لابن طيفور ١٠١–١٠٣ .

٣٥٣
إذا رميتُ أصابني سهمي

قال أبو الفرج ، وروى بعض هذا الخبر ، محمّد بن الفضل الهاشمي ، فقال فيه :

لمّا فرغ المأمون من خطابه ، دفعه إلى أحمد بن أبي خالد الأحول ، وقال له : هو صديقك ، فخذه إليك .

فقال : ما يغني هذا عنه ، وأمير المؤمنين ساخطٌ عليه ، أمّا وإنّي وإن كنت صديقاً له (١٩٦ غ] ، لا أمتنع من قول الحقّ فيه .

فقال له : قل ، فإنّك غير متّهم .

فقال : هو يريد التسلّق [1] إلى أن تعفو عنه [٢٦ ن] ، فإن قتلته ، فقد قتلت الملوك قبلك من كان أقلّ جرماً منه ، وإن عفوتَ عنه ، عفوتَ عمّن لم يعفُ قبلك أحد عن مثله .

فسكت المأمون ساعة ، ثم تمثّل بهذه الأبيات :

فلئن عفوتُ لأعفون جللاً ... ولئن سطوت لأوهنن عظمي
قومي هموا قتلوا أميم أخي ... فإذا رميتُ يصيبني سهمي

قال مؤلّف هذا الكتاب : وروى أبو تمام الطائي ، هذين البيتين في اختياراته التي سمّاها : الحماسة ، وقدّم البيت الثاني على الأوّل .

رجع الحديثُ إلى أبي الفرج ، قال :

فقال له المأمون : خذه إليك مكرّماً ، فانصرف به ، ثم كتب إلى المأمون

---

١ التسلّق : الصعود ، ويريد بها هنا : التوصّل .

قصيدته العينية[٢] ، فلمّا قرأها رقّ له ، وأمر بردّه إلى منزلته[٣] ، وردّ ما قبض من أمواله وأملاكه . [١٩٤ ر] .

٢ أورد القاضي التّنوخي قصيدة ابراهيم العينيّة ، في القصّة ٢٥٢ من هذا الكتاب .

٣ في غ : إلى منزله .

٣٥٤
إبراهيم بن المهدي يحتجّ لنفسه أمام المأمون

وحدّثني علي بن هشام ، المعروف بابن أبي قيراط [١٩٨ غ] الكاتب [البغدادي ، قال : حدّثني أبو عبد الله محمّد بن إسماعيل الأنباري الكاتب ، المعروف بزنجي ، قال : حدّثنا أبو العبّاس أحمد بن محمّد بن ثوابة [1] ، قال : سمعت موسى بن عبد الملك] [2] ، يحدّث عن أحمد بن يوسف الكاتب [3] ، قال :

كنت أشرب مع المأمون ، وأنادمه ، وأنا أتقلّد له ديوان المشرق ، وديوان الرسائل ، قبل وزارتي له ، وكنت كثيراً ما أنادمه على الانفراد ، وربما جمع بيني وبين اليزيدي [4] ، [وإسحاق بن إبراهيم الموصلي] [2] .

فلمّا رضي عن إبراهيم بن المهدي ، ونادمه ، صار لا يكاد يشرب مع غيره وغيري ، ويقتصر [٢٧ ن] على استماع الغناء من وراء الستارة ، وربّما حضر إسحاق بن إبراهيم الموصلي .

---

١ أبو العبّاس أحمد بن محمّد بن ثوابة : ترجمته في حاشية القصّة ١٠٦ من الكتاب .

٢ الزيادة من غ .

٣ أحمد بن يوسف بن القاسم بن صبيح الكاتب : ترجمته في حاشية القصّة ٢٦٣ من الكتاب .

٤ محمّد بن يحيى بن المبارك بن المغيرة العدوي ، المعروف باليزيدي : وهو ابن أبي محمّد يحيى بن المبارك اليزيدي مؤدّب المأمون ، وكان محمّد يؤدّب المأمون مع أبيه ، ويجالسه ، وثقل سمعه في آخر عمره ، فانقطع عن المأمون ، فاستحضره ، وعاتبه ، فاعتذر بثقل سمعه ، فلم يقبل عذره ، وأمره بمعاودة الحضور ، وخرج مع المعتصم إلى مصر في السنة ٢١٤ وتوفّي بها (وفيات الأعيان ١٨٨/٦ و ١٨٩ وابن الأثير ٤٠٩/٦) ، وقد توهّم بعض المؤرّخين أنّ الذي كان يحضر مجالس المأمون هو اليزيدي الأب أبو محمّد ، وفاتهم أنّ أبا محمّد توفّي في السنة ٢٠٢ قبل عودة المأمون إلى بغداد ، كما ذكر ابن خلّكان رحمه الله في وفيات الأعيان ١٨٩/٦ أنّ محمّد اليزيدي بقي إلى أيّام المعتصم ، وخرج معه إلى مصر ، مع أنّ المعتصم سافر إلى مصر مرّة واحدة في السنة ٢١٤ في أيّام المأمون .

فنحن ذات يوم على شرب ، ومعنا إسحاق ، إذ غنّى إبراهيم بن المهدي [٥] ، فقال :

صونوا جيادكُمُ واجلوا سلاحكُمُ وشمّروا إنّها أيّام من غلبا

فاستعاده المأمون مراراً ، وبان لي في وجهه الغيظ والغضب ، والهمّ ، وزوال الطرب ، ولم يفطن إبراهيم .

وترك المأمون القدح الذى كان في يده ، ونهض ، فظنّناه يريد الوضوء ، ثم غاب .

فما شعرنا إلاّ وقد استدعانا إلى مجلس آخر ، فإذا هو جالس على سرير الخلافة ، بقلنسوة ، وثياب الهيبة ، وبين يديه إسحاق بن إبراهيم المصعبي ، وجلّة القوّاد .

---

٥ كان إبراهيم بن المهدي يعيّر بالغنّاء ، ويعيّر به بنو العبّاس ، ولما أعلن خلافته ، قيل فيه :

إن بات ابراهيم مضطلعًا بها فلتصلحن من بعده لمخارق

ومخارق من محترفي الغناء (وفيات الأعيان ١/٤٠) ، وعندما عجز في أيّام خلافته عن تدارك أرزاق الجند ، قيل على سبيل السخرية منه إنّه سوف يغنّي للجند أصواتًا ، بدل الرزق ، فقال الشاعر [تاريخ بغداد ٦/١٤٢] :

يا معشر الأجناد لا تيأسوا من رحمة الله ولا تقنطوا
فسوف تسقون حنينيّةً يلتذّها الأمرد والأشمط
والمعبديّات لقوّادكم لا تدخل الكيس ولا تربط
وهكذا يرزق أصحابه خليفةٌ مصحفه البربط

الحنينيّة : غناء حنين ، والمعبديّات : غناء معبد ، والبربط : آلة موسيقيّة وترية ، وقال أبو فراس الحمداني ، يعيّر به بني العبّاس [ديوان أبي فراس ٢٥٥ و٢٥٩] :

بنو عليّ رعايا في ديارهم والأمر تملكه النسوان والخدم
منكم عليّة أم منهم وكان لكم شيخ المغنّين إبراهيم أم لهم

فاستدعى إبراهيم بزيّه ، فحضر بأخسّ صورة وأقبحها ، وعليه ثياب المنادمة ، يفضحه بذلك .

فلمّا وقف بين يديه ، قال له : يا إبراهيم ، ما حملك على الخروج [١٩٩ م] عليّ ، والخطبة لنفسك بالخلافة .

قال أحمد بن يوسف : وقد كنت لمّا أبطأ المأمون عن مجلس الشرب ، تعرّفت الصورة ، فلمّا استدعاني ، جئت وقد لبست ثياب العمل ، ونزعت ثياب المنادمة .

فلمّا سأل إبراهيم عن ذلك ، في مثل ذلك المجلس ، علمت أن الصوت قد ذكّره [ما كان من إبراهيم ، ولم أشكّ في أنّه سيقتله][٦] .

فأقبل عليه إبراهيم بوجه صفيق ، وقلب ثابت ، فقال : يا أمير المؤمنين لست أخلو من أن أكون عندك عاقلاً ، أو جاهلاً ، فإن كنتُ جاهلاً ، فقد سقط عنّي اللوم ، من الله تعالى ثم منك ، وإن كنت عاقلاً ، فيحسن أن تعلم أنّي قد علمت أن محمّداً أخاك مع أمواله وذخائره ، وأموال والدته ، وكثرة ضياعها وصنائعها ، والأعمال التي كانت في يده وارتفاعها ، ومحبّة بني هاشم له ، لم يثبت لك ، وهو الخليفة ، وأنت أمير من أمرائه ، فكيف أثبت أنا لك ، وأنا في قوم أكثر رزق الرجل منهم ثلاثون درهماً في الشهر ، وقد غلبني على بغداد ابن أبي خالد العيّار ، وأصحابه ، يقطعون ، ويضربون ، ويحبسون ، ويطلقون ، ووالله جلّ شأنه ، وحقّ رسول الله ، وحقّ جدّي العبّاس [١٩٩ غ] ، ما دخلت فيما دخلت فيه ، إلاّ لأبقي هذا الأمر عليك ، وعلى أهل بيتك ، لمّا رأيت الفضل ابن سهل قد حمله البطر والرفض على أن أخرج الخلافة عنك ، فأردت ضبط الأمر ، إلى أن تقدم فتتسلّمه .

قال : فرأيت المأمون وقد أسفر وجهه ، وقال : عليّ بنافذ الخادم ، فأحضر .

---

٦ الزيادة من غ .

فقال له : رقعة سلّمتها إليك بمرو ، قبل رحيلي عنها ، وأمرتك بحفظها ، هاتها .

فمضى ، وجاء بسفط ، ففتحه ، وأخرج منه الرقعة ، فإذا مكتوب فيها بخطّ المأمون : لئن أظفرني الله عزّ وجلّ بإبراهيم بن المهدي ، لأسألنّه بحضرة الأولياء ، والخاصّة من أهل بيتي وأجنادي ، عن السبب الذي دعاه إلى الخروج عليّ ، فإن ذكر أنّه إنّما أراد بذلك حفظ الأمر على أهل بيتي ، لما جرى في أمر عليّ ابن موسى ، لأخلينّ سبيله ، ولأحسننّ إليه ، ولئن ذكر غير ذلك من العذر - كائناً ما كان - لأضربنّ عنقه .

قال أحمد بن يوسف : ولم يكن بحضرته كاتب غيري ، فدفعها إليّ ، وقال : يا أحمد ، ادفعها إليه .

ثم قال : يا عمّ ، خذ براءتك من أحمد ، وعد إلى مجلسك الذي خلّفتك فيه .

قال : فسلّمت الرقعة إليه ، وعدنا إلى مجلسنا وموضعنا ، فطرح إبراهيم نفسه مغشيّاً عليه .

فما شعرنا إلاّ والمأمون قد رجع بثياب بذلته ، فقمنا وجلسنا مجلسنا ، وقال : ارجعوا إلى ما كنّا عليه ، وأتممنا يومنا ذلك معه .

٣٥٥
المأمون ينصب صاحب خبر
على إبراهيم بن المهدي

قال أبو الفرج ، وفي خبر عمّي ، عن الحسن بن عُلَيْل ، قال : حدّثني محمّد بن إسحاق الأشعري ، عن أبي داود ، قال :

إنّ المأمون ، تقدّم إلى محمّد بن داود ، لمّا أطلق إبراهيم ، وأمره أن يمنع إبراهيم من داري الخاصّة[1] ، والعامّة[2] ، ووكّل رجلاً من قِبَلِهِ ، يثق به ، ليعرّفه أخباره ، وما يتكلّم به[3] .

فكتب إليه الموكّل يوماً : إنّ إبراهيم ، لمّا بلغه منعه من داري الخاصّة والعامّة ، تمثّل بهذين البيتين :

يا سرحة الماء قد سدّت موارده　　أما إليك طريق غير مسدود
لحائم حام حتى لا حيام به　　مشرّد عن طريق الماء مطرود

قال : فلمّا قرأها المأمون بكى ، وأمر بإحضاره من وقته مكرّماً ، وإجلاسه في مرتبته ، فصار إليه محمّد ، فبشّره ، وأمره بالركوب ، فركب .

فلمّا دخل على المأمون ، قبّل البساط ، وأنشأ يقول :

البرّ بي منك وطّا العذر عندك لي　　فيما أتيت فلم تعذل ولم تلم
وقام علمك بي فاحتجّ عندك لي　　مقام شاهد عدل غير متّهم

---

١ دار الخاصّة : الدار التي يستقبل فيها الخليفة خاصّة الناس من كتّابه ، وقوّاده ، وحاشيته .
٢ دار العامّة : الدار التي يستقبل فيها الخليفة الناس يوم الموكب ، حيث لا يمكن الدخول إليه إلاّ بسواد ، ويجلس فيها للمظالم ، فلا يمنع عنه أحد من الناس .
٣ صاحب الخبر : راجع البحث في آخر القصة .

تعفو بعدل وتسطو إن سطوت به فلا عدمناك من عافٍ ومنتقم[4]

فقال له : اجلس يا عمّ آمناً مطمئناً ، فلست ترى منّي ما تكره ، إلاّ أن تحدث حدثاً ، وأرجو أن لا يكون منك ذلك ، إن شاء الله تعالى .

---

٤ في تاريخ بغداد لابن طيفور ص ١٠٣ ، الأبيات أربعة ، وليس فيها الثالث المثبت هاهنا ، أمّا البيتان الآخران ، فهما :

رددتَ مالي ولم تبخل عليَّ به وقبل ردِّك مالي قد حقنت دمي
فرحتُ منك – وما كافيتني – بيدٍ هي الحياتان من موتٍ ومن عدم

صاحب الخبر

صاحب الخبر : شخص ينيط به الحاكم أن يرفع إليه خبر جميع ما تقع عليه عينه ، أو يصل إلى سمعه ، وهو للحاكم بمنزلة العين الباصرة والأذن السامعة (آثار الدول ٨٣) .

ويعنى الحاكم باختيار صاحب الخبر عناية عظيمة (تاريخ بغداد لابن طيفور ٣٥) .

ويختلف مقام صاحب الخبر ، باختلاف عمله ، من الشخص البسيط المكلّف بتلقّط الأخبار من ألسنة المجتازين ، وأبناء السبيل ، والأطفال (تاريخ بغداد لابن طيفور ٣٦) إلى صاحب البريد الذي ينصبه الخليفة رقيباً على أكابر عمّاله ، وعلى أصحاب الأطراف في مختلف أرجاء المملكة (تاريخ بغداد لابن طيفور ٧١ والقصّة ٥٢/٨ و ٥٣ من نشوار المحاضرة ، وجهات الخلفاء ٧ و ٨) .

ويقتضي أن لا تكون واسطة بين صاحب الخبر ، وبين الحاكم الذي نصبه (آثار الدول ٨٥) ، وعليه أن يوصل الخبر بأسرع السبل وأعجلها ، وهو ملزم بأن ينقل كلّ ما يرى ويسمع ، خيراً كان أو شرًّا (تاريخ بغداد لابن طيفور ٣٥) .

وليس لصاحب الخبر أن يناقش أحداً من الناس ، موظفين أو رعيّة ، فيما قالوا وما صنعوا ، وإنما عليه أن يكتب ما يرى ويسمع (تاريخ بغداد لابن طيفور ٣٧) .

وكان الخليفة عمر ، عظيم التدقيق في سلوك عمّاله ، وكذلك كان معاوية ، وزياد ، وعبد الملك بن مروان ، والحجّاج (المحاسن والمساوىء ١١٠/١ و ١١١) .

أمّا المنصور العبّاسي ، فقد فاق من سبقه في البحث عن الأخبار (العيون والحدائق ٢٣٤/٣ والطبري ١٠٦/٨ والمحاسن والمساوىء ١١٢/١–١١٥) .

وسار الرشيد على طريقة المنصور في البحث عن أسرار رعيّته (المحاسن والمساوىء ١١١/١ ، والأغاني ١٠٧/١٩ ، والطبري ٢٨٩/٨ و ٢٩٧) .

وكان المأمون له على كلّ شيء صاحب خبر (وفيات الأعيان ١٧٩/٦) وكان يفحص عن عمّاله ، ورعيّته (المحاسن والمساوىء ١١٧/١) ، والقصّة المثبتة في تاريخ بغداد لابن طيفور ص ٩٩ توضح مقدار إطلاع المأمون على أسرار عمّاله وحاشيته ، كما أنّ رسالته إلى إسحاق بن إبراهيم المصعبي ، بشأن الفقهاء وأصحاب الحديث ، الذين امتحنهم بالقول بخلق القرآن ، تدل على معرفته بأمور رعيّته ، معرفة قد تخفى على غيره ، وفيها دليل على عظيم

إستقصائه ، راجع في المحاسن والمساوىء ١/١١١–١١٧ بعض القصص التي تدل على دقيق معرفته بما خفي من أمور رعيّته . وراجع كذلك ، تاريخ الحكماء ٣٢٩ ، والعيون والحدائق ٣/٣٦٤ ، والأغاني ط بولاق ٢٠/٨٢ .

وكان الرشيد ، والمعتصم ، والمتوكّل ، والمعتضد ، يبحثون عن أحوال الناس غاية البحث ، ويتلطّفون في الاطّلاع على الأمور (آثار الدول ٨٦) .

وكان لكل خليفة ، أصحاب أخبار على وزرائه ، وعلى الموظّفين في الدواوين ، وعلى ما في داره ، وما يقع خارج بابه (القصّة ٣/١٧٤ من النشوار ، والقصّة ١٤٣ من هذا الكتاب ، ورسوم دار الخلافة ٧٢ و ٧٦ ، وتاريخ بغداد لابن طيفور ٣٥ والوافي بالوفيات ٧/٢٣١) .

وكان الحاكم الفاطمي بمصر ، كثير الطلب لأخبار الناس (شذرات الذهب ٣/١٩٤) .

وكان الأمراء من كبار العمّال ، لهم أصحاب أخبار في دار الخليفة (الأغاني ١٥/٢٣٤ ، والقصّة ٢/٢ من نشوار المحاضرة ، ووفيات الأعيان ٦/٣١٥) .

وكان عضد الدولة ، له أصحاب أخبار في كلّ مكان ، حتى أنّه كان يقدّم لمؤدّبي الصبيان أرزاقاً ، لكي يسألوا من أولاد الجنود ، عن أمور آبائهم (ذيل تجارب الأمم ٣/٥٨–٦٤) وراجع المنتظم ٧/١٥٥ والإمتاع والمؤانسة ٣/١٤٨) .

وكان أحمد بن طولون يضع أصحاب أخبار على قوّاده (آثار الدول ٨٧) .

وكان الخليفة الناصر العبّاسي ، عظيم العناية بتسقّط الأخبار (ابن الأثير ١٢/٤٤٣ وتاريخ الخلفاء ٤٤٩ و ٤٥١) وكذلك كان الأمير تغرى ورمش صاحب حلب (أعلام النبلاء ٣/٣٥) .

ولزيادة التفصيل راجع كتابنا (الاستخبارات في العهدين الأموي والعبّاسي) وهو معدّ للطبع ، وسأعنى بإخراجه ، بعد إخراج هذا الكتاب .

٣٥٦

ما بقاء جلدة تنازعها ملكان

وجدت في بعض الكتب : أنّ كسرى أبرويز[١] ، ركب يوماً فرسه الشبديز[٢] ، فتلكّأ عليه ، فجذب عنانه ، فانقطع .

فاستحضر صاحب السروج ، وقال : يكون عنان مثلي ضعيفاً ينقطع ؟ اضربوا عنقه .

فقال : أيّها الملك ، اسمع ، وانصف .

قال : قل .

قال : ما بقاء جلدة يتنازعها ملكان ، ملك الناس ، وملك الدوابّ .

فقال كسرى : زه ، زه ، أطلقوا عنه ، وأعطوه اثني عشر ألف درهم .

---

١ في غ : كسرى أنوشروان .

٢ الشبديز : فارسية من شب : اللّيل ، وديز : اللّون ، وفي ن : الشيراز ، وتعني بالفارسيّة : اللبن الرائب .

٣٥٧

أنظر كيف كانت عاقبة الظالمين

[وذكر محمّد بن عبدوس ، في كتابه «الوزراء» ، عن محمّد بن يزيد ، قال][1] :

أمرني عمر بن عبد العزيز بإخراج قوم من السجن ، فأخرجتهم ، وتركت يزيد بن أبي مسلم كاتب الحجّاج[2] ، فحقد عليّ ، ونذر دمي .

فإنّي بإفريقية ، إذ قيل : قدم يزيد بن أبي مسلم كاتب الحجّاج ، صارفاً لمحمّد بن يزيد مولى الأنصار[3] ، من قبل يزيد بن عبد الملك ، وكان ذلك بعد وفاة عمر بن عبد العزيز ، فهربت منه ، وعلم بمكاني ، فطلبني ، فظفر بي .

فلمّا دخلت إليه ، قال : لطالما سألت الله أن يمكّنني منك .

فقلت : وأنا – والله – لطالما سألت الله عزّ وجلّ ، أن يعيذني منك .

فقال يزيد : ما أعاذك الله منّي ، والله لأقتلنّك ، ولو سابقني ملك الموت إلى قبض روحك ، لسبقته .

ثم دعا بالسيف والنطع ، فأتي بهما ، وأمر بي ، فأقمت في النطع ، وكّتفت ، وشدّ رأسي ، وقام ورائي رجل بسيف منتضى ، يريد أن يضرب عنقي ، وأقيمت الصلاة .

فقال : امهلوه ، حتى أصلّي ، وخرج إلى الصلاة .

---

١ في غ : ذكر محمّد بن عبدوس الجهشياري ، رحمه الله ، في كتاب الوزراء والكتّاب ، أنّ عمر بن شبّه ، قال : حدّثني بعض أصحابنا عن أميّة بن خالد ، عن عوانة بن الحكم عن الوضّاح بن خيثمة : قال : ... الخ .

٢ أبو العلاء يزيد بن أبي مسلم دينار الثقفي : ترجمته في حاشية القصّة ١٠٥ من الكتاب .

٣ راجع القصّة ١٠٥ و١٨٢ من هذا الكتاب .

فلمّا سجد ، أخذته السيوف ، فقتل ، ودخل إليّ من حلّ كتافي ، ورأسي ، وخلّى سبيلي ، فانصرفت سالماً[4] .

---

٤ لم ترد هذه القصّة في م ، وقد وردت في العقد الفريد ٤/٤٢٧ ، كما ورد خبر مقتل يزيد في الكامل لابن الأثير ٥/١٠١ وفي الطبري ٦/٦١٧ .

٣٥٨

أمر الرشيد بأسيرين

فقطعا عضواً عضواً ثم مات

وذكر محمّد بن عبدوس ، في كتابه كتاب الوزراء ، قال : ١

لمّا سار الرشيد إلى طوس[١] ، واشتدّت علته ، اتّصل خبره بالأمين ، فوجّه ببكر بن المعتمر[٢] ، ودفع إليه كتباً إلى الفضل بن الربيع ، وإسماعيل بن صبيح[٣] ، وغيرهما [٢٠٠ م] يأمرهم بالقفول[٤] إلى بغداد ، إن حدثت الحادثة بالرشيد ، والاحتياط على ما في الخزائن ، وحمله .

وقد كان الرشيد جدّد الشهادة للمأمون بجميع ما في عسكره ، من مال ،

---

١ طوس : حاضرة خراسان اليوم ، وفيها قبر الإمام علي الرضا عليه السلام وبجانبه قبر هارون الرّشيد ، وكانت مرو حاضرة خراسان ، فلمّا وَلِّي عبدالله بن طاهر خراسان ، جعل حاضرتها نيسابور .

٢ أبو حامد بكر بن المعتمر ، كاتب الأمين ، ومستودع أسراره ، ورسوله في المهمّات (الطبري ٣٦٦/٨ ، ٣٦٨ ، ٣٦٩) ، وهو أحد من أشار على الأمين بخلع أخيه المأمون ، قال المأمون : يؤخذ بدم أخي محمّد ثلاثة ، الفضل بن الربيع ، وبكر بن المعتمر ، والسندي بن شاهك (تاريخ بغداد لابن طيفور ١٥) وقال الشاعر (الطبري ٣٨٩/٨ ، ٣٩٦) :

أضاع الخلافةَ غشُّ الوزيـــر ... وفسق الأمـير ، وجهـل المشير

ففضـلٌ وزيـر ، وبكـرٌ مشير ... يريدان ما فيـه حتف الأمـير

٣ إسماعيل بن صبيح : كان يلي زمام ديوان الخراج للمهدي ، ثم كتب ليحيى بن خالد في أيّام الهادي ، لما كان يحيى على ما يليه هارون الرشيد من عمل المغرب ، ثم وَلِّي زمام ديوان الشام وما يليها ، ولـمّا استخلف الرشيد عاد إلى كتابة يحيى ، وكان يكتب بين يدي الرشيد ، ولمّا اختلف الاخوان مال إلى جهة الأمين ، وكان يكتب بين يديه ، حتى إذا فرّ الفضل بن الربيع واستتر ، استوزره الأمين (الطبري ١٦٧/٨ ، ٣٣٢–٣٣٧ ، ٢٠٧ ، ٢٢٨ ، ٢٨٣–٢٨٦ ، ٤٠٠ ، العيون والحدائق ٣٤٢/٣) .

٤ القفول : العودة من السفر ، وسمّيت الرفقة المسافرة : قافلة ، تفاؤلًا بعودتها من سفرها سالمة .

وأثاث ، وخرثيّ[5] ، وكراع[6] ، وغير ذلك .

فلمّا ورد بكر بن المعتمر على الرشيد ، أوصل كتباً ظاهرة كانت معه ، بعيادة الرشيد .

وكانت الكتب الباطنة ، قد اتّصل خبرها بالرشيد ، فأحضر بكراً وطالبه بالكتب الباطنة ، فجحدها .

قال : فذكر عبيد الله بن عبدالله بن طاهر ، قال : حدّثني أبي ، قال : كنت مع الرشيد ، بطوس ، لمّا ثقل في علّته ، وقد ورد بكر بن المعتمر ، والمأمون حينئذ بمرو ، وقد ظفر الرشيد بأخي رافع بن الليث[7] ، فأحضر في ذلك اليوم ، ومعه قرابة له .

فخلع الرشيد على بكر ، وصرفه إلى منزله ، ثم أمر [٢٠٠ غ] بإحضاره ، ومطالبته بالكتب الباطنة ، فجحدها ، فأمر بحبسه .

ثم جلس الرشيد جلوساً عامّاً ، في مضرب خزّ أسود ، [استدارته أربعمائة ذراع ،في أركانه أربع قباب ، مغشّاة بخزّ أسود ، وهو جالس في فازة[8] خزّ أسود ، في وسط المضرب ، والعمد كلّها سود ، وقد جعل مكان الحديد فضّة ، والأوتاد ،

---

٥ الخرثي : السقط من المتاع ، حرّفها البغداديّون ، فهم الآن يلفظونها : خرده .

٦ الكراع : الدوابّ عامة من خيل وبغال وحمير .

٧ رافع بن الليث بن نصر بن سيّار : كان جدّه نصر بن سيّار آخر أمراء خراسان للأمويّين ، وخرج رافع على الرشيد في السنة ١٩٠ أخرجه ظلم علي بن عيسى بن ماهان أمير خراسان للرشيد ، فوثب رافع بعامل سمرقند وقتله ونصره الناس فيها ، فاستولى عليها ، فوجّه إليه أمير خراسان – وكانت سمرقند في إمارته – ولده عيسى ، فقتله رافع ، واشتدّت شوكته ، فخرج الرشيد لحربه في السنة ١٩٣ ومات الرشيد بطوس ، فلما إنتهى إلى رافع حسن سيرة المأمون بعث إليه يطلب الأمان ، فآمنه وأكرمه (العيون والحدائق ٣/٣١١–٣٢٢) .

٨ الفازة : المظلّة بعمودين (المنجد) ، وتكون من الخرق (لسان العرب) .

والحبال ، كلّها سود][9] ، وعليه جبّة خزّ سوداء ، وتحتها فروة فنك[10] ، قد استشعره[11] ، لما هو فيه من شدّة البرد والعلّة ، وفوقها درّاعة خزّ أسود ، مبطّنة بفنك ، وقلنسوة طويلة ، وعمامة خزّ سوداء ، وهو عليل لما به[12] ، وخلف الرشيد خادم يمسكه لئلا يميل ببدنه[13] ، والفضل بن الربيع جالس بين يديه .

فقال للفضل : مر بكراً بإحضار ما معه من الكتب السرّية .

فأنكرها ، وقال : ما كان معي إلاّ الكتب التي أوصلتها .

فقال للفضل : توعّده ، وأعلمه أنّه إن لم يمتثل ، قتلته ، فأقام بكر على الإنكار .

فقال الرشيد ، بصوت خفيّ : قنّبوه[14] ، فجيء ببكر ، وجيء بالقنّب ، وقنّب من فرقه إلى قدمه .

قال بكر : فأيقنت بالقتل ، ويئست من نفسي ، وعملت على الإقرار .

فأنا على ذلك ، وإذا قد أحضر هارون أخا رافع[15] ، وقرابته الذي كان معه .

---

٩ لم ترد هذه الجملة في غ ، أقول : إنّ هذا البيت الخزّ الأسود الذي مات فيه هارون الرشيد بطوس ، انتقل إلى ملكية الفاطميّين ، وظهر في تركة السيّدة رشيدة ابنة المعزّ لدين الله لما توفّيت في السنة ٤٤٢ بمصر (خطط المقريزي ٤١٥/١) .

١٠ الفَنَك ، بفتح الفاء والنون : حيوان صغير شبيه بالثعلب ، لا يتجاوز طوله أربعين سنتيمترًا بما فيه الذنب ، فروته من أحسن الفراء (المنجد ، ومعجم الحيوان ١٠٦) .

١١ الاستشعار : لبس الشيء تحت الثياب .

١٢ لما به : تعبير يعني أنّه في حالة الاحتضار .

١٣ في غ : وخلف المسند خادم يمسكه بيديه لئلا يميل .

١٤ القنّب ، بضم القاف : ليف تصنع منه حبال متينة ، والتقنيب : التكبيل بالقنّب .

١٥ جاء في الطبري ٣٤٢/٨ أنّ أخا رافع ، اسمه بشير بن الليث ، وأنّ الرشيد نظر إليه ، ثم قال له : أما والله يا ابن اللخناء إنّي لأرجو أن لا يفوتني خامل – يريد رافعًا – كما لم تفتني ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، قد كنت لك حربًا ، وقد أظفرك الله بي ، فافعل ما يحب الله ، أكن لك سلمًا ، ولعلّ الله أن يليّن لك قلب رافع إذا علم أنّك قد مننت عليّ ، فغضب ، وقال : والله ، لو لم يبق من أجلي إلاّ =

فقال الرشيد : أيتوهّم رافع أنّه يفلت منّي ، والله لو كان معه عدد نجوم السماء ، لالتقطتهم واحداً بعد واحد ، حتى أقتلهم عن آخرهم .

فقال الرجل : اللهَ ، اللهَ ، يا أمير المؤمنين فيّ ، فإنّ الله تعالى يعلم ، وأهل خراسان ، أنّي بريء من أخي منذ عشرين سنة ، ملازم منزلي ، ومسجدي ، فاتّق الله فيّ ، وفي هذا الرجل .

فقال له قرابته : قطع الله لسانك ، أنا – والله – منذ كذا وكذا [٢٨ ن] أدعو الله بالشهادة ، فلمّا رزقتها على يدي شرّ خلقه ، أخذتَ في الاعتذار .

قال : فاغتاظ الرشيد ، وقال : عليّ بجزّارين .

فقال له قرابة رافع [١٦] : افعل ما شئت ، فإنّا نرجو من الله تعالى أن يرزقنا الشهادة ، ونقف نحن وأنت ، بين يدي الله عزّ وجلّ ، في أقرب مدّة ، فتعلم كيف يكون حالك .

فنحّيا ، وأمر بهما ، فقطّعا عضواً ، عضواً [١٧] ، فوالله ، ما فرغ منهما ، حتى توفّي الرشيد .

قال بكر : وأنا أتوقّع القتل بعدهما ، حتى أتاني غلام لأبي [٢٠١ م] العتاهية ، قد بعث به مولاه ، وكتب في راحته شيئاً أرانيه ، فإذا هذه الأبيات : [١٩٦ ر] .

هـي الأيّـام والغِيَرُ ... وأمـر الله منتظـر
أتيأس أن تـرى فرجـاً ... فأيـن الله والقـدر

= أن أحرّك شفتيّ بكلمة ، لقلت : اقتلوه ، ثم دعا بقصّاب ، فقال : لا تشحذ مداك ، أتركها على حالها ، وفصّل هذا الفاسق ابن الفاسق ، وعجّل ، لا يحضرنّ أجلي وعضوان من أعضائه في جسمه ، ففصله فجعله أشلاء ، فقال : عدّ أعضاءه ، فعدّت ، فإذا هي أربعة عشر عضواً .

١٦ في غ : قرابة هارون .

١٧ راجع بحث العذاب في آخر القصّة .

قال : فوثقت بالله ، وقويت نفسي ، ثم سمعت واعية[18] لا أفهم معناها ، وإذا الفضل بن الربيع قد أقبل إليّ .

فقال : خلّوا أبا حامد .

فقلت : ليس هذا وقت تكنيتي ، فحللت ، ودعا لي بخلع ، فخلعت عليّ .

ثم قال : أعظم الله أجرك في أمير المؤمنين ، وأخذ بيدي ، وأدخلني بيتاً ، فإذا الرشيد مسجّى فيه ، فكشفت عن وجهه ، فلمّا رأيته ميتاً ، سكنتُ .

فقال : هيه ، هات الكتب الباطنة التي معك .

قال : فأحضرت صندوقاً للمطبخ قد نقبت قوائمه ، وجعلت الكتب فيها ، وجعلت الجلد فوقها ، فأمرت بشقّ الجلد ، وكسر القوائم ، وسلّمت [٢٠١ غ] الكتب إلى أصحابها ، وأخذت الأجوبة ، وانصرفت .

قال مؤلّف هذا الكتاب : وقد أتى أبو الحسين القاضي في كتابه بهذين البيتين ، لأبي العتاهية ، من غير أن يذكر القصّة ، وزاد بين البيت الأوّل والبيت الثاني ، بيتاً ، وهو :

فلا تجزع وإن عظم الـ ـبلاء ومسّك الضرر

وذكر أبو بكر الصولي هذا الخبر ، في كتابه المسمّى بكتاب الأوراق ، الداخل فيما أجاز لي روايته ، بعدما سمعته منه ، [فقال : حدّثني عبيد الله بن عبد الله بن طاهر ، قال : حدّثني بعض أصحابنا][19] عن بكر بن المعتمر ، وذكر نحو ذلك ، إلاّ شعر أبي العتاهية [فإنّه ما ذكره ، وقال : إنّ مضرب الرشيد أسود كلّه ، له شرف[20] ، كأنّه جبل أسود][19] ، ولم يقل أنّ الرشيد في قبّة خزّ ، قال : والرشيد في فازة خزّ سوداء ، وعلى سريره دست خزّ أسود ، وعليه جبّة

١٨ الواعية : الصوت والصراخ .

١٩ الزيادة من غ .

٢٠ الشرف : ما برز من البناء أو الخباء .

سوداء ، تحتها فنك ، وقد لبسها بلا قميص ، وهو مستند إلى مسند الدست .
قال : فخرج إليّ الفضل ، فحلّني ، وسلّم عليّ ، وكان لي صديقاً .

وقال لي : أين كتبك على الحقيقة ؟

فقلت : ما معي كتب .

فقال : إنّه قد مات ، وكأنّه رآني لم أصدّق ذلك ، فأخذ بيدي ، حتى وقفني عليه ، وهو ميت .

فقلت : ما أعجب هذا ؟

فقال : إنّه تحامل لك وللرجلين ، فجلس وهو لا يطيق ، وقد خرق في السرير خرق ينجو منه[٢١] ، وتحت فراشه الأسود جاروسن[٢٢] ، والخدم قعود خلف السرير ، يسندون أطراف جنبه[٢٣] ، ولولا مكانهم ما ثبت جالساً ، فلمّا كلّم الرجلين ، ورفع صوته وحرد ، غشي عليه ، فكأنّه ذبالة[٢٤] أضاءت ثم طفئت[٢٥] .

---

٢١ النجو ، وجمعه نجاء ، بكسر النون : ما خرج من البطن من ريح أو غائط .

٢٢ لم أفهم معنى هذه الكلمة ، ولم أستطع أن أردّها إلى أصلها .

٢٣ في غ : يمسكون أطراف جبّته .

٢٤ الذبالة : فتيلة السراج .

٢٥ لم ترد هذه القصّة في ر .

العـــذاب

العذاب ، في اللغة : النكال ، وكلّ ما شقّ على الإنسان ، وصعب عليه تحمّله ، جثمانيًّا كان أو نفسانيًّا ، ولم يكن العذاب معروفاً في صدر الإسلام ، فإنّ الإسلام جاء بالسلام والمودّة ، والعطف والرحمة ، وشعاره : أن لا إكراه في الدين ، واختصر نبيّ الإسلام عليه السلام جميع ما قام به في كلمة واحدة ، قال : بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق ، وكانت وصيّته لكل سريّة يبعث بها إلى الحرب : لا تغلوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثّلوا ، ولا تقتلوا امرأة ، ولا وليداً (العقد الفريد ١/١٢٨) ، وخلفه أبو بكر الصدّيق ، فكانت وصيّته : لا تخونوا ، ولا تغلوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثّلوا ، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً ، ولا شيخاً كبيراً ، ولا امرأة ، ولا تعقروا نخلاً ، ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ، ولا بقرة ، ولا بعيراً ، إلّا لمأكلة ، وسوف تمرّون بقوم قد فرغوا أنفسهم في الصوامع (يريد الرهبان) ، فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له (الطبري ٣/٢٢٧) ، وجيء له مرّة ، برأس أحد القتلى في إحدى المعارك ، فغضب ، وقال : هذا من أخلاق العجم ، ومنعهم من تكرار ذلك ، إذ اعتبر أن قطع الرأس من جملة المثلة المنهي عنها ، ولمّا اغتال عبد الرحمن بن ملجم ، الإمام علي بن أبي طالب ، أوصى ولده الحسن ، وهو يودّع الحياة ، وقال في آخر وصيّته ، وأمّا عبد الرحمن ، فإن عشت فسأرى فيه رأيي ، وإن متّ ، فضربة بضربة ، ولا يمثلنّ بالرجل ، فإنّي سمعت رسول الله يقول : إيّاكم والمثلة ، ولو بالكلب العقور (الطبري ٥/١٤٨ وابن الأثير ٣/٣٩١) ، ولمّا قتل علي بن أبي طالب ، وتغلّب معاوية بن أبي سفيان على السلطة ، تغيّر الأمر عمّا كان عليه في عهد الخلفاء الراشدين وأخذ معاوية يحاسب أصحاب علي ، على تصرفاتهم السابقة ، ويطالبهم بالبراءة من علي ، فإن لم يبرأوا ، جرّد لهم السيف ، وأعدّ لهم أكفانهم ، وحفر لهم قبورهم ، وقتلهم أمام قبورهم المحفورة ، وأكفانهم المنشورة (العقد الفريد ٣/٢٣٤) ، ومما صنعه ، أنّه بعد أن استتبّ له الأمر ، تتبّع من كان من أنصار علي ، ففرّ منه عمرو بن الحمق الخزاعي ، فأذكى عليه العيون والأرصاد ، واعتقل امرأته ، وحبسها في سجن بدمشق ، ثم أمسك بعمرو ، فقتله ، وقطع رأسه ، وأمر أحد

أعوانه بأن يدخل على المرأة في سجنها ، وأن يضع رأس زوجها في حجرها (بلاغات النساء ٦٤ والديارات ١٧٩ و ١٨٠) وسار من بعده بهذه السيرة هشام بن عبد الملك ، إذ أمر برأس الإمام زيد بن علي بن الحسين ، فوضع في حجر زوجته ريطة بنت عبد الله بن محمّد ابن الحنفية ، فقابل عامر بن إسماعيل ، قائد الجيش العبّاسي ، ذلك ، بأن أمر بأن يوضع راس مروان الحمار ، آخر الحكّام الأمويين ، في حجر ابنته (بلاغات النساء ١٤٥) ، ولمّا قتل المنصور محمّد بن عبد الله المعروف بالنفس الزكيّة ، بعث برأسه ، فوضع بين يدي أبيه ، عبد الله بن الحسن بن الحسن (زهر الآداب ٧٦/١) ، ولمّا قتل المستعين ، أمر المعتزّ ، فوضع رأسه بين يدي جاريته التي كان يتحظّاها (الديارات ١٧٠) ، وفي السنة ٣١١ لمّا اعتقل الوزير أبو الحسن بن الفرات ، وولده المحسّن ، بعث نازوك بعجيب خادمه ، فضرب عنق المحسّن ، وجاء برأسه ، فوضعه بين يدي أبيه (تجارب الأمم ١٣٨/١ والتكملة ٤٦) ، وفي السنة ٣٢١ إعتقل القاهر كلاً من علي بن يلبق ، وأباه يلبق ، ومؤنس المظفّر ، ودخل القاهر إلى موضع اعتقالهم ، فذبح علي بن يلبق بحضرته ، ووجّه برأسه إلى أبيه ، فلمّا رآه جزع وبكى بكاء عظيماً ، ثم ذبح يلبق ، ووجّه بالرأسين إلى مؤنس ، ثم أمر القاهر ، فجرّ برجل مؤنس إلى البالوعة ، وذبح كما تذبح الشاة ، والقاهر يراه (تجارب الأمم ٢٦٧/١ و ٢٦٨) وكانت الخصومة السياسيّة تزداد عنفاً بمرور الأيّام ، حتى أصبح العذاب أمراً متعارفاً مألوفاً ، تمارسه الفئة الحاكمة ، ضد خصومها السياسيّين ، ثم امتدت ممارسته ، فشملت الأمراء ، والوزراء ، والعمّال المصروفين (حاشية القصّة ٣٧٩ من هذا الكتاب) وابتلي الناس بأمراء قساة ، كانوا يتلذّذون بتعذيب الأسرى والمعتقلين ، فقد كان زياد ابن أبيه يدفن الناس أحياء (المحاسن والأضداد للجاحظ ٢٧ والأغاني ١٥٣/١٧) وتابعه في ذلك ولده عبيد الله (المحاسن والمساوىء ١٦٥/٢) وزاد عليه بأنّه كان يرمي أسراه من شاهق (ابن الأثير ٣٥/٤ و ٣٦) وكان يقتل الصبيّة ، ويتلذّذ بمشاهدة مقتلها ، واتّهم عروة بن أديّة ، بأنّه يرى رأي الخوارج ، فقطع يديه ورجليه ، ثم قطع رأسه ، وبعث بالرأس إلى ابنة عروة ، فجاءت الصبيّة لتأخذ جثّة أبيها ، فأمر بقتلها ، فقتلت ، وهو يمتّع نفسه بالنظر إليها (أنساب الأشراف ٨٩/٥) ، أمّا الحجّاج بن يوسف الثقفي ، وقسوته ، وتلذّذه بتعذيب الناس ، فإنّ ذلك أشهر من أن يحتاج إلى تفصيل (راجع حاشية القصّة ٦٧ والقصّة ١٤٩ من هذا الكتاب) ، وممن ضرب أسوأ الأمثال في القسوة ، أبو جعفر المنصور (راجع حاشية القصّة ٣١٨ من هذا الكتاب ، والعقد الفريد ٨٧/٥-٨٩ ، والفخري ١٦٤) ،

والمتوكّل (راجع ترجمته في حاشية القصّة ٧٣ من هذا الكتاب ، وراجع كذلك الطبري ١٩٩/٩-٢٠١) والمعتضد (راجع القصص ٧٣/١ و٧٦ و٧٧ و٧٨ و ١٧٢/٢ من النشوار ، والطبري ٨٦/١٠ ومروج الذهب ٤٩٣/٢) والقاهر (القصّة ٣٣/٢ و ٣٤ من النشوار وتجارب الأمم ٢٤٣/١ و٢٤٤ و٢٦٧ و٢٦٨ و٢٨٤ و٢٨٥ والمنتظم ٢٥٠/٦ وتاريخ الخلفاء ٣٨٧) .

ويمكن تقسيم العذاب باعتبار القصد منه ، إلى قسمين : العذاب بقصد القتل ، والعذاب بغير قصد القتل .

أمّا العذاب بغير قصد القتل ، فأهونه الشتم ، وأشدّه قطع أجزاء من البدن ، ويتسلسل من الشتم إلى الحصب ، فعرك الأذن ، فالرمي بالمخصرة أو الدواة ، فالبصق في الوجه ، فالإلجام ، فالصفع ، ويكون باليد أو النعل أو الجراب أو السلق ، فالركل ، فاللطم ، فوجء العنق ، فالسحب على الأرض ، فالضرب ، ويحصل بالعصا ، أو السوط ، أو بالسلاسل ، أو بالأعمدة ، أو بالحجارة ، فاستئصال الشعر ، ويحصل بحلق اللحى ، أو مسح الوجه (أي حلق اللحية والشارب والحاجبين) ، أو نتف اللحى ، أو نتف شعر الرأس ، أو نتف شعر البدن ، فالإشهار ، ويحصل بإلباس المطلوب إشهاره لباساً مشهّراً ملوّناً ، وحمله على دكّة عالية ، أو حمار ، أو جمل ، أو فيل ، وقد يسوّد وجهه بنقس من بوتقة السواد ، وقد يكون معه من ينادي عليه ، أو من يضربه بيده . أو بعصا ، أو بنعل ، وقد يقرن به حيوان ، فالحبس ، ويكون بحجز الإنسان في السجن . أو في المطمورة ، أو في المطبق ، أو في البئر . أو في الكنيف ، فالغلّ والقيد ، فحمل الأثقال ، فالصلب ، ويحصل بربط الإنسان أو شدّه حيّاً إلى خشبة وعرضه للناس ، فالتعليق : ويحصل بتعليق الإنسان من يديه ، أو من يد واحدة ، أو من الرجلين منكوساً ، أو من رجل واحدة ، أو من الثدي عند المرأة ، فالتسمير : ويحصل بتسمير اليدين إلى لوح أو خشبة ، فدقّ ليط القصب تحت الأظفار ، فالمساهرة ، فشدّ الخنافس على الرأس بعد حلق الشعر ، فالنطح . فثقب الكعاب ، فشقّ لحم البدن بالقصب الفارسيّ المشقوق ، فالتعذيب بالدهق . فالتعذيب بالزمارة ، فالتعذيب بالقنارة ، فالتعذيب بالدوشاخة ، فالتعذيب بالجوزتين ، فالسمل ، ويكون إمّا بالكحل بذرور يعمي البصر أو بفقأ العين بميل أو بسكّين أو وتد . أو بالاصبع ، أو تقويرها بالسكّين ، فالتعذيب بالعطش . أو بالتدخين . أو بإرسال الحشرات على المعذّب ، فالتعذيب بالملح ، ويحصل إمّا برشّ الملح على المعذّب . أو بإسعاطه بالملح ، أو بسقيه الماء مخلوطاً بالملح أو بالرماد ، أو بهما معاً ، فتنعيل الناس

بنعال الدوابّ ، فقطع الأطراف ، ويشتمل على قطع الأيدي والأرجل ، وقلع الأسنان ، وقلع الأظفار ، وخلع المفاصل ، وقطع اللسان ، وجدع الأنف ، وقطع الأذن ، وخزم الأنف ، وقطع الشفاه ، فالتعذيب بالكيّ بالنار ، فالحقن بالماء المغليّ ، فالتعذيب بالتعرّض للعورة ، ويحصل بجبّ الذكر ، أو استئصال الخصية ، أو طعن القبل أو الدبر ، أو قطع الأشفار أو الخوزقة ، أو النفخ في الدبر بالكير ، أو نفخ النمل في الدبر ، أو دهن الدبر بالعسل وتسليط النمل عليه ، أو حبس السنانير في السراويل ، فقطع أجزاء من لحم البدن .

وأما العذاب بقصد القتل ، فأوّله القتل بالضرب ، أو بتحطيم الرأس بضربه بالأرض ، أو بربط المعذّب إلى حصان يجري به مسحوباً على الأرض ، مطلقاً أو مقيّداً ، فالقتل بالسيف ، إمّا بقطع العنق ، وإمّا توسيطاً ، وإمّا حمائل أي بقطع العنق مع جزء من الصدر وأحد الكتفين ، فالطعن بالرمح أو الحربة ، فالرمي بالزوبين ، فالرشق بالسهام ، فالشدخ بالحجارة ، فالوطء بالأقدام ، فعصر البدن ، ويشتمل على عصر الأطراف ، أو عصر الخصية ، أو عصر الأذنين بالجوزتين ، أو الدهق ، فشقّ البطن ، فتمزيق الأوصال ، إمّا بالسكّين ، وإمّا بربط الإنسان من طرفيه وشدّه حتى تتمزّق أوصاله ، فقطع الأطراف بقطع الأيدي والأرجل ، أو خلع المفاصل ، أو جدع الأنوف ، أو قطع الآذان ، فضرب الأوتاد في العين أو الأذن ، أو دقّ المسامير في الأذن ، فالقرض بالمقاريض ، والطرح من شاهق ، فالطرح للسباع ، فالحقن بالماء المغلي ، فالقتل بالجوع أو العطش أو البرد .

فالقتل بكتم النَفَسِ ، سواء كان خنقاً بالحبل أو بوتر القوس ، أو شنقاً ، أو تغريقاً ، أو بالدخان ، أو بالدفن حيًّا ، أو بناء الحائط على الإنسان ، أو هدم البناء عليه ، أو كتم نَفَسِهِ بمخدّة ، أو وضع رأسه في جراب مملوء بالنورة ، فالقتل بالسمّ ، طعاماً ، أو شراباً ، أو دواء ، أو بالضرب أو الفصد بآلة مسمومة ، كالسيف أو الرمح أو مبضع الفاصد ، فالقتل بالنار ، احتراقاً ، أو كيًّا ، أو سلقاً ، فالقتل بالسلخ ، أي سلخ الجلد كاملاً أو جزءًا ، فبسدّ منافذ البدن ، إمّا بالقطن وإمّا بخياطة الدبر ، فالقتل بالخازوق ، إمّا بالإقعاد عليه ، أو بشكّه في أضلاعه ، أو بتركيزه في عنقه ، أو بخرق بطنه به ، ويلحق هذه الألوان من القتل ، القتل بالتخويف ، إمّا بالتهويل على المعذّب ، أو بإحضاره تعذيب غيره من الناس ، ويلحق به كذلك ، الانتحار الذي يلتجأ إليه الإنسان تخلّصاً مما ينتظره من عذاب ، ويتبع هذا الباب المثلة التي حرّمها الإسلام ، وهي ألوان الإهانة التي تجري على الميت من بعد موته .

وكنت قد جمعت فقرات عن ألوان من العذاب كي أودعها هذا البحث ، ولكنّي وجدتها على حال من الإتّساع والتشعّب ، بحيث أصبحت كتاباً قد يشتمل على ستّة مجلّدات ، وقد سمّيته «موسوعة العذاب» وهو الآن معدّ للطبع ، وسأعنى بإخراجه بعد انتهائي من هذا الكتاب ، ولم أعثر على مرجع مفصّل في هذا الموضوع باللغة العربية ، ومن أراد الإطّلاع على تفاصيل أكثر ، فعليه بمراجعة ثلاثة كتب باللغة الإنكليزية ، وهي تاريخ العذاب **HISTORY OF TORTURE** ، وتاريخ قطع العنق **HISTORY OF DECAPITATION** وتاريخ الجلد **HISTORY OF CORPORAL PUNISHMENT**

٣٥٩

من سقوط الخاتم من اليد

إلى عودته إليها سبعون فرجاً

حدّثني علي بن محمّد الأنصاري الخطمي ، قال : كنت أصحب محمّد بن ينال الترجمان[١] ، وكان بجكم بواسط ، ومضى يريده ، فانحدر بي معه إلى واسط ، لمّا انحدر بجكم إليها .

فاستخلف بجكم الترجمان بواسط ، ومضى يريد قتال البريديّين .

فلمّا صار بنهر جور[٢] ، كتب إلى الترجمان : إنّه قد صحّ عندي ، أنّ رجلاً من التجّار المقيمين في معسكرنا بواسط ، يقال له : أبو أحمد بن غيلان الخزّاز السوسي ، يكاتب البريديّين بخبرنا ، وأمر بالقبض عليه وقتله .

فقبضه الترجمان ، وقيّده ، وحبسه ، وعرّفه ما ورد في كتاب بجكم .

وكان للتاجر حرمة[٣] مع ابن ينال وكيدة ، فورد عليه غمّ شديد من أن يقتل رجلاً له به عناية وحرمة .

فقال له : أنا أعرّض نفسي لبجكم ، وأؤخّر قتلك ، وأكاتبه أسأله أن يقتصر على أخذ مالك ، ويعفو عن دمك ، فلعلّه أن يفعل .

---

١ محمد بن ينال الترجمان : كان من قوّاد مرداويج ، وتآمر عليه مع بجكم وآخرين فقتلوه (ابن الأثير ٣٠١/٦) فانحاز إلى بجكم وأصبح من قوّاده (تجارب الأمم ٣٧٨/١) ومن مستشاريه (٣٧٦/١) ، ثمّ أصبح من أكبر قوّاد توزون (ابن الأثير ٤٠٠/٦) فنصبه المتّقي على الشرطة ببغداد (تجارب الأمم ١٢/٢) ثمّ تولّى خلافة توزون ببغداد (٤٥/٢) ثمّ انحرف عن توزون (٤٧/٢) فبارح بغداد إلى الرقّة ، حيث واجه سيف الدولة ولمّا خرج من حضرته ، وثب به غلمان سيف الدولة فقتلوه في السنة ٣٣٢ (تجارب الأمم ٥٥/٢) .

٢ نهرجور : قال ياقوت في معجم البلدان ٨٣٨/٤ إنها بين الأهواز وميسان .

٣ في غ : خدمة .

قال : ودخلت على الرجل في حبسه ، وأخذت [٢٠٢ م] أطيّب قلبه ، وأعرّفه أنّ الكتاب قد بعثته إلى بجكم في أمره .

فأخرج خاتماً كان في يده ، وقال : يا أبا الحسن ، من سقوط هذا الخاتم من يدي ، إلى عودته إليها ، سبعون فرجاً .

فما انقضى اليوم ، حتى ورد الخبر بقتل بجكم ، وأفرج الترجمان عن الرجل ، وتخلّص سالماً ، وعاش بعد ذلك ثلاث سنين[٤] ، وأكثر[٥] .

---

٤ في غ : ثلاثين سنة .

٥ لم ترد هذه القصّة في ر .

٣٦٠
هاجه الحسد وقتله الطمع

حدّثني إبراهيم بن عليّ [بن سعيد بن علي زوبعة][١] النصيبينيّ المتكلّم[٢] ، قال : قال جماعة من أهل نصيبين ، إنّه كان بها أَخَوان ، ورثا عن أبيهما مالاً عظيمًا ، جليلاً ، فاقتسماه [٢٠٢ غ] ، فأسرع أحدهما في حصّته حتى لم يبق معه شيء ، واحتاج إلى ما في أيدي الناس ، وثمّر الآخر حصّته ، فزادت .

وعرض له سفر في تجارته ، فجاءه أخوه الفقير ، وقال : يا أخي إنّك تحتاج إلى أن تستأجر غلاماً في سفرك ، وأنا أحتاج إلى أن أخدم الناس ، فاجعلني بدل غلام تستأجره ، فيكون ذلك أصون لي ولك .

فلم يشكّ الأخ أنّ أخاه قد تأدّب ، وأنّ هذا أوّل إقباله ، وآثر أن يصون

---

١ كذا ورد في غ ، وفي ر : إبراهيم بن زوبعة ، وفي م : إبراهيم بن علي بن سعيد النصيبيني المتكلّم ، وفي ن : إبراهيم بن علي بن سعيد بن علي أربعه النصيبيني المتكلّم . وفي كتاب أخلاق الوزيرين ٢١١ و ٢٩٧ إن لقبه : مقعدة .

٢ أبو إسحاق إبراهيم بن علي النصيبيني المتكلّم : روى عنه التنوخي في نشوار المحاضرة في أكثر من موضع ، راجع القصّة ٣٩/١ و١٠٣/٢ و ٨/٥ من كتاب نشوار المحاضرة . وروى عنه في كتاب الفرج بعد الشدّة في أكثر من موضع ، راجع القصّة ٣٦١ ولم أعثر له على ترجمة ، وهو رجل فاضل ، والدليل على فضله أنّ التوحيدي شتمه في الأمتاع والمؤانسة ١٤١/١ ، فقال فيه : أبو اسحاق النصيبيني ، رقيق الكلام ، يشكّ في النبوات كلّها ، وقد سمعت منه فيها شبهًا ، وله أدب واسع ، وقد أضلّ بهمذان ، كاتب فخر الدولة ابن المرزبان ، وحمله على قلّة الاكتراث ، بظلم الرعيّة ، وأراه أنّه لا حرج عليه في غبنهم ، لأنّهم بهائم ، وما خرج من الجبل حتّى افتضح ، وأقذع في شتمه كذلك ، في كتابه أخلاق الوزيرين ص ٢١١ و ٢١٢ و ٢٩٧ ، والنصيبيّ نسبة إلى نصيبين ، من أعمال الجزيرة ، وكانت عامرة أيّام طريق القوافل بين الموصل والشام ، ويلاحظ أنّ المؤلّف ذكر هذا الشخص في هذه القصّة فقال : النصيبيني ، وذكره في القصّة ٣٦١ من الكتاب ، فقال : النصيبي ، ويجوز الوجهان (السمعاني ٥٦٢ ومراصد الاطلاع ١٣٧٤/٣) .

أخاه ، ورقّ عليه ، فأخذه معه .

وكان للأخ الغنيّ حمارٌ فارهٌ يركبه ، وقد استأجر بغالاً لأحماله ، فأركب أخاه أحدها ، وركب هو أحدها ، وأركب المكاريّ الحمار ، وساروا .

فلمّا استمّر بهم السفر ، حصلوا في جبل في الطريق ، وفيه كهف فيه عين ماء ، فقال الأخ الفقير للأخ الغني : لو نزلنا ها هنا ، وأرحنا دوابنا ، وسقيناها من هذا الماء ، وأكلنا ، ثم ركبنا ، لكان أروح لنا .

فقال : إفعل .

فنزل التاجر على باب الكهف الذي في الجبل ، وأدخل متاعه إليه ، وبسط السفرة ، وأخذ أخوه الفقير ، والمكاري ، الدوابّ ، ومضيا ليسقياها .

وانتظر التاجر أخاه ، فاحتبس طويلاً ، ثم جاء وحده ، وشدّ الدوابّ .

فقال له أخوه : يا أخي ما قعادك ، وأنا أنتظرك تأكل معي ؟

فقال : حتى سقيت الدوابّ .

فقال : وأين المكاري ؟

فقال : قد نام في الجبل .

فقال : تعال ، حتّى نأكل .

فتركه ومضى ، ثم عاد ، وبيده حجارة يرمي بها أخاه ، ويقول له : أستكتف يا ابن الفاعلة .

فقال له : ويحك ما تريد ؟

فقال : أريد قتلك يا ابن الفاعلة ، أخذت مال أبي ، فجعلته تجارة لك ، وجعلتني غلامك .

قال : ورفسه ، وألقاه على ظهره ، ثم أوثقه كتافاً ، وأثخنه[٣] ضرباً بالحجارة ، وشجاجاً ، وصاح الرجل ، فلم يجبه أحد .

---

٣ أثخن : بالغ ، وأثخنته الجراح : أوهنته وأضعفته .

وبرك أخوه الفقير على صدره ، وكان في وسطه سكّين عظيمة ، في قراب لها ، فرام استخراجها من القراب ليذبحه بها ، فتعسّرت عليه ، فقام عن صدر أخيه ، وأعلا يده اليسرى ، وفيها السكّين في قرابها ، وجذبها بيده اليمين ، وقد صار القراب مع حلقه ، فخرجت السكّين بحميّة الجذبة ، فذبحته ، فوقع يخور في دمه ، ونزف إلى أن مات ، وجفّت يده على السكّين بعد موته ، وهي فيها .

وحصل على تلك الصورة ، وأخوه الغني مشدود ، لا يقدر على الحركة ، والسفرة منشورة ، والطعام عليها ، والدوابّ مشدودة .

فأقام على تلك الصورة بقيّة يومه ، وليلته ، وقطعة من غده .

فاجتازت قافلة على المحجّة ، وكان بينها وبين الكهف بعد ، فأحسّت البغال بالدوابّ المجتازة ، فصهلت ، [٢٠٣ م ، ١٩٧ ر] ونهق الحمار ، وجذب الرسن ، وجذبت البغال أرسانها ، فأفلتت ، وغارت[٤] تطلب الدوابّ .

فلمّا رأى أهل القافلة ، دوابًّا غائرة ، ظنّوا أنّها لقوم قد أسرهم اللصوص ، وكانوا في منعة ، فتسارعوا إلى البغال .

فلمّا قصدوها ، رجعت تطلب موضعها .

وتبعها قوم من أهل القافلة ، حتى انتهوا إلى التاجر ، وشاهدوه مكتوفاً ، والسفرة منشورة ، والأخ مذبوحاً ، وبيده السكّين [٢٠٣ غ] ، فشاهدوا عجباً .

واستنطقوا الرجل ، فأومأ إليهم أنّ لا قدرة له على الكلام ، فحلّوا كتافه ، وسقوه ماء ، وأقاموا عليه إلى أن أفاق ، وقدر على الكلام ، فأخبرهم الخبر .

فطلبوا المكاري[٥] ، فوجدوه غريقاً في الماء ، قد غرّقه الأخ الفقير .

فحملوا أثقال التاجر على بغاله ، وأركبوه [٢٩ ن] على حماره ، وسيّروه معهم إلى المنزل الآخر .

---

٤ غار : تعبير بغدادي ، بمعنى : ركض مسرعًا .

٥ المكاري ، بضم الميم : الذي يَكري الدوابّ .

٣٦١
البغي مرتعه وخيم

وحدّثني إبراهيم بن علي النصيبي هذا ، قال : حدّثني [أبو القاسم][١] إبراهيم بن علي الصفّار ، شيخٌ كان جاراً لنا بنصيبين ، قال :

خرجت من نصيبين بسيفٍ نفيسٍ ، كنت ورثته من أبي ، أقصد به العبّاس بن عمرو السلمي ، أمير ديار ربيعة[٢] ، وهو برأس عين[٣] لأهديه إليه ، وأستجديه بذلك .

فصحبني في الطريق شيخ من الأعراب ، فسألني عن أمري ، فأنست به ، وحدّثته الحديث ، وكنّا قربنا من رأس عين ، ودخلناها ، وافترقنا .

وصار يجيئني ، ويراعيني ، ويظهر لي أنّه يسلّم عليّ ، وأنّه يبرّني بالقصد ، ويسألني عن حالي .

فأخبرته أنّ الأمير قبل هديتي ، وأجازني بألف درهم ، وثياب ، وأنّي أريد الخروج في يوم كذا وكذا .

فلمّا كان ذلك اليوم خرجت عن البلد ، راكباً حماراً ، فلمّا أصحرت[٤] ، إذا بالشيخ على دويبة له ضعيفة ، متقلّداً سيفاً .

فلمّا رأيته استربت به ، وأنكرته ، ورأيت الشرّ في عينيه .

فقلت : ما تصنع ها هنا ؟

---

١ الزيادة من غ .

٢ العبّاس بن عمرو الغنوي ، أمير ديار ربيعة : ترجمته في حاشية القصّة ١٦٩ من الكتاب .

٣ في م : رأس العين ، قال ياقوت في معجم البلدان ٧٣١/٢ إنّ اسمها الصحيح : رأس‌عين ، والعامة يسمّونها : رأس العين ، وهي مدينة كبيرة مشهورة من مدن الجزيرة ، بين حرّان ، ونصيبين ، ودنيسر ، فيها عيون كثيرة ، تتجمّع كلّها فتصير نهر الخابور ، والنسبة إليها رسعني .

٤ الإصحار : الدخول إلى الصحراء .

فقال : قد قضيت حوائجي ، وأريد الرجوع ، وصحبتك عندي آثر من صحبة غيرك .

فقلت : على اسم الله .

وما زلتُ متحرّزاً منه ، وهو يجتهد أن أدنو منه ، وأوانسه ، فلا أفعل ، وكلّما دنا منّي ، بعدت عنه ، إلى أن سرنا شيئاً كثيراً ، وليس معنا ثالث .

فقصّر عني ، فحثثت الحمار ، لأفوته ، فما أحسست إلاّ بركضه ، فالتفتُّ ، فإذا هو قد جرّد سيفه ، وقصدني ، فرميت بنفسي عن الحمار ، وعدوت .

فلمّا خاف أن أفوته ، صاح : يا أبا القاسم ، إنّما مزحت معك ، فقف ، فلم ألتفت إليه ، وزاد في التحريك .

وظهر لي ناووس[٥] فطلبته ، وقد كاد الأعرابي يلحق بي ، فدخلت الناووس ، ووقفت وراء بابه .

قال : ومن صفات تلك النواويس أنّها مبنيّة بالحجارة ، وباب كلّ ناووس حجر واحد عظيم ، قد نقر ، وحفّف[٦] ، وملّس ، فلا تستمكن اليد منه ، وله في وجهه حلقة ، وليس للباب من داخل شيء تتعلّق اليد به ، وإنّما يدفع من خارجه ، فيفتح ، فيدخل إليه ، وإذا خرج منه ، وجذبت الحلقة ، انغلق الباب ، وتمكّن هذا من ورائه ، فلم يمكن فتحه من داخل أصلاً .

قال : فحين دخلت الناووس ، وقفتُ خلف بابه ، وجاء الأعرابي ، فشدّ الدابّة في حلقة الباب ، ودخل [٢٠٤ م] يريدني ، مخترطاً سيفه ، والناووس مظلم ، فلم يرني ، ومشى إلى صدر الناووس ، فخرجت أنا من خلف الباب ، وجذبته ، ونفرت الدابّة ، فجذبَتْهُ معي ، حتى صار الباب مردوماً محكماً ،

---

٥ الناووس : موضع ينقر في الصخر ليكون مدفنًا للموتى .

٦ الحفّ : وما زال هذا اسمه في بغداد ، حذف الشعر عن الوجه باستعمال الخيط ، فاذا تمّ بالموسى فهو حلق ، واذا نقر الصخر وملّس ، قيل فيه : حفّف أيضًا ، راجع حاشية القصّة ٣٨٩ من هذا الكتاب .

وحَصَّلْتُ الحلقة في رزّة[7] هناك ، وحَلَلْتُ الدابّة ، وركبتها [٢٠٤ غ] .

فجاء الأعرابي ، إلى باب الناووس ، فرأى الموت عياناً ، فقال : يا أبا القاسم ، اتّق الله في أمري ، فإنّني أتلف .

فقلت : تتلف أنت ، أهون عليّ من أن أتلف أنا .

قال : فأخرجني ، وأنا أعطيك أماناً ، واستوثق منّي بالأيمان ، أن لا أعرض لك بسوء أبداً ، واذكر الحرمة التي بيننا .

فقلت : لم ترعها أنت ، وأيمانك فاجرة ، [١٩٨ ر] لا أثق بها في تلف نفسي .

فأخذ يكرّر الكلام ، فقلت له : لا تهذ [دع عنك هذا الكلام واقعد مكانك][1] ، هوذا أنا أركب دابّتك ، وأجنب حماري ، والوعد بعد أيّام بيننا هنا ، فلا تبرح عليّ حتى أجيء [وإذا احتجت إلى طعام ، فعليك بجيف العلوج ، فنعم الطعام لك .

وأخذت ألهو به في مثل هذا القول][8] ، وأخذ يبكي ، ويستغيث ، ويقول : قتلتني ، والله .

فقلت : إلى لعنة الله ، وركبت دابّته ، وجنبت حماري .

ووجدت على دابّته خرجاً فيه ثياب يسيرة ، وجئت إلى نصيبين ، فبعت الثياب ، وكانت دابّته شهباء ، فصبغتها دهماء ، وبعتها ، لئلا يعرف صاحبها فأطالب بالرجل ، واتّفق أنّه اشتراها رجل من المجتازين ، وكفيت أمره ، وانكتمت القصّة .

فلمّا كان بعد أكثر من سنة ، عرض لي الخروج إلى رأس عين ، فخرجت في

---

٧ رزّ السهم في الحائط : أثبته ، ورزّ الباب : جعل له رزّة ، والرزّة : حديدة تثبت في الحائط أو في الباب من أجل إقفاله .

٨ لا توجد في غ .

تلك الطريق ، فلمّا لاح لي الناووس ، ذكرت الشيخ .

فقلت : أعدل إلى الناووس ، وأنظر ما صار إليه أمره ، فجئت إليه ، فإذا بابه كما تركته .

ففتحته ، ودخلت ، فإذا بالأعرابي قد صار رمّة[9] ، فحمدت الله تعالى على السلامة .

ثم حرّكته برجلي ، وقلت له على سبيل العبث : ما خبرك يا فلان ؟ فإذا بصوت شيء يتخشخش ، ففتّشته ، فإذا هميان ، فأخذته ، وأخذت سيفه ، وخرجت ، وفتحت الهميان ، فإذا فيه خمسمائة درهم[10] ، وبعت السيف بعد ذلك بجملة دراهم .

---

٩ الرمّة ، بكسر الراء : ما بلي من العظام .

١٠ في غ : خمسمائة دينار .

٣٦٢
أبو المغيرة الشاعر يروي خبراً ملفّقاً

حدّثني أبو المغيرة محمّد بن يعقوب بن يوسف ، الشاعر البصري[١] ، قال : حدّثني أبو موسى عيسى بن عبد الله البغدادي[٢] ، قال : حدّثني صديق لي قال :

كنت قاصداً الرملة[٣] وحدي ، وما كنت دخلتها قط .

فانتهيت إليها وقد نام الناس ، ودخل الليل ، فعدلت إلى الجبّانة ، ودخلت بعض القباب التي على القبور ، فطرحت درقة[٤] كانت معي ، واتّكأت عليها ، وعانقت سيفي ، واضطجعت أريد النوم ، لأدخل البلد نهاراً .

قال : فاستوحشت من الموضع ، وأرقت ، فلمّا طال أرقي ، أحسست بحركة .

فقلت : لصوص يجتازون ، ومتى تصدّيت لهم ، لم آمنهم ، ولعلّهم أن يكونوا جماعة ، فانخزلت بمكاني ، ولم أتحرّك .

وأخرجت رأسي من بعض أبواب القبّة ، على تخوّف شديد منّي ، فرأيت دابّة كالذئب تمشي ، فإذا به قد قصد قبّة بحيالي ، وما زال يتلفّت طويلاً ،

---

١ أبو المغيرة محمّد بن يعقوب بن يوسف : وصفه التنوخي في هذه القصّة بالشاعر البصريّ ، ووصفه في نشوار المحاضرة من القصّة ١٥٢/٣ بالشاعر البغداديّ الأسديّ ، وقال عنه في القصّة ١٥٣/٣ من النشوار : إنّه شاعر طويل اللسان ، مطبوع ، هجّاء ، وله مدائح كثيرة ، وديوان واسع ، وأورد التنوخي في القصّة ١٥٣/٣ من النشوار انموذجاً من شعره .

٢ في غ : يحيى بن عبد الله البغدادي .

٣ الرملة : مدينة عظيمة بفلسطين (معجم البلدان ٨١٧/٢) .

٤ في غ : جحفة ، وهي الدرقة (فقه اللغة ٢٦٣) ، والدرقة ، بفتح الدال والراء : الترس من الجلود ، لا خشب فيه ، والعامّة ببغداد يسمّونها : دِرْقه ، بكسر الدال وتسكين الراء ، ويريدون بها الترس عامّة ، سواء كان من حديد أو من غيره .

ويدور حواليها ، ثم دخلها .

فارتبت به ، وأنكرت أمره ، وتطلّعَتْ نفسي إلى علم ما هو فيه .

فدخل القبّة ، وخرج غير مطيل ، ثم جعل يتبصّر[٥] ، ثم دخل وخرج بسرعة ، ثم دخل وعيني إليه ، فضرب بيده إلى قبر في القبّة ، يبعثره .

فقلت : نبّاشٌ لا شكّ فيه ، وتأمّلته يحفر بيده ، فعلمت أنّ فيها آلة حديد يحفر بها .

فتركته إلى أن اطمأنّ [٢٠٥ غ] وأطال ، وحفر شيئاً كثيراً ، ثم أخذتُ سيفي ودرقتي[٦] ، ومشيتُ على أطراف أناملي ، حتى دخلت القبّة ، فأحسّ بي ، فقام إليّ بقامة انسان ، وأومأ إليّ ليلطمني بكفّه ، فضربت يده[٧] بالسيف ، فأبنتها وطارت .

فقال : أوّه ، قتلتني [٢٠٥ م] لعنك الله .

وعدا من بين يديّ ، وعدوت خلفه ، وكانت ليلة مقمرة ، حتى دخل البلد ، وأنا وراءه ، ولست ألحقه ، إلاّ أنّه بحيث يقع بصري عليه .

إلى أن اجتاز بي طرقاً كثيرة ، وأنا في خلال ذلك أعلّم الطريق لئلا أضلّ ، حتى جاء إلى باب ، فدفعه ودخل وأغلقه ، وأنا أسمع .

فعلّمت الباب [٣٠ ن] ، ورجعت أقفو الأثر والعلامات التي علّمتها في طريقي ، حتى انتهيت إلى القبّة التي كان فيها النبّاش .

وطلبت الكفّ فوجدتها ، فأخرجتها إلى القمر ، فبعد جهد ، انتزعت الكفّ المقطوعة من الآلة الحديد ، وإذا هي كفّ كالكفّ ، وقد أدخل أصابعه في الأصابع ، وإذا هي كفّ فيها نقش حنّاء ، وخاتمان من الذهب ، فعلمت أنّها امرأة .

---

٥ تبصّر الشيئ : استقصى النظر إليه .

٦ في غ : وجحفتي .

٧ في غ : كفه .

فحين علمت أنّها امرأة ، اغتممتُ ، وتأمّلت الكفّ ، فإذا هي أحسن كفّ في الدنيا ، نعومة ، ورطوبة ، وسمناً ، وملاحة .

فمسحت الدم عنها ، ونمت في القبّة التي كنت فيها [١٩٩ ر] ، ودخلت البلد من الغد ، أطلب العلامات التي علّمتها ، حتى انتهيت إلى الباب .

فسألت : لمن الدار ؟

فقالوا : لقاضي البلد .

واجتمع عليها خلق كثير ، وخرج منها شيخ بهيّ ، فصلّى الغداة بالناس ، وجلس في المحراب ، فازداد عجبي من الأمر .

فقلت لبعض الحاضرين : بمن يعرف هذا القاضي ؟

فقال : بفلان .

وأطلت الجلوس والحديث في معناه ، حتى عرفت أنّ له ابنة عاتقاً[٨] ، وزوجة ، فلم أشكّ في أنّ النبّاشة ابنته .

فتقدّمت إليه ، وقلت : بيني وبين القاضي أعزّه الله حديث لا يصلح إلاّ على خلوة .

فقام إلى داخل المسجد ، وخلا بي ، وقال : قل .

فأخرجت الكفّ وقلت : أتعرف هذه ؟.

فتأمّلها طويلاً ، وقال : أمّا الكفّ فلا ، وأما الخاتمان ، فمن خواتيم[٩] ابنة لي عاتق ، فما الخبر ؟.

فقصصت عليه القصّة بأسرها ، فقال : قم معي .

فأدخلني إلى داره ، وأغلق الباب ، واستدعى طبقاً وطعاماً ، فأحضر .

---

٨ العاتق : الجارية أوّل ما أدركت .

٩ يلاحظ أنّ البغداديّين يجمعون خاتم على خواتيم ، وسلّم على سلاليم ، ومخلب على مخاليب ، وكلّها فصيحة .

واستدعى امرأته ، فقال لها الخادم : اخرجي .

فقالت : قل له كيف أخرج ومعك رجل غريب ، فخرج الخادم ، وأعلمه بما قالت .

فقال : لا بدّ من خروجها تأكل معنا ، فهنا من لا أحتشمه[10] .

فتأبّت عليه ، فحلف بالطلاق لتخرجنّ له ، فخرجت باكية ، وجلست معنا .

فقال لها : أخرجي ابنتك .

فقالت : يا هذا ، أو قد جننت ؟ ما الذي حلّ بك ، قد فضحتني وأنا امرأة كبيرة ، فكيف تهتك صبيّة عاتقاً ؟ فحلف بالطلاق لتخرجنّها ، فخرجت .

فقال : كلي معنا ، فرأيت صبية كالدينار ، ما نظرت مقلتاي أحسن منها ، إلاّ أنّ لونها قد اصفرّ جداً ، وهي مريضة .

فعلمت أنّ ذلك لنزف الدم من يدها ، فأقبلت تأكل بشمالها ، ويمينها مخبوءة .

فقال لها أبوها : أخرجي يدك اليمنى .

فقالت أمّها : قد خرج بها خراج ، وهي مشدودة ، فحلف [٢٠٦ غ] لتخرجنّها .

فقالت له امرأته : يا رجل استر على نفسك ، وابنتك ، فوالله ، وحلفت له بأيمان كثيرة ، ما اطّلعت لهذه الصبيّة على سوء قط إلاّ البارحة ، فإنّها جاءتني بعد نصف الليل ، فأيقظتني ، وقالت : يا أمّي ، الحقيني ، وإلاّ تلفتُ .

فقلت : ما لك ؟

فقالت : إنّه قد قطعت يدي ، وهوذا أنزف الدم ، والساعة أموت ، فعالجيني ، وأخرجت يدها مقطوعة ، فلطمت .

فقالت : يا أمّاه لا تفضحيني ونفسك بالصياح عند أبي والجيران ، وعالجيني .

فقلت : لا أدري بم أعالجك .

---

١٠ في غ : فهذا من أصحابي والزامي .

فقالت : إغلي زيتاً ، وأكوي به يدي .

ففعلت ذلك ، وكويتها ، وشددتها ، وقلت لها : الآن خبّريني ما دهاك ، فامتنعت .

فقلت : والله ، إن لم تحدّثيني ، لأكشفنّ أمرك لأبيك .

فقالت : إنّه وقع في نفسي ، منذ سنين ، أن أنبش القبور[11] ، فتقدّمت إلى هذه الجارية ، فاشترت لي جلد ماعز بشعره ، [٢٠٦ م] ، واستعملت لي كفًّا من حديد .

فكنت إذا أعتم الليل[12] ، أفتح الباب ، وآمرها أن تنام في الدهليز ، ولا تغلق الباب ، وألبس الجلد ، والكفّ الحديد ، وأمشي على أربع ، فلا يشكّ الذي يراني من فوق سطح أو غيره ، أنّني كلب .

ثم أخرج إلى المقبرة ، وقد عرفت من النهار ، خبر من يموت من رؤساء البلد[13] ، وأين دفن ، فأقصد قبره ، فأنبشه ، وآخذ الأكفان ، وأدخلها معي في الجلد ، وأمشي مشيتي ، وأعود والباب غير منغلق ، فأدخل ، وأغلقه ، وأنزع تلك الآلة ، [٢٠٠ ر] فأدفعها إلى الجارية ، مع ما قد أخذت من الأكفان ، فتخبئه في بيت لا تعلمون به .

وقد اجتمع عندي نحو ثلثمائة كفن ، أو ما يقارب هذا المقدار ، لا أدري ما أصنع بها ، إلاّ أنّي كنت أجد لهذا الخروج ، والفعل ، لذّة لا سبب لها أكثر من إصابتي بهذه المحنة .

فلمّا كانت الليلة ، سلّط عليّ رجل أحسّ بي ، كأنّه كان حارساً لذلك القبر ، فقمت لأضرب وجهه بالكفّ الحديد ، ليشتغل عنّي ، وأعدو ، فداخلني

---

١١ في غ : أن أنبش الموتى .

١٢ في غ : فكنت إذا نمتم .

١٣ في م : خبر من يموت من أهل المحلّة .

بالسيف ، ليضربني ، فتوقّيت الضربة بيميني ، فأبان كفّي .

فقلت لها : أظهري أن قد خرج في كفّك خُرَاجٌ ، وتعالِلي ، فإنّ الذي بك من الصفار[14] ، يصدّق قولك .

فإذا مضت أيّام ، قلت لأبيك : إذا لم تقطع يدك ، خبث جميع جسدك ، وتلفتِ ، فيأذن في قطعها ، فنظهر أنّا قد قطعناها ، ويشيع الخبر - حينئذ - بهذا ، ويستتر أمرك .

فعملنا على هذا ، بعد أن استتبتها ، فتابت ، وحَلَفَتْ بالله العظيم ، لا عادت تفعل شيئاً من ذلك .

وكنت قد خطر لي أن أبيع هذه الجارية ، إلى سفّار يغرّبها عن هذه البلد التي نحن فيها ، وأراعي مبيت الصبيّة ، وأبيتها إلى جانبي ، ففضحتنا ونفسك .

فقال القاضي للصبيّة : ما تقولين ؟

فقالت : صدقت أمّي ، ووالله ، لا عدت أبداً ، وأنا تائبة إلى الله تعالى .

فقال لها أبوها : هذا صاحبك الذي قطع يدك ، فكادت تتلف جزعاً .

ثم قال لي : يا فتى من أين أنت ؟

قلت : من العراق .

قال [٢٠٧ غ] : ففيم وردت ؟

قلت : أطلب الرزق .

قال : قد جاءك حلالاً طيباً ، نحن قوم مياسير ، ولله علينا نعمة وستر ، فلا تنقص النعمة ، ولا تهتك الستر ، أنا أزوّجك بابنتي هذه ، وأغنيك بمالي عن الناس ، وتكون معنا في دارنا .

فقلت : نعم .

فرفع الطعام ، ثم خرج إلى المسجد ، والناس مجتمعون ينتظرونه ، فخطب ،

---

١٤ الصفار ، بضم الصاد : صفرة تعلو اللون والبشرة ، وعامّة بغداد يلفظونها بفتح الصاد .

وزوّجني ، وقام ، فرجع ، وأقعدني في الدار .

ووقعت الصبيّة في نفسي ، حتى كدت أموت عشقاً لها ، فافترعتها ، وأقامت معي شهوراً ، وهي نافرة منّي ، وأنا أؤانسها ، وأبكي حسرة على يدها ، وأعتذر إليها ، وهي تظهر قبول عذري ، وأنّ الذي بها غمًّا على يدها ، وهي تزداد حنقاً عليّ .

إلى أن نمت ليلةً ، واستثقلتُ في نومي ، فأحسست بثقل على صدري ، فانتبهت جزعاً ، فإذا زوجتي باركة على صدري ، وركبتاها على يديّ ، مستوثقة منهما ، وفي يدها سكّين ، وقد أهوت لتذبحني[١٥] ، فاضطربت .

ورمت الخلاص ، فتعذّر ، وخشيت أن تبادرني ، فسكتّ ، وقلت لها : كلّميني ، واعملي ما شئت .

فقالت لي : قل .

فقلت : [٣١ ن] ما يدعوك إلى هذا ؟

[قالت : أظننتَ أنّك قد قطعتَ يدي ، وهتكتني ، وتزوّجني مثلك ، وتنجو سالماً ؟ والله لا كان هذا .

فقلت : أما الذبح ، فقد فاتك ، ولكنّك تتمكّنين من جراحات توقعينها بي ، ولا تأمنين أن أفلت ، فأذبحك ، وأهرب ، أو أكشف هذا عليك ، ثم أسلمك إلى السلطان ، فتنكشف جنايتك الأولى ، والثانية ، ويتبرّأ منك [٢٠٧ م] أبوك ، وأهلك ، وتقتلين .

فقالت : افعل ما شئت لا بدّ من ذبحك ، وقد استوحش الآن كلّ منّا من صاحبه .

فنظرت ، فإذا الخلاص منها بعيد ، ولا بدّ من أن تجرح موضعاً من بدني ، فيكون فيه تلفي .

---

١٥ في غ : وفي يدها موسى ، وقد أومت لتذبحني .

فقلت : ليس إلاّ العمل في حيلة ، فقلت لها : أو غير هذا؟[16]] .

قالت : قل .

قلت : أطلّقك الساعة ، وتفرجين عنّي ، وأخرج غداً عن البلد ، فلا أراك ، ولا تريني أبداً ، ولا يكشف لك حديث في بلدك ، ولا تفتضحي ، وتتزوّجين بمن شئت ، فقد شاع أنّ يدك قطعت بخراج خبّثها ، وتربحين الستر .

قالت : لا أفعل ، حتى تحلف لي أنّك لا تقيم في البلد ، ولا تفضحني أبداً ، وتعجّل لي الطلاق .

فطلّقتها ، وحلفت لها بالأيمان المغلظة أنّي أخرج ، ولا أفضحها ، فقامت عن صدري تعدو ، خوفاً من أن أقبض عليها ، حتى رمت الموسى من يدها ، بحيث لا أدري أين هو ، وعادت .

وأخذت تظهر أنّ الذي فعلته بي مزاحاً ، وأخذت تلاعبني ، فقلت : إليك عنّي ، فقد حرمتِ عليّ ، ولا تحلّ لي ملامستك ، وفي غد أخرج عنك .

فقالت : الآن علمت صدقك ، ووالله ، لئن لم تفعل ، لا نجوتَ من يدي ، وقامت فجاءتني بصرّة ، وقالت : هذه مائة دينار ، خذها نفقة لك ، واكتب رقعة بطلاقي ، واخرج غداً .

فأخذت الدنانير ، وخرجت من سحرة ذلك اليوم ، بعد أن كتبت إلى أبيها ، أنّني قد طلّقتها ثلاثاً ، وأنّني خرجت [٢٠١ ر] حياء منه .

ولم ألتق معهم إلى الآن[17] .

---

١٦ لا توجد في غ .

١٧ وردت القصّة في نشوار المحاضرة ١٥٢/٣ .

٣٦٣
لا جزاك الله من طارقٍ خيراً

حدّثنا أبو الحسن محمّد بن أحمد الكاتب ، المعروف والده بأبي الليث الهمذاني[١] ، قال : حدّثني محمّد بن بَديع العُقَيلي[٢] ، قال :

رأيت فتى من بني عُقَيل ، في ظهره كلّه شُرُطٌ كَشُرُطِ الحجّام ، إلاّ أنّها أكبر ، فسألته عن سبب ذلك .

فقال : إنّي كنت هويت ابنة عمّ لي ، وخطبتها ، فقالوا لي : إنّا لا نزوّجك إيّاها ، إلاّ بعد أن تجعل الشبكة صداقها ، وهي فرس سابقة كانت لبعض بني بكر بن كلاب .

فتزوّجتها على ذلك ، وخرجت أحتال في أن أسلّ الفرس ، لأتمكّن من الدخول بابنة عمّي .

قال : فأتيت الحيّ الذي فيه الفرس ، بصورة مجتاز ، فما زلت أداخلهم ، ومرّة أجيء إلى الخباء الذي فيه الرجل صاحب الفرس ، كأنّي سائل ، إلى أن عرفت مربط الفرس من الخباء ، ورأيت لها مهرة .

فاحتلت حتى دخلت البيت من كسره ، وحصلت خلف [٢٠٨ غ] النضد[٣] تحت عِهْنٍ[٤] كانوا نفشوه ليغزل ، فلمّا جنّ الليل ، وافى صاحب البيت ، وقد صنعت له المرأة عشاءً ، فجلسا يأكلان ، وقد استحكمت الظلمة ، ولا

---

١ ورد ذكره في القصّة ١٤ من هذا الكتاب ، وفي كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للقاضي التنوخي ، في القصّة ١٦٨/٣ .

٢ في ن : محمد بن ربيع العقيلي ، وفي كتاب نشوار المحاضرة ١٦٨/٣ : حدّثني محمد بن بديع العُقَيلي ، أحد قوادهم ووجوههم في الحي ، وكان ورد إلى معزّ الدولة ، فأكرمه ، وأحسن إليه .

٣ النضد : ما نضّد من متاع البيت .

٤ العهن : الصوف .

مصباح لهم ، وكنت ساغباً[٥] ، فأخرجت يدي ، وأهويت إلى القصعة ، وأكلت معهما .

فأحسّ الرجل بيدي ، فأنكرها ، وقبض عليها ، فقبضت على يد المرأة بيدي الأخرى .

فقالت له المرأة : مالك ويدي ؟ فظنّ أنّه قابض على يد المرأة ، فخلّى يدي ، فخلّيت يد المرأة .

وأكلنا ، ثم أنكرت المرأة يدي ، وقبضت عليها ، فقبضتُ على يد الرجل ، فقال لها : مالكِ ويدي ؟ فخلّت عن يدي ، وخلّيت عن يده .

وانقضى الطعام ، واستلقى الرجل ، ونام ، فلمّا استثقل ، وأنا مراصدهم ، والفرس مقيّد ، ومفتاح قيد الفرس تحت رأس المرأة .

فوافى عبدٌ له أسود ، فنبذ حصاةً ، فانتبهت المرأة ، وقامت إليه ، وتركت المفتاح في مكانه ، وخرجَتْ من الخباء إلى ظهر البيت [٢٠٨ م] ورمقتها بعيني ، فإذا العبد قد علاها .

فلمّا حصلا في شأنهما ، دببْتُ ، فأخذتُ المفتاح ، وفتحتُ القفل ، وكان معي لجام مصنوع من شعر ، فأوجرته الفرس ، وركبتها ، وخرجت عليها من الخباء .

فقامت المرأة من تحت الأسود ، ودخلت الخباء ، ثم صاحت ، وذعر الحيّ ، فصاحوا ، وأحسّوا بي ، وركبوا في طلبي ، وأنا أكدّ الفرس ، وخلفي خلق منهم .

فأصبحت ، ولست أرى إلاّ فارساً واحداً برمح ، فلحقني وقد طلعت الشمس ، فأخذ يطعنني ، فلا تصل طعنته إلى أكثر مما رأيت من ظهري ، لا فرسه تلحق بي فتتمكّن طعنته منّي ، ولا فرسي تبعدني إلى حيث لا يمسّني الرمح .

حتى وافيت إلى نهر جارٍ ، فصحت بالفرس ، فَوَثَبَتْهُ ، وصاح الفارس

---

٥ الساغب : الجائع .

بفرسه ، فلم تثب .

فلمّا رأيت عجزها عن العبور ، نزلت عن فرسي لأستريح ، وأريحها ، فصاح بي الرجل .

فقلت : ما لك ؟

فقال : يا هذا ، أنا صاحب الفرس التي تحتك ، وهذه ابنتها ، فإذ أخذتها ، فلا تخدعنّ عنها ، فإنّها تساوي عشر ديات ، وعشر ديات ، وعشر ديات ، وما طلبت عليها شيئاً قط إلاّ لحقته ، ولا طلبني أحد - وأنا عليها - إلاّ فتّه ، وإنّما سمّيت الشبكة ، لأنها لم ترد شيئاً قط إلاّ أدركته ، فكانت كالشبكة في التعلّق به .

فقلت له : أمّا إذ نصحتني ، فوالله لأنصحنّك ، ولا أكذبك ، إنّه كان من أمري البارحة ، كيت وكيت ، حتى قصصت عليه قصّة امرأته ، والعبد ، وحيلتي في الفرس .

[فأطرق ساعة ، ثم رفع رأسه إليّ][6] ، وقال : ما لك ، لا جزاك الله من طارق خيراً ، أخذت قعدتي ، وقتلت عبدي ، وطلّقت ابنة عمّي[7] .

---

٦ الزيادة من غ .

٧ وردت القصّة في نشوار المحاضرة ١٦٨/٣ وفي كتاب نفحة اليمن فيما يزول بذكره الشجن ص ١٦ لأحمد الأنصاري طبع مصر سنة ١٣٢٥ .

٣٦٤
من زرع الإثم حصد الدمار

[وحدّثني عبيد الله بن محمّد بن الحفا ، قال : حدّثني][1] رجل من أهل الجند[2] ، قال :

خرجت من بعض بلدان الشام ، وأنا على دابّة لي ، ومعي خرج لي ، فيه ثياب ودراهم .

فلمّا سرت عدّة فراسخ ، لحقني المساء ، وإذا بدير عظيم[3] ، فيه راهب في صومعة .

فنزل واستقبلني ، وسألني المبيت عنده ، وأن يضيفني ، ففعلت .

فلمّا دخلت الدير ، لم أجد فيه غيره ، فأخذ دابّتي ، وطرح لها [٢٠٩ غ] شعيراً ، وعزل رحلي في بيت ، وجاءني بماء حار ، وكان الزمان شديد البرد ، وأوقد بين يديّ ناراً ، وجاءني بطعام [٢٠٢ ر] طيّب من أطعمة الرهبان ، فأكلتُ ، وبنبيذ ، فشربتُ .

ومضت قطعة من الليل ، فأردت النوم ، فقلت : أدخل المستراح[4] ، قبل أن أنام ، فسألته عنه ، فدلّني على طريقه ، وكنّا في غرفة .

فلمّا صرت على باب المستراح ، إذا بارية مطروحة[5] ، فلمّا صارت رجلاي

---

١ الزيادة من ن .

٢ التجنّد : التجمّع ، وأجناد الشام خمسة : جند فلسطين ، وجند الأردن ، وجند دمشق ، وجند حمص ، وجند قنسرين ، وإنّما سمّيت كلّ ناحية بجند ، لأنّهم كانوا يقبضون أعطياتهم فيه (معجم البلدان ١/١٣٦) .

٣ في ر ، وغ : وإذا بحصن عظيم .

٤ المستراح : الكنيف .

٥ في ر ، وغ : إذا بنخّ مطروح على حفيرة ، بشأن النخّ راجع حاشية القصّة ١٦٥ من هذا الكتاب .

عليها نزلتُ ، فإذا أنا في الصحراء ، وإذا البارية قد كانت مطروحة على [٣٣ ن] غير تسقيف .

وكان الثلج يسقط في تلك الليلة سقوطاً عظيماً ، فصحت ، وقدّرت أنّ الذي استمرّ عليّ من غير علمه ، فما كلّمني .

فقمت وقد تجرّح بدني ، إلاّ أنّي سالم ، فجئت ، واستظللت بطاقِ باب الدير من الثلج .

فما وقفت حيناً حتى رأيت فيه برابخ[٦] من فوق رأسي ، وقد جاءتني منها حجارة لو تمكّنت من دماغي لطحنته .

فخرجت أعدو ، وصحت به ، فشتمني ، فعلمتُ أنّ ذلك من حيلته ، طمعاً في رحلي .

فلمّا خرجت ، وقع الثلج عليّ فعلمت أنّي تالف إن دام ذلك عليّ ، فولّد لي الفكر أن طلبت حجراً فيه ثلاثون رطلاً وأكثر ، فوضعته على عاتقي تارة ، وعلى قفاي تارة ، وأقبلت أعدو في الصحراء أشواطاً ، حتى إذا تعبت ، وحميت وجرى عرقي ، طرحت الحجر ، وجلست أستريح خلف الدير ، من حيث يقع لي أنّ [٢٠٩ م] الراهب لا يراني .

فإذا أحسست بأنّ البرد قد بدأ يأخذني ، تناولت الحجر وسعيت من الدير ولم أزل على هذا إلى الغداة[٧] .

فلمّا كان قبيل طلوع الشمس ، وأنا خلف الدير إذ سمعت حركة بابه ، فتخفّيت .

فإذا بالراهب قد خرج ، وجاء إلى موضع سقوطي ، فلمّا لم يرني دار حول الدير يطلبني ، ويقـول ، وأنا أسمعه : ترى ما فعل الميشوم ؟ أظنّ أنّه قدّر أنّ

---

٦ البربخ : مجرى من الخزف للماء وما شابهه .

٧ الغداة : أوّل النهار .

بالقرب منه قرية ، فقام يمشي إليها ، كيف أعمل ، فاتني سلبه ، وأقبل يمشي يطلب أثري .

قال : فخالفته إلى باب الدير ، وحصلت داخله ، وقد مشى هو من ذلك المكان يطلبني حول الدير ، فحصلت أنا خلف باب الدير ، وقد كان في وسطي سكّين ، فوقفت خلف الباب ، فطاف الراهب ، ولم يبعد .

فلمّا لم يقف لي على خبر ، عاد ودخل ، فحين بدأ ليردّ الباب ، وخفت أن يراني ، ثرت عليه ، ووجأته بالسكّين ، فصرعته ، وذبحته .

وأغلقت باب الدير ، وصعدت إلى الغرفة ، فاصطليت بنار موقودة هناك ، ودفئت ، وخلعت عنّي تلك الثياب ، وفتحت خرجي ، فلبست منه ثياباً جافّة ، وأخذت كساء الراهب ، فنمت فيه ، فما أفقت إلى قريب من العصر .

ثم انتبهت وأنا سالم ، غير منكر شيئاً من نفسي ، فطفت بالدير ، حتى وقفت على طعام ، فأكلت منه ، وسكنت نفسي .

ووقعت مفاتيح بيوت الحصن في يدي ، فأقبلت أفتح بيتاً بيتاً ، فإذا بمال عظيم من عَيْنٍ ، وورقٍ ، وثياب ، وآلات ، ورحال قوم ، وأخراجهم[8] .

وإذا تلك عادة الراهب كانت مع كلّ من يجتاز به وحيداً ، ويتمكّن منه ، فلم أدر كيف أعمل في نقل المال ، وما وجدته .

فلبست ثياب الراهب ، وأقمت في موضعه أيّاماً ، أتراءى لمن يجتاز بالموضع من بعيد ، فلا يشكّون أنّني هو ، وإذا قربوا منّي لم أبرز لهم وجهي ، إلى أن خفي خبري .

ثم نزعت تلك الثياب ، ولبست من بعض ثيابي ، وأخذت جواليق ، فملأتها

---

8 الخرج ، وجمعه أخراج وأخرجة : جوالق ذو أونين ، أي عدلين ، يضعه الراكب على ظهر دابّته ويودع فيه جميع أشيائه ، وما يزال في بغداد مثل عامي ، يقوله البغدادي إذا تحمّل الأذى من أصدقائه أو أقربائه ، فهو يقول : حط بالخرج ، يعني أنّ صدره يتّسع لتحمل الأذى ، كما يتّسع الخرج لكافة ما يودعه صاحبه فيه .

مالاً ، وحملتها على الدابّة ، ومشيت ، وسقتها إلى أقرب قرية ، واكتريت فيها منزلاً ، ولم أزل أنقل إليها كلّما وجدته ، حتى [۲۱۰ غ] لم أدع شيئاً له قدر إلاّ حصّلته في القرية .

ثم أقمت بها إلى أن اتّفقت لي قافلة ، فحملت على دوابّ اشتريتها ، كلّ ما كنت قد حصّلت في المنزل .

وسرت في جملة الناس بقافلة عظيمة لنفسي ، بغنيمة هائلة ، حتى قدمت بلدي ، وقد حصلت لي عشرات ألوف دراهم ودنانير ، وسلمت من الموت .

٣٦٥
ومن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره

حدّثني أبو القاسم عبيد الله بن محمّد بن الحسن العبقسي الشاعر[١] ، قال :

كان لأبي مملوك يسمّى مقبل [٢٠٣ ر] فأبق منه[٢] ، ولم يعرف له خبر سنين كثيرة . ومات أبي وتغرّبت عن بلدي ، ووقعت إلى نصيبين ، [وأنا حَدَثٌ حين اتّصلت لحيتي ، وأنا مجتاز يوماً في سوق نصيبين ،][٣] وعليّ لباس فاخر ، وفي كمّي منديل فيه دراهم كثيرة ، حتى رأيت غلامنا مقبلاً .

فحين رآني انكبّ على يدي يقبّلها ، وأظهر سروراً شديداً بي ، وأقبل يسألني عن أبي ، وأهلنا ، فأعرّفه موت من مات ، وخبر من بقي .

ثم قال لي : يا سيّدي متى دخلت إلى ها هنا ، وفي أيّ شيء ؟ فعرّفته ، فأخذ يعتذر من هربه منّا .

ثم قال : أنا مستوطن ها هنا ، وأنت مجتاز ، فلو أنعمت عليّ وجئت [٢١٠ م] في دعوتي ، فأنا أحضر لك نبيذاً طيّباً ، وغناءً حسناً .

فاغترّرت به ، بالصبا ، ومضيت معه ، حتى بلغ بي إلى آخر البلد ، إلى دور خراب ، ثم انتهى إلى دار [٢١١ غ] عامرة ، مغلقة الباب ، فدقّ ، ففتح له ، فدخل ودخلت .

فحين حصلت في الدهليز ، أغلق الباب بسرعة ، واستوثق منه ، فأنكرت

---

١ كذا ورد في ن ، وفي ر ، ورد ما يلي : حكى أبو القاسم عبد الله العنكبي الشاعر ، وفي م : قال لي العبقسي الشاعر ، وفي غ : حكى أبو القاسم عبيد الله العنبسي الشاعر ، راجع ترجمة أبي القاسم عبيد الله بن محمّد بن الحسن الصروي العبقسي في حاشية القصّة ٢٤٦ من هذا الكتاب .

٢ الإباق : هرب العبد من سيّده .

٣ ساقطة من غ .

ذلك ، ودخلت الدار ، فإذا بثلاثين رجلاً بالسلاح ، وهم جلوس على بارية ، فلم أشكّ في أنهم لصوص ، وأيقنت بالشرّ .

وبادرني أحدهم ، فلطمني ، وقال : انزع ثيابك ، فطرحت كلّ ما كان عليّ ، حتى بقيت بسراويل ، فحلّوا الدراهم التي كانت في منديلي ، وأعطوا مقبلاً شيئاً منها[4] ، وقالوا : إمض فهات لنا بهذا ما نأكله ونشربه .

فتقدّم مقبل ، وسارّ واحداً منهم ، فقال له مجيباً : وأي شيء يفوتنا من قتله ، إمض فجئنا بما نأكله ، فإنّا جياع .

فلمّا سمعت ذلك كدت أموت جزعاً ، فقال لهم الغلام ، مظهراً للكلام : ما أمضي أو تقتلوه .

فقلت لهم : يا قوم ، ما ذنبي حتى أقتل ، قد أخذتم ما معي ، ولستم ترثوني إذا قتلتموني ، ولا لي حال غير ما أخذتموه ، فاللهَ اللهَ فيّ .

ثم أقبلت أستعطف مقبلاً ، وهو لا يجيبني ، ويقول لهم : إنّكم إن لم تقتلوه ، حتى يفلت ، دلّ السلطان عليكم ، فتقتلون كلّكم .

قال : فوثب إليّ أحدهم بسيف مسلول ، وسحبني من الموضع الذي كنت فيه إلى البالوعة[5] ليذبحني .

وكان بقربي غلام أمرد ، فتعلّقت به ، وقلت : يا فتى ارحمني ، وأجرني ، فإنّ سنّك قريب من سنّي ، واستدفع البلاء من الله تعالى بخلاصي .

فوثب الغلام ، وطرح نفسه عليّ ، وقال : والله لا يقتل وأنا حيّ ، وجرّد سيفه . وقام أستاذه بقيامه ، وقال : لا يقتل من أجاره غلامي .

---

٤ في كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للقاضي التنوخي ، رقم القصّة ١٣٢/٥ أنّهم أخذوا من المنديل ثلاثين درهماً وأعطوها لمقبل ليشتري لهم بها طعاماً .

٥ في غ : البلّاعة ، والبلّاعة والبالوعة بمعنى واحد ، وهي حفرة في وسط الدار ينزل إليها الماء الوسخ والأقذار . وعامّة بغداد يسمّونها الآن : بلّوعة ، بتشديد اللّام ، ويجمعونها على : بلاليع .

واختلفوا ، وصار مع الغلام جماعة منهم ، فانتزعوني ، وجعلوني في زاوية من البيت الذي كانوا فيه ، ووقفوا بيني وبين أصحابهم .

فقال لهم رئيسهم : كفّوا عن الرجل إلى أن ننظر في أمره ، وشتم مقبلاً ، وقال : امض ، فهات ما نأكله قبل كلّ شيء ، فإنّا جياع ، وليس يفوتنا قتله ، إن اتّفقنا عليه .

فمضى مقبل ، وجاءهم بمأكول كثير [6] ، وجلسوا يأكلون ، وترك جماعة منهم الأكل حراسة لي ، لئلاّ يغتالني [٣٤ ن] أحدهم إذا تشاغلوا بالأكل .

فلمّا أكلوا ، انفرد بعض من كان يتعصّب لي بحراستي ، وأكل من لم يكن أكل منهم .

ثم أفضوا إلى الشراب ، فقال لهم مقبل : الآن قد أكلتم ، وترك هذا يؤدّي إلى قتلكم ، فدعوا الخلاف في أمره ، واقتلوه .

فوثب من يريد قتلي ، ووثب الغلام ، ومن معه ، للدفع عنّي ، وطال الكلام بينهم ، وأنا في الزاوية ، وقد اجتمع عليّ من يمنع من قتلي ، فصرت بينهم وبين الحائط ، إلى أن جرّد بعضهم السيوف على بعض .

فقال لهم رئيسهم : هذا الذي أنتم فيه يؤدّي إلى تلفكم ، وقد رأيت رأياً فلا تخالفوه .

فقالوا : إنّا بأمرك .

فقال : أغمدوا السلاح ، واصطلحوا ، ونشرب إلى وقت [٢٠٤ ر] نريد أن نخرج من هذه الدار ، ثم نكتّفه ، ونسدّ فاه ، وندعه في الدار ، وننصرف ،

---

٦ في القصّة ١٣٢/٥ من كتاب نشوار المحاضرة : إنّ مقبل اشترى لأصحابه بالدراهم الثلاثين خمسين رأساً ، وخبزاً كثيراً ، وجبناً ، وزيتوناً ، وكنت علّقت على القصّة في النشوار (ج ٥ ص ٢٥٦) أنّ ما اشتراه مقبل في تلك الأيّام بثلاثين درهماً ، ثمنه في السنة ١٩٧٢ ثلثمائة درهماً ، أي أنّ ثمنه زاد عشرة أضعـــاف .

فإنّه لا يتمكّن من الخروج وراءنا ، ولا الصياح علينا .

وإلى أن نصبح من غد ، نكون قد قطعنا مفازة ، ولا يجرح بعضكم بعضاً ، ولا تتفرّق [٢١١ م] كلمتكم .

فقالوا : هذا هو الصواب ، وجلسوا يشربون .

وجاء الغلام ليشرب معهم ، فقلت له : اللهَ ، اللهَ فيّ ، تمّم ما عملت من الجميل ، ولا تشرب معهم ، واحرسني ، لئلا يثب عليّ [٢١٢ غ] واحد منهم على غفلة ، فيضربني ضربة يكون فيها تلف نفسي ، ثم لا تتمكّن أنت من ردّها ، ولا ينفعني أن تقتل قاتلي .

فرحمني ، وقال : أفعل ، ثم قال لاستاذه : أحبّ أن تترك شربك الليلة ، فتفعل كما أفعل .

فجاءا جميعاً فجلسا قدّامي ، وأنا في الزاوية ، أتوقّع الموت ساعة بساعة ، إلى أن مضى من الليل قطعة .

وقام القوم فتحزّموا ، ولبسوا ثيابهم[٧] ، وخرجوا ، وبقي الغلام وأستاذه .

فقالا لي : يا فتى ، قد علمت أنّنا قد خلّصنا دمك ، فلا تكافئنا بقبيح ، وهوذا نخرج ، ولا نستحسن أن نكتّفك ، فاحذر أن تصيح .

فأخذت أقبّل أيديهما وأرجلهما ، وأقول : أنتما أحييتماني بعد الله تعالى ، فكيف أكافئكما بالقبيح ؟

فقالا : قم معنا ، فقمت ، ففتّشنا الدار ، حتى علمنا أنه لم يختبىء فيها أحد يريد قتلي .

ثم قالا لي : قد أمنتَ ، فإذا خرجنا فاستوثق من الباب ونم وراءه ، فليس يكون إلاّ خيراً ، وخرجا .

فاستوثقت من غلق الباب ، ثم جزعت جزعاً عظيماً ، ولم أشكّ أنّه يخرج عليّ

---

٧ في غ : ولبسوا سلاحهم .

من تحت الأرض منهم من يقتلني ، وزاد عليّ الفزع ، فأقبلت أمشي في الدار ، وأدعو ، وأسبّح ، إلى أن كدت أتلف إعياءً .

وأنست باستمرار الوقت على السلامة ، وحملتني عيني ، فنمت ، فلم أحسّ إلاّ بالشمس وحرارتها ، على وجهي ، من باب البيت .

فقمت ، وخرجت أمشي وأنا عريان بسراويلي ، إلى أن حصلت في الموضع الذي كنت أسكنه .

وما حدّثت أحداً بهذا الحديث مدّة ، لبقيّة الفزع الذي داخلني منهم في قلبي .

ثم بعد انقضاء سنة ، أو قريب منها ، كنت يوماً عند صاحب الشرطة بنصيبين ، لصداقة كانت بينه وبين أبي ، فما لبث أن حضر من عرّفه عثور الطوف[8] على جماعة من اللصوص ، بقرية سمّاها ، من قرى نصيبين ، وقبضه على سبعة نفر منهم ، وفوت الباقين ، فأمر بإحضارهم .

فوقع بصري منهم على ذلك الغلام الذي أجارني ذلك اليوم ، وعلى أستاذه ، ثم على مقبل .

فحين رأيتهم أخذتني رعدة تبيّنت فيّ ، وأخذ مقبل – من بينهم – مثل ما أخذني .

فقال لي صاحب الشرطة : ما لك ؟

فقلت : إنّ حديثي طويل ، ولعلّ الله تعالى ، أراد بحضوري هذا المجلس ، سعادة نفر ، وشقاوة نفر .

فقال : هات .

فأقتصصت عليه قصّتي مع القوم إلى آخرها ، فتعجّب ، وقال : هلّا شرحتها لي فيما قبل ، حتى كنت أطلبهم ، وأنتصف لك منهم .

---

٨ الطوف ، وجمعه أطواف : العسس ، أي الذين يطوفون بالليل يحرسون الناس .

فقلت : إنّ الفزع الذي كان في قلبي منهم ، لم يبسط لساني به .

فقال : من الذي كان معك من هؤلاء ؟

فقلت : هذا الغلام ، وأستاذه ، وواحد من الباقين ، فأمر بحلّ كتافهم ، وتمييزهم من بين أصحابهم .

ودعا بمقبل ، فقال له : ما حملك على ما فعلت بابن مولاك ؟

فقال : سوء الأصل ، وخبث العِرق .

فقال : لا جرم تقابل بفعلك ، وأمر به فضرب عنقه ، وأعناق أصحابه الباقين .

ودعا بالغلام ، وأستاذه ، وصاحبهما ، وقال لهما : لقد أحسنتما في فعلكما [٢١٢ م] ودفعكما عن هذا الفتى ، فالله يجزيكما عن فعلكما الخير ، فتوبا إلى الله من فعلكما ، وانصرفا في صحبة الله ، مع صاحبكما ، ولا تعودا إلى ما أنتما عليه من التلصّص ، فقد مننت عليكما لحسن صنيعكما بهذا الفتى ، فإن ظفرت [٢١٣ غ] بكما ثانياً ، ألحقتكما بأصحابكما .

فتابا وصاحبهما ، وشكروا له ، ودعوا ، وانصرفوا .

وشكرته أنا أيضاً على ما فعل ، وحمدت الله على توفيقي لقضاء حقّ من أجارني ، والانتقام ممن ظلمني .

ثم صار ذلك الغلام وأستاذه من أصدقائي ، وكانا يختلفان إليّ ، ويقولان : قد أقبلنا على حرفنا في السوق ، وتركنا التلصّص[٩] .

---

٩ وردت القصّة في نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للقاضي التنوخي برقم القصّة ١٣٢/٥ .

٣٦٦

الجناذيّة والبانوانيّة في الهند

وحكى أبو الحسن محمّد بن [عمر بن][١] شجاع ، المتكلّم البغدادي ، قال : رأيت بالهند قوماً يقال لهم : الجناذيّة[٢] ، يأكلون الميتة ، يتقذّرهم جميع أهل الهند ، وعندهم أنّهم إن لامسوهم تنجّسوا .

قال : فهم يمشون وفي أعناقهم طبول يطبّلون بها ، ليسمع أصواتها الناس ، فيتنحّون عن طريقهم ، فإن لم يتنحّ الرجل عند سماع الطبل ، فلا شيء على الجناذيّ ، وإن لم يضرب الجناذيّ الطبل ، حتى يلاصق جسده جسد غيره ، قتله الذي لصق جسده ، فلا يعدى عليه ، لأنّ هذا هو شرطهم وسنّتهم .

قال : ولا يشرب أحد ماء هؤلاء الجناذيّة ، ولا يأكلون من طعامهم ، ولا يخالطهم ، فهم ينزلون في ظاهر البلد ، منفردين ناحية ، وهم أرمى الناس ، ومعاشهم من الصيد[٣] .

وهناك قوم يقال لهم : البانوانيّة[٤] ، يجرون مجرى المستقفين[٥] هاهنا ، والسلطان يطلبهم كما يطلب اللصوص والعيّارين[٦] ، فإذا عرفهم ، وظفر بهم ، قتلهم .

---

١ الزيادة من ن .

٢ في نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة : الجبارية ، راجع القصّة ٩٥/٨ من كتاب نشوار المحاضرة للقاضي التنوخي .

٣ راجع كتاب نشوار المحاضرة ج ٨ ص ٢١٧ رقم القصّة ٩٥/٨ .

٤ في كتاب نشوار المحاضرة : البابوانية راجع ج ٨ ص ٢١٨–٢٢١ .

٥ المستقفي : اللّص الذي يتسلّل للماشي من خلفه ، فيخطف عمامته ، أو رداءه ، أو ما يحمله في يده ، ويهرب .

٦ العيّار : الشخص الذي لا يهتمّ بأمور عيشه ، وإنّما يعيش كيفما اتّفق ، لا يتقيّد بدين ، أو عرف ، وهو أشبه بمن يسمّونهم اليوم بالهيبيّين .

وهم يصطادون الناس ، ولا يعرفون غير ذلك .

والواحد منهم يتبع التجّار الذين يطرأون إليهم من المسلمين والذمّة[7] ، فإذا رأى الواحد منهم ، الواحد من التجّار في طريق خال ، قبض عليه ، فلا يمكن لأحد من الناس أن يخلّصه ، لعلمهم أنّه إذا استغاث أو نطق ، قتله الهندي ، وقتل نفسه في الحال ، لا يبالي بذلك ، لاعتقادهم المشهور في أمر القتل . ويراهم الناس قد أخذوا الرجل ، فلا يتعرّضون لتخليصه ، لئلاّ يقتله .

ويقول لهم الرجل المأخوذ : اللهَ ، اللهَ ، إن عارضتموه ، فلا يمكن لسلطان ، ولا غيره ، انتزاعه منهم في تلك الحال ، لئلّا يعجّل بقتله .

قال : فأخبر رجل بالهند ، أنّ رجلاً [٢٠٥ ر] من البانوانية قبض في طريق سفره ، على رجل لقيه من التجّار .

فقال له : اشتر نفسك منّي ، فتوافقا على أن يشتري نفسه منه بألف درهم .

فقال له التاجر : تعلم أنّي خرجت ولا شيء معي ، ومالي في البلد ، فتصير معي إلى داري فإنّها قريبة ، لأؤدّي لك ذلك .

فأجابه ، وقبض عليه بيده ، فلم يزل يمشي معه ، فاجتازا في طريقهما في سكّة منها ، فسلكا فيها .

فحين حصلا فيها ، فكّر التاجر في حيلة للخلاص ، وكان قد عرف مذهب أهل الهند في الجناذيّة ، فلم يزل يمشي معه حتى رأيا باباً مفتوحا من دور الجناذيّة ، فجذب يده جذبة شديدة من البانواني ، وسعى ، فدخل دار الجناذي .

فقال له : ما لك ؟

قال : أنا مستجير بك من يد بانواني قد صادني فهربت منه .

---

٧ الذمّة ، يريد بها : أهل الذمّة ، وهم الكتابيّون ، أي النصارى واليهود المقيمون في دار الإسلام ، سمّوا بذلك ، لأنّ لهم الذمّة ، أي الأمان والعهد والضمان بحماية أرواحهم ، وأموالهم ، وأعراضهم ، وحريّاتهم ، ومعاملتهم بالعدل .

فقال : لا بأس عليك فاجلس .

فصاح البانواني ، يا جناذي ، أخرج إليّ ، وهم لا يدخلون بيوت الجناذيّة أصلاً ، لاستقذارهم إيّاهم .

قال : فخرج ، فوقف ، وبينهما عرض الطريق [٢١٤ غ] لا يجوز أن يدنو أحد من صاحبه .

فقال البانواني : أعطني صاحبي .

فقال له الجناذي : قد استجار بي ، فتهبه لي .

قال : لا أفعل ، هذا رزقي ، وإن لم تعطنيه ، لم ندع من الجناذيّة واحداً إلاّ قتلناه .

فطال بينهما الكلام ، إلى أن قال له الجناذي : أسلمه إليك في الصحراء ، فامضِ واسبقني إلى الموضع الفلاني .

قال : فمضى البانواني ، ودخل الجناذي إلى الرجل ، فقال له : أخرج معي الساعة ، ولا بأس عليك ، وأخذ الجناذيّ قوسه وخمسة سهام[٨] ، قال : وسهامهم من قصب .

فعلق المسلم بكمّ الجناذيّ ، ولصق به ، علماً منه بأنّ البانواني لا يدنو منه .

فلمّا صاروا في الصحراء ، قال له الجناذيّ : تهبه لي ، وأجتهد به ، فلم يفعل .

قال : فإنّي لا أسلمه إليك ، حتى لا يبقى معي شيء من السلاح [٣٥ ن] .

قال : فشأنك ، ففوّق نحوه سهماً ، فحين أطلقه ، تلقّاه البانواني بحربيّ كان معه ، والحربيّ آلة من السلاح عندهم معروفة ، فاعترض السهم به ، فقطعه نصفين ، وسلم منه .

فتحيّر الجناذيّ ، فلم يزل يرميه بنشّابة بعد أخرى ، إلى أن ذهب النشّاب ،

٨ في ن : وخمسين نشّابة .

ولم يبق معه إلاّ اثنتان .

فضعفت نفس التاجر ، وأيقن بالهلاك ، وقال للجناذيّ : اللهَ ، اللهَ ، في دمي .

فقال له الجناذيّ : لا تخف ، سأريك من رمي ما يتحدّث به ، أنظر إلى هذا الطائر الذي يطير في السماء ، فإنّي أرميه ، فأصرعه على رأسك ، [ثم أرميك فلا أخطئك][9] .

قال : فرفع البانوانيّ رأسه ، ينظر إلى الطائر ، فرماه الجناذيّ ، فأصاب فؤاده ، فخرّ صريعاً ، ومات .

فقال للتاجر : ارجع الآن آمناً .

فرجع إلى داره ، فأقام عنده إلى أن اجتازت بهم صحبة[10] ، فمضى التاجر معها ، فوصل إلى مأمنه[11] .

---

٩ الزيادة من غ .

١٠ الصحبة : الملازمة والمرافقة والمعاشرة ، والصحبة هنا تعني الجماعة المتصاحبين ، ويقصد بها القافلة ، والموصليون الآن يسمّون القصّة الموجزة : صحبة ، فإذا أراد أحدهم أن يروي قصّة ، قال : استمعوا لي ، أروي لكم صحبة .

١١ لم ترد هذه القصّة في م ، ووردت في نشوار المحاضرة ٩٦/٨ .

٣٦٧

عصبت عيناه ومدّ عنقه

ورفع السيف على رأسه ثم نجا من القتل

حدّثني الحسن بن محمّد الحابى[١] ، قال : حدّثني أبو القاسم نصر المعروف بالمالى[٢] الذي كان يتقلّد السِكْرَ[٣] ببغداد في أيّام عضد الدولة وتاج الملّة رضي الله عنه[٤] .

قال القاضي أبو علي : وأنا أعرف هذا الرجل ، وهو باق إلى الآن ، وما اتّفق لي أن أسأله عن هذا الخبر .

قال : كان عضد الدولة رحمه الله ، وهو صبيّ بالغ ، صار من أصبهان إلى فارس ، استدعاه عمّه عماد الدولة عليّ بن بويه لينقل إليه ولاية عهده ، ويستخلفه عليها من بعده ، فسرت معه ، وأنا معه إذ ذاك أحجبه .

فلمّا صار بسمارم[٥] – منزل من الطريق – أمرني أن أصير إلى كركير والي سمارم من قبل أبيه ركن الدولة رحمه الله ، وأطالبه بأن ينفذ إلى حضرته اثني عشر رجلاً من الأكراد كانوا [٤٢ ن] محبسين في يد كركير ، وكان خبرهم قد بلغ عضد الدولة ، فأرادهم .

---

١ كذا وردت في الأصل بلا نقط ، ولعلها الجنائني .

٢ كذا وردت في الأصل بلا نقط ، ولعلّها : المايني ، نسبة إلى ماين ، بلد من بلاد فارس (اللباب ٣/٩٢) .

٣ السِكْر : وجمعه سكور ، السداد التي تقام في وجه الماء فتصدّه ، وما زالت هذه الكلمة مستعملة ببغداد وسقي دجلة والفرات ، راجع الطبري ٩/٣٢١ و ٣٢٤ .

٤ ترضّي المؤلّف على عضد الدولة يعني أنّه دَوَّنَ هذه القصّة بعد السنة ٣٧٢ سنة وفاة عضد الدولة ، راجع تعليقنا على القصّة ٢١٦ من هذا الكتاب .

٥ سمارم ، أو سميرم : بلدة بين أصبهان وشيراز ، في نصف الطريق ، وهي آخر حدود أصبهان (معجم البلدان ٣/١٥١) .

فامتنع كركير من إنفاذهم ، وقال : هؤلاء قطّاع الطريق ، قد قطعوا وقتلوا ، ولا أسلمهم إلاّ بأمر يرد عليّ من ركن الدولة ، فجئت إليه وعرّفته .

فقال لي : عذ إليه وقل له : إذا كانوا قد قتلوا فأنا أحقّ بقتلهم ، فأنفذهم إليّ لأقتلهم .

فمضيت ، فأقام الرجل على الامتناع من تسليمهم ، فعدت إلى عضد الدولة فأخبرته .

فاغتاظ من ذلك وأمرني أن أكسر الحبس وأجيئه بالأكراد ، فامتثلت [أمره] ، وأحضرتهم المضرب ، وأعلمته .

فأمرني أن أمضي أنا وحاجب آخر من حجّابه – سمّاه – لنقتلهم .

فحملناهم إلى موضع ، وأمرنا ، فقتل منهم ثلاثة .

وقدّم الرابع فرماه ذلك الحاجب بخشت[6] كان في يده ، فنبا عنه ، ولم يعمل فيه ، فتقدّم بشدّ عينيه ، وضرب رقبته بالسيف ، فشددت عينيه بمنديل خاز[7] حضرهم في الحال .

فلمّا رفع السيّاف يده ليحطّها على المضرب ، استرخى المنديل فوقع على المضرب فغطّاه .

فقال السيّاف : ارفعوا المنديل .

فأومأت بطرف عصا كانت في يدي – على رسم الحجّاب – لأزيل المنديل فيتمكّن السيّاف من الضربة ، فإذا رسول عضد الدولة يسعى ويقول : لا تقتلوا القوم .

فتوقّفنا ، ومضيت إلى حضرته ، وعرّفته صورة من قتل ومن بقي ، وما اتّفق

---

٦ الخشت : النبلة التي تستعمل في الحرب (المعجم الذهبي) ، راجع حكاية أبي القاسم البغداديّ ص ٧٣ سطر ٢٥ .

٧ خاز : نوع من القماش الكتّان ، فارسية (المعجم الذهبي) .

في أمر الرجل ، فتعجّب من أمره .

وأمر به ، فأحضرته إليه ، وكشف عن موضع الخشت حتى رآه ، وكان في كتفه ، فإذا هو قد انتفخ واخضرّ ، ولم يدخل في لحمه ، فازداد تعجّبه ، وأمر بإطلاقه ، وأن يخلع عليه وعلى الجماعة ، ففعل ذلك بهم[٨] .

٨ انفردت بها ن .

٣٦٨

عبّاد المؤنّث يربح الرهان ويحيي نفساً ميّتة

حدّثني عثمان بن محمّد السلمي[١] ، المعروف بأبي القاسم الأصفر ، غلام أبي الحسن بن عبد السلام الهاشمي البصري ، قال :

كان عندنا بالمربد ، رجل [من خَوَل محمّد بن سليمان الهاشمي][٢] ، يدعى بعبّاد ، وكان مؤنّثاً[٣] ، وكان يحمل السلاح .

فاجتمع يوماً مع قوم من الخول[٤] على شراب لهم ، فتجاذبوا حديث الشجاعة ، فعابوه بما فيه من التأنيث ، فخاطرهم[٥] في شيء يعمله ، مما يفرضون عليه ، يبيّن به عن شجاعته .

فقالوا له : تخرج الساعة ، بغير سلاح ، إلى صهاريج الحجّاج ، فتدخل منها في الصهريج الفلاني ، وتسمّر في أرضه هذا الوتد ، وتعود .

قال القاضي أبو علي ، مؤلّف هذا الكتاب : وهذه الصهاريج على أكثر من فرسخ من البصرة ، في البريّة ، وقد شاهدتها ، وهي موحشة المكان ، خالية ، يجتمع فيها الماء ، كان الحجّاج قد عملها مادة لشرب أهل الموسم والقوافل ، ومن يرد من المسافرين .

نرجع إلى الخبر .

قال : فأخبرني عبّاد ، قال : خرجت ، وليس معي إلاّ وتد ومطرقة ، حتى بلغت الصهريج [٢٠٦ ر] الذي خاطرت عليه ، وكان أعظمها ، وأوحشها .

١ في ن : الأسلمي .

٢ ساقطة من غ .

٣ المؤنّث : يقال للرجل مؤنثاً ، إذا شابه المرأة في لينه وتكسّر أعضائه .

٤ في غ : مع قوم من أصحابه ، والخَوَل : المماليك والأتباع .

٥ المخاطرة : المراهنة .

فدخلته ، وكان جافًّا ، وجلست فضربت الوتد بالمطرقة في أرضه ، فطنّ الصهريج ، وسمعت صلصلة شديدة ، وصوت [٢١٥ غ] سلسلة .

فقطعت الدقّ ، فانقطع الصوت ، وأعدت الدقّ ، فعاد الصوت ، وظهرت حركة معه ، وأنا ثابت القلب ، أتأمّل ، [ولا أرى شيئاً من الظلمة .

إلى أن أحسست بالحركة والصوت قد قربا منّي ، فتأمّلت ،][٦] فإذا بشخص لطيف ، لا يشبه قدر خلقة الإنسان ، فاستوحشت .

وثبّتُّ نفسي ، وأنا أدقّ ، والشخص يقرب منّي ، حتى وثبت ، وألقيت نفسي عليه ، واستوثقت منه .

فإذا هو قرد في عنقه سلسلة ، فظننت أنّه قد أفلت من قرّاد ، أو من قافلة فسحبته[٧] ، فلان في يدي ، وأنس بي ، فأخذته على يديّ وساعدي ، وجئت أريد باب الصهريج .

فلمّا بلغته سمعت كلاماً ، فخشيت أن يكون بعض من يطلبني في العصبيّة هناك ، فوقفت أستمع .

فإذا كلام امرأة مع رجل ، وهي تقول له : يا فلان ، ويحك ، [أتقتلني ؟ أتذبحني ؟ أتبلغ بي الموت ؟][٦] اتّق الله فيّ .

وهو يقول : الذنب كلّه لك ، وأنت أذنت لهم في أن يزوّجوك ، ولو أَبَيْتِ ، ما قدر أبوك أن يزوّجك ، وإنّما فعلته مللاً بي ، وأنا تالف ، وأنت تتنعّمين ، والله لأذبحنّك ، أستكتني يا ابنة الفاعلة الصانعة[٨] .

قال : فنظرت ، فإذا ظهره إلى باب الصهريج ، فصحتُ عليه صيحة عظيمة ،

---

٦ ساقطة من غ .

٧ في غ : فسحته وآنسته .

٨ في غ : إستكتني يا فاعلة .

وضربت قفاه بالقرد ، ففزع القرد على نفسه ، فقبض [٢١٣ م] على عنق الرجل ، وتمكّن من ظهره :

فورد على الرجل ما حيّره ، وأفزعه ، وذهب بعقله ، فخرّ مغشياً عليه ، ووقع السيف من يده ، فأخذته ، ورأيت الجحفة مطروحة ، فأخذتها .

وقصدت الرجل ، فثاب إليه عقله ، ورمى بالقرد عن ظهره ، وسعى هارباً .

فقصدت المرأة ، وحللت كتافها ، وقلت لها : ما قصّتك ؟

قالت : أنا بنت فلان ، وذكرت رجلاً من أهل المربد ، وهذا ابن عمّي ، وكان يعشقني ، فخطبني من أبي ، فامتنع من تزويجه بي ، وزوّجني من رجل غريب ، ودخل بي من شهور .

فلمّا كان أمس ، خرجت أنا وجماعة من نساء الجيران ، ننظر إلى الصحراء ، وقت العصر .

وبلغه خبرنا ، فكبسنا بالصحراء ، ومعه عدّة رجال بالسلاح ، فأخذ كلّ رجل امرأة ، وانفرد بها ، وحملني هذا ، إلى هذا الصهريج ، ففجر بي طول الليل ، فلمّا كان الآن عزم على قتلي ، فأغاثني الله بك ، وما أعرف للنسوة الباقيات خبراً .

فقلت : إمشي ، لا بأس عليك .

فمشت بين يديّ إلى أن دخلت البصرة ، فدققت باب والدها .

فقال : من بالباب ؟

فكلّمته ، ففتح لها ، فدخلت الدار .

وعدت إلى أصحابي ، فحدّثتهم بالحديث ، [وأريتهم القرد ، وخرجنا من الغد ، فرأوا الوتد ، وجئت بهم إلى باب دار المرأة ، فأريتهم إيّاه][٩] ، وأخذت خطري .

---

٩ الزيادة من غ .

محتويات الكتاب

كتاب

الفرج بعد الشدة

تأليف

القاضي أبي علي المحسن بن علي التنوخي

المتوفى سنة ٣٨٤ ﻫ

تحقيق

عبود الشالجي

الجزء الرابع

دار صادر

بيروت

١٣٩٨هـ ــــ ١٩٧٨م

الفرج بعد الشدة

٤

٣٦٩

إسحاق المصعبيّ

تحرّكه رقاع أصحاب الأرباع ببغداد

[حدّثني عبد الله بن محمّد بن داسه البصري رحمه الله ، قال : حدّثني أبو يحيي بن مكرم ، القاضي البغدادي ، قال : حدّثني أبي ، قال :][1] .

كان في جواري ، رجل يعرف بأبي عبيدة ، حسن الأدب ، كثير الرواية للأخبار ، وكان قديماً ينادم إسحاق بن إبراهيم المصعبي ، فحدّثني : أنّ إسحاق استدعاه ذات ليلة ، في نصف الليل .

قال : فهالني ذلك ، وأفزعني ، لما كنت أعرفه منه ، من زعارة الأخلاق[2] ، وشدّة الإسراع إلى القتل ، وخفت أن يكون قد نقم عليّ شيئاً في العشرة ، أو بلّغ عنّي باطلاً ، فأحفظه[3] ، فيسرع إلى قتلي ، قبل كشف حالي .

فخرجت طائر العقل ، حتى أتيت داره ، فأدخلت إلى بعض دور الحرم ، فاشتدّ جزعي ، وذهب عليّ أمري .

فانتهي بي إليه ، وهو في حجرة لطيفة [٢١٦ غ] ، فسمعت في دهليزها بكاء امرأة ونحيبها ، ودخلت ، فإذا هو جالس على كرسي ، وبيده سيف مسلول ، وهو مطرق ، فأيقنت بالقتل .

فسلّمت ، ووقفت ، فرفع رأسه وقال : اجلس أبا عبيدة ، فسكن روعي ، وجلست .

فرمى إليّ رقاعاً كانت بين يديه ، وقال : اقرأ هذه

---

١ الزيادة من ن .

٢ الزعارة : شراسة الأخلاق .

٣ الحفيظة : الغضب .

فقرأت جميعها ، فإذا رقاع أصحاب الشرط في الأرباع [4] ، يخبره كلّ واحد منهم بخبر يومه ، وما جرى في عمله [٣٦ ن] ، وفي [٢٠٧ ر] جميعها ذكر كبسات وقعت على نساء وجدن على فساد ، من بنات الوزراء ، والأمراء ، والأجلّاء ، الذين بادوا ، أو ذهبت مراتبهم ، ويستأذنون في أمرهنّ .

فقلت : قد وقفت على هذه الرقاع ، فما يأمرني به الأمير أعزّه الله ؟

فقال : ويحك يا أبا عبيدة ، هؤلاء الناس الذين ورد ذكر حال بناتهم ، كلّهم كانوا أجلّ منّي ، أو مثلي ، وقد أفضى بهم الدهر في حرمهم إلى ما قد سمعت ، وقد وقع لي أنّ بناتي بعدي ، سيبلغن هذا المبلغ ، وقد جمعتهنّ – وهنّ خمس – في هذه الحجرة ، لأقتلهنّ الساعة ، وأستريح ، ثم أدركتني رقّة البشريّة ، والخوف من الله تعالى ، فأردت أن أشاورك في [٢١٤ م] إمضاء الرأي ، أو شيء تشير به عليّ فيهنّ .

فقلت : أصلح الله الأمير ، إنّ آباء هؤلاء النساء اللواتي قرأت رقاع أصحاب الأخبار بما جرى عليهنّ ، أخطأوا في تدبيرهنّ ، لأنّهم خلّفوا عليهنّ النعم ، ولم يحفظوهنّ بالأزواج ، فخلون بأنفسهنّ ، ونعمهنّ ، ففسدن ، ولو كانوا جعلوهنّ في أعناق الأكفاء ، ما جرى منهنّ هذا .

والذي أرى أن تستدعي فلاناً القائد ، فله خمسة بنين ، كلّهم جميل

---

٤ أصحاب الأرباع : من رجال الشرطة ، وكانت البلد تقسم أرباعاً ، ويعيّن لكلّ ربع صاحب ، ثمّ يقسم كلّ ربع إلى أرباع ، ويعيّن لكلّ جزء من يناط به ، ويقدّم هؤلاء الأخبار إلى صاحب الربع ، ويقدمه أصحاب الأرباع الأربعة إلى عامل البلد ، فيطّلع على جميع أخبار البلد ، وكانت قسمة الأرباع ببغداد كما يلي : الربع الأوّل : من حدّ المخرّم (مدينة الطب الآن) ، إلى الطرف الأعلى ، من الجانب الشرقي ، الربع الثاني : من حدّ المخرّم إلى اسفل من الجانب الشرقي ، الربع الثالث : مدينة أبي جعفر المنصور ، وما يتّصل بها إلى أعلى من الجانب الغربي ، الربع الرابع : الشرقيّة ، إلى طرف الجانب الغربي الأسفل (تجارب الأمم ٣٩٩/٢ و ٤٠٠) .

الوجه ، حسن اللبس والنشوة[5] ، فتزوّج كلّ واحدة من بناتك ، واحداً منهم ، فتكفى العار والنار ، وتكون قد أخذت بأمر الله عزّ وجلّ ، والحزم ، ويراك الله تعالى قد أردت طاعته في حفظهنّ ، فيحفظك فيهنّ .

فقال : امض الساعة إليه ، [فقرر معه ما يكون لنا فيه المصلحة][6] ، وافرغ لي معه من هذا الأمر .

قال : فمضيت إلى الرجل ، وقررت الأمر معه ، وأخذت الفتيان ، وأباهم ، وجئت إلى دار إسحاق بن إبراهيم ، [وعقدت النكاح لهم ، على بنات إسحاق ، في خطبة واحدة][7] ، وجعل إسحاق بين يدي كلّ واحد منهم ، خمسة آلاف دينار عيناً ، وشيئاً كثيراً من الطيب ، والثياب ، وحمل كلاً منهم على فرس بمركب ذهب ، وأعطاني كلّ واحد من الأزواج مالاً مما دفع إليه ، وأمر لي إسحاق بخمسمائة دينار ، وخلعة ، وطيب .

وأنفذ إليّ أمّهات البنات هدايا وأموالاً جليلة ، وشكرنني على تخليص بناتهنّ من القتل ، وانقلبت تلك الغمّة فرحاً .

فعدت إلى داري ، ومعي ما قيمته ثلاثة آلاف دينار وأكثر .

٥ النشوة : النشأة ، قلب البغداديّون همزتها واواً على طريقتهم في قلب الهمزة إذا كانت في وسط الكلمة واواً أو ياء ، وحذفها إذا كانت في آخر الكلمة ، راجع حاشية القصّة ١٦٧ من هذا الكتاب .

٦ الزيادة من غ .

٧ في غ : فما طلع الفجر حتى عقدت للخمسة على الخمس بنات في خطبة واحدة .

٣٧٠
ما خاب من استشار

[وحكى محمّد بن عبدوس الجهشياري، في كتاب الوزراء][١] : أنّ المنصور لمّا حجّ[٢]، بعد تقليد المهدي العهد، وتقديمه فيه على عيسى بن موسى[٣]، دفع عمّه عبد الله بن علي، إلى عيسى بن موسى[٤]، ليعتقله، وأمره سرًّا بقتله، وكان يونس بن أبي فروة يكتب لعيسى بن موسى.

فعزم عيسى على قتل عبد الله بن علي، ثم تعقّب الرأي، فدعا بيونس، فخبّره بالخبر، وشاوره.

فقال له يونس : نشدتك الله أن لا تفعل، فإنّه يريد أن [٢١٧ غ] يقتله بك، ويقتلك به، لأنّه أمرك بقتله سرًّا، ويجحدك ذلك في العلانية، ولكن استره حيث لا يطلع عليه أحد، فإن طلبه منك علانية، دفعته إليه، وإيّاك أن تردّه إليه سرًّا أبداً، بعد أن قد ظهر حصوله في يدك علانية، ففعل عيسى ذلك

وانصرف المنصور من حجّه، وعنده أنّ عيسى قد قتل عبد الله، فدسّ إلى عمومته، من يشير عليهم بمسألته في أخيهم عبد الله، فجاءوه يسألونه ذلك، فدعا بعيسى بن موسى، وسأله عنه بحضرتهم.

فدنا منه عيسى بن موسى، وقال له، فيما بينه وبينه : ألم تأمرني بقتله ؟

---

١ الزيادة من ر، وغ.

٢ حجّ المنصور سنة ١٤٧ (العيون والحدائق ٢٥٧/٣).

٣ في العيون والحدائق ٢٥٧/٣ : أنّ المنصور لما أسلم عمّه عبد الله، إلى عيسى بن موسى، قال له. أنت تعلم أنّ الخلافة صائرة إليك، وأنّ عمّي عبد الله أراد أن يزيل النعمة عنّي وعنك، وطلب منه أن يقتله، وهذا يعني أنّ حجّ المنصور كان قبل عزل عيسى عن ولاية العهد، وأنا أميل إلى ترجيح هذا الرأي، لأنّه إذا كان المنصور قد عزل عيسى عن ولاية العهد، فلا محلّ لقوله أنّ الخلافة صائرة إليه.

٤ أبو موسى عيسى بن موسى بن محمّد العبّاسي : ترجمته في حاشية القصّة ١٥٦ من الكتاب.

قال : معاذ الله ، ما أمرتك بذلك ، كذبتَ .

ثم أقبل على عمومته ، فقال : هذا قد أقرّ بقتل عبد الله ، وادّعى عليّ أنّي أمرته بذلك ، وقد كذب ، فشأنكم به .

قال : فوثبوا عليه ليقتلوه ، فلمّا رأى صورة أمره ، صَدَقَ أبا جعفر ، وأحضر عبد الله ، فسلّمه إليه بمحضر من الجماعة .

فكان عيسى يشكر ليونس بن أبي فروة ذلك ، مدّة عمره [٥]

٥ وردت هذه القصّة في العيون والحدائق ٣/٢٥٧ ، وفي الطبري ٨/٨ وفي ابن الأثير ٥/٥٨١ ، وقد اتّفقت جميعها على أنّ اسم الكاتب : يونس بن فروة ، وأنّه كان يكتب للأمير عيسى بن موسى ، والظاهر أنّ نصيحته التي حفظت للأمير عيسى حياته ، أثارت حفيظة المهدي وأولاده عليه ، فاتّهم بالزندقة ، تلك التهمة التي كانت تنصبّ على كلٍّ من أثار حفيظة الحاكمين ، فاستتر ، وظل مستتراً إلى أيام الرشيد (الطبري ٨/٢٣٤ وابن الأثير ٦/١٠٨) .

٣٧١

منصور بن زياد يجحد نعمة يحيى البرمكي

[وذكر في هذا الكتاب][١] : دعا الرشيد صالحاً صاحب المصلّى[٢] ، حين تنكّر للبرامكة ، فقال له : اخرج إلى منصور بن زياد[٣] ، فقل له : قد صحّت عليك عشرة آلاف ألف درهم ، فاحملها إلينا في هذا اليوم ، وانطلق معه ، فإذا دفعها إليك كاملة [٢١٥ م] قبل مغيب الشمس ، وإلّا فاحمل رأسه إليّ ، وإيّاك ومراجعتي في شيء من أمره .

قال صالح : فخرجت إلى منصور بن زياد ، وعرّفته الخبر .

فقال : إنّا لله وإنّا إليه راجعون ، ذَهَبَتْ - والله - نفسي ، ثم حلف أنّه لا يعرف موضع ثلثمائة ألف درهم ، فكيف عشرة آلاف ألف درهم .

فقال له صالح : فخذ في عملك .

فقال له : امض بي إلى منزلي ، حتى أوصي ، فمضى معه ، فما هو إلّا أن دخل منزله ، حتى ارتفع الصياح من منازله وحجر نسائه ، فأوصى ، وخرج وما فيه دم .

فقال لصالح : امض بنا إلى أبي علي يحيى بن خالد ، لعلّ الله أن يأتينا بفرج من عنده ، فمضى معه إلى يحيى وهو يبكي .

فقال له : ما وراءك ؟

فقصّ عليه القصّة ، فقلق يحيى لأمره ، وأطرق مفكّراً ، ثم دعا بخازنه ،

---

١ الزيادة من ن .

٢ صالح صاحب المصلّى : ترجمته في حاشية القصّة ٢٦ من هذا الكتاب .

٣ منصور بن زياد : كان يكتب للوزير يحيى بن خالد البرمكي (الطبري ٢٥٦/٨) وكان محلّ ثقة البرامكة في جميع أمورهم ، لقديم صحبته لهم ، وحرمته بهم ، واستخلفه الفضل البرمكي بباب الرشيد لمّا شخص لمحاربة يحيى بن عبد الله العلوي الثائر بالديلم (الطبري ٢٤٢/٨) .

فقال له : كم عندك من المال ؟

قال : خمسة آلاف ألف درهم .

فقال له : أحضرنيها ، فأحضرها .

ثم وجّه إلى الفضل ابنه ، يقول له : إنّك أعلمتني – فداك أبوك – أنّ عندك ألفي ألف درهم ، تريد أن تشتري بها ضيعة ، وقد وجدت لك ضيعة يبقى لك ذكرها ، وتحمد ثمرتها ، فوجه إليّ بالمال ، فوجّه به .

ثم قال للرسول : امض إلى جعفر ، وقل له : ابعث – فداك أبوك – إليّ ألف ألف درهم ، لحقٍّ لزمني ، فوجّه بها .

ثم قال لصالح : هذه ثمانية آلاف درهم ، ثم أطرق إطراقةً ، لأنه لم يكن عنده شيء .

ثم رفع رأسه إلى خادم له ، فقال : امض إلى دنانير [4] ، فقل لها : وجّهي إليّ بالعقد الذي كان أمير المؤمنين وهبه لك .

قال : فجاء به فإذا بعقد في عظم الذراع ، فقال لصالح : اشتريت هذا لأمير المؤمنين بمائة وعشرين ألف دينار ، فوهبه لدنانير ، وقد حسبته بألفي ألف درهم ، وهذا تمام حقّك ، فانصرف ، وخلّ عن صاحبنا ، فلا سبيل لك عليه .

قال صالح : فأخذت ذلك ، ورددت منصوراً معي ، فلمّا صرت بالباب ، أنشأ منصور يقول متمثّلاً :

ومـا بقيا عـليّ تركـتماني ولكـن خفتما صَرَدَ [5] النبـال

فقال صالح : ما على وجه الأرض أنبل من هذا الذي خرجنا من عنده ،

---

٤ دنانير : جارية البرامكة ، نبغت في بيت الوزير يحيى البرمكي ، وكان الرشيد معجباً بها ، ولمّا نكب البرامكة ، أرادها الرشيد على الغناء له ، فأبت ، فأمر بصفعها ، ثم أطلقها ، وخطبت للزواج ، فأبت ، ولزمت حالها إلى أن توفّيت (الأعلام ٣/٢١) .

٥ صرد الرامي السهم : أنفذه .

ولا سمعت بمثله فيما مضى من الدهر ، ولا على وجه الأرض أخبث سريرة ، ولا أكفر لنعمة ، ولا أدنأ طبعاً من هذا النبطيّ الذي لا يشكر من أعطاه ، ووزن عنه هذا المال العظيم .

قال : وصرت إلى الرشيد ، وقصصت عليه القصّة [٣٧ ن] ، وطويت عنه ما تمثّل به منصور ، خوفاً أن يقتله إذا سمع ذلك .

فقال الرشيد : قد علمت أنّه إن نجا فإنّما ينجو بأهل هذا البيت ، أطلق الرجل ، واقبض المال ، واردد العقد ، فإنّي لم أكن أهب هبة ، وترجع إلى مالي .

قال صالح : فلم أطب نفساً إلاّ بتعريف يحيى ما قاله منصور ، فرجعت إليه وأطنبت في شكره ، ووصف ما كان منه .

وقلت له : ولكنّك أنعمت على غير شاكر ، قابل أكرم فعل ، بألأم قول .

قال : فأخبرته بما كان ، فجعل – والله – يطلب له المعاذير ، ويقول : يا أبا عليّ إنّ المنخوب القلب ، ربما سبقه لسانه ، بما ليس في ضميره . وقد كان الرجل في حال عظيمة .

فقلت : والله ، ما أدري من أيّ أمريك أعجب ، من أوّله ، أو من آخره ، ولكنني أعلم أنّ الدهر لا يخلف مثلك أبداً [٦] .

---

٦ هذه القصّة لا توجد في ر ، ولا في غ ، وقد وردت في كتاب المستجاد من فعلات الأجواد للقاضي التنوخي مؤلف هذا الكتاب .

٣٧٢

درس في المروءة والكرم

قال محمّد بن عبدوس في كتابه الوزراء : حدّثني محمّد بن عبد الله بن الوليد ، قال : حدّثني [1] عليّ بن [٢١٦ م] عيسى القمّي [2] ، وكان ضامناً لأعمال الخراج والضياع ببلده [3] ، فبقيت عليه أربعون ألف دينار .

وألحّ المأمون في مطالبته ، حتى قال لعليّ بن صالح ، حاجبه [4] : طالبه بالمال ، وأنظره ثلاثة أيّام ، فإن أحضر المال قبل انقضائها ، وإلاّ فاضربه بالسياط ، حتى يؤدّيها أو يتلف .

وكانت بين عليّ بن عيسى وغسّان بن عبّاد عداوة ، فانصرف علي بن عيسى من دار المأمون آيساً من نفسه ، لا يقدر على شيء من المال .

فقال له كاتبه : لو عرّجت على غسّان [5] ، وأخبرته بخبرك ، لرجوت أن

---

١ الزيادة من ن .

٢ علي بن عيسى القمي : من رجال الدولة العبّاسيّة ، أناط به الحسن بن سهل ، أمر خراج العراق (العيون والحدائق ٣٤٤/٣) ، ولمّا خرج جعفر بن داود القمي ، بقم ، في السنة ٢١٧ خرج علي لمحاربته ، فأسره ، وبعث به إلى أبي اسحاق بن الرشيد (المعتصم) فضرب عنقه (ابن الأثير ٤٢٠/٦ ، ٤٢٢ والطبري ٦٣٠/٨) .

٣ أي بمدينة قم .

٤ علي بن صالح صاحب المصلّى : خدم المهدي (الطبري ١٧٢/٨) وحجب الهادي (الطبري ٢١٥/٨) وولي ديوان الرسائل والتوقيعات للأمين (الطبري ٣٨٧/٨ وابن الأثير ٢٣٥/٦ وخلاصة الذهب المسبوك ١٧٤) ثمّ تولى حجابة المأمون (الطبري ٦٥٦/٨ والعيون والحدائق ٣٧٩/٣ وخلاصة الذهب المسبوك ١٩١) وكان رزقه على حجابة المأمون ثلاثمائة ألف درهم في السنة (الهفوات النادرة ص ٢٨٧ رقم القصّة ٢٨١) .

٥ غسّان بن عباد بن أبي الفرج : من رجال المأمون ، وهو ابن عمّ الفضل بن سهل ، ولّاه الحسن بن سهل خراسان ، وولّاه المأمون السند ، إقرأ في لباب الآداب ١١٥ وفي كتاب المستجاد من فعلات الأجواد ١٥٦–١٥٨ قصّة عن غسان تدلّ على نجدة وشهامة ، وخلق كريم

يعينك على أمرك [٢٠٨ ر] .

[فقال : على ما بيني وبينه ؟

قال : نعم ، فإنّ الرجل أريحيّ كريم][٦] .

قال : فحملته حاله على قبول ذلك ، فدخل إلى غسّان ، فقام إليه ، وتلقّاه بجميل ، ووفّاه حقّه .

[فقال له : إنّ الحال الذي بيني وبينك ، لا يوجب ما أبديته من تكرمتي .

فقال : ذاك حيث تقع المنافسة عليه والمضايقة فيه ، والذي بيني وبينك بحاله ، ولدخول داري حرمة توجب لك عليّ بلوغ ما ترجوه ، فإن كانت لك حاجة فاذكرها][٦] ، فقصّ كاتبه عليه قصّته .

فقال غسّان : أرجو أن يكفيه الله تعالى [ولم يزد على هذا شيئاً][٧] .

فمضى علي بن عيسى ، آيساً من نفسه ، كاسف البال ، نادماً على قصده ، وقال لكاتبه لمّا انصرف : ما أفدتني بقصد غسّان إلاّ تعجّل المهانة والذلّ .

وتشاغل في طريقه بلقاء بعض إخوانه ، وعاد إلى داره ، فوجد على بابه بغالاً عليها أربعون ألف دينار ، مع رسول غسّان بن عبّاد ، فأبلغه سلامه ، وعرّفه غمّه بما دفع إليه ، وسلّم إليه المال ، وتقدّم إليه بحضور دار المأمون من غد ذلك اليوم .

فبكّر علي بن عيسى ، [فوجد غسّان بن عبّاد قد سبقه إليها][٧] ، فلمّا وصل الناس إلى المأمون ، مثل غسان بن عبّاد بين الصفّين ، وقال : يا أمير المؤمنين إنّ لعليّ بن عيسى حرمة وخدمة ، وسالف أصل ، ولأمير المؤمنين عليه سالف إحسان ، وقد لحقه من الخسران في ضمانه ما قد تعارفه الناس ، وقد جرى عليه من حدّة المطالبة ، وشدّتها ، والوعيد بضرب السياط إلى أن يتلف ، ما حيّره ، وقطعه

---

٦ الزيادة من ر ، وغ .

٧ الزيادة من غ .

[٢١٨ غ] عن الاحتيال فيما عليه من المال ، فإن رأى أمير المؤمنين ، أن يجريني على حسن عادته في كرمه ، ويشفّعني في بعض ما عليه ، ويضعه عنه ، فعل .

قال : فلم يزل به بهذا ونحوه ، حتى حطّه النصف ، واقتصر منه على عشرين ألف دينار .

قال غسّان : إن رأى أمير المؤمنين أن يجدّد عليه الضمان ، ويشرّفه بخلع .

فأجابه المأمون إلى ذلك .

قال : فيأذن أمير المؤمنين ، أن أحمل الدواة إليه ، ليوقّع بذلك ، ويبقى شرف حملها عليّ وعلى عقبي .

قال : افعل .

ففعل ، وخرج علي بن عيسى ، والتوقيع معه بذلك ، وعليه الخلع .

فلمّا وصل إلى منزله ، ردّ العشرين ألف دينار ، إلى غسّان ، وشكره .

فردّها غسّان ، وقال : إنّي لم أستحطّها لنفسي ، وإنّما أحببت توفيرها عليك ، واستحططتها لك ، وليس – والله – يعود شيء من المال إلى ملكي [أبداً .

وعرف عليّ بن عيسى ، ما فعله معه غسّان ، فلم يزل يخدمه إلى آخر العمر .][8]

---

٨ الزيادة من غ ، وقد وردت القصّة في كتاب المستجاد من فعلات الأجواد للقاضي التنوخي مؤلّف هذا الكتاب (المستجاد ص ١٥٦–١٥٩) ، ووردت كذلك في كتاب لباب الآداب لأسامة بن منقذ ص ١١٥–١١٧ .

٣٧٣
القدرة تذهب الحفيظة

[وجدت في بعض كتبي بغير إسناد] [١] .

حضر الشعبي [٢] ، عند مصعب بن الزبير [٣] ، وهو أمير الكوفة ، وقد أتي بقوم ، فأمر بضرب أعناقهم ، فأخذوا ليقتلوا .

فقال له الشعبي : أيّها الأمير ، إنّ أوّل من اتّخذ السجن كان حكيماً ، وأنت على العقوبة ، اقدر منك على نزعها [٤] .

فأمر مصعب بحبس القوم ، ثم نظر في أمرهم بعد ، فوجدهم براء [٥] ، فأطلقهم [٦] .

---

١ الزيادة من ن .

٢ أبو عمرو عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار الحميري (١٩-١٠٣) : ترجمته في حاشية القصّة ٩٣ من هذا الكتاب .

٣ أبو عبد الله مصعب بن الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي القرشي (٢٦-٧١) : أحد كبار الولاة في الإسلام ، كان العضد الأقوى لأخيه عبد الله بن الزبير في تثبيت ملكه بالحجاز والعراق ، ضبط له العراق ، وقتل المختار بن أبي عبيد الثقفي ، ثم حاربه عبد الملك ، وقتله بمسكن (الاعلام ١٤٩/٨) أقول : مسكن ، موضع قريب من أوانا ، على نهر دجيل ، عند دير الجاثليق (معجم البلدان ٥٢٩/٤) وآثار مسكن ما تزال ماثلة ، ويسمّيها أهل المنطقة : خرائب مسكين ، وتبعد ثلاثة كيلومترات جنوبي قرية سميكة ، وقبر مصعب ما زالت عليه قبّة ، وقد حرّف اسمه ، فصار : الامام منصور (الديارات للشابشتي ، تحقيق كوركيس عواد ٣٥٠ و ٣٥١) ، أقول : لعلّ تقليد زيارة قبر المصعب ، بدأ في السنة ٤٢٥ (المنتظم ٧٨/٨) وكان عبد الملك بن مروان ، يشهد لمصعب بكمال المروءة (القصّة ١٠/٧ من نشوار المحاضرة) .

٤ كذا في الأصل .

٥ البريء ، جمعه بريئون ، وأبراء ، وأبرياء ، وبراء ، وبرءاء .

٦ لا توجد في ر ، ولا في غ ، وقد وردت في كتاب إعتاب الكتّاب ص ١٢٠ و ١٢١ .

٣٧٤
ما صحب السلطان أخبث
من عمر بن فرج الرخّجي

[قال محمّد بن عبدوس في كتاب الوزراء][١] ، حكي عن أبي عبد الله أحمد ابن أبي دؤاد ، أنّه قال :

ما صحب السلطان أرجل[٢] ، ولا أخبث[٣] من عمر بن فرج الرخّجي[٤] ، غضب عليه المعتصم يوماً [٢١٧ م] وهمّ بقتله ، وأمر بإحضاره ، فجاءوا به وقد نزف دمه .

فقال المعتصم : السيف ، يا غلام ، فجعلت ركبتا عمر تصطكّان .

فقلت : إن رأى أمير المؤمنين أن يسأله عن ذنبه ، فلعلّه أن يخرج منه بعذر .

فقال له : يا ابن الفاعلة ، أمرتك في ولد أبي طالب أن تتعرّف خبر منازلهم ؟

قال : لا .

قال : فلم فعلت ذلك ؟

قال عمر : إنّما فعلت ذلك لأنّه بلغني عن واحد منهم أنّ أهل قم[٥] يكاتبونه ،

---

١ الزيادة من ن .

٢ الرجولية : الجلادة .

٣ الخبث : اللؤم والمكر والرداءة .

٤ عمر بن فرج الرخجي : ترجمته في آخر القصّة .

٥ قم : مدينة إسلاميّة ، أبنيتها بالآجر ، سراديبها في نهاية الطيب ، وبينها وبين الريّ مفازة سبخة ، وأهلها شيعة إماميون بأجمعهم (معجم البلدان ١٧٥/٤ ، والقصّة ١١٠/٨ من نشوار المحاضرة) ، وتعصّب أهل قم للعلويين مشهور بحيث أصبح مثاراً للنكتة (البصائر والذخائر م ٣ ق ٢ ص ٥٣٦) أقول : زرت قم في السنة ١٩٦٨ عبرت إليها المفازة بينها وبين طهران ، فلم أستسغ ماءها ، ولا هواءها ، ولا طعامها .

فأردت أن أعلم ما في الكتب الواردة عليه .

وجعل عمر في خلال ذلك يلمس البساط الذي كان تحت المعتصم ، فزاد ذلك في غضبه .

وقال : يا ابن الفاعلة ، ما شغلك ما أنت فيه عن لمس البساط ، كأنّك غير مكترث بما أريده بك ؟

فقال : لا والله – يا أمير المؤمنين – ولكنّ العبد يعنى من أمر سيّده ، بكلّ شيء ، على جميع الأحوال ، فإنّي استخشنت هذا البساط ، وليس هو من بسط الخلافة .

فقال له : ويلك ، هذا البساط ذكر محمّد بن عبد الملك أنّه قام علينا بخمسين ألف درهم .

فقال : يا سيّدي عندي خير منه قيمته سبعمائة دينار .

قال : فذهب عن المعتصم – والله – ذلك الفور الذي كان به ، وسكن غضبه .

وقال : [٢٠٩ ر] وجّه الساعة من يحضره .

فجاء ببساط قد قام عليه – فيما أظنّ – بأكثر من خمسة آلاف دينار[٦] ، واستحسنه المعتصم ، واستلانه .

وقال : هذا – والله – أحسن من بساطنا ، وأرخص ، وقد أخذناه منك بما قام عليك .

ووالله ما برح ذلك اليوم ، حتى نادمه ، وخلع عليه .

---

٦ في غ : ثلاثة آلاف دينار .

عمر بن فرج الرخّجي

عمر بن فرج بن زياد الرخّجي : ذكرنا أصله ونسبته في ترجمة أبيه ، في حاشية القصّة ١٢٩ من هذا الكتاب .

وكان عمر ، وأبوه فرج ، من شرار الخلق ، تقلّد عمر الأهواز للمأمون ، فسرق ، وخان (القصّة ٣٤١ من هذا الكتاب) ثم تقلّد الديوان في أيّام المعتصم ، وعزل (القصّة ٣٧٩ من هذا الكتاب ، والبصائر والذخائر م ١ ص ٥٤) ثم تقلّد الأهواز للمتوكّل (القصّة ٢/٢ من النشوار) وكان من أهل الرشا (القصّة ٢/٣ من النشوار) فاعتقله المتوكّل ، وقبض ضياعه ، وأمواله ، وجواريه وكنّ مائة ، ثم صولح على أن يؤدّي عشرة آلاف ألف درهم ، على أن يردّ عليه ما حيز عنه من ضياع الأهواز فقط (الطبري ١٦١/٩ والكامل لابن الأثير ٣٩/٧) ثم غضب عليه ثانية ، فأمر بأن يصفع في كلّ يوم ، فأحصي ما صفع فكان ستة آلاف صفعة ، وألبس جبّة صوف ، ثم سخط عليه آخر مرّة فأحدره إلى بغداد ، فأقام بها إلى أن مات (مروج الذهب ٤٠٣/٢) .

وكان عمر من المعروفين ببغض الإمام علي وأهل بيته (ابن الأثير ٥٦/٧) ، وكان يتبرّع بالتجسّس على العلويّين (البصائر والذخائر م ٣ ق ١ ص ٣١٩ وهذه القصّة) ، وعرف المتوكّل فيه ذلك ، فولّاه أمر الطالبيّين ، فعسفهم ، وأخذ يحيى بن عمر ، فضربه ثماني عشرة مقرعة ، وحبسه في المطبق ، فاضطرّه بذلك إلى الخروج ، فخرج بالكوفة ، وقتل بعد معارك عنيفة (الطبري ١٨٢/٩ و ٢٦٦-٢٧١ والكامل لابن الأثير ١٢٦/٧-١٣٠) .

ثم استعمله المتوكّل على مكّة والمدينة ، فمنع آل أبي طالب أرزاقهم وعطاءهم ، ومنعهم من التعرّض لمسألة الناس ، ومنع الناس من البرّ بهم ، وكان لا يبلغه أنّ أحداً ، برّ أحداً منهم بشيء إلاّ أنهكه عقوبة ، وأثقله غرماً ، حتى كان القميص يكون بين جماعة من العلويّات يصلّين فيه واحدة بعد واحدة ، ثم يرفعنه ، ويجلسن على مغازلهنّ ، عواري ، حواسر ، إلى أن قتل المتوكّل ، فعطف المنتصر عليهم ، وأحسن إليهم (مقاتل الطالبيّين ٥٩٩) .

ووصفت للمتوكّل عائشة بنت عمر بن فرج الرخّجي ، فوجّه في جوف الليل ، والسماء تهطل ، إلى عمر ، أن احمل إليّ عائشة ، فسأله أن يصفح عنها فإنّها القيّمة بأمره ، فأبى ، فانصرف عمر ، وهو يقول : اللهمّ قني شرّ عبدك جعفر ، ثم حملها بالليل ، فوطئها ، ثم ردّها إلى منزل أبيها (المحاسن والأضداد للجاحظ ١١٨) ، وكذلك نولّي بعض الظالمين بعضاً ، بما كانوا يكسبون (١٢٩ ك الأنعام ٦) .

٣٧٥

مصعب بن الزبير يعفو عن أحد أسراه

ويجعله من ندمائه

وقرأت في بعض الكتب :

أنّ مصعب بن الزبير ، أخذ رجلاً من أصحاب المختار بن أبي عبيد[١] ، فأمر بضرب عنقه .

فقال : أيّها الأمير ، ما أقبح بك أن أقوم يوم القيامة إلى صورتك هذه الحسنة ، ووجهك هذا الجميل الذي يستضاء به ، فأتعلّق بك ، ثم أقول : يا ربّ ، سل مصعباً فيم قتلني ؟

فقال له مصعب : قد عفوت عنك .

فقال : أيّها الأمير اجعل ما وهبت لي من حياتي في خفض عيش ، فإنّه لا عيش لفقير .

فقال : ردّوا عليه عطاءه ، وأعطوه مائة ألف درهم .

---

١ أبو إسحاق المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفي (١-٦٧) : من زعماء الثائرين على بني أميّة ، وأحد الشجعان الأفذاذ ، أبوه أبو عبيد ، كان قائد جيش المسلمين الذي توجّه لفتح العراق ، فالتقى بجيش الفرس ، ووجد أبو عبيد أنّ الفيل عظيم النكاية في المسلمين ، فدنا من الفيل ، وشدّ عليه ، وطعنه بالرمح في عينيه ، ثم ضرب مشفره بالسيف فقطعه ، فخبط الفيل أبا عبيد بقوائمه ، وبرك عليه ، فقتله (مروج الذهب ١/٥٢٤ والطبري ٨/٤٥٨) ومكث المختار في المدينة منقطعاً إلى بني هاشم ، ثم كان مع الإمام علي بالعراق ، وأقام بالبصرة من بعده ، ولمّا قتل الحسين ، انحرف عن عبيد الله بن زياد ، فقبض عليه ، وجلده ، وضربه بالسوط ، فذهبت إحدى عينيه (لطائف المعارف ١٠٩) فخرج ودعا إلى بني هاشم ، واستولى على الكوفة والموصل ، وتتبّع قتلة الحسين ، فاستأصلهم ، وقتل عبيد الله بن زياد في وقعة الخازر على نهر الزاب ، ثم حصره مصعب بن الزبير بالكوفة ، وقتله (الاعلام ٨/٧٠) أقول : للمختار ترجمة مفصّلة في أنساب الأشراف للبلاذري ٥/٢١٤-٢٥٢ .

قال : أشهد الله ، أنّي قد جعلت نصفها لابن قيس الرقيّات.

قال : لم ؟

قال لقوله :

إنّما مصعب شهاب من الـلـ ـه تجلّت عن وجهه الظلمـاء
ملكـه ملك رحمـة ليس فيه جبروت منه ولا كبريـاء
يتّقي الله في الأمور وقد أفـ ـلح من كان همّه الاتّقـاء

فضحك مصعب ، وقال : أرى فيك للصنيعة موضعاً ، وجعله من ندمائه ، وأحسن صلته[٢] .

٢ لا توجد في غ .

٣٧٦
عمارة بن حمزة في كرمه وكبريائه

وحكي أنّه قيل للفضل بن يحيى بن خالد البرمكي ، قد أفسدت جودك بكبرك ، فقال [٢١٩ غ] :

والله ما لي حيلة في النزوع عنه ، وما كان سبب حصوله فيّ إلاّ أنّني حملت نفسي عليه ، لما رأيت من عمارة بن حمزة[١] ، فتشبّهت به ، فصار طبعاً ، ولا أقدر على الإقلاع عنه .

وذلك إنّ أبي كان يضمن فارس من المهدي ، فحلّت عليه ألف ألف درهم .

وكان المهدي قد ساء رأيه فيه ، فحرّك ذلك ما كان في نفسه ، وأمر أبا عون [عبد الملك بن يزيد][٢] ، أن يأخذ أبي ، فيطالبه بالمال ، فإن غربت الشمس في يومه ذاك ، ولم يصحّح جميعه ، أو بقي درهم منه ، أتاه برأسه من غير [٢١٨ م] أن يستأذنه أو يراجعه .

قال : فأخذه أبو عون ، فاستدعاني ، وقال : يا بنيّ ، قد ترى ما نحن فيه ، فلا تدعوا في منازلكم شيئاً إلاّ أحضرتموه .

---

١ عمارة بن حمزة بن ميمون : من كبار العمّال في الدولة العبّاسيّة ، كاتب ، شاعر ، جواد ، داهية ، كان وافر الحرمة عند السفّاح والمنصور والمهدي ، جمعت له ولاية البصرة ، وفارس ، والأهواز ، واليمامة ، والبحرين ، أخباره في الكرم عجيبة ، وأخباره في التيه أعجب ، توفّي سنة ١٩٩ (الأعلام ١٩٢/٥) .

٢ الزيادة من غ ، وهو أبو عون عبد الملك بن يزيد الأزدي الخراساني : من قدماء الدعاة العبّاسيّين ، وكان من قوّاد أبي مسلم الخراساني ، وقحطبة ، واشترك في الحروب التي رافقت تأسيس الدولة العبّاسيّة ، ولمّا استقرّ الأمر للعبّاسيّين ولاّه السفّاح مصر ، ثم بعثه المنصور إلى خراسان ، وسيّره المهدي لحرب المقنّع ، ثم استعمله على خراسان ، وعزلـه ، وفي السنة ١٦٩ مرض ، فعاده المهدي ، وتوجّع لـه ، ولم أجد له خبراً بعد ذلك ، وأحسب أنّه مات في السنة ١٦٩ (ابن الأثير ٣٦٣/٥ ، ٣٨٦ ، ٣٩٧ ، ٤٠٠ ، ٤١٦ ، ٤١٩ ، ٤٢٥ ، ٤٢٦ ، ٤٤٥ ، ٣٩/٦ ، ٤١ ، ٤٦ ، الطبري ١٨٠/٨) .

قال : فجمعنا كلّ ما في منازلنا ، من صامت وغيره ، فلم يبلغ عشر المال .

فقال : يا بنيّ ، إن كانت لنا حيلة في الحياة ، فمن قِبَلِ عمارة بن حمزة ، وإلاّ فأنا مقتول العشيّة ، فألقه ، واذكر له الصورة .

فمضيت إلى بابه ، فاستؤذن لي عليه .

فدخلتُ ، وهو مضطجع قد غاص في فرش له ، ما يكاد يبين إلاّ وجهه ، فوالله ما تحرّك ، وسلّمت ، فأومأ إليّ بالجلوس ، فجلست بعيداً منه ، فلم يعرني الطرف .

فانكسرت نفسي ، وقلت : أيّ خير عند من هذا لقاؤه ، وهذا عنوان أمره ، فأمسكت لا أتكلّم ، مفكّراً في الكلام ، أو القيام ، فقال : اذكر حاجة إن كنت أتيت لها .

فقصصت عليه القصّة ، فوالله ما أجابني بحرف ، أكثر من قوله : إمض ، فإنّ الله يكفيك .

فقمت متحيّراً ، أجرّ رجلي ، لا أشكّ في أنّه قد آيسني ، وقلت : إن عدت إلى أبي بهذا الجواب مات غمًّا قبل ضرب العنق .

فتوقّفت ساعة ، لا أدري ما أصنع ، ثم قلت : على كلّ حال ، أمضي إليه فأونّسه ، فإن كانت له حيلة أخرى شرعنا فيها قبل انصرام النهار .

فجئت ، فوجدت على الباب بغالاً كثيرة محمّلة .

فقلت لمن معها : من أنتم ؟

قالوا : أنفذنا عمارة إليكم بمال على هذه البغال .

فدخلت ، فعرّفت أبي بما جرى لي ، وأخذنا المال فصحّحناه ، وما صلّيت العصر حتى عرف المهدي الصورة ، وأفرج عن أبي [٢١٠ ر] وكان ذلك سبب رضاه عنه ، وصلاح نيّته له .

فلمّا كان بعد شهرين ، ورد لنا من فارس مال عظيم كثير ، فقال لي أبي :

خذ هذا المال ، وامض به إلى عمارة ، واشكره ، وردّه عليه .

فحملت المال على بغال ، ومضيت به إلى بابه .

فوقفت ، حتى استؤذن لي ، فدخلت ، وهو على فرشه ، فما زادني على ما عاملني به أوّلاً ، ولا نقصني .

فشكرته عن أبي ، ودعوت له ، وعرّفته إحضاري المال ، وسألته الأمر بقبضه .

فقال لي : أكنت قسطاراً[3] لأبيك ، أقرضه ، وأرتجع منه ؟

فقلت : لا ، ولكن أحييته ، وحقنت دمه ، ومننت عليه ، وما أحبّ أن يتغنّمك ، فلمّا حصل له المال ، أنفذه .

فقال : أمّا إذ ردّه أبوك ، فقد وهبته لك ، خذه وانصرف .

فقمت ، وقد أعطاني ما لم يعط أحدٌ أحداً .

فجئت إلى أبي فعرّفته ما جرى ، فقال : لا والله – يا بنيّ – ما تطيب لك به نفسي كلّه ولكن خذ منه مائتي ألف درهم ، فأعطانيها ، وهي أوّل مال جاءني كثيراً مجتمعاً ، وهي أصل نعمتي .

فتعلّمت من عمارة الجود والكبر معاً ، فصارا لي طبعاً . [٢٢٠ غ]

٣ القسطار : الجهبذ ، أو الصيرفي .

٣٧٧
الهائم الراوية يقتل أسوداً مصاباً بداء الكلب

وحدّثني الهائم الراوية[1] ، قال :

كنت أسير من الشام ، أريد العراق ، فلمّا انتهيت إلى قرية في بعض الطريق ، لقيني خراسانيّ معه مخلاة .

فقال : أين تريد ؟

فقلت : بغداد .

فقال : أنا رفيقك ، فاصطحبنا وسرنا إلى قرية خراب على شاطىء الفرات في بريّة الشام .

فرأينا على باب القرية رجلاً أسود ، منكر الخلقة ، عرياناً ، لا يواريه شيء البتّة [٢١٩ م] ، فعدا مجفلاً عنّا .

فدخلنا القرية ، وجلسنا في دار خراب على شاطىء الفرات ، وأخرجنا زاداً [٣٩ ن] كان معنا ، وأقبلنا نأكل .

فرأينا الحجارة تجيئنا متداركة[2] ، حتى خفنا أن نهلك بها ، وما تمالكنا أن نقوم إلاّ بجهد .

---

١ في غ : وحكى أبو علي أحمد بن محمّد ، أقول : والهائم لقب لأبي علي أحمد بن علي المدائني : نسبة إلى المدائن (راجع حاشية القصّة ١٢٦ من هذا الكتاب) ، كان من ندماء عضد الدّولة ، ويتّضح من القصّة ٤٢/٤ من نشوار المحاضرة ، أنّه كان يقوم في مجلس عضد الدوله حيث يكون القاضي التنوخي جالساً ، وقد غضب عليه عضد الدولة مرّة ، لأنّه أبدى في شعره رأياً لم يرضه ، فأمر بضربه مائتي سوط (الهفوات النادرة ٥٧) وغضب عليه ثانية ، فأمر بضربه مائتي مقرعة ، فلمّا انتهى منها ، نهض ونفض ثيابه ، وقال : أكثر الله خيركم ، فغضب عليه ، وأمر بضربه مائة مقرعة أخرى ، (راجع القصّة في تجارب الأمم ١٩/٢ ومعجم الأدباء ٢٦٠/٦ وتاريخ بغداد للخطيب ٣١٧/٤) .

٢ متداركة : متلاحقة ، والتدارك : التلاحق .

وتأمّلنا أمرنا ، فرأينا الأسود يرجمنا ، فطلبناه ، وطلبنا .

فلمّا تداخلنا ، رام الأسود أن يقبض عليّ ، فزغت منه ، فقبض على الخراساني ، وكان الخراساني أيّداً ، فما زالا يتعاركان ساعة طويلة ، ثم انكّب الأسود على كتف الخراسانيّ فعضّه .

فصاح الخراسانيّ : يا بغداديّ أدركني ، فقد قتلني .

فدنوت من خلف الأسود فقبضت على خصيتيه ، ولكمتها لكمات شديدة فخرّ مغشياً عليه ، وقام الخراساني ، فجلس على صدره ، وخنقه بيده حتى تلف .

وسرنا ، والخراساني يصيح من ألم العضّة ، حتى انتهينا إلى حيال قرية عامرة .

فصحنا بملّاح ، فقدّم[3] زورقه لنعبر إلى القرية ، فطرح الخراساني نفسه على الشطّ كالتالف .

فشجّعته ، وقلت له : مالك ؟ وأيّ شيء قدر عضّة ؟

فقال : ويحك أنظر إليها ، فنظرت إليها ، فإذا هي قد أخذت كتفه كلّها ، واسودّت ، واحمرّ بدنه كلّه .

فحملته أنا والملّاح ، حتى حصّلناه في الزورق ، وعبرنا ، فلمّا صرنا بقرب الشطّ ، تلف ، فأخرجناه ميتاً .

فاجتمع أهل القرية وسألوا عن شأنه ، فحدّثتهم الحديث .

---

٣ قدّم الزورق : اصطلاح بغداديّ ، بمعنى : أرساه على الشاطئ ، وهذه الكلمة مستعملة إلى الآن عند القواربية ببغداد . والعامّة ببغداد يسمّون القارب : بَلَم ويجمعونه على : أبلام ، وبلمات ، ويسمّون القواربيّ : بلّام ، وأحسب أنّ لفظة بلم ، محرّفة عن برم ، جمعها : برمات ، نوع من القوارب الّتي كان استعمالها شائعاً ببغداد في القرن الرابع الهجري في العهد العبّاسي ، راجع حكاية أبي القاسم البغدادي ص ١٠٧ ، وللإطلاع على تفصيل أنواع وأسماء المراكب والسفن في ذلك العهد ، راجع معجم المراكب والسفن في الإسلام للعلاّمة حبيب زيات نشر بمجلّة المشرق ، آب-كانون الأول ١٩٤٩ السنة ٤٣ .

فقالوا : قد فتحتم فتحاً ، [وقد سلّمك الله أنت ، وأراحنا من ذلك العبد][4] هذا عبد آل فلان ، أصابه داء الكلب وتغرّب في تلك الخرابات ، وقد قتل خلقاً بالعضّ .

قال : وتبادر قوم منهم يريدون الموضع للنظر للأسود ، وسرت أنا في طريقي ، وحمدت الله تعالى على سلامتي من الأسود .

---

٤ الزيادة من غ .

٣٧٨

أبو جعفر بن شيرزاد

كان لداره أربعة عشر باباً

حدّثنا أبو عبد الله محمّد بن أحمد بن شيرزاد ، قال : حدّثني خالي ، وابن عمّ أبي ، أبو جعفر محمّد بن يحيى بن شيرزاد[1] ، قال :

لمّا سعي عليّ عند بجكم[2] ، حتى صرفني عن كتبته[3] ، ونكبني ، وألزمني

---

١ أبو جعفر محمّد بن يحيى بن شيرزاد : كان يكتب لهارون بن غريب الخال (خال المقتدر) ، ثمّ كتب لابن رائق ، ثمّ وزّر لبجكم ، ثمّ قبض عليه ، ولمّا قتل بجكم ، وزّر لتوزون ، وحكم بغداد باسمه ، وفي أيّامه بلغ تفلّت الأمور في بغداد ، إلى حدّ عجيب ، لا يكاد يصدّق ، فإنّ لصّاً اسمه ابن حمدي ، عظم شأنه ، وكثر أتباعه ، فأمّنه ابن شيرزاد ، وخلع عليه ، وشرط معه أن يوصل إليه في كلّ شهر ، خمسة عشر ألف دينار ، ممّا يسرقه هو وأصحابه ، وكان ابن شيرزاد يستوفيها من ابن حمدي بالروزات ، أي مقابل وصولات رسمية ، وهذا ما لم يسمع بمثله قط ، ولمّا مات توزون ، نصب الجند ابن شيرزاد في مكانه ، ولمّا سار معزّ الدولة يريد العراق ، اختفى ، ثمّ ظهر ، فولّاه معزّ الدولة الخراج والجباية ، ثمّ فرّ منه ، ولحق بناصر الدولة ، واحتلّ بغداد باسمه ، ودبّر الأمور نيابة عنه ، فكرّ معزّ الدولة على بغداد ، ونهبها جنوده ، قيل إنهم نهبوا عشرة آلاف ألف دينار ، فكرّ ابن شيرزاد راجعاً إلى ناصر الدولة ، ثمّ اختلف معه ، فسلّمه إلى معزّ الدولة الذي صادره على خمسمائة ألف درهم (تجارب الأمم ١/١٦٣–٤١٦ و٢/١٣–١١١ ، والكامل لابن الأثير ٨/٣٥٤–٤٦٧) راجع القصّة ٢/١٧٧ من نشوار المحاضرة .

٢ بجكم ، بفتح الباء والكاف : كان من غلمان مرداويج ، واشترك في قتله ، ثمّ غامر ، فأصبح أمير الأمراء ، واستولى على الدولة العبّاسيّة في أيّام الراضي ، وكان عاقلاً ، يفهم العربية ، ولا يتكلّم بها ، مخافة الخطأ ، وكان يقول : الخطأ من الرئيس قبيح ، وكان استوطن واسط ، وأظهر العدل ، وبنى دار ضيافة للفقراء ، وبدأ بعمل المارستان ببغداد ، وهو الذي أتمّه عضد الدولة ، وطالت إمارته سنتين وثمانية أشهر ، وقتل في السنة ٣٢٩ ، وقال فيه الشاعر :

إنّما العزّ فاعلم للأمير المعظّم
سيّد الناس بَجْكَم =

بماتي ألف دينار[٤] ، فأدّيت أكثرها من غير أن أبيع شيئاً من أملاكي الظاهرة .

فلمّا قاربت وفاءها[٥] ، استحضرني أحمد بن عليّ الكوفي[٦] كاتبه [وكانت له مروءة][٧] ، وأخذ [٧٧ ن] يخاطبني بكلام طويل ، هو تقدمة واعتذار لشيء يريد أن يخاطبني به .

فقلت له : يا سيّدي ما تريد ؟ وما بك حاجة إلى التسبّب ، فإنّي بمودّتك واثق .

فقال : إنّ هذا الرجل – يعني بجكم – قد رجع عليك في صلحك ، وطمع فيك ، وطالبني أن آخذ منك مائتي ألف دينار أخرى ، ووالله ، ما هذا عن رأيي ، ولا لي فيه مدخل ، [ولا هو من فعلي][٨]ولو قدرت على إزالته عنك لفعلت .

قال : فأخذت أحلف له أنّي لا أهتدي إليها ، ولا إلى عشرها ، وأنّ [٢٧٣ غ] النكبة قد استنفدت مالي ، ولم يبق لي شيء ، إلاّ داري ، وضيعتي ، وأنا أسمّيهما ، ولا أكتم شيئاً منهما ، وأخرج له عنهما ، ليهب لي روحي .

قال : فطال الخطاب بيننا ، فلمّا قام في نفسه صدقي ، فكّر طويلاً .

ثم قال : يا سيّدي ، هذا رجل أعجميّ ، وعنده أنّ وراءك أضعاف هذا المال ، وأنّ فيك من الفضل ما يصلح لقلب دولته عليه ، وأنت – والله – معه في طريق القتل ، إلاّ أن يكفيك الله عزّ وجلّ ، ووالله ، ما أحبّ أن يجري مثل هذا

وكان يلقّب بالماكاني ، لأنّه كان ينتسب إلى ماكان ، أحد قوّاد الديلم ، (المنتظم ٦/٣٢٠ وتجارب الأمم ٢/٧) .

٣ كان ذلك في السنة ٣٢٩ راجع تفصيل ذلك في تجارب الأمم ١/٤١٥ .

٤ في ر : بمائة ألف دينار .

٥ في ن : فلمّا قاربت إغلاقها .

٦ أبو عبد الله أحمد بن علي الكوفي : ترجمته في حاشية القصّة ٧٧ من هذا الكتاب .

٧ الزيادة من ن .

٨ الزيادة من غ .

على يدي ، ولا في أيّامي ، فيلزمني عاره إلى الأبد ، وأجسّره على قتل كتّابه ، فدبّر خلاصك .

فتحيّرت ، ثم سكنتُ ، وقلت له[9] : تعطيني ميثاقك ، وتحلف لي أنّ سرّك في محبّة خلاصي كعلانيتك ، حتى أقول لك ما عندي ؟ ففعل .

فحلفت له أنّي قد صدقته ، وأنّني لا أمتنع مما يجريه عليّ [منْ بعد هذا اليمين ، ولو شاء منّي أن أفتح دواتي ، وأكتب بين يديه .

وقلت له : أنت وقتك مقبل ، ووقتي مدبر ، وأنت فارغ القلب ، وأنا ذاهل بالمحنة ، فدبّر أمري الآن كيف شئت ، فإنّه ينفتح لك بهاتين الخلّتين ، ما قد استبهم عليّ][10] .

قال : ففكّر ، ثم قال : أنا إن آيست هذا الرجل من مالك ، لم آمنه على دمك ، وإن أطمعته في مالك ، وليس لك ما تعلّله به ، أدّت بك المطالبة إلى التلف ، ولكنّ الصواب عندي أن أطمعه في ضيعتك ، [وأصف له جلالتها][11] فأشتريها له منك ، وأقول له : [إنّ ضياع السواد الخراجيّة ، قد أجمع شيوخ الكتّاب بالحضرة ، قديماً وحديثاً ، على أنّ كلّ ما كان منه غلّته درهم ، فقيمته أربعة دراهم ، وأبو جعفر يقول :][12] إنّ غلّة الضيعة – بعد الخراج – خمسة وعشرون ألف دينار ، وإنّه يضمنها بذلك ، حاصلاً ، خالصاً ، بعد الخراج والمؤن ، ويقيم بذلك كفلاء ، فاشترها منه بمائتي ألف دينار كملاً ، ويحصل لعقبك ملك جليل ، وهو مع هذا يؤدّي باقي المصادرة الأولى ، وتصير ضامناً للضيعة ، فأدفعها إليك ، ومن ساعة إلى ساعة فرج ، وأنا أحتال بحيلة في أن

---

٩ في غ : قال : فتحيّرت في النكبة ، وذهلت ، ثمّ أثاب إليّ رأيي فقلت .

١٠ ساقطة من غ .

١١ الزيادة من غ .

١٢ ساقطة من غ .

يكون الكتاب عندي ، فلا أسلمه إليه ، فلعلّ حادثة تحدث ، وترجع إليك ضيعتك ، وتكون بالعاجل قد تخلّصت ، وسلم دمك أربع سنين .

قال : فعلمت أنّه قد نصحني ، وآثر خلاصي ، وأجبت .

فدخل إلى بجكم ، ولم يزل معه في محادثات ، إلى أن تقرّر الأمر على ما قاولني عليه ، وأحضر الشهود ، وكتب عليّ الكتاب بالابتياع ، والكتاب بالإجارة .

وقال لي : ألوجه أن تقيم كفلاء ببقيّة المصادرة الأولى ، فقد استأذنته في صرفك إلى منزلك ، وإذا انصرفت ، فانضمّ ، ولا يراك أحد ، وكن متحذّراً ، ولا تظهر أنّك مستتر ، فتغريه بك .

قال : فشكرته ، وأقمت الكفلاء بالمال ، إلى أيّام معلومة ، فصرفني .

فعدت إلى داري ، وكنت متحذّراً ، أجلس في كلّ يوم ، فيدخل إليّ بعض الناس ، بمقدار ما يعلم أنّي بداري ، فإذا كان نصف النهار ، خرجت إلى منازل إخواني ، وأقمت يوماً عند هذا ، [٢٥٦ ر] ويوماً عند الآخر ، وراعيت أخبار داري ، أتوقّع أن يجيئها من يكبسها ، فأكون بحيث لا يعرف خبري ، فأنجو .

فطال ذلك ، والسلامة مستمرّة ، وانحدر بجكم إلى واسط ، فأنست بالجلوس والاستقرار في داري .

فلمّا كان [٢٧٤ غ] في بعض الأيّام ، ضاق صدري ضيقاً لا أعرف سببه ، واستوحشت ، وفكّرت في أمري ، وقلت : إن كبست على غفلة ، فماذا أصنع ؟

قال : وكان لداري أربعة عشر باباً ، إلى أربعة عشر سكّة ، وشارعاً ، وزقاقاً نافذاً ، ومنها عدّة أبواب لا يعرف جيرانها أنّها تفضي إلى داري ، وأكثرها عليه الأبواب الحديد[١٣] .

---

١٣ كانت دار أبي جعفر بن شيرزاد ، في محلّة قصر فرج ، بالجانب الشرقي (تجارب الأمم ٧٩/٢) ، =

قال : فتراءى لي ، أن أرسلت إلى غلماني المقاتلة ، وكانوا متفرّقين عنّي ، قد صرفتهم لئلّا يصير لي حديث ، فجاءوني ، واجتمع منهم ، ومن أولادهم ، نحو ثلثمائة غلام .

فقلت لهم : إذا كان الليلة فاحضروا جميعاً بسلاحكم ، وبيتوا عندي ليلاً ، وأقيموا نهاراً ، إلى أن أدبّر أمري .

قال : ففعلوا ذلك ، وفرّقتهم في الحجر المقاربة للمجلس الذي كنت أجلس فيه ، وقلت : إن كبست ، فشاغلوا عنّي من يطلبني ، لأنجو .

قال : وكنت أدبّر كيف أعمل في قلب الدولة ، أو استصلاح بجكم ، فلم يقع لي الرأي ، ولا أجد إلى ذلك طريقاً .

وكنت أوصيت بوّابي ، أن يغلق بابي المعلوم للناس ، ولا يفتحه لأحد من خلق الله ، إلاّ بأمري .

وأجلست غلاماً كان يحجبني في أيّام الدولة ، ومعه عشرون غلاماً بسلاح خلف الباب ، وأمرته أن لا يفتح لأحد .

فما مضى لهذا إلاّ يومان أو ثلاثة ، حتى جاءني حاجبي ، وقال : قد دقّ الباب .

فقلت : من الطارق ؟

فقال : أنا غلام محمّد بن ينال الترجمان ، وهو وأبو بكر النقيب [14] بالباب ، يستأذنان على سيّدنا بالدخول .

أقول : محلّة قصر فرج تقع شمالي مدفن الإمام أبي حنيفة ، راجع أطلس بغداد للدكتور أحمد سوسه ص ٤ خارطة بغداد في أوّل أدوارها العبّاسيّة ، المربّع ٢ ح .

١٤ أبو بكر النقيب : من أتباع أبي طاهر محمّد بن عبد الصمد ، الذي كان صاحب الشرطة ببغداد ، وقام بتنفيذ حكم الإعدام في الحلّاج سنة ٣٠٩ ، ولمّا انتقل محمّد إلى خدمة البريدي ، انتقل أبو بكر معه ، ثمّ خدم أبو بكر بجكم (تجارب الأمم ٨١/١ ، ٣٤١) .

فقلت في نفسي : بليّة والله .

وأمرت الغلمان ، فاجتمعو بأسرهم ، متسلّحين ، في بيت له قبّة كبيرة ، كنت جالساً في أحد أروقته ، وأمرتهم أن لا ينبسوا بكلمة .

وقلت للحاجب : اصعد إلى السطح ، فانظر ما ترى ، وأخبرني به ، ففعل .

وعاد ، فقال : رأيت الشارع مملوءًا بالخيل والرجال ، وقد أحاطوا بالدار من جنبات كثيرة ، ولمّا رأوني أراقبهم تنحّيت .

فصاح بي الترجمان ، قائلاً : كلّمني ، وما عليك بأس .

فأخرجت رأسي ، فقال : ويحك ، ما جئنا لمكروه ، وما جئنا إلاّ لبشارة ، فعرّف سيّدنا بذلك .

فقلت : ليس هو في الدار ، ولكن أراسله ، ثم أخبر الأمير أيّده الله ، في غدٍ ، برسول إلى داره .

فقال : أنا ها هنا واقف ساعة ، إلى أن يرى [٧٨ ن] رأيه .

ففكّرت ، وقلت : هذه حيلة للقبض عليّ ، لا شكّ في ذلك .

ثم رجعت ، فقلت : يجوز أن يكون بحكم ، قد تغيّر على الكوفي ، ولا يجد لخدمته غيري ، واعترضني الطمع ، وكاد أن يفسد رأيي .

ثم قلت للغلمان : إن قلت لكم اخرجوا ، فضعوا على أبي بكر النقيب ، والترجمان [١٥] أيديكم ، فاخرجوا وخذوا رأسيهما ، ولا تستأذنوا البتّة ، فأجابوا .

فقلت : احذروا أن تخالفوا فأهلك .

فقالوا : نعم .

ثم قلت للحاجب : اطلع السطح ، وقل له : إنّي على حال من إختلال الفرش والكسوة ، لا أحبّ معه دخول أحد إليّ ، فإن رضيت أن تدخل أنت وأبو بكر النقيب فقط ، وإلاّ فأنا أصلح أمري وأجيء إلى دارك الليلة .

---

١٥ محمّد بن ينال الترجمان ، القائد : ترجمته في حاشية القصّة ٣٥٩ من الكتاب .

قال : فعاد الغلام ، وقال : كلّمته ، فقال : رضينا بذلك .

فقلت : يا فلان ، أخرج ، واحذر أن يفتح الباب كلّه فتدخل الجماعة ، وأرى أن تقول له ، أن يتباعد عن الباب إلى الشارع قليلاً ، [وينزل ، ويقصده هو وأبو بكر النقيب فقط ، واجعل في الدهليز نفسين يمسكان الباب من نقاوة الغلمان .

فقال : نعم .

ثم قمت بنفسي ، فأغلقت باب حديد كان بين [٢٧٥ غ] صحن الدار والدهليز ، وجعلت خلفه جماعة غلمان بالسلاح .

وقلت : قل لهما أن يدخلا ، وافتح من الباب الذي على الشارع قليلاً][16]

فإن ازدحم الناس ، وتكاثروا ، فهي حيلة ، فدعهم يدخلون ، وصح : ما هذا ؟ فأعلم أنّها حيلة ، فأخرج من بعض الأبواب ، أمّا هم فيفضون إلى هذا الباب ، وهو مقفل ، ووراءه الغلمان .

وإن حضرا وحيدين ، فقل لهما : الشرط أن أقفل الباب [من وراء ظهريكما][16] بينكما وبين أصحابكما ، ثم افتح الباب الذي يلي الشارع ، حتى يدخلان ، ثم اَقفله ، وارم مفاتيحه من تحت الباب الثاني إلينا إلى الصحن ، ودقّ هذا الباب ، فإنّي واقف وراءه ، لأتقدّم بفتحه ، فيدخلان .

ففعل الحاجب ذلك ، وحصل أبو بكر [٢٥٧ ر] النقيب والترجمان في الدهليز وحيدين .

فلمّا سمعت صوت قفل الباب الخارجيّ ، وأنا عند الباب الداخليّ ، ودقّ الحاجب الباب الثاني ، ورمى بالمفتاح ، عدت إلى مجلسي ، فجلست فيه ، ونحّيت من كنت أقمته وراء الباب الثاني بالسلاح ، وأعدت عليهم الوصيّة بقتلهما إن صحت : يا غلمان اخرجوا .

---

١٦ الزيادة من غ .

ثم تقدّمت إلى غلام لي كان واقفاً بلا سلاح[17] ، أن يفتح الباب ، ويدخلهما ، ففعل ذلك .

وألقيت نفسي على الفراش كأنّي عليل ، ودخلا ، فلم أوفّهما الحقّ ، وأخفيت كلامي ، كما يفعل العليل .

فقالا : أيش خبرك ؟

فقلت : أنا منذ أيّام عليل ، وارتعت بحضوركما .

فأخذ الترجمان يحلف أنّه ما حضر إلاّ ليردّني إلى منزلتي ، واستكتابي لبجكم ، فشكرته على ذلك .

وقلت : أنا تائب من التصرّف ، ولا أصلح له .

فقال : قد أمرني الأمير بمخاطبتك في الخروج إليه ، إلى واسط ، لتقرير هذا الأمر ، ولا يجوز أن أكتب إليه بمثل هذا عنك ، ولكن إذا كنت زاهداً في الحقيقة ، فاخرج إليه ، وأحدث بخدمته عهداً ، واستعفه ، فإنّه لا يجبرك .

فقلت : هل كاتبني بشيء توصله إليّ .

فقال : لا ، ولكنّه اقتصر على ما كتب به إليّ ، لعلمه بمودّتي لك ، ولئلا يفشو الخبر .

فقلت : تقفني على كتابه إليك .

فقال : لم أحمله معي .

فعلمت أنّه قد كوتب بالقبض عليّ ، وأنّه يتوصّل بالحيلة لتحصيلي .

فقلت : أنا عليل كما ترى ، ولا فضل فيّ للسفر ، ولكن تجيب الأمير أطال الله بقاءه بالسمع والطاعة ، وأنّي أخرج بعد أسبوع ، إذا استقللت قليلاً .

فقال : يقبح هذا ، والوجه أن تخرج .

فقلت : لا أقدر .

---

١٧ في غ : كان واقفاً بالسلاح .

فراجعني ، وراجعته ، إلى أن قال : لا بدّ من خروجك .

فقلت : إنّي لا أخرج .

فقال : تخرج طائعاً أو كارهاً .

فجلست ، وظهر [٢٢٠ م] فيّ أثر الاحتداد مع القدرة ، وقلت : إنّي لا أخرج ، ولا كرامة لك ، فاجهد جهدك ، وذهبت لأصيح بالغلمان .

وكان أبو بكر النقيب خبيثاً ، فقال : أسأل سيّدنا بالله العظيم أن لا يتكلّم بحرف ، ويدعني وهذا الأمر .

ثم أخذ بيد الترجمان وقاما إلى ناحية في المجلس بعيدة ، لا أسمع ما يجري بينهما ، فأطالا السرار ، ثم جاءا إليّ .

فأخذ أبو بكر يعتذر إليّ مما جرى ، ويخاطبني باللين ، ويقول : فبعد كم يخرج سيّدنا ؟ حتى نقتنع بوعده ، وننصرف .

فقلت : بعد عشرة أيّام .

فقال : قد رضينا .

فأخذ الترجمان [ينزق[١٨] عليّ في الكلام ، وأبو بكر يغمزه ، ويرفق به .

فلمّا بلغا إلى قريب من الدهليز ، رجع أبو بكر ، وجرّ الترجمان ، معه][١٩] ، وقال : هذا ليس يعرفك حقّ معرفتك ، وعنده أنّه يقدر يستوفي عليك الحجّة ، فبالله إلاّ ما عرّفته [٢٧٦ غ] ما كان في نفسك أن تعمله بنا ، لو استوفينا عليك المطالبة ، لئلّا أقع في مكروه معه ومع الأمير .

فقلت في نفسي : أنا أريد الهرب الساعة ، فما معنى مساترتي لهما ما أردت أن أفعله ، ولم لا أظهره ليكون أهيب في نفوسهما ؟

فقلت للغلام الذي كان واقفاً على رأسي بلا سلاح : إمض إلى أصحابنا ،

---

١٨ النزق : الطيش والخفّة عند الغضب .

١٩ ساقطة من غ .

وقل لهم أن يخرجوا ، ولا يعملوا ما كنت قلت لهم .

فمضى الغلام ، وفتح الباب عليهم ، وقال : أخرجوا ، ولا تحدثوا على القوم حادثة ، فخرج القوم بالسلاح .

فقلت : هؤلاء أعددتهم لدفعكما عن نفسي ، إن رمتما قسري على ما لا أوثره .

قال : فمات الترجمان في جلده ، واصفرّ وتحيّر[20] .

فقال له أبو بكر : أنت تظنّ أنّك بالجبل[21] ، وليس تعلم بين يدي من أنت الآن ؟ عرفتَ أنّ الرأي كان في يدي ، لا في يدك ؟ والله ، لو زدت في المعنى ، لخرج هؤلاء فأخذوا رأسك ورأسي .

فقلت : معاذ الله ، ولكن كانوا يمنعوكما من أذاي .

ثم قلت للغلمان : كونوا معهما ، إلى أن يخرجا ، وتغلقوا الأبواب خلفهما ، ففعلوا .

وقمت في الحال فلبست خفًّا وإزاراً على صورة النساء ، واستصحبت جماعة من عجائز داري ، وخرجت معهنّ من باب من تلك الأبواب الخفيّة ، متحيّراً ، لا أدري أين أقصد .

فقصدت عدّة مواضع ، كلّما قصدت موضعاً ، علمت أنّه لا يحملني ، فأتجاوزه ، إلى أن كدّني المشي ، [٢٥٨ ر] وقربت من الرصافة ، فعنّ لي أن أقصد خالة المقتدر[22] ، وأطرح نفسي عليها .

فصرفت جميع من كان معي ، إلّا واحدة ، وقصدت دار الخالة ، ودخلت دهليزها .

---

٢٠ في غ : واصفرّ لونه ، وتغيّر وجهه .

٢١ في غ : أنت تظنّ أنّك تقدر عليه بالحيل ، ولمعرفة الجبل ، راجع حاشية القصّة ٦٥ من هذا الكتاب .

٢٢ خالة المقتدر ، واسمها : خاطف ، واحدة من الثالوث الحاكم الذي كان يحكم ويدير أمور الدولة في أيّام المقتدر ، وهم خاطف خالة المقتدر ، ودستنبويه أمّ ولد المعتضد ، والسيدة شغب والدة المقتدر ، وكانوا يلقّبون بالسّادة (الوزراء ١١٩) .

فقام إليّ الخادم ، وقال : من أقول ؟

فقالت العجوز : امرأة لا تحبّ أن تسمّي نفسها ، فدخل وإذا بالخالة قد خرجت إلى الدهليز .

فقالت لها الامرأة : يا ستّي ، تأمرين الخادم بالانصراف ، فأمرته ، فانصرف .

فكشفتُ وجهي ، وقلت : يا ستّي[23] [79 ن] ، الله ، اللهَ في دمي ، اشتريني ،

فقالت : يا أبا جعفر ، ما الخبر ؟

فقلت : أدخليني ، أحدّثك .

فقالت : كن مكانك ، فإنّي قد علمت أنّك ما جئتني إلاّ مستتراً .

ثم دخلَتْ ، فأبطأتْ ، حتى قلت : قد كرهت دخولي ، وستخرج إليّ من يصرفني ، وتعتذر ، وهممت بالانصراف .

وإذا بها قد خرجت ، ثم قالت : أرعبتك بالانتظار ، وما كان ذلك إلاّ عن احتياط لك ، فادخل .

فدخلت فإذا دارها الأولى – على عظمها – فارغة ، ما فيها أحد .

فسلكَتْ بي ، وبالمرأة العجوز ، إلى موضع من الدار ، فدخلَتْ إلى حجرة ، فأقفلتها بيدها ، ومشت بين أيدينا ، حتى إنتهت بنا إلى سرداب ، فأنزلتنا فيه ، ومشينا فيه طويلاً ، وهي بين أيدينا ، حتى صعدَتْ منه إلى درجة طويلة ، أفضت بنا إلى دار في نهاية الحسن والسرو ، وفيها من [221 م] الفرش ، والآلات ، كلّ شيء حسن .

وقالت : إنّما احتبست عنك ، حتى أصلحت لك هذه الدار ، وأخليت الأولى ، حتى لا يراك الذين كانوا فيها ، فيعرف خبرك ، [فعرّفني قصتك .

فذكرتها لها ، من أوّلها إلى آخرها .

فقالت :][24] اجلس ها هنا ما شئت ، فوالله ، إنّك تسرّني بذلك ، فاحفظ

---

23 في ن : يا مولاتي .

24 الزيادة من غ .

نفسك من أن ينتشر خبرك من جهتك ، فليس معي من جهتي من يدخل عليك [٢٧٧ غ] أو يخرج منك ، فتهلك نفسك ، وتهلكني ، فإنّك تعلم أنّ هذا الرجل ظالم جاهل ، لا يعرف حقّ مثلي .

فقلت : ما معي غير هذه العجوز ، ولست أدعها تخرج .

فقالت : هذا هو الصواب .

فأقمت عندها مدّة ، فكانت تجيئني كلّ يوم ، وتعرّفني أخبار الدنيا ، وتحادثني ساعة ، وتنصرف ، وتحمل إليّ كل شيء فاخر ، من المأكول ، والمشروب ، والبخور ، وأخدم بما لم أخدم بمثله في أيّام دولتي .

فلمّا كان في غداة يوم بعد حصولي عندها ، قالت : يا أبا جعفر ، أنت وحدك ، وليس يصلح أن يخدمك كلّ أحد ، وقد حملت إليك هذه الجارية – وأومأت إلى وصيفة كانت معها ، في نهاية الحسن والجمال – فاستخدمها ، وإنّها تقوم مقام فرّاشة ، وقد أهديتها لك ، وإن احتجت إلى ما يحتاج إليه الرجال ، صلحت لذلك أيضاً .

فقبلت ذلك ، وشكرتها ، [ودعوت لها][٢٤] .

وتأمّلت[٢٥] الجارية ، فإذا هي تغنّي أحسن غناء وأطيبه ، فكان عيشي معها أطيب من عيشي أيّام الدولة .

ومضى على استتاري نحو شهرين ، لا يخرج من عندي أحد ، ولا يدخل إليّ غير الجارية .

فقلت لها يوماً : قد تطلّعت نفسي إلى معرفة الأخبار ، وإنفاذ هذه العجوز إلى من تتعرّف ذلك منه .

فقالت : افعل ، واحتفظ جهدك .

فكتبت مع العجوز كتاباً إلى وكيل لي أثق به ، آمره أن يتعرّف لي الأخبار ،

---

٢٥ في غ : وتأنست .

ويكتب إليّ بها مع العجوز .

ورسمت له أن ينفذ طيوراً مع غلام أسميته له وكنت به واثقاً من دون سائر غلماني ، ويأمره بالمقام بواسط ، والمكاتبة على الطيور في كلّ يوم بالأخبار[٢٦] ، وأن يكتب عنّي إلَى جماعة بواسط – كنت أثق بهم – بأن يمدّوا الغلام بالأخبار .

ورسمت للعجوز أن لا تعرّف الوكيل موضعي ، لئلاّ يظهر شيء من الأمر ، ويقع الوكيل ، ويطالب بي ، فيدلّ عليّ .

فعاد الجواب إليّ ، بما عنده [٢٥٩ ر] من الأخبار ، وأنّه لا ينقضي يومه ، حتى ينفذ الغلام والطيور .

فأمهلته عشرة أيّام ، ثم رددت العجوز ، فأنفذ لي على يدها ، كتباً وردت على الطيور ، فقرأتها ، ومضى على ذلك مدّة .

فأصبحت يوماً وأنا على نهاية النشاط ، والسرور ، والانبساط ، من غير سبب أعرفه ، فقلت للعجوز : امضي إلى فلان ، وأعرفي هل ورد عليه كتاب من واسط ؟

فمضت العجوز إلى الوكيل ، فهي عنده ، إذ سقط عليه طائر بكتاب ، فحلّه ، وسلّمه إليها ، من غير أن يقف عليه .

فجاءتني به ، فإذا هو من الغلام المرتّب بواسط ، بتاريخ يومه ، [وأكثره رطب ، كتب في الحال][٢٧] يذكر فيه ورود الأخبار إلى واسط ، بقتل الأكراد لبجكم[٢٨] ، وأنّ الناس قد اختلطوا وماجوا .

---

٢٦ الطيور المقصودة بالذكر هي الحمام الزاجل ، والزجل ، في اللغة : الرمي بشيء ، وفي الاصطلاح : إرسال الحمام الهادي من مزجل بعيد (لسان العرب) ، للتفصيل ، راجع كتاب الحيوان للجاحظ ، وخطط المقريزي ، ودائرة المعارف الاسلامية .

٢٧ الزيادة من غ .

٢٨ مقتل بجكم : راجع التفصيل في تجارب الأمم ٢/٩–١١ وابن الأثير ٣٧١/٨ و ٣٧٢ .

فقبّلت الأرض شكراً لله عزّ وجلّ ، وكتبت في الحال إلى الكوفي رقعةً أشكره فيها على [٢٧٨ غ] جميله ، وأعرّفه أنّي ما طويت خبري عنه إلى الآن ، إلاّ إشفاقاً عليه من أن يسأل عنّي ، فيكون متى حلف أنّه لا يعرف خبري ، صادقاً ، وأنّ أقلّ حقوق ما عاملني به ، أن أعرّفه ما يجب أن يتحرّز منه ، وذكرت له ما ورد من الخبر ، وأشرت عليه بالاستتار .

وأنفذت رقعتي إليه بذلك ، طيّ رقعتي إلى الوكيل ، وأمرته أن يمضي بها في الوقت إليه .

وقلت للعجوز : إذا مضى الوكيل فارجعي أنت ، ولا تقعدي في دار الوكيل .

فعادت ، وعرّفتني أنّ الوكيل توجّه إلى الكوفي .

فلمّا كان بين العشاءين من [٢٢٢ م] ذلك اليوم رددتها إلى الوكيل ، وقلت لها : اطرقي بابه ، فإن كان في بيته ، على حال سلامة فادخلي ، وإن بان لك أنّه معتقل ، أو أنّ داره موكّل بها ، فانصرفي ولا تدخلي .

فعادت إليّ برقعة الوكيل ، وطيّها رقعة من أبي عبد الله الكوفي .

وفي رقعة الوكيل : إنّه حين أوصل الرقعة إلى الكوفي ، بان له في وجهه الاضطراب ، وإنّه ما صلّى العصر في ذلك اليوم ، حتى امتلأ البلد بأنّ الكوفي قد استتر ، وأنّ بحكم قد حدثت به حادثة لا ندري ما هي ، وقد عدت بعد العصر إلى دار الكوفي ، فوجدتها مغلقة ، وليس عليها أحد ،وإنّي قد أنفذت جواب الكوفيّ طيّ رقعتي .

وقرأت رقعة الكوفي ، فإذا هو يشكرني ، ويقول : [قد علمت أنّ مثلك يا سيّدي لا يفتعل مثل هذا الخبر ، ولا يضيع مروءته ، وأنّ مثله يجوز أن يكون صحيحاً ، وقد تشاغل الذين مع الأمير بالهرب ، عن أن يكتبوا لي بالحادث ، وكتب به من رتّبته أنت ، كما ذكرت في رقعتك ، فأوجب الرأي أن أستظهر لنفسي ، فإن كان الخبر صحيحاً ، وهو عندي صحيح ، فالرأي معي ، وإن

كان باطلاً ، فلا يضرّني ذلك عند صاحبي إن كان حيًّا ، لأنّه يتصورني جباناً لا غير ، فيكون أسلم في العاجل][29] .

وقد أنفذت إليك – يا سيّدي – طيّ رقعتي هذه ، الكتابين اللذين كتبتهما عليك في ضيعتك بالانتياع والإجارة ، ابتغاء إتمام مودّتك ، ولتعلم صدقي فيما كنت توسّطته ، ونصحي فيما عاملتك به ، فإن كان موت الرجل صحيحاً ، فقد رجعت إليك ضيعتك ، وإن كان باطلاً فإنّه لا يسألني عنهما ، ولا يذكرهما ، وإن ذكرهما جحدت أنّي تسلّمتهما ، وقضيت [٨٠ ن] حقّك بذلك ، وأعدت نعمتك عليك .

قال : وإذا بالكتابين في طيّ الرقعة ، فمزّقتهما في الحال .

ولبست من عند الخالة ، خفًّا ، وإزاراً ، بعد أن عرّفتها الصورة ، وخرجت مع العجوز ، وجئت إلى داري فدخلتها من بعض أبوابها الخفيّة .

فلمّا كان من الغد ، قوي الخبر بقتل بجكم ، ففتحت بابي ، وفرّج الله عنّي المحنة .

فلمّا كان العشاء ، أتاني رسول الخالة ، ومعه الجارية ، وقال : سيّدتي تقرئك السلام ، وتقول لك : لِمَ تدع جاريتك عندنا ؟

قال : وإذا هي قد حملت معها ، كلّ ما كانت قد أخدمتنيه من فرش ، وآلة ، وغير ذلك ، من أشياء كثيرة جليلة المقدار .

وقالت : هذا جهاز الجارية ، وأحبّ أن تقبله منّي [٢٦٠ ر] .

فقبلته ، ورددت الرسول شاكراً ، وقد منّ الله عليّ بالعود إلى أحسن حال[30] .

---

٢٩ ساقطة من غ .

٣٠ غذه القصّة لم ترد في ر .

٣٧٩

تعذيب العمّال المطالبين بضربهم بالمقارع

ووضع الحجارة على أكتافهم

وذكر محمّد بن عبدوس ، في كتابه «كتاب الوزراء» ، قال : حدّثني أحمد بن عليّ بن بيان ، قرابة ابن بسطام ، قال : قال لي سليمان بن سهل البرقي ، وكان أستاذ أبي العبّاس ابن بسطام .

انصرفت من بعض الأعمال[1] ، فألفيت عمر بن فرج[2] يتقلّد الديوان ، وكان في نفسه عليّ شيء ، فأخفيت نفسي ، وسترت أصحابي .

فطلبني ، وأذكى العيون عليّ ، فلم يصلوا إليّ ، فأمر أن يعمل لي مؤامرة تشتمل على ثلثمائة ألف[3] .

وكانت بيني وبين نجاح بن سلمة[4] مودّة ، فأنا في عشيّة من العشايا ، في استتاري ، إذ وردت عليّ رقعة نجاح يأمرني بالمصير إليه .

فلمّا صرت إليه ، قال لي : صر إلى عمر بن فرج ، وسلّم عليه ، وعرّفه أنّي قد بعثت بك إليه .

قال : فقلت له : يا سيّدي ، انظر ما تقول ، فإنّه قد نذر دمي ، فكيف أمضي إليه هكذا ؟

---

١ يريد أنّه كان متقلّداً عملاً من أعمال السلطان ، وصرف عنه ، فعاد إلى الحضرة .

٢ عمر بن فرج بن زياد الرخجي : ترجمته في حاشية القصّة ٣٧٤ من الكتاب .

٣ المؤامرة : عمل يثبت فيه مقدار ما تحقّق على الشخص من أموال عليه أن يؤدّيها للسلطان ، راجع القصّة ١٧٧/٢ من كتاب نشوار المحاضرة ج ٢ ص ٣٣٦ سطر ٦ .

٤ أبو الفضل نجاح بن سلمة الكاتب : ترجمته في حاشية القصّة ٧٣ من هذا الكتاب .

فقال : نعم ، اعلم أنّه قال لي اليوم ، إنّ فلسطين[٥] قد انغلقت علينا ، وفسدت ، مع جلالتها ، وقد أكلها العمّال ، وإنّه في طلب من يكفيه أمرها ، ويحفظ مالها ، وليس يعرف من يرضي كفايته .

فقلت له : إن أردت الكفاية ، فهذا سليمان بن سهل ، وفيه من الكفاية والإخلاص [٢٢٣ م] والجدّ ، ما لا يشكّ فيه ، فلم عطّلته ، وأخفته ؟

فقال : كيف لي به ؟

فقلت : تؤمّنه ، وتزيل ما عليه من المطالبة ، وتقلّده فلسطين ، فإنّه يكفيك ، ويوفّر عليك ، ويجمّلك فيما يتصرّف لك فيه ، وأنا أبعث به إليك .

فقال : أبعث به إليّ ، وهو آمن .

فصر إليه ، فإنّه لا يعرض لك إلاّ بما تحبّ .

فبكّرت إليه ، وهو في ديوانه ، فلمّا دخلت صحن الدار ، رأيت العمّال على أكتافهم الحجارة ، والمقارع[٦] تأخذهم ، فهالني ما رأيت .

---

٥ فلسطين : راجع حاشية القصّة ١٣٥ من الكتاب .

٦ أورد صاحب الصلة ص ٣٤، أبياتاً ، أثبت قائلها فيها ، ألواناً من العذاب الذي كان يصبّ على رؤوس العمّال والمتصرّفين المصروفين ، منها :

أين ضرب المقـارع الأرزنيّا ت وأين الترهيب والانتهار
أين صفع القفا وأين التهاويـ ـل إذا علّقت عليها الثفار
أين ضيق القيود والألسن الفظّـ ـة أين القيام والأخطار
أين عرك الآذان واللطم للها م وعصر الخصا وأين الزيار
أين نتف اللحى وشدّ الحيازيـ ـم وأين الحبوس والمضمار

وفي وفيات الأعيان ٤/٤٦٩ و ٤٧٠ أبيات لابن التعاويذي ، ذكر فيها ما أنزله الوزير ابن البلدي ، بالعمّال المصروفين ، من ألوان العذاب وأوّل القصيدة :

يا قاصداً بغداد حد عن بلدة للجور فيها زخرة وعباب

ومنها : =

فلمّا وصلت إليه ، سلّمت عليه ، وقلت : إنّي كنت خادم أبي الفضل ، أعني فرج الرخّجي[٧] ، وأحد صنائعه .

فقال : لولا ما تمتّ به من هذه الخدمة ، لكنت أحد هؤلاء الذين تراهم .

ثم رفع مصلاه ، وأخرج الكتب بولايتي فلسطين ، وسلّمها إليّ ، وأمرني بكتمان أمري عن الناس ، والاستعداد للمسير .

فأخذت الكتب ، وشخصت إلى هناك ، فأرضيته ، وقضيتُ حقّ نفسي[٨] .

شهدوا معادهم فعاد مصدّقاً — من كان قبلُ ببعثه يرتاب
حشرٌ وميزانٌ وعرض جرائدٍ — وصحائفٌ منشورةٌ وحساب
وبها زبانيةٌ تبثّ على الورى — وسلاسلٌ ومقامعٌ وعذاب
ما فاتهم من كلّ ما وعدوا به — في الحشر إلاّ راحمٌ وهّاب

٧ أبو الفضل فرج بن زياد الرخّجي : ترجمته في حاشية القصّة ١٢٩ من الكتاب .
٨ هذه القصّة لم ترد في ر ولا في غ .

٣٨٠
الله يجزي سعيد الخير نائلة

حدّثني أبو الفرج ، المعروف بالأصبهاني ، قال : أخبرني أبو دلف هشام[١] بن محمّد بن هارون بن عبد الله بن مالك الخزاعي ، ومحمّد بن الحسن[٢] الكندي ، قالا : حدّثنا الخليل بن أسد ، قال : أخبرني العمري ، عن الهيثم بن عدّي ، عن الحسن[٣] بن عمارة ، عن الحكم بن عيينة :

أنّ حارثة بن بدر الغداني[٤] ، كان قد سعى في الأرض فساداً ، فنذر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب سلام الله عليه دَمَهُ ، فاستجار بأشراف الناس ، فلم يجره أحد .

فقيل له : عليك بسعيد بن قيس الهمداني[٥] ، فلعلّه أن يجيرك .

---

١ في ن : هاشم .

٢ في ن : محمد بن الحسين .

٣ في م : الحسين بن عمارة .

٤ حارثة بن بدر بن حصين التميمي الغداني : تابعيّ ، بصريّ ، مستهتر بالشراب ، وكان جليساً لزياد بن أبيه لمّا ولّي البصرة ، ولمّا مات وخلفه ولده عبيد الله ، قال له : اختر من عملي ما شئت ، فاختار الولاية على سرّق ، لأنّ شرابها طيّب ، فقال أبو الأسود الدؤلي :

أحارِ بن بدر قد وليتَ ولايةً ... فكن جرذاً فيها تخون وتسرق
ولا تحتقر يا حارِ شيئاً وجدته ... فحظّك من مال العراقين سرّق

وخرج في بعث يحارب الخوارج ، ثمّ بلغه ، تأمير المهلّب ، فأقبل بمن معه نحو البصرة ، وركب سفينة في نهر دجيل ، فاستغاث به رجل ليحمله معه ، فقرّب السفينة إلى الشاطئ فوثب الرجل إليها فغاصت بجميع من فيها ، فغرقوا ، وذلك في السنة ٦٥ (وفيات الأعيان ٥٠٢/٢ وابن الأثير ١٩٦/٤) .

٥ سعيد بن قيس بن زيد الهمداني : فارس ، شجاع ، جواد ، داهية ، من سلالة ملوك همدان ، اشترك في فتح فارس على عهد الخليفة عمر ، وولّاه عثمان الريّ ، وحارب في صفّين مع الإمام عليّ ، توفّي نحو سنة ٥٠ (الاعلام ١٥٣/٣ وابن الأثير ١٠/٣ ، ١٤٧ ، ٢٨٥) .

فطلب سعيداً ، فلم يجده ، فجلس في طلبه ، حتى جاء ، فأخذ بلجام دابّته ، وقال : أجرني ، أجارك الله .

قال : مالك ويحك ؟

قال : قد نذر أمير المؤمنين دمي .

فقال : أقم مكانك ، وانصرف إلى أمير المؤمنن ، فوجده قائماً يخطب على المنبر .

فقال : يا أمير المؤمنين ، ما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ، ويسعون في الأرض فساداً ؟

قال : أن يقتلوا ، أو يصلبوا ، أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ، أو ينفوا من الأرض .

قال : يا أمير المؤمنين ، إلاّ من تاب .

قال : إلاّ من تاب .

قال : فهذا حارثة بن بدر قد جاءنا تائباً ، وقد أجرته .

قال : أنت رجل من المسلمين ، وقد أجرنا من أجرته .

ثم قال وهو على المنبر : أيّها الناس ، إنّي كنت قد نذرت دم حارثة بن بدر ، فمن لقيه فلا يعرض له .

فانصرف إليه سعيد ، فأعلمه ، وكساه ، وحمله ، وأجازه ، فقال فيه حارثة شعراً :

الله يجزي سعيد الخير نائلة … أعني سعيد بن قيس قرم همدان

أنقذني من شفا غبراء مظلمة … لولا شفاعته ألبست أكفاني

قالت تميم بن مرّ لا تخاطبه … وقد أبت ذلكم قيس بن عيلان

قال الحسن بن الهيثم : لم يكن يروي الحسن بن عمارة ، من هذا الشعر ، غير هذه الأبيات ، فأخذت الشعر كلّه من حمّاد الراوية ، وقلت له : ممّن أخذته ؟

فقال : من سماك بن حرب ، وهو :

أساغ في الحلق ريقاً كنت أجرضه ‏ ‏ ‏ وأظهر الله سرّي بعد كتمان
إنّي تداركني عفّ شمائله ‏ ‏ ‏ آباؤه حين ينمي خير قحطان

وذكر بقيّة الشعر والحديث ، ولم يكن مما يدخل في كتابي هذا ، فلم أسقه[٦] .

٦ هذه القصّة لم ترد في ر ، ولا في غ .

٣٨١
فإن نلتني حجّاج فاشتف جاهداً

وأخبرني أبو الفرج المعروف بالأصبهاني ، قال : أخبرني عمّي الحسن بن محمّد ، قال : قال لي الكراني[١] ، عن الخليل بن أسد ، عن العمري ، عن عطاء عن عاصم بن الحدثان ، قال :

كان ابن نمير الثقفي[٢] ، يشبّب بزينب بنت يوسف بن الحكم[٣] ، وكان الحجّاج أخوها يتهدّده ، ويقول : لولا أن يقول قائل ، لقطعت لسانه [٢٢٤ م] .

فهرب إلى اليمن ، ثم ركب بحر عدن ، وقال في هربه :

أتتني عن الحجّاج والبحر بيننا ... عقارب تسري والعيون هواجع
فضقت بها ذرعاً وأجهشت خيفة ... ولم آمن الحجّاج والأمر قاطع
وحلّ بي الخطبُ الذي جاءني به ... سميع فليست تستقرّ الأضالع [٨١ ن]
فبتّ أدير الأمر والرأي ليلتي ... وقد أخضلت خدّي الدموع الهوامع

---

١ الكراني : النسبة إلى كران ، محلّة بأصبهان (اللباب ٣/٣٣) ، واسمه محمّد بن سعد من رجال سند صاحب الأغاني (كتاب الأغاني ١/٣١) .

٢ محمّد بن عبد الله بن نمير الثقفي : شاعر غزل ، ولد ونشأ بالطائف ، وهو صاحب القصيدة المشهورة شبّب فيها بزينب بنت يوسف الثقفي ، ذكرها صاحب الأغاني ٦/١٩٢–١٩٤ وصاحب العقد الفريد ٥/٣٢٥ ومطلعها :

تضوّع مسكاً بطنُ نعمان إذ مشت ... به زينبٌ في نسوةٍ خفرات

٣ زينب بنت يوسف بن الحكم بن أبي عقيل الثقفي : أخت الحجّاج ، زوّجها من ثقفي ، وولّاه البصرة ، ولمّا ثار أهل العراق على الحجّاج ، بعث بها ضمن أفراد عائلته إلى الشام ، ولمّا انتهت الحرب ، كتب إليها الحجّاج ، فوردت الرسالة إليها ، وهي على دابّة ، فلمّا فتحتها لتقرأها ، قعقع ورقها ، فنفرت الدابّة ، وألقتها ، فقتلتها (الأغاني ٦/١٩٠–٢٠٨) .

٤

فلم أر لي خيراً من الصبر إنّه أعفّ وأحرى إذ عرتني الفواجع
وما أمنَتْ نفسي الذي خفت شرّه ولا طاب لي ما حبّبته[4] المضاجع
إلى أن بدا لي رأس إسبيل[5] طالعاً وإسبيل حصن لم تنله الأصابع
فلي عن ثقيف إن هممت بنجوةٍ مهامه تعفى بينهنّ الهجارع[6]
وفي الأرض ذات العرض عنك ابن يوسف إذا شئت منأى لا أبالك واسع
فإن نلتني حجّاج فاشتفِ جاهداً فإنّ الذي لا يحفظ الله ضائع[7]

قال : فطلبه الحجّاج ، فلم يقدر عليه ، ثم طال على النميري مقامه هارباً ، واشتاق إلى وطنه فجاء حتى وقف على رأس الحجّاج .

فقال له الحجّاج : يا نميري ، أنت القائل :

فإن نلتني حجّاج فاشتفِ جاهداً .

فقال : بل أنا أقول :

أخاف من الحجّاج ما لست خائفاً من الأسد العرباض[8] لم يثنه ذعر
أخاف يديه أن تنال مفاصلي بأبيض عضبٍ ليس من دونه ستر

وأنا الذي أقول :

فها أنا قد طوّفت شرقاً ومغرباً وأبتُ وقد دوّخت كلّ مكان
فلو كانت العنقاء عنك تطير بي لختلك – إلاّ أن تصدّ – تراني

قال : فتبسّم الحجّاج ، وأمّنه ، وقال : لا تعاود إلى ما تعلم ، وخلّى سبيله[9]

---

٤ في الأغاني ١٩٩/٦ : ممّا خشيت .

٥ إسبيل : جبل في مخلاف ذمار (معجم البلدان ٢٣٩/١) .

٦ المهامه ، مفردها : المهمه والمهمهة : المفازة البعيدة ، والهجرع : الكلب السلوقي الخفيف .

٧ وردت الأبيات كاملة في الأغاني ١٩٨/٦ و١٩٩ وفي معجم البلدان ٢٤٠/١ .

٨ العرباض : الثقيل العظيم .

٩ هذه القصّة لم ترد في ر ، ولا في غ ، ووردت في الأغاني بتفصيل ١٩٨/٦–٢٠٠ .

٣٨٢

أسود راجل رزقه عشرون درهماً

بزّ في كرمه معن بن زائدة الشيباني

أخبرني أبو الفرج علي بن الحسين القرشي ، قال : أخبرني حبيب بن نصر المهلّبي[١] ، قال : [حدّثنا عبد الله بن أبي سعد ، قال : أخبرنا محمّد بن نعيم البلخي ، أبو يونس ، قال :][٢] ، حدّثني مروان بن أبي حفصة ، وكان لي صديقاً ، قال :

كان المنصور قد طلب معن بن زائدة الشيباني طلباً شديداً ، وجعل فيه مالاً .

فحدّثني معن باليمن ، أنّه اضطرّ لشدّة الطلب أن قام في الشمس ، حتى لوّحت وجهه ، وخفّف من [٢٧٩ غ] عارضيه ولحيته ، ولبس جبّة صوف غليظة ، وركب جملاً [من جمال النقّالة][٣] ، وخرج عليه ليمضي إلى البادية ، [وقد كان أبلى في الحرب بين يدي ابن هبيرة[٤] بلاءً حسناً ، فغاظ المنصور[٥] ، وجدّ في طلبه][٣] .

---

١ حبيب بن نصر المهلّبي : من عمّال الدولة العبّاسيّة ، استعمله الرشيد على إفريقية في السنة ١٧٤ بعد وفاة أميرها روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلّب ، وعزله في السنة ١٧٧ بالفضل بن روح بن حاتم (ابن الأثير ٦/١٣٥ والأعلام ٣/٦٣) .

٢ الزيادة من ن ، ومن الأغاني ١٠/٨٤ .

٣ ساقطة من غ .

٤ أبو خالد يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري (٨٧–١٣٢) : من قوّاد الدولة الأمويّة . جمعت له ولاية العراقين سنة ١٢٨ في أيّام مروان بن محمّد ، وقاتل العبّاسيّين ، ثمّ انجحر في واسط ، وحاصره المنصور فيها ، فلم يقدر عليه ، فآمنه ، ثمّ غـدر به فقتل سنة ١٣٢ بواسط (الأعلام ٩/٢٤٠) .

٥ كان معن بن زائدة من قوّاد يزيد بن عمر بن هبيرة ، وصمد في محاربة العبّاسيّين فلمّا قتل يزيد بن عمر ابن هبيرة ، استتر إلى أن ظهر يوم الهاشمية ، لمّا ثار بعض الخراسانيّين على المنصور ، فظهر معن ،

قال معن : فلمّا خرجت من باب حرب[6] ، تبعني أسود ، متقلّداً سيفاً ، حتى إذا غبت عن الحرس ، قبض على خطام الجمل ، فأناخه ، وقبض عليّ .

فقلت : مالك ؟

فقال : أنت طلبة أمير المؤمنين .

فقلت : ومن أنا حتى يطلبني أمير المؤمنين .

قال : أنت معن بن زائدة .

فقلت : يا هذا اتّق الله ، وأين أنا من معن بن زائدة .

فقال : دع عنك هذا ، فأنا والله أعرف بك منك .

فقلت له : فإن كانت القصّة كما تقول ، فهذا جوهر حملته معي بأضعاف ما بذل المنصور لمن جاء بي ، فخذه ، ولا تسفك دمي .

فقال : هاته ، فأخرجته إليه .

فنظر إليه ساعة ، وقال : صدقتَ في قيمته ، ولست قابله حتى أسألك عن شيء ، فإن صدقتني أطلقتك .

فقلت : قل .

قال : إنّ الناس قد وصفوك بالجود ، فأخبرني هل وهبتَ قطّ مالك كلّه ؟

قلت : لا .

قال : فنصفه ؟

قلت : لا .

قال : فثلثه ؟

وحارب بين يدي المنصور ، فلمّا انقمع الثائرون كشف وجهه للمنصور ، فآمنه ، وأكرمه ، وولّاه راجع القصّة ٣٨٣ من هذا الكتاب .

٦ باب حرب : إحدى أبواب مدينة المنصور ، تنسب إلى حرب بن عبد الله البلخي أحد قوّاد المنصور ، راجع معجم البلدان ١/٤٤٤ و٢/٢٣٤ .

قلت : لا ، حتى بلغ العشر .

فاستحييت ، فقلت : أظنّ أنّي قد فعلت ذلك .

قال : ما أراك فعلته ، وأنا والله راجل[7] ، ورزقي مع أبي جعفر عشرون درهماً ، وهذا الجوهر قيمته آلاف دنانير ، وقد وهبته لك ، ووهبتك لنفسك ، ولجودك المأثور بين الناس ، ولتعلم أنّ في الدنيا أجود منك [٢٢٥ م] فلا تعجبك نفسك ، ولتحقر بعدها كل شيء تعمله ، ولا تتوقّف عن مكرمة ، ثم رمى العقد في حجري ، وخلّى خطام البعير ، وانصرف .

فقلت له : يا هذا ، قد والله فضحتني ، ولسفك دمي أهون عليّ مما فعلته ، فخذ ما دفعته إليك ، فإنّي عنه غنيّ .

فضحك ، وقال : أردت أن تكذّبني في مقالي هذا ، والله لا أخذته ، ولا آخذ لمعروف ثمناً أبداً ، وتركني ومضى .

فوالله لقد طلبته بعد أن أمنت ، وضمنت لمن جاءني به ما شاء ، فما عرفت له خبراً ، وكأنّ الأرض ابتلعته[8] .

---

٧ الراجل : الجندي الذي يحارب راجلاً ، وهو أقلّ الجنود رزقاً ، سمّي بذلك تمييزاً له عن الفارس الذي يرتزق رزقاً أكثر ، ويستخدم الراجل عادة في الخدمة في الدواوين وفي مرافقة المستحثّين والمستخرجين وتنفيذ أوامرهم فيما يتعلّق باستحصال الديون الأميريّة ، راجع القصّة ١/١٢٠ و ٢/١٤٧ من النشوار .

٨ هذه القصّة لم ترد في ر ، ولا في غ ، ووردت في الأغاني ١٠/٨٤ و ٨٥ وفي نهاية الأرب ٣/٢١١ و ٢١٢ .

٣٨٣
سبب رضا المنصور عن معن بن زائدة

قال : وكان سبب رضا المنصور عن معن بن زائدة ، أنّه لم يزل مستتراً ، حتى يوم الهاشميّة[١] ، ووثب القوم على المنصور[٢] وكادوا يقتلونه ، فوثب معن وهو متلثّم ، وانتضى سيفه ، فقاتل ، وأبلى بلاءً حسناً ، وذبّ القوم عنه ، والمنصور راكب على بغلة ولجامها بيد الربيع .

فقال له : تنحّ ، فإنّي أحقّ بلجامها في هذا الوقت .

فقال له المنصور : صدق ، ادفعه إليه ، فأخذه ، ولم يزل يقاتل ، حتى انكشفت تلك الحال .

فقال له المنصور : من أنت لله أبوك ؟

فقال : أنا طلبتك يا أمير المؤمنين ، معن بن زائدة .

فقال : قد أمّنك الله على نفسك ومالك ، ومثلك يصطنع ، ثم أخذه معه ، وخلع عليه ، وحباه ، وقرّبه .

ثم دعا به يوماً ، فقال : إنّي قد أهّلتك لأمر ، فانظر كيف تكون فيه ؟

فقال : كما تحبّ يا أمير المؤمنين ، فولّاه اليمن ، وتوجّه إليها ، فبسط فيهم السيف ، حتى استووا .

---

١ الهاشميّة : مدينة بناها أبو العبّاس السفّاح ، أوّل الخلفاء العبّاسيّين ، حيال قصر ابن هبيرة ، واتخذها حاضرة له ، ثمّ تركها وانتقل إلى الأنبار ، ومات بها ، ولمّا استخلف المنصور عاد إليها فنزلها ، وكان فيها لمّا ثار عليه الراوندية ، وفيها حبس عبد الله بن الحسن بن الحسن ومن كان معه من أهل بيته ، ثمّ بنى بغداد وانتقل إليها ، راجع معجم البلدان ٤/٩٤٦ .

٢ هؤلاء القوم يسمّون : الراوندية ، وكانوا على رأي أبي مسلم الخراساني ، تحرّكوا على المنصور بعد قتل أبي مسلم ، فحبس المنصور منهم مائتي شخص من رؤسائهم ، فثاروا وأخرجوهم من الحبس ، فحاربهم المنصور ، ونصره العامّة والجند ، فاستعلى عليهم ، وقتلهم جميعاً (العيون والحدائق ٣/٢٢٧ و ٢٢٨) .

قال مروان : وقدم معن بن زائدة بعقب ذلك على المنصور ، فقال له ، بعد كلام طويل : قد بلغ أمير المؤمنين عنك شيء ، لولا مكانك عنده ، ورأيه [٢٨٠ غ] فيك ، لغضب عليك .

فقال : وما ذاك يا أمير المؤمنين ؟ فوالله ما تعرّضت لسخطك ، فقال : عطاءك مروان بن حفصة ، لقوله فيك :

معن بن زائدة الذي زيدت به شرفاً إلى شرف بنو شيبان
إن عدّ أيّام الفعال فإنّما يوماه يوم ندًى ويوم طعان

فقال : والله ، يا أمير المؤمنين ، ما أعطيته ما بلغك ، لهذا الشعر ، ولكن لقوله : [٨٢ ن]

ما زلتَ يوم الهاشميّة معلناً بالسيف دون خليفة الرحمن [٢٦١ ر]
فمنعت حوزته وكنت وقاءه من وقع كلّ مهنّد وسنان

قال : فاستحيا المنصور ، وقال : إنّما أعطيت لمثل هذا القول ؟

فقال : نعم ، يا أمير المؤمنين ، ولولا مخافة الشنعة ، لأمكنته من مفاتيح بيوت الأموال ، وأبحته إيّاها .

فقال المنصور : لله درّك من أعرابيّ ، ما أهون عليك ما يعزّ على الناس وأهل الحزم[٣] .

---

٣ هذه القصّة لم ترد في ر ، وقد وردت في الأغاني ١٠/٨٥ و٨٦ .

٣٨٤

قطن بن معاوية الغلابي يستسلم للمنصور

أخبرني عليّ بن أبي الطيّب ، قال : حدّثنا ابن الجرّاح ، قال : حدّثنا ابن أبي الدنيا ، قال : حدّثنا عمر بن شبّة ، قال : أخبرني أيوب بن عمر بن أبي عثمان[1] ، عن أبي سلمة الغفاري ، قال : حدّثنا قطن بن معاوية الكلابي[2] ، قال :

كنت ممن سارع إلى إبراهيم ، فاجتهدت معه ، فلمّا قتل ، طلبني المنصور ، فاستخفيت منه ، فقبض على أموالي ودوري .

ولحقتُ بالبادية ، فجاورت في بني نصر بن معاوية ، وبني كلاب ، من بني فزارة ، ثم بني سليم ، ثم تنقّلت في بوادي قيس ، أجاورهم .

حتى ضقت ذرعاً بالاستخفاء ، فأزمعت القدوم على أبي جعفر ، والاعتراف له ، فقدمت البصرة ، ونزلت في طرف منها .

ثم أرسلت إلى أبي عمرو بن العلاء[3] ، وكان لي ودًّا ، فشاورته في الأمر الذي أزمعت عليه ، فلم يقبل رأيي .

وقال : إذاً يقتلك ، وأنت [٢٢٦ م] المعين على نفسك .

فلم ألتفت إليه ، وشخصت إلى بغداد ، وقد بنى أبو جعفر مدينته ، ونزلها ،

---

١ في ن : أبو أيّوب بن عمر بن أبي عمـر ، وفي مخطوطة (د) : أيّوب بن عمر أبي محمّد .

٢ كذا في الأصل ، والصحيح : الغلابي ، نسبة إلى غلاب وهي امرأة ، أمّ خالد بن غلاب البصري القرشي ، ولخالد صحبة ، وكان والياً لعثمان بن عفّان على أصبهان ، وهو جد الغلابيّين الذين بالبصرة (الأنساب ٤١٤) .

٣ أبو عمرو العريان بن العلاء بن عمّار التميمي المازني البصري : ترجمته في حاشية القصّة ٣٨٧ من الكتـاب .

وليس من الناس أحد يركب فيها ، ما خلا المهدي[4] .

فنزلت خاناً[5] ، ثم قلت لغلماني : إنّي ذاهب إلى أمير المؤمنين ، فأمهلوا ثلاثاً ، فإن جئتكم ، وإلاّ فانصرفوا .

ومضيت حتى دخلت المدينة ، فجئت إلى دار الربيع ، والناس ينتظرونه ، وهو حينئذ ينزل داخل المدينة ، في الدار الشارعة على قصر الذهب .

فلم يلبث أن خرج يمشي ، وقام إليه الناس ، وقمت معهم ، فسلّمت عليه ، فرد عليّ السلام .

وقال : من أنت ؟

قلت : قطن بن معاوية .

فقال : انظر ما تقول ؟

فقلت : أنا هو .

قال : فأقبل على مسوّدة[6] كانوا معه ، وقال : احتفظوا به .

قال : فلمّا حرست ، لحقتني الندامة ، وذكرت رأي أبي عمرو .

ودخل الربيع ، فلم يُطِل حتى خرج خصيّ ، فأخذ بيدي ، فأدخلني قصر الذهب ، ثم أتى بي إلى بيت ، فأدخلني إليه ، وأغلق الباب عليّ ، وانطلق .

فاشتدّت ندامتي ، وأيقنت بالبلاء ، وأقبلت على نفسي ألومها .

فلمّا كان وقت الظهر ، أتاني الخصيّ بماء ، فتوضّأت ، وصلّيت ، وأتاني بطعام ، فأخبرته بأنّي صائم .

---

٤ في معجم البلدان ٦٨٤/١ : لم يكن أحد يدخل إلى مدينة المنصور إلّا راجلاً ، ما خلا المهدي ابنه ، وداود بن علي عمّه ، فإنّه كان منقرساً ، وكان يحمل في محفّة ، فقال له عمّه عبد الصمد بن علي : يا أمير المؤمنين ، أنا شيخ كبير ، فلو أذنت لي أن أنزل داخل الأبواب ، فلم يأذن له .

٥ الخان : محلّ نزول المسافرين ، راجع حاشية القصّة ٢٤٦ من الكتاب .

٦ يريد بالمسوّدة : الجند ، وكانوا يلبسون السواد ، شعار العبّاسيّين .

فلمّا كان وقت المغرب ، أتاني بماء ، فتوضّأت ، وصلّيت ، وأرخى عليّ الليل سدوله ، فأيست من الحياة ، وسمعت أبواب المدينة تغلق ، فامتنع عنّي النوم .

فلمّا ذهب صدر من الليل ، أتاني الخصيّ ، ففتح عنّي ، ومضى لي ، فأدخلني صحن دار ، ثم أدناني من ستور مسدولة .

فخرج علينا خادم ، وأدخلنا ، فإذا أبو جعفر وحده ، والربيع قائم ناحية .

فأكبّ أبو جعفر هنيهة ، مطرقاً ، ثم رفع رأسه ، فقال : هيه .

فقلت : يا أمير المؤمنين ، أنا قطن بن معاوية .

فقال : والله لقد جهدت عليك جهدي ، حتى منّ الله عليّ بك .

فقلت : يا أمير المؤمنين ، قد والله جهدت عليك جهدي ، وعصيت أمرك ، وواليت عدوّك ، وحرصت على أن أسلبك ملكك ، فإن عفوتَ فأهلُ ذلك أنتَ ، وإن عاقبت فبأصغر ذنوبي تقتلني .

قال : فسكت هنيهة ، ثم قال : أعد ، فأعدت مقالتي .

قال : فإنّ أمير المؤمنين قد عفا عنك .

قال : فقلت : يا أمير المؤمنين إنّي أصير وراء بابك فلا أصل إليك ، وضياعي ودوري مقبوضة ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يردّها عليّ ، فعل .

قال : فدعا بدواة ، ثم أمر خادماً له أن يكتب بإملائه ، إلى عبد الملك بن أيّوب النميري[7] ، وهو يومئذٍ على البصرة : أنّ أمير المؤمنين قد رضي عن قطن بن معاوية ، وقد ردّ عليه ضياعه ودوره وجميع ما قبض عليه ، فاعلم ذلك وأنفذه إن شاء الله تعالى .

قال : ثم ختم الكتاب ، ودفعه إليّ ، فخرجت من ساعتي ، لا أدري أين

---

٧ عبد الملك بن أيّوب بن ظبيان النميري : استعمله المنصور على البصرة في السنة ١٥٤ وعزله في السنة ١٥٥ ثمّ أعاده في السنة ١٥٩ (الكامل لابن الأثير ٥/٦١٢ و٦/٦ و٤٠ و٤١) .

أذهب ، فإذا الحرس بالباب ، فجلست إلى جانب أحدهم .

فلم ألبث أن خرج الربيع ، فقال : أين الرجل الذي خرج آنفاً ؟ فقمت إليه .

فقال : انطلق أيّها الرجل ، فقد – والله – سلمتَ ، ثم انطلق بي إلى منزله ، فعشّاني ، وفرش لي .

فلمّا أصبحت ، ودّعته ، وأتيت غلماني فأرسلتهم يكترون لي .

فوجدت صديقاً لي من الدهاقين[٨] ، من أهل ميسان[٩] ، قد اكترى سميرية[١٠] لنفسه ، فحملني معه .

فقدمت على عبد الملك بن أيّوب بكتاب أبي جعفر ، فأقعدني عنده ، فلم أقم حتى ردّ عليّ جميع ما اصطفي لي[١١] .

وأخبرني بهذا الخبر أبو القاسم إسماعيل بن محمّد الأنباري[١٢] ، المعروف بابن

---

٨ الدهقان ، وجمعه دهاقين : صاحب القرية ، أو مالك الأرض ، فارسيّة (المعجم الذهبي) .

٩ ميسان : قال ياقوت في معجم البلدان ٧١٤/٤ إنّها كورة واسعة كثيرة القرى والنخل ، بين واسط والبصرة ، سميّت في العهد العثماني وما بعده باسم العمارة ، وأعيد إليها اسمها الأوّل أي ميسان في السنوات الأخيرة ، وفيها قبر النبيّ العزير ، واليهود يسمّونه : عزره ، كاتب التوراة ، في منطقة اسمها : قلعة صالح ، وقد رأيته معموراً يقوم بخدمته اليهود .

١٠ السميريّة ، والسماريّة : زورق يتّخذ لنقل المسافرين ما بين بلد وبلد ، أو لإجازة من يريد العبور من أحد جانبي النهر إلى الجانب الآخر ، راجع معجم المراكب والسفن في الإسلام لحبيب زيّات بمجلّة المشرق م ٤٣ .

١١ لم ترد هذه القصّة في ر ولا في غ ، ووردت في مخطوطة (د) ص ١٦٣–١٦٥ ، وفي نشوار المحاضرة ٧٧/٦ .

١٢ أبو القاسم إسماعيل بن أبي عبد الله محمّد بن إسماعيل الكاتب المعروف بابن بزنجي الكاتب : كان أبوه يكتب لابن الفرات قبل وزارته ، وفي أيّامها ، وكتبا له معاً أيّام الوزارة ، وهما مصدر الكثير من أخبار الوزير ابن الفرات ، في وزارته ، وقبلها (الوزراء للصابي ٣٠–٣٢٨) .

زنجي ، قال : حدّثني أبو عليّ الحسين بن القاسم الكوكبي[13] ، قال : حدّثني ابن أبي سعيد[14] ، قال : حدّثنا ابن دريد ، وذكر بإسناده مثله .

---

١٣ أبو علي الحسين بن القاسم الكوكبي : ترجم له الخطيب في تاريخه ٨٦/٨ وقال عنه : إنّه صاحب أخبار وآداب توفّي سنة ٣٢٧ .

١٤ أبو بكر عبد الله بن أبي سعيد الورّاق : ترجم له الخطيب في تاريخه ٤٧٣/٩ .

٣٨٥

المأمون يغضب على إبراهيم الصولي

ثم يرضى عنه

[أخبرني أبو بكر محمّد بن يحيى الصولي ، فيما أجاز لي روايته عنه ، بعدما سمعته من حديثه ، قال :][1] أخبرني أبو بكر محمّد بن سعيد الصوفيّ[2] ، قال : حدّثني محمّد بن صالح بن النطّاح[3] ، قال :

لمّا عزم [٢٢٧ م] المأمون على الفتك بالفضل بن سهل ، وندب إليه عبد العزيز بن عمران الطائيّ[4] ، ومؤنساً البصريّ[5] ، وخلف المصريّ[6] ، وعليّ بن أبي سعيد السلميّ[7] ، وسراج الخادم[8] ، أُنهي الخبر إلى الفضل ، فعاتبه عليه .

---

١ الزيادة من ن .

٢ أبو بكر محمّد بن سعيد الحربي الصوفي : أحد شيوخ الصوفيّة ، ترجم له الخطيب في تاريخه ٣١٠/٥ .

٣ أبو التيّاح محمّد بن صالح بن مهران النطّاح البصري : ترجمته في حاشية القصّة ٢٦ من هذا الكتاب .

٤ عبد العزيز بن عمران الطائي : من قوّاد المأمون (الطبري ٥٦٤/٨) اتّهمه بالاشتراك في المؤامرة على قتل وزيره ذي الرياستين الفضل بن سهل ، فقتله في السنة ٢٠٢ (الطبري ٥٦٥/٨) .

٥ سمّاه الطبري : موسى أحد قوّاد المأمون ، اتّهمه بالاشتراك في المؤامرة على قتل الوزير الفضل بن سهل ، فقتله (الطبري ٥٦٥/٨) .

٦ خلف المصري : أحد قوّاد المأمون ، اتّهمه بالاشتراك في المؤامرة على قتل الوزير الفضل ، فقتله (الطبري ٥٦٥/٨) .

٧ علي بن أبي سعيد : ابن أخت الفضل بن سهل الوزير (الطبري ٥٦٤/٨) أحد القوّاد الكبار في جيش المأمون ، ولّاه في السنة ١٩٨ خراج العراق (الطبري ٥٢٧/٨) وحارب تحت قيادة الحسن بن سهل في العراق (الطبري ٥٣١/٨ ، ٥٣٣ ، ٥٣٥) ، ثمّ خالف على الحسن في السنة ٢٠٠ وشخص إلى المأمون (الطبري ٥٤١/٨) وفي السنة ٢٠٢ اتّهمه المأمون بالاشتراك في المؤامرة على الوزير الفضل فقتله (الطبري ٥٦٤/٨ و ٥٦٥) .

٨ سراج الخادم : خادم المأمون ، كان المأمون ينفذه في المهمّ من أموره (الطبري ٥٤١/٨) .

فلمّا قتل الفضل[9] ، قيل للمأمون : إنّه عرفه من جهة إبراهيم بن العبّاس الصولي ، فطلبه ، فاستتر .

وكان إبراهيم عرف هذا الخبر من جهة عبد العزيز بن عمران ، وكان الفضل قد استكتب إبراهيم لعبد العزيز ، فعلمه منه ، فأخبر الفضل .

وتحمّل إبراهيم بالناس على المأمون ، وجرّد في أمره هشام الخطيب ، المعروف بالعبّاسي ، لأنّه كان جريئاً على المأمون ، ولأنّه ربّاه ، وشخص إلى خراسان ، في فتنة إبراهيم بن المهدي ، فلم يجبه إلى ما سأل .

فلقيه إبراهيم بن العبّاس ، مستتراً ، وسأله عمّا عمل في حاجته ؟ فقال له هشام : قد وعدني في أمرك بما تحبّ .

فقال له إبراهيم : أظنّ الأمر على خلاف هذا .

قال : لِمَ ؟

قال : لأنّ محلّك عند أمير المؤمنين أجلّ من أن يعد [٨٣ ن] مثلك شيئاً ويؤخّره ، ولكنّك سمعت فيّ ما لا تحبّ ، فكرهت أن تغمّني به ، فقلتَ لي هذا القول ، فأحسن الله — على كلّ الأحوال — جزاءك .

فمضى هشام إلى المأمون ، فعرّفه خبر إبراهيم فعجب من فطنته ، وعفا عنه[10] .

---

٩ في الطبري ٥٦٥/٨ وفي ابن الأثير ٣٤٧/٦ : إنّ الذين قتلوا الفضل ، أربعة : غالب المسعودي الأسود ، وقسطنطين الرومي ، وفرج الديلمي ، وموفّق الصقلبي ، وإنّ المأمون قتلهم .

١٠ هذه القصّة لم ترد في ر ولا في غ .

٣٨٦

الأمير سيف الدولـة

يصفح عن أحد أتباعه ويعيد إليه نعمته

حدّثني عبد الله بن أحمد بن معروف ، أبو القاسم[١] ، قال :

كنتُ بمصر ، وكان بها رجل يعرف بالناضريّ ، من تنّاء حلب[٢] ، قد قبض سيف الدولة على ضيعته ، وصادره .

فهرب منه إلى كافور الإخشيديّ[٣] ، فأجرى عليه جراية سابغة في كلّ شهر .

وكان يجري على جميع من كان يقصده ، من الجرايات التي تسمّى الراتب ، وكان مالاً عظيماً قدره في السنة خمسمائة ألف دينار[٤] ، لأرباب النعم ، وأجناس الناس ، ليس لأحد من الجيش ، ولا من الحاشية ، ولا من المتصرّفين في الأعمال ، شيء منها .

قال : فجرى يوماً ذكر هذا الناضريّ بحضرة كافور ، وقيل له بأنّه بغّاء ، وكثرت عليه الأقاويل في ذلك ، فأمر بقطع جرايته .

فرفع إليه قصّة[٥] يشكو فيها انقطاع مادّته ، ويسأل التوقيع بإجرائه على رسمه .

---

١ أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن معروف ، أخو قاضي القضاة أبي محمّد عبيد الله بن أحمد بن معروف : ترجمته في حاشية القصّة ٢٦٢ من الكتاب .

٢ التانئ : المقيم في البلد من وجوه أهلها ، والجمع : تنّاء .

٣ أبو المسك كافور بن عبد الله الإخشيدي (٢٩٢-٣٥٧) : كان مملوكاً للإخشيد صاحب مصر ، ولمّا توفّي الإخشيد ، وخلفه ولده ، سيطر كافور على المملكة ، وحكم مصر حكماً مستمرّاً دام ٢٢ سنة ، توفّي بالقاهرة ، وقد خلّده المتنبي مدحاً وذمّاً (الأعلام ٦٨/٦) .

٤ في القصّة ١٢٠/٣ من كتاب نشوار المحاضرة : خمسون ألف دينار .

٥ القِصّة ، بكسر القاف : في اللغة الحديث ، وفي الاصطلاح الرقعة الّتي ترفع إلى الحاكم ، إما بالتظلّم (القصّة ٢٨/٥ من نشوار المحاضرة) ، أو للاستماحة (القصّة ١٣/١ من نشوار المحاضرة) ، أو التقرير =

فأمر فوقّع على ظهرها : قد صحّ عندنا أنّك رجل تصرف ما نجريه عليك فيما يكره الله عزّ وجلّ ، من فساد نفسك ، وما نرى أن نعينك على ذلك ، فالحق بحيث شئت ، فلا خير لك عندنا بعدها .

قال : فخرج التوقيع إلى الرجل ، فغمّه ذلك ، وعمل محضراً أدخل فيه خطّ خلقٍ كثير ممن يعرفه ، أنّه مستور ، وما قرف قط ببغاء .

وكتب رقعة إلى كافور ، يحلف فيها بالطلاق والعتاق والأيمان الغليظة ، أنّه ليس ببغّاء ، واحتجّ بالمحضر ، وجعل الرقعة طيّ المحضر .

وقال فيها : إنّه لم يكن يدفع إليه ما يدفع لأجل حفظه فرجه أو هتكه ، وإنّما كان ذلك لأنّه منقطع ، وغريب ، وهارب ، ومفارق نعمة ، وإنّ الله عزّ وجلّ أقدر على قطع أرزاق مرتكبي المعاصي ، وما فعل ذلك بهم - بل رزقهم - وأمهلهم ، وأمرهم بالتوبة ، وإنّه إن كان ما قذف به صحيحاً ، فهو تائب إلى الله عزّ وجلّ منه ، وسأله ردّ رسمه إليه ، ورفع القصّة إلى كافور .

قال : فما أدري إلى أيّ شيء انتهى أمره ، إلاّ أنّه صار فضيحة [٢٨١ غ] وتحدّث الناس بحديثه .

واتّفق خروجي من مصر ، عقيب ذلك ، إلى حضرة سيف الدولة ، فلقيته بحلب ، وجرت أحاديث المصريّين ، وكان يتشوّق أن يسمع حديث صغيرهم وكبيرهم ، ويعجبه أن يذكر له .

الذي يرفعه صاحب الربع لحاكم البلد (القصّة ٦٨/٣ من نشوار المحاضرة) ، وكان المتظلّم الذي يخشى أن لا تصل قصّته إلى الحاكم ، يرفع قصّته على قصبة ، ويقف في الطريق الذي يمرّ به الحاكم ، فإذا مرّ ، رفعها ، وحرّكها أمامه ، فيراها ، ويأمر بأخذها (القصّة ١٥١/٧ من كتاب نشوار المحاضرة للقاضي التنوخي) أما القصّة بمعنى الحكاية ، فمعروفة ، والذي يروي القصّة ، يسمّى (القاصّ) ويسمّيه البغداديّون : قصّه خون ، محرفّة عن : خوان ، فارسيّة ، بمعنى : قارئ ، أو راوي ، وكان هذا الاسم يطلق على القاصّ الذي يستأجره صاحب المقهى ، فيتصدّر المجلس ويقرأ على المجتمعين قصّة عنتر ابن شدّاد ، وقصّة أبي زيد الهلالي ، وقد انقرض هذا النوع من القصّاص في بغداد منذ زمن .

قال : فقلت : من عجيب ما جرى بها آنفاً ، أنّه كان بها رجل يقال له الناضريّ ، وقصصت القصّة عليه .

فضحك من ذلك ضحكاً عظيماً ، وقال : هذا المشؤوم بلغ إلى مصر ؟

فقلت : نعم .

فقال لي محمّد الأسمر النديم : إعلم أنّ هذا [٢٢٨ م] الرجل صديقي جداً ، وقد هلك ، وافتقر ، وفارق نعمته ، فأحبّ أن تخاطب الأمير في أمره ، عقيب ما جرى آنفاً ، لأعاونك ، فلعلّ الله عزّ وجلّ أن يفرّج عنه .

فقلت : أفعل .

وأخذ سيف الدولة يسألني عن الأمر ، فأعدت شرحه ، وعاد ، فضحك .

فقلت : أطال الله بقاء مولاي الأمير ، قد سررتَ بهذا الحديث ، ويجب أن يكون له ثمرة ، إمّا لي ، وإمّا للرجل الذي تركتُهُ فضيحة بحلب ، بما أخبرتُ من قصّته ، زيادة على فضيحته بمصر .

فقال : إمّا لك ، فنعم ، وإمّا له ، فلا يستحقّ ، فإنّه فعل وصنع ، وجعل يطلق القول فيه .

قال : فقلت له : فوائدي من مولانا متّصلة ، ولست أحتاج مع إنعامه ، وترادف إحسانه ، إلى التسبّب في الفوائد ، ولكن إن رأى أن يجعلها لهذا المفتضح المشؤوم .

فقال : تنفذ إليه سفتجة بثلاثة آلاف درهم .

قال : فشكرته الجماعة ، وخاطبته في أن يأذن له بالعودة [إلى وطنه ، ويؤمّنه .

قال : فكتب أماناً له مؤكّداً ، وأذن له في العود][6] .

قال : فغمزني الأسمر في الإستزادة .

فقلت : أطال الله بقاء مولانا الأمير ، إنّ الثلاثة آلاف درهم لو أنفذت إلى

٦ ساقطة من غ .

مصر ، إلى أن يؤذن له في العود ، ما كفته لمن يحمله على نفسه ، لأنّ أكثر [٢٦٢ ر] أهل مصر بغّاؤون ، وقد ضايقوه في الناكة ، وغلبوه باليسار ، فلا يصل هو إلى شيء إلاّ بالغرم الثقيل .

قال : فأعجبه ذكر أهل مصر بذلك ، فقال : كيف قلت هذا يا أخ ؟

فقلت : إنّ المياسير من أهل مصر ، لهم العبيد العلوج ، يأتونهم ، لكلّ واحد منهم عدّة غلمان ، والمتوسّطون ، يدعون العلوج ، والزنوج ، المشهورين بكبر الأيور ، وينفقون عليهم أموالهم ، ولا يصل الفقير المتجمّل إليهم .

ولقد بلغني أيضاً ، وأنا بمصر ، أنّ رجلاً من البغّائين بها اشتدّ عليه حكاكه ، فطلب من يأتيه ، فلم يقدر عليه ، فخرج إلى قرية ، ذكر أنّها قريبة من مصر ، فأقام بها .

فكان إذا اجتاز به المجتازون ، استغوى منهم من يختاره لهذا الحال ، فحمله على نفسه ..

فكان يعيش بالمجتاز بعد المجتاز ، ويتمكّن من إرضائه بما لا يمكنه في مصر .

فعاش بذلك برهة ، حتى جاء يوماً بغّاء آخر ، فسكن معه في الموضع ، فكان إذا جاء الغلام الذي يصلح لهذا الشأن ، تنافسا عليه ، ففسد على الأوّل أمره .

فجاء إلى الثاني ، فقال : يا هذا ، قد أفسدت أمري ، وأبطلت عملي ، وإنّما خرجت من مصر ، لأجل المنافسة في الناكة ، وليس لك أن تقيم معي ها هنا .

[فقال له الثاني : سواء العاكف فيه والباد[٧] ، وما أبرح من ها هنا][٨] .

فقال له الأوّل : بيني وبينك شيخنا ابن الأعجمي الكاتب[٩] ، رئيس البغّائين

٧ يريد بالعاكف : المقيم ، وبالباد : غير المقيم ، أي المجتاز .

٨ ساقطة من غ .

٩ في غ : ابن العجمي .

بمصر ، وجذبه إلى حضرته ، فتحاكما إليه .

[فقال : إنّي لمّا كنت اشتدّ بي أمري الذي تعرفه ، ومنعني فقري من اتّخاذ الناكة بمصر ، عدلت إلى الموضع الفلاني ، فعملت كذا ، وقصّ عليه القصّة ، فجاء هذا ، وصَنَعَ ، وقصّ عليه القصّة ، وشرح له أمره ، فإن رأيت أن تحكم بيني وبينه ، فاحكم][10] .

فحكم ابن العجمي للأوّل ، ومنع الثاني من المقام ، وقال له : ليس لك أن تفسد عليه عمله وناحيته ، فاطلب لنفسك موضعاً آخر .

فكيف يمكن للناضريّ [٢٨٣ غ] — أيّد الله مولانا الأمير — أن يستغني بثلاثة آلاف درهم أمرتَ له بها في بلد هذه عزّة الناكة فيه ، وكثرة البغّائين ؟ هذا لو كان مقيماً ، فكيف وقد أنعمت عليه بالإذن في المسير ، ويحتاج إلى بغال يركبها في الطريق بأجرة ، ونفقة ، وديون عليه يقضيها ، ومؤن .

قال : فضحك ضحكاً شديداً من حكاية البغّائين ، وحكم ابن العجمي بينهما ، [وكان هذا من مشهوري كتّاب مصر][11] .

قال : فاجعلوها خمسة آلاف درهم .

قال : فقلت أنا والأسمر : فيعود الرجل — أطال الله بقاء مولانا الأمير — وقد أنفقها في الطريق ، إلى سوء المنقلب ؟

وكان يعجبه أن يماكس في الجود ، فيجود مع المسألة ، بأكثر مما يؤمّل منه ، ولكن مع السؤال ، والدخول عليه مدخل المزاح في ذلك ، والطيبة ، واقتضاء الغرماء بعضهم لبعض في ذلك ، وما شابهه[12] .

فقال : قد طوّلتم عليّ في أمر هذا الفاعل الصانع ، أطلقوا له عن [٢٢٩ م]

---

١٠ الزيادة من القصّة رقم ١٢٠/٣ من كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للقاضي التنوخي .

١١ الزيادة من القصّة ١٢٠/٣ من نشوار المحاضرة .

١٢ بشأن طبيعة الأمير سيف الدولة في إسداء المكارم ، راجعْ القصّة ١٦٣/٢ من نشوار المحاضرة .

ضيعتـه بأسرها ، ووقّعوا له بذلك إلى الديوان ، وعن مستغلّه ، ومروا [٨٤ ن] من في داره ، بالخروج عنها ، وتقدّموا له بأن تفرش أحسن من الفرش الذي نهب له منها لمّا سخط عليه .

قال : فأكبّت الجماعة ، يقبلّون يديه ورجليه ، ويحلفون أنّهم ما رأوا ، ولا سمعوا ، بمثل هذا الكـرم قط ، ويقولون : هذا مع سوء رأيك في الرجل ، وسوء حديثه ، فما على وجه الأرض بغاء أقبل على صاحبه بسعد ، مثل هذا .

قال : فضحك ، ونفذت الكتب والتوقيعات بما ذكره ورسمه .

فلمّا كان بعد مدّة – وأنا بحلب – جاء الرجل ، وعاد إلى نعمته [١٣] .

---

١٣ لم ترد هذه القصّة في ر ، ووردت في كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للقاضي التنوخي مؤلّف هذا الكتاب .

٣٨٧

ربّما تجزع النفوس من الأمر له فَرْجة كحلّ العقال

أخبرني أبو بكر أحمد بن كامل القاضي[١] ، قال : حدّثنا أبو شبيل عبيد الله ابن عبد الرحمن بن واقد[٢] ، قال : حدّثنا الأصمعيّ ، قال : حدّثنا أبو عمرو بن العلاء[٣] ، قال :

خرجتُ هارباً من الحجّاج إلى مكّة ، فبينا أنا أطوف بالبيت ، إذا أعرابيّ ينشد :

يا قليـل العزاء في الأحـوال　　وكثير الهموم والأوجـال
لا تضيقنّ في الأمـور فقـد يكـ　　ـشف غماؤهـا بغير احتيـال
صبّر النفس عنـد كـلّ ملـمّ　　إنّ في الصبر راحـة المحتـال
ربّما تجـزع النفوس مـن الأمـ　　ـر لـه فَرْجَةٌ كحـلّ العقـال

---

١ أبو بكر أحمد بن كامل بن خلف القاضي (٢٦٠–٣٥٠) : كان عالماً بالأحكام وعلوم القرآن والنحو والشعر وأيّام الناس ، وله مصنّفات ، ولّاه القاضي أبو عمر قضاء الكوفة (تاريخ بغداد للخطيب ٣٥٧/٤) راجع ما كتبه عنه صاحب تجارب الأمم ١٨٤/٢ .

٢ أبو شبيل عبيد الله بن عبد الرحمن بن واقد ، المعروف بابن أبي مسلم الواقدي : ترجم له الخطيب في تاريخه ٣٤٠/١٠ وقال إنّه توفّي سنة ٢٩٨ ، وورد في اللباب ٢٦٠/٣ إنّه أبو شبل عبد الله بن عبد الرحمن ابن واقد الواقدي الدقّاق .

٣ أبو عمرو بن العلاء بن عمّار بن عبد الله بن الحصين التميمي المازني البصري (٦٨–١٥٦) : قيل إسمه العريان ، وقيل اسمه زبـان ، والأكثر أنّ كنيته اسمه ، أحد القرّاء السبعة ، كـان أعلم الناس بالقرآن والنحو والعربية والشعر والأدب ، سئل : حتى متى يحسن بالمرء أن يتعلّم ؟ فقال : ما دامت الحياة تحسن به ، وكان له في كلّ يوم فلسان ، يشتري بأحدهما كوزاً جديداً يشرب فيه يومه ، ثمّ يتركه لأهله ، ويشتري بالآخر ريحاناً يشمّه يومه ، فإذا أمسى ، قال لجاريته : جفّفيه ودقّيه في الأشنان (وفيات الأعيان ٤٦٦/٣–٤٦٨) .

فقلت : مه ؟

فقال : مات الحجّاج[4] .

[قال : فلا أدري بأيّ القولين كنت أسرّ ، بقوله : فَرْجَةٌ ، بفتح الفاء ، أو بموت الحجّاج][5] .

ووجدتُ هذا الخبر بغير إسناد في بعض الكتب ، وفيه : أنّ أبا عمرو بن العلاء سمع أعرابيًّا ينشد هذه الأبيات :

يا قليل العزاء في الأهوال ... وكثير الهموم والأوجال

لا تضيقنّ في الأمور فقد تكـ ... ـشف غمّاؤها بغير احتيال

صبّر النفس عند كلّ مهمّ ... إنّ في الصبر حيلة المحتال[6]

ربّما تجزع النفوس من الأمـ ... ـر له فرجة كحلّ العقال

[قيل : والفَرَجة : من الفرج ، والفُرجة : فرجة الحائط][7] .

ووجدت بخطّ أبي عبد الله بن مقلة[8] ، في كتاب الأبيات السائرة : قال

---

٤ روى القاضي ابن خلكان في وفيات الأعيان ٤٦٧/٣ هذه القصّة عن أبي عمرو ، وذكر أنّ الهارب من الحجّاج أبوه ، وأنّه كان مع أبيه ، ورواها كذلك صاحب الغيث المسجم ١٧٢/٢ .

٥ الزيادة من غ ، وورد الخبر في مخطوطة (د) ص ١٥٧ .

٦ ورد هذا البيت في غ .

٧ الزيادة من غ .

٨ أبو عبد الله الحسن بن علي بن الحسين بن عبد الله ، المعروف بابن مقلة (٢٧٨–٣٣٨) : ومقلة اسم أمّ لهم ، وأبو عبد الله ، أخو الوزير أبو علي محمّد بن علي بن مقلة ، كان الوزير أوحد الدنيا في كتبة قلم الرقاع والتوقيعات ، وكان أبو عبدالله هذا أكتب من أخيه في قلم الدفاتر والنسخ ، وكان منقطعاً إلى بني حمدان ، يقومون بأمره ، وقد أنزلوه في دار قوراء حسنة ، وفيها فرش تشاكلها ، ومجلس ، ولهدشت للنسخ ، وحوض فيه أقلام ومحابر ، فيقوم ويتمشّى في الدار إذا ضاق صدره ، ثمّ يعود فيجلس في بعض تلك المجالس ، وينسخ ما يخفّ عليه ، ثمّ ينهض ويطوف على جوانب البستان ، ثمّ يجلس في مجلس آخر ، وينسخ أوراقاً أخر ، فاجتمع في خزائنهم من خطّه ما لا يحصى (معجم الأدباء ١٥٠/٣) .

أميّة بن أبي الصلت :

ربّما تكره النفوس من الشيء لها فرجة كحلّ العقال

وقال القاضي أبو الحسين في كتابه : روى المدائني ، عن الأصمعي ، عن أبي عمرو بن العلاء ، قال :

كنت مستخفياً من الحجّاج بن يوسف الثقفي ، فسمعت قائلاً يقول : مات الحجّاج

ربّما تجزع النفوس من الأمر له فرجة كحلّ العقال

وقال القاضي : ووجدت أنا في كتاب المدائني ، كتاب الفرج بعد الشدّة والضيقة ، هكذا :

حدّثني عليّ بن أبي الطيّب ، قال : حدّثنا ابن الجرّاح ، قال : حدّثنا ابن أبي الدنيا ، قال : حدّثنا أبو عدنان ، قال : حدّثنا أبو عبيدة معمر بن المثنّى ، عن يونس بن حبيب ، قال : قال أبو عمرو بن العلاء[9] :

كنت هارباً من الحجّاج بن يوسف ، فصرت إلى اليمن ، فسمعت منشداً ينشد :

ربّما تجزع النفوس من الأمر له فرجة كحلّ العقال

فاستطرفت قوله : فرجة ، فأنا كذلك ، إذ سمعت قائلاً يقول : مات الحجّاج ، فلم أدر بأيّ الأمرين كنت أشدّ فرحاً ، بموت الحجّاج ، أو بذلك البيت[10] .

وأخبرني محمّد بن الحسن بن المظفّر بن الحسن[11] ، قال : حدّثنا أبو عمر

---

٩ في ن : حدّثني علي بن أبي الطيّب ، قال : حدّثنا ابن الجرّاح ، قال : حدّثنا ابن أبي الدنيا ، قال : حدّثني عبد الرحمن بن أخي الأصمعي ، قال : حدّثني عمّي ، قال : حدّثني أبو عمرو بن العلاء .

١٠ ورد الخبر في مخطوطة (د) ص ١٥٣ .

١١ أبو علي محمّد بن الحسن بن المظفّر المعروف بالحاتمي : ترجمته في حاشية القصّة ١٣ من هذا الكتاب .

محمّد بن عبد الواحد الزاهد ، المعروف بغلام ثعلب ، قال : أخبرنا أبو العبّاس أحمد بن يحيى ، ثعلب ، عن أبي منصور [12] ابن أخي الأصمعي ، عن أبي عمرو ابن العلاء ، قال :

كنت مستخفياً من الحجّاج ، وذلك أنّ عمّي كان عاملاً له ، فهرب ، فهمّ بأخذي .

فبينا أنا على حال خوفي منه ، إذ سمعت منشداً ينشد :

ربّما تجزع النفوس من الأمـ ـر لها فرجة كحل العقال

وذكر الحديث ، وزاد فيه : أنّ ثعلباً قال : إنّ أبا عمرو كان يقرأ : إلاّ من اغترف غَرْفَةً ، وفَرْجَةً – بفتح الفاء – شاهد في هذه القراءة [13] .

---

١٢ في ن : عن أبي نصر عن الأصمعي .

١٣ لم ترد هذه القصّة في ر .

٣٨٨

الوليد بن عبد الملك يعفو عن القمير التغلبيّ

وذكر أبو الحسن المدائني ، في كتابه ، بغير إسناد ، أنّ القمير التغلبيّ[١] ، قال في الوليد بن عبد الملك [٢٣٠ م]

أتنسى يا وليـــد بـلاء قـــومي   بمسكَنَ والزبيريّـون صيد [٢٨٣غ]
أتنسانا إذا استغنيتَ عنّــــا   وتذكرنـا إذا صـلّ الحـديد

فطلبه الوليد ، فهرب منه .

فلمّا ضاقت به البلاد ، واشتدّ به الخوف ، أتى دمشق مستخفياً ، حتى حضر عشاء الوليد ، فدخل مع الناس .

فلمّا أكل الناس بعض الأكل ، عرف القمير رجل إلى جانبه ، فأخبر الوليد .

فدعا بالقمير ، وقال له : يا عدوّ الله ، الحمد لله الذي أمكنني منك بلا عقد ولا ذمّة ، أنشدني ما قلت .

فتلكأ ، ثم أنشده ، فقال له الوليد : ما ظنّك بي ؟

فقال : إنّي قلت في نفسي ، إن أمهلت حتى أطأ بساطه ، وآكل طعامه ، فقد أمنت ، وإن عوجلت قبل ذلك فقد هلكت ، وقد أمهلت حتى وطئت بساطك ، يا أمير المؤمنين ، وأكلت طعامك ، فقد أمنت .

---

١ كذا ورد في م ، وفي غ : الفهر الثعلبي ، وفي ن : العمر التغلبي ، ولعلّه عمير التغلبي أبو سعيد عمير ابن شييم بن عمرو بن عباد ، الملقّب بالقطامي : شاعر غزل ، كان نصرانياً وأسلم ، وهو صاحب البيت المشهور :

قد يدرك المتــأنّي بعض حاجتــه   وقد يكــون مع المستعجل الزلل

راجع ترجمته في الأعلام ٥/٢٦٤ .

فقال له الوليد : فقد أمنت ، فانصرف راشداً .

فلمّا ولّى ، تمثّل الوليد قائلاً :

شمس[2] العداوة حتى يستقاد لهم[3] وأعظم الناس أحلاماً[4] إذا قدروا

---

٢ الشماس : شدة العداوة والشرّ .

٣ استقاد : ذلّ وخضع .

٤ الحلم ، وجمعه أحلام : الصبر والأناة والعقل .

٣٨٩

مزنة امرأة مروان الجعديّ

تلجأ إلى الخيزران جارية المهدي

حدّثني طلحة بن محمّد بن جعفر ، المقرىء ، الشاهد ، قال[١] : حدّثني أبو عبد الله الحرمي بن أبي العلاء ، كاتب القاضي أبي عمر ، قال : حدّثنا أبو علي الحسن بن محمّد بن طالب الديناري ، قال : حدّثني الفضل بن العبّاس ابن يعقوب بن سعيد بن الوليد بن سنان بن نافع ، مولى العبّاس بن عبد المطّلب ، قال : [حدّثني أبي][٢] ، قال :

ما أتيت زينب بنت سليمان بن علي الهاشمي[٣] ، قط ، فانصرفت من عندها إلاّ بشيء وإن قلّ .

وكان لها وصيفة يقال لها : كتاب ، فعلقتها .

فقلت لأبي : أنا – والله – مشغول القلب بكتاب ، جارية زينب .

فقال لي : يا بنيّ اطلبها منها ، فإنّها لا تمنعك إيّاها .

فقلت : قد كنت أحبّ أن تكون حاضراً لتعينني عليها .

---

١ في كتاب المستجاد من فعلات الأجواد للقاضي التنوخي : روى أبو موسى محمّد بن الفضل بن يعقوب ، كاتب عيسى بن جعفر ، ووصيّه ، قال : حدّثني أبي ، قال ... الخ .

٢ الزيادة من ن .

٣ زينب بنت سليمان بن علي بن عبد الله بن العبّاس : أميرة عبّاسيّة ، من ذوات الرأي والمكانة ، كان أبوها أمير البصرة ، ولمّا ظهر إبراهيم بنْ عبد الله العلويّ بالبصرة ، مضى بنفسه حتّى وقف على بابها ، فنادى بالأمان لآل سليمان (الطبري ٥٣٦/٧) ، وكان الخلفاء العبّاسيّون يجلّونها ويقدّمونها ، وكان المهدي أمر الخيزران بأن تلزم زينب ، وقال لها : اقتبسي من آدابها ، وخذي من أخلاقها ، فإنّها عجوزنا ، وقد أدركت أوائلنا ، توفّيت سنة ٢٠٤ ببغداد (الأعلام ١٠٧/٣) .

فقال : ليس بك إليّ ، ولا إلى غيري من حاجة .

فغدوت إليها ، فلمّا انقضى السلام ، قلت : جعلني الله فداك ، فكّرت في حاجة ، فسألت أبي أن يحضر كلامي إيّاك فيها ، لأستعين به ، فأسلمني ، فقالت : يا بنيّ ، إنّ حاجة لا تقضى لك حتى تحضر أباك فيها ، لحاجة عظيمة القدر .

ثم قالت : ما هي ؟

فقلت : كتاب ، وصيفتك ، أحبّ أن تهبيها لي .

فقالت : أنت صبيّ أحمق ، اقعد ، حتى أحدّثك حديثاً ، أحسن من كلّ كتاب على وجه الأرض ، وأنت من كتاب على وعد .

فقلت : هاتي ، جعلني الله فداك .

فقالت : كنتُ – من أوّل أمس – عند الخيزران [٨٥ ن] ، ومجلسي ومجلسها – إذا اجتمعنا – في عتبة باب الرواق ، وبالقرب منّا في صدر المكان ، برذعة[٤] ، ووسادتان ، ومسانيد ، عليها سبنيّة[٥] ، لأمير المؤمنين .

وهو كثير الدخول إليها والجلوس عندها ، فإذا جاء جلس في ذلك الموضع ، وإذا انصرف ، طرحت عليه السبنية إلى وقت رجوعه ، فإنّا لجلوس ، إذ دخلت عليها إحدى جواريها ، فقالت : يا ستّي ، بالباب امرأة ما رأيت أحسن منها وجهاً ، ولا أسوأ حالاً ، عليها قميص ما يستر بعضه موضعاً من بدنها ، إلاّ انكشف منها موضع آخر غيره ، تستأذن عليك .

---

٤ البرذعة : الأصل فيها أنّها كساء يلقى على ظهر الدابّة ، ثمّ استعير للفراش الذي يوضع في الحجرة من أجل الراحة والاستمتاع ويسمّى عند الافرنج : شيزلونك ، راجع نشوار المحاضرة ، القصّة ٩٠/١ ، ج ١ ص ١٧٥ سطر ١٤ .

٥ السبنيّة : ضرب من الثياب الكتّان أغلظ ما يكون (معجم البلدان ٣٥/٣) ، وهذا القماش بالنظر لمتانته كانت تتّخذ منه الستائر (القصّة ٣٤/٢ و ٤٨/٨ من نشوار المحاضرة) وأغطية الفرش (كما في هذه القصّة) ، ويحمل فيه المرضى والزمنى (القصّة ٥٨/٤ من نشوار المحاضرة) أقول : واللفظة مستعملة إلى الآن في بغداد ، وقد حرّفت إلى : شبليّة ، يقال : جابوه شايليه بشبليّة .

فالتفتت إليّ ، وقالت : ما ترين ؟

فقلت : تسألين عن اسمها ، وحالها ، ثم تأذنين لها على علم ، فقالت الجارية : قد والله جهدت [٢٨٤ غ] بها كلّ الجهد ، أن تفعل ، فما فعلت ، وأرادت الانصراف ، فمنعتها .

فقلت للخيزران : وما عليك أن تأذني لها ، فأنت منها بين ثواب ومكرمة ، فأذنت لها .

فدخلت امرأة على أكثر مما وصفت الجارية ، وهي مستخفية ، حتى صارت إلى عضادة الباب[٦] ، مما يليني ، وكنت متّكئة .

فقالت : السلام عليكم ، فرددنا عليها السلام .

ثم قالت للخيزران : أنا [مزنة][٧] امرأة [٢٣١ م] مروان بن محمّد .

قالت : فلمّا وقع اسمها في أذني ، استويت جالسة[٨] ، ثم قلت : مزنة ؟

قالت : نعم .

قلت : لا حيّاك الله ، ولا قرّبك ، الحمد لله الذي أزال نعمتك ، وأدال عزّك ، وصيّرك نكالاً وعبرة ، أتذكرين يا عدوّة الله ، حين أتاك عجائز أهل بيتي يسألنك أن تكلّمي صاحبك في إنزال إبراهيم بن محمّد من خشبته[٩] ، فلقيتيهنّ ذلك اللقاء ، وأخرجتيهنّ ذلك الإخراج ، الحمد لله الذي أزال نعمتك .

---

٦ عضادتا الباب : خشبتاه من جانبيه .

٧ الزيادة من المستجاد ص ٢٢ .

٨ في غ : استويت قاعدة .

٩ في المستجاد للتنوخي : في الإذن بدفن إبراهيم بن محمّد ، وقد اختلفت الروايات في كيفيّة موت إبراهيم ، فقول إنّه لم يقتل ، وإنّما مات في حبس مروان بالطاعون (الطبري ٤٣٥/٧) وقول : إنّ مروان حبسه في بيت ثمّ هدمه عليه فقتله (الطبري ٤٣٦/٧ ، والكامل لابن الأثير ٤٢٢/٥) وقول : إنّه سمّ في لبن شربه فأصبح ميتاً (الطبري ٤٣٧/٧ وابن الأثير ٤٢٣/٥) وقول : إنّهم جعلوا رأسه في جراب فيه نورة مسحوقة ، فاضطرب ساعة ، ثمّ خمد (مروج الذهب ١٩٣/٢) ، وأنا إلى تصديق القول الأوّل أميل .

فضحكت – والله – المرأة ، حتى كادت تقهقه ، وبدا لها ثغر ، ما رأيت أحسن منه قط .

وقالت : أي بنت عمّ ، أيّ شيء أعجبك من حسن صنع الله بي على ذلك الفعل ، حتى أردت أن تتأسّي[10] بي ، [والله ، لقد فعلتُ بنساء أهل بيتك ، ما فعلتُ ، فأسلمني الله إليك جائعة ، ذليلة ، عريانة ، فكان هذا مقدار شكرك لله تعالى على ما أولاك فيّ ، ثم قالت :][11] السلام عليكم .

ثم ولّت خارجة تمشي خلاف المشية التي دخلت بها .

فقلت للخيزران : إنّها مخبأة من الله عزّ وجلّ ، وهدية منه إلينا ، ووالله – يا خيزران – لا يتولّى إخراجها مما هي فيه أحد غيري .

ثم نهضت على أثرها ، فلمّا أحسّت بي أسرعَتْ ، وأسرعْتُ خلفها ، حتى وافيتها عند الستر ، ولحقتني الخيزران ، فتعلّقت بها .

وقلت : يا أخت ، المعذرة إلى الله – عزّ وجلّ – وإليك ، فإنّي ذكرت ، بمكانك ، ما نالنا من المصيبة بصاحبنا ، فكان منّي ما وددتُ أنّي غفلت عنه ، ولم أملك نفسي .

وأردت معانقتها ، فوضعت يدها في صدري ، وقالت : لا تفعلي ، يا أخت ، فإنّي على حال ، أصونك من الدنوّ منها .

فرددناها ، وقلت للجواري : أدخلن معها الحمّام .

وقلت للمواشط : اذهبن معها ، حتى تصلحن حفافها[12] ، وما تحتاج إلى

---

١٠ التأسّي : الاقتداء .

١١ الزيادة من المستجاد للتنوخي ص ٢٢ .

١٢ الحفاف : الطرّة من الشعر ، أو ما سقط منه ، والحفّ : في اللغة : القشر ، وفي الاصطلاح : إزالة الشعر ، والكلمة ما زالت مستعملة ببغداد بهذا المعنى ، والبغداديّات كنّ يحففن وجوههنّ وأبدانهن ويستعملن في ذلك خيوطاً من القطن وطحين الاسفيداج ، ويسمّونه (سبداج) ، وكان ذلك قبل أن تغمر أسواق العراق ، أسباب التزيّن الافرنجية من مساحيق ودهون ، راجع حاشية القصّة ٣٦١ من هذا الكتاب .

إصلاحه من وجهها .

فمضت ، ومضين معها ، ودعونا بكرسي ، وجلسنا أنا والخيزران عليه ، في صحن الدار ، ننتظر خروجها .

فخرجت إلينا إحدى المواشط [١٣] وهي تضحك .

فقلت لها : ما يضحكك ؟

فقالت : يا ستّي ، إنّا لنرى من هذه المرأة عجباً .

فقلت : وما هو ؟

فقالت : نحن معها في انتهار ، وزجر ، وخصومة ، ما تفعلين أنت ، ولا ستّنا ، مثله إذا خدمناكما .

فقلت للخيزران : حتى تعلمين – والله – يا أختي أنّها حرّة رئيسة ، والحرّة لا تحتشم من الأحرار .

وخرجت إلينا جارية أعلمتنا أنّها قد خرجت من الحمّام ، فوجّهت إليها الخيزران أصناف الخلع ، فتخيّرت منها ما لبسته ، وبعثنا إليها بطيب كثير ، فتطيّبت ، ثم خرجت إلينا .

فقمنا جميعاً ، فعانقناها ، فقالت : الآن ، نعم .

ثم جئنا إلى الموضع الذي يجلس فيه أمير المؤمنين المهدي ، فأقعدناها فيه .

ثم قالت الخيزران : إنّ غداءنا قد تأخر ، فهل لك في الطعام ؟

فقالت : والله ما فيكنّ من هي أحوج إليه منّي .

فدعونا بالطعام ، فجعلت تأكل ، وتضع بين أيدينا ، حتى كأنّها في منزلها .

فلمّا فرغنا من الأكل ، قالت لها الخيزران : من لك ممن تعنين به ؟

قالت ؛ ما لي وراء هذا الحائط أحد من [٢٨٥ غ] خلق الله تعالى .

---

١٣ الماشطة : المرأة الّتي تخدم النساء في الحمّام وتهيّئ لهنّ أسباب الزينة والعناية بأبدانهنّ ووجوههنّ . وما زال هذا اسمها ببغداد .

فقالت لها الخيزران : فهل لك في المقام عندنا ، على أن نخلي لك مقصورة من المقاصير ، ويحوّل إليها جميع ما تحتاجين إليه ، ويستمتع بعضنا ببعض ؟

فقالت : ما درت إلاّ على أقلّ من هذا الحال ، وإذ قد تفضّل الله - عزّ وجلّ - عليّ بكما ، وبهذه النعمة ، فلا أقلّ من الشكر لأمير المؤمنين المهدي ، لكلّ نعمة ، ولكما ، فافعلي ما بدالك ، وما أحببت .

فقامت الخيزران ، وقمت معها ، وأقمناها معنا ، ودخلنا نطوف بالمقاصير ، فاختارت - والله - أوسعها ، وأحسنها .

فملأتها الخيزران ، بالجواري ، والوصائف ، والخدم ، والفرش ، والآلات ، ثم قالت : ننصرف عنك ، وعليك بمنزلك ، حتى تصلحيه ، فخلّفناها في المقصورة ، وانصرفنا إلى موضعنا [٢٣٢ م] .

فقالت الخيزران : إنّ هذه امرأة رئيسة ، وقد عضّها الفقر ، وليس يملأ عينها إلاّ المال ، ثم بعثت إليها بخمسة آلاف دينار ، ومائة ألف درهم [١٤] .

وأرسلت إليها : تكون هذه في خزانتك ، ووظيفتك ، ووظيفة حشمك ، قائمة في كلّ يوم ، مع وظيفتنا .

ثم لم نلبث أن دخل علينا المهدي ، فقلت له : يا سيّدي ، لك - والله - عندي حديث طريف .

فقال : ما هو ؟ فحدّثته بالخبر .

فلمّا قلت له ما كان منّي ، من الوثوب عليها ، وإسماعها ، اقشعرّ ، واصفرّ .

ثم قال : يا زينب ، هذا مقدار شكرك لربّك عزّ وجلّ ، وقد أمكنك من عدوّك ، وأظفرك به ، على هذا الحال الذي تصفين ؟ والله ، لولا مكانك منّي ، لحلفت أن لا أكلّمك أبداً ، أين المرأة ؟

قالت : فوفّيته خبرها ، فالتفت إلى الخيزران ، يصوّب فعلها ، وجزاها خيراً .

١٤ في غ : ومائتي ألف درهم ، وفي المستجاد : خمسمائة ألف درهم (المستجاد ص ٢٤) .

ثم قال لخادم بين يديه : احمل إليها عشرة آلاف دينار ، ومائتي ألف درهم[١٥] ، وبلّغها سلامي ، واعلمها أنّه لولا خوفي من احتشامها لسرت إليها مسلّماً عليها ، ومخبراً لها بسروري بها ، فقل لها : أنا أخوك ، وجميع ما ينفذ فيه أمري ، فأمرك فيه نافذ مقبول .

قالت زينب : فإذا هي قد وردت إلينا مع الخادم ، وعلى رأسها دواج ملحم[١٦] ، حتى جلست .

فلقيها المهدي أحسن لقاء ، فأقعدها عنده ساعة ، [٨٦ ن] تحادثه ، ثم انصرفت إلى مقصورتها .

فهذا الحديث يا بنيّ ، خير لك من كتاب .

قال : فأمسكتُ .

فقالت لي : قد اغتممتَ ؟

فقلت لها : ما أغتمّ ، ما أبقاك الله عزّ وجلّ لي .

فقالت : الليلة توافيك كتاب .

فلمّا كان الليل ، أنفذت بها إليّ ، ومعها ما يساوي أضعاف ثمنها من كلّ صنف من الحليّ ، والرقيق ، وغير ذلك[١٧] .

وذكر القاضي أبو الحسين في كتابه ، هذا الخبر ، فقال : روى أبو موسى محمّد بن الفضل عن أبيه ، قال :

كنت ألفتُ زينب بنت سليمان بن عليّ بن عبد الله بن عبّاس ، أكتب عنها

---

١٥ في المستجاد (ص ٢٤) : مائة بدرة .

١٦ الدواج : فارسيّة ، بمعنى اللحاف (المعجم الذهبي) ، وهو قطعة من القماش تتّخذ غطاء للرأس (كما في هذه القصّة) وقد تتّخذ غطاء للبدن بدلاً من اللحاف (القصّة ٣/١٦٥ و٤/٩٧ من نشوار المحاضرة) ، راجع معجم دوزي للألبسة ١٨٦ ، والملحم : القماش الذي سداه ابريسم ولحمته غير ابريسم .

١٧ لم ترد هذه القصّة في ر ، ووردت في كتاب المستجاد للتنوخي ٢١-٢٥ .

٦

أخبار أهلها ، وكانت لها وصيفة يقال لها : كتاب .

فذكر الحديث بطوله ، على خلاف في الألفاظ يسير ، والمعنى واحد ، ليس فيه زيادة ، إلاّ في ذكر المال ، فإنّه ذكر أنّ الذي حملته الخيزران خمسمائة ألف درهم ، وأنّ الذي حمله المهدي ، ألف ألف درهم .

وأنّه لمّا أتاها رسول المهدي ، جاءت ، فقالت : ما عليّ من أمير المؤمنين حشمة ، وما أنا إلاّ من خدمه .

وأنّ زينب قالت في أوّل الخبر : أتذكرين يا عدوّة الله حين جاءك عجائز أهلي يسألنك مسألة صاحبك [٢٨٦ غ] بالإذن لنا في دفن صاحبنا إبراهيم الإمام ، فوثبت عليهنّ .

ووجدت في كتاب آخر ، هذا الخبر ، بمثل هذا المعنى ، على خلاف في الألفاظ ، منها ما وجدته في كتاب القاضي أبي جعفر بن البهلول التنوخي الأنباري[١٨] ، حكاه عن الفضل بن العبّاس بمثل هذا المعنى ، بغير إسناد متّصل .

---

١٨ القاضي أبو جعفر أحمد بن إسحاق بن البهلول التنوخي الأنباري : ترجمته في حاشية القصّة ١٢١ من الكتاب .

٣٩٠
فرّ من إسحاق المصعبيّ فوجد كنزاً

وذكر أبو الحسين القاضي في كتابه ، قال : حدّثني أبي ، عن أبي الحسين عبد الله بن محمّد الباقطائي ، قال :

كنّا نتعلّم - ونحن أحداث - في ديوان إسحاق بن إبراهيم الطاهري ، ومعنا فتى من الكتّاب ، له خلق جميل ، يعرف بأبي غالب .

فزوّر جماعة من الكتّاب تزويراً بمال أخذوه ، فوقف إسحاق على الخبر ، فطلبهم ، فظفر ببعضهم ، فقطع [٢٦٣ ر] أيديهم ، وهرب الباقون .

وكان فيمن هرب ، الفتى الذي كنت ألزم مجلسه ، فغاب سنين كثيرة ، حتى مات إسحاق .

فبينا أنا ذات يوم في بعض شوارع بغداد ، فإذا به .

فقلت : أبو غالب ؟

فقال : نعم ، وإذا تحته دابّة فاره ، بسرج محلّى ، وثياب حسنة .

فقلت : عرّفني حالك ؟

قال : في المنزل .

فسرت معه ، فاحتبسني ذلك [٢٣٣ م] اليوم عنده ، ورأيت له مروءة حسنة ، فسألته عن خبره .

فقال : لمّا طلبنا إسحاق ، استترتُ ، فلمّا بلغني ما عامل به من كان معي في الجناية ، ضاقت عليّ بغداد ، فخرجت على وجهي ، خوفاً من عقوبة إسحاق ، إن ظفر بي .

ولم أزل مستخفياً ، إلى أن أتيت ديار مصر ، أطلب التصرّف ، فتعذّر عليّ ، وتفرّق من كان معي ، إلاّ غلام واحد .

فرقّت حالي جداً ، حتى بعت ما في البيت عن آخره ، على قلّته .

فأصبحت يوماً ، فقال لي غلامي : أيّ شيء نعمل اليوم ؟ ما معنا حاجة .

فقلت : خذ مبطّنتي بعها ، واشتر لنا ما نحتاج إليه .

فخرج الغلام ، وبقيت في الدار وحدي ، أفكّر فيما دفعت إليه من الغربة والوحدة ، والعطلة ، والضيقة ، والشدّة ، وتعذّر المعيشة والتصرّف ، وكيف أصنع ، وممن أقترض ، فكاد عقلي أن يزول .

فبينا أنا كذلك ، وإذا بجرذ قد خرج من كوّة[1] في البيت ، وفي فمه دينار ، فوضعه ثم عاد ، فما زال كذلك ، حتى أخرج ثمانين ديناراً ، فصفّها ، ثم جعل يتقلّب عليها ، ويتمرّغ ، ويلعب .

ثم أخذ ديناراً ودخل إلى الكوّة ، فخشيت إن تركته أن يردّها جميعها إلى الموضع الذي أخرجها منه ، فقمت ، وأخذت الدنانير ، وشددتها .

وجاء الغلام ، [ومعه ما قد ابتاعه ، فتغدّينا ، وقلت له : خذ هذا الدينار ، فابتع لنا فأساً .

فقال : ما نصنع به ؟][2]

فحدّثته الحديث ، وأريته الدنانير ، وقلت له : قد عزمت على أن أقلع الكوّة .

ففعل ما أمرته به ، وأفضى بنا الحفر إلى برنيّة[3] فيها سبعة آلاف دينار .

فأخذتها وأصلحت الموضع كما كان ، وخرجت إلى بغداد ، بعد أن أخذت بالمال سفاتج ، وتركت بعضه معي .

---

١ الكوّة ، بفتح الكاف وبضمّها : الخرق في الحائط ، تجمع على : كواء ، وكوى ، وكوّات .

٢ ساقطة من غ .

٣ البرنيّة : وعاء من الفخّار ، يسمّيه البغداديّون الآن : بستوقة ، فارسيّة ، بستو ، أي قطرميز فخّاري (المعجم الذهبي ، والألفاظ الفارسية المعربة ٢٢) .

وأنفذت الغلام بالسفاتج إلى بغداد ، وأقمتُ ، حتى ورد عليّ كتاب الغلام بصحّة السفاتج ، وتحصيل المال في بيتي ، وكان إسحاق قد مات .

فانحدرت إلى بغداد ، وابتعت بالمال كلّه ضيعة ، ولزمتها ، فأثمرت ، ونمت ، وتركت التصرّف[٤] .

---

٤ لم ترد هذه القصّة في ر .

٣٩١
أبو أميّة الفرائضي يخلّص رجلاً من القتل

وحكى أبو أميّة الفرائضي[1] ، قال :

كنت في الوفد الذي وفد على أبي جعفر من أهل البصرة ، فلمّا مثلنا بين يديه ، دعا برجل ، فكلّمه ، ثم أمر بضرب عنقه ، فجذب ليقتل .

فقلتُ في نفسي : يقتل رجل من المسلمين ، وأنا حاضر فلا أتكلّم ؟

فقمت ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، إن رأيت أن تأمر بالكفّ عن قتل هذا ، حتى أخبرك بشيء سمعت الحسن يقوله .

فأمر بالكفّ عنه ، وقال : قل .

قلت : سمعت الحسن يقول : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ، إذا كان يوم القيامة ، جمع الله الأوّلين والآخرين ، في صعيد واحد ، [٢١١ ر] ينفذهم البصر ، ويسمعهم المنادي ، ثم يقوم مناد من قبل الله تعالى ، فيقول : ألا من كان له على الله حقّ فليقم ، فلا يقوم إلاّ من عفا .

فقال أبو جعفر : الله الشاهد عليك ، أنّك سمعت الحسن يقول ذلك ؟

قلت : نعم ، سمعته يقوله [٢٢٢ غ]

فعفا عن الرجل ، وأطلقه ، فانصرف الرجل وهو يحمد الله على السلامة[2] .

١ في غ : وحكى المبارك بن فضالة .

٢ هذه القصّة لم ترد في م .

٣٩٢

المهدي يحتجّ على شريك برؤيا رآها في المنام

وحكى الحسن بن قحطبة[١] ، قال :

استؤذن لشريك بن عبد الله القاضي[٢] ، على المهدي ، وأنا حاضر ، فقال : عليّ بالسيف ، فأحضر .

قال الحسن : فاستقبلتني رعدة لم أملكها ، ودخل شريك ، فسلّم ، فانتضى المهدي السيف ، وقال : لا سلّم الله عليك يا فاسق .

فقال شريك : يا أمير المؤمنين ، إنّ للفاسق علامات يعرف بها ، شرب الخمور ، وسماع المعازف ، وارتكاب المحظورات ، فعلى أيّ ذلك وجدتني ؟

قال : قتلني الله إن لم أقتلك .

قال : ولِمَ ذلك يا أمير المؤمنين ، ودمي حرام عليك ؟

قال : لأنّي رأيت في المنام ، كأنّي مقبل عليك أكلّمك ، وأنت تكلّمني من قفاك ، فأرسلت إلى المعبّر ، فسألته عنها ، فقال : هذا رجل يطأ بساطك ، وهو يسرّ خلافك .

فقال شريك : يا أمير المؤمنين ، إنّ رؤياك ليست رؤيا يوسف بن يعقوب عليهما السلام ، وإنّ دماء المسلمين لا تسفك بالأحلام[٣] .

---

١ الحسن بن قحطبة بن شبيب الطائي ، القائد العبّاسي : ترجمته في حاشية القصّة ٤٦٠ من هذا الكتاب .

٢ أبو عبد الله شريك بن عبد الله بن الحارث النخعي القاضي (٩٥–١٧٧) : فقيه ، عالم بالحديث ، ذكي ، سريع البديهة ، ولّاه المنصور قضاء الكوفة سنة ١٥٣ ، ثمّ عزله ، وأعاده المهدي ، وعزله موسى الهادي ، وكان عادلاً ، ولد ببخارى ، وتوفّي بالكوفة (الأعلام ٣/٢٣٩) .

٣ كان الربيع حاجب المهدي ، يعارض شريك ، ويحمل المهدي عليه ، ويدسّ له عنده ، ويقول له : إنّ شريك فاطميّ محض (العقد الفريد ٢/١٧٨ و ١٧٩) ، ودخل شريك على المهدي يوماً ، فقال له =

فنكّس المهدي رأسه ، وأشار إليه بيده : أن ٱخرج ، فانصرف .

قال الحسن : فقمت فلحقته ، فقال : أما رأيت صاحبك ، وما أراد أن يصنع ؟

فقلت : اسكت – لله أبوك – ما ظننت أنّي أعيش حتى أرى مثلك [4] .

الربيع : خنتَ مال الله ، ومال أمير المؤمنين ، فقال : لو كان ذلك ، لأتاك سهمك (العقد الفريد ١٧٩/٢) .

٤ لم ترد هذه القصّة في م ولا في غ ، ووردت بصورة أكثر تفصيلاً في العقد الفريد ١٧٨/٢ و١٧٩ .

٣٩٣

إنّ من البيان لسحراً

وحكى الحسن بن محمّد ، قال : قال أحمد بن أبي دؤاد :

ما رأيت رجلاً قط نزل به الموت ، وعاينه ، فما أدهشه ، ولا أذهله ، ولا أشغله عمّا كان أراده ، وأحبّ أن يفعله ، حتى بلغه ، وخلّصه الله تعالى من القتل ، إلاّ تميم بن جميل الخارجيّ[١] ، فإنّه كان تغلّب على شاطىء الفرات ، فأخذ ، وأتي به إلى المعتصم بالله .

فرأيته بين يديه ، وقد بسط له النطع والسيف[٢] ، فجعل تميم ينظر إليهما ، وجعل المعتصم يصعّد النظر فيه ، ويصوّبه .

وكان تميم رجلاً جميلاً ، وسيماً ، جسيماً ، فأراد المعتصم أن يستنطقه ، لينظر أين جنانه[٣] ولسانه ، من منظره ومخبره .

فقال له المعتصم : يا تميم ، تكلّم ، إن كان لك حجّة أو عذر فابده .

فقال : أمّا إذ أذِنَ أمير المؤمنين بالكلام ، فأقول : الحمد لله الذي أحسن كلّ شيء خلقه ، وقد خلق الإنسان من طين ، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ، يا أمير المؤمنين ، جبر الله بك صدع الدين ، ولمّ شعث المسلمين ، وأخمد بك شهاب الباطل ، وأوضح نهج الحق ، إنّ الذنوب تخرس الألسنة ، وتعمي الأفئدة ، وأيم الله ، لقد عظمت الجريرة[٤] ، وانقطعت الحجّة ، وكبر الجرم ،

---

١ في المستجاد ص ١١٧ : تميم بن جميل السدوسي ، الخارجي .

٢ في المستجاد : ورأيته قد جيء به أسيراً ، فأدخل عليه في يوم موكب ، وقد جلس المعتصم للناس مجلساً عامًّا ، ودعا بالسيف والنطع .

٣ الجنان من كل شيء : جوفه ، وجنان المرء : قلبه .

٤ الجريرة : الذنب والجناية .

وساء الظنّ ، ولم يبق إلاّ عفوك ، أو انتقامك ، وأرجو أن يكون أقربهما منّي وأسرعهما إليّ ، أولاهما بإمامتك ، وأشبههما بخلافتك ، وأنت إلى العفو أقرب ، وهو بك أشبه وأليق ، ثم تمثّل بهذه الأبيات :

أرى الموت بين السيف والنطع كامناً ... يلاحظني من حيثما أتلفّت
وأكبر ظنّي أنّك اليوم قاتلي ... وأيّ امرىء مما قضى الله يفلت [٤٣ن]
ومن ذا الذي يدلي بعذرٍ وحجّةٍ ... وسيف المنايا بين عينيه مصلت
يعزّ على الأوس بن تغلب موقفٌ ... يهزّ عليّ السيف فيه وأسكت[٥]
وما جزعي من أن أموت وإنّني ... لأعلم أنّ الموت شيء موقّت
ولكنّ خلفي صبية قد تركتهم ... وأكبادهم من حسرة تتفتّت [٢١٢ر]
كأنّي أراهم حين أنعى إليهمُ ... وقد خمشوا حرّ الوجوه وصوّتوا[٦]
فإن عشت عاشوا سالمين بغبطة ... أذود الأذى عنهم وإن متّ موّتوا[٧]
فكم قائل لا يبعد الله داره ... وآخر جذلان يسرّ ويشمت

قال : فتبسّم المعتصم[٨] ، ثم قال : أقول كما قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : إنّ من البيان لسحراً .

ثم قال : يا تميم كاد والله أن يسبق السيف العذل ، إذهب ، فقد غفرت لك الهفوة ، وتركتك للصبية ، ووهبتك لله ولصبيتك .

ثم أمر بفكّ قيوده ، وخلع عليه ، وعقد له على ولاية على شاطىء الفرات[٩] ، [وأعطاه خمسين ألف دينار][١٠] .

---

٥ في غ : يهزّ عليّ السيف فيه ويصلت .
٦ في غ : وقد لطموا تلك الخدود وصوّتوا ، وفي المستجاد : وقد لطموا حرّ الخدود .
٧ هذا البيت ساقط من غ .
٨ في غ ، وفي المستجاد : فبكى المعتصم .
٩ هذه القصّة لا توجد في م ، ووردت في المستجاد للتنوخي ١١٧–١١٩ .
١٠ الزيادة من المستجاد ص ١١٩ .

٣٩٤

سقى معن بن زائدة أسراه ماءً

فأطلقهم لأنّهم أصبحوا أضيافه

وحكي أنّ معن بن زائدة ، جيء إليه بثلثمائة أسير ، فأمر بضرب أعناقهم ، وأحضر السيّاف ، والنطع .

فقدّم واحد منهم ، فقتل ، ثم قدّم غلام منهم ، وكان له فهم وبلاغة .

فقال : يا معن ، لا تقتل أسراك وهم عطاش .

فقال : أسقوهم ماءً ، فشربوا .

فقال : أيّها الأمير ، أتقتل أضيافك ؟

فقال : خلّوا عنهم ، فأطلقوا كلّهم [1] .

---

١ وردت القصّة في المستجاد للتنوخي ص ١١٩ بتفصيل أكثر ، فآثرت إثباتها : أُتي معن بن زائدة بأسرى ، فعرضهم على السيف ، فقال له بعضهم : نحن أسراك أيّها الأمير ونحن نحتاج إلى شيء من الطعام ، فأمر لهم بذلك ، فأتي بأنطاع ، فبسطت ، وأُتي بالطعام ، فقال لأصحابه امضوا في الأكل ، ومعن ينظر إليهم ، ويتعجّب منهم ، فلمّا فرغوا من أكلهم ، قام ، فقال : أيّها الأمير ، قد كنا قبلُ أسراك ، ونحن الآن أضيافك ، فانظر ماذا تصنع بأضيافك ، فعفا عنهم ، وخلّى سبيلهم ، فقال له بعض من حضر : ما ندري أيّها الأمير ، أيّ يوميك أشرف ، يوم ظفرك ، أو يوم عفوك .

٣٩٥

فتى بغدادي قُدّم للقتل

وسئل ما يشتهي فطلب رأساً حارًّا ورقاقاً

وحكى محمّد بن الحسن بن المظفّر ، قال :

حضرت العرض في مجلس الجانب الشرقي ببغداد[١] ، أيّام نازوك ، فأخرج خليفة نازوك[٢] على المجلس جماعة ، فقتل بعضهم .

ثم أخرج غلاماً حدَث السن ، مليح المنظر ، فرأيته لمّا وقف بين يدي خليفة نازوك ، تبسّم .

فقلت : يا هذا ، أحسبك رابط الجأش ، لأنّي أراك تضحك في مقام يوجب البكاء ، فهل في نفسك شيء تشتهيه ؟

فقال : نعم ، أريد رأساً حاراً[٣] ورقاقاً[٤] .

فسألت صاحب المجلس أن يؤخّر قتله إلى أن أطعمه ذلك ، ولم أزل ألطف

---

١ كان مجلس الشرطة بالجانب الغربي من مدينة السلام إلى عهد المأمون (الهفوات النادرة ١٩٢) ثمّ أنشئ من بعد ذلك مجلس آخر بالجانب الشرقي في رأس الجسر بمحلّة باب الطاق (الصرافيّة) .

٢ كان خليفة نازوك على الشرطة غلامه عجيب (القصّة ٧٦ من هذا الكتاب) وقد قتل عجيب مع نازوك في السنة ٣١٧ في دار الخلافة لما هاجمه الجند وخلعوا القاهر وأعادوا المقتدر للخلافة (الكامل ٢٠٤/٨ وتجارب الأمم ١٩٦/١) .

٣ الرأس : رأس الخروف المشويّ أو المسلوق ، وما زال هذا اسمه ببغداد ، وبائع الرؤوس : الرءّاس ، ويسمّونه ببغداد : الروّاس ، وهناك مثل عامّي بغدادي قديم :

لـو راسي جـــايب راس   لـــو راسي عنـد الروّاس

٤ الرقاق ، مفردة رقاقة : الخبز المنبسط الرقيق ، ما زال هذا اسمه ببغداد .

به ، إلى أن أجاب ، وهو يضحك منّي ، ويقول : أيّ شيء ينفع هذا ، وهو يقتل ؟

قال : وأنفذت من أحضر الجميع بسرعة ، واستدعيت الفتى ، فجلس يأكل غير مكترث بالحال ، والسيّاف قائم ، والقوم يقدّمون ، فتضرب أعناقهم .

فقلت : يا فتى ، أراك تأكل بسكون ، وقلّة فكر .

فأخذ قشّة[5] من الأرض ، فرمى بها ، رافعاً يده ، وقال وهو يضحك : يا هذا ، إلى أن تسقط هذه إلى الأرض مائة فرج .

قال : فوالله ، ما استتمّ كلامه ، حتى وقعت صيحة عظيمة ، وقيل : قد قتل نازوك .

وأغارت العامّة على الموضع ، فوثبوا بصاحب المجلس ، وكسروا باب الحبس ، وخرج جميع من كان فيه .

فاشتغلت أنا عن الفتى ، وجميع الأشياء ، بنفسي ، حتى ركبت دابّتي مهرولاً ، وصرت إلى الجسر ، أريد منزلي .

فوالله ، ما توسّطت الطريق ، حتى أحسست بإنسان قد قبض على إصبعي برفق ، وقال : يا هذا ، ظنّنا بالله – عزّ وجلّ – أجمل من ظنّك ، فكيف رأيت لطيف صنعه .

فالتفتُّ ، فإذا الفتى بعينه ، فهنأته بالسلامة ، فأخذ يشكرني على ما فعلته ، وحال الناس والزحام بيننا ، وكان آخر عهدي به[6] .

---

٥ القشّة : ما صغر ودقّ من يبيس النبات .

٦ هذه القصّة لم ترد في م ولا في غ .

٣٩٦
أشرف يحيى البرمكي على القتل
فخلّصه إبراهيم الحرّاني وزير الهادي

وحكي : أنّ موسى الهادي كان قد طالب أخاه هارون أن يخلع نفسه من العهد ، ليصيّره لابنه من بعده[1] ، ويخرج هارون من الأمر ، فلم يجب إلى ذلك .

وأحضر يحيى بن خالد البرمكي ، ولطف به ، وداراه ، ووعده ومنّاه ، وسأله أن يشير على هارون بالخلع ، فلم يجب يحيى إلى ذلك ، ودافعه مدّة .

فتهدّده وتوعّده ، وجرت بينهما في ذلك خطوب طويلة ، وأشفى يحيى معه على الهلاك ، وهو مقيم على مدافعته عن صاحبه .

إلى أن اعتلّ الهادي ، علّته التي مات منها ، واشتدّت به ، فدعا يحيى ، وقال له : ليس ينفعني معك شيء ، وقد [٢٢٢ غ] أفسدت أخي عليّ ، وقوّيت نفسه ، حتى امتنع مما أريده ، ووالله لأقتلنّك ، ثم دعا بالسيف والنطع ، وأبرك يحيى ، ليضرب عنقه .

فقال إبراهيم بن ذكوان[2] الحرّاني [٢١٣ ر] يا أمير المؤمنين : إنّ ليحيى

---

١ اسم الابن جعفر بن موسى الهادي ، إذ لمّا أفضت الخلافة إلى موسى الهادي ، أراد خلع أخيه هارون من ولاية العهد ، والبيعة لابنه جعفر ، وتابعه القوّاد على ذلك ، وأمر أن لا يسار أمام الرشيد بحربة (الطبري ٢٠٧/٨) ومضى الرشيد مرّة ومعه جعفر بن موسى الهادي راكبين ، فبلغا قنطرة من قناطر عيساباذ ، فالتفت أبو عصمة ، القائد المرافق لجعفر ، وقال للرشيد : مكانك حتّى يجوز وليّ العهد (الطبري ٢٣٢/٨) فكان أوّل ما صنعه الرشيد لمّا بويع أن أمر بأبي عصمة فضربت عنقه وشدّت جمّته في رأس قناة ، وحملت في موكبه لمّا دخل بغداد (الطبري ٢٣٢/٨) ولمّا أفضت الخلافة للرشيد زوّج ابنته حمدونة من جعفر بن موسى الهادي (الطبري ٢١٢/٨) .

٢ إبراهيم بن ذكوان الحرّاني ، وزير الهادي : ترجمته في حاشية القصّة ٣٤٦ من هذا الكتاب ، راجع

عندي يداً ، أريدَ أن أكافئه عليها ، فأحبّ أن تهبه لي الليلة ، وأنت في غدٍ تفعل به ما تحبّ .

فقال له : ما فائدة ليلة ؟

فقال : إمّا أن يقود صاحبه إلى إرادتك يا أمير المؤمنين ، أو يعهد في أمر نفسه وولده ، فأجابه .

قال يحيى : فأُقِمْتُ من النطع ، وقد أيقنتُ بالموت ، وأيقنت أنّه لم يبق من أجلي إلاّ بقيّة الليلة ، فما اكتحلت عيناي بغمض إلى السحر .

ثم سمعت صوت القفل يفتح عليّ ، فلم أشكّ أنّ الهادي قد استدعاني للقتل ، لمّا انصرف كاتبه .

وانقضت الليلة ، وإذا بخادم قد دخل إليّ ، وقال : أجب السيّدة .

فقلت : مالي وللسيّدة ؟

فقال : قم ، فقمت ، وجئت إلى الخيزران .

فقالت : إنّ موسى قد مات ، ونحن نساء ، فادخل ، فأصلح شأنه ، وأنفذ إلى هارون ، فجِئْ به .

فأدخلت ، فإذا به ميتاً ، فحمدت الله تعالى على لطيف صنعه ، وتفريج ما كنت فيه ، وبادرت إلى هارون ، فوجدته نائماً ، فأيقظته .

فلمّا رآني ، عجب ، وقال : ويحك ما الخبر ؟

قلت : قم يا أمير المؤمنين إلى دار الخلافة .

فقال : أو قد مات موسى ؟

قلت : نعم .

فقال : الحمد لله ، هاتوا ثيابي ، فإلى أن لبسها ، جاءني من عرّفني أنّه

أخباره في الفخري ١٩٢ والطبري ٢٠٧/٨ و ٢١١ و ٢١٥ و ٢١٦ و ٢٢١ و ٢٢٤ و ٢٢٦ و ٢٢٨ و ٢٢٨ و ٢٣٢ و ٢٣٣ وابن الأثير ٩٨/٦ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٥ .

ولد له ولد من مراجل ، ولم يكن عرف الخبر ، فسمّاه عبد الله ، وهو المأمون[3] وركب ، وأنا معه ، إلى دار الخلافة .

ومن العجب أنّ تلك الليلة ، مات فيها خليفة ، وجلس خليفة ، وولد خليفـة[4] .

---

٣ الطبري ٨/٢٣٢ .

٤ هذه القصّة لم ترد في م .

٣٩٧
رمي من أعلى القلعة أوّلاً وثانياً فنجا وسلم

وحكى الشريف أبو الحسن محمّد بن عمر العلوي الزيدي[١] ، قال :

لمّا حصلت محبوساً بقلعة خست[٢] بنواحي نيسابور ، من فارس ، حين حبسني عضد الدولة بها ، كان صاحب القلعة الذي أسلمتُ إليه يؤنسني بالحديث .

فحدّثني يوماً : أنّ هذه القلعة كانت في يد رجل كان راعياً بهذه البلاد ، ثم صار قائداً ، واحتوى عليها ، فصارت له معقلاً ، وانضمّ إليه اللصوص ، فصار يغير بهم على النواحي ، فيخرجون ، ويقطعون الطريق ، وينهبون [٤٤ ن] القرى ، ويفسدون ، ويعودون إلى القلعة ، فلا تمكن فيهم حيلة ، إلى أن قصدهم أبو الفضل ابن العميد[٣] ، وحاصرهم مدّة ، وافتتحها ، وسلّمها إلى عضد الدولة .

قال : فكان في محاصرة أبي الفضل لهم ، ربّما نزلوا وحاربوه ، فظفر منهم

---

١ أبو الحسن محمّد بن عمر العلوي الكوفيّ (٣١٥–٣٩٠) : كان المقدّم على الطالبيّين ، مع ثروة ، وغنى ، وجاه ، وكان العوامّ يطيعونه ، وكان يراسل وكلاءه بالحمام الزاجل ، واطّلع عضد الدولة مرّة على فقرة تبين أنّ المطلوب من أبي الحسن عن معاملاته بفارس ألف ألف وثلثمائة ألف ، فانزعج منه ، وتصوّره بصورة من إذا أراد شيئاً تمكّن منه ، فاعتقله ، واستولى على أمواله ، ثمّ أطلقه شرف الدولة ، وصادره بهاء الدولة على ألف ألف دينار (المنتظم ٢١١/٧) .

٢ في غ : بقلعة خست بنواحي بلاد سابور من فارس ، وخست : ناحية من بلاد فارس قريبة من البحر (معجم البلدان ٤٤١/٢ ومراصد الاطلاع ٤٦٦/١) .

٣ أبو الفضل محمّد بن الحسين العميد بن محمّد : من أئمّة الكتّاب ، متوسّع في الفلسفة والنجوم ، لقّب بالجاحظ الثاني في أدبه وترسّله ، حسن السياسة ، خبير بتدبير الملك ، به تخرّج عضد الدولة ، أثنى عليه الثعالبي ، وابن الأثير ، وزّر لركن الدولة ، ودامت وزارته ٢٤ سنة ومات بهمذان سنة ٣٦٠ (الأعلام ٣٢٨/٦) .

في وقعة كانت بينه وبينهم بنحو خمسين رجلاً ، فأراد قتلهم قتلةً يرهب بها من في القلعة .

قال : وهي على جبل عظيم ، حياله بالقرب منه جبل آخر أعظم منه ، وعليه نزل أبو الفضل .

فأمر بالأسارى ، فرمي بهم من رأس الجبل الذي عليه القلعة ، فيصل الواحد منهم إلى القرار قِطَعاً ، قد قطّعته الأضراس الخارجة في الجبل والحجارة .

ففعل ذلك [٢٢٣ غ] بجميعهم ، حتى بقي غلام حين بقل وجهه[٤] ، فلمّا طُرِحَ وصل إلى الأرض سالماً ، فما لحقه مكروه ، وقد تقطّع حبل كتافه ، فقام الغلام يمشي في قيده طالباً الخلاص .

فكبّر الديلم ، وأهل عسكر أبي الفضل تعظاماً للصورة ، وكبّر أهل القلعة .

فاغتاظ أبو الفضل ، وأمر بردّ الغلام ، فنزل من جاء به ، فأمر أن يكتّف ويرمى ثانية .

فسأله من حضر أن يعفو عن الغلام ، فلم يفعل ، وألحّوا عليه ، فحلف أنّه لا بدّ أن يطرحه ثانية ، فأمسكوا .

وطرح الغلام ، فلمّا بلغ القرار قام يمشي سالماً ، وارتفع من التكبير والتهليل أضعاف ما ارتفع أوّلاً .

فقال الحاضرون : هل بعد هذا شيء ؟ وسألوه العفو عنه ، وبكى بعضهم .

فاستحى أبو الفضل وعجب ، وقال : ردّوه آمناً ، فردّوه .

فأمر بقيوده ففكّت ، وبثياب فطرحت عليه ، وقال له : [٢١٤ ر] أصدقني عن سريرتك مع الله — عزّ وجلّ — التي نجّاك بها هذه النجاة .

---

٤ بقل : ظهر وطلع ، وبقل وجه الغلام : نبت شعره .

فقال : ما أعلم لي حالاً توجب هذا ، إلاّ أنّي كنت غلاماً أمرداً ، مع أستاذي فلان ، الذي هو أحد من قتل الساعة ، وكان يأتي منّي الفاحشة ، ويخرجني معه ، فنقطع الطريق ، ونخيف السبيل ، ونقتل الأنفس ، وننهب الأموال ، ونهتك الحرم ، ونفجر بهنّ ، ونأخذ كل ما نجد ، لا أعرف غير هذا .

فقال له أبو الفضل : كنت تصوم وتصلّي ؟

قال : ما كنت أعرف الصلاة ، ولا صمت قط ، ولا فينا من يصوم .

فقال له : ويلك ، فما هذا الأمر الذي نجّاك الله به ، فهل كنتَ تتصدّق ؟

قال : ومن كان يجئنا حتى نتصدّق عليه ؟

قال : ففكّر ، واذكر شيئاً ، إن كنت فعلته لله عزّ وجلّ ، وإن قلّ .

ففكّر الغلام ساعة ، ثم قال : نعم ، سلّم إليّ استاذي منذ سنين ، رجلاً كان أسره في بعض الطرقات ، بعد أن أخذ جميع ما معه ، وصعد به إلى القلعة .

وقال له [illegible] نفسك بمال تستدعيه من بلادك وأهلك ، وإلاّ قتلتك .

فقال الرجل : ما أملك من الدنيا كلّها غير ما أخذته منّي .

فعذّبه أيّاماً وهو لا يذعن بشيء .

ثم جدّ به يوماً في العذاب جدًّا شديداً ، فحلف الرجل بالله تعالى ، وبالطلاق ، وبأيمان غليظة ، أنّه لا يملك من الدنيا إلاّ ما أخذه منه ، وأنّه ليس له في بلده إلاّ نفقة جعلها لعياله ، قدرها نفقة شهر ، إلى أن يعود إليهم ، وأنّ الصدقة الآن تحلّ له ولهم ، واستسلم الرجل للموت .

فلمّا وقع في نفس أستاذي أنّه صادق ، قال : إنزل به ، وأمض إلى الموقع الفلاني ، فاذبحه ، وجئني برأسه .

فأخذت الرجل ، وحدرته من القلعة ، فلمّا رآني أعسفه ، قال لي : إلى أين تمضي بي ؟ وأيّ شيء تريد منّي ؟ فعرّفته ما أمرني به أستاذي ، فجعل يبكي ، ويلطم ، ويتضرّع ، ويسألني أن لا أفعل ، ويناشدني الله عزّ وجلّ ، وذكر لي

أنّ له بنات أطفالاً ، لا كادّ لهم ولا كاسب سواه ، وخوّفني بالله عزّ وجلّ ، وسألني أن أطلقه .

فأوقع الله تعالى رحمة له في قلبي ، فقلت له : إن لم أرجع إليه برأسك قتلني ، ولحقك فقتلك .

فقال : يا هذا أطلقني أنت ، ولا تعد [٢٢٤ غ] إلى صاحبك إلاّ بعد ساعة ، وأعدو أنا فلا يلحقني ، وإن لحقني ، كنت أنت قد برأت من دمي ، وصاحبك لا يقتلك مع محبّته لك ، فتكون قد أجرت فيّ .

فازدادت رحمتي له ، فقلت له : خذ حجراً ، فأضرب به رأسي ، حتى يسيل دمي ، وأجلس ها هنا ، حتى أعلم أنّك قد صرت على فراسخ ، ثم أعود أنا إلى القلعة .

فقال : لا أستحسن أن أكافئك على خلاصي بأن أشجّك .

فقلت : لا طريق إلى خلاصك ، وخلاص نفسي ، إلاّ هكذا .

ففعل ، وتركني ، وطار عدواً ، وجلست في موضعي ، حتى وقع لي أنّه صار على فراسخ كثيرة ، وجئت إلى أستاذي غريقاً بدمائي .

فقال : ما بالك ، وأين الرأس ؟

فقلت : سلّمت إليّ شيطاناً ، لا رجلاً ، ما هو إلاّ أن حصل معي في الصحراء حتى صارعني ، فطرحني إلى الأرض ، وشدخني بالحجارة ، كما ترى ، وطار يعدو ، فغشي عليّ ، فمكثت في موضعي إلى الآن ، فلمّا رقأ دمي[٥] ، ورجعت قوّتي ، جئتك .

فأنزل خلقاً وراءه ، فعادوا من غد ، وفتّشوا عليه ، فما وقفوا له على أثر ، فإن يكن الله تعالى ، قد خلّصني لشيء فعلته ، فلهذا .

---

٥ رقأ الدمّ : جفّ وانقطع .

قال : فجعله أبو الفضل راجلاً[٦] على بابه برزق له قدر ، واصطنعه .

[قال لي الشريف : وحدّثني بهذا الخبر جماعة ممن كانوا في القلعة ، وغيرهم ممن شاهدوا القصّة ، ومنهم من أخبر عمّن شاهدها ، ووجدت الخبر بعده شائعاً بفارس][٧] .

٦ الراجل : راجع حاشية القصّة ٣٨٢ من هذا الكتاب .

٧ الزيادة من ن ، لم ترد هذه القصّة في م .

٣٩٨

سقط من علوّ ألف ذراع ونهض سالماً

وقريب من هذا ما حدّثني به الشريف أبو الحسن – أيّده الله – قال :

كان رجل بالكوفة ، سمّاه ، وأنسيت أنا اسمه ، مشهور بها ، يجيء إلى إصبع خفّان[1] ، وهو بناء قديم مشهور بنواحي الكوفة ، كالقائم[2] ، يقال إنّه كان مرقباً للأكاسرة على العرب ، وهو مجوّف ، وفي داخله درجة ، فيصعدها إلى أن يسمو فيه على تسعين ذراعاً ، ثم لا يبقى موضع صعود لأحد ، وهناك سطيح حرّاس المنارة ، ويقف الإنسان فيه ، وله منافذ يرى منها البرّ ، وتكون المنافذ إلى أسفل صدر القائم فيه ، وعلى باقي البناء قبّة كالبيضة ، لا يصل[3] إليها من يكون هناك ، كما تكون رؤوس المنائر .

---

١ إصبع خفّان : موضع بظهر الكوفة كالمسنّاة تمنع مسيل الماء أن يعلو الكوفة ومقابرها (معجم البلدان ٧٦٠/٤) ، أقول : اسم النجف يطلق الآن على الغريّين ، وهي أرض صخريّة لها حافة عالية مطلّة على أرض منخفضة تسمى : بحر النجف ، سميّت بحراً لأنّ الماء كان ينبثق إليها من أحد رواضع الفرات فيتبطّح فيها بحراً ، ثمّ نظمت سبل الريّ ، فانقطعت البثوق وأصبحت أرض بحر النجف أرضاً زراعيّة ، وكنت ألي القضاء في هذه المنطقة في السنة ١٩٣٥ في أبي صخير والنجف ودرت في بحر النجف وفي الموضع الذي يصفه المؤلّف ، فلم أجد للبناء الذي وصفه عيناً ولا أثراً .

٢ القائم منارة عالية بالحيرة مقابل دير حنّة (معجم البلدان ٦٥٦/٢) والقائم مرقب على شاطئ الفرات من الجانب الغربي في طريق الرقّة من بغداد وكان بين الروم والفرس يرقب عليه على طرف الحدّ بين المملكتين شبه تل عقرقوف ببغداد وإصبع خفّان بظهر الكوفة (معجم البلدان ٦٨٤/٢) ، وذكر ابن الأثير في تاريخه الكامل ٥٩٩/٩ و ٦٠٠ ، في أخبار السنة ٤٤٦ أنّ قبيلة خفّاجة ، عاثت تلك السنة في الجامعين ، وأعمال نور الدولة دبيس ، فقصدهم ، ولحقهم بخفّان ، وأوقع بهم ، وفتح حصن خفّان ، وأراد تخريب القائم به ، وهو بناء من آجرّ وكلس ، قيل انه كان علماً تهتدي به السفن ، لمّا كان البحر يجيئ إلى النجف ، وأنّ صاحب القائم ، صانع دبيساً بمال ، فترك هدمه .

٣ في الأصل : ليصل .

وكان هذا الرجل يخرج نفسه [٤٥ ن] من بعض المنافذ ، ويقلب فيصير فوق البيضة بحذق ولطف قد تعوّدهما ، وكان قد جعل قديماً فوق البيضة حجر مدوّر كالرحى ، له سفّود حديد[٤] ، لا يعرف الغرض من تصييره هناك لطول الزمان ، فيقلب الرجل نفسه من النافذة فيقعد فوق تلك الرحى ، وكان القائم مبنيًّا على حرف النجف ، وطوله إلى بطن النجف أكثر من ألف ذراع أو نحوه ، فيصير الرجل عالياً علوًّا عظيماً ، ويعجب الناس من ذلك ، ويأخذ عليه منهم البرّ.

وإنّ رجلاً أتاه وهو متنبّذ[٥] ، فأعطاه شيئاً ليصعد للقائم ، ففعل ذلك جارياً على عادته ، فلغلبة النبيذ عليه لم يتحرّز التحرّز التامّ لمّا أخرج نفسه من أحد المنافذ لينقلب على الرحى ، فاضطرب جسمه وعلق بالرحى ، وجاء ليركبه ، فانقلع الرحى معه ، وهويا جميعاً من ذلك العلوّ المفرط إلى بطن النجف ، ولثقل الحجر ، وأنّ الرجل لم يكن تحته ، ما سبق الحجر إلى الأرض ، فتقطّع قطعاً ، ودخلت الريح في ثياب الرجل ، ورآه الناس فصاحوا ، وكبّروا عجباً ، والريح تحمل الرجل على مهل ، حتى طرحته في قرار النجف ، فقام يمشي ، ما أصابه شيء البتة ، حتى صعد من موضع سهل أمكنه الصعود منه إلى إصبع خفّان .

وحدّثني أنّ هذا شائع ذائع بالكوفة ، لم يكن في عمره ، ولكن أخبر به جماعة كبيرة من شيوخ الكوفة[٦] .

---

٤ السفّود : قضيب من الحديد له رأس مدبّب يشكّ فيه اللّحم ويوضع على النار ، والعامّة ببغداد يسمّونه : سيخ ، فارسيّة بمعنى السفّود .

٥ التنبّذ : شرب النبيذ .

٦ انفردت بها ن .

٣٩٩
بين المهدي ويعقوب بن داود

وقرىء على أبي بكر الصولي ، وأنا حاضر أسمع ، حدّثكم الحسن العنبري ، قال :

أمر المهدي بيعقوب بن داود الكاتب ، بعد أن نكبه ، أن يؤتى به إليه ، فجاء ، وقد انتضى له السيف .

فقال : يا يعقوب .

قال : لبّيك يا أمير المؤمنين ، تلبية مكروبٍ [٢١٥ ر] لموجدتك ، شَرِقٍ بغضبك .

فقال : ألم أرفع قدرك وأنت خامل ، وأسيّر ذكرك وأنت غافل ، وألبسك من نعم الله ونعمي ، ما لم أجد عندك طاقة لحمله ، ولا قياماً بشكره ، فكيف رأيت الله أظهر عليك ، وردّ كيدك إليك ؟

قال : يا أمير المؤمنين ، إن كنتَ قلتَ هذا بعلم ويقين ، فأنا معترف ، وإن كان بسعاية الساعين ، فأنت بما في أكثرها عالم ، وأنا عائذ بكرمك ، وعميم شرفك .

فقال : لولا ما سبق لك من رعايتي لاستحقاقك ، لألبستك من الموت قميصاً ، اذهبوا به إلى المطبق .

فذهبوا به وهو يقول : الاختلاط رحم ، والوفاء كرم ، وما على العفو يذمّ ، وأنت بالمحاسن جدير ، وأنا بالعفو خليق .

فلم يزل محبوساً ، حتى أطلقه الرشيد[١] .

---

١ لم ترد هذه القصّة في م .

قال الصولي : ولمّا أوقع المهدي بيعقوب بن داود ، أحضر إسُحاق بن الفضل ابن عبد الرحمن الربعي الهاشمي .

فقال له : أتزعم أنّكم الكبراء من ولد عبد المطّلب ، لأنّ الحارث أباكم أكبر ولده ، ولذلك صرتَ أحقّ بالخلافة منّي ؟

فقال إسحاق : على من قال هذا ، أو نواه ، لعنة الله ، وإذا صح عليّ هذا ، فاقتلني .

فقال : يعقوب بن داود قال لي هذا عنك .

فقلت في نفسي : يعقوب قد قتل ، ولم أشكّ في ذلك ، فقد أمنت من أن يبهتني .

فقلت : يا أمير المؤمنين ، إن واجهني يعقوب بهذا فقد اعترفتُ به .

فأحضر يعقوب مقيّداً ، فقال له : أما أخبرتني عن [٢٢٥ غ] إسحاق بكذا ؟

قال إسحاق : فأحسست – والله – بالموت ، إلى أن قال يعقوب : والله ، ما قلت لك هذا قط .

قال : بلى والله .

قال : لا والله ، فاغتاظ المهدي .

فقال له يعقوب : إن أذكرتك القول في هذا ، تزيل التهمة عنّي ؟

قال : نعم .

قال : أتذكر يوم شاورتني في أمر مصر ، فأشرت عليك بإسحاق .

فقلت : ذاك يزعم أنّه أولى بالخلافة منّي ، وقد كان مبارك التركي حاضراً ذلك ، فاسأله ، فذكر المهدي ذلك .

ثم أقبل المهدي يوبّخ يعقوب على أفعاله ، ويعقوب يقوم بالحجّة .

إلى أن قال له يعقوب : يا أمير المؤمنين ، أتذكر حيث أعطيتني عهد الله وميثاقه ، وذمّة رسوله ، وذمّة آبائك ، أن لا تقتلني ، ولا تحبسني ، ولا تضربني

أبداً ، ولو قتلتُ موسى وهارون[2] .

قال : فوثب المهدي من مجلسه ، وردّ يعقوب إلى حبسه ، وخرجت أنا[3] .

2 يريد ولدي المهدي : موسى الهادي وهارون الرشيد .

3 انفردت بها غ .

٤٠٠
جزاء الخيانة

وحكى أبو الحسن أحمد بن يوسف الأزرق التنوخي :

أنّ رجلاً أمسى في بعض محالّ الجانب الغربي من مدينة السلام ، ومعه دراهم لها قدر .

فخاف على نفسه من الطائف[1] ، أو من بليّة تقع عليه ، فصار إلى رجل من أهل الموضع ، وسأله أن يبيّته عنده ، فأدخله .

فلمّا تيقّن أنّ معه مالاً ، حدّثت نفسه بقتله ، وأخذ المال .

وكان له ابن شاب ، فنوّمه بحذاء الرجل ، في بيت واحد ، ولم يعلم ابنه ما في نفسه ، وخرج من عندهما ، وقد عرف مكانهما ، وطفئ السراج .

فقدّر أنّ الابن انتقل من موضعه إلى موضع الضيف ، وانتقل الضيف إلى موضع الابن ، وجاء أبوه يطلب الضيف ، فصادف الابن فيه ، وهو لا يشكّ أنّه الضيف ، فخنقه ، فاضطرب ، ومات .

وانتبه الضيف باضطرابه ، وعرف ما أريد به ، فخرج هارباً ، وصاح في الطريق ، ووقف الجيران على خبره ، وأغاثوه ، وخرجوا إليه .

وأخذ الرجل ، فقرّر ، فأقرّ بقتل ولده ، فحبس ، وأخذ المال من داره ، فردّ على الضيف ، وسلم[2] .

---

١ الطائف : راجع حاشية القصّة ١٨٣ من هذا الكتاب .

٢ لم ترد هذه القصّة في م ، ولا في غ ، وقد وردت في كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للقاضي التنوخي برقم القصّة ٤/٨٧ .

٤٠١
الخائن لا يؤتمن

قال مؤلّف هذا الكتاب : وقد جرى [٤٦ ن] في عصرنا مثل هذا ، فحدّثني مبشر الرومي[١] ، قال :

لمّا خرج معزّ الدولة في سنة سبع وثلاثين وثلثمائة ، وانهزم ناصر الدولة من بين يديه ، أنفذني مولاي ، لأكون بحضرته ، وحضرة أبي جعفر الصيمري كاتبه ، وأوصل كتبه إليهما .

فسمعت حاشية الصيمري ، يتحدّثون : أنّه جاء إليه ركابيّ من ركابيّته ، وقال له : أيّها الأمير ، إن قتلتُ لك ناصر الدولة ، أيّ شيء تعطيني ؟

قال له : ألف دينار .

قال : فأذن لي أن أمضي وأحتال في اغتياله ، فأذن له .

فمضى إلى أن دخل عسكره ، وعرف موضع مبيته من خيمته ، فرصد الغفلة حتى دخلها ليلاً ، وناصر الدولة نائم ، وبالقرب من مرقده شمعة مشتعلة ، وفي الخيمة غلام نائم .

فعرف موضع رأسه من المرقد ، ثم أطفأ الشمعة ، واستلّ سكيناً طويلاً ماضياً كان في وسطه ، وأقبل يمشي في الخيمة ، ويتوقّى أن يعثر بالغلام ، وهو يريد موضع ناصر الدولة .

فإلى أن وصل إليه انقلب ناصر الدولة من الجانب الذي كان نائماً عليه ، إلى الجانب الآخر ، وزحف في الفراش ، فصار رأسه على الجانب الآخر من

---

١ مبشّر الرومي : مولى أبي القاسم على بن محمّد التنوخي القاضي ، والد مؤلّف هذا الكتاب ، نقل عنه المؤلّف في كتابه نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة قصصاً ، راجع في كتاب نشوار المحاضرة القصص ١/١٠٠ و١٠٢ و١٨٠ و١٨٠/٨ .

المخادّ والفراش ، وبينه وبين الموضع الذي كان فيه مسافة يسيرة .

وبلغ الركابي إلى الفراش ، وهو لا يظنّ إلاّ أنّه فيه وأنّه في مكانه .

فوجأ الموضع بالسكين بجميع قوّته ، وعنده أنّه قد أثبتها في صدر ناصر الدولة ، وتركها في موضعها ، وخرج من تحت أطناب الخيمة .

وصار في الوقت إلى عسكر معزّ الدولة ، فوصل إليه ، فأخبره أنّه قتل ناصر الدولة ، وطالب بالجعالة ، فاستشرحه كيف صنع ، فشرحه .

فقال له : اصبر حتى يرد جواسيسي بصحّة الخبر .

فلمّا كان بعد يومين ورد الجواسيس بأخبار عسكر [٢١٦ ر] ناصر الدولة ، وما يدلّ على سلامته [وأنّ إنساناً أراد أن يغتاله ، فكان كيت وكيت][٢] ، وذكر له خبر السكّين .

فأحضر معزّ الدولة الركابي ، وسلّمه إلى أبي جعفر محمّد بن أحمد الصيمري – الهلالي ، فيما سمعت إذ ذاك – وقال له : إكفني أمر هذا الركابيّ ، فإنّ من تجاسر على الملوك لم يجز أن آمنه على نفسي .

فغرّقه الصميري سرّاً[٣] .

---

٢ الزيادة من غ .

٣ لم ترد هذه القصّة في م ، وقد وردت في تجارب الأمم ٢/٩٤ في حوادث السنة ٣٣٤ وجاء فيها أنّ مضرب ناصر الدولة كان بباب الشمّاسيّة ، أقول إنّ الشمّاسيّة ، اسمها الآن : الصليخ ، وتقع شمالي بغداد .

٤٠٢

أراد ابن المعتزّ قتل يحيى بن علي المنجّم

فلم يمهله القدر

قال مؤلّف هذا الكتاب : كان يحيى بن علي المنجم[١] قد ناقض أبا العبّاس عبد الله بن المعتزّ ، في أشعار جرت بينهما ، في تفضيل ما بين العرب والعجم ، والطالبيين والعبّاسيين ، واشتدّت الحال بينهما ، إلى أن باداه يحيى بالعداء والهجاء ، وذلك طويل مشهور ، وليس هذا موضع ذكره .

فلمّا بويع ابن المعتزّ ، وأطاعه الجيش ، وجلس للنظر في الأمور ، وأشار أهل يحيى عليه بالهرب ، وهمّ هو به خوفاً من القتل ، أتته رسل ابن المعتزّ يطلبونه للبيعة . فدخل إليه وهو آيس من الحياة ، فبايعه ، وثار الشرّ في وجهه حتى خاف أن يبادره ، ثم انصرف لاشتغال ابن المعتزّ عنه بإحكام البيعة ، وعمل يحيى على التواري وإسلام النعمة .

فلمّا كان من الغد ، انتقض أمر ابن المعتزّ ، وكفي يحيى أمره[٢] .

وحكى الصولي في كتابه «كتاب الوزراء»[٣] [قال : حدّثني الحسن بن إسماعيل الجليس][٤] ، قال : دخل يحيى بن علي المنجّم ، إلى عبد الله بن المعتزّ ،

---

١ أبو أحمد يحيى بن علي بن يحيى بن أبي منصور ، المعروف بابن المنجّم (٢٤١–٣٠٠) : أديب ، شاعر مطبوع ، متكلّم ، معتزلي ، عالم بعلوم الأوائل ، أشعر أهل زمانه وأحسنهم أدباً ، نادم الموفّق والمعتضد . وله مؤلّفات عدّة (الأعلام ٩/١٩٥ وتاريخ الحكماء ٣٦٤ والفهرست ١٦٠ وتاريخ بغداد للخطيب ١٤/٢٣٠) .

٢ انفردت بها ن .

٣ في ن : كتاب الخلفاء .

٤ الزيادة من ن .

متقلّداً سيفاً ، ومعه ابناه ، فسلّم عليه [٢٢٦ غ] بالخلافة .

فقال له ، قليلاً قليلاً ، ومن حوله يسمع : لا سلّم الله عليك ، يا كلب ، ألست الهاجي سيّدنا محمّد ﷺ والفاخر [بعجمك][٤] على أهله ؟ والله ، لأطعمنّ الطير لحمك .

قال : وخفت أن يعجل فيأمر به ، فجعلت أومىء إلى الانتظار به ، فسلم ، ولا أحسب ذلك إلاّ لأنّه كان يعدّ له ما القتل معه راحة .

ثم قال : كلابٌ غذتهم نعمتنا ، وأشادت بذكرهم خدمتنا ، سعوا بالباطل علينا ، وجحدوا إحساننا ، وهجوا نبيّنا عليه السلام ، حتى إذا أظلّهم العذاب ، وأسلمتهم الحراب[٥] ، تحصّنوا بالرفض ، ومدحوا أهلنا ، وأخصّ الناس بنا ، لتنصرهم علينا طائفة منّا ، وليتألّفوا قلوباً نفرت عنهم ولم يعلم الجاهل الكافر ، أنّنا وبني عمّنا من آل أبي طالب ، لو افترقنا في كلّ شيء تجتمع الناس عليه ، ما افترقنا في أنّ الثالب لسيّدنا محمّد ﷺ كافر ، والفاخر عليه فاجر ، وأنّا جميعاً نرى قتله ، ونستحلّ دمه .

فما زلنا نسكّن منه ونحتال للعذر عنه وجهاً ، وهو لا يقبل ، ويعنّفنا ، ويقول : ليس بمسلم من خالف قولي هذا[٦] .

وأنشدني يحيى بن علي ، لنفسه ، بعد أن قتل ابن المعتزّ :

نفخت في غير فحم يا قاطعاً كلّ رحم
لمّا تألّيت بغياً أن تطعم الطير لحمي
حميت منك فصار الـ ـمباح ما كنت تحمي
فاذهب إلى النار فازحم سكّانها أيّ زحم[٧]

---

٥ في ن : وأسكتهم الجواب .

٦ انفردت بها غ و ن .

٧ انفردت بها غ و ن ، وقد أورد ابن الأثير ٨/١٧ . أبياتاً لأبي أحمد يحيى بن علي بن المنجّم ، هجا =

قال الصولي : ولمّا ولي أبو الحسن بن الفرات الوزارة الأولى ، دخل عليه يحيى بن عليّ فأنشده قصيدة ، يهنّيه بها ، وذكرها الصولي ، فمنها مما يدخل في هذا المعنى ، قوله :

وليس وزارة الخلفاء نهباً ... وليس خلافة الرحمن عاره

تجلّت غـبرة كنّا أصبنـا ... بها والمسلمون على إبـاره [8]

فأعقبنا الزمان رضى بسخطٍ ... وأبدلنـا الحـلاوة بالمراره [9]

بها ابن المعتزّ ، قال :

بايعوه فلم يـكن عنـده الأنـ ... ـوك إلاّ التغبـير والتخبيط

رافضيّـون بايعـوا أنصـب الأمّـ ... ـة هـذا لعمري التخليـط

ثم ولّى من زعقـة ومحامـ ... ـوه ومن خلفهم لهم تضريـط

قوله : الأنوك : أي الأحمق ، والتغبير : ترديد الصوت وإحداث الضجّة بلا طائل ، والتخبيط : السير على غير هدى ، وقوله : رافضيّون ، مفرده رافضيّ : لقب ينبذ به شيعة الامام عليّ بن أبي طالب والأئمة من أولاده ، وقوله : أنصب الأمّة ، أي أشدها نصباً ، والنواصب أو الناصبيّون ، مفرده ناصبيّ : لقب ينبذ به المنحرفون عن الإمام عليّ بن أبي طالب والمبغضون له ، وقوله عن ابن المعتزّ إنّه أنصب الأمّة ، لأنّه كان معروفاً بالانحراف عن العلويين (ابن الأثير ١٦/٨ ومعجم الأدباء ٣٤١/٥ و ٣٤٢) ، والتخليط والخلط : التصرّف بدون تعقّل ، والبغداديّون الآن يلفظونها بالراء ، فيقولون عمّن يخلط : يخرط ، وعن التخليط : خريط .

٨ الإبارة : الاهلاك والاتلاف .

٩ انفردت بها غ و ن .

٤٠٣

الحجّاج بن خيثمة ينصح الحسن بن سهل

حدّثنا أبو محمّد عبد الرحمن الورّاق المعروف بالصيرفي[١] ، ابن أبي العبّاس محمّد بن أحمد الأثرم المقرىء البغدادي بالبصرة في المحرم سنة خمس وأربعين وثلثمائة بكتاب «المبيّضة» لأبي العبّاس أحمد بن عبيد الله [٤٧ ن] بن عمّار[٢] ، في خبر أبي السرايا الخارج بالطالبيّين بعد مقتل الأمين ، وشرح غلبة الطالبيّين وأصحاب أبي السرايا على الكوفة ، والبصرة ، وأكثر السواد ، والحرمين ، واليمن ، والأهواز ، وغير ذلك ، قال : حدّثنا أبو الحسن عليّ بن محمّد بن سليمان النوفلي[٣] ، قال :

لمّا انصرف الطالبيّون عن البصرة ، تفرّقوا ، فتوارى بعضهم ببغداد وبعضهم بالكوفة ، وكان فيمن توارى زيد بن موسى بن جعفر بن محمّد ، فطلبه الحسن[٤] طلباً شديداً حتى دلّ على موضعه ، فأرسل إليه من هجم عليه فأتى به ، ثم جلس مجلساً عامّاً من أجله ، ودعا به ، فأنّبه ، ووبّخه ، وقال : قتلت الناس ، وسفكت دماء المسلمين ، وفعلت ، وفعلت .

ثم أقبل على من حضره من الناس والهاشميّين وغيرهم ، وقال : ما ترون فيه ؟ فأمسكوا جميعاً .

---

١ أبو محمّد عبد الرحمن بن أبي العبّاس الأثرم محمّد بن أحمد بن حمّاد الورّاق : ترجمته في حاشية القصّة ١٩٤ .

٢ أبو العبّاس أحمد بن عبيد الله بن عمّار ، صاحب كتاب المبيّضة : ترجمته في حاشية القصّة ١٩٥ .

٣ أبو الحسن علي بن محمّد بن سليمان النوفلي : يروي عن أبيه ، ذكره أبو عبيد الله المرزباني في الموشّح ٣٣٥ ، ٣٨٦ ، ٣٩٣ ، والنوفلي نسبة إلى نوفل بن عبد مناف أو نوفل بن الحارث بن عبد المطّلب (اللباب ٣/٢٤٤) ، وقد أوصل المؤلّف نسبه إلى نوفل في القصّة التالية .

٤ يريد بالحسن ، الحسن بن سهل ، قائد جيش المأمون .

وانبرى له قثم بن جعفر بن سليمان ، فقال : أرى أيّها الأمير أن تضرب عنقه ، ودمه في عنقي .

فأمر به الحسن ، فشدّ رأسه بالحبل ، وانتضي له السّيف ، ولم يبق إلاّ أن يومئ بالضرب ، فيضرب .

إذ صاح الحجّاج بن خيثمة – وهي أمّه – وقد حضر المجلس ذلك اليوم ، قال : وهو رجل من أهل البصرة له قدر ، وأمّه أخت عبيد الله بن سالم مولى بَلْقَين ، وكان الرشيد جعل إليه أمر الصواري والبارجات[٥] ، وكانت له في نفسه هيأة وحال وسرو ، فاحتمل أن يولّى هذا ، وكانت حاله ، بعدُ ، حالاً حسنة ، وقدره غير وضيع .

فقال : أيّها الأمير ، إن رأيت أن لا تعجل ، وأن تدعوني إليك ، فإنّ لك عندي نصيحة .

ففعل الحسن ، وأمسك الذي بيده السيف ، واستدناه .

فلمّا دنا ، قال : أيّها الأمير ، أتاك بما تريد فعله أمر أمير المؤمنين ؟

قال : لا .

قال : فكان قد عهد إليك ، إذا ظفرت بهذا الرجل أن تقتله ، واستأمرت به بعد ظفرك به ، فأمرك بذلك ؟

قال : لا ذا ولا ذا .

قال : أتقتل ابن عمّ أمير المؤمنين عن غير أمره ، ولا استطلاع رأيه فيه ؟

قال : ثمّ حدّثه بحديث عبد الله بن الأفطس ، وأنّ الرشيد حبسه عند جعفر بن يحيى ، فأقدم عليه ، فقتله من غير أمره ، وبعث برأسه إليه ، مع هدايا النيروز ، وأنّ الرشيد لمّا أمر مسروراً الكبير بقتل جعفر ، قال له : إذا سألك

---

٥ البارجات ، مفردها البارجة : السفينة من سفن البحر تتّخذ للقتال (لسان العرب) والصواري ، مفردها الصاري : عمود يركّز في وسط السفينة يركّب فيه الشراع .

عن ذنبه الذي أقتله من أجله ، فقل له : إنّما أقتلك بابن عمّي ابن الأفطس الذي قتلته من غير أمري .

ثم قال الحجّاج للحسن : أفتأمنُ أيّها الأمير حادثة تحدث بينك وبين أمير المؤمنين فيحتجّ عليك بمثل ما احتجّ به الرشيد على جعفر ؟

فجزاه خيراً ، وأمر أن يرفع عن زيدٍ السيفُ ، وأن يردّ إلى محبسه فلم يزل محبوساً حتى ظهر أمر إبراهيم بن المهدي ، فجدّ أهل بغداد بالحسن بن سهل فأخرجوه منها .

قال : وكان حبسه عند الطيّب بن يحيى ، وكان صاحب حرسه ، قال : وحبس معه أحمد بن محمّد بن عيسى الجعفري ، أخا العبّاس بن محمّد صاحب البصرة ، فضيّق عليهما محبسهما حتى جعلهما في سفينة ، وأطبق عليها ألواحاً ، وجعل لها فتحاً يدخل منه الطعام والشراب ، وعندهما دنّ مقطوع الرأس يحدثان فيه ، فإذا كاد يمتلىء ، أخرج فرمي ما فيه ، ثم ردّ .

فلم يزل ذلك حالهما ، حتى بايع المأمون لعليّ بن موسى الرضا ، فكتب إلى الحسن في إطلاقهما ، ففعل الحسن ذلك[٦] .

٦ انفردت بها ن ، وأشار إليها صاحب مقاتل الطالبيّين ص ٥٤٨ و ٥٤٩ .

٤٠٤

يحيى البرمكي يغري الرشيد بجعفر بن الاشعث

وحدّثنا أبو محمّد عبد الرحمن بن الأثرم ، في هذا الكتاب[١] ، في خبر موسى بن جعفر بن محمّد ، قال : حدّثنا أبو العبّاس بن عمّار ، قال : حدّثني أبو الحسن النوفلي ، وهو علي بن محمّد بن سليمان بن عبد الملك بن الحارث بن نوفل ، قال :

حدّثني أبي ، أنّ بدء سعي يحيى بن خالد البرمكي ، على موسى بن جعفر ، كان سببه وضع الرشيد ابنه محمّداً في حجر جعفر بن محمّد بن الأشعث[٢] ، فساء ذلك يحيى ، وقال : إذا مات الرشيد ، وأفضى الأمر إلى ولده محمّد[٣] انقضت دولتي ، ودولة ولدي ، وتحوّل الأمر إلى جعفر وولده ، وقد كان عرف مذهب جعفر في التشيّع ، فأظهر له إنّه على مذهبه ، فلمّا أنس به جعفر ، أفضى إليه بجميع أمره ، وذكر له ما هو عليه في موسى بن جعفر .

وكان الرشيد يرعى له موضعه ، وموضع أبيه من الخلفاء[٤] ، فكان يقدّم في

---

١ يريد : كتاب المبيّضة .

٢ أبو العبّاس جعفر بن محمّد بن الأشعث الخزاعي : كان أثيراً جدًّا عند الرشيد ، وكان قد أودع لديه خاتم الخلافة (الطبري ٢٣٥/٨) وولّاه خراسان (الطبري ١٧٣/٨ و٣٤٧ ، وابن الأثير ١١٤/٦ و١٢٠ و٢١٥) .

٣ في الأصل : وأفضى الأمر إلى جعفر بن محمّد بن الأشعث ، وهو خطأ من الناسخ .

٤ كان محمّد بن الأشعث الخزاعي من قدماء الساعين في إقامة دولة بني العبّاس ، ولّاه أبو مسلم الخراساني الطبسين (الطبري ٣٨٩/٧ وابن الأثير ٣٨٦/٥) وولي للسفّاح فارس (الطبري ٤٥٨/٧ و ٤٦٠) وقاد جيشاً أخمد به فتنةً بالريّ قامت على المنصور في السنة ١٣٨ (الطبريّ ٤٩٧/٧) وولّاه المنصور مصر (ابن الأثير ٣١٧/٥ و ٣١٨ والطبري ٥١١/٧ ، ٥١٤ ، ٦٣٨) وكان فاتكاً (ابن الأثير ٣٧١/٥ والطبري ٣٧٢/٧) ، ومات في السنة ١٤٩ وهو يقود جيش الصائفة لغزو الروم (الطبري ٢٨/٨) .

أمره ويؤخّر ، ويحيى لا يألو أن يحطب عليه ، إلى أن دخل يوماً على الرشيد ، وجرى بينهما حديث ، فمتّ جعفر بخدمته وخدمة أبيه ، فأمر له بعشرين ألف دينار ، فأمسك يحيى أيّاماً ، ثم قال للرشيد : قد كنت أخبرك عن جعفر ومذهبه ، فأكذّب عنه ، وها هنا أمر فيه الفصل ، إنّه لا يصير إليه مال إلاّ أخرج خمسه فوجّه به إلى موسى بن جعفر ، ولست أشكّ أنّه فعل ذلك في العشرين ألف دينار التي أمرت له بها .

فأرسل الرشيد إلى جعفر ليلاً يستدعيه ، وقد كان جعفر عرف سعاية يحيى عليه ، مساساً[٥] للعداوة ، فلمّا طرق جعفراً رسول الرشيد لم يشكّ أنّه سمع من يحيى فيه ، فأفاض عليه ماءً ، ودعا بمسك وكافور ، وتحنّط بهما[٦] ، ولبس بردة[٧] ، وأقبل إلى الرشيد ، فلمّا دنا منه ليخاطبه ، شمّ منه رائحة الكافور ، ورأى البردة ، فقال : ما هذا يا جعفر ؟

قال : يا أمير المؤمنين ، قد علمت أنّه يسعى عليّ عندك ، فلمّا جاءني رسولك في هذه الساعة ، علمت أنّك أرسلت إليّ لتقتلني .

قال : كلّا ، ولكن أخبرت أنّك تبعث إلى موسى بن جعفر من كلّ ما يصير إليك بخمسه[٨] ، وأنّك قد فعلت ذلك في العشرين ألف دينار ، وأحببت أن أعلم ذلك .

---

٥ كذا في الأصل .

٦ الحنوط : أخلاط ذات رائحة طيّبة ، أحد أجزائها الكافور ، يطلى بها بدن الميت ، وقد يطلى بها من استعدّ للقاء الموت .

٧ البردة : كساء من الصوف ، وقد أصبح تقليداً أن تدخل البردة في جملة ما يكفّن به الميت عند المسلمين. وذكر دوزي في معجم الألبسة ٦٠ : أنّ أعرابياً طلب من النبي صلوات الله عليه بردة كانت عليه ، قال إنّه يريدها كفناً له ، واليمن مشهورة ببردها (لطائف المعارف ١٦٦) وما يزال الحجّاج يعودون من حجّهم ومعهم بردة يمانيّة يشترونها من مكّة ويغسلونها بماء بئر زمزم ، ويعدّونها ليكفنون بها عند موتهم .

٨ تسليم الخُمْس للإمام ، يجري تطبيقاً لأحكام الآية : واعلموا أنّ ما غنمتم من شيء فإنّ لله خُمُسَهُ =

فقال جعفر : الله أكبر ، يا أمير المؤمنين ، مُرْ بعض خدمك يذهب فيأتيك بها بخاتمها .

فقال الرشيد لبعض الخدم : خذ خاتم جعفر وانطلق حتى تأتي بهذا المال ، وأسمى له جاريته التي ماله عندها ، فدفعت إليه البِدَر بخواتمها ، فأتى بها إلى الرشيد .

فقال له جعفر : يا أمير المؤمنين ، هذا أوّل ما تعرف به كذب من سعى بي إليك .

فقال : صدقت ، انصرف آمناً ، فإنّي لا أقبل فيك ، بعد هذا قول أحد[٩] .

وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل (٤١ م الأنفال ٨) فالغنيمة : ما أخذ من أموال أهل الحرب بقتال ، والفيء ما أخذ بغير قتال ، ويقسم الخمس إلى ستّة أقسام حسب ترتيب الآية ، أوّلها سهم الله ، وثانيها سهم الرسول ، وهذان السهمان ، مع سهم ذي القربى من حقّ الإمام القائم مقام الرسول صلوات الله عليه (مجمع البيان م ٢ ج ٤ ص ٥٤٣) واتّهام أحد بأنّه يدفع الخمس لأحد الأشخاص يعني اعترافه بأنّه الإمام القائم ، وهذا يعني أنّه لا يقول بصحّة خلافة الرشيد .

٩ انفردت بها ن .

٤٠٥

هب مجرم قوم لوافدهم

[حدّثنا علي بن الحسن ، قال : حدّثنا ابن الجرّاح ، قال : حدّثنا ابن أبي الدنيا ، قال : بلغني عن العريان بن الهيثم[1] ، عن أبيه][2] .

أنّ عبيد الله بن زياد ، وجّهه إلى يزيد بن معاوية ، رسولاً في حاجته ، فدخل ، فإذا خارجيّ بين يدي يزيد يخاطبه .

فقال له الخارجي في بعض ما خاطبه : يا شقيّ .

فقال : والله لأقتلنّك ، فرآه يحرّك شفتيه .

فقال : ماذا الذي تقول ؟

قال : أقول : [٤٨ ن]

عسى فرج يأتي به الله إنّه ... له كلّ يوم في خليقته أمر

إذا اشتدّ عسر فارجُ يسراً فإنّه ... قضى الله أنّ العسر يتبعه اليسر

فقال : أخرجاه ، فاضربا عنقه .

ودخل الهيثم بن الأسود[3] ، فقال : ما هذا ؟ فأخبر بالأمر .

فقال : كفّا عنه قليلاً ، حتى أدخل ، فدخل .

---

١ العريان بن الهيثم بن الأسود النخعي : قائد ، من أنصار الأمويين ، كان صاحب شرطتهم لمّا تحرّك عليهم يزيد بن المهلّب بالبصرة سنة ١٠٢ ، وكان أثيراً عند خالد القسري أمير العراقين (ابن الأثير ٨٤/٥ ، ٢٢٠ والطبري ١٥٢/٧) .

٢ الزيادة من غ .

٣ أبو العريان الهيثم بن الأسود النخعي : قائد ، من أنصار الأمويين ، أحد الذين شهدوا على حجر بن عديّ ، وكان زياد يبعث به في مهمّاته ، ولمّا أراد المختار أن يقتل عمر بن سعد ، بعث الهيثم إليه ولده العريان فأنذره (الطبري ٢٧٠/٥ ، ٢٨٩ وابن الأثير ٢٤١/٤) .

فقال : يا أمير المؤمنين ، هب مجرمَ قومٍ لوافدهم [٢٢٧ غ] .

فقال : هو لك .

فأخذ الهيثم بيده ، فأخرجه ، والخارجيّ يقول : الحمد لله ، تعالى على الله ، فأكذبه ، وغالب الله ، فغلبه [4] .

٤ لم ترد هذه القصّة في م ، ووردت في مخطوطة د ص ١٥٧ .

٤٠٦
ضراوة الحجّاج على القتل

ا – قتل الحجّاج عامّة يومه الأسرى من أصحاب ابن الأشعث .

وذكر المدائني في كتابه ، قال : حدّثنا رجل كان من أسارى الحجّاج ، من أصحاب ابن الأشعث يوم الزاوية[1] ، قال :

جعل الحجّاج ، يقتل عامّة الأسرى ، وبقيت منّا جماعة قليلة ، وأتي برجل ليضرب عنقه ، فقال : يا حجّاج ، والله لئن كنّا أسأنا في الفعل ، فما أحسنت في العقوبة ، وإن كنّا لؤمنا في الجناية[2] ، فما كرمتَ في العفو .

فقال : ردّوه ، فردّ .

فقال : أخبرني كيف قلت ؟ فأعاد الكلام .

فقال الحجّاج : صدقت ، والله ، أفٍّ لهذه الجيف ، أما كان فيها أحد ينبّهنا كما نبّهنا هذا ؟ أطلقوا عنه ، وعن باقي الأسرى .

فأطلقوا[3] .

ب – قتل جميع أسراه إلاّ واحداً

وذكر المدائني في كتابه ، قال : أتي الحجّاج بقوم ممن خرجوا عليه ، فأمر بهم فقتلوا ، وأقيمت الصلاة ، وقد بقي منهم رجل واحد .

فقال الحجّاج لعنبسة : انصرف بهذا معك ، واغدُ به عليّ .

---

١ وقعة الزاوية بالبصرة ، حصلت في السنة ٨٢ بين جند أهل الشام بقيادة الحجّاج وبين أهل العراق يقودهم عبد الرحمن بن الأشعث ، راجع الطبري ٣٤٢/٦–٣٤٥ .

٢ في غ : لؤمنا في الخيانة .

٣ هذه القصّة لم ترد في م .

قال عنبسة : فخرجت به ، فلمّا كان في بعض الطريق ، قال لي : هل فيك خير يا فتى ؟

قلت : وما ذاك ؟

قال : إنّي – والله العظيم – ما خرجت على المسلمين قط ولا استحللت قتالهم ، وعندي ودائع وأموال ، فتخلّى عنّي ، حتى آتي أهلي فأردّ على كلّ ذي حقّ حقّه ، وأجعل لك عهد الله عزّ وجل ، أنّي أرجع إليك من غدٍ .

فتعجّبت منه ، وتضاحكت به .

فمضينا ساعة ، فأعاد القول عليّ ، فقلت له : إذهب ، فذهبَ .

فلمّا توارى عنّي شخصه ، أسقط في يدي ، فأتيت أهلي وأخبرتهم الخبر ، فقالوا : لقد اجترأت على الحجّاج .

وبتّ بأطول ليلة ، فلمّا طلع الفجر ، إذا أنا به قد جاء .

فقلت : أرجعت ؟

فقال : سبحان الله ، جعلت الله عزّ وجلّ ، لك كفيلاً ، ثم لا أرجع ؟ قال : فانطلقت به إلى الحجّاج .

فقال : أين أسيرك ؟

فقلت : بالباب ، أصلح الله الأمير ، وقد كانت لي وله قصّة .

قال : ما هي ؟ فأخبرته الخبر ، وأدخلته عليه .

فقال لي : أتحبّ أن أهبه لك ؟

قلت : نعم .

قال : هو لك .

فأخرجته معي ، وقلت له : خذ أيّ طريق شئت ، فرفع طرفه إلى السماء ، وقال : الحمد لله ، وانصرف ، وما كلّمني بكلمة .

فقلت في نفسي : هذا مجنون .

فلمّا كان من غد ، أتاني ، فقال : يا هذا ، جزاك الله خيراً ، والله ما جهلتُ ما صنعتَ ، ولكنّي كرهت أن أشرك في حمد الله تعالى أحداً[1] .

ج – احتجّ لقتله بأتفه حجّة ، فخلّصه الله منه بأهون سبيل

أخبرني محمّد بن الحسن بن المظفّر ، قال : أخبرني أبو بكر أحمد بن محمّد السرخسي المؤدّب ، قال : أنبأنا أبو العبّاس ثعلب ، عن أبي نصر ابن أخت الأصمعي ، عن خاله الأصمعي ، قال :

جلس الحجّاج يوماً يأكل ، ومعه على المائدة محمّد بن عمير بن عطارد ابن حاجب بن زرارة التميمي[1] ، وحجّار بن أبجر العجلي[2] ، فأقبل في وسط الطعام على محمّد بن عمير ، فقال : يا محمّد ، يدعوك قتيبة بن مسلم[3] إلى نصرتي يوم رستقباذ[4] ، فتقول : هذا أمر لا ناقة لي فيه ولا جمل[5] !! يا حرسيّ[6]

---

١ محمّد بن عمير بن عطارد بن حاجب بن زرارة التميمي الدارمي : من أشراف أهل الكوفة وأجوادهم ، ولي للمختار الثقفي أذربيجان ، وولي لعبد الملك همذان ، توفي نحو سنة ٨٥ (الطبري ٣٤/٦ ، ٧٠ ، ١٦٤ والأعلام ٢١١/٧) .

٢ حجّار بن أبجر العجلي : من سراة أهل الكوفة ، كان أبوه نصرانيًّا ، ومات سنة ٤٠ على نصرانيّته ، فشيّعه النصارى إلى قبره ، وشيّعه قوم من المسلمين مع حجّار لمنزلته فيهم (الطبري ١٤٥/٥ ، ١٤٦) راجع أخباره في الطبري ٣٥٣/٥ و ٣٦٩ و ٤٢٥ و ٢٢/٦ ، ٤٥ ، ٥٢ ، ٥٦ ، ١٣٤ ، ١٥٨ .

٣ أبو حفص قتيبة بن مسلم بن عمرو بن الحصين الباهلي (٤٩–٩٦) : أمير ، فاتح ، ولي لعبد الملك بن مروان الري ، وولي للوليد خراسان ، وغزا ما وراء النهر ، وأطراف الصين ، وفتح سمرقند وخوارزم ، واستمرّت ولايته ١٣ سنة (الأعلام ٢٨/٦) وكان من جملة الأمراء الذين وافقوا الوليد على خلع أخيه سليمان من ولاية العهد ، وتولية ولده العبّاس ، ولم يتمّ ذلك ، فلمّا استخلف سليمان خافه ، فخلع ، فثار عليه الناس وقتلوه (العيون والحدائق ١٧/٣–١٩) .

٤ رستقباذ : موضع من الأهواز من أرض دستوا (معجم البلدان ٥٧٤/٣ و ٧٧٨) نزله الحجّاج لمّا نهض لحرب الخوارج ، واختلف مع قسم من جيشه ، فثاروا عليه وحاربوه ، فقتلهم ، راجع التفصيل في الطبري ٢١٠/٦ و ٢١١ .

٥ لا ناقة لي فيه ولا جمل : مثل سائر يقوله من لا يريد الدخول في أمر من الأمور ، للتفصيل راجع مجمع =

خذ بيده ، فاضرب عنقه .

فجذب سيفه ، وأخذ بيد محمّد بن عمير فأقامه .

وحانت من الحجّاج التفاتة ، فنظر إلى حجّار بن أبجر يتبسّم ، فدخلته العصبيّة ، وكان مكان حجّار من ربيعة ، كمكان محمّد بن عمير من مضر .

فقال الحجّاج : يا حرسيّ ، شم سيفك[7] .

[وجيء بفرنيّة][8] ، فقال للخبّاز[9] : إجعلها مما يلي محمّداً ، فإنّ اللبن يعجبه[10] .

الأمثال للميداني ٢/٢٢٠ ، وقال الطغرائي في لامية العجم :

فيم الإقامة في الزوراء لا سكني بها ولا ناقتي فيها ولا جملي

٦ الحرسيّ : الجندي الذي يقوم بخدمة الأمير أو الملك وحراسته .

٧ شام السيف : أغمده .

٨ الفرنيّة ، والفرني ، والفراني : نسبة إلى الفرن ، خبز ثخين مستدير وصفها الخليل بأنّها خبزة غليظة مشكّلة مصعنبة تشوى ثم تروى لبناً وسمناً وسكراً (مفاتيح العلوم ٩٩) والصعنبة ضم جوانب الخبزة ورفع رأسها (لسان العرب) ، قال العماني في وصف الفرنيّ [الأغاني ١٨/٣١٧] :

جاءوا بفرنيّ لهم ملبون بات يسقّى خالص السمون
مصومع أكوم ذي غضون قد حشيت بالسكّر المطحون

أقول : وجدت أهل النجف يسمون المهلّبية : فرني ، أمّا البغداديون ومن جاورهم فيسمونها : محلّبي .

٩ الخبّاز : الأصل فيه أن يطلق على من يصنع الخبز ، ثم أطلق على من يقوم بإعداد المائدة وتقديم الأطعمة وخدمة الطاعمين .

١٠ انفردت بها : ن ، وقد ذكرها الميداني في شرحه المثل : لا ناقة لي في هذا ولا جمل ، قال : ذكروا أنّ محمّد بن عمير بن عطارد بن حاجب بن زرارة لمّا خرج الناس على الحجّاج ، قال : لا ناقتي في ذا ولا جملي ، فلمّا دخل بعد ذلك على الحجّاج ، قال : أنت القائل لا ناقتي في ذا ولا جملي ، لا جعل الله لك فيه ناقة ولا جملاً ولا رحلاً ، فشمت به حجّار بن أبجر العجلي ، وهو عند الحجّاج ، فلمّا دعا بغدائه ، جاءوا بفرنيّة ، قال : ضعوها بين يدي أبي عبد الله فإنّه لبنيّ يحبّ اللبن ، أراد أن يدفع عنه شماتة حجّار (مجمع الأمثال للميداني ٢/٢٢٠) .

٤٠٧

أمر الخليفة بضرب عنقه ثم لم يلبث أن عفا عنه

قال محمّد بن عبدوس في كتاب الوزراء : حدّثني الباقطاني ، قال :

انصرف إلينا يوماً أحمد بن إسرائيل ، وهو في نهاية القلق والاغتمام [٣٨ ن] وكأنّه ميت .

فسألته عن خبره ، فذكر أنّ رجلاً يعرف بالقاسم بن شعبان الحائك صار إلى باب المستعين ببغداد ، وعليه جبّة صوف ، وعمامة صوف ، وخفّان أحمران ، وفي يده عكّاز معقّد ، فصاح : [معتزّ] يا منصور[١] ، وأنّ من على باب العامّة تعلّقوا به ، وأدخل الدار ، فسئل عن خبره ، فادّعى عليّ أنّي أمرته بهذا ، وأن يدعو الناس إليه ، فأمر أمير المؤمنين بضرب عنقي ، فاستوهبت منه ، وعرّف أمر الحائك ، فعرف أنّه عُلّم ، وحمل عليّ بما قاله ، فأمر أمير المؤمنين بإخراجه[٢] إلى أنطاكية .

ثم عاد معنا ، واستقام أمره[٣] .

---

١ انحدر المستعين إلى بغداد ، إثر اختلافه مع الجند الأتراك بسرّ من رأى ، فطالبه الأتراك بالعودة ، فأبى ، فبايعوا المعتزّ ، واستمرت الحرب بينهما طيلة السنة ٢٥١ حتى خلع المستعين في أوّل السنة ٢٥٢ ثم قتل (الطبري ٩/٢٨٢-٢٨٥) وكان أحمد بن إسرائيل رافق المستعين لمّا انحدر إلى بغداد (الطبري ٩/٣٢٤) وتوسّط في أمر الصلح ، حتى تمّ ، فصاعد أحمد إلى المعتزّ فاستوزره ووضع تاجاً على رأسه (الطبري ٩/٣٤٩) .

٢ في الأصل : بإخراجي ، وهو سهو من الناسخ .

٣ انفردت بها : ن .

٤٠٨

حسن ظنّه بالله

أنجاه من القتل ، وأطلقه من السجن

وذكر القاضي أبو الحسين في كتابه ، قال :

حبس رجل قد وجب عليه حدّ[١] ، فلمّا رفع خبره ، أمر بضرب عنقه .

قال المخبر : فدخلتُ إلى الحبس إلى رجل بيني وبينه صحبة ، لأعرف خبره ، فرأيت الذي أمر بضرب [٢١٧ ر] عنقه يلعب بالنرد[٢] .

فقلت للذي دخلت عليه ، وأنا لا أعلم أنّ قد أمر بضرب عنق ذلك الرجل : ما أفرغ قلب هذا ، يلعب بالنرد وهو محبوس .

فقال : إنّ أطرف من هذا أنّه قد أمر بضرب عنقه ، وقد عرف بذلك ، فهوذا ترى حاله .

قال : فازددت تعجّباً ، وفطن الرجل لما نحن فيه ، فأخذ بيده فصّاً من فصوص [٢٢٨ غ] النرد فرفعه ، وقال : إلى أن يسقط هذا إلى الأرض ، مائة ألف فرج ، ورمى بالفصّ من يده .

قال : فخرجت ، وأنا متعجّب منه ، مفكّر في قوله .

فما أمسينا ذلك اليوم ، حتى شغب الجند ، وفتحت السجون ، وخرج من كان فيها ، والرجل فيهم ، وسلّمه الله تعالى من القتل[٣] .

---

١ الحدّ : راجع حاشية القصّة ١٢٣ من هذا الكتاب .

٢ النرد : أنظر البحث في آخر القصّة .

٣ هذه القصّة لم ترد في م .

النرد

النرد : لعبة أصلها فارسيّ ، تعرف الآن في بغداد ، وما جاورها ، بلعبة الطاولي ، وفي لبنان والشام ومصر ، بلعبة طاولة الزهر .

وتشتمل على رقعة ، وفصّين اثنين مكعّبين ، لكلّ فصّ أوجه ستّة ، وعلى ثلاثين حجراً ، نصفها أبيض ، والنصف أسود . والرقعة مرتّبة على اثني عشر بيتاً ، بعدد شهور السنة ، والأحجار ، وهي ثلاثون ، بعدد أيّام الشهر ، والفصوص مثل الأفلاك ، ورميها وتقلّبها ، مثل تقلّبها ودورانها ، والنقط في الفصوص ، بعدد أيّام الأسبوع ، كلّ وجهين سبعة ، فالشش (٦) ويقابله اليك (١) ، والبنج (٥) ، ويقابله الدو (٢) ، والجهار (٤) ، ويقابله السي (٣) وجعل ما يأتي به اللاعب من الأرقام ، كالقضاء والقدر ، وهو ينقل الأحجار على ما جاءت به النقوش ، لكنّه إذا كان عنده حسن نظر ، عرف كيف يتأتّى ، وكيف يتحيّل على الغلبة (مروج الذهب ٢/٥٦٤ و ٥٦٥ ، ومطالع البدور ١/٧٥ و ٧٦) .

والبغداديّون يسمون الفص : زار ، وفي بقيّة الأقطار العربيّة ، يسمّى : زهر ، أمّا الحجر ، فيسمّيه البغداديّون : پول ، بالباء المثلّثة المضمومة .

ويلعب النرد اثنان متقابلان ، يأخذ أحدهما الأحجار البيض وعددها ١٥ ، ويأخذ الآخر السود ، وهي بنفس العدد ، ثم يرميان الفصوص ، وينقلان الأحجار تبعاً للأرقام الناتجة عن رمي الفصّين ، ويحاول كلّ من اللاعبين أن يسبق رسيله في نقل كافّة أحجاره إلى جهته ، فإذا جمعها ، أخذ يرفع منها وفقاً لما يجيء به رمي الفصّين ، وكلّ من سبق رفيقه في رفع أحجاره كان رابحاً ، وتسمّى اللعبة الواحدة : أويون ، تركيّة ، بمعنى : لعبة ، فإذا أتمّ اللاعب رفع جميع أحجاره ، ورسيله بعد لم يجمع أحجاره في مكان واحد ، فإنّ غلبته تكون مضاعفة ، وتسمّى : مارس ، تركية ، بمعنى : مضاعف ، والبغداديّون يلفظونها : ملص ، وإذا رمى اللاعب الفصّين ، فجاء رقم كان رسيله قد سدّه بوضع أحجاره فيه ، قيل عنه : إنّه رمى (گله) بالكاف الفارسية فتضيع منه لعبة ، وعليه أن يترك الدور في رمي الفصّ لرسيله .

والگله في لعب النرد ، من أبغض الأمور ، والبغداديّون يتندّرون كثيراً على من يصاب

بالگله ، ومن جملة ذلك : أنّ بغدادياً لازمه الگله ملازمة عنيفة ، فاشتدّ غيظه ، وعمد إلى فصوص النرد فابتلعها ، وعندما ذهب إلى المستراح ، ونزلت الفصوص من بطنه ، وجد أنّها نزلت (گله) أيضاً.

وقال الشاعر البغداديّ :

لنا صاحب مولع بالفخار كثير التظاهر بالمرجله
يجيد الحديث ولكنّه إذا لعب النرد ما أجهله
فلا ينقل البول إلاّ خطا ولا يطرح الزار إلّا گله

أقول : شعر بارد ، ولكنّي أوردته لأنّ فيه اصطلاحات بغداديّة عن لعب النرد ، وهي : پول ، زار ، كله .

ومما يلفت النظر أنّ لعبة النرد منتشرة في جميع البلدان العربيّة ، وما جاورها من البلدان ، وقد وجدت الأسماء التي تسمّى بها أرقام الفصوص ، واحدة في جميع البلدان ، وهي خليط من الفارسيّة والتركيّة ، مثلاً : إذا كانت أرقام الفصّين ١ و ١ ، قيل : هيّي يك ، فارسيّة ، وإذا كانت ١ و ٢ قيل : إيكي بير ، تركيّة ، وإذا كانت ٥ و ٦ قيل شيش بيش ، اللفظة الأولى فارسيّة ، والثانية تركيّة ، وأعجب من ذلك أنّ هذه التسميات ما زالت كما انتقلت إلينا منذ أكثر من ألف سنة ، ولم تتغيّر ، فقد قال أبو الحسن بن غسّان الطبيب البصريّ ، من رجال القرن الرابع الهجري (تاريخ الحكماء ٤٠٢) .

فيا عضد الدولة انهض لها فقد ضيّعت بين شيش ويك

وقال حفني ناصف ، من رجال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجري (١٢٧٣-١٣٣٨) : [تاريخ أدب الشعب ص ١٤٦]

منّي لسيّد الزجّاله ألفين سلام فوقهم بوسه
مالوش شبه في الرجّاله يخلق من الهبّكْ دوسه

راجع محاضرات الأدباء للراغب الأصبهاني ٧٢٧/٢ و ٧٢٨ .

البَابُ التَّاسِع

من شارف الموت بحيوان مهلك رآه فكفّ الله ذلك بلطفه ونجّاه

٤٠٩
آلى على نفسه أن لا يأكل لحم فيل أبداً

حدّثني أبو إسحاق ابراهيم بن أحمد بن محمد الشاهد المعروف بابن الطبري [١] ، قال : حدّثنا جعفر بن محمد الخلدي الصوفي [٢] ، [قال حدّثنا إبراهيم الخوّاص الصوفي [٣] ، رحمه الله تعالى] [٤] قال :

ركبت البحر مع جماعة من الصُّوفيّة ، فكُسر بنا المركب ، فنجا منّا قومٌ على لوح من خشب المركب .

فوقفنا على ساحل لا ندري في أيّ مكان هو ، فأقمنا فيه أيّاماً لا نجد ما نقتاته ،

---

١ أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن محمّد بن أحمد الطبري : أحد الشهود ببغداد ، أمّ الناس بالمسجد الحرام ، أيّام المواسم ، وكانت داره مجمع أهل القرآن والحديث ، ترجم له القاضي التنوخي في القصّة ٧/٦ من كتاب نشوار المحاضرة ، ونقل عنه كثيراً من القصص ، وترجم له الخطيب البغدادي ١٩/٦ .

٢ أبو محمّد جعفر بن محمّد بن نصير بن القاسم الخوّاص الصوفيّ ، المعروف بالخلدي : ينسب إلى محلّة الخلد ببغداد ، سافر كثيراً ، وروى علماً جمّاً ، وحجّ ستين حجّة ، ترجم له السمعاني في الأنساب ٢٠٥ ، والخطيب في تاريخه ٢٢٨/٧ والمنتظم ٣٩١/٦ ، وروى عنه القاضي التنوخي كثيراً من القصص في نشواره .

٣ أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل الخوّاص الصوفيّ : كان أوحد المشايخ في وقته ، من أقران الجنيد ، ولد بسرّمن رأى ، وتوفّي بالريّ سنه ٢٩١ (الأعلام ٢٢/١) .

٤ الزيادة من غ .

فأحسسنا بالموت ، وأيقنّا بتلفنا من الجوع لا محالة .

فقال بعضنا لبعض : تعالوا نجعل لله تعالى على أنفسنا أن ندع له شيئاً ، فلعلّه أن يرحمنا فيخلّصنا من هذه الشدّة .

فقال بعضنا : أصوم الدهر كلّه .

وقال الآخر : أصلّي كلّ يوم كذا وكذا ركعة .

وقال بعضنا : أدَع لذّات الدنيا ، إلى أن قال كُل واحد منهم شيئاً ، وأنا ساكت .

فقالوا : قل أنت الآخر شيئاً .

فلم يجر على لساني إلاّ أنْ قلت : أنا لا آكل لحم فيل أبداً .

فقالوا : ما هذا القول في مثل هذا الحال ؟

فقلت : والله ، لم أتعمّد هذا ، [٤٩ ن] ولكنّي منذ بدأتم فعاهدتم الله تعالى عليه ، وأنا أعرض على نفسي أشياء كثيرة فلا تطاوعني بتركها ، ولا خطر ببالي شيء أدَعه لله تعالى ، ولا مرّ على قلبي غير الذي لفظت به ، وما أجري هذا على لساني إلاّ لأمرٍ .

فلما كان بعد ساعة ، قال أحدنا : لِمَ لا نطوف هذه الأرض متفرّقين فنطلب قوتاً ، فمن وجد شيئاً أنذر به الباقين ، والموعد هذه الشجرة .

قال : فتفرّقنا في الطواف ، فوقع بعضنا على ولد فيل صغير ، فلوّح بعضنا لبعض فاجتمعنا ، فأخذه أصحابنا ، واحتالوا فيه حتى شووه وقعدوا يأكلون ..

فقالوا لي : تقدّم وكل معنا .

فقلت : أنتم تعلمون أنّي منذ ساعة تركته لله عزّ وجلّ ، وما كنت لأرجع فيه ، ولعلّ ذلك قد جرى على لساني من ذكري له ، هو سبب موتي من بينكم ، لأنّي ما أكلت شيئاً منذ أيّام ، ولا أطمع في شيء آخر ، ولا يراني الله عزّ وجلّ أنقض عهده ، ولو متّ جوعاً ، فاعتزلتهم وأكل أصحابي .

وأقبل الليل ، فأويت إلى أصل شجرة كنت أبيت عندها ، وتفرّق أصحابي للنوم .

فلم يكن إلاّ لحظة ، وإذا بفيل عظيم قد أقبل وهو ينعر ، والصحراء تتدكدك بنعيره وشدّة سعيه ، وهو يطلبنا .

فقال بعضنا لبعض : قد حضر الأجل ، فتشهّدوا ، فأخذنا في الاستغفار والتسبيح ، وطرح القوم نفوسهم على وجوههم .

فجعل الفيل يقصد واحداً واحداً منهم ، فيتشمّمه من أوّل جسده إلى آخره ، فإذا لم يبقَ منه موضعاً إلا شمّه ، شال إحدى قوائمه فوضعها عليه ففسخه .

فإذا علم أنّه قد تلف ، قصد إلى آخر [٢٢٩ غ] ففعل به مثل فعله بالأوّل . إلى أن لم يبقَ غيري ، وأنا جالس منتصبٌ أشاهد ما جرى وأستغفر الله عزّ وجلّ وأسبّح .

فقصدني الفيل ، فحين قرب منّي ، رميت بنفسي [٢١٨ ر] على ظهري ففعل بي من الشمّ كما فعل بأصحابي ، ثم عاد فشمّني دفعتين أو ثلاثاً ، ولم يكن فعَل ذلك بأحد منهم غيري ، وروحي في خلال ذلك تكاد تخرج فزعاً .

ثم لفّ خرطومه عليّ ، وشالني في الهواء ، فظننته يريد قتلي ، فجهرت بالاستغفار .

ثم لفّني بخرطومه فجعلني فوق ظهره ، فانتصبت جالساً ، واجتهدت في حفظ نفسي بموضعي .

وانطلق الفيل ، يهرول تارة ، ويسعى تارة ، وأنا تارة أحمد الله تعالى على تأخير الأجل وأطمع في الحياة ، وتارة أتوقّع أن يثور بي فيقتلني ، فأعاود الاستغفار ، وأنا أقاسي في خلال ذلك من الألم والجزع لشدّة سرعة سعي الفيل أمراً عظيماً .

فلم أزل على ذلك ، إلى أن طلع الفجر وانتشر ضوءه[٥] ، فإذا به قد لفّ خرطومه عليّ .

فقلت : قد دنا الأجل وحضر الموت ، وأكثرت من الاستغفار .

فإذا به قد أنزلني عن ظهره برفق ، وتركني على الأرض ، ورجع إلى الطريق

---

٥ في غ : واشتدّ ضوؤه .

التي جاء منها ، وأنا لا أصدّق .

فلما غاب عنّي ، حتى لا أسمع له حسّاً ، خررت ساجداً لله تعالى[٦] ، فما رفعت رأسي حتى أحسست بالشمس .

فإذا أنا على محجّة عظيمة ، فمشيت نحو فرسخين ، فانتهيت إلى بلد كبير ، فدخلته .

فعجب أهله منّي ، وسألوني عن قصّتي ، فأخبرتهم بها ، فزعموا أنّ الفيل قد سار بي في تلك الليلة مسيرة أيّام ، واستطرفوا سلامتي .

فأقمت عندهم حتى صلحت من تلك الشدّة التي قاسيتها ، وتندّى بدني ، ثم سرت عنهم مع التجار ، فركبت في مركب ، ورزقني الله السلامة ، إلى أن عدت إلى بلدي[٧] .

---

٦ في غ : خررت ساجداً أدعو الله عزّ وجلّ وأحمده .

٧ لا توجد هذه القصّة في م ، وقد أدرجها القاضي التنوخي في كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ، برقم القصّة ١٢٧/٣ .

٤١٠
لقمة بلقمة

حدّثني أبو بكر [محمد بن بكر الخزاعي][١] البسطامي ، صاحب ابن دريد[٢] ، وكان زوج ابنته [الغرانقة][١] وكان شيخاً من أهل الأدب والحديث ، قد استوطن الأهواز سنين ، وكان ملازماً لأبي رحمه الله ، يتفقّده ويبرّه ، قال :

كان لامرأة ابن ، فغاب عنها غيبة طويلةً ، وأيست منه .

فجلسَتْ يوماً تأكل ، فحين كسرت اللّقمة وأهوت بها إلى فيها ، وقف بالباب سائل يستطعم ، فامتنعت من أكل اللّقمة ، وحملتها مع تمام الرغيف فتصدّقَت بها ، وبقيت جائعة يومها وليلتها .

فما مضت إلاّ أيّام يسيرة حتى قدم ابنها ، فأخبرها بشدائد عظيمة مرّت به .

وقال : أعظم ما جرى عليّ أنّي كنت منذ أيّام أسلك في أجمة في الموضع الفلانيّ ، إذ خرج عليّ أسدٌ ، فقبض عليّ من على ظهر حمار كنت راكبه ، وغار الحمار[٣] ، ونشبت مخالب الأسد في مرقّعة كانت عليّ ، وثياب تحتها وجبّة ، فما وصل إلى بدني كبير شيء من مخالبه ، إلاّ أنّي تحيّرت ودهشت وذهب أكثر عقلي ، وهو يحملني حتى أدخلني أجمة كانت هناك ، وبرك عليّ يفترسني .

فرأيت رجلاً عظيم الخلق ، أبيض الوجه والثياب ، قد جاء حتى قبض على الأسد من غير سلاح ، وشاله وخبط به الأرض .

---

١ الزيادة من غ .

٢ أبو بكر محمّد بن بكر الخزاعي البسطامي : صاحب ابن دريد ، وزوج ابنته الغرانقة ، شيخ من أهل الأدب والحديث ، استوطن الأهواز سنين ، ترجم له ياقوت في معجم الأدباء ٦/٤١٨ و٤١٩ .

٣ غار : تعبير بغداديّ ، ما زال مستعملاً ، يعني أغار ، أي أسرع في عدوه .

وقال : قُم يا كلب ، لقمةٌ بلقمة ، فقام [٢٣٠ غ] الأسد يهرول ، وثاب إليّ عقلي .

فطلبت الرجل ، فلم أجده ، وجلست بمكاني ساعات ، إلى أن رجعت إليّ قوّتي ، ثم نظرت إلى نفسي ، فلم أجد بها بأساً ، فمشيت حتى لحقت بالقافلة الّتي كنت فيها ، فتعجّبوا لما رأوني ، فحدّثتهم حديثي ، ولم أدرِ ما معنى قول الرجل : لقمة بلقمة .

فنظرت المرأة ، فإذا هو وقت أخرجتْ اللقمة من فيها ، فتصدّقت بها[٤] .

---

٤ لا توجد هذه القصّة في م ، وقد وردت في كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للقاضي التنوخي ، برقم القصّة ١٦/٢ .

٤١١

كفى بالأجل حارساً

[وجدت في دفترٍ عتيق ، أعطانيه أبو الحسن أحمد بن يوسف الأزرق رحمه الله[1] ، وأخبرني أنّه بخط عمّه أبي إسحاق إبراهيم بن يعقوب بن إسحاق بن البهلول الأنباري رحمه الله ، أحاديثَ من النوادر عن ابن زنبور ، ممّا صار إلينا ، ولم أسمعه منه ، وكان فيها حديث يعقوب بن إبراهيم الدورقيّ ، قال : حدّثنا الحارث بن مرّة ، قال : حدّثنا يزيد الرقاشي ، قال : حدّثنا إبراهيم بن الخضر ، وكان أحدَ أمناء القاضي ببغداد ، ويخلف القضاة الغيّب بحضرة قاضي القضاة وغيرهم ، قال :][2]

حدّثني صديق لي أثق به ، قال :

خرجت إلى الحائر[3] في أيّام الحنبليّة ، أنا وجماعة متخفّين ، فلما صرنا في أجمة بانقيا[4] ، قال لي رفيق فيهم : يا فلان ، إنّ نفسي تحدثّني أنّ السبع يخرج فيفترسني من دون الجماعة ، فإن كان ذلك فخذ حماري وما عليه فأدّه إلى عيالي .

فقلت [٥٠ ن] : هذا استشعارٌ رديء ، يجب أن تتعوّذ بالله منه ، وتضرب عن الفكر فيه .

فما مضى على هذا إلاّ شيء يسير حتى خرج [٢١٩ ر] الأسد ، فحين رآه الرجل سقط عن حماره ، فأخذه ودخل به الأجمة .

---

١ أثبت القاضي التنوخي هذه القصّة في كتابه نشوار المحاضرة ، برقم القصّة ١٧/٢ عن أبي الحسن بن الأزرق ، ولم يترحّم عليه ، ولمّا أثبتها في هذا الكتاب ، ترحّم عليه ، وهذا يعني أنّ إثبات القصّة في هذا الكتاب ، تمّ بعد السنة ٣٧٧ سنة وفاة أبي الحسن .

٢ الزيادة من غ .

٣ الحائر : قبر الحسين عليه السلام بكربلا .

٤ في غ : أجَمة بزنقا ، وبانقيا من نواحي الكوفة (معجم البلدان ٤٨٣/١) .

وسقت أنا الحمار ، وأسرعت مع القافلة ، وبلغت الحائر ، وزرنا ، ورجعنا إلى بغداد .

فاسترحت في بيتي أيّاماً ، ثم أخذت الحمار وجئت به إلى منزله ، لأسلّمه إلى عياله ، فدَقَقتُ الباب ، فخرج إليّ الرجل بعينه .

فحين رأيته طار عقلي وشككت فيه ، فعانقني ، وبكى وبكيت .

فقلت : حدّثني حديثك .

فقال : إنّ السبع ساعة أخذني جرّني إلى الأجمة[5] ، ثم سمعت صوت شيء ، ورأيت الأسد قد خلاّني ومضى ، ففتحت عيني ، فإذا الذي سمعت صوت خنزير ، وإذا السبع لما رآه عنّ له أن يتركني ، ومضى فصاده وبرك عليه يفترسه وأنا أشاهده ، إلى أن فرغ منه ، ثم خرج من الأجمة وغاب عنّي .

فسكنت ، وتأمّلت حالي ، فوجدت مخاليبه قد وصلت إلى فخذي وصولاً قليلاً ، وقوّتي قد عادت .

فقلت : لأيّ شيء جلوسي هاهنا ؟ فقمت أمشي في الأجمة ، أطلب الطريق ، فإذا بجيفِ ناس ، وبقر ، وغنم ، وعظام باليات ، وآثار من قد [فرسهم الأسد . فما زلت أتخطّاهم ، حتى انتهيت إلى رجل قد][6] أكل الأسد بعض جسده ، وبقي أكثره ، وهو طريّ ، وفي وسطه هميان قد تخرّق بعضه وظهرت منه دنانير .

فتقدّمت ، فجمعتها ، وقطعت الهميان ، وأخذت جميع ما فيه ، وتتبّعتها ، حتى لم يبق منها شيء .

وقويت نفسي ، وأسرعت في المشي ، وطلبت الجادّة فوقعت عليها ، واستأجرت حماراً ، وعدت إلى بغداد ، ولم أمضِ إلى الزيارة ، لأني خشيت أن تسبقوني ، فتذكروا خبري لأهلي ، فيصير [٢٣١ غ] عندهم مأتم ، فسبقتكم ، وأنا أعالج

---

٥ الأجمة : موضع الشجر الكثيف الملتفّ ، أو مأوى الأسد .

٦ الزيادة من غ .

فخذي ، وإذا منّ الله عليّ بالعافية عدت إلى الزيارة[7] .

[وقد حدّثني بهذا الحديث ، غير واحد من أهل بغداد ، بقريب من هذه العبارة .

وبلغني عن أبي الحسن علي بن محمد بن مقلة[8] ، أنّه كان قال : كنت بالموصل مع المتّقي لله[9] وأنا وزيره إذ ذاك فأتاني سلامة[10] ، أخو نجح الطولوني[11] ، بفيج معه كتُب ، فقال : اسمع ما يقول هذا ، فإنّه طريف .

فدعوته ، وقلت : قُل .

فقال : خرجت من بغداد أريدكم ، ومعي رفيق لي ، فيج من أهل بلد[12] ،

٧ لم ترد هذه القصّة في م ، ووردت في كتاب نشوار المحاضرة برقم القصّة ١٧/٢ وفيها بعض الاختلاف عمّا ورد في هذا الكتاب .

٨ أبو الحسين علي بن محمّد بن علي بن مقلة ، وزير المتّقي : ترجمته في حاشية القصّة ٢٧٤ من الكتاب .

٩ المتّقي لله ، أبو إسحاق إبراهيم بن المقتدر (٢٩٧–٣٥٧) : دامت خلافته أربع سنين تقريباً ، وكانت السيطرة للقوّاد ، ولم يكن له من الأمر شيء ، واختلف هو وأمير الأمراء توزون التركي ، فخلعه توزون وسمله (الاعلام ٢٧/١) .

١٠ أبو القاسم سلامة الطولوني : أخو نجح الطولوني ، ولهما أخ ثالث اسمه درك (ابن الأثير ٧٩/٨) ، كان سلامة من حجّاب المقتدر وعيّنه القاهر حاجباً له عند استتار علي بن يلبق ، وهرب محمّد بن ياقوت (تجارب الأمم ٢٦٥/١) وأنيط به أمر إصلاح الرؤوس المقطوعة ، وحفظها في خزانة الرؤوس (تجارب الأمم ٢٦٨/١) وأمر الخليفة بأن تجري في دار سلامة ، مناظرة أبي بكر بن مقسم الذي ابتدع قراءة لم تعرف للقرآن (تجارب الأمم ٢٨٥/١) وأصبح سلامة ، وعيسى المتطبّب ، في عهد القاهر ، أهمّ رجلين في المملكة ، ولمّا قبض على القاهر ، استتر سلامة (تجارب الأمم ٢٨٨/١) ، ثمّ ظهر ، وعاد للخدمة ، وسافر مع المتّقي إلى الموصل ، ورحل في أيّام المستكفي إلى الشام ، وتوفّي سنة ٣٣٦ (ابن الأثير ٤٧٦/٨) .

١١ نجح الطولوني : أخو سلامة الحاجب ، ولّي شرطة بغداد في السنة ٣٠٧ على قول تجارب الأمم ٦٩/١ وفي السنة ٣٠٦ على قول ابن الأثير ١١٣/٨ ، ثمّ ولّي أعمال المعاون بأصبهان ، وعزل عنها ، ثمّ أعيد إليها في السنة ٣١٢ (تجارب الأمم ١٣٩/١ ، وابن الأثير ١٥٧/٨) .

١٢ بلد : قال ياقوت في معجم البلدان ٧١٥/١ ، إنّها مدينة قديمة ، على دجلة ، شمالي الموصل ، على سبعة فراسخ منها .

فأعطاني لمّا صرنا بين تكريت[13] والسنّ[14] دراهم كانت معه ، وقال لي : إنّ نفسه تحدّثه أنّ الأسد يخرج فيفترسه .

وذكر قريباً من هذا الحديث][15] .

١٣ تكريت : قال ياقوت في معجم البلدان ٨٦٢/١ ، إنّها بفتح التاء ، والعامّة يكسرونها ، (أقول : ما زال العامّة يكسرونها) ، بلدة مشهورة ، شمالي بغداد ، على بعد ٣٠ فرسخاً منها ، على الجانب الغربي من دجلة فتحت سنة ١٦ على عهد الخليفة عمر ، ولها قلعة حصينة في طرفها الأعلى .

١٤ السنّ : قال ياقوت في معجم البلدان ١٦٩/٣ : إنّها مدينة على دجلة ، فوق تكريت ، لها سور ، وجامع كبير ، وعند السنّ مصب الزاب الأسفل .

١٥ الزيادة من غ .

٤١٢

ألجأته الضرورات إلى ركوب الأسد

حدّثني أبو جعفر أصبغ بن أحمد[١]، وكان يحجب أبا محمد المهلّبي رحمه الله، قبل وزارته، فلما ولي الوزارة كان يصرّفه في الاستحثاث على العمال[٢]، وفي الأعمال التي يتصرّف فيها العمّال الصغار، قال:

كنت بشيراز مع أبي الحسن علي بن خلف بن طناب[٣]، وهو يتولّى عمالَتها يومئذ[٤].

فجاء مستحثّ من الوزير، يطالبه بحمل الأموال، وكان أحد العمّال الأكابر، وقد كوتب بإكرامه.

فأحضره أوّل يوم طعامه وشرابه، فامتنع من مؤاكلته، وذكر أنّ له عذراً.

فقال: لا بّد أن تأكل.

---

١ أبو جعفر أصبغ بن أحمد الكاتب: كان يخدم أبا جعفر أحمد بن محمّد الصيمري، وزير معزّ الدولة، وحجب أبا محمّد المهلّبي، قبل وزارته لمعزّ الدولة، فلمّا وزّر، صرفه عن حجبته، وصرّفه فيما يتصرّف فيه المستخرجون والمستحثّون (القصّة ٢/٣٥ نشوار المحاضرة).

٢ الاستحثاث: الحضّ.

٣ أبو الحسن علي بن هارون بن خلف بن طناب: كان في السنة ٣١٩ ضامناً أموال الضياع ووالياً على الخراج بشيراز، وبارحها في السنة ٣٢٢ لمّا احتلّها عماد الدولة بن بويه، ثمّ تقلّد في السنة ٣٢٣ أعمال الخراج والضياع بالموصل وديار ربيعة ثمّ تقلّد أعمال الخراج والضياع بكور الأهواز في السنة ٣٢٦، وبعدها وزّر لبجكم، واعتقله بجكم وصادره، ثمّ ولّي على ديار مضر في السنة ٣٣٠ (تجارب الأمم ١/٢١١، ٢٩٨، ٣٠١، ٣٢٦، ٣٢٩، ٣٨٤، ٤٠٩، وابن الأثير ٨/٢٢٥، ٣١٠، ٣٤٣، ٣٤٣، ٣٥٥، ٣٨٤).

٤ كان علي بن هارون بن خلف بن طناب يتولّى ضمان أموال الضياع والخراج بشيراز في السنة ٣١٩ (تجارب الأمم ١/٢١١).

فأكل بأطراف أصابعه ، ولم يخرج يده من كمّه .

فلمّا كان في غد ، قال عليّ بن خلف لحاشيته : [ليدعُه كلّ يوم واحد منكم ، فكانوا يدعونه ، ويدعون بعضهم بعضاً ، فكانت صورته في الأكل واحـدة .

فقالوا][5] : لعلّ به برصاً أوجذاماً .

إلى أن بلغت النوبة إليّ ، فدعوته ، ودعوت الحاشية ، وجلسنا نأكل ، وهو يأكل معنا على هذه الصورة ، فسألته إخراج يده والانبساط في الأكل ، فامتنع عن إخراج يده .

فقلت له : يلحقك تنغيصٌ بالأكل هكذا ، فأخرجها على أيّ شيء كان بها ، فإنّا نرضى به .

قال : فكشفها ، فإذا فيها وفي ذراعه أكثر من خمسين ضربة ، بعضها مندمل ، وبعضها فيه بقيّة ، وعليها أدوية ، وهي على أقبح منظر .

فأكل معنا غير محتشم ، وقدّم الشراب فشربنا ، فلما أخذ منه الشراب ، سألناه عن سبب تلك الضربات .

فقال : هو أمر طريف أخاف أن لا أصدَّق فيه .

فقلت : لا بدّ أن تتفضّل بذلك .

فقال : كنت عام أوّل قائماً بحضرة الوزير ، فسلّم إليّ كتاباً إلى عامل دمشق ، ومنشوراً ، وأمرني بالشخوص إليه ، وإرهاقه بالمطالبة بحمل الأموال ، ورسم لي أن أخرج على طريق السّماوة[6] لأتعجّل ، وكتب إلى عامل هيت[7] بإنفاذي مع خفارة .

فلما حصلت بهيت ، استدعى العامل جماعة من عدّةٍ من أحياء العرب ،

---

٥ ساقطة من غ .

٦ السماوة : بادية بين الكوفة والشام (معجم البلدان ١٣١/٣) ، وكانت تسمّى أيضاً : بادية كلب ، والعراقيّون يسمّونها الآن : بادية الشام .

٧ هيت : بلدة على الفرات ، مجاورة البرية ، ذات نخل كثير ، وخيرات واسعة (معجم البلدان ٩٩٧/٤) .

وسلّمني إليهم ، وأعطاهم مالاً على ذلك ، وأشهد عليهم بتسلّمي ، واحتاط في أمري .

وكانت هناك قافلة تريد الخروج منذ مدّة ، وتتوقّى البريّةَ ، فأنسوا بي ، وسألوني أن آخذ منهم لنفسي مالاً ، وللخفراء الأعراب مالاً ، وأدخلهم في الخفارة ، ويسيرون معي ، ففعلت ذلك ، فصرنا قافلة عظيمة .

وكان معي من غلماني ممّن يحمل السلاح نحو عشرين غلاماً ، وفي حمّالي القافلة والتجار جماعة يحملون السلاح أيضاً .

فرحلنا عن هيت ، وسرنا في البريّة ثلاثة أيّام بلياِلها ، فبينا نحن نسير إذ لاحتْ لنا خيل .

فقلت للأعراب : [٢٣٢ غ] [٢٢٠ ر] ما هذه الخيل ؟ فمضى منهم قوم إليهم ثم عادوا كالمنهزمين .

فقالوا : هؤلاء قوم من بني فلان بيننا وبينهم شرّ وقتال ، ونحن طلبتهم ، ولا ثبات لنا معهم ، ولا يمكننا خفارتكم معهم ، وركضوا منصرفين ، وبقينا متحيّرين ، فلم أشكّ أنّهم كانوا من أهلهم ، وأنهم فعلوا ذلك بمواطأة علينا .

فجمعت القافلة ، وشجّعتُ أهلها وغلماني ، وضممت بعضها إلى بعض ، وأمرتهم بحمل السلاح ، ولأمة الحرب ، فصرنا حول القافلة من خارجها متساندين إليها كالدائرة .

وقلت لمن معي : لو كان هؤلاء يأخذون أموالنا ويدعون جمالنا لننجو عليها كان هذا أسهل ، ولكنّ الجمال والدواب أوّل ما تؤخذ ، ونتلف نحن في البريّة ضيعة وعطشاً ، فاعملوا على أن نقاتل ، فإن هزمناهم سلمنا ، وإن قتلنا كان أسهل من الموت بالعطش .

فقالوا : نفعل .

وغشينا القوم ، فقاتلناهم من انتصاف النهار إلى أن حجز الليل بيننا ، ولم يقدروا علينا ، وقتلنا عدّة خيل ، وجرحنا منهم جماعة ، وما ظفروا منّا بعورة ، وباتوا بالقرب منّا حنقين علينا .

وتفرّق الناس للأكل والصلاة ، واجتهدت بهم [٥١ ن] أن يجتمعوا ، ويبيتوا تحت السلاح ، فخالفوني ، وكانوا قد كلّوا وتعبوا ، ونام أكثرهم .

فغشيتنا الخيلُ ، فلم يكن عندنا امتناع ، فوضعوا فينا السيوف ، وكنت أنا المطلوب خاصّة ، لما شاهدوه من تدبيري القوم برأيي ، وعلموا أنيّ رئيس القافلة ، فقطّعوني بالسيوف ، ولحقتني هذه الجراحات كلّها ، وفي بدني أضعافها .

قال : وقد كشف لنا عن أكثر جسده ، فإذا به أمرٌ عظيم هالنا ، ولم نرَه في بشرٍ قط .

قال : وكان في أجلي تأخيرٌ ، فرميتُ نفسي بين القتلى ، لا أشكّ في تلفي ، وساقوا الجمال والأمتعة والأسارى .

فلما كان بعد ساعة ، أفقتُ ، فوجدت في نفسي قوّة ، والعطش قد اشتدّ بي ، فلم أزل أتحامل ، حتى قمت أطلب في القافلة سطيحة[٨] قد أفلتت ، أشرب منها ، فلم أجد شيئاً .

ورأيت القتلى والمجروحين الذين هم في آخر رمق ، وسمعت من أنينهم ما أضعف نفسي ، وأيقنت بالتلف .

وقلت : غاية ما أعيش إلى أن تطلع الشمس .

فتحاملت أطلب شجرة أو محملاً قد أفلت ، لأجعله ظلّاً لي من الشمس إذا طلعت .

فإذا أنا قد عثرت بشيء لا أدري ما هو ، في الظلمة ، فإذا أنا منبطح عليه بطولي وطوله .

فثار من تحتي ، وعانقته ، وقدّرته رجلاً من الأعراب ، فإذا هو أسدٌ .

فحين علمت ذلك طار عقلي ، وقلت : إن استرخيت افترسني ، فعانقت

---

٨ السطيحة : المزادة ، أي الوعاء الذي يحفظ فيه المسافر الماء ، والبغداديّون يسمّونها : المطّارة ، محرّفة عن : المَطَرَة ، وهي القربة .

رقبته بيدي ، ونمت على ظهره ، وألصقت بطني بظهره ، وجعلت رجلي تحت مخصاه وكانت دمائي تجري ، فحين داخلني ذلك الفزع العظيم رقأ الدم ، وعلق شعر الأسد بأفواه أكثر الجراحات ، فصارسداداً لها ، وعوناً على انقطاع الدم [٢٣٣ غ] ، لأنيّ حصلت كالملتصق عليه .

وورد على الأسد منّي ، أطرف ممّا ورد عليّ منه وأعظم ، وأقبل يجري تحتي كما تجري الفرس تحت الراكب القويّ ، وأنا أحسُّ بروحي تخرج ، وأعضائي تتقصّف من شدّة جريه ، ولم أشكّ أنّه يقصد أجمة بالقرب فيلقيني إلى لبوته فتفترسني .

فجعلت أضبط نفسي مع ذلك وأؤمّل الفرج ، وأدافع الموت عاجلاً ، وكلّما همّ أن يربض ركضت خصاه برجلي فيطير ، وأنا أعجب من نفسي ومطيّتي ، وأدعو الله عزّ وجلّ ، وأرجو الحياة مرّة ، ومرّة آيس من نفسي .

إلى أن ضربني نسيم السحر ، فقويت نفسي ، وأقبل الفجر يضيء ، فتذكّرت طلوع الشمس فجزعت ، ودعوت الله تعالى ، وتضرعت إليه .

فما كان بأسرع من أن سمعت صوتاً ضعيفاً لا ادري ما هو ، ثم قوي ، فشبّهته بصوت ناعورة ، والأسد يجري ، وقوي الصوت ، فلم أشكّ في أنّه ناعورة .

ثم صعد الأسد إلى تلّ ، فرأيت منه بياض ماء الفرات [٢٢١ ر] وهو جارٍ ، وناعورة تدور ، والأسد يمشي على شاطىء الفرات برفق ، إلى أن وجد مشرعة[٩] ، فنزل منها إلى الماء ، وأقبل يسبح ليبعد .

---

٩ المشرعة : مورد الشاربة ، والبغداديّون يسمّونها الآن : الشريعة ، فصيحة ، ويجمعونها على : شرايع ، ويروى عن الشيخ عبد السلام الشوّاف البغداديّ رحمه الله ، وكان من الفقهاء ، الفضلاء ، الزهّاد (١٢٣٦-١٣١٨) إنّه كان إذا ألقى على تلاميذه درساً في علم الكلام ، في تفضيل الإسلام على غيره من الملل ، ختم درسه بهذين البيتين :

يـاللّي تـريد العِـبِرْ ومـن الغـرق تـبره
كـلّ الشرايـع زلـق مـن يمّنـا العـبره

فقلت لنفسي : ما قعودي ، لئن لم أتخلّص هنا ، لا تخلّصت أبداً .

فما زلت أرفق به ، حتى تخلّصت ، وسقطت عنه ، وسبحت منحدراً ، وأقبل هو يشقّ الماء عرضاً .

فما سبحت إلاّ قليلاً ، حتى وقعت عيني على جزيرة ، فقصدتها ، وحصلت فيها ، وقد بطلت قوّتي ، وذهب عقلي ، فطرحت نفسي عليها كالتالف .

فلم أحسّ إلاّ بحرّ الشمس قد أنبهني ، فرجعت أطلب شجرة رأيتها في الجزيرة ، لأستظلّ بها من الشمس ، فرأيت الأسد مقعياً على شاطىء الفرات حيال الجزيرة ، فقلّ فزعي منه .

وأقمت مستظلّاً بالشجرة ، أشرب من ذلك الماء ، إلى العصر ، فإذا أنا بزورق منحدر ، فصِحت بهم ، فوقفوا في وسط الماء .

فقلت : يا قوم ، احملوني معكم ، وارحموني .

فقالوا : أنت دسيس اللصوص .

فأريتهم جراحاتي ، وحلفت لهم أنّه ما في الجزيرة بعلمي أحد سواي ، وأومأت لهم إلى الأسد ، وقلت لهم : قصّتي طريفة ، وإن تجاوزتموني كنتم أنتم قد قتلتموني ، فالله ، الله ، في أمري ، فوقفوا ، فأتوا ، فحملوني .

فلمّا حصلتُ في الزورق ، ذهب عقلي ، فما أفقت إلاّ في اليوم الثاني ، فإذا عليّ ثياب نظاف ، وقد غُسلت جراحاتي ، وجُعل فيها الزيت والأدوية ، وأنا بصورة الأحياء .

فسألني أهل الزورق عن حالي ، فحدّثتهم .

وبلغنا إلى هيت ، فأنفذت إلى العامل من عرّفه خبري ، فجاءني من حملني إليه .

وقال : ما ظننت أنّك أفلت ، فالحمد لله على السلامة .

وقال لي : كيف هذا الذي جرى لك ؟

فحدّثته الحديث من أوّله إلى آخره ، فتعجّب عجباً شديداً ، وقال : بين الموضع الذي قطع عليكم فيه الطريق ، وبين الموضع الذي حملك أهل الزورق منه

مسافة أربعين فرسخاً على غير محجّة .

فأقمتُ عنده أيّاماً ، ثم أعطاني نفقةً ، وثياباً ، وزورقاً ، فجئت إلى بغداد ، فمكثت أعالج جراحاتي عشرة أشهر حتى صرت هكذا .

ثم خرجتُ وقد افتقرت ، وأنفقت جميع ما كان في بيتي ، فلمّا قمت بين يدي الوزير ، رقّ لي ، وأطلق[٢٣٤ غ]لي مالاً ، وأخرجني إليكم[١٠] .

---

١٠ لا توجد هذه القصّة في م .

١٠

٤١٣

القرد وامرأة القرّاد

[حدّثني عليّ بن نظيف المتكلّم ، المعروف بشهدانجة][١] وسعيد بن عبد الله السمرقندي الفقيه الحنفي ، عمّن حدّثهما :

إنّه بات في سطح خان ، في بعض الأسفار ، ومعهم قرّاد ، ومعه قرد ، وامرأته ، فباتا في خان .

قال : فلما نام الناس ، رأيت القرد قد قلع المسمار الذي في السلسلة ، ومشى نحو المرأة ، فلم أعلم ما يريد .

فقمتُ ، فرآني القرد ، فرجع إلى مكانه ، فجلستُ ، ففعل ذلك دفعات ، وفعلته .

فلما طال عليه الأمر ، جاء إلى خرج القرّاد ، ففتحه ، وأخرج منه صرّة دراهم ، خمّنت أنّ فيها أكثر من مائة درهم ، فرمى بها إليّ .

فعجبت من أمره ، وقلت : أمسك ، لأنظر ما يفعل ، فأمسكتُ .

فجاء إلى المرأة ، فمكّنته من نفسها ، فوطأها .

فاغتممتُ بتمكيني إيّاه من ذلك ، وحفظت الصرّة .

فلما كان من غدٍ ، صاح القرّاد ، يطلب ما ذهب منه .

وقال لصاحب الخان : قردي يعرف من أخذ الصرة ، فاضبط باب الخان ، وأقعُد أنا وأنت والقرد ، ويخرج الناس ، فمن علق به القرد فهو خصمي ، ففعل ذلك .

وأقبل الناس يخرجون والقرد ساكت لا يتكلّم ، وخرجت فما عرض لي ، فوقفتُ

---

١ الزيادة من غ .

خارج الخان أنظر ما يجري ، فلمّا لم يبق إلاّ يهودي ، فخرج ، فعلق به القرد .

فقال القرّاد : هذا خصمي ، وجذبه ليحمله إلى صاحب الشرطة ، فلم أستحلّ السكوت [٥٢ ن] .

فقلت : يا قوم ليس اليهوديُّ صاحبكم ، والصرّة معي ، ولي قصّة عجيبة في أخذها ، وأخرجتها ، وقصصت عليهم القصة .

فحملنا إلى صاحب الشرطة ، وحضرت الرفقة ، فعرّفوا صاحب الشرطة محلّي ، ومنزلتي ، ويساري ، وأقبل القرّاد يحيد عن قرده .

فما برحت حتى أمر صاحب الشرطة [٢٢٢ ر] بقتل القرد ، وطُلبت المرأةُ ، فهربت ، وسلم اليهوديّ[٢] .

---

٢ لا توجد هذه القصّة في م .

٤١٤

تمكّن منه السبع ثم تخلّص منه بأهون سبيل

حدّثني الحسن بن صافي ، مولى محمد بن المتوكّل[١] القاضي ، قال : حدّثني غلام لي أثق به ، قال :

أصعدت من واسط – ماشياً – أريد بغداد ، فلما صرت بين دير العاقول[٢] والسيب[٣] ، وأنا وحدي ، في يوم صائفٍ له ريح شديدة ، رأيت بالبعد منّي غيضة[٤] عظيمة ، قد خرج منها سبع .

فحين رآني وحدي أقبل يهرول نحوي ، فذهب عليّ أمري وأيقنت بالهلاك ، وخدر بدني كلّه ، وربا لساني في فمي ، وتحيّرت .

إلا أنيّ أخذت منديلاً ، فجعلته في رأس قصبة كانت معي ، وظننت أنيّ أفزعه بذلك .

فأنا في تلك الحالة من الإياس ، وقد بقي بيني وبينه مقدار مائة ذراع ، إذ قلعت الريح أصل حشيش يقال له : بارق عينه ، وصار يلتفّ بالشوك حتى بقي كالكارة العظيمة ، والريح تدحرجه نحو السبع ، وقد تمكّنَتْ منه ، وصار لها هفيف شديد[٥] .

فحين رأى السبع ذلك وسمع الصوت رجع منصرفاً وقد فزع فزعاً شديداً .

---

١ في ن : ابن المتكلّم .

٢ دير العاقول : قال ياقوت في معجم البلدان ٦٧٦/٢ : بين المدائن (سلمان باك) والنعمانية ، على بعد ١٥ فرسخاً من بغداد .

٣ السيب : قال ياقوت في معجم البلدان ٢٠٨/٣ : من طسوج سورا ، عند قصر ابن هبيرة .

٤ الغيضة ، وجمعها غياض وأغياض وغيضات : مجتمع الشجر في مغيض الماء .

٥ الهفيف : صوت الريح عند هبوبها .

وبقي يحوّل وجهه في كّل عشر خطوات أو أكثر ، فإذا رأى ذلك الأصل في أثره يتدحرج زاد في الجري .

ولم يزل كذلك إلى أن بعد عنّي بعداً كثيراً ، ودخل الغيضة .

وعادت إليّ نفسي [٢٣٥ غ] ومضيت في طريقي ، وسلمت[٦] .

٦ هذه القصّة لا توجد في م .

٤١٥
قتل فيلاً بالقبض على خرطومه

حدّثني القاضي أبو بكر أحمد بن سيّار[١] ، قال : حدّثني شيخ من أهل التيز[٢] ومكران[٣] رأيته بعمان ، ووجدتهم يذكرون ثقته ، ومعرفته بالبحر ، وأنّه دخل الهند والصين ، قال :

كنت ببعض بلاد الهند ، وقد خرج على ملكها خارجيّ ، فأنفذ إليه الجيوش ، فطلب الأمان فأمّنه .

فسار ليدخل إلى بلد الملك ، فلما قرب ، أخرج الملك جيشاً لتلقّيه ، وخرجت العامّة تنظر دخوله ، فخرجت معهم .

فلما بعدنا في الصحراء ، وقف الناس ينتظرون طلوع الرجل ، وهو راجل ، في عدّة من رجاله ، وعليه ثوب حرير ومئزر ، وفي وسطه مدية معوجّة الرأس ، وهي من سلاح الهند ، وتسمى عندهم : حزى .

فتلقّوه بالإكرام ومشوا معه ، حتى انتهى إلى فيلة عظيمة قد اخرجت للزينة وعليها الفيّالون ، وفيها فيل عظيم يختصّه الملك لنفسه ، ويركبه في بعض الأوقات .

فقال له الفيّال ، لما قرب منه : تنَّح عن طريق فيل الملك ، [فسكت عنه ، فأعاد الفيّال عليه القول ، فسكت .

فقال : يا هذا ، احذَر على نفسك ، وتنحَّ عن طريق فيل الملك][٤] .

---

١ أبو بكر أحمد بن سيّار القاضي : ولّي قضاء الجانب الشرقي ببغداد سنة ٣٥٦ ، وفي السنة ٣٥٧ أضيف إليه قضاء دار السلطان ، وفي السنة ٣٥٩ صُرِفَ عن قضاء دار السلطان ، واقتصر على الباقي من الجانب الشرقي ببغداد ، ثمّ صرف عن القضاء في السنة ٣٦٠ (المنتظم ٣٨/٧–٥٤) .

٢ تيز : بلدة على ساحل بحر مكران أو السند ، قبالتها من الغرب أرض عمان (معجم البلدان ٩٠٧/١).

٣ مكران : ولاية واسعة ، على البحر ، بين سجستان والهند ، فرضتها الملتان (معجم البلدان ٦١٣/٤–٦١٤) .

٤ ساقطة من غ .

فقال له الخارجيّ : قلْ لفيل الملك يتنحّى عن طريقي .

فغضب الفيّال ، وأغرى الفيل بكلام كلّمه به ، فغضب الفيل ، وعمد إلى الخارجيّ فلفّ خرطومه عليه ، فقبض الخارجيّ بيده على الخرطوم .

وشاله الفيل إشالة عظيمة والناس يرون ، وأنا فيهم ، وخبط به الأرض ، فإذا به قد انتصب قائماً على قدميه فوق الأرض ولم ينحّ يده عن الخرطوم .

فزاد غضب الفيل ، فأشاله أعظم من تلك وعدا ثم رمى به الأرض ، فإذا هو قد حصل عليها مستوياً على قدميه منتصباً قابضاً على الخرطوم .

وسقط الفيل كالجبل العظيم ميتاً ، لأنّ قبضه على الخرطوم تلك المدة منعه من التنفّس فقتله .

قال : فوكّل به ، وحمل إلى الملك ، وحُدِّثَ بالصورة ، فأمر بقتله .

فاجتمع القحاب[٥] ، وهنّ النساء الفواجر ، يفعلن ذلك بالهند ظاهراً عند البدّ[٦] ، تقرباً إلى الله بذلك عندهم .

قال : وهنّ العدول هناك ، يشهدن في الحقوق ، ويقمن الشهادة ، فيقطع بها حاكمهم في سائر الأمور ، وعندهم إنهنّ لما كنّ يبذلن أنفسهنّ عند البدّ بغير أجر ، صرن في حكم الزهّاد والعبّاد .

فقال القحاب للملك : يجب أن تستبقي مثل هذا الرجل فلا يقتل ، فإنّ فيه جمالاً للملك ، ويقال : إنّ للملك خادماً قتل الفيل العظيم بقوّته وحيلته ، من غير سلاح .

فعفا عنه الملك ، وخلع عليه ، واستخدمه[٧] .

---

٥ اسم هؤلاء الفتيات في الهند : فتيات المعبد .

٦ البد : معبد الهنود ، محرّفة عن : بوذا ، للتفصيل راجع دائرة المعارف الاسلاميّة ٣/٤٣٦–٤٣٨ .

٧ لم ترد هذه القصّة في م ، وقد وردت في كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة برقم القصّة ١/٥٤ كما أثبتها الدميري في كتابه حياة الحيوان ٢/٢٥١ طبعة مصر ١٢٩٢ .

٤١٦
قتلوا شبلاً فاجتمع عليهم بضعة عشر سبعاً

وحدّث سعيد [بن يوسف][١] بن عبد الله السمرقندي الحنفي ، [وعبد الرحمن ابن جعفر][٢] الوكيل على أبواب القضاة بالأهواز ، قالا : حدّثنا أبو بكر محمد بن سهل الشاهد الواسطي القاضي ، قال :

اخبرني وكيلان كانا في ضيعتي بنواحي الجامدة[٣] ، ونهر جعفر[٤] ، قالا :

خرجنا مع صنّاع عندنا ، إلى أجمة نقطع قصباً ، فرأينا شبلاً كالسنّور ، فقتله أحد قطّاع القصب .

فقال الباقون : قُتِلنا ، الساعةَ يجيء السبع واللبوة ، فإذا لم يرياه طلبَانا ، ونحن نبيت في الصحراء بين القصب ، فيفرِسانا .

قال : فما كان بأسرع مَن أن سمعنا صوت السبع ، فطرنا على وجوهنا ، واجتمعنا في دار خراب خارج [٢٢٣ ر] الأجمة ، وعلونا سطحها ، وكان فيها غرفة عليها باب كنّا نأوي إليها ليلاً .

فلمّا رأى السبع ولده قتيلاً قصدنا فصار في صحن الدار الخراب [٢٣٦ غ] ، وكان بين يدي الغرفة صحنين ، فأخذ السبع يطفر ليصير معنا ، فما قدر على ذلك .

فولّى ، وعلا أكمة[٥] في الصحراء ، وصاح ، فجاءته اللبوة ، فطفرت تريدنا ، فما قدرت .

---

١ الزيادة من غ .

٢ الزيادة من ن .

٣ الجامدة : قال ياقوت في معجم البلدان ١٠/٢ : إنّها قرية كبيرة جامعة ، من أعمال واسط بينها وبين البصرة ، رأيتها غير مرّة .

٤ نهر جعفر : نهر بين واسط ونهر دقلة ، عليه قرى ، وهو أحد ذنائب دجلة (معجم البلدان ٨٣٨/٤) .

٥ الأكمة : التلّ أو الموضع الذي يكون أكثر ارتفاعاً ممّا حوله .

فاجتمعا ، فصاحا ، فجاءهما عدّة من السباع ، وطفروا ، فما قدروا علينا ، فلم يزالوا كذلك حتى اجتمع بضعة عشر سبعاً ، وكلّما جاء واحد حاول أن يطفر إلينا فلا يبلغنا ، ونحن كالموتى خوفاً أن يصل إلينا واحدٌ منهم .

فبينما نحن كذلك إذ اجتمعت السبّاع كلّها كالحلقة ، وجعلت أفواهها في الأرض ، وصاحت صيحة واحدة ، فرأينا حفرة قد احتفرت في التراب من أنفاسها .

فما كان إلاّ ساعة حتى جاء سبع أسود هزيل ، منجرد الشعر ، لطيف .

فلقيته السّباع كلّها ، وبصبصت بين يديه ، وحوله ، وجاء يقدمها وهي خلفه حتى رآنا في الغرفة ، ورأى الموضع ، ثم جمع نفسه ، فإذا هو في الصحن ، بين يدي الغرفة .

وكنّا قد أغلقنا الباب ، فاجتمعنا كلّنا خلفه لندافعه عن الدخول .

فلم يزل يدفع الباب بمؤخّره حتى كسر بعض ألواحه وأدخل عجزه إلينا . فعمد أحدنا إلى ذنبه فقطعه بمنجل كان معنا [٥٣ ن] .

فصاح صيحة مُنكرة وهرب ، ورمى بنفسه إلى الأرض ، فلم يزل يخمش السباع وينهشها ويقطعها بمخالبه ، حتى قتل منها غير واحد .

وتهاربت السباع الباقية من بين يديه ، وهام في الصحراء يتبع أثرها ، ونزلنا نحن لمّا لم يبق منها شيء ، فلحقنا بالقرية ، وخبّرناهم خبرنا .

فقال لنا شيخ منهم : هذا السبع مثل الجرذ العتيق ، إذا قُطع ذنبُه أكل الفار[٦] .

---

٦ لا توجد هذه القصّة في م .

٤١٧

افترس السبع صاحب الدين وسلم الغريم

وحدّث قاضي القضاة أبو السائب عتبة بن عبيد الله الهمذاني[1] ، قال :

كان رجل من أهل أذربيجان له على رجل دين ، فهرب منه وطالت غيبته .

فلقي صاحبُ الدين المدينَ ، بعد مدّة في الصحراء منفرداً ، فقبض عليه وطالبه .

فحلف له بالله تعالى أنّه معسر ، وسأله الانتظار ، وقال له : لو أنّي أيسرُ الناس ما تمكّنت هنا من من دفع شيء إليك .

فأبى عليه ، وأخرج قيداً كان معه ليقيّده حتى لا يهرب .

فتضرع إليه ، وسأله أن لا يفعل ، وبكى ، فلم ينفعه ذلك .

فقيّده بالقيد ، ومشى إلى قرية بقرب الموضع الذي التقيا فيه ، فجاءاها مساءً وقد أغلق أهلها باب سورها ، واجتهدا في فتحه لهما ، فأبى أهل القرية ذلك عليهما .

فباتا في مسجد خراب على باب القرية ، وأدخل صاحب الدَين رِجله في حلقة من حلقتي القيد ، لينتبه إذا أراد الهرب .

فجاء السبع ، وهما نائمان ، فقبض على صاحب الدين فافترسه ، وجرّه فانجرّ

---

١ أبو السائب عتبة بن عبيد الله بن موسى بن عبيد الله الهمذاني ، قاضي القضاة (٢٦٤–٣٥٠) : كان أبوه تاجراً ، مستوراً ، ديّناً ، ونشأ أبو السائب فطلب العلم ، وتصوّف ، ثمّ تفقّه على مذهب الشافعي ، واتّصل بالأمير أبي القاسم بن أبي الساج ، فقلّده قضاء مراغة ، ثمّ ولّاه قضاء أذربيجان جميعها ، ثمّ قضاء همذان ، وصار إلى بغداد وتقلّد أعمالاً جليلة بالكوفة ، وديار مضر ، والأهواز ، وعامّة الجبل ، وقطعة من السواد ، وتقدّم عند قاضي القضاة أبي عمر ، وسمع شهادته ، واستشاره في جميع أموره ، وقلّده المستكفي قضاء مدينة أبي جعفر ، أي مدينة المنصور ، ثمّ تقلّد قضاء القضاة سنة ٣٣٨ (المنتظم ٥/٧) .

الغريم معه ، لمكان الحلقة في إحدى رجليه .

فلم يزل ذلك حاله إلى أن فرغ السبع من أكل صاحب الدين ، وشبع ، وانصرف ، وترك المدين وقد تجرّح بدنه ، وبقيت ركبة الغريم في القيد .

فحملها الرجل مع قيده إلى أهل القرية ، وأخبرهم الخبر ، فحلّوا قيده وسار لحال سبيله[2] .

---

٢ لم ترد هذه القصّة في م ، ووردت في كتاب نشوار المحاضرة برقم القصّة ١/١١٧ .

٤١٨
الأفعى التي أخربت الضيعة

وحدّثني أبو جعفر مسعود بن عبد الله الضبّيّ ، شيخ من التنّاء البصريّين ، كان قد انتقل عنها[١] إلى قرية له ، وضيعة ، بقرب نهر الدير[٢] ، فاستوطنها ، قال :

كان في هذا البستان ، [٢٣٧ غ] وأشار إلى بستان بجانب داره كثيرة الاشجار ، أفعى تسمّى الجراب ، لأنّها كانت بقدر الجراب الكبير ، طولاً ، وسعة ، وانتفاخاً .

فكثرت جناياتها ، حتى أخربت عليّ الضيعة ، فانتقلت عنها إلى الجانب الآخر من النهر ، وبطلت ضيعتي ، وصار هذا البستان كالأجمة ، لا يقدر أحد على دخوله .

وطلبت حوّاء[٣] من البصرة ليصيده ، وبذلت على ذلك [٢٢٤ ر] مالاً جزيلاً . فجاء الحوّاء فتبخّر بدخنة[٤] معه ، فظهرت الأفعى ، فحين رآها هاله أمرها ، وقصدته الأفعى فنهشته ، فتلف في الحال .

فصار لي حديث بذلك ، وشاع الخبر ، فامتنع الحوّاؤون من المجيء ، وتغرّبتُ أنا عن الضيعة والقرية ، وبطلت معيشتي منهما .

فكنت يوماً جالساً في الجانب الآخر من النهر ، إذ جاءني رجل فسلّم عليّ .

وقال : بلغني خبرُ أفعى عندك ، قد قتل فلاناً الحوّاء ، وأخرب عليك ضيعتكَ ، فجئتك لتدلّني عليه حتى آخذه .

---

١ عنها : أي عن البصرة .

٢ نهر الدير : قال ياقوت في معجم البلدان ٨٣٩/٤ إنّه نهر كبير بين البصرة ومطارا ، بينه وبين البصرة نحو عشرين فرسخاً ، سمّي بذلك لدير كان على فوهته .

٣ الحوّاء : الذي يجمع الحيّات .

٤ الدخنة : ذريرة يدخّن بها .

فقلت : ما أحبّ تعريضك لهذا ، وقد صار لي بتلف ذلك الحوّاء حديث .

فقال : إنّ ذلك الحوّاء كان أخي ، وأنا أريد أن آخذ بثأره ، وأريح الناس من هذا الملعون ، أو اللّحاق بأخي .

قلت : فتشهد على نفسك أهل الأنهار المجاورة ، أنّ هذا باختيارك ، لا بمسألة منّي ،. ففعل ، وأريته البستان .

فقال : أريد شيئاً آكله ، فجئناه بطعام فأكل ، ثم أخرج دهناً كان معه ، فطلى به جميع بدنه .

وقال لغلام كان معه : انظُر هل بقي موضع من غير ما أطليه ؟

فقال له الغلام : لا .

فجلست أنا فوق السطح الذي في داري ، أنظر ما يفعل ، فأخرج دخنة فبخّر بها ، فما كان بأسرع من أن ظهر الأفعى كأنّه دنّ أسود .

فحين قرب من الحوّاء هرب ، فتبعه الحوّاء ، فلحقه وقبض عليه .

فالتفت الأفعى فعضّ يده ، فتركه الحوّاء فأفلت ، وذهب عليه أمره ، فجئناه وحملناه ، فمات في الليل .

وانقلبت الناحية بحديث الأفعى .

ومضى على هذا مدّة ، فجاء رجل يشبه الرَّجلين ، وسألني عمّا سألني عنه الأخوان ، فأخبرته بالخبر .

فقال : الرَّجلان أخواي ، ولا بدّ لي من الأخذ بثأرهما ، أو اللحاق بهما .

قال : فأشهدت عليه ، وأريته الموضع ، وصعدت به السطح ، فأكل وشرب أقداحاً كثيرة ، وأخرج دهناً كان معه ، وطلى به دفعات كثيرة كلّ بدنه ، وكلّ مرة يسأل غلامه .

فيقول : هل بقي موضع لا دهن فيه ؟

فيقول له الغلام : لا .

فيقول للغلام : أعد الطّلاء عليّ ، فيعيده الغلام .

حتى لم يبق في جسده موضع إلاّ وقد طلاه ، وأعاد الطّلاء ثلاث مرات ، وصار الدهن ينقط من بدنه .

وبخّر بدخنة ، فخرج الأفعى ، فطلبه الحوّاء وأخذ يحاربه ، وتمكّنت يد الحوّاء من قفاه ، فانثنى عليه فعضّ إبهامه .

وبادر الحوّاء فخرم فاه ، وجعله في سلّة ، وأخرج سكيناً معه فقطع إبهام نفسه ، وأغلى زيتاً وكواها به ، وخرّ كالتالف .

فحملناه إلى القرية ، فإذا بصبيّ من غلماني قد جاء ومعه ليمونة ، وكان الليمون إذ ذاك قليلاً بالبصرة جدّاً ، وعندي منه شجرة واحدة .

فحين رأى الحوّاء الليمون [٢٣٨ غ] ، قال : هذا يا سيدي عندكم موجود ؟

قلت : نعم .

قال : أغثني بكلّ ما تقدر عليه منه ، فإنّا نعرفه في بلدنا يقوم مقام الدرياق .

فقلت : أين بلدك ؟

قال : عُمان .

فأتيته بكلّ ما كان عندي منه ، فأقبل يعضّه ويسرع في أكله ، وعمد إلى بعضه فاستخرج ماءه ، وأقبل يتحسّى منه ، ويطلي به الموضع ، وأصبح من غدٍ وهو صالح .

فسألته عن خبره ، فقال : ما خلّصني بعد الله عزّ وجلّ ، إلاّ ماء الليمون ، وأظنّ أنّ أخويّ لو اتّفق لهما تناوله ما تلفا .

قلت : فذلك الدهن الذي انطليت منه ، ما هو ؟

قال : الطلق ، الذي إذا طرح معه النار على الجسم حين لا يكون فيه خلل ، ما ضرّت النار الجسم ، وأمّا تلف إخواني ، فلأنّ بعض أبدانهم خلا من الطلاء ، أو جفّ عنه .

فقلت : وكيف تمكّن الأفعى منك ؟

قال : لطول الوقت ، وإلى أن قيّدته ، جفّ بعض الدهن ، فتمكّن منيّ ، ولولا الليمون لتلفتُ .

فقال : فتعلّمت منه استخراج ماء الليمون ، وكنت أوّلَ من استخرجه بالبصرة ، ونبَّه الناس على منافعه ، وجرّبته في الطبيخ [٢٢٥ ر] فوجدته طيّباً ، وتداوله الناس .

قال : ثم أخرج الأفعى ، وقطع رأسه ، وذنبه ، وأغلاه في طنجير[٥] ، واستخرج [٥٤ ن] دهنه في قوارير ، وانصرف[٦] .

٥ الطنجير : وعاء يعمل فيه الخبيص ونحوه ، ويسمّى في لبنان : طنجرة .

٦ هذه القصّة لا توجد في م .

٤١٩
مفلوج لسعته عقرب جرّارة فعوفي

حدّثني عبد الوهاب بن محمد بن مهدي ، المعروف بأبي أحمد بن أبي سلمة ، الشاهد ، الفقيه ، المتكلّم [العسكري ، في سنة خمس وخمسين وثلثمائة بعسكر مكرم][١] : إنّه شاهد رجلاً مفلوجاً ، حُمل من أصبهان[٢] ، إلى عسكر مكرم[٣] ليعالج ، فطرح على باب خان في جواره ، في الجانب الشرقي منها ، وقد هجر ، وفرّغ ، لكثرة العقارب الجرّارات[٤] فيه .

وطلب له موضع آخر يسكنه ، فلم يوجد إلاّ في هذا الخان ، فأنزله غلمانه

---

١ لا توجد هذه الفقرة في غ .

٢ أصبهان : قال ياقوت في معجم البلدان ٢٩٢/١ إنّها مدينة عظيمة ، من أعلام المدن وأعيانها ، صحيحة الهواء ، نفيسة الجوّ ، أقول : تهيّأ لي أن أزور أصبهان مرّتين ، الأولى في السنة ١٩٥٥ ، والثانية في السنة ١٩٦٨ ، وقد أعجبت بهوائها ومائها ، وأهمّ ما أعجبني فيها في زيارتي الأولى : مسجد يسمّى مسجد الجمعة ، واسع المساحة ، يحوي كثيراً من المباني ، وجدت فيه حائطاً من بقايا معبد النوبهار ، وبقايا جامع من طراز جامع الفسطاط في أساطينه وأقواسه ، أحسبه بني في صدر الإسلام ، ووجدت فيه مدرسة من بناء نظام الملك ما تزال بحالة صالحة ، ورواقاً من بناء المتغلّبة الأفغان ، وجدت في حيطانه المغشّاة بالقيشاني ذكر الخلفاء الأربعة ، وفيه محاريب من الرخام قد نقش عليها أسماء الأئمة الاثني عشر ، قيل لي إنّها من صنع بعض أحفاد تيمورلنك . وأعجبني في زيارتي الثانية في السنة ١٩٦٨ : فندقاً اسمه فندق شاه عبّاس ، أصله خان مسافرين بني في عهد الشاه عبّاس ، في القرن الحادي عشر الهجري فحوله المهندسون ، فندقاً من الدرجة الممتازة ، بحيث أنّني لم أشاهد فندقاً أجمل منه في جميع الأماكن التي سافرت إليها في آسيا وأفريقيا وأوروبا .

٣ عسكر مكرم : بلد مشهور من نواحي خوزستان (معجم البلدان ٦٧٦/٣) .

٤ الجرارة : نوع من العقارب ، موجودة في الأهواز (لطائف المعارف ٢١٢ ، ٢٣٤) ويوجد منه في البندنيجين ، المعروفة الآن باسم : مندلي ، وهو أصفر اللون ، سمّي بذلك لأنّه يجرّ ذنبه وراءه ، ويقال أنّ لسعته قاتلة ، راجع وصفه في حاشية القصّة ١٩٦ من الكتاب .

فيه ، وهم لا يعلمون حاله ، وأنّه أخلي لكثرة الجرّارات فيه .

وصعد أصحاب الرجل إلى السطح ليلاً ، وتركوه ، لما وصف لهم أنّ المفلوج لا يجوز أن يبيت في السطح .

فلما كان من الغد وجدوه جالساً ، وكان طريحاً ملقىً لا يمكنه أن ينقلب من جنب إلى جنب ، ووجدوا لسانه فصيحاً وكان متكسّراً بالعلّة ، حتى إنّ الرجل مشى في يومه ذلك .

فأحضر بعض أهل الطبّ وسأله عن خبره ، ففتّشه ، فوجد أثر لسع الجرّارة في إبهام رجله اليسرى .

فقال له : انتقل الساعة من هذا الخان ، فإنّه مشهور بكثرة الجرّارات ، وقد لسعتك واحدة منهن فأبرأتك ، وعشت بشيء ما عاش أحدٌ به قطّ ، وقامت حرارتها ببرد الفالج فأزالته ، ولم تتجاوزه فتقتلك ، وسيعقب ذلك حدّة شديدة وحرارة ، فاصبر لها حتى أعالجك باليسير من الرطوبة فلا ترجع إليك برودة الفالج ، وانتقِل لئلاّ تلسعك أخرى فتتلف .

وانتقل الرجل ، وتعاهده الطبيب ، فحّم المفلوج من غد ، وتلطّف في علاجه حتى برِأ[٥] .

٥ هذه القصّة لا توجد في م .

١١

٤٢٠
قضى ليلة في الجبّ بجوار أفعى

وحدّثني عبيد الله بن محمد الصّرويّ ، قال :

كنت أتصرّف مع المختار بن الغيث بن حمدان أحد قوّاد بني عُقَيل ، فسار وأنا في جملته ، مع تكين [٢٣٩ غ] الشيرزادي[١] ، لما تغلّب على الموصل ، يطلب ناصر الدولة ، وسار العسكر سيراً عجلاً ، فتقطّع الناس .

وكانت تحتي حجرة[٢] ، فصرت في أخريات الناس ، ثم انقطعت عن العسكر حتى صرت وحدي .

ثم أوردتُ الدّابّة ماءً كان في الطريق ، فحمّ ، ولم يمكنه أن يسير خطوة واحدة .

فخفت أن يدركني من يسلبني نعمتي ويأسرني ، فنزلت عن الدابّة أمشي ، وفي عنقي سيف بحمائل ، والمقرعة في يدي .

فسرت عدّة فراسخ ، حتى صعدت جبل سِنجار ، وكنت أحتاج أن أمشي فيه نحو الفرسخ ، ثم أنزل إلى سنجار[٣] ،

---

١ تكين الشيرزادي : النسبة إلى أبي جعفر محمّد بن يحيى بن شيرزاد ، قائد تركي ، كان من قوّاد توزون (تجارب الأمم ٥٠/٢) ثمّ قلّده أبو جعفر بن شيرزاد ، الجبل (٨٤/٢) ثمّ انحاز إلى ناصر الدولة في حربه مع معزّ الدولة (٩٠/٢) ولمّا اصطلحا ، ثار الأتراك على ناصر الدولة ، وأمّروا تكين ، فاستولى على الموصل ، وسنجار ، والحديثه ، وحارب ناصر الدولة ، فأسره ناصر الدولة ، وسمله ، واعتقله في قلعة من قلاعه (تجارب الأمم ١٠٩/٢ ، ١١٠ والكامل لابن الأثير ٤٦٦/٨ و٤٦٧) ثمّ أرسل به إلى معزّ الدولة الذي أحسن إليه ، وأطلقه ، وأقطعه إقطاعاً (تجارب الأمم ١١١/٢) .

٢ الحجرة : الأنثى من الخيل .

٣ سنجار : مدينة مشهورة في نواحي الجزيرة ، بينها وبين الموصل ثلاثة أيّام وهي في لحف جبل سنجار (معجم البلدان ١٥٨/٣) أقول : وقد زرت سنجار في السنة ١٩٣٦ لمّا كنت قاضياً في الموصل ،

فجنّني الليل ، واستنفذ المشيُ جَلَدي ، واستوحشتُ ، وخفت الوحوش في الجبل ، فطلبت موضعاً أسكن فيه ليلتي ، فلم أجد .

ورأيت جباباً كثيرة منقورة في أرض الجبل ، فطلبت أقربها قعراً ، ورميت فيه حجراً ، فظننت أنّ قعره قامة أو نحوها ، فرميت بنفسي فيه .

وكان البرد شديداً ، فنمت ليلتي وأنا لا أعقل من التعب والجوع .

فلمّا كان من الغد ، انتبهت ، وعندي أنّ الجب محفور كالآبار ، وأنّي أضع رجليّ في جوانبه ، فأتسلّق وأطلع ، فتأمّلته ، فإذا [هو محفور كالتنّور ، رأسه ضيّق ، وأسفله واسع شديد السعة ، وجوانبه منقوشة ، فقمت في الجبّ][4] فإذا هو أعلى من قامتي .

فتحيّرت في أمري ، فلم أدرِ كيف أعمل ، وكيف السبيل إلى الصعود .

وطلعت الشمس ، وأضاء الجبّ ، فإذا فيه أفعى مدوّر كالطبق وقد سدر[5] من البرد ، فليس ينتشر ، ولم يتحرّك من مكانه ، فتجنّبت مكانه .

وهممت أن أجرّد السيف وأقطع الأفعى ، ثم قلت : أتعجّل شرّاً لا أدري عاقبته ، ولا منفعة لي في قتله ، لأنّي سأتلف في هذه البئر ، وهي قبري ، فما معنى قتل الأفعى ؟ أدَعُهُ ، فلعلّه أن يبتدىء بالنهش ، فأتعجّل التلف ، ولا أرى نفسي تخرج بالجوع والعطش .

فأقمت يومي كلّه على ذلك ، والأفعى لم تتحرّك [٢٢٦ ر] وأنا أبكي وأنوح على نفسي ، وقد يئست من الحياة .

فلمّا كان من الغد ، أصبحتُ ، وقد ضعفتُ ، فحملني حبّ الحياة على الفكر في الخلاص ، فقمت ، وجمعت من حجارة رقيقة كانت في الجبّ شيئاً كثيراً ،

وبتّ فيها ليلة ، فأعجبني هواؤها ، وماؤها ، وأهلها يزيديّة .

٤ الزيادة من غ .

٥ سدر : تحيّر .

وعبّيتها في وسط الجبّ ، وعلوتها لتنال يدِي طرف الجبّ وأحمل نفسي إلى رأسه .

فحين جعلت رجلي على الحجارة ، تدكدكت وانهارت ، لرقّتها وملاستها .

فلم أزل أعيد تعبيتها وركوبها ، وتنزلق من تحت رجلي ، وأنا متشاغل بذلك يومي كلّه ، وجاء الليل فلم يمكنني أن أقوم من الجوع والضعف ، وانكسرت نفسي ، ثم حملني النوم .

فلمّا كان من الغد فكّرت في حيلة أخرى ، ووقع لي أن شددت المقرعة بعلائقها في حمائل السيف[٦] ، ودلّيت المقرعة إلى داخل الجبّ ، ورميت السيف إلى رأس الجبّ ، وأمسكت المقرعة بإحدى يديّ ، فحصل جفن السيف فوق الجبّ معترضاً لرأسه ، وحمائله في المقرعة ، وهي مدلاّة اليّ .

ثم أمسكت السيف ، وسللته ، ولم أزل أقلع من أرض الجبّ ما يمكن قلعه ونحته من تراب قليل ، ثم عبّيت ذلك بالرّضراض[٧] [والحجارة الرقاق وجعلت بين كلّ سافين منها تراباً ، ثم رددت السيف إلى جفنه ، وعلوت الرّضراض][٨] ، وتعلّقت [٢٤٠ غ] على السيف المعترض ، وطفرت ، فصار السيف معترضاً تحت صدري ، وظهرت يداي من الجبّ ، فحصلت جوانبه تحت إبطي ، وأشلت نفسي ، فإذا أنا قد خرجت من الجبّ ، بعد أن اعوجّ السيف ، وكاد يندقّ ويدخل في بطني لثقلي عليه .

فوقعت خارج الجبّ ، مغشيّاً عليّ من هول ما نالني ، ووجدت أسناني قد

---

٦ حمالة السيف ، وجمعها حمائل : علاقة السّيف ، وجمعها علائق ، الحبل الذي يعلّق العربي به سيفه ، لأنّ العربي يعلّق سيفه إلى عنقه ، بخلاف الروميّ فإنّه يشدّ سيفه إلى وسطه ، فلا يحتاج إلى علاقة ، وقد وجدت في أسبانيا لمّا زرتها في السنتين ١٩٦٠ و ١٩٦١ ، أنّ مصارعي الثيران ، يعلّقون في صدورهم قطعة من الحرير أو القصب تتدلّى أطرافها ، قيل لي أنّ اسمها عندهم : الإلكه ، وأحسب أنّها بقيّة العقدة التي تشدّ بها علاقة السيف ، حرّف اسمها من العلاقة ، إلى الإلكة .

٧ الرضراض : ما صغر ودقّ من الحصى .

٨ الزيادة من غ .

اصطكّت ، وقوّتي قد بطلت عن المشي ، فما زلت أحبو وأطلب المحجّة حتى وقفتُ عليها .

ورآني قوم مجتازون ، فأخذوا بيدي ، وقوي قلبي فمشيت حتى دخلت سنجار آخر النهار ، وقد بلغت روحي إلى حدّ التلف .

فدخلت مسجداً فطرحت نفسي فيه وأنا لا أشكّ في الموت ، وحضرت صلاة المغرب ، واجتمع أهل المسجد فيه ، وسألوني عن خبري ، فلم يكن فيّ فضل للكلام .

فحملوني إلى بيت أحدهم ، ولم يزالوا يصبّون في حلقي الماء ، ثم المرق والثريد ، إلى أن فتحت عيني بعد العتمة ، فتكلّمت ، وبتّ ليلتي وأنا بحال عظيمة من الألم .

فلمّا كان من الغد دخلت الحمام ، وأقمت عندهم أيّاماً حتى قويت .

ثم أخرجت نفقة كانت معي ، فاستأجرت منها مركوباً ، ولحقت بصاحبي ، وسلّم الله عزّ وجلّ[9] .

---

٩ لم ترد هذه القصّة في م .

٤٢١

سقط طفل من القنطرة
فالتقطه العقاب ثم نجا سالماً

وحكى أبو محمديحيىبن فهد الأزدي [الموصلي [٥٥ ن] رحمه الله ، قال : حدّثني أبي ، قال : حدّثني][١] ديسم بن إبراهيم بن شاذلويه[٢] ، المتغلّب – كان – بأذربيجان ، لما ورد حضرة سيف الدولة يستنجده على المرزبان بن محمد بن مسافر[٣] السلار لمّا هزمه عنها ، قال :

رأيت بناحية أذربيجان نهراً يقال له : الرسّ[٤] ، شديد جرية الماء جدّاً ، وفي أرضه حجارة كثيرة ، بعضها ظاهر على الماء ، وبعضها يغطّيه الماء ، وليس للسفن فيه مسلك ، وله أجراف هائلة[٥] لا مشاريع فيها ، وعليه قنطرة يجتاز عليها السابلة .

---

١ الزيادة من ن .

٢ أبو سالم ديسم بن إبراهيم : من قوّاد ابن أبي الساج (تجارب الأمم ٤٠٤/١) ، استولى على أذربيجان في السنة ٣٢٦ وقضى أيّاماً صعبة ، حارب فيها حروباً عنيفة ثمّ التجأ إلى معزّ الدولة ببغداد مستنجداً فأكرمه وألطفه ، ولكنّه لم ينجده ، فانصرف عنه إلى ناصر الدولة بالموصل ، وأقام عنده مدّة ، فلم ينجده فصار إلى الأمير سيف الدولة فأعانه بسيف الدولة ، فوفّق أوّلاً ، وفشل أخيراً فانتقل إلى أرمينية ، حيث قبض عليه خصمه المرزبان بن محمّد ، فاعتقله ، وسمله ، ثمّ قتل عند وفاة المرزبان سنة ٣٤٦ (تجارب الأمم ٣٩٨/١–٤٠٤ ، ٣١/٢–٣٦ و ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٤٨ ، ١٥١ ، ١٥٦ ، ١٦١) .

٣ المرزبان بن محمّد بن مسافر : كان أبوه محمّد سيّئ السيرة ، فاتّفق مع أخيه وهسوذان ، وأمّهما ، واستوليا على قلعته وثروته ، ثمّ استولى على أذربيجان في السنة ٣٣٠ وطرد ديسم عنها ، ثمّ هاجم الريّ في السنة ٣٣٧ فأسره عماد الدولة بن بويه واعتقله في قلعة سميرم ، فاحتال حتّى هرب ، وعاد إلى أذربيجان ، وتوفّي بها (تجارب الأمم ٣١/٢ ، ٣٢ ، ١١٥ ، ١٤٨ ، ١٥١) .

٤ قال ياقوت في معجم البلدان ٧٧٩/٢) : الرسّ ، وادي أذربيجان ، ويصب في بحر جرجان ، وفيه أصناف كثيرة من السمك .

٥ الجرف : الجانب الذي أكله الماء من النهر ، أقول : إنّ البغداديين يسمّون كلّ شاطئ : جرفاً ، أمّا =

قال : وكنت مجتازاً عليها بعسكري ، فلمّا صرت في وسط القنطرة ، رأيت امرأة تمشي وقد حملت ولداً طفلاً في القماط ، فزحمها بغلٌ فطرحت نفسها على القنطرة ، وسقط الطفل من يدها إلى النهر ، فوصل إلى الماء بعد ساعة ، لبعد ما بين القنطرة وصفحة الماء ، ثم غاص ، وارتفعت الضجّة في العسكر ، ثم رأينا الصبيّ قد طفا على وجه الماء ، وسلم من تلك الحجارة .

وكان الموضع كثير العقبان[٦] ، ولها أوكار في أجراف ذلك النهر ، ومنه يصاد فراخها .

فحين ظهر الطفل في قماطه ، صادف ذلك عقاباً طائراً ، فرآه ، فظنّه طعمة[٧] ، فانقضّ عليه ، وشبك مخالبه في القماط ، وطار به ، وخرج إلى الصحراء .

فطمعت في تخليص الطفل ، فأمرت جماعة أن يركضوا وراء العقاب ، فركضوا ، وتتبّعت نفسي مشاهدة الحال ، فركضت .

وإذا العقاب قد نزل إلى الأرض ، وابتدأ يمزّق قماط الصبيّ ليفترسه ، فحين رأوه ، صاحوا بأجمعهم ، وقصدوه ، فأدهشوه عن استلاب الصبيّ ، فطار وتركه على الأرض .

فلحقنا الصبيّ ، وإذا [٢٢٧ ر] هو سالمٌ ، ما وصل إليه جرح ، وهو يبكي . فكببناه ، حتى خرج الماء من جوفه ، وحملناه إلى أمّه حيّاً ، سالماً[٨] .

الجانب الذي أكله الماء ، فيسمّونه : چالي ، تلفظ بالجيم الفارسيّة المثلّثة ، وأحسبها من چال ، فارسيّة ، أي المكان العميق .

٦ العقاب ، بضم العين : طائر من الكواسر ، لا تقع على الجيف ، إلاّ إذا عضّها الجوع ، قويّة المخالب ، مَسَرْوَلَةٌ في ساقها ، ولها منسر ، والعقاب مؤنّثة ، تقع على الأنثى والذكر ، جمعها : أعقب ، وعقبان ، وجمع عقبان عقابين (معجم الحيوان ٩٢) .

٧ في غ : فظنّه طعاماً ، والطعمة ، وجمعها طعم ، بضم الطاء وفتح العين : المأكلة .

٨ هذه القصّة لم ترد في م .

٤٢٢

قصّة ابن التمساح

وحكى أبو علي محمد بن الحسن بن المظفر الكاتب [٢٤١ غ] المعروف بالحاتمي ، قال :

رأيت بمصر رجلاً يعرف بابن التمساح ، فسألت جماعة من أهل مصر ، من العامّة ، عن ذلك .

فقالوا : هذا وطيء التمساح أمّه ، فولدته .

فكذّبت ذلك ، وبحثت عن الخبر ، فأخبرني جماعة من عقلاء مصر ، أنّ التمساح بها يأخذ النّاس من الماء فيفترسهم .

وربما أخذهم وهو شبعان ، فيحمل المأخوذ بيده على صدره ، حتى يجيء به إلى أجراف أسفل مصر بمسافة ، وهي جبال حجارة فيها مغارات إلى النيل ، لا يصل إليها الماشي ولا سالك الماء لبعدِها عن الجهتين .

فيتسلّق التمساح إلى بعض المغارات ، فيودع بها الإنسان الذي أخذه ، حيّاً أو ميتاً بحسب الاتّفاق ويمضي .

فإذا جاع ولم يظفر بشيء ، عاد إلى الموضع فيفترس الإنسان الذي خبأه هناك .

قال : فكان قد قبض على امرأة في بعض الأوقات ، فجعلها في المغارة ، فذكرتْ المرأة : أنّها حينما استقرّت في المغارة ، وانصرف التمساح ، رأت هناك رجلاً حيّاً ، وآثار جماعة قد افترسهم التمساح .

وأنّها سألت الرجلَ عن أمره ، فذكر أنّ التمساح تركه هناك منذ يومين .

قالت : وأخذ الرجل يؤانسني بالحديث ، إلى أن طالبني بنفسي .

فقلت : يا هذا اتّق الله .

فقال : التمساح قد مضى ، ومن ساعة إلى ساعة فرج ، ولعلّ أن تجتاز بنا

سفينة قبل عودته فنطرح أنفسنا إليها .

فوعظتُه ، فلم يلتفت إلى كلامي ، واغتصبني نفسي ، فواقعني .

وما نزل حتى جاء التمساح ، فأخذه من فوقي ، ومضى ، فبقيت كالميتة فزعاً .

فأنا كذلك ، إذ سمعت وقع حوافر الخيل ، وصوت أقدام كثيرين ، فأخرجت رأسي من الغار ، وصحت واستغثت ، فاطّلع أحدهم .

وقال : ما أنت ؟

فقلت : حديثي طريف[1] ، أرموا لي حبلاً أتخلّص به إليكم .

فرموا لي حبلاً ، فَشددت نفسي ، واستظهرت جهدي ، وأطراف الحبل في أيديهم .

فقلت : اجذبوني .

فجذبوني ، فصرت معهم على ظهر المغارة ، بعد أن توهّنت ، وتسلّخت يدي .

فسألوني عن خبري ، فأخبرتهم ، فأركبوني شيئاً ، وأدخلوني البلد ، فلمّا كان وقت عادة حيضي ، تأخّرت عنّي ، ثم ظهر الحمل ، فولدت ابني هذا بعد تسعة أشهر .

وكرهت أن أخبر كلّ أحد بهذا الحديث ، فنسبت ذلك إلى التمساح ، وأستتر أمري بذلك[2] .

---

١ طريف : غريب .

٢ هذه القصّة لم ترد في م .

٤٢٣

أبو القاسم العلويّ يواجه الأسد

وحدّثني أبو القاسم بن الأعلم العلويّ الكوفي ، الفيلسوف[1] ، قال :

خرجت من بغداد ، أريد الكوفة ، فلمّا صرت فيما بينها وبين حمام أعين[2] قرية قريبة من الكوفة أفضيت إلى أجمة هناك .

وكنت قد تقدّمت الرفقة ، وأنا راكبٌ حماراً ، وورائي بمسافة قريبة غلام لي مملوك راكب بغلاً ، فسرنا حتى أبعدنا عن الرفقة .

فلمّا دخلت الأجمة ، رأيت مسنّاة[3] دقيقة في وسط الأجمة ، وعليها المسلك ، يوصل إليها من هبوط .

فرمت النزول إليها ، فوقف الحمار تحتي ، فضربته ضرباً شديداً ، فلم أجده [٢٤٢ غ] يبرح .

فالتفتّ إلى كفله[4] ، لأتأمّل قوائمه ، فرأيت أسداً قائماً ، وبينه وبين قوائم الحمار نحو ذراع أو أقلّ ، وإذا الحمار قد شمّ رائحته فأصابته رعدة شديدة ، ورسخت قوائمه في الأرض ، ولم يتحرّك .

---

١ أبو القاسم بن الأعلم العلوي الكوفيّ الفيلسوف : ذكره صاحب تاريخ الحكماء ص ٢٢٦ وقال : كان عضد الدولة يقول إذا افتخر بمعلميه ، إنّ معلمه في حلّ الزيج ، الشريف ابن الأعلم .

٢ حمّام أعين : بالكوفة ، موضع منسوب إلى أعين مولى سعد بن أبي وقّاص (معجم البلدان ٣٢٩/٢) .

٣ المسنّاة ، وجمعها مسنّيات : ما يبنى في وجه السّيل ، أقول : التعبير عند البغداديّين اليومَ ، فيه بعض الاختلاف عمّا كان قبلاً ، فالمسنّاة عندهم ، البناء من الحجارة ، يغطّى به وجه شاطئ النهر ، ليصدّ عنه الماء ويمنع تأكّله ، ويسمّونه الآن : مسنّاية ، ويجمع على مسنّايات ، أمّا البناء من التراب الذي يقام لصدّ الماء عند ارتفاعه في وقت الفيضان فيسمّونه : السدّة (فصيحه السدّ) ، وكانت بغداد محاطة بسداد تحميها من مياه الفيضان في دجلة والفرات .

٤ الكفل من الدابّة : العجز .

فلم أشكّ في التّلف ، وأنّ الأسد سيمدّ يده ، فيجذبني من على الحمار ، فغمّضت عيني لئلا أرى كيف أحصل في مخالبه ، وأقبلت أتشهّد ، وأقرأ ، وأنا مع ذلك أجد عقلي ثابتاً ، ومُتَصوّراً لهيأةِ الأسد ، ولم يفدني التّغميض شيئاً .

ثم ذكرت في الحال حكاية كنت أسمعها ، أنّ الأسد لا يفترس الإنسان وهو مواجه له ، فاستدرت وفتحت عينيّ في عينيه ، وأقبلت أتشهّد خفيّاً ، والأسد فاتح فاه ، وأنا أتأمّل أسنانه ، وتصل إلى أنفي مِن فمه روائح منتنة .

فإنيّ [٢٢٨ ر] لكذلك إذ لحقني الصبيّ المملوك على البغلة ، ومعه رجل راكب دابة ، ووراءهما قوم مشاة .

فحين رأى المملوك تلك الحالة ، جزع جزعاً شديداً ، وصاح بأعلى صوته : يا معاشر المسلمين أدركونا ، فقد افترس الأسد مولاي العلويّ .

فحين سمع الأسد الصياح من ورائه [٥٦ ن] انزعج ، والتفت ، فرأى الصبيّ قريباً إليه ، فتناوله من أعلى السرج ، وعارَ البغلُ[٥] وحصل الصبيّ في فم الأسد ، كالفأرة في فم السنّور ، وأنا كالميت إلاّ أني أحصّل ما أرى من ذلك .

وأقبل الأسد يحمل على راكب الدابّة ، والمشاة ، والصبيّ في فمه ، فهربوا منه ، ودخل الأجمة .

فقلت في نفسي : قد فداني الله عزّ وجلّ بمملوكي ، وخلّص نفسي بيسير من مالي ، فما وقوفي ؟

فرميت بنفسي عن الحمار ، وفررت أعدو على المسنّاة ، فتلقّاني قوم قد جاءوا من الكوفة ، ورأوا حيرتي ، وفزعي ، فسألوني عن أمري ، فأخبرتهم .

فتقدّموا يطلبون الأسد ، وقويت نفسي ، فزدت في العدو ، إلى أن خرجت من الأجمة ، ولحقني الرفقة التي كنت فيها ، وقد عقلوا البغلة التي كانت تحت مملوكي ، وساقوا الحمار ، فركبته ، ودخلت الكوفة .

---

٥ عار البغل : ذهب على وجهه لا يثنيه شيء .

وكان هذا الخبر يوم الثلاثاء غرّة شهر المحرّم سنة ثمان وثلاثين وثلثمائة ، فصمت يومي ، واعتقدت أن أصوم كلّ ثلاثاء ، أبداً ، وأنا أصومه إلى الآن .

وجاءني أبو علي عمر بن يحيى العلويّ ، مهنّئاً بالسلامة ، وبقدومي ، وكان خبري شاع .

وقال لي في جملة كلامه : كيف خفت الأسد ؟ أو ما علمت أنّ لحومنا معاشِرَ بني فاطمة محرّمة على السّباع ؟

فقلت له : مثل سيّدنا – أطال الله بقاءه – لا يقول مثل هذا ، وما الذي كان يؤمنني أن يكون هذا الحديث باطلاً فأتلف ، وكيف كانت نفسي – مع طبع البشريّة – تطمئنّ في مثل ذلك الوقت ، إلى هذا الحديث ؟

قال : كيف يكون هذا الحديث باطلاً ، مع ما رويناه من خبر زينب الكذّابة مع علي بن موسى الرضا عليهما السلام ؟

قال : فقلت له : بلى ، قد رويت ذلك ، ولكن لم يخطر في فكري من هذا شيء في تلك الحال .

قال مؤلّف الكتاب : فقلت أنا لأبي القاسم بن الأعلم ، وما خبر زينب الكذّابة ؟ فإني لم أسمعه .

قال : هذا خبرٌ مشهور عند الشيعة ، بإسنادٍ [٢٤٣ غ] لهم لا أحفظه ، وذلك : أنّ امرأة يقال لها زينب ادّعت أنّها علويّة ، فجيء بها إلى عليّ بن موسى الرّضا عليهما السلام ، فدفع نسبها .

فخاطبته بكلام دفعت فيه نسبه ، ونسبته إلى مثل ما نسبها إليه من الادّعاء ، وكان ذلك بحضرة السلطان .

فقال الرّضا : أخرج أنا وهذه المرأة إلى بركةِ السّباع ، فإنّي رويت عن آبائي عن النبي صلّى الله عليه وسلّم : أنّ لحوم ولد فاطمة صلوات الله عليها محرّمة على السباع ، فمن أكلته السّباع فهو دعيّ .

فقالت المرأة : لا أرضى بهذا ، ودفعت الخبر ، فأجبرها السلطان على ذلك .

فقالت : فلينزل قبلي .

فنزل الرّضا بمحضر من خلق عظيم ، فلمّا رأته السّباع ، أقْعت على أذنابها ، فدنا منها ، ولم يزل يمسح رأس كلّ واحد منها ويمرّ بيده إلى ذنبه ، والسبع يبصبص له ، حتى أتى على آخرها ، ثم ولّى ، فصعد من البركة .

وكرهت المرأة النزول ، وأبته ، فأجبرَتْ على ذلك ، فحين نزلَتْ وثب عليها السباع فافترسوها ومزّقوها ، فعُرفت بزينب الكذّابة[٦] .

٦ لم ترد هذه القصّة في م .

٤٢٤

أعان الفَيَلَةَ على قتل ثعبان فكافأوه بما أغناه

وحدّث عبد الله بن محمد بن خرسان السيرافيّ[1] ، المقيم – كان – بالبصرة ، قال : حدّثني [أبي ، عن جدّي ، قال][2] ذكر جماعة من شيوخ البحرين الذين تردّدوا إلى بلاد الهند ، أنّهم سمعوا هناك حكاية مستفيضة ، أنّ رجلاً كان معاشُه صيّد الفيلة قال :

استخفيت مرّة في شجرة كبيرة عالية كثيرة الورق في غَيضة كانت تجتاز بها الفيلة ، من شرائع الماء التي تردها إلى مراتعها .

فاجتاز بي قطيع منها ، وكانت عادتي أن أدع القطعان تجوز حتى تبلغ آخر فيل منها ، فأرميه بسهم مسموم في بعض مقاتله ، فتجفل الفيلة ، فإذا مات الفيل المجروح ، نزلتُ فاقتلعت أنيابه وسلخت جلده ، وأخذت ذلك فبعته في البلاد .

فلمّا اجتاز بي هذا [٢٢٩ ر] القطيع ، رميت آخر فيل كان فيه ، فخرّ ، فاضطربت الفيلة ، وأسرعت عنه .

فإذا أعظمها قد عاد فوقف عليه ، وتأمّل السّهم والجرح ، ورجعت معه الفيلة ، ووقفت بوقوفه ، فما زال قائماً والفيل المجروح يضطرب إلى أن مات.

فضّج ذلك الفيل ضجيجاً عظيماً ، وضجّت الفيلة معه وانتشرت في الغيضة ، ففتّشتها شجرة شجرة ، فأيقنتُ بالهلاك .

وانتهى الفيل الأعظم إلى الشّجرة التي أنا فيها ، فلمّا رآني احتكّ بالشجرة ، ،

---

١ كذا نصّ على اسم الراوي في ن ، وفي بقيّة النسخ : عبد الله بن محمّد السيرافي ، نسبته إلى سيراف ، قال ياقوت في معجم البلدان ٢١١/٣ : إنّها مدينة على ساحل بحر فارس ، كانت قديماً فرضة الهند ، فلمّا عمرت جزيرة قيس ، وأصبحت فرضة الهند ، خربت سيراف ، وبينها وبين البصرة سبعة أيّام .

٢ الزيادة من ن .

فإذا هي قد انكسرت ، على عِظمها وضخامتها ، وسقطتُ أنا والشجرة إلى الأرض ، فلمْ أشكّ في أنّ الفيل يدوسني .

وإذا به قد جاء حتى وقف يتأمّلني ، وأحجمت الفيلة عنّي .

فلما رأى الفيل العظيم قوسي وسهامي ، لفّ خرطومه عليّ برفق ، وشالني من غير أذى ، حتى وضعني على ظهره ، ورجع يريد الطريق التي كان أقبل منها ، وهَرْوَلَ ، وهرولت الفيلة خلفه ، حتى بلغ الماء ، والفيلة معه .

فإذا قد خرج عليها ثعبان عظيم ينفخ ، فتأخّرت الفيلة ، وأشال الفيل الأعظم خرطومه ، فلفّه عليّ ، وأنزلني ، وتركني على الأرض ، وأخذ [٢٤٤ غ] يومىء بخرطومه إلى الثعبان برفق وتملّق .

فسَددت سهماً إلى الثعبان ، ورميته ، فأصبته ، وتابعت رميه ، فانصرف مثخناً .

فتقدّم إليه الفيل فداسه ، ثمّ عاد إليّ ، فأخذني بخرطومه ، وجعلني على ظهره وأقبل يهرول ، والفيلة خلفه .

فجاء بي إلى غيضة لم أكن أعرفها ، أعظم من التي أخذني منها ، وأبعد بعدّة فراسخ ، وفيها فيلة ميتة ، لا يحصيها إلاّ الله تعالى ، وأكثرها قد بلي جسدُه وبقيت عظامه[٣] .

---

٣ ناقش الصياد جاد الله طانيوس ، موضوع مقبرة الأفيال في كتابه : الصيد في غابات السودان ، فقال في الصحيفة ١٢٠ و ١٢١ من كتابه : من الفريد أنّ الفكرة القائلة بأنّ للأفيال مقبرة فيها موتاها ، وأنّ من يعثر عليها يسعد ويغنى ، تسلّطت على عقول الكثيرين من عشّاق الصيد ، خصوصاً الأوربيّين ، وقد قال لي كثير من الرياضيّين إنّها صحيحة ، والحقيقة أنّه كثيراً ما تموت جماعة من الأفيال في بقعة واحدة بسبب مرضٍ وبائي أو ضربة صاعقة ، وقد يصل عدد الضحايا من الأفيال إلى أثني عشر فيلاً أو أكثر ، فإذا جاء أحد الصيّادين ، ورأى مجموعة كهذه من الأفيال الميتة ، وجد ثروة عظيمة ، وظن أنّه عثر على الكنز المسمّى «مقبرة الأفيال» وكلّ صيّاد يعرف عن طبيعة الفيل أنّه عندما يحسّ بدنوّ أجله ، يحاول أن يستقرّ نهائياً في مكان فيه أشلاء الأفيال الميتة ، ولكن ليس من المستطاع أن يصل كلّ فيل مجروح أو مريض أو في حالة خطرة إلى النقطة التي يريدها ، أي المكان الذي فيه أشلاء من مات =

فما زال يتتبّع الأنياب ويجمعها ، ويومىء إلى فيل فيل ، حتى لم يدَع هناك ناباً إلاّ جمعه ، وأوقر تلك الفيلة ، ثم أركبني على ظهره ، وأخذ بي في طريق العمارة ، واتّبعته الفيلة .

فلمّا شارف القرى وقف ، وأومأ إلى الفيلة فطرحت أحمالها ، حتى لم يبقَ منها شيء ، ثم أنزلني بخرطومه برفق ، وتركني عند الأنياب ، وقد صارت تلاًّ عظيماً هائلاً .

فجلست عندها متعجّباً من سلامتي ، ورجع الفيل يريد الصحراء ، ورجعت الفيلة برجوعه ، وأنا لا أصدّق بسلامتي ، ولا بما شاهدت من عِظم فطنة الفيل .

فلمّا غابت الفيلة عنّي ، مشيتُ ، إلى أقرب القرى إليّ ، واستأجرْت خلقاً كثيراً ، حتى خرجوا معي ، وحملوا تلك الأنياب ، في أيّام ، إلى القرية .

وما زلت أبيعها في تلك المدن ، حتى حصل لي مال عظيم ، كان سبب يساري [٥٧ ن] وغناي عن صيد الفيلة[٤] .

قبله ، وقد يموت في أيّة بقعة ، فيكوّن هو بذلك مقبرة ثانية للأفيال التي يداهمها الموت ، وبهذه الطريقة تتعدّد مقابر الأفيال .

٤ لم ترد هذه القصّة في م .

٤٢٥

حلف بالطلاق أن لا يبيت بمناذر

فكان ذلك سبباً لإنقاذ شخص من براثن الأسد

وحكى سعد بن محمد [بن عليّ][١] الأزديّ ، الشاعر[٢] ، [المعروف بالوحيد][١] قال : حدّثني [مروان بن شعيب العدويّ ، من عديّ ربيعة][٣] ، قال : [وهو بنهر تلّ هوارا ، وكان من أهلها ، قال][١] :

كنت في حداثتي شديد القوّة والأيد[٤] – وكانت بنيته لما حدّثني ، تدلّ على ذلك منه – وكنت عند زوجة لي من عبد القيس في مناذر[٥] ، وهي قريبة من تلّ هوارا[٦] ، على أربعة فراسخ ، وعندي قوم من أهل هواره ، ونحن نشرب .

فتفاخرنا إلى أنَ انتهينا إلى تجريد السيوف ، فحجز بيننا مشايخ القرية ، وبدر لساني ، فحلفت بالطلاق أن لا أبيت بمناذر .

---

١ الزيادة من ن ص ٥٨ من المخطوط .

٢ أبو طالب سعد بن محمّد بن علي بن الحسن بن سعيد بن مطر بن مالك بن الحارث بن سنان الأزدي ، المعروف بالوحيد : شاعر ، نحوي ، لغوي ، أديب ، ذكره صاحب اليتيمة ٣/١٣٥ وأورد له مدحاً في الوزير أبي نصر سابور بن أزدشير ، ووصفه ياقوت في معجم الأدباء ٤/٢٣٣ بالبغدادي ، ووصفه التنوخي ، بالبصري ، وأحسب أنّه بغدادي أقام بالبصرة ، وتوفي سنة ٣٨٥ .

٣ كذا ورد في ن و هـ ، وفي غ و ر : حدّثني رجل من أهل البصرة .

٤ الأيد : الشدّة والقوّة .

٥ في الأصل : منارة ، ولم أجد ذكراً لموضع ينفرد باسم منارة ، في جنوبي العراق ، وأحسب أنّ ما أثبتّه هو الصحيح ، ومناذر : اسم لثلاثة مواضع ، مناذر من قرى البطيحة ، ومناذر الصغرى ، ومناذر الكبرى ، بلدتان من نواحي الأهواز (المفترق صقعاً لياقوت ٤٠٤) .

٦ كذا ورد في غ و ن ، وتلّ هوارا : وقد ذكرها صاحب معجم البلدان ١/٨٧٢ وصاحب مراصد الاطلاع ١/٢٧٣ باسم تلّ هواره ، قرية من قرى العراق .

فخرجت منها أريد منزلي بتلّ هوارا ، ومعي سيفي وجحفتي[7] ، وكان ذلك في الليل .

فسرت في الطريق وحدي ، وبلغت أجمة[8] لا بدّ من سلوكها ، فلمّا سرت فيها قليلاً ، سمعت صياحاً شديداً من ورائي ، فجرّدت سيفي ، ورجعت[9] أطلب الصوت .

فوجدت الأسد قد افترس رجلاً ، وهو الذي صاح ، ورأيته في فم الأسد عرضاً بثيابه .

فصحت بالأسد ، فرمى بالرَّجل ، ورجع إليّ ، فقاتلته ساعة ، ثم وثب عليّ وثبة شديدة ، فلطئت[10] بالأرض ، وجمعت نفسي في جحفتي ، فلشدّة وثبته [٢٣٠ ر] جاوزني ، فصار ورائي ، فأسرعت الوثوب نحوه ، وبعجته بالسَّيف في فمه ، وكان سيفاً ماضياً ، فدخل في فمه وخرج من لبّته[11] ، فخرّ صريعاً يضطرب ، فتداركته بضربات كثيرة حتى تلف .

وعدت إلى الرجل ، فوجدته يتنفّس ولا يعقل ، فحملته إلى الجادّة ، وكانت ليلة مقمرة .

وتأمّلت الرجل ، فإذا هو تاجر من تلّ هوارا[12] ، أعرفه ، فلم تطب نفسي بتركه أصلاً ، فجعلته عند الجادّة ، وعدتُ فأخذت رأس السبع ، وحملته والرّجل ،

---

٧ الجحفة : الدرقة ، والترس ، راجع حاشية القصّة ٣٦٢ .

٨ الأجمة : الشجر الكثير الملتفّ ، وموطن الأسد يسمّى الأجمة ، لأنّ الأسود تألف مواضع الشجر الملتفّ ، راجع حاشية القصّة ٤١١ .

٩ كذا في غ ، وفي ر : ورددت أطلب الصوت .

١٠ لطأ بالأرض : لصق بها ، ومنه سمّيت القلنسوة الليّنة التي تنثني حافتها على الرأس : لاطئة ، لأنّها تلصق بجلد الراس ، والبغداديّون يلفظونها لاطية ، بالياء ، جرياً منهم على إبدال الهمزة إذا كانت في وسط الكلمة بالواو أو الياء تبعاً لأصلها ، راجع حاشية القصّة ٢٢١ وحاشية القصّة ١٦٧ .

١١ اللبّة : موضع القلادة من الصدر .

١٢ في ر : تل الأهواز ، وفي ن : من أهل أهوارا .

وحصّلتهما في صبيغة كانت عليّ .

والصّبيغة إزار أحمر يتّشح به [٢٤٥ غ] عرب تلك الناحية .

وكان الأسد في خلال قتالي إيّاه قد ضرب فخذي بكفّه ، فأحسست به في الحال كغرزة الإبرة ، لما كنت فيه من الهول .

فلمّا حصلت أمشي حاملاً رأس الأسد والرّجل ، أحسست بالألم ، ورأيت الدم يجري ، وقوّتي تضعف ، فصبّرت نفسي حتى بلغت تل هوارا[١٢] وقد أصبحت .

فأنكر أهل القرية حالي ، وحال الجرح ، فسألوني عن خبري ، فالقيت الصّبيغة التي فيها الرّجل والرأس ، فاستهولوا الحال لمّا حدثتهم بها .

وفتشوا الرّجل ، فوجدوا في بدنه خدوشاً يسيرة ، فأخذوه ، ورمت أن أمشي إلى بيتي ، فلم أقدر ، حتى حُملت ، ومكثت في بيتي زماناً ، وكنت أعالج نفسي من تلك الجراح مدّة .

وعولج الرّجل فبرأ قبلي بأيّام ، وهو حيّ إلى الآن ، يسمّيني مولاي ، ومعتقي ، وجراحي – أنا – لصعوبتها تنتقض عليّ في أغلب الأوقات .

قال سعد بن محمد : وأراني الجرح ، فكان عظيم الفتح ، قال : فلم أعلم سبباً لسكرنا وعربدتنا ، إلاّ أنّه سبب النجاة لذلك الرّجل[١٣] .

---

١٣ لم ترد هذه القصّة في م .

٤٢٦

حيلة ابن عرس في قتل الأفعى

وحكى سعد بن محمد الأزديّ ، قال : حدّثني رجل [يعرف بعبد العزيز بن الحسن الأزديّ][1] من تجار القصباء بالبصرة ، قال :

كنت يوماً في القصباء[2] ، وقد أخرج من النهر قصب رطب ، فعمل كالقباب ، على العادة فيما يراد تجفيفه من القصب ، وكان يوماً صائفاً .

وكدّني الحرّ ، فدخلتُ إحدى تلك القباب القصب ، وهي تكون باردة جدّاً ، وعادة التجّار أن يستكنّوا بها ، فنمت في القبّة ، فلبردها استثقلتُ في النوم .

فانتبهتُ بعد العصر ، وقد انصرف الناس من القصباء ، وهي في موضع بالبصرة ، في أعلاها ، معروف ، به صحراء وبساتين .

فاستوحشتُ للوحدة ، وعملت على القيام ، فإذا بأفعى في غلظ السّاق أو الساعد ، طويل ، متدوّر على باب القبّة كالطبق .

فلم أجد سبيلاً إلى الخروج ، ويئست من نفسي ، وتحيّرت ، وجزعت جزعاً شديداً ، وأخذت في التشهّد ، والتسبيح ، والفزع إلى الله تعالى .

فإنّي لكذلك ، إذ جاء ابن عرس من بعيد ، فلمّا رأى الأفعى ، وقف يتأمّله ثم رجع من حيث جاء ، وغاب قليلاً ، ثم جاء ومعه ابن عرس آخر ، فوقفا جميعاً ، الواحد عن يمين القبّة ، والآخر عن يسارها ، وصار الواحد عند رأس الأفعى ، والآخر عند ذنبها ، والأفعى غافل عنهما ، ثم وثبا في حال واحدة ، وإذا رأسه وذنبه في فم كلّ واحد منهما .

فاضطرب ، فلم يفلت منهما ، وجرّاه حتى بعدا عن عيني ، فخرجت من القبّة سالماً[3] .

---

١ الزيادة من ن .

٢ القصباء : منبت القصب .

٣ لا توجد هذه القصّة في م .

٤٢٧

ألقى نفسه على نبات البرديّ فوقع على أسد

وحدّث سعد بن محمد ، الوحيد [أيضاً ، قال : حدّثنا الحسن بن عليّ الأنصاريّ المقرىء بالرملة][١] ، وكان فارساً [فاتكاً][١] شجاعاً جلداً ، قال :

خرجت في قافلة من الرملة ، صاحبها ابن الحدّاد ، وأنا على مهرٍ لي ، وعليّ سلاحي .

فبلغنا في ليلة مظلمة إلى وادي غارا[٢] ، وهو وادٍ عميق جدًّا ، عمقه نحو فرسخ ، في بطنه ماء يجري ، وعليه شجر كثير ، وهو مشهور بالسّباع ، والطريق على جنبة من جنباته في مضيق .

فازدحَمتِ القافلة ، فسقط جمل عليه حمل بزّ ، فرأيت صاحبه يلطم ويبكي ، وكان موسراً .

فدعاه ابن الحداد ، وقال له : أنت رجل موسر ، فما هذا الجزع ؟

فقال له : في الحمل البزّ الذي سقط ، عشرة الآف دينار [٢٤٦ غ] عيناً .

فحطّ ابن الحدّاد القافلة ، ونادى : من ينزل الوادي ، ويتخلّص لنا الحمل أو المال الذي فيه ، وله ألف دينار ، فلم يجسر أحد على [٢٣١ ر] ذلك .

فلما كرّر النداء جئته ، وقلت : تعجّل ليّ الدنانير .

فقال : لا ، ولكن أكتب لك بها الساعة كتاباً ، وأشهد من في القافلة ،

---

١ الزيادة من ن .

٢ كذا وردت في غ : غارا (بالغين) ، ووردت في الأغاني ٢٦٠/٢٠ : قارا (بالقاف) ، وفي كتاب نخبة الدهر ، في عجائب البر والبحر : قارى (بالمقصورة) ، وفي تقويم البلدان لأبي الفداء ٢٢٩ ومعجم البلدان ١٢/٤ و ١٣ ومراصد الاطلاع ١٠٥٦/٣ وردت بلفظة : قارة (بالتاء القصيرة) ، وهي قرية كبيرة ، في منتصف الطريق بين دمشق وحمص ، وهي منزلة للقوافل ، وهي على راس قارة وبها عيون جـاريــة .

فإذا صار الجمل وحمله مع ما فيه من المال عندي ، فالمال لك .

فكتبنا كتاباً بذلك ، وأشهدنا عليه ، وأعطيتهم دابّتي ورحلي ، ثم أخذت سيفاً ، وجحفةً ، وشمعةً مشتعلة ، ورمت النزول إلى الوادي .

فرأيت منزلاً غرّني ، فاستعجلت سلوكه ، فنزلت ساعة ، حتى صرت على جانب من الوادي مشجَّر ، فإذا فيه أثر الرعاة والغنم ، ثم لم أجد طريقاً إلى أسفل ، وكان سبيلي أن أرجع ، وأرتاد النزول من جهة أخرى .

فحملني ضيق الوقت ، والحرص على الدنانير ، أن جعلت أتوغّل ، وأنتقل من شجرة إلى شجرة ، ومن حجر إلى حجر ، حتى حصلت في جنب الوادي على صخرة ملساء بارزة كالرفّ ، ليس لها إلى أسفل طريقٌ البتّة .

فاطّلعت بالشمعة ، فإذا بيني وبين القرار عشرون ذراعاً ، وفي أسفل الوادي برديّ[3] كثيف يجري بينه الماء ، وله خرير شديد .

فأجمعت على أن ألقي نفسي ، فأطفأت الشمعة ، وشددتها بحمائل السيف مع الجحفة ، وألقيت ذلك في موضع علّمته عن يميني ، ثم جمعت نفسي فوثبت [٥٨ ن] في وسط البرديّ .

فوقعت على شيء ثار من تحتي ونفضني ، وصاح صيحة عظيمة ملأ بها الوادي ، واذا هو أسد ، فشقّ البرديّ وسعى هارباً ، فوقف بإزائي من جانب الوادي الآخر .

فطلبت سيفي وجحفتي حتى أخذتهما ، ووقفت أنتظر أن يمضي الأسد فأطلب الجمل ، فأقبل يريدني .

فمشيت بين يديه في البرديّ ، وهو في أثري يخوض الماء ، ويشقّ البرديّ ، وأنا أخاتله من موضع إلى موضع .

---

٣ البردي : نبات مائي كالقصب ، كان القدماء يكتبون على قشره ، وقد أبقى لنا التاريخ عدداً من هذه الأوراق ، بعد آلاف السنين ، ممّا يدل على متانتها ، وفي العراق يستخرج من البردي مادة صفراء ، فيها حلاوة ، يسمّونها : الخرّيط ، يأكلها الأطفال .

وطلع القمر ، فأبصرتُ بناءً خفيًّا ، فقصدته ، فإذا هو بيت رحى يديرها الماء ، فدخلت فيه .

ثم فكّرت ، فقلت : هنا مألف الأسد ، والساعة يجيئني ، فجئت إلى شجرة كبيرة ، فقطعتها بالسيف من نصف ساقها ، وجررتها من ورائي ، وجذبتُ ساقها ، ودخلت إلى بيت الرّحى فامتلأ الباب بها ، وفضلت عنه بشيء كثير ، وجلستُ ، وساق الشجرة في يديّ .

فما كان إلاّ مقدار جلوسي ، حتى أحسست بالأسد يزحم الشَجرة يريد الدخول إليّ .

قال : فاستندت إلى الحائط ، وأمسكت ساق الشجرة أدافعه بها ، حتى ملّني ومللته ، ثم ربض بأزاء الباب إلى أن أسفر الصبح ، فلمّا كادت أن تطلع الشمس مضى .

فأقمت إلى أن انبسطت الشمس ، حتى أمنته ، ثم خرجتُ ، فما زلت أطلب أثر الجمل حتى انتهيت إليه ، فإذا هو قد تقطّع من أثر السقطة ، والعدلان مطروحان ، وكانوا أمروني بفتقهما ، واستخراج المال ، وحمله ، إن لم أقدر على تخليص الجمل وحمل العدلين ، ففعلت ذلك .

وحملت المال على ظهري ، وطلبت المصعد ، وقد علا الضحى ، فصعدت فيه .

فلمّا حصلتُ برأس الوادي ، إذا ببادية مجتازين ، فقصدوني ، فمانعتهم بالسيف عن نفسي ، فلم [٢٤٧ غ] أطقهم ، وضربوني بالسيوف .

فقلت لشيخ رأيته كالرئيس لهم : لي الذمام[٤] على ما معي حتى أصدقك ، وأنفعك نفعاً كثيراً .

فقال : أصدقني ، ولك الذمام .

---

٤ الذمام : الحرمة .

فحدّثته بالحديث ، فأخذوا المال ، وساروا بي معهم ، حتى وقفوا على العدلين ، فاحتملوهما .

وضرب الشيخ بيده في المال ، فحثا منه ثلاث حثيات[5] فقلت : هذا لا ينفعني إن لم تبلغني مأمني .

فأناخ جملاً فحملني عليه ، وسار بي سيراً حثيثاً ، حتى أراني القافلة على بعدٍ ، ثم أنزلني ، وقال : إلحقْ برفقتك ، فما عليك من أحد بأس .

فمشيت حتى لحقت القافلة ، وقد خبأت تلك الدنانير في سراويلي ، فعرّفتهم أنّ المال أخذته البادية ، وكتمت ما أعطوني ، وأريتهم آثار الضّرب ، فصدّقوني ، ولم يفتّشوني .

فركبت دابّتي وسرت معهم ، فدخلنا طبريّة[6] ، فشكوا إلى أميرها أبي عثمان بن عقيل ، فأسرى إلى الأعراب ، فارتجع منهم أكثر المال ، وردّه إلى صاحبه .

وكنت أنا ، لما دخلنا طبريّة ، فارقتهم ، ودخلت إلى دمشق ، ثم لحقوني بها .

وبلغني ما ردّ عليهم ، فقلت لصاحب المال : قد بذلتُ مُهجتي ، وأفلتُّ من الأسد ، والموت ، مراراً ، ومن الأعراب ، حتى وصل إليك بعض مالك ، فلا أقلّ من أن توصل إليّ بعض ما وعدتني ، فأعطاني مائتي دينار .

فأضفتها إلى ما أعطانيه الأعراب ، فإذا الجميع ستمائة دينار ، مع السلامة من تلك الشدائد والأهوال[7] .

---

٥ الحثوة ، والحثية ، جمعها حثوات ، وحثيات : الغَرفة ملأ الكف .

٦ طبريّة : بليدة مطلّة على بحيرة طبريّة من أعمال الأردن ، فتحها المسلمون سنة ١٣ (معجم البلدان ٣/٥٠٩)

٧ هذه القصّة لم ترد في م .

٤٢٨

كيف نجا من الأسد والثعبان

وحكي أنّ رجلاً وفدَ على هشام بن عبد الملك ، فقال : يا أمير المؤمنين ، لقد رأيتُ في طريقي عجباً .

قال : وما هو ؟

قال : بينما أنا أسير [٢٣٢ ر] بين جبلي طيّ[١] ، إذ نظرتُ فإذا عن يميني أسد كالبغل ، وعن يساري ثعبان كالجراب ، وهما مقبلان عليّ . قاصدان نحوي .

فرفعت رأسي إلى السماء ، وقلت :

يا دافع المكروه قد تراها   فنجّني يا ربِّ من أذاها
ومن أذى من كادني سواها   لا تجعلن شلوي من قراها

قال : فقربا منّي ، حتى وصلا إليّ ، فتشمّماني ، حتى لم أشكّ في الموت ، ثم صدرا عنّي ، ونجوت[٢] .

---

١ جبلا طيّ : هما أجأ ، وسلمى ، ومنازل طيّ فيهما ، راجع معجم البلدان ١/١٢٢ و٢/٢٠ و٣/١٢٠ .

٢ هذه القصّة لم ترد في م .

٤٢٩

قضى ليلة مع الأسد في حجرة مغلقة الباب

بلغني عن قاضي القضاة المعروف بأبي السائب ، ولم أسمع ذلك منه ، قال :

وافيتُ من همذان أريد العراق ، وأنا فقير ، وزرت قبر الحسين رضي الله عنه .

فلمّا انصرفتُ أريد قصر ابن هبيرة ، قيل لي إنّ الأرض مسبعة ، وأشير عليّ أن ألحق بقرية فيها حصن سمّيت لي ، فآوى إليها قبل المساء .

وكنت ماشياً ، فأسرعت في المشي ، إلى أن وافيت القرية ، فوجدت باب الحصن مغلقاً .

فدققت الباب ، فلم يُفتح لي ، وتوسّلت للقائمين بحراسته ، بمن انصرفت من زيارته .

فقالوا : قد أتانا منذ أيّام من ذكر مثل ما ذكرتَ ، فأدخلناه ، وآويناه ، فدلّ علينا اللصوص ، وفتح لهم باب الحصن ليلاً ، وأدخلهم ، فسلبونا ، ولكن الحقْ بذلك المسجد ، وكنْ فيه ، لئلاّ تمسي فيأتيك السَّبُعُ .

فصرت إلى المسجد ، فدخلت بيتاً كان فيه ، وجلستُ .

فلم يكن بأسرع من أن جاء رجلٌ على حمار ، منصرفاً [٢٤٨ غ] من الحائر ، فدخل المسجد ، وشدّ حماره في غَلَقِ الباب ، ودخل إليّ .

وكان معه كرّاز[١] فيه ماء ، وخُرْجٌ ، فأخرج منه سراجاً فأصلحه ، ثم أخرج قدّاحة ، فقدح ، وأوقد ، وأخرج خبزه ، وأخرجت خبزي ، واجتمعنا على الأكل .

فما شعرنا إلاّ والسَّبُعُ قد حصل في المسجد فلمّا رآه الحمار ، دخل إلى البيت الذي كنّا فيه ، فدخل السّبع وراءه ، فخرج الحمار وجذب باب البيت بالرسن ،

---

١ الكرّاز : كوز ضيّق الرأس .

فأغلقه علينا وعلى السّبع ، وصرنا محبوسين فيه ، [فحصلنا في أخبث محصّل][2] .

وقدّرنا أنّ السَّبع ليس يعرض لنا ، بسبب السراج ، وأنّه إذا طفىء ، أكلنا ، أو أخذنا .

وما طال الأمر أن فني ما كان في السراج من الدهن ، وطفىء ، وحصلنا في الظلمة ، والسَّبع معنا ، فما كان عندنا من حاله شيء إلاّ إذا تنفس ، فإنّا [٥٩ ن] كنا نسمع نَفَسَهُ .

وراث الحمار من فزعه ، فملأ المسجد روثاً ، ومضى الليل ونحن على حالنا ، وقد كدنا نتلفُ فزعاً .

ثم سمعنا صوت الأذان من داخل الحصن ، وبدا ضوء الصبح ، فرأيناه من شقوق الباب .

وجاء المؤذن من الحصن ، فدخل المسجد ، فلمّا رأى روث الحمار ، لعن وشتم ، وحلّ رسن الحمار من الغلق ، فمرّ يطير – من الفزع – في الصحراء ، لعلمه بما قد أفلت منه .

وفتح المؤذّن باب البيت ينظر من فيه ، فوثب السَّبع إليه ، فدقّه ، وحمله إلى الأجمة ، وقمنا نحن ، وانصرفنا سالمين[3] .

٢ الزيادة من غ .

٣ هذه القصّة لم ترد في م .

٤٣٠
أخذه الأسد في المكان
الذي أخذ فيه أباه

بلغني عن أبي عليّ محمد بن عليّ بن مقلة الكاتب ، قال :

كنت عند أبي عليّ العلويّ بالكوفة ، إذ دخل عليه غلام له ، فقال : يا مولاي ، أخذ الأسد فلاناً وكيلك .

فانزعج ، وقال : أين أخذه ؟

فقال : في موضع كذا وكذا ، وأدخله الأجمة الفلانيّة .

فقال أبو عليّ : لا إله إلاّ الله ، في هذا اليوم بعينه ، أخذ الأسد أباه ، وأدخله هذه الأجمة بعينها ، منذ كذا وكذا سنة ، واغتمّ ، فسلّيناه ، فعاد إلى شأنه في المحادثة .

فأنا قاعد عنده أحدّثه ، إذ دخل عليه غلمانه مبادرين ، فقالوا : قد وافى فلان – يعنون ذلك الوكيل – فأذن له ، فدخل .

فرحّب به أبو عليّ ، وسأله عن خبره ، فقال :

نعم ، أخذني الأسد ، كما شاهدوني ، وكنت راكباً ، فحملني بفيه ، كما تَحمل السنّور بعض أولادها ، إلاّ أنّه ما كَلَمني[1] ، وأدخلني الأجمة ، وقد زال عقلي .

ولم أعلم من أمري شيئاً ، إلاّ أنّني أفقت فلم أره ، ووجدت أعضائي سالمة ، ووجدت حولي من الجماجم والعظام أمراً عظيماً ، فلم يزل عقلي وقوّتي يثوبان إليّ إلى أن قمت ، ومشيت .

---

١ الكَلْم : بفتح الكاف وسكون اللام : الجرح .

فعثرت بشيء تأمّلته ، فإذا هو هميان ، فأخذته ، وشددت به وسطي [٣٣٣ ر] ، ومشيت إلى أن بعدت عن الموضع ، فوصلت إلى شبيه بوهدة ، فجلست فيها ، وغطّيت نفسي بما أمكنني من القصب بقيّة ليلتي .

فلما طلعت الشمس أحسست بكلام المجتازين ، وحوافر بغالهم ، فخرجت وعرّفتهم قصّتي ، وركبت بغل أحدهم .

فلمّا بعدت عن الأجمة ، وأمنت على نفسي ، فتحت الهميان ، فإذا فيه رقعة بخطّ أبي ، بأصل ما كان في الهميان من الدنانير ، وبما أنفقه ، فإذا هو هميان أبي الذي كان في وسطه لما افترسه السبع .

فحسبت المصروف ، ووزنت [٢٤٩ غ] الباقي ، فإذا هي بأزاء ما بقي من الأصل ، ما نقصت شيئاً .

قال : وأخرج الهميان ، وفتحه ، وأخرج الرقعة ، فقال أبو عليّ : نعم ، هذا خطّ أبيك .

وعجبتْ الجماعة من ذلك[٢] .

٢ لم ترد هذه القصّة في م .

٤٣١
نجا من الأسد وافترس مملوكه

وبلغني عن رجل من أهل الأنبار ، قال :

خرجت إلى ضيعة لي في ظاهر الأنبار[١] ، راكباً دابّة لي ، ومعي مملوكٌ لي أسود في نهاية الشجاعة .

فلمّا صرنا في بعض الطريق ، بالقرب من الموضع الذي أنا طالبه ، إذ نشأت سحابة ، فأمطرت ، وكان المساء قد أدركنا ، فملنا إلى قباب كانت في الطريق للسابلة ، فلجأنا إليها ، فقوي المطر حتى منعنا من الحركة ، فأشار الغلام عليّ بالمبيت .

فقلت له : نخاف اللصوص ويلك .

فقال لي : تخاف وأنا معك ؟

قلت : فالسَّبع ؟

قال : نصيّر الدابّة داخل القبّة ، وأنت تليها ، وأنا عند الباب ، وأشدّ وسطي بالحبل الذي معنا ، وأشدّ طرَفه برجلك ، حتى لا يأخذني النوم ، فإن جاء الأسد ، أخذني دونك .

وما زال يحسّن لي ذلك الرأي حتى أطعته ، وملنا إلى إحدى القباب ، ودخلناها ، وفعل ما قال .

فوالله ما مضت قطعة من الليل ، حتى جاء الأسد ، فأخذ الأسود فدقّه ، واحتمله ، وجر رجْلي المشدودة معه في الحبل .

---

١ الأنبار : مدينة على الفرات ، غربي بغداد ، بينهما عشرة فراسخ ، عمرها الفرس ، وجدّدها السفّاح ، وأقام بها إلى أن مات ، سمّيت الأنبار لأنّه كان يجمع فيها أنابير الحنطة والشعير والقتّ والتبن ، فتحها خالد بن الوليد في السنة ١٢ في عهد الصدّيق أبي بكر (معجم البلدان ١/٣٦٧) أقول : حلّت محلّها الآن البلدة المسمّاة الفلّوجة .

فلم يزل يجرّني على الشوك والحجارة ، إلى أن صار بي إلى أجمته ، وأنا لا أعقل شيئاً من أمري ، ولا أحسّ بأكثر ما يجري ، ولا تمييز لي يؤدّي بي إلى الاجتهاد في حلّ الحبل من رجلي .

ثم رمى بالأسود ، وربض عليه ، وما زال يأكل منه ، حتى شبع ، وترك ما فضل منه ، وليس فيّ من حسّ الحياة غير النظر فقط ، ثم مضى ، فنام بالقرب من مكاننا .

وبقيت زماناً على تلك الحال ، ثم سكن روعي ، ورجعتْ إليّ نفسي ، لطول مكث الأسد في نومه ، فحللت رجلي من الحبل ، وقمت أدبّ ، فعثرت بشيء لا أدري ما هو ، فأخذته ، فإذا هميان ثقيل ، فشددته على وسطي ، وخرجت من الأجمة ، وقد قارب الصبح أن يسفر .

وصرت إلى القبّة التي فيها دابّتي ، فإذا هي واقفة بحالها ، فأخرجتها ، وركبتها ، وانصرفت إلى منزلي ، وفتحت الهميان ، فوجدت فيه جملة دنانير .

فحمدت الله تعالى على السلامة وبقي الرعب في قلبي ، والتألّم في بدني ، مدّة[٢] .

٢ لم ترد هذه القصّة في م .

البَابُ العَاشِر[1]

فيمن اشتدّ بلاؤه بمرض ناله فعافاه الله سبحانه بأيسر سبب وأقاله

٤٣٢
دعاء يشفي من الوجع

[حدّثني علي بن عمر بن أحمد الحافظ ، من حفظه ، قال : حدّثنا أبو بكر النيسابوري[١] ، قال : حدّثنا أبو بشر بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا عبد الله بن وهب[٢] أنّ مالكاً ، أخبره عن يزيد بن خصيفة[٣] ، عن عمرو بن عبد الله بن كعب السلمي[٤] عن نافع بن جبير بن مطعم[٥] ،][٦] عن عثمان بن أبي العاص الثقفي[٧] ، قال :

شكوت إلى رسول الله ﷺ ، وجعاً بي ، قد كاد يبطلني ، فقال لي : يا

---

١ أبو بكر عبد الله بن محمّد بن زياد النيسابوري الفقيه الشافعي (٢٣٨-٣٢٤) : ترجم له صاحب اللباب ٢٥٢/٣ .

٢ أبو محمّد عبد الله بن وهب بن مسلم البصري : ترجم له صاحب الخلاصة ، ص ١٨٥ وقال : إنّه توفّي سنة ١٩٩ عن ٧٤ سنة ، وسماه صاحب ميزان الاعتدال ٥٢١/٢ : المصري .

٣ يزيد بن خصيفة : ذكره صاحب الخلاصة ٣٧٠ .

٤ عمرو بن عبد الله بن كعب بن مالك الأنصاري السلمي : ترجم له صاحب الخلاصة ٢٤٧ .

٥ نافع بن جبير بن مطعم المدني : ترجم له صاحب الخلاصة ٣٤٣ .

٦ الزيادة من غ .

٧ أبو عبد الله عثمان بن أبي العاص الثقفي ، نزيل البصرة : ترجم له صاحب الخلاصة ٢٢٠ ، وقال إنّه توفّي سنة ٥١ .

عثمان ، ضع يدك عليه ، وقل : بسم الله ، أعوذ بعزّة الله وقدرته ، من شرّ هذا الوجع ، ومن شرّ ما أجدُ وأحاذر ، سبع مرّات .

قال : فقلتُها ، فشفاني الله[8] . [٢٥٠ غ]

٨ لم ترد هذه القصّة في م .

٤٣٣
وجأ نفسه بسكّين فعوفي من مرضه

[حدّثنا أحمد بن عبد الله بن أحمد الورّاق[١] ، قال : حدّثنا أحمد بن سليمان الطّوسيّ ، قال : حدّثنا الزّبير بن بكّار ، قال : حدّثني محمّد بن الضحّاك ، عن أبيه ، ومحمّد بن سلّام][٢] عن أبي جعدة ، قال :

برص[٣] أبو عزّة الجمحيّ الشاعر[٤] ، فكانت قريش لا تؤاكله ، ولا تجالسه ، فقال : الموت خيرٌ من هذه الحياة .

فأخذ حديدة ، ودخل بعض شعاب مكّة ، فطعن بها في مَعَدِّهِ . والمَعَدُّ : موضع عقبَي الرّاكب من الدابّة .

---

١ كذا ورد في جميع النسخ ، ولعلّه أحمد بن عبد الله بن خلف الورّاق : ترجمته في حاشية القصّة ٢٦ من هذا الكتاب .

٢ الزيادة من غ .

٣ البرص : مرض يصيبُ الجلد ، فيحدث فيه بقعاً بيضاء ، وقد يسمّى : الوَضَح ، والبرش ، للبياض الذي فيه ، ولذلك لقّب جذيمة ثالث ملوك الدولة التنوخيّة في العراق ، بالأبرش ، والوضّاح ، لبرصه (الأعلام ١٠٥/٢) ، وكان العرب يجتنبون مؤاكلة الأبرص ومعاشرته ، وقد رفض النعمان بن المنذر منادمة الربيع بن زياد ومؤاكلته ، لمجرّد اتّهامه بالبرص (خزانة الأدب للبغدادي ١٧١/٤–١٧٦) وجعل العرب للبرص ترتيباً ، حسب استفحاله ، فإن كان لمعاً في الجسد ، فهو مولّع ، فإن زادت ، فهو ملمّع ، فإن زادت ، فهو أبقع ، فإن زادت فهو أقشر (فقه اللغة ١٤٢) ، وقد أورد ابن قتيبة في كتابه المعارف (ص ٥٨٠–٥٨٢) ثبتاً بأسماء البرص المشهورين ، وأفرد الشيخ الرئيس ابن سينا في الكتاب الرابع من كتابه القانون في الطب ج ٣ ص ٢٨١–٢٨٧ فصلاً في البهق والوضح والبرص الأبيض والأسود ، وعلاجها .

٤ أبو عزّة عمرو بن عبد الله بن عثمان الجمحي : شاعر جاهلي ، من أهل مكّة ، أدرك الإسلام ، وأسر يوم بدر وهو مشرك فمنّ عليه رسول الله صلوات الله عليه ، وأطلقه بعد أن تعهّد له أن لا يظاهر عليه ، ثمّ أسره ثانياً في وقعة أحد ، فقتله (الأعلام ٢٥١/٥) .

قال أبو جعدة : فمرّت الحديدة بين الجلد والصِّفاق[٥] ، فسال منه ماء أصفر ، وبرىء لوقته ، فقال :

أَللهمّ ربّ وائلٍ ونهدِ والمهمهات والجبال الجرد

[قال مؤلّف هذا الكتاب : والذي في كتاب الطّوسيّ : لا همّ[٦] ، وهو الصواب عندي .][٧]

وربّ من يرعى بياض نجد أصبحتُ عبداً لك وابن عبد
أبرأتني من وضَحٍ في جلدي من بعد ما طعنت في مَعَدِّي[٨]

٥ الصفاق : الجلد الأسفل الذي يمسك البطن ، وهو إذا انشقّ كان منه الفتق .

٦ لا همّ : مخفّف اللّهم ، للدعاء .

٧ الزيادة من ن .

٨ لا توجد هذه القصّة في م .

٤٣٤
يا قديم الإحسان لك الحمد

حدّثنا أبو الحسن أحمد بن يوسف بن يعقوب بن البهلول التنوخيّ ، قال :

كان ينزل بباب الشام[١] من الجانب الغربيّ من بغداد رجلٌ [٢٣٤ ر] مشهور بالزهد والعبادة ، يقال له : لبيب العابد ، لا يُعرف إلّا بهذا .

وكان الناس يتنابونه ، وكان صديقاً لأبي ، فحدّثني لبيب ، قال :

كنت مملوكاً روميًّا لبعض الجند ، فربّاني ، وعلّمني العمل بالسلاح ، حتى صرت رجلاً ، ومات مولاي بعد أن أعتقني .

فتوصّلت إلى أن حصلتُ رزقه لي ، وتزوّجت بامرأته ، وقد علم الله أنّني لم أرد بذلك إلّا صيانتها ، فأقمت معها مدّة .

ثم اتّفق أنّي رأيت يوماً حيّة داخلة في جحرها ، فأمسكت ذنبها ، فانثنت عليّ ، فنهشت يدي ، فشلّت .

ومضى على ذلك زمان طويل ، فشلّت يدي الأخرى ، لغير سبب أعرفه ، ثم جفّت رِجلاي ، ثم عميتُ ، ثم خرست .

وكنت على ذلك الحال – ملقىً – سنة كاملة ، لم تبقَ لي جارحة صحيحة ، إلّاسمعي ، أسمع به ما أكره ، وأنا طريح على ظهري ، لا أقدر على الكلام ، ولا على الحركة ، وكنت أسقى وأنا ريّان ، وأترك وأنا عطشان ، وأهمل وأنا جائع ، وأطعم وأنا شبعان .

فلمّا كان بعد سنة ، دخلت امرأة إلى زوجتي ، فقالت : كيف أبو علي ، لبيب ؟

---

١ باب الشام : محلّة كانت بالجانب الغربي من بغداد (معجم البلدان ١/٤٤٥) .

فقالت لها زوجتي : لا حيّ فيرجى ، ولا ميت فيسلى .

فأقلقني ذلك ، وآلمني ألماً شديداً ، وبكيتُ ، ورغبت إلى الله عزّ وجلّ في سرّي بالدعاء .

وكنت في جميع تلك العلل لا أجد ألماً في جسمي ، فلمّا كان في بقيّة ذلك اليوم ، ضرب عليّ جسمي ضرباناً عظيماً كاد يتلفني ، ولم أزل على ذلك الحال ، إلى أن دخل الليل وانتصف ، فسكن الألم قليلاً ، فنمت .

فما أحسست إلّا وقد انتبهت وقت السحر ، وإحدى يديّ على صدري ، وقد كانت طول هذه السنة مطروحة على الفراش لا تنشال أو تشال .

ثم وقع في قلبي أن أتعاطى تحريكها ، فحرّكتها ، فتحرّكت ، ففرحت بذلك فرحاً شديداً ، وقوي طمعي في تفضّل الله عزّ وجلّ عليّ بالعافية .

فحرّكت [٢٥١ غ] الأخرى فتحرّكت ، فقبضت إحدى رجليّ فانقبضت ، فرددتها فرجعت ، ففعلت مثل ذلك مراراً .

ثم رمت الانقلاب من غير أن يقلبني أحد ، كما كان يُفعل بي أوّلاً ، فانقلبت بنفسي ، وجلست .

ورمتُ القيام فأمكنني ، فقمت ونزلت عن السرير الذي كنت مطروحاً عليه ، وكان في بيت من الدار .

فمشيت ألتمس الحائط في الظلمة ، لأنّه لم يكن هناك سراج ، إلى أن وقعت على الباب ، وأنا لا أطمع في بصري .

فخرجت من البيت إلى صحن الدار ، فرأيت السماء والكواكب تزهر ، فكدت أموت فرحاً .

وانطلق لساني بأن قلت : يا قديم الإحسان ، لك الحمد .

ثم صحت بزوجتي ، فقالت : أبو علي ؟

فقلت : الساعةَ صرتُ أبو علي ؟ أسرجي ، فأسرجتْ .

فقلت : جيئيني بمقراض ، فجاءت به ، فقصصتُ شارباً لي كان بزيّ الجند .

فقالت زوجتي : ما تصنع ؟ الساعة يعيبك رفقاؤك .

فقلت : بعد هذا لا أخدِم أحداً غير ربّي .

فانقطعت إلى الله عزّ وجلّ ، وخرجت من الدار ، وطلّقت الزوجة ، ولزمت عبادة ربّي .

وقال أبو الحسن : وخبر هذا الرجل معروف مشهور ، وكانت هذه الكلمة : يا قديم الإحسان لك الحمد ، صارت عادته ، يقولها في حشو كلامه .

وكان يقال إنّه مجابُ الدّعوة ، فقلتُ له يوماً : إنّ الناس يقولون إنّك رأيت النبيّ ﷺ في منامك ، فمسح يده عليك ، فبرئت .

فقال : ما كان لعافيتي سببٌ غير ما عرّفتك[٢] .

---

٢ لم ترد هذه القصّة في م ، ووردت القصّة في نشوار المحاضرة ج ٢ ص ٢٨٧ رقم القصّة ٢/١٤٩ ، وفيها الزيادة التالية : قال : وقال لي : كان لي قراح على شاطئ دجلة ، بالمدائن ، وكان فيه تلال ، وأشياء ينبغي أن تستخرج ، ويطمّ بها مواضع فيه ، فتحتاج إلى رجال كثيرة ، فكنت ليلة فيه ، وكانت قمراء ، فاجتاز بي خلق كثير من الفعلة ، قد انصرفوا من عملٍ بثقٍ ، فرأوني ، فعرفوني ، فقلت لهم : هل لكم أن تكسحوا هذا القراح الليلة ، وتسوّوا تلوله بالأرض ، وتأخذوا منّي كذا وكذا ، فقالوا : نعم ، أتحفنا بالأجرة ، فعملوا ذلك ، فأصبحنا ، وقد صار أرضاً مستوية ، فقالت العامّة : الملائكة أصلحوه ، وكذبوا ، ما كان غير هذا .

٤٣٥

أبرأ أبو بكر الرازي

غلاماً ينفث الدم بإطعامه الطحلب

حدّثني أبو الحسن محمّد بن علي الخلّال البصريّ ، أحد أبناء القضاة ، قال : حدّثني بعض أهل الطبّ الثقات :

أنّ غلاماً من بغداد قدم الريّ وهو ينفث الدم ، وكان لحقه ذلك في طريقه .

فاستدعى أبا بكر الرازيّ[1] الطبيب المشهور بالحذق ، صاحب الكتب المصنّفة ، فوصف له ما يجد .

فأخذ الرازي مجسّه[2] ، ورأى قارورته[3] ، واستوصف حاله ، منذ ابتداء ذلك به ، فلم يقم له دليل على سلٍّ ولا قرحة ، ولم [٢٣٥ ر] يعرف العلّة ، فاستنظر الرجل ليفكّر في الأمر .

فقامت على العليل قيامته ، وقال : هذا إياسٌ لي من الحياة ، لحذق الطبيب ، وجهله بالعلّة ، فازداد ما به .

وولّد الفكر للرازيّ أن عاد إليه وسأله عن المياه التي شربها في طريقه ، فأخبره أنّه شرب من مستنقعات وصهاريج .

فقام في نفس الرازيّ ، لحدّة الخاطر وجودة الذكاء ، أنّ عَلَقَةً كانت في الماء وقد حصلت في معدته ، وأنّ ذلك النفث من فعلها .

---

١ أبو بكر محمّد بن زكريا الرازي (٢٥١-٣١١) : فيلسوف ، إمام في الطبّ ، تولّى تدبير مارستان الريّ ، ثمّ مارستان بغداد ، وفي تاريخ وفاته اختلاف (تاريخ الحكماء ٢٧١-٢٧٧ ، الأعلام ٦/٣٦٤) .

٢ المجسّ : النبض .

٣ القارورة : هنا ، كناية عن البول ، لأنّ الطبيب العربي كان إذا فحص المريض ، عرض عليه بوله في قارورة .

فقال له : إذا كان غداً جئتك بعلاجك ، ولا أنصرف من عندك حتى تبرأ بإذن الله تعالى ، ولكن بشرط أن تأمر غلمانك يطيعونني فيما آمرهم به .

قال : نعم .

وانصرف الرازيّ ، وجمع مِلءَ مركنين[4] كبيرين من طُحلب ، وأحضرهما من غدٍ معه ، وأراه إيّاهما .

وقال له : ٱبلَعْ جميع ما في هذين المركنين ، فبلع الرجل شيئاً يسيراً ، ثم وقف .

فقال له : ٱبلَع .

فقال : لا أستطيع .

فقال [٢٥٢ غ] للغلمان : خذوه ، فنيّموه[5] ، ففعلوا به ذلك ، وفتحوا فاه ، وأقبل الرازيّ يدير[6] الطحلب في حلقه ، ويكبسه كبساً شديداً ويطالبه ببلعه ، شاء أو أبى ، ويتهدّده بالضرب ، إلى أن بلع كارهاً أحد المركنين ، وهو يستغيث فلا ينفعه مع الرازيّ شيء .

إلى أن قال له العليل : الساعة أقذف ما في بطني ، فزاد الرازيّ فيما يكبسه في حلقه .

فذرعه القيء ، فقذف ، فتأمّل الرازي قذفه ، فإذا فيه عَلَقَةٌ ، وإذا بها لمّا وصل إليها الطحلب ، دبّت إليه بالطبع ، وتركت موضعها ، فلمّا قذف العليلُ ، خرجت مع الطحلب ، ونهض العليل معافى[7] .

---

٤ المركن : وجمعها مراكن ، الاجّانة .

٥ نيّموه : لغة بغدادية في : نوّموه ، مستعملة إلى الآن ببغداد .

٦ يدير : لغة بغدادية بمعنى : يصبّ ، مستعملة إلى الآن ببغداد .

٧ لا توجد في هذه القصّة في م .

٤٣٦

أصيب بوجع في المعدة

وشفاه لحم جرو سمين

وحكى الحسن بن محمّد السطويّ[١] ، غلام كان يخدم أبي رحمه الله [٦١ ن] ، قال : حدّثني أبو الحسن علي بن الحسن الصيدلاني [البناتاذريّ[٢] ، خليفة القاضي أبي القاسم علي بن محمّد التنوخي على القضاء ببناتاذر[٣]][٤] ، قال :

كان عندنا بسوق الأربعاء[٥] ، من بناتاذر ، غلام حدث من أولاد التنّاء[٦] ، لحقه وجع في معدته شديد ، بلا سبب يعرفه ، وكانت تضرب عليه في أكثر الأوقات ضرباناً عظيماً ، حتى كاد يتلف ، وقلّ أكله ، ونحل جسمه .

فحمل إلى الأهواز ، فعُولج بكلّ شيء ، فما نجع فيه دواء ، فرُدّ إلى بيته وقد يئس منه .

فاستدعى والده طبيباً حاذقاً ، وأراه ولده ، فقال له الطبيب : أقعد وأشرح لي حالك ، منذ حال الصحّة ، فشرحها .

وطاوله في الحديث ، إلى أن قال له العليل : إنّي دخلت بستاناً لنا ، وكان

---

١ في ن : الشطوي ، راجع اللباب ١٩/٢ .

٢ في الأصل : السارادارى ، والصحيح ما أثبتناه .

٣ في الأصل : سارادر ، محرّفة عن : بناتاذر ، وهي مدينة في أسافل الأهواز ، انتقل إليها أبو عبد الله البريدي من باسيان في السنة ٣٢٦ ، راجع تجارب الأمم ٣٨١/١ و٣٨٢ .

٤ الزيادة من غ .

٥ سوق الأربعاء : بليد في نواحي الأهواز ، على نهر ، ذات جانبين ، وبها سوق ، بينها وبين عسكر مكرم ستة فراسخ (معجم البلدان ١٨٤/١ و١٩٣/٣) .

٦ في هـ : من أولاد آذر .

في بيت البقر منه ، رمّان كثير ، قد جمع للبيع ، فأكلت منه رمّانات عدّة .

فقال له الطبيب : كيف كنت تأكل ؟

قال : كنت أعضّ رأس الرمّانة بفمي ، وأرمي به ، وأكسرها ، وآكلها ، قطعاً قطعاً .

فقال له الطبيب : في غدٍ أعالجك ، وتبرأ بإذن الله تعالى ، وخرج .

فلمّا كان من الغد ، جاءه بقِدْرِ إسفيذباج [7] ، قد طبخها بلحم جرو سمين ، وقال للعليل : كُلْ هذا .

فقال : ما هو ؟

قال : إذا أكلتَ عرَّفتكَ .

قال : فأكل العليلُ .

فقال له الطبيب : أمتلِ من الطعام ، ففعل ، ثم أطعمه بطّيخاً كثيراً ، ثم تركه ساعة ، وسقاه فقاعاً قد خلط بماء حار وشبث [8] .

ثم قال : أتدري أيّ شيء أكلت ؟

قال : لا أدري .

قال : أكلتَ لحم كلب ، فحين سمع الغلام ذلك ، اندفع فقذف جميع ما في بطنه .

فأمر الطبيب بعينيه ورأسه فأُمسكا ، وأقبل يتأمّل القذفَ ، إلى أن طرح

---

٧ الاسفيذباج : طعام من اللحم ودهن الألية والكسفرة (يسمّيها البغداديّون كزبره) والكمّون والحمص والبصل وعيون البيض ، راجع التفصيل في كتاب الطبيخ للبغداديّ ٣١ و ٣٢ .

٨ الشبث : بقلة معروفة ، ذات رائحة نفّاذة ، ذكرها ابن سينا في القانون ٤٣٧/١ وابن البيطار في الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ٥٠/٣ ونقل عن المنصوري : أنّ كامخ هذه البقلة جيّد لمن أراد أن يتقيّأ . أقول : والبغداديّون يسمّون هذه البقلة : الشبنت ، وربما أبدلوا التاء بالدال ، ويكثر استعمالهم لهذه البقلة ، في فصل الربيع ، عند طبخ «تمن الباقلى» حيث يطبخ الأرز بالباقلى ولحم الحمل (ويسمّونه القوزي) ، ويضاف إليه الشبنت .

الغلامُ شيئاً أسود ، كالنواة الكبيرة[9] ، يتحرّك .

فأخذه الطبيب ، وقال له : ارفع رأسك ، فقد برئت ، وفرّج الله تعالى عنك .

فرفع الغلام رأسه ، وانقطع القذف ، وسقاه الطبيب شيئاً يقطع الغثيان ، وصبّ على رأسه ماء ورد ، وسكن نفسه ، ثم أخذ ذلك الشيء الذي يشبه النواة ، فأراه إيّاه ، فإذا هو قراد[10] .

وقال له : إنّي قد زكنت أنّ الموضع الذي كان فيه الرمّان ، كان فيه قردان من البقر ، وأنّه قد دخلت واحدة منهنّ في رأس إحدى الرمّانات التي اقتلعتَ رؤوسها بفيك ، فنزل القراد [٢٥٣ غ] إلى حلقك ، وعلق بمعدتك يمتصّها .

وعلمت أنّ القراد يهشّ إلى لحم الكلب ، فأطعمتك إيّاه ، وقلتُ : إن صحّ [٢٣٧ ر] ظنّي ، فسيتعلّق القراد بلحم الكلب ، تَعلّقاً يخرج معه إن قذفتَ ، فتبرأ ، وإن لم يكن ما ظننت صحيحاً ، فما يضرّك من أكل لحم الكلب .

فلما أحبّ الله تعالى من عافيتك صحّ حدسي ، فلا تعاودْ بعد هذا إدخال شيء في فيك لا ترى ما فيه .

وبريء الغلام ، وصحّ جسمه[11] .

---

٩ النواة : عجمة التمر ونحوه ، أي حبّه وبذره ، جمعها نوى ونويات ، وجمع الجمع : أنواء ونويّ ، وهي تذكّر وتؤنّث ، والبغداديّون يلفظونها : نواية .

١٠ القراد : راجع حاشية القصّة ٤٤٢ من هذا الكتاب .

١١ لا توجد هذه القصّة في م .

٤٣٧

ذكاء طبيب أهوازيّ

وحدّثنا الحسن [غلامنا][1] ، عن ابن الصّيدلاني [هذا][2] ، قال :

كان لي أكّارٌ حَدَثٌ ، فانتفخ ذكره انتفاخاً عظيماً واحمرّ ، وضرب عليه ضرباناً شديداً ، فلم يكن ينام الليل ، ولا يهدأ النهار ، وعُولج فلم يكن إلى برئه سبيل .

قال : فجاء مطبّب من الأهواز ، يريد البصرة ، فسألته أن ينظر إليه .

فقال لي : قلْ له يصدقني عن خبره في أيّام صحته ، وإلى الآن ، قال : فحدّثه .

فقال له : ما صدقتني ، ومالي إلى علاجك سبيل ، إلّا أن تصدقني .

فقال لي الغلام : إن صدقتك يا أستاذ ، فأنا آمن من جهتك على نفسي ؟

قلت : نعم .

فقال : أنا غلام حدث ، وعزب ، فوطئت حماراً لي في الصحراء ذكراً .

فقال له الطبيب : الآن علمتُ أنّك قد صدقت ، والساعة تبرأ .

ثم أمر به فأُمسك إمساكاً شديداً ، وأخذ ذكره بيده ، فجسّه جسًّا شديداً ، والغلام ساكت .

إلى أن جسّ منه موضعاً ، فصاح الغلام ، فأخذ الطبيب خيط إبريسم ، فشدّ الموضع شدًّا شديداً ، ولم يزل يمرخ إحليل الغلام بيده ، ويسلته[3] ، إلى أن

---

١ الزيادة من غ و ن .

٢ أبو الحسن علي بن الحسن الصيدلاني ، الوارد ذكره في القصّة السالفة .

٣ السلت : ورد هنا بمعنى المسح ، يقال : سلتت المرأة الخضاب بمعنى مسحته وألقته .

ندّت منه حبّة[4] شعير من نقب ذكر الغلام ، وقد كبرَتْ وجرحَت الموضع ، فسال منه شيء يسير كماء اللحم .

فأعطاه مرهماً ، وقال له : استعمل هذا أيّاماً فإنّك تبرأ ، وتب إلى الله تعالى من مثل هذا الفعل .

فاستعمل الغلام ذلك المرهم ، فبريء[5] .

---

٤ في غ : انقطعت القصّة ، وما بعدها فراغ .

٥ لم ترد هذه القصّة في م .

٤٣٨

شجّ رأسه فمرض

ثم شجّ بعدها فصلح

وحدّثني أبو عبدالله الحسين بن محمّد بن عبيد الله الدقّاق ، المعروف بابن العسكري[١] ، [شيخ مجرّب ثقة ، كان ينزل في درب الشاكريّة من نهر المعلّى ، في الجانب الشرقي][٢] من بغداد ، في المذاكرة ، قال :

كان أبي[٣] إذا جلس يفتّش في دفاتره ، وأنا صبيّ ، أجيء فآخذ منها الشيء بعد الشيء ، استحسنه ، فألعب به .

وكنت أرى في دفاتره دفتراً فيه خطوط حمر ، فأستحسنه وأطلبه فيمنعني منه ، حتى بلغت مبلغ الرجال .

فجلس يوماً يفتّش كتبه ، فرأيت الدفتر ، فأغفلت أبي وأخذته ، ففتحته أقرؤه ، فإذا هو مولدي ، وقد عمله بعض المنجمّين .

فوجدت فيه ، أنّني إذا بلغت أربعاً وثلاثين سنة ، كان عليّ فيها قطع .

فالتفت أبي فرأى الدفتر معي ، فصاح وأخذه منّي ، ونظر إلى أيّ موضع

---

١ أبو عبد الله الحسين بن محمّد بن عبيد بن أحمد بن مخلد بن أبان الدقّاق ، المعروف بابن العسكري (٢٨٦–٣٧٥) : ترجم له الخطيب في تاريخه ٨/١٠٠ .

٢ الزيادة من ن .

٣ أبو الحسين محمّد بن عبيد بن أحمد بن مخلد بن أبان الدقّاق ، المعروف بابن العسكري ، والد أبي عبد الله العسكري : ترجم له الخطيب في تاريخه ٢/٣٧٠ .

٤ دار الضرب : الموضع الذي تسكّ فيه النقود المعدنيّة ، وكان المكلّف بسكّها يثبت في أحد وجهيها ، أنّه ضرب بمدينة كذا ، في سنة ، كذا ، قال الشاعر :

لا يألف الدرهم المضروب صرّتنا لكن يمرّ عليها وهو منطلق

بلغتُ ، فتوقّف وأخذ يضعف ذلك في نفسي لئلّا أغتمّ .

ومضت السنون ، فلمّا بلغت السنة التي ذكرها المنجّم ، ركبت مهراً لي ، وخرجت من دار الضرب[4] ، وأبي فيها ، وكان إليه العيار[5] ، فبلغت إلى ساباط[6] بدرب سيما ، بدرب الديزج .

فنفر المهر من كلبٍ كان في الطريق رابضاً ، فضرب رأسي حائطاً كان في الساباط ، فوقعت عن المهر مغشيًّا عليّ .

ثم حُملت إلى دار الضرب ، وأحضر طبيب ، وقد انتفخ موضع الضربة من رأسي إنتفاخاً عظيماً ، فأشار بفصدي ، ففصدتُ فلم يخرج لي دم .

فحملت إلى بيتنا ، ولم أشكّ في أنّي ميّت لشدّة ما لحقني ، فاعتللت ، وضعفَتْ نفسي خوفاً مما ذكرته من حكم المنجّم .

فكنت يوماً جالساً مستنداً إلى سرير ، وقد أيست من الحياة ، إذ حملتني عيناي ، فخفق رأسي[7] ، فضرب درابزين[8] السرير ، فشُجّ الموضع المنتفخ ، فخرج منه أرطال دم ، فخفّ ما بي في الحال ، فصلحتُ ، وبرئتُ ، وعشت إلى الآن .

وكان له يوم حدّثني بهذا الحديث أربعاً وثمانين سنة وشهور[9] ، على ما أخبرني[10] .

---

٥ العيار : النظام ، والمقياس ، وعيار المسكوكات النقديّة ، ما فيها من الفضّة والذهب ، وكان هذا العمل يناط بالثقة الأمين ، وأغلب ما يودع لأحد القضاة ، كي لا يتلاعب عمّال دار الضرب بالعيار .

٦ الساباط : السقيفة بين دارين ، بينهما طريق .

٧ خفق برأسه : حرّكه وهو ناعس .

٨ الدرابزين : الحاجز المتكوّن من قوائم من الخشب أو الحديد يعلوها متّكأ ، قال صاحب المنجد : إنّها يونانية ، وقال صاحب الألفاظ الفارسيّة المعربة ٦٠ إنّها فارسيّة ، والبغداديّون يسمّون الدرابزين : المحجّر ، فصيحة من الحجر ، وهو المنع ، لأنّ المحجّر ، يحفظ من السقوط .

٩ يعني أنّه حدّثه بهذا الحديث في السنة ٣٧٠ .

١٠ لم ترد هذه القصّة في م ولا في غ .

٤٣٩

القطيعي الطبيب وذكاؤه ومكارم أخلاقه

وحدّثني أبو الحسن علي بن أبي محمّد الحسن بن محمّد الصلحيّ الكاتب ، قال :

رأيت بمصر طبيباً [٦٢ ن] مشهوراً يعرف بالقطيعيّ ، وكان يقال : إنّه يكسب في كلّ يوم ألف درهم[١] ، من جرايات يجريها عليه قوم من رؤساء العسكر ، ومن السلطان ، وما يأخذه من العامّة .

قال : وكان له دار قد جعلها شبه البيمارستان[٢] ، من جملة داره ، يأوي إليها ضعفاء الأعلّة ، يعالجهم ، ويقوم بأودهم [٢٣٧ ر] وأدويتهم ، وأغذيتهم ، وخدمتهم ، وينفق أكثر كسبه في ذلك .

قال أبو الحسن : فأسكت[٣] بعض فتيان الرؤساء بمصر – وأسماه لي ، فذهب عنّي اسمه – وكنت هناك ، فحمل إليه أهل الطبّ ، وفيهم القطيعيّ ، فأجمعوا على موته ، إلّا القطيعيّ ، وعمل أهله على غسله ودفنه .

فقال القطيعي : دعوني أعالجه ، فإن برىء ، وإلّا فليس يلحقه أكثر من الموت الذي أجمع هؤلاء عليه .

فخلّاه أهله معه ، فقال ، هاتم غلاماً جَلْداً[٤] ومقارع ، فأتي بذلك .

---

١ في نشوار المحاضرة ج ٣ ص ١٥٢ رقم القصّة ٣/١٠٦ : إنّه كان يكسب في كلّ شهر ألف دينار .

٢ البيمارستان : محل معدّ لمعالجة المرضى وإقامتهم ، والكلمة فارسيّة : بيمار : مريض ، وستان : محلّ ، (الألفاظ الفارسيّة المعربة ٣٣) ويسمّى بالتركية : خسته خانه ، خسته : مريض ، وخانه : محلّ ، والبغداديّون يسمّونه الآن : مستشفى ، وكان عامّتهم في العهد العثماني ، يسمّونه : قصبطخانه ، تحريف : خسته خانه .

٣ أسكت : انقطع كلامه .

٤ الجلد : الشديد ، القويّ .

فأمر به فمدّ ، وضُرب عشر مقارع من أشدّ الضرب ، ثم جسّ مجسّه ، وضربه عشراً أخرى شديدة أيضاً ، ثم جسّ مجسّه ، وضربه عشراً أخرى .

ثم جسّ مجسّه ، وقال للطبّ : أيكون للميت نبض يضرب ؟

فقالوا : لا .

قال : فجُسُّوا نبض هذا .

فجسّوه ، فإذا به يتحرّك ، فضُرب عشر مقارع أخرى ، فصاح .

فقطع الضرب عنه ، فجلس العليل يجسّ بدنه ، ويتأوّه ، وقد ثابت إليه قوّته .

فقال له الطبيب : ما تجد ؟

قال : أنا جائع .

قال : أطعموه الساعة ، فجاءوه بما أكله ، وقمنا وقد رجعت قوّته ، وبرىء .

فقال له الطبّ : من أين لكَ هذا ؟

قال : كنت مسافراً في قافلة فيهم أعراب يخفروننا ، فسقط منهم فارس عن فرسه ، فأسكت ، فعمد شيخ منهم إليه ، فضربه ضرباً عظيماً ، فما رفع عنه الضرب حتى أفاق ، فعلمت أنّ ذلك الضرب جلب عليه حرارة أزالت سكتته .

فقست عليه أمر هذا العليل[٥] .

---

٥ لم ترد هذه القصّة في م ، ولا في غ ، ووردت في كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للقاضي التنوخي ، برقم القصّة ٣/١٠٦ .

٤ أ

٤٤٠

مريض بالاستسقاء تشفيه أكلة جراد

حدّثني بعض المتطبّبين بالبصرة ، قال : [حدّثنا أبو منصور بن مارية[١] ، كاتب أبي مقاتل صالح بن مرداس[٢] الكلابي ، أمير حلب[٣] ، وكان أبو منصور من رؤساء أهل الصَّراة الذين يضربون المثل بنعمتهم وترفّههم ، وكان ثقة أديباً ، وقد شاهدته أنا ، ولم أسمع منه هذه الحكاية ، قال : أخبرني أحد شيوخنا ، قال :][٤] .

كان بعض أهلنا قد استسقى ، فأيس من حياته ، وحمل إلى بغداد ، فَشُوْوِرَ أهل الطبّ فيه ، فوصفوا له أدوية كثاراً ، فعرفوا أنّه قد تناولها بأسرها ،

---

١ بنو مارية : أناس من أهل الصراة (القصّة ١٤٦/١ من نشوار المحاضرة) يضرب بهم أهل السواد الأمثال ، لكبرهم في نفوسهم (مروج الذهب ٣٦٤/٢) وأحسب أنّهم من أبناء مارية بنت ظالم بن وهب بن الحارث بن معاوية الكندي ، أم الحارث الأعرج الذي قال فيه النابغة :

والحارث الأعرج خير الأنام

وإيّاها عنى حسّان بن ثابت بقوله :

أبناء جفنة حول قبر أبيهم ... قبر ابن مارية الكريم المفضل
بيض الوجوه كريمة أحسابهم ... شمّ الأنوف من الطراز الأوّل

ومارية هذه ، جدّة جبلة بن الأيهم ، آخر ملوك العرب في الشام ، ولمّا قدم جبلة على الخليفة عمر ، كان معه خمسمائة فارس ألبسهم الوشي المنسوج بالذهب والفضّة ، ولبس جبلة تاجه ، وفيه قرط مارية جدّته ، وكان يضرب بقرطها المثل (العقد الفريد ٥٦/٢ و ٥٩ و ٦٠ و ٧٤/٣) .

٢ في الأصل : ابن مدرك .

٣ في الأصل : أمير دجلة .

٤ الزيادة من ن .

فلم تنجع ، فأيسوا منه ، وقالوا : لا حيلة لنا في برئه .

فلمّا سمع العليل ذلك ، قال لمن معه : دعوني الآن أتزوّد من الدنيا ، وآكل ما أشتهي ، ولا تقتلوني قبل أجلي بالحِمْيَةِ .

فقالوا : كل ما تريد .

فكان يجلس على دكّان بباب الدار ، ومهما رأى ما يجتاز به على الطريق ، شراه ، وأكله .

فمرّ به رجل يبيع جراداً مطبوخاً ، فاشترى منه عشرة أرطال ، وأكلها بأسرها .

فلمّا كان بعد ساعة ، انحلّ طبعه[5] ، وتواتر قيامه[6] ، حتى قام في ثلاثة أيّام أكثر من ثلثمائة مجلس[7] ، وضَعُفَ ، وكاد يتلف .

ثم انقطع القيام ، وقد زال كلّ ما في جوفه ، وعادت بطنه إلى حالها في الصحّة ، وثابت إليه قوّته ، وبرىء .

فخرج برجليه في اليوم الخامس ، يتصرّف في حوائجه ، فرآه أحد الطبّ ، فعجب من أمره ، وسأله عن الخبر ، فعرّفه .

فقال : ليس من شأن الجراد أن يفعل هذا ، ولا بدّ أن يكون في الجراد الذي فعل هذا خاصيّة ، فأحبّ أن تدلّني على الذي باعك الجراد ، فلم يزالوا في طلبه حتى وجدوه .

فقال له الطبيب : من أين لك هذا الجراد ؟

فقال : أنا أصيده ، وأجمع منه شيئاً كثيراً ، وأطبخه ، وأبيعه .

فقال : من أين تصيده ؟ فذكر قرية بالقرب من بغداد .

---

٥ انحلال الطبع : كناية عن الإسهال .

٦ القيام : كناية عن مراجعة بيت الخلاء .

٧ المجلس : كناية عن خروج ما في البطن .

فقال له الطبيب : أعطيك ديناراً ، وتدع شغلك ، وتجيء معي إلى الموضع .

قال : نعم ، فخرجا وعاد الطبيب من غدٍ ، فذكر أنّه رأى الجراد يرعى في صحراء أكثر نباتها حشيشة يقال لها : مازريون[8] ، وهيْ دواء الاستسقاء[9] .

وإذا دفع إلى العليل منها وزن درهم ، أسهله إسهالاً يزيل الإستسقاء ، ولكن لا يؤمن أن لا ينظبط ، ولا يقف ، فيقتله الذَرَبُ[10] ، والعلاج بها خطر جداً ، وهي مذكورة في الكتب الطبيّة ، ولكنّها لفرط خطرها لا يصفها الأطبّاء ، فلمّا وقع الجراد على هذه الحشيشة ، وانطبخت في معدته ، ثم طبخ الجراد ، ضعف فعلها بطبخين اجتمعا عليها ، وقضى أن تناولها هذا بالاتّفاق ، وقد تعدّلت بمقدار ما يدفع طبعه دفعاً لا ينقطع ، فبرأ[11] .

---

٨ مازريون : فارسيّة ، شجر ورقه كورق الزيتون ، وزهره إلى البياض ، له ثمر كالكبر (الألفاظ الفارسيّة المعرّبة ١٤٤ ، ابن البيطار ١٢٣/٤) .

٩ الاستسقاء : داءٌ يصيب الإنسان من جرّاء تجمّع سوائل مصليّة في تجويف ، أو أكثر ، من تجاويف جسده ، أو خلاياه .

١٠ الذَرَبُ : الاسهال الشديد .

١١ لم ترد هذه القصّة في م ، ولا في غ ، ووردت في نشوار المحاضرة ١١٢/٣

٤٤١

مريض بالاستسقاء يبرأ بعد أن طعم لحم أفعى

[وحدّثنا أبو الحسن محمّد بن طرطى الواسطيّ ، قال : سمعت][1] أبا علي عمر بن يحيى العلويّ الكوفيّ ، قال :

كنت في بعض حججي في طريق مكّة ، فاستسقى رجل كان معنا من أهل الكوفة ، وثقل في علّته .

وسلّ[2] الأعراب قطاراً[3] من القافلة كان هذا العليل على جمل منه ، ففقد ، وجزعنا عليه ، وعلى القطار ، وكنّا راجعين إلى [٢٣٨ ر] الكوفة .

فلمّا كان بعد مدّة ، جاء العليل إلى داري معافىً ، فسألته عن قصّته وسبب عافيته .

فقال : إنّ الأعراب لمّا سلّوا القطار ، ساقوه إلى محلّهم ، وكان على فراسخ يسيرة من المحجّة[4] ، فأنزلوني ، ورأوا صورتي ، فطرحوني في أواخر بيوتهم .

وتقاسموا ما كان في القطار ، فكنت أزحف وأتصدّق من البيوت ما آكله ، وتمنّيت الموت ، وكنت أدعو الله تعالى به أو بالعافية .

فرأيتهم يوماً وقد عادوا من ركوبهم ، وأخرجوا أفاعي قد اصطادوها ، فقطعوا رؤوسها وأذنابها ، واشتووها ، وأكلوها .

فقلت : هؤلاء يأكلون هذه فلا تضرّهم بالعادة التي قد مرنوا عليها ، ولعلّي

---

١ الزيادة من ن ، وقد ورد الاسم في كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للقاضي التنوخي ، في القصّة رقم ١١٣/٣ : أبو الحسن محمّد بن أحمد بن طوطو .

٢ سَلَّ : سَرَقَ .

٣ القطار من الإبل : المجموعة منها متقاطرة أحدها وراء الآخر .

٤ المحجّة : جادة الطريق .

إذا أكلت منها شيئاً أن أتلف فأستريح مما أنا فيه .

فقلت لبعضهم : أطعمني من هذه الحيّات ، فرمى إليّ واحدة منها مشويّة ، فيها أرطال ، فأكلتها بأسرها ، وأمعنتُ ، طلباً للموت ، فأخذني نوم عظيم ، فانتبهت وقد عرقتْ عرقاً عظيماً ، فاندفعَتْ طبيعتي ، فقمت في بقيّة يومي وليلتي أكثر من مائة مجلس[٥] ، إلى أن سقطت طريحاً وجوفي يجري .

فقلت : هذا طريق الموت ، فأقبلت أتشهّد ، وأدعو الله تعالى [٦٣ ن] بالرحمة والمغفرة .

فلمّا أضاء الصبح ، تأمّلت بطني ، فإذا هي قد ضمرت جدًّا ، وزال عنها ما كان بها ، فقلت : أيّ شيء ينفعني هذا ، وأنا ميّت ؟

فلمّا أضحى النهار ، انقطع القيام ، ووجبت صلاة الظُّهر ، فلم أحسّ بقيام ، وجعت ، فجئتُ لأزحف على العادة ، فوجدتُ بدني خفيفاً ، وقوّتي صالحة ، فتحاملت ومشيت ، وطلبت منهم مأكولاً فأطعموني ، وقويتُ ، وبتّ في الليلة الثانية معافىً لا أنكر شيئاً من أمري .

فأقمت أيّاماً ، إلى أن وثقتُ من نفسي بأنّي إن مشيتُ نجوتُ ، فأخذت الطريق مع بعضهم ، إلى أن صرت على المحجّة ، ثم سلكتها ، منزلاً ، منزلاً ، إلى الكوفة مشياً[٦] .

---

٥ في ن : أكثر من مائتي مجلس .

٦ هذه القصّة لم ترد في م ، ولا في غ ، ووردت في كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للقاضي التنوخي ، برقم القصّة ١١٣/٣ .

٤٤٢

القاضي أبو الحسين بن أبي عمر

يحزن لموت يزيد المائي

حدّثني أبو الفضل محمّد بن عبد الله بن المرزبان الشيرازيّ الكاتب : [قال : حدّثني أبو بكر الجعابي الحافظ [١] ، قال :] [٢]

دخلت يوماً على القاضي أبي الحسين بن أبي عمر ، وهو مغموم ، فقلت : لا يغمّ الله قاضي القضاة ، ما هذا الحزن الذي أراه به ؟

قال : مات يزيد المائي [٣] .

فقلت : يُبقي الله قاضي القضاة ، ومَن يزيد المائيّ ، حتى إذا مات اغتمّ عليه قاضي القضاة ، هذا الغمّ كلّه ؟

فقال : ويحَك ، مثلك يقول هذا في رجل كان أوحد زمانه في صناعته ، وقد مات وما ترك أحداً يقاربه في حذقه ، وهل فخر البلدان إلّا بكثرة رؤساء الصنائع ، وحذّاق أهل العلوم فيها ؟ فإذا مضى رجل لا مثيل له في صناعة لا

---

١ أبو بكر محمّد بن عمر بن مسلم بن البراء الجعابي الحافظ (٢٨٤–٣٥٥) : قاضي الموصل ، لم ير في البغداديّين أحفظ منه ، كان يحفظ أربعمائة ألف حديث ، ويذاكر بستمائة ألف حديث (المنتظم ٣٧/٧) .

٢ الزيادة من كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للقاضي التنوخي مؤلّف هذا الكتاب ، راجع كتاب نشوار المحاضرة ج٣ ص ٢٣٣ ، رقم القصّة ١٥١/٣ .

٣ المائي : من الأطبّاء ، نسب إلى الماء ، لأنّه يعرض عليه ماء المريض (أي بوله) ، فيشخّص المرض ، ويصف الدواء ، وقد جاء في عيون الأنباء ٣٣/٢ أن منكه الطبيب الهندي ، كان مارًّا بالخلد ، فإذا برجل من المائيّين قد بسط كساءه ، وألقى عليه عقاقير كثيرة ، وقام يصف دواء عنده معجوناً ، راجع في كتاب القانون في الطب ج ١ ص ١٣٥–١٤٦ بحثاً مفصّلاً عن دلائل بول المريض ، وألوانه ، وقوامه ، وصفاته ، ورائحته ، ورسوبه ، وكميته ، وزبده .

بدّ للناس منها ، فهل يدلّ هذا إلّا على نقصان العالم وانحطاط البلدان .

ثم أقبل يعدّد فضائله ، والأشياء الطريفة التي عالج بها ، والعلل الصعبة التي زالت بتدبيره ، فذكر من ذلك أشياء كثيرة ، منها :

قال : أخبرني منذ مدّة رجل من جلّة أهل البلد ، أنّه كان حدث بابنةٍ له علّة طريفة ، فكتمَتْ أمرها ، ثم أطلع عليها أبوها ، فكتمها هو مُديدة ، ثم انتهى أمر البنت إلى حدّ الموت .

قال : وكانت العلّة ، أنّ فرج الصبيّة كان يضرب عليها ضرباناً عظيماً لا تنام معه الليل ولا النهار ، وتصرخ أعظم صراخ ، ويجري في خلال ذلك منه دمٌ يسيرٌ كماء اللحم ، وليس هناك جرح يظهر ، ولا ورم .

قال : فلمّا خفتُ المأثم ، أحضرت يزيد ، فشاورته .

فقال : أتأذن لي في الكلام ، وتبسط عذري فيه .

فقلت له : نعم .

قال : لا يمكنني أن أصف لك شيئاً ، دون أن أشاهد الموضع بعيني ، وأفتّشه بيدي ، وأسائل المرأة عن أسباب لعلّها كانت الجالبة للعلّة .

قال : فلعظمَ الصورة ، وبلوغها حدّ التّلف ، أمكنته من ذلك .

فأطال المسائلة ، وحدّثها بما ليس من جنس العلّة ، بعد أن جسّ الموضع من ظاهره ، وعرف بقعة الألم ، حتى كدتُ [٢٣٩ ر] أن أثب به ، ثم صبرتُ ، ورجعتُ إلى ما أعرفه عن سيرته ، فصبرت على مضض .

إلى أن قال : تأمر من يمسكها ، ففعلتُ .

فأدخل يده في الموضع دخولاً شديداً ، فصاحت الجارية ، وأغمي عليها ، وانبعث الدم ، وأخرج يده وفيها حيوان أقلّ من الخنفساء ، فرمى به .

فجلست الجارية في الحال ، وقالت : يا أبة ، استرني ، فقد عوفيت .

فأخذ يزيد الحيوان بيده ، وخرج من الموضع ، فلحقته ، فأجلسته .

وقلت : أخبرني ما هذا ؟

فقال : إنّ تلك المسائلة التي لم أشكّ من أنّك أنكرتها ، إنّما كانت لأطلب دليلاً أستدّل به على سبب العلّة .

إلى أن قالت لي الصبيّة : إنّها في يوم من الأيّام ، جلست في بيت دولاب البقر ، في بستان لكم ، ثم حدثت العلّة بها ، من غير سبب تعرفه ، في غد ذلك اليوم .

فتخيّلت أنّه قد دبّ في فرجها من القراد [4] الذي يكون على البقر – وفي بيوت البقر قراد – قد تمكّن من أوّل داخل الفرج ، فكلّما امتصّ الدم من موضعه ولّد الضربان ، وأنّه إذا شبع ، خفّ الضربان ، لانقطاع مصّه ، ونقط من الجرح الذي يمتصّ منه إلى خارج الفرج .

فقلت : أُدخل يدي ، وأفتّش .

فأدخلت يدي ، فوجدت القراد كما حدست ، فأخرجته ، وهذا هو الحيوان ، وقد تغيّرت صورته لكثرة ما امتصّ من الدم ، مع طول الأيّام .

قال : فتأمّلنا الحيوان ، فإذا هو قراد ، وبرئت المرأة .

قال مؤلّف هذا الكتاب : ولم يذكر القاضي أبو الحسين في كتابه هذا الخبر ، ولعلّه اعتقد أنّه مما لا يجب إدخاله فيه [5] .

---

٤ القراد : دويبة تتعلّق بالحيوان ، وتمتصّ دمه ، وقد تتعلّق بالإنسان ، وإذا تعلّقت صعب رفعها إلاّ بجذبها واقتلاعها ، والبغداديّون يسمّونها : قرادة ، ويلفظون القاف كافاً فارسيّة ، وفي بغداد مثل سائر لمن اشتدّ تمسّكه بشيء ، يقال : لزق مثل القرادة .

٥ لم ترد هذه القصّة في م ، ولا في غ ، ووردت في نشوار المحاضرة ١٥١/٣ .

٤٤٣
زمنة مقعدة يشفيها الحنظل

[حدّثني المؤمّل بن يحيى بن هارون ، شيخ نصرانيّ يكنّى بأبي نصر ، كان ينزل بباب الشام ، رأيته في سنة خمسين وثلثمائة ، قال : حدّثني قرّة بن السراج العُقَيْليّ ،][1] وكان ينزل ، إذا جاء من البادية ، بشارع دار الرقيق[2] بالقرب من درب سليمان[3] ، قال :

كان عندنا بالبادية ، جارية بالغ ، زَمِنَةٌ ، مقعدة سنين ، ومن عادتنا أن نأخذ الحنظل[4] فنقوّر رؤوسه ، ونملأه باللبن الحليب ، ونردّ على كلّ واحدةٍ رأسها ، وندفنها في الرماد الحارّ ، حتى تغلي ، فإذا غلت ، حسا كلّ واحدٍ منّا من الحنظلة ما في رأسها من اللّبن ، فتسهله ، وتصلح بدنه .

قال : وقد كنّا أخذنا في سنة من السنين ، ثلاث حناظل ، لثلاثة أنفس ، يشربونها ، وجعلنا اللبن فيها على الصفة المارّة ، فرأتها الجارية الزَمِنَةُ .

فلتبرّمها من الحياة ، وضجرها من الزمانة ، خالفتنا إلى الحناظل الثلاث ، فحستها كلّها ، وعلمنا بذلك بعد أن رأينا من قيامها ما جزعنا منه ، وأيسنا من حياتها ، وخشينا أن تعدينا ، فأبعدناها عن البيوت .

فلمّا كان الليل ، انقطع قيامها ، فمشت برجلها إلى أن عادت إلى البيوت لا قلبة بها ، وعاشت بعد ذلك سنين ، وتزوّجت ، وولدت[5] .

---

١ الزيادة من ن ، وفي بقيّة النسخ : وحكى المؤمّل بن يحيى المتطبّب .

٢ شارع دار الرقيق : راجع حاشية القصّة ٢٩٣ من هذا الكتاب .

٣ درب سليمان : راجع حاشية القصّة ٢١٦ من هذا الكتاب .

٤ الحنظل : نبات يمتدّ على الأرض كالبطّيخ ، وهو شديد المرارة جدًّا ، ويضرب بمرارته المثل ، فيقال : أمرّ من الحنظل .

٥ هذه القصّة لم ترد في م ولا في غ .

٤٤٤

اشترى الرشيد لطبيبه ضياعاً غلّتها ألف ألف درهم

وحدّث جبريل بن بختيشوع ، قال :

كنت مع الرشيد ، بالرقّة ، ومعه المأمون ومحمّد[١] ، وكان الرشيد رجلاً كثير الأكل والشرب ، فأكل في بعض الأيّام أشياء خلط فيها ، ودخل المستراح ، فغشي عليه فيه .

فأخرج وقد قوي عليه الغشي ، حتى لم يشكّ [٦٤ ن] غلمانه في موته ، وحضر ابناه ، وشاع عند الخاصّة والعامّة خبره .

وأرسل إليّ ، فجئت ، فجسست عرقه ، فوجدت نبضاً خفيفاً ، وأخذت عرقاً في رجله فكان كذلك ، وقد كان قبل ذلك بأيّام يشكو امتلاءً وحركة الدمّ .

فقلت لهم : إنّه لم يمت ، والصّواب أن يحجم[٢] الساعة .

فقال كوثر الخادم[٣] ، لما يعرف من أمر الخلافة وإفضائها إلى صاحبه محمّد : يا ابن الفاعلة ، تقول أحجموا رجلاً ميتاً ؟ لا يقبل قولك ولا كرامة .

فقال المأمون : الأمر قد وقع ، وليس يضرّ أن نحجمه .

وأحضر الحجّام ، فتقدّمت ، وقلت له : ضع محاجمك ، ففعل ، فلمّا مصّها رأيت الموضع قد احمرّ ، فطابت نفسي بذلك ، وعلمت أنّه حيّ .

فقلت للحجّام : اشرط ، فشرط ، فخرج الدم ، فسجدت شكراً لله تعالى ، وجعل كلّما خرج الدّم ، تحرّك رأسه ، وأسفر لونه ، إلى أن تكلّم .

---

١ أبو عبد الله محمّد الأمين بن أبي جعفر هارون الرشيد : ترجمته في حاشية القصّة ١٣١ من الكتاب .

٢ الحجامة : راجع الشرح في آخر القصّة .

٣ كوثر خادم الآمين : ترجمته في حاشية القصّة ١٨٥ من الكتاب .

فقال : أين أنا ؟

فطيّبت نفسه ، وغدّيناه بصدر درّاج ، وسقيناه نبيذاً ، وما زلت أسعطه بالطيب في أنفه ، حتى تراجعت إليه قوّته ، وأدخل الخاصّة والقوّاد إليه ، فسلّموا عليه من بعد ، لما كان قد شاع من خبره ، ثم تكاملت قوّته ، ووهب الله له العافية .

فلمّا برأ من علّته ، دعا صاحب حرسه ، وحاجبه ، وصاحب شرطته ، فسأل [٢٤٠ ر] صاحب الحرس عن غلّته في كلّ سنة ، فعرّفه أنّها ألف ألف درهم ، وسأل صاحب شرطته عن غلّته ، فعرّفه أنّها خمسمائة ألف درهم .

ثم قال : يا جبريل : كم غلّتك ؟

فقلت : خمسون ألف درهم .

فقال : ما أنصفناك ، حيث غلّات هؤلاء وهم يحرسوني ، ويحجبوني عن الناس ، على ما هي عليه ، وتكون غلّتك ما ذكرت ، وأمر بإقطاعي ما قيمته ألف ألف درهم .

فقلت : يا سيّدي مالي حاجة إلى الإقطاع ، ولكن تهب لي ما أشتري به ضياعاً غلّتها ألف ألف درهم ، ففعل ، وتقدّم بمعاونتي على ابتياعها .

فابتعت بهباته ، وجعالاته ، ضياعاً غلّتها ألف ألف درهم ، فجميع ما أمتلكه ضياع لا إقطاع فيها[٤] .

٤ هذه القصّة لم ترد في م ، ولا في غ .

الحجامـة

الحجامة ، استخراج الدم من قفا العنق ، أسفل القذال ، بالمحجم ، بأن يشرط الحجّام القفا بموساه ، ثم يضع المحجم ، وهو أداة كالكأس ، فيمتصّ الدم ، ويجتذبه ، والحجامة من الطبّ القديم ، وهي أحد ثلاثة أشياء كان الأطباء القدماء يوصون بها في كلّ سنة ، وهي : الحجامة ، والفصد ، وتناول المسهل ، وكان الناس يعتبرون القيام بهذه الثلاثة من الواجبات ، ويكون تحت إشراف الطبيب ، ويحتفلون بذلك ، وإذا احتجم الإنسان ، أو افتصد ، أو تناول مسهلاً ، جاءته الهدايا من أصحابه ومعارفه ، وقد أفرد الشيخ الرئيس ، ابن سينا ، في كتابه القانون ، فصلاً للحجامة ، أثبت فيه شروطها ، وكيفية إجرائها حـ ١/٢١٢-٢١٣ وفصلاً للفصد حـ ١/٢٠٤-٢١٢ ، وفصلاً في المسهلات حـ ١/١٩٦-٢٠٠ ، ومن الطريف أن نذكر أنّ جهل الأطبّاء في الماضي بأصول التعقيم ، كان يؤدّي ، في بعض الأحيان إلى إصابة من يفصدونه ، إصابة قد تؤدّي إلى وفاته ، فيتعرّض الطبيب للتهمة بأنّه قد سمّ المبضع الذي أجرى به الفصد ، ويكون ذلك سبباً لقتله ، وللتخلّص من هذه التهمة ، أصبح الطبيب ملزماً بأن يضع المبضع في فمه ، ويمتصّه ، قبل إجراء الفصد ، ثم يمسحه بلحيته ، ويقوم بالفصد ، فكانت النتيجة ، أن زادت نسبة الإصابات ، وتعرّض الطبيب للاتّهام بأنّه قد وضع السمّ في لحيته ، وقد أودت هذه التهم بحياة كثير من الأطبّاء الأبرياء .

٤٤٥
لسعته عقرب فعوفي

وحدّثني أبو جعفر طلحة بن عبيد الله بن قناش الطائي ، الجوهريّ ، البغداديّ ، قال :

كان في درب مهرويه ، بالجانب الشرقي ببغداد ، قديماً ، رجل من كبراء الحُجَرِيّة[١] ، وكان متشبّباً بغلام من غلمانه ، ربّاه صغيراً .

فاعتلّ الغلام علّة من بلسام ، وهو الذي تسميه العامة : البرسام[٢] ، فبلغ إلى درجة قبيحة ، وزال عقله .

فتفرّقوا عنه يوماً ، وهو في موضع فيه خيش ، ووكلوا صبيًّا بمراعاته ، فسمعوا صياح الفتى الموكّل به ، فبادروا إليه .

فقال : أنظروا إلى ما قد أصابه .

فإذا عقرب قد نزل من المسند على رأس العليل ، فلسعته في عدّة مواضع ، فإذا به قد فتح عينيه وهو لا يشكو ألماً .

فسألوه عن حاله ، فطلب ما يأكل ، فأطعموه ، وبرأ .

فلاموا طبيبه ، فقال : علامَ تلومونني ، لو أمرتكم أن تلسعوه بعقرب ، أكنتم تفعلون[٣] ؟

---

١ الحُجَرِيّة ، والساجيّة : صنفان من غلمان الخلافة ، فالحُجَرِيّة : ينسبون إلى حُجَرٍ كانت لهم ملحقة ببلاط الخليفة ، والساجيّة : نسبتهم إلى ابن أبي الساج ، راجع أخبارهم في تجارب الأمم ١/١١٦ و١١٧ ، ١٢٥ ، ١٣٧ ، ١٦٧ ، ١٩٤ ، ٢٢٢ ، ٢٦١-٢٦٤ ، ٢٨٦ ، ٣٠٦ ، ٣١٩ ، ٣٢٥ ، ٣٣٤ ، ٣٥١ ، ٣٥٧ .

٢ الاسم الصحيح للمرض : السرسام ، راجع حاشية القصّة ١٨٠ من الكتاب .

٣ نقلت القصّة عن ن ا و هـ ، ولم ترد في ر ولا في م ولا في غ .

٤٤٦
ابرأته مَضِيرةُ لعقت فيها أفعى

[حدّثني أبو بكر محمّد بن عبد الله بن محمّد الرازي ، المعروف بابن حمدون ، قال : حدّثني أبو بكر أحمد بن علي الرّازيّ الفقيه رحمه الله ، قال : سمعت أبا بكر بن قارون الرّازيّ ، وكان تلميذاً لأبي بكر محمّد بن زكريا الرّازيّ الطبيب ، قال أبو بكر بن حمدون : وقد رأيت هذا الرجل بالريّ ، وكان يحسن علوماً كثيرة ، منها الحديث ، ويرويه ، ويكتبه الناس عنه ، ويوثّقونه ، ولم أسمع هذا منه ، قال المؤلّف رحمه الله : ولم يتهيّأ لي مع كثرة ملاقاتي أبا بكر الرّازيّ الفقيه رحمه الله ، أن أسمع هذا الخبر منه ، قال ابن قارون][1] :

حدّثنا أبو بكر محمّد بن زكريّا الرّازيّ الطبيب ، بعد رجوعه من عند أمير خراسان ، لمّا استدعاه ليعالجه من علّة صعبة ، قال :

اجتزت في طريقي إلى نيسابور ، ببسطام[2] ، وهي النصف من طريق نيسابور إلى الريّ .

قال : فاستقبلني رئيسها ، فأنزلني داره ، وخدمني أتمّ حدمة وسألني أن أقف على ابن له به استسقاء .

فأدخلني إلى دار قد أفردها له ، فشاهدت العليل ، ولم أطمع في برئه ، فسألني

---

١ كذا ورد في ن ، وفي بقيّة النسخ : وعن أبي بكر بن قارون الرازي ، أقول : ترحّمه على الفقيه أبي بكر الرازي ، يعني أنّه دوّن هذه القصّة بعد السنة ٣٧٠ التي توفّي فيها الرازي .

٢ بسطام : قال ياقوت في معجم البلدان ٦٢٣/١ : إنّه رآها ، وهي مدينة كبيرة ، ذات أسواق ، تشرف عليها جبال عالية ، ولها نهر كبير جار ، وروي عن مسعر بن مهلهل : أنّ بسطام تمتاز بخاصّتين عجيبتين الأولى : أنّه لم ير بها رمدٌ قط ، والثانية : أنّه لم ير بها عاشق قطّ من أهلها ، ومتى دخل إنسان في قلبه هوى ، وشرب من مائها ، زال العشق عنه .

أبوه عن السرّ في حاله ، فصدقته ، وآيسته من حياة ابنه .

وقلت له : مكّنه من شهواته ، فإنّه لا يعيش .

ثم خرجت إلى خراسان ، فأقمت بها سنة كاملة ، وعدت ، فاستقبلني الرجل أبو الصبيّ فلم أشكّ في وفاته ، وتركت مساءلته عن ابنه ، فإنّي كنت نعيته إليه ، وخشيت من تثقيلي عليه ، فأنزلني داره ، ولم أجد عنده ما يدلّ على ذلك ، وكرهت مسائلته عن ابنه لئلّا أجدّد عليه حزناً .

فقال لي بعد أيّام : تعرف هذا الفتى ؟ وأومأ إلى شاب حسن الوجه والسحنة ، صحيح البدن ، كثير الدم والقوّة ، قائم مع الغلمان يخدمنا .

فقلت : لا .

فقال : هذا ابني الذي آيستني منه عند مضيّك إلى خراسان .

فتحيّرت ، وقلت له : عرّفني سبب برئه .

فقال : إنّه كان بعد قيامك من عندي ، فطن أنّك آيستني منه .

فقال لي : لست أشكّ أنّ هذا الرّجل – وهو أوحد زمانه في الطبّ – قد آيسك منّي ، والذي أسألك ، أن تمنع هؤلاء ، يعني غلماني الذين كنت قد أخدمته إيّاهم ، فإنّهم أترابي ، وإذا رأيتهم معافين ، وقد علمتُ أنّي ميّت ، تجدّد على قلبي الهمّ والمرض ، حتى يعجّل لي الموت ، فأرحني من هذا بأن لا أراهم ، وأفرد لخدمتي دايتي .

ففعلت ما سأل ، وكان يحمل إلى الداية في كلّ يوم ما تأكله ، وكانت الدّاية تأتيه بما يطلب من غير حمية .

فلمّا كان بعد أيّام يسيرة ، حمل إلى الدّاية مَضِيْرَةً[3] لتأكل منها ، فتركتها بحيث يقع عليها نظر ابني ، ومضت في شغل لها .

---

٣ المَضِيرَةُ : طعام يتّخذ من اللّحم الأحمر أو الأبيض ، يطبخ بالبصل والكرّاث والكسفرة والكمّون والمصطكي والدارصيني ، ويصبّ عليه اللبن ، للتفصيل راجع كتاب الطبيخ للبغداديّ ٢٤ .

فذكرت بعد أن عادت ، أنّ ابني قد نهاها عن أكل ما في الغضارة[4] ، ووجدتها قد ذهب كثير مما كان فيها ، وبقي بعضه متغيّر اللون .

قالت : فقلت له : ما السبب ؟

فقال : رأيت أفعى عظيمة قد خرجت من موضع ردبّت إليها وأكلت منها ثم قذفت فيها ، فصار لونها كما ترين ، فقلت : أنا ميّت ، وهوذا يلحقني ألم شديد ، ومتى أظفر بمثل هذا ؟ وجئت ، فأكلتُ من الغضارة ما استطعت ، لأموت عاجلاً وأستريح ، فلمّا لم أستطع زيادة أكل رجعت حتى جئت إلى فراشي ، وجئت أنت .

قالت : ورأيت أنا المضيرة على يده وفمه [٦٥ ن] فصحت .

فقال : لا تعلمي أبي شيئاً ، وادفني الغضارة بما فيها ، لئلا يأكلها إنسان فيموت ، أو حيوان فيلسع إنساناً فيقتله ، ففعلت ما قال ، وخرجت إليك .

قال : فلمّا عرّفتني ذلك ، ذهب عليّ أمري ، ودخلت إلى ابني ، فوجدته نائماً .

فقلت : لا توقظيه ، حتى ننظر ما يكون من أمره .

فأتيته آخر النهار ، وقد عرق عرقاً شديداً ، وهو يطلب المستحمّ[5] ، فأنهضناه إليه ، فاندفع بطنه ، فقام من ليلته ، ومن غده ، أكثر من مائة مجلس ، فازداد يأسنا منه ، وقلّ القيام ، إلّا أنّه استمرّ أيّاماً ، ثم انقطع القيام ، وقد صار بطنه مثل بطون الأصحّاء ، فطلب فراريج ، فأكل ، إلى أن صار كما ترى .

فعجبت من ذلك ، وذكرت أنّ الحكماء الأوائل قالت : إنّ المستسقي إذا أكل من لحم حيّة عتيقة مزمنة لها مئون سنين ، برأ ، ولو قلت لك ، إنّ هذا

---

٤ الغضارة : راجع حاشية القصّة ٢٤٩ من هذا الكتاب

٥ المستحمّ : كناية عن بيت الخلاء .

علاجه ، لظننت أنّي أدافعك ، ومن أين يعلم كم عمر الحيّة إذا وجدت ، فسكتُّ عنها[6] . [٢٤١ ر]

---

٦ هذه القصّة لم ترد في م ، ولا في غ .

البَابُ الحَادي عَشَر

من امتحن من اللصوص بسرق أو قطع ، فعوّض من الارتجاع والخلف بأجمل صنع

٤٤٧

قاطع طريق يردّ على القافلة ما أخذ منها

[حدّثني علي بن شيراز بن سهل القاضي بعسكر مكرم رحمه الله ، قال : حدّثني أبو الحسين عبد الواحد بن محمد الخصيبي ابن بنت ابن المدبّر ، ببغداد ، قال : حدّثني محمد بن عليّ ، قال : حدّثني الحسن بن دعبل بن عليّ الشاعر الخزاعي ، قال : حدّثني أبي][1] قال : لما قلت :

مدارس آيات خَلَتْ من تلاوة

قصدت بها أبا الحسن عليّ بن موسى الرضا ، وهو بخراسان ، وليّ عهد المأمون[2] ، فوصلت إليه ، وأنشدته إيّاها ، فاستحسنها ، وقال : لا تنشدها أحداً حتى آمرك .

واتّصل خبري بالمأمون ، فأحضرني ، وسألني عن خبري ، ثم قال لي : يا دعبل ، أنشدني : مدارس آيات خلت من تلاوة .

فقلت : لا أعرفها يا أمير المؤمنين .

فقال : يا غلام ، أحضر أبا الحسن عليّ بن موسى ، فلم يكن بأسرع من أن حضر .

---

١ كذا ورد في ن ، وفي بقيّة النسخ : حدّث أبو الحسن دعبل بن عليّ الخزاعي الشاعر .

٢ عهد المأمون للإمام الرضا بالخلافة من بعده في السنة ٢٠١ (خلاصة الذهب المسبوك ١٩٩) .

فقال له : يا أبا الحسن ، سألت دعبلاً عن «مدارس آيات» فذكر أنّه لا يعرفها .

فالتفت إليّ أبو الحسن ، وقال : أنشده يا دعبل .

فأنشدت القصيدة ، ولم ينكر المأمون ذلك ، إلى أن بلغت إلى بيت فيها ، وهو :

وآل رسول الله هلبٌ رقابهم   وآل زياد غلّظ القصرات

فقال : والله لأهلبنّها[٣] .

ثم تمّمتها إلى آخرها ، فاستحسنها ، وأمر لي بخمسين ألف درهم ، وأمر لي عليّ بن موسى بقريب منها .

فقلت : يا سيّدي ، أريد أن تهب لي ثوباً يلي بدنك ، أتبرّك به ، وأجعله كفناً .

فوهب لي قميصاً قد ابتذله ، ومنشفة ، وأظنّه قال : وسراويل .

قال : ووصلني ذو الرئاستين ، وحملني على برذون أصفر ، وكنت أسايره في يوم مطير ، وعليه ممطر خزّ[٤] ، فأمر لي به ، ودعا بغيره فلبسه ، وقال : إنّي آثرتك به ، لأنّه خير الممطرين ، قال : فأعطيت به ثمانين ديناراً ، فلم تطب نفسي ببيعه .

وقضيت حاجتي ، وكررت راجعاً إلى العراق .

فلما صرت ببعض الطريق ، خرج علينا أكراد يعرفون بالماريخان[٥] ، فسلبوني ، وسلبوا القافلة ، وكان ذلك في يوم مطير .

فاعتزلت في قميص خَلَقٍ قد بقي عليّ ، وأنا متأسّف – من جميع ما كان عليّ – على القميص والمنشفة اللذين وهبهما لي عليّ بن موسى الرضا ، إذ مرّ بي واحد من

---

٣ هلب الشَعْر : نتفه وجزّه .

٤ الممطر : ما يلبس في المطر ، يتوقّى به ، والخزّ : نسج من الصوف والحرير ، أو من الحرير وحده .

٥ سمّاهم ابن الأثير في تاريخه : الماريانيّة ، وذكر أنّ عامل الموصل في السنة ٣٠٩ أوقع بهم فقتل وأسر منهم جماعة بعثهم إلى بغداد فشهروا (ابن الأثير ١٢٩/٨) .

الأكراد ، وتحته البرذون الأصفر الذي حملني عليه ذو الرياستين ، وعليه الممطر الخزّ ، ثم وقف بالقرب منّي ، وابتدأ ينشد : مدارس آيات ، ويبكي .

فلما رأيت ذلك ، عجبت من لصّ كرديّ يتشيّع ، ثم[6] طمعت في القميص والمنشفة .

فقلت : يا سيّدي لمن هذه القصيدة ؟

فقال : ما أنت وذاك ، ويلك .

فقلت له : فيه سبب أخبرك به .

فقال : هي أشهر من أن يجهل صاحبها .

قلت : فمن هو ؟

قال : دعبل بن عليّ الخزاعي ، شاعر آل محمد ، جزاه الله خيراً .

فقلت له : يا سيدي ، أنا – والله – دعبل ، وهذه قصيدتي .

فقال : ويلك ، ما تقول ؟

فقلت : الأمر أشهر من ذلك ، فسل أهل القافلة ، [٢٥٥ غ] تخبر بصحّة ما أخبرتك به .

فقال : لا جَرَمَ – والله – لا يذهب لأحد من أهل القافلة خلالة[7] فما فوقها .

ثم نادى في الناس : من أخذ شيئاً فليردّه على صاحبه ، فردّ على الناس أمتعتهم ، وعليّ جميع ما كان معي ، ما فقد أحدٌ عقالاً[8] .

---

٦ إلى هنا انتهى الخرم في مخطوطة غ وبدأت من جديد .

٧ الخلالة : التمرة قبل أن تنضج .

٨ العقل ، في اللغة : المنع ، والحبس ، ومنه سمي العقل ، لأنّه يمنع العاقل من الدنايا ، والعِقال : الحبل الذي يشدّ به البعير ، فيعقله ، أي يحبسه عن الحركة ، وكذلك العقال الذي يوضع على الرأس ، فيعقل الكوفيّة التي يغطّى بها الرأس ، أي يحبسها ، ويمنعها من مزايلة موضعها ، ولمّا ارتدّ قوم من العرب عن الإسلام في زمن الصدّيق أبي بكر ، ومنعوا الزكاة ، حاربهم ، وقال : لو منعوني عِقالاً ، لجاهدتهم عليه (الطبري ٣/٢٤٤) ، وقال ابن عمّار الأندلسي ، يهجو الرميكية زوجة المعتمد =

ثم رحلنا إلى مأمننا سالمين .

قال راوي هذا الخبر عن دعبل : فحدّثت بهذا الحديث عليّ بن بهزاد الكردي [٩] فقال لي : ذاك – والله – أبي الذي فعل هذا [١٠] .

بن عبّاد ، صاحب أشبيلية ، فأدّى ذلك إلى قتله :

تحيّرتها من بنات الهجان   رميكية ما تساوى عِقالا
فجاءت بكلّ قصير الذراع   لئيم المناسب عمًّا وخالا

٩ في غ وفي ن : علي بن بهرام الكردي .

١٠ هذه القصّة لم ترد في م ، وقد أورد ياقوت في معجم الأدباء ٤/١٩٤–١٩٧ خمسة وأربعين بيتاً من قصيدة دعبل التائية ، مدارس آيات خلت من تلاوة ، وذكر أنّه قصد بها الإمام الرضا بخراسان ، فأعطاه عشرة آلاف درهم ، وخلع عليه بردة من ثيابه ، فأعطاه بها أهل قمّ ثلاثين ألف درهم ، فلم يبعها ، فقطعوا عليه الطريق ليأخذوها ، فقال لهم : إنّها تراد لله عزّ وجلّ ، وهي محرّمة عليكم ، وحلف أنّه لا يبيعها ، أو يعطوه بعضها ليكون في كفنه ، فدفعوا إليه ثلاثين ألف درهم ، وأعطوه كمًّا واحداً منها ، فكان في أكفانه .

٤٤٨

قاطع طريق يتفلسف

وحدّثني عبد الله بن عمر بن الحارث الواسطي السراج ، المعروف بأبي أحمد الحارثيّ ، قال :

كنت مسافراً في بعض الجبال ، فخرج علينا ابن سباب[1] الكرديّ ، فقطع علينا ، وكان بزيّ الامراء ، لا بزيّ القطّاع .

فقربت منه لأنظر إليه وأسمع كلامه ، فوجدته يدلّ على فهم وأدب ، فداخلته فإذا برجل فاضل ، يروي الشعر ، ويفهم النحو ، فطمعت فيه ، وعملت في الحال أبياتاً مدحته بها .

فقال لي : لست أعلم إن كان هذا من شعرك ، ولكن اعمل لي على قافية هذا البيت ووزنه شعراً الساعة ، لأعلم أنّك قلته ، وأنشدني بيتاً .

قال : فعملت في الحال اجازة له ثلاثة أبيات .

فقال لي : أيّ شيء أخذ منك ؟ لأردّه إليك .

قال : فذكرت له ما أخذ منّي ، وأضفت إليه قماش رفيقين كانا لي .

فردّ جميع ذلك ، ثم أخذ من أكياس التجّار التي نهبها ، كيساً فيه ألف درهم ، فوهبه لي .

قال : فجزيته خيراً ، ورددته عليه .

فقال لي : لم لا تأخذه ؟ فورّيت[2] عن ذلك .

---

١ كذا وردت في غ : ابن سباب ، وفي ن ، وردت : ابن شباب ، وفي ر ، وردت : ابن ساب ، بلا نقط ، وفي هـ : ابن سيار ، وسقطت القصّة من م .

٢ التورية : إرادة شيء وإظهار غيره ، ومنه التورية في علم البديع ، بذكر كلمة يدلّ ظاهرها على شيء ، وباطنها على شيء غيره .

فقال : أحبّ أن تصدقني .

فقلت : وأنا آمن ؟

فقال : أنت آمن .

فقلت : لأنّك لا تملكه ، وهو من أموال [٢٤٢ ر] الناس الذين أخذتها منهم الساعة ظلماً ، فكيف يحلّ لي أن آخذه ؟

فقال لي : أما قرأت ما ذكره الجاحظ في كتاب اللصوص ، عن بعضهم ، قال : إنّ هؤلاء التجّار خانوا أماناتهم [٦٦ ن] ، ومنعوا زكاة أموالهم ، فصارت أموالهم مستهلكة بها ، واللصوص فقراء إليها ، فإذا أخذوا أموالهم – وإن كرهوا أخذها – كان ذلك مباحاً لهم ، لأنّ عين المال مستهلكة بالزكاة ، وهؤلاء يستحقّون أخذ الزكاة ، بالفقر ، شاء أرباب الأموال أم كرهوا .

قلت : بلى ، قد ذكر الجاحظ هذا ، ولكن من أين يعلم إنّ هؤلاء ممن استهلكت أموالهم الزكاة ؟

فقال : لا عليك ، أنا أحضر هؤلاء التجّار الساعة ، وأريك بالدليل الصحيح أنّ أموالهم لنا حلال .

ثم قال لأصحابه : هاتوا التجّار ، فجاءوا .

فقال لأحدهم : منذ كم أنتَ تتّجر في هذا المال الذي قطعنا عليه ؟

قال : منذ كذا وكذا سنة .

قال : فكيف كنت تخرج زكاته ؟ فتلجلج ، وتكلّم بكلام من لا يعرف الزكاة على حقيقتها فضلاً عن أن يخرجها .

ثم دعا آخر ، فقال [٢٥٦ غ] له : إذا كان معك ثلثمائة درهم ، وعشرة دنانير ، وحالت عليك السنة ، فكم تخرج منها للزكاة ؟ فما أحسن أن يجيب .

ثم قال لآخر : إذا كان معك متاع للتجارة ، ولك دين على نفسين ، أحدهما مليء ، والآخر معسر ، ومعك دراهم ، وقد حال الحول على الجميع ، كيف تخرج زكاة ذلك ؟

قال : فما فَهِمَ السؤال ، فضلاً عن أن يتعاطى الجواب .

فصرفهم ، ثم قال لي : بان لك صدق حكاية أبي عثمان الجاحظ ؟ وأنّ هؤلاء التجار ما زكّوا قط ؟ خذ الآن الكيس .

قال : فأخذته ، وساق القافلة لينصرف بها .

فقلت : إن رأيت أيّها الأمير أن تنفذ معنا من يبلغنا المأمن ، كان لك الفضل .

ففعل ذلك [٣] .

٣ هذه القصّة لم ترد في م .

٤٤٩

القاضي التّنوخي والد المؤلّف

والكرخي قاطع الطريق

وحدّثني أبي رضي الله عنه ، قال :

لما كنت مقيماً بالكرخ ، أتقلّد القضاء بها ، [وبالمرج وأعمالها][1] ، كان بوّابي رجل من أهل الكرخ ، له ابن ، هو ابن عشر سنين أو نحوها ، وكان يدخل داري بلا إذن ، ويمرح مع غلماني ، وأهب له في الأوقات دراهم وثياباً ، وأحمله ، وأرقّصه ، كما يفعل الناس بأولاد غلمانهم .

ثم صرفتُ عن الكرخ ، ورحلتُ ، ولم أعرف للرجل ولا لولده خبراً .

ومضت السنون ، فأنفذني أبو عبد الله البريدي[2] من واسط ، برسالة إلى أبي

---

١ الزيادة من هـ .

٢ أبو عبد الله محمّد بن أحمد البريدي : أحد دجّالي الدنيا وشياطينها (تجارب الأمم ١/١٥٨) وصفه الخليفة الراضي بأنّه كان كاتباً صغيراً ، فرفع بعد خمول ، وعاملاً من أواسط العمّال ، فاصطنع ، وأهّل لجليل الأعمال ، فطغى ، وكفر النعمة ، وجازى على الإحسان بالسوء ، وخلع الطاعة (تجارب الأمم ١/٣٥٨ ، ١٥٩) وكان أبو عبد الله في السنة ٣١٥ يضمن الضياع الخاصّة بالأهواز ، ولمّا وزر ابن مقلة رشاه أبو عبد الله بعشرين ألف دينار ، فقلّده الأهواز (تجارب الأمم ١/١٥٢ ، ١٥٨) ثمّ تنقّل بين حالات عمل واعتقال ومصادرة ، حتّى استولى في السنة ٣٢٣ على جميع الأهواز تغلّباً (تجارب الأمم ١/٣٢٠) وحارب الجيش العبّاسي ، فكسره ، وقتل قائده ياقوت (تجارب الأمم ١/٣٣٩) ثمّ ضمن الأهواز والبصرة وواسط (تجارب الأمم ١/٣٥٨ و ٣٦٤) ولم يحمل مالاً للحضرة ، فحاربه الجيش العبّاسي ففرّ البريدي من الأهواز في طيّار ، وغرق الطيّار ، وسلم هو ، وقال : والله ، ما نجونا من الغرق بصالح أعمالنا ، ولكن لصاعقة يريدها الله بهذه الدنيا (تجارب الأمم ١/٣٧١) ولمّا قتل بجكم ، جاء إلى بغداد متغلّباً ، فاضطرّ المتّقي إلى استيزاره ، فصادر المتّقي على خمسمائة ألف دينار ، فانصرفت إليه أطماع الجند ، وثاروا به ففرّ ، ثمّ استوزر مجدداً ، وأرسل جيشاً إلى الحضرة ، صحبة أخيه أبي الحسين ، =

بكر بن رائق ، فلقيته بحدود العَاقول ، وانحدرت أريد واسطاً[3] .

وقد كان قيل لي قبل إصعادي ، أنّ في الطريق لصّاً يعرف بالكرخيّ ، مستفحل الأمر .

وكنت خرجت من واسط ، بطالع اخترته ، على موجب تحويل مولدي لتلك السنة ، وقد استظهرت عند نفسي ، وكفاني الله تعالى – في إصعادي – أمر اللصّ ، فلم أر له أثراً .

فلمّا انحدرت إلى واسط ، وكنّا في بعض الطريق ، خرج علينا اللصوص في سفن عدّة ، بقسيّ ، ونشّاب ، وسلاح شاك[4] ، وهم نحو مائة نفس ، كالعسكر العظيم .

وكان معي غلمان يرمون ، فحلفت أنّ من رمى منهم بسهم ، ضربته إذا صرت في البلد مائة مقرعة ، وذلك أنّي خفت أن يقصدنا اللصوص ، ثم لا يرضون إلاّ بقتلي .

قال : وبادرت فأخذت ذلك السلاح الذي كان معهم ، فرميت جميعه في الماء ، واستسلمت للأمر طلباً للسلامة .

فعسف أهلها ، وظلم الناس الظلم المعروف للبريديّين ، فاستغاثوا بناصر الدّولة الذي انحدر من الموصل ، وطرده (تجارب الأمم ١٥/٢ ، ١٦ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٦) وكان أبو عبد الله مبذّراً ، أما أبو يوسف أخوه ، فكان مدبّراً (القصّة ١١/٣ من كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للتنوخي) ، وكان أبو عبد الله يلحّ على أخيه أبي يوسف في طلب القروض ، فكان يعطيه اليسير ، بعد اللّوم والتأنيب ، ثمّ بلغه أنّ أبا يوسف يريد القبض عليه فعاجله ، بأن أقام غلمانه بباب داره بالأبلّة ، فلمّا بلغ إليهم وثبوا عليه ، فقتلوه ، وأراد الأخ الثالث أبو الحسين ، أن يتدخّل ، فهدّده ، فكفّ ، ومات أبو عبد الله بعد أخيه أبي يوسف بثمانية أشهر وثلاثة أيّام (تجارب الأمم ٥١/٢ و ٥٨) ، راجع حاشية القصّة ٢٥٩ من الكتاب .

٣ كان القاضي التنوخي ، والد المؤلّف ، يعمل عند أبي عبد الله البريدي ، وكان البريدي قد استخلفه بواسط على بعض أمور النظر (معجم الأدباء ٣٣٢/٥) .

٤ السلاح الشاك : هو السلاح التامّ المعد للقتال .

وجلست أفكّر في الطالع الذي خرجت به ، فإذا ليس ما يوجب – عندهم – القطع عليّ[٥] ، والناس قد أديروا إلى الشاطىء ، وأنا في جملتهم ، حيث تفرغ سفنهم ، وينقل ما فيها إلى الشطّ ، وهم يخبطون بالسيوف ، وكنت في وسط الكار[٦] ، وما انتهى الأمر إليّ .

فجعلت أعجب من حصول القطع ، وأنّ الطالع لا يوجبه ، ولست أتّهم علمي مع هذا .

فأنا كذلك ، وإذا بسفينة فيها رئيسهم قد طرح على زبزبي[٧] كما يطرح على سفن التجار[٨] ، ليشرف على ما يؤخذ منها .

فحين رآني ، منع أصحابه من انتهاب شيء من زبزبي ، وصعد إليّ وحده ، فتأمّلني طويلاً ، ثم انكبّ وقبل يدي ، وكان متلثّماً[٩] ، فلم أعرفه .

قال : فارتعت ، وقلت : يا هذا مالك ؟

فسفر [٢٥٧ غ] ، وقال : أما تعرفني [٢٤٣ ر] يا سيّدي ؟ فتأمّلته ، وأنا جزع ، فلم أعرفه .

فقلت : لا والله .

فقال : بلى ، أنا عبدك ، ابن فلان الكرخيّ حاجبك ، وأنا الصبيّ الذي ربّيتني في دارك ، وكنت تحملني على عنقك ، وتطعمني بيدك .

---

٥ كان القاضي أبو القاسم التنوخي ، والد المؤلّف ، من المولعين بعلم التنجيم ، ولعلّ ولعه هذا ، كان من أسباب التعجيل بوفاته ، راجع القصّة ١٧٢/٢ من نشوار المحاضرة .

٦ الكار : مجموعة السفن المنحدرة من موضع واحد .

٧ الزبزب : ضرب من السفن ، للتفصيل راجع معجم المراكب والسفن في الإسلام لحبيب زيّات ص ٣٣٥ و ٣٣٦ في مجلّة المشرق سنة ٤٣ آب – كانون الأوّل ١٩٤٩ .

٨ طرح عليه : يعني طرح على سفينته ما يمسكها عن الحركة ، ثمّ يمدّ إليها لوحة تسمّى ببغداد : الدّوسة ، وهي التي يدوس عليها من أراد الوصول إلى السفينة ، وما زال التعبيران مستعملين ببغداد .

٩ اللّثام : حجاب يغطى به الأنف والفم ، ومنه سمّي التقبيل في الفم : لثماً ، لأنّ القبلة تغطّي الشفتين .

فتامّلته ، فإذا الخلقة خلقته ، إلاّ أنّ اللحية غيّرته في عيني ، فسكن خاطري[١٠] .

وقلت : يا هذا ، كيف بلغت إلى هذا الحال ؟

قال : يا سيّدي ، نشأتُ ، فلم أتعلّم غير معالجة السلاح ، وجئت إلى بغداد أطلب الديوان[١١] ، فما قبلني أحد ، فانضاف إليّ هؤلاء الرجال ، وطلبت قطع الطريق ولو كان السلطان أنصفني ، ونزّلني بحيث أستحق من الشجاعة ، وانتفع بخدمتي ، ما كنت أفعل هذا بنفسي .

قال : فأقبلت عليه أعظه ، وأخوّفه الله ، ثم خشيت أن يشقّ ذلك عليه ، فيفسد رعايته لي ، فأقصرت .

ثم قال : يا سيّدي ، لا يكوّن بعض هؤلاء قد أخذ منك شيئاً ؟

قلت : ما ذهب منّا إلاّ سلاح رميته أنا الى الماء ، وشرحت له الصورة .

فضحك ، وقال : قد والله أصاب القاضي ، فمن في الكار ممّن تعنى به حتى أطلقه ؟

قلت : كلّهم عندي بمنزلة واحدة ، فلو أفرجتَ عن الجميع كان أحسن بك .

فقال : والله ، لولا أنّ أصحابي قد تفرّقوا بما أخذوا ، لفعلت ، ولكنّهم لا يطيعوني في ردّه ، ولكنّي لا أدع ما بقي من السفن في الكار أن يؤخذ منها شيء ، فجزيته خيراً .

فصعد إلى الشطّ ، وأصعد جميع أصحابه ، ومنع أن يؤخذ شيء من باقي السفن ، فما تعرّض لها أحد ، وردّ على قوم ضعفاء أشياء كثيرة كانت أخذت منهم ، وأطلق الكار .

وسار معي في أصحابه ، إلى أن صار بيني وبين المأمن شيء يسير ثم ودّعني ، وانصرف في أصحابه[١٢] .

---

١٠ في غ : فسكن روعي .

١١ يعني أراد أن تستخدمه الحكومة في عمل من أعمالها .

١٢ لم ترد القصّة في م ، وجاء في كتاب الأوراق – أخبار الراضي والمتّقي – للصولي ، ص ٢٢٦ ما يلي : في السنة ٣٣٠ أخذ رجلٌ يعرف بالكرخي ، يقطع في طريق واسط ، حتّى انقطع الطريق من أجله ، فقتل .

٤٥٠

ابن حمدي اللصّ البغدادي

وفتوّته وظرفه

وحدّثني عبد الله بن عمر الحارثي ، قال : حدّثني بعض التّجار البغداديّين ، قال :

خرجتُ بِسِلَعٍ لي ، ومتاع من بغداد أريد واسطاً ، وكان البريديّ بها ، والدنيا مفتتنة [جدّاً][1] .

فقطع عليّ ، وعلى الكار الذي كنت فيه ، لصّ كان في الطريق ، يقال له : ابن حمدي[2] ، يقطع قريباً من بغداد ، فأفقرني ، وكان معظم ما أملكه معي ، فسهل عليّ الموت ، وطرحت نفسي له .

وكنت أسمع ببغداد ، أنّ ابن حمدي هذا ، فيه فتوّة ، وظرف ، وأنّه إذا قطع ، لم يعرض لأرباب البضائع اليسيرة ، التي تكون دون الألف درهم ، وإذا أخذ ممن حاله ضعيفة شيئاً ، قاسمه عليه ، وترك شطر ماله في يديه ، وأنّه لا يفتش امرأة ،

---

١ الزيادة من غ .

٢ ابن حمدي ، اللّص البغداديّ : اشتهر بفتوّته وظرفه ، وكان لا يعرض لأصحاب البضائع اليسيرة ، الّتي تكون دون الألف درهم ، وإذا أخذ ممّن حاله ضعيفة شيئاً ، قاسمه عليه ، وترك له شطر المال ، واشتهر عنه أنّه لا يفتّش امرأة ، ولا يسلبها ، ولمّا أعيي السلطان أمره ، خلع عليه ابن شيرزاد في السنة ٣٣٢ وأثبته برسم الجند ، ووافقه على أن يؤدّي للسلطان في كلّ شهر خمسة عشر ألف دينار ، ممّا يسرقه وأصحابه ، وأخذ خطّه بذلك ، وكان يستوفيها منه ، ويأخذ البراءات ، وروزات الجهبذ ، أي الوصولات الرسميّة (تجارب الأمم ٢/٥١) ثمّ إنّ توزون قلّد أبا العبّاس اشكورج الديلمي الشرطة ببغداد ، فقبض في نفس السنة ، أي ٣٣٢ ، على ابن حمدي ، وقتل توسيطاً ، أي قطع بدنه من منتصفه بالسيف ، فخفّ مكروه اللصوص عن النّاس ، وانقطع شرّهم ، بعد أن تحارس النّاس بالبوقات ، وامتنع عنهم النوم ، خوفاً من كبساته (تجارب الأمم ٢/٥٥ والأوراق للصولي ص ٢٥٩) .

ولا يسلبها ، وحكايات كثيرة مثل ذلك .

فأطمعني ذلك في أن يرقّ لي ، فصعدت إلى الموضع الذي هو جالس فيه ، وخاطبته في أمري ، وبكيت ، ورقّقته ، [٦٧ ن] ووعظته ، وحلفت له أنّ جميع ما أملكه قد أخذه ، وأنّي أحتاج إلى أن أتصدّق[٣] من بعده .

فقال لي : يا هذا ، الله بيننا وبين هذا السلطان الذي أحوجنا إلى هذا ، فإنّه قد أسقط أرزاقنا ، وأحوجنا إلى هذا الفعل ، ولسنا [٢٥٨ غ] فيما نفعله نرتكب أمراً أعظم مما يرتكبه السلطان .

وأنت تعلم أنّ ابن شيرزاد ببغداد يصادر الناس ويفقرهم ، حتى أنّه يأخذ الموسر المكثر ، فلا يخرج من حبسه ، إلاّ وهو لا يهتدي إلى شيء غير الصدقة ، وكذلك يفعل البريديّ بواسط والبصرة ، والديلم بالأهواز .

وقد علمت أنّهم يأخذون أصول الضياع ، والدور ، والعقار ، ويتجاوزون ذلك إلى الحرم والأولاد ، فاحْسَبْ أنّنا نحن مثل هؤلاء ، وأنّ واحداً منهم صادرك .

فقلت : أعزّك الله ، ظُلْمُ الظَلَمَةِ ، لا يكون حجّة ، والقبيح لا يكون سنّة ، وإذا وقفتُ أنا وأنت ، بين يدي الله عزّ وجلّ ، أترضى أن يكون هذا جوابك له ؟

فأطرق مليّاً ، ولم أشكّ في أنّه يقتلني ، ثم رفع رأسه ، فقال : كم أخذ منك ؟ فصدقته .

فقال : أحضروه ، فأحضر ، فكان كما ذكرت ، فأعطاني نصفه .

فقلت له : الآن ، قد وجب حقّي عليك ، وصار لي بإحسانك إليّ حرمة .

فقال : أجل .

فقلت : إنّ الطريق فاسد ، وما هو إلاّ أن أتجاوزك حتى يؤخذ هذا منّي أيضاً ، فأنفذ معي من يوصلني إلى المأمن .

---

٣ التصدّق : طلب الصدقة ، تعبير بغداديّ ، والصدقة : عطيّة يراد بها طلب المثوبة ، لا المكرمة .

قال : ففعل ذلك ، وسلمت [٢٤٤ ر] بما أفلت معي ، فجعل الله فيه البركة ، وأخلف[٤] .

٤ لم ترد هذه القصّة في م .

٤٥١

قطع عليه الطريق فتخلّص بخاتم عقيق

حدّثني الحسن بن صافي ، مولى ابن المتوكل القاضي[١] ، وكان أبوه يعرف بغلام ابن مقلة قال :

لما حصل المتّقي لله بالرقّة[٢] ، ومعه أبو الحسين علي بن محمد بن عليّ ، ابن مقلة ، وزيره ، كاتبني بأن أخرج إليه ، فخرجت ، ومعي جماعة من أسبابه ، وأسباب الخليفة إلى هيت .

وضمّ إلينا ابن فتيان خفراءَ ، يؤدّونا إلى الرقّة ، ورحلت من هيت ، ومعنا الخفراء والغلمان ، ومن انحدر معنا من هيت ، فصرنا نحواً من مائتي مقاتل .

فلما كان في اليوم الرابع من مسيرنا ، ونحن في البرّ الأقفر ، وقد نزلنا نستريح ، إذا بسواد عظيم من بعيد ، لا نعلم ما هو ، فلم نزل نرقبه إلى أن بان لنا ، وإذا هو نحواً من مائة مطيّة ، [على كلّ مطيّة رجلان][٣] .

فجمعنا أصحابنا ورجالنا ، وقرب القوم منّا وأناخوا جمالهم وعقلوها[٤] ، وأخذوا جحفهم ، وسلّوا سيوفهم ، وتقدّمهم رئيس لهم ، فقال لنا : يا معشر المسافرين ، لا يسلّنّ أحد منكم سيفاً ، ولا يرمي بسهم ، فمن فعل ذلك فهو مقتول .

ففشل كلّ من كان معنا ، وقاتل قوم منّا قتالاً ضعيفاً ، وخالطنا الاعراب ، وأخذوا جماعة منّا ، وأخذونا ، وجميع ما كان معنا ، فأقتسموه ، وتركونا مطرّحين في الشمس .

---

١ في ن : مولى أبي المتوكّل .

٢ كان ذلك في السنة ٣٣٣ (تجارب الأمم ٢/٦٧) .

٣ الزيادة من هـ .

٤ عقلوها : شدّوها بالعِقال ، وجمعه عُقُل ، بضم العين والقاف ، راجع حاشية القصّة ٤٤٧ من هذا الكتاب .

فإذا بي قد عريت ، وبقي عليّ خَلَقٌ لا أتوارى منه بشيء ، وليس معي ماء أشربه ، ولا ظهر أركبه ، وليس بيني وبين الموت إلاّ ساعات يسيرة ، فقامت عليّ القيامة ، واشتدّ جزعي ، ولم يكن لي حيلة ، فأيست من الحياة .

فأنا كذلك ، إذ وجدت شستجة[٥] ، كان لي فيها خاتم عقيق ، كبير الفصّ ، كثير الماء ، فأخذته ، ووقع لي في الحال وجه الحيلة ، فجعلته في قطن ، وخبأته معي [٢٥٩ غ] وقصدت رئيس القوم ، وهو الذي تولّى أخذ مالي ، وعرف موضعي وقدري .

فقلت له : قد رأيت عظيم ما أخذته منّي ، وأنا خادم الخليفة أطال الله بقاءه ، وقد خرجت لأمر كبير من خدمته ، وقد فزتَ بما أخذته منّي ، فما قولك في أمر آخر أعظم مما أخذته ، أعاملك به ، وأسديه إليك حلالاً لا يجري مجرى الغصوب ، على أنّ تؤمّنني على نفسي ، وترد عليّ من ثيابي ما يسترني ، وتردّ عليّ من دوابّي دابّة ، وتسقيني ماء ، وتسيّرني حتى أحصل في مأمني ؟

فقال : ما هو ؟

قلت : تعطيني أمانك ، وعهودك ، وذمامك ، على الوفاء ، ففعل .

فانفردت به ، وجعلت يدي مقابلة للشمس ، وأريته الخاتم ، وأقمتُ فصّه في شعاع الشمس ، فكاد يخطف بصره ، ورأى ما لم ير مثله .

وقال : استره ، وقل لي خبره .

فقلت : هذا خاتم الخلافة ، وفصّه هذا ياقوت أحمر ، وهو الذي يتداوله الخلفاء منذ العهد الطويل ، ويعرف بالجبل ، ولا يقوم أمر الخلفاء إلاّ به ، وقد كان مخبوءاً ببغداد ، فأمرني الخليفة أن أحمله إليه في جملة ما حملته ، وحيث حصل

---

٥ الشستجة : المنديل ، أو القطعة من القماش تستعمل للمسح ، ويسمّيها البغداديّون اليوم : الكفّية ، قاله ميخائيل عوّاد في رسوم دار الخلافة ٧٥ .

هذا الخاتم من بلاد الله ، تشبّث الخلفاء إلى أخذه بكلّ ثمن ، وإن حصل عندك حتى تمتنع من بيعه إلاّ بمائة ألف دينار – ولم يقدروا عليك – لأعطوك إيّاها ، والرأي أن تأخذه ، وتنفذه إلى ناحية الشام ، وتخفي حصول الخاتم في يدك ، فإنّي إذا حضرت بحضرة الخليفة ، وعرّفته خبره ، جاءتك رسله بالرغائب ، حتى يرتجع منك بأيّ ثمن احتكمت .

فقال : إذاً خذ من ثيابك ما تريد .

فأخذت من ثيابي ما احتجت إليه ، وأخذ الخاتم فخبأه في جيبه ، وأركبني راحلة موطّأة ، وأعطاني إداوتين[6] كبيرتين ماءً ، وسار معي ، والناس قد هلكوا من العطش .

ولم يزل يسير معي ، إلى أن بلغنا إلى حصن في البرّيّة ، يعرف بالزيتونة[7] ، من بناء هشام بن عبد الملك ، وفيه رجل من بني أميّة ، يكنى بأبي مروان ، معه في الحصن نحواً من مائتي رجل .

فلما حصلت عنده ، انصرف الأعرابيّ ، وعرّفت أبا مروان خبري في القطع [٢٤٥ ر] ومن أنا ، فأعظم أمري ، وأكرمني ، وأنفذ معي من أصحابه من بلّغني الرقّة سالماً[8]

٦ الاداوة ، جمعها أداوي : إناء من الجلد .

٧ الزيتونة : موضع في بادية الشام ، كان ينزله هشام بن عبد الملك ، فلمّا عمّر الرصافة ، انتقل إليها (مراصد الاطلاع ٦٧٩/٢) .

٨ هذه القصّة لم ترد في م .

٤٥٢

سرق ماله بالبصرة واستعاده بواسط

حدّثني محمد بن عمر بن شجاع [المتكلّم ، ويلقّب بجنيد ، قال : حدّثني][1] رجل من الدقّاقين[2] ، في دار الزبير[3] بالبصرة ، قال :

أورد عليّ رجل غريب ، سفتجة بأجل[4] ، فكان يتردّد عليّ ، إلى أن حلّ ميعاد السفتجة .

ثم قال لي : دعها عندك حتى آخذها متفرّقة ، فكان يجيء في كلّ يوم فيأخذ بقدر نفقته إلى أن نفدت ، وصار بيننا معرفة ، وألف الجلوس عندي ، وكان يراني أخرج من كيسي من صندوقٍ لي ، فأعطيه منه .

فقال لي يوماً : إنّ قفل الرجل ، صاحبه في سفره ، وأمينه في حضره ، وخليفته على حفظ ماله ، والذي ينفي الظنّة عن [٢٦٠ غ] أهله وعياله ، فإن لم يكن وثيقاً تطرّقت الحيل عليه ، وأرى قفلك هذا وثيقاً ، فقل لي ممن ابتعته [٦٨ ن] ، لأبتاع مثله .

فقلت : من فلان بن فلان الأقفاليّ ، في جوار باب الصفّارين[5] .

---

١ الزيادة من غ .

٢ الدقّاق : بائع الدقيق .

٣ دار الزبير : الموضع الذي فيه قبر الزبير بن العوام بالبصرة ، وكان اسم الموضع ، وادي السباع ، فلمّا دفن فيه أصبح اسمه دار الزبير ، واسمه الآن : الزبير ، وهو ناحية ، تابعة لمحافظة البصرة .

٤ السفتجة : أن تعطي مالاً لرجل ، فيعطيك خطاً يمكّنك من استرداد هذا المال من عميل له في مكان آخر ، وإذا كان الخطّ يشترط أداء المال في وقت مؤجّل ، فهي سفتجة بأجل .

٥ كذا وردت في ر و غ والصحيح : جوبات الصفّارين ، والجوبة : الساحة الخالية بين الأماكن المعمورة ، وتتّخذ عادة مواضع لإقامة الأسواق الأسبوعيّة ، ولاجتماع الناس ، والجوبة : محلّة من محلاّت بغداد في زماننا هذا .

قال : فما شعرت يوماً ، وقد جئت إلى دكّاني ، فطلبت صندوقي لأخرج منه شيئاً من الدراهم ، فحمله الغلام إليّ ، ففتحته ، فإذا ليس فيه شيء من الدراهم .

فقلت لغلامي ، وكان غير متّهم عندي : هل أنكرت من الدرابات شيئاً ؟

قال : لا

فقلت : فتّش ، هل ترى في الدكان نقباً ؟

قال : لا .

فقلت : فمن السقف حيلة ؟

قال : لا .

قلت : فاعلم أنّ الدراهم قد ذهبت .

فقلق الغلام ، فسكّنته ، وقمت لا أدري ما أصنع ، وتأخّر الرجل عنّي ، فلمّا غاب اتّهمته ، وذكرت مسألته عن القفل .

فقلت للغلام : أخبرني كيف تفتح دكّاني وتغلقه ؟

قال : رسمي أن ادرّب درابتين درابتين ، والدرابات[٦] في المسجد ، فأحملها في دفعات ، اثنتين أو ثلاثاً ، فأشرجها ، ثم أقفل ، وكذلك عندما أفتحها .

فقلت : البارحة ، واليوم ، فعلت ذلك ؟

قال : نعم .

فقلت : فإذا مضيت لتردّ الدرابات ، أو تحضرها ، على من تدع الدكان ؟

قال : خالياً .

قلت : فمن هنا دهيت[٧] .

---

٦ الدرابات : أبواب من الخشب ، تصفّ الواحدة فوق الأخرى ، ويمدّ عليها حديد ، يربط بقفل ، أو أقفال ، وبذلك يتمّ إغلاق الدكّان ، والكلمة فارسيّة الأصل ، إما دربان : ومعناها حافظ الباب ، وإما درباي : ومعناها أسفل الباب .

٧ في هـ : فمن هنا وقع الشرّ .

ومضيت إلى الصانع الذي ابتعت منه القفل . فقلت : جاءك إنسان منذ أيّام . واشترى منك مثل هذا القفل ؟

قال : نعم ، رجل من صفته كيت وكيت ، فأعطاني صفة صاحبي .

فعلمت أنّه احتال على الغلام وقت المساء ، لما انصرفت أنا ، ومضى الغلام يحمل الدرابات ، فدخل هو إلى الدكان فاختبأ فيه ، ومعه مفتاح القفل الذي اشتراه ، والذي يقع على قفلي ، وأنّه أخذ الدراهم ، وجلس طول ليلته خلف الدرابات . فلما جاء الغلام ، وفتح درابتين ، وحملها ليرفعها ، خرج ، وأنّه ما فعل ذلك ، إلاّ وقد خرج إلى بغداد .

فسلّمت دكاني إلى الغلام ، وقلت له : من سأل عنّي فعرّفه أنّي خرجت إلى ضيعتي .

قال : فخرجت ، ومعي قفلي ومفتاحه ، وقلت : أبتدئ بطلب الرجل بواسط . فلمّا صعدت من السميريّة ، طلبت خاناً في الكتبيّين[8] بواسط ، لأنزله ، فأرشدت إليه ، فصعدت ، فإذا بقفل مثل قفلي سواء على بيت .

فقلت لقيّم الخان : هذا البيت من ينزله ؟

فقال : رجل قدم من البصرة أمس .

فقلت : أيّ شيء صفته ؟

فوصف لي صفة صاحبي ، فلم أشكّ أنّه هو ، وأنّ الدراهم في بيته .

فاكتريت بيتاً إلى جانبه ، ورصدت البيت ، حتى انصرف قيّم الخان ، وقمت ففتحت القفل بمفتاحي ، فحين دخلت البيت ، وجدت كيسي بعينه ، فأخذته ،

---

٨ بشأن سوق الكتبيّين في واسط وبغداد ، راجع التعليق في حاشية القصّة ٤٦٩ من هذا الكتاب .

وخرجت وأقفلت الباب ، ونزلت في الوقت إلى السفينة التي جئت فيها ، وأرغبت الملاّح ، وأنحدرت إلى البصرة .

فما أقمت بواسط إلاّ ساعتين من نهار ، ورجعت إلى منزلي بمالي بعينه[٩] .

---

٩ هذه القصّة لم ترد في م ، ووردت في كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للقاضي التنوخي ، مؤلّف هذا الكتاب ، برقم القصّة ٨/٩٧ .

٤٥٣

وضع السيف على عنقه ثم نجا سالماً

وحدّثني عبيد الله بن محمد الصروي[١] ، قال [٢٦١ غ] : حدّثني أكّار بنهر سابس [يقال له : سارخ][٢] ، قال :

خرجت من نهر سابس[٣] ، إلى موضع في طرف البرّيّة ، يقال له : كرخ راذويه[٤] ، أريد أعمال سقي الفرات .

فبلغني أنّ رجلاً يقطع الطريق وحده ، وحذّرت منه .

فلما خرجت من القرية ، رأيت رجلاً تدلّ فراسته على شدّته ونجدته ، وفي يده زقاية[٥] ، فجسّرني على الطريق .

قال : فترافقنا ، حتى انتهينا إلى سقاية في البرّيّة ، فخرج علينا اللصّ متحزّماً ، متسلّحاً ، فصاح بنا .

فطرح رفيقي كارة كانت على ظهره ، وأخذ زقايته ، وبادر إلى اللصّ .

فلمّا داخله اللصّ ليضربه ، ضرب بعصاه يد اللصّ ، فعطل اللصّ الضربة ، وضرب الزقاية فقطعها ، ثم ضرب بسيفه رِجْلَ الرجل فأقعده ، ثم وشّحه بالسيف[٦]

---

١ أبو القاسم عبيد الله بن محمّد الصروي : ترجمته في حاشية القصّة ٢٤٦ من هذا الكتاب .

٢ الزيادة من غ .

٣ نهر سابس : فوق واسط بيوم ، وعليه قرى (معجم البلدان ٨٤٠/٤) .

٤ كرخ راذويه : موضع بقرب واسط ، عمل فيه شباشي الحاجب ، الملقّب بالسعيد ، المتوفّى سنة ٤٠٨ ، مشهداً ، وحفر المصانع عنده ، وفي طريقه ، راجع المنتظم ٢٨٨/٧ .

٥ الزقاية : العصا الغليظة ، وقد فسّرها التنوخي في القصّة ، حيث قال : وضرب بعصاه يد اللصّ ، فضرب اللصّ الزقاية بسيفه ، فقطعها بالسيف ، والبغداديّون يسمّون العصا الغليظة توثيّة ، فصيحة ، نسبتها للتوث ، لغة في التوت ، وفي ن : في يده عصا .

٦ الوشاح : شبه القلادة من نسيج عريض ، يشدّ بين العاتقين والكشحين ، والتوشيح بالسيف : يعني =

حتى قتله . وحمل عليّ ليقتلني .

فقلت له : ما حاربتك ، ولا امتنعت عليك من أخذك ثيابي ، فلأيّ شيء تقتلني ؟

فقال : استكتِفْ[7] فاستكتفت ، فكتّفني بتكّتي[8] ثم حمل الثياب وانصرف .

فبقيت متحيّراً ، مشفياً على التلف ، بالعطش ، والشمس ، والوحوش ، فما زلت أتمطّى في التكّة حتى قطعتها ، وقمت أمشي إلى أن جنّني الليل .

فرأيت في الصحراء – على بعد – ضوءَ نارٍ خفيّاً ، فقدّرته في قرية ، فقصدته ، فإذا هو يخرج من قبّة في الصحراء ، فقربت منها ، واطّلعت ، فإذا اللصّ جالس في القبّة ، يشرب نبيذاً ، ومعه امرأة .

فلمّا بصر بي صاح ، وتناول سيفه وخرج إليّ ، فما زلت أناشده الله ، وأحلف له أنّني ما علمت أنّه هو ، ولا قصدته عمداً ، وإنّما رأيت النار فقصدتها ، فلم يعبأ بقولي .

وحلّفَتْهُ المرأة أن لا يقتلني بحضرتها ، فجذبني إلى نهرٍ جافّ قريب من القبّة ، وطرحني تحته ، وجرّد سيفه ليقتلني .

فسمع صوت الأسد قريباً منه ، فارتعدت يده ، وسكت ، وأخذ يسكتني ، فأنست بالسَّبُع[9] وزدت في الصياح .

فما شعرت إلاّ والسّبع قد تناوله من على صدري وهرول في الصحراء .

أنّه ضربه به في موضع الوشاح . وهذا مثل قولهم : قنّعه بالسيف : أي ضربه به في موضع القناع ، وهو الرأس .

٧ استكتِف : ضمّ يديه إلى صدره ، ووقف منتظراً أن يكتّف .

٨ التكّة : ما تربط به السراويل ، معرّب : جمعه : تكك (شفاء الغليل ٥٢) وفي تفسير الألفاظ الدخيلة ١٩ : إنّ أصلها أرامي : تكتا ، معناه : رباط ، وشدّ .

٩ السَبع : المفترس من الحيوان مطلقاً ، والسَّبُعُ من الطير : ما أكل اللّحم خالصاً ، والبغداديّون يسمّون الأسد : السبع ، ويكنّونه : أبا خميّس ، ويكنون عن الشجاع ، بقولهم : سَبِعْ .

فقمت ، وأخذت السيف ، وجئت إلى القبّة ، فلم تشكّ المرأة أنّني هو ، فقالت : قتلته ؟

فقلت : الله عزّ وجلّ قتله ، لا أنا ، وقصصت عليها القصّة ، وسألتها عن شأنها .

فقالت : أنا امرأة من أهل القرية الفلانيّة ، أسرني هذا الرجل ، وخبأني في هذا الموضع ، وهو يتردّد إليّ في كل ليلة .

فأرهبتها ، فدلّتني على دفائن له في الصحراء ، فأخذتها ، وحملت المرأة ، وبلغت القرية ، وسلمتها إلى أهلها .

وفزت بمال عظيم أغناني عن مقصدي ، وعدت إلى بلدي[10] .

---

١٠ لم ترد هذه القصّة في م .

٤٥٤

كيف استعاد التاجر البصري ماله

وحدّثني أيضاً ، قال : حدّثني ابن الدنانيري التمّار الواسطيّ[١] ، قال : حدّثني غلام لي قال :

كنت ناقداً[٢] بالأبلّة[٣] ، لرجل تاجر ، فاقتضيت[٤] له في البصرة نحو خمسمائة دينار عيناً[٥] وَوَرِقاً[٦] ، ولففتها في فوطة ، وأشفيت على المصير إلى الأبلّة .

فما زلت أطلب ملاّحاً ، حتى رأيت ملاّحاً مجتازاً في خيطيّة[٧] خفيفة فارغة ، فسألته أن يحملني ، فسهّل عليّ الأجرة ، وقال : أنا راجع إلى منزلي بالأبلّة ، فانزل [٢٦٢ غ] معي ، فنزلت ، وجعلت الفوطة بين يديّ .

وسرنا إلى أن تجاوزنا مسماران[٨] ، فإذا رجل ضرير[٩] على الشطّ[١٠] ، يقرأ أحسن قراءة تكون .

---

١ في ن : ابن أبي الدنانير التمّار الواسطي .

٢ الناقد : الجابي .

٣ الأُبُلَّةُ : بلدة على شاطئ دجلة البصرة العظمى ، في زاوية الخليج الذي يدخل إلى مدينة البصرة (معجم البلدان ١/٩٦) .

٤ الاقتضاء : المطالبة والقبض .

٥ العين : الذهب ، ويريد به الدنانير .

٦ الوَرِق : بفتح الواو ، وكسر الراء : الفضّة ، ويريد به الدراهم .

٧ الخيطيّة : قال صاحب معجم المراكب والسفن في الإسلام : المراكب الخيطيّة ، تعمل بالأبلّة ، أقول : والظاهر من تسميتها ، أنّها دقيقة الشكل ، سريعة الحركة .

٨ مسماران : من ضواحي البصرة ، وكانت مقرّاً للبريديّين ، وكان الوزير المهلّبي ينزلها (تجارب الأمم ٥٣/٢ ، ٦٠ ، ١١٢ ، والقصّة رقم ٢٧/١ من كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للقاضي التنوخي) .

٩ الضرير : الذاهب البصر ، ويقال له : البصير أيضاً .

١٠ الشطّ : شاطئ النهر .

فلمّا رآه الملاّح كبّر ، فصاح هو بالملاّح : احملني ، فقد جنّني الليل ، وأخاف على نفسي ، فشتمه الملاّح .

فقلت له : احمله ، فدخل إلى الشطّ فحمله ، فلمّا حصل معنا رجع إلى قراءته ، فخلب عقلي بطيبها .

فلمّا قربنا من الأبلّة ، قطع القراءة ، وقام ليخرج في بعض المشارع [٦٩ ن] في الأبلّة ، فلم أر الفوطة ، فقمت واقفاً ، واضطربت ، وصحت .

فاستغاث الملاّح ، وقال : الساعة تقلب الخيطيّة ، وخاطبني خطاب من لا يعلم حالي .

فقلت له : يا هذا ، كانت بين يديّ فوطة [٢٤٧ ر] فيها خمسمائة دينار .

فلما سمع الملاّح ذلك ، بكى ، ولطم ، وتعرّى من ثيابه ، وقال : أدخل الشطّ ففتّش ، ولا لي موضع أخبئ فيه شيئاً فتتّهمني بسرقته ، ولي أطفال ، وأنا ضعيف ، فاللهَ ، اللهَ في أمري ، وفعل الضرير مثل ذلك .

وفتّشت الخيطيّة فلم أجد شيئاً ، فرحمتهما ، وقلت : هذه محنة لا أدري كيف التخلّص منها ، وخرجنا ، فعملت على الهرب ، وأخذ كلّ واحد منّا طريقاً ، وبتّ في بيتي ، ولم أمض إلى صاحبي ، وأنا بليلة عظيمة .

فلما أصبحت ، عملت على الهرب إلى البصرة ، لأستخفي فيها أيّاماً ، ثم أخرج إلى بلد شاسع[11] .

فانحدرت ، فخرجت في مشرعة بالبصرة ، وأنا أمشي وأتعثّر وأبكي قلقاً على فراق أهلي وولدي ، وذهاب معيشتي وجاهي ، إذ اعترضني رجل .

فقال : يا هذا ، ما بك ؟

فقلت : أنا في شغل عنك[12] ، فاستحلفني ، فأخبرته .

---

١١ الشاسع : البعيد .

١٢ في غ : أنا في شغل عن طنزك بي ، والطنز : السخريّة .

فقال : امضِ إلى السجن ببني نمير[١٣] ، واشترِ معك خبزاً كثيراً ، وشواءً جيّداً ، وحلوى ، وسل السجّان أن يوصلك إلى رجل محبوس ، يقال له : أبو بكر النقّاش ، وقل له : أنا زائره ، فإنّك لا تمنع ، وإن منعت ، فهب للسجّان [شيئاً يسيراً فإنّه يدخلك إليه ، فإذا رأيته فسلّم عليه ولا تخاطبه حتى تجعل بين يديه][١٤] ما معك ، فإن أكل وغسل يديه ، فإنه يسألك عن حاجتك ، فأخبره خبرك ، فإنّه سيدلّك على من أخذ مالك ، ويرتجعه لك .

ففعلت ذلك ، ووصلت إلى الرجل ، فإذا هو شيخ مثقل بالحديد .

فسلّمت عليه ، وطرحت ما معي بين يديه ، فدعا رفقاءً كانوا معه فأقبلوا يأكلون معه ، فلمّا استوفى وغسل يديه .

قال : من أنت ، وما جاء بك ؟ فشرحت له قصّتي .

فقال : امض الساعة لوقتك – ولا تتأخّر – إلى بني هلال[١٥] ، فاقصد الدرب الفلاني حتى تنتهي إلى آخره ، فإنّك تشاهد باباً شعثاً ، فافتحه وادخل بلا استئذان ، فستجد دهليزاً طويلاً يؤدّي إلى بابين ، فادخل الأيمن منهما ، فسيدخلك إلى دارٍ فيها بيت فيه أوتاد وبواري ، وعلى كلّ وتد إزار ومئزر ، فانزع ثيابك ، وعلّقها على الوتد ، واتّزر بالمئزر [واتّشح بالإزار][١٦] ، واجلس ، فسيجيء قوم يفعلون كما فعلت ، إلى أن يتكاملوا ، ثم يؤتون بطعام فكل معهم ، وتعمّد أن تفعل كما يفعلون في كلّ شيء .

فإذا أتوا بالنبيذ فاشرب معهم أقداحاً يسيرة ، ثم خذ قدحاً كبيراً ، فاملأه ،

---

١٣ كان بيت العامل ، والسجن ، ومقرّ صاحب الشرطة ، ببني نمير ، راجع القصّة ١٢٤/١ والقصّة ١٢٨/٢ من كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للقاضي التّنوخي .

١٤ ساقطة من غ .

١٥ في غ : إلى بني فلان .

١٦ الزيادة من غ .

وقم ، وقل : هذا ساري[17] لخالي أبي بكر النقّاش ، فسيضحكون [٢٦٣ غ] ويفرحون ، ويقولون : هو خالك ؟ فقل : نعم ، فسيقومون ويشربون لي ، فإذا تكامل شربهم لي ، وجلسوا ، فقل لهم : خالي يقرأ عليكم السلام ، ويقول لكم : بحياتي يا فتيان ، ردّوا على ابن أختي المئزر الذي أخذتموه أمس من السفينة بنهر الأبلّة ، فإنّهم يردّونه عليك .

فخرجت من عنده ، ففعلت ما قال لي ، وجرت الصورة ، على ما ذكر ، سواء بسواء ، وردّت الفوطة عليّ بعينها ، وما حلّ شدّها .

فلمّا حصلَتْ لي ، قلت لهم : يا فتيان ، هذا الذي فعلتموه هو قضاء لحقّ خالي ، وأنا لي حاجة تخصّني .

فقالوا : مقضيّة .

فقلت : عرّفوني كيف أخذتم الفوطة ؟ فامتنعوا ، فأقسمت عليهم بحياة أبي بكر النقّاش .

فقال لي واحد منهم : تعرفني ؟ فتأمّلته ، فإذا هو الضرير الذي كان يقرأ . وإنّما كان يتعامى حيلة ومكراً .

وأومأ إلى آخر ، وقال : أتعرف هذا ؟ فتأمّلته ، فإذا هو الملاّح بعينه .

فقلت : أخبراني كيف فعلكما ؟

فقال الملاّح : أنا أدور في المشارع في أوّل أوقات المساء ، وقد سبقت المتعامي فأجلسته حيث رأيت ، فإذا رأيت من معه شيء له قدر ، ناديته وأرخصت عليه الأجرة وحملته ، فإذا بلغ إلى القارىء ، وصاح بي ، شتمته ، حتى لا يشكّ الراكب في براءة الساحة ، فإن حمله الراكب فذاك ، وإن لم يحمله رقّقته حتى يحمله ، فإذا حمله ، وجلس هذا يقرأ [٢٤٨ ر] قراءته الطيّبة ، ذهل الرجل كما ذهلت أنت ، فإذا بلغنا إلى موضع نكون قد خلّينا فيه رجلاً متوقّعاً لنا ، يسبح حتى يلاصق

---

[17] ساري : تعبير قام مقامه الآن كلمة : نخب ، وقوله : هذا ساري لخالي فلان ، يعني أنّه يشرب نخبه .

السفينة ، وعلى رأسه قوصرة[18] ، فلا يفطن الراكب ، فيستلب هذا الرجل المتعامى – بخفّة – الشيءَ الذي قد عينّا عليه ، فيلقيه إلى الرجل الذي عليه القوصرة ، فيأخذها ويسبح إلى الشطّ ، فإذا أراد الراكب النزول[19] ، وافتقد ما معه ، عملنا كما رأيت ، فلا يتّهمنا ، ونتفرَّق ، فإذا كان الغد ، اجتمعنا واقتسمنا ما أخذناه ، [واليوم كان يوم القسمة][20] ، فلما جئت برسالة خالك أستاذنا ، سلّمنا إليك الفوطة ،

قال : فأخذتها ، وانصرفت[21]

18 القوصرة : وعاء ، مثل الكيس ، يتّخذ من القصب ، ليوضع فيه التمر المكبوس ، فان كان من خوص النخيل ، فهو كيشه (بالكاف الفارسية) ، وإن كان من الجلد على هيأة الزقّ ، فهو حلاّنة ، والحلاّن : صغار الغنم .

19 في غ : فاذا أراد الراكب الصعود .

20 الزيادة من غ .

21 هذه القصّة لم ترد في م ، وقد وردت في نشوار المحاضرة برقم القصّة ٥٣/٧ .

٤٥٥

صادف درء السيل درءاً يصدعه

حدّثني عبيد الله بن محمد الصروي ، قال : حدّثني بعض إخواني :

أنّه كان ببغداد رجل يطلب التلصّص في حداثته ، ثم تاب وصار بزّازاً .

قال : فانصرف ليلة من دكانه ، وقد أغلقه ، فجاء لصّ متزيّ بزيّ صاحب الدكّان ، في كمّه شمعة صغيرة ، ومفتاح ، فصاح بالحارس ، وأعطاه الشمعة في الظلمة ، وقال : أشعلها وجئني بها ، فإنّ لي في هذه الليلة في دكاني شغلاً .

فحضر الحارس وأشعل الشمعة ، وركّب اللصّ المفاتيح على الأقفال ففتحها ، ودخل الدكّان .

فجاء الحارس بالشمعة مشعلة ، فأخذها منه وهو لا يتبيّن وجهه ، وجعلها بين يديه ، وفتح سفط الحساب ، وأخرج ما فيه ، وجعل ينظر في الدفاتر ، ويوري[1] بيده أنّه يحسب ، والحارس يطالعه في تردّده ، ولا يشكّ في أنّه صاحب الدكّان .

إلى أن [٢٦٤ غ] قارب السَحَر ، فاستدعى اللصُّ الحارسَ ، وكلّمه من بعيد ، وقال له : أطلب لي حمّالاً .

فجاء بحمّال ، فحمل عليه من متاع الدكّان أربع زرم مثمنة[2] ، وأقفل الدكّان ، وانصرف ومعه الحمّال ، وأعطى الحارس درهمين ، فلمّا أصبح الناس ، جاء صاحب الدكّان ليفتحه ، فقام إليه الحارس يدعو له ، ويقول : فعل الله بك وصنع كما أعطيتني البارحة الدرهمين .

فأنكر الرجل ما سمعه ، ولم يردّ جواباً ، وفتح دكّانه ، فوجد سيلان الشمعة ،

---

١ يوري : بمعني يُري ، تعبير استعمله التنوخي في أكثر من موضع ، ولم أجد له أصلاً في اللغة ، والبغداديّون الآن يقولون : يراوي .

٢ المثمِنة : غالية الثمن ، تعبير بغدادي ، ما يزال مستعملاً إلى الآن .

وحسابه مطروحاً ، وفقد الرزم الأربع ، فاستدعى الحارس ، وقال له : من كان [٧٠ ن] الذي حمل معي الرزم البارحة من دكّاني ؟

فقال له الحارس : أليس استدعيت منّي حمّالاً ، فجئتك به ، فحملها معك ؟

قال : بلى ، ولكنّي كنت ناعساً متنبّذاً[٣] ، وأريد الحمّال ، فجئني به ،

فمضى الحارس فجاءه بالحمّال ، فأغلق الرجل الدكّان ، وأخذ الحمّال معه ، ومشى ، وقال : إلى أين حملت الرزم البارحة ، فإني كنت متنبّذاً .

قال : إلى المشرعة الفلانيّة ، واستدعيت فلاناً الملاّح ، فركبت معه .

فصعد الرجل المشرعة ، فسأل عن الملاّح فدلّ عليه وركب معه . وقال : أين أوصلت اليوم أخي الذي كان معه الأربع رزم ؟

قال : إلى المشرعة الفلانيّة .

قال : أطرحني إليها ، فطرحه .

قال : ومن حملها معه ؟

قال : فلان الحمّال .

فدعا به ، ولطّفه ، وقال : أين حملت الرزم الأربع البارحة ؟ واستدلّه برفق وأعطاه شيئاً ، فجاء به إلى باب غرفة ، في موضع بعيد عن البلد ، قريب من الصحراء ، فوجد الباب مقفلاً .

واستوقف الحمّال إلى أن فشّ القفل[٤] وفتح الباب ، ودخل ، فوجد الأربع رزم بحالها ، وإذا في البيت بركان[٥] معلّق على حبل ، فلفّ الرزم فيه ، ودعا الحمّال فحملها .

---

٣ تنبّذ : شرب النبيذ .

٤ فشّ القفل : فتحه من دون مفتاح .

٥ البركان : اسم صنف من أصناف القماش كان يلفّ حول البدن ، فتكون القطعة الواحدة منــــه مئزراً ورداء ، ثمّ أطلق على المعاطف الّتي تصنع من ذلك القماش ، للتفصيل راجع معجم دوزي في أسماء الألبسة عند العرب ٦٨ .

[فحين خرج من الغرفة ، استقبله اللصّ ، وفهم الأمر ، فاتّبعه إلى الشطّ ، فجاء إلى المشرعة ، ودعا الملاّح ليعبر][6] .

فدعا الحمّال من يحطّ عنه ، فجاء اللصّ ، فحطّ عنه ، كأنّه مجتاز متطوّع ، فأدخل الرّزم إلى السفينة مع صاحبها ، ثم جعل البركان على كتفه ، وقال للتاجر : يا أخي أستودعك الله ، فقد استرجعت رزمك ، فدع كسائي .

فضحك منه وقال : أنزل ولا خوف عليك .

فنزل معه ، فاستتابه ، ووهب له شيئاً ، وصرفه[7] .

٦ ساقطة من غ .

٧ لم ترد هذه القصّة في م ، ووردت في نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للقاضي التنوخي برقم القصّة ٥٥/٧ .

٤٥٦

قصة الأخوين عاد وشدّاد

وحكى عبيد الله بن محمد بن الحسن العبقسي الشاعر ، قال : حدّثني شاعر كان يعرف بغلام أبي الغوث ، قال :

كنت من أهل قرية من نواحي الشام ، أسكنها أنا وأسلافي ، فكنّا نطحن أقواتنا في رحى ماءٍ على فراسخ من البلد ، يخرج إليها أهل البلد وأهل القرى المجاورة بغلاّتهم ، فتكثر ، فلا يتمكّن من الطحن إلاّ الأقوى فالأقوى .

فمضيت مرّة ومعي غلّة ، وحملت معي خبزاً ولحماً مطبوخاً يكفيني لأيّام ، وكان الزمان شاتياً ، لأقيم على الرحى ، حتى يخفّ الناس فأطحن فيها ، على عادتي تلك .

فلما صرت عند الرحى ، حططت أعدالي[1] ، وجلست في موضع نزه ، وفرشت سفرتي لآكل .

واجتاز بي رجل عظيم الخلقة ، فدعوته ليأكل ، فجلس فأكل كلّما كان في سفرتي ، حتى لم يدع فيها شيئاً ، ولا أوقيّة واحدة .

فعجبت من ذلك عجباً شديداً بانَ [٢٦٥ غ] له فيّ ، فأمسك ، وغسلنا أيدينا .

فقال لي : على أي شيء مقامك هنا ؟

فقلت : لأطحن هذه الغلّة .

فقال لي : فلم لا تطحنها اليوم ، فأخبرته بسبب تعذّر ذلك عليّ .

قال : فثار كالجمل ، حتى شقّ الناس وهم مزدحمون على الرحى ، وهي

---

١ العِدْل ، بكسر العين : الغرارة ، تحمّل بها الدابة على أحد جانبي ظهرها ، وتعدّل بأخرى تعادلها على الجانب الثاني ، جمعه أعدال ، وعدول .

تدور ، فجعل رجله عليها فوقفَتْ ولم تَدُرْ .

فعجب الناس ، وقال : من فيكم يتقدّم ؟

فجاء رجل أيّد شديد ، فأخذ بيده ، ورمى به كالكرة ، وجعله تحت رجله الأخرى ، فما قدر أن يتحرّك .

وقال : قدّموا غلّتي إلى الطحن وإلاّ كسرت الرحى ، وكسرت عظام هذا .

فقالوا : يا هذا هات الغلّة ، فجئت بها ، فطحنت ، وفرغت منها ، وجعلتها في الأعدال .

وقال لي : قم .

قلت : إلى أين ؟

قال : إلى منزلك .

قلت : لا أسلك الطريق وحدي ، فإنّه مخوف ، ولكن أصبر حتى يفرغ أهل قريتي ، وأرجع معهم .

فقال : قم وأنا معك ، ولسنا نخاف – بإذن الله عزّ وجلّ – شيئاً .

فقلت في نفسي : من كانت تلك القوّة قوّته يجب أن آنس به ، فقمت ، وحملت الغلّة على الحمير ، وسرنا إلى أن جئنا إلى قريتي ، ولم نلق في طريقنا بأساً .

فلمّا دخلت إلى بيتي ، خرج والدي وإخوتي ، وعجبوا من سرعة ورودي بالغلّة ، ورأوا الرجل ، فسألوني عن القصّة ، فأخبرتهم .

وسألنا الرجل أن يقيم في ضيافتنا ، ففعل ، فذبحنا له بقرة ، وأصلحنا له سكباجاً ، وقدّم إليه ، فأكل الجميع بنحو المائة رطل خبزاً .

فقال له أبي : يا هذا ، ما رأيت مثلك قطّ ، فأيّ شيء أنت ؟ ومن أين معاشك ؟

قال : أنا رجل من الناحية الفلانيّة ، واسمي شدّاد ، وكان لي أخ أشدّ بدناً وقلباً منّي ، واسمه عاد ، وكنّا نبذرق[٢] القوافل من قريتنا إلى مواضع كثيرة ، ولا نستعين

---

٢ البذرقة : حماية المسافر وخفارته ، راجع ما كتبه أحمد تيمور في مجلّة المجمع العلمي العربي بدمشق ج ٨ م ٣ .

بأحد ، وتخرج علينا الرجال الكثيرة ، فألقاهم أنا وأخي فقط فنهزمهم ، فاشتهر أمرنا ، حتى كان إذا قيل قافلة عاد وشدّاد ، لم يعرض لها أحد ، فمكثنا كذلك سنين كثيرة .

فخرجنا مرة أنا وأخي ، نسيّر قافلة قد خفرناها ، فلمّا صرنا بالفلاة ، رأينا سواداً مقبلاً نحونا ، فاستطرفنا أن يقدم علينا أحد ، ثم بان لنا شخص رجل أسود ، على ناقة حمراء ، ثم خالطنا .

وقال : هذه قافلة عاد وشدّاد ؟

قلنا : نعم .

فترجّل ودعانا للبراز ، فانتضينا سيوفنا وانقضضنا عليه ، فضرب ساق أخي بالسيف ضربة أقعدته ، وعدا عليّ ، فقبض على كتفي ، فما أطقت الحركة .

فكتّفني ، ثم كتّف أخي ، وطرحنا على الناقة كالزاملتين[3] ، ثمّ ركبها وسار بعد أن أخذ من القافلة ما كان فيها من عَيَنْ ، وَوَرِقٍ ، وحليّ ، وشيئاً من الزاد ، وأوقر الراحلة بذلك .

وسار بنا على غير محجّة ، في طريق لا نعرفه ، بقيّة يومنا وليلتنا وبعض الثاني ، حتى أتى جبلاً لا نعرفه ، فأوغل فيه ، وبلغ إلى وجه منه فدخله ، فانتهى إلى مغارات ، فأناخ الراحلة ، ثم رمى بنا عنها ، وتركنا في الكتاف .

وجاء إلى مغارة على بابها صخرة عظيمة لا يقلعها إلاّ الجماعة ، فنحّاها عن الباب [٢٦٦ غ] واستخرج منها جارية حسناء ، فسألها عن [٢٥٠ ر] خبرها ، وجلسا يأكلان ممّا جاء به من الزاد ، ثم شربا ، فقال لها : قومي ، فقامت ، ودخلت الغار .

ثم جاء إلى أخي ، فذبحه وأنا أراه ، وسلخه ، وأكله وحده ، حتى لم يدع منه إلاّ عظامه .

---

٣ الزاملة : الدابّة التي يحمّل عليها المتاع .

ثم استدعى الجارية ، فخرجت ، وجعلا يشربان ، فلما توسّط شربه ، جرّني ، فلم أشكّ أنّه يريد ذبحي ، فإذا هو قد طرحني في غار من تلك المغارات ، وحلّ كتافي ، وأطبق الباب بصخرة عظيمة ، فأيست من الحياة ، وعلمت أنّه قد أدّخرني لغدٍ .

فلما كان في الليل ، لم أحسّ إلاّ بامرأة تكلّمني ، فقلت لها : ما بالك ؟

فقالت : إنّ هذا العبد قد سكر ونام ، وهو يذبحك في غد كما ذبح [٧١ ن] صاحبك ، فإن كانت لك قوّة فاجهد في دفع الصخرة واخرج فاقتله ، وأنج بي وبنفسك .

فقلت : ومن أنت ؟

قالت : أنا امرأة من البلد الفلانيّ ، ذات نعمة ، خرجت أريد أهلاً لي في البلد الفلانيّ ، فخرج علينا هذا العدوّ لله ، فأهلك القافلة التي كنت فيها ، ورآني فأخذني غصباً ، وأنا منذ كذا وكذا شهراً ، على هذه الصورة ، يرتكب منّي الحرام ، وأشاهد ذبحه للناس وأكله لهم ، ولا يوصف له إنسان بشدّة بدن إلاّ قصده ، حتى يقهره ، ثم يجيء به فيأكله ، ويعتقد أنّ شدّته تنتقل إليه ، وإذا خرج حبسني في الغار ، وخلّف عندي مأكولاً وماءً لأيّام ، ولو اتّفق أنّه يحتبس عنّي - فضل يوم - متُّ جوعاً وعطشاً .

فقلت : إنّني ما أطيق قلع الصخرة .

قالت : ويلك ، فجرّب نفسك .

قال : فجئت إلى الصخرة فاعتمدت عليها بقوّتي ، فتحرّكت ، فإذا قد وقع تحت الصخرة حصاة صغيرة ، وقد صارت الصخرة مركّبة تركيباً صحيحاً ، وذلك لما أراده الله تعالى من خلاصي .

فقلت : أبشري ، ولم أزل أجتهد ، حتى زحزحت الصخرة شيئاً أمكنني الخروج منه ، فخرجتُ .

فأخذت سيف الأسود ، واعتمدت بكلتي يديّ فضربت ساقيه ، فإذا قد أبنتُ[4] أحدهما وكسرت الأخرى ، فانتبه ، ورام الوثوب فلم يقدر ، فضربته الأخرى على حبل عاتقه[5] فسقط ، وضربته أخرى فأبنتُ رأسه .

وعمدت إلى المغارات فأخذت كلّما وجدت فيها من عَيْنٍ ، وَوَرِقٍ ، وجوهر ، وثوب فاخر خفيف الحمل ، وأخذت زاداً لأيّام ، وركبت راحلته[6] ، وأردفت المرأة ، ولم أزل أسلك في طرق لا أعرفها ، حتى وقعتُ على محجّة ، فسلكتها ، فأفضت بي إلى بعض القرى ، فسلّمت الراحلة إلى المرأة ، وأعطيتها نفقة تكفيها إلى بلدها ، وسيّرتها مع خفراء ، وعدتُ إلى بلدي بتلك الفوائد الجليلة .

وعاهدت الله تعالى ، أن لا أتعرّض للطريق ، ولا للخفارة أبداً .

وأنا الآن آكل من ضياع اشتريتها من ذلك المال ، وأقوم بعمارتها ، وأعيش من غلّتها ، إلى الآن[7] .

---

٤ أبان : فصل وقطع .

٥ العاتق : ما بين المنكب والعنق .

٦ الراحلة من الإبل : القويّ منها على الأحمال والأسفار .

٧ لم ترد هذه القصّة في م .

٤٥٧

قارع سبعين من قطّاع الطريق وانتصف منهم

وحكى سعد بن محمد بن عليّ الأزدي ، الشاعر البصريّ المعروف بالوحيد ، قال : حدّثني أبو عليّ الكرديّ ، رجل رأيته بعسكر [٢٦٧ غ] عمران بن شاهين[١] قصده من عند حسنويه بن الحسين الكرديّ[٢] ، فقبله ، وأجرى عليه ، وكان شجاعاً نجداً ، فحدّثني ، قال :

خرجنا مرّة بالجبال[٣] ، في أيّام موسم الحجّ ، عددنا سبعون رجلاً ، من فارس وراجل ، فاعترضنا الحاجّ الخراسانية ، وكمنّا لهم .

وكان لنا عين[٤] في القافلة ، فعاد وعرّفنا أنّ في القافلة رجلاً من أهل شاش[٥] وفرغانة[٦] معه اثني عشر حملاً بزّاً ، وجارية في قبّة[٧] عليها حلي ثقيل ، فجعلنا أعيننا عليه ، حتى وثبنا عليه ، وهو وجاريته في عمّارية .

---

١ أبو الحسين عمران بن شاهين السلمي ، أمير البطائح : ترجمته في حاشية القصّة ٥٩ من الكتاب .

٢ حسنويه بن الحسين الكردي البرزيكاني : أمير جيش البرزينية من الأكراد البرزيكان ، تغلّب على منطقة واسعة ما بين أذربيجان إلى شهرزور ، ودام حكمه خمسين سنة ، وكان حسن السيرة ، ضابطاً لأمره ، منع أصحابه من التلصّص ، وكان كثير الصدقة بالحرمين ، توفّي بسرماج سنة ٣٦٩ (ابن الأثير ٧٠٥/٨ و٧٠٦) .

٣ الجبال ، أو الجبل : اسم شامل للإقليم المعروف بعراق العجم ، ومن جملة مدنه همذان ، وأصبهان ، والريّ ، وقزوين (المفترق صقعاً ٩٤) .

٤ العين : الجاسوس ، وعين اللصوص ، هو الذي يدلّهم على مواطن السرقات ، ويسهّل لهم ارتكابها ، والبغداديّون يسمّونه : وَتِي ، بكسر الواو .

٥ شاش : بلدة بما وراء النهر ، وراء سيحون ، متاخمة لبلاد الترك (مراصد الاطلاع ٧٧٤/٢) .

٦ فرغانة : كورة واسعة ببلاد ما وراء النهر ، متاخمة لبلاد تركستان (مراصد الاطلاع ١٠٢٩/٣) .

٧ في غ : في عمّارية .

قال : فقطعنا قطاره وكتّفناه ، وأدخلناه وما معه بين الجبال ، ووقعنا على ما معه ، وفرحنا بالغنيمة .

وكان للرجل برذون أصفر يساوي مائتي درهم ، فلما رآنا نريد القفول ، قال : يا فتيان ، هنّأكم الله بما أخذتم ، ولكنّي رجل حاجّ ، بعيد الدار ، فلا تتعرّضوا لسخط الله بمنعي من الحجّ ، وأمّا المال فيذهب ويجيء ، وتعلمون [٢٥١ ر] ، أنّه لا نجاة لي إلاّ على هذا البرذون ، فاتركوه لي ، فليس يبين ثمنه في الغنيمة التي أخذتموها ، فتشاورنا على ذلك .

فقال شيخ فينا مجرّب : لا تردّوه عليه ، واتركوه مكتوفاً هنا ، فإن كان في أجله تأخير ، فسيقيّض الله له من يحلّ كتافه ، وكنت فيمن عزم على هذا .

وقال بعضنا : ما مقدار دابّة بمائتي درهم حتى نمنعها رجلاً حاجّاً ، فلا حاجة لنا فيها ، وجعلوا يرقّقون قلوب الباقين حتى سمحنا بذلك ، فأطلقناه ، ولم ندع عليه إلاّ ثوباً يستر عورته .

فقال : يا فتيان ، قد مننتم عليّ ، وأحسنتم إليّ ، ورددتم دابّتي ، وأخشى إذا أنا سرت أن يأخذها غيركم ، فأعطوني قوس ونشّابي ، أذبّ بها عن نفسي وعن فرسي .

فقلنا : إنّا لا نردّ سلاحاً على أحد .

فقال بعضنا : وما مقدار قوس قيمته درهمان ، وما نخشى من مثل هذا ؟ فأعطيناه قوسه ونشّابه ، وقلنا له : انصرف ، فشكرنا ، ودعا لنا ، ومضى حتى غاب عن أعيننا .

فما كدنا نسير ، والجارية تبكي ، وتقول : أنا حرّة ، ولا يحلّ لكم أن تأخذوني .

فنحن في هذا ، وإذا بالرجل قد كرّ راجعاً ، وقال : يا فتيان ، أنا لكم ناصح ، فإنكّم قد أحسنتم إليّ ، ولا بدّ لي من مكافأتكم على إحسانكم ، بنصيحتي لكم .

فقلنا : وما نصيحتك ؟

فقال : دعوا ما في أيدكم ، وانصرفوا سالمين بأنفسكم ، ولكم الفضل ، فإنّكم مننتم على رجل واحد ، وأنا أمنّ على سبعين رجلاً ، وإذا هو قد انقلبت عيناه في وجهه ، وخرج الزَبَدُ من أشداقه ، وصار كالجمل الهائج .

فهزأنا به ، وضحكنا عليه ، ولم نلتفت إلى كلامه ، فأعاد علينا النصيحة ، وقال : يا قوم قد مننت عليكم ، فلا تجعلوا لي إلى أرواحكم سبيلاً .

فزاد غيظنا عليه ، فقصدناه ، وحملنا عليه ، فانحاز منّا ، ورمى بخمس نشّابات ، كانت بيده ، فقتل بها منّا خمسة ، واحداً ، واحداً .

وقال : إنّ جماعتكم تموت على هذا ، إن لم تخلّوا عمّا في أيديكم .

فلم نزل ندافعه ، ويقتل منّا ، حتى قتل ثلاثين رجلاً ، وبقي معه نشّاب في جعبته .

فقلنا : أما ترون ويحكم أنّه لم يخط له سهم واحد ؟ وأحجمت الجماعة عنه ، وأفرجنا عن [٢٦٨ غ] الجمال والقبّة ، فصار القطار في حوزته .

فتنكّس[٨] ونحن نراه ، ففتق عِدْلاً بسيف أخرجه من رحله ، وأخرج منه جعبة نشّاب ، وأراناها ، فلمّا رأينا ما صار إليه من النشّاب يئسنا منه وولّينا عنه .

فقال : يا فتيان ، سألتكم هذا فلم تجيبوني إليه فمن نزل عن دابته فهو آمن ، ومن أحبّ أنّ يكون فارساً ، فهو بشأنه أبصر .

فشددنا عليه ، فقتل منّا جماعة ، فاضطررنا إلى أن ترجّلنا ، فحاز دوابنا وحده ، وساقها قليلاً .

ثم رجع ، وقال : أطالبكم بحكمكم ، من رمى سلاحه فهو آمن ، ومن تمسّك به فهو أبصر ، فرمينا سلاحنا .

فقال : امضوا سالمين آمنين ، فأخذ جميع السّلاح والدوابّ ، وإنّا لندعوها

---

٨ يريد : ترجّل .

بأسمائها ، فتشذّ عنه ، فيرميها فيصرعها ، حتى قتل منها جماعة ، وفاتتنا الغنيمة ، والسّلاح .

وكان ذلك سبب توبتي ، أنفةً لما لحقنا منه ، وأنا على ذلك الحال إلى اليوم[٩] .

٩ لم ترد هذه القصّة في م .

البَابُ الثّـَاني عَشَر

فيمن ألجأه الخوف إلى هرب واستتار ، فأبدل بأمنٍ ومستجدّ نعم ومسارّ

٤٥٨

يحيى بن طالب الحنفي

يبارح وطنه مديناً ، ويعود إليه موسراً

[أخبرني أبو بكر محمّد بن يحيى الصولي ، فيما أجاز لي روايته عنه ، بعدما سمعته منه ، قال : حدّثنا][١] محمّد بن زكريا الغلابي ، قال :

غنّي الرشيد يوماً بهذا الشعر :

ألاهل إلى شمّ الخُزامى[٢] ونظرةٍ إلى قَرْقَرَى[٣] قبل الممات سبيل
فيا أَثَلاثِ القاع من بطن تُوْضِحٍ[٤] حنيني إلى أظلالكنَّ طويل
أريد نهوضاً نحوكم فيصدّني إذا رمته دينٌ عليّ ثقيل

قال مؤلّف الكتاب : ووجدت الشعر في غير هذه الرواية :

---

١ الزيادة من ن .

٢ الخزامى : زهر من فصيلة الزنبقيات ، له بصلة ، وأزهاره متعدّدة الألوان ، اشتهرت هولنده الآن بزراعته (المنجد) .

٣ قَرْقَرَى : أرض باليمامة فيها قرى وزروع ونخيل ، وعليها يمرّ قاصد اليمامة من البصرة (معجم البلدان ٦٢/٤) .

٤ تُوضح : من قرى قرقرى باليمامة (معجم البلدان ٨٩٤/١) .

ويـا أثـلاث القـاع قـد ملّ صحبتي صحابي فهـل في ظلّكنّ مقيـــل
أحدّث نفسي عنكِ أن لست راجعاً إليك فحزني في الفؤاد دخيـل[٥]

(رجع للحديث) .

فاستحسن الرشيد الشعر ، وسأل عن قائله ، فعرّف أنّه ليحيى بن طالب الحنفي اليمامي[٦] .

فقال : حيّ هو أم ميت ؟

فقال بعض الحاضرين : هو حيّ كميت .

قال : ولِمَ ؟

قال : هرب من اليمامة ، لدين عليه ثقيل ، فصار إلى الريّ .

فأمر الرشيد أن يكتب إلى عامله بالريّ ، يعرّفه ذلك ، وأن يدفع إليه عشرة آلاف درهم ، وأن يحمل إلى اليمامة[٧] على دوابّ البريد ، وكتب إلى عامله باليمامة بقضاء دينه .

فلمّا كان بعد أيّام ، قال الرشيد لمن حضره : إنّ الكتب وردت بامتثال ما أمرتُ به .

وعاد يحيى إلى وطنه موسراً ، وقد قضي دينه عنه ، من غير سعي منه في ذلك[٨] .

---

٥ في معجم البلدان ٦٤/٤ بيتان آخران ، وهما :

ويا أثلاث القـاع قلبي موكّـل بكـنّ وجدوى خيركـنّ قليـل
فأشرب من مـاء الحجيلاء شربـة يداوى بهـا قبـل الممات عليـل

٦ يحيى بن طالب الحنفي : كان شيخاً ديّناً ، سخيًّا ، عظيم التجارة ، وكان يشتري غلاّت السلطان بقرقرى ، فأصاب الناس جدب ، وجاء أهل البادية فنزلوا قرقرى ، ففرّق يحيى الغلاّت فيهم ، فباع عامل السلطان أملاكه ، وعزّه الدين ، فهرب إلى العراق ، ثمّ إلى خراسان (معجم البلدان ٦٢/٤-٦٤) .

٧ اليمامة : منطقة في أواسط الجزيرة العربية ، معدودة من نجد ، تبعد عن البحرين مسيرة عشرة أيّام ، كانت في الجاهليّة مقر طسم وجديس (معجم البلدان ١٠٢٦/٤ والمنجد) .

٨ لم ترد القصّة في ر ولا في م ، ولا في غ ، وقد اثبتناها من هـ .

٤٥٩

العتابيّ يؤدّب الأمين والمأمون

ذكر محمّد بن عبدوس في كتابه «كتاب الوزراء»[١] ، قال : حدّثني عبد الواحد بن محمّد ، يعني الخصيبي ، قال : حدّثني يموت بن المزرع ، قال : كان العتّابيّ[٢] ، يقول بالاعتزال[٣] ، فاتّصل ذلك بالرشيد ، وكثّر عليه في أمره ، فأمر فيه بأمر غليظ[٤] ، فهرب إلى اليمن ، وكان مقيماً فيها على خوف وتوقّ .

فاحتال يحيى بن خالد ، إلى أن أسمع الرشيد شيئاً من خطبه ورسائله ، فاستحسنها الرشيد ، وسأل عن الكلام لمن هو ؟

فقال يحيى : هو كلام العتّابيّ ، وإن رأيت يا أمير المؤمنين ، أن يحضر حتى يسمع الأمين والمأمون ، ويضع لهما خطباً ، لكان في ذلك صلاحاً لهما .

---

١ لم ترد هذه القصّة في ر ولا في م ولا في غ ، واثبتناها من ه .

٢ العتّابي ، أبو عمرو كلثوم بن عمرو بن أيّوب التغلبي : ترجمته في حاشية القصّة ١٣٧ من الكتاب .

٣ القول بالاعتزال : مذهب المعتزلة ، وقد أسلفنا في حاشية القصّة ١٥٩ من هذا الكتاب ، إيراد معلومات عامّة ، عن عقيدتهم ، وأنّهم يسمّون أنفسهم أهل العدل والتوحيد ، واعتقادهم أنّ العبد قادر ، خالق لأفعاله ، خيرها وشرّها ، بخلاف الجبريّة الذين كانوا ينفون حقيقة الفعل عن العبد ، ويضيفونه إلى الله تعالى ، وكان الحكّام المتسلطون ، يدعون أنّهم إنّما جاءوا بتقدير من الله ، فليس لأحد أن يعترض على تسلّطهم ، لأنّه إنّما يعارض بذلك ربّ العالمين ، فلمّا ظهر المعتزلة ، وناقشوا هذه الجهّة ، خشي الحكّام مغبّة ذلك ، فحاولوا استئصالهم ، واتّهموهم بالزندقة ، وهي تهمة عامّة ، اتّهم بها كلّ من عارض سلطة الحاكم ، راجع بشأنها حاشية القصّة ١٢٣ من هذا الكتاب ، وقد ذكر الخوارزميّ في مفاتيح العلوم ص ١٨ أنّ المعتزلة ينقسمون إلى ستّ فرق ، ولكن الشهرستاني في الملل والنحل ١/٥٣–١٠٨ أورد أسماء ثلاث عشرة فرقة منهم .

٤ ذكر بعض المؤرّخين سبباً غير هذا لغضب الرشيد على العتّابي ، راجع حاشية القصّة ١٣٧ من هذا الكتاب .

فأمّنه الرشيد ، وأمر بإحضاره .

ولمّا اتّصل خبر ذلك بالعتّابيّ ، قال يمدح يحيى بن خالد :

ما زلتُ في سكرات الموت مطّرحـــاً قد غاب عنّي.وجه الأرض من خبلي
فلم تزل دائبـــاً تسعى لتنقـــــذني حتى اختلست حياتي من يد الأجلِ [٥]

---

٥ . الدي أرويه :

مـا زلت في سكرات المـوت مطّرحاً قد غاب عنّي وجه الـرأي من حيـلي
فلم يزل دائبـاً تسعى بلطفـــك لي حتّى استللت حيـاتي من يدي أجـلي

٤٦٠
لماذا قتل أبو سلمة الخلال

وذكر في بعض كتب الدولة :

أنّ أبا سلمة الخلّال[١] ، لمّا قوي الدعاة ، وشارفوا العراق ، وقد ملكوا خراسان وما بينها وبين العراق ، استدعى بني العبّاس ، فصيّرهم في منزله بالكوفة ، وكان له سرداب ، فجعل فيه جميع من كان حيًّا في ذلك الوقت من ولد عبد الله ابن العبّاس ، وفيهم السفّاح ، والمنصور ، وعيسى بن موسى ، وهو يراعي الأخبار .

وكان الدعاة يؤمرون بقصده إذا ظهروا وغلبوا على الكوفة ، ليعرّفهم الإمام ، فيسلّمون الأمر إليه .

فلمّا أوقع قحطبة[٢] بابن هبيرة الوقعة العظيمة على الفرات[٣] ، وغرق قحطبة ، وانهزم ابن هبيرة ، ولحق بواسط ، وتحصّن بها ، ودخل ابنا قحطبة[٤] الكوفة

---

١ أبو سلمة حفص بن سليمان الهمداني الخلّال : أوّل وزير في الإسلام ، وكان يدعى وزير آل محمّد ، أنفق كثيراً من ماله في سبيل الدعوة العبّاسيّة ، وكان واسطة الصلة بين إبراهيم الإمام ونقباء الدعوة العبّاسيّة بخراسان ، ولمّا استقام الأمر للسفّاح استوزره في السنة ١٣٢ ، وأغتيل بعد أربعة أشهر من وزارته ، فقال الشاعر : (الأعلام ٢/٢٩١)

إنّ الوزير وزير آل محمّد ... أودى ، فمن يشناك كان وزيرا

٢ قحطبة بن شبيب الطائي : قائد عبّاسي ، كان أحد النقباء الاثني عشر الذين اختارهم محمّد بن علي العبّاسي ، ممن استجاب له بخراسان في السنة ١٠٣ ، قاد الجيوش العبّاسيّة ، وظفر في جميع وقائعه ، وفي آخر معركة له ، انتصر على يزيد بن هبيرة أمير العراق ، ولكنّه غرق في الفرات سنة ١٣٢ (الأعلام ٦/٣٠) .

٣ راجع تفصيل غرق قحطبة في العيون والحدائق ٣/١٩٤ و١٩٥ .

٤ كان مع قحطبة في حملته العسكريّة ، اثنان من أولاده : الحسن وحميد ، والحسن (٩٧–١٨١) : أحد القادة الشجعان المقدّمين ، قاد الجيش بعد غرق أبيه في السنة ١٣٢ (العيون والحدائق ٣/١٩٥) =

بالعسكر كلّه ، قالوا لأبي سلمة : أخرج إلينا الإمام ، فدافعهم ، وقال : لم يحضر الوقت الذي يجوز فيه ظهور الإمام ، وأخفى الخبر عن بني العبّاس ، وعمل على نقل الأمر عنهم ، إلى ولد فاطمة رضي الله عنهم ، وكاتب جماعة منهم ، فتأخّروا عنه .

وساء ظنّ بني العبّاس به ، فاحتالوا حتى أخرجوا مولى لهم أسود كان معهم في السرداب ، وقالوا له : اعرف لنا الأخبار ، فعاد إليهم ، وعرّفهم أنّ قحطبة غرق ، وأنّ ابن هبيرة انهزم ، وأنّ ابني قحطبة قد دخلا الكوفة بالعسكر منذ كذا وكذا .

فقالوا : أخرج وتعرّض لابني قحطبة ، وأعلمهما بمكاننا ، ومرهما بأن يكبسا الدار علينا ويخرجانا .

فخرج المولى ، وكان حميد بن قحطبة[5] عارفاً به ، فتعرّض له ، فلمّا رآه أعظم رؤيته ، وقال : ويلك ما فعل سادتنا ، وأين هم ؟ فخبّره بخبرهم ، وأدّى إليه رسالتهم .

فركب في قطعة من الجيش ، وأبو سلمة غافل ، فجاء حتى ولج الدار ، وأراه الأسود السرداب ، فدخل ومعه نفر من الجيش ، فقال : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

فقالوا : وعليكم السلام .

فقال : أيّكم ابن الحارثيّة ؟ وكانت أمّ أبي العبّاس عبد الله بن محمّد بن

واستخلفه المنصور على أرمينية ، ثمّ ساهم في حرب عبد الله بن علي لمّا خرج على المنصور ، وغزا غزوات كان في جميعها مظفراً ، توفّي ببغداد (الأعلام ٢/٢٢٩) .

٥ حُمَيد بن قحطبة بن شبيب الطائي : أحد القادة العبّاسيّين ، كان في الجيش الذي قاده أبوه قحطبة لحرب الأمويّين ، ووقف موقفاً شديداً من أجل مبايعة أبي العبّاس السفّاح ، وشتم أبا سلمة الخلاّل (العيون والحدائق ٣/١٩٩) وولّي مصر في السنة ١٤٣ ، ثمّ الجزيرة ، ثم ولّي خراسان ، وفيها مات (الأعلام ٢/٣١٨) .

علي بن عبد الله ، وكان إبراهيم بن محمّد – الذي يقال له الإمام[٦] – لمّا بثّ الدّعاة ، قال لهم : إن حَدَثَ بعدي حَدَثٌ ، فالإمام ابن الحارثيّة الذي معه العلامة ، وهي : (ونريدُ أن نَمنَّ على الذين استُضْعفوا في الأرض ، ونجعلهم أئمةً ، ونجعلهم الوارثينَ ، ونمكّن لهم في الأرض ، ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون[٧]) .

قال : فلمّا قال ابن قحطبة : أيّكم ابن الحارثيّة ؟ ابتدره أبو العبّاس ، وأبو جعفر ، كلاهما يقول : أنا ابن الحارثيّة[٨] .

فقال ابن قحطبة : فأيّكما معه العلامة ؟ فقال أبو جعفر : فعلمت أنّي قد أخرجت من الأمر ، لأنّه لم يكن معي علامة .

فقال أبو العبّاس : ونريد أن نمنّ ... وتلا الآية .

فقال له حميد بن قحطبة : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، مدّ يدك أبايعك ، فبايعه .

ثم انتضى سيفه ، وقال : بايعوا أمير المؤمنين ، فبايعه أخوته ، وبنوا عمّه ، وعمومته ، والجماعة الذين كانوا معه في السرداب .

وأخرجه إلى المنبر بالكوفة ، وأجلسه عليه ، فحصر[٩] أبو العبّاس عن الكلام ، فتكلّم عنه عمّه داود بن علي[١٠] ، فقام دونه على المنبر بمرقاة ، وجاء أبو سلمة

---

٦ ابراهيم بن محمّد بن علي بن عبد الله بن العبّاس (٨٢–١٣١) : زعيم الدّعوة العبّاسيّة ، وهو الذي بثّ الدعاة في خراسان ، حبسه مروان بن محمّد ، ومات في حبسه (الأعلام ١/٥٤) .

٧ ٤ و ٥ ك ، القصص ٢٨ .

٨ ابن الحارثيّة ، هو أبو العبّاس السفّاح ، أمّا المنصور ، فأمه بربريّة اسمها سلامة ، وأحسب أنّ هذا هو الذي أخّره عن الخلافة ، وقدّم أخاه أبا العبّاس ، مع أنّ المنصور أسنّ من السفّاح بتسع سنوات (ولد المنصور سنة ٩٥ ، وولد السفّاح سنة ١٠٤) ، راجع حاشية القصّة ٨١ من هذا الكتاب .

٩ حصر : عيّ في النطق .

١٠ أبو سليمان داود بن علي بن عبد الله بن العبّاس (٨١–١٣٣) : عمّ السفّاح والمنصور ، من الخطباء ،

[٧٣ ن] ، وقد استوحش وخاف .

فقال حميد : يا أبا سلمة ، زعمت أنّ الإمام لم يقدم بعد ؟ فقال أبو سلمة : إنّما أردت أن أدافع بخروجهم إلى أن يهلك مروان ، فإن كانت له كرّة لم يكونوا قد عرفوا فيهلكوا ، وإن هلك مروان أظهرت أمرهم على ثقة .

فأظهر أبو العبّاس قبول هذا العذر منه ، وأقعده إلى جانبه ، ثم دبّر عليه بعد مدّة حتى قتله[١١] .

وقد روي هذا الخبر على غير هذا السياق ، فقالوا :

قدم أبو العبّاس السفّاح وأهله على أبي سلمة سرًّا ، فستر أمرهم ، وعزم على أن يجعلها شورى بين ولد عليّ والعبّاس ، حتى يختاروا منهم من أرادوا .

ثم خاف أن لا يتّفق على الأمر فعزم على أن يعدل بالأمر إلى ولد الحسن والحسين رضي الله عنهم ، وهم ثلاثة : جعفر بن محمّد بن علي بن الحسين ، وعبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي ، وعمر بن علي بن الحسين .

ووجّه بكتب إليهم مع رجل من مواليهم من ساكني الكوفة .

فبدأ بجعفر بن محمّد ، فلقيه ليلاً ، فأعلمه أنّه رسول أبي سلمة ، وأنّ معه كتاباً إليه .

فقال : ما أنا وأبو سلمة ، وهو شيعة لغيري ؟

فقال له الرسول : تقرأ الكتاب ، وتجيب عنه بما رأيت .

فقال جعفر لخادمه ، قرّب منّي السراج ، فقرّبه ، فوضع عليه كتاب أبي سلمة ، فأحرقه .

فقال : ألا تجيب عنه ؟

ولّي للسفّاح الكوفة ، ثمّ ولّي إمارة مكّة والمدينة ، واليمن ، واليمامة ، والطائف ، توفّي بالمدينة (الأعلام ٨/٣) .

١١ لم ترد هذه القصّة في ر ولا في م ولا في غ ، وأثبتناها من هـ .

فقال : الجوابُ ما رأيتَ .

ثم أتى عبد الله بن الحسن ، فقبل كتابه ، وركب إلى جعفر .

فقال جعفر : مرحباً بك أبا محمّد ، لو أعلمتني لجئتك .

فقال : إنّه أمر يجلّ عن الوصف .

فقال : وما هو ؟

قال : هذا كتاب أبي سلمة يدعوني فيه إلى الأمر ، ويراني أحقّ الناس به ، وقد جاء به شيعتنا من خراسان .

فقال له جعفر : ومتى صاروا شيعتك ؟ أنت وجّهت أبا مسلم إلى خراسان ، وأمرته بلبس السواد ؟ أتعرف أحداً منهم باسمه ونسبه ؟

قال : لا .

قال : كيف يكونون شيعتك ، وأنت لا تعرف أحداً منهم ، ولا يعرفونك ؟

فقال عبد الله : هذا الكلام كان منك لشيء .

فقال جعفر : قد علم الله تعالى أنّي أوجب النصح على نفسي لكلّ مسلم ، فكيف أدّخره عنك ، فلا تمنّينّ نفسك الأباطيل ، فإنّ هذه الدولة ستتمّ لهؤلاء القوم ، وما هي لأحد من ولد أبي طالب ، وقد جاءني مثل ما جاءك .

فانصرف غير راض بما قاله له .

وأمّا عمر بن علي بن الحسين ، فردّ عليه الكتاب ، وقال : لا أعرف من كتبه [12] .

قال : وأبطأ أبو سلمة على أبي العبّاس ومن معه ، فخرج أصحابه يطوفون بالكوفة ، فلقي حميد بن قحطبة ، ومحمّد بن صول [13] أحد مواليهم ، فعرفاه ،

---

١٢ راجع كتاب العيون والحدائق ٣/١٩٦–١٩٨ .

١٣ محمّد بن صول : من رجال الدولة العبّاسيّة ودعاتها ، وهو جدّ إبراهيم بن العبّاس الصولي (الأعلام ١/٣٨) .

لأنّه كان يحمل إليهم كتب محمّد بن علي[14] وإبراهيم بن محمّد ، فسألاه عن الخبر ، فأعلمهما أنّ القوم قد قدموا ، وأنّهم في سرداب يعرف ببني أود ، فصارا إلى الموضع ، فسلّما عليهم .

وقالا : أيّكما عبد الله ؟

فقال المنصور وأبو العبّاس : كلانا عبد الله .

فقال : أيّكما ابن الحارثية ؟

فقال أبو العبّاس : أنا .

فقالا : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، ودنوا فبايعوه .

وأحضروه إلى المسجد الجامع ، فصعد على المنبر ، فَحُصِرَ ، وتكلّم عنه عمّه داود بن علي ، وقام دونه بمرقاة[15] .

---

١٤ محمّد بن علي بن عبد الله بن العبّاس (٦٢–١٢٥) : والد السفّاح والمنصور ، أوّل من قام بالدعوة العبّاسيّة ، وبثّ الرجال إلى الجهات (الأعلام ١٥٣/٧) .

١٥ لم ترد هذه القصّة في ر ولا في م ولا في غ ، وأثبتناها من هـ .

٤٦١

أمير البصرة العبّاسيّ يحمي أمويًّا

[أخبرنا أبو الفرج علي بن الحسين ، المعروف بالأصبهاني ، قال : أخبرني أحمد بن عبد العزيز ، قال : حدّثنا عمر بن شبّة ، قال : حدّثني محمّد بن عبد الله بن عمرو ، قال : أخبرني ،][1] طارق بن المبارك عن أبيه ، قال :

جاءني رسول عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة[2] ، فقال لي : يقول لك عمرو : قد جاءت هذه الدولة وأنا حديث السنّ ، كثير العيال ، منتشر الأموال ، فما أكون في قبيلة إلّا وشهر أمري ، وقد عزمت على أن أفدي حرمي بنفسي ، وأنا صائر إلى باب الأمير سليمان بن علي[3] ، فصر إليّ .

فوافيته ، فإذا عليه طيلسان مطبق أبيض[4] ، وسراويل وشي مشدود[5] .

---

١ الزيادة من ن .

٢ هو عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة بن أبي سفيان ، جد أبي عبد الرحمن محمّد بن عبد الله بن عمرو ابن معاوية الذي ترجمه صاحب اللباب ٢/١١٨ و ١١٩ وقال عنه إنّه صاحب أخبار وآداب ، وقد ورد خطأ في الترجمة اسم جدّيه بلفظ عمر ، وهما : عمرو ، فليلاحظ ذلك .

٣ سليمان بن علي بن عبد الله بن العبّاس (٨٢–١٤٢) : أمير عبّاسي ، من الأجواد الممدوحين ، ولّاه السفّاح أمارة البصرة وأعمالها ، وكور دجلة ، والبحرين ، وعمان ، سنة ١٣٣ ، وعزله المنصور سنة ١٣٩ فأقام بالبصرة ، وتوفّي فيها (الأعلام ٣/١٩٣) .

٤ الطيلسان : قطعة من القماش ، توضع فوق الثياب على الكتفين ، وقد يغطّى بها الرأس ، راجع التفصيل في حاشية القصّة ١٦٣ من هذا الكتاب ، وقوله : مطبق ، ان كانت الكلمة بدون تشديد فإنّ الطيلسان إذا كان طاقين ، سمّي مُطْبِقاً (كتاب التلخيص للعسكري ١/٢٠٤) وإن كانت الكلمة بتشديد ، فإنّ الثوب أو الطيلسان ، يسمّى : مُطَبَّقاً ، إذا كسي بعضه أو كلّه بقشر اللؤلؤ (لسان العرب ، مادة طبق) .

٥ السراويل : لباس يستر النصف الأسفل من الجسم (المنجد) ، فارسيّة : سربال (أي فوق القامة) ، راجع تفسير الألفاظ الدخيلة ٣٥ والألفاظ الفارسيّة المعرّبة ٨٨ ، والوشي : ضرب من الثياب المنسوجة

فقلت : سبحان الله ، ما تصنع الحادثة بأهلها ، أيّها الإنسان تلقى هؤلاء القوم الذين تريد لقاءهم وعليك مثل هذا ؟

قال : والله ، ما ذهب عليّ ذلك ، ولكن ليس عندي ثوب ، إلّا وهو أشهر من هذا .

فأعطيته طيلساني ، وأخذت طيلسانه ، ولويت سراويله إلى ركبته ، فدخل ، ثم خرج مسروراً .

فقلت : حدّثني بما جرى بينك وبين الأمير .

قال : دخلت إليه ، ولم يرني قط ، فقلت : أيّها الأمير ، لفظتني البلاد إليك ، ودلّني فضلك عليك ، فإمّا قبلتني غانماً ، وإمّا رددتني سالماً .

فقال : من أنت ؟ فانتسبت إليه .

فقال : مرحباً ، أقعد فتكلّم ، غانماً مسروراً ، ثم اقبل عليّ ، وقال : ما حاجتك يا ابن أخي ؟

فقلت : إنّ الحرم اللواتي أنت أقرب الناس إليهنّ ، قد خفن بخوفنا ، ومن خاف خيف عليه .

فوالله ما أجابني إلّا بدموعه تسيل على خدّيه ، وقال : يا ابن أخي ، يحقن الله دمك ، ويحفظك في حرمك ، ويوفّر عليك مالك ، والله ، لو أمكنني ذلك في جميع أهلك لفعلت ، ولكن كن متوارياً كظاهر ، وآمناً كخائف ، ولتأتني رقاعك .

قال : وكان – والله – يكتب إليه كما كان يكتب الرجل إلى ابن عمّه[6] .

من الإبريسم (رسوم دار الخلافة ٩٣) ، قال أبو العتاهية ، يصف جواري المهدي ، وقد بلغهنّ خبر موته :

رحن في الوشي وأقـ ـبلن عليهنّ المسوح

والمسوح ، مفردها مِسح ، وهو الكساء من الشعر .

٦ أورد ابن الأثير ٥/٤٣١–٤٣٢ هذه القصّة ، وذكر إنّها كانت السبب في أمان البقيّة الباقية من بني أميّة ، =

قال : فلمّا فرغ من كلامه ، رددت عليه طيلسانه ، فقال : مهلاً ، إنّ ثيابنا إذا خرجت عنّا ، لم تعد إلينا[7] .

ووجدتُ هذا الخبر ، بإسناد ليس هو لي ، برواية عن العتبي[8] ، قال : حدّثنا طارق بن المبارك الذرّاع البصري – ولم يتجاوزه[9] – قال :

قدم جدّك عمرو بن معاوية البصرة ، حين نكب بنو أميّة ، قال : فجعل لا ينزل بحيّ ، إلّا أجهروه واشتهر .

فقال لي : اذهب بنا أضع يدي في يد هذا الرجل ، يعني سليمان بن علي ، وذكر نحوه .

وقال في آخره : فلمّا صار عمرو إلى منزله ، دفعتُ إليه ثوبه ، وطلبت ثوبي ، فردّهما عليّ جميعاً ، وقال : إنّا لم نأخذ ثوبك لنحبسه ، ولم نعطك ثوبنا لتردّه[10] .

فإنّ سليمان بن علي بعد أن أمّن عمرو بن معاوية ، كتب إلى السفّاح : يا أمير المؤمنين ، إنّا قد وفد علينا وافد من بني أميّة ، وإنّا إنّما قتلناهم على عقوقهم ، لا على أرحامهم ، فإنّنا يجمعنا وإيّاهم عبد مناف ، والرحم تبلّ ولا تقتل ، وترفع ولا تضع ، فإن رأى أمير المؤمنين ، أن يهبهم لي ، فليفعل ، وإن فعل ، فليجعل كتاباً عاماً إلى البلدان ، بشكر الله تعالى على نعمه عندنا ، وإحسانه إلينا ، فأجابه إلى ما سأل .

٧ لم ترد هذه القصّة في ر ولا في م ولا في غ ، وأثبتناها من هـ ، وقد وردت في كتاب الكامل لابن الأثير ٤٣١/٥ و٤٣٢ .

٨ العتبي : نسبة إلى عتبة بن أبي سفيان (اللباب ١١٨/٢ و١١٩) .

٩ يريد أنه لم يذكر تسلسل الذين استمع منهم الخبر ، وإنّما اكتفى بذكر طارق الذرّاع وحده .

١٠ لم ترد هذه القصّة في ر ولا في م ولا في غ وأثبتناها من هـ ، وقد وردت في الكامل لابن الأثير ٤٣١/٥ و٤٣٢ ووردت في الأغاني ٣٤٩/٤ و٣٥٠) .

٤٦٢

عبد الملك بن مروان

يؤمّن ابن قيس الرقيّات ويحرمه العطاء

[أخبرني أبو الفرج علي بن الحسين ، المعروف بالأصبهاني ، إجازة في كتابه : الأغاني الكبير ، قال : أخبرني أبو عبد الله محمّد بن العبّاس اليزيدي ، وأبو عبد الله [٧٤ ن] الحرمي بن أبي العلاء وغيرهما ، قالوا : حدّثنا الزبير بن بكّار ، قال : حدّثنا عبد الله بن البصير البربري ، مولى قيس بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، قال :][١] قال عبيد الله بن قيس الرقيّات[٢] :

خرجت مع مصعب بن الزبير ، حين بلغه خروج عبد الملك بن مروان ، فلمّا نزل مصعب مسكن[٣] ، وتبيّن الغدر ممن معه ، دعاني ، ودعا بمال ، فملأ المناطق منه ، وألبسنيها .

وقال : اَمض حيث شئت ، فإنّي مقتول .

فقلت : لا والله ، لا أروح حتى آتي سبيلك ، فأقمت معه حتى قتل[٤] .

ومضيت إلى الكوفة ، فأوّل بيت دخلته إذا فيه امرأة معها بنتان كأنّهما

---

١ الزيادة من ن .

٢ عبيد الله بن قيس بن شريح بن مالك ، المعروف بابن قيس الرقيّات : شاعر غزل ، مدح مصعب ابن الزبير ، وحارب معه ، ولمّا قتل مصعب ، التجأ إلى عبد الله بن جعفر ، فسأل فيه عبد الملك ابن مروان ، فأمّنه . ولقّب بابن قيس الرقيّات ، لأنّه كان يتغزّل بثلاث نسوة ، كلّ واحدة منهنّ اسمها رقيّة (الأعلام ٣٥٢/٤) .

٣ قتل مصعب بمسكن ، وما تزال آثارها ماثلة ، ويسمّيها أهل المنطقة : خرائب مسكين .

٤ دفن مصعب حيث قتل ، وبنيت عليه قبّة ، ويسمّيه أهل المنطقة الآن : شيخ منصور ، راجع حاشية القصّة ٣٧٣ من الكتاب .

ظبيتان ، فرقيت في درجة لها إلى مستشرف ، فقعدتُ فيه .

قال : فأصعَدَتْ لي ما أحتاج إليه من الطعام ، والشراب ، والفرش ، والماء ، والوضوء .

فأقمت كذلك عندها أكثر من حول ، تقوم بكلّ ما يصلحني ، وتغدو عليّ في كلّ صباح ، فتسألني عن حوائجي ، فما سألتني من أنا ، ولا أنا سألتها من هي ؟ وأنا في أثناء ذلك أسمع الصياح فيّ ، والجُعْل[٥] .

فلمّا طال بي المقام ، وفقدتُ الصياح والجعل ، وغرِضت[٦] بمكاني ، جاءت إليّ في الصباح تسألني الحاجة ، فأعلمتها أني قد غَرِضْتُ بموضعي ، وأحببت الشخوص إلى أهلي .

فقالت لي : يأتيك ما تحتاج إليه إن شاء الله تعالى .

قال : فلمّا أمسيت ، وضرب الليل برواقه ، رقت إليّ ، وقالت : إن شئت فنزلت ، وقد أعدّت راحلتين ، عليهما جميع ما أحتاج إليه ، ومعهما عبد ، وأعطت العبد نفقة الطريق ، وقالت : العبد والراحلتان لك .

فركبت ، وركب معي العبد ، حتى أتيت مكّة ، فدققت باب منزلي ، فقالوا : من أنت يا هذا ؟

فقلت : عبيد الله بن قيس الرقيّات ، فولولوا ، وبكوا ، وقالوا : لم يرتفع طلبك إلّا في هذا الوقت .

فتوقّفت عندهم حتى أسحرت ، ونهضت ، فقدمت المدينة ، ومعي العبد ، فجئت إلى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب[٧] رضي الله عنهم ، وهو يعشّي

---

٥ الجُعْل ، بضم الجيم وسكون الغين : العطية أو المنحة .

٦ غَرِضَ ، بكسر الراء : ضجر وملّ .

٧ عبد الله بن جعفر الطيّار بن أبي طالب (١-٨٠) : صحابيّ ، ولد بأرض الحبشة ، لمّا هاجر أبواه إليها ، وهو أوّل مولود ولد بها من المسلمين ، وكان كريماً ، يقال له : بحر الجود ، وكان أحد الأمراء في جيش الإمام عليّ في حرب صفّين ، توفّي بالمدينة (الأعلام ٤/٢٠٤) .

أصحابه ، فجلست معهم ، وجعلت أتعاجم ، وأقول : بناريناواي طيّار[8] .

فلمّا خرج أصحابه ، كشفت له عن وجهي ، فقال : ابن قيس ؟

فقلت : عائذاً بك .

فقال : ويحك ، ما أجدّهم في طلبك ، وأحرصهم على الظفر بك ، ولكنّي أكتب إلى أمّ البنين بنت عبد العزيز بن مروان – وهي زوجة الوليد بن عبد الملك – وعبد الملك أرقّ شيء عليها .

فكتب إليها يسألها التشفّع إلى عمّها عبد الملك .

فلمّا وصلها الكتاب ، دخلت على عمّها ، فسألها : هل من حاجة ؟

قالت : نعم ، لي حاجة .

فقال : قد قضيت كلّ حاجة لك ، إلّا ابن قيس الرقيّات .

فقالت : لا تستثنينّ عليّ .

فنفح بيده ، فأصاب حرّ وجهها[9] ، فوضعت يدها على خدّها .

فقال لها : أرفعي يدك ، فقد قضيت كلّ حاجة لكِ وإن كانت ابن قيس الرقيّات .

فقالت : حاجتي أن تؤمّنه ، فقد كتب إليّ يسألني أن أسألك ذلك .

قال : هو آمن ، فمريه يحضر المجلس العشيّة .

فحضر ، وحضر الناس – حين بلغهم – مجلس عبد الملك .

قال : فأخّر الإذن لابن قيس ، وأذن للناس ، فدخلوا ، وأخذوا مجالسهم ، ثم أذن له .

فلمّا دخل عليه ، قال عبد الملك : يا أهل الشام أتعرفون من هذا ؟

قالوا : لا .

---

٨ في الأغاني ٥/٧٧ : ياريار ابن طيّار .

٩ حرّ الوجه : ما بدا من الوجنة .

قال : هذا ابن قيس الرقيّات ، الذي يقول :

كيف نومي على الفراش ولمّا　　تشمل الشامَ غارةٌ شعواءُ
تذهل الشيخ عن بنيه وتبدي　　عن خدام[10] العقيلةُ العذراءُ

فقالوا : يا أمير المؤمنين ، إسقنا دم هذا المنافق .

قال : الآن ، وقد أمّنته ، وصار في منزلي وعلى بساطي ؟ قد أخّرت الإذن له لتقتلوه ، فلم تفعلوا .

فاستأذنه ابن قيس ، أن ينشده مديحه ، فأذن له ، فأنشده قصيدته التي يقول فيها :

عَادَ له من كثيرة الطربُ　　فعينه بالدموع تنسكب
[كوفيّة نازح محلّتها　　لا أمم دارها ولا صقب][11]
والله ما إن صبت إليّ ولا　　يعرف بيني وبينها نسبْ
إلّا الذي أورثت كثيرة في القلـ　　ـب وللحبّ سورةٌ عجب

حتى قال فيها :

إنّ الأغرّ الذي أبوه أبو الـ　　ـعاص عليه الوقار والحجب
يعتدل التاج فوق مفرقه　　على جبين كأنّه الذهب

فقال له عبد الملك : يا ابن قيس ، تمدحني بالتاج ، كأنّي من العجم ، وتقول في مصعب ابن الزبير :

إنّما مصعبٌ شهابٌ من اللّـ　　ـه تجلّت عن وجهه الظلماء
ملكه ملك رأفةٍ ليس فيه　　جبروت منه ولا كبرياء

١٠ الخدام ، مفرده خَدَمَة (بالتحريك) : الخلخال .

١١ الزيادة من الأغاني ٥/٧٩ .

أمّا الأمان فقد سبق لك ، ولكن – والله – لا تأخذ مع المسلمين عطاءً أبداً[١٢] .

وأخبرني أبو الفرج المعروف بالأصبهاني ، عن حمّاد بن إسحاق ، عن أبيه : أنّ عبيد الله بن قيس الرقيّات ، منعه عبد الملك بن مروان عطاءه من بيت المال ، وطلبه ليقتله ، فاستجار بعبد الله بن جعفر ، وقصده ، فالتقاه نائماً .

وكان ابن قيس صديقاً لسائب خاثر[١٣] ، فطلب الإذن على ابن جعفر ، فتعذّر ، فجاء بسائب خاثر ليستأذن له .

قال سائب خاثر : فجئت من قبل رجلي عبد الله بن جعفر ، ونبحت نباح الجرو الصغير ، فانتبه ولم يفتح عينيه ، ورفسني برجله .

قال : فدرت إلى عند رأسه ، ونبحت نباح الكلب الهرم ، فانتبه وفتح عينيه .

فقال : مالك ، ويلك ؟

فقلت : عبيد الله بن قيس الرقيّات بالباب .

فقال : ائذن له ، فأذنت له ، ودخل ، فرحّب به عبد الله وقرّبه ، فعرّفه ابن قيس خبره .

فدعا بظبية[١٤] فيها دنانير ، وقال لي : عدّ له ما فيها .

فجعلت أعدّ له ، وأطرّب ، وأحسّن صوتي بجهدي ، حتى عددت له ثلثمائة دينار ، وسكتُّ .

فقال عبد الله : لماذا سكتّ ، ويلك ؟ ما هذا وقت قطع الصوت الحسن .

---

١٢ لم ترد هذه القصّة في م ، ولا في ر ، ولا في غ ، وقد أثبتناها من هـ ، وقد وردت في الأغاني ٥/٧٦–٧٩ .

١٣ أبو جعفر سائب بن يسار ، المعروف بسائب خاثر : أحد أئمّة الغناء والتّلحين عند العرب ، نشأ بالمدينة ، واحترف التجارة ، فأثرى ، وهو أوّل من عمل العود بالمدينة ، وغنّى به ، وهو أستاذ معبد المشهور ، قتله جيش يزيد بن معاوية في وقعة الحرّة ، لمّا استباح يزيد مدينة الرسول صلوات الله عليه في السنة ٦٣ (الأعلام ٣/١١١) .

١٤ الظبية : جراب من جلد الظبي عليه شعره .

فجعلت أعدّ ما في الظبية ، وفيها ثمانمائة دينار ، فدفعها إليه .

فلمّا قبضها التفت إلى ابن جعفر ، وقال له : تسأل أمير المؤمنين في أمري ؟

قال : نعم ، إذا دخلتُ عليه ، ثم إنّه دعا له بطعام ، فأكل أكلاً فاحشاً ، وركب ابن جعفر ، فدخل معه إلى عبد الملك ، فلمّا قدّم الطعام جعل يسيء الأكل .

فقال عبد الملك ، لابن جعفر : من هذا ؟

قال هذا رجلٌ لا يجوز أن يكون كاذباً إن استبقي ، وإن قتل كان أكذب الناس .

قال : كيف ؟ قال : لأنّه يقول :

مـا نقمـوا مـن بني أميّـة إلّا أنّهم يحلمـون إن غضبـوا

فإن قتلته بغضبك عليه أكذبكم فيما مدحكم به .

قال : فهو آمن ، ولكن لا أعطيه عطاء من بيت المال .

قال : أحبّ أن تهب لي عطاءه ، كما وهبت لي دمه .

قال : قد فعلتُ ، وأمر له بذلك [١٥] .

---

١٥ لم ترد القصّة في م ولا في ر ولا في غ ، وقد أثبتناها من هـ ، وقد أوردها صاحب الأغاني ٥/٨١–٨٢ ، أقول : في هذه القضية نظر ، فإنّ سائب خاثر قتل في السنة ٦٣ في وقعة الحرّة ، في أيّام يزيد بن معاوية ، أي قبل تولية عبد الملك بن مروان في السنة ٦٥ .

٤٦٣

هشام بن عبد الملك وحمّاد الراوية

عن حمّاد الراوية[1] ، قال :

كان انقطاعي إلى يزيد بن عبد الملك[2] ، جعل هشام[3] يجفوني دون سائر أهله من بني أميّة ، في أيّام يزيد .

فلمّا مات يزيد ، وأفضت الخلافة إلى هشام خفته ، ومكثت في بيتي سنة ، لا أخرج إلّا إلى من أثق به من إخواني سرًّا .

فلمّا لم أسمع أحداً يذكرني ، أمنتُ ، فخرجت فصلّيت الجمعة عند باب الفيل[4] ، فإذا بشرطيّين قد وقفا عليّ .

وقالا : يا حمّاد أجب الأمير يوسف بن عمر[5] .

فقلتُ في نفسي : من هذا كنتُ أحذر ، ثم قلت للشرطيّيْن : هل لكما أن تدعاني آتي بيتي ، فأودّع أهلي ، وداع من لا يرجع إليهم أبداً ، ثم أصير معكما ؟

فقالا : ما إلى ذلك سبيل .

فاستسلمت في أيديهما ، وصرت إلى الأمير وهو في الإيوان الأحمر ، فسلّمت عليه ، فرد عليّ السلام ، ورمى إليّ كتاباً فيه : بسم الله الرحمن الرحيم ،

---

١ أبو القاسم حمّاد بن سابور بن المبارك ، المعروف بحمّاد الراوية : ترجمته في حاشية القصّة ١٧٥ من الكتـــاب .

٢ أبو خالد يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم : ترجمته في حاشية القصّة ١٠٥ من الكتاب .

٣ هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم : ترجمته في حاشية القصّة ١٢٦ من الكتاب .

٤ في وفيات الأعيان ٢/٢٠٧ : صليت الجمعة في جامع الرصافة .

٥ أبو يعقوب يوسف بن عمر بن محكم بن الحكم الثقفي : ترجمته في حاشية القصّة ٢٤٠ من الكتاب .

من عبد الله هشام أمير المؤمنين إلى يوسف بن عمر ، أمّا بعد ، فإذا قرأت كتابي هذا ، فابعث إلى حمّاد الراوية من يأتيك به من غير أن يروّع ولا يتعتع[٦] ، وادفع إليه خمسمائة دينار ، وجملاً مهريًّا[٧] ، يسير عليه اثنتي عشرة ليلة إلى دمشق ،

فأخذت الخمسمائة دينار ، وإذا جملٌ مرحول[٨] ، فجعلت رجلي في الغرز[٩] ، وسرت اثنتي عشرة ليلة ، حتى دانيت دمشق .

ونزلت على باب هشام ، واستأذنت عليه ، فأذن لي ، فدخلت عليه في دار قوراء ، مفروشة بالرخام ، وبين كلّ رخامتين قضيب ذهب ، وحيطانه كذلك ، وهشام جالس على طنفسة حمراء ، وعليه ثياب خزّ حمر ، وقد تضمّخ بالمسك والعنبر ، وبين يديه مسك مفتوت في أواني ذهب ، يقلّبه بيده ، فتفوح رائحته .

فسلّمت عليه ، فردّ عليّ ، واستدناني ، فدنوت منه ، حتى قبّلت رجله .

وإذا جاريتان لم أر مثلهما ، في أذن كلّ واحدة منهما حلقتان فيهما لؤلؤتان تتوقّدان .

قال : أتدري فيم بعثت إليك ؟

قلت : لا .

قال : بعثت إليك بسبب بيت خطر في بالي ، لم أدر من قائله .

قلت : وما هو ؟

قال :

ودعوا بالصبوح يوماً فجاءت قينةٌ في يمينها إبريق

---

٦ التعتعة : القلقلة ، أي التحريك بعنف .

٧ الإبل المهرية : المنسوبة إلى مهرة بن عيدان من عرب اليمن ، لا يعدلها شيء في سرعتها .

٨ الجمل المرحول ، والمرحّل : الذي شدّ عليه الرحل ، وهو ما يجعل على ظهره كالسرج .

٩ الغرز : ركاب الرحل ويكون من الجلد .

فقلت : هذا يقوله عدّي بن زيد العبادي [10] ، في قصيدة له .

قال : أنشدنيها ، فأنشدته :

بكّر العـاذلون في وضح الصبـ ـح يقولون لي أما تستفيـق
ويلومون فيك يا ابنة عبـد الّـ ـله والقلب عنـدكم موثـوق
لست أدري إذ أكثروا العذل فيها أعدوّ يلومـني أم صديـق
ودعوا بالصبـوح يومـاً فجـاءت قينـةٌ في يمينهـا إبريـق
قدّمتـه علـى عقـار كعين الـ ـديك صفّى خلالها الراووق [11]

قال : فطرب ، ثم قال : أحسنت يا حمّاد ، والله ، يا جارية : اسقيه ، فسقتني شربة ذهبت بثلث عقلي .

وقال : أعد .

فأعدته ، فاستخفّه الطرب حتى نزل عن فراشه ، ثم قال للجارية الأخرى : اسقيه ، فسقتني شربة ذهبت بثلث عقلي .

فقلت : إن سقيت الثالثة افتضحت .

ثم قال : سل حوائجك .

قلت : كائنة ما كانت ؟

---

١٠ عديّ بن زيد بن حمّاد بن زيد العبادي التميمي : شاعر من أهل الحيرة ، أوّل كاتب بالعربية في ديوان كسرى ، اتّخذه كسرى أنوشروان ترجماناً بينه وبين العرب ، وأقام بالمدائن ، ولمّا مات أنوشروان ، وخلفه ابنه هرمز ، رفع منزلته ، وبعثه رسولاً إلى قيصر ، ثمّ تزوّج هند بنت النعمان ، سجنه النعمان بالحيرة ، وقتله في سجنه سنة ٣٥ ق.هـ. (الأعلام ٩/٥ و ١٠) .

١١ في وفيات الأعيان ٢٠٩/٢ أضيفت أبيات ثلاثة وهي :

مـزّة قبـل مزجها فـإذا مـا مُزِجَتْ لـذّ طعمها من يـذوق
وطفـا فوقها فقـاقيع كاليـا قـوت حمـرٌ يزينها التصفيق
ثمّ كـان المزاج مـاء سحـابٍ لاصـرى آجـن ولا مطـروق

١٩

قال : نعم .

قلت : إحدى الجاريتين .

قال : هما لك بما عليهما ومالهما .

ثم قال للأولى : اسقيه ، فسقتني شربة سقطت منها ولم أعقل حتى أصبحت [12] ، فإذا بالجاريتين عند رأسي ، وإذا عشرة من الخدم مع كلّ واحد منهم بدرة .

وقال لي أحدهم : إنّ أمير المؤمنين يقرأ عليك السلام ، ويقول لك : خذ هذا فانتفع به في سفرك .

فأخذتها ، والجاريتين ، وانصرفت [13] .

---

١٢ كان هشام بن عبد الملك لا يشرب ، ولا يسقي أحداً بحضرته مسكراً ، وكان ينكر ذلك ، ويعاقب عليه (الأغاني ٦/٧٧) ، وجيء إلى هشام برجل عنده قيان وخمر وبربط ، فقال هشام : اكسروا الطنبور على رأسه ، فبكى الشيخ لمّا ضرب ، فقالوا له : عليك بالصبر ، فقال : أتراني أبكي للضرب ؟ ، انما أبكي لاحتقاره البربط ، إذ سمّاه طنبوراً (العقد الفريد ٥/٢٦٢) .

١٣ لم ترد هذه القصّة في م ، ولا في ر ، ولا في غ ، وأثبتناها من هـ ، وقد أورد القاضي ابن خلّكان هذه القصّة في وفيات الأعيان ٢/٢٠٧–٢٠٩ وفيها زيادات ، ثمّ أثبت عليها ملاحظات ، أولها : أنّ هشام لم يكن يشرب ، وثانيها : أنّ والي العراق في أيّام هشام لم يكن يوسف بن عمر ، وإنّما كان خالد بن عبد الله القسري .

٤٦٤

أكل على مائدته فأمضى له الأمان

عن عبد الله بن عمران أبي فروة ، قال : كان عبد الله بن الحجّاج الثعلبي[1] من أشراف قيس ، وكان مع ابن الزبير ، فلمّا قتل ، دخل عبد الله بصفة أعرابيّ على عبد الملك بن مروان ليلاً وهو يتعشّى مع الناس[2] ، فجلس وأكل معهم ، ثم وثب فقال :

منعَ القرارَ[3] فجئتُ نحوك هارباً   جيشٌ يجرّ ومقنبٌ يتلمّع

فقال : أيّ الأخابيث أنت ؟ ، فقال :

إرحم أصيبية – هديت – كأنّهم   حجلٌ تدرّج بالسريّة جوّع

فقال : أجاع الله بطونهم ، فأنتَ أجعتهم ، فقال :

---

١ عبد الله بن الحجّاج : شاعر ، من أشراف قيس ، كان يحارب مع ابن الزبير بسيفه ، ويقارع عنه بلسانه ، ومن جملة ما قال يخاطب عبد الملك بن مروان [أنساب الأشراف ١٩٨/٥] :

أتطلب شأو ابن الزبير ولم تكن   لتدركه ما حجّ لله راكب
تكلّفت أمراً لم تكن لتناله   طوال الليالي أو تنالَ الكواكب
فهلاً بني مروان لستم بذادة   إذا ما التقت يوم اللقاء الكتائب
إذا التقت الأبطال كنتم ثعالباً   وأسد الشرى في السلم عند الكواعب

٢ راجع بحث المائدة في حاشية القصّة ١٢٥/٣ من كتاب نشوار المحاضرة للتّنوخي ، وراجع كتاب المائدة في الإسلام ، تأليف محقّق هذا الكتاب .

٣ القرار : الهدوء ، والسكون ، والاطمئنان ، قال النابغة :

نبّئت أنّ أبا قابوس أوعدني   ولا قرار على زأر من الأسد

مـالٌ لهم مما يضنّ جمعتـــــه ، يوم القليب فحيزَ عنهم أجمع

فقال : كسب سوءٍ خبيث ، فقال :

ولقد وطئتَ بني سعيد وطـــأة وابن الزبير فعرشه متضعضع
وأرى الذين رجوا تراث محمّـد أفَلَتْ نجومُهُمُ ونجمك يسطع

فقال : الحمد لله على ذلك ، فقال :

أدنو لترحمني وتقبـــل توبتي وأراك تدفعني فأين المدفـــع ؟

فقال : إلى النار ، فقال :

ضاقت ثياب الملبسين فأولـــني عرفاً وألبسني فثوبك أوســع

قال : فرمى إليه بمطرف خزّ كان عليه .
فقال عبد الله : أمنتُ والله .
فقال له عبد الملك : كن من شئت إلّا عبد الله بن الحجّاج .
فقال : أنا – والله – هو ، وقد أمّنتني ، أكلت طعامك ، ولبست ثيابك ، فأيّ خوف عليّ .
فقال : ما هداك إلّا جدّك ، وأمضى له الأمان[٤] .

٤ لم ترد هذه القصّة في ر ، ولا في م ، ولا في غ ، وقد أثبتناها من ه .

٤٦٥

الفضل بن الربيع

يتحدّث عمّا لاقى أيّام استتاره من المأمون

[حدّثني علي بن هشام أبي قيراط الكاتب ، بواسط ، في سنة اثنتين وستين وثلثمائة ، من لفظه ، قال : حدّثني أبو علي بن مقلة ، قبل وزارته الأولى ، قال : حدّثني أبو عيسى محمّد بن سعيد الديناري ، عن أبي أيّوب سليمان بن وهب][1] عن أبي طالوت كاتب ابن طاهر[2] ، قال : سمعت الفضل بن الربيع ، يقول :

لمّا استترتُ من المأمون ، أخفيت نفسي حتى عن عيالي وولدي ، وكنت أنتقل وحدي .

فلمّا اقترب المأمون من بغداد ، ازداد حذري ، وخوفي على نفسي ، فتشدّدت في الاحتياط والتواري ، وأفضيت إلى منزل بزّاز كنت أعرفه في درب بباب الطاق[3] ، وشدّد المأمون في طلبي [٢٥٢ ر] [فلم يعرف لي خبراً .

فتذكّرني يوماً ، فاغتاظ على إسحاق بن إبراهيم ، وجدّ به في طلبي ، فأغلظ له][4] ، فخرج إسحاق من حضرته ، وجدّ بأصحاب الشرط ، وأوقع ببعضهم المكاره ، ونادى في الجانبين[5] ، من جاء به فله عشرة آلاف درهم وإقطاع غلّته

---

١ الزيادة من غ ، وفي ن : في سنة اثنتين وثلاثين ، وهو خطأ من الناسخ .

٢ في ر : حدّثني هشام ، وفي ن : كاتب آل طاهر .

٣ باب الطاق : هي اليوم محلّة الصرّافية ، وكان يربطها بالجانب الغربي جسر حلّ محلّه اليوم جسر الصرّافية الحديد .

٤ ساقطة من غ .

٥ في غ : ونادى في البلد ، وقوله : في الجانبين ، كناية عن جميع البلد ، والبغداديّون اليوم يسمّون الجانب : الصوب ، وهي فصيحة ، بمعنى الجهة ، فيقولون : نادى في الصوبين ، بدل : الجانبين ، =

ثلاثة آلاف دينار في السنة ، وإنّ من وجد عنده بعد النداء ضُربَ خمسمائة سوط وهدمت داره وأخذ ماله وحبس طول الدهر ، فنودي بذلك عشيًّا .

فما شعرتُ ، إلّا وصاحب الدار قد دخل عليّ وأخبرني الخبر ، وقال : والله ، ما أقدر بعد هذا على سترك ، ولا آمن من زوجتي ، وجاريتي ، وغلامي ، وأن تشره نفوسهم إلى المال ، فيدلّون عليك ، وأهلك بهلاكك ، وإن صفح الخليفة عنك ، لم آمن من أن تتّهمني بأنّي دللت عليك ، فيكون ذلك أقبح وأشنع ، وليس الرأي لي ولك إلّا أن تخرج عنّي .

فورد عليّ ذلك أعظم مورد ، وقلت : إذا جاء الليل خرجت عنك .

قال : ومن يطيق الصبر على هذا الضرر إلى الليل ، فإنّك إن وجدت عندي قبل الليل أهلكتني وأهلكت نفسك ، وهذا وقت حارّ ، وقد طال عهد الناس بك ، فقم وتنكّر [٢٦٩ غ] واخرج .

فقلت : كيف أتنكّر ؟

فقال : تأخذ أكثر لحيتك ، وتغطّي رأسك وبعض وجهك ، وتلبس قميصاً ضيّقاً ، وتخرج .

فقلت : أفعل .

فجاء بمقراض فأخذت أكثر لحيتي ، وتنكّرت ، وخرجت من عنده في أوّل أوقات العصر ، وأنا ميّت خوفاً .

فمشيت في الشارع ، حتى بلغت الجسر ، فوجدته قد رشّ ، وهو خالٍ من الناس ، متزلّق .

ويسمّون جانب الكرخ : الصوب الصغير ، لأنّه أصغر من جانب الرصافة الذي يسمّونه : الصوب الكبير ، وأهل الرصافة ، إذا ذكروا الكرخ ، قالوا : ذاك الصوب ، أي ذلك الجانب ، وكذلك أهل الكرخ ، فإنّهم يسمّون جانب الرصافة : ذاك الصوب .

فلمّا توسّطته ، إذا أنا بفارس من الجند الذين كانوا في داري في أيّام وزارتي[6] ، قد قرب منّي ، فعرفني ، وقال : طلبة أمير المؤمنين ، وعدل إليّ ليقبض عليّ .

فلحلاوة النفس دفعته ودابّته ، فزلق ، ووقع في بعض السفن التي في الجسر ، وتعادى الناس لخلاصه ، وظنّوا أنّه زلق بنفسه .

وتشاغل عنّي بهم ، وزدت أنا في المشي ، ولم أعْدُ لئلّا ينكر حالي من يراني ، إلى أن عبرت الجسر ودخلت درب سليمان[7] .

فوجدت امرأة على باب دار مفتوح ، فقلت لها : يا امرأة ، أنا خائف من القتل ، فأجيريني واحقني دمي .

فقالت : أدخل ، وأومأت إلى غرفة ، فصعدتها .

فلمّا كان بعد ساعة ، إذا بالباب يدقّ ، ففتحَتْهُ ، وإذا زوجها قد دخل ، فتأمّلته ، فإذا هو صاحبي على الجسر ، وهو مشدود الرأس يتأوّه من شجّة [٧٥ ن] لحقته ، وثيابه مغموسة بالدم .

وسألته المرأة عن خبره ، فأخبرها بالقصّة ، وقال لها : قد زمنت دابّتي وأنفذتها لتباع في سوق اللحم ، وقد فاتني الغنى ، وجعل يشتمني ، وهو لا يعلم بوجودي معه في الدار ، وأقبلت المرأة ترفّق به إلى أن هدأ .

فلمّا صلّيت المغرب ، وأقبل الظلام ، صعدت المرأة إليّ ، وقالت : أظنّك صاحب القصّة مع هذا الرجل .

فقلت : نعم .

---

٦ وزّر الفضل بن الربيع للرشيد على أثر قتل الوزير جعفر البرمكي في السنة ١٨٧ واستمرّ وزيراً بقيّة عهد الرشيد ، ولمّا استخلف الأمين أقرّه على وزارته ، ولمّا اتّضح ظفر المأمون استتر الفضل في السنة ١٩٦ (الأعلام ٥/٣٥٣) .

٧ درب سليمان : ينسب إلى سليمان بن أبي جعفر المنصور ، وكان امتداداً للجسر ، أي أنّ الذي يعبر جسر باب الطاق ، ينصب رأساً إلى درب سليمان ، راجع معجم البلدان ٢/٥٦٣ .

فقالت : قد سمعت ما عنده ، فاتّق الله في نفسك واخرج ، فدعوت لها .

فنزلَتْ ، فَفَتَحَتِ الباب فتحاً رفيقاً ، وقالت : اخرج ، وكانت الدَرَجَةُ في الدهليز ، فأفضيت إلى الباب ، فلمّا انتهيت إلى آخر الدرب وجدتُ الحرّاس قد أغلقوه ، فتحيّرت .

ثم رأيت رجلاً يفتح باباً بمفتاح روميّ ، فقلت : هذا روميّ ، وهو ممن يقبل مثلي .

فدنوت منه وقلت : أسترني ، سترك الله .

فقال : ادخل ، فدخلت ، فرأيته رجلاً فقيراً وحيداً ، فأقمت ليلتي عنده ، وبكّر من غد ، وعاد نصف النهار ومعه حمّالان يحمل أحدهما حصيراً ومخدّة ، وجرار ، وكيزان ، وغضائر جدداً ، وقدراً جديداً ، ويحمل الآخر خبزاً وفاكهة ، ولحماً ، وثلجاً ، فدخل ، وترك ذلك كلّه عندي ، وأغلق الباب .

فنزلت ، وعذلته[8] ، وقلت له : لِمَ كلّفت نفسك هذا ؟

فقال : أنا رجل مزيّن[9] ، وأخاف أن تستقذرني ، وقد أفردت لك هذا ، فاطبخ أنت وأطعمني [٢٥٣ ر] في غضارة أجيء بها من عندي ، فشكرته على ذلك ، وأقمت عنده ثلاثة أيّام .

فلمّا كان آخر اليوم الثالث ، ضاق صدري ، فقلت له : يا أخي الضيافة ثلاثة أيّام ، وقد أحسنت وأجملتَ ، وأريد الخروج .

فقال : لا تفعل ، فإنّي وحيد ، ولست ممن يطرق ، وخبرك لا يخرج من عندي أبداً ، فأقم إلى أن يفرّج الله عنك [٢٧٠ غ] ، فلست أتثاقل بك .

فأبيت للحَيْن[10] ، وخرجت على وجهي أريد منزل عجوز [بباب التبن][11] من

---

٨ العذل : اللّوم .

٩ المزيّن : الحلاّق .

١٠ الحَيْن ، بفتح الحاء : الهلاك أو المحنة .

مواليناً ، فدققت الباب عليها ، فخرجت ، فلمّا رأتني بكت ، وحمدت الله على رؤيتي ، وأدخلتني الدار .

فلمّا كان في السحر ، وأنا نائم ، بكرت العجوز فغمزت عليّ بعض أصحاب إسحاق بن إبراهيم ، فما شعرت إلّا بإسحاق نفسه ، في خيله ورجله ، قد أحاط بالدار ، ثم كبسها واستخرجني منها ، حتى أوقفني بين يدي المأمون حافياً حاسراً .

فلمّا رآني سجد طويلاً ثم رفع رأسه ، وقال : يا فضل ، أتدري لِمَ سجدت ؟

فقلت : نعم ، شكراً لله تعالى الذي أظفرك بعدوّ دولتك ، المغري بينك وبين أخيك .

قال : ما أردت هذا ، ولكنّي سجدت شكراً لله على ما ألهمنيه من العفو عنك ، فحدّثني بخبرك ؟ فشرحته له من أوّله إلى آخره .

فأمر بإحضار العجوز مولاتنا ، وكانت في الدار تنتظر الجائزة ، فقال لها : ما حملك على ما فعلتِ ، مع إنعامه وإنعام أهله عليك ؟

قالت : رغبة في المال .

قال : هل لك زوج أو ولد أو أخ ؟

قالت : لا ، فأمر بضربها مائة سوط ، وتخليدها في السجن .

ثم قال لإسحاق : أحضر الساعة الجندي ، وامرأته ، والمزيّن ، فحضروا في مجلس واحد ، فاستثبتني فيهم ، فعرّفته أنّهم القوم بأعيانهم .

فسأل الجندي عن السبب الذي حمله على فعله ، فقال : الرغبة في المال ،

---

١١ ساقطة من غ ، ومحلّة باب التبن ، محلّة كبيرة كانت ببغداد ملاصقة لمقابر قريش التي فيها قبر الإمام موسى الكاظم عليه السلام (معجم البلدان ١/٤٤٣) أقول : هذا يعني أنّ محلّة باب التبن ، هي الآن جزء من مدينة الكاظميّة .

ووالله ، إنّه الذي أثبتني في الجيش ، ولكنّي رغبت في المال العاجل .

فقال : أنت بأن تكون حجّاماً أولى بأن تكون من أوليائنا ، وأمر بأن يسلم للمزيّنين في الدار ، ويوكّل به من يعسفه حتى يتعلّم الحجامة .

وأمر باستخدام زوجته قهرمانة في دور حرمه ، وقال : هذه المرأة عاقلة أديبة .

وأمر بتسليم دار الجندي وقماشه إلى المزيّن ، وأن يجعل رزقه له ، ويجعل جنديًّا مكان ذلك الجندي ، وأطلقني إلى داري .

فرجعت إليها آخر النهار ، آمناً ، مطمئنًّا[12] .

ووجدت الخبر بخلاف هذا في كتاب الوزراء لابن عبدوس ، فإنّه ذكر :

أنّ الفضل ابن الربيع استتر ، فطال استتاره ، واستعجمت عليه الأخبار ، فغيّر زيّه ، وخرج في السحر ، وكان استتر بناحية الحربيّة من الجانب الغربي[13] .

فمشى وهو لا يدري أين يقصد ، لحيرته ، وبعد عهده بالطرق ، فأدّاه المشي إلى الجسر ، وقد أسفر الصبح ، فأيقن بالعطب ، وقصد منزلاً لرجل كانت بينه وبينه مودّة ، بسويقة نصر[14] .

فلمّا صار ببعض المشارع ، سمع النداء عليه ، ببذل عشرة آلاف درهم ، فتخفّى حتى جاوزه الركبان والمنادي ، ومشى .

فرآه رجل ، فانتبه له ، وقال : يا فضل ، وكان في أحد جانبي الطريق الذي الفضل فيه ، فأمّه إلى الجانب الذي كان فيه ، ليقبض عليه ، فاعترضته

---

١٢ هذه القصّة لم ترد في م .

١٣ الحربيّة : محلّة كبيرة مشهورة ببغداد قرب مقبرة ابن حنبل منسوبة إلى حرب بن عبد الله البلخي الراوندي ، أحد قوّاد المنصور (معجم البلدان ٢/٢٣٤) أقول : حسب هذا الوصف ، تكون محلّة الحربيّة داخلة الآن في مدينة الكاظميّة ، في جنوبها الغربي .

١٤ سويقة نصر : محلّة بالجانب الشرقي من بغداد أقطعها المهدي نصر بن مالك الخزاعي (معجم البلدان ٣/٢٠١) .

حمير وجمال عليها جصّ .

ونظر الفضل يميناً وشمالاً ، فلم يجد مذهباً ، وبصر بدرب ، فدخله ، فوجده لا ينفذ ، ووجد في صدره باباً مفتوحاً ، فهجم على المنزل ، وفيه امرأة ، فاستغاث بها ، فأجارته ، وبادرت إلى الباب فأغلقته ، وناشدها الله أن تستره إلى الليل ، فأمرته بالصعود إلى غرفة لها ، فلم يستقرّ به القعود حتى دقّ الباب ، فلمّا فتح الباب ، دخل الرجل الذي رآه ، وعزم على القبض عليه ، وإذا المنزل له .

فقال لزوجته : فاتني الساعة عشرة آلاف درهم .

قالت له : وكيف ذلك ؟

قال لها : مرّ بي الفضل ، فمددت يدي لأقبض عليه ، فابتلعته الأرض .

فقالت له امرأته : الحمد لله – عزّ وجلّ – الذي كفاك أمره وأبقى دينك عليك ، ولم تكن سبباً لسفك دمه ، أو مكروه يلحقه .

فلمّا خرج ، صعدت إليه ، فقالت : قد سمعتَ ، وما هذا المكان لك بموضع ،

فخرج إلى بعض منازل معامليه ، فلمّا صار إليه ، نبّه العامل عليه ، وأسلمه إلى طالبيه ، فحمل إلى المأمون ، فلمّا رآه ، وسأله عن خبره ، شرح له قصّته ، فأمر للمرأة بثلاثين ألف درهم وقال للرسول : قل لها ، يقول لك الفضل : هذا جزاء لك على ما فعلته من الجميل ، فردّتها ، وأبت قبولها ، وقالت : لست آخذ على شيء فعلته لله عزّ وجلّ ، جزاءً ، إلّا منه[15] .

[15] الجزء الأخير من هذه القصّة ، المنقول عن الجهشياري ، لم يرد في م ، ولا في ر ، ولا في غ ، وأثبتناه من هـ .

٤٦٦
وما قتل الأحرار كالعفو عنهم

حدّثنا أبو الحسن محمّد بن عمر بن شجاع ، المتكلّم البغدادي ، الملقّب بجنيد ، قال : حدّثنا الفضل بن ماهان السيرافي ، وكان مشهوراً بسلوك أقاصي بلاد البحر ، قال ؛ قال لي رجل من بعض بياسرة الهند ، والبيسر هو المولود على ملّة الإسلام هناك ، قال :

كان في أحد بلاد الهند ملكٌ حسنُ السيرة ، وكان لا يأخذ ولا يعطي مواجهة ، وإنّما كان يقلب يده إلى وراء ظهره . فيأخذ ويعطي بها ، إعظاماً للملك ، وهي سنّة لهم هناك ولأولادهم .

وإنّه توفي ، فوثب رجل من غير أهل المملكة ، فاحتوى على ملكه [٧٦ ن] ، وهرب ابن له كان يصلح للملك خوفاً على نفسه من المتغلّب .

ورسوم ملوك الهند ، أنّ الملك إذا قام عن مجلسه ، لأيّ حاجة عرضت له ، كانت عليه صدرة[١] ، قد جمع فيها كلّ نفيس وفاخر من اليواقيت والجواهر ، مضروب في الإبريسم في الصدرة ، ويكون فيها من الجواهر ما إن [٢٧١ غ] لو أراد أن يقيم بها ملكاً أقامه .

قال : ويقولون : ليس بملك من إذا قام عن مجلسه وليست معه ، حتى إذا حدثت عليه حادثة وهرب بها أمكنه إقامة ملك منها .

فلمّا حدثت على الملك تلك الحادثة ، أخذ ابنه صدرته وهرب بها .

فحكى عن نفسه : أنّه مشى ثلاثة أيّام ، قال : ولم أطعم طعاماً ، ولم تكن معي فضّة ولا ذهب ، فأبتاع به مأكولاً ، ولم أقدر على إظهار ما معي ، وأنفت أن أستطعم .

---

١ الصدرة : ثوب يغشى الصدر.

قال : فجلست على قارعة الطريق ، فإذا رجل هندي ، مقبل وعلى كتفه كارة ، فحطّها وجلس حذائي .

فقلت : أين تريد ؟

قال : الرستاق[2] الفلاني .

قلت : وأنا الآخر كذلك .

قال ؛ فنصطحب ؟

قلت : نعم .

فصحبته طمعاً في أن يعرض عليّ شيئاً من مأكوله ، فلم يفعل ، ولم تطب نفسي أن أبدأه بالسؤال .

فلمّا فرغ قام يمشي ، فمشيت معه ، وبتّ معه ، طمعاً في أن تحمله المؤانسة على العرض عليّ ، فعمل بالليل كما عمل بالنهار . [٢٥٤ ر]

قال : وأصبحنا في غد ، فمشينا ، فعاملني بمثل ذلك أربعة أيّام ، فصار لي سبعة أيّام لم أذق فيها شيئاً .

فأصبحت في الثامن ضعيفاً مهووساً[3] لا قدرة لي على المشي ، فعدلت عن الطريق ، وفارقت الرجل ، فرأيت قوماً يبنون ، وقيّماً عليهم ، فقلت للقيّم : استعملني مثل هؤلاء بأجرة تعطينيها عشيًّا .

فقال : نعم ، ناولهم الطين .

فقلت : عجّل لي أجرة يوم ، ففعل ، فابتعت بها ما أكلته .

وقمت أناولهم الطين ، فكنت – لعادة الملك – أقلب يدي إلى ظهري وأعطيهم الطين ، فكما[4] أذكر أنّ ذلك خطأ ينبّه عليّ ويسفك دمي ، أبادر بتلافي ذلك ،

---

٢ الرستاق : ما يحيط بالبلدة من الريف والقرى .

٣ الهوس : طرف من الجنون وخفّة العقل .

٤ كما أذكر : اصطلاح بغدادي في أيّام التنوخي ، معناه : حالما أذكر ، أما الآن فيستعمله أهل الموصل .

فأردّ يدي بسرعة من قبل أن يفطنوا بي .

قال : فلمحتني امرأة قائمة ، فأخبرت سيّدتها بخبري ، وكانت صاحبة البناء ، وقالت : لا بدّ أن يكون هذا من أولاد الملوك .

قال : فلمّا انقضى النهار ، [وانصرف الصنّاع ، فأردت الانصراف معهم][5] . تقدّمَتْ إلى القيّم أن يحبسني عن المضيّ مع الصنّاع ، فاحتبسني .

فجاءتني بالدهن والعروق لأغتسل بهما ، وهذا مقدّمة إكرامهم ، وسنّة لعظمائهم ، فتغسّلت بذلك ، وجاءوني بالأرز والسمن والسكّر ، فطعمت ، وعرضت المرأة عليّ نفسها بالتزويج ، فأجبت ، وعقدت العقد ، ودخلت بها من ليلتي ، وأقمت معها أربع سنين ، تعطيني من مالها ، وتنفق عليّ ، وكانت لها نعمة .

فأنا ذات يوم جالس على باب دارها ، وإذا برجل من بلدي ، فاستدعيته ، فجاء ، فقلت له : من أين أنت ؟

فقال : من بلد كذا وكذا ، فذكر بلدي .

فقلت : ما جئت تصنع ها هنا ؟

قال : كان فينا ملك ، حسن السيرة ، فمات ، فوثب على ملكه رجل ليس من أهل المملكة ، وكان للملك الأوّل ابن يصلح للملك ، فخاف على نفسه فهرب ، وإنّ الملك المتغيّب أساء عشرة الرعيّة ، فوثبنا عليه فقتلناه ، وانتشرنا في البلاد نطلب ابن الملك المتوفي ، لنجلسه مكان أبيه ، فما عرفنا له خبراً .

فقلت : أتعرفني ؟

قال : لا .

قلت : أنا طلبتكم .

قال : وأعطيته العلامات ، فعلم صحّة ما قلته له ، فكفّر لي[6] .

---

٥ الزيادة من غ .

٦ التكفير : الخضوع بوضع اليد على الصدر وطأطأة الرأس والتطامن تعظيماً .

فقلت : أكتم أمرنا إلى أن ندخل الناحية .

قال : أفعل .

فدخلت إلى المرأة فأعلمتها بالخبر ، وحدّثتها [٢٧٢ غ] بأمري كلّه ، وأعطيتها الصدرة .

وقلت : هذه قيمتها كذا وكذا ، ومن حالها كذا وكذا ، وأنا ماضٍ مع الرجل ، فإن كان ما ذكره صحيحاً ، فإنّ العلامة أن يجيئك رسولي فيذكر الصدرة ، فانهضي إليّ ، وإن كانت مكيدة كانت الصدرة لك .

قال : ومضى مع الرجل ، فكان الأمر صحيحاً ، فأنفذ إلى زوجته من حملها إليه ، فجاءت .

فحين اجتمع شمله ، واستقام أمره ، أمر البنّائين فبنوا له دار ضيافة عظيمة ، وأمر أن لا يجوز في عمله مجتاز إلّا حمل إليها ، فيضاف فيها ثلاثة أيّام ، ويزوّد لثلاثة أيّام أخر ، فكان يفعل ذلك ، وهو يراعي الرجل الذي صحبه في سفره ، ويقدّر أن يقع في يده .

فلمّا كان بعد حولٍ ، استعرض الناس ، وكان يستعرضهم في كلّ يوم[٧] ، فلا يرى الرجل ، فيصرفهم ، فلمّا كان في ذلك اليوم ، رأى الرجل بينهم .

فحين وقعت عينه عليه ، أعطاه ورقة تنبول[٨] ، وهذه علامة غاية الإكرام ،

---

٧ في كتاب نشوار المحاضرة ، في القصّة المرقمة ٩٤/٨ (جـ ٨ ص ٢١٥) : وكان يستعرضهم في كلّ شهر .

٨ التنبول : نبات هندي ، يمضغ ورقه كما يمضغ العلك ، من فصيلة الفلفليات (المنجد) ، قال ابن بطّوطة عن التنبول : إنّه شجر يغرس كما تغرس دوالي العنب ، ويصنع له معرّشات من القصب ، أو يغرس في مجاورة شجرة النارجيل ، فيصعد فيها ، ولا ثمر له ، وإنّما المقصود منه ورقه ، وأطيبه الأصفر ، وتجنى أوراقه في كلّ يوم ، وأهل الهند يعظّمون التنبول تعظيماً شديداً ، ويكرمون من يأتي لهم به ، فإذا أعطى السلطان أحداً منه ، فهو أعظم من إعطاء الذهب والخلع ، وإذا أتى الرجل دار صاحبه وأعطاه خمس ورقات منه فكأنّما أعطاه الدنيا ، وكيفيّة استعماله أن يؤخذ قبله الفوفل ، فيكسر ، ويعلكه الإنسان في فمه ، ثمّ يأخذ ورق التنبول فيجعل عليه شيئاً من النورة ، ويمضغها مع الفوفل ، =

ونهاية رتبة الإعظام ، إذا فعله الملك بإنسان من رعيّته[٩] .

فحين فعل ذلك بالرجل ، كفّر له ، وقبّل الأرض ، فأمر الملك بتغيير حاله ، وإحسان ضيافته .

ثم استدعاه ، فقال له : أتعرفني ؟

فقال : كيف لا أعرف الملك ، وهو من عظم شأنه ، وعلوّ سلطانه ، بحيث هو .

قال : لم أرد هذا ، أتعرفني قبل هذا الحال ؟

قال : لا .

فذكّره الملك بالقصّة ، ومنعه إيّاه من الطعام في السفر .

قال : فبهت الرجل .

فقال الملك : ردّوه إلى الدار ، وزيدوا في إكرامه ، وحضر الطعام فأطعم .

فلمّا اراد النوم ، قال الملك لزوجته : إذهبي إلى هذا الرجل فاْغمزيه[١٠] .

قال : فجاءت المرأة ، فلم تزل تغمزه إلى أن نام ، فجاءت إلى الملك ،

وخاصّته إنّه يطيّب النكهة ، ويذهب بروائح الفم ، ويهضم الطعام (مهذّب رحلة ابن بطّوطة ٨٦/١ و ٢٠٥) ، وقال المسعودي في مروج الذهب ١٥٧/١ التنبول : ورق ينبت كأصغر ما يكون ورق الأترج ، يمضغ هذا الورق بالنورة المبلولة مع الفوفل ، واستعماله يشدّ اللثّة ، ويقوّي عمود الأسنان ، ويطيّب النكهة ، ويزيل الرطوبة المؤذية ، ويشهّي الطعام ، ويعين على الباه ، ويحمّر الأسنان حتى تكون كأحمر ما يكون من حبّ الرمّان ، ويحدث في النفس طرباً وأريحيّة ، ويقوّي البدن ، ويثير من النكهة روائح طيّبة ، أقول : أبصرت في صباي ورق التنبول يباع في أسواق بغداد ، وكانت له سوق رائجة عند الهنود الذين رافقوا الحملة البريطانيّة في العراق ، واستقرّوا فيه مدّة الاحتلال البريطاني ، وورقة التنبول تشبه ورقة النارنج ، وقد طلي أحد وجهيها بمادة هي إلى السواد أميل .

قال ابن بطّوطة في رحلته ٧٠/٢ : إنّ سلطان الهند ، لمّا قدم عليه الأمير غياث الدين ابن الخليفة ، أخذ التانبول بيده ، وأعطاه إيّاه ، وهذا أعظم ما أكرمه به ، فانه لا يفعله مع أحد .

١٠ الغمز : الكبس باليد .

وقالت : إنّه قد نام .

قال : ليس هذا نوم ، حرّكوه ، فحرّكوه ، فإذا هو ميت .

قال : فقالت له [٢٥٥ ر] المرأة : أيّ شيء هذا ؟

قال : فساق لها حديثه معه ، وقال : وقع في يدي ، فتناهيت في إكرامه ، والهند لهم أكباد عظيمة ، وأفهام طريفة ، فأدخلت عليه حسرة عظيمة إذ لم يحسن إليّ ، فقتلته ، وقد كنت أتوقّع موته قبل هذا بما توهّمه واستشعره من العلّة في نفسه ، لفرط الحسرة[١١] .

---

١١ لم ترد القصّة في م ، ووردت في كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للتنوخي برقم القصّة ٩٤/٨ .

الباب الثالث عشر

فيمن نالته شدّة في هواه ، فكشفها الله عنه وملّكه من يهواه

٤٦٧

رأى القطع خيراً من فضيحة عاتق

حدّثنا أبو بكر محمّد بن بكر البسطامي ، غلام [٢٨٧ غ] ابن دريد وصهره ، قال : حدّثنا أبو محمّد الحسن بن دريد ، قال : حدّثنا أحمد بن عثمان العلى[1] عن أبي خالد عن الهيثم بن عديّ ، قال :

كان لعمرو بن دويرة السحيمي[2] أخ قد كلف بابنة عمّ له كلفاً شديداً ، وكان أبوها يكره ذلك ويأباه .

فشكاه إلى خالد بن عبد الله القسري ، أمير العراق ، أنّه يسيء جواره ، فحبسه ، ثم سُئِلَ خالد في أمر الفتى ، فأطلقه ، فبقي الفتى كلفاً بابنة عمّه ، وهو ناءٍ عنها مدّة .

ثم زاد ما في نفسه ، فحمله الحبّ على أن تسوّر الجدار عليها ، وحصل معها .

---

١ كذا ورد الإسناد في م وغ ، أمّا في ر فقد ورد الإسناد مختصراً ، قال : حدّثنا خالد عن الهيثم بن عديّ ، وفي ن ، ونشوار المحاضرة ، في القصّة ١٣١/٤ ورد الإسناد عن البسطامي ، عن أبي بكر ابن دريد ، عن أحمد بن عيسى العكلي عن أبي خالد عن الهيثم بن عديّ ، والإسناد الأخير هو الصحيح .

٢ في القصّة ١٣١/٤ من نشوار المحاضرة ، ورد فيها اسم عمرو بن دويرة السحمي ، وقد ذكر صاحب اللباب ٥٣٤/١ و ٥٣٥ أنّ السحمي : نسبة إلى سحمة ، بطن من ثعلبة ، والسحيمي : نسبة إلى سحيم ، بطن من حنيفة .

فأحسّ به أبوها ، فقبض عليه ، وأتى به خالد بن عبدالله ، وادّعى عليه اللصوصيّة ، وأتاه بجماعة شهدوا على أنّهم وجدوه في بيته ليلاً ، قد دخل للتلصّص .

فسأل خالد الفتى ، فاعترف أنّه دخل [٨٧ ن] ليسرق ، وما سرق شيئاً ، يدفع بذلك الفضيحة عن ابنة عمّه ، فأراد خالد أن يقطعه .

فرفع عمرو أخوه إلى خالد رقعة فيها :

أخالد قد – والله – أوطيت عشوة
وما العاشق المظلوم فينا بسارق
أقرّ بما لم يأته غير أنّه[3]
رأى القطع خيراً من فضيحة ، عاتق[4]
ومثل الذي في قلبه حلّ قلبها
فَمُنَّ لتجلو الهمّ عن قلب عاشق[5] [٢٦٤ ر]
ولولا الذي قد خفت من قطع كفّه
لألفيت في أمريهما غير ناطق
إذا مدّت الغايات للسبق في العلى
فأنت ابن عبد الله أوّل سابق [٢٣٤ م]

قال : فأرسل خالد مولى له يسأل عن الخبر ، ويفحص جليّة الأمر ، فأتاه بصحيح ما قاله عمرو في شعره .

فأحضر أبا الجارية ، وأمره بتزويجها من الفتى ، فامتنع ، وقال : ليس هو كفء لها .

---

٣ في غ ، وفي المستجاد للتنوخي : أقرّ بما لم يجنه المرء إنّه ، وفي نشوار المحاضرة : أقرّ بما لم يقترفه لأنّه .

٤ في ن ، وفي المستجاد ، وفي نشوار المحاضرة : رأى القطع خيراً من فضيحة عاشق .

٥ كذا ورد في ر ، وفي غ : فكن أنت تجلو الهمّ عن قلب عاشق ، ولم يرد هذا البيت في القصّة ١٣١/٤ من كتاب نشوار المحاضرة .

فقال له خالد : والله ، إنّه لكفء لها ، إذ بذل يده عنها ، وإن لم تزوّجه طائعاً لأزوّجنّه وأنت كاره .

فزوّجه العم ، وساق خالد المهر من عنده ، فكان يسمّى العاشق ، إلى أن مات .[6]

وجدت في كتاب العَمْرين ، لمحمد بن داود الجرّاح الكاتب ،[7] وهو رسالة كتب بها إلى أبي أحمَد يحيى بن علي بن المنجم[8] ، فيمن يسمّى من الشعراء : عَمْراً ، فقال :

عمرو بن دويرة البجلي ، سحيمي ، كوفي ، أخبرني أحمد بن أبي علقمة[9] ، عن دعيل بن علي ، وذكر أبو طالب بن سوادة ، عن محمّد بن الحسن الجعفري ، عن الحسن بن يزيد القرشي[10] ، عن أبي بكر الوالبي ، قال :

كان لعمرو بن دويرة ، أخ قد كلف بابنة عمّ له .. وذكر نحوه ، إلّا أنّه أتى في الشعر بزيادة بيت ، وهو بعد البيت الذي أوّله : أقرّ بما لم يأته :

ومثـل الذي في قلبـــــه حلّ قلبهـــا   فكن أنت تجلو الهم عن قلب وامق

[وأخبرنيه محمّد بن الحسن بن المظفّر ، قال : أخبرني محمّد بن الحسن القرشي[11]، قال : أخبرني الحرمي بن أبي العلاء ، عن الزبير بن بكّار ، فذكره مع البيت الزيادة .][12]

---

٦ وردت القصّة في كتاب نشوار المحاضرة برقم ١٣١/٤ إلى هذا الحدّ .

٧ لمحمّد بن داود الجرّاح كتاب اسمه : من سمّي عَمْرًا من الشعراء في الجاهليّة والإسلام ، ذكره صاحب الفهرست ص ١٤٢ وصاحب الاعلام .

٨ أبو أحمد يحيى بن علي بن يحيى بن أبي منصور ، المعروف بابن المنجّم (٢٤١-٣٠٠) : ترجمته في حاشية القصّة ٤٠٢ من هذا الكتاب .

٩ في ن : أحمد بن خيثمة .

١٠ كذا في جميع الأصول ، وأحسب أنّ الصحيح : الحسن بن زيد .

١١ في ن : محمّد بن الحسين .

١٢ الزيادة من غ و ن .

٤٦٨

من مكارم المقتدر

حدّثني أبو العلاء صاعد بن ثابت بن إبراهيم بن علي بن خداهي النصراني الكاتب[١] ، [الذي كان خليفة [٢٨٨ غ] الوزراء][٢] ، قال :

حدّثني أبو الحسين بن ميمون الأفطس[٣] ، الذي كان وزير المتّقي ، ولمّا

---

١ أبو العلاء صاعد بن ثابت بن ابراهيم بن علي بن خداهي (في غ : حداهي ، بالحاء) النصرانيّ : من رجال الدّولة البويهيّة بالعراق ، كان أوّل أمره يضمن النّواحي من السلطان ، وخدم أبا عبد الله البريدي ، ثمّ اختصّ بالوزير المهلّبي ، فاستخلفه على الوزارة ، وقدّمه معزّ الدولة ، وصرّفه ، ولمّا وزّر أبو الفضل الشيرازي لبختيار استخلفه على الوزارة أيضاً ، ولمّا وزّر ابن بقية لبختيار ، اعتقله ، وهمّ بقتله ، ولكنّه سلم من القتل وأطلق (تجارب الأمم ٥٤/٢ ، ١٤٦ ، ٢٤٣ ، ٢٤٧ ، ٣٦٦ ، ٣٧٤ والكامل لابن الأثير ٥٥٣/٨) راجع القصّة ٢٨/١ من نشوار المحاضرة .

٢ هذه الفقرة ساقطة من ر .

٣ أبو الحسين أحمد بن محمّد بن ميمون بن هارون بن مخلد بن أبان الكاتب المعروف بالأفطس : كان يكتب للأمير أبي إسحاق إبراهيم (المتّقي) بن المقتدر ، قبل الخلافة ، وكان استخلاف المتّقي قد تمّ باختيار الناس له ، فلمّا توفّي الراضي جمع بجكم مشايخ بني هاشم من ولد علي والعبّاس ، ومشايخ الكتّاب ، ووجوه العدول والتجّار لاختيار من يخلفه ، فرشّح المتّقي ، ومضى أبو الحسين بن ميمون إليه فأخرجه من داره التي بحضرة دار البطّيخ ، وسار به في المـاء إلى دار الخلافة ، فاستوزره المتّقي في السنة ٣٢٩ ، وبعد ٣٣ يوماً ورد أبو عبد الله البريدي بغداد متغلّباً ، فأزال أبو الحسين عن نفسه اسم الوزارة ، ولبس الدرّاعة وهي لباس الكتّاب ، فأحدره البريدي إلى واسط ، ثمّ إلى البصرة ، وتوفّي بها سنة ٣٣٠ (الأوراق للصولي – أخبار الراضي والمتّقي ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٩٩ ، والفخري ٢٨٤ وتجارب الأمم ١١/٢ ، ١٢ ، ١٥ ، ١٦ ، والكامل لابن الأثير ٣٧٢/٨ و٣٧٣) أقول : جاء ذكر دار المتّقي ، وأنّها بحضرة دار البطّيخ ، ودار البطّيخ ، اسم لسوق الفاكهة ، وكانت هذه السوق بالجانب الغربي من بغداد ، وكانت دار المتّقي على دجلة ، وكانت لإسحاق بن ابراهيم المصعبيّ ، ثمّ صارت لإسحاق بن كنداج (كنداجيق) ، واشتريت للمتّقي ، وهو أمير ، بثلاثين ألف دينار ، وأقام بها حتى استخلف ، وعاد إليها بعد عزله ، وتوفّي بها في ليلة النصف من شعبان سنة ٣٥٧ ، ودفن في دار تحاذيها ، راجع معجم البلدان ٥١٧/٢ والمنتظم ١٥٣/٦ والتكملة ١٩٩ و ٢٠٠ ، والقصّة ١٠١/٤ من كتاب نشوار المحاضرة وأخبار=

دخل أبو عبد الله البريدي بغداد ، متقلّداً الوزارة الثانية للمتّقي ، قبض عليه وأحدره للبصرة .

فلمّا وردها البريديّ منهزماً ، أطلقه ، وأحسن إليه ، وأمرني بإنزاله بالقرب منّي ، وإيناسه بملازمتي ، وافتقاده بالدعوات ، ففعلت ، فكنّا متلازمين لا نكاد نفترق .

ووجدته أحلى الناس حديثاً ، وأحسنهم أدباً ، وأعمّهم فضلاً ، ولم أر قطّ أشدّ تغزّلاً ، ولا تهالكاً في العشق منه .

فحدّثني يوماً ، قال : عشقتُ مغنّية في القيان عشقاً شديداً ، فراسلت مولاتها في بيعها ، فاستامت فيها ثلاثة آلاف دينار .

وكنت أعرف من نفسي الملل ، فخشيت أن أشتريها فأملّها ، فدافعت بذلك ، ومضت أيّام ، [وكانت هي تأتي إلى عندي ، وكان يمضي لي معها أطيب عيش] .[٤]

فانصرفَتْ من عندي يوماً ، وكان المقتدر بالله أمر أن تشترى له مغنّيات ، وأنا لا أعلم ، وكانت الجارية حسنة الوجه جيّدة الغناء ، فحملت إلى المقتدر في جملة جوار ، فأمر بشرائهنّ كلّهنّ ، فاشتريت في جملتهنّ .

وأنفذتُ من غدٍ أستدعيها من سيّدتها ، فأخبرت بالخبر ، فقامت عليّ القيامة ، ودخل إلى قلبي من الألم ، والاحتراق ، والقلق ، أمر ما دخل مثله قطّ في قلبي ، فضلاً عن عشق[٥] .

وزاد الأمر عليّ ، حتى انتهى بي إلى حدّ الوسواس ، فامتنعت عن النظر في أمر داري ، وتشاغلت بالبكاء ، ولم يكن لي سبيل إلى العزاء .

المذاكرة للقاضي التنوخي .

٤ الزيادة من غ .

٥ كذا في جميع الأصول ، ولعلّ الصحيح : فضلاً عن عشقي .

وكنت أكتب – حينئذ – لأمّ المتّقي لله ، وهو حَدَثٌ ، فتأخّرت عنهم أيّاماً ، وأخللت بأمرهما ، وأنا متوفّر تلك الأيّام على الطواف في الصحاري ، لا آكل ، ولا أشرب ، ولا أتشاغل بأكثر من البكاء والهيمان .

فأنكر المتّقي وأمّه تأخّري ، فاستدعاني المتّقي ، وخاطبني في شيء من أمره ، فوجدني لا أعقل ولا أحصّل ما يقوله ، ولا أفهمه .

فسألني عن سبب اختلالي ، فصدقته ، وبكيت بين يديه ، وسألته أن يسأل أباه بيع الجارية عليّ ، أو هبتها لي .

فقال : ما أجسر على هذا .

قال : وزاد عليّ الأمر ، وبطلت .

وبلغ أمّ المتّقي الخبر ، فراسلتها أسألها مثلما سألت ابنها ، فرثت لي ، وحملت نفسها على أن خاطبت السيّدة أمّ المقتدر في أمري .

فقالت لها أمّ المقتدر : ما العجب من الرجل ، فإنّ الذي في قلبه من العشق قد أعماه عن الرأي [٢٣٥ م] بل العجب منك ، كيف وقع لك أنّه يجوز أن يقول أحد للخليفة : إنزل عن جاريتك لرجل يعشقها .

فراسلتني أمّ المتّقي بما جرى ، فزاد ما بي من القلق .

وكنت لا ألقى أحداً من الرؤساء في الدولة ، كالوزير ، وحاشية الخليفة ، إلّا وأقصدهم ، وأبكي بين أيديهم ، وأحدّثهم حديثي ، وأسألهم مسألة الخليفة في تسليم الجارية إليّ ، إمّا ببيع ، أو هبة .

فمنهم من ينكر عليّ ويوبّخني ، ومنهم من يرثي لي ويعذرني ، ومنهم من يشير عليّ بالإمساك ، ومنهم من يقول : إذا علم الخليفة هذا ، وأنّك تتعرّض لحرمه ، كان في [٢٨٩ غ] هذا إتلاف نفسك ، وأنا ملازم أبوابهم ، وتركت خدمة صاحبي .

إلى أن طال عليّ الأمر [وعلى المتّقي وأمّه ، لعدم ملازمتي الباب][٤] ووضعت

من محلّي ، وبطل أمر داري وضيعتي ، وأمور صاحبي .

إلى أن طال هذا على المتّقي وأمّه ، فطلبا كاتباً يصرفاني به .

وبلغني الخبر ، وقد كنت أيست من الجارية ، فعذلت نفسي ، وقلت : ليس بعد هذا الصرف إلّا الفقر والنكبة ، وذهاب الخير والنفس ، ولو كنت اشتريت هذه الجارية ، لكنت الآن قد مللتها ، فَلِمَ أفقر نفسي ، ولِمَ أقطع تصرفي ؟

وأقبلت أعظ نفسي ، وأسلّيها ليلتي كلّها ، إلى أن طاوعتني على الصبر [٢٦٥ ر] .

وباكرت دار المتّقي ، وبدأت في النظر في أموره ، ورأوا منّي خلاف ما تقدّم ، فسرّوا بذلك ، وقالوا : أنت أحبّ إلينا من الغريب نستأنفه ، فضمنت لهم الملازمة وتمشية الأمور .

فأقمت على ذلك مدّة ، ثم اشتقت إلى الشرب ، وقد كنت فقدته وهجرته منذ فقدت الجارية إلى ذلك اليوم .

فقلت للغلام : قم ، امض ، وأصلح لنا مجلساً للشرب ، وادع أصحابنا [أعني أصدقائي الذين يعاشرونني ، للرواح إليّ ، ولا تَدْعُ غناءً ، فلمّا انقضى شغلي عدت إلى داري ، واجتمع أصدقائي ، فصوّبوا رأيي][٦] ، وجلسنا نشرب ، ونتحدّث ، [٨٨ ن] ، ونلعب بالشطرنج[٧] .

فقالوا : لو دعوت لنا مغنّياً .

فقلت : أخاف أن أذكر به أمري مع الجارية .

فجلسوا عندي إلى أن صلّيت العشاء الآخرة ، وانصرفوا ، وجلست وحدي أشرب القدح بعد القدح إلى أن مضت قطعة من الليل ، وإذا أنا ببابي يدقّ دقّاً عنيفاً .

---

٦ الزيادة من ن .

٧ في م : ونلعب النرد .

فقال بوّابي : من هذا ؟

قالوا : خدم من دار الخليفة أمير المؤمنين .

فقمت ، ولم أشكّ أنّ حديثي قد اتّصل به فأنكره ، وقال : مثل هذا لا يصلح أن يكون كاتباً لحرمة[8] ، ولا مدبّراً أمر غلام حَدَثٍ ، وقد أمر بالقبض عليّ .

فقمت أمشي لأخرج من باب آخر كان لي ، وأستتر ، فإذا الخدم قد دخلوا ، ومعهم بغلة عليها عمّارية ، وشموع ، وإذا قد أنزلوا من العمّارية جاريتين ، إحداهما عشيقتي ، فبهتُّ .

فقال لي أحد الخدم ، وهو كالرئيس عليهم : مولانا أمير المؤمنين يقرئك السلام ، ويقول : عرفت خبرك مع الجارية في هذه الساعة ، فرحمتك ، وقد وهبتها لك مع جميع مالها ، وتركها الخادم ومضى .

ودخلت معها عدّة أحمال عليها الأثقال من صنوف الثياب ، والفرش ، والآلات ، والقماش ، وعدّة جوار ، وتركوا ذلك عندي ، وانصرفوا .

فأخذت بيد معشوقتي ، وأدخلتها المجلس ، فلمّا رأت الشراب والمجلس معبّأ ، قالت : سلوت عنّي ، وشربت بعدي .

فحلفت لها أنّي ما شربت نبيذاً منذ فارقتها إلّا في هذا اليوم ، وحدّثتها حديثي بطوله .

وقلت لها : ما السبب في مجيئك ؟ وما جرى ؟

فقالت : إعلم أنّ الخليفة لم يرني – منذ اعترضني وأمر بشرائي – إلّا الليلة ، وكان قد اتّصل مزح السيّدة معي ، فإنّها كانت استدعتني منذ مدّة ، وسألتني عن خبري معك ، فأخبرتها .

ثم قالت : هل تحبّينه ؟

---

٨ الحرمة : الأهل والزوجة ، وهذا التعبير ما زال مستعملاً ببغداد ، كناية عن المرأة ، يقول العامي البغدادي : رأيت حرمة ، أي : رأيت امرأة ، ورأيت حرمة فلان ، أي زوجة فلان .

فقلت : نعم ، حبًّا شديداً .

فتعجّبَتْ من ذلك ، وقالت : ثقّلنا عليك وعلى [٢٣٦ م] محبوبك ، ولكن يكون الخير إن شاء الله تعالى ، ووعدتني الجميل التام ، والوعد الحسن .

فلمّا كان هذه الليلة ، قعد الخليفة [٢٩٠ غ] يشرب مع الجواري والسيّدة حاضرة ، فاستدعيت ، وغنّيت .

فقال لي الخليفة : إن كنت تحسنين الصوت الفلاني ، فغنّيه ، وكان صوتك عليّ ، فغنّيته ، وتمثّلت لي صورتك ، وذكرت شربي معك ، فلم أملك دموعي ، حتى جرت .

فقال المقتدر : ما هذا ؟ فتحيّرت ، وجزعت ، ونظرتُ إلى السيّدة ، فضحكَتْ ، وضحك الجواري .

فقال المقتدر : ما القصّة ؟ فدافعته السيّدة .

فقال : بحياتي أصدقيني .

فقالت : على أن لا تؤذي الجارية ، ولا غيرها .

فقال : نعم ، وحياتك .

فحدّثته الحديث ، فلمّا استوفاه ، قال لي : يا جارية ، الأمر هكذا ؟ إنّما بكيت من عشق ابن ميمون ؟ فسكتُّ .

فقال : إن صدقتني وهبتك له .

فقلت : نعم .

فأقبل على أمّه ، فقال : ما هو بكثير إن وهبتها لخادم لنا .

فقالت : قد – والله – أردتُ أن أسألك هذا ، ولكن إن تفضلت به ابتداء منك ، كان أحسن .

فقال لبعض الخدم : خذ هذه الجارية ، وجميع ما كان سلّم إليها في حجرتها من جوار ، وقماش ، واحمله إلى دار ابن ميمون ، كاتب ابني إبراهيم ،

[٢٦٦ ر] وأقره سلامي ، وعرّفه أنّي قد وهبت ذلك كلّه له .

فلمّا قمت ، تصايحوا : قد جاء فرجك ، وبلغت مناك ، فقمت إلى حجرتي ، وجمعت ما ترى ، وحملته إليك .

قال : فشكرت الله عزّ وجلّ على ذلك ، وجلست معها ، وما شيل[٩] ما في مجلسي ، حتى اجتمعنا ، وجلست معها فيه ، وغنّت .

وبكّرت من غدٍ نشيطاً ، مسروراً ، أشكر السيّدة ، وأمّ المتّقي ، وأدعو لهما ، وأقامت الجارية عندي ، إلى أن ماتت .

٩ شيل : رُفِع ، بضم الراء وكسر الفاء ، ما زالت مستعملة ببغداد .

٤٦٩
فارق جاريته ثم اجتمع شملهما

حدّثني عبيد الله بن محمّد بن الحسن[١] الصروي ، قال : حدّثني أبي ، قال : كان ببغداد رجل من أولاد النِعَم ، ورث من أبيه مالاً جليلاً ، وكان يتعشّق جارية ، وأنفق عليها شيئاً كثيراً ، ثم اشتراها ، وكانت تحبّه ويحبّها ، فلم يزل ينفق ماله عليها إلى أن أفلس .

فقالت له الجارية : يا هذا ، قد بقينا كما ترى ، فلو طلبت معاشاً نقتات منه .

قال : فلم يجد له صناعة غير الغناء ، إذ كان الفتى من محبّته للجارية ، وإحضاره المغاني إليها ، ليزيدوها في صنعتها ، قد تعلّم الضرب والغناء ، وخرج صالحاً في طبقة الغناء والحذق فيه .

فشاور بعض معارفه ، فقال : ما أعرف لك معاشاً أصلح من أن تغنّي للناس ، وتحمل جاريتك إليهم فتأخذ على هذا الكثير ، ويطيب عيشك .

فأنف من ذلك ، وعاد إليها ، فأخبرها بما أشير عليه به ، وأعلمها أنّ الموت أشهى عنده من هذا ، فصبرت معه على الشدّة مدّة .

ثم قالت : قد رأيت لك رأياً .

فقال : قولي .

قالت : تبيعني ، فإنّه يحصل لك من ثمني ما تعيش به عيشاً صالحاً ، وتخلص من هذه الشدّة ، وأحصل أنا في نعمة ، فإنّ مثلي لا يشتريها إلّا ذو نعمة .

فحملها إلى سوق النخّاسين ، فكان أوّل من اعترضها فتى هاشميّ من أهل [٢٩١ غ] البصرة ، ظريف ، قد ورد بغداد للّعب والتمتّع ، فاشتراها بألف

---

١. في غ وز : ابن الحسين ، وفي م : ابن اسحاق ، والصحيح ما أثبتناه .

وخمسمائة دينار عيناً .

قال الرجل : فحين لفظت بالبيع ، وقبضت الثمن ، ندمتُ ، واندفعت في بكاء عظيم ، وحصلت الجارية في أقبح من صورتي ، وجهدتُ في الإقالة ، فلم يكن إلى ذلك سبيل .

فأخذتُ الدنانير في الكيس ، وأنا لا أدري إلى أين أذهب ، لأنّ بيتي موحش منها ، وورد عليّ من اللطم والبكاء ما هوّسني .

فدخلت مسجداً ، وجلست فيه أبكي ، وأفكّر فيما أعمل ، فحملتني عيني ، فتركت الكيس تحت رأسي كالمخدّة ، ونمت .

فما شعرت إلّا بإنسان قد جذبه من تحت رأسي [٢٣٧ م] فانتبهت فزعاً ، فإذا بإنسان قد أخذ الكيس ، ومرّ يعدو ، فقمت لأعدو وراءه ، فإذا رجلي مشدودة بخيط في وتد مضروب في آخر المسجد ، فإلى أن تخلّصت من ذلك ، غاب الرجل عن عيني .

فبكيتُ ، ولطمتُ ، ونالني أمر أشدّ من الأوّل ، وقلت : قد فارقت من أحبّ ، وبعته ، لأستغني بثمنه عن الصدقة ، فقد صرت الآن فقيراً ، مفارقاً لمن أحبّ .

فجئت إلى دجلة ، ولففت وجهي برداء كان على راسي ، ولم أكن أحسن أسبح ، ورميت بنفسي في الماء [٨٩ ن] لأغرق .

فظنّ الحاضرون أنّ ذلك لغلط وقع عليّ ، فطرح قومٌ نفوسهم خلفي ، فأخذوني ، وسألوني عن أمري ، فأخبرتهم ، وبقيت منهم بين راحم ومستجهل .

إلى أن خلا بي شيخ منهم ، فأخذ يعظني ، ويقول : يا هذا ، ذهب مالك ، فكان ماذا حتى تتلف نفسك ، أو ما علمت أنّ فاعل هذا في نار جهنّم ، ولست أوّل من افتقر بعد غنى ، فلا تفعل ، وثق بالله تعالى .

ثم قال لي : أين منزلك ؟

فقلت : في الموضع الفلاني .

فقال : قم معي إليه ، وما فارقني حتى حملني إلى منزلي ، وما زال يؤنسني ، ويعظني ، إلى أن بان له السكون فيّ ، فشكرته .

وانصرف ، فكدت أن أقتل نفسي لوحشة منزلي عليّ ، ثم ذكرت [٢٦٧ ر] النار والآخرة ، فخرجت من بيتي هارباً ، إلى بعض أصدقائي القدماء في حال سُعادتي ، فأخبرته خبري ، فبكى رقّة لي ، وأعطاني خمسين درهماً .

وقال : اقبل رأيي ، واخرج الساعة من بغداد ، واجعل هذه نفقة لك إلى حيث وجدتَ قلبك يساعدك إلى قصده ، وأنت من أولاد الكتّاب ، وخطّك جيّد ، وأدبك صالح ، فاقصد بعض العمّال ، واطرح نفسك عليه ، فأقلّ ما في الأمر أن تصير محرّراً بين يديه ، وتعيش معه ، ولعلّ الله أن يصنع لك صنعاً .

فعملت على هذا ، وجئت إلى الكتبيّين[٢] ، وقد قوي في نفسي أن أقصد واسط ، وكان لي فيها أقارب ، فأجعلهم ذريعة لي إلى التصرّف مع بعض عمّالها .

فحين جئت إلى الكتبيّين ، إذا بزلّال مقدّم ، وخزانة كبيرة[٣] ، وقماش كثير ينقل إلى الزلّال ، وإلى الخزانة .

فسألت : من يحملني إلى واسط ؟

فقال أحد ملّاحي الزلّال : نحن نحملك بدرهمين إلى واسط ، ولكن هذا

---

٢ يلاحظ أنّ موقف وسائل النقل النهرية في بغداد ، كان في مشرعة سوق الكتبيّين ، وكذلك الحال في واسط (القصّة ٤٥٢ من هذا الكتاب) ، وهذا يعني أنّ سوق الكتبيّين في واسط ، وفي بغداد ، على النهر ، وأنّ في كلّ واحد منهما فرضة تتّسع لجميع هذه الوسائل التي كان عليها المعوّل في الانتقال في ذلك العصر بين مدن العراق ، وتسمّى تلك الفرضة التي ببغداد «فرضة البصريين» راجع الطبري ١١٨/١٠ وحاشية القصّة ٣٠٠ من هذا الكتاب .

٣ الخزانة : سفينة تقطر مع الزلّال ويحفظ فيها ، ما يحتاج إليه راكبوا الزلّال ، من طعام وشراب ، ولباس ومتاع ، وقد أهدى علي بن هشام ، قائد المأمون ، لعلويه المغنّي حراقته ، بخزانتها ، وجميع آلاتها فباعها بمائة وخمسين ألف درهم (الأغاني ٣٤٨/١١ ، ٣٤٩) .

الزّلال لرجل هاشمي من أهل البصرة ، ولا يمكنّا من حملك معه على هذه الصورة ، ولكن تلبس ثياب الملّاحين ، وتجلس معنا كأنّك [٢٩٢ غ] واحد منّا .

فحين رأيت الزّلال ، وسمعت أنّه لرجل هاشمي ، من أهل البصرة ، طمعت أن يكون مشتري جاريتي ، فأتفرّج بسماعها إلى واسط .

فدفعت الدرهمين إلى الملّاح ، وعدتُ فاشتريت لي جبّة من جباب الملّاحين فلبستها ، وبعت تلك الثياب التي كانت عليّ ، وأضفتها إلى ما معي من النفقة ، واشتريت خبزاً وإداماً ، وجلستُ في الزّلال .

فما كان إلّا ساعة حتى رأيت جاريتي بعينها ، ومعها جاريتان تخدمانها ، فحين رأيتها سهل عليّ ما كان بي ، وما أنا عليه .

وقلت : أسمع غناءها ، وأراها ، من هاهنا إلى البصرة ، واعتمدت على أن أجعل قصدي إلى البصرة ، وطمعت في أن أداخل مولاها ، فأصير أحد ندمائه .

وقلت : ولا تخليني هي من الموادّ ، فإنّي واثق بها .

ولم يكن بأسرع من أن جاء الفتى الذي اشتراها راكباً ، ومعه عدّة ركبان ، فنزلوا في الزّلال وانحدروا .

فلمّا صاروا بكلواذى ، أخرج الطعام ، فأكل هو والجارية ، وأكل الباقون على سطح الزّلال [٢٣٨ م] ، وأطعموا الملّاحين .

ثم أقبل على الجارية ، فقال لها : إلى كم هذه المدافعة عن الغناء ، وهذا الحزن والبكاء ، ما أنت أوّل من فارق مولاه ، فعلمت ما عندها من أمري .

ثم ضربت ستارة في جانب الزّلال ، واستدعى الذين في سطحه ، وجلس معهم خارج الستارة ، فسألت عنهم ، فإذا هم إخوته ، وأخرجوا الصواني ، ففرّقوها عليهم ، وأحضروا النبيذ .

وما زالوا يترفّقون بالجارية ، إلى أن استدعت العود ، فأصلحته ، وجسّت

أوتاره ، ثم اندفعت تغنّي ، [من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى][٤]

بان الخليطُ بمن عرفت فأدلجـوا   عمداً لقتلك ثم لم يتحرّجـوا
وغدت كأنّ على ترائب نحرهـا   جمر الغضا في ساجة[٥] يتأجّج

قال : ثم غلبها البكاء ، وقطعت الغناء ، وتنغّص على الفتية سرورهم .

ووقعت أنا مغشيًّا عليّ ، فظن القوم أنّي قد صُرِعْتُ ، فأذّن بعضهم في أذني[٦] ، وصب عليّ الماء ، فأفقت بعد ساعة .

وما زالوا يداورونها ، ويرفقون بها ، ويسألونها الغناء ، إلى أن أصلحت العود ، واندفعت تغنّي [في الثقيل الثاني][٤] :

فوقفت أنسب بالذيـن تحمّلوا   وكأنّ قلبي بالشفار يقطّـع
فدخلت دارهُمُ أسائـل عنهُمُ   والدار خاليـة المنازلْ بلقـع

---

٤ ساقطة من غ .

٥ في م : في ساعة ، وفي ر : في ساحبته ، وفي غ : في ساحتيه ، وقد رجّحت كلمة : ساجة ، ويراد بها الأداة المدوّرة يحفظ فيها الجمر وغيره .

٦ كان الناس ، في ذلك العصر ، يعتقدون أنّ المصروع يصرعه الشيطان ، فإذا أذنه أحد في إذنه ، تركه الشيطان ، وفرّ هارباً من ذكر الله ، وكانوا يعتقدون أيضاً أنّ المصاب بمرض عقلي ، يحلّ الشيطان في بدنه ، وما زالت رواسب هذا الاعتقاد ، مستقرّة في أذهان العامّة ببغداد ، وفي المناطق المجاورة لها ، إلى الآن ، فهم يتكتّمون في بيان مرض مريضهم ، إذا كان مصاباً بمرض عقلي ، وإذا اضطرّوا إلى ذكره ، قالوا إنّه مريض بالأعصاب ، وكان يتصدّى لمعالجة المرضى بالأمراض العقليّة ، دجّالون ، يزعمون أنّ في إمكانهم طرد الأرواح الشريرة من بدن المصاب ، فكانوا يقيّدون المريض ، ويضربونه ، ويكوون بدنه بالنار ، فيشتدّ مرضه ، وربّما مات ، وأذكر أنّ أحد هؤلاء الدجّالين ، قتل شاباً يتيماً ، كان من طلاّب المدرسة الثانوية ، أصيب بالحمّى التيفوئيديّة ، وأصيب على أثر شفائه منها بعارض عقلي ، وكان وحيد أمّه ، فاضطربت خوفاً عليه ، وأحضرت له هذا الدجّال ، فحبسه في سرداب ، وقيّده ، وجلده ، وكواه ، فمات ، وحوكم هذا الدجّال أمام محكمة الجنايات ببغداد في السنة ١٩٣٢ ، وكنت كاتباً في المحكمة ، فحكمت بحبسه أربع سنوات .

ثم شهقت فكادت تتلف ، وارتفع لها بكاء عظيم ، وصعقت أنا ، فتبرّم بي الملّاحون ، وقالوا : كيف حملنا هذا المجنون معنا .

فقال بعضهم : إذا بلغتم بعض القرى فأخرجوه وأريحونا منه .

فجاءني أمر عظيم ، أعظم من كلّ شيء دفعت إليه ، ووضعت في نفسي التصبّر ، والحيلة في أن أعلمها بمكاني من الزلّال ، لتمنع من إخراجي .

وبلغنا إلى قرب المدائن ، فقال صاحب الزلّال : اصعدوا بنا إلى الشطّ [٢٦٨ ر] ، فطرحوا إلى الشطّ ، وخرج الجماعة ، وقد كان المساء قد قرب ، وصعد أكثر الملّاحين يتغوّطون[٧] ، فخلا [٢٩٣ غ] الزلّال ، وكان الجواري فيمن صعد إلى مستراح ضرب لهنّ .

فمضيت سارقاً نفسي حتى صرت خلف الستارة ، فغيّرت طريقة العود عمّا كانت عليه ، إلى طريقة أخرى ، ورجعت إلى موضعي من الزلّال .

وفرغ القوم من حاجاتهم في الشطّ ، ودفعوا[٨] والقمر منبسط .

فقالوا لها : بالله ياستّي غنّينا شيئاً ، ولا تنغّصي علينا عيشنا .

فأخذت العود فجسّته ، فشهقت شهقة كادت تتلف ، وقالت : والله ، قد أصلح هذا العود مولاي ، على طريقة من الضرب كان بها معجباً ، وكان يضربها معي ، ووالله إنّه معنا في الزلّال .

فقال لها صاحبها : والله ، لو كان معنا ما امتنعنا من عشرته ، فلعلّه أن يخفّ بعض ما بك ، فننتفع بغنائك .

فقالت : ما أدري ما تقولون ، هو – والله – معنا .

---

٧ الغائط : الموضع المنخفض من الأرض ، ولمّا كان الاعرابيّ إذا أراد قضاء حاجته قصد الموضع المنخفض ، فقد كني عن قضاء الحاجة ، بكلمة التغوّط أو الذهاب للغائط ، وما زال القرويّون في وسط العراق وجنوبه ، يكنّون عمّن ذهب لقضاء حاجته ، بقولهم : راح للوهاد ، جمع وهدة ، وهي الموضع المنخفض .

٨ دفعوا : يعني حرّكوا السفينة للمسير ، ما زال مستعملاً في بغداد .

فقال الرجل للملّاحين : ويحكم ، حملتم معنا إنساناً غريباً ؟

فقالوا : لا .

فأشفقت أن ينقطع السؤال ، فصحت : نعم ، هوذا أنا .

فقالت : كلام مولاي ، والله ، وجاء بي الغلمان إلى الرجل .

فلمّا رآني عرفني ، وقال : ويحك ، ما هذا الذي أصابك ؟ وما أدّاك إلى هذه الحال ؟ فصدقته عن أمري ، وبكيت ، وعلا نحيب الجارية من خلف الستارة ، وبكا هو وإخوته بكاء شديداً ، رقّة لنا .

ثم قال : يا هذا ، والله ، ما وطئت هذه الجارية ، ولا سمعت منها غناء قبل هذا اليوم ، وأنا رجل موسّع عليّ والحمد لله ، وقدمت إلى بغداد لسماع الغناء ، وطلب [٩٠ ن] أرزاقي من الخليفة ، وقد بلغت من الأمرين ما أردت .

فلمّا عوّلت على الرجوع إلى وطني ، أحببت أن أستصحب معي مغنّية من بغداد ، فاشتريت هذه الجارية ، لأضمّها إلى عدّة مغنّيات عندي بالبصرة .

وإذ كنتما على هذه الحالة ، فأنا – والله – أغتنم [٢٣٩ م] المكرمة والثواب فيكما ، وأشهد الله تعالى على أنّي إذا صرت إلى البصرة أعتقها وأزوّجك إيّاها ، وأجري عليكما ما يكفيكما ، على شريطة إن أجبتني إليها .

قلت : وما هي ؟

قال : أن تحضرها عندي متى أردنا الغناء ، تغنّي بحضورك وتنصرف بانصرافك إلى دار أفرغها لكما ، وقماش أعطيكما إيّاه .

قلت : يا سيّدي ، وكيف أمنع من هو المعطي ، وأبخل على من يردّ حياتي عليّ ، بهذا المقدار ، وأخذت أقبّل يده ، فمنعني .

ثم أدخل رأسه إلى الجارية ، وقال : يرضيك هذا ؟ فأخذت تدعو له ، وتشكره .

فاستدعى غلاماً له ، وقال له : خذ بيد هذا الرجل ، وغيّر ثيابه ، وبخّره ،

وقدّم له ما يأكله ، وجئنا به ، فأخذني الغلام ، وفعل بي ذلك ، وعدتُ ، فَتُرِكَتْ بين يديّ صينيّة .

فاندفعت الجارية تغنّي بنشاط ، واستدعت النبيذ ، وشربَتْ ، وشربنا ، وأخذت أقترح عليها الأصوات الجياد ، فتضاعف سرور الرجل بها .

وما زلنا على ذلك أيّاماً ، حتى وصلنا نهر معقل ، ونحن سكارى ، فشدّ الزلّال في الشطّ .

وأخذتني بولة الماء في الليل ، فصعدت على ضفة نهر معقل[9] لأبول ، فحملني السكر على النوم .

ودفع الزلّال وأنا لا أعلم ، وأصبحوا فلم يجدوني ، ودخلوا البصرة ، ولم أنتبه أنا إلّا بحمي الشمس[10] ، فجئت إلى الشطّ ، فلم أر لهم عيناً ولا أثراً .

وكنت قد أجللت الرجل أن أسأله بمن يعرف ؟ وأين داره [٢٩٤ غ] من البصرة ؟ واحتشمت غلمانه أن أسألهم ، فبقيت على شاطىء نهر معقل ، كأوّل يوم بدأت بي المحنة ، وكأنّ ما كنت فيه منام .

فاجتازت بي سماريّة ، فقعدت فيها ، ودخلت إلى البصرة ، وما كنت دخلتها قط ، فنزلت خاناً ، وبقيت متحيّراً ، لا أدري ما أعمل ، ولم يتوجّه لي معاش .

إلى أن اجتاز بي إنسان أعرفه ، [٢٦٩ ر] فتبعته لأكشف له حالي ، ثم أنفت من ذلك ، ودخل الرجل إلى منزله ، فعرفته ، وجئت إلى بقّال كان على باب الخان الذي نزلته ، فأعطيته دانقاً ، وأخذت منه ورقة ، وجلست أكتب رقعة إلى الرجل .

---

٩ نهر معقل : نهر معروف بالبصرة ، ينسب إلى معقل بن يسار الصحابي ، حفره بالبصر بأمر الخليفة عمر (معجم البلدان ٤/٤٨٥) .

١٠ حمي الشمس : حرّها ، ويقال أيضاً : حمو الشمس ، والتعبيران ما زالا مستعملين ببغداد .

فاستحسن البقّال خطّي ، ورأى رثاثة زيّي[١١] ، فسألني عن أمري ، فأخبرته أنّي رجل ممتحن[١٢] فقير ، قد تعذّر عليّ التصرّف ، وما بقي معي شيء ، ولم أشرح له أكثر من هذا .

فقال لي : تعمل معي كلّ يوم بنصف درهم ، وطعامك وكسوتك عليّ ، وتضبط حساب دكّاني ؟

فقلت : نعم .

فقال : اصعد .

فخرقت الرقعة ، وصعدت ، فجلست معه ، أدبّر أمره ، وضبطت دخله وخرجه ، وكان غلمانه يسرقونه ، فأدّيت له الأمانة .

فلمّا كان بعد شهر ، رأى الرجل دَخْلَهُ زائداً ، وخَرْجَهُ ناقصاً ، فحمدني .

وبقيت معه كذلك شهراً آخر ، ثم جعل رزقي في كلّ يوم درهماً .

ولم يزل حالي معه يقوى ، إلى أن حال الحول ، وقد بان له الصلاح في أمره ، فدعاني إلى أن أتزوّج بابنته ، ويشاركني ، ففعلت .

ودخلت بزوجتي ، ولزمت الدكّان ، وحالي يقوى ، إلّا أنّني في خلال ذلك ، منكسر النفس[١٣] ، ميّت النشاط ، ظاهر الحزن .

وكان البقّال ربما شرب فيجرّني إلى مساعدته ، فأمتنع ، وأظهر له أنّ ذلك بسبب حزني على موتى لي .

واستمرّت بي الحال على هذا سنتين وأكثر .

فلمّا كان في بعض الأيّام ، رأيت الناس يجتازون بفاكهة ، ولحم ، ونبيذ ، اجتيازاً متّصلاً ، فسألت عن ذلك ؟

---

١١ في غ : ورآني ببزّة حسنة .

١٢ الممتحن : المصاب بالمحنة أي البليّة .

١٣ في غ : منكسر القلب .

فقيل لي : اليوم الشعانين[١٤] ، يخرج فيه أهل الظرف واللعب ، بالطعام والشراب ، والقيان إلى الأبلّة ، فيرون [٢٤٠ م] النصارى ، ويشربون ، ويفرحون .

فدعتني نفسي إلى التفرّج ، وقلت : لعلّي أصل إلى أصحابي ، أو أقف لهم على خبر ، فإنّ هذا من مظانّهم[١٥] .

فقلت لحميّ[١٦] : أريد أن أنظر إلى هذا المنظر .

فقال : شأنك وما تريد ، فأصلَحَ لي طعاماً ، وشراباً ، وسلّم إليّ غلاماً وسفينةً .

فخرجت وركبت السفينة ، وبدأت بالأكل ، ثم قدّمت آنية الشراب ، وجلست أشرب حتى وصلت الأبلّة ، وأبصرت الناس وقد ابتدأوا ينصرفون .

فإذا بالزلّال بعينه ، في أوساط الناس ، سائراً في نهر الأبلّة ، فتأمّلته ، فإذا أصحابي على سطحه ، ومعهم عدّة مغنّيات .

فحين رأيتهم لم أتمالك فرحاً ، فطرحت إليهم ، فحين رأوني عرفوني ، فكبّروا ، وأخذوني إليهم ، وسلّموا عليّ .

وقالوا : ويحك ، أنت حيّ ؟ وعانقوني ، وفرحوا بي ، وسألوني عن قصّتي ، فأخبرتهم بها ، من أوّلها إلى آخرها ، على أتمّ شرح .

فقالوا : إنّا لمّا فقدناك [٢٩٥ غ] في الحال ، وقع لنا أنّك بالسكر وقعت في الماء فغرقت ، ولم نشكّ في ذلك ، فخرّقت الجارية ثيابها ، وكسرت العود ، وجزّت شعرها ، وبكت ، ولطمت ، فما منعناها من شيء من هذا .

---

١٤ الشعانين ، والسعانين : عيد من أعياد النصارى ، يحلّ يوم الأحد الذي قبل الفصح ، والكلمة عبرانية : هو شيعة نا ، أي خلّصنا (المنجد) .

١٥ المظانّ ، والمفرد مظنّة : الموضع الذي يظنّ وجوده فيه .

١٦ الحمو ، أبو زوج المرأة ، وأبو امرأة الرجل ، وحَمُو : من الأسماء التي تعرب بالواو رفعاً ، وبالألف نصباً ، وبالياء خفضاً ، ولا يكون إلا مضافاً ، تقول : هذا حموه ، ورأيت حماه ، ومررت بحميه .

ووردنا البصرة ، فقلنا لها : ما تحبين أن نعمل معك ؟ فقد كنّا وعدنا مولاك وعداً ، تمنعنا المروءة من استخدامك بعده في حالٍ أو سماعٍ .

فقالت : يا مولاي لا تمنعني من القوت اليسير ، ولبس الثياب السواد ، وأن أصنع قبراً في بيت من الدار ، وأجلس عنده ، وأتوب من الغناء ، فمكنّاها من ذلك ، فهي جالسة عنده إلى الآن .

وأخذوني معهم ، فحين دخلت ، ورأيتها بتلك الصورة ، ورأتني ، شهقت شهقةً عظيمةً ، فما شككت في تلفها ، وأعتنقتها ، فما افترقنا ساعة طويلة .

ثم قال لي مولاها : خذها .

فقلت : بل تعتقها وتزوّجني بها ، كما وعدتني .

ففعل ذلك ، ودفع لنا ثياباً كثيرة ، وفرشاً ، وقماشاً ، وحمل إليّ خمسمائة دينار .

وقال : هذا قدر ما أردت أن أجريه عليكم في كلّ شهر [٢٧٠ ر] من أوّل شهر دخولي إلى البصرة ، وقد اجتمع في طول هذه المدّة ، والجراية في كلّ شهر غير هذا ، وشيء آخر لكسوتك ، وكسوة الجارية ، والشرط في المنادمة وسماع الجارية من وراء الستارة باقٍ ، وقد وهبت لك الدار الفلانيّة ، وهذه مفاتيحها .

فأخذت المفاتيح ، وأتيت إلى الدار ، فوجدتها مفروشة بأنواع الفرش ، وإذا بذلك الفرش والقماش الذي أعطيته فيها ، والجارية.

فسررت بذلك سروراً عظيماً ، وجئت إلى البقّال ، فحدّثته حديثي ، وطلّقت ابنته ، ووفّيتها [٩١ ن] صداقها .

وأقمت مع الجارية سنين[١٧] ، وصرت ربّ ضيعة ونعمة ، وصار حالي إلى

---

١٧ في غ : وأقمت على تلك الحال سنين .

قريب مما كنت عليه أوّلاً .

وأنا أعيش كذلك مع جاريتي ، إلى الآن[١٨] .

---

١٨ وردت القصّة في كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للقاضي التّنوخي ، برقم القصّة ٥/١٣٩ .

٤٧٠

أمير البصرة يجمع بين متحابّين

روى أبو روق الهزّاني ، عن الرياشيّ[١] : أنّ بعض أهل النعم بالبصرة ، اشترى جارية ، وأحسن تأديبها وتعليمها ، وأحبّها حبّاً شديداً ، وأنفق عليها حتى أملق ، ومسهما الضرّ الشديد ، [والفقر المبيد .

فقال لها يوماً : قد ترين ما صرنا إليه من الفقر ، ووالله ، لموتي وأنت معي ، أهون عليّ مما أذكره لك ، ويسوءني أن أراك على غير الحالة التي تسرّني فيك ، ونهاية الأمر بنا ، أن تحلّ بأحدنا منيّته ، فيقتل الآخر نفسه عليه ، فإن رأيتِ أن أبيعك لمن يحسن إليك ، فيغسل عنك ما أنتِ فيه ، وأتفرّج أنا بما لعلّه يصير إليّ من الشيء من ثمنك ، ولعلّك تحصلين عند من تتوصّلين إلى نفعي معه .

فقالت : والله لموتي وأنا على تلك الحالة ، أهون عليّ من انتقالي إلى غيرك ، ولكن افعل ما بدا لك][٢] .

وقالت له الجارية : إنّي لأرثي لك يا مولاي ، مما أرى بك من سوء الحال ، فلو بعتني فانتفعت بثمني ، فلعلّ الله أن يصنع لك صنعاً جميلاً ، وأقع أنا بحيث يحسن حالي ، فيكون ذلك أصلح لكلّ واحد منّا .

فخرج ، وعرضها للبيع ، فأشار عليه أحد أصدقائه ، ممن له رأي ، أن

---

١ في غ : روى أبو روق الرياشي ، عن الهزاني ، وهو غير صحيح ، فإنّ أبا روق الهزاني هو الراوي عن الرياشي ، راجع القصّة ٧٢/٥ من كتاب نشوار المحاضرة ، والرياشي هو أبو الفضل العباس بن الفرج ابن علي بن عبد الله البصري (١٧٧–٢٥٧) المعروف بالرياشي ، نسبة إلى رياش ، رجل من جذام (اللباب ٤٨٤/١) والرياشي ، لغويّ ، راوية ، عالم بتاريخ العرب وأيّامها ، قتل بالبصرة ، أيّام فتنة صاحب الزنج (الأعلام ٣٧/٤) .

٢ الزيادة من غ .

يحملها إلى عمر بن عبيد الله بن مَعْمَر التيميّ ، وكان أمير البصرة[3] يومئذ ، فأعجبته .

فقال لمولاها : كم شراؤها عليك ؟

قال : بألف دينار[4] ، وقد أنفقت عليها أكثر من [٢٩٦ غ] مائة ألف درهم[5] .

قال : أمّا ما أنفقت عليها ، فغير محتسب لك ، لأنّك أنفقته في لذّاتك ، وأمّا ثمنها ، فقد أمرنا لك بمائة ألف درهم ، وعشرة سفاط ثياب ، وعشرة رؤوس من الخيل ، [وعشرة من الرقيق][6] ، أرضيت ؟

قلت : نعم ، رضيت ، فأمر بالمال فأحضر .

فلمّا قبض المولى الثمن ، وأراد الانصراف ، استعبر كلّ واحد منهما إلى صاحبه باكياً ، وأنشأت الجارية تقول : [٢٤١ م]

هنيئاً لك المال الذي قد حويته ... ولم يبق في كفّي إلّا التفكّر[7]
أقول لنفسي وهي في كرباتها ... أقلّي فقد بان الحبيب أو أكثري
إذا لم يكن للأمر عندي حيلة ... ولم تجدي شيئاً سوى الصبر فاصبري

قال : فاشتدّ بكاء المولى ، وعلا نحيبه ، ثم أنشأ يقول :

فلولا قعود الدهر بي عنك لم يكن ... يفرّقنا شيء سوى الموت فاعذري
أروح بهمّ في الفؤاد مبرّح ... أناجي به قلباً طويل التفكّر[8]

---

٣ في غ : أمير العراق ، وهو عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي القرشي (٢٢-٨٢) : قائد ، شجاع ، جواد ، ولّي البصرة ، وولّي فارس ، وحارب الخوارج (الأعلام ٥/٢١٤) .

٤ في غ : بمائة ألف درهم .

٥ في غ : مائة ألف دينار .

٦ الزيادة من غ .

٧ في المستجاد : ولم يبق في كفّي غير التحسّر .

٨ في المستجاد : أروح بهمّ من فراقك موجع ... أناجي به قلباً قليل التصبّر

عليك سلام ، لا زيـــارة بيننــــــا ولا وصل إلّا أن يشاء ابن مَعْمَرِ

فقال له ابن مَعْمَر : قد شئت يا هذا ، خذ جاريتك ، بارك الله لك فيها وفيما صار إليك من المال ، وانصرفا راشدين ، فوالله ، لا كنتُ سبباً في فرقة محبّين .

فأخذها وأخذ المال والخيل والرقيق والثياب ، وأثرى وحسنت حاله[9] .

[وأخبرني الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزي ، خليفة أبي رحمه الله على القضاء بها ، قال : حدّثنا أحمد بن سعيد ، أنّ الزبير حدّثهم ، قال : حدّثني ابن أبي بكر المؤملي ، قال : حدّثني عبد الله بن أبي عبيدة بن محمّد بن عمّار بن ياسر ، قال : كانت لفتى من العرب جارية جميلة ، وكان بها معجباً ، يجد بها وجداً شديداً ، فلم يزل ينفق عليها حتى أملق واحتاج ، وجعل يسأل إخوانه ، فقالت الجارية ... وذكر بقية الخبر على قريب مما رواه الرياشي ، والألحان في الشعر على ما رواه الزبير][10] .

[ووجدت هذا الخبر مذكوراً بقريب من هذه الألفاظ ، في كتاب أخبار المتيّمين للمدائني ، وقد زاد فيه : أنّ الجارية كانت قينة ، ولم يذكر الشعر الأوّل][11] .

---

٩ وردت القصّة في نشوار المحاضرة برقم ٧٢/٥ ، وفي الأغاني ٣٨٩/١٥ وفي المستجاد للتّنوخي ١٦٠-١٦٢ .

١٠ الزيادة من ن ، ويظهر أنّ القصّة ناقصة ، إذ لم يرد في القصّة ذكر للألحان التي أشار إليها المؤلّف في آخر الفقرة .

١١ وردت هذه الفقرة في م وفي ن ، ولم ترد في ر ، ولا في غ .

٤٧١

من مكارم جعفر بن يحيي البرمكي

وحدّثني أبو الفرج علي بن الحسين المعروف بالأصبهاني ، إملاء من حفظه[١] ، قال : حدّثني الحسين بن يحيى المرداسي ، قال : حدّثنا حمّاد بن إسحاق بن إبراهيم الموصلي ، قال : حدّثني أبي ، قال :

لمّا دخل الرشيد البصرة حاجًّا[٢] ، كنت معه ، فقال لي جعفر بن يحيى : يا أبا محمّد ، قد وصفت لي جارية مغنّية حسناء محسنة ، تباع ، وذكر أنّ مولاها ممتنع من عرضها إلّا في داره ، وقد عزمتُ على أن أركب [٢٧١ ر] مستخفياً ، فأعترضها ، أفتساعدني ؟

فقلت : السمع والطاعة .

فلمّا كان في نصف النهار[٣] حضر النخّاس[٤] ، فأعلم بحضوره ، فخرج جعفر بعمامة وطيلسان ونعل عربية ، وأمرني فلبست مثل ذلك ، وركبنا حمارين قد أسرجا بسروج التجّار ، [وركب النخّاس معنا ، وطلبنا الطريق][٥] .

فلم يزل النخّاس يسير بين أيدينا ، حتى أتينا باباً شاهقاً يدلّ على نعمة قديمة ، فقرع النخّاس الباب ، وإذا بشاب حسن الوجه ، عليه أثر ضرّ باد ، وقميص غليظ خشن ، ففتح لنا الباب ، وقال لنا : انزلوا يا سادة ، فدخلنا .

فأخرج لنا الرجل قطعة حصير خَلَقٍ ، ففرشها لنا ، فجلسنا عليها .

---

١ في غ : من لفظه .

٢ كان ذلك في السنة ١٧٩ (العيون والحدائق ٣/٢٩٧) .

٣ كذا في م وفي غ ، وفي ر : في نصف الليل .

٤ النخّاس : بائع الرقيق .

٥ ساقطة من غ .

فقال له النخّاس : أخرج الجارية ، فقد حضر المشتري .

فدخل البيت ، وإذا الجارية قد خرجت في القميص الغليظ الذي كان على الفتى بعينه ، وهي فيه – مع خشونته – كأنّها في الحلي والحلل ، لحسن وجهها ، وفي يدها عود .

فأمرها جعفر بالغناء ، فجلست ، وضربت ضرباً حسناً ، واندفعت تغنّي : [٢٩٧ غ]

إن يمسِ حبلك بعد طول تواصلٍ خَلَقاً ويصبح بيتكم مهجورا

فلقد أراني والجديد إلى بلىً دهراً بوصلك[٦] راضياً مسرورا

جذلاً بمالي عندكم لا أبتغي بدلاً بوصلك خلّة وعشيرا

كنتَ المنى وأعزّ من وطىء الحصى عندي وكنت بذاك منك جديرا

ثم غلبها البكاء حتى منعها من الغناء ، وسمعنا من البيت نحيب الفتى ، وقامت الجارية تتعثّر في أذيالها ، حتى دخلت البيت ، وارتفعت لهما ضجّة بالبكاء والشهيق ، حتى ظننّا أنّهما قد ماتا ، وهممنا بالانصراف .

فإذا بالفتى قد خرج وعليه ذلك القميص بعينه ، فقال : أيّها القوم ، أعذروني فيما أفعله وأقوله .

فقال له جعفر : قل .

فقال : أشهد الله تعالى ، وأشهدكم ، أنّ هذه الجارية حرّة لوجه الله تعالى ، وأسألكم أن تزوّجوني بها .

قال : فتحيّر جعفر أسفاً على الجارية ، ثم قال لها : أتحبين أن أزوّجك من مولاك ؟

قالت : نعم .

٦ في غ : رهناً بوصلك .

فقرّر الصداق ، وخطب ، وزوّجها به ، ثم أقبل على الفتى ، وقال له : ما حملك على [٢٤٢ م] هذا ؟

فقال : حديثي طويل ، إن نشطت له حدّثتك به .

فقال : لا أقلّ من أن نسمعه ، فلعلّنا أن نبسط عذرك .

فقال : أنا فلان ابن فلان ، وكان أبي من وجوه أهل هذا البلد ، ومياسيره ، وهذا عارف بذلك ، وأومأ إلى النخّاس .

وأسلمني أبي إلى الكتّاب[٧] ، وكانت لأمّي صبيّة قريب سنّي من سنّها ، وهي جاريتي هذه ، وكانت معي في المكتب ، تتعلّم ما أتعلّم ، وتنصرف معي .

فبلغت ، ثم بطّلْتُ[٨] من الكتّاب ، وتعلّمت الغناء ، فكنت لمحبّتي لها أتعلّمه معها ، وتعلّق قلبي بها ، وأحببتها حبّاً شديداً .

وبلغت أنا أيضاً ، فخطبني وجوه أهل البصرة لبناتهنّ ، فخيّرني أبي ، فأظهرت له الزهد في التزويج ، ونشأت متوفّراً على الأدب ، متقلّباً في نعم أبي ، غير [٩٢ ن] متعرّض لما يتعرّض له الأحداث[٩] ، لتعلّق قلبي بالصبيّة ، ورغبة أهل البلد تزداد فيّ ، وعندهم أنّ عفّتي لصلاح ، وما كانت إلّا لتعلّق قلبي بالجارية ، وأنّ شهوتي لا تتعدّاها لأحد .

وبلغ حذقها في الغناء إلى ما قد سمعتموه ، فعزمت أمّي على بيعها ، وهي لا تعلم ما في نفسي منها ، فأحسست بالموت ، واضطررت إلى أن حدّثت أمي عن الصورة ، فحدّثَتْ أبي ، فاجتمع رأيهما على أن وهبا لي الجارية ، وجهّزاها

---

٧ الكتّاب : موضع تعليم الصغار .

٨ في م : عطلت عن الكتّاب ، وقد اخترت التعبير الوارد في ر ، لأنّ هذا التعبير ما زال مستعملاً في بغداد ، يقول التلميذ إذا ترك المدرسة : بطّلت من المدرسة .

٩ الأحداث : الشبّان الصغار ، المفرد ، حَدَث ، بالفتح ، والبغداديّون يخصّون به الفتاة الصغيرة تحبّباً ، فيقولون : حديثة ، بالتّصغير .

كما يجهّز أهل البيوتات بناتهنّ ، وجليت عليّ ، وعمل لنا عرس حسن ، ونعمت معها دهراً طويلاً .

ثم مات أبي ، وخلّف لي مالاً كثيراً ، فلم أحسن أن أربّ نعمته[10] ، وأسأت التدبير فيها [٢٧٢ ر] ، وأسرعت في الأكل والشرب والقيان ، وأنا مع ذلك أجذر[11] في اليوم الواحد بخمسين ديناراً أو أكثر .

فأوجب ذلك أن تلفت النعمة ، وأفضت [٢٩٨ غ] الحال إلى نقض الدار وبيع ما فيها ، حتى صرتُ إلى ما ترى ، وأنا على هذا منذ سنين .

فلمّا كان في هذا الوقت ، وبلغني دخول الخليفة ، ووزيره ، وأهل مملكته ، البصرة ، قلت لها : يا ستّي ، إعلمي أنّ شبابك قد بلي ، وأنّ عمرك في الشقاء ينقضي ، وبالله ، إنّ نفسي تالفة من فراقك ، ولكنّي أؤثر تلفها مع وصولك إلى نعمة ورفاهية ، فدعيني أعرضك ، لعلّ أن يشتريك بعض هؤلاء الأكابر ، فتحصلي معه في رغد عيش ، فإن متّ بعدك فذاك الذي أوثر ، ويكون كلّ واحد منّا قد تخلّص من الشقاء ، وإن حكم الله تعالى عليّ بالبقاء ، صبرتُ على قضائه .

فبكَتْ من ذلك ، وقلقَتْ ، ثم قالت : إفعل ما تحبّ .

فخرجت إلى هذا النخّاس ، فأطلعته على أمري ، وقد كان يسمع غناءها أيّام نعمتي ، وعرف حالها وحالي ، وأعلمته أنّي لا أعرضها إلّا عندي ، فإنّها – والله – ما طرقت رجلها خارج باب الدار قط ، وقصدتُ بذلك أن يراها المشتري ، ولا تدخل بيوت الناس ، ولا إلى السوق ، وإنّها لم يكن لها ما تلبسه إلّا قميصي هذا ، وهو مشترك بيننا ، ألبسه أنا إذا خرجتُ لأبتاع القوت ، وتتّشح هي بأزارها ، وإذا جئت إلى البيت ، ألبستها إيّاه ، وأتّشح أنا بالأزار .

---

١٠ ربّ النعمة : أصلحها وزادها .

١١ الجذر : أجر المغنّي .

فلمّا حصل من يعترضها[12] ، وخرجت فغنّتكم ، لحقني من القلق والبكاء لفراقها أمر عظيم ، فدخلت إليّ ، وقالت : يا هذا ، ما أعجب أمرك ، أنت مللتني ، وأردت بيعي وفراقي ، وتبكي هذا البكاء ؟

فقلت لها : يا هذه ، إنّ فراق نفسي أسهل عليّ من فراقك ، وإنّما أردت أن تتخلّصي من هذا الشقاء .

فقالت : والله ، لو ملكتُ منك ما ملكتَ منّي ، ما بعتك أبداً ، وأموت جوعاً وعرياً ، فيكون الموت هو الذي يفرّق بيننا .

فقلت : أتريدين أن تعلمي صدق قولي ؟

قالت : نعم .

قلت : هل لك [٢٤٣ م] أن أخرج الساعة إلى المشتري فأعتقك بين يديه وأتزوّجك ، ثم أصبر معك على ما نحن فيه إلى أن يأذن الله تعالى بفرج أو موت ؟

فقالت : إن كان قولك صادقاً ، فافعل ما بدا لك من هذا ، فما أريد غيره .

فخرجت إليكم فكان منّي ما قد علمتم ، فاعذروني .

فقال جعفر الوزير : أنت معذور ، ونهض ، ونهضت معه ، والنخّاس معنا .

فلما قدّم حماره ليركب ، دنوت منه ، وقلت : يا سبحان الله ، مثلك في جودك ، يرى مثل هذه المكرمة ، فلا ينتهز الفرصة فيها ؟ والله ، لقد تقطّع قلبي عليهما .

فقال : ويحك ، وقلبي – والله – كذلك ، ولكنّ غيظي من فوت الجارية إيّاي يمنعني من التكرّم عليه .

فقلت : وأين الرغبة في الثواب ؟

فقال : صدقت والله .

---

١٢ اعترض : أي عرض الشيء عليه ، فأبصره وشاهده ، ومنه اعتراض القائد الجيش ، وهو ما يسمّى الآن بالاستعراض .

ثم التفت إلى النخّاس فقال : كم كان الخادم سلّم إليك عند ركوبنا ، لتشتري به الجارية ؟

فقال : ثلاثة آلاف دينار .

فقال : أين هي ؟

فقال : مع غلامي .

فقال لي وللنخّاس : خذاها [٢٩٩ غ] وادفعاها إلى الفتى ، وقولا له : يكتسي ويركب ويجيئني ، لأحسن إليه وأستخدمه .

فرجعنا إلى الفتى ، فإذا هو يبكي ، فقلت له : قد عجّل الله فرجك ، إعلم أنّ الذي خرج من عندك هو الوزير جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي ، وقد أمر لك بهذا ، وهو يقول لك كذا وكذا .

قال : فصعق ، حتى قلت قد تلف ، ثم أفاق ، فأقبل يدعو لجعفر ، ويشكرني .

وكنت قد ركبتُ فلحقت بالوزير ، وأعلمته ، فحمد الله عزّ وجلّ على ما وهبه له ، وعاد إلى داره وأنا معه .

فلمّا كان وقت العشاء ، جئنا إلى الرشيد ، فأقبل يسأل جعفر خبره في يومه ، وهو يخبره ، إلى أن قصّ عليه حديث الفتى [٢٧٣ ر] والجارية .

فقال له الرشيد : فما عملت معه ؟ فأخبره .

فاستصوب رأيه ، وقال : وقّع له برزق [سلطانيّ][١٣] في رسم أرباب النعم[١٤] ، في كلّ شهر كذا وكذا ، واعمل به بعد ذلك ما شئت .

فلمّا كان من الغد ، جاءنا الفتى راكباً بثياب حسنة ، وهيأة جميلة ، فإذا

---

١٣ الزيادة من م وغ .

١٤ الرزق السلطاني : رزق يشبه الراتب التقاعديّ ، يخصّص لأرباب النعم الذين فقدوا نعمهم ، من أجل معونتهم على العيش .

به من أحلى الناس كلاماً ، وأتمّهم أدباً .

فحملته إلى جعفر ، وأوصلته إلى مجلسه ، فأمر بتسهيل وصوله إليه ، وخلطه بحاشيته ، ووقّع له عن الخليفة بما رسم له ، وعن نفسه بشيء آخر .

وشاع حديثه في البصرة ، وفي أهل العسكر ، فلم يبق فيهم متغزّل ، ولا متظرّف ، إلّا أهدى له شيئاً جليلاً ، فما خرجنا من البصرة إلّا وهو ربّ نعمة صالحة .

ووجدتُ هذا الخبر ، على خلاف هذا ، ما ذكره أبو علي محمّد بن الحسن ابن جمهور العمّي البصري الكاتب[١٥] ، في كتاب «السمّار والندامى»[١٦] :

أنّ الرشيد لمّا حجّ ومعه إبراهيم الموصلّي ، ... فأخبرنا بالخبر على قريب ما رويناه وذكرناه ، وأنّ الجارية بدأت وغنّت بصوت من صناعة إبراهيم ، وهو :

تمّت عليّ الزفـرة الصاعـــدة وملّني العـــائد والعـــائدة
يا ربّ كم فرّجت من كربـــة عنّي فهـــذي المرّة الواحـــدة

وأنّ الذي حضر لتقليب الجارية[١٧] ، الرشيد وجعفر بن يحيى متنكّرين[١٨] ، ومعهما إبراهيم الموصلي والنخّاس ، وأنّهم انصرفوا ، وقطعوا الثمن بمائة ألف درهم ،

---

١٥ أبو علي محمد بن الحسن بن جمهور العمّي ، الكاتب ، الصلحي ، البصري : وصفه التّنوخي في نشوار المحاضرة ، في القصّة ١٦٥/٣ بأنّه صاحب الستارة ، المشهور بالأدب والشعر ، وتصنيف الكتب ، وذكره في القصّة ٥٢/٤ فقال عنه : إنّه من شيوخ الأدب بالبصرة ، راجع بشأنه كتاب الديارات للشابشتي ٢٦٦ وحكاية أبي القاسم البغدادي ٧١-٧٥ ومعجم الأدباء ٤٩٨/٦ ، وعن سبب تسميته بالعمّي ، راجع الأغاني ٢٥٧/٣ .

١٦ في ن : كتاب السمّار والندماء .

١٧ تقليب الرقيق : فحصه والكشف عنه عند شرائه .

١٨ التنكّر : تغيير الزيّ والهيأة ، كي لا يعرف المتنكّر من يراه ، والبغداديّون يسمّون التنكّر : التبديل ، يعني إبدال الملابس ، ويقولون عن الحاكم الذي يخرج متنكّراً : طلع بالتبديل .

ثم عادوا والمال معهم ، فأمروا بإعادة التقليب ، فخرجت الجارية ، فغنّت بصوتٍ ، الغناء فيه لإبراهيم ، وهو :

ومن عادة الدنيا بأنّ صروفهـــا[19] إذا سرّ منها جانب ساء جانب
وما أعرف الأيّام إلّا ذميمـــــة ولا الدهر إلّا وهو للثأر طالب

ثم ذكر بقيّة الحديث على قريب من هذا ، وفي الخبر الأوّل زيادات ، ليست في خبر ابن جمهور[20] .

---

١٩ في غ : ومن عادة الأيّام أنّ صروفها .

٢٠ هذه الفقرة لا توجد في ر .

٤٧٢

من مكارم يحيى بن خالد البرمكي

[وبلغني خبر لجعفر بن يحيى ، مع جارية ، يقارب هذا الخبر ، أخبرني [٩٣ ن] به أبو محمّد الحسن بن عبد الرحمن بن [٢٤٤ م] خلاد الرامهرمزي[١] ، خليفة [٣٠٠ غ] أبي رضي الله عنه ، على القضاء بها ، قال : أخبرني أحمد بن الصلت الحمّاني[٢] ، قال : حدّثنا مفلح وسنبر النخّاسان][٣] ، قالا :

أرسل إلينا جعفر بن يحيى البرمكي ، يطلب جارية قوّالة[٤] ، ذات أدب وظرف ، على صفة ذكرها وحدّها ، فما زلنا نحرص على طلبها ، ونتواصف من يعرف عنها مثل ذلك .

وإلى جانبنا شيخ من أهل الكوفة يسمع كلامنا ، فأقبل علينا ، وقال : عندي بغية الوزير ، فانهضوا إن شئتم لتنظروا إليها .

قال : فنهضنا معه ، حتى إذا وصلنا إلى داره ، وجدناها ظاهرة الإختلال ، ووجدنا فيها مِسْحاً خَلَقاً[٥] ، وثلاث قصبات عليها مسرجة[٦] ، فارتبنا بقوله لنا ،

---

١ أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزي : ترجمته في حاشية القصّة ٢٦ من الكتاب .

٢ أبو العبّاس أحمد بن الصلت بن المغلّس الحماني : ترجم له الخطيب في تاريخه ٢٠٧/٤ وقال : إنّه كان ينزل في الشرقيّة ، توفّي سنة ٣٠٨ .

٣ كذا ورد في ن ، وفي م : صالح وشير ، واقتصر في ر على ما يلي : حكى صالح النخّاس ... الخ

٤ القوّالة : حدّثنا التنوخي في القصّة ١٦/٧ من نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ، عن جماعة حضروا مجلس تحفة القوّالة ، وأورد في القصّة ١٨٠/٢ من نشوار المحاضرة : أنّ أبا القاسم بن بنت منيع المحدّث ، كان – وقد تجاوز المائة – يذهب إلى مجلس ستّي خاطف ، ويتواجد من «قولها» ، والذي يظهر لي أنّ من يغنّي في أبيات الرقائق والغزل الصوفي ، يسمّى غناؤه «قولاً» ، وموضع الاجتماع عنده «مجلساً» ، ويسمّى هو : قوّال .

٥ المِسْحُ : كساء من الشعر ، والخَلَقُ : الرثّ البالي .

لما ظهر من سوء حاله .

ثم أخرج إلينا جارية كأنّها – والله – فلقة قمر ، تتثنّى كالقضيب ، فاستقرأناها ، فقرأت آيات من القرآن ، حرّكت منّا ما كان ساكناً ، وأتبعتها بقصيدة مليحة ، شوّقتنا ، وأطربتنا .

فقلنا لها : أصانعة ؟ وأشرنا إلى يدها .

فقالت : نعم ، تعلّمت العمل بالعود وأنا صغيرة .

فقلنا : فغنّينا به .

فقالت : سبحان الله ، هل يصلح أن أستجيب لذلك إلّا لمولى مالك إن دعاني إليه أجبته .

قال : وراح الرسول إلى جعفر ، فأخبره بما شاهده .

فلم يتمالك جعفر ، لمّا سمع بصفة الجارية ، حتى استنهض الرسول إلى مجلس الشيخ ، وهو يتبعه ، حتى عاينه ، وسأله إخراجها إليه .

فلمّا رآها جعفر أعجب بها قبل أن يستنطقها ، ثم إنّه استنطقها ، فأخذت بمجامع قلبه .

فقال لمولاها : قل ما شئت ؟

فقال الشيخ : لست أحدث أمراً حتى أستأذنها ، ولولا الضرّ الذي نحن فيه لما عرضتها ، لكنّ حالي كما يشاهده الوزير من فقر ، وضرّ ، ودين كثير قد فدحني[7] ، ومن أجله فارقت وطني ، وعرضت على البيع ثمرة فؤادي .

فقال له جعفر : ما مقدارها في نفسك إن أردت بيعها ؟

---

٦ المسرجة : بكسر الميم ، هي السراج ، وبفتح الميم : القائمة التي يوضع عليها السراج ، ويتّخذها الأغنياء من الفضّة أو الذهب ، ومتوسّطوا الحال من المعدن كالحديد أو النحاس ، أو من الخشب ، أمّا الفقراء الذين لا حيلة لهم ، فيتّخذون المسرجة من قصبات ثلاث تجمع رؤسها بقطعة من الطين ، كما في هذه القصّة .

٧ الفادح : الصعب المثقل .

فقال : ثلاثون ألف دينار [٨] .

فقال جعفر : فهل لك أن تأمرها بأن تغنّينا ؟

فأقبل الشيخ عليها فاستدناها ، وأمرها أن تغنّي ، فأخذت العود ، وأصلحته ، ثم استعبرت ، وغنّت بصوت ، الغناء من صنعة إبراهيم :

ومن عـــادة الأيّام أنّ صروفهـــا إذا سرّ منها جانب ساء جانب
وما أعرف الأيّام إلّا ذميمـــــةً ولا الدهر إلّا وهو بالثأر طالب

قال : ثم أنّها ألقت العود من يدها ، وصرخت ، وصرخ الشيخ ، وجعلا ينتحبان .

ثم إنّ الشيخ أقبل على جعفر ومن معه ، وقال : أشهدكم أنّي قد أعتقتها ، وجعلتُ عتقها صداقها ، والله ، لا ملكها أحد أبداً .

فغضب جعفر ، وأقبل من حضر على الشيخ يؤنّبونه ويستجهلونه ، ويقولون له : ضيّعت هذا المال الجليل ، وعجّلت ، وجهلت .

فقال الشيخ : النفس أولى أن يبقى عليها من المال ، والرازق الله سبحانه وتعالى ، وعاد جعفر إلى أبيه فأخبره بما كان من الرجل والجارية .

فقال [٣٠١ غ] له أبوه : فما صنعت بهما ؟

قال : تركتهما وانصرفت .

فقال له : ويحك ، ما أنصفت يا ولدي ، أو ما أنفت على نفسك أن تفرّق بين متحابّين مثلهما ، مقترين [٢٧٤ ر] ، فقيرين ، أو تنصرف عنهما ، ولا تجبر حالهما ؟ أرضيت أن يكون الكوفيّ أسمح منك .

ودعا بغلام ، فحمل معه إلى الشيخ ثلاثين ألف دينار [٩] على بغال .

---

٨ في م : عشرون ألف دينار .

٩ في م : عشرين ألف دينار .

فلمّا وصل المال إلى الشيخ قبله وأخذه ، وحمد الله عزّ وجلّ ، ودعا لجعفر ولوالده ، وعاد بالمال والجارية إلى منزله بالكوفة ، [وهو فرح مسرور ، وقد فرّج الله عنه][10] .

---

١٠ الزيادة من ر وغ .

٤٧٣

أين نوال ابن جعفر من نوال ابن معمر

ووجدت في بعض كتبي : أنّ عمر بن شبّة ، قال : حدّثني أبو غسّان[١] ، قال : أخبرني بعض أصحابنا ، قال :

إشترى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنهما جارية من مولّدات أهل مكّة ، كان يتعشّقها غلام من أهلها ، وقدم في أمرها إلى المدينة ، فنزل قريباً من منزل عبد الله بن جعفر ، ثم جعل يلطف عبد الله بطرائف مكّة ، حتى عرفت الجارية أنّه وَرَدَ .

وجعلت [٢٤٥ م] الجارية تراسله ، فأدخلته ليلة في إصطبل دواب عبد الله بن جعفر ، فعثر عليه السائس ، فأعلم عبد الله بن جعفر ، وأتاه به .

فقال له : مالك ، قبّحك الله ، أبعد تحرّمك بنا تصنع مثل هذا ؟

فقال له : إنّك ابتعت الجارية ، وكنتُ لها محبًّا ، وكانت تَجِدُ بي مثل ذلك .

قال : فدعا بالجارية ، وسألها ، فجاءت بمثل قصّة الفتى .

فقال له : خذها ، فهي لك .

فلمّا كان بعد ذلك بقريب ، عشق عبد السلام بن أبي سليمان ، مولى مسلم[٢] ، جارية لآل طلحة ، يقال لها : رواح ، ورجا أن يفعلوا به مثلما فعل ابن جعفر بالفتى المكّي ، فلم يفعل الطلحيّون ذلك ، فسأل في ثمنها ، حتى اجتمع له ، فاشتراها منهم .

فقال عبد السلام في ذلك :

---

١ أبو غسان محمّد بن يحيى : من رجال سند الأغاني ١/٢٤٨ والموشّح للمرزباني ٤٧ .

٢ في غ : مولى أسلم .

وأين – فلا تعدل – نـوال ابن جعفـر   وأين لعمري ، من نـــوال ابن معمر
يطـــير لدى الجنّـــات هـــذا لفضله   ويرفضّ[3] هـــذا في الجحيم المسعّر[4]

---

[3] إرفض : ذهب .

[4] لم ترد هذه القصّة في ر

٤٧٤

ابن أبي حامد صاحب بيت المال

يحسن إلى رجل من المتفقّهة

وقد كان فيما يقارب عصرنا مثل هذا ، وهو ما حدّثني به أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني الحافظ [١] ، قال : حدّثني أبو أحمد محمّد بن أحمد الجرجاني الفقيه ، قال :

كنّا ندرس على أبي إسحاق المروزي الشافعي [٢] ، وكان يدرس عليه معنا فتى من أهل خراسان ، له والد هناك ، وكان يوجّه إليه في كلّ سنة ، مع الحاجّ ، قدر نفقة السنة .

فاشترى جارية ، فوقعت في نفسه ، وألفها ، وألفته ، وكانت معه سنين .

وكان رسمه أن يستدين في كلّ سنة ، ديناً ، بقدر ما يعجز من نفقته ، فإذا جاء ما أنفذه أبوه إليه ، قضى دينه ، وأنفق الباقي مدّة ثم عاد إلى الاستدانة .

فلمّا كان سنة من السنين ، جاء الحاجّ ، وليس معهم نفقة من أبيه .

فسألهم عن سبب ذلك ، فقالوا له : إنّ أباك أعتلّ علّة عظيمة صعبة ، واشتغل بنفسه ، فلم يتمكّن من إنفاذ شيء إليك .

---

١ أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي الدارقطني الحافظ المحدّث (٣٠٦–٣٨٥) : نسبته إلى دار القطن ، محلّة كبيرة ببغداد ، ترجم له صاحب اللباب ٤٠٤/١ وقال إنّه كان عالماً بالفقه ، واختلاف الفقهاء ، وله كتاب في السنن ، وتفقّه على مذهب الشافعي ، وكان يحفظ كثيراً من دواوين العرب ، مات ببغداد ودفن بالقرب من معروف الكرخي .

٢ في غ : علي أبي أحمد المروزي الشافعي ، وهو خطأ ، والصحيح إنّه أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد المروزي الشافعي ، الفقيه ، ولد بمرو الشاهجان ، قصبة خراسان ، وأقام أكثر أيّامه ببغداد ، وإليه انتهت رئاسة الشافعية بالعراق ، وتوفّي بمصر سنة ٣٤٠ (الاعلام ٢٢/١) .

قال : فقلق الفتى قلقاً شديداً ، وجعل غرماؤه يطالبونه كالعادة ، في قضاء الدين وقت الموسم ، فاضطرّ ، وأخرج الجارية [٣٠٢ غ] إلى النخّاسين ، فعرضها .

وكان الفتى ينزل بالقرب من منزلي ، وكنّا نصطحب إلى منزل الفقيه ، ولا نكاد نتفارق .

فباع الجارية بألف درهم وكَسْر[٣] ، وعزم على أن يفرّق منها على غرمائه قدر مالهم ، ويتموّن بالباقي .

وكان قلقاً ، موجعاً ، متحيّراً ، عند رجوعنا من النخّاسين .

فلمّا كان الليل إذا ببابي يدقّ ، فقمت ففتحته ، فإذا بالفتى .

فقلت : مالك ؟

فقال : قد امتنع عليّ النوم ، وقد غلبتني وحشة الجارية ، والشوق إليها .

ووجدته من القلق على أمر عظيم ، حتى أنكرت عقله ، فقلت : ما تشاء ؟

فقال : لا أدري ، وقد سهل عليّ أن ترجع الجارية إلى ملكي ، وأبكّر غداً فأقرّ لغرمائي بمالهم ، وأحبس في حبس القاضي ، إلى أن يفرّج الله تعالى عنّي ، ويجيئني من خراسان ما أقضي به ديني في العام المقبل ، وتكون الجارية في ملكي .

فقلت له : أنا أكفيك ذلك في غد إن شاء الله ، وأعمل في رجوع الجارية إليك ، إذا كنت قد وطّنت نفسك على هذا .

قال : فبكّرنا إلى السوق ، فسألنا عمّن اشترى الجارية .

فقالوا : أمرأة من دار أبي بكر بن أبي حامد [٩٤ ن] ، صاحب بيت المال[٤] .

---

٣ الكَسْرُ : وجمعه : كسور ، وجمع الجمع : كسورات ، العدد الذي يكون أقلّ من العدد المعطوف عليه ، فان قلتَ : واحداً وكسر ، فالكسر هو أقلّ من الواحد ، كالثلث والربع ، وإن قلتَ : عشرة وكسر ، فالكسر هو أقلّ من العشرة كالواحد والإثنين .

٤ أبو بكر أحمد بن موسى بن النضر بن حكيم ، المعروف بابن أبي حامد ، صاحب بيت المال : ترجم له ابن الجوزي في المنتظم ٢٥٠/٦ ، وقال عنه : كان ثقةً ، صدوقاً ، جواداً ، راجع في تكملة الطبري ص ١٥ قصّة ورد ذكره فيها .

فجئنا إلى مجلس الفقيه ، فشرحتُ لأبي إسحاق المروزي بعض حديث الفتى ، وسألته أن يكتب رقعة إلى أبي بكر بن أبي حامد ، يسأله فيها فسخ البيع ، والإقالة ، وأخذ الثمن ، وردّ الجارية ، فكتب رقعة مؤكّدة في ذلك .

فقمتُ ، وأخذتُ [٢٤٦ م] بيد الخراساني صديقي ، وجئنا إلى أبي بكر بن أبي حامد ، فإذا هو في مجلس حافل ، فأمهلنا حتى خفّ ، ثم دنوت أنا والفتى ، فعرفني ، وسألني عن [أبي إسحاق] المروزيّ ، فقلت : هذه رقعته خاصّة في حاجة له .

فلمّا قرأها ، قال لي : أنت صاحب الجارية ؟

قلت : لا ، ولكنّه صديقي هذا ، وأومأتُ إلى الخراساني ، وقصصت عليه القصّة ، وسبب بيع الجارية .

فقال : والله ، ما أعلم أنّي ابتعت جارية في هذه الأيّام ، ولا ابتيعت لي .

فقلت : إنّ امرأة جاءت وابتاعتها ، وذكرت أنّها من دارك .

قال : يجوز .

ثم قال : يا فلان ، فجاءه خادم ، فقال له : امض إلى دور الحرم ، فاسأل عن جارية اشتريت أمس ، فلم يزل يدخل ويخرج من دار إلى دار ، حتى وقع عليها ، فرجع إليه .

فقال له : أعثرت عليها ؟

فقال : نعم ، فقال : أحضرها ، فأحضرها .

فقال لها : من مولاك ؟ فأومأت إلى الخراساني .

فقال لها : أفتحبّين أن أردّك عليه ؟

فقالت : والله ، ليس مثلك يا مولاي من يختار عليه ، ولكن لمولاي عليّ حقّ التربية [٢٧٥ ر] .

فقال : هي كيّسة عاقلة ، خذها .

قال : فأخرج الخراساني الكيس من كمّه ، وتركه بحضرته .

فقال للخادم : إمض إلى الحرم ، وقل لهنّ : ما كنتنّ وعدتنّ به هذه الجارية من إحسان ، فعجلّنه الساعة .

قال : فجاء الخادم بأشياء لها قدر وقيمة ، فدفعها إليها .

ثم قال للخراساني : خذ كيسك فاقض منه [٣٠٣ غ] دينك ، ووسّع بباقيه على نفسك وعلى جاريتك ، والزم العلم ، فقد أجريت عليك في كلّ شهر قفيز دقيق ، ودينارين ، تستعين بها على أمرك .

قال : فوالله ما انقطعت عن الفتى ، حتى مات أبو بكر بن أبي حامد[٥] .

٥ وردت القصّة في كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للقاضي التّنوخي برقم القصّة ١٥٤/٧ .

٤٧٥

ابن أبي حامد صاحب بيت المال

يحسن إلى صيرفي

[قال مؤلّف هذا الكتاب : وجدت هذا الخبر مستفيضاً ببغداد ، وأخبرت به على جهات مختلفة ، وهذا أبينها ، وأصحّها إسناداً ، إلّا أنني أذكر بعض الطرق الأخرى التي بلغتني][1] : حدّثني أحمد بن عبد الله ، قال : حدّثني شيخ من دار القطن ببغداد ، قال :

كان لأبي بكر بن أبي حامد مكرمة طريفة ، وهي أنّ رجلاً يعرف بعبد الواحد ابن فلان الصيرفي ، باع جاريته ، وكان يهواها ، على أبي بكر بن أبي حامد – يعني صاحب بيت المال – بثلثمائة دينار .

فلمّا جاء الليل ، استوحش لها وحشة شديدة ، ولحقه من الهيمان ، والقلق ، والجنون ، والأسف على فراقها ، ما منعه من النوم ، ولحقه من البكاء والسهر ، ما كادت تخرج نفسه معه .

فلمّا أصبح خرج إلى دكّانه يتشاغل بالنظر في أمره ، فلم يكن له إلى ذلك سبيل .

وزاد عليه القلق والشوق ، فأخذ ثمن الجارية ، وجاء إلى أبي بكر بن أبي حامد ، فدخل عليه ، ومجلسه حافل ، فسلّم ، وجلس في أخريات الناس ، إلى أن تقوّضوا[2] .

---

١ الزيادة من غ .

٢ تقوّض البناء : تهدّم ، وتقوّض المجلس : تفرّق الجلساء .

فلمّا لم يبق غيره ، أنكر ابن أبي حامد حاله ، [فقال له : إن كانت لك حاجة فاذكرها .

فسكت ، وجرت دموعه ، وشهق .

فرفق به ابن أبي حامد ،][3] وقال له : قل ، عافاك الله ، ولا تستح .

فقال له : بعتُ أمس ، جارية كانت لي ، وكنتُ أحبّها ، واشتريت لك – أطال الله بقاءك – وقد أحسست بالموت أسفاً على فراقها .

وأخرج الثمن فوضعه بحضرته ، وقال له : أنا أسألك أن تردّ عليّ حياتي ، بأخذ هذه الدنانير ، وإقالتي من البيع .

قال : فتبسّم ابن أبي حامد ، وقال له : لمّا كانت بهذا المحلّ من قلبك لِمَ بعتها ؟

فقال : أنا رجل صيرفي ، وكان رأس مالي ألف دينار ، فلمّا اشتريتها ، تشاغلتُ بها عن لزوم الدكّان ، فبطل كسبي ، وكنتُ أنفق عليها من رأس المال نفقة لا يحتملها حالي ، فلمّا مضت مدّة ، خشيت الفقر ، ونظرت ، فإذا أنا لم يبق معي من رأس المال إلّا الثلث أو أقلّ ، وصارت تطالبني من النفقة ، بما لو أطعتها فيه ، ذهبت هذه البقيّة ، وحصلت على الفقر .

فلمّا منعتها ، ساءت أخلاقها [٢٤٧ م] ونغّصت عيشي ، فقلت أبيعها ، وأدير ثمنها فيما أختلّ من حالي ، وتستقيم عيشتي ، وأستريح من أذاها ، وأتصبّر على فراقها ، ولم أعلم أنّه يلحقني هذا الأمر العظيم ، وقد آثرت الآن الفقر ، وأن تحصل الجارية عندي ، أو أن أموت ، فهو أسهل عليّ مما أنا فيه .

فقال ابن أبي حامد : يا فلان ، فجاء خادم أسود .

فقال له : أخرج الجارية التي اشتريت لنا بالأمس .

قال : فأخرجت جاريتي .

---

٣ ساقطة من غ .

فقال : يا بنيّ ، إنّ مثلي لا يطأ قبل الإستبراء ، ووالله ، ما وقعت عيني على الجارية – منذ اشتريتْ – إلّا الساعة ، وقد وهبتها لك [٣٠٤ غ] فخذها ، وخذ دنانيرك ، بارك الله لك فيهما .

ثم قال للخادم : هات ألف درهم ، فجاء بها .

فقال للجارية : قد كنت عوّلت على أن أكسوك ، فجاء من أمر مولاك ما رأيتِ ولم أر من المروءة منعه منك ، فخذي هذه الدراهم ، واتّسعي بها في نفقتك ، ولا تحمّلي مولاك ما لا يطيق ، فتحصلين عند من لا يعرف قدرك كمعرفته ، ولك عليّ ألف درهم في كلّ سنة ، يجيء مولاك فيأخذها لك ، إذا شكرك ، ورضي طريقتك .

قال : فقام الرجل ، وقبّل يديه ، وجعل يبكي ، ويدعو له .

ولم يزل المال واصلاً إليه في كلّ سنة ، حتى مات ابن أبي حامد . [٢٧٦ ر]

٤٧٦

الحسن بن سهل

يحسن إلى الفسطاطي التاجر

ويشبه هذا الحديث ، ما وجدته في كتاب أعطانيه أبو الحسين عبد العزيز ابن إبراهيم المعروف بابن حاجب النعمان ، وهو يومئذ كاتب الوزير المهلّبي على ديوان السواد[١] ، وذكر إنّه نَسَخَهُ من كتاب أعطاه إيّاه أبو الحسين الخصيبي[٢] ، وكان فيه إصلاحات بخط ابن مابنداذ[٣] .

اشترى الحسن بن سهل ، من الفسطاطي التاجر ، جارية بألف دينار ، فحملت إلى منزل الحسن ، وكتب للفسطاطي بثمنها[٤] .

فأخذ الكتاب إلى من أحاله [٩٥ ن] عليه بالمال ، وانصرف إلى منزله ، فوجده مفروشاً نظيفاً ، وفيه ريحان قد عبّي تعبية حسنة ، ونبيذ قد صفّي .

فقال : ما هذا ؟

---

١ أبو الحسين عبد العزيز بن إبراهيم المعروف بابن حاجب النعمان : كان أبوه حاجب النعمان بن عبد الله الكاتب (راجع القصّة ١/٦١ و ١/٦٢ من كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للقاضي التنوخي) ، وكان أبو الحسين أحد أفراد الزمان في الفضل والنبل ، ومعرفة كتابة الدواوين ، وكان إليه ديوان السواد أيّام معزّ الدولة (القصّة ١/٢٨ من كتاب نشوار المحاضرة) ، ولم تشاهد خزانة كتب أحسن من خزانته ، وله ستّة مؤلّفات (الفهرست ١٣٤) .

٢ أبو الحسين عبد الواحد بن محمّد الخصيبي : ترجمته في حاشية القصّة ٨٢ من الكتاب .

٣ أبو الحسن أحمد بن محمّد بن مابنداذ : كان من كبار العمّال في الدولة العبّاسيّة ، (تجارب الأمم ١/١٤٤) قلّده الوزير علي بن عيسى في السنة ٣١٥ أعمال الخراج بالأهواز (تجارب الأمم ١/١٥٧ و ١٨٦ وتكملة الطبري ص ٥٠) .

٤ في غ : وأخذ الفسطاطي ثمنها .

فقيل له : جاريتك التي بعتها الساعة ، قد أعدّت لك هذا لتنصرف إليها ، فبعتها قبل انصرافك .

قال : فقام الفسطاطيّ ، فرجع إلى الحسن .

[وأحضر الحسن الجارية ، فرأى زيًّا حسناً ، ونظافةً ، وتزيّنت بزينة لم تُرَ من مثلها ، مع ما رأى فيها من الحسن والجمال ، والبهاء والكمال ، فهو يجيل الفكر والنظر فيها ، إذ رجع الفسطاطيّ إليه ، وهو كالمجنون المخبول][5] ، وقال : أقلني بيع الجارية ، أقالك الله في الدنيا والآخرة .

فقال : ما إلى هذا سبيل ، وما دخلت قط دارنا جارية ، فخرجت منها .

قال : أيّها الأمير ، إنّه الموت الأحمر .

قال : وما ذاك ؟

فقصّ عليه قصّته ، [وحبّه لها ، وتلهّفه عليها ، وأنّه لم يقدر على فراقها وأنّ الندم قد لحقه ، والشوق قد تمكّن من فؤاده ، وأنّه إن دام ذلك عليه ، كان فيه تلف نفسه][5] ، وبكى ، ولم يزل يتضرّع له .

فرقّ له الحسن ، [وأحضر الجارية من ساعته ، وقال لها : هل لكِ في مولاك رغبة ؟

فقالت : أيّها الأمير ، في مثله يرغب][5] ، فردّ الجارية عليه .

وقال له : خذ هذه الألف دينار ، لك هبة ، لا يرجع إلى ملكي منها دينار واحد .

فأخذ الفسطاطي الجارية والدنانير ، [وقال : الجارية حرّة لوجه الله تعالى ، وهذه الألف دينار صداقها ، ثم كتب كتابها][5] .

وعاد إلى منزله ، وجلس مع جاريته على ما أعدّته له[6] .

---

٥ الزيادة من غ .

٦ لم ترد هذه القصّة في ر ، ووردت مضطربة في م .

٢٣

٤٧٧

الأشتر وجيداء

أخبرني أبو الفرج علي بن الحسين المعروف بالأصبهاني ، قال : حدّثني جعفر بن قدامة[١] ، قال : حدّثني أبو العيناء ، قال :

كنت أجالس محمّد بن صالح بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسين ابن علي بن أبي طالب سلام الله عليهم أجمعين[٢] ، وكان قد حُمِلَ إلى [٣٠٥ غ] المتوكّل أسيراً ، فحبسه مدّة ، ثم أطلقه المتوكّل ، وكان أعرابيّاً فصيحاً ، فحدّثني يوماً قال : [٢٤٨ م] [حدّثني نمير بن مخلف الهلالي[٣] ، وكان حسن الوجه جدًّا][٤] ، قال :

كان منّا فتى يقال له بشر بن عبد الله ، ويعرف بالأشتر ، وكان يهوى جارية من قومه ، يقال لها : جيداء ، وكانت ذات زوج .

وشاع خبره في حبّها ، فمنع منها ، وضيّق عليه ، حتى لم يقدر أن يلمّ بها .

فجاءني ذات يوم ، وقال : يا أخي ، قد بلغ منّي الوجد ، وضاق عليّ سبيل الصبر ، فهل تساعدني على زيارتها ؟

قلت : نعم فركبتُ ، وسرنا ، حتى نزلنا قريباً من حيّها ، فكمن في موضع .

فقال لي : إذهب إلى القوم فكن ضيفاً لهم ، ولا تذكر شيئاً من أمرنا ،

---

١ جعفر بن قدامة بن زياد : أحد مشايخ الكتّاب وعلمائهم ، وافر الأدب ، حسن المعرفة ، له مصنّفات في صناعة الكتابة وغيرها (تاريخ بغداد للخطيب ٢٠٥/٧) .

٢ محمّد بن صالح بن عبد الله بن موسى الحسني العلوي : ورد ذكره في القصّة ١٧٦/٦ والقصّة ١٥٣/٧ من كتاب نشوار المحاضرة ، راجع أخباره في الأغاني ٣٦٠/١٦-٣٧٢ .

٣ في نشوار المحاضرة ، رقم القصّة ١٧٦/٦ : نمير بن قحيف الهلالي .

٤ – ساقطة من غ .

حتى ترى راعية لجيداء صفتها كذا وكذا ، فأعلمها خبري ، وواعدها بوعد .

فمضيت وفعلت ما أمرني به ، ولقيت الراعية فخاطبتها ، فمضت إلى جيداء ، وعادت إليّ ، فقالت : قل له : موعدك الليلة عند الشجيرات .

فلمّا كان الوقت الذي وعدتنا فيه ، إذا بجيداء قد أقبلت ، فوثب الأشتر إليها ، فقبّل بين عينيها .

فقمت مولّياً عنهما ، فقالا : نقسم عليك إلّا ما رجعت ، فوالله ، ما بيننا ما نستره عنك ، فرجعت ، وجلسنا نتحدّث .

فقال لها : يا جيداء ، أما فيك حيلة لنتعلّل الليلة ؟

فقالت : لا والله ، إلّا أن نعود إلى ما تعرف من البلاء والشدّة .

فقال : ما من ذلك بدّ ، ولو وقعت السماء على الأرض .

فقالت : هل في صاحبك هذا من خير ؟

فقلت : إي والله .

فخلعت ثيابها ، ودفعتها إليّ ، وقالت : البسها ، وأعطني ثيابك ، ففعلت .

فقالت : إذهب إلى بيتي ، فإنّ زوجي سيأتيك بعد العَتَمَةِ ، ويطلب منك القدح ليحلب فيه الإبل ، فلا تدفعه إليه من يدك ، فهذا فعلي به ، ودعه بين يديه ، فإنّه سيذهب ويحلب ، ثم يأتيك به ملآن لبناً ، ويقول : هاكِ غبوقكِ[٥] ، فلا تأخذه منه ، حتى تطيل نكدك[٦] عليه ، ثم خذه ، أودعه حتى يضعه هو ، ثم لست تراه حتى تصبح .

قال : فذهبت ، وفعلتُ ما أمرتني به ، وجاءني بالقدح ، فلم آخذه منه ،

---

٥ الغبوق : ما يشرب في العشيّ ، وكان السيد خيري الهنداوي ، الشاعر العراقي المشهور ، رحمة الله عليه ، إذا انتشى ، يكثر الترنّم بهذا البيت :

يضاع فينشد قعب الغبـــوق   وقلـبي يضـاع فـلا ينشـــد

٦ النكد : الشدّة والعسر .

وأطلت عليه النكد ، ثم أهويت لآخذه ، وأهوى ليضعه ، فاختلفت أيدينا ، فانكفأ القدح .

فقال : إنّ هذا لطماح[7] مفرط ، وضرب بيده إلى سوطه ، ثم تناولني به ، وضرب ظهري ، فجاءت أمّه ، وأخته ، فانتزعوني من يده ، بعد أن زال عقلي ، وهممت أن أجاه[8] بالسكّين .

فلمّا خرجوا من عندي ، لم ألبث إلّا يسيراً ، حتى دخلت أمّ جيداء ، تؤنّبني ، وتكلّمني ، فلزمت الصمت والبكاء .

فقالت : يا بنيّة ، اتّقي الله ، وأطيعي بعلك ، وأما الأشتر فلا سبيل لك إليه ، وها أنا أبعث إليك بأختك لتؤنسك ، ومضت .

ثم بعثت إليّ بالجارية ، فجعلت تكلّمني[9] ، وتدعو على من ضربني ، وأنا ساكت ، ثم اضطجعت إلى جانبي .

فشددت يدي على فمها ، وقلت : يا جارية ، إنّ أختك مع الأشتر ، وقد [٣٠٦ غ] قطع ظهري بسببها ، وأنت أولى بسترها منّي ، وإن تكلّمتِ بكلمةٍ فضحتها ، وأنا لست أبالي .

فاهتزّت مثل القضيب فزعاً ، فطمّنتها ، وطيّبت قلبها ، فضحكت ، وبات معي منها أظرف الناس ، ولم نزل نتحدّث حتى برق الصبح ، فخرجت ، وجئت إلى صاحبي .

فقالت جيداء : ما الخبر ؟ [٢٧٧ ر]

فقلت : سلي أختك عن الخبر ، فلعمري إنّها عالمة به ، ودفعت إليها ثيابها ،

---

٧ الطماح : الجماح ، يقال : طمحت المرأة على زوجها : جمحت .

٨ الوجأ : الطعن في أيّ موضع كان .

٩ في نشوار المحاضرة ، القصّة ١٧٦/٦ وفي المستجاد ص ٥٢ : فجعلت تبكي .

وأريتها ظهري ، فجزعت ، وبكت ، ومضت مسرعة ، وجعل الأشتر يبكي ، وأنا أحدّثه بقصّتي ، وارتحلنا[١٠] .

١٠ وردت القصّة في نشوار المحاضرة برقم ١٧٦/٦ وفي المستجاد للتّنوخي ٤٩-٥٣ وفي الأغاني ٣٢٧/٤ قصّة لطريح بن إسماعيل الثقفي مشابهة لهذه القصّة .

٤٧٨

أقسم أن يغسل يده أربعين مرّة
إذا أكل زيرباجة

حدّثني أبو الفرج أحمد بن إبراهيم الفقيه الحنفي المعروف بابن النرسي [من أهل باب الشام ببغداد، وقد كان خَلَفَ أبا الحسن علي بن أبي طالب بن البهلول التنوخي[1] على القضاء بهيت، وما علمته إلّا ثقة، قال: سمعت فلان التاجر، يحدّث أبي – وأسمى التاجر، وأنسيته أنا][2]، قال:

حضرت عند صديق لي من البزّازين، وكان مشهوراً، في دعوة، فقدّم في جملة طعامه، زيرباجة[3]، ولم يأكلها [٢٤٩ م]، فامتنعنا من أكلها.

فقال: أحبّ أن تأكلوا منها، وتعفوني من أكلها، فلم ندعه حتى أكل.

فلمّا غسلنا أيدينا، انفرد يغسل يده، ووقف غلام يعدّ عليه الغسل، حتى قال له: قد غسلت يدك أربعين مرّة، فقطع الغسل.

---

١ أبو الحسن علي بن أبي طالب محمّد بن أبي جعفر أحمد بن إسحاق بن البهلول التّنوخي (٣٠١–٣٥٤): تقلّد القضاء بالأنبار وهيت، ثمّ ولّي القضاء بطريق خراسان، ثم صرف، ثمّ قلّد قضاء الأنبار وهيت، ثمّ أضيف إليهما الكوفة، ثمّ صرف (المنتظم ٣٠/٧).

٢ هذه الفقرة ساقطة من ر.

٣ وردت القصّة في نشوار المحاضرة ج ٤ ص ١٧٧ رقم القصّة ٨٨/٤ وقد ورد فيها أنّ الطعام الذي امتنع من أكله، كان (ديكبريكة) وقد وصفناها هناك، أمّا الزيرباجة: فهي طعام يصنع من اللحم، ويطبخ بالدارصيني والخلّ، ويضاف إليه الحمص والكسبرة والفلفل والمصطكي واللّوز المقشور، ويقطّر عليه ماء الورد، ويذرّ عليه الزعفران، أنظر التفصيل في كتاب الطبيخ للبغدادي ص ١٦ وأنظر في الأغاني ٣٤٢/١١ سبب تفضيل عبد الله بن طاهر للزيرباجة على بقيّة ألوان الطعام، وقد ورد اسم هذا اللون من الطعام في غ: داجبراجة، وأحسب أنّها الديكبريكة نفسها، إحداها منسوبة للدجاجة، والثانية للديك.

فقلنا له : ما سبب هذا ؟ فامتنع ، فألححنا عليه .

فقال : مات أبي وسنّي نحواً من عشرين سنة ، وخلّف عليّ حالاً صغيرة [٤] ، وأوصاني قبل موته بقضاء ديون عليه ، وملازمة السوق ، وأن أكون أوّل داخل إليه ، وآخر خارج منه ، وأن أحفظ مالي .

فلمّا مات ، قضيت دينه ، وحفظت ما خلّفه لي ، ولزمت الدكّان ، فرأيت في ذلك منافع كثيرة .

فبينا أنا جالس يوماً ولم يتكامل السوق ، وإذا بامرأة راكبة على حمار ، وعلى كفله [٥] منديل دبيقيّ [٦] ، وخادم يمسك بالعنان ، فنزلت عندي .

فأكرمتها ، ووثبت إليها ، وسألتها عن حاجتها ، فذكرت ثياباً .

فسمعت – والله – نغمةً ، ما سمعت قط أحسن منها ، ورأيت وجهاً لم أر مثله ، فذهب عنّي عقلي ، وعشقتها في الحال .

فقلت [٩٧ ن] لها : تصبرين حتى يتكامل السوق ، وآخذ لك ما تريدين ، ففعلَتْ ، وأخذت تحادثني ، وأنا في الموت عشقاً لها .

وخرج الناس ، فأخذت لها ما أرادت ، فجمعته ، وركبَتْ ولم تخاطبني في ثمنه بحرف واحد ، وكان ما قيمته خمسة آلاف درهم .

فلمّا غابت عنّي أفقت ، وأحسست بالفقر ، فقلت : محتالة ، خدعتني بحسن وجهها ، ورأتني حَدَثاً ، فاستغرّتني [٧] ، ولم أكن سألتها عن منزلها ، ولا طالبتها بالثمن ، لدهشتي بها .

فكتمت خبري لئلا أفتضح ، وأتعجّل المكروه ، وعوّلت على غلق دكّاني ،

---

٤ في غ : وخلّف لي مالاً عظيماً .

٥ الكفل ، بالفتح : العجز .

٦ الدبيقي : ثياب تنسب إلى دبيق ، مدينة بمصر (معجم البلدان ٥٤٨/٢) ، راجع لطائف المعارف ص ٢٢٧ .

٧ الغرّ : الشاب الذي لا خبرة له ، والإستغرار : الخديعة باستغلال الغرّة والجهل .

وبيع كلّ ما فيها ، وأوفي الناس ثمن متاعهم ، وأجلس في بيتي مقتصراً على غلّة يسيرة من عقار كان خلّفه لي أبي [٣٠٧ غ] .

فلمّا كان بعد أسبوع ، إذا بها قد باكرتني ، ونزلَتْ عندي ، فحين رأيتها أنسيت ما كنت فيه وقمت لها .

فقالت : يا فتى ، تأخّرنا عنك ، وما شككنا أنّا قد روّعناك ، وظننت أنّا قد احتلنا عليك .

فقلت : قد رفع الله قدرك عن هذا .

فاستدعت الميزان ، فوفّتني دنانير قدر ما قلت لها عن ثمن المتاع ، وأخرجَتْ تذكرة[٨] بمتاع آخر .

فأجلستها أحادثها ، وأتمتّع بالنظر إليها إلى أن تكامل السوق ، وقمت ، ودفعت إلى كلّ إنسان ما كان له ، وطلبت منهم ما أرادت ، فأعطوني ، فجئتها به ، فأخذته وانصرفت ، ولم تخاطبني في ثمنه بحرف .

فلمّا غابت عنّي ندمت ، وقلت : المحنة هذه ، أعطتني خمسة آلاف درهم ، وأخذت منّي متاعاً بألف دينار ، والآن إن لم أقع لها على خبر ، فليس إلّا الفقر ، وبيع متاع الدكّان ، وما قد ورثته من عقار .

وتطاولت غيبتها عنّي أكثر من شهر وأخذ التجّار يشدّدون عليّ في المطالبة ، فعرضت عقاري ، وأشرفت على الهلكة .

فأنا في ذلك ، وإذا بها قد نزلت عندي ، فحين رأيتها زال عنّي الفكر في المال ، ونسيت ما كنت فيه ، وأقبلت عليّ تحادثني ، وقالت : هات الطيّار[٩] ، فوزنت لي بقيمة المتاع دنانير .

---

٨ التذكرة : قائمة تسجّل فيها الأشياء المطلوبة ، والعامّة ببغداد يسمّونها «تسكره» .

٩ الطيّار : ميزان لطيف توزن به الأشياء الدقيقة كالدنانير .

فأخذتُ أطاولها[10] في الكلام ، فبسطتني ، فكدت أموت فرحاً وسروراً ، إلى أن قالت : هل لك زوجة ؟

فقلت [٢٧٨ ر] : لا والله يا سيّدتي ، وما أعرف امرأة قط ، وبكيت.

فقالت : ما لك ؟

قلت : خير ، وهبتها ثم قمت وأخذت بيد الخادم الذي كان معها ، وأخرجت له دنانير كثيرة ، وسألته أن يتوسّط الأمر [٢٥٠ م] بيني وبين ستّه .

فضحك ، وقال : إنّها هي – والله – أعشق منك لها ، وما بها حاجة إلى ما اشترته منك ، وإنّما تجيئك محبّة لمطاولتك ، فخاطبها بما تريد ، فإنّها تقبله ، وتستغني عنّي .

فعدت ، وكنت قلت لها : إنّي أمضي لأنقد الدنانير ، فلمّا عدت ، قالت : نقدت الدنانير ؟ وضحكت ، وقد كانت رأتني مع الخادم .

فقلت لها : يا ستّي ، اللهَ ، اللهَ ، في دمي ، وخاطبتها بما في نفسي منها ، فأعجبها ذلك ، وقبلت الخطاب أحسن القبول .

وقالت : الخادم يجيئك برسالتي بما تعمل عليه ، وقامت ولم تأخذ منّي شيئاً ، فوفيت الناس أموالهم ، وحصلت ربحاً واسعاً ، واغتممت خوفاً من انقطاع السبب بيني وبينها ، ولم أنم ليلتي قلقاً وخوفاً .

فلمّا كان بعد أيّام جاءني الخادم[11] ، فأكرمته ، ووهبت له دنانير لها صورة ، وسألته عنها .

فقال : هي – والله – عليلة من شوقها إليك .

فقلت : فاشرح لي أمرها ؟

---

١٠ المطاولة : إطالة الحديث والانبساط في الخطاب .

١١ في غ : ولم يقرّ لي قرار ، وكنت لا أعرف النوم مدّة عشرين يوماً ، فلمّا كان الحادي والعشرين جاءني الخادم .

فقال : هذه صبيّة ربّتها السيّدة أمّ أمير المؤمنين المقتدر بالله ، وهي من أخصّ جواريها عندها ، وأحضاهنّ ، وأحبهنّ إليها .

وإنّها اشتهت رؤية الناس ، والدخول [٣٠٨ غ] والخروج ، فتوصّلت حتى صارت القهرمانة[١٢] ، وصارت تخرج في الحوائج ، فترى الناس .

وقد – والله – حدّثت السيّدة بحديثك ، وسألتها أن تزوّجها منك ، فقالت : لا أفعل ، أو أرى الرجل ، فإن كان يستحقّك ، وإلّا لا أدعك واختيارك .

وتحتاج إلى أن تتحيّل في إدخالك إلى الدار[١٣] بحيلة ، إن تمّت وصلت إلى تزويجها ، وإن انكشفت ضربت عنقك ، فما تقول ؟

فقلت : أصبر على هذا .

فقال : إذا كان الليلة ، فاعبر إلى المخرّم[١٤] ، وادخل المسجد الذي بنته السيّدة على شاطىء دجلة ، وعلى حائطه الأخير مما يلي دجلة ، اسمها مكتوب بالآجر المقطوع ، فبت فيه .

قال أبو الفرج بن النرسي : وهو المسجد الذي قد سدّ بابه الآن سبكتكين ، الحاجب الكبير ، مولى معزّ الدولة ، المعروف بجاشنكير[١٥] ، وأضافه إلى ميدان

---

١٢ القهرمانة : أنظر الشرح في آخر القصّة .

١٣ الدار : دار الخلافة .

١٤ المخرّم : قال ياقوت في معجم البلدان ٤٤١/٤ إنّ محلّة المخرّم كانت بين الزاهر والرصافة ، وكانت تضمّ دار الوزارة إبّان وزارة ابن الفرات ، ثمّ صارت دار المملكة في عهد سلاطين الدولة البويهيّة والسلجوقية ، وقد حلّ محلّها الآن : محلّة العلوازية ، والمستشفى التعليمي ، أو مدينة الطبّ الآن ، جزء من محلّة المخرّم .

١٥ سبكتكين : القائد التركي ، مولى معزّ الدولة ، وحاجبه ، المعروف بجاشنكير : كان معزّ الدولة يعتمد عليه في أمر الجيش ، فلمّا مات ، وخلفه بختيار ، وكان سيّء السياسة ، أوحش سبكتكين ، فنفر منه ، واضطر آخر الأمر إلى مجاهرته بالخصومة ، فسيطر على بغداد ، وخلع المطيع ، ونصب الطائع بدلاً منه ، ثم خرج مع الطائع ليحارب بختيار ، ولكنّه مات في دير العاقول في السنة ٣٦٣ ، وخلف ألف ألف دينار ، وعشرة آلاف ألف درهم ، وصندوقين من الجواهر ، وخمسة وأربعين صندوقاً ، من آنية الذهب ، غير =

داره ، وجعله مصلّى لغلمانه .

قال الرجل : فلمّا كان قبل المغرب مضيت إلى المخرّم ، فصلّيت في المسجد العشاءين ، وبتّ فيه .

فلمّا كان وقت السحر ، إذا بطيّار لطيف قد قدّم ، وخدم قد نزلوا ومعهم صناديق فارغة ، فجعلوها في المسجد ، وانصرفوا ، وبقي واحد منهم ، فتأمّلته ، فإذا هو الواسطة بيني وبينها .

ثم صعدت الجارية واستدعتني ، فقمت ، وعانقتها ، وقبّلت يدها ، وقبّلتني قبلات كثيرة ، وضمّتني ، وبكيت ، وبكت .

وتحدّثنا ساعة ، ثم أجلستني في واحد من الصناديق ، وكان كبيراً ، وأقفلته .

وأقبل الخدم يتراجعون بثياب ، وماء ورد ، وعطر ، وأشياء قد أحضروها من مواضع ، وهي تفرّق في باقي الصناديق ، وتقفل ، ثم حملت الصناديق في الطيّار ، وانحدر .

فلحقني من الندم أمر عظيم ، وقلت : قتلت نفسي لشهوة لعلّها لا تتمّ ، ولو تمّت ما ساوت قتل نفسي ، وأقبلت أبكي ، وأدعو الله عزّ وجلّ ، وأتوب ، وأنذر النذور ، إلى أن حملت الصناديق بما فيها ، ليجاز بها في دار الخليفة ، وحمل صندوقي [خادمان أحدهما الواسطة بيني وبينها][16] .

وهي كلّما اجتازت بطائفة من الخدم الموكّلين بأبواب الحرم ، قالوا : نريد نفتّش الصناديق ، فتصيح على بعضهم ، وتشتم بعضهم ، وتداري بعضهم .

إلى أن انتهت إلى خادم ظننته رئيس القوم ، فخاطبته بخضوع وذلّة ، فقال لها : لا بدّ من فتح الصناديق [٢٥١ م] وبدأ بصندوقي فأنزله .

العروض الأخرى ، من بلّور ، وفرش وخيل ، ودوابّ ، وجمال ، ومماليك ، واستولى ملوك بني بويه على داره بالمخرّم ، فاصبحت داراً للمملكة (المنتظم ٦٧/٧ وتجارب الأمم ٣٢٧/٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤) .

١٦ الزيادة من غ .

فحين أحسست بذلك ذهب عقلي ، وغاب [٢٧٩ ر] عليّ أمري ، وبلت في الصندوق فَرَقاً ، فجرى بولي حتى خرج من خلله[١٧] .

فقالت : يا أستاذ[١٨] ، أهلكتني ، وأهلكت التجّار ، وأفسدت علينا متاعاً بعشرة آلاف دينار في الصندوق ما بين ثياب مصبّغات ، وقارورة فيها أربعة أمنان من ماء زمزم ، قد انقلبت وجرت على الثياب ، والساعة تستحيل ألوانها .

فقال : خذي صندوقك ، أنت وهو ، إلى لعنة الله ، ومرّي .

فحمل الخادمان [٩٨ ن] صندوقي ، وأسرعا به ، وتلاحقت الصناديق [٣٠٩ غ] .

فما بعدنا ساعة حتى سمعتها تقول : ويلاه ، الخليفة ، فعند ذلك متُّ ، وجاءني ما لم أحتسبه .

فقال لها الخليفة : والك[١٩] ، يا فلانة ، أيّ شيء في صناديقك ؟

---

١٧ الخلل . وجمعه خلال : المنفرج بين الشيئين ، وخلل الصندوق : الفرجات بين ألواحه ، والخلل كذلك ، جمع خلّة ، وهي الثقبة .

١٨ الأستاذ : المعلّم والرئيس ، أصلها فارسي : أستاد ، وبالتركيّة والكرديّة : أستا ، (الألفاظ الفارسيّة المعربة ١٠) ، والعامة ببغداد يلفظونها : أسطى (بالمقصورة) أو (أسطه) بالهاء الساكنه ، وكانت كلمة الاستاذ تطلق على الخدم الطواشيّة ، السود منهم والبيض ، ومنهم كافور الإخشيدي ، فكان يسمّى : الاستاذ كافور .

١٩ والك : أصلها ويلك ، خفّفت إلى والك ، وقد يقال : واك ، والعامّة الآن ببغداد ، يقولون : وِلَكْ ، بكسر الواو ، وفتح اللام ، أو : لَكْ ، بفتح اللام وسكون الكاف ، يقولونها عند الخصومة والتحدّي ، بخلاف اللّبنانيّين فإنّهم يقولون : ولك ، للتحبّب ، وقد يقولون : ولك يا حبيبي ، وكان الوزير أبو الحسن علي بن عيسى ، قد تعوّد أن يقول : والك ، حتى أنّه قالها للخليفة الراضي ، فحقدها الراضي عليه ، وأراد أن يبطش به ، راجع القصّة رقم ٣٧/٥ في كتاب نشوار المحاضرة ، والتكملة ص ٤٦ ، وفي معجم الأدباء ٣٨٨/١ عن جحظة البرمكي ، قصّة عن الوقّاد الذي تغنّى بأبيات من الشعر ، فيها كلمة : والك ، وهي :

أنـا أهـواك ونـور الـــ ـــله فافعل مـا بدالك =

فقالت : ثياب للسيّدة .

فقال : افتحيها حتّى أراها .

فقالت : يا مولاي ، الساعة تفتحها ستّنا بين يديك .

فقال : مرّي ، هوذا أجي[20] .

فقالت للخدم : أسرعوا ، ودخلَتْ حجرة ، ففتحَتْ صندوقي ، وقالت : اصعد تلك الدرجة[21] ، ففعلت ، وأخذت بعض ما في تلك الصناديق ، فجعلته في صندوقي ، وأقفلته .

وجاء المقتدر ، فحملت الصناديق إلى بين يديه ، ثم عادت إليّ ، فطيّبت نفسي ، وقدّمت لي طعاماً وشراباً ، وما يحتاج إليه ، وأقفلت الحجرة ، ومضت .

فلمّا كان من غد جاءتني ، فصعدت إليّ ، وقالت : الساعة تجيء السيّدة لتراك ، فانظر كيف تكون ؟

فما كان بأسرع مَن أن جاءت السيّدة ، فجلست على كرسي ، وفرّقت جواريها ، ولم يبق معها غير واحدة منهنّ ، ثم أنزلتني الجارية .

فحين رأيت السيّدة قبّلت الأرض ، وقمت فدعوت لها .

فقالت لجاريتها : نِعْمَ ما اخترت لنفسك هو – والله – كيّس ، عاقل ، ونهضَتْ .

[فقامت معها صاحبتي وتبعتها][16] ، وأتت إليّ بعد ساعة ، وقالت :

إن تكـن تمنعـني شخـــ ـــصك فابذل لي خيالك

قـد أخـذت الـدنّ والـــ ـــطنبور والكـأس فـالك

قـل لمـن في جنبـك الـبـ ـــقمعوث من دسّك والـك

٢٠ هوذا : تعبير بغدادي ، معناه : ها أنا ، أو : الآن .

٢١ الدرجة ، وجمعها درج : المرقاة .

أبشر [٢٢] فقد – والله – وعدتني أن تزوّجني بك ، وما بين أيدينا عقبة إلّا الخروج .

فقلت : يسلّم الله تعالى .

فلمّا كان من غدٍ حملتني في الصندوق ، وخرجت كما دخلت ، وكان الحرص على التفتيش أقلّ ، وتركت في المسجد الذي حملت منه في الصندوق ، وقمت بعد ساعة ، ومضيت إلى منزلي ، وتصدّقت ، ووفيت بنذري .

فلمّا كان بعد أيّام ، جاءني الخادم برقعتها ، بخطّها الذي أعرفه ، وكيس فيه ثلاثة آلاف دينار عيناً ، وهي تقول في رقعتها : أمرتني السيّدة بإنفاذ هذا الكيس من مالها إليك ، وقالت : اشتر ثياباً ، ومركوباً ، وغلاماً يسعى بين يديك ، وأصلح به ظاهرك ، وتجمّل بكل ما تقدر عليه ، وتعال يوم الموكب [٢٣] إلى باب العامّة [٢٤] ، وقف حتى تطلب ، وتدخل على الخليفة ، وتتزوّج بحضرته .

فأجبت على الرقعة ، وأخذت الدنانير ، واشتريت منها ما قالوه ، واحتفظت بالباقي .

وركبت بغلتي يوم الموكب إلى باب العامّة ، ووقفتُ ، وجاءني من استدعاني ، فأدخلني على المقتدر ، وهو على السرير ، والقضاة ، والهاشميون ، والحشم ، قيام ، فداخلتني هيبة عظيمة ، فخطب بعض القضاة ، وزوّجني ، وخرجت .

فلمّا صرت في بعض الممرّات ، عدل بي إلى دار عظيمة ، مفروشة بأنواع الفرش الفاخر ، والآلات ، والخدم ، فأجلست ، وتركت وحدي ، وانصرف من أجلسني .

---

٢٢ أبشر : أي استمع إلى بشرى ، ومن ظريف تعابير العامّة ببغداد ، أنّك إذا ناديت أحدهم ، أجاب بقوله : إبشر (بكسر الهمزة) .

٢٣ يوم الموكب : اليوم الذي يجلس فيه الخليفة جلوساً عاماً ، وقد أفرد هلال الصابي في كتابه رسوم دار الخلافة ، فصلاً خاصّاً ص ٩٠–٩٢ فصّل فيه كيفيّة جلوس الخليفة ، ووصف مجلسه ولباسه ، وملابس الذين يدخلون عليه .

٢٤ باب العامّة : أحد أبواب دار الخلافة ، وكانت في شرقي الدار ، وهي أقرب أبواب الدار إلى جامع الخلفاء .

فجلست يومي لا أرى من أعرف ، وخدم يدخلون ويخرجون ، وطعام عظيم ينقل ، وهم يقولون : الليلة تزفّ فلانة – اسم زوجتي – إلى زوجها ، ها هنا .

فلمّا جاء الليل أثّر الجوع فيّ ، وأقفلت الأبواب ، وأيستُ من [٢٥٢ م] الجارية ، فبقيت أطوف [٣١٠ غ] في الدار ، إلى أن وقعت على المطبخ ، فإذا قوم طبّاخون جلوس ، فاستطعمت منهم ، فلم يعرفوني ، وظنّوا أنّي بعض الوكلاء ، فقدّموا إليّ زيرباجة ، فأكلت منها ، وغسلت يدي بأشنان[٢٥] كان في المطبخ ، وأنا مستعجل لئلّا يفطن بي ، وظننت أنّي قد نقّيت من ريحها ، وعدت إلى مكاني .

فلمّا انتصف الليل إذا بطبول ، وزمور ، والأبواب [٢٨٠ ر] تفتح ، وصاحبتي قد أهديت إليّ[٢٦] ، وجاءوا بها فجلوها عليّ[٢٧] ، وأنا أقدّر أن ذلك في النوم ، ولا أصدّق فرحاً به ، وقد كادت مرارتي تنشقّ فرحاً وسروراً ، ثم خلوت بها ، وانصرف الناس .

فحين تقدّمتُ إليها وقبّلتها ، رفستني فرمت بي عن المنصّة ، وقالت : أنكرت أن تفلح يا عامّي ، أو تصلح يا سفلة[٢٨] ، وقامت لتخرج .

فتعلّقت بها ، وقبّلت يديها ورجليها ، وقلت : عرّفيني ذنبي ، واعملي بعده ما شئتِ .

---

٢٥ الأشنان : ويلفظ بكسر أوّله أو بضمّه ، أعواد صغيرة بيضاء أو صفراء ، تدقّ وتستعمل في تنقية الأيدي من الوضر ، ولها إذا بلّت بالماء رغوة مثل رغوة الصابون ، وكان يخلط بأنواع عديدة من الطيب ، تدقّ معه ، وتحفظ في وعاء يسمّونه الأشناندان ، له غطاء يحفظ رائحته ، ويتناول منه بملعقة ، لكي لا يتّسخ الباقي بملامسة الأيدي ، وكان الأشنان الذي يصنع لهارون الرشيد يشتمل على ثلاثة عشر جزءاً ، راجع مطالع البدور ٦٦/٢ .

٢٦ إهداء العروس إلى بعلها : زفّها إليه .

٢٧ جليت العروس على زوجها : عرضت عليه مزيّنة مصقولة .

٢٨ السفلة : السقط والغوغاء من الناس .

فقالت : ويلك ، تأكلُ ، ولا تغسل يدك ؟ وأنت تريد أن تختلي بمثلي ؟

فقلت : اسمعي قصّتي ، واعملي ما شئت بعد ذلك .

فقالت : قل .

فقصصت عليها القصّة ، فلمّا بلغت أكثرها ، قلت : وعليّ ، وعليّ ، وحلفت بأيمان مغلظة ، لا أكلت بعد هذا زيرباجة[٢٩] ، إلّا غسلت يدي أربعين مرّة .

[فأشفقت[٣٠] ، وتبسّمتْ ، وصاحت : يا جواري ، فجاء مقدار عشر جواري ووصائف][٣١] فقالت : هاتم[٣٢] شيئاً للأكل .

فقدّمت إلينا مائدة حسنة ، وألوان فاخرة ، من موائد الخلفاء ، فأكلنا جميعاً ، واستدعت شراباً ، فشربنا ، أنا وهي ، وغنّى لنا بعض أولئك الوصائف .

وقمنا إلى الفراش ، فدخلت بها ، وإذا هي بكر ، فافتضضتها ، وبتّ بليلة من ليالي الجنّة ، ولم نفترق أسبوعاً ، ليلاً ونهاراً ، إلى أن انقضت وليمة الأسبوع[٣٣] .

فلمّا كان من غدٍ ، قالت لي : إنّ دار الخليفة لا تحتمل المقام فيها أكثر من هذا ، وما تمّ لأحد أن يدخل فيها بعروسٍ غيرك ، وذلك لعناية السيّدة بي ، وقد أعطتني خمسين ألف دينار ، من عَيْن وَوَرَقٍ ، وجوهر ، وقماش ، ولي بخارج القصر أموال وذخائر أضعافها ، وكلّها لك ، فاخرج ، وخذ معك مالاً ، واشتر لنا داراً حسنة ، عظيمة الاتّساع ، يكون فيها بستان حسن ، وتكون كثيرة الحُجَر ،

---

٢٩ في غ : دجبراجة .

٣٠ أشفق : حنا وعطف .

٣١ الزيادة من كتاب نشوار المحاضرة ج ٤ ص ١٨٩ رقم القصّة ٨٨/٤ .

٣٢ هاتم : لغة بغدادية في هاتوا .

٣٣ يظهر أنّه كان عندهم تقليد يقضي بإقامة وليمة في نهاية الأسبوع الأول من الزواج ، ولا يوجد ببغداد الآن مثل هذا التقليد .

ولا تضيّق على نفسك ، كما تضيق نفوس التجّار ، فإنّي ما تعودت أسكن إلّا في القصور ، واحذر من أن تبتاع شيئاً ضيّقاً ، فلا أسكنه ، وإذا ابتعت الدار ، فعرّفني ، لأنقل إليك مالي ، وجواريّ ، وأنتقل إليك .

فقلت : السمع والطاعة .

فسلّمت إليّ عشرة آلاف دينار ، فأخذتها ، وأتيت إلى داري ، واعترضت الدور ، حتي ابتعت ما وافق اختيارها ، فكتبت إليها بالخبر ، فنقلت إليّ تلك النعمة بأسرها ، ومعها ما لم أظنّ قط أنّي أراه ، فضلاً عن أنّي أملكه ، وأقامت عندي كذا وكذا سنة ، أعيش معها عيش الخلفاء ، وأتّجر في خلال ذلك ، لأنّ نفسي لم تسمح لي بترك تلك الصنعة ، وإبطال المعيشة ، فتزايد مالي وجاهي ، وولدت لي هؤلاء [٣١١ غ] الشباب[٣٤] ، وأومأ إلى أولاده ، وماتت رحمها الله ، وبقي عليّ مضرّة الزيرباجة[٣٥] ، إذا أكلتها ، غسلت يدي أربعين مرّة[٣٦] .

---

٣٤ كذا ورد في ر ، وفي غ ، وما تزال كلمة الشباب تطلق في بغداد على الفتيان فرداً أو جماعة .

٣٥ في غ : الدجبراجة .

٣٦ وردت القصّة في نشوار المحاضرة ٤/٨٨ وفي نهاية الأرب ٢/١٦٥ .

القهرمانــة

القهرمان : وجمعه قهارمة : مدبّر البيت ، أو أمين الدخل والخرج ، يونانية (تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربيّة ٥٩) ، وأصل عمل القهرمانة في بلاط الخليفة ، أن تؤدّي الرسائل عن الخليفة ، ولكنّ ضعف الخلفاء ، واحتجابهم في قصورهم ، وتسلّط النساء ، أدّى إلى سيطرة القهرمانة .

وكانت خالصة جارية الخيزران ، لها في البلاط العبّاسي مقام منذ أيّام المنصور ، فكانت تدخل على المنصور ، وهو في مخدعه (الطبري ٧٢/٨) وكانت تترسل بين سيّدتها الخيزران والخلفاء (الطبري ٢٠٥/٨) وكانت الخيزران تستشيرها في ما يجد لها من أمور (الطبري ٢٠٦/٨) وكانت مدلّة على سيّدتها ، جريئة عليها (الطبري ٢١٢/٨) وكان مال الخيزران في حوزتها (الطبري ٢١٣/٨) كما كان مال المهدي وهو ولي عهد في حوزتها أيضا (الطبري ٧٢/٨) .

وكان للمكتفي ، داية اسمها فارس ، نصبها قهرمانة لمّا استخلف ، وكانت تتدخّل في نصب الوزراء وعزلهم (القصّة ١٧١/٣ من نشوار المحاضرة) وفي دولة المقتدر ، وكانت دولة السيّدة أمّه (كتاب الوزراء للصابي ٣٠٨) أصبح للقهرمانة سيطرة تامّة على أمور الدولة ، بحكم صلتها بالخليفة والسيّدة ، فكانت القهرمانة تتدخّل في ترشيح الوزراء وكبار العمّال (تجارب الأمم ٢١/١ و ٢٤) وفي عزلهم واعتقالهم (تجارب الأمم ٤٠/١) وقد تحضر القهرمانة عقوبة الوزير المعزول (٩٠/١ تجارب) أو يعهد إليها الخليفة بتعذيب من يريد تعذيبه (٨٤/١) أو يعتقل لديها من يريد اعتقاله (٤٠/١ تجارب) ومن شهيرات القهرمانات في الدولة العبّاسية ، فاطمة القهرمانة ، غرق بها طيّارها في يوم ريح عاصف ، تحت جسر بغداد في السنة ٢٩٩ (٢٠/١ تجارب) وأمّ موسى الهاشميّة ، عيّنت قهرمانة في قصر الخليفة في السنة ٢٩٩ (٢٠/١ تجارب) وسيطرت سيطرة عظيمة ، بحيث أنّ صاحبتها فرج النصرانيّة كان تحمل خاتم الخليفة لمن يعده بتوليته الوزارة (الوزراء ٢٩٣) وانتهى أمر أمّ موسى بالاعتقال والمصادرة (تجارب الأمم ٨٣/١) ، وزيدان القهرمانة ، اعتقل عندها الوزير علي بن عيسى لمّا عزل عن الوزارة (٤٠/١ تجارب) ، وبلغ من سطوتها ، أنّ الوزير ابن الفرات كان يعنون رسائله إليها : يا أختي (الوزراء ١٧٢) ، وثمل القهرمانة ، وكانت موصوفة

بالشر والإسراف في العقوبة (تجارب الأمم ٨٤/١) وكانت تجلس للمظالم ، وتنظر في رقاع الناس ، في كلّ جمعة ، وتصدر عنها التوقيعات (المنتظم ١٤٨/٦) .

وكانت للقاهرة قهرمانة اسمها اختيار ، كانت هي السبب في استيزار محمّد بن القاسم ابن عبيد الله (تجارب الأمم ٢٦٠/١) .

وعَلَم ، قهرمانة المستكفي ، وكان اسمها حُسْن الشيرازية ، أغرت أمير الأمراء توزون ، فخلع المتّقي وسمله ، ونصب المستكفي خليفة بدلاً منه ، وأصبحت علم ، قهرمانة الخليفة الجديد ، فسيطرت على جميع مرافق الدولة وأمورها (تجارب الأمم ٧٥/٢) ، وعندما اعتقل المستكفي اعتقلت علم معه (تجارب ٨٦/٢) وسملت عيناها ، وقطع لسانها (تجارب ١٠٠/٢) .

وكان لعزّ الدولة ، بختيار البويهي ، قهرمانة اسمها تحفة ، تعقد المحالفات مع كبار الموظفين ، لتحميهم ، ثم يرشوها خصومهم ، فتتركهم إلى غيرهم (تجارب الأمم ٣٢١/٢-٣٢٣) .

وكانت للأخشيد بمصر ، قهرمانة اسمها (سماية) ، بلغ من تأثيرها أن خصومة حصلت بين خليفة قاضي مصر الذي نصبه المطيع ، وبين أحد الشهود ، فأسقط القاضي شهادته ، وأسجل بذلك ، فشكا إليها الشاهد ذلك ، فأحضرت القاضي ، وأمرته بإحضار السجلّ ، فأحضره ، فمزّقت الحكم الذي أسجل فيه إسقاط شهادة الشاهد ، وأصلحت بينهما ، راجع ذلك في أخبار القضاة في كتاب الولاة للكندي ص ٥٦٨ .

وكانت «وصال» قهرمانة الخليفة القائم ، تشترك في اختيار الوزراء (المنتظم ٢١١/٨ و ٢٥٢) .

ومن القهرمانات ، نظم القهرمانة ، التي ذكرها القاضي التنوخي ، في القصّة ٧٠/٤ من نشوار المحاضرة .

ومنهنّ الجارية ، صاحبة هذه القصّة ، وكانت مملوكة للسيّدة أم المقتدر ، واشتهت أن تتصرّف ، وأن تخرج إلى خارج القصر ، فقهرمتها السيّدة ، مما يدلّ على أنّ مبارحة قصر الخلافة محرّم على الحريم ، إلّا على القهرمانة .

٤٧٩

إسحاق الموصلي يتطفل ويقترح

حدّثني أبو الفرج المعروف بالأصبهاني رحمه الله تعالى ، إملاء من حفظه ، وكتبته عنه في أصول سماعاتي منه ، ولم يحضرني كتابي فأنقله منه ، فأثبته من حفظي ، وتوخّيت ألفاظه بجهدي ، قال : حدّثني محمّد بن مزيد بن أبي الأزهر ، قال : حدّثنا حمّاد بن إسحاق بن إبراهيم الموصلي ، قال : حدّثني أبي ، قال :][1]

غدوت يوماً ، وأنا ضجر من ملازمة دار الخلافة ، والخدمة فيها ، فركبت بكرة ، وعزمت على أن أطوف الصحراء ، وأتفرّج بها .

فقلت لغلماني : إن جاء رسول الخليفة ، فعرّفوه أنّي بكّرت في مهمّ لي ، وأنّكم لا تعرفون أين توجّهت .

ومضيت ، وطفت ما بدا لي، ثم عدت وقد حَمِيَ النهار ، فوقفت في شارع المخرِّم ، في الظلّ ، عند جناح رحب في الطريق ، لأستريح .

فلم ألبث أن جاء خادم يقود حماراً فارهاً ، عليه جارية راكبة ، تحتها منديل دبيقيّ ، وعليها من اللّباس الفاخر ما لا غاية وراءه ، ورأيت لها قواماً حسناً ، وطرفاً فاتناً ، وشمائل ظريفة ، فحدست أنّها مغنّية[2] .

فدخلت الدار التي كنت واقفاً عليها ، وعلقها قلبي في الوقت علوقاً شديداً ، لم أستطع معه البراح .

فلم ألبث إلّا يسيراً ، حتى أقبل رجلان شابّان جميلان ، لهما هيأة تدلّ على قدرهما ، راكبان ، فاستأذنا ، فأذن لهما ، فحملني حبّ الجارية على أن نزلت

---

[1] كذا ورد في ن ، وفي بقية النسخ : وعن حمّاد بن إسحاق ، عن أبيه قال : ... الخ

[2] في الأغاني ٥/٤٢٤ : وطرفاً فاتراً ، وشمائل حسنة ، فخرصت أنّها مغنّية .

معهما ، ودخلت بدخولهما ، فظنّا أنّ صاحب الدار دعاني ، وظنّ صاحب الدار أنّي معهما .

فجلسنا ، فأُتي بالطعام فأكلنا ، وبالشراب فوضع ، وخرجت الجارية ، وفي يدها عود ، فرأيتها حسناء ، وتمكّن ما في قلبي منها ، وغنّت غناء صالحاً ، وشربنا .

وقمت قومة للبول ، فسأل صاحب المنزل من الفتيين عنّي ، فأخبراه أنّهما لا يعرفاني ، فقال : هذا طفيلي ، ولكنّه ظريف ، فأجملوا عشرته .

وجئتُ ، فجلستُ ، وغنّت الجارية في لحن لي :

ذكرتكِ إذ مرّت[3] بنا أمّ شادنَ[4] أمام المطايا تستريبُ وتطمح[5]

من المولعات[6] الرمل أدماء[7] حرّة شعاع الضحى في متنها يتوضّح[8]

فأدّته أداءً صالحاً ، ثم غنّت أصواتاً فيها من صنعتي :

الطلول الدوارس فارقتها الأوانس

أوحشت بعد أهلها فهي قفر بسابس

فكان أثرها فيه أصلح من الأوّل ، ثم غنّت أصواتاً من القديم والمحدث ، وغنّت في أضعافها من صنعتي ، في شعري :

قل لمن صدّ عاتبا ونأى عنك جانبا

---

٣ في الأغاني ٥/٤٢٤ : أن مرّت .

٤ أمّ شادن : الظبية .

٥ في الأغاني : تشرئبّ وتسنح ، وكلاهما صحيح ، فإنّ تستريب : تتخوّف وتخشى أن يقع ما يريبها ، وتطمح : ترفع بصرها وتستشرف ، وتشرئبّ : ترفع رأسها ، وتسنح : تعرض سانحة أي على يسار الناظر .

٦ كذا في الأصل ، وفي الأغاني : من المؤلفات الرمل ، من الإلفة .

٧ الأدماء : البيضاء التي تعلوها غبرة ، فإن كانت خالصة البياض ، فهي : ريم .

٨ يتوضّح : يبرق ويلمع .

قد بلغت الذي أردت وإن كنت لاعبا
واعترفنا بما ادّعيت وإن كنت كاذبا[9]

فكان أصلح ما غنّته ، فاستعدته منها لأصحّحه لها ، فأقبل عليّ رجل منهم ، فقال : ما رأيت طفيليًّا أصفق منك وجهاً ، لم ترض بالتطفيل حتى اقترحت ، وهذا تصديق للمثل : طفيليّ ويقترح ، فأطرقت ، ولم أجبه ، وجعل صاحبه يكفّه عنّي ، فلا يكفّ .

ثم قاموا إلى الصلاة ، وتأخّرت ، فأخذت العود وشددت طبقته ، وأصلحته إصلاحاً محكماً ، وعدت إلى موضعي ، فصلّيت ، وعادوا ، وأخذ الرجل في عربدته عليّ ، وأنا صامت .

وأخذت الجارية العود ، وجسّته ، فأنكرت حاله ، وقالت : من مسّ عودي ؟

فقالوا : ما مسّه أحد .

قالت : بلى ، والله ، قد مسّه حاذق متقدّم ، وشدّ طبقته ، وأصلحه إصلاح متمكّن من صنعته .

فقلت لها : أنا أصلحته .

قالت : بالله عليك ، خذه ، فاضرب به .

فأخذته ، وضربت به مبدأً عجيباً ، فيه نقرات محرّكة ، فما بقي في المجلس أحد إلّا وثب فجلس بين يدي .

وقالوا : بالله عليك يا سيّدنا ، أتغنّي ؟

قلت : نعم ، وأعرّفكم نفسي أيضاً ، أنا إسحاق بن إبراهيم الموصلي ، وإنّي – والله – لأتيه على الخليفة ، وأنتم تشتموني اليوم ، لأنّي تملّحت معكم بسبب

---

٩ لم يرد هذا البيت في الأغاني .

هذه الجارية ، ووالله ، لا نطقت بحرف ، ولا جلست معكم ، أو تخرجوا هذا المعاند[١٠] .

ونهضت لأخرج ، فتعلّقوا بي ، فلم أرجع ، فلحقتني الجارية ، فتعلّقت بي ، فلنت ، وقلت : لا أجلس ، حتى تخرجوا هذا البغيض .

فقال له صاحبه : من هذا كنت أخاف عليك ، فأخذ يعتذر .

فقلت : أجلُسُ ، ولكنّي ، والله ، لا أنطق بحرف وهو حاضر ، فأخذوا بيده ، فأخرجوه .

فبدأت أغنّي الأصوات التي غنّتها الجارية من صنعتي ، فطرب صاحب البيت طرباً شديداً ، وقال : هل لك في أمر أعرضه عليك ؟

فقلت : وما هو ؟

قال : تقيم عندي شهراً ، والجارية لك بما لها من كسوة .

فقلت : أفعل .

فأقمت عنده ثلاثين يوماً ، لا يعرف أحد أين أنا ، والمأمون يطلبني في كلّ موضع ، فلا يعرف لي خبراً .

فلمّا كان بعد ذلك ، سلّم إليّ الجارية والخادم ، وجئت بها إلى منزلي ، وكان أهل منزلي في أقبح صورة لتأخّري عنهم .

وركبت إلى المأمون من وقتي ، فلمّا رآني ، قال لي : يا إسحاق ، ويحك ، أين كنت ؟ فأخبرته بخبري .

فقال : عليّ بالرجل الساعة ، فدللتهم على بيته ، فأحضر ، فسأله المأمون عن القصّة ، فأخبره بها .

فقال : أنت ذو مروءة ، وسبيلك أن تعان عليها ، فأمر له بمائة ألف درهم .

---

١٠ في الأغاني ٥/٤٢٥ : هذا المعربد .

وقال : لا تعاشر ذلك المعربد السفل .

فقال : معاذ الله يا أمير المؤمنين [٩٦ ن] .

وأمر لي بخمسين ألف درهم ، وقال لي : أحضر الجارية ، فأحضرته إيّاها ، فغنّته .

فقال لي : قد جعلت لها نوبة كلّ يوم ثلاثاء ، تغنّيني من وراء الستارة ، مع الجواري ، وأمر لها بخمسين ألف درهم .

فربحت – والله – بتلك الركبة ، وأربحت [١١] .

١١ لم ترد هذه القصّة في م ولا في ر ولا في غ ، وقد أثبتناها من هـ ، وقد وردت في كتاب الأغاني ٥/٤٢٣–٤٢٦ .

٤٨٠
أنتِ طالق إن لم تكوني أحسن من القمر

ووجدت في بعض الكتب :

أنّ عيسى بن موسى[١] ، كان يحبّ زوجته حبًّا شديداً ، فقال لها يوماً : أنتِ طالق ، إن لم تكوني أحسن من القمر .

فنهضت ، واحتجبت عنه ، وقالت : قد طلّقتني ، فبات بليلة عظيمة .

فلمّا أصبح غدا إلى المنصور ، وأخبره الخبر ، وقال : يا أمير المؤمنين ، إن تمّ طلاقها ، تلفَتْ نفسي غمًّا ، وكان الموت أحبّ إليّ من الحياة .

وظهر للمنصور منه جزع شديد ، فأحضر [٢٥٣ م] الفقهاء ، واستفتاهم ، فقال جميع من حضر ، قد طلقت ، إلّا رجلاً من أصحاب أبي حنيفة ، فإنّه سكت .

فقال له المنصور : ما لك لا تتكلّم ؟.

فقال : (بسم الله الرحمن الرحيم ، والتين والزيتون ، وطور سنين ، وهذا البلد الأمين ، لقد خلقنا [٩٩ ن] الإنسان في أحسن تقويم)[٢] ، فلا شيء أحسن من الإنسان .

فقال المنصور لعيسى بن موسى : قد فرّج الله تعالى عنك ، والأمر كما قال ، فأقم على زوجتك .

وراسلها أن [٢٨١ ر] أطيعي زوجك ، فما طلّقت .

---

١ أبو موسى عيسى بن موسى بن محمّد : ترجمته في حاشية القصّة ١٥٦ من الكتاب .

٢ (١-٤) ك التين ٩٥ .

٤٨١
ما ثمانية وأربعة واثنان

أخبرني أبو الفرج الأصبهاني ، قال : أخبرني أبو بكر محمّد بن القاسم بن بشّار الأنباري[١] ، قال : حدّثني أبي ، قال : حدّثني أحمد بن عبيد[٢] ، عن الهيثم بن عديّ[٣] ، عن عبد الملك بن عمير[٤] ، قال :

قدم علينا عمر بن هبيرة[٥] الكوفة ، فأرسل إلى عشرة ، أنا أحدهم ، من وجوه أهل الكوفة ، فسمرنا عنده .

ثم قال : يحدّثني كل رجل منكم أُحْدُوثَةً ، وابدأ أنت يا أبا عمرو .

فقلت : أصلح الله الأمير ، أحديث الحق ، أم حديث الباطل ؟

فقال : بل حديث الحق .

فقلت : إنّ امرء القيس بن حجر الكندي ، آلي أليّة[٦] ، أن لا يتزوّج بامرأة حتى يسألها عن ثمانية ، وأربعة ، واثنين ، فجعل يخطب النساء ، فإذا سألهنّ عنها ، قلن : أربعة عشر .

---

١ أبو بكر محمّد بن القاسم بن بشّار الأنباري (٢٧١–٣٢٩) : كان من أعلم الناس بالنحو والأدب ، وأكثرهم حفظاً له ، وصنّف كتباً كثيرة في علوم القرآن وغريب الحديث ، وذكر عنه إنّه كان يحفظ ثلثمائة ألف بيت من الشواهد في القرآن ، وكان زاهداً متواضعاً (المنتظم ٦/٣١١) .

٢ أبو جعفر أحمد بن عبيد بن ناصح بن بلنجر ، المعروف بأبي عصيدة النحوي ، مولى بني هاشم : ترجم له الخطيب في تاريخه ٤/٢٥٨ .

٣ أبو عبد الرحمن الهيثم بن عديّ بن عبد الرحمن الثعلي الطائي البحتري الكوفي (١١٤–٢٠٧) : ترجمته في حاشية القصّة ١٧٥ من الكتاب .

٤ أبو عمرو عبد الملك بن عمير بن سويد اللخمي الفرسي : ترجمته في حاشية القصّة ٣٠٩ من الكتاب .

٥ أبو المثنّى عمر بن هبيرة بن سعد بن عديّ الفزاري ، أمير العراق : ترجمته في حاشية القصّة ١٩١ من الكتاب .

٦ آلى أليّة : أقسم قَسَماً .

فبينا هو يسير في الليل ، وإذا هو برجل يحمل ابنة له صغيرة ، كأنّها القمر لتمّه ، فأعجبته .

فقال لها : يا جارية ، ما ثمانية ، وأربعة ، واثنان ؟

فقالت : أمّا الثّمانية : فأطباء الكلبة[7] ، وأمّا الأربعة : فأخلاف الناقة[8] ، وأمّا الاثنان : فثديا المرأة .

فخطبها من أبيها ، فزوّجه منها ، واشترطت هي عليه ، أن تسأله ليلة يأتيها ، عن ثلاث خصال ، فجعل لها ذلك ، على نفسه ، وعلى أن يسوق لها مائة من الإبل ، وعشرة أعبد ، وعشر وصائف ، وثلاثة أفراس ، ففعل ذلك .

ثم إنّه بعث عبداً له إلى المرأة ، وأهدى إليها نحياً من سمن[9] ، ونحياً من عسل ، وحُلّةً من قصب[10] .

فنزل العبد ببعض المياه ، فنشر الحلّة ، ولبسها ، فتعلّقت بشجرة فانشقّت ، وفتح النحيين ، وأطعم أهل الماء منهما .

ثم قدم على حيّ المرأة وهم خلوف[11] ، فسألها عن أبيها ، وأمّها ، وأخيها ، ودفع [٣١٢ غ] إليها هديّتها .

فقالت : أعلم مولاك ، أنّ أبي ذهب يقرّب بعيداً ، ويبعد قريباً ، وأنّ أمّي ذهبت تشقّ النفس نفسين ، وأنّ أخي يراعي الشمس ، وأنّ سماءكم

---

٧ الأطباء ، مفردها طبي ، بضم الطاء : حلمات الضرع في ذوات الخفّ والظلف والحافر والسباع .

٨ الأخلاف ، مفردها خلف ، بكسر الخاء : ضرع الناقة .

٩ النحي : الزقّ يوضع فيه السمن أو العسل ، راجع في الأغاني ٢٧١/١٣ و ٢٧٢ قصّة ذات النحيّين .

١٠ الحلّة ، بالضم ، وجمعها حلل : الثوب الساتر لجميع البدن ، والحلّة لا تكون إلاّ ثوبين ، راجع التلخيص لأبي هلال العسكري ٢١٦/١ و ٢١٧ ، والمقصّبة أي المطرّزة بشرائط الذهب المطروق ، وهو المسمّى في بغداد : كلبدون .

١١ الحيّ خلوف : أي أنّ رجالهم غيّب (أساس البلاغة للزمخشري ٢٤٧/١) .

انشقّت ، وأنّ وعائيكما نضبا .

فقدم الغلام على مولاه ، وأخبره بما قالت .

فقال : أمّا قولها : ذهب أبي يقرّب بعيداً ، ويبعد قريباً ، فإنّ أباها ذهب يحالف قوماً على قومه .

وأمّا قولها : ذهبت أمّي تشقّ النفس نفسين ، فإن أمّها ذهبت تقبّل امرأة .

وأمّا قولها : إنّ أخي يراعي الشمس ، فإنّ أخاها في سرح[12] له يرعاها ، فهو ينتظر وجوب الشمس[13] ليروح .

وأمّا قولها : إنّ سماءكم انشقّت ، فإن الحلّة التي بعثت بها معك انشقّت .

وأمّا قولها : إنّ وعائيكما نضبا ، فإن النحيّين الذين بعثت بهما نقصا ، فأصدقني .

فقال : يا مولاي ، إنّي نزلت بماء من مياه العرب ، فسألوني عن نسبي ، فأخبرتهم أنّي ابن عمّك ، ونشرتُ الحلّة فلبستها ، وتجمّلت بها ، فعلقت بشجرة ، فانشقّت ، وفتحتُ النحيين ، فأطعمت منهما أهل الماء .

فقال : أولى[١٠١ن]لك[14] .

ثم ساق مائة من الإبل ، وخرج نحوها ، ومعه الغلام ، فنزلا منزلاً .

فقام الغلام ليسقي ، فعجز ، فأعانه امرؤ القيس ، فرمى به الغلام في البئر ، وانصرف حتى أتى المرأة بالإبل ، فأخبرهم أنّه زوجها .

فقيل لها : قد جاء [٢٥٤ م] زوجك .

فقالت : والله ، لا أدري أهو زوجي أم لا ، ولكن انحروا له جزوراً[15] ،

---

١٢ السرح ، مفرده السرحة : الماشية .

١٣ وجوب الشمس : غيابها .

١٤ أولى لك : كلمة تقال للوعيد أو التهديد .

١٥ الجزور : ما أعد للجزر أي الذبح من النوق أو الغنم .

وأطعموه من كرشها وذنبها ، ففعلوا ، فأكل ما أطعموه .

فقالت : اسقوه لبناً حازراً[16] وهو الحامض ، فشرب .

فقالت : أفرشوا له عند الفرث[17] والدم ، ففرشوا له ، فنام .

فلمّا أصبحت ، أرسلت إليه : إنّي أريد أن أسألك .

فقال : سلي عمّا بدا لك .

فقالت : ممّ تختلج شفتاك ؟

فقال : لتقبيلي فاك .

فقالت : ممّ يختلج كشحاك ؟

قال : لالتزامي إيّاك .

فقالت : ممّ يختلج فخذاك ؟

فقال : لتوركي إيّاك .

فقالت : عليكم بالعبد ، فشدّوا أيديكم به ، ففعلوا .

قال : ومرّ قوم ، فاستخرجوا امرء القيس من البئر ، فرجع إلى حيّه ، واستاق مائة من الإبل ، وأقبل إلى امرأته .

فقيل لها : قد جاء زوجك .

فقالت : والله ، ما أدري أهو زوجي أم لا ، ولكن انحروا له جزوراً ، وأطعموه من كرشها وذنبها ، ففعلوا ، فلمّا أتوه بذلك ، قال : أين الكبد والسنام[18] والملحة ، وأبى أن يأكل .

---

١٦ اللبن الحازر : فوق الحامض (لسان العرب : حزر)

١٧ الفرث : السرجين ما دام في الكرش .

١٨ السنام : الحدبة في ظهر البعير ، وهي أطيب ما فيه ، قال النابغة :

فإن يهلك أبو قابوس يهلك ... ربيع الناس والبلد الحرام
ونمسك بعده بذناب عيش ... أجبّ الظهر ليس له سنام

فقالت : أسقوه لبناً حازراً ، فأبى أن يشرب ، وقال : أين الضَرَب[19] والزبد ؟

فقالت : افرشوا له عند الفرث والدم ، فأبى أن ينام ، وقال : افرشوا لي فوق التلعة[20] الحمراء ، واضربوا لي عليها خباء .

ثم أرسلت إليه تقول : هات شرطي عليك في المسائل الثلاث ، فأرسل إليها سلي عمّا شئت .

فقالت :ممّ تختلج شفتاك ؟

قال : لشربي المشعشعات [٣١٣ غ] .

قالت : ممّ يختلج كشحاك ؟

قال : للبسي الحبرات .

قالت : فممّ يختلج فخذاك ؟

قال : لركوبي السابقات .

فقالت : هذا هو زوجي ، فعليكم به ، واقتلوا العبد ، [٢٨٢ ر] فقتلوه ، وأقبل امرؤ القيس على الجارية .

فقال ابن هبيرة : لا خير في سائر الحديث الليلة ، بعد حديثك يا أبا عمرو ، ولن يأتينا أحد بأعجب منه ، فقمنا ، وانصرفنا ، وأمر لي بجائزة[21] .

---

١٩ الضَرَب : العسل الأبيض .

٢٠ التلعة : ما علا من الأرض .

٢١ وردت القصّة في نهاية الأرب ٣/١٥٥–١٥٧ .

٤٨٢

أخبار قيس ولبنى

وجدت في كتاب الأغاني الكبير ، لأبي الفرج المعروف بالأصبهاني ، الذي أجاز لي روايته ، في جملة ما أجازه لي ، أخبار قيس بن ذريح الليثي ، فقال في صدرها :

أخبرني بخبر قيس بن ذريح ولبنى امرأته ، جماعة من مشايخنا ، في قصص متّصلة ومتقطّعة ، وأخبار منظومة ومنثورة ، فألّفت جميع ذلك ليتّسق حديثه ، إلّا ما جاء منفرداً ، وحسن إخراجه[1] عن جملة النظم ، فذكرته على حدته .

فمن أخبرنا بخبره أحمد بن عبد العزيز الجوهري ، قال : حدّثنا عمر بن شبّة ، ولم يتجاوزه إلى غيره ، وإبراهيم بن محمّد بن أيّوب عن ابن قتيبة .

والحسن بن علي عن محمّد بن أبي السريّ ، عن هشام محمّد الكلبي ، وعلى روايته أكثر المعوّل .

ونسخت أيضاً من أخباره المنظومة ، أشياء ذكرها القحذمي ، عن رجاله ، وخالد بن كلثوم عن نفسه ، [ومن روى عنه ، وخالد بن جميل][2] .

ونتفاً حكاها اليوسفي صاحب الرسائل ، عن أبيه ، عن أحمد بن حمّاد ، عن جميل[3] ، عن ابن أبي جناح الكعبيّ ، وحكيت كلّ متّفق فيه متّصلاً ، وكلّ مختلف في معانيه منسوباً إلى راويه ، قالوا جميعاً :

---

١ في الأغاني ١٨١/٩ : وعسر أخراجه .

٢ في الأغاني ١٨١/٩ : عن محمّد بن موسى بن حماد البربري عن أحمد بن القاسم بن يوسف ، عن جزء بن قطن ، عن جسّاس بن محمّد .

٣ في غ : خالد بن جميل .

كان منزل في ظاهر المدينة لذريح ، وهو أبو قيس ، وكان هو وأبوه من حاضرة المدينة [4] .

فمرّ قيس في بعض حوائجه ، ذات يوم ، بحيّ من بني كعب بن خزاعة ، والحيّ خلوف ، فوقف على خباء لبنى بنت الحُباب الكعبيّة ، واستسقى ماء ، فسقته ، وخرجت إليه به ، وكانت امرأة مديدة القامة ، شهلاء [5] ، حلوة المنظر والكلام ، فلمّا رآها وقعت في نفسه ، وشرب من الماء .

فقالت له : أتنزل عندنا ؟

قال : نعم ، فنزل بهم ، وجاء أبوها ، فنحر له وأكرمه .

وانصرف قيس ، وفي قلبه من لبنى حرّ لا يطفأ ، فجعل ينطق بالشعر فيها حتى شاع خبره ، وروي شعره فيها .

وأتاها يوماً آخر ، وقد اشتدّ وجده بها ، فسلّم ، فظهرت له ، وردّت سلامه ، ورحّبت به ، فشكى إليها ما يجد بها ، وما يلقى من حبّها ، فبكت وشكت إليه [٢٥٥ م] مثل ذلك ، فعرف كلّ واحد منهما ، ما له عند صاحبه .

ثم انصرف إلى أبيه ، فأعلمه بحاله ، وسأله أن يزوّجه إيّاها ، فأبى عليه ، وقال له : يا بنيّ عليك بإحدى بنات عمّك ، فهنّ أحقّ بك ، وكان ذريح كثير المال ، وأحبّ أن لا يخرج ماله إلى غريبة .

فانصرف قيس ، وقد ساءه ما خاطبه به أبوه ، فأتى أمّه وشكى ذلك إليها ، واستعان بها على أبيه ، فلم يجد عندها ما يحبّ .

---

٤ في الأغاني ١٨١/٩ إضافة : وذكر خالد بن كلثوم أنّ منزله كان بسَرِف ، واحتجّ بقوله :

الحمد لله قد أمست مجاورة أهل العقيق وأمسينا على سَرِفِ

٥ الشهلاء : التي يخالط سواد عينيها زرقة .

فأتى الحسين بن علي ، سلام الله عليهما[٦] ، فشكى ما به[٧] ، فقال له الحسين : أنا أكفيك .

فمضى معه إلى أبي لبنى ، فلمّا بصر به ، وثب إليه ، وأعظمه ، وقال : يا ابن رسول الله ، ما جاء بك إليّ ؟ ألا بعثت إليّ فآتيك ؟

قال : قد جئتك خاطباً ابنتك لبنى ، لقيس بن ذريح ، وقد عرفت مكانه منّي[٨] [٣١٤ غ] .

فقال : يا ابن بنت رسول الله ، ما كنت لأعصى لك أمراً ، وما بنا عن الفتى رغبة ، ولكنّ أحبّ الأمرين إلينا ، أن يخطبها ذريح علينا ، وأن يكون ذلك عن أمره ، فإنّا نخاف أن يسمع أبوه بهذا[٩] ، فيكون عاراً ومسبّة علينا .

فأتى الحسين سلام الله عليه ذريحاً ، وقومه مجتمعون ، فقاموا إليه وقالوا له مثل قول الخزاعيّ .

فقال : يا ذريح ، أقسمت عليك بحقّي ، إلّا خطبت لبنى لابنك قيس .

فقال : السمع والطاعة لأمرك .

وخرج معه في وجوه قومه ، حتى أتى حيّ لبنى ، فخطبها ذريح من أبيها على ابنه قيس ، فزوّجه بها ، وزفّت إليه .

فأقام معها مدّة ، لا ينكر أحدهما من صاحبه شيئاً .

---

٦ أبو عبد الله الحسين بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (٤–٦١) : الإمام الشهيد ، سبط رسول الله صلوات الله عليه ، وابن فاطمة الزهراء ، ولد بالمدينة ، ونشأ في بيت النبوّة ، أبى أن يبايع يزيد بالخلافة ، فقتله عبد الله بن زياد ، بأمر من يزيد ، في موقعة كربلاء ، ودفن في موضع قتله ، وكان مقتله السبب الأوّل في انقراض دولة الأمويّين (الاعلام ٢/٢٦٤) .

٧ في الأغاني ٩/١٨٢ : فأتى الحسين بن علي بن أبي طالب وابن أبي عتيق ، فشكا إليهما ما به ، وما ردّ عليه أبوه .

٨ كان قيس بن ذريح أخو الحسين عليه السلام من الرضاعة .

٩ في الأغاني : فإنّا نخاف إن لم يسعَ أبوه في هذا .

وكان قيس أبرّ الناس بأمّه ، فألهته لبنى وعكوفه عليها عن بعض ذلك ، فوجدت أمّه في نفسها ، وقالت : لقد شغلت هذه المرأة ابني عن برّي .

ولم تر للكلام موضعاً حتى مرض قيس مرضاً شديداً ، فلمّا برئ ، قالت أمّه لأبيه : لقد خشيت أن يموت قيس ولم يترك خلفاً ، وقد حرم الولد من هذه المرأة ، وأنت ذو مال ، فيصير مالك إلى الكلالة[10] ، فزوّجه غيرها ، لعلّ الله عزّ وجلّ يرزقه ولداً ، وألحّت عليه في ذلك .

فأمهل ذريح حتى اجتمع قومه ، ثم قال له : يا قيس ، إنّك اعتللت هذه العلّة ولا ولد لك ، ولا لي سواك ، وهذه المرأة ليست [١٠٢ ن] بولود ، فتزوّج إحدى بنات عمّك لعلّ الله تعالى أن يهب لك ولداً تقرّ به عينك وأعيننا .

فقال قيس : لست متزوّجاً غيرها أبداً .

فقال أبوه : يا بنيّ ، فإنّ مالي كثير ، فتسرّ بالإماء .

فقال : ولا أسوؤها بشيء أبداً .

قال أبوه : فإنّي أقسم عليك إلّا طلّقتها .

فأبى ، وقال : الموت – والله – أسهل عليّ من ذلك ، ولكنّي أخيّرك خصلة من خصال .

فقال : وما هي ؟

قال : تتزوّج أنت ، فلعلّ الله عزّ وجلّ أن يرزقك ولداً غيري .

فقال : ما فيّ فضل لذلك .

قال : فدعني أرحل عنك بأهلي ، وأصنع ما كنت صانعاً ، لو كنتُ متُّ في علّتي هذه .

فقال : ولا هذا .

قال : فأَدَعُ لبنى عندك ، وأرتحل عنك إلى أن أسلوها ، فإنّي ما تحبّ

---

١٠ الكلالة : من ليس بذي نسب لاصق بالانسان ، وذو النسب اللاصق الأب والإبن والأخ الشقيق .

نفسي أن أعيش ، وتكون لبنى غائبة عنّي أبداً ، وأن لا تكون في حبالي .

فقال : لا أرضى بذلك ، أو تطلّقها ، وحلف لا يكنّه سقفُ بيتٍ أبداً ، حتى يطلّق لبنى .

وكان يخرج فيقف في حرّ الشمس ، ويجيء قيس فيقف [٢٨٣ ر] إلى جانبه ، فيظلّه بردائه ، ويصلى هو بحرّ الشمس ، حتى يفيء الفيء عنه ، وينصرف إلى لبنى ، فيعانقها ، ويبكي ، وتبكي معه .

وتقول له : يا قيس ، لا تطع أباك ، فتهلك ، وتهلكني معك .

فيقول لها : ما كنت لأطيع أحداً فيك أبداً .

فيقال : إنّه مكث كذلك سنة[11] ، ثم طلّقها لأجل والده ، [فلم يطق الصبر عنها .

قال ابن جريج : أخبرت أن عبد الله بن صفوان لقي ذريحاً أبا قيس ، فقال له : ما حملك على أن فرّقت بين قيس ولبنى ، أما علمت أنّ عمر بن الخطّاب رضي الله عنه ، قال : ما أبالي فرّقت بين الرجل وامرأته ، أو مشيت إليهما بالسيف .

وروى هذا الحديث ، إبراهيم بن يسار الرمادي ، عن [٣١٥ غ] سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، قال :

قال الحسين بن عليّ عليهما السلام لذريح بن سنة ، أبي قيس : أحلّ لك أن فرّقت بين قيس ولبنى ، أمّا أنّي سمعت عمر بن الخطّاب رضي الله عنه ، يقول : ما أبالي فرّقت بين الرجل وامرأته ، أو مشيت إليهما بالسيف][12] ..

[قال أبو الفرج : أخبرني محمّد بن خلف ، وكيع ، قال : حدّثني محمّد بن زهير ، قال : حدّثنا يحيى بن معين ، قال : حدّثنا عبد الرزاق ، قال : حدّثنا

---

١١ في م : يسيراً ، وفي ر وغ : إنّه مكث أربعين يوماً ، والتّصحيح من الأغاني ١٨٤/٩ .

١٢ الزيادة من غ .

ابن جريج ، قال : أخبرنا عمر بن أبي نصر[13] ، عن ليث بن عمرو ، أنّه سمع قيس بن ذريح يقول ليزيد بن سليمان : هجرني أبواي ، إثنتي عشرة سنة ، أستأذن عليهما ، فيردّاني ، حتى طلّقتها][14] .

قالوا : فلمّا بانت لبنى منه ، بطلاقه إيّاها ، وفرغ من الكلام ، لم يلبث حتى استطير عقله ، ولحقه مثل الجنون ، وجعل يبكي وينشج أحرّ نشيج ، وبلغها الخبر ، فأرسلت إلى أبيها ليحملها ، وقيل : أقامت حتى انقضت عدّتها ، وقيس يدخل إليها ، فأرسلت إلى أبيها ليحملها ، فأقبل أبوها بهودج على ناقة ، ومعه إبل ، ليحمل أثاثها .

فلمّا رأى قيس ذلك ، أقبل على جاريتها ، وقال : ويحك ، ما دهاني فيكم ؟

فقالت : لا تسألني ، وسل لبنى .

فذهب ليلّم بخبائها ، فمنعه قومها ، وأقبلت عليه امرأة من قومها ، وقالت : ويحك تسأل ، كأنّك جاهل أو متجاهل ، هذه لبنى ترحل الليلة أو غداً .

فسقط مغشيًّا عليه ، ثم أفاق ، وبكى بكاءً كثيراً ، ثم أنشأ يقول :

وإنّي لمفنٍ دمـع عيني بالبكـا ... حذار الذي قد كان أو هو كائن

وقالوا غداً أو بعد ذاك بليلة ... فراقُ حبيب لم يبن وهو بائن

وما كنت أخشى أن تكون منيّتي ... بكفّيك إلّا أنّ ما حان حائن

قال أبو الفرج : في هذه الأبيات غناء ، ولها أخبار قد ذكرت في أخبار المجنون قيس بن الملوّح ، مجنون بني عامر ، ثم ذكر أبو الفرج بعد هذا عدّة قطع من شعر قيس بن ذريح .

ثم قال : قالوا : فلمّا ارتحل بها أبوها إلى قومها ، اتّبعها مليًّا ، ثم علم أنّ

---

١٣ في الأغاني ١٨٤/٩ : عمر بن أبي سفيان .

١٤ الزيادة من م .

أباها يسوءه أن يسير معها ، ويمنعه ذلك ، فوقف ينظر إليها ويبكي ، حتى غابوا عن عينيه ، فكرّ راجعاً ، فنظر إلى أثر خفّ بعيرها ، فأكبّ عليه يقبله ، ورجع يقبّل موضع مجلسها ، وأثر قدميها ، فليم على ذلك ، وعنّفه قومه في تقبيل التراب ، فقال :

وما أحببت أرضكُمُ ولكـن أقبّل إثر من وطىء الترابا
لقد لاقيتُ من كَلَفي بلبنى بلاءً ما أسيغ له شرابـــا
إذا نادى المنادي بآسم لبنى عييت فما أطيق له جوابا[١٥]

ثم ذكر أبو الفرج قطعاً من شعر قيس ، وأخباراً من أخباره منشورة ، بأسانيد مفردة على الإسناد الذي رويته عنه ههنا ، ثم رجع إلى مواضع من الحديث الذي جمع فيه من أسانيده ، وأتى بسياقة يطول عليّ أن أذكرها في كتابي هذا ، جملتها عظيم ما لحق قيس من التململ ، والسهر ، والحزن ، والأسفار ، والبكاء العظيم ، والجزع المفرط ، وإلصاق خدّه بالأرض على آثارها ، وخروجه في أثرها ، وشمّ رائحتها ، وعتابه نفسه في طاعة أبيه على طلاقها .

ثم اعتلّ علّة أشرف منها على الموت ، فجمع له أبوه فتيات الحيّ يعلّلنه ، ويحدّثنه ، طمعاً في أن يسلو عن لبنى ، ويعلق بواحدة منهنّ ، فيزوّجه منها ، فلم يفعل ، وقصّة له مع طبيب أحضر له ، وقطع شعر كثيرة لقيس في [٣١٦ غ] خلال ذلك [٢٥٧ م] .

ثم إنّ أبا لبنى شكا قيساً إلى معاوية بن أبي سفيان ، وذكر تعرّضه لها بعد الطلاق .

فكتب معاوية إلى مروان بن الحكم بهدر دمه إن تعرّض لها ، فكتب مروان بذلك إلى صاحب الماء .

---

١٥ هذا البيت زيد من الأغاني ١٨٦/٩ .

ثم إنّ أباها زوّجها ، فبلغ ذلك قيساً ، فاشتدّ جزعه ، وجعل يبكي أشدّ بكاء ، وأتى حلّة[16] قومها ، فنزل عن راحلته ، وجعل يتعمّد[17] في موضعها ، ويمرّغ خدّه على ترابها ، ويبكي أحرّ بكاء ، ثم قال قصيدته التي رواها أبو الفرج ، التي أوّلها :

إلى الله أشكو فقد لبنى كما شكا   إلى الله فقد الوالدين يتيم

وذكر بعد هذا أخباراً له معها ، واجتماعات عفيفة كانت بينهما ، بحيل طريفة ، ووجدها به ، وبكاءها في طلاقها ، وإنكار زوجها – الذي تزوّجها بعد قيس – ذلك عليها ، ومكاشفتها له ، وعلّة أخرى لحقت قيساً ، واشتهارهما ، وافتضاحهما ، وما لحق قيساً ولبنى من الخبل ، واختلال العقل ، وقطع شعر كثيرة لقيس أيضاً في خلال ذلك ، وأنّ قيساً مضى إلى ابن أبي عتيق[18] ، فمضى به إلى يزيد بن معاوية ، ومدحه وشكى إليه ما جرى عليه ، فرقّ له ، ورحمه ، وأخذ له كتاب أبيه بأن يقيم حيث أحبّ ، ولا يعترض له أحد ، وأزال ما كتب به إلى مروان ، من هدر دمه ، وقطع شعر كثيرة أخرى لقيس في خلال ذلك ، وأخبار مفردة ، ومفصّلة .

ثمّ قال : وقد اختلف في أكثر أمر قيس ولبنى وذكر كلاماً يسيراً في ذلك ، والجميع في نيّف وعشرين ورقة .

---

١٦ الحِلّة ، بكسر الحاء ، وجمعها حلل وحلال : القوم النزول فيهم كثرة ، إذا كانت بيوتهم من القصب ، وكلّ بيت ليس من الحجارة ، فهو خيمة ، فان كان من السعف ، فهو صريفة ، وإن كان من الخرق ، فهو فازة ، وإن كان من القصب ، فهو حلّة ، ومنه مدينة الحلّة المشهورة في العراق ، كانت معسكراً لجند ملك العرب دبيس بن صدقة الأسدي ، وهي إلى الآن تعرف بحلّة دبيس .

١٧ عمد الثرى : بلّله المطر ، يريد أنّه بلّل موضعها بدموعه .

١٨ ابن أبي عتيق ، عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصدّيق : راجع القصّة ٢٧٧ .

وذكر القحذمي[19] : أنّ ابن أبي عتيق ، صار إلى الحسين بن علي ، وجماعة من قريش[20] [١٠٣ ن] وقال لهم : إنّ [٢٨٤ ر] لي حاجة أحبّ أن تقضوها ، وأنا أستعين بجاهكم وأموالكم عليها .

قالوا : ذلك مبذول لك منّا ، فاجتمعوا بيوم وعدهم فيه ، فمضى بهم إلى زوج لبنى ، فلمّا رآهم ، أعظم مسيرهم إليه ، وأكبره .

فقالوا : قد جئناك بأجمعنا في حاجة لابن أبي عتيق .

فقال : هي مقضيّة كائنة ما كانت .

فقال له ابن أبي عتيق : قد قضيتها كائنة ما كانت ؟

قال : نعم .

قال : تهب لي اليوم لبنى زوجتك ، وتطلّقها ثلاثاً .

قال : فإنّي أشهدكم أنّها طالق ثلاثاً .

فاستحيا القوم ، واعتذروا ، وقالوا : والله ، ما عرفنا حاجته ، ولو علمنا أنّها هذه ، ما سألناك إيّاها .

قال ابن أبي عائشة : فعوّضه الحسين بن علي عليهما السلام عن ذلك مائة ألف درهم .

وحمل ابن أبي عتيق ، لبنى معه ، فلم تزل عنده ، حتى انقضت عدّتها ، وسأل القوم أباها ، فزوّجها قيساً ، ولم تزل معه حتى مات .

فقال قيس يمدح ابن أبي عتيق :

جزى الرحمن أفضل ما يجازي　　على الإحسان خيراً من صديق
فقد جرّبت إخـــواني جميعاً　　فما ألفيت كابن أبي عتيـق

---

١٩ في م : إنّ ابن أبي عتيق صار إلى الحسين وإلى أخيه الحسن وإلى عبد الله بن جعفر الطيّار عليهم السلام ، وإلى جماعة من قريش ، وكذلك الأغاني ٢١٩/٩ .

٢٠ من ابتداء هذه الجملة ، إلى نهاية القصّة ، وردت في المستجاد للتنوخي ٢٣٧-٢٣٨ .

سعى في جمع شملي بعد صدع ... ورأي حُذْتُ فيه عن الطريق
وأطفأ لوعة كانت بقلبي ... أغصّتني حرارتها بريقي

قال : فقال له ابن أبي عتيق : يا حبيبي ، أمسك عن هذا الحديث ، فما سمعه أحد إلّا ظنّني قوّاداً[21] .

٢١ راجع في الأغاني ٩/١٨٠–٢٢٠ أخبار قيس بن ذريح وزوجته لبنى ، وهي أكثر تفصيلاً مما ورد في هذا الكتاب .

٤٨٣

عشق جارية زوجته فوهبتها له

ووجدتُ في بعض كتبي : قال أبو عبد الله محمّد بن علي بن حمزة :

كانت لزوجتي جارية حسنة الوجه ، فَعَلِقْتُها ، وعلمت زوجتي بذلك ، فحجبتها عنّي ، فاشتدّ ما بي من الوجد عليها [٣١٨ غ] ، وقاسيت شدّة شديدة .

فبينا أنا ذات ليلة نائم ، ومولاتها زوجتي إلى جانبي ، إذ رأيت في منامي كأنّ الجارية حيالي ، وأنا أبكي ، إذ لاح لي إنسان فأنشدني :

وقفت حيالك أذري الدموع ... وأخلط بالدمع منّي دما
وأشكو الذي بي إلى عاذلي ... ولا خير في الحبّ أن يكتما
رضيت بما ليس فيه رضا ... بتسليم طرفك إن سلّما [١٠٤ ن]
فتهت عليّ وأقصيتني ... وأعزز عليّ بأن أرغما

قال : فانتبهت فزعاً مرعوباً ، ودعوت بدواة وقرطاس ، وجلست في فراشي ، وكتبت الشعر .

فقالت لي زوجتي : ماذا تصنع ؟ فقصصت عليها القصّة والرؤيا .

فقالت : هذا كلّه من حبّ فلانة ؟ قد وهبتها لك .

٤٨٤

بالله ياطرفي الجاني على كبدي

أخبرني أبو الفرج الأصبهاني إجازة ، قال : أخبرني عمّي الحسن بن محمّد ، قال : حدّثنا عبد الله بن أبي سعد ، قال : حدّثنا محمّد بن عبد الله بن مالك الخزاعي ، قال : حدّثنا معبد الصغير المغنّي ، مولى عليّ بن يقطين[1] ، قال :

كنت منقطعاً إلى البرامكة ، فبينما أنا ذات يوم في منزلي ، وإذا بابي يدقّ ، فخرج غلامي ثم رجع إليّ .

فقال : على الباب فتى ظاهر المروءة ، يستأذن عليك .

فأذنت له ، فدخل عليّ شاب ، ما رأيت أحسن منه وجهاً ، ولا أنظف ثوباً ، ولا أجمل زيًّا ، عليه أثر السقم ظاهر.

فقال لي : يا سيّدي أنا منذ مدّة أحاول لقاءك ، ولا أجد إليه سبيلاً ، ولي إليك حاجة .

قلت : ما هي ؟ فأخرج إليّ ثلثمائة دينار ، فوضعها بين يديّ .

ثم قال : أسألك أن تقبلها ، وتصنع في بيتين قلتهما لحناً تغنّيني به .

فقلت له : هاتهما ، فأنشدني :

بالله يا طرفيَ الجاني على كَبِدي[2] لتطفئنّ بدمعي لوعة الحَزَنِ [٢٨٥ ر]
أولا تؤخّر[3] حتى يحجبوا سكني[4] فلا أراه ولو أدرجت في كفني

---

١ معبد الصغير المغنّي : خلاسيّ من مولّدي المدينة ، نشأ بها ، وأخذ الغناء عن أهلها ، واشتراه بعض ولد علي بن يقطين ، فأخذ عن جماعة من المغنّين بالعراق مثل إسحاق وابن جامع ، وخدم الرشيد ، ومات في أيّامه ، وكان أكثر انقطاعه إلى البرامكة (الأغاني ١١٦/١٤) .

٢ في غ : على بدني ، وكذلك في الأغاني ١١٦/١٤ .

٣ كذا في ر وغ ، وفي م : ولا ترضى ، وفي الأغاني ١١٧/١٤ أو لأبوحنّ حتى يحجبوا سكني .

٤ سكني : حبيبي الذي أسكن إليه .

قال : فصنعت فيهما لحناً ، ثقيل أوّل ، مطلق في مجرى الوسطى ، ثمّ غنّيته إيّاه ، فأغمي عليه ، حتى ظننته قد مات .

ثم أفاق ، فقال : أعد فديتك .

قلت : أخشى أن تموت .

فقال : هيهات ، هيهات ، أنا أشقى من ذلك ، فأعد عليّ .

وما زال يخضع ويتضرّع ، حتى أعدته ، فصعقَ صعقة أشدّ من الأولى ، حتى ظننت نفسه قد فاظت ، فلمّا أفاق ، رددت عليه الدنانير .

وقلت له : خذ دنانيرك ، وانصرف عنّي ، فقد قضيت حاجتك ، وبلغت وطراً مما أردته ، ولستُ أحبّ أن أشارك في دمك .

فقال : لا حاجة لي في الدنانير ، وهذه مثلها لك ، وأخرج ثلثمائة دينار أخرى .

وقال : أعد عليّ الصوت مرّة أخرى ، وحلال لك دمي .

فقلت : لا والله ، إلّا على شرط .

قال : وما هو ؟

قلت : تقيم عندي ، وتتحرّم بطعامي وتشرب أقداحاً من النبيذ تشدّ قلبك ، وتسكّن بعض ما بك ، وتحدّثني بقصّتك .

فقال : أفعل .

فأخذت الدنانير ، ودعوت بطعام ، فأصاب منه ، وبالنبيذ ، فشرب أقداحاً ، وغنّيته بشعر غيره في معناه ، وهو يشرب ويبكي .

ثم قال : الشرط ، أعزّك الله ، فغنّيته صوته ، فجعل يبكي أحرّ بكاء ، وينتحب .

فلمّا رأيت ما به قد خفّ عمّا كان يلحقه ، والنبيذ قد شدّ من قوّته ، كررت عليه صوته مراراً ، ثم [٣٢٣ غ] قلت له : حدّثني حديثك .

فقال : أنا رجل من أهل المدينة ، خرجت يوماً متنزّهاً في ظاهرها ، وقد سال العقيق[5] ، في فتية وأقران ، فبصرنا بفتيات قد خرجن لمثل ما خرجنا نحن له ، فجلسن قريباً منّا .

ونظرت بينهنّ إلى فتاة كأنّها قضيب بان قد طلّه الندى ، تنظر بعينين ، ما ارتدّ طرفهما إلّا بنفس من يلاحظهما ، [فأطلنا وأطلن][6] ، حتى تفرّق الناس .

وانصرفنا ، وقد أبقت بقلبي جرحاً بطيئاً اندماله ، فسرت إلى منزلي وأنا وقيذ[7] .

وخرجت من غد إلى العقيق ، وليس فيه أحد ، فلم أر لها أثراً ، ثم جعلت أتتبّعها في طرق المدينة وأسواقها ، فكأنّ الأرض ابتلعتها ، وسقمت ، حتى يئس منّي أهلي .

فأعلمت زوجة أبي بذلك ، فقالت : لا بأس عليك ، هذه أيّام الربيع قد أقبلت ، وهي سنةُ خصبٍ ، والساعة يأتي المطر ، فتخرج وأخرج معك ، فإنّ النسوة سيجئن ، فإذا رأيتها اتّبعتها ، حتى أعرف موضعها ، ثم أصل بينكما ، وأسعى لك في تزويجها .

قال : فكأنّ نفسي اطمأنّت ، ورجعت ، وجاء المطر ، وسال العقيق ، وخرجت

---

٥ العقيق : كلّ مسيل ماء شقّه السيل في الأرض ، فأنهره ، ووسّعه ، فهو عقيق ، وفي بلاد العرب أربعة أعقّة ، أشهرها العقيق بالمدينة ، وأكثر ما يجيء ذكره في الشعر ، فإيّاه يعنون ، وعقيق المدينة على ثلاثة أميال منها ، ممّا يلي الحرّة إلى منتهى البقيع ، وعليه دور ، وقصور ، ومنازل ، وقرى ، فإذا كان وقت الربيع ، وأمطرت السماء سال العقيق ، فكان منتجع أهل الظرف والأدب والشعر راجع معجم البلدان ٦٩٩/٢–٧٠٣ ، أقول : وقد حرصت على أن أراه لمّا حججت في السنة ١٩٦٤ ، وزرت قبر النبي صلوات الله عليه ، فاستأجرت سيارة وخرجت أسأل الناس عن العقيق ، فلم أوفق إلى من يعرفه ، أو يدلّني عليه .

٦ الزيادة من الأغاني .

٧ الوقيذ : الصريع ، أو المشرف على الموت من شدّة الضرب .

مع إخواني إليه ، وزوجة أبي معنا ، فجلسنا مجلسنا الأوّل ، فما كنّا والنسوة إلّا كفرسي رهان[8] ، فأومأتُ إلى زوجة أبي ، فجلسَتْ قريباً منها .

وأقبلت على إخواني ، فقلت لهم : أحسن والله القائل ، إذ يقول :

رمتني بسهم أَقْصَدَ القلبَ وانثنت وقد غادَرَتْ جرحاً به وندبا

فأقبلت على صويحباتها ، وقالت : أحسن والله القائل ، وأحسن من أجابه حيث يقول :

بنا مثل ما تشكو فصبراً لعلّنا نرى فرجاً يشفي السقام قريبا [٢٦٣ م]

قال : فأمسكتُ عن الجواب ، خوفاً أن يظهر منّي ما يفضحني وإيّاها ، وانصرفنا .

وتبعتها زوجة أبي ، حتى عرفت بيتها ، وصارت إليّ ، وأخذت بيدي ، ومضينا إليها ، وتزاورنا ، وتلاقينا على حال مراقبة ومخالسة .

حتى ظهر ما بيني وبينها ، فحجبها أهلها ، وتشدّد عليها أبوها ، فلم أقدر عليها .

فشكوت إلى أبي شدّة ما نالني ، وشدّة ما ألقى ، وسألته خطبتها .

فمضيت أنا وأبي ومشيخة قومي إلى أبيها ، فخطبوها ، فقال : لو كان بدأ بهذا من قبل أن يشهرها ، لأسعفناه بحاجته وبما ٱلتمس ، لكنّه قد فضحها ، فلم أكن لأحقّق [٢٨٦ ر] قول الناس فيها بتزويجه إيّاها ، فانصرفت على يأس منها ومن نفسي ، قال معبد : فسألته أن ينزل بقربي ، فأجابني ، وصارت بيننا عشرة .

ثم جلس جعفر بن يحيى يوماً للشرب ، فأتيته ، فكان أوّل صوت غنيّته بشعر الفتى ، فطرب عليه طرباً شديداً ، وقال : ويحك لمن هذا الصوت ؟

---

٨ فرسارهان : تقال للمتساويين في المرتبة ، المتقاربين في الفضل ، وإيرادها هنا يعني أنّهما جاءا في وقت واحد .

فحدّثته فأمر بإحضار الفتى ، فأحضر في وقته ، فاستعاده الحديث ، فأعاده .

فقال له : هي في ذمّتي ، حتّى أزوّجك بها [٣٢٤ غ] فطابت نفسي ونفس الفتى ، وأقام معنا ليلتنا حتّى أصبح .

وغدا جعفر إلى الرشيد ، فحدّثه الحديث ، فعجب منه ، وأمر بإحضارنا جميعاً ، وأمر بأن أغنّيه الصوت ، فغنّيته ، وشرب عليه ، وسمع حديث الفتى .

فأمر من وقته ، بأن يكتب إلى عامل الحجاز ، باشخاص الرجل وابنته ، وسائر أهله إلى حضرته .

فلم تمض إلّا مسافة الطريق ، حتى أحضر ، فأمر الرشيد بإحضاره إليه ، فأوصل ، وخطب إليه الجارية للفتى ، فأجابه ، فزوّجه إيّاها ، وحمل الرشيد إليه ألف دينار مهرها[٩] ، وألف [١٩٥ ن] دينار لجهازها ، وألف دينار لنفقته ، في طريقه ، وأمر للفتى بألفي دينار .

وكان المدينيّ بعد ذلك من جملة ندمائه[١٠] .

---

٩ في ن : وحمل اليه الرشيد ثلاثة آلاف دينار لمهرها .

١٠ راجع القصّة في الأغاني ١٤/١١٦–١٢٠ .

٤٨٥
به من غير دائه وهو صالح

أخبرني أبو الفرج المعروف بالأصبهاني ، قال : حدّثني محمّد بن مزيد بن أبي الأزهر ، قال : حدّثنا حمّاد بن إسحاق ، قال : حدّثني أبي ، قال :

سرت إلى سرّ من رأى بعد قدومي من الحجّ ، فدخلت إلى الواثق بالله ، فقال : بأيّ [٢٥٨ م] شيء أطرفتني من الأحاديث التي [٣١٧ غ] استفدتها من الأعراب وأشعارهم ؟

فقلت : يا أمير المؤمنين جلس إليّ فتى من الأعراب في بعض المنازل ، فحاورني ، فرأيت منه أحلى ما رأيت من الفتيان ، منظراً ، وحديثاً ، وظرفاً ، وأدباً .

فاستنشدته ، فأنشدني :

سقى العَلَم الفرد الذي في ظلاله غزالان مكتّنان مؤتلفان
إذا أَمِنَا ٱلتفّا بجيد تواصلٍ وطرفاهما للريب مسترقان
أردتهما ختلاً فلم أستطعهما ورمياً ففاتاني وقد قتلاني

ثم تنفّسَ تنفّساً ، ظننت أنّه قد قطع حيازيمه[١] .

فقلت له : ما لك بأبي أنت ؟

فقال : وراء هذين الجبلين شَجَنِيْ ، وقد حيل بيني وبين المرور بهذه البلاد ، ونذروا دمي ، فأنا أتمتّع بالنظر إلى هذين الجبلين ، تعلّلاً بهما ، إذا قدم الحاجّ ، ثم يحال بيني وبين ذلك .

فقلت له : زدني مما قلت ، فأنشدني :

---

١ الحيزوم : وسط الصدر .

إذا ما وردتَ الماء في بعض أهله حضور فعرّض بي كأنّك مازح
فإن سألَتْ عنّي حضور فقل لها : به غِيَرٌ[2] من دائه وهو صالح

فأمرني الواثق ، فكتبتُ الشعرين .

فلمّا كان بعد أيّام دعاني ، فقال لي : قد صنع بعض عجائز دارنا في أحد الشعرين لحناً ، فاسمعه ، فإن ارتضيته أظهرناه ، وإن رأيت فيه موضع إصلاح أصلحناه .

ثم غنّي لنا به من وراء الستارة ، فكان في غاية الجَوْدَةِ ، وكذلك كان يصنع إذا وضع لحناً .

فقلت له : أحسن – والله – صانعه ، يا أمير المؤمنين .

فقال : بحياتي ؟

فقلت : إي وحياتك ، وحلفت له بما وثق به .

فأمر لي برطل ، فشربته ، ثم أخذ العود ، فغنّاه ثلاث مرّات ، وسقاني عليه ثلاثة أرطال ، وأمر لي بثلاثين ألف درهم .

فلمّا كان بعد أيّام ، دعاني فقال : قد صنع بعض عجائز دارنا في الشعر الآخر لحناً ، وأمر فغنّي به ، فكان حالي مثل الحال في الشعر الأوّل ، وحلفت له على جودته ، فغنّاه ثلاث مرّات ، وسقاني ثلاثة أرطال ، وأمر لي بثلاثين ألف درهم .

ثم قال : هل قضيت حقّ حديثك[3] ؟

فقلت : نعم يا أمير المؤمنين ، أطال الله بقاءك ، وأتمّ نعمته عليك .

فقال : ولكنّك لم تقض حقّ الأعرابي ، ولا سألتني معونته على أمره ؟ وقد سبقتُ مسألتك ، وكتبت بخبره إلى صاحب الحجاز ، وأمرته بتجهيزه ، وخطبة

---

٢ الغير : بكسر الغين وفتح الياء ، تغيّر الحال وانتقالها من الصلاح إلى الفساد ، وغير الدهر : أحداثه .
٣ في غ : حق هديّتك .

المرأة له ، وحمل صداقها إلى قومها عنه من مالنا ، ففعل .

فقبّلت يده ، وقلت : السبق إلى المكارم لك ، وأنت أولي بها من غيرك من سائر الناس[٤] .

قال : أبو الفرج : وصنعة الواثق في الشعرين جميعاً من الرَمَلِ .

---

٤ هذه القصّة لم ترد في ر .

٤٨٦

عمر بن أبي ربيعة

والجعد بن مهجع العذري

ـ وحدّثني أبو الفرج القرشي ، المعروف بالأصبهاني ، قال : نسخت من كتاب [٢٥٩ م] محمّد بن موسى بن حمّاد ، قال : ذكر الرياشي قال : قال حمّاد الراوية :

أتيت في مكّة ، إلى حلقة فيها عمر بن أبي ربيعة المخزومي ، فتذاكرنا العُذْريّين ، وقال عمر بن أبي ربيعة :

كان لي صديق من بني عُذْرة يقال له : الجعد بن مهجع ، وكان أحد بني سلامان ، وكان يلقى من الصبابة ، مثل الذي [ألقاه] بالنساء ، على أنّه كان لا عاهر الخلوة ، ولا سريع السلوة .

وكان يوافي الموسم في كلّ سنة ، فإذا غاب[١] عن وقته ، ترجّحتُ[٢] عنه الأخبار ، وتوكّفتُ[٣] له الأسفار[٤] ، حتى يقدم .

فغمّني ذات سنة إبطاؤه ، حتى قدم حاجّ عذرة ، فأتيت القوم أنشد صاحبي ، فإذا غلام قد تَنَفَّسَ الصُعَداء ، وقال : عن أبي المسهر تسأل ؟

قلت : نعم ، وإيّاه أردت .

---

١ في الأغاني ١١/١٦٩ : راث ، ومعناها : أبطأ .

٢ الرجم : التكلّم بالظنّ ، والرجم بالغيب : الكلام بما لا يعلم ، قال الشاعر :

كم بالدروب وأرض السند من جَدَثٍ ... ومن جماجم قتلى ما بها قبروا
بقندهار ومن كانت منيّته ... بقندهار يرجّم دونه الخبر

٣ التوكّف : التوقّع والانتظار .

٤ الأسفار : جماعة المسافرين .

فقال : هيهات ، هيهات ، أصبح —والله — أبو المسهر ، لا ميؤوس منه فيهمل ، ولا مرجو فيعلّل ، أصبح — والله — كما قال القائل :

لعمري ما حبّي لأسماء تاركي | أعيش ولا أقضي به فأموت

فقلت : ما الذي به ؟

فقال : مثل الذي بك ، من تهتّككما[5] في الضلال ، وجرّكما أذيال الخسار ، كأنّكما لم تسمعا بجنّة ولا نار .

فقلت : ومن أنت منه ، يا ابن أخي ؟

قال : أخوه .

فقلت له : يا ابن أخي ، ما منعك أن تسلك مسلكه من الأدب ، وأن تركب منه مركبه [إلّا أنّك وإيّاه كالبجاد والبرد ، لا ترقعه ولا يرقعك][6] .

ثم صرفت وجه ناقتي ، وأنا أقول :

أرائحة حجّاج عذرة وجهة | ولمّا يرح في القوم جعد بن مهجع
خليلان نشكو ما نلاقي من الهوى | متى ما يقل أسمع وإن قلتُ يسمع
ألا ليت شعري أيّ شيء أصابه | فلي زفرات هجن ما بين أضلعي
فلا يبعدنك الله خلاًّ فإنّني | سألقى كما لاقيت في الحبّ مصرعي

ثم انطلقت حتى وقفت موقفاً من عرفات ، فبينا أنا كذلك ، وإذا بإنسان قد تغيّر [٣١٩ غ] لونه ، وساءت هيأته ، فأدنى ناقته من ناقتي ، ثم خالف بين أعناقهما ، وعانقني وبكى ، حتى اشتدّ بكاؤه .

فقلت : ما وراءك ؟

فقال : بَرْحُ العذلِ ، وطول المطل ، ثم أنشأ يقول :

---

٥ في الأغاني ١١/١٧٠ : من تهوّركما .

٦ الزيادة من غ ، ومن الأغاني ١١/١٧٠ .

لئن كانت عديّة ذات لبّ　　لقد علمت بأن الحبّ داء
ألم تنظر إلى تغيير جسمي　　وأنّي لا يفارقني البكاء
وأنّي لو تكلّفني سواها　　لخفَّ الكَلْمُ وانكشف الغطاء[7]
وأنّ معاشري ورجال قومي　　حتوفهم الصبابة واللّقاء
إذا العذريّ مات خليّ ذَرْعٍ　　فذاك العبد يبكيه الرشاء

فقلت : يا أبا المسهر ، إنّها ساعة تضرب إليها أكباد الإبل من شرق الأرض وغربها ، فلو دعوت الله تعالى ، كنتُ مؤمّلاً لك أن تظفر بحاجتك .

قال : فتركني ، وأقبل على الدعاء ، فلمّا تدلّت الشمس للغروب ، وهمّ الناس أن يفيضوا ، سمعته يتكلّم بشيء ، فأصغيت إليه ، فإذا هو يقول :

يا ربّ كلّ غدوة وروحة　　من مُحْرِمٍ يشكو الضنا[8] ولوحه
أنت حسيب[9] الخطب يوم الدوحة

فقلت : وما يوم الدوحة ؟

فقال : والله لأخبرنّك ولو لم تسألني ، ثم أقبل عليّ ، وقال : أنا رجل ذو مال من نعم وشاء ، وذو المال لا يصدره القلّ ، ولا يرويه الثماد .

وأنّي خشيت عام أوّل على مالي التلف ، وقطر الغيث أرض كلب ، فانتجعت أخوالاً لي منهم ، فأوسعوا لي عن صدر المجلس ، وسقوني جمّة الماء[10] ، وكنت معهم في خير أخوال .

---

٧ في الأغاني ١١/١٧٠ :

ولو أنّي تكلّفت الذي بي　　لقفّ الكلْمُ وانكشف الغطاء

٨ في م : الصبي ، وفي الأغاني : الضحى ، والتصحيح من غ .

٩ في م : حنيت ، والتّصحيح من غ .

١٠ الجمّة ، وجمعها جمام : البئر الكثيرة الماء ، والجمّ من الماء : معظمه .

ثم إنّي عزمت على مرافقة إبلي بماء لهم ، فركبت فرسي ، وسَمَطْتُ خلفي شراباً كان أهداه إليّ بعضهم ، ثم مضيت .

حتى إذا كنتُ قريباً من الحيّ ومرعى الغنم ، رفعت لي [٢٦٠ م] دوحة عظيمة ، فنزلت عن فرسي ، وشددته ببعض أغصانها ، وجلست في ظلّها .

فبينا أنا كذلك إذ سطع غبار في ناحية الحيّ ، ثم رفعت لي شخوص ثلاثة ، ثم نظرت فإذا بفارس يطرد مِسْحَلاً وأتاناً[11] ، فتأمّلته ، فإذا عليه درع أصفر ، وعمامة خزّ سوداء[12] ، وإذا فروع شعره تضرب خصريه[13] ، فقلت : غلام ، حديث عهد بِعُرْسٍ ، أعجلته لذّة الصيد ، فترك ثوبه ، ولبس ثوب امرأته .

فما كان إلّا يسيراً ، حتى طعن المِسْحَلَ ، وثنى بطعنة للأتان ، فصرعهما ، وأقبل راجعاً نحوي ، وهو يقول :

نطعنهم سلكى[14] ومخلوجة[15]   كرّك لأمين[16] على نابـل

فقلت : إنّك تعبت ، وأتعبت فرسك ، فلو نزلت .

فثنى [٣٢٠ غ] رجله ، فنزل ، وشدّ فرسه بغصن من أغصان الشجرة ، وألقى رمحه ، وأقبل حتى جلس ، فجعل يحدّثني حديثاً ذكرت به قول أبي ذؤيب :

وإنّ حديثـاً منـك لو تبذلينـــــه   جنى النحلِ في ألبان عوذٍ مَطَافِلِ[17]

---

١١ المسحل : الحمار الوحشيّ ، والأتان : أنثى الحمار .

١٢ في غ : عمامة خزّ بيضاء .

١٣ في غ : تضرب فخذيه .

١٤ الطعنة السلكى : المستقيمة .

١٥ الطعنة المخلوجة : المعوجّة من يمين أو شمال .

١٦ اللأمان : السهمان عليهما ريش .

١٧ العُوْذ : جمع عائذ ، وهي الحديثة النتاج إلى خمسة عشر يوماً ، والمطافل ، مفردها مطفل : ذات الطفل =

وقمت إلى فرسي ، فأصلحت من أمره ، ثم رجعت وقد حسر العمامة عن رأسه ، وإذا غلام كأنّ وجهه الدينار المنقوش .

فقلت : سبحانك اللهم ، ما أعظم قدرتك ، وما أحسن صنعتك ؟

فقال لي : ممّ ذلك ؟

فقلت : لما راعني من جمالك ، وما بهرني من نورك .

فقال : وما الذي يروعك من حبيس التراب ، وأكيل الدوابّ ؟ وما يدري أينعم بعد ذلك ، أم يبتئس .

قلت : لا يصنع الله بك إلّا خيراً .

ثم تحدّثنا ساعة ، فأقبل عليّ ، فقال : ما الذي سمطت في سرجك ؟

قلت : شراباً ، أهداه إليّ بعض أهلي ، فهل لك فيه من أرب ؟

فقال : أنت وذاك .

فأتيت به ، فشرب منه ، وجعل – والله – ينكت بالسوط أحياناً على ثناياه ، فيتبيّن [١٠٦ ن] لي أثر السوط فيهنّ[١٨] .

فقلت : مهلاً ، إنّني أخاف أن تكسرهنّ .

فقال : ولِمَ ؟

قلت : لأنّهنّ رقاقٌ عذاب .

قال : ثم رفع صوته يغنّي :

إذا قبّـل الإنسان آخـر يشتهي ثنايـاه لم يأثم وكان له أجرا
فإن زاد زاد لله في حسناتـــــه مثاقيل يمحو الله عنه بها الوزرا

قال : ثم قام إلى فرسه ، فأصلح من أمره ، ثم رجع ، فبرقت له بارقة تحت

من الإنس أو الوحش ، وجنى النحل : العسل ، يقول : إنّ حديث هذه الفتاة لذيذ مثل اللبن المحلّى بالعسل .

١٨ في الأغاني : ظلّ السوط فيهنّ .

الدرع ، فإذا ثديٌ كأنّه حقّ عاج .

فقلت : ناشدتك الله : أمرأة أنت ؟

فقالت : نعم والله ، إلّا أنّها تكره العار[19] ، وتحبّ الغزل ، ثم جلسَتْ ، فجعلت تشرب معي ، وما أفقد من أنسنا شيئاً ، حتى نظرت إلى عينيها ، كأنّهما عينا مهاة مذعورة ، فوالله ، ما راعني إلّا ميلها تحت الدوحة سكرى .

فزيّن الشيطان لي – والله – الغدر ، وحسّنه في عيني ، ثم إنّ الله عزّ وجلّ عصمني منه ، فجلست منها حجرة[20] .

ثم انتبهت فزعة مذعورة ، فلاثت عمامتها برأسها ، وجالت في متن فرسها ، وقالت : جزاك الله عن الصحبة خيراً .

فقلت : ألا تزوّديني منك زاداً ؟

فناولتني يدها ، فقبّلتها ، فشممت – والله – منها ريح الشباب المطلول[21] ، فذكرت قول الشاعر :

كأنّها إذ تقضّى النوم وانتبهت سيّابة ما لها عـين ولا أثـر

فقلتُ : وأين الموعد ؟

فقالت : إنّ لي أخوة شوساً[22] ، وأباً غيوراً ، ووالله ، لأن أسرّك ، أحبّ إليّ من أن أضرّك ، وانصرفَتْ .

فجعلت أتبعها بصري حتى غابت ، فهي – والله – يا ابن أبي ربيعة ، أحلّتني هذا المحل ، وأبلغتني هذا المبلغ .

---

١٩ في الأغاني ١١/١٧٣ : تكره العشير .

٢٠ الحجرة : الناحية .

٢١ في الأغاني ١١/١٧٣ : ريح المسك المفتوت .

٢٢ الأشوس ، وجمعه شوس : الشديد ، الجريئ في القتال .

فقال : يا أبا المسهر ، إنّ الغدر بك مع ما تذكر لمليح ، فبكى ، واشتدّ بكاؤه .

فقلت : لا تبك ، فما [٢٦١ م] قلتُ لك [٣٢١ غ] ما قلتُ إلّا مازحاً ، ولو لم أبلغ حاجتك إلّا بمالي وروحي لسعيت في ذلك حتى أقدر عليه .

فقال لي : جزيت خيراً .

فلمّا انقضى الموسم ، شددت على ناقتي ، وشدّ على ناقته ، ودعوت غلامي فشدّ على بعير له ، وحملت عليه قبّة من أدم حمراء ، كانت لأبي ربيعة المخزومي ، وحملت معي ألف دينار ، ومطرف خزّ ، وانطلقنا ، حتى أتينا بلاد كلب .

فسألنا عن أبي الجارية ، فوجدناه في نادي قومه ، وإذا هو سيّد القوم ، والناس حوله ، فوقفت على القوم ، وسلّمت ، فردّ الشيخ السلام .

ثم قال : من الرجل ؟

قلت : عمر بن أبي ربيعة المخزومي .

فقال : المعروف غير المنكر ، فما الذي جاء بك ؟

قلت : جئت خاطباً .

قال : الكفؤ والرغبة .

قلت : إنّي لم آت لنفسي من غير زهادة فيك ، ولا جهالة بشرفك ، ولكنّي أتيت في حاجة ابن أختكم [٢٣] هذا العُذْريّ .

فقال : والله ، إنّه لكفيّ الحسب ، رفيع النسب ، غير أنّ بناتي لم ينفقن إلّا في هذا الحيّ من قريش ، فوجمت لذلك .

وعرف التغيّر في وجهي ، فقال : إنّي صانع بك ما لم أصنع بغيرك .

قلت : مثلي من شكر ، فما ذاك ؟

قال : أخيّرها ، وهي وما اختارت .

---

٢٣ في غ : ابن أخيكم .

قلت : ما انصفتني ، إذ تختار لغيري ، وتولي الخيار غيرك .

فأشار إليّ العُذْريّ ، أن دعه يخيّرها ، قال : فأرسل إليها : أنّ من الأمر كذا وكذا .

فأرسلت إليه : ما كنتُ أستبدّ برأيٍ دون القرشيّ ، والخيار في قوله وحكمه .

فقال لي : إنّها قد ولّتك أمرها ، فاقض ما أنت قاضٍ .

فقلت : اشهدوا أنّي قد زوّجتها من الجعد بن مهجع ، وأصدقتها هذه الألف دينار ، وجعلت تكرمتها العبد ، والبعير ، والقبّة ، وكسوت الشيخ هذا المطرف ، وسألته أن يبني الرجل عليها من ليلته .

فأرسل إلى أمّها ، فأبت ، وقالت : أتخرج ابنتي كما تخرج الأَمَةُ ؟

قال الشيخ : فعجّلي في جهازها .

فما برحت ، حتى ضربت القبّة في وسط الحريم ، وأهديت إليه ليلاً ، وبتّ أنا عند الشيخ .

فلمّا أصبحت ، أتيت القبّة ، فصحت بصاحبي ، فخرج إليّ ، وقد أثرّ السرور فيه .

فقلت : إيه .

فقال : أبدت – والله – كثيراً مما كانت تخفيه عنّي يوم لقيتها ، فسألتها عن ذلك ، فأنشأت تقول :

كتمتُ الهوى لمّا رأيتك جازعاً ... وقلتُ فتى بعض السرور يريد
وأن تطّرحني أو تقول فتيّةً ... يضرّ بها برح الهوى فتعود
فورّيت عمّا بي وفي داخل الحشا ... من الوجد برح فاعلمنّ شديد

فقلت : أقم على أهلك ، بارك الله لك فيهم ، وانطلقت ، وأنا أقول :

كَفيتُ الفتى العذريّ ما كان نابه ... وإنّي لأعباء النوائب حمّال [٣٢٢ غ]

أما استحسنت منّي المكارم والعلى   إذا طرحت أنّي لمالي بذّال[24]

فقال العذريّ :

إذا ما أبو الخطاب خلّى مكانه   فأفٍّ لدنيا ليس من أهلها عمر
فلا حيّ فتيان الحجازين بعده   ولا سقيت أرض الحجازين بالمطر[25]

٢٤ في الأصل : إنّي مع القوم حمّال ، والتّصحيح من الأغاني ١١/١٧٥ .
٢٥ لم ترد هذه القصّة في ر ، ووردت في الأغاني ١١/١٦٩–١٧٥ وفي العقد الفريد ٦/٤٥٠–٤٥٦ .

٤٨٧

رضي أن يموت

بعد أن يتمتّع بحبيبته أسبوعاً واحداً

أخبرنا أبو الحسين محمّد بن محمّد بن جعفر البصري ، المعروف بابن لنكك[١] ، في رسالة له ، في فضل الورد[٢] على النرجس[٣] ، فقال فيمن سمّى بنته

١ أبو الحسين محمّد بن محمد بن جعفر البصري الشاعر ، المعروف بابن لنكك : شاعر مجيد ، أثنى عليه الثعالبي في اليتيمة ، وأورد طائفة من شعره ٢/٣٤٨–٣٥٨ ، وقال عنه : إنّه فرد البصرة ، وصدر أدبائها ، وبدر ظرفائها ، وأكثر شعره ملح وطرف ، وجلها في شكوى الزمان وأهله ، ومن رائق قوله في شكوى الزمان :

يا زماناً ألبس الأحـــ ـــرار ذلّاً ومهـانه
لست عنـدي بزمان إنّما أنت زمانـه

وقال في أهل زمانه :

لا تخدعنـك اللحى ولا الصـور تسعة أعشار من ترى بقـر
في شجر السرو منهـم مثـل لـه رواء ومـا لـه ثمـر

وجاء في وفيات الأعيان ٥/٣٨٢ : إنّ لنكك ، لفظ أعجميّ ، معناه : أعيرج ، تصغير أعرج ، لأنّ كلمة لنك ، معناها أعرج ، والكاف الثانية للتصغير .

٢ الورد : راجع التفصيل في آخر القصّة .

٣ النرجس ، بفتح النون وكسرها : نبت من الرياحين ، طيّب الرائحة جدًّا ، أصله بصل ، زهره مستدير أبيض أو أصفر ، تشبّه به الأعين (المنجد) ، قال محمّد بن أبي أميّة ، يصف روضة [الديارات ٣١] :

في جنان كأنّما نشـرت فـو ق ثراهـا حـريرة خضـراء
أعـين النرجس الجـنيّ نجوم واخضرار الريـاض فيها سمـاء

والكلمة فارسية الأصل : نركس ، ذكر صاحب كتاب الألفاظ الفارسيّة المعرّبة ١٥١ أنّ اسم هذا الورد متشابه في اثنتي عشرة لغة ، وعقد له صاحب كتاب مطالع البدور ١/٩٩–١٠٤ فصلاً ذكر

من سائر العرب وردة : فمنهم شرحبيل بن مسعود التنوخي ، وعائد الطائي ، وهي التي كان داود بن سعد التميمي عاشقاً لها ، فاستقبل النعمان بن المنذر ، في يوم بؤسه ، وقد خرج يريدها ، وهو لا يعلم بيوم النعمان .

فقال له : ما حملك على استقبالي في يوم بؤسي ؟

فقال : شدّة الوجد ، وقلّة الصبر .

فقال : أو لستَ القائل ؟ :

وددتُ وكاتبِ الحسناتِ أنّي ... أقارع نجم وردة بالقداح
علي قتلي بأبيض مشرفيّ ... وكوني ليلة حتى الصباح [١٠٧ ن]
مع الحسناء وردة إنّ قلبي ... من الحبّ المبرّح غير صاح
فإن تكن القداح عليّ تلقى ... ذبحت على القداح بلا جناح
وإن كانت عليه بيمن جعدّي ... لهوت بكاعب خود رباح

قال : نعم .

قال : فإنّي مخيّرك إحدى اثنتين ، فاختر لنفسك .

قال : ما هما أبيت اللعن ؟

قال : أخلي سبيلك ، أو أمتّعك سبعة أيّام ، ثم أقتلك .

قال : بما تمتّعني ؟

قال : بوردة .

قال : قبلت الثاني .

فساق النعمان مهرها إلى عمّها ، وجمع بينهما ، فلمّا انقضت الأيّام ، أقبل

فيه فضائل النرجس ، ومنافعه الطبّية ، وما قيل فيه من الشعر ، كما أفرد الشيخ الرئيس ابن سينا في كتابه القانون في الطبّ ٣٧٣/١ وابن البيطار في كتابه الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ١٧٩/٤ أبحاثاً في منافعه في الدواء ، والبغداديّون يسمّون النرجس : نركز ، بالكاف الفارسيّة والزاي ، ويسمّون به البنات .

على النعمان ، وهو يقول :

إليك ابن ماء المزن[٤] أقبلتُ بعدما ... مضت لي سبع من دخولي على أهلي
مجيء مقرٍّ لاصطناعك شاكرٍ ... مننت عليه بالكريم من الفعل
لتقضيَ فيه ما أردت قضاءه ... من العفو ، أهلَ العفو ، أو عاجل القتل
فإن كان عفوٌ كنت أفضلَ منعم ... وإن تكن الأخرى فمن حَكَمٍ عَدْلِ

فأحسن جائزته ، وخلّى سبيله ، وأنشأ النعمان يقول : [٢٦٤ م]

لم ينل ما نال داو ... د بن سعد بن أنيس
إذ حوى من كان يهوى ... ونجا من كلّ بوس [٣٢٥ غ]
وكذاك الطير يجري ... بسعود ونحوس

قال مؤلّف هذا الكتاب : ووجدتُ كتاباً لأحمد بن أبي طاهر ، سمّاه : كتاب فضائل الورد على النرجس ، أكبر قدراً ، وأغزر فائدة من كتاب ابن لنكك ، فوجدته قد ذكر فيه هذا الخبر .

قال : وممن سمّى ابنته وردة ، شرحبيل بن مسعود التنوخي ، وهو صاحب العين ، على مسيرة يوم وليلة من تيماء اليمن .

وسليمان بن صرد ، أمير الجيش الذي يقال لهم : التوّابون ، الذين تولّوا الطلب بدم الحسين عليه السلام ، وقتل عبيد الله بن زياد .

وسمّى عائذ الطائي بنته وردة ، وهي التي كان داود بن سعد التميمي ، عاشقاً لها .... وساق الخبر كما ذكره[٥] .

---

٤ في غ : إليك أبيت اللّعن .
٥ هذه القصّة لم ترد في ر .

الورد

الورد : في اللغة ، نَوْر كلّ شجرة ، وزهر كلّ نبتة ، ثم اقتصر على الورد المعروف ، وقد توصّل الإنسان بفضل عنايته إلى إنتاجه على أشكال وألوان مختلفة ، وبروائح عطرة متنوّعة (لسان العرب ، المنجد) .

وكانت عناية الإنسان بالورد ، منذ أقدم الأزمان ، واستعمله الأطبّاء دواءً ، ووصفوه لكثير من الشكاة (القانون في الطبّ لابن سينا ٢٩٩/١ والجامع لمفردات الأدوية ١٨٩/٤ و ١٩٠) .

وذكر القاضي التنوخي ، في نشوار المحاضرة ١٩/٥ إنّه أبصر ورداً أصفر ، عدّ ورق الوردة منه ، فكانت ألف ورقة ، وإنّه رأى ورداً أسود حالك اللون ، وإنّه رأى بالبصرة ، وردة نصفها أحمر قاني الحمرة ، ونصفها الآخر ناصع البياض .

وكان المتوكّل يقول : أنا ملك السلاطين ، والورد ملك الرياحين ، فكلّ منّا أولى بصاحبه ، وحرّم الورد على جميع الناس ، واستبدّ به ، وقال : إنّه لا يصلح للعامّة ، فكان لا يرى الورد إلّا في مجلسه ، وكان في أيّام الورد يلبس الثياب المورّدة ، ويفرش الفرش المورّدة ، ويورّد جميع الآلات (مطالع البدور ٩٣/١) وأراد مرّة أن يشرب على الورد ، ولم يكن الموسم موسم ورد ، فأمر ، فضربت له دراهم خفيفة ، مقدارها خمسة آلاف ألف درهم ، ولوّنت بألوان الورد ، ونثرت في مجلسه كما ينثر الورد ، وشرب عليها (الديارات ١٦٠) .

وذكر التنوخي في نشوار المحاضرة ، في القصّة ١٦٣/١ إنّه شاهد الوزير المهلّبي اشترى في ثلاثة أيّام متتابعة ورداً بألف دينار ، فرشه في مجالسه ، وطرحه في بركة أمامه ، وشرب عليه ، وذكر في القصّة ١٦٤/١ أنّ أبا القاسم البريدي ، شرب بالبصرة في يوم واحد على ورد بعشرين ألف درهم .

وأولم الوزير أبو الفضل الشيرازي ، لمعزّ الدولة البويهي ، وليمة في داره الكائنة على ملتقى نهري دجلة والصراة ، موضعها الآن في رأس الجعيفر بالكرخ ، فشدّ حبالاً مفتولة على وجه الماء بين الشاطئين ، ثم نثر الورد بكميات غطّت وجه النهر ، ومنعته الحبال المعترضة من الانحدار ، فاستقرّ في موضعه ، راجع وصف الوليمة وما صرف عليها في كتاب الملح والنوادر للحصري ٢٧٦ و ٢٧٧ .

وكان الورد يتّخذ للتحيّات في مجالس الشراب ، بأن يقدّم الساقي للنديم وردة ، أو غصن آس ، أو تفّاحة ، مما له منظر جميل ، ورائحة عذبة ، وقد أفرد صاحب الموشى باباً في الورد (٢٠٤–٢٠٦) ، وما قيل في تفضيله ومدحه من الأشعار ، ثم قال : إنّ فضائل الورد أكثر من أن يحصى عددها ، أو يبلغ أمدها ، وأنّه أفرد لذلك كتاباً ، بوّبه أبواباً ، وترجمه بكتاب العَقْد ، وشحنه بفضل الوَرْد (الموشى ٢٠٦) ، كما ذكر أنّ بعض المتظرّفين ، كان يفضّل الآس على الورد ، لأنّ الورد موسميّ ، والآس دائم الخضرة ، (الموشى ٢٠٥) ، قال ابن زيدون :

لا يكن عهدك ورداً　　إنّ عهدي لك آس

وأشهر أنواع الورود ، الجوري ، نسبة إلى جور ، مدينة بفارس (معجم البلدان ٢/١٤٧) ومنه يستخرج ماء الورد .

وفي بغداد أغنية قديمة ، ما زالت شائعة ، تقول :

أحبّك　،　أحبّك　　وأحبّ كلّ من يحبّك
وأحبّ الورد جوري　　لأنّه بلون خـدّك

لاحظ أنّ المتعارف أن يشبّه خدّ المحبوب بالورد ، أمّا شاعرنا العامّي البغدادي ، فقد عكس الوضع ، وشبّه الورد بوجنة المحبوب ، فجاء نهاية في حسن التعبير .

٤٨٨

إبراهيم بن سيّابة يشكو فلا يجاب

أخبرني أبو الفرج المعروف بالأصبهاني ، قال : أخبرني حبيب بن نصر المهلبي ، قال : حدّثنا عبد الله بن أبي سعد ، قال : حدّثني عبد الله بن نصر المروزيّ ، قال : حدّثنا محمّد بن عبد الله الطلحي ، قال : حدّثنا سليمان بن يحيى بن معاذ ، قال :

قدم على نيسابور إبراهيم بن سيّابة ، يعني الشاعر البصري[١] ، الذي كان جدّه حجّاماً ، فأعتقه بعض بني هاشم ، فصار مولى لهم ، فأنزلته عليّ ، فجاءني ليلة من الليالي وهو مكروب ، وقد هام ، فجعل يصيح بي ، يا أبا أيّوب ؟ فخشيت أن يكون قد غشيته بليّة ، فقلت له : ما تشاء ؟ فقال :

أعياني الشادن الربيب .

فقلت له : ماذا يقول ؟ ، فقال :

أشكو إليه فلا يجيب .

فقلت : داره ، وداوه ، فقال :

من أين أبغي شفاء دائي وإنّما دائي الطبيـــــــب

---

١ إبراهيم بن سيابة : مولى بني هاشم ، كان خليعاً ، ماجناً ، طيّب النادرة ، وكان منقطعاً إلى إبراهيم الموصلي ، وابنه إسحاق ، توفّي سنة ٢٧٨ ، ومن نوادره ، أنّه قيل له : ما نظنّك تعرف الله ، فقال : كيف لا أعرف من أجاعني ، وأعراني ، وأدخلني في حرأمي (البصائر والذخائر م ٢ ق ٢ ص ٣٥٩) ، وعوتب مرّة على مجونه ، فقال : ويلكم ، لأن ألقى الله بذلّ المعاصي ، فيرحمني ، أحبّ إليّ من أن ألقاه أتبختر إدلالاً بحسناتي ، فيمقتني (الأغاني ٨٩/١٢) ، راجع ترجمته مفصّلة في الأغاني ١٢/٨٨-٩٢ وقد ورد ذكره في المنتظم ١١٩/٥ وفي الأعلام ٣٦/١ بأنّه إبراهيم بن شبابه ، وهو تصحيف ، وقد تابعتهما في ذلك التصحيف ، في نشوار المحاضرة ، رقم القصّة ٥٦/٤ حتى تبيّن لي الصحيح ، فأثبته .

فقلت : فلا ، إذن ، إلى أن يفرّج الله تعالى ، فقال :

يا ربّ فرّج إذن وعجّل   فإنّك السامع المجيب

ثم انصرف[٢] .

٢ لم ترد هذه القصّة في ر ، ولا في غ ، وقد وردت في كتاب نشوار المحاضرة للتّنوخي برقم القصّة ٥٦/٤ ، ووردت في الأغاني ٩٢/١٢ وفي نهاية الأرب ١٥٤/٢ و١٥٥ و٥٧/٤ .

٤٨٩

عزل عن الرافقة ، فولّي دمشق

[قال محمّد بن عبدوس ، في كتاب أخبار الوزراء والكتّاب ، أخبرني جعفر ابن أحمد ، قال : حدّثني أبو العبّاس بن الفرات ، قال : حدّثني محمّد بن عليّ بن يونس][1] ، قال :

لمّا سلّمت عمل دمشق إلى أبي المغيث الرافقي[2] ، سألني أن أكتب له عليه ، ففعلت ، فلمّا تآنست أنا وهو ، حدّثني أوّل خبره في تقلّد الناحية .

فقال لي : كنتُ قصدت عيسى بن موسى[3] ، [ابن عمّي ، وهو][4] يتقلّد حمص ، فقلّدني ربع فامية[5] ، فأقمت إلى أن قدم ابن عمّ له ، وهو أقرب إليه منّي ، فصرفني ، فانصرفت عنه إلى الرافقة[6] ، ومعي شيء مما كسبته .

وكانت لابنة عمّ لي ، جارية نفيسة ، قد ربّتها ، وعلّمتها الغناء ، وكنت

---

١ الزيادة من ن ، وفي بقية النّسخ : عن محمّد بن يونس .

٢ أبو المغيث موسى بن ابراهيم الرافقي : ولّي دمشق في السنة ٢٢٧ ، وصلب من قيس خمسة عشر رجلاً ، فخرجوا عليه ، وزحفوا على دمشق ، فاستعان بجيش من العراق حاربهم وأخضعهم (شذرات الذهب ٥٩/٢) ، وفي السنة ٢٤٠ كان أميراً على حمص ، وقتل رجلاً من رؤسائهم ، فقتلوا جماعة من أصحابه ، وأخرجوه وطردوا معه عامل الخراج ، فعزله المتوكّل (الطبري ١٩٧/٩ وابن الأثير ٧٣/٧) وفي معجم الأدباء ٤٧٩/٦ إنّ محمّد بن حسّان الضبّي قدم عليه ، ومدحه ، فوعده بثواب ، وتأخّر عنه ، فعاتبه ، فاعتذر منه ، وعجّل صلته .

٣ عيسى بن موسى الرافقي : من رجال الدّولة العبّاسيّة ، ذكره صاحب معجم الأدباء ٣٨٦/٥ .

٤ الزيادة من ن .

٥ فامية : مدينة كبيرة ، وكورة من سواحل حمص (معجم البلدان ٨٤٦/٣) .

٦ الرافقة : بلدة على الفرات ، كانت متّصلة بالرقّة ، بينهما ٣٠٠ ذراع ، وخربت الرقّة ، فغلب اسمها على الرافقة ، فصار اسمها الرقّة ، وهي من أعمال الجزيرة ، مدينة كبيرة ، كثيرة الخير (معجم البلدان ٧٣٤/٢) .

أدعوها ، فألفتُها ، ووقعَتْ من قلبي موقعاً عظيماً ، واشتدّ حبّي لها ، فعملت على أن أبيع منزلي وأبتاعها ، وناظرت مولاتها في ذلك ، فحلفت أنّها لا تنقص ثمنها عن ثلاثة آلاف دينار .

فنظرتُ ، فإذا أنا أفتقر ، ولا تفي حالي بثمنها ، فقامت قيامتي ، واشتدّ وجدي ، وانحدرتُ إلى سرّ من رأى ، أطلب تصرّفاً ، أو ما به شراؤها .

وكانَ محمّد بن إسحاق الطاهري[7] ، وأبوه[8] ، يرجّيان لي[9] ، فقصدت محمّداً ، ومعي دواب ، وبقيّة من حالي ، فأقمت عليه مدّة لم يسنح لي فيها تصرّف ، فاشتدّت بي رقّة الحال ، فانحدرت إلى بغداد ، أقصد إسحاق بن إبراهيم الطاهري ، فوردت في زورق .

وفكّرت في أمري ، وعلى من أنزل ، فلم أثق بغير محمّد بن الفضل الجرجرائي[10] ، لمودّة كانت بيني وبينه ، فقصدته ، ونزلت عليه ، ووقع ذلك منه أجلّ موقع ، وفاتشني عن أمري ، وسألني عن حالي ، فذكرت له قصّتي مع الجارية .

فقال : والله ، لا تبرح من مجلسك حتى تقبض ثمنها ، وأمر خادمه ، فأحضر كيساً فيه ثلاثة آلاف دينار ، وسلّمت إليّ ، وتأبّيت عليه ، فحلف أيماناً مؤكّدة أن أقبلها .

وقال : إن اتّسعتَ لقضائه ، واحتجتُ إليه ، لم أمتنع من أخذه منك ،

---

٧ محمّد بن إسحاق بن إبراهيم المصعبي : كان أبوه إسحاق أمير بغداد ، أمّا هو فكان خليفة أبيه بباب الخليفة بالحضرة سامراء ، فلما مات إسحاق سنة ٢٣٥ ، قلّد المتوكّل ولده محمّداً أعمال أبيه كلّها ، وعقد له المنتصر على اليمامة والبحرين وطريق مكّة ، وعقد له المعتز على فارس (ابن الأثير ٥٤/٧) .

٨ أبو الحسن إسحاق بن إبراهيم بن الحسين بن مصعب المصعبيّ ، أمير بغداد : ترجمته في حاشية القصّة ٧٣ من الكتاب .

٩ كذا وردت الكلمة في ن ، يريد أنّه يؤمّل منهما العون .

١٠ أبو جعفر محمّد بن الفضل الجرجرائي الكاتب : ترجمته في حاشية القصّة ١٥٧ من الكتاب .

فأخذت الكيس وشكرته ، وتشاغلنا بالشرب .

فلمّا كان من الغد ، أتى رسول إسحاق بن إبراهيم الطاهري يطلبني ، فصرت إليه ، فاحتفى به ، وأكرمني ، وقال : ما ظننت أنّك توافي بلداً أحلّه ، فتنزل غير داري .

فقلت : والله ، ما وافيت إلّا قاصداً الأمير ، ولكنّ دوابّي تأخّرت ، فتوقّعت ورودها ، لأصير إلى باب الأمير عليها .

فدعا بكتب وردت من محمّد بن عبد الملك[11] ، وفيها كتاب من أمير المؤمنين المعتصم ، بولايتي دمشق ، وأراني كتاباً يعلمه فيه ، ما جنى عليّ بن إسحاق من قتل رجاء بن [أبي] الضحّاك[12] بدمشق ، وأنّ أمير المؤمنين رأى تقليدك ، وطلبت بسرّ من رأى ، فذكر له أنّك انحدرت إلى إسحاق بن إبراهيم ، فأمر بتسليم كتبك إليّ ، ودفع مائة ألف دينار لك معونة على خروجك ، وأحضر المال ، ووكّل بي من يستحثّني على البدار .

فورد عليّ من السرور ما أدهشني ، وودّعته ، وخرجت إلى محمّد بن الفضل ، فعرّفته ما جرى ، وودّعته أيضاً ، وأخرجت دنانيره ، فرددتها عليه ، فحلف بأيمان غليظة عظيمة ، لا عادت إلى ملكه أبداً .

وقال : إن جلستَ في عملك واتّسعتَ ، لم أمتنع أن أقبل منك غير هذا .

---

١١ أبو جعفر محمّد بن عبد الملك الزيّات ، وزير المعتصم : ترجمته في حاشية القصّة ٦٦ من الكتاب .

١٢ رجاء بن أبي الضحّاك : ابن عم الفضل بن سهل (الطبري ٨/٥٤٠) ووالد الحسن بن رجاء الكاتب (الطبري ٩/١١١) ، وكان من رجال الدّولة العبّاسيّة ، عهد إليه المأمون في السنة ٢٠٠ بأن يسافر إلى المدينة وأن يحضر معه الإمام علي بن موسى الرضا ليعهد إليه بولاية العهد من بعده (الطبري ٨/٥٤٤ وابن الأثير ٦/٣٨٩) وولّاه المعتصم الخراج بدمشق ، وكان على المعونة صول أرتكين ، خليفته علي بن إسحاق بن يحيى بن معاذ ، فوثب علي ، على رجاء فقتله ، في السنة ٢٢٦ ، فاعتقل عليّ ، ومكث حيناً محبوساً بسامراء ، وتظاهر بالجنون ، فأطلق (الطبري ٩/١١١) ، راجع في العقد الفريد ٢/١٥٥ ما قاله سعيد بن سلم لما بلغه أنّ المأمون غضب على رجاء بن أبي الضحّاك وأمر بأخذ ماله .

فشخصتُ ، ومررتُ بالرافقة وابتعت الجارية ، وبلغت مناي بملكها ، واجتزت [١٧٣/٢ هـ] بحمص ، بابن عمّي ، وأنا أجلّ منه عملاً ، ودخلت عملي ، فصنع الله سبحانه ، ووسّع [١٣] .

---

١٣ لم ترد القصّة في م ولا في ر ولا في غ ، وأثبتناها من ن و هـ .

٤٩٠

أين اختبأ الأسدي

ووجدتُ في كتاب المتيّمين[١] للمدائني :

أنّ رجلاً من بني أسد ، علق آمرأة من همدان بالكوفة ، وشاع أمرهما ، فوضع قوم المرأة عليه عيوناً ، حتى أخبروا أنّه قد أتاها في منزلها ، فأتوا دارها ، واحتاطوا بها .

فلمّا رأت ذلك ، ولم تجد للرجل مهرباً ، وكانت المرأة بادنة ، فقالت له : ما أرى لك موضعاً أستر لك من أن أدخلك خلف ظهري ، وتلزمني ، فأدخلته بينها وبين القميص ، ولزمها من خلفها .

ودخل القوم ، فداروا في الدار . حتى لم يتركوا موضعاً إلّا فتّشوه ، فلمّا لم يجدوا الرجل ، استحيوا من فعلهم ، وأغلظت المرأة عليهم ، وعنّفتهم ، فخرجوا . وأنشأ الرجل يقول :

فحبّك أشهاني وحبّك قـــادني ... لهمدان حتى أمسكوا بالمخنّق
فجاشَت إليّ النفس أوّل مرّة ... فقلت لها لا تفرقي حين مفرقي
رويدك حتى تنظري عمّ تنجلي ... عماية هذا العارض المتألّق[٢]

---

١ كذا ورد في ن ، وهو الصحيح ، وورد الاسم في هـ : السمير ، ولم أعثر بين مصنّفات المدائني على كتاب باسم : السمير ، وأحسب أنّ ما ورد في هـ تحريف عن المتيّمين .

٢ لم ترد هذه القصّة م ، ولا في ر ، ولا في غ ، وأثبتناها من ن و هـ .

٤٩١

جميل وبثينة

ذكر الهيثم بن عدّي ، أنّ جماعة من بني عُذْرَة حدّثوه :

أنّ جميل بثينة[١] حضر ذات ليلة عند خباء بُثَيْنَة[٢] ، حتى إذا صادف منها خلوة تنكّر ، ودنا منها ، وكانت الليلة ظلماء ، ذات غيم ورعد وريح .

فحذف بحصاة ، فأصابت بعض أترابها ، ففزعت ، وقالت : ما حذفني في هذه الليلة إلّا الجنّ .

فَفَطِنَتْ بثينة أنّ جميلاً فعل ذلك ، فقالت لتربها : ألا فانصرفي يا أخيّة إلى منزلك حتى تنامي ، فانصرفت ، وبقيت مع بثينة أمّ الحسين – ويروى أمّ الجسير – بنت منظور[٣] ، وكانت لا تكتمها .

فقامت إلى جميل ، فأدخلته الخباء معها ، وتحدّثوا جميعاً ، ثم اضطجعوا ، وذهب به النوم حتى أصبحوا .

وجاءهم غلام زوجها بصبوح من اللبن ، بعث به إليها ، فرآها نائمة ، ونظر جميلاً ، فمضى لوجهه ، حتى خبّر سيّده .

---

١ أبو عمرو جميل بن عبد الله بن معمر العذري القضاعي : من الشعراء العشّاق ، افتتن ببثينة ، وشبّب بها ، وتناقل الناس أخبارهما ، وفد على عبد العزيز بن مروان بمصر ، ومات عنده سنة ٨٢ (الاعلام ١٣٤/٢) ، راجع أخبار جميل في الأغاني ٩٠/٨–١٥٤ .

٢ بثينة بنت حبا بن ثعلبة العذرية : شاعرة من بني عذرة ، من قضاعة ، اشتهرت بأخبارها مع جميل بن معمر العذري القضاعي ، وهو من قومها ، وكانت منازلهم بوادي القرى ، بين مكّة والمدينة ، في شعرها رقّة ومتانة ، مات جميل قبلها ، فرثته ، ولم تعش بعده طويلاً ، وماتت في نفس السنة التي مات فيها جميل أي في السنة ٨٢ (الاعلام) .

٣ في الأغاني ١١٥/٨ : وبقيت مع بثينة أمّ الجسير ، وأمّ منظور .

وكانت ليلى[4] رأت الغلام والصبوح معه ، وقد عرفت خبر جميل وبثينة ، فاستوقفته كأنّها تسأله عن حاله ، وطاولته الحديث ، وبعثت بجارية لها ، وقالت : حذّري جميلاً وبثينة .

فجاءت الجارية ونبّهتها ، فلمّا تبيّنت بثينة أنّ الصبح قد أضاء ، والناس قد انتشروا ، ارتاعت لذلك .

وقالت : يا جميل نفسك ، فقد جاء غلام بعلي بصبوح من اللبن ، فرآنا نائمين .

فقال جميل ، وهو غير مكترث :

لعمرك ما خوّفتني من مخافـــة   عليّ ولا حذّرتني موضع الحذر
وأقسم ما تلفى لي اليوم غـــرّة   وفي الكفّ منّي صارم قاطع ذكر

فأقسمت عليه أن يلقي نفسه تحت النَّضَد ، وقالت : إنّما أسألك خوفاً على نفسي من الفضيحة ، لا خوفاً عليك ، ففعل ذلك ، ونامت ، وأضجعت أمّ الحسين[5] إلى جانبها [١٠٠ ن] ، [وذهبت خادم ليلى إليها ، فأخبرتها الخبر ، فتركت العبد يمضي إلى سيّده ، فمضى والصبوح معه ، وقال له : إنّي رأيت بثينة مضطجعة ، وجميل إلى جنبها][6] .

فجاء زوجها [١٧٤/٢ هـ] إلى أخيها وأبيها ، فعرفهما الخبر ، وجاءوا بأجمعهم إلى بثينة ، وهي نائمة ، فكشفوا عنها الثوب ، فرأوا أمّ الحسين[5] إلى جانبها نائمة .

فخجل زوجها ، وسبّ عبده ، وقالت ليلى لأبيها وأخيها : قبّحكما الله ،

---

٤ ليلى وأمّ الحسين ونجيّا ، بنات خالة بثينة (الأغاني ١٠٧/٨) .

٥ في الأغاني : أم الجسير .

٦ الزيادة من الأغاني ١١٦/٨ .

في كلّ يوم تفضحان المرأة في فنائكما ، ويلكما ، هذا لا يجوز .

فقالا : إنّما فعل هذا زوجها .

فقالت : قبّحه الله وإيّاكما ، فجعلا يسبّان زوجها ، وانصرفوا .

وأقام جميل تحت النَضَد إلى الليل ، ثم ودّعها وانصرف[٧] .

٧ لم ترد القصّة في ر ، ولا في م ، ولا في غ ، وأثبتناها من ه ، ووردت في الأغاني ٨/١١٥ و١١٦ .

٤٩٢

العمر أقصر مدّة من أن يضيّع في الحساب

[حدّثني الحسن بن صافي [مولى] ابن المتوكّل القاضي ، قال : حدّثنا][1] أبو القاسم علي بن أحمد الليثي الكاتب المعروف بابن كردويه ، قال : كان لي صديق من أهل راذان[2] ، عظيم النعمة والضيعة ، فحدّثني ، قال :

تزوّجت في شبابي امرأة من آل وهب ، ضخمة النعمة ، حسنة الخلقة والأدب ، كثيرة المروءة ، ذات جوارٍ مغنّيات ، فعشقتها عشقاً مبرّحاً ، وتمكّن لها من قلبي أمر عظيم ، ومكث عيشي بها طيّباً مدّة طويلة .

ثم جرى بيني وبينها بعض ما يجري بين الناس ، فغضبت عليّ ، وهجرتني ، وأغلقَتْ باب حجرتها من الدار دوني ، ومنعتني الدخول إليها ، وراسلتني بأن أطلّقها .

فترضيّتها بكلّ ما يمكنني ، فلم ترض ، ووسّطت بيننا أهلها من النساء ، فلم ينجع .

فلحقني الكرب والغمّ ، والقلق والجزع ، حتى كاد يذهب بعقلي ، وهي مقيمة على حالها .

فجئت إلى باب حجرتها ، وجلست عنده مفترشاً التراب ، ووضعتُ خدّي على العتبة ، أبكي وأنتحب ، وأتلافاها ، وأسألها الرضا ، وأقول كلّما يجوز أن يقال في مثل هذا ، وهي لا تكلّمني ، ولا تفتح الباب ، ولا تراسلني .

ثم جاء الليل ، فتوسّدت العتبة إلى أن أصبحت ، وأقمت على ذلك ثلاثة

---

١ الزيادة من ن ، وفي هـ : وعن أبي القاسم ... الخ

٢ راذان الأعلى ، وراذان الأسفل : كورتان ببغداد تشتملان على قرى كثيرة (مراصد الاطلاع ٢/٥٩٣) .

أيّام بلياليها ، وهي مقيمة على الهجران .

فأيست منها ، وعذلتُ نفسي ، ووبّختها ، ورضتها على الصبر ، وقمت من باب حجرتها ، عاملاً على التشاغل عنها .

ومضيت إلى حمّام داري ، فأمطت عن جسدي الوسخ الذي كان لحقه ، وجلستُ لأغيّر ثيابي وأتبخّر .

فإذا بزوجتي قد خرجت إليّ ، وجواريها المغنّيات حواليها ، بآلاتهنّ يغنّين ، ومع بعضهنّ طبق فيه أوساط ، وسنبوسج [3] ، وماء ورد ، وما أشبه ذلك .

فحين رأيتها استطرت فرحاً ، وقمت إليها ، وأكببت على يديها ورجليها .

وقلت : ما هذا يا ستّي ؟

---

٣ الأوساط ، واللفّات ، والبزماورد ، والسنبوسج ، يشملها الطعام الذي كان يسمّى : المعجّل ، أو الميسّر ، أو المهيّأ ، ونسمّيه اليوم : الساندويج sandwich ، راجع ما كتبه أحمد تيمور في مجلّة المجمع العلمي العربي ج ١١ م ٣ وقد بحثنا عن الوسط ، في حاشية القصّة ١٨٥ من هذا الكتاب ، أما اللفّات ، ومفردها : لفّة ، فقد ورد ذكرها في القصّة ١١٩/٥ من كتاب نشوار المحاضرة ، وما زال هذا اسمها في بغداد ، وقد وصفتها في حاشية تلك القصّة ، وفصّلت كيفيّة صنعها ، وأشرت إلى تعلّق البغداديّين بها ، وأمّا البزماورد ، فكيفيّة صنعه : أن يؤخذ الشواء الحار ، ويجعل عليه ورق النعنع ، وقليل من الخلّ ، والليمون الحامض المملوح ، ولبّ الجوز ، ويرشّ عليه قليل ماء ورد ، ويدقّ بالساطور دقّاً ناعماً ، ويسقى خلال ذلك خلّاً ، ثم يؤخذ الخبز السميذ الفائق الملبّب ، فيخرج لبابه ، ثم يحشى من ذلك الشواء حشواً جيّداً ، ويقطع بالسكّين قِطَعاً متوسّطة مستطيلة ، ويترك ساعة ، ويؤكل ، لزيادة التفصيل راجع كتاب الطبيخ للبغدادي ص ٨٥ ، وأما السنبوسج أو السنبوسك ، أو السنبوسق ، وأصل الكلمة : سنبوسه ، فارسيّة (الألفاظ الفارسيّة المعرّبة ٩٥) ، وكيفية صنعه أن يدقّ اللحم بالساطور ، ثم بالهاون ، ويجعل في مصفى ماء السماق ، ويسلق ، ويرش عليه ماء الليمون الحامض ، ويبسط حتّى ينشف ، ثم تذر عليه الكسفرة ، والكمون ، والفلفل ، والدارصيني ، ويفرك عليه النعنع اليابس ، ويضاف اليه الجوز المجروش ، ثم يقطع الخبز الرقيق ويحشى به اللحم المذكور بعد أن يقطع سيوراً ، ويعمل مثلّثاً ، لزيادة التفصيل راجع كتاب الطبيخ للبغدادي ص ٥٧ ، وأنظر في وصفه أرجوزة من نظم إسحاق بن إبراهيم الموصلي في مروج الذهب ٥٩١/٢ وقد سمّاه في آخر بيت منها : المأكل المعجّل .

فقالت : تعال ، حتى نأكل ونشرب ، ودع السؤال .

وجَلَسَتْ وقدّم الطبق ، فأكلنا جميعاً ، ثم جيء بالشراب ، واندفع الجواري بالغناء ، وأخذنا في الشراب ، وقد كاد عقلي يزول سروراً .

فلمّا توسّطنا أمرنا ، قلت لها : يا ستّي ، أنت هجرتيني[4] بغير ذنب كبير أوجب ما بلغته من الهجران ، وترضّيتك بكل ما في المقدرة ، فما رضيت ، ثم تفضّلت إبتداء بالرجوع إلى وصالي بما لم تبلغه آمالي ، فعرّفيني ما سبب هذا ؟

قالت : كان الأمر في سبب الهجر ضعيفاً كما قلتَ ، ولكن تداخلني من التجنّي ما يتداخل المحبوب ، ثم استمرّ بي اللجاج ، وأراني الشيطان أنّ الصواب فيما فعلته ، فأقمت على ما رأيت .

فلمّا كان الساعة ، أخذت دفتراً كان بين يديّ [١٧٥/٢ هـ] وتصفّحته ، فوقعت عيني منه على قول الشاعر :

العمـــر[5] أقصر مـــدّة   من أن يضيّع في الحساب
فتغنّمي ساعاتـــــه   فمرورهـا مرّ السحاب

قالت : فعلمت أنّها عظة لي ، وأنّ سبيلي أن لا أسخط الله عزّ وجلّ بإسخاط زوجي ، وأن لا أستعمل اللجاج ، فأسوءك ، وأسوء نفسي ، فجئتك لأترضّاك ، وأرضيتك .

فانكببت على يديها ورجليها ، وصفا ما كان بيننا[6] .

٤ لا يزال التعبير البغدادي ، كما كان في القرن الرابع الهجري ، فالبغدادي ، لا يقول : هجرتني ، وإنّما يقول : هجرتيني ، ورميتيني ، وتركتيني ، وظلمتيني ، وعلى ذلك فقس .

٥ في الأصل : الدهر .

٦ لم ترد هذه القصّة في م ، ولا في ر ، ولا في غ ، وقد أثبتناها من ن ، وهـ .

محتويات الكتاب

كتاب
الفرج بعد الشدة

تأليف

القاضي أبي علي المحسن بن علي التنوخي
المتوفى سنة ٣٨٤ هـ

تحقيق

عبود الشالجي

الجزء الخامس

دار صادر
بيروت

١٣٩٨هـ — ١٩٧٨م

الفرج بعد الشدة

٥

البابُ الرّابع عشر

ما اختير من مُلَحِ الأشعار
في أكثر ما تقدّم من الأمثال والأخبار

قال لقيط بن زرارة التّميميّ[1] :

قد عِشتُ في الناس أطواراً على خِلَقٍ[2] شتّى وقاسيتُ فيها اللّين والقُطَعا[3]
كُلّاً لبستُ فلا النّعماء تُبطرني ولا تخشّعتُ من لأوائها جَزِعا[4]
لا يملأُ الهول صدري قبلَ وقعتِه ولا أضيق به ذَرْعاً إذا وقعا
ما سُدّ لي مطلعٌ[5] ضاقت ثنيّته إلّا وجَدتُ وراء الضِّيقِ متَّسَعا

* * *

وقال أبو ذؤيب الهُذليّ[6] :

---

١ أبو دختنوس ، وأبو نهشل لقيط بن زرارة بن عدس الدارميّ التميمي : فارس ، شاعر ، شريف ، قتل يوم جبلة سنة ٥٣ ق.هـ ، وكان رئيس تميم فيه (الأعلام ١٠٨/٦) .

٢ الخِلْقَة ، وجمعها خِلَق : الفطرة والهيأة .

٣ القُطَع : الذي يهجر رحمه ويعقّها .

٤ هذا البيت لم يرد في ر.

٥ مطلع الأمر : مأتاه ووجهه .

٦ أبو ذؤيب خويلد بن خالد بن محرّث الهذلي : مضريّ ، شاعر فحل مخضرم ، أدرك الجاهلية والإسلام ، وأقام بالمدينة ، واشترك في الغزو والفتوح ، ومات بإفريقية سنة ٢٧ ، وأشهر شعره عينيته التي رثى بها خمسة أبناء له ماتوا بالطاعون في عام واحد ، مطلعها : أمن المنون وريبها تتوجّع (الاعلام ٣٧٣/٢) .

وإنّي صَبرت النَّفسَ بعد ابن عَنْبَسٍ وقد لجَّ من ماء الشُؤونِ[1] لجوج
لأُحسب جَلْداً أو ليَستاءَ حاسدٌ وللشرّ بعدَ القارِعاتِ فُروج[2]

* * *

ويروى لأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام :

إنّي أقولُ لنَفْسي وهْيَ ضيّقةٌ وقد أناخَ عليها الدَّهرُ بالعَجَبِ
صَبراً على شدّة الأيّام إنّ لها عُقبَى وما الصَّبرُ إلّا عند ذي الحَسَبِ
سَيَفتحُ الله عن قربٍ بنافعةٍ فيها لمثلك راحاتٌ منَ التَّعَبِ[3]

* * *

ويروى لعثمان بن عفّان رضي الله عنه ، وقيل إنّه لغيره :

خَليليَّ لا والله ما مِن مُلِحَّةٍ تدومُ على حيٍّ وإن هيَ جَلَّتِ
فإنْ نزلتْ يوماً فلا تخْضَعنْ لها ولا تُكثرِ الشَّكوى إذا النَّعلُ زَلَّتِ
فَكم من كريمٍ قدْ بُلي بِنوائبٍ فصابَرها حتَّى مَضَتْ وَاضمَحلَّتِ
وكانت على الأيّامِ نفسي عَزيزةٌ فلمَّا رأتْ صَبري على الذلِّ ذَلَّتِ[4]

* * *

وأنشدَ معاويةُ بن أبي سُفيان متمثّلاً :

فَلَا تيأسَنْ واستَغْنِ بالله إنّه إذا اللهُ سَنَّى حلَّ عقدٍ تيسّرا

* * *

١ ماء الشؤون : الدموع .
٢ في غ : بعد النازعات .
٣ لم يرد هذا البيت في ر .
٤ انفردت هـ بهذا البيت .

ولأبي دهبل الجمحيّ[1] من قصيدة :

وإنّي لمحجوبٌ غداةَ أزورها وكنتُ إذا ما جئتُها لا أعرّجُ [٣٢٧غ]
عسى كرْبَةٌ أمسيتُ فيها مقيمةً يكون لنا منها نجاءٌ وَمَخْرَجُ
فَيُكْبَتُ أعداءٌ ، ويَجذلُ آلفٌ[2] له كَبِدٌ من لَوعة البَين تَلْعَجُ[3]

* * *

ولحارثة بن بدر الغداني[4] :

وقل للفؤادِ إن نزا بك نزوةً من الهمّ أفرِخْ[5] أكثر الروع باطله[6]

* * *

ولتوبة بن الحمير العقيلي[7] :

وقدْ تَذهبُ الحاجاتُ يطلبُهَا الفتى شعاعاً وتخشى النفّسُ ما لا يُضيرُها
[١٠٨ ن] [٢٨٧ ر]

* * *

---

١ أبو دهبل وهب بن زمعه بن أسد الجمحي : شاعر ، شريف ، من العشّاق المشهورين ، توفّي بعليب سنة ٦٣ (الاعلام ١٤٩/٩) .
٢ الآلف : الصديق المؤانس .
٣ اللعج : الحرقة .
٤ حارثة بن بدر بن حصين الغداني : ترجمته في حاشية القصّة ٣٨٠ .
٥ فرخ الرجل : زال فزعه .
٦ لم يرد في غ .
٧ أبو حرب توبة بن الحمير بن حزم بن كعب بن خفاجة العقيلي العامري : شاعر ، من العشّاق المشهورين ، صاحبته ليلى الأخيليّة ، قتل سنة ٨٥ (الأعلام ٧٣/٢) .

ولجرير بن الخَطفَى[1] :

يُعافي الله بعدَ بلاءِ جَهدٍ ويَنهضُ بَعدما يبلى السَّقيم[2]

* * *

ولزياد بن عمرو من بني الحارث بن كعب ، [وقيل لزياد بن عمرو الغداني][3] [وقيل لزيادة بن زيد العذري][4] :

إذا مَذهبٌ سدّتْ عليك فروجه فإنّك لاقٍ لا محالةَ مذهبا
ولا تجْعلنْ كرْبَ الخطوبِ إذا عَرَتْ عليك رتاجاً لا يزال مضبّبا
وكنْ رجُلاً جَلْدًا إذا ما تقلّبتْ به صَيْرَفيّاتُ الأمور تقلّبا

* * *

ولغيره ، ولم يسمِّ قائلاً :

نوائبُ الدهر أدّبتني وإنّما يوعظ اللبيبُ
قد ذقتُ حلواً وذُقتُ مرًّا كذاك عيشُ الفتى ضروبُ
ما مرّ بؤسٌ ولا نعيمٌ إلّا ولي فيهما نصيبُ[5]

* * *

---

١ أبو حزره جرير بن عطية بن حذيفة الخطفى بن بدر الكلبي اليربوعي (٢٨–١١٠) : تميمي ، من أشعر أهل عصره ، أغزل الناس شعراً (الاعلام ١١١/٢) .

٢ لا يوجد هذا البيت في ر .

٣ الزيادة من م وغ .

٤ الزيادة من غ وه ، راجع ترجمة زيادة بن زيد العذري في الشعر والشعراء لابن قتيبة ٤٣٤–٤٣٨ مختلطة بترجمة هدبة بن الخشرم العذري .

٥ وردت هذه الأبيات في غ ور .

وقريبٌ منه ما أنشدني أبي رحمه الله تعالى ، عن ابن دريد ، عن عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي ، عن عمّه :

كأنّ قَوْماً إذا ما بُدّلوا نعماً بِنَكْبَةٍ لم يكونوا قَبْلَهَا نُكِبُوا

ومثله ، أو يقاربه لغيره ، مفرد :

إنّ البطون إذا جاعت ، متى شَبِعَتْ كأنّما لم يقاسِ الجوع طاويها

* * *

وذكر أبو تمام الطائي[1] في كتاب الحماسة ، لجابر بن تغلب [الطائي][2] :

كأنّ الفتى لَمْ يَعْرَ يَوماً إذا اكتسى ولم يك صعلوكاً إذا ما تموّلا
ولم يك في بؤسٍ إذا بات ليلة يناغي غزالاً ساجي الطرف أكحلا[3]

* * *

ولسعيد بن مضاء الاسدي [١٠٩ ن] [وقيل إنّه للإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه][4] :

فما نُوبُ الحوادثِ باقياتٌ ولا البؤسى تدوم ولا النعيم
كما يمضي سرورك وهو جمٌّ كذلك ما يسوءك لا يدوم

---

١ أبو تمّام حبيب بن أوس بن الحارث الطائي (١٨٨-٢٣١) : شاعر ، أديب ، أحد أمراء البيان ، ولد بجاسم من قرى حوران بالشام ، ورحل إلى مصر ، ثم إلى بغداد ومدح المعتصم ، ثم ولّي بريد الموصل ، وتوفّي بها (الاعلام ٢/١٧٠) .

٢ الزيادة من ر .

٣ هذان البيتان لم يردا في م .

٤ الزيادة من غ ور .

فلا تهلك على ما فات وجداً   ولا تفردك بالأسف الهموم

* * *

وقريب منه لكثيّر عزة[1] ، في محمّد بن الحنفية عليه السلام ، لمّا حبسه ابن الزبير ، من أبيات :

تُحَدِّثُ من لاقَيتَ أنك عائذٌ   بل العائذ المظلوم في سجن عارم[٣٢٨غ]
وما رونق الدنيا بباقٍ لأهلها   وما شدّة الدنيا بضربة لازم
لهذا وهذا مدّةٌ سوف تنقضي   ويصبح ما لاقيته حُلْمَ حالم[2]

* * *

ولبعض الأعراب ، قريب منه :

كأنّك لم تعدم من الدهر لذّةً   إذا أنت أدركت الذي كنت تطلب[3]

* * *

وللأضبط بن قريع التميمي[4] من أبيات :

لكلّ ضيق من الأمور سعه   والليّل والصبح لا بقاء معه
لا تحقرنّ الوضيع علّك أن   تلقاه يوماً والدهر قد رفعه
قد يجمع المالَ غير آكله   ويأكل المالَ غير من جمعه

---

١ أبو صخر كثير بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر الخزاعي : شاعر ، متيّم مشهور ، مدني ، أكثر إقامته بمصر ، صاحبته عزة بنت جميل الضمرية ، توفّي بالمدينة سنة ١٠٥ (الأعلام ٧٢/٦) .

٢ هذه الأبيات لم ترد في ر .

٣ هذا البيت لم يرد في ر .

٤ الأضبط بن قريع بن عوف بن كعب السعدي التميمي : شاعر جاهلي قديم (الاعلام ٣٣٧/١) .

قد يقطع الثوب غير لابسه ويلبس الثوب غير من قطعه
قد يرفع البيت غير ساكنه ويسكن البيت غير من رفعه
فارضَ من الله ما أتاك به من قرّ عيناً بعيشه نفعه[1]
وصلْ حبال البعيد إن وصل الـ حبل وأقصِ القريب إن قطعه[2]

* * *

قال مؤلّف هذا الكتاب ، ولي من هذا الرويّ ، وقريب من هذا المعنى ، أبيات وهي :

اصبر فليس الزمان مصطبراً وكلّ أحداثه فمنقشعه
كم من فقير غناه في شِبَعٍ قد نال خفضاً[3] في عيشه ودَعَه
وكم جليلٍ جلّت مصائبه ثم تلافاه بَعْدُ مَن وضعه
فعاد بالعزّ آمناً جذلاً وعاد أعداؤه له خُضَعَهْ[4] [٢٨٨ ر]

* * *

وأنشدنا أبو العبّاس أحمد بن يحيى المعروف بثعلب :

ربّ ريحٍ لأناس عصفتْ ثمّ ما إن لبثتْ أن ركدتْ
وكذاك الدهر في أفعاله قدمٌ زلّتْ وأخرى ثَبَتَتْ
بالغٌ ما كان يرجو دونه ويدٌ عمّا استحقّت قَصُرَتْ
وكذا الأيّام من عاداتها أنّها مفسدةٌ ما أصلحتْ

---

١ الأبيات الثلاثة الأخيرة لم ترد في م ولا في غ .
٢ الزيادة من الاعلام ٣٣٧/١ .
٣ الخفض : لين العيش وطيبه .
٤ في م : ورد الشطر الأول من البيت الثالث وتمّ بالشطر الثاني من البيت الرابع .

ثمّ تأتيك مقاديرٌ بها فتُرى مُصلِحَةً ما أفسدتْ

* * *

وللحسين بن مطير الأسدي[1] :

إذا يسّر اللهُ الأمورَ تيسّرت ولانت قواها واستقاد عسيرها
فكم طامعٍ في حاجة لا ينالها وكم آيسٍ منها أتاه بشيرها
وكم خائفٍ صار المخيف ومقترٍ تموّل والأحداث يحلو مريرها
وقد تغدر الدنيا فيمسي غنيّها فقيراً ويغنى بعد عسرٍ[2] فقيرها
وكم قد رأينا من تكدّر عيشة وأخرى صفا بعد انكدارٍ غديرها

* * *

ولمسكين الدارمي[3] :

وإنّي لأرجو اللهَ حتّى كأنّني أرى بجميل الظنّ ما اللهُ صانع

* * *

---

١ الحسين بن مطير بن مكحل الأسدي : شاعر متقدّم في القصيد والرجز ، من مخضرمي الدولتين الأمويّة والعبّاسيّة ، مدح معن بن زائدة ، ورثاه (الاعلام ٢/٢٨٥) .

٢ في غ : بعد بؤس .

٣ ربيعة بن عامر الدارميّ ، الملقّب بمسكين : شاعر تميمي عراقي ، لقّب مسكين لأنّه قال :

أنـا مسكين لمـن أنكـرني ولـمن يعرفني جدّ نطـق

وكان يمدح زياد بن أبيه ، ورثاه لمّا مات ، فردّ عليه الفرزدق ، راجع ردّ الفرزدق عليه ، وردّ امرأته عليه ، في ترجمته في خزانة الأدب للبغدادي ١/٤٦٧-٤٦٩ .

وأنشدني محمّد بن الحسن بن المظفّر بن الحسين ، قال : انشدني الحسن ابن أبي الخضر ، قال : أنشدنا ثعلب [٣٢٩ غ] :

إلى الله كلّ الأمر في الخلق كلّه
وليس إلى المخلوق شيء من الأمر
إذا أنا لم أقبل من الدهر كلّما
تكرّهت منه طال عتبي على الدهر
ووسّع صدري للأذى كثرة الأذى
وقد كنت أحياناً يضيق به صدري [٢٦٦ م]
وصيّرني يأسي من الناس راجياً
لحسن صنيع الله من حيث لا أدري

* * *

وأخبرني أبو محمّد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزي ، خليفة أبي رحمه الله على القضاء بها ، قال : أخبرنا وكيع ، محمّد بن خلف القاضي ، أنّ طلحة بن عبيد الله أخبره ، قال : حدّثني عبد الله بن شبيب ، قال : أنشدني الثوري ، وذكر البيتين الأوّلين ، ثم بيتاً ثالثاً ، وهو :

وعوّدت نفسي الصبرَ حتى ألفتُهُ وأسلمني حسنُ العزاءِ إلى الصبر [1]

ثم ذكر البيتين الآخرين على نحو ذلك .

* * *

وقال آخر :

---

١ في م : وأخرجني حسن العزاء إلى الصبر .

إذا ضاق صدري بالأمور تفرّجت   لعلمي بأنّ الأمر ليس إلى الخلق

* * *

وقال آخر :

يضيق صدري بغمٍّ عند حادثةٍ   وربّما خِيْرَ لي في الغمّ أحيانا
وربّ يوم يكون الغمّ أوّله   وعند آخره رَوْحاً وريحانا [١١٠ ن]
ما ضِقْتُ ذرعاً بغمٍّ عند نائبةٍ   إلّا ولي فرجٌ قد حلّ أو حانا

* * *

وأنشدني محمّد بن الحسن[١] ، قال : أخبرنا أبو عمر محمّد بن عبد الواحد[٢] ، قال : أنشدنا ثعلب ، عن الزبير :

لا أحسب الشرَّ جاراً لا يفارقني   ولا أحزُّ على ما فاتني الودجا
وما لقيتُ من المكروه نازلةً   إلّا وثقتُ بأن ألقى لها فرجا

* * *

وأخبرني أبو محمّد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزي[٣] ، خليفة أبي رحمه الله على القضاء بها ، قال : أنشدنا أحمد بن عمر الحني ، قال : أنشدنا الرياشي[٤] ، قال : أنشدنا القحذمي[٥] ، فذكر البيت الأوّل ، ثم قال :

---

١ أبو علي محمّد بن الحسن بن المظفّر المعروف بالحاتمي : ترجمته في حاشية القصّة ١٣ من هذا الكتاب .

٢ أبو عمر محمّد بن عبد الواحد بن أبي هاشم ، المعروف بالزاهد ، غلام ثعلب : ترجمته في حاشية القصّة ١٣ من هذا الكتاب .

٣ أبو محمّد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهزمري : ترجمته في حاشية القصّة ٢٦ .

٤ أبو الفضل العبّاس بن الفرج بن علي بن عبد الله البصري المعروف بالرياشي : ترجمته في حاشية القصّة ٤٧٠ .

٥ أبو عبد الرحمن الوليد بن هشام بن قحذم : ترجم له السمعاني في الأنساب ٤٤٤ وقال إنّه توفّي سنة ٣٣٣ .

ولا تراني لما قد فات مكتئباً ولا تراني بما قد نلت مبتهجا

ثم ذكر البيت الثالث .

* * *

ولبعض الأعراب :

وقلّ وجه يضيق إلّا ودونه مذهب فسيح
من روّح الله عنه هبّت من كلّ وجه إليه ريح [1]

* * *

قرئ على أبي بكر الصولي ، بالبصرة ، في سنة خمس وثلاثين وثلثمائة ، في كتابه : كتاب الوزراء ، وأنا أسمع ، حدّثك الحسين بن محمّد ، قال : حدّثني البيمارستاني [2] ، قال : أنشدت [3] [٣٣٠ غ] أبا العبّاس إبراهيم بن العباس الصولي [4] ، وهو في مجلسه بديوان الضياع :

ربّما تكره النفوس من الأمـ ـر له فَرْجَةٌ كحلّ العقال

فنكت بقلمه ، ثم قال :

ولربَّ نازلةٍ يضيق بها الفتى ذرعاً وعند الله منها المخرج
ضاقت فلمّا استحكمت حلقاتها فرجَتْ وكان يظنّها لا تفرج [٢٨٩ ر]

* * *

١ هذان البيتان لم يردا في ر .

٢ في غ وم : المارستاني .

٣ في غ ور : أنشدنا .

٤ أبو إسحاق إبراهيم بن العبّاس بن محمّد بن صول : ترجمته في حاشية القصّة ٥٥ وهو عم والد أبي بكر الصولي الشطرنجي (وفيات الأعيان ٤/٣٦٠) وابن عم عمرو بن مسعدة ، وزير المأمون (وفيات الأعيان ٣/٤٧٥) ، والعبّاس بن الأحنف الشاعر الغزل ، خال إبراهيم الصولي (وفيات الأعيان ٣/٢٤ و ٢٥) .

أنشدني أحمد بن عبد الله الورّاق[1] ، قال : أنشدنا أحمد بن القاسم بن نصر[2] [أخو أبي الليث الفرائضي][3] ، قال : أنشدنا دعبل بن علي الخزاعي ، قصيدته : مدارس آيات خلت من تلاوة ، فذكر القصيدة إلى آخرها وفيها ما يدخل في هذا الباب :

فلولا الذي أرجوه في اليوم أو غدٍ تقطّع قلبي إثْرَهُمْ حسرات
فيا نفسُ طيبي ، ثم يا نفسُ أَبْشِري فغير بعيدٍ كلّما هو آت
ولا تجزعي من دولة الجور إنّني كأنّي بها قد آذنت بشتات
عسى الله أن يرتاح للخلق إنّه إلى كلّ حيّ دائم اللَّحَظات

* * *

ولعلي بن الجهم[4] من قصيدة :

غِيَرُ الليالي باديات عُوَّدُ والمال عارية يُفَادُ وينفد[5]
ولكلّ حالٍ معقبٌ ولربّما أجلى لك المكروه عمّا يحمد

---

١ أبو بكر أحمد بن عبد الله بن خلف الدوري الورّاق (٢٩٩ – ٣٧٩) : ترجم له الخطيب البغدادي في تاريخه ٤ / ٢٣٤ وعابه بالرفض ، أي بالتشيّع لآل البيت ، أقول : وتلك شكاة ظاهر عنك عارها .

٢ أبو بكر أحمد بن القاسم بن نصر بن زياد (في الأنساب للسمعاني زيد) ، المعروف بأخي أبي الليث الفرائضي (٢٢٢–٣٢٠) : ترجم له الخطيب في تاريخه ٣٥٢/٤ .

٣ الزيادة من غ .

٤ أبو الحسن علي بن الجهم بن بدر : شاعر ، من ندماء المتوكّل العبّاسي ، كان من شرار الخلق ، كثير السعاية بالناس (الأغاني ٢٠٥/١٠ و ٢١٣) وكان أكذب خلق الله (الأغاني ٢١١/١٠) وأوقحهم وجهاً (الأغاني ٢٢٠/١٠ ، ٢٢١) أمره المتوكّل بلزوم بيته ، ثم حبسه ، ثم نفاه إلى خراسان ثم أطلقه (الأغاني ٢٠٨/١٠ و٢١٣) ولمّا شاع في الناس شرّه ، وسعايته بالناس من صديق أو عدوّ ، تحاماه الناس ، فخرج من بغداد إلى الشام ، فقتل في الطريق سنة ٢٤٩ (الأغاني ٢٣٣/١٠) راجع في الأغاني الأبيات التي قالها فيه البحتري ، وراجع كذلك قصّته مع أبي العيناء (الأغاني ٢٠٦/١٠) وراجع كذلك في الأغاني ترجمته المفصّلة ٢٠٣/١٠–٢٣٤ .

٥ هذا البيت لم يرد في ر .

لا يؤيسنّك من تفرّج كربةٍ خطبٌ رماك به الزمان الأنكد
صبراً فإنّ اليوم يتبعه غدٌ[1] ويد الخليفة لا تطاولها يد [٢٦٧ م]
كم من عليلٍ قد تخطّاه الردى فنجا ومات طبيبه والعوّد

* * *

ولغيره في مثله :

قد يصحّ المريض من بعد يأسٍ كان منه ويهلك العوّاد
ويصاد القطا فينجو سليماً بعد هُلْكٍ ويهلك الصيّاد

* * *

ولعبد الله بن المعتزّ من أبيات :

وكم نعمةٍ لله في صَرْفِ نقمةٍ ومكروه أمر قد حلا بعد إمرار
وما كلّ ما تهوى النفوسُ بنافعٍ وما كلّ ما تخشى النفوسُ بِضَرّارِ

* * *

وله مفرد :

ولربّما انتفع الفتى بِضرارِ من ينوي الضِرار وضَرّه من ينفع[2] [١١١ن]

* * *

وقريب منه :

---

١ في ر : ضبراً فإن اليوم يعقبه غد .
٢ لم يرد هذا البيت في م .

رُبّما خِيْرَ للفتى وهو للخير كارهُ
وأتاه السرور من حيث تأتي المكارهُ[1]

* * *

أنشدني أبو إسحاق محمّد بن عبد الله بن محمّد بن شهرام الكاتب وأبو عبد الله محمّد بن إسحاق بن يحيى بن علي بن يحيى المنجم ، وأخبراني أنّ فيه لحناً من الرمل :

فلا تيأسَنْ من فَرْجَةٍ أن تنالها لعلّ الذي ترجوه من حيث لا ترجو

* * *

وقال آخر :

أتى من حيث لا ترجوه صَنْعٌ[2] وتأبى أن تهمّ به الظنون
وحيثُ تراك تيأس فارجُ خيراً فإنّ الغيب محتجبٌ مصون[3]
فكنْ أرجى لأمر ليس ترجو[4] من المرجوّ أقرب ما يكون

* * *

وقال آخر :

وإذا تُصِبْكَ خصاصةٌ فارجُ الغنى وإلى الذي يعطي الرغائبَ فارغب

* * *

---

١ لم ترد في م ولا في ر .

٢ في غ : أتى من حيث لا ترجو صنيع .

٣ هذا البيت ساقط من غ .

٤ في غ : أنت ترجو .

وأنشدني أبي رحمه الله لعبيد الله بن عبد الله بن طاهر[1] :

أراها تمخّضُ بالمعضلات ... فيا ليت شعري ما الزُّبْدَه [٣٣٢ غ]
ألا إنّ زُبْدَتَها فَرْجَةٌ ... تحلُّ العِقَالَ من العُقْدَه

* * *

ولأبي إسحاق إسماعيل بن القاسم الملقّب بأبي العتاهية[2] :

إنّما الدنيا هباتٌ ... وعوارٍ مستردّه
شدّةٌ بعد رخاءٍ ... ورخاءٌ بعد شدّه

* * *

وله أيضاً :

الناس في الدين والدنيا ذوو دَرَجٍ ... والمالُ ما بين موقوفٍ ومختلج
من ضاق عنك فأرضُ اللهِ واسعةٌ ... في كلّ وَجْهٍ مضيقٍ وَجْهُ منفرجِ
قد يدرك الراقدُ الهادي برقدته ... وقد يخيبُ أخو الروحاتِ والدلج
خير المذاهب في الحاجات أنجحها ... وأضيق الأمر أدناه من الفرج[3]

* * *

١ الأمير أبو أحمد عبيد الله بن عبد الله بن طاهر بن الحسين المصعبي : ترجمته في حاشية القصّة ٤١ من هذا الكتاب .

٢ أبو إسحاق إسماعيل بن القاسم بن سويد الملقب بأبي العتاهية ، ترجمته في حاشية القصّة ١٧٣ من هذا الكتاب .

٣ لم ترد هذه الأبيات في ر .

ويروى له ، [والقافية كلّها واحدة ، وهذا هو الإيطاء][1] ، وأبو العتاهية يرتفع عنه ، فإمّا أن يكون الشعر لغيره ممن جهل هذا العيب ، أو له وجه لا أعلمه ، وأوّله :

يا صاحبَ الهمِّ إنّ الهمَّ منقطعٌ — أبشر بذاك فإنّ الكافيَ الله[2]
اليأس يقطع أحياناً بصاحبه — لا تيأسنَّ كأنْ قد فرّج الله[3]
الله حسبك ممّا عُذتَ منه به — وأين أمنع ممّن حسبه الله
هنّ البلايا ، ولكن حسبنا الله — والله حسبك ، في كلٍّ لك الله[4]
هوّن عليك ، فإنّ الصانع الله — والخير أجمع فيما يصنع الله
يا نفس صبراً على ما قدّر الله — وسلّمي تسلمي ، فالحاكم الله[4]
يا ربّ مستصعب قد سهّل الله — وربّ شرّ كثير قد وقى الله
إذا بكيتَ فثق بالله وأرض به — إنّ الذي يكشف البلوى هو الله
الحمد لله شكراً لا شريك له — ما أسرع الخير جدًّا إن يشا الله[4]

* * *

ولمحمّد بن حازم الباهلي[5] ، في مثل هذا :

---

١ الزيادة من غ ، والإيطاء : تكرار القافية لفظاً ومعنى ، وهو من عيوب الشعر (العقد الفريد ٤٨١/٢ و ٤٨٢) ، وقال أبو عمرو بن العلاء : الإيطاء ليس بعيب في الشعر عند العرب ، وقال ابن سلام الجمحي : إذا كثر الإيطاء في قصيدة مرّات ، فهو عيب عندهم (لسان العرب) .

٢ كذا ورد في ر وفي غ : أبشر بذاك كأنّ قد فرّج الله ، وفي م : آمن بذلك كأنّ قد فرّج الله .

٣ كذا ورد في ر ، وفي م وغ : فإنّ الكافي الله .

٤ لم يرد هذا البيت في ر .

٥ أبو جعفر محمّد بن حازم بن عمرو الباهلي : شاعر مطبوع ، ولد ونشأ في البصرة ، وأقام ومات ببغداد ، مدح المأمون العبّاسي ، توفي سنة ٢١٥ (الأعلام ٣٠٤/٦) .

طوبى لمن يتولّى الله خالقُهُ ومن إلى الله يلجأ يكفه الله
وربّ حاذر أمر يستكين له ينجو وخيرته ما قدّر الله
ومن دعا الله في اللأواء[1] أنقذه وكلّ كرب شديد يكفه الله

* * *

وليحيى بن خالد بن برمك ، من أبيات :

ألا يا بائعاً ديناً بدنيا غرورٍ لا يدوم لها نعيم[2]
سينقطع التلذّذ عن أناس أداموه وتنقطع الهموم

* * *

وأنشدني أبي ، القاضي أبو القاسم علي بن محمّد بن أبي الفهم [٢٦٨ م] التنوخي [٣٣٣ غ] رحمه الله ، من قصيدة لسالم بن عمرو الخاسر[3] :

إذا أذن الله في حاجة أتاك النجاح على رسله
وقرّب ما كان مستبعداً وردّ الغريب إلى أهله
فلا تسأل الناس من فضلهم ولكن سلِ اللهَ من فضله

* * *

ووجدتُ بخطّ عمّي القاضي أبي جعفر أحمد بن محمّد بن أبي الفهم

١ اللأواء : الشدّة والمحنة .
٢ لم يرد هذا البيت في غ و ر .
٣ كذا ورد في م ، وفي غ : لسالم بن عمرو الحارثي ، وفي ر : أسلم بن عمر الحارثي ، وهو سلم بن حمّاد المعروف بسلم الخاسر ، وقد سمّاه ابن خلكان في وفيات الأعيان ٢/٣٥٠ سالم بن عمرو ، ترجمته في حاشية القصّة ١٣٦ .

التنوخي ، مكتوباً :

إذا أذن الله في حاجة أتاك النجاح بها يركض
وإن عاق من دونها عائق أتى دونها عارضٍ يعرض[1]

* * *

ولعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب[2] من أبيات [٣٣١غ] :

لا تعجلنّ فربّما عجل الفتى فيما يضرّه
والعيش أحلى ما يعو د على حلاوته مُمِرُّه
ولربّما كره الفتى أمراً عواقبه تسرّه[3] .

* * *

ولغيره :

كم مرّة حفّت بك المكاره خارَ لكَ اللهُ وأنت كاره

* * *

ولغيره :

---

١ لم ترد في غ ولا في ر .
٢ عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب : أمير ، شجاع ، جواد ، شاعر ، فاتك ، استولى على الكوفة في آخر أيّام بني أميّة ، ثم نزح عنها ، واستولى على الجبال ، وما جاورها ، قتله أبو مسلم الخراساني سنة ١٢٩ (الأعلام ٤/٢٨٢) .
٣ لم ترد في ر .

ربّ أمر تزهق النفس له　　جاءها من خَلَلِ اليأسِ الفرج
لا تكن من وجهِ رَوْحٍ آيساً　　ربّما قد فَرَجَتْ تلك الرَتَجْ
بينما المرء كئيبٌ موجعٌ　　جاءه الله بِرَوْحٍ فابتهج
ربّ أمر قد تضايقت له　　فأتاك الله منه بالفرج

* * *

وقال آخر :

إذا الحادثات بلغن المدى　　وكادت تذوب لهنّ المهج[1]
وجلّ البلاءُ وقلّ العزاءُ　　فعند التناهي يكون الفرج

* * *

ولبعضهم مفرد :

البؤسُ يعقبه النعيمُ وربّما　　لاقيتَ ما ترجوه فيما ترغب

* * *

وأنشدني عبيد الله بن محمّد بن الحسن العبقسي المعروف بالصروي[2] ، لنفسه :

إذا أذن الله في حاجة　　أتاك النجاح بغير ٱحتباس
فيأتيك من حيث لا ترتجي　　مرادك بالنجح بعد الإياس

* * *

١ هذا البيت لم يرد في غ .

٢ أبو القاسم عبيد الله بن محمّد بن الحسن العبقسي المعروف بالصروي : ترجمته في حاشية القصّة ٢٤٦ من هذا الكتاب .

ولمحمّد بن حازم الباهلي :

وأرحل إذا أجدبت بلادٌ منها إلى الخصب والربيع
لعلّ دهراً غدا بنحسٍ يكرّ بالسعد في الرجوع

* * *

ووجدت في بعض الكتب منسوباً إلى أبي تمام الطائي :

وما من شدّة إلّا سيأتي لها من بعد شدّتها رخاء

* * *

وأنشدني الأمير أبو الفضل جعفر بن المكتفي بالله[1] ، قال : أنشدني بعض أصحابنا – ولم يسمّ قائلاً – وأخبرني بعض الشعراء : أنّ البيت الأول لقيس بن الخطيم[2] ، ووجدته وحده في كتاب الأمثال السائرة[3] منسوباً إلى قيس بن الخطيم :

وكلّ شديدة نزلت بقومٍ سيأتي بعد شدّتها رخاء[4]
فإنّ الضغط قد يحوي وعاءً ويتركه إذا فرغ الوعاء

---

١ الأمير أبو الفضل جعفر بن المكتفي أبي محمّد علي بن المعتضد : أمير ، عالم ، فاضل ، عارف ، روى عنه القاضي التنوخي في نشوار المحاضرة (خلاصة الذهب المسبوك ٢٣٨) ، اتّهم في أيّام الراضي بالسعي في طلب الخلافة ، فاعتقل ونهبت داره (المنتظم ٢٧٦/٦ والتكملة ٩٢) ، وتوفّي في السنة ٣٧٧ (المنتظم ١٣٧/٧) ، راجع القصّة ٢/٥ من نشوار المحاضرة .

٢ أبو يزيد قيس بن الخطيم بن عدّي الأوسي : شاعر الأوس ، وأحد صناديدها في الجاهلية ، ثأر لأبيه وجدّه ، فقتل قاتليهما ، قتل سنة ٢ ق.هـ (الأعلام ٥٥/٦) .

٣ في غ : الأبيات السائرة ، والإسمان صحيحان، راجع الفهرست لابن النديم ٥٤ و ١٢٠ .

٤ في غ بيت آخر قبله وهو :

وما من شدّة إلّا سيأتي لها من بعد شدّتها رخاء

وما ملئ الإناء وسدّ إلّا ليخرج منه ما امتلأ الإناء [٢٩١ ر]

* * *

وأنشدت :

متى تصفو لك ٱلدّنيا بخيرٍ إذا لم ترض منها بالمِزَاج
ألم ترَ جوهر الدنيا المصفّى ومخرجه من البحر الأجاج
وربّ مخيفةٍ فَجَأَتْ بهولٍ جرت بمسرّةٍ لك وابتهاج
وربّ سلامةٍ بعد ٱمتناعٍ وربّ إقامةٍ بعد ٱعوجاج [١]

* * *

ولمحمّد بن عبد الله بن محمّد بن أبي عيينة المهلّبي ، من أبيات ، ومحمّد هذا ، هو والد أبي خالد يزيد بن محمّد المهلّبي ، نديم المتوكّل [٢] :

إنّي لرحّال إذا الهمُّ بَرَكْ رحب اللّبان [٣] عند ضيق المعترك
عسري على نفسي ويسري مشترك لا تهلك النفس على شيءٍ هلك
وليس في الهمّ لما فات درك ولم يدم شيءٌ على دور الفَلَكْ
رُبَّ زمانٍ ذلّه أرفق بك لا عار ان ضامك دهرٌ أو فَتَكْ
فقد يعود بالّذي تهواه لك كم قد رأينا سوقةً صار ملك [٤]

* * *

وقال آخر :

---

١ لم ترد هذه الأبيات في غ .

٢ كذا ورد في م ، وفي ن (ص ١١٣) كما يلي : وللمهلّبي من أبيات ، وهو جدّ خالد بن يزيد المهلّبي المحدّث ، وجدّ أبي يعلى حمزة بن يزيد البصري الشاعر .

٣ اللبان ، بفتح اللام : الصدر .

٤ لم ترد الأبيات في غ .

لكل غمٍّ فرجٌ عاجل   يأتيك في المُصبَح والمُمْسَى [١١٣ن]
لا تتَّهمْ ربّك فيما مضى   وهوّن الأمر تَطِبْ نفسا[١]

* * *

ولعبد الله بن المعتزّ :

سواء على الأيّام حفظٌ وإغفالُ   وتاركُ سعيٍ واحتيالٌ ومحتالُ
ولا همّ إلّا سوف يفتح قفله   ولا حال إلّا بعدها للفتى حالُ[٢]

* * *

وقال آخر :

جزَعْتَ كذا ذو الهمِّ يجزع قلبه   ألا ربّ يأسٍ جاء من بعده فرج
كأنك بالمحبوب قد لاح نجمه   وذو الهمّ من بين المضايق قد خرج[٢]

* * *

وأنشد لأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه :

لا تكره المكروه عند نزوله   إنّ المكاره لم تزل متباينه
كم نعمة لا تستقلّ بشكرها   لله في جنب المكاره كامنه[٣]

* * *

١ لم يرد البيتان في غ .
٢ لم يرد البيتان في غ .
٣ هذان البيتان لم يردا في م .

حدّثنا علي بن أبي الطيّب ، قال : حدّثنا أبو بكر بن أبي الدنيا ، قال : أنشدني رجل من قريش :

ألم ترَ أنّ ربّك ليس تحصي أياديه الحديثةُ والقديمه
تسلّ عن الهموم فليس شيءٌ يقيم ولا همومك بالمقيمه
لعلّ الله ينظر بعد هذا إليك بنظرة منه رحيمه

* * *

وأنشدني محمّد بن عبد الواحد بن الحسن بن طرخان ، قال : أنشدني أبو الحسن علي بن هارون بن علي بن يحيى المنجم[1] ، لنفسه من أبيات كتب بها إلى علي بن خلف بن طناب[2] ، فعملت فيه صوتاً[3] :

بيني وبين الدهر فيكَ عتابُ سيطول إن لم يَمْحُهُ الإعتابُ
يا غائباً بمزارِه وكتابِه هل يرتجى من غيبتِكَ إيابُ [٣٣٤ غ]
لولا التعلّل بالرجاء تقطّعت نفسٌ عليك شعارها الأوصابُ
لا يأس من فرج الإلهِ فربّما يصل القطوع ويقدم الغيّابُ

* * *

ولآخر غيره :

---

١ أبو الحسن علي بن هارون بن عليّ بن يحيى (٢٧٦-٣٥٢) : من آل المنجّم ، راوية ، من ندماء الخلفاء ، ولد وتوفي ببغداد (الأعلام ١٨٣/٥) .

٢ علي بن هارون بن خلف بن طنّاب : من رجال الدولة العبّاسيّة : ترجمته في حاشية القصّة ٤١٢ .

٣ في غ : فعملت فيه نصًّا ، وفي م : فعملت فيه شيئاً ، وكلاهما تصحيف ، والصحيح ما أثبتناه ، راجع ما ورد في كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ج ٣ ص ٢٠٣ رقم القصّة ١٣٢/٣ حيث ذكر سبب نظم هذه الأبيات وأوردها هناك كاملة ، وعددها سبعة .

فلا تيأس وإن أعسرت يوماً فقد أيسرت في الزمن الطويل[1]

* * *

وقال آخر :

فلا تيأس وإن صحّت عزيمتهم على الدَلَجِ
فإنّ إلى غداة غدٍ سيأتي الله بالفَرَجِ
فتصبح عيسهم عُرْجاً وقد كانت بلا عَرَجِ

* * *

وقال آخر :

ربّما يطلع التفرّج في الكَرْ بَةِ كالبدر من خلال السحاب
وتزول الهموم في قدر الزرّ تفرّى عن عُرْوَةِ الجِلْبَاب[2]

* * *

وقال آخر :

رَمَيتُ بالهمّ لمّا أن رُميتُ به ولم أُقِمْ غَرَضاً للهمّ يرميني
ولستُ آيسُ من رَوْحٍ ومن فرجٍ ومن لطائف صُنْعٍ سوف تكفيني
وكلّ ما كان من دهري إليّ شوىً[3] ما سلّم الله من أحداثه ديني

* * *

وقال آخر :

---

١ ورد البيت في ص ٨٨ .
٢ انفردت م بهذين البيتين .
٣ أشوى السهم : أخطأ الغرض .

وكم من ضيقةٍ ركدت بغمٍّ فكان عقيبها فرج مفاجي
وأضيق ما يكون الأمر أدنى وأقرب ما يكون إلى انفراج

* * *

ولعليّ بن جبلة [٢٩٢ ر] :

عسى فرجٌ يكون عسى نُعَلِّلُ نفسنا بعسى
فلا تَقْنَطْ وإن لاقيـ ـت همًّا يقبض النَفَسا
فأقرب ما يكون المر ء من فرج إذا يئسا

حدّثني علي بن أبي الطيّب ، قال : حدّثنا ابن الجرّاح ، قال : حدّثنا ابن أبي الدنيا ، قال : أنشدني الحسين بن عبد الرحمن[1] ، وذكر البيت الأوّل ، والثالث ، ولم يذكر الثاني ، ولا سمّى قائلاً .

* * *

وقال آخر :

لعمرك ما المكروه من حيثُ تتّقي وتخشى ولا المحبوبَ من حيث تطمع
وأكثر خوف الناس ليس بكائنٍ فما درك الهمّ الذي ليس ينفع

* * *

وقال آخر :

رضيت بالله إن أعطى شكرتُ وإن يمنعْ قنعتُ وكان الصبر من عُدَدِي

---

١ أبو علي الحسين بن عبد الرحمن الجرجرائي : ترجم له صاحب الخلاصة ٧١ وقال : إنّه توفّي سنة ٢٥٣ ، نسبته إلى جرجرايا : بلدة قريبة من دجلة بين بغداد وواسط (اللباب ١/٢٢٠) .

إن كان عندك رزق اليوم فاطَّرِحَنْ   حمل الهموم فعند الله رزقُ غدِ[1]

* * *

ولأبي يوسف البنهيلي الكاتب ، عم المفجع الشاعر[2] ، وهو من قرية من أعمال النهروانات ، من قصيدة :

لا البؤسُ يبقى ولا النعيمُ ولا   حلقةُ ضيقٍ ، ستفرج الحلقه
صبراً على الدهر في تجوّره[3]   كم فتح الصبر مرّة غلقه

* * *

وقال آخر :

جديد همّك يبليه الجديدان   فاستشعر الصبر إنّ الدهر يومانِ
يوم يسوء فيتلوه فيذهبه   يومٌ يسرُّ وكلٌّ زائلٌ فانِ [٣٣٥ غ]

* * *

وقال آخر :

لا تعجّل همًّا بما ليس تدري   إن تراخى ، يكون أو لا يكون[4]

* * *

وقال آخر :

---

١ انفردت بها ر و غ .

٢ أبو عبد الله محمّد بن أحمد بن عبيد الله ، المعروف بالمفجع : صاحب ثعلب ، كاتب ، شاعر مكثر ، عالم ، أديب ، بصري ، لقّب بالمفجّع لبيت قاله ، توفي سنة ٣٢٧ (معجم الأدباء ٦/٣١٤) .

٣ التجوّر : التصرّف بجور .

٤ لم ترد في غ .

عادني الهمّ واَعتلجْ　　كلّ همّ إلى فَرَجْ[1] [٢٧٠ م]

* * *

وقال آخر :

لعمرك ما يدري الفتى كيف يتّقي　　نوائبَ هذا الدهر أم كيف يحذر
يرى الشيء ممّا يتّقي فيخافه　　وما لا يرى مما يقي اللهُ أكثر[2]

* * *

وقال آخر :

الهمُّ فضلٌ والقضاءُ مغالبُ　　وصُرُوف أيّام الفتى تتقلّب
والبؤسُ يتبعه النعيمُ وربّما　　لاقيتَ ما ترجوه فيما ترهب[3]
لا تيأسنَّ وإنْ تضايق مذهبٌ　　فيما تحاول أو تعذّر مطلب
واَنظر إلى عقبى الأمور فعندها　　لله عادةُ فَرْجَةٍ تُتَرَقَّبُ[4]

* * *

ولبعض الأعراب :

فلا تحسبَنْ سجنَ اليمامةِ دائماً　　كما لم يدم عيشٍ بِسَفْحِ ثَبِيْرِ[5]

* * *

١ أنا أروي البيت وثانياً له :

عادني الهم واعتلج　　كلّ ضيق إلى فرج
سلّ عنك الهموم بالـ　　ـكأس والراح تنفرج

٢ ورد البيتان في ر و غ .

٣ لم يرد هذا البيت في غ .

٤ ورد في ر البيتان الثالث والرابع فقط .

٥ في م : بسفح الجبل ، ولا يوجد البيت في ر ولا في غ .

ولحوط بن ذياب الأسدي :

تعلّمني بالعيش عِرْسِيْ كأنّما ... تعلّمني الشيء الذي أنا جاهله[1]

* * *

ولآخر :

يعيشُ الفتى بالفقر يوماً وبالغنى ... وكلٌّ كأنْ لم يلقه حين يذهب
كأنّكَ لم تعدم من الدهر لذّة ... إذا أنت أدركتَ الذي كنتَ تطلب[2]

* * *

تخطي النفوس مع العيا ... ن وقد تصيبُ مع التظنّه
كم من مضيق بالفضا ... ء ومخرج بين الأسنّة

* * *

ولسليمان بن المهاجر البجلي ، من أبيات :

إنّ المساءة قد تسرّ وربّما ... كان السرور بما كرهت جديرا[3]

* * *

وللبحتري :

---

١ لم يرد في غ .

٢ لم يرد البيتان في غ .

٣ لم يرد في غ ، وورد في وفيات الأعيان ١٩٦/٢ مضافاً إليه بيت آخر ، قال : كان أبو سلمة يقال له : وزير آل محمّد ، فلمّا قتل عمل في ذلك سليمان بن المهاجر البجلي :

إنّ المساءة قد تسرّ وربّما ... كان السرور بما كرهت جديرا
إنّ الوزير وزير آل محمّد ... أودى فمن يشناك كان وزيرا

لا ييأس المرء أن يُنجِّيَهُ ما يحسب الناس أنّه عطبه
إنّ سرّك الأمر قد يسوء وكم نوّه يوماً بخامل لقبه[1]

* * *

ولأبي العتاهية :

ولربّما استيأست ثم أقول : لا إنّ الذي ضمن النجاح كريم[2]

* * *

وأنشدني بعض إخواني لسعيد بن حميد[3] ، وقال : فيه [٢٧١ م] لحن من الرمل :

يومٌ عليك مباركٌ ما عشتَ في فرح وطيب
عاد الحبيب لوصله وحجبتَ عن عين الرقيب
وكذا الزمان يدور بال أفراح من بعد الكروب
فاشربْ شراباً نُقْلُهُ تقبيل سالِفَةِ الحبيب[4]
ودع الهمومَ فإنّها تنأى عن الصدر الرحيب
لا بدّ من فرجٍ قريب يأتيك بالعجب العجيب

* * *

---

١ لم يرد البيتان في غ .
٢ لم يرد في غ .
٣ أبو عثمان سعيد بن حميد بن سعيد : ترجمته في حاشية القصّة ٤١ من هذا الكتاب .
٤ السالفة : صفحة العنق عند معلّق القرط ، حرّفت الكلمة الآن إلى : زلف ، ويقصد بها الشعر المتدلي على الصدغ ، ما بين العين والأذن .

وحدّثني علي بن محمّد بن إسحاق الأنصاري الخطمي ، قال : سمعت برامهرمز في سنة إحدى وعشرين وثلثمائة ، مغنّياً يقال له ابن هاني ، يغنّي على الطنبور :

علّل همومك بالمنى ترجى إلى أجل قريب
لا بدّ من صنعٍ قريب يأتيك بالعجب العجيب
لا تيأسنّ وإن أل حّ الدهر من فرج قريب
روّح فؤادك بالرضا ترجعْ إلى رَوْح وطيب

قال : فسألته من قائلها ، فقال : عبيد الله بن عبيد الله بن طاهر .

قال مؤلّف هذا الكتاب : وقريب من البيت الأخير :

حرّك مناكَ إذا اغتمم تَ فإنّهنّ مراوح[1]

* * *

وحدّثني الحسين بن علي بن محمّد ، ويعرف أبوه بالبغدادي النديم ، قال : سمعت عبد الواحد بن حمزة الهاشمي ، من ولد إبراهيم الإمام ، يغنّي على الطنبور ، وكان حاذقاً طيّباً ، لحناً من الرمل :

ليس لي صبر ولا جَلَدُ قد براني الهمّ والسَّهَدُ
من ملمّاتٍ تؤرّقني ما لها من كثرةٍ عددُ
ولعلّ الله يكشفها فيزول الحزنُ والكَمَدُ

* * *

١ لم يرد في غ .

وأنشدني محمّد بن عبد الواحد بن الحسن بن طرخان ، لنفسه ، وقال : لي فيه لحن من الرمل :

هاكها صرفاً تلالا لم يدنّسها المزاج
وٱترك الهمّ لشانيـ ـكَ فللهمّ ٱنفراج

ثم وجدت بعد ذلك ، أنّ إسحاق الموصلي ، ذكر في كتابه «كتاب الأغاني» المعروف بشجا[1] ، أبياتاً لم يسمّ قائلها ، وذكر أنّ فيها للغريض لحناً من الثقيل الثاني بالبنصر ، في مجراها :

يا أبا وهب صفيّي كلّ ضيق لانفراج
اسقني صهباءَ صرفاً لم تدنَّسْ بمزاج[2]

* * *

وقال آخر :

رضيتُ بالله إن أعطى شكرتُ وإن
يمنعْ منعتُ وكان الصبر من عُددي [٣٣٦غ]
إن كان عندك رزقُ اليوم فاطّرحَنْ
عنك الهموم فعند الله رزقُ غدِ[3]

* * *

---

١ شجا ، اسم جارية أهداها اسحاق الموصلي للواثق ، وعمل مصنّفاً في الأغاني سمّاه بٱسمها (الأغاني ٢١١/١٦ و ٢٧٩/١٩) .

٢ لم يرد هذا البيت في م .

٣ سبق إثبات هذين البيتين من قبل ، وقد أعدث إثباتهما من أجل إثبات رقم صفحة غ .

وقال آخر :

سهّل على نفسك الأمورا وكن على مرّها صبورا[1]
فإن ألمّت صروف دهرٍ فلا تكن عندها ضجورا
فكم رأينا أخا همومٍ أعقب من بعدها سرورا
فربَّ عسرٍ أتى بيسرٍ فصار معسوره يسيرا

* * *

وأنشدني أبو الفرج القرشي المعروف بالأصبهاني ، لنفسه ، من قصيدة :

تَعَزَّ ولا تأسى عليّ وتيأس[2] فجدّي محظوظ وأمري مقبل [١١٤ ن]
لعلّ الليالي أن تعود كعهدنا وتجمعنا حالٌ تسرُّ وتجذل
ويعقب هذا البؤس نعمى ، وهمّنا سرورٌ ، وبلوانا سراحٌ معجّل

* * *

وأنشدني سعيد بن محمّد بن عليّ الأزدي البصري المعروف بالوحيد ، لنفسه :

إنّ الزمان عزور[3] له صروف تدور
فٱصبر فربّ ٱغتمامٍ يأتيك منه حبور
وربّ همٍّ تفرّى فلاح منه سرور

* * *

١ كذا ورد في غ ، وفي م : وكن على مرّها وقورا .

٢ كذا ورد في الأصل ، ولعلّ الصحيح : وتبتئس .

٣ العزور : السيء الخلق .

قال مؤلّف هذا الكتاب : ولي في محنة لحقتني ، فكشفها الله تعالى عنّي بتفضّله :

هوّن على قلبك الهموم فكم ... قاسيت همًّا أدّى إلى فرح
ما الشرّ من حيث تتّقيه ولا ... كلّ مخوفٍ مفضٍ إلى ترح

* * *

وأنشدني الأموي ، أبو الفرج المعروف بالأصبهاني ، لنفسه من قصيدة ، أوّلها :

هل مشتكى لغريب الدار ممتحنِ ... أو راحم لوثيق الأسر مرتهنِ

يقول فيها :

كأنّ جلدي سجنٌ فوق أعظمه ... والروح محبوسة للهمّ في البدن
فالحمد لله حمد الصابرين على ... ما ساءني من قضاياه وأفجعني
لعلّ دهري بعد اليأس يسعفني ... بما أحبّ وما أرجو ويعقبني
وأن أنال المنى يوماً وإن طويت ... من فوق جثماني الأثناء من كفني

* * *

وأنشدني لنفسه من قصيدة أوّلها :

لقد بكر الناعي فوثّب[1] أن رأى آر ... تياعي لخطبٍ عزّ فيه التجمّلُ

ويقول فيها :

---

[1] كذا في م ، وفي غ : بنوب ، وأحسب أنّ الصحيح : فثوّب ، يقال : ثوّب الداعي : أي لوّح بثوبه ليرى .

وما زال هذا الدهر يأتي بأضربٍ تسرّ وتبكي كلّها تتنقّل
فلا حَزَنٌ يبقى على ذي كآبة ولا فرحٌ يحظى به من يؤمّل [٣٣٧غ]

* * *

وأنشدني أيضاً لنفسه قصيدة منها :

في ذمّة الله من سارت بسيرهم مسرّتي وأقام الخوف والحرق[1]
لئن أساء بنا دهرٌ قضى شططاً وأرهق النفس همّ حكمه رهق[2]
لقد أناب بعتبى بعد معتبةٍ لجّت عوائقها وامتدّت العلق[3]

* * *

وقال آخر :

يا قارع الباب ربّ مجتهدٍ قد أدمن القرع ثم لم يلج
وربّ مستولج على مهلٍ لم يشق في قرعه ولم يهج
علامَ يسعى الحريصُ في طلب الـ رزق بطول الرواح والدلج
وهو وإن كفّ عنه طالبه الـ رزق ، وإن عاج منه لم يعج
فاطوِ على الهمّ كشحَ مصطبرٍ فآخر الهمّ أوّل الفرج

* * *

وأنشدني أبي رحمه الله ، قال : أنشدتُ لبعضهم :

---

١ أضيف هذا البيت من ﻫ .
٢ في ﻫ : لئن أشطّهم دهر قضى شططاً وأزهق النفس همّ حكمه الزهق
٣ لم ترد هذه الأبيات في ر ولا في غ .

اصحب الدنيا مياومةً وَادفع الأيّام تندفع
وإذا ما ضيقةٌ عرضَتْ فالقها بالصبر تتّسع

* * *

وقريب منه ، ما أنشدناه علي بن هارون بن علي بن يحيى المنجم ، ولم يسمّ قائلاً :

أدرج الأيّام تندرج وبيوت الهمّ لا تلج
ربّ أمر عزّ مطلبه هوّنته ساعة الفرج [1]

* * *

ولابن دريد من قصيدة :

كما لم يكن عصر الغضارة لابثاً كذلك عصر البؤس ليس بلابث [2]

* * *

وأنشدني أبو الفرج عبد الواحد بن نصر بن محمّد المخزومي البصري الكاتب المعروف بالببغاء ، لنفسه :

تنكّبْ مذهبَ الهمج وعُذْ بالصبر تبتهجِ
فإنّ مُظَلِّمَ الأيّا م محجوجٌ بلا حُجَجِ
تسامحنا بلا شكر وتمنعنا بلا حرج
ولطف الله في إتيا نها فتح من اللجج

---

١ لم يرد البيتان في غ .
٢ لم يرد في غ .

فمن ضيق إلى سعة ومن غمّ إلى فرج[1]

* * *

وأنشدني أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن الحجّاج الكاتب البغدادي[2] ، لنفسه من قصيدة :

فسلٍّ عنك الهموم مصطبراً وكن لما كان غير منزعج
كلّ مضيق يتلوه متّسع وكلّ همّ يفضي إلى فرج[3] [٢٧٣ م]

* * *

ولغيره :

تشفّع بالنبيّ فكلّ عبد يجاب إذا تشفّع بالنبيّ
ولا تحرج إذا ما ضقت يوماً فكم لله من لطفٍ خفيّ
وإن ضاقت بك الأسباب يوماً فثق بالواحد الفرد العليّ[4]

* * *

كتب أبو محمّد المهلّبيّ ، وهو وزير ، إلى أبي ، كتاباً بخطّه ، فرأيت فيه

---

١ لم ترد الأبيات في غ .

٢ أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن محمّد بن جعفر بن محمّد بن الحجّاج ، النيلي ، البغدادي : شاعر مفلق ، من كتّاب العصر البويهي ، عذب الشعر ، خال من التكلّف ، غلب عليه الهزل ، اتّصل بالوزير المهلّبي ، وعضد الدولة ، وابن عبّاد ، وابن العميد ، ولي الحسبة ببغداد ، توفي سنة ٣٩١ (الأعلام ٢/٢٤٩) .

٣ لم يرد البيتان في غ .

٤ لم ترد هذه الأبيات في م ولا في غ .

كلاماً يستوفيه[1] ، ويتمثّل عقيبه بهذين البيتين :

لئن دَرَسَتْ أسباب ما كان بيننا   من الودّ ما شوقي إليك بدارسِ [٢٩٣ ر]
وما أنا من أن يجمع الله بيننا   بأحسن ما كنّا عليه بآيسِ[2]

* * *

ولغيره ، مفرد :

وقد يجمع الله الشتيتين بعدما   يظنّان كلّ الظنّ أن لا تلاقيا[3]

[١١٥ ن]

* * *

أنشدني عبيد الله بن محمّد الصروي ، لنفسه ، من أبيات :

وما أنا من بعد ذا آيسٌ   بأن يأذن الله لي في اجتماع
وأتعسُ جدَّ النوى باللقا   وأرغم بالقرب أنف الزماع[4]

* * *

وأنشد أبو العتاهية :

الدهر لا يبقى على حالةٍ   لا بد أن يُقْبِلُ أو يُدْبِرُ
فإن تلقّاك على وهلةٍ   فاصبرْ فإنّ الدهر لا يَصْبِرُ[5]

* * *

---

١ في غ : يتشوّقه .

٢ هذه الفقرة مع البيتين ، لم يردا في ر .

٣ هذا البيت لم يرد في م .

٤ هذان البيتان وردا في غ و م .

٥ لم يرد هذان البيتان في غ .

وقال آخر :

إذا ضيّقت أمراً ضاق جدًّا		وإن هوّنت ما قد عزّ هانا
فلا تهلك لما قد فات غمًّا		فكم شيء تصعّبَ ثمّ لانا[1]

قال مؤلّف هذا الكتاب : إنّ هذا المصراع الأخير ، يشبه قول بشّار بن برد[2] ، وهو من أحسن ما قيل في معناه ، وهو يدخل في مضمون هذا الكتاب ، في باب من نالته شدّة في هواه :

لا يؤيسنَّكَ من مخدّرةٍ		قول تغلّظه وإن جَرَحا
عسر النساء إلى مياسرةٍ		والصعب يمكن بعدما جمحا

ولبشّار خبر مع المهدي ، في هذين البيتين ، ليس هذا موضعه .

* * *

وأخذ المعنى أبو حفص الشطرنجي ، نديم المتوكّل ، فقال :

عَرِّضَنَّ للذي تحبُّ بحبٍّ		ثم دعه يروضه إبليسُ
صابر الحبَّ لا يصدّك عنه		من حبيبٍ تجهّمٌ وعبوسُ
فلعلَّ الزمان يدنيك منه		إنّ هذا الهوى نعيمٌ وبوسُ

وأخبرني من أنشدني الشعر ، أنّ فيه لحناً من خفيف الرمل بالوسطى ، لبعض المغنّين في زمن المتوكّل[3] .

* * *

١ هذان البيتان انفردت بهما ر .

٢ أبو معاذ بشّار بن برد العقيلي (٩٥–١٦٧) : أشعر المولّدين على الإطلاق ، كان ضريراً ، نشأ بالبصرة ، وقدم بغداد ، من مخضرمي الدولتين الأموية والعبّاسية ، (الأعلام ٢/٢٤ و ٢٥) .

٣ لم يرد هذا الخبر في غ .

وفي هاتين القطعتين ، معنى من القول بديع ، نحته عليّة بنت المهدي[1] ، حيث تقول : ولها فيه لحن مشهور ، على ما وجدت أبا الفرج الأصبهاني يذكره في كتابه «الأغاني» الكبير ، وقد ظرّفه :

تحبَّبْ فإنّ الحبَّ داعيةُ الحبِّ ۞ فكم من بعيد الدار مستوجب القرب
تبيّن فإن حُدِّثْتَ أنّ أخا هوىً ۞ نجا سالماً فارجُ النجاةَ من الحبِّ
إذا لم يكن في الحبّ سخطٌ ولا رضى ۞ فأين حلاوات الرسائلِ والكتب[2]

* * *

وللعبّاس بن الأحنف[3] ، في غير هذا المعنى ، ولكنّه من هذا الباب :

أما تحسبيني أرى العاشقين ؟ ۞ بلى ، ثم لست أرى لي نظيرا
لعلّ الذي بيديه الأمور ۞ سيجعل في الكره خيراً كثيرا[2]

قال مؤلّف هذا الكتاب : وقيل لي إنّ في البيت الأوّل منهما لحناً ثاني ثقيل مطلقاً .

ووجدت في بعض الكتب ، البيت الثاني منهما غير منسوب إلى أحد ، وقد جعل قبله بيتاً ، وهو :

تعزّ وهوّن عليك الخطوب ۞ عساك ترى بعد هذا سرورا[2]

---

١ عليّة بنت المهدي بن المنصور (١٦٠–٢١٠) : أميرة عبّاسيّة ، أخت هارون الرشيد وإبراهيم بن المهدي ، أديبة ، شاعرة ، مغنّية ، ظريفة ، فاضلة (الأعلام ١٨٩/٥) .

٢ هذا الخبر ساقط من غ .

٣ أبو الفضل العبّاس بن الأحنف بن الأسود الحنفي اليمامي . شاعر غزل رقيق . أغزل الناس . نشأ ببغداد . ومات بها ، كان شعره كلّه غزلاً وتشبيباً ، وهو خال إبراهيم بن العبّاس الصولي . توفي سنة ١٩٢ (الأعلام ٣٢/٤) .

ووجدت في كتاب أبي القاسم الحسين بن محمّد بن الحسن بن إسماعيل السكوني : حدّثنا إبراهيم بن محمّد ، قال : أنشدنا أحمد بن يحيى ، قال : أنشدنا ابن الأعرابي :

تعزّ وهوّن عليك الأمورا ... عساك ترى بعد هذا سرورا
فإنّ الذي بيديه الأمور ... سيجعل في الكره خيراً كثيرا[1]

وأنشدنيهما أبو عبد الله محمّد بن إسحاق بن يحيى بن علي بن يحيى المنجّم ، وقال لي : فيهما لعريب ، من الثقيل الثاني لحناً .

* * *

وقال آخر :

قرّبت لي أملاً فأصبح حسرة ... ووعدتني وعداً فصار وعيدا
فلأصبرنّ على شقائي في الهوى ... فلربّما عاد الشقيّ سعيدا[2]

* * *

وقال آخر :

لعلّك أن تلاقي في ليالٍ ... وأيّام من الدنيا بقينا
حبيباً نازحاً أمسيت منه ... على يأسٍ وكنتَ به ضَنِينَا[2]

* * *

وأخبرني أبو الفرج المعروف بالأصبهاني : قال : حدّثني أحمد بن محمّد الأسدي ، قال :

---

١ ساقط من غ . وقد جاء في الكتاب مكرراً .
٢ ساقط من غ .

حدّثني محمّد بن صالح بن شيخ بن عميرة ، عن أبيه ، قال : حجب طلّ الخادم عن عليّة بنت المهدي ، فقالت : وصحَّفَتْ اسمه في أوّل بيت :

أيا سروة البستان طالَ تشوّقي فهل لي إلى ظلٍّ لديك سبيل [٢٧٤م]
متى يلتقي من ليس يُقْضَى خروجه وليس لمن يهوى إليه سبيل[١]
عسى الله أن يرتاح – من كربة – لنا فيلقى اغتباطاً خلّة وخليل

* * *

وقال العبّاس بن الأحنف ، ويروى لمحمّد بن دنقش[٢] حاجب المعتصم بالله :

قالوا لنا إنّ بالقاطول مشتانا ونحن نأمل صنع الله مولانا
والناس يأتمرون الرأي بينهمُ والله في كلّ يوم محدث شانا [١١٦ن]

وأنشدنيهما أبو الفرج المعروف بالأصبهاني ، لفضل الشاعرة ، وقال لي : فيهما لعريب لحن ، ولغيرها عدّة ألحان .

* * *

وأنشدني سعيد بن محمّد الأزدي ، المعروف بالوحيد ، لنفسه :

كانتِ على رغم النوى أيّامنا مجموعة النشواتِ والأطراب
ولقد عتبتُ على الزمان لبينهم ولعلّه سيمنّ بالإعتاب
ومن الليالي – إن علمت – أحبّة وهي التي تأتيك بالأحباب

* * *

١ أحسب أنّ الصحيح : وليس لمن يهوى إليه دخول .
٢ في ن : ويروى لمحمد بن حمّاد حاجب المعتصم بالله ، والصحيح ما أثبتناه ، وقد أثبتنا ترجمة محمّد إبن حمّاد دنقش في حاشية القصّة ١٧ من الكتاب .

وأنشدني أيضاً لنفسه [٣٣٨ غ] :

إن راعني منك الصدود　　فلعلّ أيّامي تعود
إذ لا تناولنا يدُ ال　　نعماء إلّا ما نريد
ولعلّ عهدك بالهوى　　يحيي فقد تحيي العهود
فالغصنُ ييبسُ تارة　　وتراه مخضرّاً يميد
إني لأرجو عِطْفَةً　　يبكي لها الواشي الحسود
فرجاً تقرّ به العيونُ　　فينجلي عنها السهود

* * *

وحدّثني علي بن الحسن ، قال : حدّثنا ابن الجرّاح ، قال : حدّثنا ابن أبي الدنيا ، قال : أنشدني محمّد بن إبراهيم .

قال مؤلّف هذا الكتاب : وحدّثني الحسين بن الحسن بن أحمد بن محمّد ابن يحيى الواثقي[١] ، قال : سمعت أبا علي بن مقلة ، ينشد ، في نكبته عقيب الوزارة الأولى ، والإلحاقات من رواية الواثقي :

إذا اشتملت على اليأسِ القلوبُ　　وضاق لما به الصدرُ الرحيبُ
وأوطنت المكارهُ واطمأنّتْ　　وأرست في أماكنها الخطوبُ
ولم تَرَ لانكشاف الضرِّ وجهاً　　ولا أغنى بحيلته الأريبُ
أتاك على قنوطك منه غوثٌ　　يمنّ به القريبُ المستجيبُ
وكلّ الحادثاتِ وإن تناهتْ　　فموصولٌ بها فرجٌ قريبُ[٢]

* * *

١ الحسين بن الحسن بن أحمد بن محمّد بن يحيى الواثقي : نقل عنه التنوخي خبراً في القصّة ٢/٣١ في نشوار المحاضرة ، وقال عنه : قرابة أبي .

٢ الخبر والشعر ساقطان من غ .

وقال آخر :

في كلّ بلوى تصيب المرء عافيةٌ ما لم يُصَبْ بوفاةٍ أو بذي عار
وكلّ خطبٍ يلاقي حدّهُ جللٌ[1] ما لم يكن يوم يُلْقَى فيه في النار[2]

* * *

وأنشدني الفضل بن أحمد بن الفضل الحنّائي ، قال : أنشدني الأمير أبو محمّد جعفر بن ورقاء الشيباني[3] لنفسه ...

قال مؤلّف هذا الكتاب : ورأيت أنا أبا محمّد ، وأنشدني أشياء ، وحدّث بأخبار ، ولم أسمع هذا منه :

الحمد للهِ على ما قضى في المال لمّا حفظ المهجه
ولم تكن من ضيقة هكذا إلّا وكانت بعدها فَرْجَه[4]

* * *

وحدّثني علي بن أبي الطيّب ، قال : حدّثنا ابن الجرّاح ، قال : حدّثنا إبن أبي الدنيا ، قال : أنشدني الحسين بن عبد الرحمن :

لعمرو بُنَيَّ اللَّذَين أراهما جزوعين إنَّ الشيخَ غير جزوع [٢٧٥ م]
إذا ما الليالي أقبلت بإساءة رجونا بأن تأتي بحسنِ صنيع[5]

* * *

---

١ الجلل : تفيد معنيين ضدّين ، فهي بمعنى العظيم ، وبمعنى اليسير الهيّن ومعناها هنا : الهيّن اليسير .

٢ ساقطة من غ .

٣ الأمير أبو محمّد جعفر بن محمّد بن ورقاء الشيباني (٢٩٢–٣٥٢) : أمير من أمراء الدولة العبّاسيّة ، من بيت أمرة وتقدّم وأدب ، تقلّد عدّة ولايات ، وكان المقتدر يجريه مجرى بني حمدان ، وكان شاعراً ، كاتباً (الأعلام ١٢٣/٢) راجع القصّة ٣٤/١ من النشوار .

٤ الخبر والشعر ساقطان من غ .

٥ الخبر والشعر ساقطان من غ .

وحدّثني علي بن أبي الطيّب ، قال : حدّثنا ٱبن أبي الدنيا ، قال : قال رجل من قريش :

حلَبنا الدهرَ أشطرَهُ ومرّت	بنا عُقُبُ الشدائد والرخاء
فلا تأسف على دنيا تولّتْ	ولا تفزع إلى غير الدعاء
هي الأيّام تَكْلُمُنا وتأسو	وتأتي بالسعادة والشقاء

قال مؤلّف هذا الكتاب : البيت الأوّل والثالث من هذه الأبيات ، لعليّ بن الجهم بن بدر من بني سامة بن لؤي ، لمّا حبسه المتوكّل ، من قصيدة مشهورة ، أوّلها :

توكّلنا على ربٍّ السماءِ	وسلّمنا لأسباب القضاء

وهي نيّف وعشرون بيتاً ، وقد رواها الناس له ، وما روى أحد منهم البيت الثاني ، ولا علمت أحداً جاء به ، غير ابن أبي الدنيا .

* * *

وقال آخر :

عسى فرجٌ من حيث جاءت مكارهي	يجيء به من جاءني بالمكاره
عسى مُنْقِذٌ موسى بحسن ٱقتداره	وقد طرحته أمّه في بحاره
سيرتاح لي ممّا أعاني بِفَرْجَةٍ	فينتاشني منها بحسنَ اختياره[1]

* * *

وقال آخر :

---

١ ساقط من غ .

وما نبالي إذا أرواحنا سَلِمَتْ بما فقدناه من مالٍ ومن نَشَبِ
فالمال مكتسبٌ والعزّ مرتجعٌ إذا النفوس وقاها الله من عَطَبِ

* * *

ولمحمود الورّاق :

إذا منّ بالسرّاء عمّ سرورها وإن مسّ بالضرّاء أعقبها الأجر
وما منهما إلّا له فيه مِنَّةٌ تضيق بها الأوهام والوصف والشكر

* * *

وقال مؤلّف هذا الكتاب :

لئن عداني عنك الدهر يا أملي وسلّ جسميَ بالأسقام والعللِ
وشتّ شمل تصافينا وإلفتنا فالدهرُ ذو غِيَرٍ والدهر ذو دُوَلِ
فالحمدُ لله حمدَ الصابرينَ على ما ساء من حادث يوهي قوى الأمَلِ
قد استكنتُ لصَرْفِ الدهر والتحفَتْ عليّ منك غواشي الخوف والوجَلِ
واعتضتُ منك بسقمٍ شأنه جللُ ومن وصالك بالهجران والمللِ
وبعد أمني من غدرٍ ومقليةٍ غدراً تصرّح بالألفاظ والرسَلِ
ومن لقائك لقيا الطبّ أرحمهم فظٌّ ، وأرفقهم مدنٍ إلى الأجلِ
ولست آيس من رجع الوصال ولا عود العوافي ، ولا أمن من السبلِ[1]

* * *

قال : ولي أبيات أيضاً من قصيدة ، في محنة لحقتني ، فكشفها الله تعالى بلطفه عنّي :

---

١ كذا في الأصل ، ولعلّ الصحيح : أمن إلى السبل .

أما للدهر من حكم رضيّ يدال به الشريفُ من الدنيّ
فتستعلي الرؤوس على الذُنابى وينتصف الذكيّ مَن الغبيّ

وأقول فيها :

ومن عاصاه دمعٌ في بلاءٍ فليس بكاء عيني بالعصيّ
وما أبكي لوفرٍ لم يفرهُ زمانٌ خان عهدَ فتىً وفيّ
ولا آسى على زمنٍ تقضّى بعيشٍ ناضرٍ غضٍّ نديّ
ولكن من فراق سراةِ قومٍ عَهِدْتُهُموا شموساً في النديّ
ومن حَدَثٍ يفوّتني المعالي على عهدٍ بها حَدَثٍ فتيّ
وأنّ يدي تقصّر عن هلاكِ آلـ عدوِّ وعن مكافاةِ الوليّ [٢٧٦ م]
وما تغني الحوادث إن ألمّت سوى قلبٍ عن الدنيا سخيّ [٣٣٩ غ]
وصبر ليس تنزحه الليالي كنزح الدلو صافية الركيّ
وليس بآيس من كان يخشى ويرجو الله من صنع قويّ

* * *

قال : ولي قصيدة قلتها بالأهواز ، لمّا صرفت في الدفعة الأولى من تقليدي القضاء ، بالأهواز ، وقُبِضَتْ ضيعةٌ من ضياعي ، فخرجت إلى بغداد أطلبها[1] ، وبلغني عن أعداء لي ، إظهار شماتة بالحال ، وتعصّب للصارف :

لئن أشمتَ الأعداء صرفي ومحنتي فما صرفوا فضلي ولا ارتحل المجدُ
مقامٌ وترحالٌ وقبضٌ وبسطةٌ كذا عادة الدنيا وأخلاقها النَكَدْ

١ قصّ التنوخيّ علينا قصّة قبض ضيعته ، وكان الذي قبضها الوزير أبو الفرج محمّد بن العبّاس بن فسانجس لمّا ولي الوزارة سنة ٣٥٩ (القصّة ٨٠ وتجارب الأمم ٢/٢٦٠-٢٦٤) ، كما أخبرنا أنّه صرف عن القضاء في نفس السنة أي سنة ٣٥٩ ، وأعيد إليه في السنة ٣٦٢ (القصّة ٣٢٨) .

وما زلتُ جَلْداً في الملمّات قبلها ولا غرو في الاحيان أن يُغْلَبَ الجلْدُ
فكم ليث ، غابٍ شرّدته ثعالبٌ وكم من حسامٍ فلّه غِيْلَةً غِمْدُ
وكم جيفةٍ تعلو وترسب درّةٌ ومنحسة تقوى إذا ضعف السعد
ألم تر أنّ الغيث يجري على الربى فيحظى به إن جاد صيّبه الوهد
وكم فرج والخطب يعتاق نيله يجيء على يأس إذا ساعد الجَدُّ
لقد أقرض الدهر السرور فإن يكن أساء اقتضاءً فالقروض لها ردّ[1]
فكم فرحةٍ تأتي على إثر ترحةٍ وكم راحة تطوى إذا اتصل الكدّ
وكم منحة من محنة تستفيدها ومكروه أمرٍ فيه للمرتجي رِفْدُ
على أنني أرجو لكشف الذي عرا مليكاً له في كلّ نائبة رَفْدُ
فيمنع منّا الخطبَ ، والخطبُ صاغرٌ وتمسي عيون الدهر عنّا هي الرمد
ونعتاض باللقيا من البين أعصراً مضاعفةً تبقى ويستهلك البعد
ونضحي مراحى[2] قد غنينا عن الغنى «بيا راهبي نجران ما صنعَت هند»

* * *

ولي أيضاً من قصيدة في محنة أخرى :

أعيا دواي أساته ودواءهم فغدوت لا أرجو سوى المتطوّل
ربٌّ عليه في الأمور توكّلي هو عدّتي في النائبات وموئلي
سيتيح مما قد أقاسي فَرْجَةً فيغيثني منه بحسنِ تفضّل[3]

* * *

---

١ ساقط من غ .
٢ المرح : الذي تجاوز سروره ونشاطه القدر ، جمعه مرحى ومراحى .
٣ هذه الأبيات لم ترد في غ .

وقال آخر :

فصبراً أبا جعفر إنّه مع الصبر نصرٌ من الصانع
فلا تيأسَنْ أن تنال الذي تؤمّل من فضله الواسع [1]

* * *

وقال آخر :

وإذا ضاق زمانٌ بامرىء كان فيه عند ضيق متّسع [1]

* * *

وقال آخر :

قد ينعم الله بالبلوى وإن عظمت ويبتلي الله بعضَ القوم بالنعم [1]

* * *

ولمحمود الورّاق :

صابر الدهرَ على كرِّ النوائبْ من كنوز البرّ كتمان المصائب
والْبَس الدهرَ على عِلّاتِهِ تجد الدهرَ مليئاً بالعجائب [1]

* * *

وأنشدني الوحيد لنفسه :

عليك رجاء الله ذي الطَوْل والعطفِ بجملة ما تبدي من الأمر أو تخفي
فقد خلق الأيّام دائرة بنا تقلّبنا من كرّ صَرْفٍ إلى صَرْفِ

---

١ ساقطة من غ .

فكم فرجٍ لله يأتي مرفرفاً على خافق الأحشاء في تلف مُشْفِ
فلا تمكنَنْ من طَرْفك اليأسَ والأسى لعلّ الذي ترجوه في مرجَع الطَرْف
وصبراً جميلاً إنّ لله عادة مجرّبة ، إتباعه العَسْفَ باللُّطفِ[1]
[١١٧ ن]

* * *

وقال ابن بسّام[2] :

ألا ربَّ ذلٍّ ساقَ للنفسِ عزّةً ويا ربَّ نفسٍ للتعزّزِ ذلَّتِ
تبارك رزّاق البريّة كلّها على ما رآه ، لا على ما استحقّتِ
فكم حاصلٍ في القيدِ والبابُ دونه ترقّت به أحواله وتعلّتِ
تشوب القذى بالصفوِ والصفوَ بالقذى ولو أحسنَتْ في كلّ حال لملَّتِ[٢٧٧ م]
سأصدق نفسي إنّ في الصدق راحة وأرضى بدنيايَ ، وإن هي قلّتِ
وإن طرقتني الحادثات بنكبةٍ تذكّرتُ ما عوفيتُ منه فقلّتِ
وما محنةٌ إلّا ولله نعمةٌ إذا قابلَتْها أدبرتْ واضمحلّتِ[1]

* * *

وأنشدني أبو الفرج المخزومي المعروف بالببغاء ، لنفسه :

كل الأمورِ إلى من به تتم الأمور

---

١ لم ترد الأبيات في غ .
٢ أبو الحسن علي بن محمّد بن نصر بن منصور المعروف بابن بسّام (٢٣٠-٣٠٢) : شاعر ، كاتب ، أديب ، أخباري ، بغدادي ، من بيت كتابة ، وتقلّد البريد ، وألّف عدّة كتب ، شعره رائق ، وأكثره في الهجاء (الأعلام ٥/١٤١) .

وأفزع إليه إذا لم يجرك عجزاً مجير[1]
وكلّ صعبٍ عسيرٍ عليه سهل يسير

* * *

ولآخر :

أيّها الإنسان صبراً إنّ بعد العسر يسرا
اشرب الصبر وإن كا ن من الصبر أمرّا

* * *

وقال آخر :

كأنّك بالأيّام قد زال بؤسها وأعطتك منها كلّ ما كنتَ تطلب
فترجع عنها راضياً غير ساخطٍ وتحمدها من بعد ما كنت تعتب[1]

* * *

وحدّثني الحسن بن صافي مولى ابن المتوكّل القاضي ، قال : قرأت على حائط مسجد مكتوباً بالفحم :

ليس من شدّة تصيبك إلّا سوف تمضي وسوف تُكْشَفُ كشفا
لا يَضِقْ ذَرْعُكَ الرحيب فإنّ الـ ـنار يعلو لهيبها ثم تطفا
كم رأينا من كان أشفى على الهَلْـ ـكِ فوافت نجاته حين أشفى[1]

* * *

وقال آخر :

---

١ ساقط من غ .

الدهرُ خِدْنٌ مصافٍ ذو مخادعةٍ لا يستقيم على حالٍ لإنسان
حلوٌ ومرٌّ وجمّاعٌ وذو فَرَقٍ يخالط السوء منه فرط إحسان[1]

* * *

وقال آخر :

لئن قُدّمت قبلي رجالٌ ، لطالما مشيتُ على رسلي وكنت المقدّما
ولكنّ هذا الدهر يعقب صَرْفُهُ فيبرم منقوضاً وينقض مبرما[1]

* * *

وأنشدني أبو الفرج الببغاء لنفسه :

كم كربةٍ ضاق صدري عن تحمّلها فملت عن جَلَدي فيها إلى الجزع
ثم استكنتُ فأدّتني إلى فرجٍ لم يجر بالظنّ في يأس ولا طمع[1]

* * *

وأنشدني سيدوك الواسطي[2] لنفسه من قصيدة :

أبى الله إلّا أن يغيظ عباده بجلسته تحت الشراع المطنّب
إلى أن يموت المرء يرجو ويتّقي ولا يعلم الإنسان ما في المغيّب[1]

* * *

١ ـ ساقط من غ .
٢ أبو طاهر عبد العزيز بن حامد بن الخضر الواسطي المعروف بسيدوك : روي عنه شعره أبو القاسم وأبو الجوائز الواسطيّان ، توفي سنة ٣٦٣ (فوات الوفيات ٥٧٦/١ واليتيمة للثعالبي ٣٧٢/٢) .

وأنشدني سعد بن محمّد بن علي الأزدي ، المعروف بالوحيد لنفسه :

يا نفسَ كوني لرَوْح الله ناظرة ... فإنّه للأماني طيّب الأرج
كم لحظة للك مخلوس تقلّبها ... كانت مدى لك بين اليأس والفرج[1]

* * *

وأنشدني طلحة بن محمّد المقرىء الشاهد[2] ، قال : أنشدني نفطويه[3] ، ولم يسمّ قائلاً :

أتيأس أن يساعدك النجاح ... فأين الله والقدرُ المتاح
هي الأيّام والنعمى ستجزي ... يجيء بها غُدُوٌّ أو رواح[1]

* * *

وقال آخر :

إذا اشتدّ عسرٌ فارجُ يسراً فإنّه ... قضى الله أنّ العسرَ يتبعه اليسرُ
عسى فرج يأتي به الله إنّه ... له كلّ يوم في خليقته أمرُ
فكن عندما يأتي به الدهر حازماً ... صبوراً فإنّ الحزم مفتاحه الصبرُ
فكم من همومٍ بعد طولٍ تكشّفتْ ... وآخر معسور الأمور له يسرُ[1]

* * *

١ لم ترد في غ .
٢ أبو القاسم طلحة بن محمّد بن جعفر ، المقرىء ، الشاهد : ترجمته في حاشية القصّة ٢٢٩ .
٣ أبو عبد الله إبراهيم بن محمّد بن عرفة الأزدي (٢٤٤–٣٢٣) : من أحفاد المهلّب بن أبي صفرة ، إمام في النحو ، فقيه ، رأس في مذهب داود ، سند في الحديث ، ثقة ، مع مروءة وفتوّة وظرف ، ولد بواسط وتوفّي ببغداد (الأعلام ١/٥٧) .

وقال آخر :

وأكثر ما تلقى الأماني كواذباً فإن صدقت جازت بصاحبها القدرا
وآخر إحسان الليالي إساءة على أنّها قد تُتْبِعُ العُسُرَ اليسرا[1]

* * *

ولأبي صفوان القديدي البصري[2] من أبيات إلى إبراهيم ابن المدبّر لمّا عزل عن البصرة :

لا تجزعنّ فإنّ العسر يتبعه يسرٌ ولا بؤس إلّا بعده ريف
وللمقادير وقت لا تَجَاوَزُهُ وكلّ أمر على الأقدار موقوف
وربّ من كان معزولاً فيعزل مَنْ وُلّي عليه وللأحوال تصريف
فكم عزيزٍ رأينا بات محتجباً فصار يحجب عن قوم به خيفوا[1]

* * *

وقال أبو الشبل عاصم بن وهب التميمي ، البرجمي ، البصري[3] [٢٧٨ م] من قصيدة :

من ذا رأيت الزمان أيسره فلم يشب يسره بتعسير
أم هل ترى عسرة على أحد دامت فلم تنكشف بتيسير[1]

* * *

١ لم ترد في غ .
٢ جاء في حاشية م : وإنّما قيل له القديدي ، لأنّه ابن قديد بن نصر بن سيار أمير خراسان في أيّام بني أميّة .
٣ أبو الشبل عاصم بن وهب البرجمي : شاعر ، كوفي ، نشأ وتأدّب بالبصرة ، نادم المتوكّل ، ونفق عنده بإيثاره العبث ، راجع ترجمته في الأغاني ١٤/١٩٣–٢١٠ وفي نهاية الأرب ٣/٦٣–٦٥ .

وجدت بخطّ أبي الحسين بن أبي البغل الكاتب[1] :

ليس لما ليست له حيلة　　إلّا عزاء النفس والصبر
وخير أعوان أخي محنةٍ　　صبرٌ إذا ضاق به الصدر
والمرء لا يبقى على حالة　　والعسر قد يتبعه اليسر[2]

* * *

وقال آخر :

صبراً قليلاً فإنّ الدهر ذو غِيَرٍ　　ما دام عسرٌ على حالٍ ولا يسر [١١٨ ن]
قد يرحم المرء من تغليظ محنته　　وليس يعلم ما يجني له القدر
والدهر حلوٌ ومرٌّ في تصرّفه　　خير وشرٌّ وفيه العسر واليسر[2]

* * *

أنشدني محمّد بن إسحاق بن يحيى بن علي بن يحيى المنجّم ، وأخبرني أنّ فيه لحناً من المهجوع قديماً :

كن عن همومك معرِضا　　وَكِلِ الأمورَ إلى القضا
وأبشر بطول سلامةٍ　　تسليك عمّا قد مضى

* * *

---

١ أبو الحسين محمّد بن أحمد بن يحيى المعروف بابن أبي البغل : من رجال الدولة العبّاسيّة ، كان عاملاً على أصبهان ، ورغب في الوزارة ، وتوسّطت له أمّ موسى القهرمانة ، وأحسّ الخاقاني الوزير بالأمر ، فقبض عليه ، واستنقذته أمّ موسى ، فأعيد إلى أصبهان ، ولمّا قبض على أمّ موسى ، صرف عن عمله ، وصودر أوّلاً ، وثانياً ، واعتقل ، وكان في خشية القتل لمّا ورد الخبر بعزل الوزير ابن الفرات ، فكتب في تقويم لديه : اليوم ، ولد محمّد بن أحمد بن يحيى (يعني نفسه) وله إحدى وثمانون سنة (تجارب الأمم ٢١/١ ، ٤٣ و ٨٤ ، ١٤٠ ، والوزراء ٥١–٣٨٢) .

٢ لم ترد في غ .

وأنشدني علي بن أبي طالب بن أبي جعفر بن البهلول التنوخي ، قال : أنشدنا جدّي القاضي أبو جعفر ، لنفسه :

فصبراً وإمهالاً فكلّ ملمّة   سيكشفها الصبر الجميل فأمهل

وأنشدنا ، قال : أنشدني جدّي القاضي أبو جعفر ، لنفسه أيضاً :

وقد يأمل الإنسان ما لا يناله   ويأتيه رزق الله من حيث ييأس [٣٤٢غ]

* * *

وأنشدني أيضاً ، قال : أنشدني جدّي القاضي أبو جعفر ، لنفسه :

إذا استصغرتَ من دنياك حالاً   ففكّر في صروف كنت فيها
وأحدِثْ شكر من نجّاك منها   وأبدلها بنعمى ترتضيها

* * *

وقال آخر :

الدهر إعراض وإقبال   وكلّ حال بعدها حال
وصاحب الأيّام في غفلةٍ   وليس للأيّام إغفال
ما أحسن الصبر ولا سيّما   بالحرّ إن حالت به الحال

* * *

وأنشدني محمّد بن بشير مولى الأزد[٢] لنفسه :

---

١ أبو الحسن علي بن أبي طالب محمّد بن أبي جعفر أحمد بن إسحاق بن البهلول التنوخي : ترجمته في حاشية القصّة ٤٧٨ من هذا الكتاب .

٢ في هـ : وأنشدني نصير بن محمّد الأزدي ، مولى الأزد .

إنّي رأيت وللأيّام تجربةٌ ... للصبر عاقبة محمودة الأثر
فاْصبر على مضض الإدلاج في السحر ... وفي الرواح إلى الحاجات والبكر
لا يعجزَنْكَ ولا يضجرك مطلبها ... فالنجح يتلف بين العجز والضجر
وقلّ من كان في أمر يحاوله ... واْستنجد الصبرَ إلّا فاز بالظفر[1]

* * *

وأخبرني أبو عبيد الله المرزباني ، قال : أخبرنا أبو بكر بن دريد ، قال : أخبرنا أبو عثمان الأشناندانيّ[2] [عن] التوزي ، عن الأصمعي ، قال : بلغني أنّ الأشتر[3] دخل على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب سلام الله عليه .

وحدّثني أحمد بن محمّد الجوهري[4] ، قال : حدّثنا محمّد بن جرير[5] ، قال : حدّثنا عمر بن شبه[6] ، قال : حدّثنا علي بن محمّد المدائني[7] ، قال :

---

١ هذا البيت ساقط من غ.

٢ أبو عثمان الأشناندانيّ : صاحب كتاب المعاني . ذكره صاحب اللباب ٥٣/١ وقال إنّه أخذ العلم عن أبي محمّد التوزي ، وروى عنه أبو بكر بن دريد ، وإنّ نسبته إلى الأشناندان ، ومعناه بالفارسيّة : موضع الأشنان .

٣ مالك بن الحارث بن عبد يغوث النخعي ، المعروف بالأشتر : أمير ، جواد ، عالم ، فصيح ، شاعر ، من كبار الشجعان ، كان رئيس قومه ، أدرك الجاهلية ، وأقام بالكوفة ، ولّاه الإمام عليّ بن أبي طالب ، مصر ، فقصدها ، فمات في الطريق سنة ٣٧ ، فقال علي : رحم الله مالكاً ، فقد كان لي كما كنت لرسول الله (الأعلام ١٣١/٦) .

٤ أبو بكر أحمد بن محمّد بن عبد الله الجوهري : ترجم له الخطيب في تاريخه ٤٤/٥ .

٥ الإمام أبو جعفر محمّد بن جرير الطبري ، صاحب التفسير والتاريخ : ترجمته في حاشية القصّة ١٥ .

٦ أبو زيد عمر بن شبّة بن عبيدة بن ريطة النميري البصري (١٧٢–٢٦٢) : شاعر ، راوية ، مؤرّخ ، حافظ للحديث ، بصري ، توفّي بسامرّاء (الأعلام ٢٠٦/٥) .

٧ أبو الحسن علي بن محمّد بن عبد الله المدائني (١٣٥–٢٢٥) : ترجمته في حاشية القصّة ٥٨ .

حدّثنا أبو إسحاق المالكي[1] ، قال : دخل الأشعث بن قيس[2] على أمير المؤمنين [٢٨٠ م] علي عليه السلام ، وهو قائم يصلّي ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أدؤوب بالليل [١١٢ ن] ، ودؤوب بالنهار ، فانفتل علي عليه السلام ، وهو يقول :

إصبر على مضض الإدلاج في السحر
وفي الرواح إلى الحاجات والبكر
لا تضجرنّ ولا يحزنك مطلبها
فالنجح يتلف بين العجز والضجر [٢٩٤ ر]
إنّي رأيت وفي الأيّام تجربة
للصبر عاقبة محمودة الأثر
وقلّ من لجّ في شيء يطالبه
واستشعر الصبر إلّا فاز بالظفر[3]

* * *

وأخبرني أبو عبيد الله ، قال : حدّثني الحسن بن محمّد المخرمي[4] ، قال : حدّثنا محمّد بن عثمان بن أبي شيبة[5] ، قال : حدّثنا أحمد بن طارق[6] ، قال :

---

١ أبو إسحاق أميرك بن إبراهيم بن أحمد بن محمّد بن مالك المعافري الغزالي المالكي : نسبته الى جدّه مالك بن بكر بن حبيب ، بطن من تغلب ، ذكره صاحب اللباب ٨٦/٣ .

٢ أبو محمّد الأشعث بن قيس بن معد يكرب الكندي : ترجمته في حاشية القصّة ١٩٢ .

٣ هذا الخبر ساقط من غ .

٤ أبو سعيد الحسن بن محمّد بن الحسن بن جبير الصيرفي المخرمي : ترجم له الخطيب في تاريخه ٤٢١/٧ .

٥ أبو جعفر محمّد بن عثمان بن أبي شيبة إبراهيم بن عثمان : ترجم له الخطيب في تاريخه ٤٢/٣–٤٧ وقال انّه سكن بغداد ، وحدّث بها ، وبها مات سنة ٢٩٧ ، وكان كثير الحديث ، واسع الرواية ، ذا فهم ومعرفة .

٦ أحمد بن طارق الكركي المحدّث : ذكره صاحب ميزان الاعتدال ١٠٥/١ .

حدّثنا عمر بن ثابت[1] ، عن أبيه[2]، عن حبّة بن جوين[3] ، قال :

رأيت أمير المؤمنين عليًّا عليه السلام ، فقال لي : يا حبّة ، ما لي أراك أصبحت مهموماً ؟.

فقلت : يا أمير المؤمنين ، عليّ لأمر محاولة .

فقال : لا تضجر ، أما علمت ما قلتُ في الصبر .

فقلت : وما هو ؟

فقال :

إصبر على مضض الإدلاج في السحر وفي الرواح إلى الحاجات والبكر

وذكر بقيّة الأبيات[4] .

* * *

وقال آخر [٢٩٤ ر] ، وفيه صنعة :

قد فرّج الله من الهجر ونلت ما آمل بالصبر
في ساعة اليأس أتاني المنى كذاك تأتي دول الدهر

* * *

وقال آخر :

ما أحسن الصبر في الدنيا وأجمله عند الإله وأنجاه من الكرب

---

١ كذا في الأصل ، والاسم الصحيح : عديّ بن ثابت الأنصاري الكوفي : ترجم له صاحب الخلاصة ٢٢٣ وقال إنّه توفّي سنة ١١٦ .

٢ ثابت بن قيس بن الحطيم الأنصاري : والد عديّ السابقة ترجمته ، ترجم له صاحب الخلاصة ٤٩

٣ أبو قدامة حبّة بن جوين العرني الكوفي : ترجم له صاحب الخلاصة ، ٦٠ وقال إنّه توفّي سنة ٧٦ .

٤ هذا الخبر ساقط من غ .

من شدّ كفًّا بصبرٍ عند نائبة ألوت يداه بحبلٍ غير منقضب[1]

* * *

وقال آخر :

ما أحسن الصبر في مواطنه والصبر في كلّ موطن حَسَنُ
حسبك من حسنه عواقبه عاقبة الصبر ما لها ثَمَنُ

* * *

وقال آخر :

إن خفتَ من خطبٍ ألمَّ فبعده فَرَجٌ يرجّى عنده ويخاف
فاْصبر على قُحَمِ[2] النوائب مثلما صَبَرَتْ لها آباؤك الأشراف

* * *

وأنشدت لعمرو بن معد يكرب الزبيدي :

صبرتُ على اللّذات لمّا تولّت وألزمتُ نفسي الصبرَ حتّى استمرّتِ[3]
وكانت على الأيّام نفسي عزيزةً فلمّا رأت صبري على الذلّ ذَلَّتِ[4]
فقلتُ لها يا نفس عيشي كريمةً لقد كانت الدنيا لنا ثم وَلَّتِ [٣٤٠غ]
وما النفس إلّا حيث يجعلها الفتى فإن أُطْمِعَتْ تَاقَتْ وإلّا تَسَلَّتِ
فكم غمرةٍ دافعتها بعد غمرةٍ تجرّعتُها بالصبر حتّى تَوَلَّتِ

---

١ انقضب : انقطع .
٢ القحمة ، وجمعها قُحَم : المهلكة .
٣ البيت من غ .
٤ تكرّر ورود هذا البيت ، راجع ص ٦ .

أخبرني محمّد بن الحسن بن المظفر ، قال : أنشدني الحسن بن القاسم المؤدّب ، قال : أنشدنا محمّد بن القاسم بن بشّار الأنباري[1] ، لأبي العتاهية :

الدهر لا يبقى على حالة لا بدّ أن يقبلَ أو يدبرا
فإن تلقّاك بمكروهِهِ فاصبرْ فإنّ الدهر لن يصبرا

* * *

ولعلي بن الجهم :

هي النفس ما حمّلتها تتحمّلُ وللدهر أيّام تجور وتعدل
وعاقبة الصبر الجميل جميلة وأفضل أخلاق الرجال التجمّل

* * *

وللواثق بالله :

هي المقادير تجري في أعنّتها فاصبر فليس لها صبر على حال
يوماً تريك وضيع القوم مرتفعاً إلى السماء ويوماً تخفض العالي

* * *

ولسعيد بن حميد الكاتب :

لا تعتبنّ على النوائبْ فالدهر يرغم كلّ عاتبْ
واصبر على حدثانه إنّ الأمور لها عواقب [٢٨٠ م]
ما كلّ من أنكرتَهُ ورأيت جفوته تعاتب

---

١ أبو بكر محمّد بن القاسم بن بشّار الأنباري : ترجمته في حاشية القصّة ٤٨١ .

ولكلّ صافية قذى ولكلّ خالصة شوائب
والدهر أولى ما صبر ت له على رنق المشارب
كم نعمةٍ مطويّةٍ لك بين أثناء النوائب
ومسرّة قد أقبلت من حيث تُنْتَظَرُ المصائب

* * *

ووجدت بخطّ أبي الحسين بن أبي البغل الكاتب ، من أبيات ؛ ولم أجده نسبه إلى نفسه :

فصبراً على حلوِ القضاء ومُرِّهِ فإنّ اعتياد الصبر أدعى إلى اليسر
وخير الأمور خيرهنّ عواقباً وكم قد أتاك النفع من جانب الضرّ
ومن عِصَمِ[1] الله الرضا بقضائه ومن لطفه توفيقَهُ العبد للصبر

ثم وجدت في كتاب أبي عبد الله محمّد بن العبّاس اليزيدي[2] ، الذي ألّفه فيمن رثى ما لا يرثى مثله ، وعليه ترجمة بخطّ الصولي : مراثي البهائم ، والنبات ، والأعضاء ، وغير ذلك ، قصيدة نسبها اليزيدي إلى ابن أبي البغل ، وذكر بخطّه أيضاً ، أنّه عارض بها في سنة ثمان وثلثمائة [قصيدة] يرثي بها سنّوراً له لمّا حبس ، وهي تزيد على مائة وخمسين بيتاً ، وهي حسنة ، كثيرة الحِكَم ، فاخترت منها ما يجري مجرى الأبيات الثلاثة المتقدّمة ، لأنّي وجدتها فيها ، وبعدها :

وإنّي لأرجو الله يكشفُ محنتي ويسمع للمظلوم دعوةَ مضطرّ
فيرأبُ ما أثأى[3] ، ويعطف ما ٱلتوى ويعدل ما استوحى ويجبر من كسري

---

١ العصمة : ملكة اجتناب المعاصي أو الخطأ .

٢ أبو عبد الله محمّد بن العبّاس بن محمّد بن يحيى بن المبارك : ترجمته في حاشية القصّة ٦٣ .

٣ الثأي : الخرم والفتق ، وأثأى في القوم : قتل وجرح منهم .

لقد عجمتني الحادثات مثقّفاً | إذا ضاقه همٌّ ثناه إلى الصبر
وما حَزَني أن كرّ دهري بصرفه | عليّ ولكن أن يفوت له وتري
فإن فاتني وتري فأيسرُ فائت | إذا أنا عوّضتُ الثوابَ من الوفر [1]
ولطف كفايات الإله مبشّري | بنيل الذي أمّلت لا بيدٍ صفر
فإن يهل البحرُ آمرأً فهو آملٌ | بلوغ الغنى فيما يهول من البحر [2] [١١٩ ن]
وربّ مضيقٍ في الفضاء وورطٍ [3] | رأى مخرجاً بين المثقّفةِ السمرِ

* * *

ووجدتُ بخطّه أيضاً لبعض الشعراء :

ليس لمن ليست له حيلة | موجودة خير من الصبر
والصبر مرٌّ ليس يقوى به | غير رحيب الذرع والصدر [٣٤٠ غ]
أَلْقِ فضولَ الهمّ عن جانبٍ | وافزع إلى الله من الأمر

وذكر إسحاق الموصلي في كتاب «شجا» أنّ في الأوّل مع بيتين ذكرهما غير هذا الثاني والثالث ، لحن من الثقيل الأوّل ، بإطلاق الوتر في مجرى البنصر [4] .

* * *

وقال آخر :

وما التحفَ الفتى بالصبر إلّا | وكفَّتْ عنه أيدي النائبات

---

١ هذا البيت والثلاثة التي قبله ساقطة من غ .
٢ ساقط من غ .
٣ الورطة : كل أمر تعسر النجاة منه ، والوارط : الواقع في الورطة .
٤ هذه الفقرة ساقطة من غ .

وذو الصبر الجميل يفيد عزًّا ويكرم في الحياة وفي الممات [1]

* * *

ووجدت بخطّ القاضي أبي جعفر بن البهلول التنوخي لبعض الشعراء :

الصبر مفتاح ما يرجّى وكلّ خير به يكون
فاصبر وإن طالت الليالي فربّما طاوع الحرون
وربّما نيل باصطبارٍ ما قيل هيهات أن يكون

* * *

ولأبي الحسين الأطروش المصري من أبيات :

ما زلت أدمغ شدّتي بتصبّري حتى استرحت من الأيادي والمنن
فاصبر على نوب الزمان تكرّماً فكأنّ ما قد كان منها لم يكن

* * *

حدّثني علي بن أبي الطيّب ، قال ، حدّثنا ابن الجرّاح ، قال : حدّثنا ابن أبي الدنيا ، قال : حدّثنا أبو الحسن الحنطبي [2] ، قال : قال هشام بن عبد الذماري [3] : أثاروا قبراً بذمار فأصابوا فيه حجراً مكتوب فيه :

---

١ لم يرد في غ .

٢ الحنطبي : نسبة إلى حنطب ، من بني مخزوم (اللباب ١/٣٢٤) .

٣ أحسب أنّ الاسم الصحيح : أبو هشام عبد الملك بن عبد الرحمن الذماري الصنعاني ، ذكره صاحب الخلاصة ٢٠٧ ، ومعجم البلدان ٢/٧٢١ في مادة : ذمار ، قال عنه إنّه كان يلقّب مزنة ، وكان زاهد دمشق ، وولي القضاء بها ، والذماري : نسبة إلى ذمار ، قرية باليمن ، قرب صنعاء (معجم البلدان ٢/٧٢١) .

اِصبر لدهرٍ نال منـ ـك فهكذا مضت الدهور
فرح وحزن مرّة لا الخوف دام ولا السرور [٢٨١ م]

* * *

وقال آخر :

اِصبر على الدهر إن أصبحت منغمساً بالضيق في لجج تهوي إلى لجج
فإن تضايق أمر عنك مُرْتَتَجاً فاطلب لنفسك باباً غير مرتَتَجِ [1]
لا تيأسنَّ – إذا ما ضقت – من فرجٍ يأتي به الله في الروحات والدَلَجِ
فما تجرّع كأسَ الصبر معتصمٌ بالله إلّا أتاه اللهُ بالفرجِ

وأنشدنيهما أبو إسحاق إبراهيم بن علي الهجيمي [2] بالبصرة ، وقد أتت عليه يومئذ مائة سنة وثلاث سنين ، قال : أنشدت لبعضهم : وجعل أوّلها : لا تيأسنَّ ، والثاني : فإن تضايقَ ، والثالث : فاصبر على الدهرِ ، والرابع فما تجرّعَ .

* * *

وقال آخر :

وألزمتُ نفسي الصبرَ في كلّ محنةٍ فعادت بإحسانٍ وخيرٍ عواقبه [٢٩٥ ر]
ومن لم ينط بالصبر والرفق قلبه يكن غرضاً أودت بنبل جوانبه

* * *

١ ارتتج على الخطيب : استغلق عليه الكلام ، وأرتج الباب : أغلق ، والمرتاج : ما يغلق به الباب .
٢ الهجيمي : النسبة إلى بني الهجيم ، بطن من تميم ، أو إلى المحلّة التي نزلها بنو الهجيم بالبصرة (اللباب ٣/٢٨٥) .

وقال آخر :

وإنّي لأغضي مقلتيّ على القذى　　وألبس ثوب الصبر أبيض أبلجا[1]
وإنّي لأدعو اللهَ والأمر ضيّقٌ　　عليّ فما ينفكّ أن يتفرّجا
وكم من فتى سدّت عليه وجوهه　　أصاب لها في دعوةِ اللهِ مخرجا [٣٤٤غ]

* * *

ولمحمّد بن يسير[2] :

إنّ الأمور إذا انسدّت مسالكها　　فالصبر يفرج منها كلّما رتجا
لا تيأسنّ وإن طالت مطالبة　　إذا استعنت بصبر أن ترى فرجا
أخلِقْ بذي الصبر أن يحظى بحاجته　　ومدمنِ القرعِ للأبواب أن يلجا[1]

* * *

وقريب منه لمدرك بن محمّد الشيباني[3] على ما وجدته في كتاب :

مستعمل الصبر مقرونٌ به الفرجُ　　يبلى فيصبر والأشياء ترتتج
حتى إذا بلغت مكنون غايتها　　جاءتك تَزْهَرُ في ظلمائها السُرُجْ
فاصبر ، ودم ، واقرع الباب الذي طلعت　　منه المكاره فالمغرى به يلج

١ هذا البيت لم يرد في ر .
٢ محمّد بن يسير الأسدي : ترجم له ابن قتيبة ، في الشعر والشعراء ٥٦٠ و ٥٦١ ، وذكر له هذه الأبيات ، وأبياتاً أخرى كلّها من عيون الشعر وقال عنه إنّه كان في عصر أبي نؤاس ، وعمّر بعده حيناً ، وترجم له صاحب الأغاني ترجمة مفصّلة ١٤/١٧-٥٠ .
٣ أبو القاسم مدرك بن محمّد الشيباني الشاعر : نظم في جميع أغراض الشعر ، ولكنّه اشتهر بالغزل ، ترجم له الخطيب البغدادي ٢٧٣/١٣ ، راجع القصّة ١٣٢/٤ من كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للتنوخي .

بقدرة الله فأرض اللهَ وأرج به فعن إرادته الغمّاء تنفرج[1]

ووجدت في نسخة عتيقة من شعر أبي عبد الرحمن العطوي ، هذه الأبيات منسوبة إليه ، وفيها ألفاظ مختلفة ، فألحقتها تحت الرواية الأولى المنسوبة إلى مدرك .

* * *

ووجدت في هذه النسخة لأبي عبد الرحمن العطوي[2] ، أبياتاً منها :

ينوب الخطب أوّله غليل وآخره شفاء من غليل
وكم من خلّة كانت إلى ما يجيش عنانه أهدى سبيل
وكم غادٍ مسيف[3] ضمّ أهلاً ومالٍ موبق قبل المقيل
وكلّ منيخةٍ بفناء قوم من الأحداث فهي إلى رحيل
كلا نجمي صُرُوْفٍ الدهر خيراً وشرًّا لابسٌ ثوب الأفول[4]

* * *

وقال آخر :

لَقِّ الحوادثَ تسليماً ولا ترعِ واصبر فليس بمغنٍ شدّة الجزع
من صاحب الدهر لاقى من تَصَرُّفِهِ ما لا يدوم على يأس ولا طمع .

---

١ لم ترد في غ .

٢ أبو عبد الرحمن محمّد بن عطية الشاعر : نسبته إلى جدّه عطيّة (اللباب ١٤٢/٢) ، ولد ونشأ بالبصرة ، وحظي عند القاضي أحمد بن أبي دؤاد ، وكان شاعراً ، متكلّماً ، معتزليًّا ، توفّي نحو سنة ٢٥٠ (الأعلام ٦١/٧) .

٣ المسيف : من هلك أو هلك ماله أو ولده .

٤ لم ترد في غ .

حيناً يسرُّ وأحياناً يسوءُ فلا   هذا بباقٍ ولا هذا بمنقطع

* * *

وكتب إليّ أبو أحمد عبد الله بن عمر بن الحارث المعروف بالحارثي[1] ، جواباً ، قصيدة منها :

قلّ من سرّه رضى الدهر إلّا   ساءه سخطه بما لا يطاق
وكذا عادة الزمان شتاتٌ   والتئامٌ وإلفةٌ وافتراق[2]

* * *

ولأبي أحمد يحيى بن علي بن يحيى المنجّم[3] ، إلى أبي علي محمّد بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان[4] لمّا ولّي الوزارة ، من أبيات :

لقد كذبَتْ فيك العدوّ ظنونُهُ   وقد صدقَتْ فيك الصديقَ المواعيدُ
وقد تُحسنُ الأيّام بعد إساءةٍ   وإن كان في الأمر المؤجّل تبعيدُ[5]

* * *

---

١ أبو أحمد عبد الله بن عمر بن الحارث السراج الواسطي : ترجمته في حاشية القصّة ٢٩٧ .
٢ في غ و ر : وفرقة واتّفاق .
٣ أبو أحمد يحيى بن علي بن يحيى بن أبي منصور المنجّم : ترجمته في حاشية القصّة ٤٠٢ من الكتاب .
٤ أبو علي محمّد بن يحيى بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان : ولي الوزارة للمقتدر سنة ٢٩٩ وعزله سنة ٣٠١ (الأعلام ٨/٣ و ٤) ، راجع الأعلام ٨/٤ بشأن الاختلاف الوارد في أسماء آبائه .
٥ ورد هذان البيتان في غ :

لقد كذبت فيك العدوّ ظنونه   وقد صدقت فيك الصديق المواعد
وقد تحسن الأيّام بعد إساءة   وإن كان فيما ترتجيه تباعد

وأنشدني بعض شعراء قريش ، وهو أبو الحسن علي بن الحسن [٢٨٢ م] الجمحي من أهل البابن ، بلد قريب من سيراف ، لأبي صخر الهذلي[١] ، وقال لي : فيه لحن من الرمل مزموم قديم :

بيد الذي شُغِفَ الفؤاد به   فرجُ الذي ألقى من الهمّ
كَرْبٌ بقلبي ليس يكشفه   إلّا مليكٌ عادلُ الحكم[٢]

* * *

ولأبي تمّام الطائي :

أآلفة النحيب كم افتراقٍ   أَظَلَّ فكان داعية اجتماع
وليست فرحة إلّا وجاءت   لموقوف على ترح الوداع [١٢١ ن]

* * *

وأنشدني أحمد بن الحسن بن سخت البغدادي ، ويعرف بالجصّاص ، وبابن بنت هرثمة ، قال : أنشدنا أحمد القطربّلي ، وغنّانا فيه ، وهو من أبيات ذكرها ابن [بنت هرثمة] :

ولله لطفٌ يرتجى ولعلّه   سيعقبنا من كسر أيدي النوى جبرا

* * *

وقال آخر :

---

١ أبو صخر عبد الله بن سلمة السهمي الهذلي : من بني الهزيل بن مدركة ، شاعر ، فصيح ، من شعراء بني مروان (الأعلام ٤/٢٢٣) .

٢ هذه الفقرة مع البيتين لم ترد في غ ، وفي م : مالك الحكم .

وربّ أمر مرتج بابه عليه أن يفتح أقفال
ضاقت بذي الحيلة في فتحه حيلته والمرء محتال
ثم تلقّته مفاتيحه من حيث لا يخطره البال

* * *

ولعبيد الله بن عبد الله بن طاهر ، من أبيات ، جواباً :

دعوتَ مجيباً يا أبا الفضل سامعاً ويا ربَّ مدعوٍّ وليس بسامع
فأوقعتَ شكواكَ الزمانَ وصَرْفَهُ إليه بحقّ في أحقّ المواقع
فصبراً قليلاً كلُّ هذا سينجلي ويدفع عنك السوءَ أقدر رافع
فما ضاق أمرٌ قطّ إلّا وجدته يؤول إلى أمر من الخير واسع

* * *

ولمحمّد بن حازم الباهلي :

إذا نابني خطبٌ فزعت لكشفه إلى خالقي من دون كلّ حميم
وإنّ من استغنى – وإن كان معسراً – على ثقةٍ بالله غير ملوم
ألا ربّ عسرٍ قد أتى اليسر بعده وغمرة كرب فرّجت لكظيم
هو الدهرُ يومٌ يومُ بؤسٍ وشدّةٍ ويومُ سرورٍ للفتى ونعيم [٣٤٥ غ]

* * *

وله :

ألا ربّ أمرٍ قد تربت وحاجةٍ لها تحت أحناء الضلوع غليل
فلم تلبث الأيّام أن عاد عسرها ليسرٍ ونجح والأمور تحول

* * *

وقال آخر :

اِصبر على مضض الزمان | وإن رمى بك في اللجج
فلعلّ طرفك لا يعو | د إليك إلّا بالفرج

* * *

وقال آخر :

كن لما لا ترجو من الأمر أرجى | منك يوماً لما له أنت راجي
إنّ موسى مضى ليقبس ناراً | من شعاع أضاء والليل داجي
فانثنى راجعاً وقد كلّم اللّـ | ـه وناجاه وهو خير مناجي
وكذا الأمر حين يشتدّ بالمر | ء مؤذٍ لسرعة الإنفراج

* * *

حدّثنا محمّد بن بكر بن داسه البصري ، بها ، قال : حدّثنا أبو حاتم المغيرة بن محمّد المهلّبي[1] ، قال : حدّثنا أبو بشر محمّد بن خالد البجلي ، قال : حدّثني أبو فزارة العكلي ، عن القاسم بن معن المسعودي ، قال : أتي الحجّاج بعبد الله بن وهيب النهدي ، فقال له : أنت القائل ؟

فيا صاحبَيْ رحلي عسى أن أراكما | كما كنتما إنّ الزمان ينوب
فلا تيأسا من فرحة بعد ترحة | وللدهر أمرٌ حادثٌ وخطوب
سيرحمنا مولى شعيبٍ وصالحٍ | وأرحامنا ندلي بها فتخيب

وذكر بقيّة الشعر والخبر[2] .

* * *

١ أبو حاتم المغيرة بن محمّد بن المهلّب بن المغيرة المهلّبي الأزدي : ترجمته في حاشية القصّة ١١٥ .
٢ هذه الجملة تدلّ على أنّ ثمّة خبراً سبق هذه القصّة فيه تفصيل ، ولم أجده في م ولا في بقيّة النسخ .

أنشدني أبو العبّاس هبة الله بن محمّد بن يوسف بن يحيى بن علي بن يحيى المنجّم[١] ، لجدّه أبي أحمد يحيى بن علي[٢] ، من قصيدة :

خافَ من فقرٍ تعجّله والغنى أولى بمنتظره [٢٨٣ م]
ليس منكوراً ولا عجباً أن يعود الماء في نهره [١٢٠ ن]

قال مؤلّف هذا الكتاب : البيت الأوّل كأنّه مأخوذ من قول الله عزّ وجلّ : ﴿الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء ، والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً﴾ ، والثاني : من المثل المشهور على ألسنة العامّة[٣] .

* * *

وكتب أبو علي بن مقلة[٤] ، في نكبته ، إلى زنجي الكاتب[٥] ، رقعة يشكو فيها عظم محنته ، ويقول : إنّ فرط يأسه من زوالها ، قد كاد يتلف نفسه .

فكتب إليه زنجي ، في جملة الجواب :

ألا أيّها الشاكي الذي قال مُفْصِحاً لقد كاد فرط اليأس أن يتلفَ المهجْ
رويدك لا تيأس من الله واصطبرْ عسى أن يوافينا على غفلة فَرَجْ [١٩٦ر]

* * *

١ أبو العبّاس هبة الله بن محمّد بن يوسف بن يحيى بن علي بن يحيى بن أبي منصورَ المعروف بابن المنجّم : نقل عنه القاضي التنوخي في مؤلّفاته أخباراً عدّة ، راجع القصص ١/١ و ١١ و ١٣ و ٦٨ و ٢/١٧٧ من النشوار .

٢ أبو أحمد يحيى بن علي بن يحيى بن أبي منصور المعروف بابن المنجّم : ترجمته في حاشية القصّة ٤٠٢ من هذا الكتاب .

٣ الشعر والخبر لم يردا في غ ، والمثل المشهور على ألسنة العامّة هو : نهر جرى فيه الماء لا بدّ أن يعود إليه .

٤ أبو علي محمّد بن علي الوزير ، المعروف بابن مقلة : ترجمته في حاشية القصّة ٧٨ .

٥ أبو عبد الله محمّد بن إسماعيل الكاتب ، المعروف بزنجي : ترجمته في حاشية القصّة ١١٧ .

وأنشدني أبو الفرج المخزومي ، المعروف بالببغاء ، لنفسه :

صبرتُ ولم أحمد على الصبر شيمتي   لأنَّ مآلي لو جزعتُ إلى الصبر
ولله في أثناء كلِّ ملمّةٍ   وإن آلمتْ ، لطفٌ يحضّ على الشكر
وكم فرجٍ واليأسُ يحجب دونه   أتاك به المقدور من حيث لا تدري

* * *

وأنشدني محمّد بن الحسن بن المظفّر الكاتب لنفسه :

ما قادني طمع يوماً إلى طَبَعٍ [1]   ولا ضرعتُ إلى خلقٍ من البشر
ولا اعتصمتُ بحبل الصبر معتمداً   على المهيمنِ إلّا فُزْتُ بالظفر

* * *

[وأنشدني الوحيد [2] لنفسه : [٣٤٦ غ]

إنّي وإن عصبَتْ بالعيشِ نائبةٌ   فسبّطتني [3] بين اليأسِ والطمع
لا أستدمّ [4] إلى صبر أجرّعه   ولا أسرّ زمان السوء بالجزع] [5]

* * *

١ الطبع : بفتح ، الدنس والشين والعيب .

٢ سعد بن محمّد الأزدي ، المعروف بالوحيد : ترجمته في حاشية القصّة ٤٢٥ .

٣ سبطت الناقة ولدها : ألقته لغير تمام ، أو قبل أن يتبيّن خلقه .

٤ السدم : الهم مع الندم .

٥ انفردت بها غ ، وقد ورد البيتان في الأصل :

إنّي وإن عصبت بالعيش نايبة   سبط النبي يريني اليأس والطمع
لا استدام إلى صبر سحرته   ولا أشد زمان السوء بالجزع

وأنشدني أبو الفرج المخزومي المعروف بالببغاء ، لنفسه :

لا تستكِن لطوارق النُوَبِ   والقَ الخطوبَ بوجه محتسب
فدنوّ ما ترجوه من فرجٍ   يأتي بحسب تكاثف الكرب
كم خائفٍ من هلكة سبباً   نال النجاة بذلك السبب

* * *

وأنشدني أبو علي محمّد بن الحسن بن المظفر ، المعروف بالحاتمي ، لنفسه :

من صاحَبَ الصبر اقتدرْ   أولى بفوزٍ من صبرْ
إن ساءك الزمان سرّْ   الصبر عنوان الظفرْ

* * *

ولغيره :

كم نكبةٍ في حشاها نعمة ويدٍ   لله ينجي بها من هول مطّلع
وكم فزعتُ إلى الأيّام ثم أتت   تمدّ أيديها نحوي من الفزع
إذا بدت نكبةٌ فالحَظْ أواخرها   تنظر إلى فرج للكرب متّسع[1]

* * *

وقرئ على حائطٍ مكتوبٌ :

يا مُعْمِلَ الوَجْنَاء بالهَجْرِ   وقاطع السَبْسَبِ والقفر
وهارباً من زمنٍ جائرٍ   يجني الملمّات على الحرّ

---

١ إنفردت بها غ .

اِصبر فما استشفعت في مطلبٍ لسامِعٍ خيراً من الصبر
وآبشر فإنّ اليسر يأتي الفتى أقنط ما كان من اليُسر[1]

* * *

وأنشدني سعد بن محمّد الأزدي البصري المعروف بالوحيد ، لنفسه :

لا يوحشنَّكَ من جميلٍ تصبّرٍ خطبٌ فإنّ الصبرَ فيه أحزم
العسر أَكْرِمْهُ ليسرٍ بعده ولأجل عين ألفُ عين تكرم [٣٤٣ غ]
لم تشك منّي عسرة ألبستها لؤماً ولا خوراً على ما تحكم
المرء يكره بؤسه ولعلّه تأتيه منه سعادة لو يعلم

* * *

وأنشدني أيضاً لنفسه :

كانت إليك من الحوادث زلّة فاصبر لها فلعلّها تستنفر
إنّا لنمتهنُ الخطوبَ بصبرنا والخطبُ ممتهنٌ لمن لا يصبر
ولربَّ ليلٍ بتُّ فيه بكربةٍ وغدا بفرحتها الصباح الأنور[2]

* * *

وقال آخر :

أَدَّبَتْنِي طوارقُ الحَدَثَان فتجافيتُ عن ذنوب زماني
كيف أشكو من الزمان صروفاً أظهرت لي جواهرَ الإخوان

١ انفردت بها غ .
٢ هذا البيت لم يرد في غ .

فتبيّنت منهم الخير والشرّ وأهلَ الوفاء والخذلان
وتوكّلت في أموري على اللّ ـهِ اللّطيفِ المهيمنِ المنّان
وتيقّنتُ أنّه سوف يكفيـ ـني خطوبَ الدهورِ والأزمان
ثم يمحو باليسرِ عسراً وبالنعـ ـمة ضرًّا كما أتى في القرآن
إن تصبّرت وانتظرت غياث الـ ـلّه وافى كاللّمح بالأجفان
هو عوني في كلّ خطب مُلِمٍّ عَدِمَتْ فيه نصرةُ السلطان
ورجائي إن خاب منّي رجائي في جميع الإخوان والخلّان

* * *

وقال آخر :

إن أكن خبتُ إن سألتُ فما ذا لِكَ في مطلب الكريم بعار
يحرم الليثُ صيده وهو منه بين حدّ الأنياب والأظفار
ويزلّ السهمُ السديدُ عن القصـ ـدِ وما تلك زلّة الإسوار[1] [٢٨٤ م]
ليس كلّ الأقطار تروى من الغيـ ـث وإن عمّها بصوب القطار
إن يخنّي رشاءُ دلوي فقد أحـ ـكمت إكرابه[2] بعقد مغار[3]
أو يَعُدْ فارغاً إليّ فما ألـ ـقيتُ إلّا إلى المياه الغزار
إن أساء الزمان لي فلقد أحـ ـسنتُ صبراً وما أساء اختياري
وعسى فَرْجَة تفتّح نحوي ناظر النصر بعد طول انتظار
ما لقيت الإعسار بالصبر إلّا بشّرتني وجوهه باليسار[4]

* * *

١ الإسوار : الرامي بالسهام (المنجد) .
٢ كرب الحبل : فتله .
٣ أغار الحبل : شدّ فتله ، قال امرؤ القيس :
فيا لك من ليل كأنّ نجومه بكل مغار الفتل شدّت بيذبل
٤ لم ترد هذه الأبيات في غ .

وللقاضي أبي القاسم علي بن محمّد بن أبي الفهم التنوخي من قصيدة :

صبراً فسوف تحقّق الآمال — وتحول عمّا ساءنا الأحوال
إن كان قد ظفر الصدود بوصلنا — فلسوف يظفر بالصدود وصال
فالدهر لا يبقى على حدثانِهِ — ولكلّ شيء نقلة وزوال[1]

* * *

وله من قصيدة قالها في الحداثة :

إن ساءَ يومٌ من الأيّام سَرَّ غَدٌ — أو سُدَّ بابُ سبيلٍ فُتِّحَتْ سُبُلُ
وهكذا الدهرُ ألواناً تصرّفه — بالشرّ والخير يجري حين ينتقل[1]

* * *

وأنشد سعد بن محمّد الأزدي المعروف بالوحيد البصري لنفسه :

بين البلاءين فرق صرفه نِعَمُ — غرٌّ وبعض الظما خير من الرنق[2]
وفي الخطوب إذا ألقت كلاكلها — صنعٌ عوائده الإمساك للرمق
كم موثقٍ مدّ عنقاً نحو ضاربه — بصارم كشعاع الشمس مؤتلق
حتى أتى فرج – بعد القنوط – له — حالت يميناه بين السيف والعنق[1]

* * *

وأنشدني أيضاً لنفسه :

يراع الفتى للخطب تبدو صدوره — فيأسى وفي عقباه يأتي سروره

١ لم ترد هذه الأبيات في غ .
٢ الرنق : الكدورة في الماء .

ألم تر أنّ الليل لمّا تراكمت	دجاه بدا وجه الصباح ونوره
فلا تصحبنّ اليأس إن كنتَ عالماً	لبيباً فإنّ الدهر شتّى أموره[1]

* * *

وأنشدني أيضاً لنفسه :

أتحسب أنّ البؤس للمرء دائمٌ	ولو دام شيء عدّه الناس في العجب
لقد عرّفتكَ الحادثات نفوسها	وقد أدّبت إن كان ينفعك الأدب
ولو طلب الإنسان من صرف دهره	دوام الذي يخشى لأعياه ما طلب[2]

[١٢٢ ن]

* * *

ولمحمّد بن غياث :

خبوّ النجم يتلوه اشتعالٌ	ونقص البدر يؤذِنُ بالتمام
وأكمل ما تكون الشمس حسناً	إذا رفعت لها سجف الغمام[2]

* * *

وللقاسم بن يوسف الكاتب[3] ، من قصيدة :

فإن تفقدوا يومكم نعمة	ففي غدكم نعمة زائدة

---

١ لم ترد هذه الأبيات في غ ، والبيت الثالث سقط من ن .

٢ لم ترد هذه الأبيات في غ .

٣ أبو أحمد القاسم بن يوسف بن القاسم بن صبيح العجلي الكاتب : شاعر ، كوفي هو أخو أحمد بن يوسف الكاتب وزير المأمون ، توفّي نحو سنة ٢٢٠ (الأعلام ٦/٢٢) .

عسى أن تدور صروف الزما   ن بحسن الخلافة والعائدة[1]

* * *

ولإبراهيم بن المهدي وهو في استتاره من المأمون ، قصيدة ، منها :

ولله نفسي إنّ فيّ لعبرة   وفي الدهر نقض للعرى بعد إبرام
غدوتُ على الدنيا مليكاً مسلّطاً   ورحتُ وما أحوي بها قيس إبهام
وهل ليلة في الدهر إلّا أرى بها   قد اَثبتَ أقداماً وزلّ بأقدام
كذاك رأينا الدهر يقدم صرفه   على كلّ نفسٍ بين بؤسٍ وإنعام
فيرفع أقواماً وكانوا أذلّة   ويهوي من الصيد الكرام بأقوام
فيسقيهم شربين سخناً وبارداً   بكأسين شتّى من هوان وإكرام
وكائن ترى من معدمٍ بعد ثروة   وآخر يؤتى ثروةً بعد إعدام[2]

* * *

وله في هذا الاستتار قصيدة منها :

سبحان مقتدرٍ ملك السماء له
والأرض يملك أعلاها وأسفلها
يختصّ من نعمٍ من شاء من بَشَرٍ
بما يشاء وعمّن شاء حوّلها
أضحت حياتك في بؤس تكابده
بعد النعيم كذاك الدهر بدّلها
عدمت باقي حياة قد شجيت بها
فما على الجهد أبقاها وأطولها

---

١ لم يرد البيتان في غ ، والعائدة : المعروف والصلة والعطف .

٢ لم ترد الأبيات في غ .

في فترة من مرير العيش مفظعة
قد كنت من قبل ريب الدهر أجهلها [٢٨٥ م]
حتى إذا هي حلّت بي اعترضت لها
صبراً عليها فإنّي لست أحفلها
مستنظراً نعمة لا شيء يحجبها
عن العباد إذا الرحمن أرسلها
فربّ مسهلة في الأرض صعّبها
وصعبة منه ولّت حين سهّلها
لكنّ في ثنيها تأتي حوادث لو
لا الله منها لفاضت مهجتي وَلَها[1]

* * *

وقال آخر :

إنّي لأعلمُ أنّ حبّك قاتلي والنفس تَفْرَقُ أن يحلّ بها الردى
لا تيأسنّ فقد يفرّق دائباً شمل الجميع ويجمع المتبدّدا
وعسى الليالي بالوصال رواجعٌ فيعود دهري مصلحاً ما أفسدا[1]

* * *

وقال آخر :

اصبر سينكشف القناع إنّ الأمور لها انقطاع

---

١ لم ترد هذه الأبيات في غ .

ولها من الفرج اتّساع ولكلّ ما ارتفع اتّضاع
وإذا تضايقت الأمو ر تلا تضايقها اتّساع[1]

* * *

حدّثني أحمد بن محمّد الأزدي ، المعروف بأبي عمر بن نيزك العطّار ، الشاعر ، قال : بتّ ليلة ، حرج الصدر ، ضيّقه ، فرأيت في منامي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب سلام الله عليه ، وهو ينشدني أبياتاً في الفرج ، فانتبهت ولم يبق في حفظي منها إلّا قوله :

وحميدُ ما يرجوه ذو أملٍ فرجٌ يعجلّه له صبر[1]

* * *

ولأبي الحسين بن أبي البغل الكاتب :

إلى الله أشكو ما ألاقي من الأذى وحسبي بالشكوى إليه تروّحا
هو الفارج الغمّاء بعد اشتدادها ومعقب عسر الأمر يسراً ومسرحا
أطال يدي بعد المذلّة فاْعتَلَتْ ودافع عنّي ما كرهت وزحزحا
لئن عرضت لي نكبة بعد أنعمٍ توالت ففاتت أن تعدّ وتشرحا
فما أنا من تجديد صنعٍ بيائسٍ ولا كان ، ممّا كان ، إذ كان ، أصلحا
وما يقف الإنسان في طيّ دهره كمرّ الليالي مسعفاتٍ وجنّحا[2]

* * *

١ لم يرد هذا الخبر في غ .
٢ لم ترد هذه الأبيات في غ .

وله :

إن كان هذا الأمر قد ساءني | لطال ما قد سرّني الدهر
والأمر في معناهما واحدٌ | لذاك شكرٌ ولذا صبر
حتى أرى الأقدار قد فرّجت | وكلّ عسرٍ فَلَهُ يسر[1]

* * *

وله :

إن يأذن الله فيما بتُّ آمله | أتى النجاح حديثاً غير مطلول
ما لي سوى الله مأمولٌ لنائبةٍ | والله أكرم مأمولٍ ومسؤولِ

* * *

وله :

حزنتْ وذو الأحزان يحرج صدرهُ | ألا ربَّ حزنٍ جاء من بعده فرج
كأنّك بالمحبوب قد لاح نجمه | وذي العسر من بين المضايق قد خرج

* * *

ولابن الرومي[2] :

لعلّ الليالي بعد شَحْطٍ من النوى | ستجمعنا في ظلّ تلك المآلف
نعم إنّ للأيّام بعد انصرافها | عواطفُ من إحسانها المتضاعف

* * *

---

١ لم ترد هذه الأبيات في غ .

٢ أبو الحسن علي بن العبّاس بن جريج (جورجيس) الرومي (٢٢١–٢٨٣) : شاعر من أعظم الشعراء ، من طبقة بشّار والمتنبي ، رومي الأصل ، ولد ونشأ ومات ببغداد ، (الأعلام ٥/١١٠) .

وله :

لكلّ خيرٍ وشرٍّ دون العواقب غَيْبُ
وربّ جلباب همٍّ له من الصنعِ جَيْبُ

* * *

وأنشدني أبو علي أحمد بن المدائني المعروف بالهائم الراوية [٢] ، ولم يعرف قائله :

أقول قول حكيمٍ فاعرف بفهمك شَرْحَهْ
كم فَرْجَةٍ إثر ضيقٍ وفرحةٍ بعد ترحه
فالعسر يُعْقِبُ يسراً والهمّ يكسب فرحه
والعيش فاعلم ثلاث غنى ، وأمن ، وصحّه [٢٨٦ م]

* * *

ولمؤلّف هذا الكتاب :

قل لمن أودى به الترحُ كلّ غمّ بعده فرحُ [١٢٣ ن]
لا تَضِقْ ذرعاً بنازلةٍ وارمها بالصبر تنفسح
غالطِ الأيّامَ مجتهداً كلُّ ما قد حلّ منتزح
وأزح بالراح طارقها فجلاء الكربة القدح
والق بالمزج المريح أذى حدّها إن شئت تسترح

* * *

٢ أبو علي أحمد بن علي المدائني المعروف بالهائم الراوية : ترجمته في حاشية القصّة ٣٧٧ من هذا الكتاب .

ووجدت بخطّ عبيد الله بن أحمد الكاتب ، النحوي ، الملقّب بجخجخ[1] : أنشدنا ابن دريد ، قال : أنشدنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعي ، عن عمّه للنابغة الشيباني[2] :

وكائن ترى من ذي هموم ففرّجت   وذي غربة عن داره سيؤوب

وهو من أبيات ، لا يذكر باقيها مؤلّف هذا الكتاب .

* * *

ولبعض الشعراء :

لا يرعك الشرّ إن ظهرت   بتهاويل مخايله[3]
ربّ أمر سَرَّ آخره   بعدما ساءت أوائله

* * *

ولكشاجم[4] من قصيدة :

ليس إلّا تيقّني أنّ إيرا   د الليالي من بعده إصدار[5]

١ أبو الفتح عبيد الله بن أحمد بن محمّد النحوي المعروف بجخجخ : (٢٨٦-٣٥٨) : ترجم له الخطيب البغدادي ١٠/٣٥٨ .

٢ عبد الله بن المخارق بن سليم بن حفيرة بن قيس ، المعروف بالنابغة الشيباني : شاعر ، بدوي ، من شعراء بني مروان ، توفي سنة ١٢٥ (الأعلام ٤/٢٧٩) .

٣ هذا البيت ساقط من غ .

٤ أبو الفتح محمود بن الحسين ابن السندي بن شاهك الرملي المعروف بكشاجم : شاعر ، أديب ، كاتب من شعراء أبي الهيجاء الحمداني ، والد سيف الدولة ، ثم اتّصل بسيف الدولة ، أنظر في الأعلام ٨/٤٣ سبب تسميته بكشاجم .

٥ لم يرد هذا البيت في غ .

ووراء الأسى سرورٌ وبعد الـ　　عسر يسرٌ وتحت ليلٍ نهار

* * *

وأخبرني الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزي[1] ، قال : أخبرني أحمد بن سعيد الدمشقي[2] ، أنّ الزبير[3] حدّثه ، قال : أنشدني إسحاق ، قال : أنشدني الفضل بن الربيع :

فلا تجزعْ وإن أعسرتَ يوماً　　فقد أيسرت في الزمن الطويل[4]
ولا تَظُنَنْ بربّك ظنَّ سوءٍ　　فإنّ الله أولى بالجميل[5]

قال مؤلّف هذا الكتاب : وقد رويت في الجزء الأوّل منه ، في أخبار وجب أن تكتب هناك ، ما روي من أنّ هذه الأبيات للحسين بن علي بن أبي طالب سلام الله عليهما ، وما روي أيضاً إنّهما لجعفر بن محمّد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام .

* * *

وقال أبو جعفر محمّد بن وهيب الحميري[6] ، قصيدة أوّلها :

---

١ أبو محمّد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزي : ترجمته في حاشية القصّة ٢٦ .

٢ أبو الحسن أحمد بن سعيد بن عبد الله الدمشقي : ترجم له الخطيب في تاريخه ١٧١/٤ و ١٧٢ وقال عنه إنّه توفّي سنة ٣٠٦ وإنّه كان مؤدّب عبد الله بن المعتزّ .

٣ أبو عبد الله الزبير بن بكار بن عبد الله القرشي الأسدي المكّي : ترجمته في حاشية القصّة ٤٠ .

٤ تكرر ورود هذا البيت راجع ص ٢٨ .

٥ في غ و م : بيت آخر وسط البيتين ، وهو :

ولا تيأس فإنّ اليأس كفر　　لعلّ الله يغني عن قليل

٦ أبو جعفر محمّد بن وهيب الحميري : شاعر ، مطبوع ، مكثر ، بصري ، عاش ببغداد ، من شعراء الدولة العبّاسيّة ، أدّب الفتح بن خاقان ، واختصّ بالحسن بن سهل ، ومدح المأمون والمعتصم ، توفّي نحو سنة ٢٢٥ (الأعلام ٣٥٩/٧) .

هل الهمّ إلّا فرجة تتفرّج		لها معقب يحدي إليها ويزعج
أبى لي إغضاء الجفون على القذى		يقيني بأن لا عسر إلّا مفرّج
أخطّط في ظهر الحصير كأنّني		أسير يخاف القتلَ والهمّ يفرج
ويا ربّما ضاق القضاء بأهله		وأمكن من بين الأسنّة مخرج[1] [٢٩٧ر]

* * *

وله أيضاً :

أجارتنا إنّ التعفّف بالياسِ		وصبراً على استدرار دنيا بإبساس
جديران أن لا يبدءا بمذلّةٍ		كريماً وأن لا يحوجاه إلى الناس
ولي مقلةٌ تنفي القذى عن جفونها		وتأخذ من إيحاشِ دهرٍ بإيناس
أجارتنا إنّ القداح كواذبٌ		وأكثر أسباب النجاح مع الياس

* * *

وللنابغة الذبياني[2] من قصيدة :

فلا تحسبنّ الخير لا شرّ بعده		ولا تحسبنّ الشرّ ضربةَ لازب

* * *

وأنشدني علي بن محمّد السريّ الهمداني[3] ، وكتبه لي بخطّه ، قال : أنشدنا

---

١ ورد في ر البيتان الثالث والرابع فقط .

٢ أبو امامة زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني ، الغطفاني ، المضري ، المعروف بالنابغة الذبياني : شاعر جاهلي ، من الطبقة الأولى ، حجازيّ ، كان الحكم بين الشعراء في سوق عكاظ ، حظي عند النعمان ابن المنذر ، توفّي نحو سنة ١٨ ق.هـ (الأعلام ٣/٩٢) .

٣ أبو الحسن علي بن محمّد بن السري الهمداني الورّاق : ترجم له الخطيب في تاريخه ١٢/٩٠ و ٩١ وقال إنّه توفّي سنة ٣٧٩ .

علي بن سليمان الأخفش[1] ، قال : أنشدني الأوّل عن ابن الأعرابي[2] ، لبعض شعراء تنوخ :

[ألا لا تموتنَّ اغتماماً وحسرةً وهمًّا إذا ما سارح القطر أجدبا][3]
وصبراً فإنّ الجدب ليس بدائم كما لم يدم عشب لمن كان معشبا[4]

* * *

وجدت في كتاب الأبيات السائرة ، لعيينة بن المنهال[5] ، قال جبلة العذري :
قال مؤلّف هذا الكتاب : هو جبلة بن حريث العذري ، من عذرة ، وهذا البيت من أبيات [٢٨٧ م] لا يتعلّق بكتابي منها إلّا ما ذكرته :

إِستقدر الله خيراً وارضينَّ به فبينما العسر إذ دارت مياسير

* * *

وفي غير هذا الكتاب ، لبعض الشعراء :

---

١ أبو الحسن علي بن سليمان بن الفضل الملقّب بالأخفش : من العلماء ، بغدادي ، أقام بمصر ، ثم بحلب ، ثم عاد إلى بغداد وتوفّي بها في السنة ٣١٥ راجع ترجمته في معجم الأدباء ٥/٢٢٠–٢٢٥ وفي وفيات الأعيان ٣/٣٠١–٣٠٣ وزهر الآداب ٢/١٧٦ والأعلام ٥/١٠٣ ، وراجع في وفيات الأعيان ٣/٣٠٢ و ٣٠٣ سبب موته .

٢ أبو سعيد أحمد بن محمّد بن زياد بن بشر بن درهم ، المعروف بابن الأعرابي (٢٤٦–٣٤٠) : مؤرّخ ، محدّث ، متصوّف ، بصريّ ، أقام بمكة ، وتوفي بها (الأعلام ١/١٩٩) .

٣ الزيادة من ه .

٤ في ه : لمن كان أعشبا .

٥ أبو المنهال عيينة بن المنهال : ترجم له صاحب الفهرست ٥٤ و ١٢٠ ، وقال عنه إنّه أحد الرواة ، العلماء ، من رواة الأخبار والأمثال والأنساب ، وذكر أنّ له كتاب الأمثال السائرة ، ويسمّى كتاب الأبيات السائرة أيضاً .

أما علمت بأنّ العسر يتبعه يسرٌ كما الصبرُ مقرون به الفرج

* * *

وقال آخر :

إذا ما البين أحرجني فليس على النوى حرج
دعي لومي على صلتي سيقطع بيننا حجج
سأركب كلّ مظلمة أفرّجها فتنفرج
غداً للبين موعدنا فإنّ إلى غدٍ فرج

* * *

وقد بلغني على وزنها ، وإعرابها ، وقافيتها ، أبيات لأبي محمّد القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام[1] ، وهي :

دنا التهجير والدَلَجُ وقصدي للمنى لحِجُ[2]
ولي همٌّ يؤرّقني عليّ لبحره لُجَجُ
أطافَ عليّ في وضحٍ عليه من البلا نُهُجُ[3]
أقول لنفسٍ مكتئبٍ عليه من الردى ثَبَجُ[4]
رضاً ، ما دمت سالمةً فإنّ العيش مندمج

---

١ أبو محمّد القاسم بن إسماعيل الحسني ، العلوي ، المعروف بالرسيّ (١٦٩–٢٤٦) : فقيه ، شاعر ، من أئمّة الزيدية ، له عدّة مؤلّفات (الأعلام ٦/٥) .

٢ اللحج ، بكسر الحاء : الضيّق .

٣ النهج ، وجمعه نُهُج ؛ الطريق .

٤ ثبج الشيء : معظمه .

ولا تستحقبي شُبَهاً فرحب الحقّ منبلج
وزُوْرُ القول منمحقٌ إذا دارت به الحجج
وعاذلةٍ تعاتبني وجنح الليل معتلج[1]
فقلت : رويد معتبتي لكلّ ملمّة فرج [١٢٤ ن]
ذريني خلفَ قاضية تضايق بي وتنفرج
أسرّك أن أكون رفعـ ـتُ حيث الأمر والمهج
وأنّي بتّ يصهرني بحرّ جهنمٍ وهَجُ
فأدركُ ما قصدتُ به ويبقى العارُ والحرجُ
إذ أكْدَتْ حَبَائِلُهُ فلي في الأرض منعرج

ووجدت كتاباً قد جمع فيه شعر صاحب الزنج ، الخارج بالبصرة ، نسب إليه فيه من هذا الشعر ستّة أبيات ، أوّلها : وعاذلة تعاتبني .

* * *

وأخبرني أبي ، أبو القاسم علي بن محمّد بن أبي الفهم التنوخي ، قال : حدّثنا أبو بكر يموت بن المزرع بن يموت بن موسى العبدي البصري[2] ، وكان ابن أخت الجاحظ ، قال : حدّثنا يزيد بن محمّد المهلّبي[3] ، قال : حدّثنا قبيصة بن حاتم المهلّبي ، عن أبيه ، قال : كتب حفص بن عمر هزارمرد[4] إلى

---

١ كذا ورد في ن ، وفي م : وقائلة تعاتبني وجنح الليل معتلج

٢ أبو بكر يموت بن المزرع بن يموت بن عيسى العبدي البصري : ابن أخت الجاحظ ، كان أديباً ، أخبارياً ، له ملح ونوادر ، وكان لا يعود مريضاً خوفاً من أن يتطيّر باسمه ، توفّي سنة ٣٠٤ بدمشق (وفيات الأعيان ٦/٥٢) .

٣ أبو خالد يزيد بن محمّد بن عبد الله بن محمّد بن أبي عيينة المهلّبي ورد ذكره في ص ٢٥ .

٤ الصحيح : عمر بن حفص بن عثمان بن قبيصة بن أبي صفرة ، المعروف بهزارمرد ، ولّاه المنصور السند سنة ١٤٢ (الطبري ٧/٥١٢) وعزله عنها في السنة ١٥١ (ابن الأثير ٥/٥٩٥) فنزح إلى إفريقية (الطبري

المنصور ، يخبره بأنّه وجد في بعض خانات المولتان[1] ببلاد الهند ، مكتوباً : يقول عبد الله بن محمّد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب[2] سلام الله عليهم ، انتهيت إلى هذا الموضع ، بعد أن مشيت حتى انتعلتُ الدماء ، وأنا أقول :

عسى مشربٌ يصفو فيروي ظماءةً — أطال صداها المشربُ المتكدّر
عسى بالجنوب العارياتِ ستكتسي — وذي الغلباتِ المستذلّ سينصر[3]
عسى جابر العظم الكسير بلطفه — سيرتاح للعظم الكسير فيجبر
عسى صوراً أمسى لها الجور دافناً — يتاح لها عدلٌ يجيء فتظهر[4]
عسى الله ، لا تيأس من الله ، إنّه — يهون عليه ما يجلّ ويكبر[5]

فكتب إليه المنصور : قرأت كتابك ، والأبيات ، وأنا وعبد الله[6] ، وأهله ، كما قيل :

نحاول إذلال العزيز لأنّه — رمانا بظلمٍ واستمرّت مرائره [٢٨٨م]

٣٦/٨) وقتله الأباظية سنة ١٥٣ (الطبري ٤٢/٨) .

١ المولتان : مدينة هندية بها صنم يحجّ إليه أهالي الهند من أقصى بلدانها ، (معجم البلدان ٦٨٩/٤) .

٢ عبد الله بن محمّد (النفس الزكيّة) بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، الملقّب بالأشتر : لمّا خرج أبوه محمّد على المنصور بالمدينة ، بعث ولده محمّداً إلى السند ، وقتل الأب بالمدينة ، فأقام الأشتر بالسند ، وألحّ المنصور في البحث عنه ، ومن أجل ذلك عزل أمير السند هزارمرد ، وأبدله بهشام بن عمرو التغلبي ، وشدّد عليه في أمر الأشتر ، فظفر به هشام ، وقتله سنة ١٥١ (الطبري ٣٣/٨–٣٦) .

٣ في كتاب أدب الغرباء للأصبهاني ص ٧٧ :

عسى بالجلود العاريات ستكتسي — وبالمستذلّ المستضام سينصر

٤ هذا البيت ساقط من أدب الغرباء للأصبهاني .

٥ وردت القصّة في كتاب أدب الغرباء للأصبهاني ص ٧٧ .

٦ في الأصل : عليّ ، وهو خطأ من الناسخ .

فإن بلغك لعبد الله خبر ، فأعطه الأمان ، وأحسن إليه .

وأخبرني أبي ، قال : حدّثني الحرمي ، قال : حدّثني إسحاق بن محمّد النخعي[1] ، قال : حدّثنا محمّد بن عبد الرحمن المهلّبي ، عن عمّه ، قال : كتب حفص بن عمر ، أو قال عمر بن حفص هزارمرد ، إلى المنصور ، فذكر مثله ، إلّا أنّه لم يأتِ بالبيت الذي أوّله : عسى صوراً ..

وأخبرني أبي ، قال : وجدت بخطّ أبي يعلى ، وكان عالماً بأمور الطالبيّين وأخبارهم وأنسابهم ، وأشعارهم ، أبياتاً للقاسم بن إبراهيم ، أوّلها :

يقابل هذا[2] أيّها المتحيّر وإن قال فيك القائلون فأكثروا

وقد أضيفت إلى هذه الأبيات .

وقد ذكر القاضي أبو الحسين ، هذا الخبر في كتابه ، بغير إسناد ، على نحو هذه الروايات إلّا أنّه زاد شيئاً ، فقال : حدّثني أبي ، قال : روي لنا عن العتبي ، قال : حدّثني بعض مشايخنا ، قال : أتيت السند ، فدخلت خاناً ، فإنّي لأدور فيه ، إذ قرأت كتاباً في بعض بيوته : يقول علي بن محمّد ... وذكر القصّة ، والأبيات الخمسة ، ولم يذكر ما كتب به إلى المنصور ، ولا جوابه ، وقال في آخره : فحدّثت بهذا الحديث بعض أولاد البختكان ، فقال لي :

---

١ أبو يعقوب إسحاق بن محمّد بن أحمد بن أبان المعروف بالأحمر : ترجم له الخطيب في تاريخه ٣٧٨/٦ .

٢ كذا في الأصل م ، ولم أرها في بقيّة النسخ ، وأحسب أنّ الصحيح : تفاءل بهذا ، والبغداديّون يكتبونها : تفايل ، على طريقتهم في إبدال الهمزة ، إذا كانت في وسط الكلمة ، بالواو أو الياء ، راجع حاشية القصّة ١٦٧ من هذا الكتاب ، وذكروا أنّ إبراهيم بن المهدي ، أهدى إلى المعتصم ، نبقاً ، وكتب إليه رقعة صدّرها ببيت من الشعر : تفاءلت أن تبقى ، فأهديتك النبقا ، وكتب : تفايلت ، بدلاً من : تفاءلت ، على طريقة البغداديّين ، وحدث أنّ الألف في كلمة : تفايلت ، لم يظهر واضحاً ، فأصبحت الكلمة : تفيلت ، فأجابه المعتصم : ما تفيّلتَ يا عمّ ، ولكن تبقّرتَ .

كنت عاملاً بالشام ، على السراة ، فدخلت كنيسة فيها للنصارى ، موصوفة ، أنظر إليها ، فإذا بين التصاوير مكتوب : يقول صالح بن علي بن عبد الله بن عبّاس[1] ، نزلت هذه الكنيسة يوم كذا من شهر كذا من سنة ثمان عشرة ومائة ، وأنا مكبّل بالحديد محمول إلى أمير المؤمنين هشام[2] ، وأنا أقول :

ما انسدّ بابٌ ولا ضاقت مذاهبه   إلّا أتاني وشيكاً بعده الفرج[3]

قال : وكان بين ذلك ، وبين أن نزل صالح بن علي ، على تلك الكنيسة بعينها لمحاربة مروان بن محمّد ، أربع عشرة سنة[4] .

* * *

وروى القاضي أبو الحسين في كتابه ، عن صديق له أنشده :

إنّي رأيت مغبّة الصبرِ   تفضي بصاحبها إلى اليسر
لا بدّ من عسرٍ ومن يُسُرٍ   بهما تدور دوائر الدهر
وكما يلذّ اليُسْرُ صاحبه   فكذاك فليصبر على العسر

* * *

وذكر القاضي أبو الحسين في كتابه ، قال : وجد في عَذَبَةِ سيف أمير المؤمنين [٢٩٧ ر] علي بن أبي طالب ، سلام الله عليه وتحياته ، رقعة فيها :

غنى النفس يكفي النفس حتى يكفّها   وإن أعسرت حتى يضرّ بها الفقر

---

١ صالح بن علي بن عبد الله بن عبّاس : عمّ المنصور ، ترجمته في حاشية القصّة ٣٢٧ .
٢ مدّة حكم هشام بن عبد الملك ١٠٥–١٢٥ .
٣ في أدب الغرباء ٧٨ : إلّا أتاني وشيكاً بعده ظفر .
٤ وردت القصّة في أدب الغرباء للأصبهاني تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد ٧٧ و ٧٨ .

فما عسرة – فاصبر لها إن لقيتها – بدائمة حتى يكون لها يسر
ومن لم يقاس الدهر لم يعرف الأسى وفي غِيَرِ الأيّام ما وعد الدهر[1]

* * *

وأنشد في كتابه :

وما الدهر إلّا ما تراه فموسرٌ يصير إلى عسرٍ وذو فاقة يثري

* * *

وأنشد في كتابه أيضاً ، ووجد في بعض كتبي عن ابن دريد ، قال : أنشدنا العبّاس بن الفرج الرياشي ، ولم يسمّ قائلاً :

لعمرك ما كلّ التعطّل ضائر ولا كلّ شغل فيه للمرء منفعه
إذا كانت الأرزاق في القرب والنوى عليك سواء فاغتنم لذّة الدَعَهْ
وإن ضقت يوماً يفرج الله ما ترى ألا ربّ ضيق في عواقبه سَعَهْ

* * *

وأنشدني في كتابه أيضاً ، لأبي يعقوب الخريمي[2] :

يقولون صبراً ، والتصبّر شيمتي ألم تعلموا أنّ الكريم صبور
هل الدهر إلّا نكبة وسلامة وإلّا فبؤس مـرّة وحبور

* * *

---

١ هذا البيت ساقط من غ .

٢ أبو يعقوب إسحاق بن حسّان بن قوهي الخريمي : شاعر معروف ، قيل له الخريمي ، لاتّصاله بخريم الناعم وله فيه مدائح حسان (اللباب ١/٣٥٩) .

وأنشدني القاضي أبو الحسين في كتابه ، عن صديق له ، وكان [١٢٥ ن] [٢٨٩ م] بعض الفقهاء يتمثّل به :

وكلّ كرب وإن طالت بليّته   يوماً تفرّج غمّاه فتنكشف

* * *

وأنشد أيضاً في كتابه ، ولم يسمّ قائلاً :

مفتاحُ باب الفرج الصبرُ   وكلّ عسرٍ بعده يسرُ
والدهر لا يبقى على حالةٍ   وكلُّ أمرٍ بعده أمرُ [٣٤٧ غ]
والكرب تفنيه الليالي التي   أتى عليها الخيرُ والشرُّ

* * *

حدّثني علي بن أبي الطيّب ، قال : حدّثنا ابن الجرّاح ، قال : حدّثنا ابن أبي الدنيا ، قال : أنشدني أحمد بن يحيى[1] ، قوله :

مفتاح باب الفرج الصبر   وكلّ عسرٍ معه يسرُ

وذكر الأبيات ، إلّا أنّه قال في الثاني : والأمر يأتي بعد الأمر ، وقال في الثالث : يفنى عليها الخير والشرّ ، وزاد فيها رابعاً ، وهو :

وكيف تبقى حال مَنْ حَالُهُ   يسرع فيها النفع والضرّ

* * *

---

١ أحمد بن يحي بن جابر بن داود البلاذري : مؤرّخ ، جغرافي ، شاعر ، نسّابة ، بغدادي ، مدح المأمون ، وجالس المتوكّل ، توفّي سنة ٢٧٩ (الأعلام ٢٥٢/١) .

قال القاضي أبو الحسين في كتابه : كان بعض إخواني يتمثّل كثيراً ببيت لهدبة [1] ، وهو :

عسى الكرب الذي أمسيت فيه يكون وراءه فرج قريب

قال مؤلّف هذا الكتاب : وتمام هذا الشعر :

فيأمن خائفٌ ويفكّ عانٍ ويأتي أهله النائي الغريب

وقد ذكرتهما فيما تقدّم من كتابي هذا ، في قصّة يعقوب بن داود ، لمّا أطلقه الرشيد ، ثم وجدتهما مع بيتين آخرين ، في غير هذا المعنى ، في كتاب الأمثال ، لعيينة بن المنهال ، فقال : قال هدبة بن الخشرم : فذكر البيتين ، مع بيتين غيرهما ، ليسا في هذا المعنى ، وهما :

فيا ليت الرياح مسخّرات بحاجتنا تصبّح أو تؤوب .
فتخبرنا الشمال إذا أتتنا وتخبر أهلنا عنّا الجنوب

وذكر أبو الفرج الأصبهاني ، في كتابه المجرّد ، في الأغاني ، أنّ في هذين البيتين ، لحنين : هزجاً ، وخفيف رمل ، لعريب .

* * *

وروى القاضي أبو الحسين في كتابه ، لناجم البصرة ، يعني الخائن صاحب الزنج [2] :

---

١ أبو عمير هدبة بن خشرم بن كرز : شاعر ، فصيح ، مرتجل ، راوية ، من بادية الحجاز ، هاجى شاعراً اسمه زيادة بن زيد ، ثم قتله ، فقتل به نحو سنة ٥٠ (الأعلام ٩/٦٩) .

٢ صاحب الزنج ، علي بن محمّد الورزنيني العلوي : صاحب الفتنة المشهورة في العهد العبّاسي ، سمّي صاحب الزنج لأنّ أكثر اتباعه منهم ، ظهر أيّام المهتدي سنة ٢٥٥ ، والتفّ حوله سودان البصرة

الحمد لله شكراً لا انقضاء له [1]   إنّ الزمان لذو جَمْعٍ وتفريق
قد ينقل المرء من ضيق إلى سعة   ويسلس الأمر يوماً بعد تعويقِ
والدهر يأتي على كلٍّ بأجمعه   وليس من سَعَةٍ تبقى ولا ضيق

* * *

وذكر القاضي أبو الحسين في كتابه ، ولم ينسبه إلى أحد :

ألا فاصطبر ما دام في النفس مُسْكَةٌ   عسى فرج يأتي به الله في غد
وإنّ امرأً ربّ السماء وكيله   حريٌّ بحسن الظنِّ غير مبعّد

قال مؤلّف هذا الكتاب : وأنشدنيه محمّد بن إسحاق بن يحيى بن علي بن يحيى المنجّم ، فجعل أوّله :

سأصبر ما دامت بنفسي مُسْكَةٌ

وقال لي : إنّ فيها لحناً قديماً من الثقيل الثاني ، يغنّيه .

* * *

ورعاعها ، فملك البصرة والأبلّة والأهواز ، وبنى مدينة المختارة ، وأعجز الدولة العبّاسيّة ، حتى ظهر عليه الموفّق طلحة بن المتوكّل فقتله ، سنة ٢٧٠ (الأعلام ١٤٠/٥) ، وللزنج بالبصرة ثلاث ثورات : الأولى في السنة ٧١ في آخر أيّام مصعب بن الزبير ، وكانوا قلّة ، فأخذ بعضهم وقتلوا وتفرّق الباقون . والثانية في السنة ٧٥ في زمن الحجّاج ، وكانوا كثرة ، وتزعّمهم رجل اسمه رباح ، ولقّبوه شير زنجي ، يعني أسد الزنج ، وحاربهم صاحب شرطة البصرة ، فهزموه أوّلاً ، ثم هزمهم ، وفرّقهم ، والثالثة في السنة ٢٥٥ في أيّام المهتدي ، حيث خرج صاحب الزنج ، من فرات البصرة ، وجمع الزنج أوّلاً ، ثم لحق به كلّ معاد للحكم العبّاسي ، واتّسع نطاق ثورته ، واستولى على الأبلّة ، وعبادان ، والأهواز ، والبصرة ، وواسط ، ورامهرمز ، واستمرّ يحارب خمس عشرة سنة ، وانتهت الثورة بقتله في السنة ٢٧٠ (ابن الأثير ٣٨٨/٤ و ٢٠٥/٧) .

١ في غ : الحمد لله ربّي لا شريك له .

وأنشد أبو الحسين القاضي في كتابه ، ولم يسمّ قائلاً :

خُلُقَان لا أرضى فعالهما ... تيه الغنى ومذلّة الفقر
فإذا غنيتَ فلا تكن بطراً ... وإذا افتقرتَ فته على الدهر
واصبرْ فلستَ بواجدٍ خُلُقاً ... أدنى إلى فرج من الصبر

* * *

وأنشد أيضاً في كتابه ، ولم ينسبه إلى قائله :

إذا تضايق أمرٌ فانتظر فرجاً ... فأضيق الأمر أدناه من الفرج

ووجدت في بعض الكتب : أنّ أبا العبّاس ثعلباً ، أنشد هذا البيت ، وبيتاً قبله ، وهو : [٢٩٠ م]

النسل من واحدٍ والشكلُ مختلفٌ ... والدهر فيه بنو الدنيا على درج

وأنشدناه أبو الفرْج المعروف بالأصبهاني ، عن الأخفش ، قال : أنشدنا المبرّد :

الناسُ من واحدٍ والشكلُ مختلفٌ

وذكر البيتين .

حدّثني علي بن أبي الطيّب ، قال : حدّثنا أحمد بن محمّد بن الجرّاح ، قال : حدّثنا أبو بكر بن أبي الدنيا ، قال : حدّثني محمّد بن الحسن ، قال : رأيت مجنوناً قد ألجاه الصبيان إلى مسجد ، فجاء حتى قعد في زاوية ، فتفرّقوا عنه ، فقام وهو يقول :

إذا تضايق أمر فانتظر فرجاً [٢٩٨ ر] [١٢٦ ن]

وذكر البيت وحده .

* * *

[خاتمة نسخة م]

هذا آخر كتاب الفرج بعد الشدة تأليف القاضي أبي علي المحسّن بن علي ابن محمّد بن أبي الفهم التنوخي رحمه الله تعالى .

وكان الفراغ من كتابته يوم الاربعاء سادس والعشرون خلت من رمضان سنة ١٢١٢ من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام آمين آمين آمين .

[خاتمة نسخة ر]

آخر الكتاب المسمّى بالفرج بعد الشدّة والحمد لله على كل الأحوال وصلواته على سيّدنا محمّد وآله وصحبه وسلّم ، فرغ من رقم هذا الكتاب المبارك تاسع عشر ربيع الأوّل من سنة خمسين وألف ، وذلك بعناية السيّد المقام العالم العلّامة الهمام ، واسطة العقد الثمين ، نجل آل طه وياسين ، ضياء الدين إسماعيل ابن أمير المؤمنين حفظه الله تعالى ، ومتّع به المسلمين ، وبلغه من الخيرات ما أراده ، ووفّقه لبلوغ السؤال فيما أراد إلى أقصى مراده ، إنّه ولي ذلك والقادر على ما هنالك ، ولا حول ولا قوة إلّا بالله العليّ العظيم ، وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله وسلّم .

[خاتمة نسخة غ]

تمّ كتاب الفرج بعد الشدّة والحمد لله ، وصلّى الله على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه وعترته وجنده وسلّم تسليماً كثيراً دائماً أبداً إلى يوم الدين على يد العبد الفقير إلى الله تعالى محمّد بن بركات الحريري غفر الله له ولوالديه ولمن قرأه ودعا لهم بالمغفرة ولجميع المسلمين آمين سنة ٩٧٥ .

[خاتمة نسخة ن]

نجز والحمد لله أهل الحمد ومستحقّه ، وصلّى الله على سيّدنا محمد خيرته من خلقه ، وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً ، وذلك بتاريخ اليوم الأغرّ ، المبارك المعتبر ، يوم الجمعة السابع والعشرين من رجب الفرد عام تسعة وأربعين وثمانمائة .

[خاتمة نسخة هـ]

قد عثرت على نسخة هذا الكتاب بمكتبة المرحوم جدّي الذي عانى كثيراً في اتخاذها ، ومنها سبق استخراج كتاب العقد الفريد لابن عبد ربّه الأندلسي ومروج الذهب للمسعودي وغيرهما فأحببت إظهارها للجمهور خدمة للأدب وبعد مراجعتها على نسخة أخرى موجودة في الكتبخانة الخديوية صار طبعها وعسى أن يحوز ذلك رضا أهل الفضل لأشرع في طبع غيره من الكتب النادرة وعلى الله الاتّكال .

محمود رياض

رموز

= : راجع

الأرقام المطبوعة بحروف سوداء تشير إلى التراجم

الأرقام المثبتة في العمود الأيمن : للأجزاء ، والأرقام التالية لها : للصحائف ، والتي تليها للقصص .

استدراك

ورد في القصّة **٥٩ ج ١ ص ١٧٤ سطر ٣** قول المؤلف : كنا نجتمع في البطيحة في المسجد الجامع بشقشى ، وأحسب أنّ المقصود بها قرية شفيي التي بالبطائح ، ذكرها ياقوت في معجمه **٣٥٧/٣** باسم : شيفيا أو شافيا ، وقال عنها : انها على سبعة فراسخ من واسط ، وذكر الجامع بها ، ونسب إليها أبا العباس أحمد بن علي ابن اسماعيل الأزري البطائحي الشيفياني .

الفهارس العامة

أ

ب

ت

٩ * ٥

ث

ج

ح

خ

د

ر

ز

س

ش

ض

ط

ظ

ع

غ

ف

ق

ك

ل

م

ن

هـ

و

ي

فهرس عمراني

أ

ب

ث

ج

غ

ك

فهرس الكتب والمراجع

اتعاظ الحنفا ، بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا : تقي الدين أحمد بن علي المقريزي – تحقيق الدكتور جمال الدين الشيال – طبع القاهرة ١٩٦٧

آثار الأول ، في ترتيب الدول : العباسي – أبو علي الحسن بن عبد الله بن محمد بن عمر ابن محاسن – طبع بولاق سنة ١٢٩٥

آثار البلاد ، وأخبار العباد : القزويني – زكريا بن محمد بن محمود النجاري الانصاري (٦٠٥–٦٨٢)

ابن الأثير = الكامل في التاريخ

احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم : المقدسي – أبو عبد الله محمد بن أحمد البشاري المقدسي – طبع ليدن ١٩٠٦

احصاء العلوم : أبو نصر الفارابي – اخراج عثمان محمد أمين – مطبعة السعادة بمصر ١٩٣١

اخبار الحمقى والمغفلين – ابن الجوزي – أبو الفرج عبد الرحمن بن علي – طبع بيروت

أخبار سيف الدولة = نخب تاريخية

أخبار القضاة : القاضي وكيع – أبو بكر محمد بن خلف بن حيان الضبي طبع مصر

أخبار مجموعة في فتح الأندلس : لمؤلف مجهول – طبع مدريد

اخلاق الوزيرين : التوحيدي – أبو حيان علي بن محمد بن العباس – طبع دمشق

ابن خلدون = العبر وتاريخ المبتدا والخبر

الآداب : مجد الملك أبو عبد الله محمد بن شمس الخلافة مختار الافضلي الشاعر (٥٤٣–٦٢٢) – طبع مطبعة السعادة بمصر سنة ١٩٣١

أدب الغرباء : الاصبهاني – أبو الفرج علي بن الحسين الأموي – تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد – طبع بيروت سنة ١٩٧٢

أدب الكتاب : الصولي – أبو بكر محمد بن يحيى – طبع مصر سنة ١٣٤١

الاذكياء : ابن الجوزي – أبو الفرج عبد الرحمن بن علي – طبع بيروت

ارشاد الاريب إلى معرفة الاديب – ياقوت الحموي – طبعة مرجليوث سنة ١٩٢٤ – ٧ مجلدات
أساس البلاغة : الزمخشري – جار الله ابو القاسم محمود بن عمر – جزءان في مجلدين – مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٩٢٢
الاسلام والدول الاسلامية في الهند : محمد عبد المجيد العبد – عضو مجلس الشيوخ المصري – مطبعة الرغائب بالقاهرة ١٩٣٩
اسماء المغتالين من الأشراف في الجاهلية والاسلام : ابو جعفر محمد بن حبيب البغدادي (ت ٢٤٥) – مطبعة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ١٩٥٤
الأشربة : ابن قتيبة – ابو محمد عبد الله بن مسلم – طبع دمشق ١٩٤٧
الاضداد : الحلبي – أبو الطيب عبد الواحد بن علي العسكري الحلبي اللغوي (ت ٣٥١) – تحقيق الدكتور عزة حسن – جزءان في مجلدين من مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق
اعتاب الكتاب : ابن الأبار – أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي الأندلسي (٥٩٥–٦٥٨) – طبع دمشق ١٩٦١
الاعتبار : اسامة بن منقذ – مؤيد الدولة أبو المظفر اسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر ابن منقذ الكناني الكلبي الشيزري (٤٨٨–٥٨٤)
الاعلاق النفيسة : ابن رسته – ابو علي احمد بن عمر – طبع ليدن ١٨٩١
الاعلام : خير الدين الزركلي – الطبعة الثالثة – ١٤ مجلداً
اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء : محمد راغب بن محمود بن هاشم الطباخ – ٧ مجلدات – الطبعة الأولى – بالمطبعة العلمية بحلب سنة ١٩٢٣
اعلام النساء : عمر رضا كحالة – خمسة أجزاء في خمسة مجلدات – الطبعة الثانية – المطبعة الهاشمية بدمشق
الاغاني – الاصبهاني – ابو الفرج علي بن الحسين الاموي – طبع بولاق – عشرون جزءاً في عشرة مجلدات
الاغاني – الاصبهاني – ابو الفرج علي بن الحسين الأموي – طبع دار الكتب بالقاهرة – أربعة وعشرون جزءاً في اربعة وعشرين مجلداً
الالفاظ الفارسية المعربة – ادي شير – المطبعة الكاثوليكية ببيروت
الامامة والسياسة : ابن قتيبة – ابو محمد عبد الله بن مسلم – تحقيق الدكتور الزيني ١٩٦٧

الامتاع والمؤانسة : التوحيدي – أبو حيان علي بن محمد بن العباس – تحقيق أحمد امين وأحمد الزين – طبع بيروت – ثلاثة أجزاء
الأنساب : السمعاني – ابو المظفر عبد الكريم بن منصور (ت ٦١٥) – نشر المستشرق د.س. مرجليوث – طبع لندن ١٩١٣
أنساب الأشراف : البلاذري – أحمد بن يحيي بن جابر – الجزء الرابع القسم الثاني ، والجزء الخامس – طبع القدس ١٩٣٦ ، ١٩٣٨
الأوراق – اخبار الراضي بالله والمتقي لله : الصولي – ابو بكر محمد بن يحيي – مطبعة الصاوي بالقاهرة ١٩٣٥
الاوراق – اشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم : الصولي – ابو بكر محمد بن يحيي – مطبعة الصاوي بمصر ١٩٣٦
البلدان : اليعقوبي – احمدبن اسحاق بن جعفر بن وهب بن واصح –
بدائع الزهور في وقائع الدهوز : ابن اياس – محمد بن أحمد بن اياس الحنفي – الجزء الأول – القسم الثاني من السنة ٧٦٤–٨١٥ – تحقيق محمد مصطفى – طبع مصر ١٩٧٤
البدء والتاريخ : المقدسي – المطهر بن طاهر – طبع باريز ١٩١٦ – ستة أجزاء في ثلاثة مجلدات
البصائر والذخائر : التوحيدي – ابو حيان علي بن محمد بن العباس – تحقيق الدكتور ابراهيم الكيلاني – طبع دمشق
ابن بطوطة : تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الأسفار
بغداد مدينة السلام : نقابة المهندسين العراقيين – طبع بغداد
بلاغات النساء : ابن طيفور ، ابو الفضل أحمد بن أبي طاهر (٢٠٤–٢٨٠) تحقيق احمد الالفي – طبع مصر ١٩٠٨
البيان والتبيين : الجاحظ – أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب – طبع بيروت ١٩٦٨ – أربعة أجزاء في مجلدين اثنين
ابن البيطار = الجامع لمفردات الادوية والاغذية
تاريخ أدب الشعب : حسين مظلوم ومصطفى الصباحي – طبع مصر ١٩٣٦
تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي : الدكتور حسن ابراهيم حسن – ٤ مجلدات

– طبع مصر – ط ٧
تاريخ بغداد : الخطيب البغدادي – ابو بكر احمد بن علي بن ثابت – طبع بيروت – ١٤ مجلداً
تاريخ بغداد : ابن طيفور – ابو الفضل احمد بن ابي طاهر الكاتب – طبع بيروت ١٩٦٨
تاريخ الحكماء : ابن القفطي – جمال الدين ابو الحسن علي بن يوسف – تحقيق ليبرت – طبع ليبزك ١٩٠٣
تاريخ الخلفاء : السيوطي – جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر – ط ٣ – القاهرة ١٩٦٤
تاريخ الفرقة الزيدية في القرنين الثاني والثالث للهجرة : الدكتور فضيلة عبد الأمير الشامي – مطبعة الآداب – النجف ١٩٧٤
تاريخ الكوفة : البراقي – السيد حسين بن السيد احمد – المطبعة الحيدرية – بالنجف ١٩٦٨
تاريخ الموصل : ابن اياس – ابو زكريا يزيد بن محمد بن اياس بن القاسم الازدي – لجنة احياء التراث الاسلامي بمصر
تاريخ الوزراء والكتاب : ابن عبدوس – ابو عبد الله محمد بن عبدوس بن عبد الله الكوفي الجهشياري
تاريخ اليعقوبي : اليعقوبي – احمد بن جعفر بن وهب بن واضح – طبع دار صادر ببيروت – مجلدان اثنان
تاريخ الرسل والملوك : الامام ابو جعفر محمد بن جرير الطبري – طبع دار المعارف بمصر – عشرة مجلدات
تجارب الأمم ، الجزء الأول للمدة من ٢٩٥–٣٢٩ ، والجزء الثاني للمدة من ٣٢٩–٣٦٩ : ابو علي أحمد بن محمد بن مسكويه – تحقيق آمدروز – طبع مصر ١٩١٤
تجارب الأمم ، الجزء السادس للمدة من ١٩٨–٢٥١ : ابن مسكويه – ابو علي أحمد بن محمد – ذيل على الجزء الثالث من كتاب العيون والحدائق في اخبار الحقائق
تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء : الصابي ، أبو الحسن هلال بن المحسّن – تحقيق عبد الستار أحمد فراج – طبع البابي الحلبي بالقاهرة ١٩٥٨
تحفة المجالس ونزهة المجالس : السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ابن سابق الدين الخضيري السيوطي (٨٤٩–٩١١)
تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الأسفار : ابن بطوطة ، محمد بن عبد الله اللواتي

الطنجي – تحقيق احمد العوامري ومحمد أحمد جاد المولى – المطبعة الأميرية ببولاق ١٩٣٤
تذكرة بالاخبار عن اتفاقات الأسفار : ابن جبير ، ابو الحسن محمد ابن أحمد بن جبير الكناني الاندلسي الشاطبي البلنسي – طبع بيروت ١٩٦٨
تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين : شهاب الدين ابو محمد عبد الرحمن بن اسماعيل المعروف بابي شامة المقدسي الدمشقي (ت ٦٦٥) – طبع مصر ١٩٤٧
التطفيل : الخطيب البغدادي – ابو بكر احمد بن علي بن ثابت – طبع دمشق ١٣٤٦
تفسير الالفاظ الدخيلة في اللغة العربية : طوبيا العنيسي – دار العرب للبستاني بالقاهرة ١٩٦٥
تقويم البلدان : ابو الفداء ، عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر صاحب حماة – دار الطباعة السلطانية بباريس ١٨٤٠
تكملة تاريخ الطبري : الهمذاني – محمد بن عبد الملك – تحقيق البرت يوسف كنعان – المطبعة الكاثوليكية – بيروت
التلخيص في معرفة أسماء الاشياء : العسكري ، ابو هلال الحسن بن عبد الله – جزءان اثنان في مجلدين – طبع مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٦٩
الجامع لمفردات الادوية والاغذية : ابن البيطار ، ضياء الدين عبد الله بن أحمد الاندلسي المالقي – أربعة أجزاء في مجلدين – طبعة بولاق ١٢٩١
ابن جبير = تذكرة بالاخبار عن اتفاقات الاسفار
جمع الجواهر في الملح والنوادر : الحصري ، ابو اسحاق ابراهيم بن علي الحصري القيرواني – طبعة الخانجي سنة ١٣٥٣ بالقاهرة
جهات الخلفاء : ابن الساعي ، تاج الدين ابو طالب علي بن انجب بن عثمان بن عبدالله – تحقيق الدكتور مصطفى جواد
جواهر الادب من خزائن العرب : الهاشمي ، احمد بن ابراهيم بن مصطفى المصري
حكاية ابي القاسم البغدادي : الازدي ، ابو المطهّر (ابو حيان التوحيدي) تحقيق ونشر آدم متز – هيدلبرج ١٩٠٩
حل العقال : ابن قضيب البان الحلبي – طبع مصر ١٣١٨
الحلاّج ، شهيد التصوّف الاسلامي : سرور ، عبد الباقي – طبع القاهرة ١٩٦١

حلية الكميت في الأدب والنوادر المتعلقة بالخمريات : النواجي ، شمس الدين محمد بن الحسن – طبع مطبعة ادارة الوطن بالقاهرة ١٢٩٩

الحيوان : الجاحظ ، ابو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب – ٧ مجلدات تحقيق عبد السلام محمد هارون – طبع البابي الحلبي بالقاهرة ١٩٤٧

خزانة الأدب : عبد القادر البغدادي – طبع بولاق – اربعة مجلدات

خطط المقريزي = المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار

الخلاصة = خلاصة تذهيب الكمال في اسماء الرجال : الخزرجي ، صفي الدين احمد بن عبد الله الخزرجي الانصاري – المطبعة الخيرية بالقاهرة سنة ١٣٢٢

خلاصة الذهب المسبوك ، المختصر من سير الملوك : عبد الرحمن سنبط قنيتو الاربلي – تحقيق السيد مكي السيد جاسم – بغداد ١٩٦٤

ابن خلكان = وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان

دائرة المعارف الاسلامية : الترجمة العربية – ١٥ مجلداً ١٩٣٣

دليل خارطة بغداد : الدكتور مصطفى جواد والدكتور احمد سوسه – مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٩٥٨

الديارات : الشابشتي ، ابو الحسن علي بن محمد – تحقيق كوركيس عواد – ط ٢ بغداد ١٩٦٦

ديوان البحتري : البحتري ، ابو عبادة الوليد ، تحقيق رشيد عطيه – بيروت ١٩١١

ديوان أبي تمام : ابو تمام حبيب بن أوس الطائي – طبع بيروت

ديوان السري الرفاء : السري بن أحمد بن السري الكندي – طبع مكتبة القدسي – مصر ١٣٥٥

ديوان الصبابة : ابن حجلة المغربي ، شهاب الدين أحمد بن يحيى بن أبي بكر بن عبد الواحد – حاشية على كتاب تزيين الأسواق بتفصيل أحوال العشاق – طبع المطبعة الازهرية بالقاهرة سنة ١٣٠٢

ديوان ابن عنين : شرف الدين ابو المحاسن محمد بن نصر الانصاري الدمشقي – تحقيق خليل مردم – من مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ١٩٤٦

ديوان ابي فراس : ابو فراس الحارث بن سعيد بن حمدان التغلبي الربعي (٣٢٠–٣٥٧) رواية ابي عبد الله الحسين بن خالويــه – طبع دار صادر – بيروت ١٩٥٥

ذيل تجارب الأمم للمدة ٣٦٩–٣٩٣ : الروذراوي ، الوزير ظهير الدين ابو شجاع محمد بن

الحسين – طبع مصر ١٩١٤
الذيل على الروضتين = تراجم رجال القرنين السادس والسابع
رسالة التوابع والزوابع – ابن شُهَيد ، ابو عامر أحمد بن أبي مروان عبد الملك بن مروان الاندلسي – طبع دار صادر ببيروت ١٩٦٧
رسائل الجاحظ : الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب – طبع مصر
رسوم دار الخلافة : الصابي ، ابو الحسن هلال بن المحسّن – تحقيق ميخائيل عوّاد – طبع بغداد ١٩٤٦
زهر الآداب : الحصري ، ابو اسحاق ابراهيم بن علي القيرواني – تحقيق الدكتور زكي مبارك – ٣ أجزاء – المطبعة الرحمانية بالقاهرة ١٩٢٥
سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون : ابن نباته ، جمال الدين محمد بن محمد بن نباته المصري – المطبعة الوطنية بالاسكندرية سنة ١٢٩٠
السيادة العربية في عهد بني أمية : فان فلوتن – ترجمة وتعليق الدكتور حسن ابراهيم حسن ومحمد زكي ابراهيم – مطبعة السعادة بالقاهرة ١٩٣٤
سيرة عمر بن عبد العزيز : ابو محمد عبد الله بن عبد الحكم (ت ٢١٤) – المطبعة الرحمانية بمصر سنة ١٩٢٧
ابن سينا = القانون في الطب
شذرات الذهب في أخبار من ذهب : عبد الحي بن العماد الحنبلي – ٨ مجلدات – طبعة القدسي
شرح ديوان المتنبي : الواحدي ، ابو الحسن علي بن احمد الواحدي النيسابوري – طبع برلين ١٨٦١
شرح المقامات الحريرية : الشريشي ، ابو العباس احمد بن عبد المؤمن القيسي – جزءان اثنان في مجلدين اثنين – طبع بولاق بمصر سنة ١٣٠٠ هـ
شرح نهج البلاغة : ابن أبي الحديد ، عز الدين ابو حامد عبد الحميد بن هبة الله بن ابي الحديد المدائني – ٢٠ مجلداً – طبعة الحلبي بمصر
الشعر والشعراء : ابن قتيبة ، ابو محمد عبد الله بن مسلم – طبع بليدن ١٩٠٢
شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل : الخفاجي ، شهاب الدين احمد – مطبعة السعادة بمصر ١٣٢٥

صلة الطبري : القرطبي ، عريب بن سعد – طبعت جزءاً ثاني عشر لتاريخ الطبري في طبعة الحسينية بالقاهرة ١٣٢٦ هـ
الطبري = تاريخ الرسل والملوك
الطبيخ : البغدادي ، محمد بن عبد الكريم – تحقيق الدكتور داود الحلبي – بيروت
ابن طيفور = تاريخ بغداد لابن طيفور احمد بن أبي طاهر
عجائب الآثار في التراجم والاخبار : الجبرتي ، عبد الرحمن بن حسن – ٣ مجلدات – طبع بيروت
العبر ، وديوان المبتدا والخبر ، في أيام العرب والعجم والبربر ، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر : ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي المغربي (ت ٨٠٨) ، طبع بولاق ١٢٨٤ هـ – ٧ مجلدات
عربستان أو بلاد الف ليلة وليلة : بيرى فوك – بالانكليزية – طبع نيويورك ١٨٧٤
العقد الفريد : ابن عبد ربه ، ابو عمر احمد بن محمد بن عبد ربه الاندلسي – تحقيق احمد امين واحمد الزين وابراهيم الابياري – ط ٣ – ٧ مجلدات مع الفهارس مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة
العقد الفريد للملك السعيد : الوزير ، ابو سالم محمد بن طلحة – مطبعة الوطن بالقاهرة ١٣٠٦
عيون الانباء في طبقات الأطباء : ابن أبي اصيبعة ، موفق الدين ابو العباس احمد بن القاسم ابن خليفة بن يونس الخزرجي ، الطبيب المؤرخ – مجلدان اثنان
العيون والحدائق في اخبار الحقائق : لمؤلف مجهول – الجزء الثالث تحقيق دي غويه ودي يونغ – طبع بريل سنة ١٨٦٩ – والجزء الرابع بقسمين ، تحقيق نبيلة عبد المنعم داود – القسم الأول طبع مطبعة النعمان بالنجف سنة ١٩٧٢ ، والقسم الثاني طبع مطبعة الارشاد ببغداد ١٩٧٣
الغيث المسجم في شرح لامية العجم : الصفدي ، صلاح الدين خليل بن ايبك بن عبد الله الصفدي (٦٩٦–٧٦٤) – مجلدان اثنان
فتوح البلدان : البلاذري ، احمد بن يحيى بن جابر بن داود – المطبعة المصرية بالأزهر ١٩٣٢
الفخري في الأداب السلطانية والدول الاسلامية : ابن الطقطقى ، ابو جعفر محمد بن علي ابن محمد بن طباطبا العلوي (٦٦٠–٧٠٩) – طبعة صادر بيروت
الفرج بعد الشدة : التنوخي ، القاضي ابو علي المحسّن بن علي – مخطوط – من مكتبة

الاسكوريال باسبانيا
الفرج بعد الشدة : التنوخي ، القاضي ابو علي المحسّن بن علي – مخطوط – من مكتبة جون رايلند بمانجستر
الفرج بعد الشدة : التنوخي ، القاضي ابو علي المحسّن بن علي – مخطوط – من دار الكتب المصرية بالقاهرة
الفرج بعد الشدة : التنوخي ، القاضي ابو علي المحسّن بن علي – مخطوط – الجزء الأول – من المكتبة الظاهرية بدمشق
الفرج بعد الشدة : التنوخي ، القاضي ابو علي المحسّن بن علي – مخطوط – الجزء الثاني وقد كتب عليه انه كتاب نشوار المحاضرة – من الخزانة الملكية بالرباط
الفرج بعد الشدة : التنوخي ، ابو علي المحسّن بن علي – طبع مطبعة دار الهلال بالقاهرة (١٩٠٣–١٩٠٤) – جزءان اثنان في مجلد واحد
الفرج بعد الشدة والضيقة : ابن أبي الدنيا ، ابو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان (٢٠٨–٢٨١) – مخطوط – من المكتبة الظاهرية بدمشق
فرج المهموم في مواقع النجوم : ابن طاووس ، رضي الدين ابو القاسم علي بن موسى بن جعفر ابن محمد بن طاووس الحسني الحسيني – طبع النجف
فقه اللغة : الثعالبي ، ابو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل النيسابوري – طبعة البابي بالقاهرة ١٩٣٨
الفلاكة والمفلوكون : الدلجي ، شهاب الدين احمد بن علي – طبع مطبعة الشعب بالقاهرة ١٣٢٢ هـ
الفهرست : ابن النديم ، ابو الفرج محمد بن اسحاق ، تحقيق رضا تجدد ، طبع طهران
فوات الوفيات : ابن شاكر الكتبي ، محمد (ت ٧٦٤) – تحقيق الدكتور احسان عباس – طبع صادر ببيروت – ٤ مجلدات
القانون في الطب : ابن سينا ، الشيخ الرئيس شرف الملك ابو علي الحسين بن عبد الله – طبعة بولاق بالقاهرة – ٣ مجلدات
قطب السرور في أوصاف الخمور – ابو اسحاق ابراهيم بن القاسم – دمشق
الكامل : المبرّد ، ابو العباس محمد بن يزيد بن عبد الاكبر الثمالي الأزدي – جزءان اثنان – مطبعة التقدم بالقاهرة

الكامل في التاريخ : ابن الأثير ، عز الدين ابو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري — عن طبعة المستشرق تورنبرغ — طبع دار صادر ١٩٦٦ — ١٣ مجلداً مع الفهرس
كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون : حاجي خليفة ، مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي (١٠١٧–١٠٦٧) — طبعة اصطنبول — ٦ مجلدات
لباب الاداب : اسامة بن منقذ ، مؤيد الدولة ابو المظفر اسامة بن مرشد بن علي بن مقلد ابن نصر بن منقذ الكناني الكلبي الشيزري (٤٨٨–٥٨٤) تحقيق أحمد بن محمد ابن شاكر — طبع مصر ١٩٣٥
اللباب في تهذيب الأنساب : ابن الاثير ، عز الدين ابو الحسن علي بن محمد (٥٥٥–٦٣٠) — طبع القاهرة ١٣٥٧ هـ
لسان الدين بن الخطيب ، حياته وتراثه الفكري : محمد عبد الله عنان — الطبعة الأولى بالقاهرة ١٩٦٨
لسان العرب : ابن منظور المصري ، ابو الفضل محمد بن مكرم بن علي الانصاري (٦٣٠–٧١١) — اعداد يوسف خياط ونديم مرعشلي — طبع دار صادر ببيروت — ٣ مجلدات
لطائف المعارف : الثعالبي ، ابو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل النيسابوري — تحقيق ابراهيم الابياري وحسن كامل الصيرفي — طبع الحلبي — القاهرة
لطف التدبير : الاسكافي ، محمد بن عبد الله الخطيب — تحقيق أحمد بن عبد الباقي مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة
مجلة المجمع العلمي العراقي : المجلّد ٢٥ سنة ١٩٧٤
مجلة المشرق : المجلّد ٤٣
مجمع الامثال : الميداني ، ابو الفضل أحمد بن محمد بن احمد بن ابراهيم النيسابوري — جزءان اثنان في مجلدين اثنين — طبع مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة ١٩٥٥
مجمع البيان في تفسير القرآن : الطبرسي ، ابو علي الفضل بن الحسن — طبع بيروت — عشرة أجزاء في خمسة مجلدات
المحاسن والاضداد : الجاحظ ، ابو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب — ط ٢ القاهرة ١٣٣٠
المحاسن والمساوئ : البيهقي ، ابراهيم بن محمد — مطبعة السعادة بمصر ١٩٠٦
محاضرات الأدباء ، ومحاورات الشعراء والبلغاء : الراغب الاصبهاني ، ابو القاسم حسين بن محمد — طبع بيروت — أربعة أجزاء في مجلدين اثنين

المخصص : ابن سيده ، ابو الحسن علي بن اسماعيل (٣٩٨–٤٥٨) – طبع بولاق
المخلاة : البهائي ، بهاء الدين محمد بن الحسين العاملي (ت ١٠٠٣) – المطبعة الادبية بمصر سنة ١٣١٧ هـ
مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان : اليافعي ابو محمد عبد الله ابن اسعد اليافعي المكي اليمني – مطبعة حيدرآباد الدكن سنة ١٣٣٩ في أربعة مجلدات
مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع : صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي – تحقيق علي محمد البجاوي – طبع القاهرة ١٩٥٥
مروج الذهب : المسعودي ، ابو الحسن علي بن الحسين بن علي ، من ذرية عبد الله بن مسعود الصحابي (ت ٣٤٦) – طبعة الشعب بالقاهرة ١٩٦٦
المسالك والممالك : الاصطخري ، ابو اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي الكرخي – طبع مصر ١٩٦١
المستجاد من فعلات الأجواد : التنوخي ، ابو علي المحسَن بن عليّ – تحقيق محمد كرد علي – طبع دمشق
المستظرف من أخبار الجواري : السيوطي – تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد
مشاهير علماء الأمصار : البستي ، ابو حاتم محمد بن حبان – تحقيق م فلايشهر – طبع مصر ١٩٥٩
المشتبه في الرجال : الذهبي ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (٦٧٣–٧٤٨) – جزءان اثنان في مجلد واحد – طبع الحلبي بمصر ١٩٦٢
المشترك وضعاً والمفترق صقعاً : الحموي ، ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله – طبع وستنفلد – ١٨٤٤
مصارع العشاق : السراج ، ابو محمد جعفر بن احمد بن الحسين القارئ – دار صادر ببيروت
مطالع البدور في منازل السرور : الغزولي ، علاء الدين – مطبعة الوطن بمصر ١٢٩٩ – جزءان اثنان في مجلد واحد
المعارف : ابن قتيبة ، ابو محمد عبد الله بن مسلم – تحقيق ثروت عكاشة – مطبعة دار الكتب – ١٩٦٠
المعجب في تلخيص أخبار المغرب : المراكشي ، محيي الدين عبد الواحد بن علي (٥٨١–٦٤٧)

– تحقيق محمد سعيد العريان – طبع القاهرة ١٩٦٣
المعجم في اسماء الالبسة عند العرب – رينهارت دوزي – امستردام ١٨٤٥
معجم الأدباء = ارشاد الاريب إلى معرفة الأديب
معجم الأنساب والأسر الحاكمة في التاريخ الاسلامي : زامباور المستشرق – طبع جامعة فؤاد الأول ١٩٥١
معجم البلدان : الحموي ، ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله – طبع وستنفلد ٦ مجلدات مع الفهارس
معجم الحيوان : المعلوف ، أمين – طبع دار المقتطف ١٩٣٢
المعجم الذهبي ، فارسي – عربي : التونجي ، الدكتور محمد – طبع دار العلم للملايين ببيروت
معجم المراكب والسفن في الاسلام – حبيب زيات – مجلة المشرق – المجلد ٤٣
المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم – محمد فؤاد عبد الباقي – مطبعة دار الكتب بالقاهرة ١٩٣٤
معيد النعم ومبيد النقم : السبكي ، تاج الدين عبد الوهاب – طبع مصر ١٣١٨
مفاتيح العلوم : الخوارزمي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد – طبع مصر ١٣٤٢
المفردات في غريب القرآن : الراغب الاصبهاني ، ابو القاسم الحسين بن محمد بن الفضل – المطبعة الميمنية بالقاهرة ١٣٢٤
مقاتل الطالبيين : الاصبهاني ، ابو الفرج علي بن الحسين الأموي – تحقيق السيد احمد صقر – طبع الحلبي ١٩٤٦
الملح والنوادر = جمع الجواهر في الملح والنوادر
الملل والنحل : الشهرستاني ، ابو الفتح محمد بن عبد الكريم – هامش على الملل والنحل لابن حزم – مطبعة الخانجي ١٣٢١
المنتظم في تاريخ الملوك والأمم : ابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي – طبعة حيدر آباد الدكن ١٣٥٧ – خمسة مجلدات
المنجد : الاب لويس معلوف – بيروت – ط ١٩
مهذب رحلة ابن بطوطة : ابن بطوطة ، محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي – تحقيق احمد العوامري ومحمد أحمد جاد المولى – المطبعة الأميرية ببولاق ١٩٣٤
المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار – المقريزي ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي –

طبع بولاق ١٢٧٠ – في مجلدين اثنين
الموشح ، في مآخذ العلماء على الشعراء ، في عدّة أنواع من صناعة الشعر : المرزباني ، أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى (ت ٣٨٤) – تحقيق علي محمد البجاوي – طبع دار نهضة مصر ١٩٦٥
الموشى في الظرف والظرفاء : الوشّاء ، ابو الطيّب محمد بن اسحاق بن يحيي الوشاء – طبع صادر ببيروت ١٩٦٥
ميزان الاعتدال في نقد الرجال : الذهبي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان – تحقيق علي محمد البجاوي – اربعة مجلدات – طبع مصر ١٩٦٣
النجوم الزاهرة في حلي حضرة القاهرة : الحجاري ، عبد الله ابراهيم – تحقيق الدكتور حسين نصار – مطبعة دار الكتب بالقاهرة
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة – ابن تغري بردي ، جمال الدين أبو المحاسن يوسف ابن تغري بردي – طبع دار الكتب المصرية بالقاهرة
نخب تاريخية وأدبية جامعة لأخبار الأمير سيف الدولة الحمداني – جمع المستشرق ماريوس كنار – الجزائر ١٩٣٤
نخبة الدهر في عجائب البرّ والبحر : شيخ الربوة ، شمس الدين ابو عبد الله محمد بن أبي طالب الانصاري الدمشقي – المطبعة الامبراطورية بمدينة بطرسبرج سنة ١٨٦٥
نزهة النفوس والابدان في تواريخ الزمان : الخطيب الجوهري ، علي بن داود الصيرفي – تحقيق الدكتور حسن حبشي – مطبعة دار الكتب بالقاهرة ١٩٧٠
نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة : التنوخي ، ابو علي المحسّن بن علي – تحقيق عبود الشالجي – ثمانية أجزاء في ثمانية مجلدات – طبع دار صادر ببيروت
نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب : المقري ، الشيخ أحمد بن محمد المقري التلمساني – تحقيق الدكتور احسان عباس – ثمانية مجلدات مع الفهارس – طبع دار صادر ببيروت
نفحة اليمن فيما يزول بذكره الشجن : الشرواني ، احمد بن محمد الانصاري اليمني – المطبعة المليجية بمصر ١٣٢٥
نكت الهميان في نكت العميان : الصفدي ، صلاح الدين خليل بن ايبك – تحقيق احمد زكي باشا – القاهرة ١٩١٣

نهاية الارب في فنون الادب : النويري ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي – طبع دار الكتب بمصر ١٩٢٣

هدية العارفين ، اسماء المؤلفين ، وآثار المصنّفين : البغدادي ، اسماعيل باشا – طبع اصطنبول ١٩٥٥

الهفوات النادرة : غرس النعمة ، ابو الحسن محمد بن هلال الصابي – تحقيق الدكتور صالح الاشتر – دمشق ١٩٦٧

واسطة السلوك ، في سياسة الملوك : العبدوادي ، ابو حمو موسى بن يوسف من ملوك بني زيان بتلمسان – طبع بتونس سنة ١٢٧٩

الوافي بالوفيات : الصفدي ، صلاح الدين خليل بن ايبك – المجلدات من الأول إلى الرابع تحقيق هلموت ريتر ١٩٦١ ، والمجلد الخامس تحقيق ديدرينغ – طبع صادر ١٩٧٠ ، والمجلد السابع تحقيق الدكتور احسان عباس – طبع صادر ١٩٦٩ ، والمجلد الثامن تحقيق يوسف محمدنجم – طبع صادر ١٩٧١ ، والمجلد التاسع تحقيق يوسف فان اس – طبع صادر ١٩٧٤

الوزراء للصابي = تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء

وفيات الأعيان وانبآء أبناء الزمان : ابن خلكان ، القاضي شمس الدين احمد بن خلكان – تحقيق الدكتور احسان عباس – طبع دار صادر ببيروت – ٨ مجلدات مع الفهارس

الولاة والقضاة : الكندي ، ابو عمر محمد بن يوسف القاضي – تحقيق المستشرق رفن كست – طبع بيروت ١٩٠٨

يتيمة الدهر في محاسن اهل العصر : الثعالبي ، ابو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل النيسابوري – تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد – القاهرة ١٩٥٦ – أجزاء أربعة في مجلدين اثنين